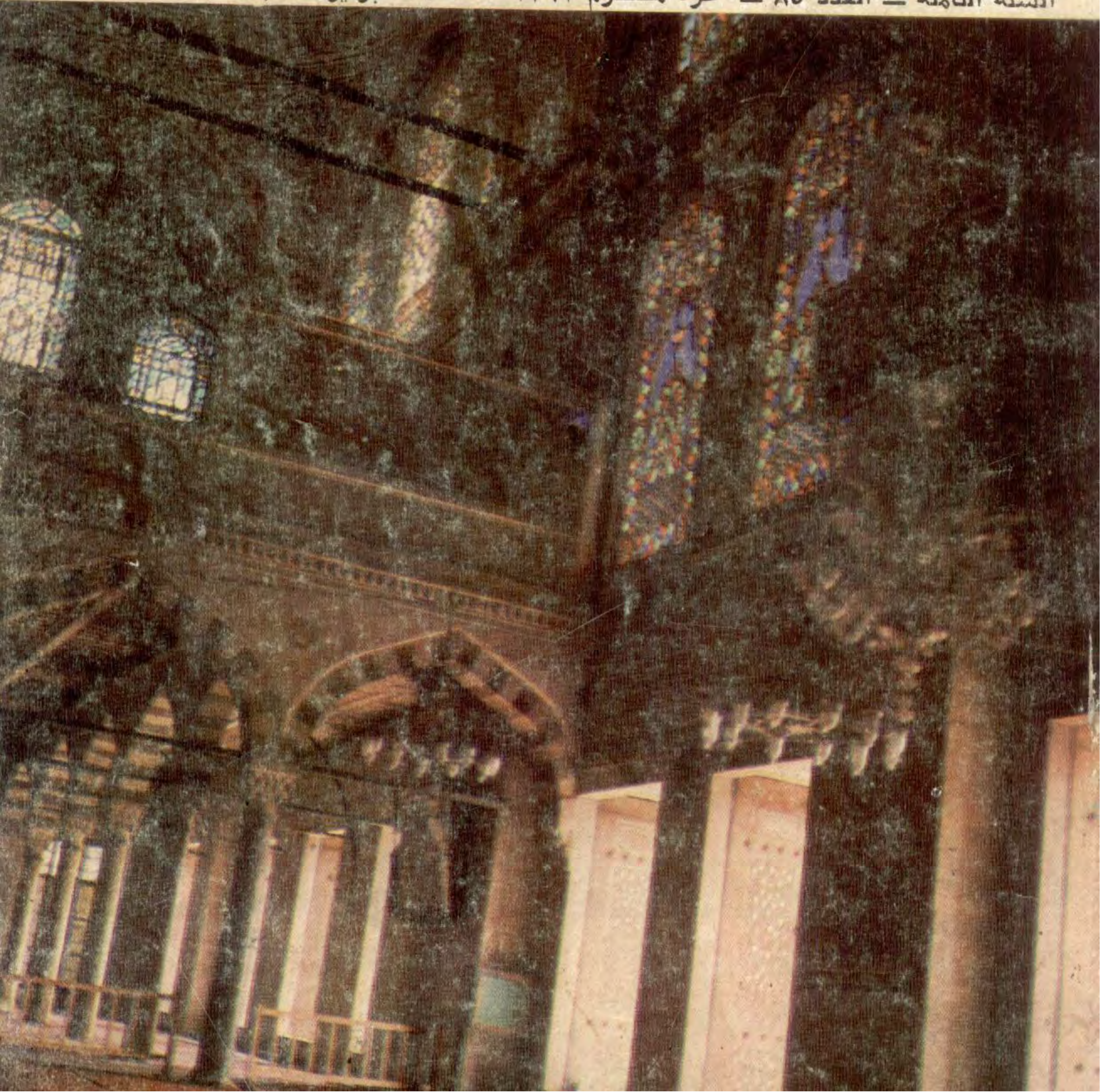
عـدد خاص

الوعي الإسلامي

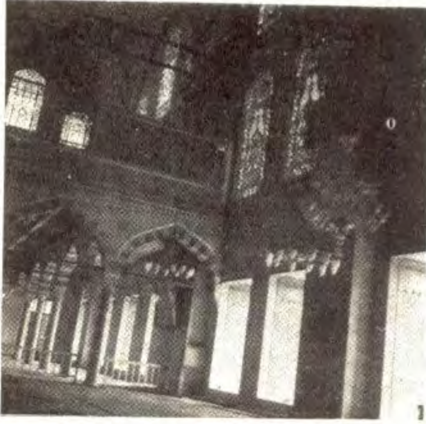
اسلامية ثقافية شهرية

السنة الثامنة ـ العدد ٨٥ ـ غرة محـرم ١٣٩٢ هـ ـ ١٦ فبراير (شباط) ١٩٧٢ م





سمو أمير البلاد المعظم وهو يستقبل بقصر السيف العامر كبار رجال الدولة ووجهاء البلاد وأعيانها ، حيث قدموا لسموه ولسمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء ، التهنئة بمناسبة عيد الأضحى المبارك .



تحفة رائعة من الفن الاسلامى تنقلها هذه الصورة الغنية بآيات الابداع التى تتجلى فى كل ما ترمقه العين فى المسجد الأزرق بتركيا .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P. O. B. 13

السنة الثامنة

« العدد الخامس والثمانون »

غرة محرم ١٣٩٢ هـ

١٦ فبراير (شباط) ١٩٧٢

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر		دينار وربع
المغرب		درهم وربع
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
أما الافراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
ص.ب ١٣ هاتف : ٢٢٠٨٨ ـ كويت

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث الشهر

إن الله معنا

تطالع المسلمين اليوم ذكرى هجرة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه من مكة الى المدينة على راس ثلاثة عشر عاما قضاها فى معية الله . وفى جوار بيته الحرام يهز جنبات الوادى بصيحة التوحيد ، ويفتح مغاليق القلوب بمنطق الوحى الجديد ، ويمهد للانسانية طريق حريتها ، ويفك عن أعناقها قيود الذلة والعبودية للحجر والبشر ، ويقيم الاصلاب الراكعة لغير الله ، ويرفع الجباه العانية لغير وجهه حتى ترى العيون وتبصر القلوب الوجه الحق الذى يجب أن تسلم له الوجوه ، وتعنو لألوهيته جباه العالمين .

وما كان لقريش وقد ذر قرن الشيطان فيها ، وشابت لممها فى الكفر والضلال — أن تفىء من قريب الى الحق ، أو تصحو على صوت النذير ، فقد أعماها الهوى واضلها الشيطان ، فحاولت ما وسعتها الطاقة أن تضع فى طريق الرسالة اشواكا لا تخيف الا الفارغين من الايمان ، وان تلقى على كواهل المؤمنين أثقالا تعوقهم عن المسير . وباءت محاولتها بالفشل والخيبة .

واخيرا بعد ان اعياها الجهد العنيد والضلال الحقود دبرتها بليل . وسول لها جبروتها وبطشها أن فى مقدورها أن تخضب أيديها بدم النبوة الزكى الطهور ، وانى لها ذلك وصاحب الرسالة فى معية الله : **« ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين »** .

وكانت الهجرة الخالدة ، وخرج المهاجر الاعظم صلى الله عليه وسلم بالنداء الذى تلقاه والوحى الذى وافاه فى غار حراء الى غار ثور ليكون منه المنطلق لاذاعته فى الأرجاء من فوق منارات المدينة أرض الهجرة المنورة التى استجاب اهلها لله وللرسول ، فآمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه، فكانوا حداة الركب المؤمن ورواد القافلة المسلمة التى حملت مشاعل التوحيد ، وشرقت وغربت تحت راية القرآن تعلى كلمة الله وتنشر نوره والله متم نوره ولو كره الكافرون .

وما اكثر ما تحمل الهجرة النبوية من حقائق عليا ، ومبادىء مثلى ، وقيم ونماذج تستوقف النظر ، وتأخذ بمجامع القلب ، وتضع الاعلام على الطريق لأمتنا التى تسعى لتنهض من كبوة ، وتستأنف مسيرتها من عثرة ، وترفع رايتها بعد نكسة .

التضحية .. الفداء .. الثبات على الحق .. الفهم الحقيقى للهدف .. الادراك الواعى لمرامى العدو .. ذلكم بعض ما تنطوى عليه الهجرة من معان وحقائق .. على أن الحقيقة الكبرى التى تعتبر الركيزة الاساسية والمنبع الحقيقى لهذه القيم والمبادىء هى الدخول فى معية الله والايمان الكامل بهذه المعية التى طمأن بها المهاجر الأعظم صاحبه وصديقه : **« ان الله معنا »** .

حقا ان سيد الغار صلى الله عليه وسلم كان فى معية الله لأنه كان أقوى المؤمنين ايمانا ولهذا كان اكثرهم عملا واصبرهم على الجهاد ، ومن ثم كان اكثرهم تفاؤلا وأملا ، اذ الايمان القوى يستلزم العمل الدائب ، والعمل يبدد ظلمات اليأس ، ويملأ آفاق النفس ، أملا ورجاء ، واننا لنرى النفس المحمدية فى جميع مراحل الدعوة الى الله تشرق بنور الأمل فى الله حتى فى اشد الظروف حرجا واحلكها ظلمة ، وتشيع هذا الأمل فى القلوب المؤمنة الملتفة حولها :

١ — فى عنفوان الاضطهاد لأصحابه قبل الهجرة كان يدعوهم الى الصبر ، واحتمال ما يلقون من العذاب والأذى فى سبيل الله حتى يأتى الله بالفتح أوامر من عنده ، وكان يهون عليهم ما يجدون بتذكيرهم بسير المؤمنين فى الأمم التى خلت . ايمانهم وصبرهم على الوان العذاب . وما كان من قوة احتمالهم ورسوخ ويؤكد لهم أنهم فى معية الله وان النصر آت لا ريب ، وان الدنيا ستفتح عليهم .

روى البخارى عن قيس قال : سمعت خبابا يقول : « اتيت النبى صلى الله عليه وسلم — وهو متوسد برده فى ظل الكعبة ، وقد لقينا من المشركين شدة ، فقلت : الا تدعو الله ، فقعد وهو محمر الوجه ، فقال : قد كان من قبلكم يمشط بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه ، ويوضع المنشار على مفرق راسه ، فيشق باثنين .. ما يصرفه ذلك عن دينه .. وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت ما يخاف الا الله عز وجل والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون » .

لا يقول هذا القول الا من كان فى معية الله ، ولا يرى هذه الرؤية الا من كان يرى بنور الله ولا يصبر هذا الصبر الا مؤمن اشد الايمان بالله .

٢ — وفى خروجه صلى الله عليه وسلم الى الطائف يلتمس النصرة والمنعة من ثقيف ، والشقة بين مكة والطائف ليست شقة هينة اذ تزيد المسافة بينهما على مائة وعشرين ميلا يقطعها ماشيا بين جبال وعرة ، ووهاد مقفرة — فى هذا الخروج الذى اساءت فيه ثقيف استقباله ، فأغرت به سفهاءها ، وسلطت عليه صبيانها ، فقعدوا له على الطريق يرشقونه بالحجارة حتى دميت

قدماه . فى هذا الوقت الحرج . والموقف الرهيب يأنس الرسول بمعية الله . وتنسيه لذة المعية كل أذى وتعب . وتتحرك فى قلبه الشريف الآمال العراض فى نصر الله . ويجيش صدره بالضراعة والابتهال الى الله . ويفيض لسانه بكلمات عذاب تسكن بها نفسه . ويطمئن بها قلبه :

« اللهم اليك اشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس .. يا ارحم الراحمين .. أنت رب المستضعفين وأنت ربى .. الى من تكلنى . الى بعيد يتجهمنى ، أو الى عدو ملكته أمرى .. ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى .. ولكن عافيتك أوسع لى .. أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك او تحل على سخطك .. لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة الا بك » .

هذه نبضات قلب ، ودفقات دم ، وموجات نفس تفرغ من حولها الى حول الله ، وتتخلى عن كل عون الا عون الله ، وتلقى بثقلها فى معية الله .

٣ — وفى الهجرة الى المدينة بلغ الخطر على حياته مبلغا لا يجد معه اشد الناس تفاؤلا منفذا لنجاة ، وبلغ ايمانه بمعية الله مبلغا لا يحس فيه صاحبه بخطر ما ، فقد ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت الجأش مطمئن الخاطر تغمره السكينة والطمأنينة ، ويملأ قلبه اليقين بأن الله يرعاه ، وأن قريشا ستبوء بالخيبة مهما دبرت له من كيد ، ومهما استعانت بمالها من خبرة وقوة ، ففى اللحظة التى وصل فيها الأعداء الى الغار . وسمع ابو بكر صوت اقدامهم كان رسول الله يرى ما لا يراه أبو بكر ويحس ما لا يحسه أبو بكر . كان يرى جنود السموات والأرض فى حراسته ، ولهذا لما قال له الصديق يا رسول الله لو أن احدهم نظر الى موضع قدميه لأبصرنا اجابه من فوره . من قوة معاينته من صدق معيته : **« لا تحزن ان الله معنا ، ما ظنك يا ابا بكر باثنين الله ثالثهما »** .

٤ — وفى غزوة الأحزاب الب اليهود القبائل عليه وعلى المسلمين فى المدينة ، فخرج نحو عشرة آلاف مقاتل تحت امرة أبى سفيان . وحاصروا المدينة قرابة شهر فى أيام شديدة البرد جافة الزرع يابسة الضرع ، فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثقة كاملة بالله وفى يقين قوى بمعية الله وقف مع أصحابه يشاركهم حفر الخندق ، ويبث الثقة والطمأنينة فيمن حوله ، ولما استعصت صخرة على سلمان الفارسى اخذ الرسول المعول منه وضرب ضربة لمعت تحت المعول برقة ثم ضرب ضربة اخرى فلمعت تحت المعول برقة ثانية ، ثم ضرب ضربة ثالثة ، فلمعت تحت المعول برقة اخرى . قال سلمان : قلت : بأبى انت وأمى يا رسول الله . ما هذا الذى رأيت لمعه تحت المعول وانت تضرب به ؟ قال : أو قد رأيت يا سلمان : قلت : نعم . قال : أما الأولى فان الله فتح على بها اليمن ، وأما الثانية فان الله فتح على بها الشام والمغرب ، وأما الثالثة فان الله فتح على بها المشرق .

والحديث يطول عن التفسير العملى والايجابى لقول الرسول الكريم لصاحبه فى الغار : « **ان الله معنا** » وكذلك تفصيل النتائج لهذه المعية الربانية فى حياة الصحابة وفتوحاتهم وانتصاراتهم ، ولا شك ان ميدانا يغمر الواقفين فيه احساس عميق بأن الله معهم لهو ميدان النصر الذى يتحرك فيه المجاهدون على ثقة من الظفر ، ويقين من الغلبة والفوز ، وان ساحة تشيع فيها هذه الثقة لا تطيش فيها قذيفة ولا ينبو سيف . ولا تخطىء طعنة ولا ضربة .

ان على امتنا ان تذكر ان معية الله قلبت موازين القوى ، فجعلت من الحفاة العراة الرعاة ابطال وغى وقواد أمم وساسة شعوب دانت لعقيدتهم ، وارتضت شريعتهم وتفيأت ظلال الأمن والعدالة . فى ظل حكمهم وسلطانهم . وما حكمهم الا حكم الله ، ولا سلطانهم الا سلطان الله والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

ان الدخول فى هذه المعية يفجر الطاقات ، ويذلل الصعاب ، ويحطم العقبات ، ويعلو بالمؤمن فوق مستوى الماديات ، ويضع فى يده مفاتيح الدنيا لأنه يرى رؤيا العين أن البعيد قريب وان الصعب سهل وان المستحيل ممكن وقد رأى انصار الله من قبل ان الطوفان مخاضة لا تبل الاقدام ، وان النيران التى تخطف الطير برد وسلام ، وان الفيلة نمال ، وان أصحابها كعصف مأكول .

والطريق لانقاذ المسلمين من الضياع الذى يخبطون فيه ، والفراغ الايمانى الذى يعانون فيه انعدام الجاذبية بينهم وبين الله تعالى .. الطريق لدخولهم فى حماية الله وكنفه واضح المعالم أمامهم كما كان واضحا أمام الأنصار والمهاجرين .. العودة الى دين الله ، والوقوف عند حدوده ، والالتزام بشريعته .

والدلالة على هذا الطريق واجب أجهزة الاعلام الاسلامية وحملة الأقلام الواعية التى تنطق باسم الله وتغار على دين الله ، وتحرص أشد الحرص على اقامة المؤمنين على الجادة التى لا يزيغ من سلكها ، ولا يضل من التزمها .

ومن فضل الله على هذه المجلة وهى تدخل بهذا العدد فى عامها الثامن انها التزمت فيما تنشر أن تصل المؤمنين بالله ، وان تمهد لهم طريق العودة اليه ، وان تربط حبالهم بحبل الله حتى يكونوا أهلا لمعيته .

ولقد كان من الآثار الطيبة لهذه الدعوة المخلصة هذا التجاوب الحبيب من القراء وهذا النشاط المقدور من الكتاب وهذه الرسائل من المسلمين شرقا وغربا وهى تتابع ما ينشر فيها ، وتفتقدها اذا غابت ، وتسأل عنها اذا منعت .

وان هذا الاقبال الذى تلاقيه من القراء والعون الذى تجده من الكتاب ليحفز المسئولين فيها الى المزيد من الجهد والمزيد من العطاء حتى تؤدى الغاية المرجوة من نشر الفكر الاسلامى ، وايقاظ الوعى القرآنى .

— ● —

ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين .

مدير ادارة الدعوة والارشاد

رضوان البيلى

في رحاب القرآن الكريم

للاستاذ عبد العزيز العلى المطوع

(١١٤) سورة الناس مكية
وآياتها ٦ نزلت بعد الفلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾
إِلَٰهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾
الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ
وَالنَّاسِ ﴿٦﴾

قل أعوذ : الاستعاذة فى بدء سورة الناس من الوسواس الخناس الـذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس ، هى تخلية وطلب الهداية من رب العالمين الرحمن الرحيم الى الصراط المستقيم والطريق القويم ، صراط الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين غير المغضوب عليهم ولا الضالين ـ كما جـاء فى ختام سورة الفاتحة ـ هى تخلية وجب الحمد عليها ، فكان ذلك الحمد فى الافتتاح لفاتحة كتاب اللـه ومن المعلوم أن الضلال والهدى لا يجتمعان فى قلب انسان فى وقت واحد ، كما لا يجتمع النور والظـلام فى مكان وزمان واحد . .

صحيح ان قوة إشعاع النور تختلف وتبدأ من الشمعة الواحدة ، وان الانسان غالبا ما يتردد ويتشكك ويحتار ولـكن الحيرة والتردد والتشكك لا تلبث أن تزول ويحل محلها ايمان سليم يهدى الى صراط مستقيم ، كما يحـل النور محل الظلمات ويذهب الباطل أمام قوة الحق وهذه سنن كونية لا تبديل لها ولا تحول عنها ، قال سبحانه « وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا » (الآية ٨١ من سورة الاسراء) وقال سبحانه ايضا : « وهو الـذى جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد أن يذكر او اراد شكورا » (الفرقان ٦٢) .

برب الناس : رب الناس هو رب العالمين الرحمن الرحيم كما جـاء فى سورة الفاتحة .

ملك الناس : هو ملك يوم الدين كما ورد فى سورة الفاتحة ايضا وكلمة ملك بالنسبة لله غالبا ما تأتى فى كتاب الله مقرونـة بيوم الدين ، اليـوم الـذى لا ملك ولا مالك فيه غيره سبحانه مصداقا لقولـه جل شأنه : « وما أدراك ما يوم الدين . ثم ادراك ما يوم الدين . يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله » (الآيات ١٧ ، ١٨ ، ١٩ من سورة الانفطار) وقوله سبحانه : « الملك يومئذ لله يحكم بينهم » (الآية ٥٦ من سورة الحج) وقولـه سبحانه : « قوله الحق وله الملك يوم ينفخ فى الصور » (الآية ٧٣ من سورة الانعام) وقوله سبحانه : « الملك يومئذ الحق للرحمن ، وكان يوما على الكافرين عسيرا » (الآية ٢٦ من سورة الفرقان) وقوله سبحانه : « لمن الملك اليوم لله الواحد القهار » (الآية ١٦ من سورة غافر) ـ وفى الاثر عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يطوى الله السموات يوم القيامة ، ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول : انا الملك أين الجبارون ؟ اين المتكبرون ؟ ثم يطوى الارضين ثم يأخذهن قال ابن العلاء ، وهو محمد أبو كريب : بيده الأخرى « وكلتا يديه يمين » ثم يقول : انا الملك اين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ . .

ولعل فى تكرار ذكر الناس ما يفيد انهم مركز الثقل ، وبيت القصيد ومصداق قوله سبحانه : « ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون . إن فى هذا لبلاغا لقـوم عابدين . وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » (الآيات ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ من سورة الأنبياء) . .

الوسواس الخناس والجنة والناس : الظاهر أن كل ضار سواء أكان من

الناس أم من الجنة فهو شيطان يستعاذ من شره وكل ما جن عن العين فهو من الجنة والخناس هو الذى يخنس أى ينكمش ويتضاءل ويقصر عند ذكر الرحمن وهم مردة الجنـــة كما قال الله سبحانه فى موضع آخر من كتابه الكريم « إن الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون » (الآية ٢٠١ من سورة الاعراف) أن شياطين الجن تمثل الظلام الذى لا يجدى فى ازالته مهانة ، أو تجهم عليه ، أو لعنة توجه اليه ، ولكن شمعة واحدة تزيل جانبا من الظـــلام بقدر قوة إشعاعها وعلى قدر امتداد الاشعاع يكون انحسار الظلام .

أن شيطان الجن يخنس ويقصر ويتلاشى (عند ذكر الرحمن) ثم ينبعث ويكبر كلما غفل الانسان عن ذكر الله مصداقا لقولـــه سبحانه « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين » (الآية ٣٦ من سورة الزخرف) .

وقد ورد عن المصطفى صلى الله عليه وسلم أنه قال لرديفه حينما عثرت ناقته وقال الرديف (تعس الشيطـــان) فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : (لا تقل ذلك فانك إذا قلتها تكابر وقال بقوتى صرعته ، ولكن قل بسم الله فانك أذا قلتها تصاغر حتى يكون كالذبابة) . .

وقد جاء فى الحديث الشريف ما يدل على اعتبار الميكروبات الضارة شياطين ايضا لقوله صلوات الله عليه : (قصوا الاظافر كى لا تتظلل تحتها الشياطين) ولعل المقصود من ذلك الا تكون وكرا لهـــذه الشياطين أى الميكروبات الضارة ، ومن الفطرة حف الشارب وهو فى طريق مجرى الغذاء والتنفس ، وقد ورد فى الاثر عنه (صلى الله عليه وسلم) الفطرة خمس : حف الشارب ، واعفاء اللحية ، ونتف الابط . وقص الاظافر ، وحلق العانة) .

كذلك قال صلوات الله عليه (غلقوا الابواب أذا رقدتم ، واطفئوا المصابيح ، وأوكئوا الأسقية ، وخمروا الطعام والشراب) وقال ايضا : (تنكبوا الغبار فانه من النسمة) ومن الندب تغطية الفم باليد عند التثاؤب ، والاحاديث فى هـــذا المعنى كثيرة .

أما شياطين الانس فقد لا يتأثرون بكلمة الحق ، ولا يحفلون باشعاع النور ، وقد وصفهم الله سبحانه بقوله « وإخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون » (الآية ٢٠٢ من سورة الاعراف) وإنما تردعهم العدالة الحقة بالقصاص عنـــد إقامة الحدود ، وقد جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فمن لم يستطع فبلسانه ، فمن لم يستطع فبقلبه وذلـــك أضعف الايمان » . .



من
هدي
السنة

للدكتور : على عبد المنعم عبد الحميد
الأستاذ فى جامعة الكويت

العمل والجزاء

عن ابن عباس رضى الله عنهما ، عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه عز وجل قال :

« قال : ان الله عز وجل كتب الحسنات والسيئات ، ثم بين ذلك ، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله لهعنده حسنة كاملة ، فان هم بها وعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة ، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة ، فان هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة » .

ـ رواه البخارى وغيره بلفظ مقارب ـ

تمهيـد :

قال الحافظ بن حجر العسقلانى : [يحتمل أن يكون هذا الحديث مما تلقاه النبى صلى الله عليه وسلم عن ربه بلا واسطة ويحتمل أن يكون مما تلقاه بواسطة الملك] ..

الحسنة :

ضد السيئة وفى التنزيل : « من جاء بالحسنة فلهعشر امثالها » ، والجمع حسنات ولا يكسر ، والمحاسن فى الاعمال ضد المساوىء ، وقوله تعالى : (انا ويعين المظلوم ، ويعود المريض ، فذلك احسـانه ، وقوله تعالى : (ويدرأون بالحسنة السيئة) اى يدفعون بالكلام الحسن ما ورد عليهم من سىء غيرهم .

والسيئة : الخطيئة ، وسيء وسيئة عملان قبيحان ، يصير السيء نعتا للمذكر من الاعمال ، والسيئة نعتا للمؤنث منها ، وفى القرآن الكريم .. (استكبارا فى الأرض ومكر السيء ولا يحيق المكر السيء الا بأهله .. الآية الكريمة) .. وهم بالشيء يهم هما : نواه وأراده وعزم عليه . ومن معانى الهم : ترجيح قصد الفعل ، يقال : هم بالشيء قصده بهمته .

١ ــ الله رحيم بعباده ، رؤوف بهم ، أرسل اليهم رسله مبشرين ومنذرين ليسلكوا بهم شعاب الحياة ودروبها فى يسر ، منيرين لهم دجناتها ، ليصلوا الى غاياتها الكريمة على هدى وبصيرة ، وليضعوهم فى أول درجات السلم ثم يرتقوا فيه على مقتضى السنن الكونية وطبائع الاشياء ، ولم يكلفهم ما لا يطيقون ، وجعل لكل عمل نافع مثوبة ، وبقدر اتساع رقعة التطبيق والفائدة تكون جزالة العطاء من الله تعالى والتفضل ، واقتضت سنته فى الكون انه لا بد من عمل وسعى وقوة عزم ، ونفاذ ارادة ، وصبر ومداومة لكى يصل السائرون فى مختلف المسالك الى أهدافهم ، ويجنوا ثمار جهودهم وينعموا بالبهجة والسعادة حين الحصاد . وابان الجنى ، وبتأمل سلوك سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السير بالدعوة الى ما استقرت عليه من كمال فى جميع مناحيها ومقاصدها ووضوح منهاجا ، نجد العمل الواقعى هو العدة فى كل خطوة خطاها عليهافضل الصلاة وأزكى السلام وهنا لا أستطيع أن اقول : ان التنفيذ الدقيق الذى نراه فى كل حركة وسكنة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى انتقالات الدعوة من مرحلة ضيقة النطاق لا تتجاوز المخالطين فى المعيشة والسكن الى العشيرة الاقربين مستهلة بدعوة شركاء النسب وذوى القربى القريبة ، واللحمة البعيدة ، الى أن تتجاوز كل الحدود الى مختلف الآفاق ، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه مسلم : **(والذى نفسى بيده لا يسمع لى احد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم لا يؤمن بى الا دخل النار)** .. ويقول الله عز وجل : **« وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون »** الآية ٢٨ من سورة سبأ ثم ما كان بعد ذلك من هجرة عظمى الى يثرب ومفارقة للأهل والوطن وما تلا الهجرة من غزوات وحروب . أقول : لا نستطيع أن ننسب هذه الخطة الدقيقة الا الى الله رب العالمين ، ومنفذها فى الواقع المحس هو سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن دلالاتها ، التوجيه القوى للامة التى استجابت للنداء أن تدرس أمور حياتها وكونها على ظهر الارض دراسة مستنيرة واعية ، فلا تقدم على عمل الا بعد معرفة أبعاده ونتائجه وأن تتيقظ لكل ما يحيط بوجودها، وما يرسى قواعد الدولةعلىأسس لا ينالمنها الزمان ولا الانسان، بل ولا تتطاولها الاحداث وهنا لا بد من وقفة مدركة لتوجيهات الاسلام المستوحاة من القرآن العظيم والسنة الشريفة تلك هى : ان الجدير بالانتساب الى الاسلام ، والحقيق باسم المسلم كما يريده الله ورسوله هو الذى يصل ليله بنهاره كادحا ، جادا فى ايجاد مصانع أدوات الحياة فى الوطن الاسلامى ومن أسس البقاء الكريم نماء انتاج القنابل الذرية واضرابها من المهلكات فى أرض الاسلام ، شريطة أن تنهض بها عقول مسلمة وجوهها لله تعالى مؤمنة بعظمته وعونه وانه بالغ أمره ، فهذا هو الفيصل بين الحق والباطل ، وتلك هى العدة التى أمرنا باعدادها فى بعض آى الذكر الحكيم ، فلئن قيل فيما مضى من زمان :

السيف أصدق انباء من الكتب   فى حده الحد بين الجد واللعب

فانه يقال هذا فى كل حين وزمان . ويأخذ السيف اسماء متعددة متغيرة مع رقى وسائل الدمار ، وتقدم الانسانية فى هذا المضمار ، وكما كانت الأمة الأقوى هى الاكثر سيوفا ، فلا زال ولن يزال ميزان (الاقوى) منوطا رجحانه بالقنا والقنابل ، وهنا تتداعى الى الأذهان حين قراءة هذا القول عدة اسئلة ربما يظن انه ليس لبعضها جواب حاسم . ولنقطع تلك الحيرة ونجيب على هذا الفكر بما نراه فى هذا الصدد ولعل لغيرنا من العلم ما لم يبلغه ادراكنا ولم يصل اليه علمنا ، وبعد الاستعانة بالله على الصواب ومجانبة الخطل والخطأ نقول :

كيف وصل غيرنا الى ما اليه وصل فى هذا الميدان ؟ نشأ الاكتشاف فى دولة ثم تسرب الى أخرى وذاع وصار من الممكن أن يدرس ويدرك ، ووقائع أحوال ابناء الاسلام فى بلاد الشرق والغرب تشير الى رؤوس وأمخاخ وعقول مستنيرة استنارة ذرية علمية واقعية منتجة فى هذا الحقل ، وما ينقصها الا الأخذ بيدها وتهيئةالاسباب والاجواء الصالحة لانتاجها، ومن سار على الدرب وصل، ولنصبر ونصابر على المدى طال أو قصر ، مع دأب ودرس وانتاج محلى وعمل على اكتفاء ذاتى فالاسماع قد صمت من (اسطوانات) القدماء وامجادهم وتريد ان تصيخ الى مجد حديث يضاف الى التليد ، وتلك أمور لا تأتى ارتجالا ولا عفو خاطر ، وانما تحتاج الى لقاء عقول وافكار ، وسرعة فى رسم خطة عملية مستمرة مع الحياة التى لا يتوقف سيرها، ومن اراد ايقاف عجلاتها حطمته وتركته أثرا بعد عين ، وهذا هو الاسلام المهيب الجانب أى الذى تدور فيه مصانع كل شىء من الابرة الى الذرة ، وليس الاسلام هو ما يحكى كل يوم فى كلمات نظرية تردد اقوالا غبر بها الزمان ، ولم يعد لصداها أى أثر فى النفوس والمتأمل فى بعض أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم يدرك ان الفقه الحقيقى لها كان غائبا ولا يزال عن مدارك الحاكين والسامعين ، ولنضرب لذلك مثلا بحديث تداعى الأمم على المسلمين ، حيث نرى فهما فجا وادراكا ضعيفا لما يهدف اليه ، أليس فى طياته مايشير الى ضعف يصيب المسلمين ، وانحلال يحل بواديهم فيحيل كثرتهم غثاء ، وجمعهم تفاهة ، وما لديهم هباء ، بلى هو كذلك فهل تدبر المسلمون موارد الضعف واحتاطوا لها ، وحاولوا توقيها حتى لا تحل بواديهم ولا يقعوا فيها ، الجواب : لا . لقد كان نسيان للتذكير واهمال للتوجيه وانتظار للموت والابادة ، على أن هذه نهاية محتومة وما عداها أمور موهومة ، ويقينى أن كل ما أشار اليه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مما ظاهره نذر خراب وفساد ، انما هو دعوة صريحة للعقلاء أن يفكروا فى الأمر قبل وقوعه ليتداركوا أخطاره ، وليتلافوا شروره ولكن انعكس الفهم فضلت القافلة الطريق فترددت فى مهاوى صار الخلوص منها صعبا ولكنه ليس محالا مع صدق العزائم والادراك — الحقيقى لأهداف التوجيه النبوى الكريم .

٢ — يعلم الله الذى وسع كل شىء علما ، أن فى كل عمل أخطاء ، وأن الكمال الكامل لا يصل اليه مخلوق محدود القدرة والفكر ، فمهما أوتى من علم فالله هو العالم الحق ، وقل ذلك فى كل صفة ونعت تحبه ومن اجل هذا أخبر نبيه سيدنا وحبيبنا رسول الله ليخبرنا بأن لا نيأس من رحمته عند وقوع الاخطاء ، وليعلمنا ان الله يرانا ويراقب أعمالنا وأنه قد أوحى الى ملائكته ان يتصرفوا وفق ارادته هو وعلى مقتضى رحمة الرحيم بعباده الضعفاء (وخلق الانسان ضعيفا) .. فانظروا الى ما بين أيدينا من قول رسول الله حاكيا عن ربه عز وجل حيث نلحظ منتهى

العطف والرأفة بالعباد الذين كلفهم الله بالعمل والجد ، فأبان انهم سيخطئـــون ويهمون بفعل ما يخالف المروءة والحق ولكنهم لا يواقعون الفعل فاذا ترك (بالبناء للمجهول) الفعل السيء خشية لله كتب حسنة قد تضاعف ، واذا جاوز الســـيء ولو كان التجاوز لأمر خارج عن الارادة ، عفى عنه ولم يسجل عليه شيء فـــى صفحات المسئولية الالهية ، واذا أراد مسلم عمل خير ولم يستطع التنفيذ سجل ذلك له حسنة كاملة عند الله تعالى ، واما اذا هم ونفذ ما اراد من عمل نافع مفيد فهذا يضاعف فى كتاب الحسنات أضعافا كثيرة . (مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) كما يشير الحديث الشريف الى ان من نفذ سيئة جوزى بها سيئة واحدة لا تزيد .

وفى ختام هذا البحث : اؤكد ان الاعمال التى ترفع بها الدرجات وتزداد بها الحسنات هى ما مكنت نتائجها لدين الله تعالى فى الارض ،-وما أثمرت عزة وقوة للاسلام والمسلمين ولا يمكن أن تنحصر فى صلوات لا روح فيها ، ولا صيام لا غناء منه ، ولا حج قصاراه رحلة شكلية . فان لم تكن الصلاة تنظيما لحرب وقتال تحت امرة قائد رشيد ، والصيام كفاحا وصبرا يعين على احتمال الشدائد ، والحـــج تمرينا عمليا على رحلة شاقة فى سبيل أهداف الاسلام السامية أقول اذا لم يكـــن ذلك كذلك مضافا اليه بذل المال فى اقامة مصانع الحياة الحرة المتمثلة فى انتاج ما يكفى البلاد من معاش وما يدفع عنها اذى اعدائها بمثل أسلحتهم مع خروج كل ذلك من بين ايد مسلمة لله وجوهها مؤمنة ايمانا كاملا بقدرته وعونه فقل علـــى دنيا المسلمين العفاء ، واعتقد ان هذه هى الأعمال التى تضاعف حسناتها ويعفو الله عن سيئاتها .



من أخلاق النبوة

١ ــ عن ابن عمر قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب بزفاشترى منه قميصا بأربعة دراهم فخرج وهو عليه فاذا رجل من الانصار فقال : يا رسول الله أكسنى قميصا كساك الله من ثياب الجنة فنزع القميص فكساه اياه .

ثم رجع الى صاحب الحانوت فاشترى منه قميصا باربعة دراهم وبقى معه درهمان فاذا هــو بجارية فى الطريق تبكى فقال : ما يبكيك ؟ قالت يا رسول الله دفع الى أهلى درهمين أشترى بهمــا دقيقا فهلكا فدفع النبى صلى الله عليه وسلم اليها الدرهمين الباقيين .

ثم ولت وهى تبكى فدعاها فقال : ما يبكيك وقد أخذت الدرهمين ؟ فقالت أخــاف أن يضربونــى فمشى معها الى اهلها فسلم فعرفوا صوته ثم عاد فسلم ثم عاد فثلث فردوا فقال : أما سمعتم أول السلام ؟ فقالوا نعم ، ولكن احببنا أن تزيدنا من السلام . فما اشخصك بابينا وأمنا ؟ قال : أشفقت على هذه الجارية أن تضربوها . قال صاحبها : هى حرة لوجه الله لممشاك معها .

فبشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخير وبالجنة وقال : لقــد بارك الله فى العشرة كسا الله نبيه قميصا ورجلا من الانصار قميصا وأعتق منها رقبة ، وأحمد الله هو الذى رزقنا هــــذا بقدرته ، اخرجه الطبرانى كما فى مجمع الزوائد جـ ٩ صٓ ١٣ » .

٢ ــ وعن عبد الله بن شداد عن أبيه رضى الله عنه قــال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى احدى صلاتى العشاء وهو حامل حسنا أو حسينا فتقدم النبى صلى الله عليه وسلــم فوضعه ثم كبر للصلاة فسجد بين ظهرانى صلاته سجدة أطالها .

قال أبى : فرفعت رأسى فاذا الصبى على ظهر الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ساجـــد فرجعت الى سجودى .

فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قيل : يا رسول الله : انك سجدت بيــن ظهرانى صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر أو أنه يوحى اليك ؟

قال : كل ذلك لم يكن ولكن ابنى ارتحلنى فكرهت أن اعجله حتى يقضى حاجته ، أخرجه النسائى.

وعن بريدة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا اذ جاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال : صدق الله (انما أموالكم وأولادكم فتنة) نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثى ورفعتهما ثم اخذ فى الخطبة . اخرجه الأربعة .

وعن أنس انه صلى الله عليه وسلم قال : أنى لأدخل فى الصلاة وأنا أريد اطالتها فاسمع بكاء الصبى فأتجوز فى صلاتى مما اعلم من شدة وجد أمه من بكائه . أخرجه الشيخان عن أنس .

٣ ــ وعن أبى موسى الأشعرى قال : دخلت امرأة عثمان بن مظعون على نساء النبى صلى الله عليه وسلم فرأينها سيئة الهيئة فقلن لها مالك ؟ ما فى قريش من رجل أغنى من بعلك .

قالت : مالنا منه شىء اما نهاره فصائم وأما ليله فقائم .

فدخل النبى صلى الله عليه وسلم فذكرن ذلك له قال فلقيه النبى صلى الله عليه وســلم فقال : يا عثمان : أمالك فى أسوة ؟ قال : وما ذاك يا رسول الله ؟ فداك أبى وأمى ، فقال : أما أنت فتقوم بالليل وتصوم بالنهار وان لأهلك عليك حقاً وان لجسدك عليك حقا فصل ونم وصم وأفطر .

قال فأتتهم المرأة بعد ذلك عطرة كأنها عروس فقلن لها : مه . قالت : أصابنا ما أصاب الناس . رواه ابو يعلى والطبرانى .

النور الأعظم

للشاعر : محمود حسن اسماعيل

يا اوَّلَ نُـــورٍ
.. سكبَ الله النورَ الأعظم من شفَتَيْه
يا اوَّلَ نـــورٍ
.. كُلُّ النورِ تَألَّقَ منه ، وجابَ الكونَ على كَفَّيْه
يا اَوَّلَ نـــورٍ
.. خَفَّ اليه الروحُ القُدُس ، وكبَّر شوقاً بين يَدَيْه
يا اوَّلَ نـــورٍ
عطَشُ الدنيا جُنَّ عليه ، ورَوَّىٰ الحَيْرَةَ من قدَمَيْه !!
... اَلبِيدُ الظَّمْآىٰ شربَتْ منهُ ،
وراحتْ تسقى الظَّما اللاَّهثَ فى الاكوانْ
واذابَ ضحاهُ جــدارَ اللَّيل ،

همّ الشاعر للعمرة ، فكانت
هذه القصيدة نجوى من روحه
لنبي النور الأعظم صلى الله عليه وسلم

واوغلَ ، اوْغَلَ ، حتَّى شَعْشَعَ فى الإنسانْ
رشَّ اليَقظةَ ، والتَّوحيدَ على رِئَتَيْه
ومَحَا الذِّلَّةَ والإطراقةَ من جَفْنَيْــه
ودَهَى الرقَّ وكان مُحالاً لا يَتزَحْزَحُ عن كتفَيْه
ومضَى يسْــحَقُ كلَّ ظــلامٍ
عبَرَ الدهرَ ، ومَرّ عَلَيْه ...
عرَجَ الأُفْقَ ، واذَّنَ من اعلَى اعــلاهْ
وراح يدقُّ ، ويَطْرُقُ .. يطْرُقُ فى الأبوابْ :
... اَلْفَجْرُ توهَّج يا سارِينَ على الأعتابْ
والليلُ الضَّاربُ حول الكَوْنِ ،
تصدَّع فى شفتَيْه وذابْ
واللّه الحقُّ .. تعالى اللّــهُ
.. سَناهُ تَفَجَّر فوق الغَارْ
وانْشَقَّ ستَارْ

وارتعدَتْ كلُّ حنايا الكــونِ الفارقِ ،
فى ليل مَسْجُورْ
بُشْرَىٰ للأرض .. اتاها النُّورْ !!
يا اولَ نـــورٍ
شرب الكونُ رحيقَ العزَّةِ ،
لمَّا سار على شطْئَيْه ..
... رفَضَ الظُّلْمَ ،
واوْقَدَ نـــارًا ،
لا تتحرَّكُ من جَنْبَيْه
... رفضَ خُضوعَ الحــقِّ لبـــاغٍ ،
غَنَّىٰ الحقَّ ، وحلَّق بالاغْلال عَلَيْه
... رَفَضَ خُنوعَ المظلومينْ ،
وطِيبةَ وَجْــه المقهورينْ !
.. رفَضَ صلاةَ الأوَّابين لغير اللّٰهْ
.. رفَضَ خشوع الكذَّابينَ بغير شِفَاهْ !
.. رفض الرزقَ ، إذا لم ياتِ ،
أبيَّ الخطوة ، غيرَ هجينْ !
.. رفَضَ الكِلْمةَ ،
إنْ لم تسحَقْ كمَدَ الذُّلَ ،
.. بكلِّ جَبِينْ

.. رفضَ اللُّقمةَ ،

إنْ لم تأتِ حصادَ الغَرْس

لكلِّ يَمينْ

.. رفضَ خُفُوتَ المغلوبينْ

رفض سكوتَ المسلوبينْ

.. رفض هَسِيسَ الرشوةِ

حين تَفِحُّ ، وتَمْرُقُ كالتِّنِّينْ

.. رفض البَسْمَةَ حين تَزُوغُ

لتخلِسَ صيْدَ الغشَّاشينْ ...

★ ★

.. رفض حَياةً

شَقِيَ الرفْضُ عليها غَضَباً للغافين !!

رفع النُور حُدَاءَ الدرْبِ ..

وتُهْنَا عن نَغْمةِ قدحَيْةْ ،

فشربنا الْحَيْرَةَ .. لم يرحَمْنا نُورُ يدَيْهْ !!

★ ★

عُدْ لِخُطَانَا ..

عُد لِهَوَانَــا ..

يَعُدِ النورُ لهذا اللَّيلِ ،

ويَرجعْ كلّ النورِ إليْهْ !!

قراءات

يوم الغار



ستطلع الأقمار بعد الأقمار ، وتقبل السنة القمرية بعد السنة القمرية ، وكأنها تقبل بمعلم من معـــالم السماء يومىء الى بقعـــة من الأرض هى غار الهجرة ، أو يومىء الى يوم لمحمد هو أجمل أيام محمد ، لأنه أول الأيام على رسالته ، وأخلصها لعقيدته ورجاء سريرته ، وهو يوم التقويم الذى اختـــاره المسلمون بالهام لا يعلوه تفكير ولا تعليم .

لمَ كان يوم الهجرة ابتداء التاريخ فى الاسلام ، ولم يكن يوم الدعوة ؟

ولمَ لمْ يكن يوم بدر أو يوم ولادة النبى أو يوم حجة الوداع يوم ابتـــداء التـــاريخ ؟

كل يوم من هذه الأيام كان فى ظاهر الرأى وعاجل النظر أولى بالتاريخ والتمجيد من يوم الفرار بالنفس والعقيدة فى جنح الظلام .

فالرجل الذى اختار يوم الهجرة بدء التاريخ الاسلامى قد كان أحكم وأعلم بالعقيدة والايمان ومواقف الخلود من كل مؤرخ وكل مفكر يرى غير ما رآه .

لأن العقائد تقاس بالشدائد ، ولا تقاس بالقوة والغلب .

كل انسان يؤمن حين يتغلب الدين وتفوز الدعوة . . أمـــا النفس التى تعتقد حقا ، ويتجلى فيها انتصار العقيـــدة حقـــا فهى النفس التى تؤمن فى الشدة ، وتعتقد ومن حولها صنوف البلاء .

وليس يوم أحق بالتاريخ اذا من اليوم الذى هجر فيه النبى بلده : (اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمـــة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم) .

ليقل من قال : إن التوقيت بما قبل الهجرة وما بعدها كان توقيتا معروفا

على عهد النبى عليه الصلاة والسلام .

وليقل من قال ان دخول المدينــة هو المقصود بالتاريخ من الهجرة وهو يوم عظيــم .

ليقل من قال هذا أو ذاك فان تاريخ النصر فى القرآن ظاهر اذ هــو يوم ثانى اثنين اذ هما فى الغار .

وان ابن الخطاب لنبيل ملهم الفؤاد — سواء كان هو المقترح أو مجيب الاقتراح — حين نظر الى غار (ثور) ولم ينظر فى التاريخ الى نصر المدينــة ولا الى نصر أحد ، ولا الى نصر فارس ، ونظر الى تلك الجنود التى لم تروها وقد نراها نحن الآن .

يوم الدعوة لم يكن يوم الاسلام الأول ، لأن الدعوة كلمة يستطيعها كل انسان ، ويستطيع النكول عنها بعد قليل أو كثير .

ويوم ميلاد النبى لم يكن يوم الاســلام الأول ، لأن ميلاد محمد لم يكن معجزة الاسلام كما كان ميلاد عيسى معجزة المسيحية ، ولأن محمدا بشر مثلنا فى مولده ، ولكنه سيد الرسل يوم دعا ويوم نجا بالدعوة الى حيث تنجو وحيث تسود وحيث يكون امتحانها الاول فى قلب صاحبها وقلب صاحبه الصديق ، وهما اثنان فى غار .

كذلك تؤرخ العقائد والأديان بالشدة تاريخها ، وليس بالغنائم والفتوح وانها لشىء فى القلوب فلنعرفها اذن حين لا تكون الا فى القلوب ، وحين يكون كل شىء ظــاهر كأنه ينكرها ، وينفى وجودهــا وهى يومئذ من الوجود فى الصميم .

ان يوم الغار ليوم له عبرته وعزاؤه فى كل يوم ، ولا سيما أيام القلق والحيرة والانتظار .

انه يوم عقيدة فهو يوم رجاء ويوم نظر الى المستقبل الذى ينظر اليه من ليس له رضــا فى حاضر عهده ، وحــاضر العالم فى عهده لا يرضى أحــدا من محبيه ..

حيثما غلبت الحيرة والقلق فى العالم فهناك أمر واحد كن منه على أتم يقين ، كن على يقين أن العالم يبحث عن عقيدة روحية .

لأنه يضيق بالحاضر ، وينظر الى المستقبل ، وكل مستقبل فلا محل له من جوانح الصــدور ان لم يكن موضوع رجاء ومرجع ايمان وغاية ســعى يستحق الكفــاح .

وفى التاريخ الانســانى كله لم تقم حركة عظيمة على المــاضى الذى لا مستقبل بعده انما تقوم الحركات العظمى جميعا على الرجاء فى غد محجوب ، أو على شىء يمكن أن يتحقق فى حيــاة الانسان ، أو شىء يبقى أبدا موضــع الرجاء البعيد .

لقد كان (على) فتى يستقبل الدنيا ، وكان (أبو بكر) كهلا يدبر عنها يوم أعانا محمدا فى يوم حراء .

ولكنهما كانا معا على أبواب غد واحد ورجاء واحد . يستوى فيه الفتى الكهل والشيخ الدالف الى قبره لانه رجاء الايمان لا رجاء العيان .

عبقرية محمد

الهجرة وتاريخها في السياسة الإسلامية

الدكتور : محمد البهى

● يحلو للمستشرقين من الغرب والشرق على السواء ــ والمغرضين من الكتاب والمؤرخين ضد الاسلام : ان يصوروا هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه رضوان الله عليهم على انها (فرار) وهرب من مكان الى آخر بعيد ، حماية للنفس وامنا على استمرار الحياة ..

ربما يكون هذا مفهوم الهجرة بالنسبة لفرد يريد أن يضمن لنفسه حياة مادية افضل ، أو يخلق لنفسه جوا من الثقة والاطمئنان اكثر من الجو الذى يعيش فيه . وربما يكون مفهومها كذلك بالنسبة لجملة من الافراد على شاكلته . ولكن الهجرة بالنسبة لصاحب رسالة وصاحب دعوة فى سبيلها لاصلاح البشرية ودفعها الى الصراط السوى .. لا تكون من اجل الذات ووقايتها الاضرار المادية ، او من اجل حصولها على متع افضل وانما تكون من اجل الرسالة نفسها ، ومن اجل تمكين دعوتها من أن تأخذ طريقها الى التحقق فى تحويل المجتمع الانسانى القائم على العبث والفساد والاعتداء والظلم .. الى مجتمع انسانى فى مستوى رفيع ، لا يخلد الى الارض ولا ينجذب نحو الهوى والغايات الدنيئة ..

وتلك كانت الغاية من هجرته عليه الصلاة والسلام وهجرة اصحابه : قبله ، ومعه ، وبعده .. من مكة او من غيرها الى يثرب . هاجروا الى الله ورسوله ، ولم يهاجروا الى دنيا يصيبونها أو متعة يستمتعون بها . والهجرة الى الله ورسوله هى الهجرة فى سبيل الرسالة وفى سبيل الحفاظ على القيم العليا والدعوة اليها . وهى الهجرة الخالدة فى تاريخ الانسانية ، والهجرة التى يجازى عليها الله سبحانه وتعالى فى الدنيا والآخرة معا . اذ ترتبت عليها عدة نتائج تكون نظاما لمجتمع انسانى سليم : قام ليبقى ، ويزداد قوة فى تماسكه ، ترتب عليها :



● ان نقلت المسلمين من قلة فى العدد الى كثرة فيه . اذ انضم الى مسلمى مكة وهم من يعرفون بالمهاجرين : نصراؤهم وحلفاؤهم من اهل يثرب وهم من أطلق عليهم اسم الأنصار . كما اضيف الى الفريقين معا : من دخل تباعا فى دين الله : من بعد الهجرة الى فتح مكة ، وهم كثيرون . ونقلتهم من ضعف الى قوة : كانوا آحادا متناثرين فى مكة وفى الحبشة وفى أماكن اخرى ، فأصبحوا فى يثرب مئات وآلافا مجتمعين ومترابطين على كلمة الله ، وليس على اعتداء على أحد ، ولا على ظلم او اضطهاد لانسان . ثم نقلتهم من افراد ليس لهم كيان المجتمع .. الى مجتمع له نظام حكم ، وسياسة ، ودولة لافراده ، ومع غيره من المجتمعات المعادية او المقاتلة او المسالمة .



● وان حملت المسلمين على مباشرة الدفاع عن النفس : فدخلوا الحرب ، وذهبوا الى ميدان القتال ، ومروا بتجربة الهزيمة والنصر . وتخلف منهم من تخلف عن القتال حبا فى الذات وطمعا فى سلامة النفس ، او رغبة فى عون الاعداء ، وكان منهم المؤمنون صدقا ، والمنافقون فى ايمانهم .

يصور القرآن الكريم تجربة الهزيمة التى مروا بها فى (أحد) بقوله : « ولقد صدقكم الله وعده (بالنصر) اذ تحسونهم باذنه (اى تستأصلونهم عند الالتقاء بأمر الله) حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر وعصيتم (باستهدافكم الغنائم فى القتال دون الدفاع عن الايمان بالله وحده والحفاظ عليه) من بعد ما أراكم ما تحبون (من النصر على الاعداء فى أولى مرحلتى القتال مع المشركين) منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة (وهكذا فشلكم فى المحافظة على وحدة الهدف قسمكم الى طائفتين : واحدة تريد متع الحياة الدنيا ممثلة هذه المتع الآن فى الغنائم من الاعداء ، وأخرى تريد الايمان وتمكين رسالة الله فى الارض ، وبذلك تنتظر جزاءها فى الآخرة) ثم صرفكم عنهم ليبتليكم (وادى تفرقكم وانقسامكم من أجل الهدف فى قتال : (أحد) الى هزيمتكم . ولم يقصد بها انتهاء مجتمعكم ولا فناؤه ، وانما قصد منها التجربة والاختبار للوقوف على اسباب الهزيمة ، كى تتلافى مستقبلا فى الاشتباك مع الاعداء .. قصد منها الابتلاء) »(١) .. كما يصور دعاة الهزيمة المترددين فى ايمانهم فى هذا اللقاء فى (أحد) فيما يستطرد فى ذكره من موقعتها بقوله : وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن

أصحابه : بعض الاعراب ليكونوا سندا لهم فى مواجهة قريش ، لو تعرض لهم المحاربون فيها . ولكنهم تخلفوا ونزل فى هؤلاء الاعراب قوله سبحانه : « سيقول لك المخلفون من الاعراب : شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا ، يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ، قل : فمن يملك من الله شيئا ، ان أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا ؟ بل كان الله بما تعملون خبيرا . بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا (أى قدرتم أن لن يعود ومعه المهاجرون الى موطنهم فى مكة طول بقية حياتهم) وظننتم ظن السوء (أى وقدرتم كذلك أنهم سيهزمون ويولون الأدبار ، ان بقيت فيهم بقية من حياة عندما يواجههم كفار مكة) وكنتم قوما بورا (أى وكنتم قوما فاسدين هالكين بتصرفاتكم)(٥) .

وكان كثيرون من المكيين — عندما علموا بقدومه عليه الصلاة والسلام ومن معه من صحابته عليهم رضوان الله — يرغبون فى عدم مقاومة دخوله . غير أن فريق المحاربين منهم لم تزل له قوة ولم يزل على المعارضة فى الدخول . وعندما وصل اليه عليه السلام نبأ هذه المعارضة استقر وصحبه فى الحديبية فى مكان ليس ببعيد عن مكة حيث ابتدأ يتفاوض مع المكيين . وحين لم تصل المفاوضة الى نتيجة أرسل عثمان بن عفان الى مكة فى حماية أسرته فيها له ، كممثل له . وعندما لم يعد وأشيع أنه قتل اجتمع عليه السلام مع صحابته تحت شجرة هناك سرا وبايعهم على نصرته لاتمام العمرة . وفى هذه المبايعة جاء قول القرآن الكريم : « ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم ، فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما »(٦) . ولكن وصل بعد ذلك عدد من المكيين يعرض الصلح عليه ويعاهده على :

١ — أن يرجع الرسول عليه السلام والمؤمنون معه هذا العام (السادس من الهجرة) من حيث أتوا ، وأن يعودوا للعمرة فى العام القادم .

٢ — وأن يدخلوا مكة غير حاملين سلاحا .

٣ — وأن لا يأخذوا أيا ممن تبعهم من أهل مكة ، ان أراد أن يرحل معهم .

٤ — وأن لا يمكثوا بمكة أكثر من ثلاثة أيام ..

٥ — وأن يتركوا من يتخلف من المسلمين معهم بمكة ، ان أراد أن يبقى بها ..

٦ — وعلى أن توضع الحرب بين الطرفين عشر سنوات ، يأمن الناس فيها بعضهم بعضا ..

وعارض فى هذه الشروط كثير من الصحابة ، وفى مقدمتهم على بن أبى طالب . لأنها شروط تدل على عدم التكافؤ بين الطرفين ، وعلى أن جانب المسلمين هو الجانب الضعيف . ولكن رغم ذلك أمر الرسول عليه السلام بقبولها ، لأنها تتضمن الاعتراف به وبجماعته . وهو أمر كان المسلمون فى حاجة اليه . لأنه سيمهد الطريق الآن للكثير من القبائل العربية ، عدا قريش ، ولكثير من أفرادها أيضا ، للدخول فى الاسلام : فى غير خوف ورعب ممن هم سدنة البيت الحرام حتى هذه اللحظة ، وهم قريش .

الجـــاهلية ، يقولون : هل لنا من الامر من شيء ؟ قل : ان الامر كله لله ، يخفون فى أنفســـهم ما لا يبدون لك ، يقولون : لو كان لنـــا من الامر شيء ما قتلنا ههنـــا ، قل : لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتـــل الى مضاجعهم ، وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم واللـــه عليم بذات الصدور . ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعـــان انما اســـتذلهم الشيطان ببعض ما كسبوا »(٢) .

ويصور من جانب آخر تجربة النصر فى موقعة (بدر) فرغم قلة عدد المسلمين فى مواجهة المشركين المكيين ، ورغم ضـــعف موقعهم فى المعركة بالنسبة لموقع أعدائهم .. رغم هذا وذاك كان النصر للمؤمنين ، لأنهم وضعوا قيم الرسالة والدعوة اليها فى الاعتبار الأول ، قبل حياتهم أنفسهم . ولذا كان نصر الله لهم . يقول الله تعالى فى الحديث عن هذا النصر ، رغم ظروف عدم التـــكافؤ الواضح فى القوة العددية ، وفى المواقع الاســـتراتيجية : « واعلموا أنما غنتم من شيء فان لله خمسه ، وللرســـول ، ولذى القربى واليتامى ، والمساكين وابن السبيل ، ان كنتم آمنتم بالله ، وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان (أى ما خصصنا به رسول الله والمسلمين من النصر يوم [بدر]) يوم التقى الجمعان (جمع المؤمنين وجمع المشركين فيها) والله على كل شيء قدير . اذ أنتم بالعدوة الدنيا (أى عندما كان المؤمنون بشط الوادى القريب وقد كانت الارض فيه رخوة تسوخ فيها الارجل ، ويشق السير عليها . ومن شأن ذلك أن يضعف من تحركاتهم فى القتال ضد أعدائهم) وهم بالعدوة القصوى (أى والاعداء بالشط البعيد للوادى وهو أكثر صلاحية للحركة) والركب أسفل منكم ، ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد (أى أن لقـــاءكم مع أعدائكم فى [بدر] جاء طبقا لمشيئة الله وحده ، ولم يكن أثر ترتيب بينكم وبين أعدائكم . لأنكم لو عرفتم حقيقة أمرهم فى قوة العدد والعدة لتهيبتم منهم ، وربما يئستم من الظفر عليهم) ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة ، (وانما جاءت ارادة الله باللقاء بينكم وبين الاعداء فى [بدر] للفصل فصلا واضحا بين قوة الايمـــان وأثره ، وقوة الشرك والالحاد ونهايته ، ولبيان : أن الايمان لا بد أن يستمر أثره ويمتد بقاؤه فهو الرافد للحياة ، بينما يزول الكفر لا محالة وينتهى مصيره حتما ، فهو مصدر الموت والفناء) »(٣) .



● وان حملت المسلمين ــ قبل أن يستكملوا قوتهم للرجوع الى البيت العتيق بمكة ــ على المرونة فى الأخذ والعطاء فى سياسة الاعداء ، حتى ولو كان على حساب أمر يهمهم أو ضرورة من ضرورات حياتهم . ففى نهـــاية السنة السادسة من الهجرة فى شـــــهر ذى القعدة (مارس ٦٢٨) طلب الرسول عليه السلام من أصحابه وهم بالمدينة أن يعدوا أنفسهم للعمرة معه فى مكة ، كما يعدونها للتضحية فى سبيل ذلك . فقد نزل عليه وحى الله فى قوله فى سورة الفتح : « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ، لا تخافون ، فعلم ما لم تعلموا ، فجعل من دون ذلك فتحا قريبا »(٤) .. ودعا مع المهاجرين والانصــــار من

نعم ، لم تعترف معاهدة الصلح من جانب القرشيين المكيين بالرسول عليه السلام على أنه رسول ، ولكنها اعترفت بكيانهم الذاتى والسياسى . وذلك له مدلوله فى العلاقات بين الجماعات .

وفى العام القادم ، وهو العام السابع الهجرى (٦٢٩ م) ادى عليه السلام وصحابته العمرة . ودخل فى الاسلام أثناء اقامته بمكة كثيرون من القبائل ، كما دخل عمرو بن العاص ، وخالد بن الوليد . وهنا زادت قوة المسلمين نوعا وكما . واصبحوا على استعداد لأن يحموا انفسهم ، ودينهم ، وحلفاءهم فى شبه الجزيرة . ومع تزايد قوتهم بقوا على الوفاء بالعهد الذى وقعوه مع مشركى مكة ، وبالأخص على ان توضع الحرب بين الفريقين عشر سنوات . .

ولكن فريق المحاربين من المكيين وهم ائمة الكفر ساند قبيلة بكر ضد خزاعة التى تعتبر حليفة الرسول عليه السلام . وهنا اعتبر تصرف هذا الفريق نكثا للعهد فى صلح الحديبية . وبنكثهم اياهم اصبح المسلمون فى حل من عدم الوفاء به . وجاء تعبير القرآن الكريم عن ذلك فى قول الله تعالى : « وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم ، وطعنوا فى دينكم فقاتلوا ائمة الكفر (وهم هؤلاء المحاربون وسماهم ائمة الكفر لاصرارهم وعنتهم فى المعارضة طوال هذه المدة) انهم لا ايمان لهم ، لعلهم ينتهون . الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم ، وهموا باخراج الرسول ، وهم بدءوكم أول مرة اتخشونهم ، فالله احق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين »(٧) .

وبنكث المشركين لعهد الصلح فى الحديبية ، اصبح الطريق مفتوحا امام المسلمين ، لا قيود فيه . وبازدياد قوتهم المادية والمعنوية اصبحت لهم استطاعة على انهاء كل صيحة لعدو تواجههم . وترتيبا على ذلك تراس الرسول عليه السلام فى شهر رمضان من السنة الثامنة من الهجرة (ديسمبر ٦٢٩) جيش المسلمين المكون من المهاجرين والانصار ، والاعراب ، قاصدا به الى مكة . وقد أثار قدوم المسلمين ذعرا وقلقا بين المكيين الذين أصبحوا فى وضع تقل فيه رغبتهم فى الحرب يوما بعد يوم . وعندما اقترب جيش المسلمين من مكة التقى ابو سفيان فى وفد كان فيه بعض الخزاعيين بالرسول عليه السلام واعلن الطاعة له ، وحصل منه على وعد بالعفو عن جميع القرشيين الذين يلقون سلاحهم ويعلنون بذلك عدم معارضتهم . ثم كان الفتح المبين لمكة ، واستعادتها لا لأنها موطن المهاجرين من المسلمين فقط ، ولكن لأنها كانت الموطن الاول للدعوة الاسلامية قبل ذلك . . من أجل البيت العتيق : « ان أول بيت وضع للناس للذى بمكة مباركا »(٨) . . وبذلك تصحح رسالته عليه السلام رسالة ابراهيم التى شوهتها الوثنية المادية المكية فى عهودها المختلفة ، وتعود بها الى التوحيد ، وتعيد الحج كفريضة من فرائض الله تستهدف التكتل وقوة الترابط فيما بين المؤمنين على أساس من طاعة الله جل شأنه : « واذ بوانا لابراهيم مكان البيت : أن لا تشرك بى شيئا ، وطهر بيتى للطائفين ، والقائمين ، والركع السجود . واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا ، وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق »(٩) .

وهكذا : تضمنت سنوات الهجرة أصلا ومبدأ فى سياسة الاعداء ، هو

اصل التدرج والاخذ بمبدأ تعدد المراحل فى تحقيق الهدف . اذ لم يكن من الحكمة فى السياسة أن يقدم المسلمون من المدينة للقاء الكفار بمكة وهم غير متفوقين عليهم عددا وعدة تفوقا ظاهرا ، وليس لهم اتباع فيها يضمنون على الأقل عدم معارضتهم ، ان لم يضمنوا مؤازرتهم . نعم ، لاقوهم ببدر وهم قلة وانتصروا عليهم . ولكن الفرق بين خروج المسلمين من المدينة الى بدر ، وقدومهم من المدينة الى مكة للقاء الكفار .. يستتبع فرقا آخر فى الاعداد المادى والاجتماعى والسياسي . واذن المرونة فى سياسة الاعداء قبل اتمام الاعداد للقضاء عليه ضرورة فى الحفاظ على كيان الأمة ، ولاتخاذ الفرصة المناسبة قبل الكلمة الاخيرة ..



● وان دفعت بالمسلمين — بعد تفوقهم فى القوة — الى التزام الموقف المتعين الذى لا محيص عنه من وجهة النظر الى سلامة الأمة وبقائها عزيزة متماسكة . فالمسلمون الذين عارضوا صلح الحديبية .. عارضوه ، لأنهم كانوا يرون : انه ترك للمشركين الماديين المكيين ، الكلمة يملونها عليهم . والاسلام لا يكون عزيز الجانب ، والدعوة الاسلامية لا يكون طريقها مفتوحا الا اذا كانت كلمة الله هى العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، أى الا اذا كان المؤمنون هم اصحاب الكلمة الاخيرة وليس أعداؤهم .

من اجل ذلك كان الأمر بفتح مكة . ومن اجل ذلك أيضا كان فتح مكة بعد أن تم هو الفيصل فى تاريخ الاسلام بين ذلة المسلمين وعزتهم ، وبين ضعفهم وقوتهم . واصبح الشعار هو : كلمة الله هى العليا .

جاء الوحى تقريبا فى شهر شوال من السنة التاسعة من الهجرة — بعد فتح مكة فى رمضان من هذه السنة — باعلان انتهاء عهد الحديبية مع المشركين ، على أن يعطوا مهلة أربعة أشهر يكونون فيها أحرارا : يدبرون فيها أمرهم ويفكرون فى التوبة والرجوع الى الله وحده : « براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين (أى أن الله ورسوله قد برئا — أيها المسلمون — مما عاهدتم عليه المشركين ، واذن أنتم فى حل الآن من اتخاذ موقف آخر نحوهم ، غير الأمان الذى أعطى لهم ، كما جاء فى معاهدة الصلح بالحديبية) . فسيحوا فى الارض اربعة اشهر (أى وأنتم أيها المشركون لكم الحرية فى الحركة وفى تدبير الامر مدة أربعة اشهر منذ الاعلان بانتهاء المعاهدة) واعلموا أنكم غير معجزى الله ، وان الله مخزى الكافرين (على أن تعلموا : أنكم — أيها المشركون — لو بقيتم على كفركم ولم تعودوا الى دائرة الايمان بالله وحده ، وآثرتم الاستمرار فى عداء الدعوة الى الله .. لا تستطيعون أن تنالوا من دين الله ، لأن الله جلت قدرته لا يغلب أبدا ، وقد وعد المؤمنين بالنصر ، كما وعد الكافرين بالخزى والعار »(١٠) .

وطلب الى رسول الله عليه الصلاة والسلام أن يعلن انتهاء العهد فى موسم الحج اذاعة له على نطاق أوسع . فقرأه على رضى الله عنه على حجيج بيت الله الحرام فى شهر ذى الحجة من السنة التاسعة نفسها .

وجاء القرآن بذلك فى قول الله تعالى : « وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر : ان الله برىء من المشركين ورسوله »(١١) .

وموقف المؤمنين الآن ازاء المشركين بعد الغاء المعاهدة : انهم اذا تابوا وعادوا الى الله وحده كانوا اخوانا لهم فى الايمان بالله ، وان تولوا وأعرضوا كان القتال والاعتقال ، والأسر ، جزاء من نقض العهد وظاهر عليهم احدا من الاعداء . وجاء تعبير القرآن عن هذا الموقف فى قوله : « فان تبتم (أيها المشركون) فهو خير لكم ، وان توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم : الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ، ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ، ان الله يحب المتقين . فاذا انسلخ الاشهر الحرم (وهى الاشهر الاربعة التالية لاعلان انتهاء المعاهدة والتى حددت لاعطاء الفرصة للتدبر فى الامر بين المشركين) فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ، وخذوهم ، واحصروهم ، واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم »(١٢) .

ويعتبر هذا الموقف الذى يطلبه القرآن الآن من المسلمين ازاء المشركين بعد فتح مكة ، واعلان الغاء معاهدة الحديبية كتصفية للوضع المكى بين المسلمين والمشركين . والموقف الذى يعتبر مبدأ عاما يحدد علاقة المشركين الماديين ، وكذلك علاقة أهل الكتاب من جانب ، بالمسلمين من جانب آخر هو الذى تقصه الآية الكريمة فى سورة التوبة نفسها بعد الآيات السابقة فى قول الله تعالى : « قاتلوا :

١ — الذين لا يؤمنون بالله ، ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله (وهم الماديون الملحدون أو المشركون حتى يؤمنوا : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكن الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين ») .

٢ — ولا يدينون دين الحق (أى وقاتلوا الذين لا يدينون دين الحق) من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون »(١٣) .
.. فلا يقبل من المشركين أو الماديين الملحدين فى أى عهد سوى الرجوع الى الايمان بالله وحده ، بينما يقبل من أهل الكتاب الاستسلام . أى لا يخلص هؤلاء وأولئكم من قتال المسلمين اياهم سوى الايمان بالله من جانب الماديين ، وسوى الاستسلام من جانب أهل الكتاب . وقد طوت الآية الغاية من قتال الماديين المشركين ، اكتفاء بما جاء فى آيات أخرى ، كما لم تعد الامر بقتال أهل الكتاب اكتفاء بما صرحت به فى أولها : « قاتلوا » ..



● ولأهمية أحداث الهجرة وأثر هذه الاحداث على المجتمع الاسلامى فى قيامه ، وقوته ، وعزته ، وعلى الدعوة الاسلامية فى سيادتها وخروجها من شبه الجزيرة الى كافة أرجاء العالم .. قرر عمر بن الخطاب رضى الله عنه — فى السنة السابعة عشرة منها — جعل الهجرة بداية لتاريخ جديد ،

هو تاريخ الأمة الاسلامية . وبذلك تستكمل عناصر الشخصية المستقلة لها . كما أن أحداثها التى ارتبطت بأشهر معينة فى سنواتها ستكون مصدر ذكرى للمسلمين ، يستلهمون منها طريقهم فى السياسة ، وفى الوصول الى القوة والمنعة ، وقبل ذلك الى الترابط والتساند فيما بينهم .. يعرفون للايمان بالله أثره النافذ فى النجاح ، ويقفون على الوسيلة التى تضمن الحماية والنمو له ، ويتعلمون .. كيف ينتقلون من الضعف الى القوة ، وكيف يأخذون أنفسهم بالتدرج مع أعدائهم ان رأوهم أشد منهم قوة وبأسا ، وكيف يصرون على موقفهم الخاص بهم ان هم أصبحوا ذوى استطاعة مادية وذوى مستوى اجتماعى وسياسى يتيح للآخرين أن يفهموا أهدافهم فى غير لبس .

واستخدام المسلمين للتاريخ الهجرى ليس هو استخدام أيام وشهور وسنوات وانما هو احياء للعوامل التى حركت تاريخ المسلمين فجعلت منهم أمة ، ومجتمعا ، ودولة ، وجعلت من دعوة الاسلام دعوة عالمية انسانية كما هى فى موضوعها ومبادئها وليست عربية أو قبلية أو قومية ، حسبما كان موطن النداء الأول بها : فى مكة ، وبين قريش . واختيار شهر المحرم أول شهور السنة فيها ، لأنه شهر العمل الذى يأتى بعد أداء فريضة الحج الذى يتعاهد فيه المسلمون على عرفات .. على المساواة فى الاعتبار والطاعة لله وحده ، والاخلاص فى سلوك طريقه المستقيم . فالدفعة الجماعية الاولى لفريضة الحج فى سبيل الله تقع فى المحرم ، وتستمر الى ذى الحجة القادم ..

واغفال المسلمين لتاريخ الهجرة هو عامل من عوامل الضياع لاستقلال شخصيتهم وفى الوقت ذاته هو عامل من عوامل الحاق المسلمين بغيرهم فى التبعية ولا يقل استخدام المسلمين لتاريخ آخر : فى كتاباتهم ، ومعاملاتهم ، أثرا عليهم فى محو استقلالهم .. عن اتباع أيديولوجية أخرى غير الاسلام .

وقد بدأ اتباع (العلمانية) فى المجتمعات الاسلامية باستخدام تاريخ الميلاد للمسيح عيسى بن مريم بجانب استخدام التاريخ الهجرى ، كما ابتدأ نقل التشريع الاوروبى بجانب الشريعة الاسلامية ، والمدرسة المدنية بجانب المعهد الدينى الاسلامى ، والفكر الغربى بجانب التعاليم القرآنية ، وآداب المجتمع الاوروبى فى الملبس والأكل والشرب والعادات بجانب تقاليد المجتمع الاسلامى ..

وبالتدريج نسى المسلمون استعمال مالهم ، وتعلقوا بما نقل عن غيرهم .. حتى أصبح الفكر الالحادى المادى أقرب الى نفوس بعضهم من تعاليم القرآن ، وأصبحت حمايتهم لذلك الفكر تكاد تكون على حساب ما للقرآن وما للمسلمين من تراث خاص بهم ، وأصبح فى بلاد المسلمين جامعة علمانية لها الحول ، بجانب جامعة اسلامية تحيط بها العزلة وتعيش فى فترة الاحتضار ، واستقلت بالامر المحاكم المدنية وطوت فى ملفاتها وضع المحاكم الشرعية .. الخ .

— ● —

● ولم يشأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يؤرخ بتاريخ ميلاد الرسول محمد بن عبد الله عليه السلام — وهو حبيب الله وحبيب المؤمنين

جميعا ـ لأنه تاريخ شخصي مهما كان له من سمو المنزلة ، وليس تاريخ (موضوع) .. تاريخ الدعوة الى الحق الذى هو هداية الله للناس جميعا . والدعوة الى الحق هى دعوة الى مبادىء وليست الى اشخاص . والوثنية فى نشأتها هى تحول عن المبادىء الى اشخاص ، ارتبطت بهذه المبادىء ارتباطا وثيقا : اما لنشاط هؤلاء الاشخاص فى سبيلها ، أو لصدفة فى اتصالها بهم ..

فابقاء على دعوة الحق جلية واضحة ، وعلى وحدة الله فى الوهيته خالصة صافية .. جعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه تاريخ الأمة الاسلامية من هجرة رسولها الأكرم عليه السلام من مكة الى المدينة لحماية دين الله وأمان الدعوة اليها ، وليس من ميلاده هو عليه الصلاة والسلام .

فهل يعرف المسلمون أثر العلمانية .. اليوم على حياتهم فى التوجيه ، وعلى استقلالهم فى المجتمعات :

هل يدركون أن الاسلام هو الذى كون مجتمعهم ، وأنه وحده العامل الآن فى سيادتهم على أنفسهم ، وأن تاريخ الهجرة هو عنوان الاستقلال والسيادة لهم .. ؟

والاحتفال اذن ببداية سنة هجرية جديدة بشهر المحرم هو اعادة لوعى المسلمين لماض يرتبط حاضرهم به ارتباطا وثيقا . فان وعوا هذا الماضى كانت لهم منه أسباب العزة . وان مروا عليه فى غفلة بقيت غفلتهم الى حين يتم تبعيتهم لغيرهم ويصبحون أذلاء لهم ..



---

(١) آل عمران : ١٥٢ .
(٢) آل عمران : ١٥٣ .
(٣) الانفال : ٤٢ .
(٤) سورة الفتح .
(٥) سورة الانفال : ١١ ، ١٢ .
(٦) نفس السورة : ١٠ .
(٧) سورة التوبة : ١٢ ، ١٣ .
(٨) آل عمران : ٩٦ .
(٩) الحج : ٢٦ ، ٢٧ .
(١٠) سورة براءة : ١ ، ٢ .
(١١) سورة براءة : ٣ .
(١٢) سورة براءة : ٣ ، ٥ .
(١٣) نفس السورة : ٢٩ ، ٣٠ .

دروس من الهجرة

الاستاذ مناع قطان

تمر الأيام والليالي عبر العصور ، وتدور عجلة الزمن تقطع مراحل التاريخ منذ فجر الحياة البشرية ، فمرحلة يعقبها مرحلة . وجيل يتلوه جيل ، ولا يبقى من الأزمان الغابرة للأجيال اللاحقة سوى ما فيها من ذكريات سطرتها الأحداث في سجل التاريخ ، ومع عمر الحياة الممتد في أغوار الماضي البعيد ، تظل بعض الأيام بأحداثها الجلّى جديدة كل الجـدة ، تحيي في النفس البشرية العقيـدة الصافية ، والأخلاق الفاضلة ، والمثل العليا ، وتبعث فيها آمال المستقبل الوضاء الذي ينير أمام الانسانية الحائرة سبيل حضارتها ومنهج رقيها وسعادتها وفي مقدمة تلك الأحداث العظيمة حدث الهجرة .

حـدث من كيـان الأمـة

لكل أمة تاريخ ، وتاريخ كل أمة يحكى نشأتها واطوار حياتها ، ووقـائع سيرتها ، وعوامل نموها وصعودها ، أو ضعفها وهبوطها ، وغـاية ما تحرص عليه أمة من تاريخها ، أن تحفظ سجلا لحيـاتها وأن ترويه لأبنائها حتى تتخذ منه العظـة والعبرة ، ولذا يكون اهتمامها بسيرة زعمائها الأبطال الذين يغيرون مجرى حياة أمتهم ، ويؤثرون فيها تأثيرا بالغا ، الا أن سيرة أى زعيم من الزعماء — مهما علا شأنه وذاع صيته — تظل سيرة مجيـدة لدى الذين يقدرون بطولته ، وقد تستمر هذه السيرة ردحا من الزمن ، ثم ينشأ زعيم آخر يتجه بأمته اتجاها مغايرا . فيعفو على آثار من سبقه من الزعماء ، حتى يكون وحيد عصره ، وفريد دهره ، لا ينافسه في الزعامة منافس ، وقد يهيل التراب على ماضي السابقين ، ويثير النقـع فوق سـجل حياتهم ، فيبـدو تاريخهم صفحة مشـبوهة مغبرة ، وتتراءى اعمالهم ملوثة حقيرة .

ومن خصائص الأمة الاسلامية انها تدين بزعامة واحدة ، لشخص واحد ،

هى زعامة النبوة فى شخص محمد صلى الله عليه وسلم . فهو رسولها وإمامها وقدوتها «لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر» فلا مجال للابتداع فى قيادة هذه الأمة وإنما يكون مجال المصلحين فى التجديد والاتباع . وسيرته عليه الصلاة والسلام ليست سيرة بطل فى أمة لحقبة من الزمن قد يعفو أثرها بسيرة بطل آخر ، ولكن سيرته سيرة رسول أرسله الله الى الانسانية كافة وختم به رسالات الأنبياء قبله « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » « كان كل رسول يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس كافة » « أنا العاقب فلا نبى بعدى » وهذه السيرة جزء من كيان الأمة ، لأنها جزء من عقيدتها ، فما كانت حياته صلى الله عليه وسلم فيما له مساس بالدين عن اجتهاد منه يخطىء فيه ويصيب وإنما كانت حياته القولية والسلوكية والعملية فى هذا الجانب وحيا يجب اتباعه . وما ذكر من حوادث اجتهاده ـ عند من يرى جواز اجتهاد النبى حيث لا نص ـ يئول أمره الى الوحى لأن الله تعالى إما أن يقره على اجتهاده اذا أصاب ، واما أن يبين له الصواب اذا أخطأ .

وقد قال سبحانه : « وما ينطق عن الهوى إن هو الا وحى يوحى » وللشريعة الاسلامية مصدران أساسيان : كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم : والسنة ما روى عن رسول الله من قول أو فعل أو تقرير أو صفة . وبهذا كان حادث الهجرة جزءا من كيان أمتنا .

التماس التربة الخصبة :

يبدو لأول وهلة .. أن حادث الهجرة كان فرارا من أذى المشركين بمكة ، وطلبا للنجاة بالدين والذى ينظر الى ما سبق الهجرة فى تاريخ الدعوة يدرك أنها كانت التماسا للتربة الخصبة التى تثمر فيها الدعوة وتؤتى أكلها وتستوى على سوقها حتى يقوى ساعدها ، ويشتد أزرها ويكون ذلك منطلقا لفتح عظيم يفتح الله به للاسلام قلوب الناس وديارهم .

لقد واجهت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته بصنوف الأذى وألوان العنت ، وضروب الشدة ، وصدت الناس عن سبيل الله فلم تلن له ـ صلى الله عليه وسلم قناة . ولم يقبل مساومة .

إن معادن الناس متفاوتة والمؤمن غيث حيثما حل أحيا موات القلوب بدعوته ولا يأس مع الايمان ، فعلى الداعية إذا ادلهم الأمر وأجدبت النفوس فى موطن من المواطن ، أو فترة من الزمن ، أن يتطلع الى مستقبل مشرق فى موطن آخر ، بفترة أخرى . وهكذا كانت سيرته صلى الله عليه وسلم فى دعوته إذا عرض ، نفسه على القبائل .

قال ابن اسحاق : ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، ـ أى بعد سعيه الى ثقيف بطلب النصرة ـ وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه ، الا قليلا مستضعفين ، ممن آمن به فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه فى المواسم ، اذا كانت ، على قبائل العرب يدعوهم الى الله ، ويخبرهم أنه نبى مرسل ، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه ، حتى يبين لهم الله ما بعثه به ..

قال ابن اسحاق : وحدثنى حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس : قال سمعت ربيعة بن عباد يحدثه أبى ، قال :

انى لغلام شاب مع أبى بمنى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف على منازل القبائل من العرب فيقول : يا بنى فلان : انى رسول الله إليكم جميعا ، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من

هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بى ، وتصدقوا بى ، وتمنعونى ، حتى أبين عن الله ما بعثنى به قال : وخلفه رجل أحول وضىء له غديرتان ، عليه حلة عدنية ، فإذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله وما دعا اليه ، قال ذلك الرجل : يا بنى فلان ان هذا إنما يدعوكم الى أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم ، وحلفاءكم من الجن من بنى مالك بن أقيش ، الى ما جاء به من البدعة والضلالة ، فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه ، قال : فقلت لأبى : يا أبت ، من هذا الذى يتبعه ويرد عليه ما يقول ؟

قال : هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب ، أبو لهب ..

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك من أمره ، كلما اجتمع له الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل الى الله والى الاسلام ، ويعرض عليهم نفسه وما جاء به من الله من الهدى والرحمة ، وهو لا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب ، له اسم وشرف الا تصدى له فدعاه الى الله وعرض عليه ما عنده .

فلما أراد الله عز وجل إظهار دينه ، واعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم ، وانجاز موعده له خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الموسم الذى لقيه فيه النفر من الأنصار ، فعرض نفسه على قبائل العرب ، كما كان يصنع فى كل موسم ، فبينما هو عند العقبة لقى رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيراً .

قال ابن اسحاق : فحدثنى عاصم بن قتادة عن أشياخ من قومه قالوا : لما لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم : من أنتم ؟ قالوا : نفر من الخزرج قال : أمن موالى يهود ؟ قالوا : نعم . قال : أفلا تجلسون أكلمكم ؟ قالوا : بلى ، فجلسوا معه فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام ، وتلا عليهم القرآن ، وكان مما صنع الله بهم فى الاسلام أن يهود كانوا معهم فى بلادهم ، وكانوا أهل كتاب وعلم ، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان ، وكانوا قد غزوهم ببلادهم ، فكانوا إذا كان بينهم شىء قالوا لهم : ان نبيا مبعوث الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم ، فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ، ودعاهم الى الله ، قال بعضهم لبعض : يا قوم تعلَّموا والله إنه للنبى الذى توعدكم به يهود ، فلا تسبقنكم اليه ، فأجابوه فيما دعاهم اليه ، بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام وقالوا : انا قد تركنا قومنا ، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، فعسى أن يجمعهم الله بك ، فسنقدم عليهم فندعوهم الى أمرك ونعرض عليهم الذى أجبناك اليه من هذا الدين ، فان يجمعهم الله عليه فلا رجل أعزمنك ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى بلادهم وقد آمنوا وصدقوا .. »

ثم كانت بيعة العقبة الأولى ، حيث وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلا فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة ، وبايعوه على بيعة النساء ، وذلك قبل أن تفترض عليهم الحرب ، فلم يبايعوه على القتال ، وبيعة النساء ، هى المذكورة فى القرآن بقوله تعالى : « يا أيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم » وكانت مبايعته صلى الله عليه وسلم للنساء ، أنه يأخذ عليهن العهد والميثاق فإذا أقررن بألسنتهن قال : قد بايعتكن .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم بعد أن أخذ عليهم البيعة مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى ، وأمره أن يقرئهم القرآن ، ويعلمهم الاسلام ، ويفقههم فى الدين ، فكان يسمى المقرىء بالمدينة .

ثم كانت بيعة العقبة الثانية بعد ذلك حين خرج من خرج من الانصار من المسلمين الى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة . فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط ايام التشريق ، فاجتمعوا فى الشعب حتى جاءهم رسول الله ومعه عمه العباس ، وهو يومئذ على دين قومه . الا انه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له ، وكان عددهم ثلاثة وسبعين رجلا . ومعهم امرأتان : نسيبة بنت كعب ، أم عمارة إحدى نساء بنى مازن بن النجار ، وأسماء بنت عمرو بن عدى ، احدى نساء بنى سلمـــة ، وهى أم منيع ، فتكلم العباس وبين لهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم فى عز ومنعة من قومه ولكنــه أبى إلا الانحياز إليهم ، ثم تكلم رسول الله ، فتلا القرآن ، ودعا الله ، ورغب فى الاسلام ، ثم قال : أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم . فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال : نعم والذى بعثك بالحق نبيا لنمنعنك ممــا نمنع منه أزرنا ، فبايعنا يا رسول الله ، فنحن والله أبناء الحروب ، واهل الحلقة . ورثناها كابرا عن كابر ، فاعترض القول أبو الهيام بن التيهان ، فقال : يا رسول الله . إن بيننا وبين الرجال حبالا ، وانا قاطعوها ــ يعنى اليهود ــ فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم اظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا ؟ فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : بل الدم الدم ، والهدم الهدم ، انا منكم وانتم منى أحارب من حاربتم ، واسالم من سالمتم . وطلب منهم رسول الله أن يخرجوا اثنى عشر نقيبا ــ ليكونوا على قومهم بما فيهم فأخرجوا منهم اثنى عشر نقيبا ، تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الأوس ، وكانت هذه البيعــة بيعة الحرب ، حين اذن الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فى القتال : عن عبادة بين الصامت ــ وكان أحد النقباء ــ قال : « بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الحرب . على السمع والطاعة فى عسرنا ويسرنا ، ومنشطنا ومكرهنا ، واثرة علينا ، وان لا ننازع الأمر أهله وان نقول بالحق أينما كنا لا نخاف فى الله لومة لائم » .

وذلك حين عتت قريش على الله عز وجل ، وردوا عليه ما أرادهم به من الكرامة ، وكذبوا نبيه صلى الله عليه وسلم وعذبوا ونفوا من عبده ووحده واعتصم بدينــه . فكانت أول آية نزلت فى القتال « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصــلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز . الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهــوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » .

وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمسلمى مكة بالهجرة الى دار يأمنون فيها ، ويجدون تربة خصبة لدعوتهــم وأعوانا لدين الله ، فكانت الهجرة اعزازا للاسلام ، واذلالا للشرك وأهله .

آيـــات النصــر :

تعتمد الحياة فى مقاييسها العادية فى النصر والهزيمة على موازين القوى المادية فى السلاح والعدة ، والشجاعة والكثرة ولا يكاد الانسان يقرأ تحليــلا عسكريا لموقعة حربية من المواقع التاريخيـــة الا وجد هـــذا التحليل قائما على الأسباب العادية فى اختلال توازن القوى ، وذلك إن صح فى تحليل الاحـــداث التاريخية السياسية بحيـــاة الامم ، فانه لا يكون قاعدة منضبطة فى تحليل تاريخ العقيدة ، فالعقيدة الدينية لها موازين أخرى فى القوة الروحيـــة التى تنبثق من

الايمان العميق بالله ، والثقة فى وعده ونصره ، واستمداد العون من السماء .

وتاريخ الامة الاسلامية فى الصدر الاول يمثل تاريخ عقيدتها أروع تمثيل، ولو كان للاعتبارات المادية أثر لدى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لدى صحابته من بعده ما كانت هذه الانتفاضة الاسلامية الكبرى التى دقت معاقل الشرك ، وحصون الوثنية وتهاوت أمامها قوى البغى بجيشها اللجب وجحافلها المتكاثرة مدحورة خاسئة مهزومة ، يجللها عار الدمار ، وخزى الانحدار . فلم تمض سوى سنوات معدودة فى عمر الزمن حتى رفرفت راية الاسلام على ثلاثة أرباع الدنيا واندكت قصور الاكاسرة والقياصرة ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا .

ان الاسلام اذ يأخذ بعين الاعتبار الاعداد المادى امتثالا لقوله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » يعطى الاعتبار الأكبر للقوة الروحية ، قوة الايمان بعقيدته ، والثبات عليها ، والصبر على الأذى فيها ، وبذل النفس والمال فى سبيلها وفاء بالبيعة « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » ولم يكد يبلغ عدد المؤمنين مئات حتى نزل الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ، يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون ، الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين » وقد تجلت هذه المعانى فى حادث الهجرة .

انه لما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صارت له شيعة من غيرهم فى المدينة ، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم عرفوا أنهم قد نزلوا دارا . وأصابوا منهم منعة . فحذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم . وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم : فاجتمع الملأ منهم فى دار الندوة — وهى دار قصى بن كلاب التى كانت قريش لا تقضى أمرا الا فيها — يتشاورون فى أمر رسول الله حين خافوه ، وحضر معهم ابليس ، وتمثل لهم فى صورة شيخ نجدى . لأنهم قالوا : لا يدخلن معكم فى المشاورة أحد من أهل تهامة ، لأن هواهم مع محمد . فقال قائل منهم احبسوه فى الحديد ، وأغلقوا عليه بابا ، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله . زهيرا والنابغة ، ومن مضى منهم ، من هذا الموت حتى يصيبه ما أصابهم ، فقال الشيخ النجدى : لا والله ما هذا لكم برأى ، والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذى أغلقتم دونه الى أصحابه ، فلأوشكوا أن يثبوا عليكم ، فينزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم به — حتى يغلبوكم على أمركم . ما هذا لكم برأى — فانظروا فى غيره ، فتشاوروا . ثم قال قائل منهم : نخرجه من بين أظهرنا ، فننفيه من بلادنا ، فاذا أخرج عنا ، فوالله ما نبالى أين ذهب ، ولا حيث وقع ، إذا غاب عنا ، وفرغنا منه ، فأصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت ، فقال الشيخ النجدى : لا والله ، ما هذا لكم برأى ألم تروا ، حسن حديثه ، وحلاوة منطقه ، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى به ، والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حى من العرب ، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم اليكم حتى يطؤكم بهم فى بلادكم ، فيأخذ أمركم من أيديكم ، ثم يفعل بكم ما أراد ، دبروا فيه رأيا غير هذا . فقال أبو جهل بن هشام :

والله إن لى فيه لرأيا ، ما أراكم وقعتم عليه بعد ، قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟ قال : أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابا جليدا نسيبا وسيطا فينا ، ثم نعطى كل فتى منهم سيفا صارما ، ثم يعمدوا إليه ، فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه ، فنستريح منه ، فانهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه فى القبائل جميعا ، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا ، فرضوا منا بالعقل ، فعقلناه لهم، فقال الشيخ النجدى : القول ما قال الرجل ، هذا الرأى الذى لا رأى غيره ، فتفرق القوم على ذلك ، وهم مجمعون له .

وفى هذا يقول الله تعالى : « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » وقوله عز وجل « أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فإني معكم من المتربصين » .

فلما كانت عتمة من الليل اجتمع الفتية على بابه صلى الله عليه وسلم . يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه ، وأخبر جبريل رسول الله أن لا يبيت هذه الليلة على فراشه . فأمر على بن أبى طالب أن ينام على فراشه ، وأن يتسجى ببرده ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ حفنة من التراب ، ورمى به على رءوس القوم وهو يتلو صدر سورة « يس » فأغشاهم الله ، وخرج دون أن يروه . ولم يدركوا ذلك حتى الصباح ، وتلك آية من آيات نصر الله .

قال ابن اسحاق : وخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ حفنةمن التراب فى يده ... وأخذ الله تعالى على أبصارهم فلا يرونه . فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم ، وهو يتلو هذه الآيات من يس « يس ، والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم ، تنزيل العزيز الرحيم » الى قوله « فأغشيناهم فهم لا يبصرون » حتى فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من هؤلاء الآيات ، ولم يبق منهم رجل الا وقد وضع على رأسه ترابا ، ثم انصرف الى حيث أراد أن يذهب ،فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال : ما تنتظرون ههنا ؟ قالوا : محمدا قال : خيبكم الله قد والله خرج عليكم محمد . ثم ما ترك منكم رجلا الا وقد وضع على رأسه ترابا ، وانطلق لحاجته ، أفما ترون ما بكم ؟ قال : فوضع كل رجل منهميدهعلى رأسه ، فاذا عليه تراب . ثم جعلوا يتطلعون فيرون عليا على الفراش متسجيا ببرد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقولون : والله إن هذا لمحمد نائما عليه برده ، فلما يبرحوا كذلك حتى أصبحوا ، فقام على رضى الله عنه عن الفراش ، فقالوا : والله لقد كان صدقنا الذى حدثنا ، فهذه آية من آيات نصر الله . ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة مهاجرا الى المدينة وخرج أبو بكر معه ، جعلت قريش فيه مائة ناقة لمن رده عليهم . تطلعت نفس سراقة بن مالك بن جعشم الى هذا الجعل ، فامتطى جواده وامتشق سلاحه . وقد علم من بعض الناس أين قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع بعض صحابته ، وظل يغذ السير حتى كان على مقربة منه ، فعثر به فرسه ، وساخت يداه فىالارض . وهو ينظر فى تلك الآونة الى ضالته ، ويرى فيها مغنما كبيرا ، يرى فيها مائة ناقة ، وأمامه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع صاحبه ، فنزل عن فرسه ، وانتزع يديه من الارض ، وظن أن رسول الله وأبا بكر فى قبضته فانه منهما قاب قوسين أو أدنى ، فاذا به يرى ريحا شديدة تثير غبارا كثيفا فى وجهه لا يرى منه شيئا أمامه ، عندئذ علم أن الله مانع منه رسوله ، وأنه تعالى غالب على أمره ، وأسقط فى يده وطلب الامان لنفسه ، ثم كان اسلامه يوم الفتح ، قال سراقة يحكى هذه القصة : فلما بدا لى القوم ورأيتهم عثر بى فرسى . فذهبت يداه فى الارض ، وسقطت عنه ، ثم انتزع

يديه من الارض وتبعهما دخان كالاعصار ، قال : فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد منع منى ، وأنه ظاهر ، قال : فناديت القوم فقلت : أنا سراقــة بن جعشم ، انظرونى أكلمكم ، فوالله لا أريبكم ، ولا يأتيكم منى شىء تكرهونه ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر . قل له : وما تبتغى منا ؟ قال : فقال ذلك أبو بكر . قال قلت : تكتب لى كتابا يكون آية بينى وبينك ، قال : اكتب له يا أبا بكر . » فهذه آية ثانية من آيات النصر .

وأقام رسول الله صلى اللهعليه وسلم فى الغار ثلاثا ومعه أبو بكر ، وقد استلحقه من خف لطلبه طمعا فى جعل قريش مقتفيا الاثر ، ووصل بعضهم الى الغار ووقف على بابه ، وتردد فى اقتحامه أيكون فى داخل هــذا الغار حيث انقطع الاثر ؟ ولكن ، فما باله يبدو كالطلل البالى ؟ نسج العنكبوت عليه بيته ، وكأنه كسى حلة من خيوطه ، أخفت معالمه فكيف يتأتى أن يكون بداخله انسان ؟ ويرتجف قلب أبى بكر الصاحب الصديق خوفا على دعوة اللــه ، فى شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويتمزق فؤاده حزنا ، إن القوم على باب الغار مدججون بأسلحتهم ، فأين المفر ؟ ويقول أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم : والله لو نظر أحدهم الى موطىء قدميه لرآنا ، ولكن القلب الكبير الذى يتنزل عليه الوحى ، تغمره الثقــة فى عون الله ونصرتــه ، وتحفه الطمأنينة الكاملة ، فيقول صلى الله عليه وسلم لصاحبه : يا أبا بكر : ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ لا تحزن إن الله معنا ، وفى هذا نزل قوله تعالى : « ألا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبــه لا تحزن إن الله معنا فأنزل سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم » .

إن هذه « المعية » فى قلوب المؤمنين هى القوة التى يتسلح بها أهل الايمان ، فتشد أزرهم أمام الشدائد وتقوى عزائمهم فى أهوال المحن ، وتمدهم بالسكينة التى لا ترهب بطش الجبارين وعسف المستبدين وتلك آية من آيات النصر كذلــك .

نــواة الدولـــة :

إن الاسلام عقيدة وعبادة ، وخلق وتشريع ، فهو نظام متكامل للحيــاة ، وليس الاسلام فلسفة نظرية تعيش فى أحلام المفكرين ، وآمال المصلحين ، ولكنه منهج حياة ، لا يؤتى ثماره الا فى واقع مجتمع يدين به ، ويعمل بما فيه ، ويقوم على تطبيق شرائعه ، ولا يسوغ فى دين هذا شأنه أن يظل دعوة باللسان ، أو سطورا فى كتاب حتى تكون سطوره فى كتاب الواقع الذى يعيشه المؤمنون به .

إن خبير علوم التربة والنبات يستطيع أن يتحدث عن أنواع التربة وخصائص كل تربة منها ، وعن أنواع النبات وميزات كل نوع كذلك ، وقد يضع تخطيطا كامــلا لحائط من الفاكهــة يشمل اختبار التربة الصالحة ، وتهيئتها للزرع ، وطرق الغرس السليمة ، ووسائل تعهدها بالرى والسماد ، وصيانتها من الآفات حتى تزهر ثم تينع وتثمر ، ولكن هــذا الحائط يظل تخطيطا يقرأ حتى يتم تنفيذه ، وتكمل مراحله وعندئذ ينتفع الناس بــه ، فيستمتعون بثماره .

كذلك الاسلام لا يؤتى أكله لخير الانسانية حتى يكون له واقع حى فى مجتمع مسلم . يحتكم الى شريعــة الله فى شئون حياته كلها ، وهذا هو ما نعنيه عندما نقول : الاسلام دين ودولة .

وقد ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى الاسلام طوال العصر المكى ثلاثة عشر عاما ، فآمن به قليل ، وعاش هذه الفترة مــع أهل الجاهلية

يدعوهم بالحكمة والموعظـــة الحسنة ويجادلهم بالتى هى أحسن ، وهم يواجهونه بالتكذيب والاتهام والاضطهاد فينزل الوحى عليه بالصـــبر على أذاهم حيث لا يستطيع أن يجابه قوتهم بمثلها ، ولكن هذه المهادنة للجاهلية الاولى كانت الى حين ، فان المجتمع الجاهلى بتصوراته وأوضاع حياته لا يتعايش معه الاسلام ، ولئن هادنه الاسلام فى فترات ضعفه فان أمد ذلك أن تتهيأ بيئة صالحة لقيام مجتمع مسلم يمارس فيه المسلمون واجبات دينهم الفردية والجماعية فى شئون حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بحرية كاملة ، وتكون السيطرة فيه للاسلام وحده عقيدة وعبادة وسلوكا وتشريعـــا ، وقضاء وحكما ، ومن هذا المجتمع ينطلق العمل الاسلامى لنشر الدعوة بالجهاد فى سبيلها والذود عـــن حياضها فتكون المفاصلة بين الاسلام والكفر مفاصلة حاسمة ، وهذا هو المفهوم الصحيح للدولـــة .

وحين وجدت تلك البيئة فى المدينة ، وبايع الأنصار بيعـــة الحرب على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره . أذن الله للمسلمين بالهجرة وهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت نواة المجتمـــع الاسلامى ، أو بعبارة أخرى كانت نواة الدولة المسلمة ، وأصبح الـــولاء فى هذا المجتمع لله وحده ، فلا مهادنة للكفر ، وبدأت قاعـــدة هذه الدولة بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، هذه المؤاخاة التى بلغت درجة الايثار « والذين تبؤوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » وكانت لها حقوقها فى الأرث والموالاة والنصرة « إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا وإن استنصروكم فى الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير . والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير » ثم نسخ الأرث بقوله تعالى « وأولوا الأرحـــام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله » وما نزل فى المواريث ، وبقيت الموالاة والنصرة .

ان هذه المفاصلة التى تمت بالهجرة قطعت وشائج قرابة الجنس والـــدم وأحلت محلها قربة النفس والروح بالعقيدة « لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتهـــا الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون » .

وبهذا كان التمايز بين دار الاسلام ودار الكفر أو الحرب ، فالاسلام لا يؤتى ثماره الا فى مجتمع مسلم يؤمن بالاسلام عقيدة ومنهج حياة ، ويرسى دعائم شئونه كلها على هدى شريعته ، ومن هذا المجتمع — على ضيق رقعته — يكون منطلق العمل الاسلامى الشامل حتى يكون الدين كله لله ، ومن نواة الدولـــة فى المجتمع المدنى عند الهجرة كانت شجرة الاسلام الباسقة فى أوج الحضارة الاسلامية ، وذروة عظمتها ، وعلى العاملين للاسلام أن يعوا هذه الحقيقة فى طبيعة الدعوة ، وأن يميزوا بين عهدين ، أحدهما يكون توطئة للآخر ، حتى يحقق الله لهم النصر الذى وعده المؤمنين .

وبعـــد :

فتلك دروس من الهجرة لها معانيها ، عسى أن نهتدى بها ، ونقتفى أثرها « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » .



- ٣ -

للدكتور : محمد سلام مدكور

انتهينا فى المقال السابق الى ذكر العقائد الاساسية التى يجب الايمان بها ، وأن أسلوب مخاطبة العقــــل وحده هو مسلك المسلمين فى توجيه الناس الى الايمان بالله سبحانــــه وعرضنا صورا من ذلك ، وبينا منهج القرآن فى ربط النظر فى الكون وفى أنفسنا بتصحيح الايمان واصــــلاح العقيدة . وقد عدنا بالكلام هنا عــن الايمان بالبعث والحساب والرسل .

تعاقبت الرسالات السماوية على الانسان أمة بعد أمة وكلها توجه الى طريق الكمال وتبصر الناس بما فيــه خيرهم يقول سبحانه : « **شرع لــكم من الدين ما وصى به نوحا والــذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** » ويوجه الاســــلام الى الايمان بجميع الرســـل وبما أنــزل عليهم من رسالاته يقول الله تعالى : « **قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم** » ..

وكما طلب الاسلام الايمان بجميع الرسل طلب الايمان بأن محمدا صلوات الله عليه خاتم النبيين والرسل وأن رسالة الاسلام هى خاتمة الشرائع التى بها تستقيم حياة الانسانية وأنها موجهة للناس جميعا فى كل عصر وفى كل مكان يقول الله سبحانه : « **ما كان محمدا أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين** » ويقول جل شأنه : « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** » ويقول :

« **وما أرسلناك الا كافة للناس** » ويقول سبحانه لنبيه محمد صلوات الله عليه « **قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا** » .

فالاسلام دين الانسانية كلها ورسول الاسلام جاء للبشرية عامة بشيرا ونذيرا وموجها الى الخير وحقا ان تعاليم الاسلام جاءت بعمومها وشمولها ومرونة مصادرها صالحة للتطبيق فى كل مكان وعصر مع اختلاف الاعراف والمصالح مما يدل عن طريق العقل أنه آخر الشرائع السماوية التى ينبغى أن يلتزمها الناس ويحتكموا اليها .

ومحمد صلوات الله عليه خاتم النبيين حقا فالواقع يؤيد ذلك وقد مضى على دعوته أكثر من أربعة عشر قرنا دون ظهور دين سماوى آخر ولا رسول من بعده ولذا فانه يجب الايمان بجميع الرسل السابقين وقد تحدث عنهم القرآن والايمان بأن محمدا خاتم النبيين والرسل وأنه لا رسول من بعده ولا رسالة بعد رسالة الاسلام فهو الدين الواجب الاتباع الذى يلزم الناس لقاء الله عليه .

وأما الايمان بالبعث والحساب : فهذا أقوى ما يدفع الانسان الى الكمال فى عمل الخير والرقى فى حياته ، والاديان السماوية جميعها تتفق على الايمان بالبعث بعد الموت والحساب على ما قدم الانسان فى حياته من أعمال ان خيرا فخير وان شرا فشر . وهذا حق لا شك فيه .

فالفرد يقضى فترة فى الدنيا يعمل فيها ما توجهه اليه مواهبه ورغباته ثم يمضى من الحياة تاركا وراءه أعمالا وأمالا وأهلا وخلطاء فيهم المحب وفيهم المبغض ، ويزول الانسان من الوجود وتبقى ذكراه وأعماله ومنها ما هو ظاهر معروف ومنها ما هو سر دفين ، ومنها ما هو خير ومنها ما هو شر . والناس فى كل هذا متفاوتون .

فهل ينتهى كل شىء بوفاة الانسان وينمحى أثره فلا حساب ولا عقاب ويستوى المفسد والمصلح ، والعامل على احياء الرذيلة وبذر الشر مع الخير المتمسك بأهداب الفضيلة . ؟ وهل يستوى القاتل بغير حق القاطع على الناس هدوء أمنهم والمعتدى على أموالهم وأعراضهم المثير للفتن والقلاقل بينهم الكذاب الأشر المناع للخير المنغمس فى شهواته وملاذه . هل يستوى هذا مع المصلحين أعمالا المتفانين فى خدمة المجتمع الحريصين على اداء الواجب على أكمل وجه وأحسنه الذين تتفجر جوانبهم بالانسانية الكاملة والتعاون الصادق الذين لا يقولون الا حقا ولا يفعلون الا خيرا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ويجودون بالروح والدم فى سبيل العقيدة والحق ؟ وهل بانتهاء حياة الفرد انتهى كل شىء وزال حق المظلوم وفاز الظالم بما اقترفت يداه ؟

وكيف يقبل العقل البشرى أن يكون مصير جنسه الذى عمر الارض واكتشف بعض ما فى الكون من أسرار زائلا الى الابد دون رجعة أو جزاء ؟! هل يقبل العقل هذا أم يرى أنه لا بد من عالم آخر توفى فيه كل نفس ما كسبت « يوم تجد كل نفس ما عملت

من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا » ؟
لا شك أن الانسان لو خلى وعقله لانتهى بادراكه وتفكيره الى أن الموت نهاية مرحلة أولى وبداية مرحلة أخرى وأنه يخفى من ورائه شيئا آخر ، وأن الروح انما تنتقل من وجود الى وجود ، وأن بعد الحياة حياة أخرى نجهل كنهها ووصفها لكن العقل يؤمن بها ويوجه اليها ، هذه الحياة الاخرى يحاسب فيها الانسان على ما قدمت يداه فى حياته الاولى ويلقى حسابه ان خيرا فخير وان شرا فشر . وعمل الانسان فى دنياه يكون أمامه واضحا كتابا مسطورا وكأنه يقرأه ليعرفما له وما عليه وصدق الله سبحانه القائل « اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا » ويقول جل شأنه « أيحسب الانسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من منى يمنى ، ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى . أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى » ؟!

وما أجمل التعبير القرآنى الكريم بأسلوبه العالى الرفيع لاقناع الانسان من أقرب الطرق بأن هناك بعثا وحسابا فيقول « فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب . انه على رجعه لقادر » فمن نظر فى كيفية خلقه من هذا الماء المهين وجعله فى ذلك القرار المكين ، وكان صائب النظر مستقيم الادراك فانه منته لا محالة الى التصديق بأن وعد الله واقع وأن قدرته على ذلك الخلق البديع العجيب لا يعجزه أن يحقق ما وعد به من الحياة الآخرة واليوم الموعود الذى تجد فيه كل نفس ما عملت ماثلا أمامها ولله در القائل « من عرف نفسه فقد عرف ربه » « ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شىء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور » .

هذا هو مسلك القرآن فى توجيه الناس الى الايمان بالبعث والحساب والجنة والنار . فهو يوجههم الى ذلك بالحجة الواضحة والبرهان القاطع . فهم الحجة وهم البرهان وصدق الله **« ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس . وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون »** .

ففيم يختلف الناس من أمر هذا الخالق ، وكيف يتنكرون للقائه بعد ذلك ليغالطوا عن الحقائق أنفسهم فيعيشو الى الدنيا كما تعيش الانعام ، ويرخوا لانفسهم حبل الامل فى حياتهم الدنيا لتلعب وترتع ؟ وقد نبههم الله وتندر منهم فى قوله جل شأنه « **ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون »** موجها بذلك كله القلوب الناسية والنفوس الجامحة الى الاذعان بالبعث والحساب وأن هناك يوما يرجعون فيه الى الله . حتى يستقيم سلوكهم ولا يتظالموا فيما بينهم ويؤدى كل منهم لأخيه حقه اتقاء لذلك اليوم الذى تذهل فيه كل مرضعة من شدة هوله عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها نتيجة لما أصابها من خوف واضطراب وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد . فلا وربك ان ما توعدون لصادق وان الدين لواقع . وكل نفس بما كسبت رهينة .
ومن صور تندر الله سبحانه بمنكرى البعث والمترددين فى الايمان به وأخذ

العدة له قوله سبحانه « ويقـــول الانسان أئذا مامت لسوف أخرج حيا » وذلك اذ يرد على هـــذا التساءل بأسلوب كله اقناع من أقرب الطرق من غير تتبع أو تلفت ، وانما فى محيط الانسان نفسه وخلقه فيقول : « أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا » وكذلك فان من هذا القبيل قوله سبحانه « وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قـال من يحيى العظـام وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم » .

والبعث وان كان حقيقة جاء بهـا الدين ووجه الناس الـــى الاقتناع والايمان به فانه أيضا حقيقة يدركها العقل السليم اذ العقل يتجه تلقائيا الى أن الفاضل يجب أن يلقى خيـرا جزاء عمله وأن الآثم يلقى شرا جزاء عمله ، وقد لا يحدث ذلك فى الحياة على وجه الارض . فما أكثر الفضلاء التاعسين فى حياتهم وما أكثر الاشرار الذين ينعمون بخيرات الدنيا واذا فأين يكون الجزاء الذى أدركه العقل لا بد من يوم آخر يلقى فيه المثيب جزاءه والمجرم عقابه انه اليوم الموعود . يوم تبيض وجوه وتسود وجوه . ان العقل البشرى ليهتدى من نفسه الى الحياة الاخرة ، وقد اهتدى الـى ذلك قدماء المصريين منذ قرابة خمسة الاف سنة حينما انتشرت عبـــادة « أوزوريس » فقد كان أساسهـــا أن كل انسان مسئول بعد المـوت عن أعماله فى الدنيا أمام محكمة الهية فاذا حكمت بأن حسنات الميت ترجح سيئاته كوفىء بالنعيم الخالد ، وان حكمت بأن سيئاته أكثر ألقى فـى النار أو ضرب عليه نوع آخر مـن العذاب .

وكذلك فقد آمن الفرس والاغريق والرومان بالبعث والحساب حتـى الهندوكيين والبوذيين فانهـم يؤمنون بأن الروح تنتهى أخيرا الى وجـود آخر . بل نجد بعض الفرق الاسلامية وهم المعتزلة والماترودية من أهـــل السنة يرون أن أمور العقائد ومنها معرفة الله والايمان بالبعث والحساب من الامور التى تدرك بالعقـل ولا تتوقف معرفتها على النقل ولا أرسال الرسل فالايمان وكل ما يتعلق بالعقائد يتطابق فيه حكم الشرع مع العقل ، وينبنى على هذا أن أهـــل الفترة محاسبون على ضلالهم فى العقائـد وقد نقل عن أبى حنيفة أنه قال : لا عذر لاحد فى الجهل بخالقه لما يرى من خلق السموات والارض ويقول : « لو لم يبعث الله رسولا لوجب على الخلق معرفته بعقولهم »

وهكذا نرى أن البعث والانتقال من هذه الحياة الدنيا الى حياة الخلد أمر يتفق فيه العقل مع الدين وذلك لان الانسان لم يخلق فى هذه الحياة عبثا بل خلقه الله لغاية جليلة فى عمارة الكون فلا مناص اذا من أن يبعث بعد موته ليلقى بعد الحساب ما يستحق من ثواب أو عقاب .

أنظر معى أيهـا القارىء الـكريم — وفقك الله الى الحق وزادك ايمانا — أنظر قول الله تعالى : **« ألم نجعل الارض مهادا والجبـال أوتادا ، وخلقناكم أزواجا . وجعلنا نومكـم سباتا . وجعلنا الليل لباسا . وجعلنا النهار معاشا . وبنينا فوقكم سبعـا شدادا . وجعلنا سراجا وهاجا . وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجـا . لنخرج به حبا ونباتا . وجنات ألفافا . ان يوم الفصل كان ميقاتا . يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجـا .. »** فان ما يعدده لنا من بديع خلقه ودلائل قدرته وكمال وصفه ليوصلنـا دون

جدال الى الايمان الكامل به وبالبعث والحساب . فمن الذى أوجد هـذا الكون وأوجدنا نحن فيه وخلق لنـا العقل والتفكر ، ومن الذى سخـر لنا الارض طيعة فيما نريد منها وجعلها

تخرج عجائب النبات والزرع صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحـد ويتغذى بغذاء واحد ويعيش فى جو واحد لكن النبات والزرع مع هـذا

مختلف أكله ولونه وتكوينه . وما دمنا قد آمنا بأن هناك خالقا فهل يتصور العقل أنه خلقنا وكلفنا بفعل الخيـر والابتعاد عن الشر ولا أثر يترتب على طاعته أو عصيانه .

انه سبحانه بهذا يخاطب عقولنا لتتفتح الى الايمان به واتباع أوامـره وارشاداته واجتناب نواهيه ، والعمل فى الحياة بما يجعلها نافعة مفيـدة للجميع . ثم ينتهى بنتيجة يذكرنا بها دائما لخفائها عن الانظار فيقول : « ان يوم الفصل كان ميقاتا » .

والانسان متى آمن بهذا كله : آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث والحساب كان حريا أن ينأى عـن الشرور والآثام وأن يقبل على الخير ويبادر الى الطاعات ويستفيد من دنياه لأخراه كما قال الرسول صلوات الله عليه فى موعظة له « أغنم خمسا قبل خمس . شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقـرك ، وفراغك قبل شغلك وحياتك قبـل موتك » .

والى لقاء فى مقال آخر نختتم به الكلام فى هذه الحلقة ونبين فيه أثر الايمان فى النفوس . اللهم اهدنـا الى رشاد واملأ قلوبنا بالايمان .



العقيدة الناشطة

رأى فى القيادة :

قال لى أحدهم فى معرض الحديث عن الرجال الممتازين ، القائد هــو الرجل الذى يتميز من سواه بالحركة . والناس يسيرون وراء القائد ويطيعونه لانه يملك قدرة فائقة على تغيير مواقعه فى خدمة أفكاره . والواقع ان القيادة الناجحة هى تلك التى لا تؤمن بالسكون . أنها خيال حافل بالنشاط وحركة متصلة فى غير راحة وعداوة طبيعية لكل ما هو ساكن هادىء . الغليان فى الفكر كالغليان فى العاطفة وكالاضطراب المادى فى الارض ، أنها كلها آيــة على الحياة القوية الممتازة .

من هنا تصبح الحركة عند المفكر المبدع والبطل الطموح والعابد الصابر والمغامر الجرىء صفة لازمة لكل منهم . فهم لا يستطيعون الانفصال عنها لأنها المبرر الوحيد لوجودهم .

ومن هنا أيضا كان الرجال المهاجرون ــ بحثا عن مواطن الرزق وحفاظا على سلامة عقيدتهم ــ هم الرجال الذين يمنحون المسيرة البشرية محتواهــا الحضارى .

واذا كانت هناك حضارات متعاقبة فى تاريخ البشرية فلأن الحضارة اللاحقة حضارة فتية تجتاح الحضارة السابقة الهرمة التى فقدت القدرة على الاستجابة للتحديات الخارجية .

في هجرة النبي صلى الله عليه وسلم

للاستاذ رمضان لاوند

الحضارة والفتوة :

في ضوء هذه الحقيقة التى نقررها نستطيع أن نقول : إن الحضارة هى فتوة الفكر والجسد والعاطفة والارادة .

فيوم يفقد المجتمع قدرته على التحرك والتغلب على ما يصادفه فى عالم الطبيعة والانسان من العراقيل والمتاعب فقد كتب على نفسه الموت .

ولذلك فاننا نعتقد بأن الانتفاضات التى يتحرك بها الجسد العربى المسلم اليوم والتناقضات العنيفة التى يعانيها هى الآية والعلامة على أن احتياطيا كبيرا من النشاط بدأ يتفجر بطاقاته فى طريق التاريخ . واذا كان ما يزال متعثرا فى خطواته ، مبهورا أمام ما يواجهه من التجارب عاجزا عن استيعاب الأبعاد الحقيقية لمعضلته فلأنه ما يزال فى حاجة الى مزيد من الوقت والنضج والممارسة . .

إنه لم يعرف فى تاريخ أمة أو حضارة أن هذه أو تلك قد خرجت الى الدنيا برؤية فكرية واضحة يرفدها نشاط فائق الا بعد أن يكون أبناؤها قد دفعوا من أعصابهم ودمائهم وأرواحهم الثمن الكبير الذى تفرضه عليهم .

المتواكلون ساقطون فى الطريق لأنهم يخافون الحركة . والمقلدون طريدو الحياة لأنهم يهابون الابداع . والملحدون الخربون فاشلون فى تحمل مسؤوليات البناء لأنهم عاجزون عن تكوين رؤية اعتقادية بناءة .

الاسلام والحركة :

والجدير بالذكر أن القرآن الكريم قد ناقش ظاهرة الحركـة واعتبرها عنوانا على القوة الفائقة ومخرجا من مخارج الخـلاص حين حدثنا على لسان الملائكة والضعفاء ونقل الينا الحوار التالى بين هؤلاء وأولئك . قال عز وجل فى الآيات ۹۷ ، ۹۸ ، ۹۹ من سورة النساء :

« أن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنـا مستضعفين فى الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا . الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا . فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا » . .

الصورة واضحة جدا . ان تبرير الخضوع بادعاء الضعف موقف مرفوض لانه عنوان على التواكل وآية على السكون الذى هو بعض معنى الموت . وتقرر هذه الآيات الكريمة أن الخروج من الضعف لا يكون بمواجهة القـوة وحسب بل يكون أيضا بالمهاجرة والخروج فى أرض الله الواسعة . والقرآن لا يجد عذرا مشروعا للناس المزعومين مستضعفين ما لم يكونوا من الولدان والنساء والرجال العاجزين حقا عن الحركة والتنقل . ويسترسل الوحى من بعد فى ابراز ثمرة المهاجرة ونتائجها فيقول : « ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما (۱) كثيرا وسعة . ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما .

واذا فالتعليم الاسلامى واضح فى هذا المعنى . إنه يرفض أى اعتذار .

الهجرات فى التاريخ :

ولماذا نذهب بعيدا فى البحث التجريدى عن معنى الحركة والتنقل ؟! يكفى ان نتذكر بأن الهجرات البشرية التى ترافقها رسالات فكر وعقيدة هى وحدها التى تصنع الحضارات وتبنى المجتمعات المزدهرة وتصلح الارض وتشيع الحياة والخضرة فى ارجائها .

أو ليس أن تاريخ الاسلام فى فجر نهضته هو سلسلة من الهجرات التى يحمل أصحابها رؤية فكر وعقيدة ؟ أوليس أن حضارات الشرق الاوسط فـى سوريا والعراق ومصر كانت كلها ثمرة هجرات بشرية متعاقبة من الصحراء ؟

وأخيرا أليس أن نهضة القارة الاوروبية فالاميركية من بعد كانت حصيلة الافواج من الرجال والنساء الذين خرجوا من ديارهم يبحثون عـن الرزق ويسعون الى الاستيطان فى الاراضى البور التى لم يحسن أصحابهـا القيام عليها ؟ !

واذا كانت هناك فوارق بين حضارة وأخرى فهى فوارق ناجمة عـن نوعية الفكر الذى تحمله أفواج المهاجرين وعن قيمة العقيدة التى بها يعتقدون .

المهم هو أن الهجرات التى ترافقها رسالة معينة ذات عقيدة خاصة هى وحدها القادرة على صنع الحياة وجعل أصحابها جزءا من التاريخ البشرى الاصيل . .

هجرة النبى عليه الصلاة والسلام :

فى ضوء هذه البينة نواجه ظاهرة أخرى فى تاريخ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . لقد حاول عليه السلام ان يواجه جماعة قريش بكل ما كـان

يملك من قوة الخلق وقدرة على الصبر ووضوح فى الرؤية وأصالة فى العقيدة . ولكن مكابرة هذه الجماعة المشركة وضعته أمام أحد موقفين لا خيار له معهما فاما أن يستسلم للشرك فى جموحه وعناده وأما أن يهاجر بحثا عن أرض أخرى وشعب آخر يجد عندهما من الوعى ومن الاستعداد للفهم ما لم يجده عند جماعة قريش ومن الطبيعى أن يختار الموقف الثانى فيصدع بأمر اللـــه ويقرر الهجرة اليه فى أرض جديدة وجماعة جديدة . والجدير بالذكر ان الهجرة النبوية الكبرى قد سبقت بهجرتين جانبيتين أريد بهما أن تكونا مخرجين من المآزق التى كان المسلمون يجدون فيها أنفسهم بسبب من تعنت قريش ومغالاتها فى أضطهاد الفئات المؤمنة . والواقع أن هاتين الهجرتين قد كانتا بمثابـــة تجربتين تمهيديتين يتحسس بهما المسلمون موطنا ظنوا انه يصلح لهم . أو أنهما كانتا محاولتين أراد بهما النبى صلى الله عليه وسلم أن يتعرف الـــى النتائج العملية المترتبة على الخروج من الديار .

وقد أراد الله سبحانه وتعالى فى سابق علمه أن تكون الهجرة الكبـــرى التى تغيرت بها أقدار المسلمين ووضعت بها أحجار الأساس لدولة الاسلام الفتية فى أرض عربية والى شعب عربى . وهى ارادة متفقة مع سنن الله فى خلقه . ان احتمالات الوحدة فى العمل والتعاون بين الفئات المهاجرة وبين الشعب الجديد تكون أكثر توفرا حين تشد الفريقين اللغة المشتركة والعقلية المتقاربة والجغرافية الواحدة . هكذا صدر الامر الالهى ونزل بهالوحى الى النبى صلى الله عليه وسلم ان اخرج من بلدك مكة الى حيث تجد حظا أوفر من النجاح وقوما أكثر استعدادا لتقبل رسالة الاسلام .

سياق آية الهجرة :

ومما يلفت النظر أن الوحى السماوى قد وضع الحديث عن الهجرة فى صميم آيات قرآنية تناقش القاعدين عن القتال والمتواكلين المترددين فـــى الحركة وتكشف عن أخطار التثاقل والتباطؤ فى ميدان الكفاح من أجل العقيدة والعمل فى سبيل رسالة الله . والحديـــث عن الهجرة فى هـــذا الســـياق تطرح قضيتين هامتين :

القضية الاولى هى قضية الحركة الناشطة التى ترمز الى الفتـــوة والحيوية عند صاحبها . والقضية الثانية ، هى قضية العقيدة والثقة المطلقة بنصر الله كآية على أهمية الرؤية الاعتقادية المرافقة لحركة الهجرة الى الارض الجديدة والشعب الجديد .

لنقرأ فيما يلى كلام الله فى هذا المعنى . انه يقول « يأيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحيـــاة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل . إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شىء قدير . الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم . انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » ..

هكذا يبدو لنا أن سخط الله عز وجل موجه الى المتثاقلين فى الارض

المتوانين فى الحركة والمترددين أمام المسؤوليات التى يفرضها الجهاد فى سبيل العقيدة .

انه عز وجل يهدد هذه الفئة من الناس بالعذاب واستبدال قـــوم غيرهم ويؤكد لهم أن نصر اللـــه للنبى لا يتوقف عليهـــم فاذا ترددوا فى الهجرة الـــى ميدان القتال وجبنوا أمام العدو فعليهم أن يتذكروا يوما لم يكونوا فيه الى جانب محمد عليه الصلاة والسلام ولم تكن لهم يد فى نصره . يوما أخرجه فيه كفار قريش يرافقـــه صاحبه وصفيـــه أبـــو بكر رضى الله عنه . فاذا آنس النبى فى صاحبه خوفا أو شبه خوف بادر الى طمأنته فيقول له : لا تحزن ان الله معنا . فى هذا اليوم تم النصر له وأخرجته العناية الالهية من المأزق الشديد الذى وجد نفسه فيه وصاحبه وجعلت كلمة الذين كفروا السفلى وبقيت كلمة الله هى العليا . ثم يمضى الوحى السماوى فيحرض المتواكلين المتثاقلين المؤثرين لمتاع الدنيا وزينتها على النفرة والنهوض للقتال خفافا وثقالا . يجاهدون بالأموال والأنفس فى سبيل الله لا يردهم خوف ولا تزلزلهم تهديدات العدو .

ولو شئنا ان نمضى مع الآيات القرآنية التالية لوجدنا صورة حقيقيـــة لنفسية الفئة المتواكلة المتثاقلة على ان هذه الصورة ليست مما نقصد الـــى تحقيقه فى هذا الموضوع .

الهجرة وحضارة الاسلام :

واذا فنحن حين نتحدث عن الهجرة النبوية انما نتحدث فى الواقع عن قمة الانتصار على الضعف وحين نستشهد بوقائعها نحاول ان نقرر الحقيقة البسيطة التالية ـــ وهى ان الحضارة ثمرة الفكر المهاجر الباحث فى أرض الله الواسعة عن الخلاص والازدهار .

فاذا قلنا ان هجرة النبى صلى الله عليه وسلم هى التى وضعت حجر الأساس لمجتمع الحضارة الاسلامية فنحن لا نجاوز الواقع . انها البرهان الدامغ على ان العقيدة الحية الناشطة والمتحركة هى وحدها التى تصنع تاريخ الامم العظيمة .

ولو أردنا أن نستعمل اللغة العصرية فى تصوير معنى الهجرة النبوية لقلنا ان هذه الهجرة هى قمة المعاناة التى تتفجر بها ينابيع القوة والالم وتتلاقى بها أشعة الايمان وظلمات الكفر ويتقابل فيها يقين الارادة واضطراب الضعف البشرى ثم تنتهى هذه المعاناة الى موقف النصر بفضل الخلق القوى والايمان الواعى واليقين المطمئن .

ولئن لم يكن لذكرى الهجرة من دور تقوم به غير أنها تذكير لنا بقيمة العقيدة المتحركة النشيطة لكان حقا علينا أن نحتفل بها للعظة والعبرة .

« ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد » .

---

(١) المراغم : هو المهرب والمخلص والحصن مشتق من الرغام وهو التراب .

الفتوح الإسلامية

للدكتـــور أحمد ابراهيم الشريف

إن توحيد العرب فى شبه الجزيرة العربية تحت راية الإســـلام على يد النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم تثبيت هذه الوحدة على يد أبى بكر الصديق رضى الله عنه بعد القضاء على حركة التمرد التى قامت بها القبائل العربية والتى عرفت باسم ((الردة)) ، كان حدثاً كبيراً فى تاريخ العـــرب ، فلم يعرف العرب هذه الوحدة الشاملة تحت راية دولة ودين إلا بمجىء الإسلام . وقد ترتب على هذا الحدث الكبير حدث أكبر منه بالنسبة لتاريخ البشرية جميعاً ، فقد خرج العرب الى المجـــال الخارجى فى حركـــة فتوح عظيمة امتدت فى المشرق الى أواسط آســـيا ، ووصلت فى المغرب الى شـــواطىء المحيط الأطلسى وغرب أوروبا ، ونتج عن ذلك نتائج بعيدة المدى فى تاريخ الإنسانيـــة من جميـــع النواحى السياسية : السياسية والدينية والحضارية على السواء :

فأما من الناحية السياسية ، فقد تغيرت خريطة العالم السياسية ، إذ سقطت امبراطوريات كبيرة كانت تمد سلطانها على جزء كبير من العالم المعروف وتتحكم فى تقرير مصيره ، وقامت دولة جديدة امتدت على رقعة فسيحة من الأرض شملت العالم المتحضر كله فى ذلك الوقت ، ولم يشهد العالم امبراطورية امتدت على رقعة متصلة من الأرض هذا الامتداد ، وكان لهذه الامبراطـــورية الجديدة خصائص تخالف الامبراطوريات القديمة والحديثة فى التفكير السياسى والحضارى والاجتماعى .

وأما من الناحية الدينية ، فقد قامت ديانة جديدة اعتنقها معظم الشعوب المتحضرة فى العالم يومئذ ، وغلبت فيها على ديانات كبرى . وبقيامها تم القضاء على الوثنية قضاء حاسما . وعرف العالم لأول مرة معنى الحرية الدينية ، فان الإسلام اعترف بالديانات السماوية ، ولم يحترم حـــرية العقيدة فحســـب ، وإنما كفلها ورعاها .

وبقيام الامبراطورية الإسلامية قامت حضارة إسلامية ، نستطيع أن نقول مطمئنين إنها أول حضارة عالمية قامت على هذه الأرض ، فقد اتسع أفق المسلمين الفكرى لهضم الحضارات السابقة ، واتسع صدرهم للاعتراف بها ، وهذا الاتساع فى الأفق الفكرى يرجع إلى خصائص الإسلام الذى كما نادى بوحدة الخالق نادى بوحدة الخلق ، وجعل العقل أساس المعرفة ، ولهذا نقب المسلمون عن حضارة اليونان ، فاستخرجوا كنوزها المدفونة فى طيات التاريخ، كما فتشوا عن حضارة بابل وآشور وفينيقيا ومصر وبحثوا عن حضارة الفرس وحكمة الهند ، ونقلوا هذا الترا ثالى اللغة العربية ، ثم درسوه وشرحوه ، وأضافوا اليه وأصلحوه ، وطبخوه جميعا فى وعاء واحد ، فأخرجوه للناس بعد ذلك مزاجاً جديداً ، اتخذ اللغة العربية أداته والمثل الإسلامية العليا قواعده وسياجه .

ولم ينفرد رجال العرب بالقيام على هذه الحضارة وتنميتها ، بل أتاحوا لكل العقول على اختلاف أجناسها ودياناتها أن تشارك فيها وتسهم بقدر ما تتيح لها مواهبها وكفاياتها ، فبرز كثير من رجال الفرس والترك والسريان والشوام والمصريين والمغاربة والاسبان وكل الشعوب التى دخلت فى الإسلام أو خضعت لدولته ، فى كافة ميادين الحضارة . وكما برزت كفايات الرجال كأفراد ، برزت كذلك كفايات الشعوب كمجموعات ، فقد أتاح الإسلام لكل الشعوب أن تدخل فيه وأن تسهم فى نشاطه السياسى ، وأن تتقدم بحسب كفايتها وقدرتها فتصل الى مركز الصدارة فى حكم العالم الإسلامى وقيادته ، فلم يمض كبير وقت حتى تصدر الفرس العالم الإسلامى ، ثم تلاهم الديالمة ، ثم الترك السلاجقة ، ثم الترك العثمانيون ، وفى كل ذلك لم يجد المسلمون غضاضة فى أن تتصدر هذه الشعوب وأن تحكم تحت راية الإسلام ، فقد ألغى الإسلام فوارق الجنس واللون ، وهذه الظاهرة لم يعرف العالم لها نظيراً فى تاريخه القديم والحديث على السواء ، فلم يعرف التاريخ شعباً من الشعوب التى ضمتها الامبراطورية قديمها وحديثها ، تصدّر الامبراطورية أو ساد فيها أو حتى وصل الى المساواة مع أصحابها . وحتى العالم المتحضر الغربى لم يستطع التخلص من نزعة التفرقة الى الآن ، فهى ظاهرة لم تتحقق إلا فى دولة الإسلام . كما أتاح الإسلام للشعوب فى ظل الامبراطورية الاسلامية أن تنمى شخصيتها الإقليمية ، وأن تقوم فى حواضرها مراكز للحضارة تسهم فيها وتنافس غيرها فى مضمارها ، فتعددت مراكز الحضارة فى العالم الإسلامى ، فسمرقند وبخارى ومرو والرى والبصرة والكوفة والقيروان وفاس وغرناطة وغيرها من مدن العالم الاسلامى كانت مراكز للحضارة ، وكانت تنافس المدينة ودمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة وهى العواصم التى قامت فيها الخلافة . وإنها لظاهرة فريدة كذلك أن لا يسعى شعب من الشعوب التى ضمها العالم الإسلامى حين أتيحت له فرصة التقدم والتفوق أن ينفصل عن هذا العالم برغم تعدد القوميات . وحتى فى أوقات التمزق السياسى لم تصطنع الحدود ولم تفرض الحواجز ، ولم يكن هناك حجر على العلماء والأفراد أن ينتقلوا عبر الدول والممالك والامارات التى قامت فى نطاق العالم الاسلامى أو أن يتعارفوا ويتعاونوا . ومن ثم ظلت الوحدة الحضارية والفكرية قائمة ، وظل الاعتراف بالوحدة المعنوية للعالم الإسلامى موجودا ، وظل المسلمون كالجسد الواحد إذا أصيب منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

ولأول مرة فى تاريخ البشرية تختلط الدماء بين الشعوب وتنصهر الجماعة

فى شعب إسلامى واحد ، فيحصل التصاهر والتزاوج وتنشأ أجيال لا نستطيع أن نرد دمها صريحا الى جنس بعينه من الأجناس المتلاحمة فى هذا العالم الإسلامى الواسع .

وعلى كل من يريد أن يقدر قيمة الفتوح الإسلامية ، وأن يقيم مقارنة بينها وبين الفتوح التى سبقتها أو التى أتت بعدها ، أن ينظر اليها من نواح ثلاث :

١ — من ناحية الفكرة التى دعت اليها .
٢ — من خلال الطريقة التى تمت بها .
٣ — من حيث النتائج التى ترتبت عليها .

(١)

حين بعث محمد صلى الله عليه وسلم فى مكة رسولا يدعو الى دين جديد ، كان الهدف الدينى والاجتماعى واضحاً ، فهو يدعو الى عبادة إله واحد هو الله رب الوجود ومبدعه ، ونبذ ما عدا ذلك من أصنام وأوثان وكل ما يلقى ظلا من المشاركة مع الله « قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد » وقد استطاع النبى بعد كفاح دام أكثر من عشرين سنة أن يقضى على الوثنية فى بلاد العرب قضاء حاسماً ، وأن يقر الوحدانية اقرارا نهائيا واضحا . ولم تكن الوثنية قد قضى عليها فى العالم على الرغم من وجود الديانات السماوية الكبرى وعلى الرغم من سعة انتشارها ، فقد ظلت الوثنية تقوم الى جانب هذه الديانات وتعايشها ، وأكبر شاهد على بقاء الوثنية بكل قوتها وجودها فى الجزيرة العربية وهى بلد متوسط تحيط به مراكز النصرانية واليهودية على السواء ، هذا الى أن آثار الوثنية خالطت هذه الديانات مخالطة شديدة وأثرت فى طبيعتها ، فكان ظهور الإسلام وتقريره للوحدانية تقريراً واضحاً أمرا ضرورياً ، وكان قضاؤه على الوثنية فى هذه البقعة قضاء حاسماً ، وتتبعه لها فى باقى معاقلها ومحو آثارها أمراً لازماً .

ثم إن الهدف الإنسانى كان واضحاً منذ أول الأمر ، فقد جاء الإسلام بفكرة المساواة الاجتماعية بين الناس ، وإلغاء ما قام بينهم وما كان متحكماً ومعترفاً به بين الشعوب والدول حتى ذلك الوقت من التفرقة الجنسية والتفرقة الاجتماعية . فقد قرر تقريراً حاسماً أن الناس كلهم إخوة ، وهم لذلك يجب أن يكونوا متساوين فى الحقوق والواجبات ، وليس أكبر دليل على ذلك مما تعطيه الآية القرآنية الكريمة : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » . فقد حوت كل أصول المساواة بين الناس ، كما أوضحت أصول التعامل بينهم ، فالخطاب فيها موجه للناس جميعاً دون تمييز بين جنس وجنس ، ثم هى تذكر أنهم جميعا متساوون فى مبدأ الخلق ، فالله رب الوجود خلقهم جميعاً ، ولذلك فلا تمايز بينهم ولا تفاضل بالأرباب . والله حين خلقهم لم يخلقهم من آباء متعددين أو أمهات متعددات ومن ثم فلا تمايز بالآباء أو تفاضل بالأمهات ، ثم تكاثروا فكانوا شعوبا وقبائل ليسهل التعارف بين جماعاتهم ويتم التعاون ويسهل التعامل . ثم أن الآية الكريمة تقرر نوع الفضل وميزة التقدم ، فتجعلها عمل الخير والسعى لتحقيق المصلحة العامة التى تحقق النفع للجميع فى ظل الإخاء العام والمساواة الشاملة ،

فهم من حيث المبـدأ العام متساوون جميعاً ، وهم فى ظل المساواة متعاطفون متراحمون ، يقوم على قيادتهم أكثرهم عملا للخير وأعظمهم براً بهم وتحقيقـاً لمصالحهم ، وأبعدهم عن غاية الطمع والاستبداد . ومن هذا المفهوم نبع المثل العربى « سيد القوم خادمهم » .

وكان العالم قبل الإسلام يعيش على غير هـذه السنن ، فالأفراد فى الشعب الواحد ينقسمون إلى طبقات يعلو بعضها على بعض ، دون ما سـند من الكفاية والعدل ، فهناك طبقة أشراف ، وطبقة عامة ، وطبقة عبيـد ، ولكل طبقـة حدود ، وأعطيت امتيازات ، وحرمت من حقوق ، وقد وصـل الحرمان فى ذروته الى حد الحرمان من حق الحياة نفسها . وفى كل ذلك لم تكن المواهب والكفايات والعمل هى الحكم والفيصل ، وإنما كان المولد والثروة والطغيان . وكما تمايزت الطبقات فى الشعب الواحد ، تمايزت الشـعوب فى المجتمع الإنسانى العام ، فشعب له السيادة وله كل الحقوق ، وشعب حمل العبودية والخضوع وحرم من الحقوق . وكان الغلب الحربى هو أداة السيادة وعامل العبودية فى كلتا الحالتين . ومن ثم امتلأت الحياة بالتناقضات العجيبة ، وفاضت النفـوس بالحقد والعـداوة ، وتعطلت كثير من مواهب الأفـراد والشعوب ، وسارت الحياة بخطى ثقيلة بطيئة نحو غاية الكمال التى هى هدف رسالة الإنسان على الأرض ، ولقد تمر القرون ووسائل الحياة كما هى لم يدخل عليها تحسن ملحوظ ، ونكاد نحس أن القريحة الإنسانية عقمت فلم تعد تتفتق عن حيلة جديدة أو تنتج عملا جديدا ، وكان يبلغ بالعقم الانسانى فى أن يحارب العقول وأن تجازى المواهب بالقتل ، ويعاقب أصحاب الملكات الخلاقة بالتعذيب والإعـدام .

وحتى الدين الذى كان المفروض أن يكون رحمة للناس ، فيوقظ الضمير ويرد عن الهوى ويحد من الطغيان ، حوله رجال الدين الى قيد تغل به رقاب الناس ، وقد تحالف رجال الدين مع الحكام أو نازعوهم السلطان ، وقد أصبح الناس يلف رقابهم غل مزدوج ثقيل ، أو يغلون بقيدين أحدهما يحكم الجسـد ومفتاحه فى يد الحكام والآخر يسيطر على الروح ومفتاحه فى يد الكهان . فـلا حرية للجسد ولا حرية للروح .

والاسلام حين جاء فك عن العقول عقالها ، وأطلق للبصيرة الانسانيـة قيودها وحللها من جمودها ، ولم يرض منها بغير الانطلاق ، فانطلقت تبدع فى كل مجال . كما حرر الروح والضمير من كل سلطان ، فلا وساطة بين الإنسان وربه فهو أقرب إليه من حبل الوريد ، وكل نفس بما كسبت رهينة . وحتى مجال الإيمان نفسه لم يقبله الإسلام تقليداً ، ولم يرض من الإنسان أن ينعق بما لا يسمع إلا دعـاء ونداءً « ومثلُ الذين كفروا كمثل الـذى يَنْعِق بما لا يَسْمعُ إلا دعاء ونداء ، صُمٌ بكم عمى فهم لا يعقلون » فالتقليد بغير عقل ولا هداية هو شأن الكافرين . والمرء لا يكون مؤمنا الا اذا عقل دينه وعرفه بنفسه حتى اقتنع به ، فمن رُبى على التسليم بغير عقل ، والعمل ولو صالحاً بغير فقه ، فهو غير مؤمن . فليس القصد من الإيمان أن يذلل الإنسان للخير كما يذلل الحيوان ، بل القصد منه أن يرتقى عقله وترتقى نفسه بالعلم ، فيعمـل الخير لأنه يفقه أن الامر النافع المرضى لله ، ويترك الشر لأنه يفهم سـوء عاقبته ودرجة مضرته .

ثم إن الإسلام دعا الى أدب النفس وتهذيبها روحياً واجتماعياً أساسـه

الإيمان بالله ، ورياضة العقل والقلب على هذا الاساس ، دون نظر الى منفعة مادية يجنيها الانسان من وراء هذا الأدب .

ولكى تتحقق هذه المبادىء التى جاء بها الاسلام ، كان لزاما أن يضمن لها التطبيق العملى ، وإلا تحولت الى مجرد دعوة نظرية ، لا يلبث أن يخفت صوتها مع مرور الزمن وبين ضجة الحياة . لذلك حرص النبى صلى الله عليه وسلم على أن يقيم لدعوته أمة وينشىء لها دولة تكون مجالا لتطبيقها عملياً ، فما كاد يصل الى مدينة « يثرب » بعد هجرته من مكة حتى أنشأ هذه الدولة . وهو حين أنشأها حـــرص على وضع دستور مكتوب لها عـــرف عند المؤرخين باســـم « الصحيفة » . وفى هذا الدستور قرر المبادىء الرئيســية التى سار عليها المسلمون من بعـــد ، والتى كانت أول تطبيق عملى للمبـــادىء التى جاء بها الإســـلام .

وأول بنود هذا الدستور هو « المؤمنون والمسلمون من قريش ويثرب ، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم ، أمة واحدة من دون الناس » وبهذا التقرير أعطى النبى صلى الله عليه وسلم صفة للأمة الإسلامية ، فكلمة الأمة هنـــا ليست اسماً لجماعة تربطها رابطة النسب أو الجنس ، وإنما هى تدل على الجماعة بالمعنى المطلق . وبهذا ألغى النبى الحدود الجنســية فلم يجعل لها وجوداً بالنسبة للدولة ، وبهذا أصبح الإسلام ملكاً لمن دخل فيه . وبناء على هذه القاعدة دخل فى الاسلام وشارك فى حياة أمة الاســـلام شعوب كثيرة ، دون أن يضع الاسلام أمامها عقبـــات تحول بينها وبين الاشتراك اشتراكاً فعلياً فى حياة العالم الاسلامى . وهذا المبدأ هو الذى كفل للإســـلام حيوية متجددة دائما ، فلم يربط الامة بشعب واحد تخمد حيويتها كلما خمدت حيويته وقلت كفايته ، وانما جعلها مجالا عاما تبرز فيه كفايات الشعوب ، فتتجـــدد حياة الامة بظهور المواهب والكفايات الجديدة فى العالم الواحد المترابط .

وهذا المبدأ كان جديداً كل الجدة على العوالم القديمة من يونانية ورومانية وفارسية وغيرها من الأمم والشعوب ، وهو لا يزال يحمل طابع الجدة حتى فى عصرنا الحديث . فالامة فى دستور الاسلام هى جماعة الله التى تتســـع لكل البشر ، وهى التى ترعى مبادىء السلام ومبادىء حماية الحق ومنع الظلم ، والله هو الشهيد الذى يشرف عليها ، فالإيمان هو رباط الاتحاد والمؤمنون هم ممثلو معناه ، وهم لذلك أول من يجب عليهم الوفاء له ، وهم فى الوقت نفسه أول من يتمتع بالحقوق التى يكفلها لهم .

وإلى جانب هذا المبدأ العام الذى يكفل للناس جميعا أن يعيشوا فى ظـــل أمة واحدة بغض النظر عن أجناسهم وألوانهم ، وضع النبى صلى الله عليـــه وسلم بنـــداً يكفل الحرية الدينية لاصحاب الديانات السماوية . ولذلك فـــان هذه الدولة الاسلامية كانت فذة فى تاريخ البشرية ، لانها — بالرغم من قيامها فى الاصل على أسس دينية — أقرت مبدأين لم تعرفهما الدول الدينيـــة أو غير الدينية من قبل . وأول هذين المبدأين هو حرية الاديان ، وهى حرية لم تقرها الدولة الاسلامية فحسب ، بل إنها تتعهد بحمايتها . وثانيهما هو مبدأ تعريف فكرة الوطن والدولة فى أوسع معانيهما تسامحاً وإنسانية ، وهو مبدأ يكفل المساواة فى الحقوق والواجبات الوطنية بين جميع أفراد الامة على اختـــلاف أجناسهم ولغاتهم وعقائدهم .

تحت ظل هذه المبادىء قامت دولة النبى صلى الله عليه وسلم فى يثرب ،

واستطاعت فى مدى عشر سنوات أن توحد الجزيرة العربية كلها تحت لوائها ، وأن تطبق على أهلها هذه المبادىء تطبيقا عمليا .

ولم يكن محمد عليه السلام رسولا للعرب وحدهم ، وانما كانت رسالته للناس أجمعين ، بين ذلك القرآن الكريم ، وأيده الرسول بإيفاد رسله الى ملوك العالم المعروف حوله يدعوهم بدعوة الاسلام ، ولقى رسول الله ربه ولم تنتشر دعوته فى أمم العالم ، ولكنه ترك أمة قال الله فيها : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » . ولقد أشربت نفوس العرب مبادىء الاسلام ، وهم إذ توحدوا على هذه المبادىء كان عليهم أن يتمموا دعوة النبى صلى الله عليه وسلم فيبلغوها للعالم من حولهم وكان عليهم أن يسعوا الى تطبيق مبادئها العليا بين شعوب هذا العالم، ليكونوا بذلك شهداء على الناس كما كان الرسول عليهم شهيدا . وبهذه الافكار اندفع العرب الى المجال الخارجى فاصطدموا بقوى الدول الكبرى القائمة من حولهم .

(٢)

هذا من ناحية التفكير الدينى الإنسانى . أما من ناحية التفكير السياسى والعسكرى ، فان الدولة الجديدة التى قامت فى جزيرة العرب بظهور الإسلام، كانت تحيط بها دول كبرى تتحكم فى مصير العالم وتتنازع السيطرة السياسية والاقتصادية فيه ، فقد كانت الامبراطورية الفارسية تقوم على الجانب الشمالى والشرقى للجزيرة العربية ، ودولة الروم (الامبراطورية البيزنطية) تقوم على جانبها الشمالى والغربى ، وبين الدولتين صراع شديد امتد زمناً طويلا تخللته حروب دموية رهيبة . وقد وقعت أطراف الجزيرة العربية فى مجال هذا العراك الدولى ، بل كانت هذه الاطراف مسرحا للصدام المسلح بينهما ، ولم ينج داخل شبه الجزيرة من محاولات الامبراطوريتين لإخضاعه ، ولم يحمه من الخضوع المباشر إلا طبيعة أرضه الصحراوية التى كان يصعب على جيوش الدولتين اجتيازها ، فضلا عن قلة خيراتها . وقد خضع لنفوذ الدولتين من كان يجاورهما من قبائل العرب فى بادية العراق وبادية الشام ، كما خضعت اليمن التى كانت المفتاح الجنوبى لطريق التجارة العالمية الواردة من المشرق ، وقد استخدم الفرس والروم هؤلاء العرب فى حروبهم ، وسخروهم لتحقيق مصالحهم ، ولكنهم حين رأوا منهم قدرة على النهوض وميلا للاستقلال ضربوا ممالكهم ، فحول الفرس مملكة الحيرة إلى ولاية فارسية بعد أن قتلوا ملكها النعمان بن المنذر ، كما حول الروم مملكة غسان الى ولاية رومية ، وسقطت اليمن تحت حكم الاحباش حلفاء الروم ، ثم استغل الفرس الثورة الوطنية التى قام بها سيف بن ذى يزن فحولوا اليمن الى ولاية فارسية بعد موت سيف .

وحين أرسل النبى صلى الله عليه وسلم رسله الى الملوك بدأت الدولتان تنظران بعين الحذر الى قيام الدولة الاسلامية فى الحجاز ، وتراقبان تقدمها وتسعيان الى الحد من سلطانها . فأما كسرى فارس فقد أرسل الى نائبه على اليمن (باذان) يأمره بأن يأتيه بذلك الرجل الذى ظهر فى الحجاز ، ولم يمنع كسرى من إرسال حملة لضرب الدولة فى الحجاز إلا أن الاضطراب الداخلى الذى كانت تعانيه دولته ، والذى كان من نتائجه قتل كسرى نفسه فى ثورة قام بها عليه ابنه ، ثم اسلام باذان لادراكه اضطراب أحوال الفرس وشعوره بقدرة الدولة العربية الناشئة على النمو . وأما قيصر الروم فان

عماله قد بدأوا يتحرشون بحدود الدولة الاسلامية فى شمال الحجاز ، وأخذوا يستعدون لضربها ، الامر الذى جعل النبى عليه السلام يوالى توجيه الحملات الحربية للمحافظة على حدوده الشمالية ، فأرسل حملة الى مؤتة على حدود بادية الشام قاتلت جيوش هؤلاء العمال ، ثم قام بنفسه على رأس حملة كبيرة الى تبوك حين بلغته أخبار حشود رومية لغزوه ، ولكنه لم يتجاوز حدوده وعاد حين لم يتقدم العدو لقتاله ، وقد ظل أمر هذا الحد الشمالى يشغل باله حتى أعدّ حملة أخرى لتأمين هذا الحد بقيادة أسامة بن زيد ، ولكنها لم تنفذ إلا بعد وفاته .

لم يتعد هدف النبى السياسى حدود الجزيرة العربية نفسها طوال حياته . وظل هذا الهدف هو هدف الدولة الاسلامية بعد وفاته ، حتى تطورت الظروف الى توسيع هذا الهدف ، فان الخليفة الأول أبا بكر الصديق رضى الله عنه حين أرسل جيوشه لحرب المرتدين ، ولتطبيق « بيان براءة » وهو استبراء العرب من الوثنية استبراء تاما ، كان الهدف واضحا وهو ضم العرب فى أطراف الجزيرة الى الدولة ، حتى تتم الوحدة العربية وحتى تستقر الدولة فى حدودها الطبيعية . ولكن الدولتين الكبيرتين لم تسمحا للدولة الناشئة باستكمال هذا الهدف الطبيعى بل أخذتا فى مناوأتها مما أضطر الجيوش الاسلامية الى الاشتباك معهما . ومع هذا الاشتباك فان الهدف السياسى للمسلمين ظل هدفا اقليميا ، لم يتخطوه الا مضطرين . وحين تقدمت جيوشهم لتزيل التهديد الفارسى الرومى عن الحدود ، لم تفكر فى اجتياز الحدود العربية الطبيعية .

فإنها حين تقدمت نحو الشام إنما تقدمت فى المنطقة العربية الغسانية ، ولم تتجه الى ما وراءها ، فلم تتجه الى فلسطين أو الى سورية ، وانما اتجهت الى « بُصْرى » عاصمة الغساسنة . لكن الروم تصدوا لها فاضطرت الى الاشتباك معهم فى معركتين صغيرتين هما معركة « داثن » ومعركة « العربة » فلم يكن انحراف الجيوش الاسلامية الى هاتين الجهتين انحرافاً مقصوداً ، وإنما كان انحرافاً اضطرارياً لمواجهة التجمعات الرومية . ثم حشدت الامبراطورية الرومية حشودها لقتال العرب ، فاضطر هؤلاء لمواجهة هذه الحشود فى أجنادين سنة ١٣ هـ . وحين علم أبو بكر بخبر هذا الاستعداد الرومى قال : « يا هادى السبيل ، انه الفجر أو البجر » وهذه الكلمة توضح سياسة العرب توضيحاً تاماً وتبرز موقفهم ، فان الهدف كان إقليميا مشروعا ، لضم العنصر العربى من ناحية ولتأمين الحدود من ناحية أخرى . ولكن الامر تطور بحيث أصبحت الدولة فى موقف جديد لم تستعد له ولم ترسم له خطة واضحة ، ولذلك يقول أبو بكر : « يا هادى السبيل !! » ثم هو يقدر خطورة الموقف فيقول انه سوف يتفتح عن فجر جديد بالنسبة للدولة الجديدة ، أو أنه سيؤدى الى الدمار لو تراجعت ، فان العدو سيتعقبها ليقضى عليها ، وبهذا الإدراك دخلت جيوش المسلمين هذه المعركة ، فلما انتصروا على الروم فى أجنادين كان لزاما عليهم أن يكملوا الموقف أو يعودوا لمواجهة هذا التهديد الخطير .

وفى جبهة العراق كان الموقف كذلك ، فان الجيوش العربية كانت تتجه لهدف إقليمى ، وكانت دوافع هذا الهدف قديمة ترجع الى أيام إسقاط مملكة الحيرة وصدام العرب مع الفرس فى معركة ذى قار سنة ٦١٠م . وقد ظل عرب منطقة الخليج وبادية العراق فى صراع مع الفرس منذ ذلك الحين ، وكان

يتولى الاشتباك مع الفرس ، بعد قيام الدولة الاسلامية وتثبيت دعائمهما بعد القضاء على تمرد المرتدين ، رجال من عرب هذه المنطقة وعلى رأسهم المثنى بن حارثة الشيبانى وهو من زعماء بكر بن وائل الذين اصطدموا بالفرس فى ذى قار . والمثنى بن حارثة ومن معه من زعماء القبائل العربية هم الذين طلبوا من الدولة العربية الاسلامية فى أول عهد أبى بكر ، وكان لزاما على الدولة أن تقف الى جانب حركة التحرر العربى فى منطقة الخليج والعراق لضمهم الى دولة العرب من ناحية ، ولتأمين الحدود من غارات الفرس من ناحية أخرى . وكان عمال الفرس يتحفزون لقتال العرب وسحق حركة النهضة فيهم . فلما انتصر العرب على الفرس اكتفوا بضم العراق العربى ، ومنع الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه جيوشه من دخول إقليم فارس ، بل وقف بها عند الحدود العربية الطبيعية ، واعتبر الجبال الفاصلة بين العراق وايران حدا طبيعياً تكتفى الدولة بالوقوف عنده . وقد عبر الخليفة عمر عن هذه السياسة بقوله : « وددت أن هذا الجبل من نار ، فلا يجوزنه إلينا ولا نجوزه إليهم » . ولكن الفرس أخذوا يجمعون جموعهم لإزالة العرب . ولو قدر لهم أن ينتصروا عليهم ، لما وقفت جيوشهم دون القضاء التام على دولتهم . وأمام هذا التهديد الفارسي تقدمت الجيوش العربية ففتحت فارس كلها ، كما فعلت فى الجبهة الرومية أمام التهديد الرومى فتحت الجزيرة وفتحت مصر .

(٣)

من كل ما سبق نرى أن الفتوح الإسلامية كانت حركة سياسية وحربية اضطرارية دُفع إليها العرب بحق حماية النفس المشروع من ناحية ، وهى حين انتصرت فى الحرب لم تستبد بالشعوب وإنما أنهضتها ، وأسلمتها فى آخر الأمر زمام القيادة فى العالم الجديد كله . فلم تكن الحركة الاسلامية حركة بربرية اكتساحية كحركة المغول أو حركات الجرمان تدمر المدن والحضارة وتفتك بالشعوب ، وكذلك لم تكن حركة استعمارية كما عرف العالم من حركات الاستعمار تستغل ثروات الشعوب وتعمل على تمزيق وحدتها .

ولكنها كانت حركة حضارية إنسانية حملت فى طياتها مبادىء إنسانية سامية ، أقرتها بين الشعوب التى خضعت لها ، وقدمت للشعوب فيها نوعاً من التحرر الإنسانى للأفراد وللشعوب على حد سواء ، فأزالت عنها ما كان يسودها من نظم ظالمة قاسية وممن كانوا يحكمونها على شريعة التأله والعسف والطغيان .

والامبراطورية الإسلامية لم تكن كالامبراطوريات التى عرفها التاريخ ، تخضع الناس لشعب واحد وملك واحد يحكمها بقوته ويسيطر عليها بجبروته ، وإنما كانت عصبة أمم إسلامية ، تسعى لغرض انسانى بالغ غاية السمو ، غايتها أن يعيش الناس أحرارا تربط بينهم روابط المحبة والرحمة والعدل . وفى ظل هذه العصبة الاسلامية نهضت الشعوب وبرزت مواهبها ، وحتى الشعوب المتبربرة استطاع العالم الاسلامى أن يدخلها فى نور الحضارة وأن يبرز قدراتها ، واستطاعت فى خلاله أن تصل الى مراكز الصدارة فى الحكم والسياسة . وكان مقر الخلافة فى هذا المجتمع الاسلامى هو مقر العصبة ، ولم تستأثر الخلافة بالسلطة الروحية ، كما لم تستأثر عاصمتها بالعلم ونوره ، فقد كان المسلمون لا يعرفون سلطة روحية غير أمر الله تعالى ، وكانت العواصم الاسلامية كلها عواصم للعلم والفن والنشاط المادى للحضارة .

هذا تقديم لحركة الفتوح الإسلامية ، نأمل أن نعود لتفصيلها فى مقالات لاحقة إن شاء الله .

حق الطلاق

للشـيخ : على الخفيف

الزواج كما وصفه الله سبحانـه وتعالى فى كتابه الحكيم ميثاق غليـظ بين الزوجين ، أخذه كل منهما مـن صاحبه ، فكانت له به حقوق قبله ، كما وجبت عليه واجبات لـه ، دون مجافاة لما هو خير ومعروف ، وفـى ذلك يقول الله تعالى فى كتابه « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجـال عليهن درجة والله عزيز حكيم » ، وتلك درجة القوامة التى حملوها ، حتى لا يثقل على النساء عبؤها ، ولا ينؤن بأوزارها ، وكان فى هذه الحقوق وتلك الواجبات ، قيام حياة الزوجين ، واستقامة أمورهمـا ، وسـداد عوزهما ، وقوة رابطتهما ، وكمـال تراحمهما وتعاونهما ، وتمكين المودة بينهما ، وسكن كل منهما الى الآخر ، كما كان لكل ذلك آثاره الكريـمة ، وثمراته الطيبة فيما للزوجين من أولاد وحفدة ، وأسر وأقارب ، اذ تمتـد اليهم روافده وتزدهر فيهم ثمراته ، فيورثهم ذلك الفا ومودة وتعاونـا ورحمة ، وقوة ووحدة ، ولذلك أثره فى بناء مجتمع سليم ، واقامة حياة انسانية كريمة .

والزواج كحافز ووسيلة ، يرتبـط أشد الارتباط بثراء الأمة واقتصادها ، وقدرتها على العمل ، واستمتاعهـا بالوجود المثالى الكريم ، القائم عـلى التعاون والتماسك ، البعيد عـن الانحلال البرىء من الوهن والتنافر ، ذلك لان سلامة البناء وبقاءه وقوتـه واحتماله ، رهن بسلامة لبناتـه وقوتها ، واسـتقرارها وشـدة ترابطها ، وليس لبناء المجتمع لبنـات سوى أسره .

ذلك ما للزواج من مكانة ، وما له من أثر فى الحياة الانسانية ، ومآثر فى الاولاد والاسر والاقـارب والمجتمع ، ولهذا امتن الله به عـلى عباده ، وجعله آية من آياته ، فقال تعالى : « هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسـكن اليها » وقال : « ومن آياته أن خلـق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » كما أمر به فى كتابه وجعله سنة هداية لرسله حتى يكون للناس بهم فيه قدوة فقـال تعالى : « وأنكحوا الأيامى منكـم والصالحين من عبـادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله » .

وقال تعالى : « ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية » ثم لم يعن جل وعلا فى كتابه بأمر بعد عقيدة التوحيد عنايته بأمر الزواج وما يتصل به ، فبين نظامه ، وفصل أحكامه ، وذكر حقوقه وواجباته بما يحفظ له ما أراده له الحكيم العليم ، من الدوام والصيانة من تقلبات الأهواء ومنازعها ، ونزعات النفوس السيئة الجامحة وهواجسها ، وما يجنبه أسباب الشقاق والبغضاء ، ومثار الخلاف والنزاع ، مما يعوقه عن أن يحقق ما لأجله شرع وطلب ، وما يرجى منه من خير وصلاح ، فكانت هذه هى حدود الله فيه التى حض على التمسك بها ، والتزام متطلباتها : « ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه » ، « ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون » .

تلك هى شرعة الله فى الزواج ، فاذا انتهى الامر فيها لسبب من الاسباب الى انهيارها ، فتعرت عن خصائصها ، وفقدت أغراضها ، وانحرفت عن أهدافها ، وحيل دون اقامة حدود الله فيها ، انتكس وضعها ، وساء حالها ، وأدت الى عكس ما يطلب منها ، وأصبحت جحيما يصلى بناره الزوجان ، ويشقى به أولادهما وذوى قرابتهما . وصدعا كبيرا فى بناء الأمة ، ومرضا أليما فى جسمها ، موهنا لقوتها ، ومفسدا لسلامتها ، ولم يكن من الجائز بقاؤها ، ووجب عندئذ انهاؤها قطعا لشرورها ، ودرءا لمفاسدها ان لم يمكن علاجها واصلاحها .

وفى هذا ولأجله شرع الله الطلاق ، فكان شرعه جلبا لمصالح أريدت منه ، ودرءا لمفاسد كان فيه الخلاص منها ، ولم يكن شرعة عقوبة وانتقاما ، ولا تسلطا واستذلالا .

انه ليس بالرأى السليم ، ولا بالأمر المشروع الذى حددت حدوده ، وفصلت أسبابه ان يترك أمر الزواج فى بقائه واستمراره ، وقيامه لتحقيق اغراضه الى اهواء جامحة . وشهوات عارمة ، وغضب طائش ، او اضطراب نفسى ، أو انفعال وقتى لاسباب طارئة وظروف مفاجئة ، ليس لها بقاء ، ولا تقوم على أسباب معقولة ، ولا ترتد الى دواع مقبولة ، ليكون فى مهب رياح عاصفة تعصف به ، فتودى بوجوده ، وتذهب بمصدر المودة ، وتقطع سبب الرحمة . وتقضى على مبعث التعاون وملاذ السكن ، وهو ما امتن الله به ، وجعله للناس آية ورحمة ، دون أن يكون له من ذلك وقاية ولا عاصم ، وذلك ما لا يتسق مع شرع الزواج ، وما قصد منه ، وما يختلف عنه فيما يمكن أن يكون غرضا له وهدفا ، وتلك آية خطره وانتفاء شرعه ، فانه لا اختلاف ولا تعارض ولا تناقض فيما يشرعه الحكيم العليم .

ليس الزواج الا عقدا بين الزوجين ، لا ينشأ ولا يتم الا باتفاقهما وارادتهما ، وشأنه فى ذلك شأن أى عقد لا يقوم الا بارادة طرفيه ، واجتماع رأيهما عليه ، واذا كان المبدأ العام المقبول عند ذوى العقود السليمة أن العقد وقد ترتب عليه لكل طرف من طرفيه قبل صاحبه حقوق وواجبات أقرها الشارع الحكيم ، وأوجب تنفيذها ، وألزم القيام بها الا ينفرد أحدهما بفسخه ، وبخروجه عن التزامه وابطال حقوق صاحبه ، اذ لا سلطان له عليه ، وفى حد اقدامه على ذلك اعتداء بين ، فذلك ما كان يجب فى الزواج ، وبخاصة اذا لوحظ أنه ليس كغيره من العقود من ناحية ما يترتب عليه كذلك من حقوق وواجبات لغير طرفيه ، يجب احترامها والمحافظة عليها ، غير أنه وقد تعرض له من العوارض النفسية والخارجية ما

يجعله وبالا وجحيما لطرفيه ، ويفقده أغراضه ومزاياه ، ويجعل بقاءه مصدر افساد ، ومبعث اضطراب ونزاع قد يؤدى بسلامة الأسرة ، ويهز من كيان الأمة ؛ فان الشارع قد رأى علاجا لهذه الحال ــ وقد لا يكون من الميسور اتفاق طرفيه على فسخه ــ ان يستثنيه من هذا المبدأ ، وأن يجعل فسخه بارادة أحد طرفيه ، وقضت ارادة الحكيم العليم أن يناط بارادة الزوج ، لما له من تفوق فى الروية ، وقلة انصياع للعواطف والأهواء ، وقلة متابعته للأغراض الوقتية ، ولبصره بالعواقب ، والتزامه بما يترتب عليه من حقوق وواجبات ، ولما للرجال من القوامة على النساء ، حتى لا يلجأ اليه الا حيث يتعين أن يكون هو الملجأ الذى يوجب الشرع الالتجاء اليه ، وايقاعه بارادة الزوج وحده ، ولم يجعل الشارع هذه الارادة مطلقة ، بل قيدها بقيود شرعها حين تدعو داعية المصلحة الى استعمالها ، وهى قيود عديدة أشار اليها فى كتابه الحكيم ، وسماها حدودا له فقال : « تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون » وقد بينها وفصلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله وفعله وقضائه ، وأهمها ما أوجبه الله سبحانه وتعالى عند خوف الشقاق والنزاع من بعث الحكمين اذ يقول : « وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا » وهو أمر منه تعالى موجه الى الأمة وأولى الأمر فيها ، لمجيئه عاما مسندا الى جميع المخاطبين ، اذ يقول : فابعثوا .

ولما كان تقدير الأحوال والظروف الموجبة للطلاق ، أو المسوغة له شرعا ، الى نظر الزوج وحكمه بسبب ان الطلاق اليه وحده ، وقد يخطىء فى تقديره فلا يتانى فى ايقاع الطلاق . حذره الشارع من ذلك ، ورغبه فى الصبر والمعاشرة بالمعروف . فقال . « وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » .

كما حذر الزوجة من ان تميل الى الطلاق فتطلبه ، او تأتى من الامر ما يدعو اليه ، فقال : « وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير » وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان الطلاق حين يكون حلالا فى نظر الزوج وتقديره فهو أبغض الحلال الى الله تعالى ، فكيف اذا كان محظورا لا تدعو اليه حاجة حقيقية .

اذا كان الطلاق بارادة الزوج مقيدا غير مطلق ، كما بينا فاقدام الزوج عليه فى حال لا تبرره ولا تسوغه شرعا ، ولا تتوافر فيها شروطه التى أشار اليها الله تعالى فى كتابه ، اعتداء بين وعصيان ، ومخالفة لأمر الشارع الحكيم ، وهو عند ذلك معصية لم يقدر لها الشارع عقوبة ، وكل معصية هذا شأنها يجوز التعزير عليها شرعا .

إن جعل الطلاق بارادة الزوج وحده ، واعتباره حقا له لا يعنى أنه مختار فيه ، ولا يتعارض مع تقييده بما أشرنا اليه ، فهو الى الزوج وارادته ، حيث تتوافر شروطه ومبرراته ، وليس له حيث لا تتوافر هذه الشروط ، ولا يعنى الا أن ايقاعه ومباشرته يكون اليه ، لا الى غيره حيث تدعو الداعية اليه .

لقد شرع الشارع الطلاق علاجا اجتماعيا ، ونظاما طبيعيا ، لتلافى أمراض اجتماعية خطيرة ، وقاية من شرورها المستطيرة ، وضررها الأليم ، وشرها الماحق المزق لأوصال

الأمة ، المفرق لجماعتها ، ولكـــن تركــه بارادة الزوج وحده دون قيد كما هو واقع فى أكثر البـــــلاد الاسلامية ، يسر لمن لا ثقافة له مـــن الجهلاء والحمقى ، وأرباب الهـــوى الغارقين فى الشهوات ، أن يقدمـــوا على الطلاق بلا روية ولا نظر ، ولا تدبر فى العواقب ، فانقلب داء ــ وقد شرع دواء ــ وذلك للاقدام عليه فى غير وقته ، واستعماله فى غـــير موضعه ، حتى أصبحت مشكلـــة الطـــلاق من أكبر المشـــكلات الاجتماعية ، وأعظم المعضـــلات العصريـــة ، ومحل بحـــث بين الاجتماعيين ، ونزاع وخلاف بيـــن المتشرعين ، فى سبيل الوصول الـــى علاج حين غاب عنهـم ســـبيلـه المستقيم ، وغفلوا عن كتابهم المبين ، وما تضمنه من حدود ، وما قدر مـــن قواعد وأصله من أصول .

لقد كان الطلاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعهـد أبى بكر ، وسنتين من خلافة عمـر رضى الله عنه طلاق الثلاث واحـده ــ كما روى ابن عباس رضى اللـه عنه ــ غير أن الناس قد تتابعوا فى الطلاق ، وتعجلوا فتجاوزوا حـدود اللهفيه ، وطلق بعضـــهم مرتين أو ثلاثا فى عدة واحدة ، أو بلفظ واحد ، وكثر ذلك منهم ، ظنا منهم ــ فيمـا أرى ــ أن الطلاق تصرف وكل اليهم ، ونيط بارادتهم ، فكان لهم أن يستعملوه كما أرادوا ، فيكون طلاقا معتبرا فـى وقوعه وفى عدده ، فلما رأى ذلـك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، عده خروجا عن حـدود الله ، وعصـيانا لما شرع اللـــه ، فاستشار الصحابة وقال : ان الناس قد استعجلوا فى أمر قد كانت لهـم فيه أناة فلو أمضيناه عليهم ، فلمـا وافقوا امضاه عليهم ، وقال : أيهـا الناس قد كان لكم أناة فى الطلاق ، وانه من تعجل اناة الله فى الطـلاق ألزمناه اياه ــ فالزمهم اياه ، ولكن بحكم السياسة الشرعية ، والنظـر الاجتماعى ، ومراعاة للمصلحـــة العامة ، وذلك ما جعله الله لأولـى الأمر من المسلمين ، وقد أراد عمـر أن يمنع الناس بذلك من الاسترسال فى الطلاق ، ومن التعجل الى بـت الفراق ، فمنع المطلق ثلاثا من مراجعة مطلقته بارادته فى العدة ، بل ومـن أن يتزوجها الا بعد أن تتزوج غيره ، بزواج جديد ، وكان ذلك ــ فيمـا أرى ــ الزاما من ولى الأمـر بطريق السياسة الشرعية ، لا حكما بوقوع الطلاق ثلاثا كما أراد المطلق ، انـه لا يملك عمر ولا الأمة جميعا ، تغيير حكم شرعه الله فى كتابه .

واذا كان هذا فعل عمر ، وما رآه علاجا فى طلاق تعدى فيه المطلـق حدود الله ، أفلا يكون من حق ولـى الأمر بطريق أولى أن يضع قيـودا يحول بها دون ما فشا وانتشر مـن إقدام النـــاس على التطليق لغير موجب ، وفى غفلة من الزوجـة ، ولغير سبب يتصل بها ، أو حـدث على علم به منها ، وهـــو ظلـم وعصيان ، وايذاء وطغيان ، وجناية على الزوجات والأولاد ، وعلى الأمة جمعاء .

لقد ظهر مما ذكرنا أن الطـــلاق لغير سبب يوجبه شرعا ، أمـــر محظور ، أو أنه اعتداء وخروج على حدود الله ، وعصيان لأمره ، أفـلا يكون من حق ولى الأمر بل من الواجب عليه وقد أمر بتغيير المنكر ، ومنـع الجريمة ، ودفع الضرر أن يشرع مـا يحول بين الأزواج واقدامهم عـــلى هذه المعصية ، وأن يضع من القيـود ما يمنع من وقوع هذه المعصية ، بما لا يمس ما للزوج من حق مباشرتـه الطلاق عند توفر الأسباب الشرعية التى تسوغ له الاقدام عليه .

ليس فى كتاب الله ، ولا فى سنة رسوله ما يمنع من هذا الاصلاح ، بل هو أمر مطلوب شرعا من ولى الأمر ، فالدين يدعو الى منع المعصية ما أمكن المنع ، بل قد يرى بحق أنها معصية تستوجب تعزير من يقدم عليها — غير أن ذلك قد يكون من الناحية العملية مؤديا الى ضرر من المصلحة تجنبه ، وهو اشاعة أسرار الأسر ، وخفايا البيوت ، وما قد يتصل بذلك من اختلاق الأسباب ، وافتراء الكذب باشاعة الفحشاء والعيوب ، وغير ذلك مما ينبنى عليه طلب الطلاق ، وذلك ما يدعو الى تفاقم النزاع واشتداد البغضاء ، ولهذا يكون من المصلحة تجنب ما يثير ذلك ، ويكفى فى الوصول الى الغاية المرجوة أن يكون العلاج بوضع تشريع يوجب على الزوجين اذا ما أريد الطلاق الرجوع الى القاضى ، ليقوم بينهما بما أمر الله به فى كتابه من محاوله الصلح بينهما ، وازالة أسباب الخلاف بالحكمة والموعظة الحسنة ، حرصا على بقاء الأسرة ، ومحافظة على ما ترتبط به من المودة ، وما يصدر عنها من رحمته ، وما ينجم عنها من صلة ، وليقوم اذا لم تفد عظته ، ولم ينجح ارشاده بانفاذ ما أمر الله به من بعث الحكمين ، حتى اذا كان من نتيجة ذلك اعادة الوفاق والمودة ، وتمام صلاح النفوس ، وسلامتها فذلك من توفيق الله وهداه ، والا أذنه بالتطليق بحسب ما تقضى اليه الأمور بينهما من تبين مصدر الاعتداء ، ومبعث النزاع والخلاف ، وأيهما كان ظالما لصاحبه وما يترتب على ذلك من أحكام — فاذا أقدم الزوج على التطليق قبل أن يتمكن القاضى من ذلك فطلق عوقب لمخالفته أمر ولى الأمر فيما أصدره من قانون ملزم لجميع الأفراد — وليس فى عقاب من خالف أمر ولى الأمر مخالفة لشرع الله تعالى ، فان أمره واجب الطاعة حين يكون الباعث عليه المصلحة لقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » .

وقد عالجت بعض الحكومات الاسلامية هذه المشكلة فذهبت حكومة الى فرض قيود على من أراد التطليق ، توجب عليه أن يذهب الى القاضى يطلب إيقاع الطلاق ، والحصول على حكم به ، فاذا تعذر عليه ذلك وجب عليه تسجيل الطلاق بالمحكمة خلال مدة العدة ، وذهبت حكومة أخرى فى معالجته الى سن قانون يقضى بأن الطلاق لا يقع الا لدى القاضى ، ولم تذهب حكومه الى اشتراط صدوره من القاضى وعدم وقوعه الا منه ، وذلك ما يوحى بأن العلاج بطريق التقييد هو ما يمكن الالتجاء ، حتى لا يمس ما للشارع من أصول ومبادىء فى صدده ، وذلك ما لم يلتفت اليه من يطالب الآن من الزوجات بأن يكون الطلاق بيد القاضى وحده ، غير آبه بما عليه المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها منذ ظهر الاسلام الى الآن ، من أن الطلاق بارادة الزوج وحده ، وأن ذلك هو ما شرعه الاسلام وسنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو طلب يقوم على شطط فى الرأى ، وتنكر لما يجىء به الدين — ذلك ما أردنا بيانه فيما تعالج به مشكلة الطلاق فى البلاد الاسلامية الآن ، وأن المعالجة بالالتجاء الى وضع القيود بما لا يعارض كتابا ولا سنة هو العلاج الصالح المقبول ، الذى لا تأباه قواعد الشريعة وأصولها ، وبه يتقى ما قد يجره التطليق عن رعونة أو طيش ، أو سوء ظن وتقدير ، أو شهوة دنيئة من شرور واضرار تلحق بالناس ، والله الموفق لما فيه السداد والصلاح .

تماسك الأسرة وصلاحها رهن بسياستها

تنظر الشريعة الاسلامية الى الاسرة ، على أنها روح المجتمع وعموده الفقرى ، فكل ما يتمتع به المجتمع من مظاهر الصلاح والخير والتماسك ، أو يعانيه من بلاء الفساد والشر والتفكك ، انما هو انعكاس مباشر لحال الاسرة ونظامها .

ولا نستطيع أن نعتبر هــذه النظرة ، مزية اختصت الشريعــة الاسلامية بها ، بل هى نظرة علماء الاجتماع والتربية والقانون . ما منهم الا من أيقن أن ينبوع الصلاح والفساد فى المجتمع انما يبدأ من الاسرة .

ولكن هــذا لا يعنى أن المجتمع لا سلطان له على الاسرة بأى تأثير أو تسيير . بل ان المجتمع — رغم ما ذكرنا — يعتبر هو المسؤول عن كثير من المناهج والاوضاع التى تنصاع لها الاسرة دون ارادة او اختيار منها . ولا تملك الاسرة فى هذه الحال الا ان تنتقم من المجتمع الذى أكرهها على تلك الاوضاع بأن ترد اليه ثمارها ونتائجها ، متكاثــرة ومستفيضة فى كل جوانبه وجهاته .

فبين الاسرة والمجتمع تفاعل متبادل ، كما يقول غوستاف لوبون ، فى كتابه روح الاجتماع . ولكن ما من ريب أن أثر الاسرة فى المجتمع أقوى وأشد ، من حيث الاسبقية فى الزمن ومن حيث مقومات التأثير .

المالية كما رسمتها الشريعة الإسلامية

للأستاذ محمد سعيد رمضان البوطي

ولقد حرصت الشريعة الاسلامية على أن يكون التفاعل بينهما جاريا فى سبيل مصلحة كل منهما . وأقام ضمانة ذلك بتسيير كل منهما وفق مبادىء واحدة وضمن سياسة لا تختلف .

فنظام القوامة فى الشريعة الاسلامية واحد فى كل من المجتمع والاسرة .

ونظام الانفاق ومسؤولياته واحد أيضا فى كل منهما .

والاسس والاهداف التربوية التى يؤخذ بها المجتمع هى عين الاسس والاهداف التى تؤخذ بها الاسرة .

ثم نظر الى ما للاسرة من أهمية ذاتية فى تكوين المجتمع ونسج خلاياه المتفرقة ، فحشد لها طائفة كبيرة من القوانين والنظم الواسعة التى تحيط بالضبط والتنظيم كل شؤونها وهى قوانين لا تجد ما يشبهها فى الاتساع والشمول عند أرباب أى حضارة أخرى غير حضارة الاسلام .

فنظام الزواج والطلاق والحضانة والوصية والميراث والانفاق والتربية وآداب البيوت ــ كل ذلك بشموله وتفصيله المعروفين فى مصادر الفقه الاسلامى ، شىء لم تعرفه أى النظم والقوانين الوضعية الاخرى .

غير أن النظام المالى بخصوصه ــ ونقصد به ما يشمل الانفاق

والميراث — يعتبر اهم ضمانة فى اقامـــة صرح الاسرة على نحو يكفـــل تكوين مجتمع صالح متسم بالقيم وأسباب التماسك والقوة .

ذلك لان هذا النظام ينبع من مراعاة أسس بالغة الاهمية والخطورة فى حياة الاسرة والمجتمع ، وينتهى الى انتاج قيم ومبادىء بالغة الاهمية والخطورة فى كل منهما ، وتنشأ عن معاكسته واهماله أوضاع بالغة الضرر فى كل منهما أيضا .

وربما كان أهم مظاهر الفـــرق بين الاسرة الاسلامية الصالحـــة المتماسكة والاسرة الغربية الفاسدة المتفككة ، وليد مراعاة هـــذا النظام أو اهماله .

ويتمركز النظام المالـــى فى الاسرة فى محور ذى أهمية كبرى ، هو التمييز الخطير الذى وضعه الشارع بين الذكر والانثى فى مجال الكســـب والانفاق . فقد قضى بأن يكون الاول منهما هو المسؤول عن الانفـــاق وسياسته ، مهما كان اسمه فى تكوين الاسرة ، ومهما كان اسمهـــا . فالرجل ، زوجا كان أو أبا أو أخا كبيرا أو عما ، هو المسؤول عن الانفاق ، ضمن حدود وترتيب وضوابط معينة . والانثى ، زوجا كانت أو بنتا أو أختا أو حفيدة لا تعتبر مسؤولة عن اعالـــة أحد من أفراد الاسرة ، اللهم الا فى حالات شاذة نص عليها الفقهـــاء ، فان الضرورة تقضى عندئذ بأن تقوم هى بهذا العبء ، ريثما تنتظم الاوضاع فى مجراها الطبيعى . وليس من مظاهر هذه الضرورة — على كل حال — حال الزوجة الغنية ، فانها لا تكلف بالانفاق على زوجها مهما كانت من الغنى ومهما كان هو من الحاجة والفقر .

ويتبع هـــذا التنظيم الاساسى تلك التنظيمات الفرعية الاخرى التى تعتبر تابعة له دائرة حول محوره . فتوزيع الميراث على أساس من جعل نصيب الذكر مثل حظ الانثيين ، وجعل المهر من مسؤوليات الزوج وحده ، واناطة القوامـــة والاشراف على الاسرة بالزوج أو الاب من دون بقية الاعضاء الاخرى ، والنظرة الشرعية العامـــة الى انطلاق المـــرأة فى ميادين العمل الى جانب الرجل — كل ذلك تابع ضرورى للمحور الاساسى المذكور .

ومن هنا نعلم أن النقاش اذا كان لا بد أن يجرى فى شىء من هـــذه المبادىء والاحكام ، فينبغى أن يتمركز فى مناقشة هذا النظام الاساسى ، لا فى مستلزماته من تلك الفروع الجزئية الاخرى .

فلنتساءل اذا : لماذا ميزت الشريعة الاسلامية بين كل من الرجل والمرأة هـــذا التمييز ، ولماذا لم يكن حق الكسب وواجب الانفاق أمرا مشاعا بينهما ؟

والجواب ان مرجع ذلك الى مبدأ جوهرى لا تتكون حقيقة الاسرة الا به ، ولا تستمر حياتها الا بحراسته ورعايته . هذا المبدأ هو تنظيم المسؤولية حيال توالد الحياة واستمرارها المتمثلين فى حلقات النسل المتتابعة ، خلال مسيرة الحياة التى أقامها الله عز وجل .

لا بد من قانون تنتظم بموجبه رعاية هؤلاء الوافدين ، ومن دونـــه

ـمحق الرعاية ، ويضيع ابسط واخطر مقومات الحياة الطبيعية فوق هذه الارض .

وأول شرط لوجود هذا القانون وفعاليته ، هو تنظيم اللقاء الجنسى ، الذى جعله الله تعالــى الشرط الوحيد لاستمرار الحياة . فكل رجــل وامرأة ، يعهد اليهما بمسؤولية الرعاية لتلك اللبنات التى أسهما فــى تقديمها لاقامـــة صرح الحياة . وبدءا من هذه المسؤولية الكبرى تتوالد حلقات المسؤوليات الفرعية الاخرى المترتبة عليها .

فالزنا جريمة فى حق الحياة والنسب امتياز قانونى واجتماعى ، والولد للفراش الذى ولد عليه وليس للعاهر المستولد أى حق فى الامتلاك أو الالحاق . والحياة الاجتماعية ينبغى أن تكون عونا لتطبيق هذه الشرعة لا حربا عليها أو عقبة فى سبيلها . فالاختلاط بين الرجل والمرأة لا ينبغى أن يكون الا فى ظروف معينة وضمن حـــدود مرسـومة ، والستر والاحتشام فريضة لا مناص منها للمرأة ، والرجل منهى عن أن يطلق نظره فى وجوه الاجنبيات عنه من النساء .

ولكن ما علاقة هــذا المبدأ التنظيمى لبناء الاسرة ، بمسألة النظام المالى فيها والفرق بين الرجل والمرأة فى كل من مبدأى الكسب والانفاق ؟.. وما المانع من أن تكون حقوق الكسب والانفاق مشاعا بينهما ، ثم يلتزمان مع ذلك هذه المبادىء التنظيمية التى تحدثنا عنها ؟!..

والجواب أن بينهما تعارضا يمنعهما من التلاقى والانسجام ، ولكنه تعارض خفى كثيرا ما لا يتنبه له حتى الباحثـــــون والمشرعون والكتاب الاجتماعيون ، رغم وضوح نتائجه وبروزها فى الصعيد الاجتماعى .

وبيان ذلك أن تنظيم اللقاء الجنسى الذى أشرنا اليه ، لا يمكن أن يتم الا بفرض أسس تجعل أحد الطرفين من الرجل والمرأة طالبا والآخر مطلوبا !.. ذلك لان هــذا اللقاء ، بالاضافة الى كونه وظيفـــة اجتماعية كبرى يترتب عليها بقاء النوع ، متعة انسانية هائجة مركوزة فى أعمق النوازع الفطرية لدى كل من الرجل والمرأة . فاذا ترك الطريق مفتوحا أمام كل منهما الى الآخر ، هاج الجنسان الى بعضهما وحطما كلما قد يوضع حولهما من قيود وحـــدود وتنظيمات .

اذا لا بد من ايجاد وضع يجعل من أحد الجنسين غاية مطلوبة مستقرة ثابتة ، ويجعل الجنس الآخر طالبا لتلك الغاية فهو يسعى بكل ما يملــك للبحث عنها والوصول اليها . ومن خلال هذا الوضع يمكن تخطيط السبيل اللائق المشروع واقامته جسرا وحيدا لا سبيل غيره للوصول الى الغايـــة المنشودة . وعندئذ تحشد تلك المبادىء التنظيمية على هذا الجسر ، فلا يستطيع أن يمر الباحث الا من خلالها ، ولا يستطيع أن ينال متعته الا عن طريق الخضوع لها .

أجل .. اذا لا بد من فرض وضع يجعل من أحد الجنسين مطلوبا ، والجنس الآخر طالبا ، فأيهما ينبغى أن يكون المطلوب ، الرجل أم المرأة ؟..
ان الوضع السليم الذى يضمن تنفيذ أصل الغاية ألا وهو تنظيم اللقاء الجنسى ، محصور فى جعل المرأة هى المطلوبة دائمـــا والرجل هو الطالب دائمــا .

ذلك أن المرأة اذا كانت فى وضع يجعلها هى الساعية للبحث عن زوج لها ، فقدت بذلك أخص سماتها الفطرية التى تتعلق بالجنس ، فقد أقام الله تعالى تكوينها النفسي والجسمى على نحو يجعلها متعة للرجل أكثر من أن يكون الرجل متعة لها ، ويجعل سعادتها فى شعورها بأنها كذلك وبأن الرجل منساق للخضوع لهذه الخصيصة التى فيها . ولذلك كان الشأن فى عبارات التودد والحب والاستعطاف أن تأتى من جانب الرجل ، وأن يكون من المرأة تجاه ذلك دلال لا يحد ، وتأثر لا يترامى أو يتهالك .

ومعنى هذه الحقيقة ، ان المتعة التى يجب أن تقابل بثمن عليها (كما ينص عليه القانون الاقتصادى) تتجسد فى جانب المرأة أكثر من الرجل . فأيهما يسعى الى الآخر : المتعة التى لا تبذل الا بثمن أم المستمتع الذى يطالب بالثمن ؟

هذا شيء .

والشيء الثانى أن ضوابط التنظيم المذكور تفقد سلطانها ، بل وجودها ، اذا وجد الرجل أن المرأة تسعى اليه وتتعرض له هنا وهناك .. فأى أمر يدعوه الى أن يلتزم تجاهها بالشروط والقيود المشروعة التى ألمحنا اليها ، وهى تسعى اليه بالعرض والرجاء ؟.. ومتى كان قانون العرض والطلب متفقا مع هذا المنطق المقلوب ؟!..

فى أمريكا وكثير من أنحاء أوروبا نشأت أوضاع فرضت على المرأة أن تكون هى الطالبة للزوج والباحثة عنه فى أغلب الاحيان . فما الذى ترتب على ذلك ؟

من السهولة بمكان أن تعرف الامر الذى ترتب على ذلك ، عندما تعلم كم تسقط المرأة هناك من سقطة ويلهو بها من رجل ، ريثما تعثر على الزوج الذى هو الزوج حقيقة .

الذى ترتب على ذلك ، أن الرجال نظروا ، فوجدوا أن فرص المتعة الخلفية المباحة قد كثرت أمامهم ، بفضل بحث النساء عن أزواج لهن فى المجتمع . وأعجبهم الوضع .. فازدادوا تثاقلا وزهدا فى الزواج ، لتزداد النساء بحثا عنهم وطلبا لهم وسعيا وراءهم .

وهكذا كان سعى المرأة فى البحث عن الزوج أهم سبب من أسباب فقدها له !..

وانتشرت موجة الاباحية لعدة عوامل ، ولكن هذا العامل أهم واحد فيها . وتفسخت الاسرة وتهاوت أركانها لعدة عوامل . ولكن ما من شك أن هذا العامل أخطر واحد فيها . وفقدت المرأة هناك سعادتها اذ فقدت أجمل وأغلى أحلامها وهو الانضواء فى عش زواج هانىء سعيد ، لعدة أسباب ، ولكن هذا السبب فى مقدمتها .

اذا ما من ريب أن ضبط اللقاء الجنسى بين الرجل والمرأة ، لا يتم الا فى أوضاع تفرض على الرجل أن يكون هو الطالب للزوجة وتفرض على المرأة أن تكون هى المطلوبة .

فما هى الاوضاع التى تضمن تطبيق هذا المبدأ ؟

ليس ثمة أى ضمانة لذلك الا فى تطبيق نظام النفقة كما سنته الشريعة الاسلامية .

فالرجل هو المسؤول عن نفقة المرأة سواء كان والدها أو زوجها أو أى قريب آخر لها . والمرأة تأخذ مهرها كاملا من الزوج ، نحلة كما قال الله عز وجل ، وليس على الزوج أن يفرض عليها أى تعاون أو شركة فيه ، فضلا عن أن يحملها — بطريقتما — على أن تتقدم هى بالمهر له . ونتيجة لذلك كان نصيب الرجل من الميراث ضعف نصيب المرأة منه ، لان نصف نصيب الرجل من ذلك ، أو أكثر ، يقتطع منه ، تحت سلطان هذا النظام الالهى ، ليضاف الى نصيب المرأة .

وأثر هذا التنظيم فى حراسة المبدأ المذكور واضح جدا :

فان الشأن — فى المسلمات الاقتصادية — أن الطالب للشىء هو الذى يبذل الثمن ، أى أن الذى يطالب الآخر بشىء يقر بحاجته اليه . وهذا الاقرار يعتبر حجة للآخر فى مطالبته بالاجر أو القيمة . فاذا علم كل من المرأة والرجل ، أن الثانى هو المطالب بنفقات الزواج من مهر وانفاق على الزوجة والاولاد ، لم يكن للمرأة من سبيل عندئذ للتقدم والطلب ، لان طلبها يعنى — حينئذ — اعلان حاجتها الى الزوج ومهره معا ، وهو وضع معكوس فى ميزان تبادل المنافع ، وقانون العرض والطلب . وبذلك ينحصر السعى المادى لاقامة ركن الزوجية فى الرجل فقط ، وعندئذ يسهل حصره فى سبيل الضوابط الفرعية الاخرى التى عددنا طرفا منها .

أما اذا اصطلح المجتمع على أن تكون نفقات الزواج من مهر وغيره شركة بين الزوجين ، أو حقا على الزوجة كما هو الحال فى بعض جهات أوروبا ، فان الامر عندئذ ينعكس بالتدريج : يتثاقل الرجل عن المبادرة الى الزواج ، ويخفى رغبته فى ذلك ، طمعا فى عروض أفضل !.. وتزداد المنافسة بالمقابل من الطرف الآخر ، اذا كان سبيل الفوز بالزوج هو الغنى الاوفر والعروض الافضل ، وتتوالد بعد ذلك النتائج السيئة الاخرى .

ولا تحسبن أنا بهذا نقرر التحذير من أى تعاون مادى يقوم بين الزوجين فى سبيل حياة رغيدة لهما ، بل نقول : ان هذا التعاون مكرمة تدعو اليها الشريعة الاسلامية وتحبذها ، ولكنها تدعو اليها فى النطاق الاخلاقى وفى حدود الرغبة الشخصية التى تتم بعد توفر المحبة والالفة بين الزوجين ، لا على الصعيد القانونى الملزم ، وفيما بين شخصين ليس بينهما من الصلة الا فكرة الاستفادة والانتفاع .

وهنا ينبغى أن نتساءل : ما الذى يدفع الى اشراك المرأة فى نفقات الاسرة ، وكيف السبيل الى جعلها فى مأمن من ذلك ؟

والجواب : ان ثمة أسبابا ، اذا وجدت ، دفعت المجتمع بدون قصد أو شعور الى هذا الوضع الخطير ، وأهم هذه الاسباب اشتراك المرأة مع الرجل فى الكدح من أجل الرزق . فهى عندما تشترك معه ، بل تنافسه ، فى تربية المال وجمعه ، تضيق من سبيل ذلك على الرجل بلا شك . فتضطرب بذلك الصلة بين التزاماته المادية ومجالاته الكسبية ، بسبب ضيق هذا الثانى وبقاء الاول على ما هو عليه . وتتولد من ذلك مشكلة ، بل معضلة ، سرعان ما يبدو لارباب النظر السطحى أن لا حل لها سوى جعل المرأة شريكة مع الرجل فى غرم النفقات كما أصبحت شريكة له فى غنيمة الكسب .

فهذا هو أهم الدوافع الى اشتراك المرأة مع الرجل فى نفقات

الاسرة ، وبالتالى فهو أهم الدوافع الى أن يتحول الامر عن سبيله الطبيعى ، فتصبح المرأة — بالتدريج — هى الباحثة عن الزوج والمبادرة الى طلبه !..

وبناء على ذلك ، فان الضمانة الكبرى لبقاء الامور على نهجها السوى ، هى أن لا تنزل المرأة الى ميدان العمل من أجل الرزق الا فى أضيق الظروف والحدود الضرورية .

ولست أعجب لشيء كعجبى ممن يرفض هذه الضمانة ، ويفضل عليها أن تتقوض الاسرة بكل كياناتها ، محتجا بأن عمل المرأة الى جانب الرجل ، يزيد من الدخل القومى وينشط حركة العمل الاقتصادى ويرفع من انتاج المعامل والمصانع !...

مثل هذا الكلام يقال فى أمة تشكو مصانعها العامرة الوفيرة الفراغ من الايدى التى تديرها ، أو تشكو من أنها لا تجد شابا واحدا يتسكع على ناصية شارع أو يجتر البطالة فى زاوية احدى المقاهى . ومعلوم أن مثل هذه الامة لم توجد بعد حتى فى دول الدرجة الاولى بهذا الاعتبار .

يظن هؤلاء الناس أن المرأة فى أمريكا وأوروبا انما تشترك مع الرجل فى الكسب ، من أجل أن يتعاونا للحاق بالآلة التى لا تتوقف . فيحلو لهم — بناء على هذا الظن — أن يستعيضوا عن واقع ما يعانونه من التخلف والعجز ، بمجرد المحاكاة والتقليد ، حتى فيما هم واهمون فى تصوره وتحليله .

وهذا الظن خطأ من أساسه !..

ان اشتراك المرأة مع الرجل فى مجالات الكسب ، فى أوروبا ، يرجع الى دافعين :

أولهما : تفاقم سلطان الاباحية والمتعة الجنسية ، حتى لم يعد يصبر الرجل عن المرأة ، والعكس ، فى أى طور من أطوار العمل والحياة . فالرجل حريص على أن تكون المرأة الى جانبه فى الوظيفة التى يقوم بها ، والمعمل الذى يشتغل فيه ، والمتجر الذى يتردد عليه ، والمطعم الذى يأكل فيه ، والطريق الذى يسير فيه . وهو بطبيعته وضع شاذ يتسبب فى شقاء الجنسين أكثر مما يتسبب فى اسعاده .

ثانيهما : دافع الشح والتكالب المادى . والرجل الغربى يعانى اليوم من هذا الشح الشيء المذهل العجيب . فرب الاسرة ، لا يرى ما يدعوه للانفاق على ابنته ، طالما يعتقد أنها قادرة على أن تذهب فتشتغل فى أى وظيفة أو معمل أو مطعم أو فندق !.. وكذلك الزوج ، لا يرى أى مسوغ للانفاق على الزوجة التى بوسعها أن تنطلق فتأتى بالمال من أى مكان !..

وهكذا ، فان البذخ الشديد من جانب يستلزم الشح والبخل الشديدين من جانب آخر !..

ان انصهار الغرب فى أتون المادة ، حول الذات الانسانية بكل خصائصها وأشواقها ونوازعها الخلقية الى ما يشبه كتلا ممسوخة من المادة !.. فهى تتحرك وتذهب وتجيء فى فلك المادة وسلطانها . فلا جرم ان كان ما يسمى بالاسرة هناك قد انصهر فى ذلك الاتون أيما انصهار . فأى قيمة أو معنى لذات الاسرة وتماسكها عندهم اذا كان انتثارها يعنى تحول كل جزء من أجزائها الى عمل آلى يكون رقما ماديا معينا ؟!..

وهكذا فالاسرة فى أوروبا عنوان لا مسمى له على الصعيد الغالب

اليوم ، وقد انعكست آثار ذلك على مجتمعاتها العامة ، وباتت تنذرهـا بدمار مذهل رهيب .

وسبحان من قضى أن يعيدالتاريخ نفسه دائما !..

فلقد كان هلاك الرومان بسبب تفاقم الاباحية وأمر الجنس ، واستتبع ذلك نفس النتيجة التى تعانى أوروبا منها اليوم : الشح الشديد من جانب والبذخ الشديد من جانب آخر . وأطلق فيلسوفها الحكيم (كاتون) صيحة النذير دون أى جدوى ، وذلك حين قال :

(يا أيها الرومان لقدسمعتمونى كثيرا ما أشكو من اسراف الرجال والنساء والعامـة والمشترعين أيضا ، ولقد سمعتمونى كثيرا ما أقول : ان الجمهورية مصابة بداءين متناقضين : الشح والبذخ ، وهما الداءان اللذان قلبا الممالك العظيمة رأسا على عقب) (١) .

وتسير أوروبا اليوم على نفس الحافة التى كانت تسير عليها الرومان ذات يوم من الايام . وتترنح نحو الهاوية ذاتها التى هوت فيها رومانية : هاوية الاباحية والمادية الجانحـة التى علمتها البذخ والشح الشديدين ، وجعلت من الاسرة كبش فداء لهذين البلاءين .

وبعد ، فقد آن لك أن تعلم لماذا لا يقر الاسلام خروج المرأة لميـدان الكسب ، الا فى نطاق الضرورة والظروف الخاصة المناسبة ، ان السبب انه لا يريد منها أن تنفرد أو تشترك مع الرجل فى شىء من الانفاق علـى الاسرة ، حتى لا ينشأمن حولها وضع جديد يفـرض عليها أن تكون هـى الساعية الى البحث عن الزوج بدلا من الرجل ، فانها اذا وصلت الى هذه النهـاية انتثرت الاسرة حطاما وأشلاء ، وعادت مصدر شر وبيل للمجتمع كلـه .

واذا تدبرت هذا جيدا ، آن لك أن تعلم أن هـذه الشريعة الاسلامية العجيبة فى دقتها ، العميقة فى أبعادها ، الكاملة فى تقديرها وضماناتها ، لا يمكن أن تكون من وضع بشر أيا كان مستواه ونوعه . انها شريعـة رب البشر وخالقهم . وحرام علينا نحن ـ عباد هذا الرب العظيم ـ أن نعرض عن حكمه وشريعته التى ارتضاها لنا ، الى تلك الشرائع الزائفة الاخرى التى لا قيمة لها أكثر من أنها تتحـدى حكم الله وسلطانه .



(١) دائرة المعارف لفريد وجدى : ٦١٨/٨ .

الأسرة

ومدى صمودها في وجه تحديات الانحلال والمادية

د / عثمان خليل عثمان

١ — الأسرة الواحدة فى خضم الخلايا الاجتماعية :

لقد أعيى الباحثين فى علمى الاجتماع والأجناس ما بذلوا من جهد للتعرف على أولى الخلايا الاجتماعية التى عرفتها البشرية ، ولمحاولة حصر أنواع تلك الخلايا ، وتبين العوامل التى أسهمت فى ظهورها وفى تطورها على مر العصور . ومرد هذه الصعوبة بصفة أساسية كون التجمع البشرى قد يكون وليد البيئة الجغرافية ، أو العوامل المناخية ، أو الأحداث الطبيعية التى لا يدركها الحصر . وقد يكون وليد اعتبارات تاريخية وتقاليد متباينة يلعب فيها الزمن دورا كبيرا ومتفاوتا كذلك . ولئن كان هذا النوع من التجمع وذاك لا تبدو فيهما ارادة الانسان الا فى المقام الثانى ، فان أهم الخلايا الاجتماعية ما جاء وليد ارادة الانسان وثمرة تفكيره ووعيه .

وفى هذا المجال أيضا يتعدد المردود من الخلايا الاجتماعية ويتنوع تبعا لتعدد مناحى الفكر الانسانى ، وتنوع مستويات الوعى فى كل زمـــان ومكان .

لذلك لم تكن « الأسرة » ــ بالغة ما بلغت أهميتها ــ الا واحدة فى هذا الخضم من الخلايا الاجتماعية بحيث يعرض حتما ومنطقيا ذلك السؤال : لماذا اذا انحازت الأسرة من بينها بتلك المكانـــة الخاصة واقعيا وتاريخيا ودينيا وسياسيا ؟

٢ ــ انفراد الأسرة بمقومات متعددة كفلت لها البقاء والصمود :

لقد رجح المحدثون من الباحثين ــ ان لم نقل قد قطعـــوا بأن الاسرة (كوالدين ، أو أحدهما وأولاد تحت سقف ، أو فى عش واحد) لم تكن ثمـــرة للغريزة وحدها،بحيث لم تكن أسرة قط بغير هذا الدافع،وبحيث أدى هذاالدافع يقينا وفى جميع الاحوال الى تكوين أسرة ، ولكن هذا القطع أو ذاك الترجيح لا ينفيان القطع بأن الغريزة كانت ولا تزال وستظل أحد العوامل الأساسية فى تجمع البشر فى شكل أسرة ، ولا يحتاج تقرير ذلك للربط الجامع المانع بيـــن الغريزة والأسرة ، بل لعله من حسن طالـــع الأسرة كخلية اجتماعية ، أن يكون هذا هو غاية ارتباطها بالغرائز ، وأن يكون هذا الارتباط واحدا فقط من مقوماتها المتعددة فان تخلف أحدها ولو كان الغريزة أغنى عنه غيره من المقومات ، ولعله لهذا بالذات بقيت الأسرة على مر العصور ، وصمدت فـــى وجه مختلف التطورات ، وتحديات الزمن ، وأخطرهـــا تحديات الانحـــلال الاسرى والنزعة المادية فى العصر الحديث .

وعليه فللأسرة نصيب كبير من الفطرة آيته ذلك المزيج الدافع اليها من غرائز الجنس ، وحب البقاء ، وعواطف الأمومة ، والابوة والبنوة والاخاء والرحم ، مع ما يفتعل من خلال هذه الوشائج المتعـــددة من مودة وحب ورحمة فاذا الأسرة سكن بين الزوجين ورحم بين الآل والأقربين ، ثم يضاعف هـــذه المشاعر والوشائج التضامن المتولد عن تشابه هؤلاء عادة فى النوع والظروف والمصالح ، وتضامن كذلك ينتج عن تقاسمهم العمل كضرورة أولية من ضرورات الحياة ، فاذا بثمرة كل ذلك جمع متكاثر باطراد من ذوى القربى ، ويزداد تكاثره بمن يرتبطون به كذلك ، لأسباب متباينة كالنسب والرضاع . . . هكذا تكونت الأسرة وتجمعت الاسرات ، وهكذا تضافرت مقوماتها وتكاثر عديدها فكتب لها البقـــاء . .

وما أروع التصوير القرآنى لهذه الحقائق الاجتماعية والتاريخية ، حيث يقول تعالى فى سورة الروم « ومن آياته أن خلق لـــكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلـــك لآيات لقوم يتفكرون » (الآية ٢٥) وقوله سبحانه فى سورة النساء : « يا أيها الناس اتقوا ربـــكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا » . (الآية الاولى) . .

ج) وفى شأن الأقربين عامة :

يقول تعالى فى سورة الاسراء : ((وآت ذا القربى حقه)) (الآية ٢٦) وفى سورة الشورى : ((قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى)) الآية ٢٣) وفى سورة البقرة : ((الوصية للوالدين والاقربين)) (الآية ١٨٠) .

وفى سورة النساء : ((واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام)) (الآية ١) وعن النبى صلى الله عليه وسلم قوله ((الأقربون أولى بالمعروف)) وقوله : ((دينار أنفقته فى سبيل الله ، ودينار أنفقته فى رقبة ، ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك ، أعظمها أجرا الذى أنفقته على أهلك)) وفى حديث آخر ((اذا أنفق الرجل على أهله يحتسبها فهو له صدقة)) كما قال صلى الله عليه وسلم ((ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه)) وقال ((الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذى الرحم ثنتان صدقة وصلة)) ، بل ان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول ((ان من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولى ..)) ..

د) جعل أساس الاسرة الزواج الشرعى المرتبط بالدين حلا وتحريما .

وهذه صفة بارزة فى الأسرة الاسلامية ، حيث فصل الاسلام أحكام الزواج شاملة الجانب الشخصى ، والجانب المالى ، من بدء الخطبة الى عقد الزواج ، الى واجبات الزوجين والابناء والأقربين ، الى النفقات والطلاق والميراث والوصية وما الى ذلك ..

وكل ذلك بأحكام دينية ترتبط بالعقيدة ، وبالحلال والحرام ، ولذلك عض المسلمون بالنواجذ على هذا الطابع الدينى ، لاحوالهم الشخصية برغم ما حاوله المستعمر فى بعض البلاد العربية ، لكى يحول هذه العلاقات الى علاقات مدنية بل واخضاعها للقانون الفرنسى ، وهنا صمدت الأسرة الاسلامية بفضل هذا الطابع الدينى العقائدى للاحوال الشخصية فى وجه التيار الحديث المتزايد فى أروبا نحو اعتبار الزواج مجرد رابطة عقدية مدنية كسائر العقود المدنية ، وبالتالى لا يكون لها من السند الدينى والعقائدى ما يجنبها عواصف الزمن ، ومخاطر الانحلال ..

ومن أجل ذلك اعترض المسلمون عندما أخذ مشرع احدى الدول العربية بأحكام للتبنى تخالف الاسلام ، وذلك باعطاء الولد المتبنى كل حقوق الابن الحقيقى فى الميراث والنفقة وغيرهما ، وكذلك عندما جاوز تنظيم تعدد الزوجات بالتقييد الى التحريم القاضى على ذات المبدأ الاسلامى فى جواز التعدد .

ونلاحظ فى هذا المقام بصدد التبنى ذلك الاعجاز فى استمرار نسبة الولد المتبنى الى أبيه الحقيقى ، لقوله تعالى فى سورة الأحزاب : ((ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله)) (الآية ٥) وقد نزل ذلك فى حق زيد بن حارثة

٣ ـ الأسرة فى الاسلام :

من وراء هذا التصوير القرآنى العام للاسرة (بادئة بالتزاوج سكنا ومودة ورحمة ، ومنتهية بذلك التكاثر وصلات الارحام) نذكر بعضا من آيات القرآن الكريم الكثيرة ، والسنة النبوية المتواترة ، لبيان بعض خصائص النظـــرة الاسلامية الى هذه الخلية الاجتماعية الاساسية .

أ) فيما بين الزوجين يقول تعالى : « هن لباس لــكم وأنتم لباس لهن » (الآية ١٨٧ من سورة البقرة) ويقول فى سورة النساء « وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل اللـــه فيه خيرا كثيرا » (الآية ١٩) وفى سورة البقرة : « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف » (الآية ٢٢٨) والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « خيركم خيركم لأهلـــه وأنا خيركـــم لأهلى » وفى رواية أخرى « خياركم خياركم لنسائهم » ، كما قرر أن فى بضع أحدكم صدقة وأن اللقمة يضعها الرجل فى فم زوجه له صدقة ، ونهى أن يفرك مؤمن مؤمنة (أى يبغضها) فان كره منها خلقا رضى منها آخر وقوله صلى الله عليه وسلم فى خطبة الوداع « ألا واستوصوا بالنساء خيرا » ..

ب) وبالنسبة الى الوالدين ..

يقول تعالى فى سورة الأحقاف « ووصينا الانسان بوالديه احسانا » (الآية ١٥) وفى سورة لقمان : « ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك الى المصير . وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيـــا معروفا واتبع سبيل من أناب الى) . (الآيتان ١٤ ، ١٥) ..

ويلفت النظر بشدة فى هاتين الآيتين الشريفتين ، ذلك الاكرام الذى خص به الله الوالدين ، برغم مجاهدتهما الابن ، لكى يرتكب أكبر جرم وهو الشرك « ذلك الذنب الذى لا يغتفر » ومع ذلـــك جاء لفظ القـــرآن فلا تطعهما ، ولم يقل فخالفهما ، أو فاعصهما ، ثم يتبع جل شأنه ذلك بأمر ملـــزم جازم بقولـــه « وصاحبهما فى الدنيا معروفا » ..

كذلك نذكر قوله تعالى فى سورة الاسراء : « وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا » (الآيتان ٢٣ ، ٢٤) ..

وحسبنا من الاحاديث الشريفة ذكر قوله صلى الله عليه وسلم « الجنة تحت أقدام الامهات » والتنويه بالعديد مما جاء فى شأن بر الوالدين ، والتحذير من عقوقهما حتى ان الرسول صلى الله عليه وسلم قد جعل بر الوالدين تاليا فى الفضل للصلاة على وقتها ، وسابقا على الجهاد فى سبيل الله ، وقال لمن جاءه يطلب الجهاد وله والدان « ففيهما فجاهــد » ..

أما الابناء فحسبهم أن نذكر فى شأنهم قوله تعالى : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » (الآية ٤٦ من سورة الكهف) ..

الذى تبناه الرسول صلى اللهعليهوسلم وكان الناس يسمونه زيدا بن محمد ، حتى نزل النهى عن ذلك ، وبقدر ما فى هذا الحظر من اعجاز بالغ من يلم بأخطر مشاكل التبنى فى أوروبا اليوم ، حيث يحمل المتبنى اسم الأسرة الجديدة ، فيجرى فى المجتمع مجرى الابن أو البنت أو الاخ أو الأخت ، والحقيقة غير ذلك ، وعلى خلاف ما فى الاوراق والبطاقات ، فأدى ذلك الى أكبر المشاكل ، حيث يتبنى رجال فتيات ، وتتبنى نساء فتيانا ، ويستغل ظاهر الأسماء أسوأ استغلال ، وتقف الهيئات الرسمية والخيرية عاجزة عن العــلاج الشافى لهذا الانحراف ، فبالنص القرآنى السابق ذكره احتاط الاسلام للأمر ، وجاءت السنة مؤكدة لهذا الاحتياط ، حيث قال الرسول صلى الله عليه وسلم من انتسب الى غير أبيه أو انتمى الى غير مواليه فعليه لعنة الله » . .

هـ) الحفاظ على الاسرة عبر الأجيال بفضل نظام الميراث :

وفى ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « لأن تترك أولادك أغنياء خير من أن تتركهم فقراء يتكففون الناس » فالمرء بفطرته معنى بسعادة أبنائه وأحفاده من بعده ، وبهذا يتضاعــف الحافز على العمل ، والادخار ويكــون التواصل برغم تعاقب العصور ، ويستمر الارتباط باســم جــد معين مثلا أو اعتزازا بمكان خاص بالأسرة جيلا بعد جيل أو بمهنــة عرفت بها ، أو بثــروة تتوارثها وتضم شتات الفروع على الزمن ، وبغير هذا الميراث لا يتعلق الخلف بالسلف الا بقدر أقل ، ولحين أقصر ، كما أن نظام الميراث اذا كان على مثل ما فى الاسلام من الزام يحفظ المودة بين الأجيال ، ويمنع المظالم والنزوات ، وكان على شاكلته من رحابة لا تقصر الارث على الابن الأكبر ، بل تمتد الى العصبات وأصحاب الفروض ، وذوى الأرحام ، اذا كان الميراث على هذا النحو حقــق كذلك وبصورة آلية توزيع الثروات ومنعها من أن تكون دولة بين القليليــن ، وشحا أو منعا على الاكثيرن . كل ذلك دون حرمان المورث من حق الوصيــة الحرة فى حدود ثلث التركة ، ولغير وارث على التفصيل المعروف ، ولقد كانت هذه الاحكام المتعلقة بجوانب الأسرة الاسلامية ، مصدر اعجاب المنصفين من المستشرقين ، وسببا من أسباب ذلك التقدير والانصاف المتزايدين لشريعتنــا الغراء .

٤ ــ الأسرة فى الدساتير وفى مواجهة تحديات العصر :

تباينت نظرة الدول ، وخاصة فى العصر الحديث ــ الى الأسرة ــ فمنها ما آمن بالمعانى والقيم السابق ذكرها ، فحرص على جعل الأسرة بمقوماتهــا السالفة الذكر أساسا من الأسس الجوهرية للمجتمع ، ومن ذلك دستور الكويت الصادر فى ٦٢/١١/١١ حيث أورد النصوص التالية بهذا الخصوص .

الأسرة أساس المجتمع ، قوامها الدين ، والأخلاص وحب الوطن ، يحفظ القانون كيانها ، ويقوى أواصرها ، ويحمى فى ظلها الأمومة والطفولــة (المادة ٩) . .

والميراث حقه تحكمه الشريعة الاسلامية (الفقرة الثانية من المادة ١٨)
ترعى الدولة النشء ، وتحميه من الاستغلال ، وتقيه الاهمال الادبى والجسمانى والروحى (المادة ١٠) ..

دين الدولة الاسلام ، والشريعة الاسلامية مصدر رئيسى للتشريع (المادة ٢) ..

تصون الدولة التراث الاسلامى والعربى .. (المادة ١٢) ..
بمثل هذه الاحكام الدستورية ، تربط الدولة مصيرها بنظام الاسرة الاسلامى العربى ، دون السماح بالانحراف عن هذه الجادة ، لا من حيث مبدأ الاسرة ، ولا من حيث أحكامها الاسلامية القطعية ، وعلى خلاف هذه النظرة تذهب النزعة المادية فى بعض الدساتير ، وخاصة دساتير الكتلة الشرقية الى تجاهل الأسرة كخلية اجتماعية ، حتى لا تكون فاصلا بين الفرد والدولة ، وحتى لا ينال التعلق بها والارتباط بعواطفها من تعلق الفرد بالجماعة الكبرى ، وولائه لها ، وتفانيه فيها ، ولما زعمه أفلاطون من أنه خير للأطفال منذ ولادتهم أن ترعاهم الدولة بدلا من الوالدين ، ولذلك كله وجدت محاولات لم تنجح لالغاء الاسرة ، كذلك عملت النصوص على تقليص سلطان الدين مع توكيد حرية الدعاية اللادينية ، وعندما عنى بالنص على حقوق المرأة ، أو رعاية النشء مثلا لم ينظر لذلك من زاوية الاسرة ، وانما من زاوية المواطنة العامة ، ولقد شد أزر هذه النزعة المادية ما أصاب الاسرة فى الغرب بصفة خاصة من تقويض لبعض أركانها ، نتيجة لجهل نسب كبيرة من الناس لانسابهم ، ولأسرهم بسبب الحروب ، وما يصاحبها من قتل وفساد وتشريد ، ولكثرة المواليد غير الشرعيين ، وذيوع الحياة خارج عش الزوجية الشرعية ، حتى عمدت دول عديدة الى الاعتراف بالبنوة غير الشرعية على مستوى البنوة الشرعية كليا ، أو جزئيا ، كذلك تضاف موجة خروج المراهقين تزايد مستمر على القيم والتقاليد والضوابط ، ونزوعهم الى الاستغلال المبكر عن أسرهم ، والهجرة والتنقل والتخلص من رقابة الوالدين مع ما يصاحب ذلك كله من انحلال خلقى ، وصحى وثقافى وحضارى ، يجرف فيما يجرف القيم المرتبطة بالأسرة ، كخلية اجتماعية ، وبالزواج كمقوم أساسى لتلك الخلية .

هذه هى المحنة التى تمر بها الأسرة خاصة فى الغرب ، والتى تهدد كيانها تهديدا خطيرا ، وذلك على خلاف تلك الحصانة التى لا تزال تنعم بها الاسرة فى بلادنا ، بحكم الاسلام والتقاليد العربية والشرقية ، وما من شك فى أن الاسرة الشرقية التى نحياها ستبقى صامدة فى وجه تحديات ذلك الانحلال ، وتلك المادية ما استمسكنا بديننا ، وحرصنا على تقاليدنا ، وحافظنا على أجيالنا الصاعدة التى نشأت فى ظل الرعاية الاسرية ، والضوابط الاسلامية ، من أن يجرفهم التقليد الاعمى ، الى محاكاة شباب من المغرب يقتله الضياع ، ويؤرقه ويقض مضاجعه فقدان النسب ، والعمل والآمال .

كيف وبأي الوسائل نستعيد بناء الاسرة المسلمة

بقـلم : محمد المجذوب

١ ــ موضوع الاسرة هو موضوع الفرد والكل منفردين ومجتمعين ، لذلك كان اختيار (الوعى الاسلامى) لهذه الفكرة محرجا لكتابها بالنظـر لسعته ولتشعب فروعه ، وشموله العـديد من دروب البحث ، بحيث لا يستغنى معالجه عن أى الجوانب التى تؤلف عناصر المجتمع البشرى . ومن هنا تأتى خشية الكاتب أن يكون موضوعه ترددا لسواه أو تواردا مع زملائه ، وبخاصة عندما يكونون من ذوى الاتجاه الموحد أو المتقارب . وهذا التقدير هو الذى جعلنى أمحـو الكثير من الخطوط التى أعددتهـا للبحث لأكتفى ببعض الجوانب الاساسية من الموضوع تجنبا للتوارد والتكرار .

٢ ــ لكى نعطى التقويم السليم لقضية الاسرة ، والاسرة الاسـلامية بوجه خاص ، لا بد من النظر الى أصلها أولا ، ثم تعيين القيمة النوعية لهذا الأصـل على الموازين المعتمدة فى مقاييس الحضارات .

والأصل الاول للاسرة هو الانسان وقد اتفق أهل الاديان قاطبة على أن الذكر هو السابق ، ومنه انبثقت أنثاه ، ولا اعتراض على هذا المفهوم فى أى مذهب فكرى ، اذ لا أهمية فى موازينها لتقدم أى النوعين على الآخر .

وتكاد النظرة الدينية تتفق على تكرمة الانسان — ممثلا فى أصله الاول — اذ تخبرنا بأنه المخلوق الممتاز الذى فضله خالقه وهيأه لخلافة الارض وسياستها ، فأودعه أسس المعرفة ، وزوده بالخصائص التى تؤهله للسيادة على كل موجودات الارض . من أحياء وجوامد ونبات .. !

ومن هذا الاصل اشتق الخالق سبحانه قرينه فكان من جنسه ، مزودا بمنحة التكرمة نفسها ، وبالقدرة الانشائية المتممة لمهمته فى رحاب هذه المملكة المذللة لجنسهما ، المسخرة لخدمته .

ثم من هذا الاصل المزدوج نشأت الاسرة الاولى للجنس البشرى ، تحمل خصائصه المتميزة كلها ، والمؤهلة لبناء الكيان الامثل لسائر أفراد الجنس .

فالأبوان بادراكهما لمؤهلاتهما العليا ، الناشئة عن النفخة الربانية ، التى ميزتهما على سائر المخلوقات ، قد أدركا عظم المهمة التى اختيرا لتحقيقها على الارض ، عن طريق اعداد النسل الصالح لخلافة الله ، المدرب على مقاومة العدو الاول ، الذى أعلن خصومتهما وحسدهما على ذلك الامتياز منذ اللحظة الاولى .

وطبيعى أن مثل هذا التصور اليقينى لموضوع تكرمة الانسان يعين بوضوح تام منزلة الاسرة البشرية فى القمة من منازل الخلق .. لانها منبثقة عن المميزات التى خص بها هذا الجنس من بين سائر المخلوقات الاخرى .. فهى أسرة ممتازة ، ذات وظيفة كونية ، تتجلى فى استخدام قوانين الطبيعة لتشييد الحضارة الربانية ، على الاسس المنسجمة أتم الانسجام مع خصائص الفطرة السليمة ، التى من شأنها تحقيق الصورة الفضلى للحياة السعيدة ، القائمة على التعاون فى طاعة الخالق ، وفق المخطط الالهى الذى تعهد بتزويد الانسان به على مر الازمان .

٣ — ذلك هو الافق الذى منه ينطلق تصور المؤمن لكيان الاسرة الذى كان على الانسان ان يتعهده بالاستمرار فى هذا الطريق الامثل ، مهما تتقلب الايام ، وتتطور الاحداث ، على ان الواقع قد حاف على هذه الحقيقة اذ تعرضت للمشوهات الكثيرة خلال التاريخ . وكان مرد ذلك كله الى فساد التصور البشرى لموضوع التوحيد ، وقبول الانحرافات الكبيرة فى مفهوم الانسان لصفات ربه العلى ، فكل انحدار فى هذا المفهوم عن مستواه الصحيح استتبع مثله فى مفهوم القيمة الانسانية .. وقد بدا ذلك جليا فى موازين الامم المختلفة ، نخص منها بالذكر وثنية اليونان ، التى انحدرت بتصور الالوهية الى أحط الدركات ، فجعلت لكل ظاهرة من القوة إلاهـه أو إلها خاصا ، ثم اخترعت لهذه الآلهة أحداثا أفسدت الخلق اليونانى ، اذ أوقعت فى ضميره أن الفجور والخداع وارتكاب أحط الموبقات هى من أقدس الصفات .. ! وتلاقت الوثنية الهندية معها فى ذلك المنحدر ، الذى جعل تصوير العملية الجنسية شيئا رائعا يستحق أن يحفر على جدران المعابد (١) وتسربت هذه المنكرات الى الكتب اليهودية المقدسة . اذ نسبت مثل هذه الأرجاس الى أنبياء الله أنفسهم ! .. ثم تسللت الى المسيحية فى بعض الاقطار كأنجلترة ، حيث أعطت المحاكم الكنسية — فى القرن الحادى عشر — الزوج الحق فى أن يبيع زوجته أو يعيرها لآخر الى أجل — كما يؤكد ذلك هربرت سبنسر — ولم ينج العرب فى جاهليتهم من هذا الزيغ فكان — الى جانب البغاء العلنى — زواج الاستبضاع ، الذى يبيح للرجل دون معرة أن يأمر زوجته بمضاجعة الرجل الذى يتسم ببعض المواهب العالية رجاء

أن يرزق منه بغلام من نبعته (٢) .

فاذا انتهينا الى واقع المرأة فى الحضارة الغربية المعاصرة واجهتنا الحقيقة الكبيرة التى تؤكد أن قيمة المرأة هى حصيلة تلك الانحرافات جميعا وبخاصة اليونانية منها . بحيث لا تعدو أن تكون متعة وملهاة ، يرغب فيها ما دامت صالحة لتوفيرهما . فاذا فقدتهما نبذت ، ولم تجد من يعيرها التفاتة أو اهتماما ! . .

وقد أحدثت هذه النظرة فى جسم الاسرة نفسها ندوبا بالغة توشك أن تدمره تدميرا ، بل لقد أنتجت مذاهب فكرية تدعو علانية الى نسف الاسرة كليا ، وذلك عن طريق الغاء الروابط الشرعية ، التى يتبعها عفويا انحلال العلاقات الوالدية بأسرها ، وتعطيل الاحكام المدنية الخاصة بحقوق الزوجية والبنوة ، وعلائق الارحام المتقاربة والمتباعدة ، حتى يستحيل المجتمع البشرى الى قطيع من الحيوانات بل من أدنى الحيوانات ! . . ولا ننسى محاولة الشيوعية تطبيق ذلك المذهب باقدامها على الغاء الكيان العائلى فى مطلع الدولة الماركسية بزعامة لينين . . وقبل ذلك فى الدولة الساسانية بفارس أيام انتشار المذهب المزدكى ، الذى اعتبر مجرد امتلاك المال واحتكار المرأة المصدر الاول لكل شقاء ! . . ثم ما تولد عنه فى العصر العباسى من نحل قرمطية وخرمية انطلقت من البؤرة نفسها لتقويض الوجود الاسلامى .

٤ — ومما لا سبيل الى تجاهله هو أن مثل هذه الاحكام الخاطئة لا تقتصر على المرأة بمفردها ، بل هى تتناول الرجل معها وبالتالى تشمل الجنس كله . ذلك أن أساس الخلل فى موازينها عائد الى القدر المشترك الذى يجمع بينها على اعتبار أن الانسان لا يخرج عن كونه حيوانا ، مهما يضيفوا اليه من صفات تميزه ، بأن يسموه حيوانا اجتماعيا ، أو مدنيا ، أو ناطقا ، أو حيوانا منتصب القامة ، أو أنه الحيوان الضاحك أو الحيوان ذو الراحة الملساء . . الى آخر ما ابتدعوه له من نعوت لا تستطيع انتزاعه من المستنقع الحيوانى ، الا بما يعترفون له من تطور لا يبعد — بنظرهم — أن يصيب غيره من تلك الأنسال على مر الزمان ! . . وهى نظرة تسللت مبادئها الاولى الى الفكر العربى عن طريق المترجمات اليونانية منذ عصر المأمون . فهى دخيلة عليه ، أجنبية عن تصوره العقدى الذى يرفع الانسان الى أسمى مراتب الخلق ، منذ اطلاله على الوجود متميزا بتلك النفخة المقدسة .

ولقد تضخمت هذه الفرضية المادية أخيرا بما استحدثته الحضارة الغربية من مذاهب تقيم بنيانها على هذا الاعتبار الحيوانى ، الذى يجرد الجنس البشرى من خصائصه العليا جميعا ، ثم يقنعه بانحطاطه ، فيألف الاستسلام الى أخس الغرائز ، حتى يقتل فى كيانه أخيرا كل شعور بالتميز أو السمو . . ! وهكذا ينتهى دور الانسان الذى كرمه الله ، ليبدأ دور الحيوان المتطور الذى أذلته التخرصات المادية ! . .

وبديهى أن لكل من الاتجاهين أثره العميق فى نوعية الاسرة وفى تحديد مضمونها واهدافها ، ومن ثم فى مسيرة الحضارة البشرية .

أما فى ظل النظرة المادية فالاسرة وضع عرضى غايته القصوى هى التلاقى العابر على متعة شخصية قلقة ، لا استقرار معها لانها لا قداسة لها . . حتى المواليد فى مفهوم هذه الاسرة لا أثر لهم فى تكوين أى ضرب من الروابط الروحية بين أعضائها ، لانهم غير مسموح لهم بالخروج الى

الدنيا ، ولا بالبقاء فيها الا ضمن حدود المصلحة المادية نفسها ، فاذا بلغوا حدود القدرة الذاتية فصلوا عن جسم الاسرة بقسوة ليضربوا فى جوانب الارض على غير هدى .. ثم لا يبالى أحدهم أن يلقى الآخر ، أو يطمئن الى مصيره ، حتى اذا وافى أحد الوالدين شبح الموت ورغب فى مشاهدة ولد له اعلمه ذلك عن طريق الاذاعة الخاصة (٣) وقد يبلغ الانفصام فى الواحد من هؤلاء الاعضاء أن يوصى بثروته كلها لكلب أو قط ، دون أن يشعر بأية عاطفة نحو قريب له مهما تبلغ حاجة هذا الى عطفه ! ..

ومثل هذه الاسرة أوهى علائق من خيوط العنكبوت ، فهى أضعف من أن تقاوم التيارات التى تريد اقتلاعها ، وأعجز من أن تأمل بالبقاء طويلا ، لأنها مبتوتة الجذور ، كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار .

واذا كانت الاسرة هى المجتمع الاول الذى يؤلف مع أخواته عناصر المجتمع القومى ثم البشرى ، فالحصيلة الحضارية لهذا الضرب من الاسر هى تحول الحياة الى معترك صراع ، يجعل من الطاقات البشرية وسائل جهنمية تتجه الى تدمير الجنس كله .. وهى النهاية التى تشهد طلائعها فى ما يسمونه بالثورات الثقافية ، التى تكتسح أوساط العالم الذى تخلى عن الفضائل الروحية ، كما نشهدها فى المذاهب الانحلالية المتمثلة فى الوجودية والخنفسة والهيبية ، التى أصبحت كمجمعات الاقذار ، هدمت سدودها ، فهى تكتسح الاخلاق وتجرف الفضائل ، لتقضى على البقية الباقية من مقومات البقاء ! ..

ولا جرم أن أكثر الناس شقاء فى مثل هذا الجو المسموم الملغوم هى المرأة ، لأنها العضو الاشد حساسية ، فهى بسبب ذلك أوفر شعورا بالحرمان من نعمة الامومة والاستقرار فى ظل الحياة الطبيعية ، التى أعدت لها بكل أجهزتها الفطرية . ولقد كثرت الوقائع التى تعلن هذه الحقيقة ، وامتلأ الفضاء بأصوات البقية من أولى الوعى رجالا ونساء ، الذين أحاطوا بهذه المخاطر ، تنذر البشرية بالويل والثبور وعظائم الامور ، اذا لم يتداركها المسؤولون عن قيادة الحضارة بالاصلاح العاجل السديد . وسأكتفى بمثل مصغر لهذه الكارثة الانسانية نقله الى ابن لى عن مشاهداته فى عالم الغرب. ذلك أنه ذات يوم ضل الطريق الى العربة التى كان يأوى اليها من القطار العامل بين لوبيانا وفيينا ، فلم يجد مناصا عند تحركه من اللياذ بأية عربة فاذا هو بفتاة أوربية .. وخلال الحديث بينهما علم أنها تقصد البلد النمساوى لزيارة خطيبها الذى مضى على علاقته بها عدة سنوات ! .. فسألها ابنى عن السبب الذى يحول دون زواجهما فاجتماعهما فى بيت واحد ! .. فأخبرته أنها لم تستطع حتى الآن توفير المال الذى يحقق لها هذه الامنية ، وهنا أطلعها الابن على الحقيقة التى لم تعرفها قط ، وهى أن الرجل المسلم هو الذى يقوم بتقديم الصداق الى المرأة ، دون ان يكلفها شيئا سوى التعاون معه على توفير الجو الزوجى السعيد .. وما كان أبلغها مفاجأة اذ هبت عن مقعدها ترفع يديها وتقول « أين أجد مثل هذا الانسان ؟! .. أليس من مسلم يتزوجنى فينقذنى ! .. »

ولعمرى انها لصورة مصغرة من المأساة الكبيرة التى تعيشها المرأة بل الاسرة ، فى ظلمات هذه الحضارة التى لا تعترف للانسان بغير الجانب الحيوانى .. !

٥ ــ بقى أن ننعم النظر قليلا فى الجانب المقابل من العرض ، لنرى

مقومات الاسرة فى ظل النظام الاسلامى الصحيح . ولن تجد صعوبة فى تبين المنطلق الذى تصدر عنه ، بعد أن وضحت للبصيرة مكانة الانسان فى مفهوم الاسلام . انها الملاذ الكريم الذى يهيىء لكل من الزوجين وبكل منهما الجـو الفطرى ، الذى يتحدد مضمونه بقول الله : (ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة . ان فى ذلك لآيات لقـوم يتفكرون) (الآية ٢١ من سورة الزمر) .

فالزوجة مخلوق من نفس الزوج ، وبذلك يتعين مكانها الطبيعى ، بوصفها انسانة تملك المقومات الانسانية نفسها التى تميز قرينها عن سائر المخلوقات الاخرى ، وبهذا التعيين تسقط الاحكام الزائفة التى تعتبرها روحا شيطانيا فى جسم انسان .. والمذاهب الاجتماعية المدخولـة التى تحـدد وظيفتها ضمن نطاق الإلهاء والامتاع ! ..

ثم انهـا مبعث السكينة لقرينها . والسكينة وضع نفسى يصـور الجـو الزوجى ملاذا للنفس القلقة التعبة ، تجد فيه الأنس والهدوء والطمأنينة التى تخف بها أعباء الحياة .. وهى فى الوقت نفسه منبت المودة التى هى ثمرة الانسجام الروحى بين الزوجين ، ومن ثم بين أجزاء الاسرة الآخرين مهما امتدت أعراقهم وتباعدت منازلهم . والمودة قرينة الرحمة التى هى فيض القلب الطيب .. وبهاتين الميزتين ـ المودة والرحمة ـ تجد كل مشـكلة زوجية او أسرية حلها السليم القويم .

بيـد أن مثـل هذا الكيـان الاسرى لا يمكن تأليفه على الوجه الاكمل بالجمع بين أى رجل وامرأة ، بل لا مندوحة فيه من التخير الواعى ، ومن هنا كان توكيد الاسلام على المقومات الخلقية والدينية الرفيعة . ففى الكتاب الحكيم (ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم ..) (ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم ..)

وايثار المؤمنة أو المؤمن على المشركين لا يمت بسبب الى التمييز العرقى أو الوراثى ، بل هو منبثق من نظر الاسلام الى ثمرات كل من الفريقين للمجتمع فـ (أولئك ـ المشركون ـ يدعون الى النار) نار الشقاء الدنيوى الصادر عن الانسياق فى غير طريق الفطرة ، الصائر بأهليه أخيرا الى جهنم ، وبئس المصير .. على حين أن المؤمن انما يدعو لما يستيقنه ويسعى لتحقيقه من بث الخير والعمل الصالح ، الذى لا سبيل سواه لتحصين المسيرة الانسانية من حبائل الشيطان .. ومن أجل ذلك يقول رسول الله صلى الله عليـه وسلم « اذا خطب اليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه .. ان لا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد عريض » (٤) فضابط الاختيار بالنسبة الى الزوج هو الدين العاصم من الزيغ ، والخلق المساعد على الفضيلة . وكل تجاوز لهـذا المقياس النبوى ، من اغترار ببهارج الدنيا منصبا وجاها ومالا .. انما هـو انحدار بالاسرة فالمجتمع الى مزالق الفساد منذ الخطوة الاولى .

وكذلك الشأن بالنسبة الى الزوجة ، فليس كل فتاة صالحة للبناء ، فقد تعجبك المرأة لمالها او حسبها او جمالها ، ولكن ذلك كله لا يعدو ان يكـون وسائل تدمير للحياة العائلية اذا تجردت عن فضائل الايمان والعمل الصالح، ولهذا يقول صلى الله عليه وسلم تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالهـا ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يـداك (٥) ويجعل غايـة التلاقى الزوجى استمرار النسل الصالح لحمل مسئولية الاصلاح والتصحيح ، وعن هذا يقول صلى الله عليه وسلم تزوجوا الودود الولود فاننى مكاثر بكـم الانبياء يـوم القيامـة (٦) وغير مقبول ولا معقـول أن تكون رغبتـه صلى الله عليـه

وســلم فى المكــاثرة لمجرد الاعجاب بالعــــدد الكثيف ، وهـــو الذى يبين فى الاثر الصحيـــح أن صعلوكا من أهـــل التقـــوى يفضل ملء الارض مـــن غيرهم (٧) ، ناهيك بالغثاء الضخم من أشباه الضفادع والببغاوات ، ولـــو كانوا من كبار الجامعيين والجامعيات ! .. وبهذا التحديد يغلق أبـــواب الاسرة المسلمة نهائيا بوجه التافهات من حثالات الفتيات ، اللواتى عرين عن الخلق والدين ، لان الطيبين للطيبات ، والخبيثين للخبيثات و (الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك ، وحرم ذلك على المؤمنين) ٣ من سورة النور ومن خلال هذا المبدأ الاسلامى نلاحظ تركيز القرآن على تلك الخاصة التى اشترط توافرها فى الكتابية ليصح للمسلم تزوجها ، وهى اتصافها بالاحصان (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب) ٥ — ٦ ففى التعبير بهذا اللفظ توكيد حاسم على كل ما ينطوى تحته من العفة والحشمة والبعد عن مزالق الريب . ولو أن السلطات التى تحكم الشعوب الاسلامية أخذت بهذا المبدأ لأبطلت كل عقد بين مسلم وكتابية لا تتقيد بهذه الصفات . ولكن المؤسف أن الحاكم والمحكوم فى منأى عن هذا المفهوم .. الا من رحم الله. والمغترب من أبناء المسلمين حين يؤثر الفتاة الغربية لا يشعر غالبا بأى التزام اسلامى ، وانما ينحصر همه — بعد النزوة الجنسية — فى أمر واحد هو تلقيح وجوده وبلده بخصائص الجنس الاجنبى الذى آمن بامتيازه ، أيا كانت ثمرات هذا اللقاح ! .. وما ذلك الا نتيجة الجهل المطبق للمفهوم التربوى الذى يقرره الاسلام فى هذا التوجيه النبوى الحكيم : (الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة) (٨) وأى مفسدة أخطر على البيئة الاسلامية اليـــوم من تلك الانثى التى نشأت فى احضان الحرية الجنسية ، وأشربت تقـــاليد الغرب المتدهور ، بكل ما فيها من سموم وخبائث ! .. وما أكثر الرزايا التى حملتها هذه المطايا ! .

ولا حاجة الى التذكير بأن اهتمام الاسلام بأصلى الاسرة — الذكـــر والانثى — الى هذا الحد انما هو نابع من القدسية التى يسبغها على هذا الكيان ، الذى يريده مصنعا دائم الصلاحية لانواع الفضائل الانسانية .

٦ — على أن هناك نقطتين لا مندوحة عن وقفة عليهما لاستيفاء عناصر البحث . أما احداهما فمشكلة التعدد التى كثر فيها الجدل ، وقد نالت من الاقلام الاسلامية حظا كبيرا ، ولا أرى ضرورة لمناقشة جوانبها المختلفة فى القديم والحديث ، بعد الذى سطرته عنها فى كتابى (تأملات فى المرأة والمجتمع) وانما أريد فقط أن أضيف الى ذلك ما توفر لدى من تجربة فى هذا المضـــمار علمتنى مالم أكن أعلم .

لقد أكدت لى هذه التجربة أن التوحد هو الاصل فى الحياة الزوجية ، وان التعدد عارض طارىء ،ليس من مصلحة المسلم أنيتطلع اليه الا عندالضرورات التى يتعذر تحديدها ، ولا تدرك الا بعد حصولها ، لان الزواج ليس مجرد متعة يبدل الرجل وسيلتها كلما حركه الهوى او تيسرت له السبل .. وانما هو تعاون روحى متكامل غايته انشاء الجو الهادىء الودود .. وقد أودع الله فى طبيعة المرأة أسرارا عجيبة منها اعتبارها كل مشاركة فى هـــذا الجو عدوانا على وجودها كله ، وبدافع من هذا التصميم تجدها مستعـــدة لان تحيل طاقاتها البناءة الى أدوات تخريب تدمر كل شىء .. عندما تستشعر أى ظاهرة من هذا العدوان ! .. وحسبك بهذا نذيرا بنسف كل عـــوامل السكينة والمودة والرحمة ، التى لا شىء غيرها صالح لاعطاء الحيـــاة الزوجية معناها الصحيح .. ناهيك بما وراء ذلك من معارك خفية وظاهرة ،

قـــد تشمل بشرورها القريب والبعيد من أعضاء الاسرة ! .. وهذا هو البلاء الذى دونه كل بلاء .. وكفى بالمؤمن رادعا عن هذه التجربة فى غـــير ضرورة حكم العليم الخبير باستحالة العدل بين النساء (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) ٤ ـــ ١٢٩ بجانب توجيهه المؤمن الى ايثار الواحدة بمجرد ان يساوره خوف العجز عن تحقيقه : (فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة ٤ ـــ ٣) .

واما الثانية فمشكلة التربية التى لا غنى للزوجين عن اتقان اصـــولها الفعالة فى انشاء الابناء . ولعل أخطر جوانب هذه المشكلة هو فقدان البيت المسلم ضوابط التربية الاسلامية ، ثم قطع المدرسة ـــ فى البلد المسلم ـــ كل صلة لمناهجها بهذه الضوابط ! .. فنحن بيتا ومدرسة ودولة قد نعلم الكثير من نظريات الغربيين فى التربية على اختلاف موازينها ، ونحـــاول تطبيق كل ما وقفنا عليه منها ، ســـواء كان حقا أم باطلا ، وســـــواء أثبتت التجارب نجاحه او اخفاقه .. فى حين لا نكاد نسأل تراثنا التربوى الاسلامى عن أى شىء من ذلك ! .. ولا أذيع سرا اذا قلت اننا سلبنا أزمة التربيـــة حتى لانفسنا فضلا عن بيوتنا ، وقد بلغت المحنة أشدها حين أخفق العلمـــاء أنفسهم ـــ او معظمهم ـــ فى قيادة أهليهم الادنين الى جادة الاســـلام ، حتى بات من المألوف جدا أن ترى الداعية الاسلامى يكتب ويخطب ويجهد فى عرض فضائل الاسلام على الناس ، ولكن ما ان تنظـــــر الى ســـلوك الذين اليه ولايتهم حتى ترى العجب ، لانك ستجد البون شاسعا بين دعوته واسرته ! .. وانا لا أحمل بذلك على هؤلاء الفضلاء فوق ما يستحقون ، لانى أعلم بل أحس عذرهم فى هذا التباين ، الذى هو حصيلة عشرات العوامل الجبرية ، فهم لا يعفون من المسئولية عن بعض هذا التردى فى بيوتهم ، ولكن لا ننسى أنهم لم يعودوا وحدهم القابضين على توجيهها .. بل ليس فى أيديهم من أزمتها الا النزر اليسير ، أما السيطرة العملية عليها ففى أيدى المدرسين ، وحملة الاقلام ، ومؤسسات الاعلام من اذاعة وتلفزة .. وما الى ذلك من عديد المؤثرات ! .. ومعظم المسئولين عن هذه المصادر لا يملكون ذرة من الوعى الاسلامى ، اذا لم نعترف بالواقع المر ، وهو أنهم يعـــادون كل ما هو اسلامى ! .. حتى انهم ليصبغون المعانى الاسلاميـــــة بالالوان الدخيلة ، التى تذهب بكل أثر يتاح لها ان تتركه فى نفوس السامعين والناظرين والقارئين ! .. وبازاء ذلك كله لا يسع المفكر الغيور على أمته الا أن يتساءل فى دهشة لاذعة (كيف وبأى الوسائل يتاح للمسلمين اعادة بناء الاسرة المسلمة والجيل المسلم ، بعد أن أصبحا نهبا مباحا لكل هذه التيارات المدمرة) !

اللهم ان الظلمات لكثيفة ، والمحنة لعظيمة .. ولا مخرج منهـــا الا بخارقة من خوارق قدرتك .. ولا حول ولا قوة الا بك .

(١ و ٣) انظر (الحجاب) للعلامة المودودى و (تأملات فى المرأة والمجتمع) لكاتب هذا البحث .

(٢) من حديث شريف رواه البخارى عن عائشة رضى الله عنها .

(٤) للترمذى عن أبى هريرة مرفوعا

(٥) للشيخين وابن داود والنسائى .

(٦) رواه أحمد عن أنس . وفى أبى داود والنسائى (الامم) مكان (الانبياء)

(٧) مضمون حديث رواه الشيخان ـــ انظر جمع الفوائد رقم ٥٥٩٥

(٨) لمسلم والنسائى



اعـــداد : الشيخ احمد جلباية

مسجد عبد الله بن بحر

> من بنى مسجدا يبتغى به وجه الله ، بنى الله له بيتــا فى الجنـــة ..
> (رواه البخارى ومسلم وغيرهما)

بهذا الهدى النبوى ، وبهذه التوجيهات السديدة ، اتجهت قــلوب المحسنين واهل الخير ، الى بنــاء بيــوت الله فى الارض ، لتكـــون مصدر اشعاع ، ومهبط رحمة ، ومنـــار علم ، ومبعث حكمة ، ومنبـــع هداية ، ومجمع خـــير ..

ولو قل المال ، وضاق الحال ، واشتدت الحاجة ، وكثرت المشاغل . وانصرف الكثير الى شئون دنياهم .. ترى نفرا من الناس ، لا يشـــغلهم ما يشغل الناس ، ولا يصرفهم ما يصرف الناس ، انما عملهم البنـــاء ، وغايتهم الله ..

ان المساجد لله ، ولعل الله يختار لعمارتها ، من صفت سريرته ، وكرمت علانيته ، وخلصت نيته ، وملأ الايمان قلبه ..

والايمان متى كان صادقا ، أشـــاع الحياة في كل شيء ، والنـــور فى كل شيء ، وجعل الدنيا فى خدمة الدين ، والمادة فى خدمة الروح ، وجعل كل شيء مسخرا فى طاعة الله ، خالصا لوجهه الكريم « انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ، واقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، ولم يخش الا الله ، فعسى اولئك أن يكونوا من المهتدين » ..

ومن هذا المنطلق ، كان المحسنون من الناس هم الذين يقـــومون بمهمة عمارة المساجد ، يدفعهم الى عمارتها ايمان لا يخالطه نفـــاق ، وحب لله لا يشوبه ريـــاء ، ورجـــاء فى الهداية ، يرد الناس الى ربهم ، ويذكرهم بلقائه ، ويخوفهم من جبروته ..

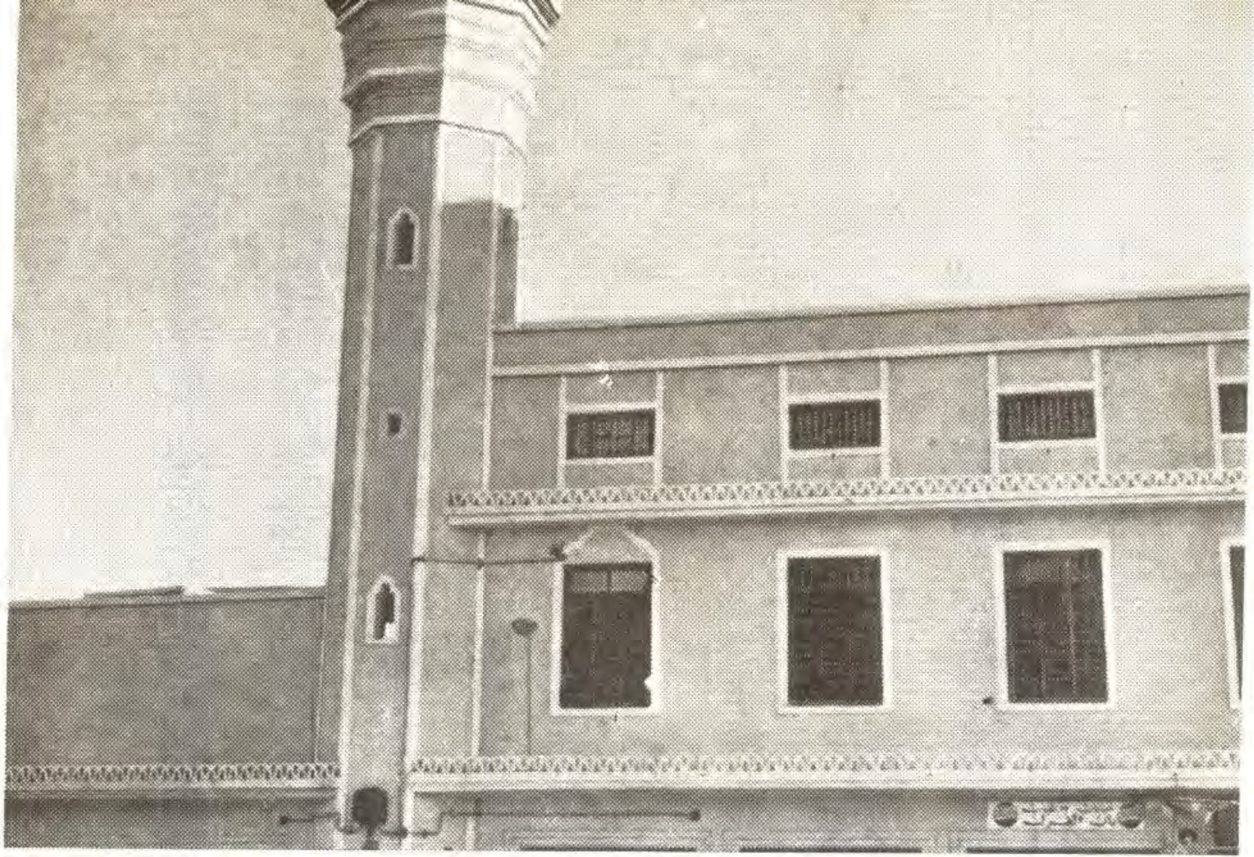


حتى قامت وزارة الاوقاف بالكويت بهذا العمل ، وحملت أعباءه . وتحملت مسئوليته ، وأخذت على عاتقها أن تنشر كلمة الله في الارض ، وأن ترفع رايته في السماء ..

ومسجدنا هـذا كان يسمى من قبل « مسجد ابن ابراهيم » على الفرضة سابقا (١) أو مسجد الابراهيم ، ويعتبر الاول من ثلاثة من أقـدم مساجد الكويت .. أسسه ابن ابراهيم عام ١١٧٩ هـ . وجددت بناءه دائرة الاوقاف العـامة بتاريخ ١٣٧٦/٣/٢٢ هـ الموافق ١٩٥٦/١٠/٢٧ م . وقد بلغت تكاليفه آنذاك ٢٠٨٠٠٠ روبية ..

ولما كانت هذه المنطقة عامرة بالمساجد ، وقد اقترب بعضها من بعض دون حاجة ، رأت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية نقل هذا المسجد الى منطقة أخرى ليس فيها مسجد ، فكان من نصيب منطقة ميدان حولى ، وهى منطقة جديدة تقع بين أحياء : السالمية والرميثية وحولى التي يوجد بها كثير من المساجد ، ولكنها بلا شـك بعيدة عن سكان ميدان حولى ، الذين يلاقون على ظمـأ ..

ولقد اقامته الوزارة على نفقتها فى عـام ١٣٨٧ هـ الموافق ١٩٦٧ م . ووفـاء منهـا لمؤسسه الاول ، وتقديرا لمـا قام به من جهود فى بنـائه من قبل ، وفى امامته للناس فى الصلاة ، وتخليدا للمحسنين العاملين . جعلت هذا المسجد الجديد يحمل اسمه فأطلقت عليه : مسجد عبد الله بن بحـر . وهو غير مسجد محمد عبد الرحمن البحر الموجود حاليا فى شارع عبد الله السالم ..



والمسجد على بساطته تحيط به المهابة . وتبدو عليه العظمه وقد أقيم على ربوة مرتفعة بعض الشىء ، وسط المبانى الحديثة ، والفيلات الرائعة ، وحوله فضاء واسع من جيمع الجهات ، يجعل المسجد وسطه يبدو وكأنه درة بيضاء ..

وللمسجد حرم كبير يحيط به . غطيت أرضه المؤدية الى أبوابه الخارجية بالبلاط الكبير ، والمصلون اذا اشتد بهم الحر فى الصيف يصلون فى هذا الحرم .. وعندما تدخل المسجد من أحد ابوابه الثلاثة تجد نفسك فى فناء لا تقل مساحته عن مساحة المسجد ، وبعضه مسقوف والبعض الآخر غير مسقوف ، ليتمكن المصلون من أداء الصلاة به فى جميع فصول السنة .. وفى الجهة الشرقية من الفناء ، أقيمت على جانب منه حجرتان ودورة مياه للمؤذن والخادم ، وعلى الجانب الآخر دورة مياه عامة ..

وللمسجد من الداخل ثلاثة أبواب زجاجية سميكة متجاورة . ويكاد يكون مربع الشكل ، له قبة كبيرة ترتكز على أعمدة أربعة ضخمة مضلعة من الاسمنت المسلح ..

وواجهة القبلة من الرخام الابيض الجميل ، وفيها شرفتان عن يمين المحراب ويساره ، تقوم اليمنى منهما مقام المنبر ، يقف فيها الخطيب يوم الجمعة .. وبه كذلك مكتبة فيها كثير من المراجع الاسلامية فى التفسير والحديث والفقه والسيرة وجميع المعارف الاسلامية ، وهى مفتوحة للمصلين فى أوقات الصلاة ، فيها زاد لمن أراد الاستزادة ، وفائدة لمن أراد الافادة . وعلى جانبى المحراب والشرفتين ساعتان أنيقتان ، احداهما تشير الى الزمن الغروبى ، والاخرى تشير الى الزمن الزوالى .. وتتدلى من القبة ثريا جميلة تضفى على المسجد روعة وجمالا ، والمئذنة عالية شامخة تظهر من بعيد بمكبرات الصوت التى يسمعها سكان المناطق الاخرى ..

الأسرة

كما يريدها التشريع الاسلامي!
لا كما أرادتها الحضارة الغربية!

للأستاذ أحمد محمد جمال

فى الحضارة الغربية المعاصرة .. « أمسى البيت فندقا . والحياة الزوجية متاعا جنسيا . والنساء — زهرات المجتمع . ربات البيوت . الأمهات — تحولن الى عاملات كادحات .. يمارسن كل عمل . انهن جزارات. حمالات . بائعات تذاكر . حلاقات . وكانسات طرق وأسواق — قالت لى احداهن : حذار أن تظن المرأة فى مجتمعكم الشرقى أن عملها فى كافة المجالات تقدير لها واكرام . . انه امتهان لكرامتها . وحط من مكانتها . فنحن النساء الغربيات لم يعد فى امكاننا ان نتمتع بانوثتنا . فقد اضعناها فى عملنا المرهق . ولا بأمومتنا . فلا وقت لدينا لحنان الامومة وسعادتها .. ولا بحياة عائلية سعيدة . لان المفاهيم تغيرت . لم يعد الرجل هنا يطيق أن يرى امرأته أو قريبته لا تعمل .. أن عليها أن تعمل لتكسب قوتها . وتنفق على نفسها . انها حياة قاسية . لا رحمة فيها ولا مودة . انها نوع من الجحيم الدنيوى » (1) .

وفى الحضارة الغربية المعاصرة ايضا : « تترك الامهات اطفالهن لدور الحضانة ، حتى ينصرفن لأعمالهن او مطامعهن الاجتماعية او مباذلهن او هوايتهن الأدبية والفنية ، او ارتياد دور السينما — وهكذا يضعن أوقاتهن فى الكسل .. انهن مسؤولات عن اختفاء وحدة الاسرة ، واجتماعاتها التى يتصل الطفل فيها بالكبار ، فيتعلم منهم أمورا كثيرة .. لان الطفل يشكل نشاطه الفسيولوجى والعقلى والعاطفى طبقا للقوالب الموجودة فى محيطه ، فهو لا يتعلم من الاطفال الذين فى مثل سنه الا قليلا .. وحين يكون مجرد وحدة فى المدرسة فانه يظل غير مكتمل . وهكذا نرى ان المجتمع العصرى قد ارتكب غلطة جسيمة باستبداله تدريب الأسرة ورعايتها بالمدرسة استبدالا تاما .. » (٢)

***

يكفى ما نقلناه آنفا عن (الأسرة) فى الحضارة الغربية المعاصرة . للمقارنة بينها وبين الاسرة كما أرادها الاسلام نشأة ومكانة وآدابا ، وهو ما نوجز الحديث عنه فيما يأتى :

ان أول فكرة — عن الاسرة — يلهمها القرآن الكريم للرجل المسلم هى قوله عز وجل : « ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا ، لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة .. » (٣)

فالسكن والمودة والرحمة : هى ما ينشده كل من الرجل والمراة فى رفيقه ، بدافع من الطبيعة الداعية الهادية التى فطرا عليها ، ولن يهدأ لأحدهما بال ، ولن يستقر حال حتى يلتقى بالآخر .. يسكن اليه ، ويواده ويرحمه ، ويقاسمه أطايب الحياة ومتاعبها . وصدق الله الذى هو اعلم بما خلق وبمن خلق اذ يقول : « علم الله انكم ستذكرونهن » (٤) اى ان بال الرجال لا يخلو من ذكر النساءوالشوق اليهن ، وكذلك بال النساء لا يخلو من ذكر الرجال والشوق اليهم !

ان الرجل والمراة — بالفطرة التى فطرا عليها — ملتقيان من بدء الخليقة ، وانما جاءت الاديان لتنظيم هذا الالتقاء ، ليكون شركة متعادلة متعاونة بينهما .. فيها حقوق يجب ان ترعى ، وواجبات ينبغى أن تؤدى ، ولها ثمار وآثار يجب أن تصان .

ذلك ان هذا الالتقاء الفطرى بين الرجل والأنثى ، الذى جاءت الاديان فنظمته وسمته : (زواجا) هو نواة لشىء آخر نظمته الاديان أيضا وسمته (الاسرة) . والاسرة هى الاخرى نواة لشىء أكبر نظمته الاديان وسمته (المجتمع) .

وقد قيل فى الاسرة : انها الامة الصغيرة ، وانها مدرسة النوع الانسانى .. التى تعلم فيها الانسان افضل أخلاقه الاجتماعية : وهى الغيرة ، والعزة ، والوفاء ، ورعاية الحرمات ، كما قيل : انه لا بقاء لما اكتسبه الانسان من فضائل المروءة والايثار .. اذا هجر الاسرة ، واهمل روابطها ، وعطل مسؤولياتها .

وقيل فى الاسرة — كذلك — : ان الرجل اذا عاش فى حرمها المقدس ، وغرامها المباح ، والتزامها المعذب — كان شجاعا فى كده وسعيه وانتاجه وتحصيله ، ومقداما فى الطموح الى مزيد من التفوق والنجاح ، من اجل اسعاد زوجته واولاده ، حيا وبعد أن يموت .

تلك كلمة عامة عن الزواج وعن الاسرة ، كما تريدهما سنن الفطرة ونواميس الخليقة . أما الاسلام كشريعة ، فحديثه عن الزواج أو الاسرة معجب مطرب لم يسبقه اليه ولم يلحق به دين قديم ، ولا حضارة حديثة .

فالزواج — في منهاج الاسلام — استقرار وسكن ، وشعور بالمسؤولية وارواء لغريزة الابوة والامومة ، وللرغبات الجنسية أيضا . ولذلك كان حث الاسلام على الزواج ، وأمره بتيسيره — من جهة — ومنعه أولياء النسوة الراغبات فيه : ان يعضلوهن من جهة ثانية ، وأباحته تعدد الزوجات من جهة ثالثة ، ثم اباحته للطلاق بين زوجين متنافرين ليجد كل منهما رفيقا آخر يرضى عنه — من جهة رابعة — وشرع آدابا للاسرة تحميها من العبث والفساد والتمزق من جهة خامسة . والغاية التى يرمى اليها الاسلام ، من وراء ذلك كله : هى أن يستقر الرجال والنساء فى أسر متعاطفة متعاونة ، فيستقر بذلك المجتمع كله بعيدا عن فوضى الغرائز ، وعبث الشهوات ، آمنا من تشرد الاطفال ، وتهدم البيوت .

والزواج — فى نظر الاسلام — مع ما سبق : رباط مقدس ، وعقد بين الزوجين محترم ، يلتزم كل طرف منهما فيه بواجب شريف نحو الآخر . وحتى يكون هذا الرباط الزوجي الوثيق بعيدا عن الظنون والفتن ، لا تحوم حوله شبهة فى صهر ، ولا تهمة فى نسب ، ولئلا تكون المرأة — من ناحية أخرى — فى مقتضى هذا العقدالزوجي مجرد وسيلة للاستمتاع الجنسي وحده .. جاء التوجيه النبوى : (أعلنوا هذا الزواج ، واجعلوه فى المساجد) وذلك ليعلم الناس — عيانا او سماعا — أن فلانة زوجة لفلان ، وليعلموا كذلك ما نسل منهما من أولاد وأحفاد .

وجاءت — أيضا — الاحكام والشروط الاسلامية لصحة الزواج ، التى تكفل سلامته ابتداء ، وامانته انتهاء ، واستقراره بين ذلك : من ذلك — مثلا لا حصرا — :

● خلو المرأة من موانع عديدة مؤبدة ومؤقتة .. كحرمة الزواج بالامهات وان علون ، والبنات وان نزلن ، وبالاخوات والعمات والخالات ، وبنات الاخ وبنات الاخت . وحرمة الجمع بين الاختين ، ونكاح امرأة الأب وزوجة الابن . وقد شمل التحريم القريبات من الارضاع مثل اولائك القريبات من النسب على سواء .

● كما حرم الاسلام — مؤقتا — نكاح الحامل حتى تضع ، والمعتدة حتى تستبرىء .

● واشترط الاسلام لصحة الزواج : ان يعرض ولى المراة زواجها على خاطبها قولا ، وان يقبلها الزوج قولا كذلك ، وان يشهد على العقد شاهدان .

● وأقر الاسلام رضا المرأة واذنها ، فلا تكره على زوج لا تريده لكبر سنه او سوء خلقه — كما أقر ما قد يشترطه الزوجان احدهما فى الآخر من تكافىء أو تقارب فى العلم والنسب والدين والحرية والصلاح والمال والعمر . وذلك ليقوم الزواج بينهما ، وتنشأ الاسرة منهما : على أساس قوى من الرضاء والصفاء .

● كما اباح الاسلام للمراة – باعتبارها فى المفهوم العام تابعة للرجل ، وهو قوام عليها – ان تشترط فى عقد الزوجية اذا شاءت : الا ينقلها من بلدها ، أو لا يتزوج عليها بأخرى ، أو تكون عصمتها بيدها .. وغير ذلك من اشتراطات لا تتعارض ومقاصد الزواج . فاذا نكث الزوج عما عاهد عليه الزوجة كان لها الخيار بين ان تفسخ نكاحها منه أو تبقى معه (٥) .
● واوجب الاسلام على الرجل الانفاق على زوجته واولاده ، مهما كانت الزوجة غنية ، وكان هو فقيرا أو مريضا او لا أربة له فيها . ومن حق الزوجة ان تشترط سكنا خاصا منفردا عن اهل زوجها أو زوجاته الاخريات .

* * *

● ولما كانت (الاسرة) لا تعنى الزوجين واولادهما فحسب بل تشمل الآباء والأمهات والاجداد والاحفاد والأقرباء الآخرين ، فقد شرع الاسلام (للنفقات) نظاما فريدا فى احكامه والزامه بحيث يشعر سيد الاسرة بمسؤوليته تجاه اعضاء اسرته ، كما يشعرون هم – فى ظله – بأنهم فى مأمن من الاحتياج والضياع .
ان الاسلام يريد وئام (الاسرة) وامتدادها .. لذلك اكد واجب البر بالآباء والامهات ، على اولادهم بنين وبنات ، تأكيدا جعله قرينا للايمان بالله وتوحيد عبادته : « قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم : الا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا (٦) » وقوله سبحانه « وقضى ربك : الا تعبدوا الا اياه ، وبالوالدين احسانا » (٧) .
وزيادة فى تقوية روابط الاسرة يعتبر الاسلام الاجداد والجدات بمنزلة الآباء والامهات ، من حيث الرعاية والانفاق . وحتى اذا افتقد (المحتاج) من ينفق عليه من أب وان علا أو ابن وان نزل ، فان اخوته مطالبون – فى التشريع الاسلامى للاسرة – بأن يسدوا خلته ، ويصونوا كرامته ، ويكفوا وجهه عن مذلة السؤال .
ولا يفوتنا – هنا – ان الامم غير الاسلامية ، لافتقارها الى مثل التشريع الاسلامى الانسانى .. تجعل فى عامها يوما تسميه (يوم الام) لتذكر الابناء من ذكور واناث بفضل أمهاتهم عليهم ، وتستهديهم لهن العطايا والهدايا ، دون الآباء فان فضلهم عند هذه الامم غير مذكور . اما الاسلام فانه بتشريعه الحكيم الرحيم يدعو المسلم كل يوم الى بر ابيه وامه معا ، ويذكره دائما بمتاعبهما فى حمله ورضاعه ، وتربيته والانفاق عليه : « اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا » (٨) .
والانفاق على الاولاد – اطعاما وكساء وايواء وتعليما حتى يكتسبوا – امر مقرر طبعا ومسن شرعا ، شأنه فى طبيعته وشرعيته شأن الانفاق على الآباء والامهات . والوصايا فى القرآن والسنة النبوية – علاوة على ذلك – كثيرة تفجر اقسى الافئدة : عطفا وبرا بالوالدين .

* * *

الاسرة فى التوجيه القرآنى

اهتم القرآن الكريم (بالاسرة) نشأة ومكانة واثرا — اهتماما كبيرا . وسوف نكتفى بذكر الآيات دون شرح لها او تعليق عليها . لان مجال الحديث هنا عن الاسرة لا يتسع لهذا التفصيل . ولان الآيات ذاتها واضحة لفظا ومعنى — يقول الله عز وجل :

« يا أيها النـاس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها . وبث منهما رجالا كثيرا ونساء .. »

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة .. »

« الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم .. »

« ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة .. »

« ووصينا الانسان بوالديه احسانا .. »

« .. فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما .. »

« واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا .. »

« وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل .. »

« والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد ان يتم الرضاعة »

« .. وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف .. »

« وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا .. »

« يا أيها الذين آمنوا ليستئذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات : من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء .. ثلاث عورات لكم .. »

وغير ذلك من توجيهات قرآنية تعرضت لشؤون الاسرة من إرث ووصية وطلاق وارتجاع ، وغض للأبصار وحفظ للفروج ، وعدم ابداء زينة النساء الا لمحارمهن ، وكل ذلك لوقاية الاسرة من التصدع والانهيار .

الاسرة فى التوجيه النبوى

ونذكر الآن — بايجاز — الاهتمام النبوى بنشأة الاسرة المسلمة . وحمايتها من التمزق ، لان فى صلاح الازواج صلاح ذريتهم ، وبالتالى : صلاح المجتمع كله .

يقول صلى الله عليه وسلم :

« تزوجوا الولود الودود . فانى مكاثر بكم الامم يوم القيامة »

— تنكح المرأة لمالها ولجمالها ولحسبها ولدينها . فاظفر بذات الدين تربت يداك »

« لأمة سوداء ذات دين أفضل »

« أنظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما » (٩)

« ان أحق الشروط أن توفوا به ما استحللتم به الفروج »

« خياركم خياركم لأهله .. »
« من أفسد امرأة على زوجها فليس منا » .
« بروا آباءكم تبركم أبناؤكم » .
« لعن الله من استعق ولده » .

آداب الاسرة فى الاسلام

وتأكيدا لقولنا آنفا : ان الاسرة كيان اجتماعى يراد له الامتداد والسعة والخلود نثبت هنـــا بعض (الآداب) التى أدب بها الاسلام كلا من الرجل والمرأة فى نطاق الزوجية المقدس ، ليبقى ظل البيت عليهما باردا كريما ، وليبقى حماه مصونا ، وبنيانه غير منهار :

(١) على الوالدين ــ أى الزوجين ــ فى منهاج الاسرة الاسلامى : أن يتشاوروا ويتراضيا فى أمور أطفالهما رضاعا وتأديبا ..

(٢) على الزوج الا يتيح لزوجته الفرص لمجالسة غير المحارم من أهله وأهلها ، منعا للافتتان والافساد . فقد أثمر الاختلاط المحرم بين الاسر ، وما يجرى فيه من تكشف نسائها على رجالها ، وتبادل الاسماء وأحاديث اللهو بينهم وبينهن ــ أثمر حب امرأة لغير زوجها ، واعجاب رجل بغــير زوجته ، ثم اغراء بالطلاق ، ووعد بالزواج .. على أنقاض بيوت تتهدم ، وأطفال يشردون !

(٣) وضع الاسلام سياجا بين الزوجين ــ فى فترات الاختــلاء ونزع الرداء ــ وبين الذين يعيشون معهما من أولاد وخدم وأتبــاع ، لئلا يطلعوا على ما بينهما من عورات وأسرار قد تغرى بالفتنة والعبث بين خادم بمخدومته ، أو بين مخدوم بخادمته .

(٤) منع الاسلام أن تتزين المرأة وتتعطر لغير زوجها ، ووصــف الحديث النبوى المرأة التى تتعطر ليجد الناس ريحها بأنها (زانية) .

(٥) ووجه الاسلام الرجل اذا أعجبه شىء من امرأة أجنبية : أن يفزع الى أهله « فان معها مثل الذى معها » !

(٥) ولكى تتوثق الاواصر بين الاسر المتقاربة والمتزاوجة ــ أوصى الاسلام بصلة الرحم تزاورا وتعاطفا وتصدقا وبرا .

(٦) كما منع الاسلام المرأة من أن تأذن لاحد فى بيت زوجها ، وهو كاره . والا تخرج وهو كاره.والا يتحدث احدهما الى الناس بسر صاحبه .

(٧) وبالنسبة للآباء والابناء وجه الحديث النبوى ــ كما وجــه القرآن من قبل ــ الى وجوب طاعة الابناء والبنات ، لآبائهم وامهاتهم ، وبرهم لهم ، واحسانهم اليهم ، كما أوصى الآباء والامهات ــمن جهة اخرى ــ برحمة أولادهم ، والاهتمام بتربيتهم وتعليمهم ، وتنشئتهم على الدين القويم : (ما نحل والد ولده نحلة أفضل من أدب حسن) .

اخطاء فى الاسرة المسلمة

ونختم هذه الدراسة القصيرة عن الاسرة باشارة موجزة الى بعض (الاخطاء) التى تسربت الى بيوتنا الاسلامية ، رجاء فى التنبه لها وتصحيحها

لتعود أسرنا وبيوتنا اسلامية حقـــا :

● اكراه الآباء لبناتهم على التزوج بمن يكرهن . وقد منع الاسلام ذلك كما جاء فى حديث الفتاة التى شكت الى الرسول صلى الله عليــه وسلم : « ان أبى زوجنى من ابن أخيه ليرفع لى خسيسته وأنا كارهة » فأحضر الرسول أباها وجعل الامر اليها . ولكن الفتاة كانت ذكية رضية فقالت : (يا رسول الله قد أجزت ما صنع أبى . ولكنى أردت أن يعلم الناس أن ليس للآباء من الامر شىء) .

● اهمال الامهات لارضاع أولادهن من ثديهن ، والاعتماد على التغذية الصناعية ــ أو تسليمهم الى المحاضن العــامة والمربيات الاجنبيات ، مما أوهن علائق الاسرة ، وأضعف ارتباط الابناء بآبائهم وامهاتهم ، كما اعترف بذلك علماء التربية والباحثون فى شؤون النساء والاطفال (١٠) .

● ومن المفاسد التى طرأت على الاسرة المسلمة : ظاهرة الاختــلاط بين الجنسين ، بدعوى ان ذلك من أجل ايجاد تفاهم وتعارف بينهما خطبة وزواج ــ وهو فى الواقع كما تشهد حضارة الغرب : فتنة وفساد كبير . وقد اعترفت بذلك صحف امريكا ومجلاتها (١١) .

● اتخاذ (المرأة) لصاقة ذباب .. بنشر صورها العارية الكاسية مجلبة لانظار الجماهير وأفكارهم ، وذلك فى الاعلانات التجــارية التى تخصها والتى لا تخصها على سواء فأنت تراها فى اعــلانات الساعات والسيارات ــ والادوية ــ والاشربة ــ والسجائر ــ ومعاجين الاسنان ــ والثلاجات ــ والدراجات الخ . ومع ذلك يزعم (النسائيون) انهــم يطالبون بحرية المرأة وكرامتها ومساواتها بالرجل زورا وبهتانا ، وهــم يهينونها ويجعلونها (لصاقة ذباب) ومجلبة زبائن ، ووسيلة تكســب وارتزاق !!

❊ ❊ ❊

وبعد .. فهذا موجز عن (الاسرة) كما يريدها الاسلام ، لا كما ارادتها الحضارة الغربية المعاصرة . والموضوع مهم ويتسع لبحث طويل ، بــل لكتاب كامل ، ولكن ما اثبتناه يكفى للعظة والاعتبار ، وللافتخار أيضا .. لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

---

(١) الدكتور محمد طه الجاسر / مجلة (المسلمون) / ١٣٨٢ هـ

(٢) أليكسس كاريل / فى كتابه « الانسان ذلك المجهول »

(٣) الآية ٢١ من سورة الروم

(٤) الآية ٢٣٥ من سورة البقرة

(٥) فى التوجيه النبوى : (المؤمنون عند شروطهم الا شرطا أحل حراما أو حرم حلالا) ولان أحق الشروط أن توفوابه ما استحللتم به الفروج)

(٦) الآية ١٥١ من سورة الانعام

(٧) الآية ٢٣ من سورة الاسراء

(٨) الآيتان ٢٣ و ٢٤ من سورة الاسراء

(٩) من قوله صلى الله عليه وسلم للمغيرة بن شعبة عندما خطب فتاة ولم ينظر اليها .

(١٠) عن كتاب (اطفال بلا اسر) لمؤلفة اوروبية

(١١) نيويورك هيرالد تريبون / ١٩٦٢

الأسرة

والمشكلات الاجتماعيّة للمجتمع

للاستاذ : محمد همام الهاشمى

تقديـــم :

من الحقائق الثابتة التى لا تحتاج الى مزيد من التأكيد أن الأسرة هى النواة والخلية الاساسية فى المجتمع الانسانى . وذلك ما تثبته التجربة التاريخية . فما من مجتمع انسانى استطاع أن يستغنى عن هذا التنظيم الاجتماعى الــذى ينظم العلاقة بين الرجل والمرأة ، ويسمح لهذه العلاقة المشروعة أن تؤتى ثمارها ذرية تتجدد بها حياة المجتمع ، ويتوارث أعضاؤها حضارته جيلا بعد جيــل ، ذلك أن وظيفة الأسرة لا تقتصر على مجرد اشباع الاحتياجـــات الجنسية والعاطفيــة للزوجين ، ولكنها الى جانب ذلك تنشىء وتربى وتحتضن النشء وترعاه وتؤصل فيه من القيم والمثل ما يحفظ على المجتمع استمراره وتطوره ، كل ذلــك عــن طواطية تصدر عن الفطرة .. فطرة الله التى فطر الناس عليها إعمارا للكــون

واستمرارا للجنس البشرى . ولو لم تكن الروابط الأسرية صادرة عن الفطرة الكامنة فى الطبيعة البشرية لاستطاعت المحاولات المتكررة من ــ تربوية وثورية ــ على مر التاريخ ان تقضى عليها . فقد نشأ من النظم السياسية منذ القدم ما حاول استقطاب ولاء الفرد للدولة عن طريق إبعاده عن الانتماء الى أى ولاء آخر . . . ومن ثم فلم يكن للاسرة دور فى جمهورية أفلاطون . . وخصوصا بين الطبقة العليا المختارة والمهيأة لقيادة المجتمع . . وهذا هو موقف الرفض الكامل لمفهوم الأسرة الذى يعتمد على خصوصية العلاقة بين زوج وزوجة واولادهما . . وعلى مر التاريخ حاولت بعض الفلسفات والنظم السياسية أن تجتذب الولاء من نطاق العلاقات الأسرية كالمزدكية فى القديم والنازية والشيوعية فى التاريخ الحديث . . وهكذا أثبت التاريخ أن كل فلسفة تعتبر أن الولاء المطلق للدولة ذو أهمية خاصة كانت تقلل من شأن الأسرة بأن تضعف من الرباط الوثيق الخاص الذى يربط أفرادها ببعضهم البعض .

والعجيب أنه ما أن تخف حدة الضغوط المذهبية أو السياسية حتى تعود العلاقات الأسرية الى سابق عهدها . مع ما تخلفه هذه الضغوط عادة من صعوبات ومشكلات يعانى منها النشء الذى تربى فى ظل هذا الانفصال من اختلال عاطفى وتحجر فى الأحاسيس والمشاعر .

ومن هنا كان القول بأن دور الأسرة ووظيفتها بالنسبة لأعضائها وبالنسبة للمجتمع يزيد أضعافا مضاعفة عن دور ووظيفة أى عضو من أعضائها منفردا .

من أجل ذلك اجمع علماء الاجتماع على أن الأسرة هى اهم النظم الاجتماعية بل هى قاعدة كل النظم الاجتماعية الأخرى . . وعلى هذا الاساس كان النظر الى العلاقة الوثيقة بين الأسرة والمجتمع من حيث تأثر كل منهما بما يصيب الآخر من تغير أو تحول ــ نتيجة لظروف وأوضاع أيهما أو كليهما . . واصبح هذا المقياس من وسائل تحليل الظواهر والمشكلات الاجتماعية فى المجتمع .

ولعل أوضح دليل على ذلك ما نستمع اليه ونقراه من صيحات التحذير التى ترتفع بين آن وآخر من الباحثين والاخصائيين الاجتماعيين والنفسيين فى المجتمعات الغربية ــ تحذر وتنذر وتوجه الانظار الى خطورة ما أصاب الأسرة الغربية من تفكك يهدد بالقضاء على المجتمع بأسره . . وقد تعدت هذه الصيحات نطاق البحوث والكتب والدوريات المتخصصة الى المجلات العامة . فقد صدر مثلا عدد خاص من مجلة تايم الأمريكية فى ٢٨ ديسمبر ١٩٧٠ وهى تحمل على غلافها صورة رجل وامرأة وأولادهما وكتب تحتها بعنوان بارز ــ الأسرة الامريكية . . الى أين ؟

لقد جندت المجلة لبحث موضوع الأسرة الامريكية أكفأ باحثيها وخصصت هذا العدد من المجلة لدراسة هذا الموضوع . . تقول المجلة : إن الأسرة الامريكية غارقة فى شتى ضروب المشاكل الاجتماعية بما أصبح يهدد مستقبل الأمة الأمريكية بأسرها واوردت المجلة أن هذا التقييم الخطير هو حصيلة ما انتهت اليه دراسات وبحوث أربعة آلاف من المتخصصين فى شئون الأسرة والطفولة الذين اجتمعوا مؤخرا فى البيت الأبيض . وذكرت المجلة أن من أهم التوصيات التى انتهى اليها هذا المؤتمر بناء على الأبحاث والدراسات التى نوقشت خلال اجتماعاتهم هو مناشدة الرئيس الأمريكى اقامة معهد يسمى « المعهد الوطنى لشئون الأسرة »

يعمل من خلاله المربون والاجتماعيون والنفسيون على تلافى اسباب التدهــــور السريع الذى تنحدر اليه الأسرة الأمريكية .

وفى هذا العدد من مجلة تايم الأمريكية تتساءل مرجريت ميد فى عجب . . وهى من أشهر علماء الانتروبولوجيا فى العالم المعاصر " هل تبقى الأسرة كوحدة اجتماعية بعد كل ما أصابها من انحلال ؟ ويرد عليها ريتشارد فارسون بغير تردد، مؤكدا بأنه لم تعد للأسرة الآن وظيفة ولم تعد بالضرورة الوحدة الاساسية فــى المجتمع ويحذر بول يوبينو مؤسس المعهد الأمريكى للعلاقات الأسرية بأن تحلــل الأسرة ينتهى الى تحلل المجتمع بأسره . ويضيف غيره فى نفس عدد المجلة بأن هذا هو ما حدث بالفعل فى أثينا فى القرن الذى أعقب الحرب اليولونيزية ، وفى روما فى منتصف القرن الثانى بعد الميلاد .

ومن العجيب ــ كما يذكر فريدمان فى كتابه عن القانون والمجتمع ــ أنــه بالرغم مما يصدر عن الدراسات الاجتماعية والنفسية من صيحات التحذير فى المجتمع الغربى ــ وما تطالب به الدراسات من اعادة النظر فى جميع السياسات والنظم التى أوصلت الأسرة والشباب الى ما انحدرت اليه ، وما توصى به مــن وسائل تعمل على اعادة التماسك والتراحم والتكافل والتعاون بين أفراد الأسرة وأجيالها وبينها وبين مؤسسات ونظم المجتمعات الغربية عن طريق مساعدتها فى مواجهة مشكلاتها المزمنة والطارئة .

تقول أنه من العجيب أنه بالرغم من كل ذلك ــ فان الأسرة الشرقية عامة والغربية على وجه الخصوص تتهافت على تقليد الانماط الحضارية للأسرة الغربية ــ وتفسير ذلك عند فريدمان أن هذه الانماط تكتسب شعبية فى البلاد الشرقيــة نتيجة لما ران عليها من جمود خلال قرون عدة جعلتهـــا تحاول أن تتمثــل أنماط الحضارة الغربية بعد أن كيفت الأسرة حياتها مع المستويات والمفاهيم الغربية .

لا نريد من ذلك أن نتشفى فيما تواجهه الأسرة الغربية من شقاء وما يشعر الفرد فى نطاقها من ضياع ــ وخاصة ما يتصل بالجيل الجديد ــ ولكننا نريد أن نستفيد العبرة من تجربة تطبيق هذه المبادىء والافكار التى نتطلع الى تقليدها حتى لا ننزلق ــ تدريجيا الى ما وصلوا اليه ــ وأن نراجع مفاهيمنــــا وسياساتنــــا الاجتماعية على ضوء ما تؤدى اليه من آثار ونتائج تهدد نظاما اجتماعيا هو أقدس وأهم النظم التى تقوم عليها أركان مجتمعنا ودعائمه .

الأسرة والمشكلات الاجتماعية :

وحتى تتضح الصورة المتشابكة للعلاقة الوثيقة بين الاسرة والمشــــكلات الاجتماعية فى المجتمع علينا أن نوضح الاهمية الاستراتيجية للاسرة من حيث انها هى التى تقدم للمجتمع لبناته التى تحمل بناءه بالقوة والاحتمال الذى يحتاجه هذا البناء . . فهى تحيط بالفرد طوال حياته ، وهى القـــــادرة على توفير الافـــراد المسلحين بالمعرفة وبعادات وتقاليد المجتمع ووسائل التعامل والتفاعل فى حياته بالقدر الملائم لتوافقهم الاجتماعى والنفسى . . والاسرة لا تستطيع أن تقــوم بهذا الدور الا بتدعيم المجتمع وتشجيعه باعتباره النظام الاجتماعى الكبير الذى يتلقى ما تقدمه الأسرة وبالتالى يغذى خلاياه الصغيرة . . ومن ثم فيجب أن يكون النظر

الى الأسرة باعتبارها الوسيط بين المجتمع والافراد .. وكلما كان الوسيط موصلا جيدا للحرارة ــ كان التوافق والانسجام افضل بينهما .. واذا فهى تسهم فى خلق المشكلات الاجتماعية ــ كما تسهم فى علاجها والتغلب عليها .. وهنا نجد انفسنا أمام نظريتين مختلفتين .. احداهما تقول ان الاسر المريضة تسهم بنسبة أكبر من حجمها العددي فى المشكلات الاجتماعية فى المجتمع ــ ابتداء من الطلاق وادمان أرباب الاسر أو أعضائها للمسكرات والقمار أو المخدرات الى غير ذلك من الانحرافات التى تصيب بعض الافراد بما يسبب مشاكل البغاء والجريمة وحتى حوادث المرور ، مرورا بالسرقة والغش والتزوير وغيرها ..

أما النظرية الأخرى فتتهم هذه النظرة بأنها تحاول أن تصرف انظارنا عن الاسباب الحقيقية لهذه المشكلات ، وهى الظروف والاوضاع والنظم الاجتماعية والاقتصادية السائدة فى المجتمع ــ والتى تؤثر بدورها على الأسرة وأفرادها بما يعتبر المنابع الحقيقية لهذه المشكلات ..

واذن فنحن أمام نظريتين : الاولى تعتبر الاسرة مسئولة عن المشكلات الاجتماعية .. **والثانية** تعتبر المجتمع مسئولا عما يصيب الاسرة من مشكلات تمنعها أو تعوقها من أداء وظيفتها لخدمة المجتمع .. والحقيقة أنه لا تناقض حقيقى بين النظريتين لأن كلا منها تكمل الأخرى .. اذ يستحيل الفصل بين الأسرة والمجال الاجتماعى الذى تزاول حياتها فى نطاقه .. وهو بلا شك ذو تأثير بالغ على ما يصيب الأسرة من مشكلات تنعكس بدورها على المشكلات الاجتماعية فى المجتمع ..

وتفصيل ذلك أن المشكلات الاجتماعية تجد منابعها من محصلة التفاعل بين نظم اجتماعية تفرض أنماطا سلوكية معينة .. وبين الافراد والجماعات فى المجتمع ... ومن ثم فمن الطبيعى أن تختلف هذه المشكلات ــ حجما وطابعا ومدى ــ من مكان الى مكان ، ومن زمان الى زمان بتأثير اختلاف الظروف المتداخلة فى أحداث المشكلة .

ومع ذلك ــ فالمجتمع الانسانى والافراد فى كل المجتمعات تجمعهم روابط انسانية معينة ــ فالسلوك الانسانى فى كل مكان يتشابه فى بعض معالمه الاساسية نتيجة لتوحد السمات البيولوجية للانسان أينما كان .. وهذه السمات البيولوجية تتضمن الدوافع والتوترات التى يستشعرها الانسان فى أى مجتمع .. ويؤدى منع الانسان من اشباع الحد الادنى منها الى تهديد استمرار الحياة الانسانية .. ومن ثم كان على هذه السمات البيولوجية ان تجد تنظيمات وترتيبات معينة من جانب الجماعة تستطيع أن تواجه هذه الدوافع والتوترات البيولوجية وتمدها بحد أدنى من الاشباع ــ ضمانا لاستمرار الوجود الانسانى ــ فكان قيام نظام الأسرة فى كل المجتمعات الانسانية لاشباع دوافع الفرد فى العلاقة الجنسية ، والمشاركة الوجدانية ، وتحقيق استمرار الذات عن طريق الانجاب .. كما كانت حاجة المجتمع الى قيام نظام الامن الذى يطمئن الفرد على ماله وعرضه ليستطيع أن يتفرغ لعمله ــ خدمة لاهدافه ولاستمرار المجتمع .. وهكذا فى كل النظم الاجتماعية التى تعتبر ضرورة لاستمرار بقاء أى مجتمع انسانى ــ والتى نجدها بشكل أو بآخر فى كل مجتمع .. لأنها جهود موجهة لاشباع التوترات والدوافع البيولوجية التى يستشعرها الانسان أينما كان .. مع أن هذه النظم

شاملة للمجتمعات جميعا ، الا أنها تنطوى على عادات وتقاليد وقيم تنظم عمليات الاشباع ، ومواجهة الاحتياجات الفردية بالطرق والوسائل التى تتفق مع الظروف الخاصة بالمجتمع ، وبموارده وامكانياته ، وبنظام بنائه الاجتماعى . ومن ثم فهذه العادات والتقاليد والقيم تأخذ أشكالا متعددة بتعدد المجتمعات التى تنشأ فيها بما يسمح بظهور أنماط اجتماعية مختلفة من مجتمع الى مجتمع .. أى انه بالرغم من التشابه الذى نجده فى كل المجتمعات الانسانية — من حيث وجود النظم الاساسية التى تعين الانسان على مواجهة احتياجاته واشباع رغباته (وخصوصا البيولوجية منها) الا أن هذه النظم تختلف مكوناتها من العادات — والتقاليد والقيم والتشريعات — من مكان الى مكان تبعا لاختلاف الظروف البيئية من مجتمع الى مجتمع .. ومن ثم فاننا نستطيع أن نجد تشابها فى بعض المشاكل الاجتماعية كما نستطيع أن نجد اختلافات كذلك .. وكثير من المشكلات الاجتماعية التى كانت تعانى منها المجتمعات القديمة كانت تتشابه لأنها كانت تستمد معينها من الدوافع والتوترات البيولوجية للانسان فى كل مكان .. فالفقر .. والجهل .. والمرض .. والبغاء .. وغيرها كانت جميعا مشكلات توجد فى كل مجتمع انسانى . على اختلاف فى المدى والحجم ، وفى مواجهة المجتمع لها .. ففى ظل بعض النظم الاقتصادية يعيش الفقر المدقع جنبا الى جنب مع الغنى الفاحش ، وترتفع نسب الجريمة ، كما تقع محاولات الهروب من الواقع عن طريق المسكرات والمخدرات .. وفى ظل التخلف العلمى كان المرض يفتك بالآلاف عن طريق الاوبئة والامراض وهكذا .. ومع ذلك فقد استمرت هذه المشكلات الاجتماعية حتى وقتنا الحاضر لأن الظروف المهيأة لها ما زالت مستمرة .. وان كان قد جد عليها الجديد الذى لم يكن معروفا فيما سبق أو كان أضيق نطاقا فى الماضى .

لقد أصبح المجتمع الحديث مطالبا بمواجهة هذه المشكلات التقليدية وتوفير حلول لها مستفيدا بالاكتشافات العلمية والتطبيقات العملية المذهلة التى حققها الانسان فى هذه الحقبة من التاريخ ، وكذلك تحت ضغط تيقظ الآمال الشعبية ، ومطالبة الناس فى كل مكان برفع مستوى المعيشة ونشر التعليم وتوفير الخدمات الصحية .. وهو ما تحقق فعلا فى معظم المجتمعات المتقدمة .. ومن ثم فقد تضاءلت هذه المشكلات لتشغل فى هذه المجتمعات جانبا هامشيا لا يتضح الا فى بعض فئات المجتمع .. وفى أقلياته العنصرية فى أغلب الاحيان :

كما أن نظرة المجتمع الى هذه المشكلات من حيث أسبابها ونتائجها قد تغيرت ايضا — فبدلا من النظر الى الفقر والجهل والمرض والبغاء والجريمة وغيرها باعتبار أن عيوبا فى الافراد هى التى توقعهم فى هذه المشكلات .. تغيرت النظرة بعد ذلك الى البحث عن أسباب هذه المشكلات فى الظروف الاجتماعية باعتبارها تلقى ضغوطا اجتماعية على الفرد ، أو لا تسمح له بتنمية قدراته وامكانياته الانسانية ، أو لا تساعده على التغلب على مشاكله ومواجهة احتياجاته .. ثم تطورت النظرة أخيرا الى أن هذه المشكلات وغيرها محصلة لعوامل ثلاثة : الفرد ، والظروف الاجتماعية ، والحضارة — أى التراث الحضارى — الذى يلقى بظله على حاضر المجتمع سواء من حيث الكيان الاجتماعى ، والنظم الاجتماعية . (ومن ثم يسود الاعتقاد) بأن طبيعة هذه

المشكلات الاقتصادية والصحية والاجتماعية أكبر من قدرة الافراد والمؤسسات الخاصة والجهود التطوعية فى التغلب عليها . وانها تحتاج الى عمل جماعى مشترك من القادة السياسيين ومن المجتمع ككل .. وان على الدولة أن تتدخل لتعديل النظم والتشريعات وتبنى السياسات الاجتماعية التى تتيح تكافؤ الفرص والعدالة الاجتماعية . وتوفير الخدمات التى تسهم فى مواجهة هذه المشكلات .

الأسرة والتغيير الاجتماعي :

واذا كان تدخل الدولة والمجتمع أمرا هاما لمساعدة الاسرة على القيام بدورها وأداء وظيفتها فى المجتمع القديم ... فان هذا التدخل يصبح أمرا أولى بالاهتمام فى ظل التغييرات الاجتماعية العنيفة التى تشهدها المجتمعات المعاصرة .. على أن يكون اهتماما علميا مخططا واعيا بآثار هذه التغييرات التى أثرت فى الأسرة من داخلها أو تحيط بها من خارجها .

ذلك أن تحت وطأة الاتجاه المتزايد لسكنى المدن . والاقبال على التصنيع والاستفادة من منجزات التكنولوجيا الحديثة شهدت الأسرة الجديدة تغييرات فى حجمها وفى وظائفها وفى نوع العلاقات التى تسود بين أعضائها . كما تغيرت طبيعة العلاقة بينها وبين المجتمع ..

فقد لاحظ الباحثون أن سكنى المدن الكبيرة والاتجاه الى التصنيع – كسمتين أساسيتين من سمات المجتمع الحديث – قد صاحبهما اتجاه الاسر حجما الى الكيان نتيجة لما تفرضه ظروف الحياة فى المدينة وضيق مساكنها عن استيعاب الاصول والفروع التى كانت تكون العائلة فى المجتمع القديم .. ولأن الدخول تقصر عن اعالة المرضى والمتعطلين وكبار السن ممن لا يسهمون فى ميزانية الأسرة بل يمثلون أعباء اقتصادية على مواردها – فقد تغير مفهوم التكافل الاجتماعى . والاسرة بتركيبها الجديد أصبحت أكثر تفتحا وأشد تأثرا بالظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فى المجتمع .. ولكنها أصبحت أكثر تعرضا للمشكلات – فمرض الأم او تعطل الأب يهدد كيانها ، ومن ثم أصبحت أقل استقرارا واطمئنانا وأكثر توترا وقلقا .. واضطرت أن تتنازل عن كثير من وظائفها وواجباتها الى مؤسسات أخرى تتولى عنها تربية النشء وتعليمه والترفيه عنه .. ومن ثم أصبحت الأسرة الصغيرة لا تمارس الضبط الاجتماعى . كما كانت تمارسه العائلة بحيث أصبحت تعجز عن التدخل فى المصير الذى يتجه اليه أولادها الذين ترعاهم مؤسسات كبيرة قد تختلف عن الأسرة فى اتجاهات اجتماعية وفكرية ..

والمجتمع الحديث – تحت وطأة سكنى المدن والتصنيع – ذو تأثير فى تغيير طبيعة العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة من حيث حقوق وواجبات أعضائها فى مواجهة بعضهم البعض – فالاقتصاد النقدى الذى يسود المدن اجتذب المرأة الى الخروج الى العمل .. واذ تستقل المراة اقتصاديا يكون لها أن تطالب بتغيير طبيعة علاقتها بالرجل من التبعية الكاملة الى المشاركة على قدم المساواة . وانشغالها بعملها يقصر الوقت الذى تقضيه فى رعاية أطفالها – فتضطر أن تعهد بهم الى الخدم أو دور الحضانة أو الجيرة .. مما

يعرضهم الى المعاناة العاطفية نتيجة نقص الحنان الفطرى الذى جبلت عليه قلوب الأمهات .. وتعدد مراكز السلطة داخل الاسرة بين والدين يوقع الاولاد فى حيرة نفسية ، ويشتت عواطفهم ، ويبدد بعضا من أمنهم النفسى الذى كانوا يستمدونه من الأب باعتباره المصدر الاساسى للسلطة . وفى هذا الاطار تكون دراسة دور الأب فى الاسرة ذات أهمية خاصة .. فهو الذى يضع أسرته فى المجتمع .. فمهنته تحدد موقعهم فى النسيج الاجتماعى ، كما تقرر القدر الذى ستحصل عليه الأسرة من احتياجاتها — ففى ظل مجتمع المدنية تؤدى الفروق فى الطبقة والمركز الى فروق فى الرضا والاشباع المادى والاجتماعى والنفسى ، مما ينعكس على دور الأب فى الأسرة .. وعلى علاقاته بزوجته وأولاده .. فالمركز المتدنى قد يثير انفعالات شاذة تتراوح بين التعويض من جانب أو العدوان من جانب آخر .. واحساس الأب بفشله فى شغل المركز الاجتماعى أو المهنى الذى يشعر أنه يستحقه ينعكس على دوره فى الأسرة — ومن هنا كان تفسير بعض الباحثين للشدة الملحوظة من جانب آباء الطبقة الدنيا فى تربية اولادهم .. أو لا مبالاتهم المكلفة بمصير أولادهم ..

فى ظل هذه الظروف المتغيرة فى نطاق الاسرة ذاتها ، أو من حولها — فانها تسعى مضطرة الى التوافق مع الاوضاع والظروف الجديدة التى أخرجتها عما ألفته ، وتواضع عليه الآباء والاجداد من عادات وتقاليد وقيم .

ولأن التوافق مع الجديد لا يتم بنفس الدرجة للجميع .
ولأن الجيل القديم يصر على التمسك بما الفه وتعوده .
ولأن الجيل الجديد يقبل على التغيير بتلقائية .

ينشأ ما يسمى بصراع الأجيال داخل الأسرة ، وتهتز القيم والمعايير السلوكية بما يفقدها دورها فى الضبط الاجتماعى وتوجيه الفكر والسلوك — وتتعرض الأسرة والمجتمع الى كثير من المشاكل الفردية والاجتماعية وحالة من التفكك تقتضى التدخل بالعمل الاجتماعى المخطط .. بالتشريع والبرامج والمشروعات لحماية الأسرة : بحيث « يحفظ القانون كيانها ، ويقوى أواصرها ، ويحمى فى ظلها الامومة والطفولة » .

وبعد — فاذا كان التغيير الاجتماعى قدر لا فكاك منه — فى ظل ما يحيط بنا من ظروف عالمية ضاغطة ، وما نتجه اليه بارادتنا من تحضر وتصنيع — فهل ننزلق طواعية الى التسليم بكل ما نحرص عليه من قيم وتقاليد تكافلنا وتراحمنا ؟ ام ان علينا أن نتدخل بالعلم والوعى والبصيرة فنعمل على السيطرة على مسار التغيير ، ونقوده عبر الطريق الذى يخدم تطورنا وتقدمنا — حتى يرتفع البناء لا تعوقه العقبات ، وحتى لا يقضى التطور على اصالتنا وقيمنا .. وحتى لا يسلبنا التقدم المادى المحتوى الحقيقى لحياتنا الانسانية ...

وهذا هو واجب مؤسساتنا التشريعية والتنفيذية ..

بل هو مسئولية المجتمع بكامله ..

مائدة القارئ

« الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن أن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيــز حــكيم » . .

صدق الله العظيم

اذا صلت المراة خمسها ، وصامت شهرهــا ، وحفظت لها فرجها ، واطاعت زوجهــا قيل لها ادخلى الجنة مــن اى الابواب شئت .

حديث نبوى

البيت تدل عليه بناته قبل ان يدل عليه ابناؤه .
لأن الفضل فى نشاتهن كلها للبيت .
من حيث يحسب لغير البيت فضل فى نشاة الابناء .

واجب المــراة

اجتمع النساء مرة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وارسان واحداهن الى الرسول لتقول له :

يا رسول الله : انا وافدة النساء اليك .. هذا الجهاد كتبه الله على الرجال ، فان يصيبوا اثيبوا ، وان قتلوا كانوا احياء عند ربهم يرزقون ، ونحن معاشر النساء نقوم عليهم ، فمالنا من ذلك الاجر ؟

فاجابها عليه الصلاة والسلام بقوله : ابلغى من لقيت من النساء ان طاعة للزوج واعترافا بحقه يعدل ذلك ــ يساوى اجر المجاهدين ــ وقليل منكن من يفعلــه .

شن رجل من عقلاء العرب ، اقسم الا يتزوج الا امراة عاقلــة حكيمــة فخرج يبحث عنها فوجد رجلا فى الطريق ، فسارا معا ، فقال له شن : اتحملنى أم أحملك ؟ فقال له الرجل : يا جاهل أنا راكب وأنت راكب ، كيف احملك أو تحملنى ، وسارا فوجدا فى الطريق زرعا ناضجا ، فقال شن لصاحبه : أترى هذا الزرع أكل أم لا ؟ فقال له الرجل : يا جاهل ترى نبتا ناضجا ، فتقول أكل أم لا ، وسارا فلقيتهما جنازة ، فقال شن لرفيقه : أترى صاحب هــذا النعش حيا أو ميتا ، فقال له الرجل : ما رأيت أجهل منك ، واستضاف الرجال شنا ، وكان للرجل بنت اسمها طبقة ، فسألته عن ضيفه ، فأخبرها بكل ما كان مــن شن وأخبرها بانه مغفل جاهل ، فقالت : يا ابت ما هذا بجاهل .

أما قوله : أتحملنى أم أحملك ، فأراد أتحدثنى أم احدثك حتى نقطــع طريقنا ، وأما قوله : أترى هذا الزرع أكل أم لا ، فأراد هل باعه أصحابه ، فاكلوا ثمنه ، أم لا ، وأما قوله فى الجنازة فأراد هل ترك ذرية يحيا بهم ذكره أم لا .

فدخل الرجل على شن ، وقال له : أتحب أن أفسر لك ما سألتنى عنه ؟ قال: نعم ، ففسره فقال شن : ما هذا من كلامك فأخبرنى من صاحبه ؟ قال ابنة لى اسمها طبقة ، فخطبها وتزوجها وحملها الى اهله فقالت العرب وافق شن طبقة وذهبت مثلا لكل اثنين متوافقين ..

ذكاء المراة

كان العرب يخطبون فــى المراة سعة الحيلة ، ومضــاء الذكاء ، وما أرادوا بذلك الا أن يكون تراثا لبنيها .

روى أن امرأ القيس الكندى اقسم يمينا الا يتزوج امراة حتى يسألها عن ثمانية وأربعــــة واثنتين ، فجعل يخطب النساء فاذا سألهن عن هذا قالــوا : اربعة عشر ، فبينا هو يسيــر فى جوف الليل اذا برجل مــع ابنته ، فأعجبتــه ، فقــال يا جارية : ما ثمانية وأربعــة وثنتان ، فقالت : أما ثمانيــة فاطباء الكلبة ، وأما أربعــة فاخلاف الناقة ، وأما ثنتان فثديا المراة ، والاطباء والأخــلاف الأثداء وهى حلمات الضرع . فخطبها الى ابيهــا .

المراة فى الجهاد :

طويت صحف السير والسفن والتاريخ على كثير من فضليات النساء خرجن فى رفقة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى غزواته ليداوين الجرحــى ، ويأسون المرضى ، ويسقيــن الماء ورحن بأجر المجاهديــن فى سبيل الله ، ومن هؤلاء :

ام سنان الاسلمية جــاءت الى رسول الله وهو خــارج الى خيبر ، فقالت :

يا رسول الله اخرج معــك فى وجهك هذا ، اخرز السقاء واداوى المريض والجريح ان كانت جراح ــ ولا تكــون ــ وابصر الرجل .. فقال رسول الله : اخرجى على بركة الله فان لك صواحب قد كلمننــى واذنت لهن من قومــك ومن غيرهم ، فان شئت فمع قومك وان شئت فمعنا ، قلت : معك، قال : فكونى مع ام سلمــة زوجتى ، قالت : فكنت معها .



مالك . أبو حنيفة . الشافعي . أحمد

لقد كان من لطف الله بهذه الامة ، وكان من التيسير ، ان قيض لهذه المهمة الجليلة رجالا يعدون من الافذاذ والنوابغ الذين انجبتهم الانسانية فقها وامانة ، واخلاصا وكفاية . كان منهم هؤلاء الأربعة (ابو حنيفة م ١٥٠ هـ . ومالك م ١٧٩ هـ . والشافعى م ٢٠٤ هـ واحمد بن حنبل م ٢٤١ هـ) الذى قدر لفقههم ان يعيش الى هذا اليوم ويخضع له العالم الاسلامى . وقد فاق هؤلاء في فهمهم الواسع ، ووقفوا حياتهم واستعملوا مواهبهم بسخاء فى تكوين هذه الثروة الفقهية والقانونية التى لا تعادلها ذخيرة فقهية في العالم ، والتى لا تزال مرجعا ومادة واسعة للتشريع لهذا العصر . وقد توفر هؤلاء على هـذه الخدمة التى تدين لها الأمة ، ويدين لها العالم ، وآثروها على كل راحة ولذة وجاه ومنصب فى الحياة ، وقد خاب ملوك عصرهم وامراؤه . وخابت الأطماع والاغراءات ان تشغل قلوبهم ، او تتوزع عقولهم واوقاتهم ، وقد عرض على ابى حنيفة منصب القضاء الذى كان منصبا كبيرا وشرفا عظيما مرتين فرفض وامتنع ومات فى السجن وقد ضرب مالك مائتى سوط لأجل مسألة جهر بها وخلعت كتفاه . وهى أن طلاق المكره ليس بشىء . وقد قضى الشافعى معظم حياته فى عسر وضنك ، وبذل صحته وقوته فى استنباط الاحكام وتدوين الفقه ، وعارض احمد بن حنبل اتجاه حكومة هى كبرى الحكومات واقواها على ظهر الأرض فى عصره، ودافع عن السنة والفكر الاسلامى الصحيح حتى عوقب وعذب وضرب وسجن .

وقد انتج كل واحد منهم ثروة علمية ، وخلف تراثا فقهيا ينوء بالمجامع العلمية والمؤسسات الكبيرة فى هذا العصر ، فقد روى ان ابا حنيفة قال ستين الف مسالة . وقال بعضهم ثلاثة وثمانين الفا : ثمانية وثلاثين الفا فى العبادات وخمسة واربعين الفا فى المعاملات . وقد ذكر شمس الأئمة الكردرى : ان عدد المسائل التي دونها يبلغ الى ست مائة الف . ومهما كان العدد مبالغا فيه فلا شك انه انتج ثروة فقهية ضخمة هى اساس هذا الفقه الحنفى الذى استطاع ان يحكم المساحة الكبرى فى المملكة الاسلامية ايام ازدهارها ، ويكون دستور مملكة هى ارقى المملكات فى عصرها ، وهى الدولة العباسية .

وكذلك شان مالك فى الفقه ، فكتابه (المدونة) الذى هو مجموعته الفقهية ، تبلغ نحو ستة وثلاثين الف مسالة . وكتاب الأم الذى هو من افادات الشافعى مجموعة فقهية ضخمة تقع فى سبعة اجزاء وقد جمع ابو بكر الخلال (٣١١ هـ) مسائل الامام احمد فى اربعين مجلدا اسماه الجامع لعلوم الامام احمد ..

تلاميذ الأئمة الاربعة :

وقد رزق الله هؤلاء الأئمة الفقهاء تلاميذ نجباء قاموا بعلمهم وزادوا فى ثروته ، وظلوا يشغلون بتنقيحه وتهذيبه ، وقد رزق الامام ابو حنيفة تلاميذ : مثل القاضى ابى يوسف (م ١٨٢ هـ) الذى استطاع بذكائه النادر ، ومقدرته الفقهية ان يكون قاضى الامبراطورية العباسية العظيمة ، والمشرف الدينى عليها ، وقد الف كتاب الخراج الذى يشهد بسعة علمه ودقة فهمه ، ومحمد بن الحسن (م ١٨٩ هـ) الذى هذب الفقه الحنفى والف مؤلفات لا تزال مصدر الفقه الحنفى . وزفر بن هذيل (م ١٨٥ هـ) الذى عرف بحدة القياس وقوة الحجة .

ورزق الامام مالك تلاميذ عرفوا بحسن الوفاء لشيخهم ، والحرص على نشر مذهبه ، مثل عبد الله بن وهب (م ١٩٧ هـ) وعبد الرحمن بن القاسم العتقى (م ١٩١ هـ) واشهب بن عبد العزيز (م ٢٥٤ هـ) وعبد الله بن عبد الحكم (م ٢١٤ هـ) ويحيى بن يحيى الليثى (م ٢٣٤ هـ) الذين دانت بفضلهم مصر وشمال افريقيا بالفقه المالكى .

ورزق الامام الشافعى مثل البويطى (م ٢٣١ هـ) والمزنى (م ٢٧٠ هـ) فقد دونا الفقه الشافعى وهذباه . وكذلك كان من اتباع الامام احمد مؤلف ومحقق ، مثل ابن قدامة الذى صنف (المغنى) الذى يعد من مفاخر المكتبة الاسلامية الفقهية .

أسرة

من تاريخنا

د. عماد الدين خليل

كثيرة هى الاسر المسلمة التى لعبت دورها فى تاريخنا ... تعاضد آباؤها واخوانها وابناؤها ونساؤها فى انجاز عمل جماعى مبدع ، او صد خطر خارجى داهم ، أو مد قيم الاسلام ومعطياته الى اراض جديدة ، وآفاق بعيدة ، ولقد راينا كيف لعب بنو ارتق (١) دورهم الكبير فى فجر الغزو الصليبى لعالم الاسلام ، وكيف راح الواحد منهم يسلم راية المقاومة الاسلامية للآخر ، فيمضى بها هذا اشواطا الى الامام ، فاذا مات أو قتل انتقلت الراية الى التالى . وهكذا جاءت انتصارات « البليخ » ٤٩٧ هـ ، « وساحة الدم » ٥١٣ هـ ، « وسروج » ٥١٦ هـ ، « وخرتبرت » ٥١٧ هـ ، « ومنبج » ٥١٨ هـ ، لتشهد بان اسرة واحدة انجبها تاريخنا يمكن أن تبر بأمها المعطاء ، وتفديها عطاء وتضحية وفداء .

وفى هذا العدد الذى يصدر خاصا « بالاسرة » اريد أن استعرض بايجاز جهود أسرة أخرى لعبت دورها المشهور فى العصر نفسه ، فأسهمت فى تعزيز مواقع المقاومة ازاء الغزو الصليبى ، وحملت راية الجهاد عقودا طويلة ، محققة عبرها الانتصار تلو الانتصار ، ومسلمة اياها أخيرا لربيبها واحد ضباطها الابرار : الناصر صلاح الدين .

تلك هى أسرة آل زنكى : الجد والابن والحفيد ... فأما الحفيد « نور الدين محمود » فقد كتب عنه الكثير ، وأما الجد والابن فلم تسلط عليهما الاضواء بما فيه الكفاية ... لذا سيكون هذا المقال عرضا موجزا لما قدماه فى ساحة تاريخنا وحضارتنا (٢) .

اما الجد فهو آق سنقر بن عبد الله آل ترغان الذى ينتمى الى قبائل « السابيو » التركمانية التى قدم بعض ابنائها بصحبة السلاجقة خلال تقدمهم غربا ، وقد حظى آق سنقر هذا الملقب بقسيم الدولة ، والمعروف بالحاجب ، باهتمام المؤرخين بسبب الدور الذى لعبه على مسرح الاحداث السياسية والعسكرية للدولة السلجوقية ، فقد كان مملوكا للسلطان السلجوقى ملكشاه بن الب أرسلان ومن المقربين لديه ، وقد تربى معه ورافقه فى عهدى الطفولة والصبا ، وعندما تولى ملكشاه السلطنة عام ٤٨٥ كان آق سنقر من أعيان أمرائه ، واخص أصدقائه ، وقد اعتمد عليه فى كثير من الامور ، فارتفعت منزلته ولقب بقسيم الدولة يوم كانت الالقاب لا تعطى الا لمستحقيها ، ولا توجد اشارة الى المقصود من هذا اللقب ، الا ان تسمية ابن خلكان لآق سنقر بالحاجب ، فضلا عن اشارة بعض المصادر الى كثرة اعتماد ملكشاه عليه فى مهام الامور ، ترجح أن هذا اللقب كان يعنى قيام آق سنقر بمنصب الحجابة ، ومقاسمة ملكشاه شؤون الحكم والادارة .

اشترك آق سنقر الى جانب السلاجقة فى معارك عديدة ، فقد سيره ملكشاه عام ٤٧٧ فى محاولة للاستيلاء على الموصل ، وطرد العقيليين منها ، وقد تمكنا من انجاز هذه المهمة ، وبعد مرور سنتين اشترك مع السلطان ملكشاه فى انتزاع حلب من نواب العقيليين ، فولاه اياها تقديرا لجهوده ، وقد تسلم آق سنقر منصبه فى حلب واعمالها كمنبج ، واللاذقية ، وكفر طاب ، واستطاع ان يوسع نطاق ولايته بالاستيلاء على حمص عام ٤٨٣ هـ ، وحصن أفامية عام ٤٨٤ هـ كما فرض طاعته على صاحب حصن شيزر عام ٤٨١ هـ .

وفى عام ٤٨٥ هـ اشترك مع ملكشاه فى مهاجمة العقيليين والانتصار عليهم قريبا من الموصل .

ظلت علاقة آق سنقر بالسلطان ملكشاه قائمة على الطاعة والتفاهم المشترك ، ولم يسع يوما للخروج على أوامره ، ورفض السلطان ــ بدوره ــ الاستجابة لشكاوى معارضى رفيقه القديم ، أو اقرار مساعيهم للتخلص منه ، ولما توفى ملكشاه عام ٤٨٥ هـ تولى الحكم بعده ابنه بركياروق ، ثار عليه عمه تاج الدولة تتش سلطان الشام ، وطالب بالسلطنة لنفسه ، وقد وجد آق سنقر نفسه مضطرا للانضمام اليه ، لعدم امكان مقاومته ، ولان الاخبار باستقرار بركياروق فى السلطنة جاءت متأخرة .

وقد استطاعت قوات تتش والامراء المتحالفين معه الاستيلاء على معظم مدن الجزيرة الفراتية ، ثم اجتاحت الموصل بعد ان انتصرت على العقيليين فى معركة لعب آق سنقر ، دورا رئيسيا فيها ، واتجهت بعد ذلك الى أذربيجان لمجابهة السلطان بركياروق ، وما أن التقى الجيشان حتى ادرك آق سنقر أن عليه الوفاء بعهده لملكشاه ، واستطاع أن يقنع بعض الامراء بذلك ، فانسحبوا جميعا من معسكر تتش وانضموا الى

قوات بركياروق ، الامر الذى فت فى عضد تتش فآثر الانسحاب الى الشام .

ما لبث بركياروق ان امر آق سنقر بالتوجه الى حلب لايقاف مطامع عمه ، وأمده بقوة من جنده لتحقيق هذا الغرض ، فلما علم تتش بذلك سار على راس جيشه لمجابهة قائده القديم .

وفى التاسع من جمادى الاولى عام ٤٨٧ هـ التقى الطرفان عند تل السلطان القريب من حلب ، فحاقت الهزيمة بقوات آق سنقر ، وتمكن تتش من اسره وقتله ، ومن ثم اتجه الى حلب واستولى عليها ، وقد استطاع احد مماليك آق سنقر العاملين فى جيش تتش ان يغتال سيده السلجوقى خلال المعركة التى جرت فى العام التالى بينه وبين بركياروق فى بلاد فارس ، فحاقت الهزيمة بقوات تتش واستتب الامر لبركياروق .

انجز آق سنقر ــ خلال ولايته على حلب اعمالا شتى ، كان اهمها : تمكنه من تحقيق الامن شمالى الشام فى تلك الفترة التى ازداد فيها نشاط قطاع الطرق ، وانتشرت اعمال السلب والنهب ، مما الحق اضرارا بالغة بالزراعة والتجارة هناك ، وقد قام آق سنقر بنفسه « بمطاردة « الحرامية » وقطاع الطريق ، ومخيفى السبيل ، فأوقع بهم ، واستأصل شأفتهم قتلا واسرا » ٦ وكتب الى سائر عماله يأمرهم بتتبع المفسدين وتوفير الحماية التامة للمسافرين ، وقد بلغ من تشدد آق سنقر ازاء المفسدين ان امر بصلب عدد منهم على ابواب حلب ليثير الرعب فى قلوب الآخرين ، كما أعلن بأنه سيغرم أهالى اية قرية تتعرض القوافل التجارية المارة بها للنهب ، بمقدار ما سلب من الاموال قلت ام كثرت ، الامر الذى دفع اهالى كل قرية الى بذل جهودهم فى حراسة القوافل التى تمر بهم ، والسهر على امنها حتى تستأنف مسيرها .

عادت هذه السياسة الحازمة التى انتهجها آق سنقر بنتائج هامة على المنطقة اذ ساد الاطمئنان وأمنت الطرق ، وانتشر العمران ، فانتعشت التجارة ، وازداد دخل البلاد بالواردين اليها بالبضائع من جميع الجهات والاقطار ، ورخصت الاسعار ، وقد بلغ من سيطرة آق سنقر على الامن فى قرى حلب وضياعها ان ارسل من ينادى فيها ان لا يغلق أحد بابه ، وان يتركوا آلاتهم الزراعية فى أماكنها ليلا ونهارا .

اتبع آق سنقر مع سكان ولايته سياسة عادلة ، فأحسن السيرة فيهم ، ونشر العدل بينهم ، وكان شديد التقوى ، عميق الايمان ، انفق الكثير من الاموال على اعمار مسجد حلب ، واقام الحدود الشرعية فى بلاده ، وكان كما وصفه ابن واصل الحموى ، « ذا وفاء عظيم ، وحسن عهد ، ومروءة غزيرة ، وانما كان قتله وفاء لسلطانه ، ورب نعمته ملكشاه، وحفظا لولده ــ بركياروق من بعده » .؟



وأما ابنه عماد الدين زنكى الذى انتقل الى الموصل ، لكى ينال هناك الحظوة والرعاية على يد اصدقاء أبيه من ولاة السلاجقة ، فسرعان ما وجد نفسه أميرا فارسا بطلا يشار اليه بالبنان ، وكأنه كان على موعد مع حركة التاريخ ، ذلك أن نجمه لمع فى قلب الظلمة التى غطى بها الغزو الصليبى مساحات واسعة من عالم الاسلام .

كان هؤلاء الغــزاة قد تمكنوا هنـــاك فى فترة لا تزيـــد عن العقـــد « ٤٨٩ — ٤٩٨ » هـ ، وأنشأوا اماراتهم الاربع — الرها ، انطاكيا ، بيت المقدس ، وطرابلس — التى أصبحت تشكل خطرا بالغا على بقية المواقع الاسلامية فى المنطقة ، وأخذ ذلك الخطر يزداد يوما بعد يــوم بســـبب ما كانت تعانيه القوى الاسلامية آنذاك ، من ضعف وتنازع ، فالخلافتان العباسية والفاطمية ، كانتا أضعف من أن تقفا بوجه هذا الزحف الجديد . اما السلاجقـــة فقد بددوا قواهم فى الصراع على السلطة .

ولم يبق لتحمل عبء القتال ضد الصليبيين سوى الامراء المحليين فى الجزيرة والشام ، لكن التنافس بين هؤلاء كان يعرقـــل فى كثير من الاحيان نجاح اى مشروع لطرد الغزاة .

وهكذا غدت الظروف السياسية والعسكرية فى الجزيرة والشام تحتم ظهور أمير قوى يتمكن من القضاء على تناحر الامـــراء المحليين ، وتوحيد اماراتهم فى جبهة اسلامية واحدة بمقدورها التصدى للصليبيين ، وقد قدر لعماد الدين زنكى أن يقوم بهذا الـــدور بعد أن ولاه السلطان محمود السلجوقى حكم الموصل والجزيرة ، وما يفتتحه من بلاد الشام عام ٥٢١ هـ نظرا لقوة شخصيته وشجاعته ومواقفه السابقة فى القتال ضد الصليبيين ، عندما كان يعمل تحت امرة ولاة الموصل طيلة الفترة بين ٥٠٥ و ٥١٤ هـ حيث اشترك معهم فى معظم حروبهم فى هـــذا المجال ، وقد جاءت هذه التولية نصرا هاما للمسلمين فى صراعهم ضد أعدائهم ، ومبدأ عهد جديد فى تجميع قوى المقاومة الاسلامية والانتقال مـــن خطوط الدفاع الى مواقع الهجـــوم .

لم يشأ زنكى الاشتباك مع الصليبيين منذ البداية ، ورأى أن يسعى اولا الى تثبيت امارته الجديدة ، وتعزيز امكانياتها الاقتصادية والعسكرية ، وتوحيد ما يمكن توحيده من الامارات الصغيرة المتناثـــرة التى تحيط بهـــا من كل مكان ، وتشكل عوائق أمام اية خطـــة يستهدف من ورائها اعلان الجهاد العـــام ضد الاعـــداء ، اذ كانت المصالح الخاصة لامرائهـــــا ، والمنافسات المستمرة فيما بينهم تمنع تشكيل حلف متماسك بوجه الصليبيين . ومن ثم قام زنكى بمراسلة جوسلين أمير الرها ، وعقد معه هدنة مؤقتة « يعلم أنه يفرغ فيها من الاستيلاء على ما بقى له من البلاد ، واصلاح شأنها ، والفراغ من اقطاع بلادها لجنـــد يختبرهم ، ويعـــرف نصحهم وشجاعتهم » . ويبدو أن المشاكل التى جابهت جوسلين اضطرته الى قبول هدنة لصالح غريمه المسلم .

كان هدف زنكى الاول ، اثر عقد الهدنة ، هو الاستيلاء على حلب ، واتخاذها نقطـــة انطلاق له فى بلاد الشام ، وعندما دخلها فى العـــام التالـــى (٥٢٢ هـ) لقى ترحيبا بالغا من أهاليها الذين خرجوا لاستقباله فى تظاهرة عبروا خلالها عن فرحهم بالامير الذى جاء لتخليصهم من تهـــديد الصليبيين الدائم لهم ، ومما كانوا يقومون به من تخريب لا حد له على مـــدى المناطق الزراعية المحيطـــة بمدينتهم ، وانطلق زنكى بعد ذلـــك لاكتساح ما كان يقف فى طريقه ، من حصون مستقلة ، وامارات محلية ، منتهزا فرصة هدنته مع جوسلين ، ساعيا الى توسيع حـــدود امارته فى شتى الاتجاهات .

وعند حلول عام ٥٢٤ هـ كان زنكى قد أنهى الكثير من مشاكله فى المناطق الاسلامية ، كما كانت هدنته مع جوسلين قد انتهت ، فقرر البدء بالهجوم على المواقع الصليبية مستهدفا أشدها قربا وخطرا على كيانه السياسى فى حلب ، ولم يكن غير حصن الاثارب المجاور ذلك الهدف ، بسبب ما كان يلحقه من أضرار بفلاحى المنطقة من المسلمين ، وكان من فيه من الصليبيين يقاسمون سكان حلب كافة قراها ومزارعها الغربية ، ويقومون بغارات مستمرة عليهم ، وقد جمعوا فيه خيرة فرسانهم نظرا لخطورة موقعه ، وأهميته بالنسبة لاهدافهم فى المنطقة .

اتجه زنكى الى هذا الحصن وفرض الحصار عليه ، فلما علم صليبيو الشام بذلك حشدوا قواتهم فى كل مكان ، وشكلوا جيشا ضخما اتجهوا به لقتال زنكى ، فاستشار هذا أصحابه وقادته فيما يعمل ، فأجمعوا أمرهم على الانسحاب وترك الحصن ، لان لقاء الصليبيين فى بلادهم مجازفة غير مأمونة العواقب ، الا انه أجابهم : « ان الفرنج متى رأونا قد عدنا من بين أيديهم ، طمعوا وساروا فى أثرنا ، وخربوا بلادنا ، ولا بد من لقائهم على كل حال » ومن ثم سار للقائهم بعيدا عن الاثارب وجرت بين الطرفين معركة قاسية انتهت بانتصار المسلمين ، وقتل وأسر عدد كبير من الاعداء . ثم ما لبث زنكى أن اتجه الى الحصن وفتحه عنوة ، وقتل وأسر معظم أفراد حاميته ، ثم أمر بتخريب تحصيناته ، وكيلا يكون الموقع عرضة لتهديد مستمر من قبل الصليبيين ، وتقدم من هناك الى (حارم) الواقعة على طريق انطاكية وضرب عليها الحصار ، فبذل له أهلها نصف دخل بلدهم والتمسوا مهادنته ، فأجابهم الى ذلك وقفل عائدا الى حلب .

وقد أشار ابن الاثير الى نتيجة من أهم نتائج معركة الاثارب . وهى : ان الاحداث فى الشام أخذت تتجه اتجاها جديدا لصالح المسلمين ، الامر الذى جعل الصليبيين يدركون أن عليهم مجابهة قوة جديدة لم تكن فى حسابهم ، ويحولون خططهم العسكرية من الهجوم الى الدفاع ، بعد أن كانوا « قد طمعوا فى ملك الجميع » !!

انشغل زنكى طيلة السنوات الاربع التالية (٥٢٥ ــ ٥٢٨ هـ) بتنظيم شؤون امارته وتوسيعها ولم يستطع أن يوجه اهتمامه الى الصليبيين رغم المنازعات التى نشبت بينهم اثر وفاة (بلدوين الثانى) أمير انطاكية عام ٥٢٥ هـ .

وفى عام ٥٢٩ هـ اتيحت له الفرصة ثانية لتحقيق انتصارات جديدة فى بلاد الشام ، حيث قام بمهاجمة عدد من المواقع الصليبية المحيطة بحلب ، والتى كانت تهددها باستمرار ــ فضلا عن كونها الخط الدفاعى الذى يحمى انطاكية من هجمات المسلمين ، وتمكن من الاستيلاء على خمسة منها .

ادت هذه الانتصارات التى حققها زنكى ضد الصليبيين الى تنبيههم الى تزايد خطره على ممتلكاتهم فى الشام ، والى ضرورة توجيه ضربة حاسمة اليه ، وراحوا يتحينون الفرصة المواتية لانزال هذه الضربة ، وبعد عامين ، وحينما كان منهمكا فى حصاره لمدينة حمص التابعة لامارة دمشق قاموا بحشد جيش كبير تقدموا به مسرعين لمباغتة زنكى والقضاء عليه ، وكسب حكام دمشق الى جانبهم ، وعندما سمع زنكى

بذلك سار للقائهم بعيدا عن حمص كيلا يوقع نفسه فى شقى الرحا بينهم وبين الحمصيين ، ورأى أن خير وسيلة يستدرج بها الصليبيين اليه وتتيح له فى نفس الوقت تولى زمام المبادرة بنفسه ، هو أن يظهر عزمه على مهاجمة حصن بعرين الصليبى القريب .

وما أن بدأ زحفه صوب ذلك الموقع حتى تقدم اليه الصليبيون بقيادة كل من فولك ملك بيت المقدس ، وريموند كونت طرابلس ، ودارت بين الطرفين معركة شديدة انتهت بانتصار المسلمين ، وقتل وأسر عدد كبير من جند العدو وأمرائه وقادته ، كان ريموند من بينهم ، أما فولك فقد تمكن من الهروب الى حصن بعرين .

ما لبث زنكى أن تقدم نحو الحصن وفرض عليه حصارا شديدا ، بينما اتجه عدد من المنهزمين من المعركة الى بلاد البيزنطيين وأوربا ، طالبين النجدة من ابناء العالم المسيحى وأمرائه قائلين لهم ان زنكى اذا ما تمكن من الاستيلاء على بعرين ، سهلت عليه السيطرة على بقية المواقع الصليبية فى الشام لعدم وجود من يدافع عنها ، فجمع المسيحيون جيشا كبيرا من الصليبيين والبيزنطيين وساروا لنجدة الحصن ، الا ان زنكى كان قد عزله عن العالم الخارجى ومنع عنه تسلل الاخبار ، كما أن تشديده الحصار على هذا الموقع ادى الىتناقص الميرة والذخيرة فيه ، الامر الذى اضطر اصحابه الى طلب الصلح ، فأجابهم زنكى اليه بعد أن علم بتقدم الاعداء لنجدته وتسلم الحصن .

بعد أن أخفقت حملة الروم والصليبيين التى قادها الامبراطور البيزنطى (حناكومنين) فى انقاذ بعرين سعت الى محاولة استغلال الفرصة ، والاستيلاء على عدد من المواقع الاسلامية فى الجهات الشمالية من الشام ، وتم عقد اتفاق بين الامبراطور ، وريموند أمير أنطاكية ، كان من ابرز بنوده أنه اذا ما استولى المتحالفون على حلب وما يحيط بها من حصون فان ريموند يقوم بالتنازل عن انطاكية للامبراطور البيزنطى ، ويتخذ لنفسه عوضا عن ذلك ، امارة صليبية جديدة تضم حلب وشيزر وحماة وحمص ، وقد قام ريموند ــ كتأكيد لهذا الاتفاق ــ باعلان تبعيته للامبراطور .

ولكى يغطى الامبراطور على أهدافه الحقيقية سعى الى خداع زنكى الذى كان معسكرا آنذاك بين حمص وحماة بأن أرسل اليه رسولا ليقدم له بعض الهدايا ، ويخبره بعدم تعرض الامبراطور لامارته ، ثم ما لبث الاخير أن اصدر أوامره بالقاء القبض على جميع المسافرين القادمين من حلب والقرى المجاورة كيلا تصل أنباء تحركات العدو الى زنكى ، ومن ثم تقدم الامبراطور ، يصحبه أميرا الرها وأنطاكية ، وبدأوا بمهاجمة حصن بزاعة القريب من حلب ، وتمكنوا من الاستيلاء عليه ، وقد استطاع بعض أهاليه أن يفروا الى حلب حيث أنذروا المسؤولين فيها عن قرب الخطر ، فقام هؤلاء بتعزيز التحصينات الدفاعية ، وأرسلوا الى زنكى يطلبون نجدة مستعجلة ، فأمدهم بقوة من الفرسان ، كان لدخولها حلب تأثير كبير على رفع معنويات أبنائها .

وعندما جوبه المتحالفون بمناعة حلب وصمودها آثروا الانسحاب ، وتقدموا الى معرة النعمان فاستولوا عليها ، وتوجه من هناك ــ بقيادة

الامبراطور — الى حصن شيزر وفرضوا الحصار عليه ساعين بذلك الى وضع أيديهم على موقع هام يمنحهم السيطرة على وادى نهر العاصى ، ويقف سدا أمام مطامح زنكى البعيدة فى المنطقة .

استنجد سلطان بن على الكنانى صاحب شيزر ، بزنكى ، فاتجه على رأس قواته شمالا وعسكر بالقرب من حماة ، وراح يشن ما يعرف اليوم بحروب العصابات ضد معسكرات الاعداء ، كما سعى الى خداعهم فأرسل اليهم يقول : « انكم قد تحصنتم بهذه الجبال — المحيطة بشيزر — فاخرجوا عنها الى الصحراء حتى نلتقى !! فان ظفرتم اخذتم شيزر وغيرها ، وان ظفرنا بكم ارحت المسلمين من شركم ، ولم يكن له بهم قوة لكثرتهم ، وانما كان يفعل هذا ترهيبا لهم » .

وبهذا استغل زنكى مبادىء علم النفس الحربى ، وعمل على تحطيم الروح المعنوية للصليبيين ، وقد اشار هؤلاء على الامبراطور بلقاء عدوهم . فرفض ذلك اعتقادا منه بأن زنكى لم يكن يظهر أمامهم من عسكره سوى القليل ، وأن وراءه قوات ضخمة اتاحت له أن يتحداهم الى اللقاء .

استمر زنكى يطلق ما فى جعبته من سهام الحيلة والدهاء ، لتفتيت هذا التحالف الخطير ، فراح يراسل صليبى الشام ويحذرهم من امبراطور الروم ، ويعلمهم أنه ان استولى على حصن واحد فى الشام « أخذ البلاد التى بأيديهم منهم » ويراسل الامبراطور — من جهة أخرى — يتهدده ويوهمه أن الفرنج معه . فسادت الشكوك بين الطرفين المسيحيين سيما وأن أميرى الرها وانطاكيا لم يسعيا الى التعاون الجاد مع الامبراطور ، فضلا عن اشتداد المنافسة بينهما وتخوف ريموند من انتصار الروم ، وبالتالى تنفيذ الاتفاقية التى وقعها معهم والتى تجعله يقف وجها لوجه أمام قوات المسلمين بعيدا عن انطاكية . ولم يرغب أمير الرها — هو الآخر — فى أن يكون منافسه قريبا منه فى حلب فى حالة انتصار المتحالفين ، وتنفيذ بنود الاتفاقية المعقودة بينهم .

ولم يأل زنكى جهدا فى طلب النجدات من شتى انحاء العالم الاسلامى ، فأرسل الى بغداد يلتمس معونة السلطان مسعود السلجوقى ، والى سلاجقة آسيا الصغرى يشير عليهم بالاغارة على المواقع البيزنطية هناك ، كى يتحول اهتمامهم الى تلك الجهات ، ووردت انباء تشير الى أن أراتقة ديار بكر أرسلوا جيشا كبيرا من التركمان ، وأن قوات دمشق تحركت لمساعدة زنكى ، وازاء هذا وذاك رأى الامبراطور ضرورة الانسحاب فأنهى حصاره لشيزر فى رمضان عام ٥٣٢ بعد أن عرض عليه أميرها مبلغا من المال ، وضريبة سنوية كرمز لتبعيته ، وقاد القوات المسيحية المتنازعة عائدا الى انطاكية . وحينذاك انقض زنكى على آلاتهم الحربية الثقيلة (ومجانيقهم العظام) فاستولى عليها ورفعها الى قلعة حلب ، كما أرسل بعض جنده فى آثار قوات العدو المنسحب فقتلوا وأسروا عددا كبيرا منهم .

ويبدو واضحا أن أهم النتائج التى أسفرت عن فشل حملة التحالف المسيحى هذه ، هى تدهور العلاقات بين البيزنطيين والصليبيين ، وعدم استطاعتهم القيام بعمل سريع ضد نشاط زنكى فى المنطقة فى السنين التالية ، وقد اندفع زنكى فى أعقاب انتصاره ذاك فانقض على عدد من

المواقع الصليبية شمالى الشام واستولى على أربعة منها ، ثم قفل عائدا الى الموصل .

انهمك زنكى فى الفترة التالية بالعمل على اتمام خطته بتوحيد الجبهة الاسلامية ، كى يكون أكثر قدرة على مجابهة الصليبيين ، وقام عام ٥٣٣ باستئناف السعى من أجل تحقيق هدفه القديم بالاستيلاء على دمشق وتوحيد الجبهة الشامية ، فاتجه اليها فى أواخر ذلك العام وفرض عليها حصارا شديدا كاد أن يسقطها فى يديه ، لولا استنجاد أمرائها بصليبيى بيت المقدس ، واستجابة هؤلاء لهم ، رغبة منهم فى القضاء على الخطر المشترك ، الذى يمثله وجود زنكى فى المنطقة ، الامر الذى اضطر الاخير الى الانسحاب .

وفى عام ٥٣٨ هـ اتيح لزنكى استغلال مركزه القوى فى ديار بكر ، والقيام بفتح عدد من المواقع والحصون العائدة لامارة الرها الصليبية ، وكان هدفه من وراء ذلك تمهيد الطريق لانزال ضربته المباشرة بالرها نفسها ، وتحقيق حلمه الذى طالما راود خياله عبر سنى صراعه الطويل ضد الصليبيين .

كانت الرها من أهم المراكز الصليبية باعتبارها قاعدة لاحدى اماراتهم الاربع فى الشرق الاسلامى ، ولقربها من العراق ، وقوة تحصيناتها ، وما كانت تسببه للمناطق الاسلامية المجاورة من أخطار لا تقف عند حد ، وتشكل عائقا يحول دون قيام زنكى بتوحيد الجبهة الاسلامية فى الجزيرة ، وشمالى الشام ، بسبب تدخلها المستمر لصالح أعدائه من أمراء المسلمين فى المنطقة ، وتهديدها الدائم لخطوط المواصلات الاسلامية التى تربط بين الموصل وحلب من جهة ، وبين بلاد فارس وسلاجقة آسيا الصغرى من جهة أخرى .

من أجل ذلك راح زنكى يعد العدة للاستيلاء عليها ، وتأمين الاهداف الكبرى التى يتيحها اسقاط هذا الجدار ، منتظرا سنوح الفرصة لتوجيه ضربته ودخول المدينة التى كان ذكرها — كما يقول ابن القلانسى : « جائلا فى خلده ، وأمرها ماثلا فى خاطره وقلبه » وسرعان ما غدت ظروف الصليبيين فى أواخر الثلاثينيات ملائمة الى حد كبير لقيامه بهذه الخطوة ، اذ اشتد النزاع بين ريموند أمير انطاكية ، وجوسلين الثانى أمير الرها ، وانتهى الامر بمقاطعة أحدهما للآخر وعدم نجدته لصاحبه فى حالة تعرض امارته لغزو خارجى ، ومما زاد أمر الصليبيين سوءا وفاة فولك ملك بيت المقدس ، ومجىء بلدوين الثالث الى العرش ، وهو حديث السن ، ضعيف الشخصية ، الامر الذى جعل الصليبيين لا يخضعون لارادة مدبرة تستطيع أن تنهى ما قام بين جوسلين ، وريموند من نزاع ، وتوحد قواهما بمواجهة المسلمين .

هذا الى أن التحالف القديم بين الصليبيين ، والامبراطور البيزنطى قد انتهى عام ٥٣٧ هـ وحل محله عداء شديد ، وحروب دائمة بين الطرفين بسبب أطماعهما الدائمة ، وأخيرا جاءت وفاة حنا كومنين لكى تخلص زنكى من عدو خطر لدود ، ثم ان موقع الرها نفسه كان ملائما لمهاجمة زنكى بعد ، اذ أحاط بها المسلمون من كل مكان ، وفصلها الفرات عن بقية الامارات الصليبية فى الشام .

استغل زنكى الفرصة ، وسعى الى تدبير خدعة تتيح له تحقيق هدفه من اقصر طريق ، وكان يعلم أنه لن يستطيع أن ينال غرضه من الرها ما دام جوسلين وقواته موجودين فيها ، وهكذا انصب اهتمامه على ايجاد وسيلة تدفع غريمه الى مغادرة مقر امارته ، فاتجه الى آمد ، وأظهر أنه يعتزم حصارها ، وأنها هدفه دون غيرها ، وبث عيونه — فى الوقت نفسه — ليطلعوه — أولا بأول — على تحركات أميرها الذى ما أن رأى انهماك زنكى بحروبه فى ديار بكر حتى غادر مقر امارته على راس قواته بعد أن اتخذ اجراء احتياطيا ، بأن عقد هدنة مع قرا أرسلان صاحب حصن كيفا الذى كان قد التجأ اليه بعد تهديد زنكى لامارته ، ومن ثم اتجه الى تل باشر الواقعة على الضفة الغربية للفرات ، كى يتخلص — هناك — من كل مسئولية ويتفرغ لملذاته .

وجاءت عيون زنكى لتطلعه على النبأ الذى كان يتحرق شوقا اليه ، فأسرع بالتوجه الى الرها « مستعينا على السرعة بركوب النجائب والابل » ، مستنفرا كل قادر على حمل السلاح من مسلمى المنطقة للجهاد فى سبيل اعلاء كلمة الله ، وما لبث أن انهالت عليه جموع المتطوعين ، فطوق بهم الرها من جهاتها الاربع . وحاول — فى البدء — أن يتوسل بالطرق السلمية علها تحقق هدفه دون اضطرار لرفع السيف ، فراسل أهالى الرها باذلا لهم الأمان ، طالبا منهم أن يفتحوا له الابواب قبل أن يجد نفسه مضطرا الى تدمير أسوار بلدهم ، واخلاء ديارهم ، الا انهم أبوا قبول الأمان . وحينئذ اشتد زنكى فى التضييق على الحصن مستخدما آلات الحصار الضخمة التى جلبها معه لتدمير أسواره ، قبل أن تتاح الفرصة لتجمع الصليبيين ، والتقدم لانقاذ هذا الموقع الخطير .
وأرسل جوسلين — لدى سماعه نبأ الهجوم — فى طلب نجدة مستعجلة من كافة الامارات الصليبية ، فلم يستجب له سوى (ميلزاند) الوصية على بيت المقدس التى وصلت نجدتها بعد فوات الأوان ، كما أنه قام بمحاولة للدخول الى المدينة ، أو ارسال نجدة لتعزيز دفاعها ، فحيل بينه وبين ذلك .

وفى السادس والعشرين من جمادى الآخرة (٥٣٩ هـ) وبعد مرور ثمان وعشرين يوما على بدء الحصار انهارت بعض أجزاء الحصن اثر الضرب المركز الشديد الذى تعرضت له ، فاجتاحت قوات المسلمين المدينة ، ثم ما لبثت القلعة أن استسلمت بعد يومين ، وقام القس اليعقوبى برصوما باجراءات تسليم الرها لزنكى ، الذى أصدر أوامره الى جنده بايقاف أعمال القتل والأسر والسلب واعادة ما استولوا عليه من سبى وغنائم ، وأعقب ذلك باصدار أمر آخر بالاسراع فى تنظيم ما اضطرب من أمور الرها ، وتعمير ما تهدم خلال أيام القتال الطويلة ، ورتب من رآه أهلا لتدبير أمرها ، والاجتهاد فى مصالحها ، « ووعد أهلها باجمال السيرة وبسط العدالة » مستهدفا من وراء ذلك استمالة سكانها الاصليين من المسيحيين الشرقيين ، ضد الصليبيين الكاثوليك ، الامر الذى يؤكده قيامه بتدمير عدد من الكنائس الكاثوليكية واحتفاظه بكنائس الشرقيين .
حقق زنكى بفتح الرها أهم أعماله التى قام بها ضد الصليبيين طوال

حكمه ، وكان لهذا النصر نتائج هامة فى العالمين الاسلامى والمسيحى ، كما كانت له نتائجه بالنسبة لزنكى وامارته ، فأما بالنسبة للمسلمين ، فقد أعطاهم سقوط أولى الامارات الصليبية أملا جديدا ، وعد نصرا عظيمـــا للاسلام « لم ينتفع المسلمون بمثله وطار فى الآفاق ذكره ، وصار حديث المحافل » اذ أنه أوضح مدى قدرة المسلمين على مجابهة القوى الصليبية ، وانتزاع أقوى حصونهم منهم ، كما أن هذا الانتصار مهد الطريق أمام الذين أعقبوا زنكى لاكمال عمله ، واسقاط بقية الامارات الصليبية ، واحدة تلو الاخرى .

كما أدى الى القضاء على الحواجز التى أقامها الصليبيون فى هذه المنطقة والتى أعاقت الاتصال بين سلاجقة آسيا الصغرى ، وســـلاجقة العراق ، وبلاد فارس .

وأما فيما يتعلق بالعالم المسيحى ، فقد أثار ســـقوط الرها مخاوف المؤسسات الصليبية فى أوروبا ونبههم الى خطورة الاوضاع فى الجزيرة والشام وتحولها الى اتجاه مضاد لمصالحهم واهدافهم ، لذلك نشطوا فى الدعوة الى حملة صليبية جديدة ، وصلت الشام بعد مقتل زنكى ، وتولى ابنه نور الدين زعامة المسلمين فى الشام ، وعرفت بالحملة الصـــليبية الثانية ، كما أن سقوط هذا الموقع الهام دفع ريموند ، أمير انطاكية الى الاعتقاد بعدم قدرته على مجابهة زنكى بمفرده ، والذهاب — بالتالى — الى القسطنطينية لاعلان تبعيته للامبراطور البيزنطى (مانويل) الذى وعده بمساعدته ضد غريمه .

فاذا ما انتقلنا الى امارة زنكى وجدنا كيف كان لسقوط الرها دور كبير فى تخليصـــها من مصـــدر قريب للخطر كان يهدد المنطقة دوما بشن الغارات « فأصبح أهلها بعد الخوف آمنين » . كمـــا أن هذا النصر مهد الطريق أمام زنكى للاستيلاء على الحصون الصليبية المجـــاورة ، وفرض سيطرته التامة على ممتلكات أعدائه فى المنطقة .

وفوق هذا وذاك حقق فتح الرها نتائج هامة بالنسبة لزنكى نفسه ، اذ عزز مركزه تجاه السلطان السلجوقى ، والخليفة العباسى الذى أنعم عليه بعدد كبير من الالقاب الشرفية كالأمير المظفر ، ركن الاسلام ، زعيم جيوش المسلمين ، ملك الأمراء ، أمير العراقين والشام ، كما أن هـــذا النصر جعل من زنكى أمام المسلمين ، والمدافع عن الدين ، والمجاهد فـــى سبيل اعلاء كلمة الله .

استغل زنكى فرصة سقوط الرها ، واضطراب أمور الصليبيين فى المنطقة وأخذ يسعى للاستيلاء على مراكزهم وحصونهم هناك ، فاتجه الى سروج التى تخلت عنها حاميتها مولية الفرار واستولى عليها ، وما لبثت الحصون المجاورة أن أخذت تسقط فى يديه واحدة تلو الاخرى . ويقول ابن القلانسى : « وجعل — زنكى — لا يمر بعمل من أعمالها ، ولا معقل من معاقلها ، الا سلم اليه فى الحال » . ولم يوقف زنكى عن تقدمه سوى نبأ اغتيال نائبه فى الموصل مما دفعه الى وقف عملياته والعودة الى هنـــاك لاقرار الامور فى مقر حكمه .

ما لبث سكان الرها من الارمن أن دبروا — فى العـــام التالى — مؤامرة استهدفت الفتك بالمسلمين واعادة المدينة الى السيطرة الصليبية بعد القيام باســـتدعاء جوسلين ، الا أن زنكى سرعان ما تمكن من كشف

هذه المحاولة الخطيرة ، والقبض على مدبريها واعدامهم ، ثم اعقب ذلك بنفى عدد كبير من الأرمن كيلا يتاح لهم مرة أخرى أن يسعوا الى طعن المسلمين من الخلف ، وتسليم أهم مواقعهم لقمة سائغة للغزاة الصليبيين .

استأنف زنكى سعيه للسيطرة على دمشق وتوحيد الجبهة الاسلامية فى قلب الشام لمجابهة الصليبيين هناك ، وتحقيق مزيد من الانتصارات . الا أن مقتله عام ٥٤١ خلال حصاره لاحدى المواقع المطلة على الفرات وضع حدا لهذه المحاولة التى كان زنكى يطمح لتحقيقها منذ بداية حكمه .



وهكذا تبدو لنا واضحة أهمية الدور الذى لعبه زنكى فى تاريخنا الاسلامى ، اذ يعتبر من أولئك الرواد الذين سعوا لتجميع القوى الاسلامية وفق برنامج مرسوم لمجابهة تزايد الخطر الصليبى الذى لم توقفه المحاولات الجدية التى سبقت زنكى وبخاصة تلك التى تمت على يد كل من (مودود بن التونتكين ٥٠٢ ــ ٥٠٧) و (ايلغازى وبلك الارتقيين ٥١٢ ــ ٥١٨ هـ) و (آق سنقر البرسقى ٥١٨ ــ ٥٢٠ هـ) .

ومن المرجح انه لو تمكن زنكى من فتح (دمشق) وانجاز محاولته لتوحيد الشام ، ولو لم يقتل ــ وهو فى قمة انتصاراته ضد الصليبيين ــ لكان قد استطاع أن يستكمل الاجزاء المتبقية من برنامجه ، ولتكاملت أمام الباحث الحديث الصورة الواضحة للدور الذى قام به فى التاريخ الاسلامى ، وهو دور فاصل ، تتضح خطورته اذا ما عرفنا أن نور الدين محمود ، ومن بعده الناصر صلاح الدين ، لم تكن جهودهما سوى اتمام للعمل الذى بدأه زنكى ، وفى نفس الطريق .



---

١) أنظر الاسرة المجاهدة ، الوعى الاسلامى عدد ٥٢ ــ السنة الخامسة .

٢) أنظر كتاب (عماد الدين زنكى) للمؤلف ، وهو اطروحة ماجستير نشرته الدار العلمية فى بيروت عام ١٩٧١ م .

عروس ، ومهر ، وحفل عرس

عن ربيعة الاسلمى قال ــ كنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يا ربيعة الا تزوج قال قلت والله يا رسول الله ما أريد أن أتزوج ما عندى ما يقيم المرأة وما أحب أن يشغلنى عنك شىء فاعرض عنى فخدمته ما خدمته ثم قال لى الثانية يا ربيعة الا تزوج فقلت ما أريد أن أتزوج ما عندى ما يقيم المرأة وما أحب أن يشغلنى عنك شىء فأعرض عنى ثم رجعت الى نفسى فقلت والله لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما يصلحنى فى الدنيا والآخرة أعلم منى والله لئن قال تزوج لأقولن نعم يا رسول الله مرنى بما شئت قال فقال يا ربيعة الا تزوج فقلت بلى مرنى بما شئت قال انطلق الى آل فلان حى من الانصار وكــان فيهم تراخ عن النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلنى اليكم يأمركم أن تزوجونى فلانة لامرأة منهم ، فذهبت ، فقلت لهم : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلنى اليكم يأمركم أن تزوجونى فلانة فقالوا مرحبا برسول الله وبرسول رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا يرجع رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بحاجته فزوجونى وما سألونى البينة فرجعت الى سول الله صلى الله عليه وسلم حزينا فقال لى مالك يا ربيعة فقلت يا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بحاجته فزوجونى والطفونى وما سألونى البينة فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حزينا فقال لى مالك يا ربيعة فقلت يارسول الله أتيت قوما كراما فزوجونى وأكرمونى والطفونى وماسألونى بينة وليس عندى صداق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بريدة المسلمى اجمعوا له وزن نواة من ذهب قال فجمعوا لى وزن نواة من ذهب فأخذت ما جمعوا لى فأتيت به النبى صلى الله عليه وسلم فقال اذهب بهذا اليهم فقل هذا صداقها فأتيتهم فقلت هذا صداقها فرضوه وقبلوه وقالوا كثير طيب قال ثم رجعت الى النبى صلى الله عليه وسلم حزينا فقال يا ربيعة مالك حزين فقلت يا رسول الله ما رأيت قوما أكرم منهم رضوا بما آتيتهم وأحسنوا وقالوا كثير طيب وليس عندى ما أولم قال يا بريدة أجمعوا له شاة قال فجمعوا لى كبشا عظيما سمينا فقال لى رسول الــــه صلى الله عليه وسلم اذهب الى عائشة فقل لها فلتبعث بالمكتل الذى فيه الطعام قال فأتيتها فقلت لها ما أمرنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت هذا المكتل فيه تسع آصع شعير لا والله ان أصبح لنا طعام غيره خذه فأخذته فأتيت به النبى صلى الله عليه وسلم وأخبرته بما قالت عائشة فقال اذهب بهذا اليهم فقل ليصبح هذا عندكم خبزا فذهب اليهم وذهبت بالكبش ومعى أناس من أسلم فقال ليصبح هذا عندكم خبزا وهــذا طبيخا فقالوا أما الخبز فسنكفيكموه وأما الكبش فاكفونا أنتم فأخذنا الكبش أنا وأناس من أسلم فذبحناه وسلخناه وطبخناه فأصبح عندنا خبز ولحم فأولمت ودعوت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الدينار العربي

للاستاذ : محمد الحسين عبد العزيز

لم يعرف الانسان النقد عند بدء ظهوره على سطح المعمورة حين كان يعيش في الغابات ويجد طعامه وكساءه ، ولما تعلم الزراعة وانخرط في سلك الجماعة استخدم نظام المبادلة بين سلعة وأخرى ، ومن السلع التى تم التبادل بها المحار في بلاد الصين والثيران في بلاد اليونان ، والشاى والأرز في بلدان أخرى ، لكن هذه السلع قابلة للتلف أو صعبة النقل كالثيران ولهذا اقتضى الأمر أن يعتمد على سلعة تجمع بين المنفعة وطول البقاء ، وقابلية التجزئة وسهولة النقل فابتكر التعامل بالمعادن من ذهب وفضة لعظم مزاياها .

وقد تعامل المصريون القدماء بالذهب في القرن الثلاثين قبل الميلاد على هيئة حلقات ذات وزن معين للاشياء الثمينة ، أما النحاس فقد كان للمبادلات البسيطة . واستخدمت بابل في بلاد العراق القديمة قطعا من الفضة تزن الواحدة منها جزءا من الستين من الرطل .

ويعتبر النقد الذهبي والفضي الذى صدر في عهد الملك كرستوس ملك ليديا بآسيا الصغرى وقد حكم بين عامي ٥٦١ – ٥٤٦ ق.م أول عملة في التاريخ ، وانتشرت بعدها في بلاد اليونان حيث تم تطويرها في رسمها وتصميمها .

وكلمة الدينار يونانية الأصل وهو وحدة العملة الذهبية ووزنه ٤٫٢٥ جراما .

أما الدرهم (الدراخما) فيوناني أيضا ، ويصنع من الفضة ووزنه ٢٫٩٧ جراما ، أما الفلس فكان وزنه




نقود معاوية بن أبى سفيان

يعادل ١ : ٤٨ من الدرهم ويصنع من النحاس .

ويقول المؤرخ البلاذرى ان دنانير هرقل كانت ترد على أهل مكة فى الجاهلية بينما ترد الدراهم الساسانية اليها أيضا وكانت قريش تزن الفضة بوزن تسميه درهما وتزن الذهب بوزن تسميه دينارا وكل عشرة من أوزان الدراهم تعادل سبعة من أوزان الدنانير ووزن الشعيرة يعادل ١ — ٦٠ من الدرهم .

وكان أهل يثرب يتعاملون بالدراهم منذ قدم الرسول عليه الصلاة والسلام فأرشدهم الى وزن مكة ، ويطلق على المثقال من الذهب دينارا ويعادل اثنين وعشرين قيراطا الا حبة ، ويزن اثنين وسبعين حبة شعير ، وفرض رسولنا عليه أفضل الصلاة والسلام زكاة الاموال فجعل فى كل خمس أواق من الفضة الخالصة خمسة دراهم وهى النواة ، وفرض فى كل عشرين دينارا نصف دينار .

وقد ضرب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الدراهم على نسق الدرهم الكسروى وشكله وأضاف اليه عبارة « الحمد لله » وفى بعضه « محمد رسول الله » وفى الآخر « لا اله الا الله وحده » وكان وزن كل عشرة دراهم ستة مثاقيل ، كما ضرب الخليفة الأموى معاوية بن أبى سفيان دينارا وعليه نقش تمثال يتقلد سيفا ولما أعلن عبد الله بن الزبير استقلال الحجاز وانفصالها عن الدولة الأموية ضرب دراهم مدورة نقش على أحد وجهيها « محمد رسول الله » وعلى القفا أمر الله بالوفاء والعدل » وضرب أخوه مصعب بن الزبير دراهم فى العراق ، وجعل وزن كل عشرة منها سبعة مثاقيل .

ولما استقر الامر لعبد الملك بن مروان بعد قتل ابن الزبير وأخيه ضرب الدينار العربى الموحد الذى بعث به الى الولايات الاسلامية وذلك فى عام ٧٤ هـ وقد اختلفت الروايات التاريخية حول سبب ضرب هذا الدينار فقيل ان خالد بن يزيد بن معاوية قال له « ان العلماء من أهل الكتاب الأول يذكرون أنهم يجدون فى كتبهم أن أطول الخلفاء عمرا من قدس الله تعالى فى درهم ، أما الرواية الثانية فهى الكتاب الذى بعث به الخليفة الى ملك الروم وذكر فيه سورة الاخلاص مما أغضب الامبراطور ، وكتب لعبد الملك أن لم تركوا هذا ذكرنا نبيكم فى دنانيرنا بما تكرهون » فعظم ذلك على عبد الملك واستشار الناس فأشاروا عليه بضرب عملة عربية وترك استخدام الدنانير الرومية والراجح أن عبد الملك رأى أن الدولة العربية وقد عظمت مكانتها السياسية والحربية جدير بها أن تستقل بضرب عملة عربية عنوانا لاستقلالها الاقتصادى . وتحررا من رابطة بيزنطة .

بالسكة (١)

وبعث الخليفة الى الحجاج بالعراق فسيره الى الآفاق ليضرب بها الدراهم والدنانير ، وعلى الولاة فى الامصار أن يكتبوا الى الخليفة بما يجتمع فغلبهم من المال كى يحصيه عندهم وتحمل اليه الاموال أولا بأول وقدر ضريبة مقدارها . درهما عن كل مائة درهم مقابل ثمن الحطب وأجر الضرب ونقش على الدينار الاموى فى الوجه « قل هو الله أحد » وعلى القفا « لا اله الا الله » ونقش فى الطوق « محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » .

وعندما بدأ عبد الملك تفكيره فى ضرب الدينار العربى عمد الى نقد من النحاس لهرقل ملك الروم وابنيه ، كان يضرب فى مدينة الاسكندرية مصر آنذاك ، وهذا النقد لم يكن يحمل تاريخا فضرب على مثاله ديناره الذهب عدا بعض التغيير فاستبدل رسم الصلبان بالحلقات والكرات مما وجد على الوجهين وأحاطهما بكلمات التوحيد بخط كوفى بسيط ، وكان هذا أول نقد عربى يحمل الشعائر الاسلامية ، ولم يذكر فى الدينار تاريخ الضرب .

وقد أدخلت تحسينات على هذه العملة ، واستبدلت النواقص وزيد على أحد الوجهين تاريخ الضرب بحروف كوفية ورفع الحرفان اللاتينيان اللذان كانا منقوشين فى الدينار الاول واستبدلت صورة الامبراطور وابنيه بنقش يمثل صورة الخليفة وقد تقلد سيفه ، أما المرحلة الثالثة فكانت عام ٧٧ هـ حين أصبح الدينار عربيا خالصا لا يحمل الا كتابات كوفية . واستمر هذا الطراز سائدا حتى نهاية الدولة الاموية .

والجدير بالذكر أن الدينار الذهبى الموحد الذى ضربه الخليفة عبد الملك لم يسمح بضربه فى غير الفسطاط بمصر ، وفى دمشق بالشام ، وكان وزن الدرهم ستة دوانق ، وتسمى خفافا أى خفيفة الوزن ، وبعضها ثقالا ، كل درهم ثمانية ، وتسمى البغلية « بلدة قريبة من الحلة بالعراق » أو نسبة الى رجل يدعى بغل ، كان يقوم بضربها ويعادل الدانق قيراطين ، والقيراط أربع حبات من حبات الحنطة كما وجدت دراهم وزنها أربع دوانق ، ولما أرادوا جباية الخراج جمعوا بين الدرهمين « الدرهم الذى يزن أربع دوانق » والذى يزن ثمانية دوانق .





اسم السلطان بيبرس

وأخذ معدل الوزنين فصار الدرهم الشرعى يزن ستة دوانق . ولهذا قال المؤرخون ان دنانير ودراهم عبد الملك ذات ثلاث فضائل ، فان كل سبعة مثاقيل تزن عشرة دراهم ، وأنه عدل بين صغار الدراهم وكبارها فصارت ستة دوانق ، والثالثة أنها موافقة لما سنه الرسول عليه الصلاة والسلام بغير وكس ولا شطط » وهكذا أصبح الدرهم الشرعى الذى اجتمعت عليه الأمة يزن خمسين حبة وخمسا حبة من الشعير أو الحنطة .

وقد ضرب الوليد بن عبد الملك أجزاء من الدينار فضرب نصف دينار يزن ٢ر١٣ جراما وضرب ثلث دينار يزن وزنه ٤٢ر١ جراما ولم يضع الأمويون أسماءهم ، ولا أسماء أحد من أبنائهم أو قوادهم على الدينار كما فعل العباسيون فيما بعد ، ولعل عبد الملك الأموى هو الخليفة الذى وضع صورته على الدينار كما كان يفعل البيزنطيون ، ثم تركه عندما ترك طراز نقودهم ، ونظرا لعدم تسجيل اسم الخليفة على الدينار فقد أدى هذا الى الالتباس اعتمادا على التاريخ فقط فاذا توفى أحد الخلفاء فى سنة ما وتولى خليفة آخر مكانه ، فهذا الدينار اذا عثر عليه لا يمكن نسبته الى خليفة معين ، بل يمكن نسبته الى كليهما .

ولم يذكر الأمويون مدن الضرب الا على الدينار الذى ضرب فى مدينة طرابلس الغرب والقيروان بالمغرب الأوسط ، وظلت الدنانير العربية الاندلسية ينقش عليها الكتاب باللغتين العربية واللاتينية .

الدينار العباسى :

وحين تولى أبو العباس السفاح الخلافة العباسية ضرب دينارا فى مدينة الانبار اعلانا لزوال الدولة

الأموية . وميزه عن الدينار الأموى بحذف سورة الاخلاص التى كانت تكتب فى مركز الوجه ونقش محلها « محمد رسول الله » ، كما ظل حجم الدينار ووزنه وقطره كما كان أيام الأمويين ، ولم يذكر مدينة الضرب ، أو اسمه اقتداء بالأمويين .

وقد مر الدينار العباسى بثلاث مراحل **المرحلة الأولى** تبدأ من ١٣٢ — ٢١٨ هـ وتبدأ **المرحلة الثانية** من ٢١٨ — ٣٣٤ هو **والثالثة** من ٣٣٤ — ٦٥٦ هـ وفى **المرحلة الأولى** أدخل المأمون تعديلا على ما كان يكتب على الوجه فاستبدله بما كان يكتب على القفا فدون فى مركز الوجه « لا اله الا الله وحده لا شريك له » وفى مركز القفا « محمد رسول الله » واستحدثت كلمة الامام كما أدخلت كتابة بين الطوق والمركز عرفت باسم النطاق فدون فى نطاق الوجه « بسم الله ضرب هذا الدينار بمدينة كذا سنة كذا . . » وفى نطاق القفا كتبت عبارة « محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » .

وفى **المرحلة الثانية** استمر الدينار يضرب على نمط واحد على آخر ما وصل اليه زمن المأمون فذكر اسم الخليفة ، ومدينة الضرب ، وباقى النصوص ، ولم يطرأ على وزن الدينار أو قطره الا شىء يسير من التبدل .

وفى خلال هذه نقشت أسماء أولياء العهد . وأمراء البيت العباسى كما دونت على النقود أسماء الحكام الذين استأثروا بالسلطة دون الخلفاء من بويهين وغيرهم كما ضرب بعض الخلفاء أسماءهم مع أسماء أبنائهم على العملة .

وفى **المرحلة الثالثة** كتبت أسماء حكام السلاجقة ، كما نقشت أسماء خلفاء بنى العباس أيضا . وضرب حكام الولايات أمثال ابن طولون والى مصر عملة تحمل اسمه اعلانا لاستقلاله بحكم مصر ، وضرب الاخشيديون ثم الفاطميون عملة باسمهم أيضا .

وقد كان الدينار العربى عملة دولية ونقدا ممتازا فى القرن العاشر الميلادى تعامل به أهل جنوب شرق آسيا ، كما أن الدينار الأندلسى كان عملة متداولة فى ممالك أوربا الى جانب العملة الفرنسية .

وكانت العملة الفاطمية قبسا للعملة التى ضربها البنادقة ، كما استعانوا بصناع من العرب والمسلمين للعمل فى دور سك النقود .

وهكذا كان الدينار العربى ذا عيار من الذهب مرتفع ووزن ثابت لا يقل عن ٤٫٢٥ جراما وله مكانته الدولية بسبب الرخاء الاقتصادى ، والمكانة السياسية التى وصلت اليها الدولة الاسلامية فى هذه الحقبة الزاهرة من تاريخنا المجيد .

الفتاوى

المكافأة ميراث

السؤال :

توفى رجل عن زوجته وبنته ووالده ووالدته ، وترك مكافأته عن مدة خدمته فى الحكومة ، فكيف توزع هذه المكافأة ؟

عدى الهندى — دبى

الاجابة :

هذه المكافأة تعتبر ميراثا عن المتوفى وبناء على هذا توزع طبقا لأحكام المواريث فى الشريعة الاسلامية فيكون لزوجته ثمنها فرضا ولابنته نصفها فرضا ، ولأمه سدسها فرضا لوجود الفرع الوارث ولأبيه الباقى فرضا وتعصيبا .

ميراث ووصية واجبة

السؤال :

توفى رجل عن زوجة وأربعة أبناء وثلاث بنات ، وعن ولدى بنت توفيت فى حياته ، فما نصيب كل من هؤلاء فى التركة ؟

وهبة على — القاهرة

الاجابة :

تقسم هذه التركة خمسة وتسعين سهما : منها سبعة أسهم لولدى البنت المتوفاة وصية واجبة بالسوية بينهما ، والباقى هو الميراث ، فتعطى الزوجة منه الثمن لوجود الفرع الوارث وهو أحد عشر سهما ، ويخص كل ابن أربعة عشر سهما ، وكل بنت سبعة أسهم .

تسعير مـــواد التمويـــن

السؤال :

هل يجوز شرعا للحاكم أن يحدد ثمن بيع بعض المواد الخاصـــة بالتموين ؟

سعيـد الـرزاز ــ حـلب

الاجابة :

اذا اقتضت المصلحـــة العامة تدخل الحاكم لوضع سعر معين لسلعـــة من السلع والزام التجار البيع للجمهور بهذا الثمن ومعاقبتهم اذا خالفوا كـــان ذلـــك جائزا شرعا رعاية للمصلحة واستنادا للقاعـــدة الشرعية العامـــة (لا ضرر ولا ضرار) وبناء على هذا يحرم على التاجر أن يبيع بأعلى من السعـــر الـــذى قرره ولى الأمر ..

غسل شعـــر المـــرأة

السؤال :

أنا سيدة متزوجة وموظفة ومواظبة على الصلاة والحمد لله ، وأجد عند اغتسالى من الجنابة مشقة شديدة فى غسل شعر رأسى حيث يصعب عـــلى تسويته وتزيينه بعد الغسل كما كان ، فهل يكفينى صب الماء عليه دون نقضه ؟

مـــريم الفهـــد ــ الـــكويت

الاجابة :

يجب عند الاغتسال من الجنابة تعميم بشرة الجسم بالماء عند جميع الأئمة ، ومن البشرة بشرة الرأس قال على رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من ترك موضع شعرة من جنابة لم يصبها الماء فعل الله به كذا وكذا من النار) رواه أحمد ..

ومثل غسل الجنابة الغسل من الحيض والنفاس ، فيجب على المـــرأة فى الغسل ايصال الماء الى منابت شعر رأسها فاذا كان الماء يصل الى هذه المنابت دون حاجة الى نقص الضفائر أو تسريحة الشعر مثلا لم يلزم نقضها ولا اعادة التسريح . روى أن أم سلمة قالت يا رسول الله انى امرأة أشد ضفر رأسى أفأنقضه للغسل من الجنابة (وفى رواية للحيض والجنابة) فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لا . انما يكفيك أن تحثى على رأسك ثلاث حثيات من ماء ، ثم تفيضى عليك الماء فاذا أنت قد طهرت .

أما اذا لم يصل الماء الى منابت الشعر الا بنقض الضـــفائر مثلا فيجب نقضها ..

بريد الوعي الإسلامي

مسلم حائـــر

السؤال :

وقعت فى فاحشة بينة ، وترتب عليها طلاق زوجة من زوجها ، وطـــلاق زوجتى منى ، وقد تزوجت بالسيدة الأولى بعد تطليقها فماذا أصنع للتكفير عن ذنبى ؟

هـ ــ ش ــ البحرين

• • • • • • •

الاجابة :

ان هذه الفاحشة من كبائر الاثم لما فيها من عدوان على العرض ، وانتهاك لحرية الأسرة واجتراء على شرع الله وحدوده ، وهى من أكبر الكبائر التى توجب لفاعلها الخزى فى الدنيا ، والعذاب الشديد فى الآخرة .

ولكن الله سبحانه فتح باب التوبة للمذنبين وأمرهم بالمبادرة اليها ، ووعدهم بقبول توبتهم اذا هم أخلصـــوا وأنابوا واستقاموا قال تعالى فى سورة الفرقان بعد أن ذكر الفواحش ومنها الزنا (الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحـــا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما . ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا) .

وعليك أن تديم الاستغفار والعمل الصالح ، وترجو من الله أن يلهم صاحب الحق الذى اجترأت على عرضه التجاوز عنك يوم الحساب .

قبلة بيت المقـــدس

السؤال :

كيف توجه النبى صلى الله عليه وسلم فى الصلاة الى بيت المقدس مـــع انه لا توجد آية فى القرآن الكريم تفرض عليه ذلك وهل كان يتوجه اليها فى مكة قبل الهجرة ؟

الفاضل بن على ــ المغرب

• • • • • • •

الاجابة :

الذى عليه جمهور الفقهاء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى

فى مكة بعد فرض الصلاة عليه متوجها الى الكعبة المشرفة ولم يزل يصلى اليها طول مقامه بها ، ولما هاجر الى المدينة أوحى اليه بوحى غير متلو ان يصلى الى صخرة بيت المقدس ، فصلى اليها ستة عشر شهرا ، أو سبعة عشرا شهرا على ما رواه البخارى ، ثم نسخ الله ذلك وأمره أن يستقبل الكعبة فى صلاته قال تعالى : « قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فــول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره » .. وقد أنكر اليهود ذلك ، وطعنوا فى الاسلام ، وقالوا إن محمدا يأمر أصحابه بشىء ثم ينهاهم عنه، فأنزل الله عز وجل « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلهــا ألم تعلم أن الله على كل شىء قدير » ..

السؤال :

تاريــخ الطبــرى

قرأت فى تاريخ الطبرى أن آدم عليه السلام هبط من الجنة فى الهند ، وان حواء هبطت بجدة ، فجاء فى طلبها حتى اجتمعا ، فازدلفت اليه حواء ، فلذلك سمى المكان المزدلفة ، وتعارفا بعرفات ، فلذلك سميت عرفات ، فهل هــذا صحيح ..

عز الدين فياض ــ السودان

. . . .

الاجابة :

حرص الامام الطبرى فى كتابه (تاريخ الأمم والملوك) على تسجيل الروايات وجمعها دون الاشارة الى توثيقها أو تضعيفها ، ولم يذكر المؤلفات التى نقل عنها ، ويؤخذ عليه انه ذكر خرافات وأسرائيليات ولم يعلق عليها بما يدل على تكذيبــه لها ، وأغلب الظن أنه سجل مثل هذه الخرافات لأنها مما سمعه أو قرأه دون تعليق لأنه رسم لنفسه خطة وهى أن يسجل الروايات دون تعقيب ، أشار الى هذا فى مقدمة كتابه فقال : انه سيذكر أخبارا عن الماضين قد ينكرها القارىء ، أو يستسيغها السامع ، فليعلم أن اللوم على من نقلت عنهم ، وأننى انمــا سجلت ما سمعت ، أو قرأت والمنصفون من العلماء مع اعترافهم بقيمة الكتاب وقدره أخذوا عدم تمحيصه لبعض الأخبار والروايات وعدم تعقيبه عليها بما يبين درجتها من الصحة والضعف ، وهذا الذى ورد فى الرسالة من الخرافات التى لا يعرف لها أصل ولا سند .

بأقلام القراء

ذكرى الهجرة الخالـــدة

كتب الأستاذ خير الله التركستانى تحت هذا العنوان يقول :

استقبلت الصحارى والجبال والوديان موكب النور الذى تغشى أمامه كل الأعين المريضة والحاقدة الزائفة عن الحق ، وكان خلفه بعوث من قريش تحلـــم بالجعل الذى فرضه على أنفسهم كبارها لمن يلحق بالركب ويثنيه عن غايته الكبرى. كلهم كانوا بمكة فى عجب وفى غيظ ونقمة ، والصاحبان ضمهما مكان أمين (اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا) ..

اذن لقد انتصرت الفكرة ، وانتكست كل أحلام قريش وفشلت مساعيها ، وخذل كبراؤها ، وانها لتنتظر اليوم الذى يأتى وترى فيه أن ذلك الرجل والسيد المنتظر ، خاتما للأنبياء والمرسلين ، أكمل خلق الله وأعظمهم شأنا ومقاما .

وفى يثرب ، المدينة التى طيبها الله جل شأنه لرسوله الاعظم ، كانت قـــد سبقته اليها البشائر والآمال من أهلها ، الأوس والخزوج ، وقد نذروا أنفسهم لنصرة هذا القادم العظيم عليهم ، يحمل أقدس رسالة ، ويريد أنبل غاية ، ويسعى بآيات ربه البينات لاصلاح العالمين .

٢٢ وعلى مشارف طيبة الطيبة بضاحية (قباء) توقف الموكب النورانى حيث صلى محمد الهادى وصاحبه ومن سارع فى مقابلتهما صلاة الحمد والشكر ، وأقام الرسول عليه الصلاة والسلام آنئذ أول مسجد أسس على التقوى فكان تفسيرا أوليا للفكرة التى انتصرب : أن يعبد الله وحده ، وأن يجتمع الناس على هـــداه وعلى اصلاح شئونهم .. أول مسجد يلتقى فيه المسلمون فى مساواة (كأسنان المشط) منيبين الى بارئهم ، خاشعين بين يديه ، يصـــل بعضهم بعضا اخـــاء وتراحما .

وما هى الا نحو عشر سنين حتى دخل محمد عليه الصلاة والسلام مكـــة التى طورد منها ، دخلها والمؤمنون فاتحا بالقرآن ، يهدم الأصنام ويبدد ظلمـــات الجهل ، ويطهر البيت العتيق من رجس الأوثان ، فلا يعبد من دون الله أحد (لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد) ..

ان لنا معشر المسلمين عظات بالغات فى هذه الهجـــرة التى منهـــا كانت الانطلاقة الاولى الى أفضل وجود ، وأكمل حياة ، فلنراجع أعمالنا ، ولنتعظ بجهاد المؤمنين المخلصين ، ولندعو الى روحانية الدين الحنيف التى تقربنا الى الغاية من وجودنا .. وقد اصطلحت المادية اليوم لمقاومة مبـــادىء الحق والعدالـــة والايمان .

وحرى بنا أن نجند أنفسنا لندرأ أخطار تلك المادية ، وأن نكون فى هجرة دائمة لنشر الدين والتمسك بفضائله وأهدابه والذود عن حياضه .

يقول الأستاذ محمد سيد أحمد المسير تحت هذا العنوان :

ان الشباب فى العالم كله تتصارعه الآن مذاهب شتى ونزعات مختلفة .. وهو من هذا وذاك فى حيرة وقلق واضطراب ، والقائمون على أمر الشبــــاب يحاولون ، تحليل ذلك وتعليله ولكنهم جميعا فى غفلة عن العنصر الأساسى الذى أفتقده العالم ، وكان الفراغ منه سببا فى كل ما نراه من انحراف .. السـلوك وخرافة الفكر .. انه الايمان صانع المعجزات ، والقادر وحده على مقاومة كل اغراء وارهاب بشخصية متفاعلة مع الحق بعيدة كل البعد عن التقليد الأعمـى والمجاملة الحمقاء .. ولما كان الشباب فى كل أمة هم عمد حياتها ، وقوة نهضتها، فمن الوفاء لهم ولأمتهم أن تتوافر لهم من خلال البيئة والمجتمع ، من فضائــــل العادات ، وكريم التقاليد ، ومناهج التربية القويمة ما يكفل لهم أن يشبوا أقويــاء مبرئين من أسباب الضعف ودواعى الانحلال .. كذلك من الخير أن يعرف كل فرد موقعه الذى يجب أن تبرز فيه شخصيته ، وتحقق لها ولمجتمعها الأمل الذى ترنو اليه .. فمواقف الرجولة ومواقف الأنوثة كل منها متى أكد دوره الرئيسى فـى معركة الحياة استقلالا وتكاملا كان جديرا بلقب البطولة الرائعة .. فمثلا الأمومة المؤمنة التى تولى وجهها شطر المبادىء والمثل ، وتغرس فى بنيها روح الايثـار والتضحية ، وتفجر فى أبنائها ينابيع الخير — هى بحق عبقرية فذة وبطولة نادرة نادرة لا تقل عن بطولة الرجولة فى ساحة الوغى .

ان عصر الكهوف قد ولى ، وبلغت الانسانية رشدها وتخلصت من كل آثاره اللهم الا من شريعة الغاب التى ما زالت سائدة فى مثل فلسطين وجنوب افريقيا ، فاذا حاول شباب اليوم استعادة هذا الماضى بكل مآسيه بأن يعيشوا عــــراة الأجسام رجالا ونساء ، ويمارسوا الجنس كحيوانات الغاب ، ويتخلوا عن كرامة الانسان بتلك الوحشية الفاحشة .. فهذا وباء يجب أن يحاصر ويحصر ..!!

ان مسئولية هذا الانحراف تقع أولا على المجتمع والأسرة ، حيث لا يوجـد الناصح الأمين ، وحيث وئد صوت الحق وحيث تفككت العرى وأصبحنا أمـــام مهزلة دعاوى الحرية الهوجاء ، والمجتمع المفتوح أو المفضوح على حد سواء .

يحاول بعض الكتاب أن يجعل من ظاهرة الهيبز رد فعل وتمردا على المجتمع الذى يعيشون فيه حيث ساءت العلاقات وتقطعــت الاواصر .. وعلى فـرض التسليم الجدلى بذلك فان هذه الظاهرة ليست بالظاهرة الصحية ، فلم تتخذ موقف التصحيح لمجتمعها ، ولم تحاول النهوض به من وهدته ، بل كانت عاملا مساعدا — ان لم تكن عاملا أساسيا — على هدم المجتمع وتفتيت قيمه الراشدة ، وتحطيم معالمه الانسانية .. واذا توجهنا الى الاسلام نستلهم منه الرشد نجد أنه رسـم صورة ايجابية وضاءة لمحاولة تقويم المجتمع الفاسد ، واتخذت تلك الصـورة عناوين رئيسية فى الاسلام وهى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، أو بمعنى آخر التواصى بالحق أو التناصح .. وبهذا استحقت الأمة المسلمة الخيرية كما فـى قوله تعالى : ((**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**)) وذلك لأنها تملك القدرة والحيوية على التجديد والتجدد بأصالة وموضوعية تتوخى حرية الرأى الناضج والنقد البناء حرصا على سلامة المجتمـع وأمنه ..



قالت صحف العالم

عن مجلة الأصالة الجزائرية :

بما أن الشريعة الاسلامية تعتبر الأسرة الخلية الأساسية للحياة الاجتماعية وتربية النشء .

وبما أن نظام الأسرة فى البلدان العربية والاسلامية يواجه أخطار التفكك والانحلال الذى يظهر بصفة خاصة فى سلوك الشباب . وذلك بسبب أزمات ناشئة عن تطوره السريع من جهة ، وتسرب تيارات ثقافية وحضارية أجنبية لا يتماشى بعضها مع الأسس الأصيلة لهذا النظام .

وبما أن وجود نظام متماسك للأسرة يمثل القاعدة الاساسية ، والشرط الأول للانطلاق فى بناء شخصيتنا الوطنية والحضارية المتميزة والمتفتحة فى نفس الوقت ، وبما أن الثقافة والتوعية يجب أن تصل الى داخل هذه الأسرة لقيامها بتربية اسلامية بناءة سوية ، فان الملتقى الخامس للتعرف على الفكر الاسلامى يوصى بما يلى :

١ ــ وجوب تعليم المرأة حتى تتمكن من القيام بمسؤولياتها فى تربية النشء ، والمشاركة الفعالة فى تطوير مجتمعاتنا النامية ، وذلك بايصال الثقافة الى داخل الأسرة بالوسائل المختلفة ، ومشاركة المرأة فى الحياة الثقافية داخل المساجد والمعاهد والندوات مع تشجيع المنشورات المتخصصة فى مشاكل التربية والأسرة

٢ ــ التأكيد على ضرورة توحيد القوانين الخاصة بالأسرة فى جميع البلاد لاسلامية لضبط أنظمتنا وتشريعاتنا فى هذا الميدان طبقا لمبادىء الاسلام .

٣ ــ تشجيع الدراسات الاجتماعية والعلمية الخاصة بالأسرة فى بلادنا لعربية والاسلامية لاحصاء مشاكلها ، وفهم ظروفها واقتراح الحلول اللازمة لها .

٤ ــ مقاومة التأثيرات والحركات التى تهدد كيان الأسرة الاسلامية سواء كانت ثقافية أو مادية أو اعلامية وتعبئة جميع الوسائل والامكانيات لتوعية المواطنين بهذه الأخطار .

٥ ــ ابعاد النشء وخاصة البنت عن المدارس التبشيرية المنتشرة فى جميع البلاد العربية والاسلامية .

٦ ــ العناية بالأسرة المسلمة خارج العالم الاسلامى ، وخاصة فى أوروبا وأمريكا بشمالها وجنوبها حيث تتعرض هذه الأسرة للذوبان والإمحاء .

تنظيم الأسرة الاسلامية

عن مجلة دعوة الحق المغربية :

ان أول ما وضع من التشريعات لتنظيم حياة البشر : الوصية بالوالدين فهما رمز الحياة الأسرية وعمودها الفقرى ، وكان ذلك بعد الأمر بعبادة الله وحده قال تعالى : **« وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه ، وبالوالدين احسانا »** .

وكان من أسس التنظيم للأسرة التوجيه الى الدقة فى اختيار شريك الحياة والعناية بتلمس جوانب الخير فيه ، تلك الجوانب التى تؤهله لتحمل التبعات وتقدير المسؤوليات ، يقول النبى صلى الله عليه وسلم : **((تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك))** . ويقول أيضا : **((الدنيا متاع ، وخير متاعها المرأة الصالحة التى اذا أمرتها أطاعتك ، واذا دعوتها أجابتك ، واذا غبت عنها حفظتك فى نفسك ومالك))** . والزوجة المثالية تكون اما لشباب مؤمن طاهر يعرف ربه ويعرف حق الوطن عليه وينفع نفسه وغيره : **((والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه ، والذى خبث لا يخرج الا نكدا))** . ففى حسن اختيار الزوجة اطمئنان للقلب وارتياح للنفس ، ولا ينبغى الاندفاع وراء صيد براق خلاب ، من غير تفكير ولا تدبير ، وقد نهانا ديننا عن الزواج من بيئة هابطة فاسقة لا أخلاق لها ولا أمن يرجى فيها **ولا أمين الا من يخشى الله** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((اياكم وخضراء الدمن ، قالوا وما خضراء الدمن يا رسول الله ؟ قال : المرأة الحسناء فى المنبت السوء))** . وذلك لأن النبى صلى الله عليه وسلم راعى بأن الأم هى القدوة لابنتها وابنها : **((كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته))** .

وعلى الأب الولى أن يكون مراعيا الجانب الدينى فيمن يختاره زوجا لابنته ، فلا يهمل هذا الأساس : **((اذا خطب اليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه الا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض))** . وذلك لأن الزواج المؤسس على هذا المنهج الذى أرشد اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يبنى الأسرة على تقوى من الله ورضوان وذلك مما امتازت به الشريعة الاسلامية . ومن زوج ابنته من فاسق أو مستهتر بدينه فقد أساء اليها وجنى عليها .

كما نظم الاسلام العلاقة بين الشريكين على أساس العدل والتعاون **((ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف))** واختار للاشراف على الأسرة ورقابة سير الأمور فيها من كانت أسهمه فى الشركة أكثر ومؤهلاته القيادية أقوى وأكمل فقال سبحانه : **((وللرجال عليهن درجة))** . وقال : **((الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم))** . وحث على اخلاص الطرفين بعضهما لبعض وعدم تقصير أحد فى الواجبات المكلف بها ازاء الآخر فقال تعالى : **((فالصاحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله))** . وقال النبى صلى الله عليه وسلم : ((**والرجل راع فى أهل بيته ومسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها))** . ولا بد فى هذه الشركة من التشاور والتعاون واحترام رأى المرأة عند النظر فى المشاكل ، قال تعالى فى حق الزوجين : **((فان أراد فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما))** . فذكر التراضى والتشاور دليلا على أن للمرأة رأيها ولها شخصيتها المستقلة فى بحث المشاكل وسياسة البيت بعيدة عن الاستبداد والتحكم من أى طرف من الطرفين .

ان هذه الشركة لا بد لها من أرباح ، وما هى الا الذرية ، وقد أمر الله بالعناية بها ، كما أمر الله هذا الناشىء الجديد أن يدفع لأبويه ضريبة التربية فيبر بهما ويحسن اليهما خصوصا عندما تشتد اليه حاجتهما كما يقول تعالى : **((أما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما ، وقل لهما قولا كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا))** . ففى هذا الأدب من التكامل والتضامن ما يسمو على كل تشريع وفى هذا التنظيم السماوى الذى وضعه العليم بأحوال الناس ما يفوق كل تنظيم .

اعـــداد الاستاذ عبد المعطى بيومى

الكـــويت : صرح سمو أمير البلاد المعظم بأن الكويت تقف الى جانـب دول المواجهة وهى عـلى استعداد لدفع كل ما لديها من مال ورجال .

● أدلى معالى وزير الخارجية بتصريح جـاء فيه أن الكويت ترفض وجود قواعد عسكرية أجنبية فى أى بلد عربى .

● وافق مجلس الوزراء على اقتراح قدمه وزير الأوقاف والشئون الاســلامية باقتطاع (١٠٠ فلس) لتمويل صندوق المعونة الطبية لمعالجة غير الكويتيين .

● احتفلت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بذكرى الهجرة النبوية فى مسجد السوق الكبير ، وقد افتتح معالى الوزير الاستاذ راشد الفرحان الحفل بكلمة تحدث فيها عن واقــع المسلمين وواجبهم فى ضوء ما توصى به الهجرة النبوية من تضحية وجهاد .

● أقامت وزارة التربية مسابقات لتحفيظ القرآن الكريم اشترك فيها عدد كبير من تلاميذ الابتدائى والمتوسط والثانوى وقد وزعت الجوائز على المتفوقين .

● تقوم وزارة الأوقاف بتجميع ما ينشر فى الصحف والمطبوعات العربية والاجنبية وتصحيح كل شبهة تثــار والرد عليها .

● رحبت وزارة الاوقاف بزيارة السيد سكرتير عام اتحاد الجمعيات الاسلامية فى بريطانيا للبلاد للبحث فى جمع التبرعات لاقامة مركز دائم للاتحاد .

● أحيل للوزارة طلب الامانة العامة للجامعة العربية لموافاتها بأسماء المؤســات والمعاهد الاسلامية تحقيقا لرغبة المعهد الدولى لحقوق الانسان فى جنيف .

● كما أحيل للوزارة طلب الامانة العامة للجامعة العربية لموافاتها بأسماء المؤســات والمعاهد

● وتبحث وزارة الاوقاف كذلك طلب رئيس الاتحاد الاسلامى لكلومبيا البريطانية بكندا بخصوص حاجة المسلمين الى بناء مسجد هناك .

● تقرر التبرع للمسلمين فى الفلبين بمساعدات مالية لســد حاجة المنظمات وأسر الشهداء والجامعة الاسلامية .

القاهـــرة : أعلن الرئيس أنور السادات أن قرار المعركة مع اسرائيل لتخليص الاراضى المحتلة قــد اتخذ ولا رجعة فيــه .

● أهدت الأمانة العامة لمجمع البحوث الاسلامية عددا ضخما من الكتب الدينية لبعض مراكز جمعيات الشبان المسلمين .

● بعثت وزارة الاوقاف بعض القراء الى مساجد كينيا ، وقد رجــا المسلمون فى كينيا أن تبعث الوزارة عددا من الوعاظ والمرشدين .

● رأس فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود وزير الاوقاف وشئون الازهر بعثة الحج الأزهرية وقد قام معالى وزير الأوقاف بالقاء عدد من المحاضرات فى جوانب الثقافة الاسلامية .

● بحث رئيس جمعيات الشبان المسلمين مع مفتى طشقند وسائل تدعيم التعـــاون بين الجمعيات والمسلمين فى روســيا .

الســـعودية : انتقل الى رحاب الله معالى أمين رابطة العالم الاسلامى الشيخ محمد سرور

الصبان ، والوعى الاسلامى اذ تنعى هذا الرجل المجاهد للعالم الاسلامى لترجو من الله المغفرة له والعــزاء للمسلمين .

● استنكرت رابطة العالم الاسلامى المجازر الوحشية التى يرتكبها الهنود ضد ســكان باكستان الشرقية ولفتت نظر المنظمات العالمية لتعمل معها من أجل حقوق الانسان .

● أهدت رابطة العالم الاسلامى (مصحف مكــة) وترجمة (صحيح البخارى) بالانجليزية وعددا من الكتب الدينية للبطل المسلم (محمد على كلاى) أثناء زيارته للسعودية فى الشــهر المــاضى .

● بلغ عدد الحجاج هذا العام حوالى مليون وربع مليون حــاج .

● رصدت الحكومة (٣٠٠) ألف جنيه استرلينى فى ميزانية العام القادم لاقامة مصنع للكســوة الشريفــة .

الأردن : احتجت الاردن لدى هيئة الصليب الأحمر الدولية بسبب مواصلة اسرائيل انتهاكها لحقوق الانسان فى الاراضى المحتلة وابعاد المواطنين العرب من ديارهم .

● قامت المقاومة الفلسطينية بارسال طرود ناسفة أثارت الرعب فى اسرائيل فى أيام عيــد الميــلاد .

لبنـــان : ندد الرئيس اللبنانى بتحدى الصهيونية للضمير العالمى والقيم الدولية واستنكر اقدام اسرائيل على تغيير معالم القدس العربية وسعيها من أجل تهويدها .

ليبيـــا : بعث الرئيس القذافى برقية الى الرئيس الباكستانى ضمنها استعداده للتأييد العملى دون التأييد بالكلمات وأعرب عن أمله فى أن يتغلب الرئيس بوتو على المصاعب الكبيرة التى تواجهه.

● أعلن الرئيس القذافى أن ليبيا لا تنظر الى الصراع العربى الاسرائيلى على أنه مشكلة الشرق الاوسط بل على أساس قضية فلسطين وضرورة اعادة حقوق الفلسطينيين فى بلادهم .

● تلقت اللجنة الاسلامية لعون الطلاب العرب فى ليبيا من امارة أبو ظبى عشرة آلاف جنيــه استرلينى .

تــونس : قرر اتحاد العمال تقديم معونة للثورة الفلسطينية بمبلغ (٢٥٠) ألف دينار تونسى .

● أقيم مهرجان بمناسبة مرور (١٣٠٠) سنة على انشاء مدينة قيروان عاصمة الفاطميين ومعقل الاسلام فى عصرهم .

الجـــزائر : دعا الرئيس بومدين الدول العربية للتعاون فيما بينها باخلاص من أجل تنســيق الجهود وتوحيدها للحرب ضد اسرائيل دفاعا وانقاذا للاراضى المحتلة .

● وقعت ٤ اتفاقيات بين الجزائر وتونس تتناول الحدود وبعض القطاعات الاقتصــادية وينتظر أن توقع الدولتان مزيدا من الاتفاقيات فى اطار بناء المغرب العربى الكبير .

المغــرب : ستصدر وزارة الثقافة والتعليم مجلة جديدة باسم (الباحث) للبحث فى جميــع ميــادين المعــرفة .

الصـــومال : قام الرئيس محمد زياد بجولة فى بعض الدول العربية استهدفت تدعيم العلاقات بين الصومال والبلاد العربية وبحث قضية فلسطين على ضوء التطورات الاخيرة .

باكســـتان : قام الرئيس الباكستانى بجولة فى بعض الدول العربية والاسلامية لشرح حقائق الموقف فى باكستان .

● سيرأس الرئيس الباكستانى بنفسه لجنة الطاقة الذرية الباكستانية وسيعمل على تطوير الابحاث العلمية فى البلاد .

أندونيســـيا : اتفقت الاحزاب الاسلامية فى أندونيسيا على انشاء سكرتارية واحدة لها جميعا لتوحيد ساسة وآراء هذه الاحزاب .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأ، عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعل الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار ــ ٧ شارع الصحافـــة .

جـــدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب ٢٠٤٣ .

الرياض : مكتبة مكـــة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعـــة ضياء .

عـــدن : وكالة الأهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

المكـــلا : مكتبـــة الشعب ــ ص.ب ٢٨ .

مســـقط : المكتبـــة الحديثة ــ السيد يوسف فاضل .

صنعـــاء : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

دمشـــق : الشركة العامة للمطبوعات ــ ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ــ ص.ب ٢٤٧٣ .

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية ــ ص.ب ٦٧ .

عمـــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات ــ ص.ب ٢١٥ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى ــ ص.ب ١٣٢ .

بنغـــازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص.ب ٢٨٠ .

تـــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بـــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ كورنيش المزرعة .

دبـــى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ السيد غازى بساط .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ ص.ب ١٧١٩ ،

الدوحـــة : سالم الانصارى ــ الدوحة / قطر .

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة عبد الرزاق الصحفيه – الكويت

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

السنة الثامنة — العدد ٨٦ — غرة صفر ١٣٩٢ هـ — ١٦ مارس (آذار) ١٩٧٢ م





الجامع الجـديد فى مدينة البيرة شمال مدينة القدس وقد سقطت فى قبضة اليهود أخيرا .



مسجد أحمـــــد عبد الله الصقر
بمنطقة الشامية احدى مناطق الكويت

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P. O. B. 13

السنة الثامنة

العدد السادس والثمانون

غـــرة صفر ١٣٩٢ هـ

١٦ مارس (آذار) ١٩٧٢

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاســلامية
بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والســـياسية

الثمـــن

الكـويت	٥٠	فلسـا
السعودية	١	ريـال
العــراق	٧٥	فلسـا
الاردن	٥٠	فلسـا
ليبيـا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليمـا
الجــزائر		دينــــار وربع
المغــرب		درهــم وربــع
الخليج العربى	١	روبيـــة
اليمن وعدن	٧٥	فلسـا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشـا
مصر والسودان	٤٠	مليمـا

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكـويت ١ دينــار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
أما الافراد فيشتركون رأســـا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنــوان المراسلات

مدير ادارة الدعــوة والارشـــاد
وزارة الأوقاف والشئون الاســلامية
ص.ب ١٣ هاتف : ٢٢٠٨٨ ــ كويت

الهجرة

بداية التطبيق العملي .. لنظام الاسلام في الحياة

احتفلت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بذكرى الهجرة النبوية ، في مسجد السوق الكبير ، ونقلت الاذاعة والتليفزيون وقائع الحفل الذي حضره عدد كبير من المسلمين وتحدث فيه معالي الوزير الاستاذ راشد الفرحان وبعض السادة الوعاظ وفيما يلي نص الكلمة التي القاها السيد الوزير :

أيها السادة ،

نحتفل بذكرى هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة ، ولهذه الذكرى أهمية عظيمة في نفوس المسلمين ، اذ أن هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم هي بداية للتطبيق العملي لنظام خط الاسلام في الحياة .

١) ومن أعظم هذه المبادىء اعطاء الامة العربية مكانة وأهمية ، فحرص على اذابة الفوارق بين بدوها وحضرها وشعبها وقبائلها وجعلهم ينصهرون في وحدة واحدة تحت راية دولة واحدة ، وكانت الدولة العربية الاسلامية يومئذ التي هزمت الطغاة واهتز لها البغاة . وكانت لها المكانة العظمى بين الدول واحترمتها الشعوب .

٢) وحدة العقيدة :

جعل العبادة لله وحده بعدما كانت متعددة للحجر والشيطان والانسان .

٣) أقام حكم الشورى (الديمقراطي) السليم .



معالى الاستاذ راشد الفرحـــان وزير الاوقاف والشئون الاسلاميـــة أثناء القاء كلمته .

٤) فرض نظام العدالة فى السياسة والاجتماع والاقتصـــــاد (الناس سواسية كأسنان المشط) .

٥) أوجد الجيش النظامى والتجنيد الاجبارى وفرض الجهاد فى سبيل الله لتحرير الارض من الكفر والظلم والطغيان .

٦) حرر المرأة وأعطاها حق العلم والعمل والتعبير والتفكير وحفظ لها كرامتها وصان حقوقها (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) .

٧) قرر الاسلام مبدأ العمل (الاجر على قدر المشـــقة) (لان يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل الناس أعطــــوه أو منعوه) .

٨) دعا الاسلام الى ابداء الرأى وحرية الفكر .

٩) وقبل ثلاثة عشر قرنا قرر الاسلام مبدأ الضمان الاجتماعى للناس (وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) . ونادى بالاخوة والامن والسلام لجميع البشر (يأيها الذين آمنوا ادخلوا فى الســـلم كافـــة) .

١٠) لقد أضفى الاسلام على الاخلاق العربية الفاضلة ثـــوب



بعض كبـــار المسئولين أثنـــاء الاحتفال .

الاسلام فحسنها وهذبها وأكمل ناقصها (انما بعثت لاتمم مكـــارم الاخـــلاق) .

أيها السادة ،

ان الكويت البلد العربى قد آمن شعبها بهذه المبادىء السامية دينا له ، واشربت اهله الروح العربية وتفاعل معها ، ومن هنا جـــاء النص فى الدستور ان دين الدولة الاسلام ، والشريعة مصدر رئيسى للتشريع ، وان الكويت جزء من الامة العربية وان اللغة العربية لغـة رسمية ، وقد تجسدت هذه المعانى شعبيا ورسميا باقامة الشـــعائر وربط الصلات الوثيقة بين الكويت والشعوب العربية والاسلامية ، ولقد كانت للمعونات التى تقدمها الكويت بلا فخر اثرها الطيب وثمرتهـــا المحسوسة فى اقامة المراكز الاسلامية وتشييد المساجد والمـدارس والملاجىء والمستوصفات فى أنحاء العالم ، واننا فخورون بالمركـز العظيم الذى تتمتـع به الكويت على المســـتوى الشعبى والرسمى وبالجسر الروحى الذى يربطنا باخواننا المسلمين فى القارات الخمس ، وهذه نعمة من الله من بها علينا يجب ان نحافظ عليها وان نرعاهـــا ونطلب المزيد منها (وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء عـلى الناس) .

وهنا أود التنبيه الى وسائل الاعلام والفكر ولا سيما الصحافة



جمهور من المسلمين الذين شهدوا الحفل .

.. فأقول انها لم تعط مبادئنا العربية وعقيدتنا ونظامنا الاسلامى حقه ، ولم تعن بالتربية الاسلامية والاخلاق والعادات والطباع العربية الاصيلة ، بينما احتلت صور المستهترات والعاريات أكبر مكان .. وأخذت مسائل الجنس واللهو أشد الاهتمام .. ولقد آلمنى وآلم كل مؤمن ما نشرته بعض الصحف دفاعا عمن يسب الله ويستهزىء به ونشر قصائد لذلك الشاعر الداعر الذى يستهين بالله خالق الكون والانسان والحياة .. خالق الناس ورب العالمين ذلك الشخص الحقير الذى سب العرب وزعماء العرب واستهان بالمؤمنين .

ولقد اتخذت الحكومة الاجراءات اللازمة وما يفرضه الواجب . واننى احذر الصحافة بأن هذا الطريق طريق خطأ انما يسير فيه اعداء العروبة والاسلام وانه طريق ترسمه الصهيونية والاستعمار لضرب الامة وتفرقة صفوفها .

أيها السادة ، لا يصلح هذا الامر الا بما صلح به أوله .

انه لا يمكن الفصل بين العروبة والاسلام بحال .. كما لا يمكن الفصل بين الدين والدنيا .. وبين الاخلاق والنصر :

وانما الأمم الاخلاق ما بقيت
فان همو ذهبت اخلاقهم ذهبوا .

في رحاب القرآن الكريم

للأستاذ عبد العزيز العلى المطوع

(١١٣) سُورَةُ الفَلَقِ مكيّة
وآياتها ٥ نزلت بعد الفيل

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ
غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾
وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

الاســـتعاذة : بدئت سورة الفلق بالاستعاذة كما بدئت سورة الناس ، غير ان الاستعاذة فى هذه السورة استعاذة برب الفلق ، والفلق يشمل الكائنات جميعا وهذا اشمل معنى مما جاء فى سورة الناس وأعم .

من شر ما خلق : ان الاستعاذة فى ســــورة الناس قد جاءت من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس ، اما فى سورة الفلق فقد جاءت الاستعاذة من كل مخلوق يمكنه ان يبعث الشر او يلحق الضرر بعبـــاد الرحمن بالذات او بالواسطة .

ومن شر غاسق اذا وقب : تكررت الاستعاذة فى هذه السورة وركزت الآية بصفة خاصة على الغاسق اذا وقب ، ويظهر ان الغاسق : اسم فاعـــل مشتق من الغسق الذى هو الظلمة فى الثلث الاول من الليل ، لأن الوسوسة فى الصدر تحدث أرقا وقلقا يذهب بالنوم ويسلب لذة الراحة والطمأنينة وقـــد يدفع ذلك الى مغادرة المرء فراشه غاسقا خارج منزله ، فهذا الغاسق اذا استبدت به شهواته غسقا فقد وقب وكبا وهوى فى حمأة الذنوب ، فالرجل الميقاب لغة : كثير شرب الخمر والوقباء : سبة معروفة عند العرب ومداخـــل السوء وقبات ، ومن ولجها يعتبر واقبا والسير الميقاب : المتواصل ليلا ونهارا ، والاوقاب الحمقى ، وقد ورد فى معنى الوقبة أنها : كل نقرة فى الجسم كالنقرتين الموجودتين بالقرب من كتفى الانسان ، كما أن ضمور البطن من اثر الجوع يسمى فى اللغة وقبة ، وكذلك أوقاب الناس ملابسهم وحوائجهم فلو سرق لص فى الغسق أوقاب الناس بدافع الجوع شمله معنى الوقب .

ومن معانى الوقب غور العين وعفونة شماريخ النخلة وبالجملة فان كل ما يطرأ على الغاسق من عمل سىء يدخل فى شموله كلمة الوقب .

ومن شر النفاثات فى العقد : النفث لغة : خروج شىء من داخل الجوف كنفاثة المصدور ، ونفث الحية للسم وقد جاء النفث بصيغة جمع المؤنث ممـــا قد يشير الى انه اذا كان الرجل المؤرق يزايل منزله عادة للتنفيس والترفيه عن نفسه ، فليس ذلك من عادة المراة بمفردها كما هو النظام الغالب فى المجتمع فتنفث المراة المنعزلة المعقدة الناقمة على المجتمع نفثا يخشى معه على تفكيك عرى الخير وعقد النكاح وغير ذلك . والله سبحانه هو أعلم بما يريد .

ومن شر حاسد اذا حسد : الحاسد كالغاسق وزنا ومغزى فالغســـق مشتق من ظلمة الليل والحسد من ظلمة الصدر والنفوس لا تكاد تخلو فى الغالب من رذيلة الحسد وأن تفاوتت درجاتها .

والحسد غير الطموح المشروع ، وغير الغبطة والتنافس فى الخير ، وفى الحكمة المعروفة : قاتل الله الحسد ما أعد له بداء بصاحبه فقتله « فالحاسد يستعاذ منه اذا رام الاذى بمحسوده ومن سهام الحسد نظرة العين ، وهى احدى نوافذ الشر خارج الصدر .

هذه الامور الثلاثة التى تأكدت وتكررت الاستعاذة منها وهى : الوقب،والنفث

والحسد ، انما تخرج من الصدر وليدة القلق والارق ، المتأتيين من وسوسة شياطين الجن والانس فى الصدور ، ومما يؤيد ما ذهبنا إليه ما روى من ان خالد بن الوليد اشتكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الارق — فقال له صلوات الله عليه : الا أعلمك كلمات اذا قلتهن نمت ؟ **(قل : اللهم رب السموات السبع وما أظلت ، ورب الارضين وما اقلت ، ورب الشياطين وما أضلت ، كن لى جارا من شر خلقك أجمعين ، أن يفرط على أحد منهم أو أن يطغى ، عز جارك وتبارك اسمك)** .

ولعل المتأمل المفكر فى هذا الحديث الشريف — يرى أن الرسول صلوات الله عليه ، قد استنبط ذلك من السور الثلاث . سورة الفاتحة ، والناس ، والفلق .

فبدأ الحديث بربوبية الله للخلق كلهم التى بدئت بها السور الثلاث ، وقد طلب منه الرسول أن يستعيذ بالله بعبارة « كن لى جارا من شر الخلق أجمعين »

والاستجارة هى الاستعاذة وهكذا ورد فى سورة الفلق : **((قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق))** ولعل فى قول الرسول صلوات الله عليه : **((أن يفرط على أحد منهم أو يطغى))** استجارة بالله من الشياطين ، حتى لا يفرط عليه أحد منهم بالوقب أو النفث أو الحسد أو غير ذلك . .

وفى هذا الحديث ما يطمئننا على سلامة ما ذهبنا اليه من ترابط بين السور الثلاث المذكورة : سورة الفاتحة ، وسورة الناس ، وسورة الفلق .



من هدي السنة

المسئولية

للدكتور : على عبد المنعم عبد الحميد

روى البخارى ومسلم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته : الامام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى مال أبيه ومسئول عن رعيته ، وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » (١) .

تمهيد :

هذا الحديث الشريف جامع للقوى الساهرة على منافذ المجتمع ، التى بقوتها حفظ كيانه ، وادامة استوائه على أشده ، وبيقظتها استمرار تطوره الى الافضل ، وسد لثغرات الفساد ودفع لها بعيدا عن ساحته ، فقد جمع هذا الكلم الشريف الرؤوس التى لو عمرت بالخير وأدت وظيفتها كاملة لسعدت أمة الاسلام وقويت ، واحتلت مكان الصدارة فى الوجود الانسانى ، فلم يخرج عن دائرة هذا القول وذلك التحديد من يعتد به : فالامام والمراد به الوالى الحاكم الراعى للأمة كلها هو المحور الذى تدور عليه كل مقدراتها ، ورب الأسرة سيد فى أهله ان ذل ذلوا وان سما سموا ، والمرأة الزوجة قرينة له وند ، لها دورها الأول فى الحفظ والتوجيه والرعاية ، والخادم أمين مؤتمن على سر العائلة وعلنها ماديا ومعنويا ، فهو ليس غريبا عنها وانما هو واحد منها له حقوق وعليه مسئوليات ، والولد الى جانب أبيه سند له وقوة ، وعلى هذا فالكل حافظ للكون الاجتماعى ولن يفلت من مسئوليته أمام علام الغيوب الذى لا يخفى عليه شىء ، وأمام الأجيال التى تعاصره والتى تجىء من بعده ، والتاريخ حكم لا يضل وسجلاته لا تغفل عن شىء ، وفوق ذلك كله فانه العلى المجيد وسؤاله للعباد : **« يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا .. » (٢) .**

وانطلاقا من الفهم المستنير النافذ الى أغوار معانى كلمات سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نجده عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام قد وجه كل فرد من ذكور الأمة واناثها شيبها وشبانها الى ما عليه من واجبات هو مسئول عنها ولو أحسن اداءها لاستكملت الأمة قوامها ، كما أوضح أنه لا يحق لامرىء يحترم نفسه ووجوده أن يعيش لنفسه وحده دون نظر الى وجود غيره ، ومن الحكم المنشورة : « ما استحق أن يولد من عاش لنفسه فقط » .

١ ــ ((الامام راع ومسئول عن رعيتــه)) :

الامام ــ كما سبق ــ هو القمة فى الأمة . وهو قدوتها . ومصدر كــل توجيه فيها اذا توافرت فيه شروط الولاية الاسلامية . وعمر قلبه بحب اللــه ورسوله ثم وطنه وقومه وعشيرته . وادرك أن وجوده من وجود شعبه ، أنــه لولاهم لم يكن . حاول جاهدا ايصال كل حق الى صاحبه . وادرك انه مسئول عن كل صغيرة وكبيرة فى طول بلاده وعرضها ، وأن مسئوليته تفوق كل مسئولية . فحافظ على ثغور بلاده بالمرابطين الأقوياء عددا وعدة . ونمى الثروة وارتفع ــ بمستوى الأفراد . وانشأ لكل حاجة وطنية مصنعا يبتدىء من الخيط الدقيق الى الآلات الثقيلة حتى يحدث للوطن وأبنائه الاكتفاء الذاتى من كل مقومات وجودهم . وعبأ الجهود كلها للعمل النافع المفيد ، فالزراع الى حقولهم . والصنــاع فــى مصانعهم . والمعلمون فى دور العلم . والعالمون فى معاملهم . والجيوش فــى مواقعها . والكل مترابط مزود بالمحبة والتعاطف والتفانى فى اداء الواجــب الموكول اليه . فهو راع ومسئول عن رعيته ، وحذار أن يمتاز الحاكم العــادل الواعى عن أفراد أمته فى مسكن أو ملبس أو أى مظهر من مظاهر الحياة سوى القوة العقلية والارادة الحازمة والأوامر الرشيدة النافذة ، واللجوء الى الله وحده فى كل نازلة . والاستعانة به سبحانه فى الشدائد ، والاعتصام بهدى القــرآن ونور النبوة الأمينة وليتعامل مع العالم المحيط به وبقومه معاملة ند لأنداد لا يذل ولا يهن . ولا يتخاذل ولا يضعف فما من أمة مهما بلغت قوتها تستطيع أن تعيش فى معزل عن أضعف أمة فى الوجود :

الناس للناس مــــن بدو وحاضـــــرة بعض لبعض وان لم يشــعروا خــدم

وكل من ولى شيئا من السلطة العامة وعهد اليه بمصلحة من أمور الامــة مهما ضؤل أمرها أو قوى واشتد أثرها فهو راع ومسئول عن رعيته .

٢ ــ ((**والرجل فى اهله راع ومسئول عن رعيته**)) :

وأول ما يسأل عنه من شئون أهله وأسرته . هو السعى على معاشــها واكتساب قوتهــا ونفقاتها ، ويجب أن يحدث هذا بعد تأمل وتفكير واختيار أفضل الطرق الموصلة الى الكسب الحلال من وجوهه المشروعة ، واستدامة اليقظــة والرقابة لما عسى أن يعترض طريقه من عقبات فيحيد عنها ، أو فرص فيسارع الى اغتنامها ، مع ادامة الكد والجد ، مع شدة الاحتراس من التهالك المفســد لدينه المضيع لمروءته ، والابتعاد عما يغضب الله وما يسىء الى مواطنيه ، ومــع هذا يحافظ على أفراد أسرته من الانزلاق فى مهاوى الفساد حتى لا يكونوا حطبا لنار جهنم ، وليتأمل دائما قول الله تبارك وتعالى : ((**يا أيها الذين آمنوا قــوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة . .**)) **الآية ٦ من سورة التحريم .** وذلك يستلزم تربية ناشئة الأسرة على قواعد الدين والأخلاق الكريمة ، واحترام المبادىء الاسلامية فى عاداتهم ومعاملاتهم ، كما يراقب حركاتهم وسكناتهم بفكر نير . وعقل يقظ ، ولا سيما فى مرحلة المراهقة حيث ثورة القوى الحيــوية ، وتوثبها ، كما يجب أن يرشدهم الى مسالك الحياة الصحيحة ، ويوجههم الــى ما ينفعهم فى كسب معاشهم . والاستعداد لمعادهم ، ويعودهم المحافظة عــلى صحتهم الجسمية والعقلية ، ويمضى بهم فى مراحل التعليم الى نهايتها مــع استيعاب ونجاح وامتياز فى النجاح ، ولا شىء أجدى فى التربية من القــدوة العملية ، فليكن رب الأسرة هو مثلها الأعلى فى السلوك ورائدها فى كل خــير ، وقدوتها فى كل عمل نافع مفيد ، ويدخل فى هذا ملازمته لأسرته فى كل حالاتها فلا يبعد عنها الا للضرورة القصوى التى لا يستطيع لها دفعا ، وبهذا يتحقق لــه

دعاء الصالحين المسطور في قول الله تبارك وتعالى : « **والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما** » الآية ٧٤ من سورة الفرقان . ومن أدب نفسه أدب أهله ، وجنى الثمار الطيبة آجلا وعاجلا ، واستحق شكر أسرته واحترام مواطنيه ، حيث أقام فيهم لبنات صالحة بها تقوى شوكتهم ، وتشتد سواعدهم وتحصل سعادتهم فى الدنيا والعقبى .

٣ ــ « والمراة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها » :

للمرأة الصالحة القدح المعلى والمكانة المرموقة فى الأسرة ، فهى سر السعادة ، وعلى وجودها تدور الحياة الكريمة ، هى فى الواقع قائدة وليس مقودة ، هى الرحمة ــ ان صلحت ــ والجحيم ان فسدت ، والمرأة التى تدرك دورها الحقيقى فى بناء الأسرة هى الزوجة التى يقول فيها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **الدنيا متاع وخير متاعها المراة الصالحة** » تلك هى ذات الدين العارفة بربها المصدقة لنبيها ، المؤمنة بأسرتها الساعية فى حفظ كيانها ومراعاة مصالحها يحملها رسول الله صلى الله عليه وسلم مسئولية رعاية زوجها وولدها ومالها وخدمها وكل ما يتصل بحياتها ، هى التى تدرك أن سعادتها الحقة فى اسعاد أسرتها فى تربية أولادها ، فى حفظ مالزوجها وما عليه ، تسره اذا حضر وتحفظه اذا غاب ، وهى شقيقته فى الحياة « **انما النساء شقائق الرجال** » لها من الحقوق مثل ما عليها من الواجبات ، تدير نظام بيتها ، وتكبح جماح رغباتها ، تقتصد فى حال اليسر ما يكون عدة حين العسر ، تتعاون مع زوجها فى احسان تنشئة أطفالها ، ترضعهم المكارم مع لبنها ، وتغذوهم بالمكرمات مع حضانتها لهم ، هى دائما باشة هاشة طلقة المحيا أم رؤوم ، وزوجة عطوف ، ورائدة حكيمة ، وراعية أمينة ، تنشىء أطفالها على المحبة والتعاون والاحساس بآلام غيرهم واسداء المعروف لكل من عرفوا ومن لم يعرفوا ، تحافظ على شعور من يعايشها فى بيتها من زوج وولد وخدم وأقارب ، ولتعلم انها فى صلاحها وتقواها تقود الأسرة الى سعادتى الآجلة والعاجلة ، ولتدرك أن كل كبيرة وصغيرة فى بيت زوجها بين يديها فى حاجة ماسة الى عنايتها وجميل رعايتها ، وانها مسئولة بين يدى الله تعالى عن كل ما يصدر منها ، وانه لا جزاء لصلاحها وكريم خلقها الا الجنة ، وتوزع حبها وحنانها على الجميع بالقسطاس المستقيم فالكل يرنو اليها ويتمنى نصيبا من رعايتها ، لا فرق بين بنين أو بنات فهم جميعا منها واليها ..

والله معينها ومسدد خطاها ان لازت بحماه ، والقت برحالها فى رحابه .

٤ ــ « والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته » :

للخادم فى نظر الشرع الشريف أثره وخطره ، يغشى الأسرة ويطلع على سرها وعلنها ، وكثيرا ما يترك له التصرف فى أموالها ، وقد جعله سيدنا رسول الله راعيا فى مال سيده ، وحمله مسئولية حفظ ذلك المال ، وحسن القوامة على ادارته حين يعهد اليه ما يتصرف فيه بمحض ارادته ، فعليه أن يكون أمينا بعيدا عن الريب والشكوك متجنبا للمسالك البعيدة عن الخير التى يتردى فيها من لا خلاق لهم ، وأن لا يغمض عينيه عن حق سيده طمعا فى أن يستفيد هو شيئا حراما من المال المؤتمن عليه ، وكما أن على الخادم واجبات حيال سيده ، فان له حقوقا لا تنكر فقد ورد فى صحيح البخارى أن أبا ذر الغفارى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أن اخوانكم خولكم (٣) جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما ياكل وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم ما يغلبهم فاعينوهم** » وفى الخادم الصالح يقول رسول

الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى عن مالك عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهم : ((**العبد اذا نصح سيده واحسن عبادة ربه كـــان له أجره مرتين**)) وفى الموطأ وصحيح الامام مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا : ((**للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف ولا يكلف من العمل ما لا يطيق**)) . وهكذا حـــرص الاسلام دائما على حفظ الحقوق الانسانية كاملة غير منقوصة مهما كان وضع ذلك الانسان تابعا أو متبوعا ، فمن عرف حقه قام بما عليه من واجب ، وبذلك تستقيم أمور الحياة وتسير فى طريق غير ذى عوج .

٥ ـــ ((الرجل راع فى مال ابيه ومسئول عن رعيته)) :

يقول بعض شراح الحديث من شيوخنا الأجلاء رحمهم الله تعالى : ((**هـــذا سير مع ما يجرى كثيرا فى متعارف الناس ، اذ ينشأ الولد فى حجر ابيه حـــتى يبلغ أشده وتكمل رجولته ويدخل فى طور التكليف ولا تزال يده تجول بالتصرف فى مال أبيه كما يتصرف المالك فى ملكه ، فالشارع الحكيم يقر هذه الحالة على ما هى عليه ويرشد من هو كذلك الى أنه فى تصرفه راع مسئول ، لا مطلق التصرف من جميع الوجوه ، فيجب أن يكون تصرفه تصرف القيم الأمين لا تصرف المالـــك المطلق**)) . وهذا قول له وزنه وقيمته فالشباب فى حاجة ماسة الى مثل هـــذه النصيحة القيمة لأن طبيعة الشباب يغلب عليهـــا التبذير وبعثرة المـــال ، لأن التجارب لم تحكم أمورهم ولأن نفوس الشباب أسرع الى الزهو والاغترار بمكذوب الثناء ومعسول القول ، فهم عرضة لأن تسلبهم أصحاب الألسنة المذقـــة ، والنفوس المتملقة ما بأيديهم وفوق ذلك لم يكدوا ولم يحصلوا المال بمشقة ولـــم يذوقوا عناء جمعه حتى يدركوا قيمته ، ولهذا جاء التعبير الشريف : ((**راع فى مال أبيه**)) ليشير الى أن مال الأب سهل المنال بالنسبة للأبناء فعليهم أن لا يسرفوا ، وليتأملوا قول الله تبارك وتعالى : ((**كلوا واشربوا ولا تسرفوا**)) وقوله جـــل شأنه : ((**أن المبذرين كانوا اخوان الشياطين**)) .

وجاء فى ختام الحديث الشريف : ((وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)) فكان هذا القول اجمالا بعد تفصيل ليقرر ما سبق ويزيده تأكيدا وتثبيتا وليدخـــل ما عساه لم يدخل فى التفصيلات السابقة كرعاية الجار شئون جاره والصديـــق مهام صديقه ، بل كرعاية المرء شئون نفسه الخاصة من ضبط جوارحه وحواسه ، فهو راع فى لسانه ، راع فى جنانه ، راع فى حواسه ، ومسئول عن كل ذلك ، وقد قيل : ((من علم أن كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه)) . .

نسأل الله جلت قدرته أن يوفق كل راع مسئول فى رعاية ما استرعاه ، أن ربى سميع مجيب هو نعم المولى ونعم الموفق والمعين .

---

(١) الراعى يرعى الماشية أى يحوطها ويحفظها ، واكثر ما يقال : رعاة للولاة ، والرعيان لراعى الغنم ، ورعى الامير ـــ عينه رعاية ، ورعيت الابل ارعاها رعيا ، ورعاه يرعاه رعيا حفظه ، وكل من ولى امر قوم فهو راعيهم ، وهم رعيته .

ومعنى ((كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)) أى حافظ مؤتمن ، والرعية كل من شمله حفظ الراعى ونظره .. عن لسان العرب ص ١١٨٨ جـ ١ ـــ طبع بيروت .

(٢) الآية (٣٠) من سورة آل عمران .

(٣) الخول بفتح المعجمة والواو : هم الخدم ، سموا بذلك لانهم يتخولون الامور اى يصلحونها ومنه (الخولى) لمن يقوم باصلاح البستان ، ويقال الخولى جمع خائل وهو الراعى ، وقيل : التخويل التمليك ، تقول : خولك الله كذا اى ملكك اياه ، وفى تقديم لفظ اخوانكم على خولكم اشارة الـــى الاهتمام بالاخوة ـــ عن فتح البارى ص ١٠٠ جـ ٦ طبع مصطفى الحلبى بالقاهرة .



- ٤ -

للدكتور : محمد سلام مدكور

انتهينا فى المقال السابق الى منهج القرآن فى توجيه الناس الى الايمان بالرسل ، وبأن محمدا صلوات الله عليه خاتم النبيين والرسل ، وأن دعوة الاسلام جاءت عامة للبشرية فى مختلف العصور والبقاع ، وأن الايمان بالبعث والحساب ينتهى اليه العقل والفكر قبل أن يثبته النقل ، وأن الايمان بكل هذا لمن أقوى ما يدفع الانسان الى الكمال فى عمل الخير ، وكان حريا أن ينأى به عن الشرور والآثام ، وقد وعدنا بالكلام عن اثر الايمان فى النفوس وهو ما نختتم به هذا الموضوع ..

الايمان مصدر القوة لأن القلب متى عمر بالايمان الصحيح تحول الى طاقة من القوة لا تصدها الجبال ، ولا تقهرها الرجال ، ولا تمنعها الاهوال ، ولا يعوقها شىء . والايمان سبيل التماسك بين الآخذين بحبله ، لأنه يؤلف القلوب على الخير ، ويجمعها على البر ، كما يقول الله سبحانه فى وصف جماعة المؤمنين : « المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء

بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله » ووعدنا الله ووعده الحق اذ يقول جل شأنه : « **وكان حقا علينا نصر المؤمنين** » .

فطبيعة الايمان الصحيح تستتبع اجتماع الكلمة ، وتستلزم النصر من الله لا محالة . اذ الايمان اعتصام بحبل الله وابتغاء للعزة من سلطان الله ، ومن ابتغى العزة عند الله وجدها ، وليس بمؤمن من طلب العزة من غير الله سبحانه ، انظر كيف جعل الله اثرا للايمان في نفوس المؤمنين ، ورتب عليه الولاية بينهم ، يتآمرون بالمعروف ، ويتناهون عن المنكر ، وهذا وحده يكفى أن يكون دستورا لجميع نواحى الاصلاح ، وسبيلا الى كل رقى وفلاح . كما رتب عليه اداء العبادات البدنية والمالية وتهذيب النفوس والانقياد بالايمان لله ورسوله . ثم عقب على ذلك بوعده الكريم بأنه سيدخلهم فى رحمته وتشملهم عنايته .

حقا ان الايمان هو سكينة النفس القلقة ، وهداية القلوب الضالة ، ومنار السالكين الحائرين ، وأمان الخائفين ، وناصر المجاهدين ، فهو المعين الفياض الذى تستمد منه الارادة القوية سر قوتها لأنه الاساس لجميع الفضائل من الصبر والعزيمة والثبات والاقدام والعزة والكرامة ، ولذا فان النبى صلى الله عليه وسلم مكث فترة كبيرة من صدر رسالته يوجه الناس الى العقيدة ويرسى قواعد الايمان فى نفوس متبعية ، حتى اذا رسخت جذور العقيدة فى نفوسهم ، وثبتت أصولها ، واشرقت بنور ربها جاءه الوحى بالتكاليف الاخرى بعد أن هذب بالايمان نفوسهم وجعلها أرضا طيبة صالحة لان تكون مصدر خير وسعادة لمجتمعهم ، ولبنة طيعة لتلقى التوجيه والارشاد ، بما فى قلوبهم من ايمان متأصل قد احاطه الله بالاخلاق الفاضلة المهذبة للنفس .

ولقد كان للايمان اثره القوى فى نفوس قوم كانوا متفككين متمادين يغير بعضهم على بعض فجمع الايمان بينهم ووحد كلمتهم ، وعزلهم عن المجتمعات الفاسدة ، وصنع منهم نفوسا قوية ابية لا تلين لها قناة ، وتأبى الضيم ، تقف فى الارض هاتفة باسم العدل والاحسان، وداعية الى الحق والايمان ، ومناوئة لكل مرض فى المجتمع وثائرة على كل فساد فى الارض .

تلك هى أمة الاسلام التى التفت حول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم منذ ذاقت طعم الايمان ، واستطابت مذاقه ، فرضيت بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد نبيا ورسولا ، فلم ترض الا حكم الحق وحملت العالم كله على النزول على فطرة الله ، فكان لها من القوة بسبب الايمان ما كتب لها النصر فى جميع المعارك برغم قلة عددهم . وضعف عتادهم ، واذل جبابرة الارض لهم ، وكان فيما يدينون به من آثار الايمان ، ومظاهر التدين الصحيح المنبعث عن العقائد السليمة ما جمع القلوب حولها . وجعل النفوس تؤثر العيش فى كنفها ، وكنف الرحمة والاحسان المستمدين من الدين والايمان . .

وبذلك اتسعت رقعة فتوحاتهم فملكوا العالم وصاروا سادة الارض ، وملوك الدنيا لا بالسيف وحده ، ولكن بقوة الايمان وبما اثاره فى النفوس من خلق فاضل ، وانسانية كريمة ، واحكام عادلة رحيمة .

انظر الى هذا النفر اليسير الذى آمن بمحمد صلوات الله وسلامه عليه والتف حوله ونصر دعوته غير عابىء بما يلاقيه من اضطهاد وتعذيب

واساءة وتغريب ، لأن الايمــان فى ابسط معانيه هو الثقة بالنفس ، وهو قوة الانسان المعنوية والا فبم انتصر هذا النفر اليسير من المسلمين فى غزوة بدر على جيش قريش الكبير فى عدده وعدته ، وكيــف فتــح المسلمون الاوائل ـ لما كان الايمــان متمــكنا فى قلوبهم ـ هذه الدول العــديدة والاراضى الفســيحة ، وواجهوا جيوش الروم والفرس فى كل مكان دفاعا عن عقيدتهم ، وحماية لمن آمنوا بدعوتهم . وحقا ان رجلا بلا ايمان رجل ضائع ، والامة التــى لا يتمثل الايمان فى قلوب ابنائها امة ضعيفة ، وحقا ان الايمان هو الذى يصنع الرجال والامم .

انظروا الى اثر الايمان فى نفس ابراهيم ، وابنه اسماعيل حينما قال له فيما يحكيه القرآن الــكريم : **« يا بنى انى ارى فى المنــام انى اذبحــك فانظر ماذا ترى ؟! قال : يا ابت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين »** . ويصــف الله ابراهيم وقد صدق الرؤيا التى كانت ابتلاء واختبارا فقال فى وصفــه : **« انه من عبادنا المؤمنين »** .

وانظروا معى الى اثر الايمــان فى نفس بلال رضى الله عنــه الذى صدق الله ورسوله ما عاهده عليه ، وظل ثابتا صامدا مصرا على ايمانه ويقينه ، يستعذب العذاب، ويستطيب حر الرمضاء ، وثقل الحجــارة المحماة ، التى كان يعذبه بها مولاه امية وهو يتقبل ذلك بصــدر رحب ويلهج بقوله أحد أحد ، حتى اشتراه ابو بكر الصديق تعاونا منه فى تخفيف ويلات ذلك البلاء عنه ، واعتقه فى سبيل الله جزاء ايمانه .

وهذا ابو بكر رضى الله عنه آمن بدعوة الاسلام ، وصدق رسالة محمد صلوات الله عليه ، وكان لهذا الايمان اثر قوى فى نفسه ، فقد كان فذا فى صداقته وفدائيته وتعاونه الى حد التضحية بالنفس والاهل والمال . لقد شارك النبى فى امره كله : حلوه ومره ، وما فارقه قط فى حضر ولا سفر ، لا يتخلى عنه فى احرج مواقفه فضحى بتجارته وامواله واهله وخرج معه وحيدا لا يصــحبه الا الله فى وحشة الليل ، ووحشة الصحراء ، ووحشة الفرار من تتبع أولئك المجرمين ثم ليستقر معه فى ذلك الغار الذى يزيد الوحشــة تفاقما والخــوف تضاعفا . ثم يأبى بدافع من الايمان الا أن يستخدم ابنته اســماء ذات النطاقين لاستحضار الطعام لهما من داره بمكة الى مكانهما فى ذلك المخبأ المخــوف البعيد فى ظلمــة الليل ووحشته ايضا ، وكذلك يدفعه ايمانه الى استخدام ابنه فى تتبع الاخبار وتسقطها نهارا ليجىء بها ليلا اليهما فى الغار ، والى استخدام راعيه فى احضار المركبتين لهما ليلا ليسيرا بهما الى مهاجرهما . ويأبى كل واحد من هؤلاء فى جو ذلك الايمان الا أن يسهم بقسطه من التضحية والايثار ، وهذه طبيعة الايمان التى يوضــحها قول الرسول عليه السلام : « والذى نفسى بيده لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

وهذا علــى بن ابى طالب الذى آمن بالدعوة من صباه ، وكان حركة دائبة فى مســير فلكها وقد عرض نفسه للقتل والهــلاك حين تآمرت قريش برسول الله ليقتلوه ، وقــد خرج مهاجرا اذ تبرع الفتى بنفســه فداء للنبى ونام مكانه فى فراشــه مستهدفا لتلك الفتكة من غير تبرم ولا تضجر ، ايمانا منه بما يصنع الله لرسوله فى المتعاونين معه ، وكم كان ذلك الفتى مقصد العدو وغايتــه اذ ظل صاحبه يقدمه فى احرج المواقف فيتقدم ويحمله الراية فى الحــروب فيحملها بقوة وصــلابة مؤمنا بأن

غايته الذود عن الحق واعلاء كلمة الله ، ومن كان هذا سبيله هان كل شيء عليه حتى نفسه . وبمثل هذا التعاون والتفانى الذى فعله الايمان فى نفوس هؤلاء المؤمنين وغيرهم ممن آمنوا برسالة محمد صلوات الله عليه وناصروه تم النصر المبين يقول سبحانه : ((**هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم**)) .

يا اخى المسلم الممتلىء ايمانا والذى تنشد الكمال فيه أنظر معى الى اثر الايمان فى نفس الخنساء التى أوشكت أن تنتحر قبل اسلامها لما قتل اخواها صخر ، ومعاوية ، فلما استجابت هى واولادها لدعوة الرحمن وامتلأ قلبها بالايمان وكانت موقعة القادسية جمعت أولادها الاربعة وحرضتهم على القتال وقالت لهم : ((**لقد اسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين فاذا اتيتم الحرب فخوضوا غمارها وكونوا اول المبارزين**)) . فاندفعوا الى القتال بعزم صادق ، وحماس مشتعل ، وانقلبوا بايمانهم أسودا فى المعركة فقاتلوا والقوا بعدوهم خسائر فادحة واستمروا فى القتل حتى قتلوا واحدا بعد الواحد ، وكلما قتل واحد منهم ازداد حماس الآخر ليستشهد ويلحق بأخيه ، ولما علمت أمهم بمقتلهم عن آخرهم ما جزعت ولا ضجرت ولا ندمت على تحريضهم وانما قالت : ((**الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم فى الاسلام وارجو من ربى أن يجمعنى بهم فى فسيح رحمته**)) !!

يا لسحر الايمان الذى يصنع فى النفوس المعجزات ، ويجعل الأم تتقبل نبأ قتل أبنائها الاربعة بثبات واطمئنان غير نادمة ولا آسفة ، لكنها راضية مستبشرة لأنها تؤمن بأنهم عند ربهم فرحون ، فأين موقفها هذا من موقفها السابق عند مقتل أخويها اذ جزعت واشتد حزنها حتى اقبلت على الانتحار . انه من اثر الايمان .

وانظر معى يا أخى ، الى اثر الايمان فى نفس أحد المحاربين فى الصدر الاول تلقى طعنات الرماح والسيوف التى أزهقت روحه فنطق وهو فى النزع الاخير وقال : ((**فزت ورب الكعبة**)) اذ يؤمن بأن للمجاهدين احدى الحسنين ، اما نصر وغنيمة ، واما موت واستشهاد ، وهكذا يلقى المؤمن الموت باسما مغتبطا لأنه مطمئن لوعد الله الذى آمن به وصدق ، وانه يفنى فى سبيل تحقيق مبدئه واسعاد جماعته .

وانظر أيضا الى اثر الايمان فى نفس الفتاة المؤمنة فى عصر عمر بن الخطاب رضى اله عنه وقد امرتها أمها أن تغش اللبن وتخلطه بالماء لتحقق ربحا أكثر فتعصى أمر أمها ، لأن أمير المؤمنين نهى عن غش الناس ، ولأن الرسول عليه السلام قال : ((**من غشنا فليس منا**)) ولما قالت الأم : ((**وما الذى اطلع امير المؤمنين ؟! قالت يا اماه . ان كان عمر قد نام فان رب عمر لن ينام**)) !!

هذا هو أثر الايمان فى نفوس المؤمنين فهو يوجههم الى الخير دائما فى السر والعلن ، ويوجههم الى الشجاعة والاقدام دائما والصبر والاحتمال الشاق وعدم اليأس والقنوط ، وهو الذى يجمع كلمتهم ، ويوحد صفوفهم ، ويعلى شأنهم بعد ان الف بين قلوبهم ، وهكذا يضع الله امامنا مثلا عليا من صفات المؤمنين الاولين ، وما وصلوا اليه بايمانهم من سلطان وقوة حتى نحذو حذوها ، ونسير على نهجها تاركين

البقية صفحة ١٠٤

حول نكاح نساء أهل الكتاب

لعالم كبير

قد طلب منا احد اخواننا المخلصين بالحاح شديد ان ننشر كلمة مفصلة عن زواج المسلمين بنساء اهل الكتاب مستندين فى ذلك الى احكام الكتاب والسنة لأن فتنة ـ الافرنجيات ـ كما يقول هذا الأخ الكريم ، فى تفاقم وانتشار هذه الايام وقد اتخذ المسلمون من الأذن الشرعى فى هذا الباب حيلة للاستمتاع بهن واستيرادهن بكثرة لا يوجد لها مثيل فى تاريخهم الماضى .

ومما لا مجال فيه للريب ان هذه فتنة كبيرة في واقع الامر ، ظهر من تاثيرها في الهند ومصر وسوريا والكويت وغيرها من بلاد المسلمين ، ان « السيدات الغربيات » ولجن في حياة المسلمين الاجتماعية ، ثم عملن ما وسعهن لاستئصال الحضارة الاسلامية وأخطر من ذلك ما ظهر من النتائج السياسية مما لا يستطيع مسلم — ان كان في قلبه حب للاسلام والمسلمين — أن يسكت عليه .

وعلى هذا ان كان المخلصون من افراد المسلمين اليوم يشعرون بحاجة الى ان يقوموا في وجه هذه الفتنة ، ويضعوا لها حدا معلوما فلا شك ان ذلك ان دل على شيء فانما يدل على حبهم للاسلام ونصحهم للمسلمين .
ولكن كيف يكون عندنا التغيير والتعديل في قضية شرعية ثابتة ان الذى قد انزل القرآن حكيم عليم على الاطلاق لا ينظر الى كل المصالح والضرورات والحاجات الا بغاية من التوازن والتناسب ، فلا بد لادراك احكامه وتطبيقها على الظروف الراهنة تطبيقا سليما من ان نوسع دائرة نظرنا بقدر الامكان ، ثم نستعرض المصالح كلها — ما جل منها وما دق — استعراضا تفصيليا شاملا حتى لا تنزل كل واحدة منها الا بدرجة من الرعاية والاهمية قد انزلها بها الشارع نفسه .

فالآية التى تبيح للمسلمين ان يتزوجوا بنساء اهل الكتابين من اليهود والنصارى هى بالفاظها : « اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات — وهن العفيفات — من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذ آتيتموهن اجورهن — اى مهورهن — محصنين غير مسافحين ولا متخذى اخدان « المائدة ٥ » .

اختلاف السلف حول تفسير هذه الآية :

لا شك ان السلف رحمهم الله قد اختلفوا كثيرا حول تفسير هذه الآية الا ان جمهور العلماء فى كل زمان انما حملوا حكمها على ظاهر الفاظها وعموم اطلاقها ، اذ لا بد من ان يكون اكثر حكمة فى تشريعه وتقنينه من الذى قد انزل على عبده الفرقان ليكون للعالمين نذيرا ، فهو لو رأى حاجة الى استثناء أو تخصيص فى حكمه « والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » لقيده به بنفسه ، اذ مما لا يجتمع مع حكمته فى التشريع ان لا يستعمل فى بيان الاحكام القانونية ولا مثل اللغة الرصينة المتقنة التى يستعملها واضعو القوانين فى الدنيا ، فكيف يجوز أن نعتقد اذن أن كل مقصوده بهذا الحكم أن يحل للمسلمين التزوج بنساء طائفة خاصة من أهل الكتاب وقد اختار لبيان هذا الحكم الفاظا عامة شاملة لاهل الكتاب كلهم لا اشارة فيها قطعا الى استثناء أو تخصيص ، لاجل هذا فان جمهور الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين من السلف قد حملوا هذه الآية على الاذن العام فى التزوج بنساء أهل الكتاب بدون قيد ولا شرط ، بل قد تزوجبن جماعة منهم ولم يروا بذلك باسا لعموم هذا الاذن ، فقد تزوج عثمان بن عفان بنائلة بنت الفرافصة الكلبية وهى نصرانية ، وتزوج طلحة بن عبيد الله يهودية من أهل الشام ، وتزوج حذيفة اليمان وكعب بن مالك والمغيرة ابن شعبة بنساء من أهل الكتاب او خطبوهن للزواج .

راى عبد الله بن عمر :

ولكن « عبد الله بن عمر من الصحابة وحده هو الذى كان لا يرى التزوج بنساء اهل الكتاب مطلقا ، وكان يقول ان الله حرم على المؤمنين النساء المشركات فى قوله تعالى : « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن » وكان يقول : لا أعلم شركا من ان تقول — اى المراة — ان ربها عيسى أو عبد من عبيد الله ، ولذا فانه يحرم التزوج بنساء كل من يوجد الكفر والشرك فى اعتقادهم من أهل الكتاب وقد فسر كلمة « والمحصنات » بالمسلمات فمعنى الآية بموجب رايه ان لكم أيها المسلمون أن تتزوجوا أيضا باللاتى يدخلن فى الاسلام من نساء اهل الكتاب .

رأى غير صحيح :

ولكن لا يصح فى هذا الباب رأى ابن عمر رضى الله عنهما وذلك لأسباب نذكرها بالاختصار فى ما يلى :

ان الله سبحانه وتعالى بنفسه قد بين فى كتابه من معتقدات أهل الكتاب ما هو مبنى على صريح الشرك كقولهم « ان الله هو المسيح ابن مريم » وكقولهم « ان الله ثالث ثلاثة » وكقول اليهود « عزير بن الله » وقول النصارى « المسيح بن الله » بل قد نسب اليهم كلمتى الشرك والكفر ، ولكنه على ذلك لم يذكرهم فى أى موضع من كتابه بكلمة « المشركين » كاصطلاح لهم ، وانما ذكرهم فى كتابه كله بكلمة « أهل الكتاب » أو بكلمات أخرى لها نفس هذا المعنى ، اقرأ القرآن من أوله الى آخره تجد فيه ثلاث طوائف مستقلة بعضها عن بعض : طائفة المشركين والكفار أى الذين ليس عندهم كتاب سماوى على وجه محرف أو غير محرف ، وطائفة أهل الكتاب أى الذين يؤمنون بنبى من الأنبياء وبكتاب من الكتب السماوية ، على كل ما هم فيه من الضلالات الاعتقادية أو العملية ، وطائفة أهل الايمان ، وهم المؤمنون برسالة محمد صلى الله عليه وسلم بصرف النظر عما أن كانوا ولدوا فى الاسلام أو دخلوا فيه من طائفة أهل الكتاب ، أو طائفة المشركين والكفار .

والقرآن فى ذكره هذه الطوائف الثلاث يميز بعضها عن بعض بما لا مجال فيه للاشتباه والاختلاط مطلقا فلا يقول : « أهل الكتاب » ويريد بهم المشركين ، أو يقول : « المشركين أو الكفار » ويريد بهم اليهود والنصارى ، أو يقول « الذين أوتوا الكتاب » ويريد بهم المسلمين فلما قال تعالى فى موضع من كتابه « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن » ثم قال فى موضع آخر « اليوم أحل لكم الطيبات .. الى أن قال « والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » فلا بد من القول بانه ليس المراد بالمشركات » فى الآية الاولى نساء اهل الكتاب وانما المراد بهن نساء الوثنيين وغيرهم من الامم غير الكتابية .

ونحن اذا لم نفسر كلمة « المشركات » و « المحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » بهذا المعنى فان ذلك يستلزم تعارضا صريحا بين آيتين فى القرآن لا يمكن رفعه بمجرد أن يقال ان المراد بالمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم أولئك اللاتى كن قد دخلن فى الاسلام من نساء اليهود والنصارى ، أو ان المراد بهن نساء الفرق الكتابية المتنزهة عن الشرك والكفر وذلك :

١ — لأن الله عز وجل قد قال : « المحصنات من المؤمنات » قبل أن يقول « والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب » ، وليس المراد « بالمؤمنات » اللاتى قد ولدن فى الاسلام فحسب ، بل المراد بهن كذلك اللاتى قد دخلن فى الاسلام تاركات أديانهن السابقة ، فلما كان قد احل الزواج بالمؤمنات عموما وفيهن من كن يهوديات أو نصرانيات قبل الاسلام ، فأية حاجة اقتضت اذن ذكر « المسلمات من الذين أوتوا الكتاب » بالذات بعدهن ؟ اذ لو كان الامر هكذا لما كان لهذه الجملة اى معنى ابدا .

٢ — وقد قيل قبل هذه الآية كذلك : « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم » فهل المراد بهم هنا ايضا اولئك المسلمين الذين قد دخلوا فى الاسلام من اليهودية أو النصرانية ؟ فان قيل « لا » فعلى اى أساس جاز ان يفسر « الذين أوتوا الكتاب » فى جزء من آية بمعنى غير المعنى الذى يفسر به فى جزء آخر من الآية نفسها ؟

٣ — اية فرقة من فرق اهل الكتاب هى بريئة من الشرك اوالكفر؟ واين كان بقى فيهم الاعتقاد السليم عن الله ؟ ومن اين كان لهم أن يهتدوا اليه ؟ لقد كانوا حرفوا اصل تعاليم موسى وعيسى عليهما السلام فانى كان لهم ان يجدوا سبيلا الى صحة الاعتقاد حتى تكون فرقة منهم على الصراط المستقيم ؟ اذن لا يصح القول ابدا بان المراد « بالذين أوتوا الكتاب » فى قوله تعالى « والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » ... فرقة من اليهود او النصارى سليمة فى اعتقادها

اما الآيات التى قد يخيل الى الانسان عند قراءتها انه كان فى اهل الكتاب فرق سليمة

فى اعتقادها فانها تشير فى حقيقة الامر الى أناس من أهل الكتاب كانوا قد آمنوا بالقرآن واتبعوا النبى صلى الله عليه وسلم ، أو كادوا بناء على طهارة قلوبهم وسلامة فطرتهم .

٤ ـ واذا فرضنا أن اليهود والنصارى فيهم طائفة مثل هذه ، فان الله تعالى ما قيد « الذين اوتوا الكتاب ، من قبلكم » بشىء يجوز الاستدلال به على أن هذا الحكم خاص بتلك الطائفة وحدها . وليس بشامل لسائر أهل الكتاب ، فما لنا اذن نشغل أنفسنا بفحص معتقدات أهل الكتاب ، ونقضى بقياسنا أنه يجوز للمسلمين أن يتزوجوا بنساء الفرقة أو الفرق الفلانية من أهل الكتاب ، ولا يجوز لهم أن يتزوجوا بنساء سائر فرقهم ؟.

دليل آخر غير سليم :

والذين قد أيدوا ابن عمر رضى الله عنهما فى رأيه يستدلون كذلك بقوله تعالى « ولا تمسكوا بعصم الكوافر » مع أن هذه الآية انما نزلت خاصة فى أولئك الرجال والنساء الذين قد هاجروا من دار الحرب الى دار الاسلام ، والذين ـ بقيت زوجاتهم ـ أو أزواجهن ـ على الكفر فى دار الحرب ، والمقصود من الآية بيان أن نكاح الجاهلية ينفصم مع مجرد دخولهم فى دار الاسلام ، ويكون من حق الرجل المهاجر أن ينكح غير زوجته السابقة ومن حق المرأة المهاجرة ان تنكح غير زوجها السابق ... هذا المعنى يتحقق باعتبار شان نزولها ، أما اذا اقتصر أحد على نفس الفاظها ، فنقول : ان الله عز وجل انزل فى موضع حكما عاما بقوله : « ولا تمسكوا بعصم الكوافر » وبين فى موضع آخر ان جماعة من الكفار (١) وهم أهل الكتاب ، مستثنون من هذه الحرمة العامة وذلك بقوله : « والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » وانكم اذا كنتم لا تقولون بان هذا الحكم الثانى قد خصص الحكم العام الاول ، فلا بد أن تقولوا بان هناك تناقضا فى اقوال الله عز وجل : يحل شيئا فى موضع ، ويحرمه فى موضع آخر والعياذ بالله .

رأى ابن عباس :

والصحابى الثانى الذى حاول أن يضع حدا لاباحة الزواج بنساء أهل الكتاب هو عبد الله بن عباس رضى الله عنهما اذ يقول ان هذا الحكم خاص بالذميات دون الحربيات فلا يجوز الزواج الا بنساء اليهود والنصارى الذين هم من رعايا دار الاسلام ، مهما كانت عقائدهم فاسدة . واما أهل الحرب منهم ـ أى الساكنون خارج حدود دار الاسلام ـ فلا يجوز الزواج بنسائهم ، ودليله على ذلك ان الله قد أمر المسلمين بقتال هذه الطائفة من أهل الكتاب ، وذلك حين قال « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » التوبة ـ ٢٩ ، وأيضا قد حرم على أهل الايمان ان يوادوا من حاد الله ورسوله « المجادلة ـ ٢٢ » هذا من جانب .

ومن جانب آخر فالعلاقة الزوجية لا تقوم الا على المودة والرحمة « خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » الروم ٢١ فعلى هذا كانت علاقة الزواج توجب المودة والمحبة وكانت موادة الحربيين من المشركين وأهل الكتاب محرمة على المسلمين وكان قتالهم واجبا عليهم فانه ينبغى ان يكون زواج الحربيات سواء أكن من المشركين أم من أهل الكتاب محظورا .

هذا ما يحتج به سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما الا أن جمهور الصحابة والتابعين والائمة الفقهاء لم يوافقوه على رايه كما لم يوافقوا سيدنا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما على رايه ، وهم وان كانوا كلهم يكرهون الزواج بامراة من أهل الكتاب اذا كانت من دار الحرب أو دار الكفر ولكن ما قال بحرمته أحد منهم ، لأن اباحته المذكورة فى قوله تعالى « والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » عامة شاملة لأهل الكتاب جميعا ، سواء أكانوا من أهل الحرب أم من غيرهم والله تعالى ما قيدها بشىء .

هذا بالنسبة للجواز القانونى ، والمقصود مما قلنا ان هذا الجواز القانونى يجب ان يبقى على

عمومه وشموله الموجودين فى آية القرآن ، اما عدم تناسب الزواج وكراهيته على اعتبار المصالح القومية او الظروف الشخصية ، فهذا امر آخر ، لا يجوز لنا ان نحرم الحلال ، غير انه من حقنا ولا ريب ان نجتنب فعلا حلالا اذا كان لا يناسبنا فى وضع خاص ، اذ ليس معنى الحل والاباحة الامر واللزوم .

راى جمهور الصحابة والائمة واختلافهم :

واللذين لا يوافقون عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس رضى الله عنهما على رأيهما ، ويقولون بان حكم الآية شامل لاهل الكتاب كلهم يدور الخلاف بينهم فى معظمه حول تفسير كلمتين وهما « المحصنات » و « الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » .

فالمحصنات عند جماعة منهم « العفائف » وعند جماعة أخرى « الحرائر » دون الاماء ، فلا يجوز الزواج عند الجماعة الاولى الا بالعفائف من نساء أهل الكتاب دون الفاحشات والمومسات منهم ، ولا يجوز الزواج عند الجماعة الاخرى بالاماء من نساء اهل الكتاب ولو كن عفائف ويجوز بالحرائر منهم ولو كن فاحشات .

راى الشافعى :

اما اهل الكتاب فيقول الامام الشافعى رحمه الله : انهم اليهود والنصارى من بنى اسرائيل واما الامم الاخرى التى قد انتحلت اليهودية او النصرانية فلا تطلق عليها كلمة « اهل الكتاب » لانه ما ارسل موسى ولا عيسى عليهما السلام الا الى بنى اسرائيل وما كانت دعوتهما لغيرهم من أمم الارض .

راى الاحناف والجمهور :

ويقول الاحناف وجمهور الفقهاء : ان كل أمة اذا كانت مؤمنة بنبى من الانبياء وبكتاب من الكتب الالهية تعد من أهل الكتاب ، وليس كونها من اليهود أو النصارى شرطا فى ذلك ، فلو كانت فى الدنيا طائفة مؤمنة بصحف ابراهيم وحدها ، أو الزبور وحده لكانت طائفة كتابية .

رأى جماعة آخرين :

وقد ذهبت جماعة قليلة من السلف الى أن كل أمة عندها كتاب يجوز الظن بانه سماوى هى من أهل الكتاب كالمجوس مثلا ، وهذه الفكرة قد وسعها فى هذا الزمان جماعة من المجتهدين الجدد ، حتى قالوا ان الهنادك والبوذيين أيضا من أهل الكتاب ، فيجوز الزواج بنسائهم لانه لا بد أن يكون قد جاءهم نبى من الانبياء ، ولا بد أن يكونوا قد أوتوا كتابا من الكتب السماوية .

الراى الصحيح :

وأصح رأى فى كل هذه الاختلافات عندنا الرأى القائل بان المراد من أهل الكتاب اليهود والنصارى ، سواء أكانوا من بنى اسرائيل أم من غيرهم فان كلمة « اهل الكتاب » ما وردت بالقرآن الا لهاتين الطائفتين ، وقد صرح فى موضع آخر بانهما هما اهل الكتاب وذلك حيث يقول عز من قائل : « وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ، ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا » « الانعام ـ ١٥٦ » أما الامم الاخرى التى انزلت اليها الكتب ، فهى لما قد اضاعت كتبها ولم يبق شىء من معتقداتها واعمالها يتفق مع تعاليم الانبياء فلا يجوز أن تطلق على احداها كلمة « اهل الكتاب ولذا فان الرسول صلى الله عليه وسلم ما جعل المجوس من اهل الكتاب على اعتقادهم بزرداشت فلما أخذ الجزية من مجوس هجر قال : « سنوا بهم سنة اهل الكتاب » ولم يقل انهم من اهل الكتاب .

ولما كتب اليهم يدعوهم الى الاسلام قال بكل صراحة « فان اسلمتم فلكم مالنا وعليكم ما علينا ومن ابى فعليه الجزية غير أكل ذبائحهم ولانكاح نسائهم » فلا مجال للشبهة بعد ذلك

بانه يجوز ان تعد أمة غير اليهود والنصارى من أهل الكتاب فتؤكل ذبائحها وتنكح نساؤها .

الرد على مخالفي هذا الرأى :

أما رأى الامام الشافعي رحمه الله أى اشتراطه بالاسرائيلية ، فلا يصح كذلك ، لانه وان كان الخطاب فى دعوة موسى وعيسى عليهما السلام لبنى اسرائيل وحدهم الا أن الله ورسوله قد عد من أهل الكتاب حتى الامم غير الاسرائيلية التى انتحلت النصرانية ويدل على ذلك أن الرسول عليه الصلاة والسلام لما كتب الى قيصر الروم يدعوه الى الاسلام ضمن فى رسالته هذه الآية (يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم) مع انه لم يكن الروم من بنى اسرائيل .

أما الذين فسروا المحصنة بالعفيفة أو الحرة وجعلوا العفة أو الحرية شرطا لتزوج الكتابية فلا يصح رأيهم أيضا عندنا اذ لا شك أن الاحصان يشمل مفهومه كلا من العفة والشرف وما المحصنة الا عفيفة وشريفة معا ، ولكن ليس من مقصود الشارع بقوله « والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » أن يجعل العفة أو الشرف شرطا لجواز الزواج بنساء أهل الكتاب ، وانما مقصوده به اظهار الافضلية والاولية ويقصد فى حقيقة الامر بيان أنه وان كان لكم ، ايها المسلمون أن تتزوجوا أية امرأة من المؤمنات أو من أهل الكتاب ولكن الاولى والافضل أن تكون تلك المرأة محصنة أى عفيفة وشريفة .

وقد قيدت كثير من أحكام القرآن بأمور ليست بشروط لثبوت الحكم وانما هى كقيود زائدة لاظهار أفضل ناحية فى فعل من الافعال المباحة أو لاظهار أرذل ناحية فى فعل من الافعال المحرمة حتى يبذل أهل الايمان اهتمامهم لاختيار الافضل واجتناب الارذل ، وهذا عين ما رآه سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى هذا الباب حين تزوج حذيفة بن اليمان بيهودية فكتب اليه عمر « أن خل سبيلها » فكتب اليه حذيفة أحرام هى ؟ فكتب اليه : لا ولكنى أخاف أن تواقعوا المومسات منهن ! » .

فاصح رأى عندنا أن نجعل السماح الشرعى بتزوج نساء أهل الكتاب عاما من الحربيات كن أو من الذميات ومن العفائف كن أو من غير العفائف ، ومن الاماء كن أو من الحرائر .



---

(١) يلاحظ أن الكاتب قرر من قبل أن كلمةكفار لم ترد فى استعمال القرآن مرادا بها أهل الكتاب .. فلا بد أن يكون كلامه هذا على سبيل التنازل ..

من أدب الجيل الماضي

سلطـــة الآبـــــاء :

رحم الله زمانا كان الاب فيه الآمر الناهى ، والحاكم المطلـــق والملـــك غير المتوج ينادى فيتسابق من فى البيت الى ندائه ويشير فاشارته أمر وطاعتـــــه غنم ..

تحدثه الزوجة فى خفر وحياء ويحدثه الابن فى أكبار واجـــلال ، من سوء الادب أن يرفع اليه بصره او يرد عليه قوله ، أو يراجعه فى رأى أو يجادلـــه فى أمـــر اما البنت فاذا حدثها لف الحياء راسها وغض الخجل طرفها قليلة الكـــلام متحفظة الضحك خافضة الصوت ، تتوهم انها أخطأت فى التافه من الامـــر فيندى جبينها ويصبغ الخجل وجهها ، واذا جاء الحديث عن الزواج فالى أمها الحديث لا الى أبيها بالتلويح والتلميح لا بالتصريح ..

والأمر الى الاب فيما يقبل وفيما يرفض وفيما يفعل ، وما لا يفعل .

احمد امين

بنت اليوم والأمس :

كانت البنت من أوساط الناس اذا تزوجت لا تكاد تجشم الزوج أو أولياءه شيئا ، فطعامها من طعام أهل الدار ، وكسوتهـــا إزاران ورداءان فى العام ، وما حاجتها الى حذاء وهى حلس خدرها طوال الأيام ؟ اذا فى الـــكوث (الشبشب) على رأى أستاذنا العلامة الشيخ مهدى خليل ، غنى وكفاية .

ثم أنها توفر على الاحماء أجور الخدم وسائر تكاليفهم بما تقوم به من العجن والخبز ، والطهى ، وغسل الثياب ، وكنس الارض ، ونفض الأثاث ، وتقديم القهوة للزائرات ، وصنعها للزائرين وخدمة الطفل الخ ..

والآن لا تحسن البنت الحضرية شيئا من هذا ، وقد لا تعرفه ، وان عرفته واحسنته لا ترضى بأن تعالجه أنفة وحفظا للكرامة ، ودعنا من الأنفة والكرامة ، وحدثنى بعيشك ، متى تضطلـــع البنت او الزوجة الحضرية بهذا أو ببعضه ، ولا بد لها كل يوم من غشيان السينما أو غيرها من دور التسليـــة والترويح ؟ ولا بد لمن يسهر الليل من ان ينام صدرا من النهار . ولقـــد يتصرم سائره فى الاختلاف الى الخياطة ، ومتاجر الثياب والزينة ، وزيارة الاصدقاء والأتراب ، والتفرج فى المتنزهات فى صحبة الزوج أو بعض ذوى الارحام ، واستقبال الضيفان . وناهيك بما يستهلك من الوقت ، بعض النهار ومهبط الليل ، فى التجمل والتزين ، وتصفيف الشعر طوعا لآخر بدع (مودة) سواء جرى ذلك فى البيت أو فى دكان الحلاق ، ولا بد أن يكون لقراءة الروايات من مساحة اليوم حظ غير قليل .

عبد العزيز البشرى

تزوجوا

تزوجوا ، وانظموا اوطاننـــا اسرا لا تتركوا وطن الأمجـــاد منتثرا
لا تجعلوا البيت والتزويــج مشكلــة ويسروا من امور العيش مـا عسرا
لا تخشوا الفقر ، كم من اسرة شبعت عزا ومالا ، وفرد خاب وافتقـــرا
ولا تخافوا شقاقا فى بيوتكمــــو بل اضمروا الحب يبق الحـب منتصرا
فان تعاظمكم خلـف واعضـــلكم فخالفوا آمـر التفريق ان امــــرا
واستخلصوا حكما من اهلكم وخذوا من اهلها حكما واسترحموا القــدرا
ولست ارضى سوى الأهلين محكمة وليبق سرى وسر البيــت مدخــرا
فان قضى اللــه تفريقا فنازلـــــة ان تلق صـــبرا فطوبـى للذى صبرا
وربما كـــان فى التفريق منفعـــــة قـد يبرا الجسم من عضـو اذا بترا
حياتنا صـــــفقات تلك واحــــدة منها فذا رابــح فيها وذا خســــرا

— ● —

ومن يعدد زواجـا دون ملجئـــــة فقد اتــى بضرار او اتـــى ضررا
ليس التعــدد الا رخصـــة فاذا اسرفت فيها ركبـت الحمق والخطرا





يصوّر الشاعر محمد مصطفى حمام في هذه القصيدة
تعدّد الزوجات في حكمة التشريع :

من ينتقص حق أولاد لثانية   لم يلق من ربه عفوا اذا اعتذرا
وفى التعدد ان ادركت حكمته   بر رخى وجبر للذى كسرا
من للمطلقة الحسناء يعصمها !   وللعوانس تفنى عمرها ضجرا !!
وللأرامل ، والأحزان تعصرها   والحزن يفتك بالأعواد ان عصرا
ومن لأم اليتامى ، هل تقوتهمو   بالخد معتصرا وللقد مهتصرا !
وما الغطاء لمن زلت وساورها   من الفضيحة طيف يرسل النذرا !
وما السبيل الى ذرية نجب   ان كنت زوج عقيم حظها عثرا !
هو التعدد يهدى الفارقين الى   بر الأمان ويبنى بيننا اسرا
هو التعدد كم آوى اليتيم واشـ   ـباه اليتيم وكم واسى وكم سترا
هو الحلال الذى ينفى الحرام وكم   حمى من الفحش انثى او حمى ذكرا
عدد ان اسطعت لكن عادلا لبقا   لا تعطين الهوى سمعا ولا بصرا
واحكم رعاك الله بالحب الصحيح تجد   مغناك لا غيرة يشكو ولا غيرا
واسال ضميرك فى امر التعدد ، لا   تلجا لقاض ولا تستاذن البشرا
اذا جرؤت على قاضى السماء فلن   تكون يوما بقاضى الأرض مزدجرا

دراسة حول القصص القرآني :

مصادر القصص القرآني ومقاصده

للأستاذ عبد الكريم الخطيب

تمهيـــد :

كانت القصة ــ وما تزال ــ مدخلا طبيعيا يدخل منه أصحاب الرسالات والدعوات ، من الرسل والقادة والمصلحين ، الى عقول الناس وقلوبهم ، ليلقوا فيها بما يريدونهم عليه من معتقدات وآراء واتجاهات .. ولعـــل عصرنا هذا خير شاهد يشهد لما للقصة من سلطان على الناس ، ومن تأثير فى مجرى الحياة ، وفى تلوين وجوهها السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وفى كل ما يمس الوجود الانسانى للانسان فى خاصة نفسه ، أو فى الوسط الاجتماعى الذى يعيش فيه ، ابتداء من مجتمع الاسرة ، وانتهاء الى المجتمع الانسانى كله ، والى الوجود جميعه فى أرضه وسمائه !! ونستطيع أن نقرر فى غير مبالغة أو مجازفة أن القصة كانت أول رفيق صحب الانســـان منذ خطواته الاولى على هذا الكوكب الارضى ، فآنست وحشته ، وكشفت معالم الحياة من حوله ، ووصلت ما بين عالمه المائج المضطرب فى كيانه ، وبين الطبيعة وما وراء الطبيعة .

فمنذ التقى الانسان بالحياة ، وهو فى صراع عنيف متصل بكل شىء فيها .. سواء ما يقع منها فى متناول حواسه أو ما يتولد من صـــورها فى أوهامه وخيالاته ورؤاه .

ان خطوات الانسانية الاولى فى الحياة كانت تتحرك على بســـاط سحرى مهول من القصص المثيرة المذهلة ، يقصر عن تصورها أبرع خيال ، ويعجز عن تصويرها أعظم شعراء الملاحم والاساطير .

لقد كان كل شىء على الاطلاق يبدو لعينى الانسان الاول ، عـــالما مجهولا مخيفا ، يضم فى كيانه قوى وأسرارا يعجز العقل عجزا مطلقا عن تأويلها ، أو الوقوع على شىء من عللها وأسبابها .. فالسحاب ، والرعد ، والبرق ، والمطر ، والريح ، والنار ، والشجر ، والحب والثمر ، والليل والنهار ، والشمس والقمر ، والنجوم .. وكل صغير وكبير وحى وميت ، ومتحرك وساكن ــ كل أولئك جميعا وغيرهن مما فى هذا الوجود من موجودات كان عند الانسان الاول عوالم مجهولة ترمى اليه بالمخاوف ، وتحدق فيه بعيون تتهدد وتتوعد بالمرسلات من الصواعق والمهالك .

ومن هذه النظرة وعلى طول اتساعها وامتدادها نشـــأت الديانات والمعتقدات .. فالخوف أبو الآلهة ــ كما يقولون فمن مشاعر الذعر والخوف تولد الرهب والرغب الى عالم الاشياء ، والى القوى الخفية الكامنة فيها ،

وسرعان ما تجسدت تلك المشاعر فى خيال الانسان وتصوراته ، فخلعت على الاشياء ثوب الآلهة ، على تعدد أشكالها ، واختلاف صورها ، من حيـوان ونبات وجماد ، وكان من هذا أن تعبد الانسان لكل شىء يتوقى شره ، أيرجو خيره ، بما يقدم اليه من قرابين وما يرفع من صلوات ودعوات .

واذن فلم يكن عن مبالغة منا اذا قلنا ان القصة كانت أول ما صحب الانسان من تصورات عقله ، وصيد خواطره وطوارق أحلامه ، وهواجس رؤاه ، ولسنا بالمبالغين أيضا اذا قلنا ان هذه التصورات وتلك الخـواطر والطوارق والهواجس كانت أقوى قوة دفعت الانسان الى تحريك لسانه ، والى ايقاظ ملكاته ، واطلاق جميع القوى الكامنة فيه بحثا عن الكلمات التى يضعها على شفتيه ليصور بها تلك الاهوال التى تضطرب فى أعماقه ، وتموج فى مسارب تفكيره وتتراقص على مسرح خياله .

لقد كانت اللغة — بلا شك — هى اليد الرحيمة الحانية التى رفعت — وفى الوقت المناسب — الغطاء عن صدر — الانسان الذى كان يغلى ويفور بتلك الأخلاط الغريبة من التصورات والخيالات ، التى تدافعت سيولها اليه من كل منحدر ، وكادت تجرفه فى تيارها العتى ، وتحيله مزقا ! وانه ما ان جرت على رسانة بعض الكلمات وما أن وجد لها آذانا تسمع ، وعقولا تعى حتى أرسلها رسل سلام بينه وبين الاشياء — كل الاشياء — القريبة والبعيـدة منه ، مصورا بتلك الكلمات تسابيحه وصلواته ، معبرا بها عن ولائـه واستسلامه ، وكان لهذا أثره العظيم فى طرد الكثير من مخاوفه ، وفى بعث دفعات غير قليلة من الامن والطمأنينة اليه .

ولعل هذه النظرة التى تنظر بها كثير من الـديانات والمتدينين حتى عصرنا هذا — الى الله على أنه الاله المنتقم الجبار الذى لا يرحم ، والذى يأخذ الابناء بذنوب الآباء الى سبعة أجيال — لعل هذه النظرة هى من بقايا هذه المشاعر الانسانية الاولى فى دورها الطفولى ، التى غلب عليها الخوف الذى كان هو الباعث الاول فى عبادة ما عبدت من آلهة ، ثم توارثته الاجيال جيلا بعد جيل . . ولعل هذا الاحساس الدفين بالخوف من المجهول الذى يختفى وراء عوالم الطبيعة وظواهرها — هو الذى جعل آلهة اليونان — مثلا — قوى جبارة عاتية لا ترحم تترصد الناس وترمى اليهم بالمهلكات ، وتنزلهم على حكم قدر يضع الناس تحت رحى طحون ، لايرضيه الا الصراخ الـدائم والعويل المتصل ، ثم بعد أن طال ليل هذه الآلهة التى أحالت حياة النـاس مأساة دامية — تنفس الصبح عن آلهة الخير ، والجمال ، والحب ، والخمر . ولكن تلك الآلهة لم تكن تحتل الا جزءا ضيقا فى مسرح الحيـاة الانسانية ، لا تظهر الا بين الحين والحين ، ولا تعطى الا فى قصد وحذر على حين ظلت آلهة الشر والحرب رائحة غادية تملأ دنيا الناس ، وتتحكم فى مصـائرهم فى قسـوة وشراسـة .

بين القصة والدين :

وعلى أى فان الدين فى صورته الاولى لم يكن سوى القصـة أو الحكاية ، أو الخرافة ، ممثلة على مسرح الحياة فى خطوات الانسان الاول وفى خطراته ووساوسه وأوهامه .

ان معتقدات الاولين كانت فى الاغلب الاعم منها ، ممثـــلة فى تلك الاساطير والخرافات المخلفة من نسيج الوهم والخوف ، وقـــد ظلت تلك الاساطير متوارثة فى أجيال الناس ، فكانت منها ديانات الفراعنة ، واليونان، والفرس والهنود وغيرهم ، وكانت منها تلك الآلهة التى عبدها الناس فى تلك الازمـــان .

نقول هذا لنرى مبلغ العلاقة الوثيقة بين الدين والقصة ، وأن الدين لم يكن فى كثير من الاحيان الا مجرد قصة طويلة ، كانت يوما ما عند أهلها كتابا مقدسا ، وان بدت لنا اليوم نسيجا مهلهلا من خرافات وأباطيل وضلالات

ونقول هذا أيضا لندرك بعض المرامى التى قصد اليها القرآن الكريم من هذا القصص الكثير الذى ضمت عليه آياته وسوره ، ففى هذا القصص يلتقى الانسان التقاء صادقا واضحا مع أقوى دوافعه وعواطفه التى ولدت معه فى ضباب طفولته ، والتى نضجت مع الزمن فى صراعه الطويل مع الحياة . ومن هذه الدوافع وتلك العواطف يقاد الانسان ويؤخذ بناصيته نحو الغايات التى تدعوه اليها القصة وتقوده نحوها ! فالقصص القرآنى هو أحـــد الاساليب التى حملها القرآن بين يديه ليحاج بها الناس ، وليقطع المعاندين والمجادلين عن المماحكة والجدل ، شأنه فى هذا شأن ما جاء به القرآن من أساليب الاستدلال ، والمناظرة والتعجيز والوعد ، والوعيد ، وغير ذلك من المشاهد والمواقف المثبوتة فى القرآن الكريم كله ، من قصار الســور الى طوالها ، ولا نجد سورة مهما قصرت تخلو من مشهد ، أو موقف يمهد للدعوة الاسلامية ، ويضع معلما من معالم الهدى للاتجاه اليها ، والتبصرة بها ، فى منطق محكم ، وحجة دامغة ، وبيان معجز . مفحم .

مصادر القصص القرآنى :

والمعروف عن القصص الانسانى انه يعتمد اكثر ما يعتمد على الخيال، وعلى خلق صوره ومشاهده من هذا العالم المجنح ، البعيد عن ارض الواقع، وانه كلما أغرب القصصى وابعد فى الخيال كانت سوق قصصه أكثر رواجا ، وأطول عمرا ، ذلك أن الطبيعة الانسانية تشوقها الغرائب ، وتستهويها العجائب التى تطل عليها بوجوه غير مألوفة لها ، على خلاف الواقع الذى تعيش فيه .. ومن هنا قيل : أعذب الشعر أكذبه .

فصانع القصة الانسانية لا يتقيد كثيرا بالواقع ، ولا يلتزم الصـــدق فيما ينطق به الاشخاص والاحداث التى تدور حولها قصته ، كما انه لا يحفـــل كثيرا بالمثل والمبادىء والقيم التى يودعها كيان شخصياته التى يقيم عليهـــا بنـــاء قصـــته .

فالخيال الجامح الذى يبعد القصة عن مألوف الناس هو الذى يعطى القصة الناجحة أسباب نجاحها ، بما تحمل من الوان التشويق والاثارة لمداناة هذا العالم المجهول ، وارتياد معالمه على زورق سحرى من زوارق الاحلام !

تلك هى مادة القصص الانسانى حتى التاريخى من هذا القصص فانه لا يحترم وقائع التاريخ ، ولا يتقيد كثيرا بما سطر فى صحفه ، بـــل يبيح القصصى لنفسه أن يلون هذه الوقائع بما يشاء من الوان وأصباغ ، تغير كثيرا، أو قليلا من وجوه الاشخاص والاحداث ! .

فهل صاغ القرآن الكريم قصصه على نحو من تلك الصياغة التى صبت

فى قوالبها مواد القصص الانسانى ؟ بمعنى أن القصص القرآنى مزج بين الحقيقة والخيال ، وزواج بين الواقع والوهم ؟

ونقول : ان القصص القرآنى نسيج وحده ، فى مادته وفى اسلوب ادائه وفى مقاصده وغاياته — فهو فى مادته — صدق خالص ، وحق مطلق لا تشوبه شائبة ، من وهم أو خيال ، أنه بناء محكم من لبنات الواقع بلا تزويق ولا تمويه ، وهذا الواقع لا تتغير لمحة من لمحات وجهه حين يعرض هذا العرض المعجز فى آيات الله وكلماته ، فالاعجاز والروعة انما يتجليان فى صدق الاداء ، وفى نقل الواقع ، وما تلبس به من خلجات النفوس ، وسرائر الصدور .. وانه ليس بالنقل « الفتوغرافى » الذى يقف عند السطح ولا يتجاوز ما وراءه من أبعاد وأعماق ، بل هو نقل حى للاحداث حتى لكأنها تتجسد فى الزمان والمكان اللذين حملاها ، فتظهر وكأنها فى ساعة ميلادها ، لا يختلف يومها عن أمسها ، ولا يفقد من يشهدها اليوم مصورة فى كلمات ، شيئا مما شهده منها الشاهدون حين وقعت ! .

وهنا أمر ينبغى أن نلتفت اليه فى هذا المقام ، وهو التفرقة بين الواقع فى ذاته وبين نقله مصورا فى كلمات . أو فى عمل من أعمال الرسم ، أو النحت أو الموسيقى ، اذ ليس الاعجاب الذى يستولى علينا ، والروعة التى تأسر ألبابنا وتملك مشاعرنا من آيات العبقرى من الفنون ليس ذلك لمجرد الدقة فى المحاكاة ، والصدق فى النقل ، والامانة فى العرض ، وانما مرده الى ما وراء تلك القشرة السطحية للاشياء ، وما ينكشف لبصيرة الفنان الملهم من أسرارها المضمرة فى كيانها ، وما تستطيع أدوات فنه من اقتدار على متابعة رؤى بصيرته والتجاوب الصادق معها .

فالزهرة فى الطبيعة مثلا ، هى فى مرأى العين زهرة حمراء ، أو بيضاء ، أو صفراء لها ريح طيب نفاذ أو غير نفاذ ، وهى فى مجال النظر والشم نبتة ذات لون وريح ، ولكنها فى مجال الشعور والوجدان وفى مجلى الخاطر والبصيرة كائن حى يحدق بأحداق ، ويحدث بلسان ، ويبسم بفم ، فهى ترضى وتسخط ، وتبسم وتعبس ، وتمنح وتمنع الى غير ذلك مما يتبدى من الكائن الحى ذى العاطفة والشعور .

والفن اذ ينقل الزهرة فى عمل فنى بأية أداة من أدواته التى تحملها يدفنان صناع لا ينقلها مجرد نقل سطحى ، كما يحدث فى النقل بأداة التصوير ، وانما ينقلها محملة بهذه الرؤى التى انكشفت لبصيرته ، وتجلت لخاطره ، ووقعت لسمعه وبصره ، ومست شغاف قلبه ومسارب وجدانه .

ويبدو هنا سؤال ، لا بد من طرحه والاجابة عليه وهو : الا تكون تلك الرؤى التى تلوح للفنان فى الاشياء أو الاحداث والتى ينقلها فى العمل الفنى مع الشىء او الحدث — الا تكون هذه اضافات تبدل من صورة الواقع وتغير من حقيقته ؟ ثم الا يكون لنا أن نقول عن هذا الشىء ، أو الحدث المنقول الى عمل فنى ، انه ليس هو ، ولكنه شىء آخر من توليدات الفنان وتركيباته ؟

والاجابة على هذا السؤال من وجهين :

فأولا : أن أصالة العمل الفنى هى التى تضفى الخلود على هذا العمل ، وتقيمه فى الحياة ميراثا باقيا على الزمن ، وانه لن يكون العمل الفنى أصيلا الا اذا كان من منبعه الى مصبه ملتزما الحق ، جاريا معه ، أو بمعنى أدق ،

أن الفنان الاصيل لا يمكن ان ينحرف عن الحق ، لان أصالته لا تقبل الزيف ، ولا تلتئم مع الباطل أبدا ، وما خلد ما خلد من أعمال فنية ، الا كان الحق هو روحه السارية فيه ، والحق خالد فى ذاته ، وفى كل ما يبنى عليه .

واذن فالعمل الفنى الاصيل يخرج فى ضمان هذه الاصالة معافى من الزيف ، مبرءا من الباطل ، سليما من التمويه والكذب .

وثانيا : ان الفن مهما بلغ من الاصالة لا يمكن ان يجمع الحق من جميع أطرافه وان يستولى عليه من كل جوانبه وذلك لما فى الانسانية من عوارض النقص والقصور ، فلا يمكن بحال من الاحوال أن يرقى انسان الى غاية الكمال الذى هو منزل الحق ، ومطلع شمسه ، وانما بحسب الفن من الاصالة أن يلم ببعض أطراف من الحق ويحوم حول حماه .

واذا كان ذلك هو غاية مستطاع الفن فى أعلى مستوياته ــ فان كلمات القرآن الكريم وحدها ، دون سائر الكلام هى القادرة القدرة المطلقة على أن تحمل الحق كله ، تضمه اليها ، وتحتويه فى كيانها ، لانها هى ذاتها الحق المطلق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وفى هذا يقول الحق جل وعلا عن آيات القرآن الكريم وكلماته : « وبالحق أنزلناه وبالحق نزل » .

واذن فنحن فى مواجهة القصص القرآنى ، وفى لقاء الاحداث التى يعرضها هذا القصص انما نشهد الواقع فى جلال الحق ، وفى روعة الصدق .. الحق الذى يقوم عليه وجود الموجودات على ما خلقها الخالق جل وعلا ، كما يقول سبحانه : « وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق » .. والصدق هو الذى ينقل هذا الواقع فى معرض آيات الله وكلماته .

تلك هى مادة القصص القرآنى ، وهذه هى مصادره التى صدر عنها .. من الحق ، والحق المطلق بناؤه ليس فيه شىء مما فى القصص البشرى من واردات الخيال ، أو الوهم مما يلجأ اليه أصحاب القصص ، تعويضا لما عجزوا عن تناوله من سماء الحق .

هذا ، وقد انخدع بعض الدارسين المحدثين بكلمة (قصص) التى جعلها القرآن الكريم عنوانا دالا على ما ذكر من سير الاولين ، واخبار الغابرين ، فوقع فى فهم هؤلاء أنهم قد يكونون فى المجتهدين فى الاسلام ، أو المجددين فى الادب ، اذا هم أخذوا القصص القرآنى بمعايير القصص الادبى بما فيه من تلقيات الخيال ، وتلفيقات الاوهام ، ثم جرهم هذا أو جرأهم على القول بأن القصص القرآنى ليس كله حقا وصدقا ، اذ ليس الحق والصدق من مقاصد قصصه ، انما هو مسوق للاثارة الفنية التى تجىء من ورائها العبرة والعظة التى هى المقصد الاول من هذا القصص ، وانه لا اثارة للفن اذا هو التزم حدود الواقع الذى يحكى الحق والصدق ، اذ أن الفن فى صميمه حرية ، ولا حرية مع الزام والتزام !!

ولقد اندفع أصحاب هذا القول الى ابعد من هذا فقايسوا بين الله والانسان .. فما الله فى حسابهم ــ فى هذا المقام ــ الا فنان ينزل على حكم الفن فيسوى قصصه على نحو ما يسوى عليه الفنانون قصصهم ، من مزج الحقيقة بالخيال ، وخلط الواقع بالوهم والمحال !!

وهذه المقولات فوق أنها عدوان على الحق فى جانب الله ، وما ينبغى

لذاته وكلماته من تنزيه وتقديس ، ومن بعد عن نقائص البشر وقصورهم — هى عدوان صارخ على الفن ذاته ، إذ الفن بمعناه الحق نسيج محكم من صميم الحق ، ورحيق مصفى من لباب الواقع أو المتوقع وانه اذا اضطر الفنان لداع من دواعى القصور البشرى الذى لا يخلو منه انسان الى تلوين الحقائق وصبغها بألوان وأصباغ من الوهم والخيال ، فذلك انما يكون بالقدر الذى لا يجوز على الحقيقة ولا يمسخ مضمون الواقع ، والا كان عملا يتلهى بـه لا تلقاه النفوس على حال من الجد ابدا ، ولا تنزلـه العقول منهـا منزل التوقير له والاعتداد به .

مقاصد القصص القرآنى وغاياته :

اما مقاصد القصص القرآنى وغاياته ، فهى — فى صميمها — الدعوة الى الحق والهداية الى مواقع الخير واقامة وجه الانسانية على مسالك الحق والخير ، والميل بها عن مسارب الضلال والبوار .. فليس فى القصص القرآنى شىء مما فى غيره من القصص الادبى ، من تلك المواقف والصور التى يراد منها استثارة العواطف المريضة ، واسترضاء الميول المنحرفة فى الانسان وتملق غرائزه الحيوانية واقتياده منها .. وانما القصص القرآنى حرب على تلك العواطف المريضة وهذه الميول المنحرفة ، والغرائز المتدلية ، يلقاها جميعها فى حزم وحسم ، وينزل أصحابها منازل البوار والهوان فى كل موقف يلقاهم فيه ، لانه كما وصفه الحق سبحانه وتعالى بقوله : « ان هذا لهو القصص الحق » وما كان للحق ان يلبس الباطل ، أو يسلك مسالكه . وما كان لدعوة الحق أن تجعل الباطل لسانا ينطق عنها ، ووجها يلقى الناس تحت رايتها ، ان ذلك حرب على الحق نفسه وسلاح ان اصاب فلن يصيب الا الحق فى صميمه .

وأما كيف نلتقى بالقصص القرآنى ، ومن أى جانب ننظر اليه ، وبأى مقياس نقيسه ، وعلى أى وجه من وجوه فن القول نعتبره ، وفى أى جـانب من جوانبه يلتقى بالقصص الادبى — فموعدنا للاجابة على هذه الاسئلة وما يدور فى فلكها لقاءات أخرى على صفحات « الوعى الاسلامى » فى أعداد قادمة ، ان شاء الله .





مكتبة المجلة

الفهرس الهجائى لكتاب المغنى لابن قدامه فى الفقه الحنبلى :

كتاب المغنى من امهات كتب الفقه فى الشريعة الاسلامية ، وليست فائدته قاصرة على من يريد التعرف على المذهب الحنبلى ، بل هو نافع لمن يريد أن يعرف أقوال سائر المذاهب الاسلامية ، بالاضافة الى معرفة الادلة الرئيسية فى كل المسائل الفقهية المطروقة . وقد تميز بترتيبه . وفصله الموضوعات الجزائية كلا فى فصل خاص أو مسألة خاصة .

والكتب الفقهية الرئيسية ليس لها فهارس الفبائية بالرغم من النجاح الكبير الذى انبتته الفهرسة الهجائية ، الا انه قد صدر مؤخرا (معجم فقه ابن حزم الظاهرى) (فهرس حاشية ابن عابدين) .

يأتى الآن هذا الفهرس الهجائى للمغنى ليسد فراغا كبيرا فى هذا المجال وقد صدر عن البحوث العلمية بالكويت .

المجموعة العلمية السعودية :

كتاب يضم جملة من عقائد السلف الصالح الفها عدد من أهل التحقيق والتدقيق من العلماء ويحتوى الكتاب على عدة عقائد لبعض ائمة الاسلام وكتاب التوحيد وكشف الشبهات والاصول الثلاثة وأدلتها والقواعد الأربعة وشروط الصلاة وكمال الشريعة وشمولها وقد حقق هذه المجموعة وراجع أصولها الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد وتفضل الشيخ قاسم بن على بن قاسم آل ثانى بطبعها على نفقته .

والكتاب طبع بمطبعة النهضة الحديثة بمكة المكرمة ويقع فى ٢٥٠ صفحة .

محاضرات فى الثقافة الاسلامية :

مجموعة محاضرات فى كتاب لمؤلفها الاستاذ أحمد محمد جمال استاذ الثقافة الاسلامية بجامعة الملك عبد العزيز .

وتدور هذه المحاضرات حول الثقافة الاسلامية وفطرة الدين والعقائد الغيبية وفلسفة التعبد والقضاء والقدر وأخلاقية الاسلام والقومية فى ميزان الاسلام والادارة فى الدولة الاسلامية ومهمة الحاكم المسلم وعبقرية الاقتصاد الاسلامى والمرأة فى التشريع الاسلامى .

وهذا الكتاب يحتوى على ٢٩٤ صفحة ومن طبع دار الفكر ببيروت ونشرت مكتبة الثقافة بمكة المكرمة .

الخطر الذي يهدد المصحف

كيف

نشرت صحيفة (الاهرام) القاهرية تحقيقا للاستاذ محمد مهدى عن الاخطاء التى كثر وقوعها فى طبعات المصحف الشريف ، وقد استطلع فيه رأى فضيلة شيخ الازهر ومدير ادارة القرآن بوزارة الاوقاف ، ولأهمية هذا الموضوع القصوى ننقل للقراء على هذه الصفحات نص هذا التحقيق :

ان فضيلة شيخ الازهر يرى أنه لا سبيل الى القضاء على الاخطاء التى تقع فى بعض نسخ المصاحف الا بوجود جهة واحدة تتخصص فى طبع واصدار المصحف الشريف ، بشرط أن تكون هذه الجهة تحت اشراف الازهر ، ومزودة بأفضل العناصر المتخصصة فى علوم القراءات وفن الطباعة الحديثة .. فان وجود أكثر من جهة لطبع المصحف — ومعظمها شركات خاصة — دون رقابة صارمة عليها ، يؤدى الى اهمال بعضها ، ولو عن غير قصد ، فى العناية الواجبة لكتاب الله .

والحقيقة أن هذا الاهمال الذى يشير اليه فضيلة الامام هو — بالقطع — وراء كثير من حالات الخطأ التى وقعت فى المصحف ..

ومنها مثلا :

ندفع ؟

●● نفس الشركة التى طبعت وأصدرت المصحف الذى أشـــــار اليه (الاهرام) وتداخلت فيه بعض آيات القرآن الكريم تداخلا جعلها تأتى فى غير ترتيبها السليم .. أصدرت نفس هذه الشركة — وهى شركة خاصة — مصحفا آخر من نوع (الجيب) تداخلت فيه سورتا (مريم) و (المؤمنون) حيث جاءت الآية (٧١) من سورة (المؤمنون) بعد الآية (٤٨) من سورة (مريم) .

كما تداخلت سورة (النحل) مع سورة (مريم) أيضا ، حيث جاءت بقية الآية (٤٩) من سورة (مريم) بعد الآية (٦٤) من ســورة (النحل) . وتبعا لذلك تداخلت سورة (المؤمنون) مع سورة (النحل) فجاءت بقيــة الآية (٦٥) من سورة (النحل) بعد الآية (٧٠) من سورة (المؤمنون) .

فقط ١٨ آية من سورة الكهف .. !

احدى الهيئات الحكومية الكبرى المتخصصة فى الطباعة أصدرت طبعة خاصة من المصحف لاحدى الوزارات ، وسجلت على الغلاف اسمها واسم الوزارة وعام الطبع .. ولكن :

● لا توجد فى المصحف سورة كاملة ، وهى سورة (مريم) !

● سورة (الكهف) وهى احدى السـور الطوال وتضم !! آيات ، لا يوجد منها فى المصحف سوى ١٨ آية فقط .

● سورة (طه) سقطت منها ٩٣ آية ، حيث بدأت فى المصـحف بآية (٩٤) .

● سور الشورى والزخرف والدخان والجاثية والاحقاف مكررة مرتين : مرة بين الجزء الناقص من سورتى (الكهف ، وطه) ومرة فى موضـعها الاصلى ..

● سورة الاحقاف ، عندما وردت فى غير موضـعها الاصلى جاءت ٢٨ آية فقط ، بينما هى ٣٥ آية .

٩٠ خطأ فى مصحف واحد .. !

● احدى دور النشر الكبرى طبعت العام الماضى مصـحفا من نوع (الجيب) فيه نحو ٩٠ خطأ .. وبالرغم من أن لجنة تصـحيح ومراجعة المصاحف بالازهر اكتشفت هذه الاخطاء فى أثناء عرض (بروفات) المصحف عليها ، وطالبت بضرورة تصحيحها قبل الطبع النهائى للمصحف .. وبالرغم من هذا فان الدار التى أصدرت المصحف لم تستجب لتوجيهات اللجنة وصدر المصحف بأخطائه دون علم من اللجنة ..

ولم تتبين ادارة البحوث والنشر بالازهر التى تتبعها لجنة تصـحيح ومراجعة المصاحف حقيقة الامر ، الا عندما أرسل اليها أحد ضباط القوات المسلحة برسالة أشار فيها الى أنه اكتشف بأحد المصـاحف مجموعة من الاخطاء وبينها على نسخته التى أرفقها بالرسالة . وعند دراسة النسـخة المرسلة تبين أنها نفس الاخطاء التى أشارت اليها اللجنة وطالبت بتصحيحها .

وعلى الفور تم الاتصـال برئيس مجلس ادارة الدار التى أصـدرت المصحف ، وابلاغه بما حدث .. وفى نفس الوقت تم الاتصال — أيضا — بالرقيب العام بمضمون الموضوع ، ومطالبته بجمع كل النسـخ من هذه الطبعة — وقد تبين أنها تتجاوز الخمسين ألف نسخة — ومصـادرتها واحراقها .. ثم أحيل الموضوع الى النيابة العامة ..

مصحف غير صالح للقراءة .. !

● احدى الوزارات كانت قد رأت منذ نحو عشر سنوات اصدار طبعة خاصة بها من المصحف الشريف .. وبعد الطبع تبين لها أن فى المصحف نحو ٢٠٠ خطأ فى علامات ضبط الحروف ، مما يجعل المصحف غير صالح للقراءة فيه ، فأحجمت الوزارة عن توزيعه .. وكدسته فى مخازنها التى توجد فيها الآن آلاف النسخ منه .

ان المسـئولين فى الازهر يؤكدون أنه — حتى الآن — لا توجد لدى الازهر أو أى جهة أخرى سـلطة توقيع عقاب على الدار التى يصـدر منها الخطأ ، أكثر من حرق النسخة أو مجموعة النسـخ المغلوطة .. كل الذى تفعله ادارة البحوث والنشر التابعة لمجمع البحوث الاسلامية ، فى حالة اكتشاف خطأ فى أحد المصاحف عن طريقها ، أو عن طريق نسخة يرسلها أحد القراء الحافظين لها ، هو أن تكتب الادارة للرقيب ومباحث أمن الدولة

بحقيقة ما جاء فى المصحف .. وتطلب مصادرته .. ثم ينتهى الامر !

من أين يأتى الخطأ .. ؟

ان الذى يحدث فى حالة صدور أى مصحف جديد ، هو — كما يقول الدكتور أحمد مهنا مدير البحوث والنشر بالازهر — أن تتقدم الدار أو الشركة التى ترغب فى ذلك بطلب الحصول على تصريح بطبع المصحف ، وعلى الفور تحصل عليه .. ثم تبدأ عمليات الطبع .. فى هذه الاثناء تعرض الدار أو الشركة بروفات المصحف أولا بأول على لجنة التصحيح والمراجعة التى تقوم بتصحيحها ومراجعتها ، ثم إعادتها الى المطبعة لتنفيذ توجيهاتها .. حتى اذا انتهت كل البروفات وأصبح المصحف جاهزا للطبع النهائى .. تطلب الدار تصريحا آخر بنشر المصحف وتداوله فى الاسواق ، وتحصل عليه أيضا .

وتتم اجراءات الحصول على التصريحين وعملية التصحيح والمراجعة بالمجان ، وبمنتهى السهولة ، دون أن تدفع الدار شيئا للازهر . وفى خلال هذه العملية يمكن أن يقع أكثر من خطأ .. فمثلا :

● قد تهمل المطبعة فى اللحظة الاخيرة تنفيذ أوامر الطبع التى تنص على عبارة (يطبع بعد تنفيذ التصحيح) .. وقد يفوت الخطأ — عن غير قصد — لجنة التصحيح والمراجعة ، فيصدر به المصحف .

● قد يكون — الاتفاق فى تصريح النشر على طبع ٥٠ ألف نسخة ، ويطبع الناشر — رغبة فى الكسب — أكثر من ١٠٠ ألف نسخة على نفس (الكليشيهات) والرصاص الذى يتآكل بعد كمية معينة ، ويصبح بعدها غير صالح للطباعة على مستوى الدقة التى يتطلبها المصحف ، وفى هذه الحالة قد يضيع حرف أو تطمس كلمة أو تكسر حركة فتتحول الضمة — مثلا — الى فتحة ..

● ان الناشر يرسل الى ادارة البحوث عددا معينا من النسخ بعد النشر ، وعادة يختارها من أحسن المطبوع .. وقد يقع الاهمال فى مجموعات كبيرة بعد ذلك فى أثناء ترتيب الملازم أو تجليد المصاحف ، ويؤدى الى اخطاء لا يمكن لاحد فى الازهر أن يكتشفها الا عن طريق الصدفة البحتة اذا وقعت فى يده احدى هذه النسخ .

والذى يساعد على وجود هذا الاهمال ، الذى يفضى بدوره الى الوقوع فى الخطأ :

أولا : سهولة الحصول على التصاريح من حيث :

— عدم تسديد رسوم للحصول عليها .

— عدم حرمان أحد منها ، حتى ولو كان قد ثبت عليه الوقوع فى خطأ فى مرة سابقة .

ثانيا : الرغبة فى الكسب بطبع أكثر من الكمية المتفق عليها ، دون تجديد الكليشيهات وغيرها من أدوات الطبع .

ثالثا : قصور الملاحظة المستمرة لجميع المراحل التى يمر بها طبع المصحف .. فلا يوجد واحد من لجنة التصحيح فى المطبعة ليشرف بنفسه على تنفيذ أوامر الطبع ، ولا آخر يراقب صلاحية الكليشيهات ، ولا غيره يحضر عملية ترتيب الملازم والتجليد .

وعند هذا السبب الاخير يشير فضيلة الشـــيخ عبد الفتاح القاضى رئيس لجنة تصحيح ومراجعة المصاحف الى أن عدد المكلفين بعملية التصحيح والمراجعة فى الازهر كله لا يتجاوزون تسعة أشخاص ، بينما يحتاج حجم العمل ثلاثين شخصا على الاقل .. وقد اقترح فعلا زيادة العدد ، خصوصا وأن هؤلاء التسعة يقومون بجانب عملهم فى المصاحف المصرية ، بمراجعة كل المصاحف التى ترد من الخارج ، حتى ولو جاءت فى شكل هدية لاحد الاشخاص ، ما دامت قد دخلت البلاد عن طريق البريد .

دار القرآن .. ضرورة .. !

من أجل هذا كله .. وحتى لا يستمر وقوع الاخطاء ، تأتى ضرورة الاسراع فى البحث والاتفاق على جهة واحدة تكون المسئولة عن طبع المصحف والاشراف عليه فى كل مراحله ، وتعمل على تلافى كل نواحى القصور التى تؤدى الى الخطأ ، والكل يكاد يتفق على أن دار القرآن التى بدأت وزارة الاوقاف فى انشائها عام ١٩٦٤ ثم توقف العمل فيها .. لو اســتؤنف العمل فيها مرة أخرى لكانت خير دار تقوم بهذا العمل الكبير .

●● والى أن يتحقق هذا فان فضيلة الامام الاكبر يقترح اصـــدار قرار على أعلى مستوى يحيط عملية طبع المصـــحف بمجموعة من الضــــمانات الدقيقة ، بحيث لا تعطى تصاريح طبعه ونشره لمن يثبت اهماله .. ومن يحصل عليها ثم يثبت اهماله ، لا يكتفى معه باحراق النسخ المغلوطة ، بل توقع عليه غرامة مالية تتناسب مع حجم الاهمال ، تنفق قيمتها فى ســبل الخير ، ويخصص جزء كبير منها للمجهود الحربى وأسر المجندين .. وهذا بجانب حرمانه من الحصول على تصريح طبع لمدة زمنية محددة .

ويذهب لبيب السعيد مدير عام ادارة القرآن الكريم بوزارة الاوقاف الى أبعد من هذا ، فيقترح أن ينص القانون على أن صدور أى نســـخة مغلوطة من المصحف يعتبر جنحة يقدم المتسبب فيها الى القضاء .. واذا تكرر منه الخطأ مرة أخرى ، اعتبر تصرفه هذا جناية ، ويعاقب عليهـــا بنفس العقوبة التى توقع على مرتكبى الجنايات .

العقاب ليس هو المهم .. !

والحقيقة أن هذه العقوبات ، قد تقلل فعلا من نسبة الخطأ ، ولكنها لن تمنعه بحال من الاحوال .. ولهذا يجب أن تســـبقها وتحوطها فى الوقت نفسه مجموعة من الاجراءات التى تتلافى نواحى القصور الحالية أولا .. ويذكر مدير شئون القرآن منها :

● زيادة عدد العاملين فى تصحيح ومراجعة المصحف ، مع ضرورة الاشراف على اللمسات الاخيرة فى عملية الطبع من داخل المطبعة نفسها .

● زيادة عدد المفتشين الفنيين الذين يقومون بعملية التأكد من سلامة كل ما يرد فى المصحف بعد نشره رسما وأداء بمختلف القراءات المتواترة ، ثم يطالبون بمصادرة أى نسخة تخالف هذه القراءات . انهم ثلاثة أشخاص فقط ، فى كل وزارة الاوقاف ، وقد تجاوز كل منهم السبعين من عمره ، وبذلك لن يغطوا كل دور عرض الكتب التى تبيع المصاحف مهما بذلوا من جهد ..

وإذا علمنا أن عملهم فى غاية الاهمية ودراستهم ذات نوعية خاصة لا يقبل عليها الكثيرون ، وجب علينا العمل بكل وسيلة تشجيعية على تكوين جيل ثان منهم يواصل رسالتهم من بعدهم .

● فى حالة زيادة المراجعين والمفتشين ، تجب مراجعة كل طبعـــات المصحف نسخة نسخة مهما بلغ عددها .. وستكون هذه المراجعة ميسورة لو ركزت فقط على التأكد من ترتيب الصفحات لتفادى الناقص أو المكرر منها أو الموضوع فى غير موضعه .

وقد حدثت هذه المراجعة فعلا ــ كما يقول لبيب السعيد ــ عام ١٩٦٢ فى الطبعة الثانية للمصحف المرتل ، حيث تم فحص كل اسطوانات المصحف واحدة واحدة ، وكانت تبلغ ٤٤ ألف اســـطوانة . وقد وجد فعلا نحو ١٥٪ لا يصلح فأعدم على الفور واستبدل بغيره .

—— ● ——

والكلام عن طبع المصحف من حيث الاهتمام بطبعه ونشره ، وضرورة وجود جهة واحدة تتولى هذا العمل الهام ، لا على المستوى المحلى فقط ، بل وتصديره الى كل العالم الاسلامى .. هذا الكلام يطرح سؤالا هاما هو :

ــ بأى خط يطبع هذا المصحف الذى ستتوافر له كل الضمانات .. ؟

ولعل الذى يفرض هذا السؤال أن المصحف يطبع الآن فى العـــالم الاسلامى بثلاثة خطوط :

■ يطبع فى مصر وبعض البلاد الاسلامية بالخط العثمانى أو ما يعرف بالرسم العثمانى ، وهو الذى نقرأه فى مصاحفنا ، ولا يخضع لقواعد الاملاء التى نكتب بها من حيث كتابة كل ما ينطق ، بل ينهج سبيلا آخر يرجع فى رسم حروفه الى المصحف المتوارث من العصور الاسلامية الاولى .

■ يطبع فى المغرب بالخط العثمـــانى مع تصرف فى رســـم بعض الحروف ، فتكتب القاف ــ مثلا ــ بنقطة واحدة ، وتوضع النقطة من تحت الفاء وليس من فوقها .. وهكذا .

ويقول فضيلة الامام الاكبر أنه نفسه ــ لولا حفظه للقرآن ــ لوجد صعوبة كبيرة فى مواصلة القراءة بالخط المغربى .

■ ويطبع فى لبنان والعراق وتركيا وغيرها بالخط الاملائى الذى يخضع لقواعد الاملاء الحديثة التى تكتب كل ما ينطق باستثناء حالات معينة التزم فيها المصحف بالرسم العثمانى . ويجد مسلمو هذه البلاد صعوبة كبيرة فى قراءة أى مصحف مطبوع بغير خطهم .

خوفا من التحريف :

وبالرغم من أن مصر كانت حتى عام ١٩١٧ تطبع المصـــحف بالخط الاملائى ، تتبع فى ذلك الدولة العثمانية ، الا أنه منذ ذلك التاريخ بدأت فى طباعة المصحف بالخط العثمانى ، ثم صدر قرار من مشيخة الازهر بتحريم طبع وتداول ومصادرة أى مصحف فى مصر مطبوع بغير الخط العثمانى ، وذلك على اعتبار أن الخط الاملائى خط مستحدث مرتبط بعصرنا ، ويمكن أن يستحدث خط غيره فى عصر من يأتون بعدنا ، فيؤثر ذلك على ســـلامة المصحف الذى سيصبح فى هذه الحالة خاضعا للتغيير حسب خط كل عصر ، مما يخشى معه التحريف فى كلمات الله .

العربية لغة

يتردد فى دنيا العروبة بين الحين والحين تساؤل حول صلاحية اللغة العربية للحياة بوجوهها المختلفة ، وفى الايام الاخيرة تركز السؤال حـول صلاحيتها لغـة لتدريس العـلوم ..

وتمهيدا للوصول الى غاية من البحث أترك الجواب لعدد من الباحثين العالميين مبتدئا بغوستاف لوبون الذى يقول :

ظلت ترجمات كتب العرب ــ ولا سيما الكتب العلمية ــ المصـدر الوحيد تقريبا للتدريس فى جامعات أوروبا خمسة قرون ، ويمكننا أن نقول أن تأثير العرب فى بعض العلوم كعلم الطب مثلا دام الى أيامنا ، فقد شرحت كتب ابن سـينا فى مونبيلييه فى أواخر القرن الماضى ..

أما الدكتورة سيجريد هونكيه فانها تقول : (قبل ستة قرون امتلكت كلية الطب فى باريس أصغر مكتبة فى العالم . وكانت محتوياتها مجرد كتاب واحد لمؤلف عربى هو أبو بكر الرازى) . ثم تتحدث عن هذا الكتـاب قائلة : (لقد كان مؤلفا قيما جدا حتى أن صاحب الجلالة ملك جميع المسيحيين لويس الحادى عشر أراد مرة استعارته فدفع تأمينا باهظا له . وكان غرضه من استعارته تمكين أطبائه الخصوصيين من الحصول على نسخة منـه

للرجوع اليها . وهذا الكتاب الذى كان يكون مكتبة طلبة طب جامعة باريس عبارة عن موسوعة لسائر المعارف والعلوم الطبية) وتضيف الباحثة قائلة : (ويجب أن نذكر للرازى أيضا كتابا صغيرا وضعه . وهذا الكتاب حجة فى مادته وقد طبع فى أوروبا بين عامى (١٤٩٨ — ١٨٦٦) أربعين مرة وهو المرجع الوحيد للنقرس والحصوة وأمراض المثانة والكلى وأمراض الاطفال).
ومن أراد الاستزادة من معرفة مكانة العرب العلمية فى الفلك والضوء والجبر فما عليه الا أن يرجع لما كتبته هذه الباحثة الامينة عن ابن الهيثم والبيرونى وابن سينا وغيرهم من الأدمغة العربية التى أنارت للعالم طرق البحث والدأب للوصول الى الحقيقة ..

وأما نيلينو فانه يقول : (قياس العرب لمحيط الارض هو أول قياس حقيقى أجرى كله مباشرة مع كل ما اقتضته تلك المهمة من الوقت الطويل

العلوم

للدكتور
تيسير اماره الدعبول

والصعوبة ، واشتراك جماعة من الفلكيين والمساحين فى العمل وذلك كله حدث فى زمن المأمون وقد بلغ طول المحيط حسب قياسهم (٤١٢٤٨) كيلو مترا بينما معطيات التقدم الحديث دلت على أن محيط الارض (٤٠٠٧٠) كيلو مترا) ..

وأعتقد الآن ، وبعد أن قدمنا شهادات من لا يمكن لهم أن يتعصبوا للعرب ، أقول أعتقد الآن أننا نستطيع أن نقول : ان العلم التجريبى بضاعة عربية ، وأن الطب الحق الجدير بهذا اللقب لم يكن معروفا خارج الوطن العربى . وهذا يدفعنا الى الاستنتاج : أن اللغة العربية كانت اللغة العالمية للعلم . وما كان يمكن لأى باحث أن يجهل اللغة العربية ، ونستطيع أيضا أن نعلن : أن المعرفة العلمية المتاحة كانت عربية اسلامية وحتى الورق الذى يمكن أن تنسخ عليه المعارف كان سلعة عربية ..

وأعتقد أيضا أننا قد توصلنا الى القناعة بأن المجتمع العربى كان مجتمعا مثقفا بكل ما تعنيه هذه الكلمة كما يقول ويل ديورانت فى كتابه (قصة الحضارة) ، ولأننا نجد فى لحظة المغيب : مغيب الحضارة العربية الباحث

الكبير ابن خلدون الذى ـــ يعلق الفيلسوف الانكليزى الشهير أرنولد توينبى على مقدمته بأنها : (بلا شك أعظم مؤلف من نوعه حاول خلقه أى عقل على الاطلاق فى أى زمان وفى أى مكان) . ترى ! ما الذى حدث لهذه اللغـــة العالمية حتى زحزحت عن مكانها الاول لتنزل فى المرتبة السابعة بين لغات العالم الآن حسب تصنيف العالمة الاميريكية مارجريت ميد : الانكليزية ، فالأندو أوروبية فالروسية، فالالمانية ،فالاسبانية، فاليابانية، ثم العربية ، فالبنغالية، فالبرتغالية، فالفرنسية، فالملايوية، فالايطالية وهنا بالذات نقرأ جواب سلامه موسى على هذا التساؤل أنه يقول : (هذه اللغة ـــ أى العربية ـــ لا ترضى رجلا مثقفا فى العصر الحاضر ، اذ هى لا تخدم الامة ولا ترقيهـــا لأنها تعجز عن نقل مائة علم من العلوم التى تصوغ المستقبل) ، ولا أدرى أى مائة علم يعنى !؟ كما يقول عنها : (هى أس البلاء والمسؤولية عن كل الرزايا ، ان تأخرنا اللغوى فى مصر هو سبب من أعظم الأسباب لتأخرنا الاجتمـــــاعى) . .

ويحق لنـــا أن نقول : ياله من تفسير علمى رائع لتخلفنا الاجتماعى اذ ليس للاستعمار ولا للاقطاع دخل فى تأخرنا ، ويكفى لنصبح فى الصـــف الأول مع المتقدمين أن نلوى ألسنتنا بغير اللغة العربية التى امتدحهــــا المستشرق (فان دايك) قائلا : (ان اللغة العربية هى اللغة الخالدة وهى أحـــق اللغات فى الحيـــاة والبقاء) . نعم هذا ما قالـــه سلامه موسى فـــى لغة قومه ولا بأس من عرض ما يقوله بعض اليهود فى لغتهم المندثرة . يقول سابا تومارايس اليهودى الأمريكى : (ان معرفة اللغة العبرية هى المحور الذهبى الذى يدور حوله كياننا القومى والدينى ، فاللغة العبرية الهابطة من جبـــال الأبدية اختارها الله لنشر الحقائق) ويقول سمولنسكين : (هنا مخزن فسيح الأرجـــاء مملوء كنوزا ومفاتيحه اللغة العبرية ، فهل يجوز لنا أن نلقى بهذا المفتاح فى محيط النسيان أكثر من ذلك) ؟؟

ولعل المقابلة بين أقوال اليهود فى لغتهم وأقوال سلامه موسى ومـــن لف لفه ممن غذاهم الاستعمار ليخدموا مصالحه تبين لنا مكانة كل منهم فى أمته حرصا عليها ودفاعا عنها . .

ولعل أيضا شهادة ماسينيون (استاذ اللغة العربية فى جامعـــــة السوربون) توضح عمالة هؤلاء وحرصهم على خدمة سادتهم حيث يقول : (ان اللغة العربية بفضل تركيبها قادرة على التجريد والنزوع الى الكلية والشمول ومن هنا كان للعرب الفضل فى استكشاف رموز الجبر والمسلسلات الحسابية ، وهى لغة وعى ولغة شهادة وينبغى انقاذها سليمة بأى ثمن لتصبح اللغة الدولية المستقبلة . .

ان هذا الخلط يدعو الباحث المتأنى الى العودة لمعرفة أصحاب هذه الدعوات وغاياتها والمروجين لهـــا والجهات التى تخطط لهم وتدعمهم . .

لقـــد ظهرت هذه الدعوة ، دعوة تحطيم العربية بشعبها الثـــلاث : الدعوة الى العامية ، والدعوة الى تبسيط القواعد وحذف أبواب منها واصلاح

الخط العربى باستبدال الحرف اللاتينى به ..

لقد قلت ظهـرت هـذه الدعوة عـام ١٨٨٢ فى صحيفة المقتطف ثم انتقل أثرهـا الى بقية السماسرة والمهرجين فى أرجـاء عالمنا العـربى ويكفى أن أذكر على سبيل الاختصار أسـماء سبيتا وفولازروباول وفيلوت وبوريان الذين قادوا هذه الحملة فى مصر منذ عـام ١٨٨٠ وفعل عمـال الاستعباد مثل ذلك فى بـلاد عربية أخرى ، فكتب كوسان دى بريسفال : كتـابا فى (قواعد العامية الشرقية والمغربية) ١٨٥٢ وكتب ماسينيون كتابا فى (لهجة بيروت العامية) ١٩١١ ، وكتب فى السنة التالية كتابا آخر فى (لجهة بغـداد العامية) طبع فى مصر ١٩١٢ وكتب بن سميل : كتابا فى (لهجة مراكش العامية) ١٩١٨ ، وكتب برجشتراسر كتابا فى (عامية دمشق) طبع فى هانوفر ١٩٢٤، وكتبلويس مارسييه كتابا فى(عربية مراكش) طبعفى باريس ١٩٢٥ وكتبت عشرات أخرى من الكتب على هذا المنوال . ولم يكتفوا بذلك ، وانما أدخلوا تدريس اللهجات العامية فى مدارسهم وجامعاتهم ، وأنشأوا لهـا مدارس خاصة فى بعض الاحيان . لقد أنشأت جامعـة لندن فرعا لتدريس العربية الفصحى واللهجات العامية فى أوائل القرن التاسع عشر وكلف أحمد فارس الشدياق بتأليف كتاب لها فى اللهجات فكتب (أصول اللغـة العربية المحلية) وأسست مدرسة نابولى للدروس الشرقية ١٧٢٧ ثم جددت ١٨٨٨ وأسست مدرسـة لتعليم القناصل لهجات العرب العامية فى فيينا ١٧٥٤ ، وألف حسن المصرى كتابا فى العامية المصرية ١٨٦٩ سماه : (أحسن النخب فى معرفة لسان العرب) ، وأسست مدرسة باريس للغات الشرقية الحية فى أواخر الثلث الاخير من القرن الماضى وألف لها ميخائيل الصباغ كتابين فى العامية المصرية والشامية سماهما (الرسالة التامة فى كلام العامية) . و (المناهج فى أصول الكلام الدارج) ، وأنشئت مدرسـة لازاريف الاكليركية للغات الشرقية فى موسكو ١٨١٤ وكلف محمد عيـاد الطنطاوى بتأليف كتاب لها سماه (أحسن النخب فى معرفة كـلام العـرب) ..

وليس هذا وحده ما يستدعى العجب ، فان أحد أعضاء مجمع اللغة العربية فى القاهرة وهو عبد العزيز فهمى نادى ١٩٤٣ باقتراح كتـابة العربية بالحروف اللاتينية وغيره ممن نادى بذلك كثير ..

أليس ذلك يدعو الى أن نتساءل : هل أنشىء هذا المجمع لينظم جهود حمـاة العربية ، أو أنشىء ليكسب الهدم والهدامين صفة شرعية ، وليضع على بيت حفـار القبور لوحـة نحاسية كتب عليها بخط عريض (طبيب) ، وعلى وكر القاتل السفاح اسم (جـراح) (١) ..

ولعلنا بعـد هذا العرض نستطيع اعادة كل شنشنة قـام بها بوق مأجـور ، أو سمسار عميل أو مغفل مخدوع الى مصدرها الحق من كتب هؤلاء المستعمرين المدربين ، الذين لا هم لهم الا محاربة الفصحى والقضاء عليها بل على ما تمثل من تراث ماض مجيد وحضارة خالدة ومثل وقيم ظلت منارة يهتدى بهـا الباحثون المنصفون ..

وأما تلك الحفنة التى ذرت على نفسها غبار الاعتدال فدعت الى تطور اللغة ، فانى أترك الجواب عليها للباحث الكبير الدكتور محمد محمد حسين (رئيس قسم اللغة فى جامعة الاسكندرية وبيروت العربية) الذى يقول : (ويقولون ان اللغات الأوروبية قد تطورت فيجب أن تتطور لغتنا كما تطورت لغاتهم . وهناك فرق بين التطور والتطوير ..

تتطور اللغة بأن تفرض عليها قوانين قاهرة هذا التطور . أما التطوير فهو سعى مفتعل الى التطور هو ارادة أحداث هذا التطور دون أن تكون له مبررات تستدعيه . والتطور لا يسعى اليه ولا يصطنع ولكنه يفرض نفسه ، فلا نجد بدا من الخضوع له . وأى نعمة وأى مزية فى تطور اللغات الأوروبية حتى نسعى الى افتعال نظيره فى لغتنا ؟ ان هذا التطور كان نكبة على أصحابه قطعهم أمما بعد أن كانوا أمة واحدة فما زالوا فى خلاف وحروب منذ ذلك الوقت ، ثم انه لم يحكم على تراثهم القديم المشترك وحده بالموت بل هو ما يزال يقضى بين الحين والحين على التراث القومى لكل شعب من هذه الشعوب ، حتى ما يستطيع الانكليزى اليوم من عامة الشعب أن يفهم لغة شكسبير الذى مات فى القرن السابع عشر ، بينما لا يستطيع الانكليزى المثقف أن يقرأ ما قبل شكسبير مثل تشوسر ولا يقدر عليه الا قلة من المتخصصين ومثل ذلك الفرنسية والايطالية وسائر اللغات الأوروبية الحديثة ..

أما نحن العرب على اختلاف أقدارنا من الثقافة فنقرأ القرآن الكريم ونفهمه ونقرأ رسائل الجاحظ وأغانى الأصفهانى فلا نكاد نحس فارقا ، بين أسلوبها وبين أسلوب بعض المعاصرين . فلماذا نسعى الى أن تفقد أنفسنا هذه المزايا التى لم تفرض علينا فقدها ضرورة من الضرورات ..

لماذا نحسد أوروبا — التى ابتليت بذلك . على مصابها ونصنع صنيع اليهود الذين قالوا لنبيهم حين مروا بقوم عاكفين على أصنام لهم يعبدونها : (اجعل لنا الها كما لهم آلهة) . وأما استقصاء الواقع فانه يدل على أن اللغة القومية لشعب ما حتى وان كانت مندثرة أو قاصرة ، فانها هى المتبناة فى مدارسه وجامعاته لغة للأدب والفلسفة والعلم الا عندنا(٢) وعلى سبيل الذكر لا الحصر اليكم مثلا :

هولندا ، البرتغال ، بلغاريا ، النمسا ، الدانمارك ، السويد ، النروج ، فنلندا ، المجر ، يوغوسلافيا ، البانيا ، الصين (٣) ، رومانيا ، وكل من هذه الدول تتكلم بلغتها القومية ، وأما سويسرا ، بلجيكا ، تشيكوسلوفاكيا ، كندا فانها تتكلم لغتين قوميتين فأكثر ، حسب الاصول القومية لسكان كل منها ..

والنتيجة المنطقية لهذه الاستعراضة الموجزة السريعة هى : أن اللغة تقدمت وأصبحت لغة العالم عندما كان لأهلها بأس وسلطان وحضارة وعمران ، وانحسرت متراجعة عندما أخلد أهلوها الى نوم عميق . وقد

دلت الدراسات الحديثة على أن الرسم البيانى لمسار لغة من اللغات هو نفسه المسار البيانى الذى يصور تطور المجتمع الذى يتكلمها ، ولعل هذا أيضا يفسر لنا سبب الهجمة الشرسة التى يشنها الاستعمار على عربيتنا لأنه يسعى الى مرأد الحضارة العربية وقيمها ومثلها وأخلاقيتها ..

ولسائل أن يسأل وما هو موقفنا من الأشياء الجديدة التى لا علم لنا بها ؟ وهنا أقول ان المعاناة التى يعيشها الصانع واللذة التى يشعر بها عند اتمام صنيعه توجبان بتسمية هذا المصنوع . ان الأنثى لا تفكر بالاسم الا عندما تشعر بحركة الوليد فى جوفها ، وهنا أهمس فى آذان هؤلاء : ضعوا لنا المولود وسنكفيكم مهمة التسمية . فان رتش كوندر يقول : ان صانع الآلات هو فى الوقت نفسه صانع الكلمات ..

ولست أعنى من هذا أن ننقطع عن التعريب والترجمة والنقل لأنى أعلم أن القراءة تفكير فى عقول الآخرين وان المطالعة والدراسة سبيل من السبل التى تزود الناس بالخبرات ، اننى أقول بصراحة ان علينا أن نجيد أكثر من لغة(٤) ، ولكن بشرط ألا تكون هذه الاجادة على حساب لغتنا ..

ولتصبح لغتنا عالمية كما كانت :

ـ لا بد لها من الكتاب الجيد الواضح بأسلوبه ومضمونه وطباعته ..

ـ لا بد لها من المدرس المتمكن الذواقة الأمين ..

ـ لا بد لها من المعرب الذى لا يقل اطلاعه على لغته على اطلاعه على اللغة التى ينقل عنها ..

ـ لا بد لها من ثورة صناعية تهىء لها المولود الصناعى الجديد حتى توجد لها ما يناسبه من ملابس وليس هذا غريبا لأن أسماء المخترعات الحديثة لم تكن جاهزة فى لغاتها وانما أوجدوا الاسم بعد ايجاد المصنوع ..

ـ لا بد لها من جهود مجتمعة لان ما يصدر فى العالم اليوم من مجلات وكتب علمية تند على الحصر (١٢) ألف كتاب علمى سنويا و (٨٠) ألف مجلة علمية فى العالم هذه الجهود يجب أن تكون على مستوى الجامعات والمجامع بل والدول العربية كلها ، ولا أعدو الحق اذا قلت : انها بحاجة الى جهد كل عربى غيور على نفسه ومجتمعه وأمته ولغته ..

انها ان نهىء لها ذلك عادت الى وضع بدع آخرين يقولون مع فانديك (ان اللغة العربية هى اللغة الخالدة أو هى أحق اللغات بالحياة والبقاء) ..

---

(١) الاتجاهات الوطنية للدكتور محمد محمد حسين .

(٢) لدينا فى العالم العربى حوالى (٢٠ جامعة) ، كلها تدرس العلوم والطب باللغة الاجنبية ما عدا واحدة هى جامعة دمشق فانها تدرس العلوم باللغة العربية .

(٣) ليس للصين حتى الآن (بعد أن امتلكت القنبلة الهيدروجينية) أبجدية تقيم عليها لغتها ، وتقوم لغتها على الرموز والصور التى لا حصر لتعدادها .

(٤) وفى الوقت الراهن يجب ألا يتخرج من جامعاتنا طالب علوم الا بعد اجادته لاحدى اللغات الأجنبية : كتابة وقراءة ومكالمة .



للأستاذ يوسف العظم

من المسلم به أن الشعر أسلوب تعبيري أباحه الاسلام بل حث عليه في ميادين الخير وآفاق المحبة ومجالات البناء ، وليس للاسلام علاقة بقوالبه الفنية أو أشكاله الادائية طالما لا يدعو الى شرك « أو يحث على منكر أو يعين على ضلال » .

والاسلام لا يستنكر الشعر أو يستقبحه الا حين يكون العوبة في يد سلطان يسمى باطله حقا وظلامه نورا أو حين يكون عبثا مترفا وتخمة عفنة يتقيؤه السكارى في مجالس الخلاعة والمجون ، أو حين يتحول سوطا من الارهاب على رقاب الناس في يد جلاد ظالم وطاغية لا يرحم .

ومثلما استثنى القرآن الكريم شعراء الدعوة من بين الشعراء وخصهم بالتكريم والثواب ، ومثلما استثنى النبى صلى الله عليه وسلم شعراء الايمان وأثنى عليهم وذكرهم بخير فان الاسلام وهو الدين الخالد

يصدر اليوم حكمه على الشعراء ويصنفهم امتدادا للتصنيف القرآنى القويم والنظرة النبوية الثاقبة ، وهو اليوم يطلب شعراءه بين الشعراء ويبحث عن شعر الدعوة والخير

والهدى فى « دوامة » الشعر الهادرة بالنفاق والهبوط ، الصاخبة بالكذب والبهتان ، الملوثة بالجنس والعهر والرذيلة .

فى الناس وتبث الخير والحق والمعرفة والنور والخلق والفضيلة سواء أكانت تلك الألسنة والافواه مترسلة أم ذات قواف وأوزان .

والاسلام الذى لا يشجع يوم جاء شعر الملحمة كما عرف يومئذ لما احتواه من الكذب وما قام عليه من التضليل التاريخى لا يعارض اليوم شاعرا مسلما يمسك بقلمه ليخط ملحمة أو مسرحية شعرية رائعة يستمد أحداثها أو حوارها بوعى وبصيرة من أحداث اسلامية صادقة وقعت ضخمة فى تاريخ هذه الارض وأمجاد هذه الامة ابتداء بغزوة بدر فى دار النبوة وانتهاء بمعركة « عين

للشعر العربي

واذا كان من مهام الداعية المسلم كاتبا وخطيبا ، والعالم المسلم فقيها ومحدثا استخدام الكلمة الطيبة وتسخيرها فى سبيل اعلاء كلمة الله والعمل على نشر دعوته فان مهمة

الشاعر المسلم لا تقل قيمة ورسالته لا تتخلف خطوة ، ذلك أنه أقرب الى نفوس الناس وأحاسيسهم وعواطفهم بتصوير الخير ورسم اللوحات الرائعة والتغلغل فى أعماق النفس البشرية يهزها هزا بالحكمة والبيان .

واذا كان لكل فئة من الناس اليوم ألسنة تنطق باسمهم وأفواه تتحدث عنهم وتعبر عن آرائهم فلم لا تكون للمؤمنين ألسنة وأفواه تنشر الدعوة

جالوت » على أرض فلسطين .

ان مثل هذا العمل الادبى الرائع الذى لم ينبر له شاعر حتى اليوم يمكن أن يخلد صاحبه ، ولو جاءت صور الصدق والواقع والحق فى اطار من

العاطفة المشبوبة والوجدان العارم .. ومن ذا الذى يقف يومئذ يطالب الشاعر المسلم ألا يكون محلق القلم مجنح الابداع خصيب الخيال الا حكم موتور أو ناقد مغرور !؟

ان فى أحداثنا التاريخية وفى صفحات أمجادنا من المآثر ما يقف المصور أمامه مبهوتا والقلم بين يديه حائرا ، وهو فى انتظار الريشة المبدعة والقلم الساحر والبيان البليغ

ليخرج لنا ثمارا ناضجة غير فجة فى ميادين الملحمة والمسرحية بلا زيف ولا تضليل .

ان فى حزم أبى بكر وعدل عمر وكرم عثمان وفروسية على وصبر بلال وبطولة خالد وشموخ الخنساء واستشهاد سمية لصورا رائعة من سجل حضارى متكامل يأخذ بالالباب ويجعل المرء فى حيرة من الامر ان كان فى خيال لا يرقى اليه أو واقع فوق مستوى الخيال ؟!

ان الشعر الملحمى والمسرحى أسلوبان من أساليب الاداء ووجهان من وجوه التعبير ، واذا كان الشعر الغنائى فى عصرنا اليوم عاجزا كما يرى البعض عن مواكبة التطور الانسانى سلاسة أداء وبساطة تعبير وعمق احتواء أو كانت متطلبات الحياة والتطور المعيشى الحضارى يقتضيان أسلوبا جديدا أو قوالب أخرى تخرج عن الاسلوب الغنائى وأغراضه فان الاسلام لا يحول دون ذلك ولا يأباه ما دام الفكر غير منحرف والعقيدة غير زائفة والرأى غير مدسوس ولا موتور .

لقد تناول الشعر الغنائى كما عرفه العرب من قبل أغراضا عدة من مدح رخيص يتزلف به صاحبه الى الناس ويتكسب به لقمة العيش أو وجاهة المركز ، وفخر مختال يقوم على المبالغة والكذب والتزوير ، وهجاء مقذع يهتك الاعراض ويسخر من كرامة الانسان ، وغزل فاحش يدعو الى العهر والرذيلة ، يرافق ذلك كله أو يدور معظم ذلك فى مجالات لاهية عابثة تراق فيها الخمر وتسحق فيها الكرامة ويهدر فيها العقل مما لا يرضاه الانسان الحق والطبع السليم .

ومن الطبيعى أن يضع الاسلام للشعر الضوابط والمعايير والقيم والمقاييس حفاظا على كرامة الحياة وسلامة الخلق وانسانية الانسان .

فاذا مدح الشاعر المسلم كان ذا غاية لا يحركه خوف من طاغية أو رغبة فى نفع مادي زائل بل لأن رباطا متينا كريما وعلاقة وثيقة مثلى تربطه بالممدوح فلا يبالغ حتى يخرج بالممدوح عن طبعه الانسانى وفطرته السوية . ولا يكثر من المدح بحيث يصبح بضاعة مزجاة فى كل سوق وعلى قارعة كل طريق ينالها ويلتقطها كل من دفع الثمن .

ان شعراء الدعوة الاسلامية فى صدر الاسلام الاول من أمثال حسان ابن ثابت وكعب بن زهير وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وعثمان بن مظعون وغيرهم لا يصفون جبانا بالشجاعة ولا بخيلا بالجود ولا فاجرا بالورع وهم حين يمدحون رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يذكرون أصحابه بخير — وهم بعض أصحابه — لا ينتظرون عرض الدنيا الزائل بل يرجون رضوان الله وثواب الآخرة .

والملاحظ اليوم فيما نطالع من شعر لشعراء الدعوة الاسلامية الذين سلكوا طريق الهدى والتزموا الخط الاسلامى فى شعرهم ان شعر المدح فيه يكاد يكون معدوما أو نادرا ، ذلك أنهم لا يرون — وهم أصحاب المثل السامية والقيم الاسلامية — ان هناك من هو جدير بالمدح والثناء كما استحقه عن جدارة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عليهم الرضوان ومن تبعهم من الائمة والتابعين والمجاهدين .

والشاعر المسلم حين يفتخر تراه يفتخر بدعوته لا بنفسه وبجماعة

المؤمنين لا بالعشيرة وبمفاهيم الخير والصلاح لا بالتقاليـد القبلية المهترئة البالية ، وهو الى جانب ذلك رزين موزون لا يهول ولا يجنح به الخيـال فيبقى معقولا مقبولا مرضيا عنه مـن ربه ونبيه وجماعة المؤمنين .

وفى تتبع واع لسيرة النبى صلوات الله عليه وحياة أصحابه نستطيـع أن نرى تبدل القيم وتغير المفاهيم من مفاخرة بالعدوان واذلال النفـوس وسيطرة القوى على الضعيف الـى مفاخرة بقيم جديدة ترتبط بصـدق الجهاد وعمق الفكر وشفافية الروح وطهر النفس التقية .

أما الهجاء فان الشاعر المسلم حين يهجو لا يتعرض لنقص فى خلقـة أو عيب فى جسد كما لا يهتك عرضا أو يخوض فى شرف ولكنه كان يتنـاول المهجو من حيث قصور عقله عن الهدى وتقاعسه عن دعوة الخير وتخلفه فى متاهات الضلال والغواية .

وكان أقسى نوع من أنواع الهجاء الذى سلطه المسلمون على المشركين هجاء حسان فى جاهليتهم وهجاء عبد الله بن رواحة بعد أن أسلموا وذاقوا حلاوة الايمان ، وأدركوا ضحالـة تفكيرهم وسخف عقولهم اذ يسجدون لصنم ويعبدون وثنـا ويرفضـون الخضوع لرب الارباب .

انه الهجاء الفكرى القائم علـى المآخذ العقلية والسلوك السطحـى والتصرفات المسعورة الرعناء التـى ترفض الهدى وترضى بالضلال وتأبى النور وتحيا فى دياجير الظلمـة الحالكة .

أما ذكر المرأة بصورة غير مرذولة والحديث عن جمالها بأسلوب عـف كريم فأمر لا غبار عليه ولا حرج فيـه

وقد ذكر القرآن الكريم مظاهر جمال المرأة فى آيات كثيرة وأشار الـى مقاييس معينة عن جمالها بأدب ربانى كريم وأسلوب عف سامق لا اثـارة فيه ولا صخب . وجميل من الشعراء أن يقتفوا أثر القرآن عند الحديث عن المرأة وجمالها فلا يهبطون ولا ينحدر منهم الاسلوب أو يخبث الهدف « فيهن خيرات حسان ، فبأى آلاء ربكمـا تكذبان ، حور مقصورات فى الخيام ، فبأى آلاء ربكما تكذبان ، لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان » .

أما الوصف وهو غرض عام من أغراض الشعر العربى فلا يرتبـط بمعنى واحد مما أشرنا اليه أو تحدثنا عنه ، والخير أو الشر فى الوصف ، والحلال أو الحرام يكمن فى طريقـة عرض الموصوف نفسه وأسلـوب الحديث عنه ، فاذا تحدث الشاعر عن جمال المروج الخضر ورهبة الصحراء وهياج البحر وتلألؤ النجوم ووهـج الشمس ودوى الرعد وربط ذلك كله بعظمة الخالق سبحانه ، أو دعـا الناس الى الانتفاع بما خلق اللـه وأبدع فان الوصف لا يكون الا حلالا . وأمامنا فيما ذهبنا اليه القرآن الكريم الذى وصـف السمـوات والارض والقمر والنجوم والبحر والفلـك التى تجرى فيه بأمر الله بأسلوب رائع اخاذ أذهل المشركين وجعل بعضهـم يسجد للفصاحة لا للعقيدة وللاسلوب لا للفكرة .

أما اذا وصف الشاعـر مظاهـر الطبيعة المختلفة وقواها المتعـددة وربط ذلك بالطبيعة الخالقة كمـا يزعمون أو أنكر صنع الله فيما وصف وأبدع فان فكرة الانكار لا فكـرة الوصف هى المردودة ، وعقيـدة الكفران والجحود لا أسلوب التصوير هى المنكرة المحرمة .



نساء ومواقف

إنَّ اللهَ يغضَبُ لغضبكِ ويرضى لرضاكِ

من حديث الرسول عليه الصلاة والسلام لابنته فاطمة ..

للاستاذ محمد محمد الشرقاوى

لمعت فى أفق الاسلام انجم زاهرات من نساء الاسلام الأوليات .. أفضن على تاريخ المرأة مفاخر وأمجادا .. قل أن تحاكيها أمثالها فى تالد التاريخ وطارفه .. حتى لقد بلغت بهن المخاطرة والشهامة .. مبلغا زاحمن فيه عظماء الرجال ، ومشاهير الأبطال .

ولقد كان للاسلام حين شمت بشاشته فى قلب المرأة .. أثره الفعال فى تفجير عظمتها الذاتية ، وعواطفها الانسانية . فوقفت مع الرجل جنبا

الى جنب فى ميادين العمل والكفاح والخدمة العامة ، وضربت المثل تلو المثل .. على صلابة العزم ، ورجاحة

العقل ، وسمو العاطفة ، وحلاوة الايمان ..

جارية مؤمنة

يروى ابن هشام فى سيرته أن عمر بن الخطاب وهو فى ابان جاهليته .. كان يسوم جارية مسلمة لبنى المؤمل العذاب ليفتنها عن دينها الجديد .. وليخنق فى المهد ايمانها الوليد .. بقسوته المعهودة ، ولم يكن يكف عن أذاها .. الا حين يعجزه امرها ، ويعييه شأنها قائلا لها : انى لم أتركك الا ملالة .. فتقول له فى صبر يصدع صفاة الحليم « كذلك فعل الله بك » .. وهكذا لم تستسلم امرأة الرعيل الأول للتعذيب والاضطهاد ، وادت دورها فى تثبيت ركائز العقيدة .. واستطاعت تلك القنة المسترقة أن تقاوم ذلك الثالوث المتضافر عليها فى صورة رق وانوثة واضطهاد ، وأن تتحدى صولة عمر .

ام كلثوم

لقد ادركت المرأة بفطرتها قيمة الاسلام حين آوت اليه .. فآمنت به عن عقيدة . ودافعت عنه بارادة حرة .. وسلكت مسالك المجاهدين .. فهاجرت من وطنها وهجرت أهلها .. وركبت متن الخطر .. ابقاء على دينها واستمسكا بمبدئها .. ولنضرب مثلا لذلك بأم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط .. فقد روى صاحب الاصابة : انها كانت تعيش فى أمن وكرامة تحت رعاية والدها .. وكان من سادات قومه .. فلما أسلمت فى مكة .. بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسها قبل الهجرة .. متحدية بذلك الأعراف السائدة والتقاليد المتبعة .. ثم ما لبثت أن فرت بدينها مهاجرة تحت جنح الظلام .. ضاربة فى بطون الأودية ، ومخارم الجبال .. الى موئل الاسلام الجديد بالمدينة .. وهناك تزوجت من زيد بن حارثة حب الرسول ، ولما قتل عنها اقترنت بالزبير بن العوام .. ثم سألته الطلاق لخشونته .. فطلقها .. وعقد عليها من بعده عبد الرحمن بن عوف .. ولما مات عنها .. دخلت فى عصمة عمرو ابن العاص الذى توفى بعد شهر من زواجها .. ولقد ضربت تلك المهاجرة الأولى المثل لأمها أروى بنت كريز أم عثمان بن عفان رضى الله عنه .. فقد حذت حذو بنتها ، ولحقت بها فى دار هجرتها .. وكانت خير خلف لخير سلف ..

وحين تحدثت كتب السيرة والحديث عن النهضة الاسلامية الأولى .. لم تغفل جانب المرأة ، واعتبرتها شريكة للرجل فى وضع حجر الاساس لذلك الصرح الشامخ ، وتناولت دور المرأة على مسرح الاحداث بافاضة وتفصيل .. ونسجت من واقع أمرها قصصا أغرب من أفانين الخيال .. تلقى على الأجيال الصاعدة دروسا فى الفداء والبطولة والتضحية .. ولعل مبعث التأثير والفاعلية فى حديث المرأة المسلمة .. ما وقر فى تقدير الرجال من أن الانوثة بحكم طبيعتها أضعف من أن تحتمل تلك الضغوط العالية من جانب الشدائد ..

ام سليم

المرأة تقبل التحديات وتتبدى على الأفق .. مصدرا للاشعاع الروحى ومركزا للتوجيه المشرق بمعانى الصبر والجلد وقوة الاحتمال .. ففى

صحيح البخارى (أن أم سليم سهلة بنت ملحان الانصارية .. كانت قرينة لأبى طلحة زيد بن سهل ، فمرض ابنها أبو عمير .. فبينا أبو طلحة بالمسجد اذ فاضت روح الصبى .. فهيأت أمه أمره ، وقالت لمن معها : لا تخبروا اباه بموته .. فرجع من المسجد .. ووجدها متطيبة متصنعة .. وسألها عن ابنها فقالت : هو أسكن مما كان .. فحسبه الرجل طيبا .. وقدمت له عشاءه .. فتعشى هو وأصحابه الذين قدموا معه . ثم أتما ليلتهما على أتم وأوفق ما يكون الزوجان . فلما كان آخر الليل .. قالت : يا أبا طلحة .. ألم تر الى آل فلان .. استعاروا عارية .. فتمتعوا بها ، فلما طلبت اليهم شق عليهم .. فقال : ما أنصفوا .. قالت : (فان ابنك فلانا كان عارية من الله فقبضه اليه .. فاسترجع وحمد الله وقال : والله لا أدعك تغلبيننى على الصبر .. حتى اذا أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فلما رآه قال (بارك الله لكما فى ليلتكما) فاشتملت زوجته منذ ذلك الليلة على عبد الله ابن أبى طلحة .. وهذا الأخير لم يفارق دنياه الا بعد أن رأى عشرة من أبنائه .. كلهم يحفظ القرآن .. وكلهم جاهد فى سبيل الله) .. بمثل هذا الروح الصابر المصابر .. اقتحمت المرأة فى مطلع الاسلام ميدان العمل .. ووقفت من زوجها فى تلك المحنة الباكية .. موقف الواعظ الحصيف . والصديق الصدوق فصار حديثها على الايام موردا عذبا ترتوى منه الاكباد الحرى . والقلوب الولهى .. وترى فيه المواجد المحزونة بريق الرجاء فى رحمة الله التي وسعت كل شيء .

والحق أن حديث أم سليم هذه .. لم ينته عند هذا الحد .. فما يزال فيه بقية من عظمة .. وأثارة من ايمان .. يبدو ذلك من مسلكها حين أسلمت فى مكة مراغمة بذلك زوجها . وبايعت الرسول عليه الصلاة والسلام على الهجرة .. متحدية بذلك طاعة قرينها مالك بن النضير .. فقد رأت أن من حقها أن تؤمن ولو كفر رجلها . ولا طاعة لمخلوق فى معصية خالقها حتى أنها فرضت اسلامها على تربية أولادها .. فكانت تلقن ولدها أنس مالك .. كلمة الاسلام فى بدء عهده بالنطق .. وتقول له : قل لا إله الا الله .. قل أشهد أن محمدا رسول الله .. فكان أنس يلوك بها لسانه الغض حتى استقامت له .. فكانت الشهادتان أول ما تحرك به اللسان . وخفق له الجنان عند أنس ولم تعبأ أم سليم بثورة زوجها على ذلك الأسلوب التربوى وقوله لها : لا تفسدى على ولدى .. وانتهى به الأمر الى اليأس منها فهجرها الى الشام .. مغاضبا لها .. فلما قتل .. قالت : لا جرم .. لا أفطم أنسا حتى يدع الثدى . ولا أتزوج حتى يجلس فى المجالس ويأمرنى .. فكان أنس بعد ذلك يذكر أمه بكل خير ويقول : جزى الله أمى عنى خيرا .. لقد أحسنت ولايتى .. .. ولما شب أنس عن الطوق .. تقدم لخطبتها أبو طلحة زيد .. وكان على الكفر .. فتوقفت معه . وتحايلت عليه قائلة : أرأيت حجرا تعبده .. لا يضرك ، ولا ينفعك .. أرأيت خشبة تأتى بها لنجار .. فينجرها لك .. هل تنفعك أو تضرك .. وأكثرت عليه .. وما زالت به تروضه وتراوده حتى لان عصيه . ودنا قصيه وقال لها : لقد وقع فى قلبى الذى قلت ، وآمن بين يديها وتزوجته وقالت : لا أريد منك صداقا غير الاسلام ..

وقد بقى فى شأن هذه المرأة

العظيمة أن نقول أنها كانت تصحب الرسول فى غزواته ، لتقوم بواجبها فى الميدان .. فى اطار أنوثتها .. فكانت تضمد الجرحى وتسقى العطاش .. وأحيانا تحمل السلاح .. ولقد أشهرت يوما خنجرا فى موقعة حنين وكانت حاملا .. قد استبان أمرها .. فشكاها زوجها الى الرسول صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله : اتخذه ان دنا مشرك بقرت بطنه ، فتبسم الرسول قائلا : « يا أم سليم .. ان الله كفى فأحسن » .

*لقد سبقت المرأة الاسلامية الأولى سنة التطور الطبيعى فى انتقالها من عالم الجهالات والخرافات الى دنيا النور والعرفان .. بتلك السرعة المذهلة .. وذلك التحول الفجائى .. حتى انه لم توجد فترة انتقال بين العهدين .. وما مثل هذا . الا كمثل مصباح كهربائى .. أضاء فورا لضغط على زره .. فاستحال الظلام الدامس الى نور بهيج بدون واسطة أو تدرج .. كذلك كان حال المرأة المخضرمة التى سلخت من عمر الجاهلية أزمانا ، ومن حياة الاسلام أحيانا ..

هند بنت عتبة

ونجد المثل لذلك فى هند بنت عتبة التى أهدر النبى صلى الله عليه وسلم دمها يوم فتح مكة جزاء ما اقترفته يداها يوم أحد من تمثيلها بجثمان سيد الشهداء حمزة .. مما بقى أثره عميقا غائرا كالجرح الذى لا يندمل .. فى قلب الرسول .. فلما جاءته قائلة : يا محمد انى امرأة مؤمنة بالله .. مصدقة برسوله .. كشفت عن نقابها ورأى النبى شفتيها اللتين لاكت بهما كبد عمه حمزة كأبغض وأبشع ما ترى الشفاه .. ولكن كلمة الاسلام التى انسابت من بين تينك الشفتين قد أحالتها الى ما يشبه وريقات الزهر البسام .. فلم يعد يرى فيهما النبى حمرة الدم المسفوح .. ولكن رأى غمرة الاسلام الأبلج فقال لها : مرحبا بك .. مرحبا بك .. ومحا اسلامها ماضيها الأسود .. كما تمحو طلقة الصبح سدفة الظلام .. فلما عادت الى خدرها .. مفعمة النفس بشتى الانفعالات .. أنحت على صنم لها بالقدوم تحطمه فلذة فلذة .. وتقول : كنا منك على غرور .

وكان هذا الموقف الثورى الجديد .. نقطة تحول عظيم فى حياة المرأة العربية .. اذ انتقلت بسرعة البرق من عهد الكهان والعرافين ، وزواجر الطير ، وطوارق الحصى ، وكل ذى لغو مموه ، أو ظن مرجم .. انتقلت من هذا كله .. كما انتقلت من خرافة البرء بتعليق الخرزات ، ومطاولة حبال العمر بالرقى والتمائم .. وفعالية الأقدار باستفتاء الأزلام ، .. الى عقيدة تحدوها الى ركعة ساجدة .. أو قومة هاجدة .. أو دعوة صاعدة .. وأعطت ما لله لله ، وزايلتها الى غير رجعة صور الهواتف الموهوبة ، وأصداء الأرواح الهائمة .. وحلت محلها .. رؤى لجنات عرضها السماوات والارض .. ذوات رياض باسمات ، وظلال وارفات .. وكان الأثر المترجم عن هذا عمليا فى واقع الحياة الايمان والعمل ، فقد جاء فى البخارى أن الرسول صلى الله عليه وسلم .. حين كلمهن فى شأن الصدقة (أخذن ينزعن الفتح (الخواتم الكبيرة) والأقراط ، والعقود ، والأطواق ، والخلاخيل ، ويلقينها فى ثوب بلال وهو يجمع الصدقات وقد حدث ابن سعد عن

عروة بن الزبير انه لما نزل قوله تعالى (ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم أجر كريم) .. تصدقت عائشة رضى الله عنها بسبعين الفا .. وانها لترفع جانب درعها ، .. وفى رواية : « ان ابن الزبير بعث الى عائشة رضى الله عنها مالا فى غرارتين يبلغ مائة الف .. فدعت بطبق .. وهى صائمة ، وقسمت به المال كله بين الفقراء .. فلما حان وقت الافطار سألت جاريتها عما تفطر به .. فلامتها جاريتها أنها لم تشتر ببعض المال لحما تفطر عليه فقالت لها عائشة (لا تعنفينى .. لو كنت أذكرتنى .. لفعلت) .

الخنســـاء

.. ولعل أبلغ مثل فى الدرجة القصوى للمرأة الموقف المشرف فى حياة الاسلام .. ما جاء بشأن الخنساء الشاعرة المعروفة وهى تماضر بنت عمرو بن الشديد وقد غلب عليها لقب الخنساء .. وقد أجمع نقاد الشعر على تميزها بامارة الشعر بين النساء .. لدرجة أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعجبه شعرها ويستزيدها ويقول لها : « هيه يا خناس » فهذه المرأة المخضرمة قد لبست ثوبين متباينين وتقمصها روحان متناقضان .
.. ففى الجاهلية اعلنت بشعرها الحداد القاتم الجزوع على اخويها صخر ومعاوية .. ورثتهما بآهاتها الحرى التى سارت بها الركبان .. وتعاقب على ترديدها الملوان ، ومما قالته فى صخر :

أعينى جودا ولا تجمـــدا
الا تبكيان لصـــخر الندى ؟

الا تبكيان الجواد الجميـــل
الا تبكيان الفتى الســيدا ؟

طويل النجاد رفيـــع العما
د ساد عشيرته أمـــردا

اذا القوم مدوا بأيديهمـــو
الى المجد مد اليه يـــدا

فنال الـــذى فوق ايديهمـــو
من المجد ثم مضى مصعـــدا

يحمله القـــوم ما عالهـــم
وان كان أصغرهم مولـــدا

وان ذكر المجـــد الفيتـــه
تأزر بالمجـــد ثم ارتـــدى

.. ثم ماذا كان من أمرها ؟ .. رضيت بالله ربا ، وبمحمد رسولا ، وبالاسلام دينا .. فتحول أنينها المنظوم .. الى رضا مكظوم ، ورثاؤها المكلوم ، الى در يتسلسل منها فى عذوبة الجدول الرقراق .. ففى موقعة القادسية على عهد عمر ابن الخطاب رضى الله عنه .. ألهبت عزائم ابنائها الأربعة ، وقذفت بهم فى أتون المعركة وهى تقول لهم « يا بنى .. انكم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، والله الذى لا اله الا هو .. انكم لبنو رجل واحد .. كما انكم بنو امراة واحدة .. ما هجنت حسبكم ، وما غيرت نسبكم ، واعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية .. اصبروا وصابروا ورابطوا ، واتقوا الله لعلكم تفلحون .. فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها ، وجللت نارا على أرواقها ، فيمموا وطيسها اقصدوا (المعركة) ،، وجالدوا رسيسها (اضربوا أصولها) تظفروا بالغنم والكرامة ، فى دار الخلد والمقامة » .

وقد عملت تلك الوصية الخالدة عملها فى نفوس أبنائها ، فاندفعوا كالسهام المريشة يستبقون الى حياض المنية واحدا بعد الآخر ولما بلغها نعيهم .. لم ترثهم بشعر ، ولم تبكهم بنثر ، ولم تشق جيبا ، أو تلطم خدا .. وكل الذى فعلته أنها قالت (الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم ، وأرجو من الله أن يجمعنى بهم فى مستقر الرحمة) .

.. وبعد .. فما أبعد الثريا من الثرى ، وما أعمق تلك الهوة السحيقة الفاصلة بين عهدين فى حياة المرأة .. عهد رزحت فيه تحت ظلم وظلمات الجاهلية بغيها وضلالاتها .. وعهد .. استروحت فيه نسمات الحرية الفكرية .. وأبصرت فيه وجه الغد المؤمل ، وانبعثت فيه بوحى من ايمانها تضرب الأمثال للأجيال الصاعدة ، وتكتب فى سجل الخلود صحيفة نسائية مشرقة .. وقد رأينا فيما قدمنا أنها فى ظل الاسلام صارعت برقها أحرار الرجال ، وتخطت بايمانها حواجز العرف والتقاليد .. وسارت فى ركب المهاجرين الأولين خطى ثابتة وجريئة وأن ثقتها بخالقها ، ورضاها بأقدارها قد أوصلها فى احتسابها الى صبر أيوب وكانت بحق صانعة الرجال ، ومربية الأجيال .. تصوغهم فى المهد على عينها .. وتبذر فى تربتهم الخصبة حبات ايمانها .. كما انها امتشقت الحسام فى ميدان الوغى .. فضلا عن مزاولتها خدماتها الطبيعية بين الجرحى والعطاش .. وقامت بواجبها كاملا فى ميدان الخدمة العامة .. فبذلت مالها لغيرها .. وجاعت ليطعم الجياع من حولها .. وكانت داعية لدينها بحيلتها وحسن تأنيها .. وأخيرا لم تضن على وقود المعركة الاسلامية المقدسة بأولادها لتجعل منهم حطبا يزيد من أوارها ، ويؤجج سعيرها .. ولا غرو فقد بلغت واحدة منهن مبلغ سيادة نساء العالمين .. وهى صغرى بنات الرسول عليه الصلاة والسلام .. فاطمة .. التى كانت تشبهه خلقا وخلقا ..

وكان يقول لها : « ان الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك » ..



الجمهورية الموريتانية الاسلامية

١ ـ تقع الجمهورية الموريتانية بين الجزائر ومالى والسنغال والمحيط الأطلسى .
٢ ـ مساحتها : مليون و ١٦٩ الف كيلومتر مربع .
٣ ـ عدد سكانها : (٢١/٢) مليون تقريبا .
٤ ـ معادنها : الحديد والنحاس والذهب .
٥ ـ صادراتها : المواشى والسمك والحديد والصمغ والملح واللحوم والجلود .
٦ ـ عملتها : الفرنك الافريقى .
٧ ـ عيدها الوطنى ٢٨ نوفمبر .

التعريف : الجمهورية الاسلامية الموريتانية بلد عربى مسلم والاسلام به مئة فى المئة واللغة العربية هى اللغة الاصلية للشعب الموريتانى وان كان هناك عدة لهجات مختلفة .

تاريخها : وكانت فى الماضى تحت نير الاستعمار الفرنسى وتم استقلالها فى عام ١٩٦١ وهى برئاسة المختار ولد داده .

اقتصادها : يعتمد على الحيوانات وتربية المواشى والزراعة والصمغ والحديد والنحاس وصيد الاسماك .

الاسلام فيها : تكثر فيها المساجد والجمعيات ويدرس فيها العلوم الدينية وحفظ القرآن الكريم واللغة العربية وأهلها محافظون متمسكون بأمور الدين الاسلامى الحنيف وآرائه الفاضلة وأخلاقه السمحة .

المنح الدراسية : جمهورية مصر العربية منحتها ٨٠٪ من المنح التى

أعطيت لموريتانية يتلوها الكويت والعراق وليبيا وسوريا والجزائر . وعدد الطلاب فى الخارج زهاء (١٥٠٠) طالب فى جميع الدول .

الحياة الاجتماعية : الشعب الموريتانى ماضيا كما مر بنا شعب زراعى رعوى . ولكن التعدين اوجد منه مجموعات عمالية ، وقد صاحب هذا التحويل فى حياة العمال فأسست الحكومة مركزا فى نواكشوط للاهتمام بتحويل العمال العاديين الى خبراء ــ واختصاصيين وفتح أبواب مكاتب التدريب المهنى فى بورت اتين وكفل القانون ضمان حقوق العمال والتعويضات والمنح العائلية .

المرأة : اما عن المرأة الموريتانية فهى تعيش كالرجل حياة عادية فبالاضافة الى كونها زوجة ، تقوم ببعض الاعمال الزراعية والرعوية وجمع الصمغ وقطف التبغ وهى أمية ما عدا القليل ويغلب على مظاهر حديثها وارتدائها الملابس وسلوكها العام المظهر البدوى الصحراوى . والفتاة الموريتانية تتمسك بالتقاليد الاسلامية الاساسية وهى متحررة من التقاليد البالية ، والدستور الموريتانى أعطى المرأة حقوقها الاساسية ، والمرأة الموريتانية حنطية اللون ، وعليها سمات من سمرة الصحراء ويعتبرها البعض أجمل أفريقية بيضاء لو تزيت بزى العصر .

زعموا

ان الشريعة الإسلاميّة غير صالحة للتطبيق

أكثر الذين لا يعجبهم ان يسود حكم الاسلام في المجتمعات الاسلامية ، يسوغون موقفهم هذا بدعوى أن الشريعة الاسلامية لم تصلح للتطبيق خلال عصور الاسلام كلها ، الا مدة يسيرة لا اعتبار بها ، هى الفترة الاخيرة من حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومدة خلافة أبى بكر وعمر . ثم انتثر نظام الاسلام وحكمه وسط أوار الفتنة الداهمة ، ولما هدأت نارها قليلا استطاع عمر بن عبد العزيز أن يقيم دعائم الاسلام مرة أخرى ، خلال فترة قصيرة من الوقت . ولكن ما لبث النظام الاسلامى أن عاد من بعد انكاثا ، وعاد الحكم بالشريعة الاسلامية مستعصيا على التطبيق الى هذا اليوم .

فهل يصح شيء من هذا الكلام ؟

للدكتور : محمد سعيد رمضان البوطى

هل صحيح ان الشريعة الاسلامية لم تصلح للتطبيق كما قالــوا ، وان دعائم الحكم بكتاب الله تعالى ، وسنة رسوله قد دمرت وسط اوار الفتنـــة الداهمة ، ثم ضيعت فى قصور الخلفاء والحكام ؟

اننى اقرر جازما ان الشريعة الاسلامية ، لم تزل منهجا للحكم فى الأمم الاسلامية ، منذ أن اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المدينة المنورة دولة الاسلام ، الى أواسط عهد الخلافة العثمانية .

ولقد تقلبت الصور والأوجه السياسية لدولة الاسلام : من خلافـــة راشدة ، الى دولة أموية ، فعباسية ، فدويلات ومماليك ، فخلافة عثمانية ــ وان شرعة الاسلام هى العصب الممتد فى حياة هذه الدول والممالك كلها .

ربما تنافست فيما بينها على حكم ، أو اختلفت مع بعضها من أجـــل مصلحة ، أو توجس بعض رجالاتها خيفة من بعض ، فتنوعت أو تناسخــت من أجل ذلك هياكل الدولة ، ولكن هذا شىء ، ومنهج الحكم والقضاء ضمن هذه الهياكل شىء آخر .

ولكى نتصور حقيقة هذا الكلام ، بل بداهته ، يجب أن نعرض لتفصيل يكشف عن المغالطة الخطيرة ، واللبس الشنيع اللذين يعتبران العمدة الوحيدة لزعم هؤلاء الناس .

ولنسأل أنفسنا بادىء الأمر هذا السؤال : ما معنى أن دولة من الدول تحكم بالاسلام ؟

ان معنى ذلك ، أن قانونها الذى يعتمد عليه القضاء فى حل قضايا الناس ومشاكلهم ، وضبط نظامهم ومختلف شؤونهم ، هو قانون الشريعة الاسلامية

وفائدة اعتماد هذا القانون ــ بعد احراز رضى الله عز وجل ــ انـــه يكسو المجتمع الذى يطبق فيه كسوة العدل والنظام بين أفراده ، ويوفر له من الضمانات الخلقية ما يجعل الصيغة العامة فيه بيضاء نظيفة ، لا يتماسك عليه شىء من درن التفسخ أو الانحراف .

فلا جرم أن أفراد هذا المجتمع ــ من وراء الكسوة التى يلبسها والصبغة التى يتحلى بها ــ بشر غير معصومين : يخطئون أو يجرمون أو ينحرفون ، وقد يسترهم الله تعالى فلا يطلع على حالهم أحـــد فيعكفون على أخطائهـــم وانحرافاتهم وقد يفتضح أمرهم فيطوقهم القانون وتنحط فيهم العقوبـــة ..

وربما نشأت في القضاء ملابسات أو تسللت اليه بينات زائفة ، فعوقب البرىء وبرىء المجرم . كل ذلك شيء لا علاقة له بكون هذا المجتمع يحكم بالاسلام أو بغيره ، فان مناهج الحكم ـــ الهية كانت أو وضعية ـــ لم يراع في تطبيقها ذات يوم أن تجعل من البشر ملائكة لا يعصون أو أن تغرس فيهم بذور العصمة والمثالية ، بل أن الحاكم الاعلى جل جلاله ، قضى أن يظل الناس (حكاما ومحكومين) ما عاشوا في هذه الدنيا ، خطائين غير معصومين ـــ حاشا الرسل والأنبياء ـــ وخير ما يرتقي اليه حال أحدهم أنه اذا أخطأ فانحرف تاب وندم ، وأخذ يصلح ما أفسده من أمر نفسه أو أمر غيره .

ولقد كان في الصحابة ـــ وهم الرعيل الاول وصفوة هذه الأمة ـــ مخطئون وآثمون ، وقد وجد فيهم من سرق فقطعت يده ، وشرب الخمر فضرب الحد ، وزنى فجلد أو رجم ، دون أن يضير ذلك بشيء من بنية الحكم الاسلامي المطبق ، اذ يتناقض مع واقع المنهج الاسلامي ونظامه .

ومهما كان من أمر المسلمين بعد الصحابة ، فما ينبغي أن يكونوا أفضل حالا منهم ، ان لم يكونوا أدنى منهم منزلة وفضلا : واذا فما ينبغي أن يعتبر حالهم التي قد يوجدون عليها ـــ من معاص وآثام مختلفة ـــ ذا دلالة ما على أن القضاء فيهم غير اسلامي ، أو أن الشريعة الاسلامية مستعصية عندهم على السيطرة والتطبيق .

ونسأل : فما هي فائدة الحكم الاسلامي اذا ؟

والجواب أن فائدته حصر نطاق المعاصي والشرور المختلفة ، وعزلها في أضيق دائرة ممكنة ، بحيث لا تنبسط في صفحة المجتمع المتجسدة بأسواقه وميادينه وحوانيته وأزقته ومرافقه العامة المختلفة ، كي لا تتحول من آثام وانحرافات فردية خاصة الى أوبئة سارية عامة .

أي فالحكم الاسلامي علاج وقائي للهيئة الاجتماعية المسلمة ، وليس سبيلا الى خلق روح العصمة من الذنوب في أفراد تلك الهيئة .

ولو كان لنظام الحكم الاسلامي العام أي قصد الى خلق هذه العصمة ، أو قريب منها في نفوس أفراد المسلمين ، لما اشترط توفر أربعة شهود على جريمة الزنا لاخضاع صاحبها لحكم الحد ، ولما أوصت الشريعة الاسلامية الزاني نفسه بأن يبذل كل جهد ممكن لستر نفسه ، ولما نصحت الشهود على أي معصية تستلزم العقوبة أو الحد بالستر والكتمان ما وسعهم ذلك .

نقول بعد هذا : أما أن خلفاء المسلمين وحكامهم من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تعرضوا لأخطاء ، أو انزلقوا في آثام ، فصحيح لا مجال للشك فيه ولا داعي لانكاره . وأما أنهم عمدوا الى القضاء الاسلامي فاستبدلوا به غيره ، أو استجروه الى التطبيق فاستعصى عليهم ، فشيء باطل لم يعرفه تاريخ ، ولم يثبته باحث ، ولم يقل به أحد .

لقد كان القضاة ـــ على مر العصور الاسلامية ـــ المختلفة ـــ من ألمع مجتهدي وفقهاء عصورهم ، وكانوا من أروعهم وأحرصهم على حراسة شرعة الله وحكمه ، وبوسعك أن تقف على شيء من تراجمهم لتتصور بنية الحكم الاسلامي الراسخ الذي لم يتضعضع ، ولم يصب بأي تصدع أو اهتزاز خلال مختلف تلك التقلبات والاوضاع السياسية المتطاحنة .

وليس شرطا لاعتماد القضاة على الحكم الاسلامي في دولة ما ، أن لا تنشأ فتنة أو يظهر اضطراب ، أو تثور خصومة وشقاق في كيان تلك الدولة ،

فان لكل ذلك أسبابه الخاصة التى قد تنشأ بعوامل مختلفة بعيدة عن موضوع الحكم وشكله .

والذين يزعمون أن التاريخ أثبت عدم صلاحية الاسلام للحكم ، لم تقع أيديهم من هذا الذى أثبته التاريخ ــ بزعمهم ــ الا على معاص ، أو انحرافات شخصية ، أو فتن لاسباب اجتهادية ، ظهرت فى عهد من عهود الدول الاسلامية وهى أمور لا علاقة لها بما يشتهون أن يزعموه كما أوضحنا .

الا أنهم لم يكتفوا بوضع أيديهم على هذه الملاحظات ، بل راحوا يبالغون فيها مبالغة عجيبة ورهيبة ، وأخذوا يتزيدون فيها زيادة باطلة ليس لها من جذور ولا أصول ، كما أخذوا يرسمون حياة كثير من خلفاء المسلمين وحكامهم كما شاءته أخيلتهم وأهدافهم الخبيثة وراء صدورهم ، أملا منهم ــ اذا نجحت الصورة وصدقها الناس ــ أن تحجب عن أعينهم سائر الحقائق الأخرى ، فلا يبقى أمام أعينهم من تاريخ الاسلام ورجاله الا سيوف تتقارع ، أو يهيمون فى مجالس السكر والطرب ! . .

اقرأ أخبار الفتنة بين على ومعاوية رضى الله عنهما فى أى مصدر تاريخى حديث ، تجد أحداثا غريبة ، ليس لها من أساس ، وليس عليها من دليل ، ولا تقع على أى أثر لها فى شىء ، من أمهات كتب التاريخ !. . وتجد الى جانب ذلك استنتاجات وتفسيرات لما وراء الوقائع والاحداث ، ليس عليها من برهان ، ولم يقل بها أحد من كتاب التاريخ السابقين .

بل اقرأ فى كثير من هذه المصادر الحديثة أخبار الفتح الاسلامى فى الجزيرة العربية ، على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تجدهم قد ألبسوه هو الآخر ــ رغما عنه ــ قبعة وشدوا عنقه برباط أجنبى ، وأخضعوه قسرا لقصة اليسار واليمين ومعركة الرأسمالية المستغلة مع الطبقة الفقيرة الكادحة !. . فالفتح الاسلامى اذا لم يكن ــ على رغم أنف التاريخ وسجل أحكامه ــ الا أثرا من آثار الفلسفة الماركسية وما لف لفها ، وان جاء قبلها بثلاثة عشر قرنا من الزمن ! . .

واقرأ ترجمة خليفة من خلفاء المسلمين مثل هارون الرشيد ، فى شىء من المصادر الحديثة ، تجد نفسك أمام ماجن مستهتر ، لا يستفيق من السكر ، يتطوح بين أحضان الجوارى ويعيش منغمسا فى أمواج الترف وبحار اللذة !. .

ويأخذ منك الكرب ، ويمضك الالم ، من أن يكون خليفة المسلمين فى أزهى عصورهم الذهبية ، على هذه الحالة من السوء والانحراف ، فتلتفت الى ما تطوله يداك من أمهات كتب التراجم والتاريخ من أمثال الطبرى والمسعودى وابن خلدون لتقف منها على شأن هذا الرجل وحقيقة أمره ، فلا تعثر فى شىء منها على هذا الذى تعج به المصادر الحديثة ، وانما تجد نفسك أمام ترجمة انسان رقيق صالح آلى على نفسه أن يهب حياته كلها للجهاد فى سبيل الله وحراسة دولته وحكمه فى الارض ، يحج عاما ويغزو عاما آخر ، يحرص على أن يمضى شطرا كبيرا من الليل مصليا خاشعا ذاكرا ، يصلى فى اليوم والليل مائة ركعة ما لم يمنعه شاغل من أمر المسلمين وشؤونهم ، لا يقطع فى شىء من قضايا المسلمين برأى حتى يستشير فى ذلك أولى البصيرة والرأى من علماء المسلمين وفقهائهم ، ولكنك تجده ــ مع ذلك بشرا كبقية الناس غير معصوم من الاخطاء والآثام : قد يجتهد فيخطىء وقد يغضب فيظلم ويأثم ، وقد يعصى ثم يتوب .

فمن أين جاء هؤلاء الكتاب اذا ، بتلك الترجمة التى لم تلصق بالرشيد الا فى هذا العصر الحديث ؟!.. وهل للمؤرخين اليوم ، اذا أرادوا أن يكتبوا فى التاريخ العربى ، من مرجع ينهلون منه ، غير هذه الكتب المعدودة بين ايدينا من أمهات كتب التاريخ ؟!

والجواب : ليس المهم أن يجد هؤلاء الكاتبون مرجعا أمامهم يصدقهم فيما يتخيلون ، فان المنهج التاريخى الحديث يخول صاحبه أن يجعل من الحبة قبة ، ويبنى من الحصاة قصرا ، ويؤلف من القطرة بحرا ، ويدعوه الى أن يذهب فى استنتاجاته وتوسمه للاحداث مذهبا لا يحده الا سلطان خلقه وضميره .

ولذا فقد كان على تلك الأمهات الكبرى من مراجع التاريخ أن تخضع هى لأحكامهم واستنتاجاتهم ، لا أن يخضعوا هم لنقولها وأخبارها الجافة القائمة على مجرد الرواية والسند .

من أجل هذا ، كانت البحوث التاريخية الاسلامية ، الهواية العلمية المفضلة عند أكثر المستشرقين ، لا يبغون بها بديلا ولا يفضلون عليها شيئا آخر ذلك لأنهم يستطيعون — بفضل مناهجهم الاستنتاجية الحديثة — أن ينطقوها بما يشاءون .. وأن يجعلوا منها شاهدا على كل ما يحبون ..

فما أسهل على أحدهم أن يدير القلم فى يده ساعة من الزمن ، واذا به قد جعل قصة الفتح الاسلامى كلها عبارة عن صراع على السيادة بين العرب وغيرهم .. وليس دافع العقيدة والدين فيها الا غلافا للستر والاستغلال !.. ثم ما أسهل أن يديره على نحو آخر واذا بأحداث هذا الفتح الاسلامى نفسه ليست أكثر من معركة يسار ويمين ! .. ثم ما أسهل أن يقلب القلم فى يده على نحو ثالث ، ليثبت لك أن الاسلام — كنظام وحكم — استعصى على التطبيق ، وان الحكام والخلفاء المسلمين لم يكونوا الا رهطا من تجار اللذة والمجون !! ..

وليس لك — وهو يتنقل بين هذه الأحكام كلها — أن تطالبه بأى ثبت أو مرجع يروى عنه ويعتمد عليه ، لأنه انما يستنتج !!.. وما على المستنتجين من سبيل .. وما على القراء الا أن يصدقوا !..

وكل هذا أقل فى باب الخطورة والخسة ، من شأنهم عندما يعمدون الى وقائع واخبار تاريخية لا تخدم أغراضهم ، فيحورونها ويغيرون منها على نحو ينكسون به مدلولاتها ويعكسون مفاهيمها ، ثم يسجلونها فى كتبهم ، ويروونها فى مجالسهم ومحاضراتهم .

ثم لا يزالون يبثونها بين أسماع الناس وأبصارهم ، حتى يطمئنوا الى أن الحقيقة اختنقت تحت وطأتها وضاعت فى زخمها ، وحتى يتأكدوا أن الشك أيسر أن يراود الناس حول الحقيقة الثابتة فى المراجع القديمة الاصيلة من أن يراودهم حول الباطل الذى روجوا له بمختلف الفنون والاساليب .

واليك هذا المثال :

يقرأ طلاب المدارس الثانوية فى بعض كتب التاريخ الرسمية المقررة خبرا مفاده أن الترف والبذخ بلغا بهارون الرشيد مبلغا جعله ينفق على طبق واحد من أطباق مائدته العامرة ما يزيد على الف درهم ، وكان الطعام الذى فيه عبارة عن ألسنة أسماك !..

لا ريب أن هذه القصة تنسج لهارون الرشيد فى أخيلة الطلاب صورة من الترف العابث الذى تتقزز له النفس ، لا تتخيل مثلها فى أساطير الف ليلة وليلة

ولا ريب أنها تفعل فعلها بعد ذلك فى نفوسهم وأفكارهم حيال قيمة التاريخ الاسلامى كله .

ولكن تعال فانظر الى حقيقة هذه القصة ، كما هى ثابتة فى مروج الذهب وابن الأثير وغيرهما :

حدث ابراهيم بن المهدى قال : استزرت الرشيد بالرقة فزارنى ، وكان يأكل الطعام الحار قبل البارد ، فلما وضعت البوارد رأى فيما بينهم جام قريص مثل قريص السمك ، فاستصغر القطع ، فقال : لم صغر طباخك تقاطيع السمك ؟ .. فقلت يا أمير المؤمنين هذه ألسنة السمك !.. قال فيشبه أن يكون فى هذا الجام مائة لسان . فقال مراقب خادمه : يا أمير المؤمنين ، فيها أكثر من مائة وخمسين ، فاستحلفه عن مبلغ ثمن السمك ، فأخبره أنه قام بأكثر من ألف درهم ، فرفع الرشيد يده ، وحلف أن لا يطعم شيئا دون أن يحضره ألف درهم ، فلما حضر المال أمر أن يتصدق به ، ثم ناول الجام بعض خدمه وقال : أخرج من دار أخى ، ثم أنظر أول سائل تراه فادفعه اليه ، قال ابراهيم : وكان قيمة الجام مائتين وسبعين دينارا فغمزت بعض خدمى للخروج مع الخادم ليبتاع الجام ممن يصير اليه ، ففطن الرشيد ، فقال له : يا غلام اذا دفعته الى السائل فقل له : يقول لك أمير المؤمنين احذر أن تبيعه بأقل من مائتى دينار فانه خير منها (مروج الذهب ٣/٣٦٣) .

هذه هى القصة ، كما وردت فى أصول كتب التاريخ ومراجعها الاولى . وهى وحدها ترجمة كافية لحياة أعظم خلفاء العصر العباسى وأعدلهم على الاطلاق .

ولكن انظر كيف مسخت وحورت وبتر منها جوهرها على ألسنة وأقلام طائفة من كتاب العصر الحديث ، لترغم ارغاما على النطق بعكس مدلولها ، لتشهد على صاحبها بالترف والبذخ بعد أن كانت تشهد له بنقيض ذلك تماما كما قد رأيت !! ..

وليس هذا العمل — على كل حال — غريبا ولا عجيبا عندما يصدر من طائفة المستشرقين ومن هم من أبناء جلدتهم ، فان بين جوانحهم من شعور الحقد ما يدفعهم الى أكثر من هذا التزييف وأعجب من هذا الكذب والافتراء .

فأنت تعلم انهم ليسوا الا أحفادا لأولئك الرومان الذين جند الرشيد حياته كلها لسحق كيدهم واخضاعهم لحكم الدولة الاسلامية ، وأنهم ليسوا الاحفاد مليكهم (نقفور) الذى أراد أن يتمرد على نفوذ الدولة الاسلامية وحكمها فى عهده ، وأرسل الى الرشيد يهدده ويتوعده ، فكتب اليه الرشيد : **« من هارون الرشيد أمير المؤمنين الى نقفور كلب الروم ، قرأت كتابك يا ابن الكافرة والجواب ما ترى لا ما تسمع »** . ثم انطلق اليه فى جيش جرار على طريق مفروشة بالثلوج مملوءة بالصقيع والاعاصير ، حتى أناخ بباب هرقله ، ففتح وغنم وقاتل ، حتى خضع له نقفور ، وطلب منه الموادعة على خراج

يؤديه كل عام ، فلما رجع الرشيد ووصل الى الرقة ، نقض العهد وخان الميثاق يائسا من رجعة الرشيد اليه ، اذ كان البرد شديدا ، والثلوج تهمى على طول الطريق ، ووصل الخبر الى الجند فكتموه عن الرشيد اشفاقا عليه وعلى أنفسهم ، ولكنه ما لبث أن علم بالخبر فقال : أوقد فعل نقفور ذلك ؟ وكر راجعا فى أشد محنة وأعظم كلفة ، ثم لم يبرح يغزو ويقاتل حتى بلغ ما أراد .

فماذا عسى أن تكون ترجمة هذا الخليفة على السنة أحفاد نقفور اليوم ؟!

وأى مجنون يتوقع منهم أن يكونوا أقل افتراء عليه مما يكتبون ويقولون ؟!

ان هؤلاء منطقيون مع أنفسهم بكل معنى الكلمة ، عندما يعمدون الى مثل هذا الصنيع ، ولكن العجب الذى لا ينتهى انما هو من صنع هؤلاء الصغار !! . .

هؤلاء الذيول الذين يصطنعون المباهاة ، ملء أشداقهم بما يشاعون من ألفاظ القومية والوطنية والعروبة ، ثم يلوون رؤوسهم وعقولهم ، فى خضوع منكسر ، لحكم الحقد الذى ينفثه أحفاد نقفور اليوم على تاريخهم العربى المجيد وعلى سيرة أعظم رجالاته !! . .



ان الشريعة الاسلامية لم تزل مطبقة ــ كنظام وقانون ــ منذ اليوم الأول الذى أقام فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم دولة الاسلام وحكمه ، الى الثلث الاخير ــ تقريبا ــ من عهد الخلافة العثمانية .

يعلم هذا كل من يتتبع أنظمة القضاء فى هذه العصور كلها ، بل وما لبست المجتمعات الانسانية ثوبا قانونيا جاء على قدرها ، كثوب النظام الاسلامى وحكمه ، يعلم ذلك جميع المنصفين من رجالات الفقه والقانون .

والناس كانوا ، وما يزالون ــ حكاما ومحكومين ــ بشرا كما أرادهم الله تعالى ، خطائين غير معصومين ، تصلحهم رقابة الدين ، وتفسدهم ميعة الفسوق والعصيان .

ولم يكن حكام المسلمين وخلفاؤهم الا بشرا من هؤلاء الناس يجاهدون فى اصلاح نفوسهم ومجتمعاتهم ، ولكنهم قد يجتهدون فيخطئون ، وقد يغضبون فيظلمون ، وقد يتوجسون خيفة ممن حولهم فيتعادون ويتخاصمون .

وكل ذلك لا شأن له بمنهج الحكم ونظامه . .

فليبالغ محترفو الكذب فى التاريخ ما شاؤوا أن يبالغوا فى اسناد السوء والنقيصة الى المسلمين وحكامهم فى العصور السالفة ، فان ذلك لا يمت بأى صلة الى واقع القضاء الاسلامى الذى كان يسير محلقا باستقرار وهدوء فوق جميع الوهاد والتضاريس التى يخترعونها أو يضخمونها على صفحة التاريخ الاسلامى العظيم .

اعداد الشيخ : عبد الحى مختار

مسجد فهد السالم الصباح

أنشأته : الشيخة بدرية الصباح حرم الشيخ فهد السالم .

وأطلقت عليه اسم : مسجد فهد السالم ـ تخليدا لاسم زوجها الراحل الكريم .

يقع هذا المسجد فى حى السالمية الذى يعد من أجمل أحياء دولة الكويت وقد تميز هذا الحى بقصوره الشاهقة وعمائره الضخمة ومتاجره الفخمة وكثافة سكانه مما جعل الحاجة ملحة الى وجود مثل هذا المسجد ، ويمتاز موقعه بأنه مطل على شارع السالمية الرئيسى من جهة الخليج العربى مقابلا لقصر الشيخ فهد السالم .

ويعتبر هذا المسجد آية من آيات الحضارة ومن روائع الفن المعمارى الاسلامى وقد بلغت نفقات بنائه ربع مليون دينار كويتى .

والناظر اليه لأول وهلة يتمثل فيه قلعة اسلامية ضخمة فجمال الموقع مع روعة البناء يلفت النظر ويشد الانتباه كما يرى فى مئذنتيه الشامختين اللتين



صممتا على نظام هندسى مربع ، ما يوحى بفنيةالفكرة مع جلال الهدف.

وقد اجتمع فى هذا المسجد روائع الفن الشرقى القديم مع براعة الفن الشرقى الحديث المنحدرين عن ذوق سليم أصيل متغلغل فى المشرقالعربى منذ قديم الازمنة متجدد مع مرور الايام مما جعل منه هذا المسجد الفريد من نوعه فى مساجد الكويت الآخذ فى التسابق مع أرقى دول العالم تقدما فى النهضة العمرانية الحديثة وبالتالى فان المساجد بها لم تقفعند فنها من الطراز

العربى القديم بل نراها آخـــذة فى التسابق مع الفن العمرانى الحديث .

وقد ضرب حوله سور له باب فى الجهة البحرية يرتفع عن سطح الارض مالا يزيد عن متر واحد ولكـــبر ذلك السور زود بمصابيح من الكهرباء تضاء ليلا مع أضواء المسجد فتشـــعر ان الانوار ساجدة من حوله وعند اجتياز السور تجد فضاء حول المســـجد يوصلك الى درجات من الســـــلم الرخامى تصعد عليها لتصل الى باب المسجد الخارجى فاذا ألقيت عليـــه نظرة سريعة تجد أن للمسجد خمسة أبواب متراصة متقاربة تزيد من هيبة المسجد وكلها توصلك الى سلم من الرخام المرمرى الابيض فتصعد ست درجات حتى تصل الى فناء المسجد الداخلى الذى لا بد للمصلى أن يجتازه للوصول الى داخل المســجد للعبادة والصلاة وهذا الفضاء متسع قـــد اتخذ منه ممشى على جميع جوانبـــه وكلها مسقوفة وبقى وسطه مكشوفا على شكل دائرى مربع ويوحى هـــذا المنظر بصحن الازهر وأحيط هـــذا الصحن بستة وعشرين عمودا تزيـــد من رونق هذا الصحن وينتظر أنتحمل هذه العمد قبة فى القريب لتغطى هذا الصحن ولتكون مع قبة المسجد المصلى تكاملا فنيا يتسق مع روعة هـــذا البناء الشامخ .

فاذا صعدت الدرج الداخلى ووقفت على الطرف الاول من الفناء وجـــدت أمام ناظرك فى الطرف الاخر منـــه خمسة أبواب متشابهة فالباب الذى فى أقصى اليمين يـــؤدى بك الى استراحة للامام والزائرين للمكتبـــة وهى حجرة فسيحة فرشت بالسجاد العجمى وصفت بها الارائك على نظام هندسى وزودت بمكتبة علمية ضخمة .



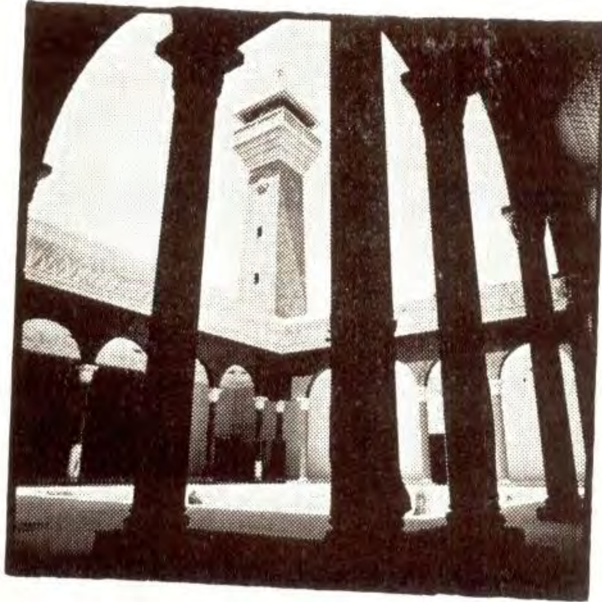
أما الابواب الثلاثة الوسطى فهى الابواب الموصلة الى حرم المسجد .

أما الباب الخاص وهو الموجـــود بالجنوب فيؤدى الى صالة فسيحـــة بداخلها سلم رخامى يصل بك الى أعلا المسجد حيث يوجد مصلى خـــاص بالنساء يجتمعن فيـــــه فى أوقات الفرائض ودروس العلم وصـــلاة الجمعة كما يوجد فى تلك الصالة باب خاص يوصل الى خارج المسجد فى الجهة الشرقية بعيدا عن ممـــرات الرجال وعلى هـــذا الباب الخارجى ساتر الى نهاية المسجد حيث تجـــد السيدة نفسها بعيدة عن حـــــرم المسجد ويفتح ذلك الباب فى أوقات الصلاة فقط ولا يطرقه الرجـــال ومحاذيا له دورة مياه للنساء فقط . فاذا نظرت عن يمينك وأنت واقف فى نفس المكان على الطرف الاول مـــن الفناء وجدت ثلاثة أبواب تصل بك الى مكان الطهارة والوضوء للرجـــال وقد أعد هذا المكان على أحدث النظم وجهز بأحدث الادوات العصرية وكل جدرانه وأرائكه وأرضه من الرخـــام المرمرى الابيض الذى فرش به فناء المسجد أما الباب الرابـــع فخاص بحجرة خادم المسجد . أما البـــاب

الخامس فخاص بالمعدات الكهربائية ثم باب المئذنتين واذا نظـــرت عن يسارك وجدت حجرة خاصة بالامـــام بداخلها غرفة نوم ودورة مياه كاملة ثم حجرة خاصة بالمؤذن متسعةالارجاء وكلها مؤسسة بأحدث الاساس فاذا ولجت باب المسجد الداخلى (المصلى) من أحد أبوابه الثلاثة المتراصة وجدت نفسك فى حرم المسجد فترى المحراب أمامك وقد أخذ شكلا اسطوانيا تتدلى من سقفه ثريا من الكهرباء تشـــبه عنقود العنب فاذا أجلت بصرك بسقفه وجدت احدى عشرة ثريا وضعت بنظام هندسى وكلها من النوع السابق .

أمـــا اذا نظـــرت ببصرك الى قبة هذا المسجد فترى قبة متســعة الدائرة تدلت من وسطها كبرى الثريات وقد تميزت بضخامة حجمها العنقودى أحيطت بفروع من الثريا العنقودية الدقيقة المتقاربة امتلأت بهـــا القبـــة على سعتها فالفت كوكبا وضاء ونجما لامعا أما القبة نفسها فقد صنعت من مادة (فبركلاس) المشعة ففى النهار ترسل ضوءا ذهبيا يبعث البهجـــة والسرور الى نفس الرواد فهى تجلب الضوء وتبعث الدفء مما يعين العابد على طاعة ربه .

هذا المسجد مع ما صـــورنا نرى قصورا فى التصوير لحسن مظهره وسلامة ذوقه وفنه ونقدم اعتذارنا عما نكون قد قصرنا فى تصويره فاننا لم نصل الى الغاية ولم نأت على النهاية ـ وقد سلم لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة رمضان ١٣٩٠ هـ الموافق ١٩٧٠ .



ولعظم مكانة هذا المسجد فقـــد نظمت به وزارة الاوقاف والشـــئون الاسلامية حلقات علمية دينية تدرس فيها علوم الدين على أيدى متخصصين ويؤم هذا المســـجد لحضور تلـــك الندوات رجال الفـــكر والثقافـــة على جميع المستويات .

وهذا المسجد يشهد لمن عمـــره بالبناء والعبادة بالايمان والتقوى (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين .

واجب علماء المسلمين

ينبغي أن يكون النهوض قائما على احترام العقائد والحقائق التى أمرنا الله باتباعها ، وتعبدنا بطاعتها ، حتى يكون التقدم منطقيا وسليما تحمد عاقبته وتجنى ثمرته ، وان الله سبحانه وتعالى قد رفع مقام العلم والعلماء . وأكد عليهم فى وصية التبليغ والاداء ، وما ذلك الا لأن العلم نور يستوضح المشاكل والمجاهل ، ويستشف ما وراء ذلك من خبايا وخفايا . وما ذلك الا لأن الذين أوتوا العلم والايمان ، هم الذين يحق لهم أن يسهروا على حياة الرشد والسداد ، وينهضوا بمهام التوجيه والارشاد . وينصرفوا بقوة ايمانهم الى العدل والانصاف وينكروا ما يعن من الباطل والاعتساف .

وهم الذين يتحملون الاذى فى سبيل صدعهم بالأمر ، وجهرهم بالحق ، فلقد ضرب الامام مالك رحمه الله وهو عالم المدينة وامام الأئمة حتى غشى عليه فى سبيل الصراحة بحكم من أحكام الله ، ولقد سجن الامام أحمد رحمه الله وهو علم من أعلام الدين الشاهقة . فى سبيل التمسك بعقيدة تتصل بصفة من صفات الله : « فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين » . وان حياة الاسلام كما تعلمون لا تتحقق الا بمرحلتين : مرحلة نظرية وهى مرحلة الايمان والتصديق ، ومرحلة عملية وهى مرحلة الانجاز والتحقيق ، بعد ما يكون من التصميم والتنسيق ، فأما الايمان من دون عمل ففكرة عقيمة ، لا وزن لها ولا قيمة ، وأما العمل من دون ايمان فلا يوثق به ولا يعتمد عليه لأنه معرض لاخطار الشك والترك .

ولهذا كان من العناء والشقاء فصل الدولة عن الدين والايمان ، وسيطرة المادة على الحياة والانسان ، اذ المقومات المعنوية والخصائص الروحانية تنعدم فى العنصر المادى الصرف فلا يعود الانسان يخضع لقوة العقل والروح وانما هو عبد من عبيد المادة وأسير من أسارى الشهوة ، وذلك هو الضلال البعيد ، وذلك هو الخسران المبين .

والمسلمون حقا هم الذين يستمدون قوتهم وعزتهم وحياتهم وسياستهم من كتابهم المقدس ودستورهم المحفوظ ولا يتعلقون بشىء آخر مما هو من

أوضاع البشر ، ولقد سار المسلمون فى صدر الاسلام سويا على صراطه ومنهاجه ، فطاعت لهم الدنيا ، ولاح فجر الفلاح ، ونصروا الله به فنصرهم ،

عقد علماء المغرب مؤتمرهم الرابع مؤخرا فى مدينة مراكش وتدارسوا فيه أحوال المسلمين فى جميع المجالات ، واتخذوا توصيات شاملة وواقعية تناولت كل القضايا التى تمس المسلمين محليا ودوليا . وقد ألقيت فى المؤتمر عدة كلمات منها كلمة العلامة السيد الرحالى الفاروق ، وفيما يلى ننشر بعض فقراتها :

وأقاموا حدود الله فاستخلفهم ، وعرفوا المعروف وأنكروا المنكر فرفعهم ، وحفه الأولون بجهادهم وصدق ايمانهم فكان كلما تلقى صدمة من الكائدين له هب الحماة لنجدته وأسرعوا لصد الهجوم عن ساحته ، من غير تلكؤ ولا تلعثم .. ومن دون تكاسل ولا تواكل ، ولكننا أصبحنا الآن نرى هذا الكتاب الحكيم ، وهذا الدستور المستقيم ، وكأنما هو أثر من الآثار ، لا يرجع اليه فى الحياة ، ولا يستشار ، وهذه أعظم نكبة وأكبر خسارة أصيب بها المسلمون ، فانا لله وانا اليه راجعون .

انه خضوعا للشعور بخطورة الحالة واهانة الضمير ، فانه يتحتم أن يعاد النظر فى تقرير المصير ، وفى كيفية المسير ، وأن يؤكد العلماء وجودهم فى هذه الفترة العصيبة فيعرضوا رسالتهم من جديد وبأسلوب جديد ، ويوطنوا نفوسهم على الصبر والمزيد فى سبيل التعريف بالمعتقدات الدينية ، والتجديد للحضارة الاسلامية ، وأن يوسعوا صدورهم ويصعدوا نشاطهم لتخليص هذا الجيل من فتنته وللابقاء على لون الاسلام وصبغته ، ولو يكون ذلك بتأسيس مدارس تلقحه بمادة الدين والاخلاق ، وتعوده على ممارسة وظائف الدين وأعمال الخير — ثم يساق بمهارة الى ما يتطلبه المستقبل من القيام بشتى المسئوليات ، والى ما ينتظره العصر الذى يعيش فيه من تحمل التضحيات ، ويتقاضى ذلك منه أن يتسلح بسلاح العصر — ليساهم فى معركة النصر — تلك المعركة التى نرى كتائبها تستغيث ولا تغاث وتستجير ولا تجار ، وذلك فى كل موطن أصبح عرضة لأعداء الحق والدين ، ولاجرام الصهيونيين والصليبيين .

وايم الله انه لقد حان الحين وآن الأوان لتظهروا مجتمعين بقلوبكم فى الميدان ، ومسلحين بسلاح اليقين والايمان ، ومربوطين برباط القصد والاحسان ، ومعلنين كلمة الحق فى كل وقت وفى كل مكان : « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » . ولعلكم اذا أحكمتم خطتكم وأعددتم معنويتكم وتقدمتم بالحكمة والموعظة الحسنة تجدون تفهما لمطالبكم وانجازا لبعض رغائبكم فانكم لا تدعون الى جمود وخمول ، ولا الى فتنة وبدعة ، وانما تدعون الى ما يعود على الوطن الاسلامى بالنفع العميم والتقدم السليم .

الاسرة لا يُحكم

الأسرة : هى الخلية الاولى فى حياة البشر ، والقاعدة الاولى فى بناء المجتمعات والأمم ، قال تعالى : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام » .

فمن هذا الازدواج الاول نشأت الاسرة الاولى ، وعنها نشأت ازدواجات وأسر وقرابات ورحم ، وتكون المجتمع الانسانى الكبير .

وهذا أمر فرغ منه الباحثون المنصفون الدارسون لشئون الحياة والاجتماع وهو حق وصدق : حق من حيث الواقع وصدق من حيث التاريخ والمنطق والتسلسل فى الوجود منذ كان الكل يتألف من أجزاء فتتألف السلسلة من حلقاتها والمدينة من بيوتها ..

ويخطىء من يظن غير هذا ، أو يحسب أن الفرد بمعناه المطلق هو قوام المجتمع أو الأمة !! فلا يزال هذا الفرد منبتا ناقصا حتى يتم الزوج المكمل لوجوده ، ولاستمرار هذا الوجود .

فكما أنه يستحيل أن يقوم مجتمع صالح بجنس واحد من الرجال ، أو جنس واحد من النساء ! فكذلك يستحيل أن يقوم مجتمع صالح بدون أسرة ، فانها ضرورة للحياة ، ووعاء طبيعى لبناء الفرد وتماسك المجتمع : « فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله » .

ان حاجة الفرد والمجتمع لهذه الاسرة تساوى حاجته الى الحياة .

للشيخ عبد المعز عبد الستار

قاعدة الحياة الإنسانية بناها غير الإسلام

وصلاحها ، ذلك بأن الاسرة هى المهاد الطبيعى الذى يستقبل الوليد ، وفيه يجد حاجاته وضروراته ومقومات وجوده المادى والمعنوى ، وكمال هـذا الوجود فهو يرضع مع لبان أمه وكفالة أبيه معانى الحب والحنان والرحمة والايثار ويجد منهما وفى أخوته معانى النصح والاخوة والعون والبر ، فينشأ ملىء القلب ريان النفس بهذه المعانى التى لا تصلح الحياة بدونها أبدا ، ومن ثم ينشأ سويا فتيا لم تصبه عاهات الحرمات وأمراض جدب العاطفة والروح كبعض هؤلاء الذين حرموا هذه النعمة فنشأوا وفى صدورهم نار وحسـد وأحقاد تأجج على الحياة والاحياء ودت لو صيرتها رمادا .

أعداء الأسرة والفطرة :

وقد زعم الماديون من أعداء الفطرة والحيـاة وقوانين الوجود الذين يقولون « لا اله والحياة مادة » زعموا أنهم يستطيعون أن يسـتغنوا عن الأسرة ومهاد الفطرة فبعثروا أفرادها واستبدلوا بها المصانع والشـوارع ودور الحضانة ومؤسسات ابتدعوها ليست خيرا من الملاجىء التى نعرفها ، فما زادوا على أن تعجلوا للولد اليتيم وللأم الثكلى وللأب معاناة هذا التشتت والحرمان والضياع وللارحام هذه القطيعة والوجيعة بقطع ما أمر الله به أن يوصل .

لقد زعموا أن الاسرة هى الدولة ـ أى الحزب ـ أو أنه ينبغى أن يكون ذلك وتوهموا أن ولاء المرء لاسرته ووفاءه لاحبته وأقرب الناس اليه يتعارض مع الولاء لدولته والوفاء لقومه مع أن جميع قوانين البشر ومواصفات الناس تثبت لرفيق الطريق ، وزميل العمل ، وجار المنزل حقوقا والتزاماتليست لغيرهم ، بل لم يقل أحد ان وفاء جندى لأفراد كتيبته ، أو فرقته يقدح فى ولائه لقيادته وأمته ، ولكنهم لا يحفلون بعقل ولا منطق وانما يحرصون على ألا يكون للأمة كيان أو تجمعات بصورة ما تستعصى عليهم أو تقول يوما .. لا ..

ومن أجل ذلك نسفوا بناء الأسرة نسفا فأخرجوا المرأة للشارع تعمل فى غير حاجة وبعثروا العيال على المحاضن فى غير ضرورة ، وألغوا كل ارتباطات والتزامات تربط بين أفرادها ، من نفقة أو وصية أو ميراث ، كل ذلك لتتكون الأمة من آحاد لا يقوى على المقاومة ولا يستطيع أن يقول فى أمر .. لا .

وبهذا سحقوا الاسرة والفرد معا ، وسحقوا بذلك الأمة جميعا فكانوا من « الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » .

لقد نسوا أن مثل هذه الأمة التى تتكون من ذرات وفتات لا تكون أمة ولا تثبت ساعة على المقاومة والبلاء اذا اشتدت بها الريح فى يوم عاصف .

عناية الاسلام بالاسرة :

واذا كانت الاسرة هى القاعدة الاولى فى بناء الحياة البشرية والمجتمع ، فان العناية بها واحكام بنائها أمر يساوى الحياة نفسها قيمة وأهمية ، ومن أجل ذلك كانت محل عناية الحكماء والمصلحين وأهل الفكر ورجال التربية عبر التاريخ ..

ولم يبلغ منهج فى العناية بها واحكام بنائها مبلغ الاسلام ، فهو الذى أرسى قواعدها على أثبت الاصول وأحكمها ، ورفع سمكها ، وكون منها المجتمع الفاضل الذى تخيله واشتهته أحلام الفلاسفة والمصلحين مجتمع الحب والرحمة والتعاون على البر والتقوى ، مجتمع العدل والاحسان الذى يمضى عليه العام والعامان لا يختصم الى الحاكم والقاضى فيه اثنان كما حدث ذلك فى المدينة المشرفة على عهد أبى بكر وعمر . والسر فى هذا يرجع الى أمرين :

الأول : أنه يغالى بقيمتها وقد جعلها الله آية تستحق الاعتبار والتفكر ، ونعمة منه تستوجب حسن الرعاية والشكر ، قال تعالى : « ومن آياته أن جعل لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها . وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » . وقال سبحانه : « والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات . افبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون .. » .

فقد نبه سبحانه الى أن هذه الزوجية والحياة الأسرية شىء هام هو سنة وفطرة وآية ونعمة ، فهى تستوجب ذكرا لله وشكرا له بالحفاظ عليها .. ففى أى دين أو مذهب نجد لها مثل هذه القيمة والحرمة .. ؟

الثانى : أنه أقام بنيانها على أدق قواعد العلم والبناء على نحو ما تبنى به العمائر الشاهقة والحصون ، أو القلاع وان بناء الأنفس والأمم لأشد وأعضل ، ومن المعلوم أن قوة أى بناء تقاس بأمور ثلاثة هى :

١ ــ قوة الأساس .

٢ ــ قوة الوحدات التى يتألف منها .

٣ ــ قوة الارتباط بين هذه الوحدات .

ولهذا الاجمال والمثال توضيح نفصله فيما يلى نتبين منه كيف أحكم الاسلام بناء الأسرة على هذا النحو الذى تكونت به خير أمة أخرجت للناس .

كيف بنى الاسلام خير أسرة وأمة .. ؟

على مثل هذه الأصول الثلاثة بناها وأرساها .

على الأساس القوى ، وبالوحدات السليمة القوية ، وبالرباط القوى الذى يؤلف بينها ..

١ ــ أما قوة الأساس :

فقد أرسى الاسلام بناء الأسرة على (الدين) أى طاعة الله وتقواه ، ومراقبته والتقيد بأمره ، وحلاله وحرامه فى كل شىء ، فهو الباعث الأول على بنائها وانشائها ، المشير الاول فى اختيار طرقها وتحديد مواصفاتها المرجع الأول فى تحديد حقوقها وواجباتها ومكانها من فضائل الحياة وتبعاتها . هو الذى جعلها آية ونعمة كما تقدم ، وهو الذى أوجب اقامتها اذا أوجبت أسبابها . قال صلى الله عليه وسلم : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج » . وقال صلى الله عليه وسلم : « النكاح سنتى فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

والدين هو المستشار الأول فى اختيار الزوجين وتحديد مواصفاتها . قال صلى الله عليه وسلم : « اذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير » . فشرط الدين الرضى والأمانة وهى جماع الدين . وقال صلى الله عليه وسلم : « تنكح المرأة لأربع : لمالها وجمالها وحسبها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك » . وهذا أخلص النصح وأصدقه ، فان المال والجمال والحسب والنسب كلها أمور اضافية وكمالات خارجية قد تحول ، أما الدين فكمال ذاتى ثابت لا يستغنى عنه أبدا فيه تكون العفة عند الفتنة ، والثبات عند المحنة ، والسعة عند الضيق ، والرضا والتجمل والتحمل وسائر ما يجعل للحياة طعما ويملأ القلب سكينة وسلاما ..

سأل رجل الحسن البصرى فى خاطبين تقدما لابنته أيهما يزوج فقال له : أرضاهما دينا فانه ان أحبها أكرمها وان كرهها لم يظلمها . وقديما شكا رجل لعمر رضى الله عنه أن حبه لزوجه قد خبا وأنه يريد أن يستبدل بها فقال له : ويحك أوكل البيوت تبنى على الحب ؟ أين تقوى الله وعهده ، وأين حياؤك منه « وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا » .

فالدين هو المصدر القانونى الذى يحدد لكل فرد فى الاسرة حقوقه

وواجباته . والضمير القانونى الذى يضمن لها التنفيذ والطاعة فهو روح يسرى كعصارة الحياة فى قلب الشجرة تترسخ منها الجذور وتستوى منها السوق وتورق منها الفروع وتثمر . لا تقوم الحيـــاة بدونه أبدا ومن تم كان اختيار الزوج وبناء الاسرة على أساس الدين أجل نعمة تهدى للأولاد والاحفاد وأجيال الانسانية كلها ، وقديما امتن الشاعر على بنيه فقال :

وأول احســـــانى اليكم تخيرى ... لمـــاجدة الأعراق باد عفـــافها

وصدق الرجل فان الولد سر أبيه وأمه أيضا . وقد جاء فى الخبر : « تخيروا لنطفكم فان العرق دساس » ورحم الله القائل :

أرى كل عود نابتـــا فى أرومة ... أبى نسب العيدان أن يتغـــيرا

بنو الصالحين الصالحون ومن يكن ... لآباء ســـوء يلقهم حيث ســـيرا

وصدق الله العظيم : « والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا » .

٢ ــ أما قوة الوحدات :

فنعنى بها سلامة تكوينها وصلابتها . ذلك أن البناء لا يقوم ولا يدوم الا اذا تألف من لبنات قوية متجانسة فلا يقوم بناء من خليط هش أو غير متجانس : طوبة وخرقة وورقة وخشبة وزجاجة ورمل وهلم . . لا . . لا بـــد أن يتألف من وحدات متجانســـة صالحة يشد بعضـــها الى بعض ، وهذه الوحدات هنا الأولاد ، فانهم اللبنات التى تتكون منها الاسرة ابتداء ثم الأمة فان صلحوا صلح البناء ، والا أسرع اليه الفناء . ومن هنا كانت عنـــاية الاسلام بالولد فى كل أطوار نشأته ومن قبل أن يوجد أو يولد ، عناية ربانية لا تجد لها نظيرا فى منهج أو دين قديم أو حديث . ذلك بأن الانســـان فى الاسلام هو خليفة الله فى أرضه علمه وأكرمه وسخر له ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه ، فمن ثم هو يعده لهذه الخلافة .

بل ان الانسان نفسه هو الهدف الوحيد للاسلام ، وهدايته هى مهمة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام من أجله بعث وأنزل عليه القرآن وجاهد وكابد ليخرجه من الظلمات الى النور لا هم له الا انقاذه واصلاحه واسعاده . ومن أجل ذلك عنى به وهو سر فى عالم الغيب وقبل الوجود يوصى بتخير أبويه على أساس الدين ثم صاحبه وعنى به فى كل أطوار حياته .

عنى به وهو جنين فى بطن أمه فشرع لها الفطر فى رمضان اذا خشيت عليه . .

عنى به وهو وليد جديد فشرع تكريمه والاحتفال به .

عنى به وهو طفل فشرع الأحكام لحمايته ووقايته .

عنى به وهو ناشىء وفتى فشرع الاحكام لتأديبه وتعليمه .

عنى به فى مماته وبعد مماته كما عنى به فى حياته .

ولذلك تفصيل وشرح يطول ، ولكنا نشير الى شىء منه فيه تنبيه لازم وذكرى والذكرى تنفع المؤمنين . .

وسنشير الى ثلاث :

١ ــ تكريمه . .

٢ ــ وحمايته . .

٣ ــ وتأديبه . .

فمن تكريمه :

أن شرع له حسن استقبال مولده (ذكرا كان أو أنثى) بذكر الله وشكره نؤذن فى أذنه اليمنى ، ونقيم فى اليسرى تفاؤلا بالذكر أن يكون هو أول ما يطرق سمعه ، وأن يكون الله فى قلبه أكبر من كل كبير وايحاء بذلك لمن حوله .. من صغير أو كبير ونعوذه وندعو له .. فاذا كان يوم السابع أقمنا له حفلا ووليمة فدعونا الاحياء ، وأطعمنا الفقراء وتسمى هذه الوليمة (عقيقة) نذبح فيها عن الذكر شاتين والأنثى شاة لمن استطاع ، ثم نحسن اختيار اسمه ونجرى ختانه .

وكل ذلك تكريم للوليد وطاعة وعبادة وقربى وتشريع من حكيم حميد ، فأين تجد مثل هذا التكريم للانسان .. أعند عباد الوثن .. ؟ أم عند الذين يقولون أنهم من سلالات القرود .. ؟

ومن حمايته :

أنه شرع له القوانين الملزمة لحمايته ورحمته فى رضاعه وفطامه وحضانته ونفقته وتربيته وتعليمه حتى يستوفى رشده ويبلغ أشده ويستقل بكسبه أو نفسه ، وربط كل ذلك بتقوى الله والعدل والمعروف والاحسان على نحو لا تجد له مثيلا فى قوانين البشر أو أديانهم .

ومن تأديبه :

أنه عنى بصياغة الولد صياغة ربانية هى أدق من صياغة الذهب والجوهر ، وأعظم من صياغة الفولاذ ، وهل أثمن من الانسان وهو انسان عين هذا الوجود ؟ لقد تناوله الاسلام فى أخص أمور حياته ورسم لها فشرع لطعامه وشرابه وثيابه وحفظ لسانه وبصره وسمعه وجوارحه وحواسه حتى قص شعره وظفره وطهوره وقضاء حاجته وغسل بدنه تماما كما تناوله فى عبادته وصلته بربه وتقواه ومراقبته . كما تناوله فى صلاته بغيره ومعاملاته لوالديه وأخوته وأقاربه وجيرانه والناس جميعا .

وهكذا لم يدع شيئا يتعلق بظاهر بدنه ، أو باطن قلبه الا طب له وأفتى فيه واستحفظ عليه والديه واعتبره أمانة وكلفه أن يرعاها ، فانه مسؤول عنها ومحاسب عليها : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا » ونبه الى خطورة ذلك وأن : « كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه » .

ولقد يبدو عجيبا أن يتدخل الاسلام فى الطعام والشراب والثياب .. وهلم جرا .. ولكن يزول العجب حين نعلم أن الظاهر صورة لما فى الباطن ودعوة اليه أيضا ، وأن حياة الناس صورة لما فى قلوبهم .

فالثوب للمرأة قد يكون ثوب صيانة ووقاية ، وقد يكون ثوب اغراء وفتنة .. وهو للرجل قد يكون ثوب زينة ووقار ، وقد يكون ثوب خيلاء وفساد .

فأباح الاسلام الأول وحرم الثانى ، وقال صلى الله عليه وسلم عن الثوب من الحرير لامرأة « أخاف أن تصف حجم عظامها » ، الا تشف

تصف) فتدخل الاسلام فى طول الثوب ومادته ونوعه وتفصيله واستعماله وهو فى كل ذلك منطقى مع رسالته وهى صيانة الانسان (ذكرا أو أنثى) وحفظه وكماله أن يصيبه الانحراف أو يقتله الترف .

وكان عمر رضى اله عنه يأخذ الاولاد بالجد ويقول لهم اخشـوشنوا وتمعددوا واياكم ولبس الثوب من الحرير وزى الأعاجم .

وهل يكون التهود الا فى التبعية لليهود فيما يبتدعون للناس فى المودات والأزياء وصنوف العهر والتهتك لتدميرهم والقضاء عليهم .

وهل يريد الاســلام الا الحفاظ على سلامة الفطرة وطهارتها ونقائهـا وصلابتها : « والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما » .

فالاسلام صلب فيما لا بد منه لكمال النفس الانسانية وصلابتها .

مرن فيما لا جناية فيه عليها وعلى فطرتها .

ومن ثم فهو يفرض على الوالدين أن يأخذا الولد بالجد والحزم فى كل ذلك ويرخص لهم فيما وراء ذلك .

فهو يكره لأهله أنواع الترف والزينة والاسترخاء والميوعة مثلما يحبب اليهم أن يعلموا أبناءهم السياسة والرمى وأن يثبوا على الخيل وثبا .. وهو حريص على أن ينشئهم على الصدق والعفة والحياء والمروءة وسائر صفات النبل ومكارم الاخلاق ، وهو يعتبر البيت مغرسا لها والأمين الأول عليها ومن ثم فهو يحاسب الوالد عليها كما يحاسب الولد :

ـ سمع النبى صلى الله عليه وسلم ، أما تنادى وليدها وترغبه ليقبل وتقول تعال أعطك وتشير الى شىء ولم ير النبى صلى الله عليه وسلم معها شيئا فقال لها : « ما أردت أن تعطيه » قالت تمرة معى فقال صـلى الله عليه وسلم : « أما أنك لو لم تفعلى لكتبت عليك كذبة » .

ان البيت هو الوعاء الأول الذى يجد فيه الولد غذاء جسمه وروحه وعقله وقلبه ، ومن ثم يتكيف ويتكون وهو يتلقى عن أبويه . ومن هـذا الولد يتكون البيت نفسه وتتكون الأمة معه . وهنا مكمن الخطر وأول الداء أو الدواء فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها .

٣ ـ قوة الارتباط :

وهى الأصل الثالث الذى يقوم عليه بناء الاسرة وأى بناء وهو يعنى مجموعة الآداب والقوانين والفضائل والقيم التى تؤلف ما بين المرء وزوجه ، وما بين الولد ووالديه ، وما بين الأخوة وذوى القربى والرحم .

وقد أحكم الاسلام هذا الرباط بأسباب من الايمان وتقوى الله والرحم . ومن التشريع الملزم فى ايجاب البر والنفقة والوصية والعقل والميراث .

فأما ما بين المرء وزوجه فقد وثقه بالعهد والعقد الذى جعل منه مودة ورحمة ، وأوجب على كل منهما رعاية الحرمة وحسن التبعل ، أى القيام بحقوق الزوجية من النصح والنفقة وحسن المعاشرة وحفظ الغيب بغض البصر ، وحفظ المال والولد والعرض ، وتقرير المساواة فى الحقوق المشروعة قال تعالى : « ولهن مثل الذى عليهن » وقد كان ابن عباس يصلح من زينته فسئل عن ذلك فقال أتزين لها كما تتزين لى ، أى أن ذلك حقها وهو فقه دقيق ، وقد أكمل الله النعمة بهذا التقرير الاخير فقال : « وللرجال عليهن

درجة » فجعل الرئاسة والقيادة للرجل فزاده درجة هى الصوت المرجح عند الخلاف كما هو الشأن فى أى مجتمع فطرى سوى لم يزغ عن الفطرة ولما أضاع ناس هذه الدرجة فقد الرجل سلطانه على الزوج والولد جميعا فانحل نظام البيت ، وفسد الولد ولم يعد يدرى عنه أو يقدر على اصلاحه .

وأما الاولاد ففرض عليهم البر والاحسان للوالدين وقرن العبودية لله وتوحيده وطاعته بذلك وحرم عليهم العقوق وأوجب عليهما النفقة والطاعة ، ووصى بهما عند الكبر خاصة كما وصى الأبوين بالتسـوية بينهم فى البر والرعاية . .

وأما الأخوة وذوو القربى والارحام ، فقد أمر ببرهم والاحسـان اليهم وصلتهم وان قطعوا والعفو عنهم وان أساءوا ، وأوجب عليهم التعاون على البر والتقوى ، والتناهى عن الاثم والعدوان ، ووثق ذلك بالقوانين الموجبة والوصايا الحكيمة فجعل الدية على العاقلة فى الخطأ وجعل النفقة على الولى الأقرب ، وجعل الميراث حقا ، (ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والأقربون والذين عقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم » .

وبهذا التوفيق الربانى بين آحاد الاسرة ، وهذه الصياغة الربانيـة والتربية الآلهية لافرادها .

وعلى هذا الأساس الدينى أرساها عليه الاسلام . قامت الاسرة التى تكونت منها خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله . وقادت العالم الى الخير والعدل والاحسان والحرية والمسـاواة وسادت حضارته الانسانية الزاهرة وهدته الى الحق والى طريق مستقيم .

و « ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » .





حقوق الانسان في الاسلام

للاستاذ أنور السيد يعقوب الرفاعى

أعلنت حقوق الانسان نتيجة ثورات القرن الثامن عشر ، وهى مبادىء أساسية سامية فوق القانون ، فالتشريع يسترشد بها ويستقى منها . وقد ذكرت هذه الحقوق فى الدستور الامريكى لسنة ١٧٨٧ ، وهو أقدم الدساتير المكتوبة. كما وردت فى الدساتير المتعددة للثورة الفرنسية التى اشتعلت سنة ١٧٨٩ ، ثم جاءت تباعا فى الدساتير الحديثة ودعت الى العدالة الاجتماعية والاقتصادية كأهم مقومات المساواة السياسية والقانونية للفرد .

وأهم تعاليم حقوق الانسان تقديس حرية الفرد كحق طبيعى له ، واحترام حقه فى الامتلاك والعمل ، وتساوى المواطنين فى الفرص والوظائف ، وحرية الرأى والعقيدة ، والتجارة ، ومساواة المواطنين أمام القاضى ، وأن يباشر الحكم على أساس أن الشعب مصدر السلطات ، ولا فرق بين شخص وآخر .

وتأيدت هذه المبادىء فى الاعلان

العالمى لحقوق الانسان الذى صـــدر فى ١٠ ديسمبر سنة ١٩٤٨ ووافقت عليه الأمم المتحدة ، وخاصة ما بين الحربين العـــالميتين ، وبعد الحرب العالمية الثانية صارت الحريات بحكم الدساتير منظمة وموجهة ، وتدعمها العدالة الاقتصادية ، وتتدخل الدولة فى تنظيم الانتــــــــاج ، وتوزيع الاختصاصات ، وتوفير الاعمـــــال للناس .

فتعهدت الدول التى وافقت على اعلان هذه الحقوق والحريات بالعمل على احترامها ، واختلف التعبير عنها باختلاف الثقافات والحضارات فـــى الغرب ، فهى واحدة فى ابراز ارادة الشعب نتيجة ثوراته ، فالثـــورة الامريكية يعبر عنها فى الدســـــتور الاتحادى بتحقيق السعادة للانسان بضمان حرياته فى كافة صورها .

وفى الثورة الفرنسية يعبر عنهــا بالحريات ، والمساواة ، والاخاء ، وفى الثورة الانجليزية يعبر عنها بتعهد الملك باحترام حقوق الناس ، وفى نظم الجمهوريات الشــــعبية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى يعبر عنها بأن من لا يعمل لا يأكل .

ولننظر الى حضارة المسلمين التى سبقت الثورات المذكورة بأحد عشر قرنا لنرى الى أى حد تأصـــلت الديمقراطية والحريات والمســـاواة والعدالة الاجتماعية ، وعدم التمييز بين الرجال والنساء فى تلك المبادىء التى عنى الاعلان العالمى بها ، والتى يفخر بها الغرب .

وسأتناول ما ورد فى التعـــاليم الاسلامية من الحقوق الاساســـية للانسان ، هذه الحقوق التى رددها الاعلان العالمى مرارا ..

أولا : المساواة فى الاسلام :

الناس فى الاسلام ســـواء أمام الشارع ، وكلهم سواسية كأسنان المشط ، وليس هناك تنافر وتدابر بين المســـلم والذمى ، ولم يعرف المجتمع الاسلامى مذابح الاضـــطهاد الدينى على وتيرة مذبحة (ســـانت بارتلمى) مثلا فى فرنسا ، التى أمرت بارتكابها (كاترين دى مدسيس ، ودوق دى جيز) فى عهد شـــــارل التاســـع ضد البروتســـتانت فى أغســــطس ١٥٧٢ لابادة الأقليـــة المســـيحية المنشقة على الكنيســـة الكاثوليكية . بينما كان من الذميين فى الدولة الاسلامية الشـــــعراء ، والوزراء ، والعلماء والأدباء ، ورجال الجيش والدولة . يقول الله تعالى فى التعاطف والتسامح « لكل أمة جعلنا منسكاهم ناسكوه فلا ينازعنك فى الأمر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم . وان جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون . الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون »(١) .

وجاء فى القرآن الـــكريم كذلك بمناسبة الألفة ، والمحبة ، والدعوة الى الخير كنتيجة للمســـــاواة بين الناس قوله تعالى « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقـــــاتلوكم فى الدين ولم يخــــرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقســــــطوا اليهم ان الله يحب المقسطين » .

واتضحت المساواة فى بســـاطة الرسول ، وحسن معاملته لقومه ، وفى تواضـــع الخلفاء الراشــــدين وقناعتهم وتقشفهم فى الحياة ، فقد اشــــتهر عمر بن الخطاب بالزهد والقناعة والنزاهة والتشــــدد فى

الحق . وقال رضى الله عنه حينما اعتدى عليه بطعنة الخنجر وأحس بدنو أجله لابنه :

« انى استلفت من بيت مال المسلمين ثلاثين ألفا فليرد من مال ولدى ، فان لم يف مالهم فمال آل الخطاب » .

وكان على بن أبى طالب يتحلى كذلك بالزهد والعدل . ومن عدله أنه رأى درعا له عند رجل فتقاضيا الى القاضى ، ووقف الى جانب خصمه احتراما للعدل .

ثانيا : العدالة والحرية :

العدالة هى ميزان الاجتماع فى الاسلام ، وهى التى يقوم بها بناء الجماعة ، وكل تنسيق اجتماعى لا يقوم على العدالة منهار مهما تكن قوة التنظيم فيه . فالاسلام يحض على معاملة الناس بالحسنى، قال تعالى : « واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل .. »(٢) وفى الحديث الشريف : « يا عبادى انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا » .

ويشيد المستشرق مونتيه Montet بحاضر الاسلام ومستقبله بما اتصف به من التسامح فى معاملته للشعوب فيقول : « لا يكون تعليم الناس وتهذيبهم بالقوة مهما بعدوا عن الحضارة »(٣) . والمسلمون لم يفرضوا الاسلام بالقوة حيال أهل مصر ، والشام ، وفارس ، والأندلس ، بل تركوا البلدان التى دخلوها حرة فى أداء شعائر دينها ، واحترموا عادات وطباع أهلها .

وتجلت الحرية فى البحث عند العرب ، وفى ترجمة مؤلفات أرسطو وغيره من فلاسفة اليونان ، وقرب خلفاء المسلمين العلماء والشعراء والأدباء النصارى ، وكان ابن ميمون من فلاسفة العرب يهوديا ، وكان الأخطل شاعر النصرانية مقربا الى الخليفة فى عصر الدولة الأموية .

وقد أسلم كثير من النصارى من غير اكراه ، وكانوا هم واليهود مساوين للمسلمين ، وكانوا يتقلدون مناصب الدولة كالمسلمين .

وكان طبيعيا أن تؤدى نظم الاسلام الحرة الى اتساع التبادل التجارى فى دار الاسلام وخارجها ، وتأمين حرية الانتقال ، الذى اهتم بها الاعلان العالمى لحقوق الانسان .

كذلك لم ينازع الاسلام أحدا فى ملكه ، وثروته ، وتأيدت الملكية الخاصة بما جاء فى الكتاب الكريم « واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا »(٤) ، وجاء فى الحديث الشريف فى شأن الملكية الخاصة للفرد « من أحيا أرضا مواتا فهى له .. » .

ثالثا : العدالة الاجتماعية :

يقوم الاسلام على رعاية الفقراء والمساكين وأبناء السبيل ، ونشأ بيت المال لهذه الغاية فى عهد عمر بن الخطاب لتنظيم تحصيل الضرائب من جزية ، وخراج ، وتوزيع النفقات على عمال الدولة من أجور ومرتبات . وتحصل الزكاة من المقتدرين لانفاقها على المستحقين من المسلمين ، وهى صدقة يدفعها المسلمون لسد حاجات الفقراء ، والأرامل ، واليتامى ، والمرضى ، وللمحافظة على بيوت العبادة للمسلمين ، والزكاة منشأ العدالة الاجتماعية فى ذلك العصر الذى راج فيه خارج ديار الاسلام الجور ، والظلم ، والاستبداد .

رابعا : حقوق المراة :

كان المجتمع الاوروبى يسىء معاملة المراة ، وكان الرجل هناك يقسو عليها ، فى حين أن المراة العربية كانت تتمتع بحقوقها ، ويقول جوستاف لوبون « الاسلام حقا لا النصرانية هو الذى رفع المراة من الدرك الأسفل الذى كانت فيه .. »

والاسلام لم يعرف حجرا على اموالها . وقد منح القرآن الكريم الحقوق المدنية الكاملة للمراة . كما جعل للمراة الحق فيما اكتسبته اذ يقول « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا .. »(٥) .

وساهمت المراة العربية فى ميدان الفكر مما لم يكن معروفا للمجتمع الاوروبى ، واشتهر من النساء العديدات فى ميدان العلوم والآداب .. فكانت عائشة أم المؤمنين راجحة عقل ، وواسعة ادراك وأفق ، وكانت راوية الحديث عن الرسول الكريم ، وكذلك عائشة بنت طلحة بن عبيد الله الصحابى . وهى ذات علم غزير بأخبار العرب . وسكينة بنت الحسين . واسماء بنت ابى بكر . وهى أم عبد الله بن الزبير . وكانت غاية فى الشجاعة .

والخلاصة ..

والأمة الاسلامية فاقت الأمم جميعا بحضارتها الروحية المادية ، فهل من عودة الى تطبيق الاسلام الذى صنع هذه الحضارة ورفع من شأن الانسانية ؟!



---

(١) سورة الحج .. الآيات ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩

(٢) من محاضرات له بالكوليج دى فرانس

(٣) الآية ٥٨ من سورة النساء .

(٤) الآية ٣٢ من سورة الكهف .

(٥) الآية ٧ من سورة النساء .

مائدة القارئ

الذهب المنثـــور

قال عبد الله بن عباس دعانى عمر بن الخطاب . فاذا حصير بين يديه . عليه الذهب منثور نثر الحناء فقال : هلم فاقسمه بين قومك . فالله أعلم حبس هذا عن نبيه صلى الله عليه وسلم وعن أبى بكر وأعطانيه ألخير أراد بذلك . أم الشر ؟

قال ابن عباس : فاكببت أقسم . فسمعت بكاء فاذا هو عمر يبكى ويقول فى بكائه : كلا والذى بعثه بالحـــق ما حبس هذا عن نبيه . وعن أبى بكر أراد الشر بها . وأعطاه عمر أرادة الخير له .

احصائيات لعدد الحجاج هذا العـــام

بلغ عدد الحجاج الذين وقفوا بعرفات هذا العام ٤٧٩ر٣٣٩ مـــن الذكور والاناث من مختلف بلـــــدان العالم الاسلامى ما عدا المملكة العربيـــــة السعودية وكان اكثر الحجاج عددا من البلدان التالية :

ـ نيجريـــا	٤٤٠٦١
ـ ايـــــران	٣٠٢٩٩
ـ مصـــــر	٢٩١٧١
ـ السودان	٢٩٠٠٤
ـ سوريـــة	٢٧٠٤٥

وقد بلغ مجموع حجاج البـــــلاد العربية ٢٥٩ر٦٧٢ منهم ١٦٥ر٨٧٩ من الاناث .. أما مجموع الحجـــاج القادمين من بقية دول آسيا فقد بلغ ١٤١ر٦٠٧ منهم ٩٤ر١٤٢ من الذكور و ٤٧ر٤٦٥ من الاناث ..

أما الحجاج القادمون من بقيـــة دول أفريقية فقد بلغ ٤٣ر٥٩٤ مـــن الذكور و ٨٢ر٣٢٦ من الاناث ومـــن الملاحظ فى أفريقية غير العربية أن مجموع الاناث الحاجات يكاد يبلـــغ ضعف الرجال .

أما القادمون من أوروبا وأمريكا فقد بلغ عددهم ٦١٣٠ من الذكـــــور والاناث ..

منافسة

قال عبد الملك بن مروان يوما فى بعض مجالسه : أيكم يأتينى بحروف المعجم فى بدنه مرتبة وله على ما يتمناه ؟ فقال سويد بن غفلة ؟ أنا لها يا أمير المؤمنين : فقال : هات ، فقال سويد : أنف ، بطن ، ترقوة ، ثغر ، جمجمة ، حلق ، خد ، دماغ ... فقال آخر فى المجـلس : يا أمير المؤمنين : أنا أقولها فى جسد الانسان مرتين ، فقال سويد أنا أقولها ثلاثا : أنف ، أسنان ، أذن ، واستمر .. فاعجب عبد الملك بن بديهته وأجازه ..

الرفــق بالحيوان

من روائع حضارتنا الاسلامية هذه الروح الرحيمة التى استظـل بظلها الانسان والحيوان .

روى أن أبا الدرداء الصحابى الجليل كان له بعير . فلما حضرته الوفاة ، قال يخاطبه : يا أيها البعير لا تخاصمنى الى ربك فانى لم أحملك فوق طاقتك . .

وكان الصحابى العظيم عدى بن حاتم يفت الخبز للنمل ويقول : انهن جارات لنا ولهن علينا حق .

وكان الامام الكبير أبو اسحاق الشيرازى يمشى فى الطريق ومعه بعض أصحابه ، فعرض له كلب فزجره صاحبه ، فنهاه الشيخ وقال له : أما علمت أن الطريق مشترك بيننا وبينه .

وقد خلت حضارتنا من مظاهر القسوة والتحريش بين الحيوانات ، وهى التى كانت معترفا بها رسميا لدى اليونان والرومان ، ولا تزال معترفا بها فى اسبانيا حيث تقام الحفلات الكبرى لمصارعة الثيران .

الحـــكماء

طلب أحد الخلفاء بعض العلماء ليسامره ، فلما جاءه الخادم وجده جالسا وحواليه كتب يقرأ فيها فقال له : ان أمير المؤمنين يستدعيك ، فأجابه : قل له : عندى قوم من الحكماء أحادثهم ، فاذا فرغت منهم حضرت ، فلما عاد الخادم الى الخليفة وأخبره بذلك قال له ويحك من هؤلاء الحكماء الذين كانوا عنده ؟ قال الخادم : والله يا أمير المؤمنين ما كان عنده أحد ، قال فأحضره الساعة كيف كان ، فلما أحضر العالم قال له الخليفة : من هؤلاء الحكماء الذين كانوا عندك ؟ قال يا أمير المؤمنين :

هم جلســـاء ما تمل حديثهـــم ... أمينون مأمونون غيبا ومشـــهدا
اذا ما خلــونا كان خير حديثهـــم ... معينـــا على نفى الهمــوم مؤيدا
يفيدوننـــا من علمهم علم ما مضى ... وعقــلا وتأديبا ورأيا وســـؤددا
فلا ريبـــة تخشى ولا سوء عشرة ... ولا نتقى منهم لســـانا ولا يدا
فان قلت أموات فلست بكـــاذب ... وان قلت أحيـــاء فلست مفندا

فعلم الخليفة أنه انما يعنى بالحــكماء الذين كان يجتمع معهم كتب العلماء والحكماء ، فلم ينكر عليه تأخره .

دار الحــكمة

مكتبة الحكمة بالقاهرة ، أنشأها الحاكم بأمر الله ، وافتتحت فى ١٠ من جمادى الآخرة ٣٩٥ هـ ، بعد أن فرشت وزخرفت ، وعلقت على جميع أبوابها وممراتها الستور ، وأقيم بها القوامون والمناولون والفراشون ، وقد جمع فيها من الكتب ما لم يجتمع لأحد قط من الملوك . حتى كانت تضم أربعين خزانة ، احتوت احدى خزائنها على ١٨٠٠٠ كتاب من العلوم القديمة .. وكان الدخول اليها مباحا لجميع الناس . فمنهم من يحضر لقــراءة الكتب ، ومنهم من يحضر للنسخ ، ومنهم من يحضر للتعلم ، وكان فيها كل ما يحتاج اليه الناس من الحبر والأقلام والورق والمحابر .

هؤلاء المتصدون

من يدعمهم



يشهد انسان الثلث الاخير من القرن العشرين كثيراً من القيم الدينيه والروحية ينالها ويمسها بعض التشويه ، بل أن بعض الناس قد اصيبوا بانهيار تام او غير تام في عقيدتهم الدينية ، فهل كان ذلك وليد يوم وليلة ، ام هو نتيجة عوامل متعددة .. ؟

الواقع ان هذا التزلزل فى القيم والموروثات الروحية لم يكن وليد المصادفة البحتة ، او مصاحبا لتغيير مفاجىء ، بل مهد له وسبقه اندفاع حضارى متهور الى مجالات التقدم العلمى منذ بداية النهضة فى العصر الحديث .

والتطور الحضارى فى حد ذاته مرحلة هامة وجليلة فى تاريخ البشرية دائما ، والاخذ بوسائل التقدم العلمى شىء مشرق فى حياة الانسان ، لكن هذا شىء والالتواء بهذا المد الحضارى الى غير وجهة تشويها للدين ، وغضا من قيمة الاتجاه الروحى فى سبيل اعلاء الاتجاه المادى هو أسوأ ما فى الامر . آية ذلك أن الحرب العالمية الثانية وقفت على رأس فترة شهدت تغيرات عالمية هائلة فى كثير من المجالات ، وكان مجمل هذه التغيرات بروز الانجاز المادى بروزا خطيرا مروعا ازاء الاتجاه الروحى القابع خلف ضمير الانسان الذى لا يملك الا الدفاع أمام وسائل الهجوم المتعددة .

وفى غمرة اصطباغ العالم بالطابع العلمى والاحساس المادى برزت أسماء فى زعامه الفكر والاتجاهات العلمية والثقافيه الحديثه مثل : (دارون) فى علم الحياه (وفرويد) فى علم النفس ، و (كارل ماركس) فى علم الاقتصاد ، و (سارتر) فى مجال الادب والفلسفة ، واصبحنا نلتقى بالمواقف الالحادية الصارخة التى لا تمتل ، مجافاة التيار الدينى فحسب ، بل تمثل غرورا وصلفا وانحلالا لا يتلاءم مع المستوى الرفيع للتقدم الحضارى للانسان فى العصر الحديث ، وذلك مثلما رأينا لدى (جان بول سارتر) وغيره من كتاب الوجودية ثم كتاب اللامعقول .

وهناك جانب آخر يتمثل فى أن شبح التقدم العلمى المفزع فى مجال الدمار والفناء ، وتطور أساليب الحروب ، وتعدد وقائعها فى كثير من الاماكن فى العالم ، كل هذا ولد لدى الانسان أزمة احتلت قمة قضاياه : الدينية ، والاجتماعية ، والثقافية ، والسياسية ، والاقتصادية ، وتمثلت هذه الازمة فى الشعور المتزايد بالقلق .

ان احساسا يتمدد شبحه المخيف فى أعماق كل انسان بأن القنابل المدارية النووية ترقبه من بعيد أينما حل ، وتهدد يومه وغده ، وتتوعده كما تتوعد اجياله التالية من بعده ، كل هذا جعل القلق تنينا مخيفا يتمدد خلف اجفان من يريد النوم ويحجب الرؤيا أمام المستيقظين .

ومن الناحية السياسية فان انقسام العالم الى معسكرين أو

للاستاذ يوسف حسن نوفل

اتجـــاهين . احدهما شرقى والاخر غربى ، ثم تعــــــدد المواقف ما بين اليمين واليسار ، كل هذا شــــــكل علاقات معقدة متشـــابكة لا يقتصر ارتباطها على الناحية الدينية فحسب، بل يتعداها الى النظم الاقتصادية . والسياسية ، والاجتماعية وســـائر ما يكتنف العلاقات الانســـــانية . وانماط السلوك البشرى .

نتج عن ذلك كله صراع حاد فى مجال القيم والمبادىء . واخذ هنـــا الصراع يحتكم الى مبدأ واقعى خطير هو : القوة ، فمن ملكها ارتفع مؤشر نمو قيمه . ومن فقدها تهاوى مؤشر قيمه الى الحد الذى يتلاءم مع مستوى قوته .

هذا من النـــاحية العملية . او الواقعية ، او التطبيقيـــة . أما من الوجهة النظرية ، او التعريفية فهناك تعدد الآراء حول موضوع القيم ، فقد دارت دراسات وتحددت مواقف ازاء تحديد القيم ، فكان هناك من يرى أن القيم توجد بعيدة عن الانســـــان وما عليه الا أن يكتســـــبها ويطبقها فى سلوكه ، كالقيم التى نصت عليهـــا الشرائع ، وهذا هو اتجاه الوضعية المنطقية .

وهناك اتجاه آخر يرى أن القيم وليدة العقل البشرى وتهدف لمصلحة الانسان ، فهى واقعية ترتبط بالحياة والخبرة ، وهذا هو اتجاه الفلسفة الطبيعية .

وبعد هذا العرض الموجز للاسباب والدوافع التى ادت الى مواقف الالحاد والخروج عن اطار ما يجب أن يلتزم به الانسان ، ولاختلاف المذاهب فى تحـــديد ماهية القيم التى يلتزمهـــا الانســـــان فى حياته بعد ذلك ننظر فنرى أن معظم ما تتجه اليه نماذج الادب وخصوصا فى مجال المسرحية والقصة ، يندفع فى أحضان الالحاد كما سبق أن تناول الاســـــتاذ محمد أحمد العزب فى بحث امين جاد فى عدد ســــــابق من مجلة الوعى الاسلامى .

لكننا لا ينبغى أن تغيب عنا تلك النمـــــاذج العديدة التى تقف على الشاطىء الآخر ، وفى الوقت الذى وقفنا فيه على النماذج الملحدة يمكن أن نقف على نماذج اخرى يتجلى فيها موقف ادبى ملتـــــزم — اذا صح استعمال المصطلح هنا — موقف أدبى يتكىء على موقف عقدى نظيف يؤمن بقيم الدين الاسلامى فينعكس ايمانه علـــى ما يكتب موضـــــوعا وفكرة واسلوبا .

وللنقاد والأدباء ازاء هذه القضية مواقف . فيرى (تشـــارلتون) فى كتابه (فنون الادب) أن استخدام القصة فى هذا المجـــــال خطر . فالفيلسوف الذى يكتب قصة سيبشر فيها بمذهبه بأن يبدى العــــــالم فى الصورة التى يريدها له « ومن الجائز أن يصلح العــــالم بذلك لكن على حساب الفن القصصى ، فقصـــــة لا تصور الواقع كما هو ليست من ذلك الفـــن فى شىء » ، علـــى حين يرى (تولســــــتوى) أن الفن المعبر عن الدين فن جديد وما عداه فهـــو فن ردىء .

وهناك من قدم أعمالا مسرحية او روائية ذات موضوع اسلامى يدافع عن الاسلام ويدعو الى ما يدعو اليه، أو يشيد بواحد من رجالاته وقادته ويسلط الاضواء على جوانب هـــذه الشخصية فنرى فيها المثل والقدوة ، ومن خلال ذلك كله نرى وجها مشرقا للاسلام مثلما نرى لدى عبد الحميد جوده السحار ، وعلى أحمد باكثير ، ومحمد عبد الحليم عبد الله وغيرهم .

ان صانعى هذا الفن العظيم يؤدون رسالة هامة ولا شـــك لا يصح أن نتجاهلها ونحن فى معرض تنـــاول

ظاهرة انتشار اللادين فى الاعمال الفنيـة وتغلغل ذلـك بين ايدى قرائنا .

واذا كانت الاعمال المشار اليهـا اعمالا ترتبط بموضوع اسلامى بداية، فهناك نوع ثان من الاعمال الفنيـة تنـاول اطارا عاما وقدم من خلاله اهتماما دينيا ، وتكفى فى هذا المجال الاشارات العجلى والتى يمكن من خلالها ان نلمس احساسا دينيا حيا لدى الكتاب ، لم ينل منه ثقـافاتهم الاوروبية أو قراءاتهم لنماذج ملحدة فى الفن الروائى .

هناك روايات تعرض الاهتمـام بالاولياء ومدى ما يظهره الله علـى ايديهم من كرامات وما يشـيع لدى العامة من الاحتفال بالمولد .. الخ . ما هنالك من مظاهر تشيع وتنتشر فى الريف ودلالتها تتمثل فى تعلق الريفى بالدين وايمانه بربه ، وكثيرا ما تصور الرواية شخصياتها يرددون آيات من القـرآن الـكريم ، أو يسـتشهدون بها ، نرى ذلك لدى فتحى رضوان فى قصته (محـام صغير) ، ونجيب محفوظ فى كل من : خان الخليـلى ، وميرامار ، ومحمد عبد الحليم عبد الله فى سكون العاصفة ، كما تستخدم شـخصية احمد عاكف فى رواية خان الخليلى آراء اخوان الصفا ، وتتردد الفاظ الصوفية كثيرا فى رواية الباحث عن الحقيقة لمحمد عبد الحليم عبد الله ، كما تصور رواية خان الخليلى احتفال البيئات الشعبية بقدوم المناسـبات والمواسم الدينية ، كذلك اسـتقبال الاسرة المصرية لقدوم شهر رمضان المبارك ، ويقدس الكبار والصـغار ذكرى الشـخصيات الاسـلامية وخصوصا من يمت الى الرسـول صلى الله عليه وسلم بصلة القربى ، ويصور الكاتب شخصية الحسـين ذات قيمة كبرى فى أعماق سـكان الحى فيرد ذكره فى قصـة (زقاق المدق) محاطا بالجلال وشـغلت معرفة الله سبحانه وتعالى كثيرا من ابطـال الروايات ، مثلما نجد فى قصـة : (محام صـغير لفتحى رضوان) ، وللزمن بقية والباحث عن الحقيقة ، وكلتاهما لمحمد عبد الحليم عبد الله ، وفى هذه الرواية الاخيرة يتناول الكاتب شخصية الصـحابى الجليل سلمان الفارسى ، وكيف احتج على عبادة المجوسية فغادرها الـى النصرانية ثم الى الاسلام .

وهنـاك نوع ثالث من الروايات والقصص ظهر اهتمـامه بالقيم من خلال نقده لكثير من العيوب والمفاسد او تنبيهه الى ما يطرأ على المجتمع من انحراف أو اعوجاج ، وكان من أبرز هذه الموضوعات موضوع الحرب العالمية الثانية ، وما قامت به من تشـويه لكثير من القيم فى مختلف المجتمعات، ومنها مجتمعاتنا العربية، وقد حفلت هذه القضية باهتمام كثير من الروايات فتناولها نجيب محفوظ مرارا ، وكان أبرز صور هذا التناول ما قدمه فى روايته : (زقاق المدق) ، كما تضمن هذا الجانب ايضا لحظة الانبهار التى اصـابت بعض أفراد الجيل اعجابا وشـغفا وتعصـبا للحضارة الطارئة التى أحدثت دويا هائلا فى رؤوس بعض الناس فمادت الارض من تحت اقدامهم ، وفقدوا صلتهم بواقعهم وتاريخهم ودينهم ، وفى هذا المجـال يبين الدكتور طه حسـين ، سـبب تغير بعض القيم قائلا : « فاحمل هذا كله غير متردد ولا متهيب على هذه الحضـارة الطارئة ، التى غزتنا ، فكانت بعيدة الاثر فى حياتنا المادية والاقتصـادية والادبية ومع ذلك تهافت الناس عليها تهافتا عنيفا وهم لا يشعرون » .

ولا يعنى تعليق الدكتور طه حسين هنا الوقوف ضد تفاعل الشعوب مع

الحضارات المتقدمة . ولـكنه يعنى الاحتفـاظ بالذات ويعارض الذوبان والتقهقر والتـلاشى أمام ثقـافات العصر . ويذكرنا هذا بقضية هامة اثيرت عام ١٩٦٩ . فلقد عقد اجتماع في مقر منظمة اليونسكو في التاسع والعشرين من مايو (آيار) حتى الثالث من يونيو (حزيران) عام ١٩٦٩ . واشترك في هذا الاجتمـاع ممثلو البلاد العربية التـالية : الجزائر . السعودية . العراق . لبنان . المغرب . مصر . السودان . سوريا . تونس . وحضر الاجتمـاع بعض المستشرقين ومنهم :

جاك بيـرك عن فرنسـا .

و ج. شاربا توف عن الاتحـاد السوفيتى . و ج. ا. فون جرونباوم — عن أمريكا . .

وناقش الاجتماع اصالة الفـكر والادب والفن العربى فى المائة عام الاخيرة ومغزى هذا الفكر والفن لدى العرب أنفسهم . ومدى مساهمته فى الحضارة الحديثة .

وقد تركزت المناقشـات فى اربع نقاط أساسية هى :

١ — مفهوم الثقـافة العربيـة المعاصرة .

٢ — التطـور والتكيف فى هذه الثقافة .

٣ — التطور والتحول فى هـذه الثقافة .

٤ — الثقافة العربية والحضـارة العالمية .

ويهمنا فى هذا الامر النتيجة التى خرج بهـا المجتمعون : لقد خرجوا بهذه النتيجة الخطيرة وهى أن الثقافة العربية المعاصرة لا تحتل المكان اللائق بها فى عالم اليوم .

وهذه النتيجة هى سر انتشـار موجة الادب الالحادى المترجم بشكل وحشى والمنتشر بغزارة بين أيدى قراء العربيـة . وهو نفسه سر تقوقع وتقلص وانكماش المحاولات الجـادة المؤمنة الواعية التى قدمت فى شكل اعمال روائية . او مسرحية من كتاب مسلمين . لكنهـا لم تتحرك الا فى اطار دائرة ضيقة وقصرت عن التحليق فى الآفاق العالمية ، لأنها لم تقدر لها اجنحة الترجمة والتعريف الدولى كما لم يفح لها التعريف على المسـتوى المحلى بالقدر الكافى . وتلك جريمة يرتكبها النقد الادبى عن عمد او جهل او تجاهل . فكثير من هذه الاعمال العظيمة — لم يلتفت اليها النقاد . ولم يلقوا اليها بالا . وحين يقـوم الباحثون باعداد (ببليو جرافيات) روائيـة يغفلون كثـيرا من هذه الروايات ولا يعدونها من الاعمـال الفنية .

ان القضية قضية دعم ومساندة وتأييد واحتفاء . وهذه واجبـات مقدسة على المختصـين أن يطمئنوا الى تحقيقها فى مجال النشر والترجمة والتوزيع . وعلى اصـحاب الاقلام الامينة فى مجال النقد ان يحيـطوا هذه الاعمال بأنفاس الحنان الدافئة ولمسات التشجيع الرقيقة ، وأساليب التوجيه الراشدة البناءة الهـادفة تحقيقا لهدفين ساميين هما :

الفن . والخلق الاسلامى القويم .





مع الطبيب



أمراض الحويصلة المرارية

للدكتور ــ محمد ابو شوك

اردت بمقالى هذا ان القى الضوء على الامراض التى تصيب الحويصلة المرارية (المرارة) لأنه طالما سئلت عن هذه الامراض سواء فى ذلك من مرضى أو من أصحاء ــ ولعل ذلك يرجع لانتشار هذه الامراض التى تصيب الرجال والنساء على حد سواء .

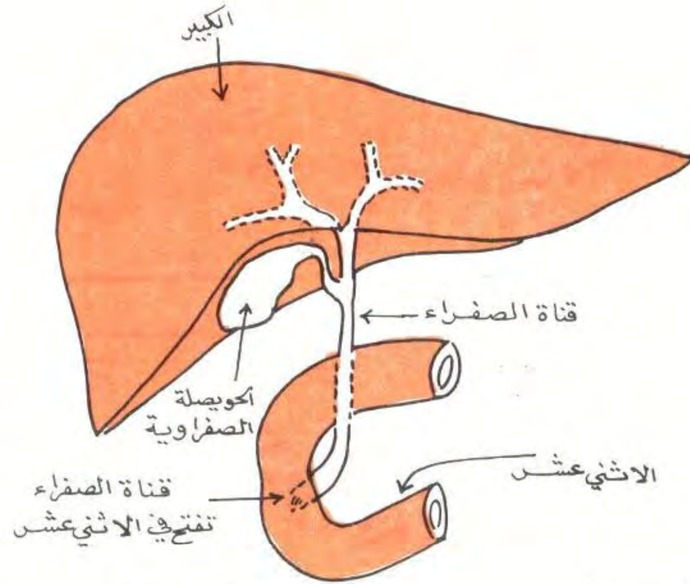
وتتوالى الاسئلة : ما هى الحويصلة المرارية ؟ وما وظيفتها ؟ وكيف يعيش الانسان بدونها بعد استئصالها ؟ ومتى ولماذا ينصح الاطباء بعمل هذه العملية ؟ وهل هناك مضاعفات لمثل هذه العملية ؟ وغير ذلك من الاسئلة العديدة .

الحويصلة المرارية :

هى عبارة عن كيس يقع فى الجزء السفلى من الكبد فى الجهة اليمنى فى أعلى البطن . هذا الكيس يتصل بالقناة المرارية الرئيسية بواسطة أنبوب صغير يحمل المادة الصفراوية من الكبد لتخزن فى الحويصلة فتتركز هناك ، وتبقى لحين الحاجة اليها عند تناول الوجبات ، خصوصا الدهنية منها ــ عندها تنقبض المرارة وتفرغ ما بها الى الامعاء لتساعد على عملية هضم هذه المواد الدهنية . من هذا يتضح أن العمل الرئيسى للمرارة هو خزن المادة الصفراوية وتركيزها ثم دفعها الى الأمعاء لتساعد على هضم المواد الدهنية . وبعد عملية الاستئصال يفقد الجسم هذا المخزن ــ وتنزل المادة الصفراوية الى الامعاء (والتى يبلغ حجمها حوالى لتر يوميا ١٠٠٠ سم^{3}) دون ما خزن ــ لذا لا يتأثر هضم المواد الدهنية ــ ولفقدان هذا المخزن يجد من استؤصلت مرارته صعوبة فى هضم كميات كبيرة من المواد الدهنية التى كانت تحتاج الى ما اختزن من المادة الصفراوية فى الحويصلة المرارية . لذا كانت النصيحة لهؤلاء المرضى بالحد من تناول هذه الكميات الضخمة من الاطعمة الدسمة .

الالتهاب الحاد :

ان أهم الامراض التى تصيب الحويصلة الصفراوية هى الالتهاب الحاد ، وتصيب فى معظم الحالات السيدات اللاتى يتمتعن بوزن ثقيل ، بعد سن الاربعين ، وقد انجبن أطفالا عدة ــ ولكن ليس معنى ذلك أن الرجال معصومون من هذا المرض ــ فكل سن معرض له ــ فلا غرابة اذن فى أن تصاب فتاة فى سن العشرين



أو رجل فى مثل سنها .

وتظهر الاعراض فجـــأة ويحس المصاب بألم شديد ومستمر ــ يزداد قسوة بين الحين والحين ، ويكون فى المنطقة العلوية اليمنى من البطن ــ تحت الضلوع ، وينتشر الى منطقـــة المعدة ، والى الظهر ، وفـــى بعض الحالات الى منطقة الكتف الايمن ــ ويصحب هذا الالم غثيـــان ــ وقيء ربما يكون لونه أصفـــر وذا مـــرارة شديدة ــ وهذه هى المادة الصفراوية ــ وتزداد حـــدة المرض ويشـــعر المصاب بقشعريرة وترتفع درجـــة حرارته .

وفى بعض الاحيان تنتفخ البطـــن لتجمع الغازات بها ، ويحدث امساك واذا حدث انســـداد فى مجـــرى الصفراء ، ظهر صفار فى بيـــاض العين ، وتغير لون البول الى اصفر داكن ــ ويحمل الالم الشديد المريض الى طبيبه ، ونصيحتى أن يكون ذلك فى أسرع وقت ممكن ، اذ أنه لو ترك الالتهاب وشأنه فقد تحدث المضاعفات منها انتفاخ الحويصلة وانســـداد قناتها مع امتلائها بصديد ربما أدى الى انفجارها ، فتسبب الالتهاب الحاد فى تجويـــف البطن ، أو أن يمتـــد الالتهاب الى الكبد . وكلمـــا كـــان العلاج مبكرا كلما كانت الاستجابـــة اليه سريعة ومفيدة اذا لم تحـــدث مضاعفات .

وعلاج مثل هذه الحالـــة هو أن يستريح المريض فى فراشه ، ويعطى سوائل خفيفة معظمهـــا من عصـــير الفاكهة المحلى بالسكر ، وعندمـــا تتحسن حالته يتناول كمية قليلة مـــن الأرز المسلوق ــ وصدر دجاجـــة مسلوقـــة ــ وفى حـــالات الالم يعطى المسكنات حسب رأى الطبيب ــ والأهم من ذلك هو المضـــادات الحيوية التى ساعدت كثيرا عـــلى شفاء هذا المرض ــ وتعطى حســـب رأى الطبيب (البنسلين ومشتقاتـــه الاستريتوميســـين وغير ذلك مـــن المضادات الحيوية) ، وأرجـــو أن أن يستمع المريض لطبيبه فيأخـــذ العلاج الكافى والمدة الكافية للراحة ، فلقد واجهت كثيرا من اولئك الذيـــن يتحمسون لترك الفراش والتوقف عن العلاج رغم نصـــح الطبيب لهم ــ قابلتهم وقد عاودهم المرض اشد مما كان ــ أو بعد حدوث مضاعفـــات لهم .

والفحص بعد الشفاء من النوبـــة الحادة هام جدا بما فى ذلك عمـــل اشعة على المرارة اذ ربما يكون بها حصى يساعد على هذا الالتهاب مـــن آن الى آخر ــ أو أن المرارة اصبحت لا تقوم بوظيفتها واصبحت بـــؤرة للالتهاب المزمن .

التهاب المرارة المزمن :

وهذا يحدث بعد الالتهاب الحاد اذا لم يعالج العلاج الناجع ، وترك الميكروب الذى أثر على المرارة دون أن يقضى عليه — فتعترض المريض نوبات حادة تتبع نشاط هذه الميكروبات — يزيد فى حدوثها اذا كان الغشاء المخاطى المبطن للمرارة ليس فى حالة جيدة أو أن هناك انسداد يعترى انبوب الحويصلة من آن الى آخر — أو وجود حصى فى المرارة — أو ضعف فى عضلاتها فلا تنقبض انقباضا كافيا يفرغ ما بها من المادة الصفراوية ، كما هو معروف عند الاطباء والمرضى « بكسل المرارة » ويحدث أيضا الالتهاب المزمن بعد اصابة المريض بالحمى التيفودية . فاذا ذهب المكروب الى المرارة اختزن بها وسبب بها التهابا مزمنا ويبقى الميكروب بها لسنين عدة ينزل مع الصفراء الى المعا ويخرج مع البراز ويكون المريض حاملا للميكروب الذى يسبب العدوى لكثير من الناس وخصوصا لو كان حامل هذا الميكروب يعمل فى حقل التغذية كطباخ مثلا .

ويشكو المصاب بالتهاب الحويصلة المزمن من عسر فى الهضم والاحساس دائما بامتلاء المعدة — وتزداد هذه الاعراض اذا تناول المصاب موادا دهنية وتكثر الغازات فى البطن — ويعتريه امساك مزمن — يتخلله اسهال فى بعض الاحيان .

هذا النوع من الالتهاب « كسل المرارة » والذى لا يكون مصحوبا بوجود حصى فى المرارة يمكن أن يتحسن اذا ما قلل المريض من الاطعمة الغنية بالمواد الدهنية — وقلل من وزنه اذا كان من أصحاب السمنة المفرطة ، واخذ ما ينشط المرارة ويجعلها تنقبض بصورة أقوى وتفرغ ما فيها : مثل كبريتات المغنيسيوم والتى تكون المزيج المعروف « بالمزيج الابيض » أو أقراص فاريكوليت وغيرها كثير .

واذا كان ممن يكرهون تعاطى الدواء فليأخذ ملعقة كبيرة من زيت الزيتون فى المساء فانها منشطة قوية للمرارة .

أما اذا صحب هذا الكسل نوبات التهاب حادة فيماد اعطاء المضادات الحيوية — وتختبر قوة انقباض المرارة من آن الى آخر ، فاذا كثرت النوبات الحادة رغم العلاجات الصحيحة الكافية وازداد ضعف المرارة — وأصبحت لا تقوم بوظائفها كما يجب — بل على العكس أصبحت مصدر تعب دائم للمريض فيستحسن ازالتها .

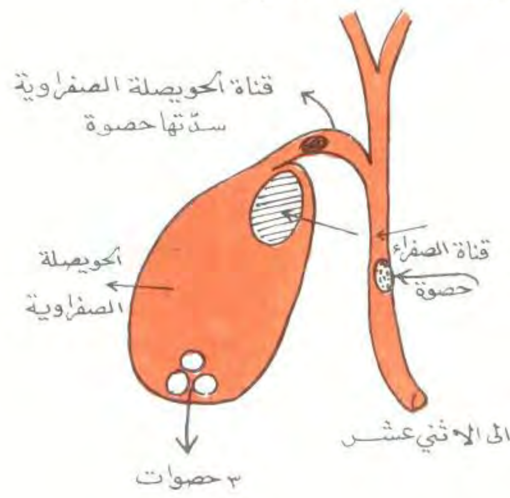
حصى المرارة :

وهذا يتكون فى الحويصلة نتيجة لالتهاب مزمن بها ، مما يؤدى الى تهتك فى الغشاء المخاطى فيجعله أرضا خصبة لترسب الاملاح الموجودة فى الصفراء ، وتساعد الميكروبات على حدوث ذلك وتضع نواة لهذه الحصى فتكبر وتكبر بمرور الوقت — أو يكثر عددها — ففى بعض الحالات تكون الحصى كبيرة حتى تملأ الحويصلة أو تكون هناك حصاتان أو ثلاث كبيرات — وفى الحالات الاخرى تبقى صغيرة وتكون عشرات وعشرات تملأ الكيس : —

وهناك أنواع ثلاث من الحصى :

أ — حصى تتكون من مادة الكوليسترول وهى نتيجة لاضطراب فى نسبة الكوليسترول الى الصفراء — فاذا زادت النسبة كثيرا ترسب الكوليسترول وتجمع على هيئة حصى .

ب — حصى مختلط : أى يتكون من أملاح عدة هى الكوليسترول



الحويصلة الصفراوية وقناتها

والكالسيوم والصفراء وغيرها — وهي كثيرة الحدوث وتكون دائما نتيجة لالتهاب مزمن بالمرارة .

ج — حصى ناتجة من تكسر الكرات الدموية الحمراء بكثرة وهذه تصحب أمراض الكرات الدموية الحمراء ونوع من فقر الدم ناتج من هذا التكسر الشديد المتكرر — كما هو الحال فى فقر الدم المنجلي .

ولقد وجد من الاحصاءات أن نسبة المصابين بحصى المرارة هي من ٥ — ١٠٪ وتصاب الأناث خمسة أضعاف الرجال .

والمرارة التي بها حصى غير سليمة وننصح نحن الاطباء دائما بازالتها اذ أنها تكون بؤرة مزمنة للالتهاب . يحس صاحبها دائما بآلام تعتريه لا فى منطقة المرارة فحسب بل فى مفاصل الجسم وأجزاء عدة منه زيادة على الاعراض التى ذكرتها فى كسل المرارة . والحصى فى المرارة لا يرجى نزوله كما هو الحال فى حصى الكلى والحالب — بل على العكس يزداد عددا وحجما . اذن فليس هناك أمل فى الانتظار لينزل الحصى أو ليتخلص الانسان منه بأى وسيلة — ثم لا يوجد علاج لذوبان أو ازالة حصى المرارة حتى يتريث المريض ويؤجل العملية .

والحصى فى المرارة يسبب مضاعفات عدة ربما كانت فى بعض الحالات خطيرة ، فربما تحركت احدى الحبات الصغيرة وذهبت وسدت القناة الصفراوية مسببة مغصا شديدا ويرقانا فى الجسم ، بما فى ذلك اصفرار بياض العين ، مع تلون البول باللون الاصفر الداكن واذا حدث التهاب نتيجة لهذا الانسداد أحدثت رجفة للمريض مع قيء شديد — وتتحرك هذه الحصوات على فترات متقطعة تكون النوبات التى ربما سببت انسدادا مؤقتا فى قنوات الكبد الصغيرة ، مسببة تليفا فى الكبد ، خصوصا اذا طالت مدة الانسداد المرارى واذا تعسر اجراء العملية ربما سببت هبوطا فى عمل الكبد وما يكتنف ذلك من أخطار ربما أودت بحياة المريض .

والحصوات اذا ذهبت الىّ القناة المرارية الرئيسية ربما سدت قناة البنكرياس — وحدث ذلك المرض الخطير وهو التهاب البنكرياس الحاد واذا قدر للحصاة أن تترك القناة المرارية وتذهب الى الامعاء الدقيقة ربما سببت فى بعض الحالات انسدادا فى الامعاء وما يصحب ذلك من انتفاخ فى البطن وقيء شديد . ولا بد من اجراء العملية لازالة الحصاة التى سببت الانسداد .

ومن هذا يتضح جليا لماذا يصر الاطباء على اجراء العملية اذا كان هناك حصى فى المرارة لتعرض

المريض للمضاعفات ولخطورة هذه المضاعفات .

على أن هناك من المرضى من يستثنون من اجراء العملية وهم أولئك المسنون الذين لا يقوون على تحمل العملية — والذين لا يشكون من آلام أو اعراض الانسداد المرارى — فهؤلاء يتركون وشأنهم وتحت المراقبة الطبية للتدخل الجراحى اذا لزم الامر . فلقد وجد أن هناك بعض الاشخاص تكتشف فيهم الحصى فى المرارة عفوا عند عمل أشعة لهم دون أن يشكو من أى أعراض طوال حياتهم .

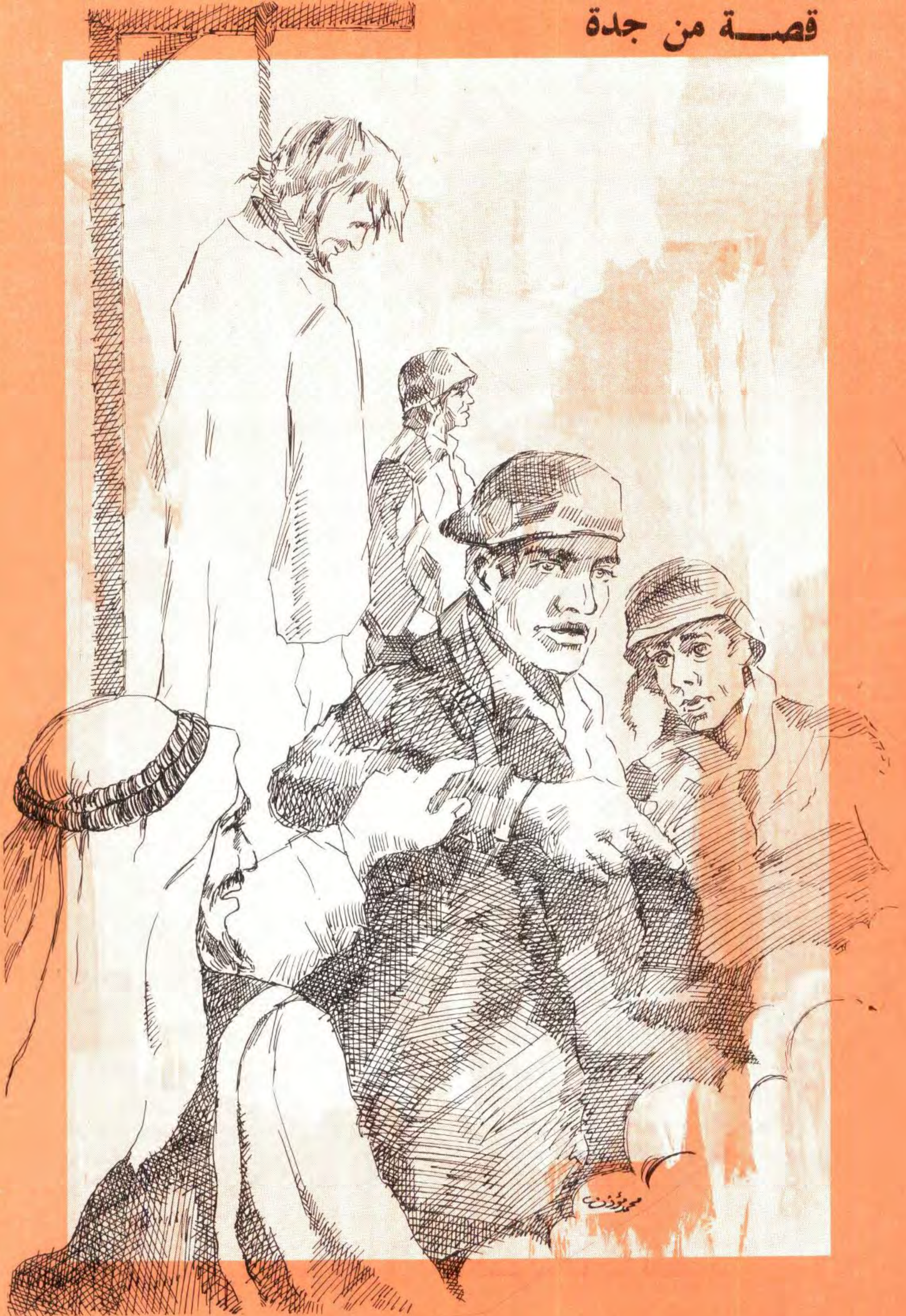
ويكون السؤال هل للعملية خطورة ؟ وهل من مضاعفات ؟ .

كما هو الحال فى كل عملية كبيرة تكون هناك الخطورة والمضاعفات ، ولكن لو قيست هذه بالمضاعفات التى تحدث لو تركت الحصوات وشأنها لرجحت كفة اجراء العملية ، واذا اجرى العملية جراح مختص قدير لوجدنا أن نسبة المضاعفات تقل كثيرا الى حد أنها تكون طفيفة جدا . فمثلا لا بد من التأكد بأنه لم تترك أى حصاة بعد استئصال المرارة فى القناة المرارية الرئيسية سواء فى اعلاها أو فى اسفلها اذ أن ذلك يسبب انسدادا بعد العملية يحتاج المريض بعدها لاجراء عملية أخرى — وكذلك التأكد من عدم وجود ميكروبات أو القضاء عليها بواسطة المضادات الحيوية حتى لا يتعرض الجرح للالتهاب وتجمع الصديد فى مثل هذه الحالات . على أنه لو سارت الامور على ما يرام دون أى مضاعفات اثناء أو بعد العملية فان مدة الاقامة بالمستشفى تتراوح بين أسبوع واثنين ، يخرج المريض بعدها ليواجه حياة دون حويصلة مرارية . وفى معظم الحالات لا يحدث ما يعكر صفو حياته شريطة أن يأخذ التدرج فى كل عمل يقوم به ، وليكن معتدلا : لا اسراف فى الطعام ، ولا اطالة فى السهر وساعات العمل ، ولا اجهاد جسمانيا أو نفسيا ، فكلها تؤثر على مجرى حياته الجديدة . وليبتعد بادىء ذى بدء عن الاطعمة الدسمة ولتكن أكلاته مسلوقة أو شواء فان هضمها يكون سهلا عليه ، دون ما حاجة الى المختزن من الصفراء الذى فقده بفقدان الحويصلة المرارية .

وفى بعض الحالات تعترى الشخص بعد العملية ما يسمى بالاعراض بعد ازالة الحويصلة وتتلخص فى حدوث اصفرار بالعينين والجلد مع ارتفاع فى درجة الحرارة ، وربما رجفة فى الجسم مع ألم وقىء وهناك احتمال انسداد جديد مع التهاب فى القنوات المرارية سرعان ما تتحسن حالة المريض بالعلاج بالمضادات الحيوية مع الراحة وتناول السوائل لفترة يومين . ومعنى ذلك أنه يجب أن يفحص المريض فحصا دقيقا لاحتمال انسداد جديد والتدخل الجراحى اذا لزم الامر .

من الواضح اذن أن امراض الحويصلة المرارية من الامراض المنتشرة ، ولكن ليس معنى ذلك أن كل من يشكو من ألم فى منطقة المرارة أن يكون مصابا بها ففى هذه المنطقة تقع الاثنى عشر والقولون والكلى اليمنى والكبد — وربما تكون هذه مصابة بمرض ، وما أكثر الاخطار التى يتعرض لها الاطباء والمرضى ويعتبرون أن الألم فى المنطقة اليمنى من اعلى البطن ما هو الا « مرض بالمرارة » ويجب للوصول الى التشخيص الدقيق أن تجرى الفحوصات اللازمة بما فى ذلك عمل أشعة ملونة على المرارة ، للتأكد من مرض الحويصلة المرارية ، واتخاذ الخطوات اللازمة للعلاج .

قصـــة من جدة



وفوجئ الناس بالمشانق

للأستاذ محمد المجذوب

وقعت أحداث هذه القصة فى أواخر القرن الثالث عشر الهجرى ، وفى مدينة جدة بالذات . . .

كان الهدوء يغلب على كل شىء . . الناس والاشياء على السواء ، حتى الميناء الذى يستقبل العديد من السفن الشراعية ، والقليل من المراكب البخارية التى لم تكن قد انتشرت كثيرا بعد ، لا يزال محافظا على وقاره الذى ورثه عن الاجيال الغابرة . . فالبضائع التى ترد من مختلف الانحاء ، تحملها الروافع الحديثة ، وتنقلها الشواحن الضخمة ، فى موكب من ضجيج الآلات ، ما تكاد تشرف على ميناء جدة حتى تجليبها الأناة ، فتنتقل من السفن الى المستودعات بأيدى العمال ، وعلى ظهورهم ، ثم ترفع الى متون البغال والحمير والابل ، أو ترص فى العجلات البدائية تجرها هذه الحيوانات المذللة الى قلب المدينة أو الى خارجها . . دون أن تزعج عابرا ، أو تقلق نائما ، وذلك على الرغم من كل النشاط الذى يستحوذ على الجميع . .

وكانت القناعة هى القدر المشترك الذى يشمل الناس جميعا على اختلاف أعمالهم ومهامهم ، لان الحياة لم تزل محتفظة بأصولها البسيطة ، لم يتسلل اليها الكثير من ذلك التعقيد الذى بدأ يهاجم أوضاع الناس فى العالم الغربى ، فيعرضهم كل يوم لنوع جديد من الحاجات ، كلما امدهم بضرب حديث من الانتاج الذى تحدثه الآلات . . .

وهكذا كان كل شىء يجرى فى تؤدة لا يمسه التغيير الا قليلا . فالتعليم على طرائقه الموروثة من عهود الحضارة الاسلامية ، أكثر ما يقوم فى المساجد ، حيث تتألف حلقات الشيوخ ذوى الفضائل الخلقية ، التى لم يكن أثرها فى قلوب العامة وسلوكهم أقل عمقا من متونهم وشروحهم . . .

حتى الكتاتيب القليلة التى يديرها بعض المعلمين خارج نطاق المساجد ، لا تختلف عنها من حيث الاتجاه العام ، الذى يجعل القدوة الصالحة غايـــة التعليم . .

ومن هنا كان الطابع الاجتماعى متقارب الالوان فى سلوك الناس ، يستمد كله من ذلك الرافد الخلقى الذى يتلقونه من تلك المناهل . . . فهو يطالع الانسان حيثما كان ، وانى ذهب ، فى البيت ، والسوق ، والمصنع . . وفى كل شىء . . ولعل أكثر ما يكون تألقا فى ذلك التعاون الكريم الذى يجمع الناس كلهم فى رباط من الاخاء الروحى ، الذى لا يهمل فيه محروم ، ولا يضيع فى كنفه بائس . . فاذا شح الماء ، وكثيرا ما كان يشح فى جدة أيامئذ ، تساوى فى التأثر بـــه الفقير والغنى على السواء . واذا اقبل الشتاء بلذعه ولسعه لقى المعسرون من عون الموسرين ما يوفر لهم الدفء والشبع . .

هذا فى الايام العادية ، فاذا جاء رمضان فاضت مواسم الخير من كل جانب ، ولربما انتقل به الفقير من حالة الاخذ الى موقف العطاء ، فيبذل مما بذل له ، وبذلك يشترك الناس جميعا فى صفات المواساة . .

ولم يكن الناس هنا فى معزل عن أنباء العالم وتطوراته ، بل على الضد من ذلك ، فهم عن طريق هذا الميناء القديم قدم البحر الاحمر ، يتلقون اخبار الشرق والغرب ، وكثيرا ما تصـــلهم الصـــحف العربية والتركية الصادرة فى مصر أو الاستانة ، فيقرؤها القارعون ، ثم يتحدثون بما فيهـــا للآخرين ، فاذا مضامينها تنتشر هنا وهناك . وكثيرا ما يحمل الوافدون او العائدون عن طريق هذا الميناء ما لا تتسع له جداول الصحف من الانباء المتعلقة بمجرى الاحداث فى دولة الخلافة ، أو بمجرى التطورات الكبـــرى فى جوانب العالم ، وبخاصة العالم الغربى ، الـــذى اخذ يتمطى بقوة عجيبة ، فيمتد فى كل اتجاه ، ويكتشف كل يوم جديدا من الغرائب التى لم تمر فى تصورات أحد من قبل . . . فاذا جاء موسم الحج انتقلت الدنيا الى جدة ومكة ، وانتقل معها من أخبار هذه الوقائع ما لا مزيد عليه ، مما ينتقل بالروايات الظنية الى دائرة العلم اليقينى . .

وكان فى هاتيك الاحاديث ما يسر الناس ويحزنهم ويثير تطلعاتهم . . ولعل أشدها اثارة لمشاعرهم تلك الاعتداءات الحمقاء التى يشنها الافرنج على بلاد الاسلام فى آسية وأفريقية ، حيث جعلوا يستغلون مكتشفاتهم العلمية فى غزو المسلمين ، واحتلال ديارهم ، دون أن يستطيع هؤلاء لهم دفعا ، على الرغم من بسالتهم التى تضرب بها الامثال ، لان العدو يقاتلهم بسلاح العلم الجديد وبخاصة تلك القذائف الشيطانية التى تدمر كل ما تصيبه عن بعد عشرات الاميال ، وهم يقاتلونه بما ورثوه من سلاح الاجداد ، الذى لا جدوى له الا فى زحمة التلاحم !.

وقد بدؤواهم ــ سكان جدة ــ يلمسون عن كثب بوادر هذا العدوان فى دسائس المبعوثين الدبلوماسيين من الاوروبيين ، الذين يطلقون عليهم كلهم لقب الافرنج . . فهؤلاء الخبثاء الذين جاءوا البلد بحجة الرعاية لمصالح بلادهم التجارية ، ما لبثوا أن أقاموا من انفسهم شبه حكومة داخل حكومة

البلاد ، اذ جعلوا منازلهم ملاذا لكل خبيث ولكل مجرم ، فاذا تسلل أحد هؤلاء الى داخلها أحيط بالحماية التى تمنعه من كل ملاحقة .. حتى الارقاء قد بدؤوا يجدون فى ظلها ما ينقذهم من كل تبعـــة ، ففى وسع أى منهم أن يقتل سيده ، أو ينتهب ماله ، ثم يأوى الى هذه المنازل الاجنبية ، فاذا هو من عاقبة ما صنع فى حصن منيع .. الامر الذى أشاع البلبلة فى وجود الناس وعرض مصالحهم للخطر ، فبات ينذر بأسوأ العواقب .. وها هى ذى أنباء الطائف التى يحملها المسافرون تؤكد أن فريقا من البدو ، الذين نكبوا بفرار عبيدهم الى منازل هؤلاء الفرنج لم يتمالكوا أن شنوا الغارة على سكانها ، فراحوا يصلونها نارا حامية من بنادقهم ذات الطلقة الواحدة ، ثم لم يعودوا الا بعد أن استردوا ما وجدوه من عبيدهم ، وسجلوا عددا من الاصابات فى أجساد اولئك المحرضين لهم على الفرار . وهى لا شك فتنة من شأنها أن تجر الى فتن ، لان كثيرين مستعدون لشن مثل هـــذه الغارات على أولئك الاشرار ، غير عابئين بما تجر وراءها من كوارث تتجاوز عواقبها كل تقدير ، اذ تكون حجـــة صالحة لتلك الدول العدوة ، تعطيها فرصا جديدة لزيادة المتاعب التى تعانيها دولة الخلافة .. وهذا ما يبعث القلق فى نفوس العقلاء ، اذ يخشون أن يرتفع ضغط الالم فى نفوس العامة الى حد الانفجار ، فينفسون عن صدورهم بألوان من الانتقام لا تلبث أن تعدو دائرة بيئتهم المحلية الى المستوى العالمـــى .. ولذلك فهم دائبون فى نصح الناس ، وتحذيرهم من التسرع الذى لا تحمد عقباه .

ومما يضاعف قلق هؤلاء العقلاء ما يعلمونه وما يرونه من اضطراب الاوضاع العامة فى أنحاء هذه الدولة الاسلامية كلها من أقصى الهنـــد الى أقصى البلقان .. فقد استشرت دسائس الصليبية فى معظم هذه الشعوب التى تحكمها ، فهى تحرضها ليل نهار على الانتفاض واشعال الثـــورات ، وتمدها من أجل ذلك بكل وسائل التخريب ، ثم تعمد الى التآمر فيما بينهـــا فتدفع الشرق الى انتقاص أطرافها ، وتحرك عليها كل ذى طموح من ذئاب الغرب ، ثم توقد نيران الفتن الطائفية هنا وهناك . لتضطر الى مهادنة هؤلاء وأولئك من أعدائها . وبذلك أصبحت نهبا لمختلف التيارات تهب عليها من كل مكان ، فلا تعرف كيف تصدها ، ولا تكاد تعرف المصدر الذى يمدها .. حتى طمع بها من لم يكن يستطيع الدفع عن نفسه !.

وقد كان ذلك كله محتملا بنظر هؤلاء العقلاء ، لو سلمت الصفوف الداخلية من أسباب الفرقة والشـــحناء ، ولكن ... أين هذه السلامة ، والبادية ملتهبة بجاهليتها الجـــديدة ، والثغور العربية مرتـــــع خصب للدسائس الرهيبة ، وحتى جهاز الحكم نفسه فى هذه الديار لا يخلو من التنافس الصغير ، الذى لا يقيم وزنا للآلام الكبيرة ، التى تقاسيها الامة .. وها هم أولاء أشراف مكـــة وحكامها الاتراك على خلاف مستمر ، يختفى حينا ويبرز أحيانا ، وقد انقسم السكان أنفسهم الى أنصار لهؤلاء وأعوان لاولئك .. حتى كادت تنطمس معالم العدالة ، فلا يطمح ضعيف الى حق ، ولا ييأس قوى من باطل ...

وأطل (بومباى) من بعيد يتهادى على اثباج اليم ، وقد لاح لصاحبه

(با سعيد) كطائر الماء يرف بجناحيه باحثا عن الفريسة ، ثم ما يزال يتضح ويكبر ، حتى اذا شارف الميناء بدا كاحدى هذه القلاع التركية الناهضة على قمم المرتفعات لحراسة الطرق ، وتأمين سبل القوافل ..

وبا سعيد هذا تاجر حضرمى لزم هذه البلاد منذ طفولته ، وقد بدأ حياته العملية مستخدما صغيرا لــدى أحد تجار جدة ، فما ان بلغ سن الشباب حتى بات مؤهلا للاستقلال بعمل تجارى صغير ، ما زال يكبر ويتسع حتى أمسى فى مقدمة المتاجر ، التى لا تكتفى بتصريف السلع المحلية وما اليها من الاشياء الصغيرة ، بل تمتد حتى تصل ما بين بومباى وجدة ... وها هوذا مركبه الهندى الضخم يحمل اليه اليوم ما خف وغلا مـــن منتوجات تلك البلاد ...

دخل (بومباى) ميناء جدة تحت العلم البريطانى ، اذ كان با سعيد قد اشتراه من ذلك الثغر الهندى ، وسجله على اسمه هناك .. وما كان له مندوحة من أن يرفع على ساريته السامقة تلك الراية التى لا أجدر منها باكسابه الحماية أثناء رحلته الطويلة .. ولكن كان ضيق الصدر جدا بهذه الخرقة شديدة البغض لاهلها ، لانه عميق الايمان بأن معظم الكوارث التى ألمت وتلم بالمسلمين ، حتى ساعته تلك ، انما هى وليدة مؤامرات هذه الدولة الباغية ، التى لا تنفك حاملة لـــواء الغدر والعداء لامة محمد ، منذ عهد ذلك الصليبى المتعصب ريتشارد الى يوم الناس هـــذا ... ومما يزيد فى حقده على هذه الراية وأهلها ما يشاهده ، اثناء سفراته الكثيرة فى بلاد المسلمين ، من طغيان الانجليز ودسائسهم وكيدهم لاهل الاسلام ، فيمتلىء يقينا بأن ما يلمسه من حاضرهم المشئوم هـــذا انما هو امتداد لذلك الماضى الملعون الذى سجله آباؤهم أثناء عدوانهم على ديار المسلمين فى حروبهم الصليبية المتوحشة ، مما لا يستطيع نسيانه ، ولم تبارح أشباحه مخيلته ، منذ أن طالع أخباره فى بعض كتب التاريخ ...

ولبث با سعيد يراقب مركبه العزيز من على رصيف الميناء حتى ألقى مراسيه على مبعدة قليلة ، وهناك وثب الى قارب « التجريم » الذى سبح للاتصال بـــه ، وما ان داناه حتى قفز اليه .. ولم ينس أن يوجـــه الى بحارته تحية جامعة وهو يأخذ طريقه باتجاه السارية الكبرى . وبمثل رشاقة البحار المحترف جعل يحل عقدة الحبل المتصل بالراية ، ثم يسحبها ، حتى اذا صارت فى متناول يده شرع يفك أربطتها بعصبية بالغة ، ثم يقذف بها الى ظهر السفينة ، وبسرعة فتح الكيس الذى يحمله ، واستخرج منه العلم العثمانى فعلقه مكانها ،وجعل يشد به الى الاعلى ، حتى اطمأن الى احتلاله المكان المناسب ... ومن هناك ألقى عليه نظرة ابتهاج تمازجها بسمة الانتصار وهو يخفق فـــى اعتزاز ... ومن ثم عاد الى بحارتـــه يصافحهم واحدا واحدا ، ويسألهم عن صحتهم ورحلتهم ، مهنئا اياهم بسلامة الوصول ...

كان المبعوث الانجليزى جالسا مع مدعويه من قناصل الدول الاجنبية فى شرفة داره المطلة على الميناء عندما طالعهم بومباى من أبعاد الافق ... وأخذ بعضهم يحدق اليه بالمنظار المكبر ليستطلع هويته ، ولكن لم يستطع

البت بشأنها ، فناوله جارا له ، ولكن هذا أيضا لم يتمكن من تحديدها ... وهكذا جعلوا يتداولون المنظار حتى اقترب المركب الى المدى المساعد ، فلم يبق لديهم شك فى جنسية العلم . ولاحظ الانجليزى حركة انزاله من خلال المنظار ثم استبدال العلم العثمانى به ، فلم يتمالك أن يقفز من مكانه كأن جمرة لذعته .. وراح يرطن بالسباب والشتائم ، ثم ينطلق دون استئذان من زملائه الى عربته فيصرخ بحوذيه العربى ، ثم يأمره بالاتجاه الى قلب الميناء ... وما هى الا فترة وجيزة حتى كان على ظهر المركب ، وهناك جعل يشق الطريق بين البضائع والملاحين دون كلام حتى انتهى الى السارية وأخذ يسحب حبل العلم حتى استقر فى يده ، ولم يكتف بتمزيقه وطرحه على الارض ، بل راح يدوسه ويركله فى فورة جنونية ، ثم أعاد العلم الانجليزى الى مكانه ، حتى اذا استقر فى أعلى السارية تراجع الى الوراء قليلا ، ثم أخذ له التحية فى وضع عسكرى صارم .. ومن ثم استدار ليعود الى البر ، حيث امتطى عربته فى الطريق الى البيت .. واتجه الى مقعده بين الزمـــلاء فى صمت مثير ، وقد ارتسمت على محياه الشديد البياض ، وفى عينيه الحادتى الزرقة ، بوارق تترجم عما يختلج فى أعماقه من مشاعر الزهو ، كالمصارع المنتصر بعد جولة مرهقـــة ...

ولم ير القناصل حاجـــة لسؤال زميلهم عما حدث ، اذ كانوا قد شاهدوا نزول العلم البريطانى .. وشاهدوه حين رفعه ... ولا شك أنهم معجبون بجرأته وغيرته على كرامة دولته ، وان كانوا يرون أن الطريق الى حفظ الكرامة لم يكن محصورا بهذا التصرف الاخرق ، بل كان خيرا منه أن يتصل بممثل الحكومة العثمانية فى جدة فيحتج لديه ، وينذر بوجوب الاسراع لاصلاح الوضع ... على أنهم جميعا واثقون أنه لن يكون لهـــذا العمل أى رد فعل ، لانهم مدركون أن دولهم ، الناهضة المتيقظـــة الدائبة على اضعاف دولة الخلافة ، لن تدع لهـــذه أية فرصة للاحتجاج فضلا عن الانتقـــام .

وانى للرجل المريض ــ وهو بنظرهم هذه الدولة ــ أن يفكر بالانتقام أو الثأر لايـــة مهانة توجه اليه ، بعد أن فقد كل قدرة على التحرك ، ولم يعد يجد سبيلا للدفاع عن نفسه الا بالاعتماد على هـــذه أو تلك من دولهم نفسها ... بعد أن بلغ من القوة ذات يوم ما مكنه من تهديد العالم الغربى كله ، وأعطاه الحق أن يخاطب أعظم أباطرتهم باللهجـــة التى يخاطب بها أصغر خدمه !...

وشاء الله الا يشاهد با سعيد عمل القنصل الانجليزى ، اذ كان غائبا تلك الساعة عن منطقة الميناء ، لانجاز معاملات السفينة لدى نائب الوالى ، ولكنه ما ان عاد فبصر العلم البغيض يخفق فوق سارية مركبه حتى أدرك كل شىء .. وأقبل عليه البحارة يروون له ما حدث .. ويعتذرون اليه عن سكوتهم بضعف امكاناتهم ، وايثارهم الانتظار ريثما يحضر ...

وطار صواب با سعيد حين علم بمصير الراية العثمانية ، وما أصابها

من الهوان على يد ذلك العلج ، فلم يجد متسعا للتفكير بالذي يجب أن يصنعه ، وأطلق لاعصابه العنان فراح يصرخ بالحمالين والملاحين والموظفين ، يثير غيرتهم ويحرك مروءتهم ... ومضى على وجهه لا يدرى أين يذهب ، ولا ينقطع عن الكلام فى موضوع الجريمة ... ومر ببعض المقاهى ، وقد اكتظت بالعمال والغرباء ، فوقف يخطب فيهم بلهجة لا تنقصها بلاغة التأثير ... : أين الدين ؟ .. أين الشرف ؟.. أين الغيرة ؟..

وسرعان ما سرت عدوى الانفعال فى أعصاب الناس فاذا كل واحد منهم با سعيد . وما هى الا ساعة أو دونها حتى كان جمهور من العامة يقتحم دار المعتدى الانجليزى ، واذا هذا بعد قليل مقيد الرجلين بحبل من الليف المجدول ، يسحب على وجهه فى شوارع جدة ... وتداعت الذكريات المختزنة فى صدور العامة ، وعاودتهم أشباح المآسى التى تنزلها دول هؤلاء الاجانب فى دولة الخلافة ، والدور التجسسى الذى تقوم به جالياتهم فى بلاد المسلمين ، فاذا ثورة عاصفة تجتاح بقايا الوعى فى نفوس العامة فلا تفرق بين انجليزى وفرنسى ويونانى وايطالى و ... واندفعت الجموع كالسيل تفتش عن منازلهم ، وتقصد الى حوانيتهم ... فلا ينجو من غضبتها الا من لاذ بجار من المسلمين أو التجأ الى دار الحكومة ...

وأقبل مساء ذلك اليوم على جدة ... ولا حديث فيها لأحد الا موضوع الانتفاضة التى زلزلت أكنافها ، وصرفت العامة عن حياتهم الرتيبة الهادئة الى هزة لم يعتادوا مثلها من قبل ، ولا يقدرون عواقبها من بعد ...

وكان الناس ، الا أولئك العقلاء ، يستشعرون الرضى عن أحداث يومهم ، اذ أحسوا أنهم لاول مرة يتاح لهم أن يثأروا لدينهم ولدولتهم من هؤلاء الاعداء الذين ما زالوا منذ مئات السنين يجرعونها صنوف الارزاء ..

ومرت الايام .. وكاد الناس ينسون تلك الاحداث ، حتى استيقظوا من غفلتهم ذات صباح على دوى القذائف الرهيب يملأ أسماعهم ، وعلى سحب الدخان تنتشر هنا وهناك من أنحاء بلدهم ...

وتراكض الناس يستطلعون الخبر ، فاذا هم ببارجة انجليزية من الاسطول الهندى ترجم جدة بمقذوفاتها الجهنمية ، فتريهم منها لأول مرة مالم يعرفوه من قبل الا عن طريق السماع .. وكان الرمى مركزا على جوانب معينة من البلد تكاد لا تتجاوز المنطقة التى شهدت ثورة العامة قبل اسبوعين ..

واستمرت المحنة طوال ساعات ، وسقط من جرائها عدد من الابنية . وعلى الرغم من عدم تمرس الناس بوسائل الوقاية من هذه الرجوم ، فقد أدركوا بفطرتهم ما ينبغى عليهم لحماية أنفسهم ، فلزموا الطبقات السفلى من مساكنهم وبذلك سلمت النفوس ، وقلت الاصابات بين الناس ..

واجتمع مجلس الحكم برئاسة والى مكة لبحث الموقف ، فقر الرأى على ارسال وفد فى قارب يرفع الراية البيضاء ، ويصطحب أحد المترجمين الى مواجهة البارجة ، ليقولوا لقائدها : « ان البلد جزء من الدولة العثمانية ، وضربه من قبله بمثابة اعلان حرب عليها ، وخير من ذلك احالة الموضوع لمسئولى الدولتين .. هذا مع احاطته علما بأن الحكومة المحلية جادة فى ملاحقة الثائرين والمحرضين ...

ونجحت الوفادة ، وكف الضرب عن البلد .. ولكن البارجة ظلت مرابطة تجاه المدينة لمعرفة النتيجة ...

وأخذت المراجعات الدبلوماسية طريقها بين الدولتين ، حتى انتهت الى الاتفاق على تسيير لجنة خاصة من عاصمة الخلافة للتحقيق فى الاحداث ، ولاصدار الاحكام الرادعة .. وما هى الا أيام حتى وصلت اللجنة السامية الى مرفأ جدة ، وباشرت التحقيق مع الموقوفين ...

وسلك المحققون مع هؤلاء أسلوب الاغراء ، فأخذوا يطرون غيرتهم ، ويمجدون رجولتهم .. وأكدوا لهم أنهم سيرفعون الى الباب العالى قائمة بأسماء الرجال الذين نهضوا بأكبر الاعباء فى نطاق هذه القضية ، لتصرف لهم المكافآت السخية ، والتقديرات الوفية ...

وكان الاسلوب مقنعا وجذابا لعواطف الموقوفين ، فراحوا يتدفقون بالاعترافات المفصلة ، ويعينون أسماء المجلين فى تلك الحلبة ... حتى اذا استوفيت التحقيقات ، صدرت الاحكام التى سبق تقديرها قبل تحرك اللجنة من دار الخلافة ...

وكم كانت الصدمة بالغة عندما فوجىء الناس بالمشانق فى منطقة الميناء ، وقد تدلى منها اثنا عشر من أعيان جدة وعمالها .. كان على رأسهم التاجر الحضرمى الشهيد با سعيد ...



×) تلقينا أصول هذه القصة من فقيد جدة الغالى الشيخ محمد نصيف تغمده الله برحمته ورضوانه .

الاثرة ، وحب الذات جانبـــــا ، مستعيذين بالله من الشـــيطان ، معرضـــــين عن كل ما يؤدى الى الانحـــراف أو الذبذبة فى العقيدة اذ الانحـــراف فى العقيدة اضـــطراب وذبذبة وسبيل جائرة حائرة . ومرض فى القـــلوب يملأ الحيـــاة ظلمة ومخـــاوف ، فالمنحرف فى العقيدة لا يستطيع أن يتخذ لنفسه ســـبيل طمأنينة .

ومن تأمل قول الله ســـبحانه وتعالى : ((**فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا**)) تبين له كيف كان الايمان معتصما لصاحبه ، ومشـــعلا لهدايته ، وثباتا لقدمه ، روت كتب السنة : ((**أن قوما جاءوا الـــى الرسول صلى الله عليه وسلم وهـــم يدعون الايمان فقال لهم : أتصبرون عند البلاء قالوا : نعم . قـــال : اتشكرون عند الرخاء ؟ قالوا : نعم . قال : اتصبرون عند الحـــرب ، واللقاء ؟ قالوا : نعم . فقال صلوات الله وسلامه عليه : مؤمنـــون ورب الكعبة**)) **وقال** : ((**المؤمن كله منفعة ان شاورته نفعك ، وان شاركتـــه نفعك ، وان ماشيته نفعك ، فأمره كله منفعة**)) . **وقال** : ((**عجبا لأمـــر المؤمن ان أمره كله خير ، وليس ذلك الا للمؤمن ان اصابته سراء شـــكر فكان خيرا له ، وان اصابته ضـــراء صبر فكان خيرا له**)) . **ويقـــول** : ((**المؤمن القوى خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف**)) .

والايمان تتفق الى الدعوة اليه كل الشرائع . ويوجه اليه كل الفلاسفة والمفكرين . وان اختلفت متعلقـــاته بينهم فقد جاء فى انجيل متى ((**الحق أقول لكم أن كان لكم ايمـــان ولا تشكون ثم قلتم للجبل انتقل فيكون ، وكل ما تطلبونه مؤمنين تنالون**)) . ويقول (باكـــون) أحد العلمـــاء الطبيعيين : ((**والحقائق الدينيـــة لا تظهر لنا باطلة الا لضعف معارفنا**)) ويقول (ايزنهاور) : ((**بغير الايمان بالله والعودة اليه لا تستطيع أن تحيا حكومة**)) وقد قلنا من قبل ان الرسول صلوات الله عليه بين أثر الايمان فى نفوس المؤمنين وصقله لهم فى قوله : ((**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وكالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجســـد بالحمى والسهر**)) وهذا قول اللـــه تعالى : ((**قد أفلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون . والذين هـــم عن اللغو معرضـــون . والذين هـــم للزكاة فاعلون . والذين هم لفروجهم حافظون ..**)) .

اللهم أرزقنا الايمان وحببه الـــى نفوسنا ، وأهدنا اليه يا رب العالمين ، واجعلنا من المؤمنين العاملين ، وكره الينا الكفر والفسوق يا رب العالمين، وجنبنا الزيغ والانحــــــراف واهد الزائغين الضالين يا رب فان ترحمهم بهدايتك فهم عبادك .

اللهم أدم للقلوب المؤمنة ايمانهـــا ليدوم لها أمنها وهداها ، ربنـــــا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب .

الفتاوى

طهارة الثــوب

السؤال :

هل تجوز الصلاة بالملابس التى تغسل مع ملابس الاطفال .. ؟

أ. م ـ الكويت

الجواب :

ان طهارة الثوب واجبة للصلاة ، وينبغى على كل مسلم ومسلمة أن يتنزه قدر استطاعته عن القاذروات والنجاسات .. وهذا مظهر المســـلم الــكامل يقول الله تبارك وتعالى : ((وثيابك فطهر)) .

ولا مانع من الصلاة فى الملابس التى تغسل مع ملابس الاطفال على شرط تطهيرها بعد ذلك بالماء الطهور .

والذى نراه أنزه وأفضل عدم الجمع بين ملابس الصغار والكبار . ويغسل كل منهما وحده ما دام هذا لا يؤدى الى الحرج .

انصـــاف الزوجة ..

السؤال :

يدعى والدى أن زوجتى لا تطيعه وطلب منى طلاقها وأنا أحبها وان طلقتها فلا قدرة لى على الزواج .. فماذا أصنع .. ؟

هاشم الصنعانى ـ اليمن

الجواب :

قال الله تعالى فى سورة النساء ((واعبدوا الله ولا تشركوا به شــــيئا وبالوالدين احسانا)) . وقال فى سورة الإسراء ((وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا)) . وسئل الرسول صلوات الله وسلامه عليه عن منزلة الوالدين وأجاب الســـائل بقوله : ((هما جنتك ونارك)) . وقد حذر القرآن الاولاد من عقوقهما ورغب فى التودد لهما حتى فى الحالة التى أمرت الشريعة عندها بعصيانهما ، يقول الله تعالى : ((وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما ، وصاحبهما فى الدنيا معروفا)) . الا أن الشريعة تلزم المســلم مع ذلك أن يعطى كل ذى حق حقه : فاذا كان للوالدين حق . فكذلك للزوجة حق ، ومن العدل أن تعطى كل ذى حق حقه . وعليك أن تراجع والدك برفق ، وأن تشدد على زوجتك بالنصح ، وهذا هو طريق المؤمنين ، ولا بأس عليك أن تمسك عليك زوجك .

عقم الزوج .. ؟

السؤال :

هل للمرأة أن تطلب الطلاق اذا ثبت أن زوجها عقيم .. ؟

أبو خالد — الاردن

الجواب :

ليس عقم الرجل من العيوب التى يرد بها الزواج ولا يثبت للزوجة بمقتضاه الخيار فى فسخ نكاحه ولو بعد الرفع الى القاضى — كما يرى فقهاء الشافعية . فاذا كانت المرأة لم تعد تطيق عشرة الزوج فان لها أن تختلع منه استنادا الى قول الله تعالى : ((فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به)) .. وروى الامام البخارى رضى الله عنه أن أم حبيبة بنت سهل الانصارى جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم وقالت له : يا رسول الله ان ثابت بن قيس ما أنقم عليه فى خلق ولا دين ، ولكنى امرأة أكره الكفر فى الاسلام — أى كفران نعمة العشير لأن الزوج لا يخلو من نعمة على الزوجة فلا تقوم بشكرها غالبا فقال لها : ((أتردين عليه حديقته)) ؟ أى بستانه وكان أعطاها اياه مهرا . فقالت : نعم . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ((اقبل الحديقة وطلقها تطليقة)) . واستجاب ثابت لحكم رسول الله صلوات الله عليه وسلامه . وكان هذا هو أول خلع فى الاسلام .

أما اذا قدرت على استمرار العلاقة الزوجية وأحسنت صحبة شريك حياتها ، فانها مأجورة اذ أن ديننا يعتبر من جهاد المرأة حسن تبعلها لزوجها أى قيامها بواجباته والصبر على رعاية شئونه .

وصية لغير وارث

السؤال :

توفى والدى منذ عام بعد أن كتب وصية بمثل نصيب أحد أبنائه الستة لابن عمه فيما تركه ميراثا من عقار ومنقولات وغيرها ، وشهد على تلك الوصية الشهود ومنهم ابنه الاكبر . فما حكم الشرع فى هذه الوصية .. ؟

فهد الجحدرى — السعودية

الجواب :

الوصية لغير الوارث بالثلث فأقل من باقى التركة بعد أداء الدين جائزة شرعا بدون توقف على اجازة الورثة كما نص عليه فى معتبرات كتب المذاهب الاربعة ، فوصية هذا المتوفى لابن عمه وهو غير وارث بمثل نصيب أحد أبنائه صحيحة نافذة شرعا بدون توقف على أجازة الورثة ، ولمعرفة مقدار هذه الوصية تبين الفريضة أولا بقسمتها على جميع الورثة ، فما أصاب أحد الابناء من الاسهم يزاد على مخرج الفريضة ويكون هو ما يوازى الوصية لابن عم المتوفى وبعد اخراج مقدارها من التركة يقسم الباقى على الورثة ثانيا .

بأقلام القراء

العلم والتعلم

كتب الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن السند تحت هذا العنوان يقول :

يتساوى الناس عند ولادتهم فى خروجهم من بطون أمهاتهم عرايا لا يستر أجسامهم شىء ، كذلك يستوون عندما يفدون على هذه الحياة فى تجردهم من العلم وخلوهم من المعرفة ، لا يقرأون ولا يكتبون ولا يعلمون شيئا ، ولكن الله الرازق الكريم الذى كساهم من عرى ، وأطعمهم من جوع ، هو العليم الحكيم الذى تفضل على خلقه فأمدهم بالاستعداد والقوى التى تمكنهم من التعلم ، وزودهم بالأدوات والرسائل التى تساعدهم على العلم والمعرفة ، وأنزل لهم الكتب وتعهدهم بالوحى ، ليخرجهم من الظلمات الى النور ، وأرسل لهم الرسل هادين ومرشدين ومعلمين ، قال الله سبحانه وتعالى : **((هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وأن كانوا من قبل لفى ضلال مبين))** والوسائل التى زود الله بها الانسان هى السمع والبصر والعقل ، هذه هى المنافذ المفتوحة التى يطل منها على هذا الكون الفسيح ليعرف أسراره ، وهى الأدوات التى يكتسب بواسطتها العلم والمعرفة . لا نعرف دينا كرم العلم ودعا اليه وأشاد بالعلماء ورفع من قدرهم ، مثل ما فعل الاسلام وكتابه الكريم ، فالقرآن يلفت أنظارنا ، ويوجه عقولنا الى أن نسلك كل طريق للعلم ، لأنه الأساس فى بناء العز والمجد وحياة الأمم .

العلم وحده هو الذى يميز به الانسان بين الكفر والايمان ، بين التوحيد والالحاد ، بين الحق والباطل ، والخير والشر ، والصواب والخطأ ، والهدى والضلال ، والحسن والقبيح ، والضار والنافع ، .

العلم ضرورى لسعادة الانسان وهناءته ضرورة الهواء لحياته ، والضياء لعينيه ، العلم ضرورى لعزة الأمة وسيادتها ، وعلى قدر نصيبها من العلم يكون نهوضها الحضارى ، ورقيها الصناعى ، وازدهارها التجارى ، واتساعها العمرانى ..

العلم هو الذى يرقى بالحياة ويجعلها وارفة الظلال قال الله عز وجل : **((يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات))** أول خطوة للتعلم هى

معرفة القراءة والكتابة . ولذلك رفع الاسلام من شأن الكتابة وأعلا قدرها . وهذه أول آيات نزلت من كتاب الله تعالى قال الله جل شأنه : ((**اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . أقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم**)) ، وهذه سورة ((ن)) يقسم العلى الأعلى فيها بالقلم وما يسطرون . وهذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم اصحابه ويدفعهم الى أن يتقنوا الخط ، ويحذقوا الكتابة . ويهىء لهم سبيلها بكل ما يستطيع . ففى مكة المكرمة اتخذ دار الأرقم بن الأرقم مدرسة للمسلمين ، ومركزا ثقافيا يلتقى فيه بأصحابه . ويعلمهم مبادىء الاسلام . ويأمرهم بكتابة ما نزل عليه من القرآن ، وبعد الهجرة الى المدينة المنورة يقيم مسجده مكانا للعبادة . ودارا للقضاء ، وساحة للجنود ومركزا للتعليم . تدرس فيه أسس الاسلام وأحكامه وأهدافه ، وفى غزوة بدر أسر المسلمون ستين مشركا فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفتدوا أنفسهم بتعليم أصحابه القراءة والكتابة . وجعل فداء الأسير تعليم عشرة من أصحابه .

وكان له صلى الله عليه وسلم كتاب يكتبون الوحى ، منهم الأربعة الخلفاء ومعاوية ، وخالد بن الوليد ، وزيد بن ثابت وغيرهم . وعلى يد هـــذه الصفوة المختارة من صحابته عليه الصلاة والسلام تتلمذ المسلمون الذين جاءوا من بعدهم فدرسوا كل علم ، واقتنوا كل فن ، وانتشروا فى مشارق الأرض ومغاربها يعلمون ويؤلفون ويبتكرون ، وكانوا رسل الحضارة وأساتذة الدنيا .

ان العلم خير من المال ، خير من كل الثروات ، خير من كل ما فى الأرض . وطالب العلم اذا حسنت نيته ، وظهرت استقامته مجاهد فى سبيـــل اللـــه تعالى . .

روى البخارى فى صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر زيد ابن ثابت بتعلم اللغة السريانية ، قال زيد فتعلمت له كتابة يهودية بالسريانيـــة ، وقال انى والله ما آمن يهود على كتابى ، قال زيد فوالله ما مر بى نصف شهر حتى تعلمته وجدت فيه فكتبت له اليهم وقرأت له كتبهم اليه .

إن التعلم والتعليم روح الاسلام ، وسر بنائه ، وسياج وجوده ومناط عزته وكرامته ، وأن أسلافنا الأماجد سبقوا فى مضمار العلوم والمعارف بدافع من دينهم ، وحافز من كتابهم ، فمن الكتابة على الرق وهو : جلد رقيق . والكتابة فى الخاف وهى : حجارة بيض رقاق ، والكتابة فى سعف النخل وهى : الجريد الذى لا خوص عليه ، ومن المسجد والكتاب ملأوا الدنيا علما وفنا واختراعا ، وبرهن طالب العلم المسلم على حماسة منقطعة النظير فى طلب العـــلم . فذلل العقبات التى قامت فى طريقه ، وتغلب على الصعوبات التى اعترضته ، ولم يكن الطريق الى طلب العلم فى هذه العصور ممهدا ، ولا كانت الحياة ميسرة . ولكن الطالب المؤمن لا يكترث بالشوك ، ولا يبالى بالمخاطر ، هذا أبو الدرداء رضى الله عنه يقول : ((لو أعيتنى آية من كتاب الله فلم أجد أحدا يفسرها لى الا رجل ببرك الغماد ـــ أقصى مكان فى اليمن ـــ لرحلت اليه)) . وهذا الامام الشافعى رحمه الله يتحدث عن حياته فى طلب العلم فيقول : كنت يتيما فى حجر أمى . ولم يكن لى مال ، وكان المعلم يرضى من أمى أن أخلفه اذا قام .

فلما جمعت القرآن دخلت المسجد فكنت أجالس العلماء فأحفظ الحديث . وكنت أكتب فى العظم فاذا كثر طرحته فى الجرة .

بهذه الروح الجادة ، وبهذه الرغبة القوية . طلب أسلافنا العلم . وأقبلوا عليه لا طلبا للمال ولا رغبة فى الجاه ، ولكن ارضاء لله واعلاء لدينه .



قالت صحف العالم

المؤتمر الاسلامى

يطبع هذا العدد ولا يزال المؤتمر الاسلامى الثالث المنعقد فى جدة يواصل اجتماعاته وفيما يلى نبذة عنه وعما سبقه من مؤتمرات اسلامية نقلا عن صحيفة الرأى العام الكويتية ..

المؤتمر الاسلامى الذى افتتحه جلالة الملك فيصل لوزراء خارجيــة الدول الاسلامية هو المؤتمر الثالث للوزراء ، ويأتى انعقاده فى جدة للمرة الثانية بعد أن تعذر عقده فى أفغانستان لظروف خاصة ..

وكان المؤتمر الاول قد عقد فى جدة ، وعقد الثانى فى كراتشى وقد سبق جميع هذه المؤتمرات مؤتمر القمة الاسلامى الذى انعقد فى الرباط بالمغرب ما بين ٩ ــ ١٣ رجب الماضى حيث تمت الموافقة على انشاء المراكز الثقافية الاسلامية وتأكيد التعاون بين الدول المشتركة ، حيث جاء فى ختام أعماله : ايمانا من رؤساء الدول والحكومات والمثلين للدول الاسلامية التى حضرت مؤتمر القمة الاسلامى الاول بأن الوحدة عقيدة اسلامية وهى عامل قوى للتقارب بين الشعوب وتفاهمها ولعملهم على صيانة القيم الاسلامية الروحية والاخلاقية والاجتماعية والاقتصادية التى تبقى أحد العوامل الجوهرية لتحقيق التقدم ، وتعبيرا عن ايمانهم الراسخ بتعاليم الاسلام التى أقرت قاعدة المساواة التامة فى الحقوق بين جميع البشر ، وتأكيدا لالتزامهم بميثاق الأمم المتحدة بالحقوق الأساسية للانسان التى يربط ذاتها وأهدافها أساس مبنى للتعاون المثمر بين الشعوب ، وحرصا منهم على توثيق الروابط الأخوية والروحية التى تجمع بين شعوبهم ، وحفاظا على حريتها وتراث حضارتها المشتركة القائمة بصورة خاصة على مبادىء العدل والتسامح ، ونبذ التفرقة العنصرية ، وحرصا على توفير الرفاهية وتحقيق التقــدم وتأكيد الحرية فى كافة أنحاء العالم ، وعزما على توحيد جهودهم لصيانة السلام والأمن الدولى ، لهذا كله يعلنون ما يلى :

ستتشاور حكوماتهم بغية التعاون الوثيق والمساعدة المتبادلة فى الميادين الاقتصادية والعلمية والثقافية الروحية وهى من تعاليم الاسلام الخالدة ، وتعلن التزامها بتسوية المشكلات التى قد تنشأ فيما بينها سلميا مما يؤكد مساهمتها فى تكريس السلام والأمن الدولى طبقا للأهداف ومبادىء الأمم المتحدة .

وقد عقد المؤتمر الأول لوزراء خارجية الدول الاسلامية فى جدة يوم ١٥ محرم ٩٠ هـ/٢٥ مارس ٧٠ م حيث اشتركت فيه ٢٢ دولة اسلامية ووفود من الجامعة العربية ، ومنظمة التحرير الفلسطينية وأقر فى هذا المؤتمر انشاء الأمانة العامة وجعل مقرها فى جدة ، كما أكد المجتمعون حقوق الشعب الفلسطينى ، ودعوا الى جعل حرق المسجد الأقصى هو يوم تضامن اسلامى .

ثم عقد المؤتمر الثانى فى كراتشى من ٢٦ ــ ٢٨ ديسمبر واشتركت فيه ٢٣ دولة ، وقد دخلت مالى وتشاد كأعضاء فى هذا المؤتمر بينما تخلت السودان عــن

المشاركة الحقيقية . والكاميرون عن المراقبة . وأكد المجتمعون فى هــذا المؤتمر ما سبق وأعلن من القرارات فى المؤتمر السابق ، كما أدان العدوان البرتغالى على دولة غينيا ، وعهد الى مصر بالقيام بدراسات حول انشاء بنك انمائى اسلامى . وكذلك موافقة مبدئية على انشاء وكالة أنباء اسلامية دولية ، ولهــذا الغرض ـــ الوكالة ـــ عقد مؤتمر فى طهران بدعوة من الحكومة الايرانية حيث تمت مناقشة المشروع من جميع نواحيه .

أما المؤتمر الثالث الذى جرى افتتاحه أمس كما أشرنا فى بداية مقالنا فيبدو أنه أهم المؤتمرات الاسلامية نظرا لكثرة الدول المشتركة وحرصها على اشراك الوزراء فى وفودها ، كما أن جدول أعمال المؤتمر يعالج ما تم اقراره أو اقتراحه خلال المؤتمرات السابقة ، وقد اتخذت الحكومة السعودية استعدادات كبيــرة على طريق انجاح هذا المؤتمر كان من أهمها انشاء عدة لجان فى وزارة الخارجية السعودية .

أما الدول المشتركة فهى أفغانستان ، الجزائر ، مصر ، تشاد ، غينيا ، أندونيسيا ، ايران ، الاردن ، الكويت ، لبنان ، ليبيا ، ماليزيا ، مالى ، موريتانيا ، المغرب ، النيجر ، باكستان ، الصومال ، تونس ، السنغال ، اليمن ، تركيا ، الكاميرون ، البحرين ، عمان ، قطر ، الامارات العربية ، السودان ، سيراليون ، ووفد منظمة التحرير الفلسطينية والجامعة العربية . .

وتعتبر دول البحرين ، الكميرون ، عمان ، قطر ، الامارات العــربية ، السودان ، سيراليون ، دولا جديدة تشترك لأول مرة فى المؤتمر الاسلامى .

وتأتى أهمية هذا المؤتمر بسبب الظروف الدولية والخاصة التى تحيط ببعض الدول كقضية فلسطين ، ومسلمى الفلبين وأنقسام الباكستان ، واستمرار احتلال اسرائيل لأجزاء من الدول العربية الاسلامية .

كما أن جدول أعماله يتضمن عدة نقاط أهمها :

١ ـــ اقرار ميثاق المؤتمر حيث درس هذا الميثاق فى مؤتمر جدة وتم بحثه من قبل الحكومات المشتركة ، وتم تقديم التوصيات اللازمة . .

٢ ـــ اقرار الميزانية العامة وحث الدول المشتركة على دفع بدل عضويتها ، وجدير بالذكر أن بدل العضوية هو عشرة آلاف دولار . .

٣ ـــ تنظيم الجمعيات والمراكز الثقافية الاسلامية ، وقد نوقش هذا فى مؤتمر القمة بالرباط وأقر مبدئيا وهو يسعى الى توعية المسلمين فى البلاد التى تحكمها أقلية غير مسلمة . .

٤ ـــ انشاء وكالة دولية اسلامية للأنباء ـــ وقد نوقش هذا البند من قبل مؤتمر طهران وأرسلت التوصيات الخاصة بذلك الى الامين العــــام للمؤتمر الاسلامى . .

٥ ـــ اقرار البنك الانمائى الاسلامى ، وقد نوقش فى المؤتمر المعقود مؤخرا فى القاهرة وحضرته وفود ١٨ دولة اسلامية وحققت مصر دراسات شاملة ويبدو أن جمهورية مصر العربية متحمسة للمشروع وتحبذ أن يكون مقره فى القاهرة ، ويستدل على ذلك من رئاسة السيد حسن التهامى مستشار رئيس الجمهورية للوفد المصرى ، وخبير اقتصــــادى وأخيرا وليس آخرا أن أمنيــات كثيرة معقودة على المؤتمر وسيكون الحكم على نجاحه من قراراته العملية التى سيتخذها ازاء الأحداث الراهنة .

بريد الوعي الإسلامي

الميثاق الالهى

يقول الله سبحانه : « واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا . » كيف أخذ الله الميثاق من بنى آدم قبل أن يخلقوا ، وكيف أشهدهم على أنفسهم قبـل أن يوجدوا ، وكيف خاطبهم بقوله ألست بربكم ، وكيف أجابوا بقولهم بلى شـهدنا ..

عيسى النعمان ــ صنعاء

الله سبحانه ليس كمثله شىء ، وما دام الأمر كذلك فلا سبيل الى تشبيه فعله بفعل أى شىء ، والادراك البشرى لا يملك أن يدرك كيفيات فعل الله ، لأنه لا يملك أن يدرك ذات الله ، وكل محاولة لتصور كيفيات أفعال الله على مثال أفعال خلقه هى محاولة بعيدة عن الصواب ، فكيفية أخذ الله سبحانه الميثاق من ذرية بنى آدم المكنونـة فى عالم الغيب غيب لا يمكن للعقل البشرى الوصول اليه وكل فعل ينسب لله سبحانه مثل الذى يحكيه قوله : **« ثم استوى الى السماء وهى دخان » و « ثم استوى على العرش » و « يمحو الله ما يشاء ويثبت » و « والسموات مطويات بيمينه » و « جاء ربك والملك صفا صفا » و « ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم »** كل فعل من هذا القبيل لا بد من التسليم بوقوعه دون محاولة لادراك كيفيته .

وبعض المفسرين يرى أن الميثاق الذى أخذه الله على ذرية آدم هو ميثاق الفطرة ، ويقصد به أنه سبحانه وتعالى خلقهم مفطورين على الاقرار له بالربوبية والوحدانية ، وان التوحيد مركوز فى فطرهم لا يميلون عنه الا تحت تأثير عوامل خارجية ضالة مضللة ، وعزز هـذا الفريق هذا التفسير بأحاديث تؤيد تأويله . منها ما رواه أبو هريرة قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **« كل مولود يولد على الفطرة ــ وفى رواية على هذه الملة ــ فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تولد بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء »** .

وفى صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يقول الله : **« انى خلقت عبادى حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم »** ..

.. ..

القضاء والقــدر

أسئلة كثيرة وردت للمجلة حول الجبر والاختيار وهل الانسان مسير أم مخير ، وقد عالجت المجلة هذا الموضوع بافاضة فى أعداد سابقة ، وقد وجه هذا السؤال الى الشيخ محمد الغزالى ، فأجاب عليه اجابة ساخرة من الجهلة المكثرين من ترداد هذا السؤال المتعللين لكسلهم وقصورهم بالقاء اللوم علــى الأقدار ، قال :

سألنى سائل : هل الانسان مسير أم مخير ؟ فنظرت اليه فى ضيق شديد . وقررت أن ألتوى معه فى الاجابة . كما التوى هو مع فطرته فى هــذا التساؤل . وقلت له : الانسان نوعان : نوع يعيش فى الشرق ، ونوع يعيش فى الغرب . والأول مسير والثانى مخير .. ففغر الرجل فاه عن ابتسامة هى بالضبط نصف تثاؤب الكسالى والعجزة والثرثارين الذين ينتشرون فى بلادنا ..

ثم قال : ما هذا الكلام ؟ اننى أسألك : هل للانسان ارادة حرة وقدرة مستقلة يفعل بهما ما يشاء ويترك ما يشاء ، أم هو مجبور ؟

فقلت له : إن القوم فى الغرب شعروا بأن لهم عقولا ،ففكروا بها حتى كشفوا المساتير من بدائع الكون ، وشعروا بأن لهم إرادة حرة فصمموا بها حتى التقت فى أيديهم مصاير الأمم ، وشعروا بأن لهم قدرة فجابوا المشارق والمغارب ، وصنعوا العجائب والروائع ..

أما نحن فهذا رجل من ألوف الألوف التى تزحم البلاد يأتى ليستفتى :
أله حقا عقل حر يستطيع أن يفكر به ؟
أله ارادة يستطيع أن يعزم بها ؟
أله قوة يستطيع أن يتحرك بها ؟

الرجل فى الغرب ألقى به فى تيار الحيلة فعلم أن له أعضاء يستطيع أن يعوم بها ، فظل يسبح مع التيار تارة وضده تارة أخرى حتى وصل الى الشاطىء .

أما هنا فلما ألقى بالرجل فى معترك الامواج بدأ يسائل نفسه : هل أنا حر حقا أم أنا جثة هامــدة .. هل أنا حر أم أعضائى مقيدة .

ولكن التيار الجارف لا ينتظر نتائج هذه السفسطة ، فلا يلبث أن يطويه اليم مع الهالكين ..

اعمل أيها الرجل ، ولا تقل : هل أنا مسير أم مخير ؟

واستغل المواهب التى آتاك الله ، واشعر بان لك فى الحياة حقوقا وعليك واجبــــات .

أخبار العالم الإسلامي

اعداد الاستاذ عبد المعطى بيومى

الكويت : افتتح حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم المبنى المركزى للمواصلات السلكية واللاسلكية ، ومحطة الاستقبال والارسال ومعهد التدريب للمواصلات .

● رأس معالى وزير الخارجية والاعلام بالوكالة وفد الكويت الى مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الذى عقد فى السعودية فى الشهر الماضى .

● صرح معاليه بأن الكويت تستنكر الاعتداء الاسرائيلى على جنوب لبنان ، وأنها تؤكد مجددا وقوفها الى جانب لبنان الشقيق وتشجب هذا الاعتداء .

● صرح الاستاذ راشد عبد الله الفرحان وزير الاوقاف والشئون الاسلامية بأنه انطلاقا من الخطة التى رسمتها الوزارة لتحقيق أهدافها فى نشر الدعوة الاسلامية ، وتوثيق الروابط الاخوية بين المسلمين فى جميع أنحاء العالم .. فقد زادت اتصالاتها مع أبناء الجاليات الاسلامية ، والمراكز والجمعيات الاسلامية ، واتحادات الطلبة المسلمين فى مختلف القارات ، وخاصة فى اوربا والامريكتين واستراليا .. واستطاعت من خلال هذه الاتصالات أن تقف على أحوالهم وتدرس مشكلاتهم ، وتزيد من أواصر الاخوة الاسلامية بينهم وبين اخوانهم فى الكويت .

● عممت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية على جميع الوزارات والمؤسسات الرسمية قرار مجلس الوزراء بالتبرع لصندوق المعونة الطبية بالنسبة لغير الكويتيين على أن لا تقل قيمة التبرع عن مئة فلس ، وتترك الحرية لمن يريد زيادة نسبة التبرع ..

● زار الكويت فى الشهر الماضى وفد اسلامى من سيراليون يمثل منظمة الشبان المسلمين الثقافية فى سيراليون ، ويهدف الوفد الى توطيد العلاقة بين مسلمى سيراليون والكويتيين .

● يعقد خلال هذا الشهر مؤتمر المناهج التعليمية بوزارة التربية ، وقد تأجل عن موعده السابق الذى كان مقررا فى الشهر الماضى بناء على رغبة بعض الهيآت والجمعيات الشعبية المشتركة فى المؤتمر .

مصر : نفى فضيلة شيخ الأزهر أن الأزهر وافق على تمثيل فيلم محمد رسول الله .

● يعقد فى شهر ربيع الثانى القادم (مايو) المؤتمر السابع لعلماء المسلمين ، وصرح الدكتور بيصار الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية بأن المؤتمر تلقى عددا من البحوث الدينية التى تناقش القضايا المعاصرة لمناقشتها فى المؤتمر .

● عقد فى الشهر الماضى مؤتمر الانماء الاسلامى حيث وضعت خطة البنك الاسلامى على الأسس المصرفية الحديثة القائمة على الشريعة الاسلامية ، وينتظر لهذا البنك النجاح الكبير فى الدول الاسلامية .

● قام فضيلة شيخ الأزهر وفضيلة مفتى مصر بزيارة الى ليبيا حيث بحثا مع المسئولين الليبيين بعض الترتيبات التى تتعلق بالشريعة الاسلامية كمصدر رئسى للقوانين الليبية .

● استقبل الدكتور عبد الحليم محمود وزير الأوقاف زميله وزير الأوقاف فى فولتا العليا ، وقد اتفق الوزيران على تدعيم الدعوة الاسلامية والتعليم الدينى فى فولتا العليا .

السعودية : أعلن السيد حسن التهامى مستشار الرئيس السادات وهو فى السعودية أن جميع القوى العالمية بلا استثناء تجتمع اليوم ضد المسلمين لتقويض صرح الاسلام ، وأن هزيمة ٦٧ كانت نتيجة طبيعية للزيغ العقائدى الذى اجتاح عالمنا العربى عشرين سنة .

● عقد فى الشهر الماضى مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية ، وكان فى مقدمة الموضوعات التى ناقشها المؤتمر فكرة البنك الاسلامى لتدعيم التضامن الاسلامى .

● اتخذت اللجنة المشكلة من عدة جهات مسئولة توصيات بالمحافظة على الذات الاسلامى فى المنطقة العربية .

● يعقد المؤتمر الاسلامى القادم فى كابل فى مايو سنة ١٩٧٣ .

● استنكرت رابطة العالم الاسلامى المجازر الوحشية التى ترتكبها القوات الهندية وقوات مايسى ببنجالادش بالبيهاريين المسلمين فى باكستان الشرقية .

سوريا : تبرعت سوريا بمبلغ ١٥٠ ألف ليرة سورية للمساهمة فى بناء معهد اسلامى فى امريكا

دبى : تأسس فى دبى صندوق لجمع التبرعات للدفاع عن باكستان ، وسترسل التبرعات فورا الى كراتشى .

الجمهورية العربية اليمنية : شكر رئيس وزراء اليمن الدول العربية على مساعدتها فى حقل التعليم ، وأكد أن التعليم هو الطريق للخروج من التخلف والانتصار على التحديات .

● طلب رئيس الوزراء من برنامج الغذاء العالمى المساهمة فى اعمار المناطق المنكوبة بالحرب الأهلية ، وتقدر مساعدة البرنامج الحالية بحوالى ١٠ ملايين دولار .

ليبيا : صرح العقيد معمر القذافى (أثناء زيارته لموريتانيا الاسلامية) أن الخمر واستعمال اللغة الأجنبية محظوران فى ليبيا ، وأن البلاد سائرة الى تطبيق اسلامى مخلص .

تونس : صدر بيان تونسى سعودى يقول انه لن يكون سلام فى المنطقة العربية الا بانسحاب اسرائيل من الارض العربية المحتلة ، وأكد البلدان دعمهما للأشقاء العرب وعزمهما على توسيع الروابط الثقافية والعلمية والتجارية بين البلدين .

● صدرت باللغة العربية صحيفة النصر ، وكانت تصدر بالفرنسية ، وسوف يتم تعريب صحيفتين أخريين عما قريب وهما صحيفتا المجاهد والاريبوبليك فى نطاق خطة التعريب للبلاد .

المغرب : قرر المؤتمر الاسلامى الأول لتنظيم الاسرة الذى عقد فى أواخر العام الماضى أن تنظيم النسل مباح ومسموح به بخلاف الاجهاض والتعقيم .

باكستان : اجتمع الرئيس الباكستانى ذو الفقار على بوتو بأنديرا غاندى ومجيب الرحمن فى دلهى الشهر الماضى .

● أبلغ ناطق رسمى مؤتمرا صحفيا فى لاهور أن الرئيس بوتو يعتقد ان الكلمة الاخيرة فى باكستان لم تقل بعد وانه مازال يعتقد بامكان نوع من الصلة بين شطرى باكستان .

● أبلغ وزير الاعلام الباكستانى رؤساء تحرير الصحف الباكستانية بالغاء الرقابة على الصحف والمنشورات .

ماليزيا : صرح رئيس الوزراء ووزير الداخلية ان ماليزيا قد اتخذت كافة الاجراءات للقضاء على الخطر الشيوعى كما قال ان ٤٨ ارهابيا شيوعيا قد تم قتلهم فى العام الماضى .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأ‍ه عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعل الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار ـ ٧ شارع الصحافــة .

جــدة : الدار السعودية للنشر ـ ص.ب ٢٠٤٣ .

الرياض : مكتبة مكــة ـ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ـ ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة ـ ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعــة ضياء .

عــدن : وكالة الأهرام التجارية ـ السيد محمد قائد محمد .

المكــلا : مكتبــة الشعب ـ ص.ب ٢٨ .

مســقط : المكتبــة الحديثة ـ السيد يوسف فاضل .

صنعــاء : مكتبة المنار الاسلامية ـ السيد عاصم ثابت .

دمشــق : الشركة العامة للمطبوعات ـ ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ـ ص.ب ٢٤٧٣ .

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية ـ ص.ب ٦٧ .

عمــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات ـ ص.ب ٢١٥ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى ـ ص.ب ١٣٢ .

بنغــازى : مكتبة الوحدة الوطنية ـ ص.ب ٢٨٠ .

تــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـ كورنيش المزرعة .

دبــى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـ السيد غازى بساط .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـ ص.ب ١٧١٩ .

الدوحــة : سالم الانصارى ـ الدوحة / قطر .

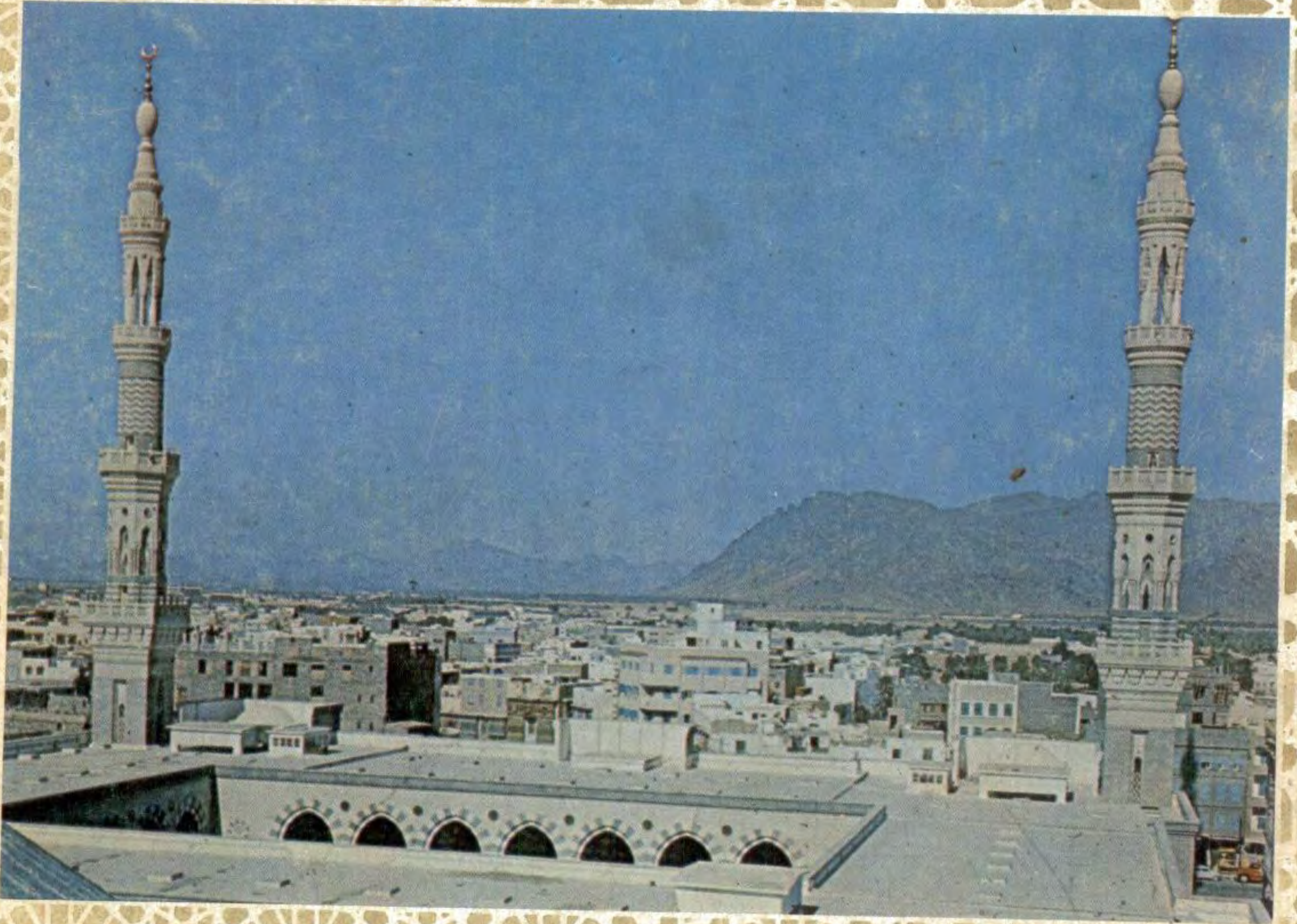
ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

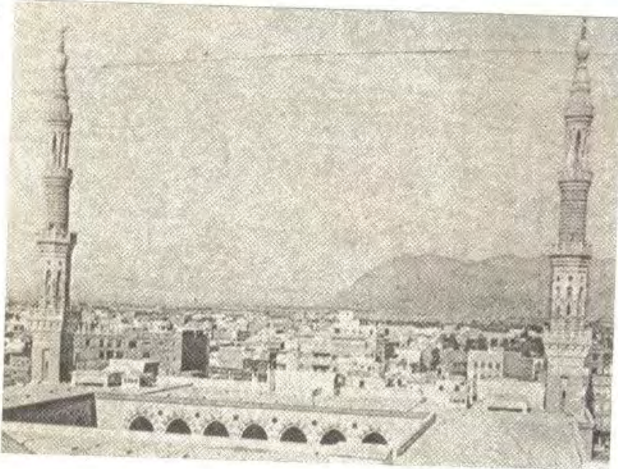
السنة الثامنة — ٨٧ — غرة ربيع الأول ١٣٩٢ هـ — ١٥ — ابريل (نيسان) ١٩٧٢ م



عدد خاص بمناسبة المولد النبوى الشريف



بعض أعضاء وفد المركز الاسلامي بلندن أثناء زيارتهم للكويت ...



منبر المسجد الأموى ويعد تحفــة فنية رائعة من روائع الفن الاسلامى .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السـنة الثـامنة

العدد السابع والثمانون

غرة ربيع الأول ١٣٩٢ هـ

١٥ ابريل (نيسان) ١٩٧٢

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالـكويت فى غرة كل شـهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسـياسية

الثمن

الكـويت	٥٠ فلسـا
السـعودية	١ ريـال
العـراق	٧٥ فلسـا
الاردن	٥٠ فلسـا
ليبيـا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجـزائر	دينار وربع
المغـرب	درهم وربع
الخليج العربى	١ روبيـة
اليمن وعـدن	٧٥ فلسـا
لبنان وسـوريا	٥٠ قرشـا
مصر والسودان	٤٠ مليمـا

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الـكويت ١ دينـار
فى الخـارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
أما الافراد فيشـتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسـلات

مدير ادارة الدعوة والارشـاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسـلامية
ص.ب ١٣ هاتف : ٤٢٢٠٨٨ ـ كويت

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث الشهر

أحاديث يجب تصحيح فهمها

لعل خير ما يقـدم للقراء فى ذكرى مولد رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ــ تجلية معانى بعض أحاديثه الشريفة التى اشتبهت مفاهيمها على بعض الناس ، فبعدوا عن مراميها ، وفسروها على غيـر وجهها . أما لعدم احاطتهم بالأحداث والملابسات التى تلقى الضوء عـلى المقصود بها ، وأما لعزلهـا عن مرماها ، وتحدد مسارها مما جاء به الوحى الالهى والهدى النبوى .

ولو ان هؤلاء المحدثين المفسرين ممن لا يستمع لقولهم ، ولا يؤخـذ عنهم ولا يوثق فيهم لهان الخطب ، ولكنهم ممن تقبل أيديهم ، ويتحلـق العامة حولهم وتتلقى أقوالهم بالقبول والرضا دون مناقشة ولا تردد .

ولو لم يكن لهـذا الشطط فى التفسير أثر بعيد فى سلوك العامة ــ وما أكثرهم ــ أضر بهم وبأمتهم فى دينهم ودنياهم ــ لما احتاج الأمر الى هذا الاهتمام والتنبيه .

ونختار من هذه الأحاديث نماذج من أبواب العفو والزهـد والفتن . نلفت النظر اليها ، وندعو الى التركيز عليها وتصحيح مفاهيمها فى أذهان من غرر بهم ــ عن قصد أو غير قصد ــ فاستمرءوا الذنب والتوبة طمعا فى المغفرة ، أو رضوا بالدون مـن الحياة اعتمادا على أن ما خف حمله خف حسابه ، أو جبنوا عـن الجهر بالحق والجهاد فى سبيلـه ايمانا بالعزلة وخطأ فى تصور (عليـكم أنفسكم) .

١ ــ أحاديث العفو :

وردت أحاديث كثيرة تنبىء عـن سعة رحمة الله ، وتدل على واسع مغفرته وواسـع عفـوه ، وأنـه ــ سبحانه ــ يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ، ويبسط يده بالنهـار ليتوب مسىء الليل ، وان هذا الفضل الالهى العظيم متاح للانسان ما لـم يغرغر ، ومتاح للاناسى جميعا فى طول الدنيا وعرضها ، وعلى اختلاف أجيالها وممر عصورها حتى تطلـع الشمس من مغربها ، ويأذن اللـه

للحياة على ظهر الارض بالأفـــــول والانقطاع .

وهذا الكرم الالهى الكبير الـــذى تشير اليه هذه الأحـــاديث تسانده الآيات القرآنية فى وضوح وجلاء ، وبهذا أصبح عقيدة راسخة فى قلوب المؤمنين ، فالله سبحانه غافر الذنب وقابل التوب ورحمته وسعت كـــل شىء ، ولا يتعاظمه شىء ، ولا حرج على فضل الله ، ولو أن الخـــلق جميعا أطاعوه ما زاد ذلك فى ملكه شىء ، ولو أنهم جميعا عصوه ما نقص ذلك من ملكه شىء ، ولو أن الانسان أتى ربه بقراب الارض خطايا ثم لقيه مؤمنا تائبا لأتاه بقرابها مغفرة .

ومن أحاديث العفو هذه قول النبى صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن ربه عز وجل قال :

« اذنب عبد ، فقال : اللهم اغفر لى ذنبى ، فقال الله عز وجل : أذنب عبدى ذنبا ، فعلم أن له ربا يغفـــر الذنب ، ويأخذ بالذنب ، ثم عاد فأذنب فقال : أى رب أغفر لى ذنبى ، فقال الله تعالى : اذنب عبدى ذنبا ، وعلم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فأذنب ، فقال : يارب اغفر لى فقال الله تعالى : أذنب عبدى ، فعلم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب . أعمل ماشئت فقد غفرت لك) .

ليس المقصود من هـــذا الحديث قطعا ــ تيسير المعصية ، ولا الاغراء بالخطيئة ، ولا التهوين مـــن شأن الجريمة ولا الغاء قانون الجـــزاء والعمل ، فان الله سبحانه لا يأمـــر بالفحشاء ، ولا يظـــلم الناس مثقال ذرة : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » و « كل امرىء بما كسب رهين » .

والحديث يشير الى نوع خاص من المؤمنين الذين يلمون بالمعصيـــة ، فيخجلون فورا من سقطتهم ويلتمسون فورا من الله أن يقيلهم من عثرتهم ، ويحسون بالضيق الشديد عندما تزل أقدامهم ، فيسرعون الى الله بالانابة والمتاب ، فدائرة عفو اللـــه تحتضن أولئك الـــذين أخلدوا الى الأرض فى لحظة نسيان أو جهالة ، وطبيعــــة الانسان الذى يمتزج فيهـــا الخيـــر والشر ، ويلتقى فى ساحتها الملـــك والشيطان تسمح بهـــذه الهفوات والزلات ، والايمان لا يقتضى العصمة (هو أعلم بكم اذ أنشأكم من الأرض) .

ولا بد من أن ينزع المرء مرة
الى الحمأ المسنون ضربة لازب

ففهم هذا الحديث ، ونقل هـــذا الفهم للناس علـــى أنه استهانة بالمخالفات واستباحة للمحرمات ، فهم معوج لا يتفق مع الايات والأحاديث التى تشيع الرهبة من الذنوب والآثام « ان العبد اذا أخطأ خطيئة نكتت فى قلبه نكتة سوداء فاذا هـــو نـــزع واستغفر وتاب صقل قلبه ، وان عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه ، وهو الران الذى قال الله فيه : « كلا بـــل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون . كـــلا أنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون . ثم أنهم لصالوا الجحيم » .

ان استمالة العامة بهـــذه الشروح

المبتوتة الصلة بمسئولية الانسان عن كل ما يصدر منه كما هو قانون العدل الالهى — تجعلهم لا يأخذون الدين والتكاليف مأخذ الجد ، فيقصرون فى الواجبات ، ويتهاونون فى الحقوق اعتمادا على أمانى خادعة كاذبة : « ليس بامانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوء يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا » .

٢ — أحاديث الزهد :

وفى مقام تذكير الذين شغلتهم الدنيا عن القيام بالواجبات والنهوض بالمسئوليات ، وردت أحاديث صحيحة كثيرة فى التزهيد فيها والعزوف عن شهواتها ومتعها ، وقد شرحها غير الفاهمين لطبيعة الاسلام ، وغير العارفين برسالة هذه الامة شرحا يعزل المسلمين عن الحياة ، ويأسرهم فى المساجد ، وينفرهم من العمل حتى يدعوا ميادين الرقى والتطور لمخالفيهم فى الدين ، ومن هذه الاحاديث التى ظلمها هؤلاء ما رواه مسلم عن جابر ابن عبد الله : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بالسوق داخلا من باب العالية ، والناس كنفية فمر بجدى أسك (صغير الأذنين أو مقطوعها) ميت ، فتناوله ، فأخذ بأذنه ، ثم قال : أتحبون أنه لكم ؟ قالوا : والله لو كان حيا كان عيبا فيه لانه أسك ، فكيف وهو ميت ؟ فقال : والله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم » .

ان هذا الحديث وغيره مما ورد فى هذا الباب لا يقصد به التزهيد فى عمارة الارض ولا تجميد الفكر الاسلامى عن أستكناه أسرار الكون ، ولا تقييد تحرك المسلم عن التسابق والتنافس فى تحصيل الغنى والاستمتاع بطيبات ما أحل الله من الرزق ، والامساك بزمام الحضارة .

أن من الأحاديث النبوية أحاديث أدوية وأشفية ، ولكل داء دواء ، ولكل مرض طب وعلاج وما يصلح من الدواء لمرض لا يصلح لآخر ، والأمراض الخلقية والاجتماعية بمثابة الأمراض العضوية ، فلا يقال للبخيل أمسك عليك مالك ، كما لا يقال للعائل المعدم أد الزكاة ، ولا يقال للمترف أن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ، كما لا يحذر المسكين من الترف والبذخ .

ان الذين يفسرون هذه الاحاديث على أنها تناول الجاف من الطعام ولبس الخشن من الثياب ، والرضا بالفقر والمسغبة ، بعيدون كل البعد عن المنهج الذى رسمه الاسلام للحياة وقد أصاب المسلمين من هذا الفهم الخاطىء ضرر كبير .

ان الزهد فى الدنيا ليس دعوة الى الراحة والفراغ من العمل الدنيوى الجاد ، بل هو دعوة صريحة الى اقتحام الاهوال وركوب المخاطر ، والتعرض للحتوف والتضحية فى سبيل الله لأن الدنيا أهون من أن يتشبث بها مسلم تشبثا يفقده كرامته أو يخل بمرؤته أو يقعده عن خدمة دينه وأمته .

٣ ــ أحاديث الفتن :

ومن الاحاديث التى اسىء فهمها ، وتأولها نفر من الناس على غيــر وجهها الحق الاحاديث التى وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الفتن ، ومنها هذا الحديث الــذى رواه مسلم عن أبى بكرة رضى اللــه عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ستكون فتن ألا ثم تكون فتن ، : القاعد فيها خير من الماشى فيها ، والماشى فيها خير من الساعى اليها ، ألا فاذا نزلت أو وقعت ، فمن كان له ابل فليلحق بابله ، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه ، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه)) ..

قال ، فقال رجل : يا رسول الله : أرأيت من لم تكن له ابل ولا غنم ولا أرض ؟ قال : يعمد الى سيفه ، فيدق على حده بحجر ، ثم لينج أن استطاع النجاء .. اللهم هل بلغت .. اللهم هل بلغت .. اللهم هل بلغت)) .

ان المعنى الــذى ينبغى أن يحمــل عليه هذا الحديث هو حصر الفتنــة المسلحة التى تقــع بيــن المسلمين فى نطاق ضيق حتى يمكن أخمادهــا والقضاء عليها لأن الاشتراك فيهــا يؤدى الى امتداد شرارهــا واتساع نطاقها ، وفى هذا تمــزيق لشمــل الأمة واصابة أهل الحـــق بأضرار جسيمة وعندئذ يمكن لأعداء المسلمين القضاء عليهم ، فى يسر وسهولــة ، وقد تعرضت الأمة الاسلامية فــى عصور التاريخ المختلفة لمثل هـــذه الأزمات ، وأصابها من نيران فتن التقاتل على الحكم والسلطان مــا جعلها مغنما لأعدائها .

وليس فى هذا الحديث دعــــوة للاستسلام للشر ، ولا للنكوص عــن الجهاد ، ولا للسكوت عن الظالم كما يرى بعض المتأولين .

أن الذين يدعون الى العزلة عــن المشاركة فى الحياة العامة ،ويروجون للسكوت عن المنكرات بدعوى فساد الزمان ، ويحرضون على الانسحاب من المعركة المستمرة بين الحـــق والباطل استنادا الى التأويل المعوج والفهم الخاطىء لسنة رسول اللــه ــ هؤلاء ليسوا أعلم بشرح الأحاديث وفهمها من سفيان الثورى وسعيــد ابن المسيب والامام أحمد وابن تيمية والعز بن عبد السلام وغيرهم ممن تصدوا للظالمين ينكرون عليهــم ، ويصرخون فى وجوههم ، وينقذون الناس من عسفهم وبغيهم .

وليست هذه هى كل الأحاديث التى يخبط بعض الناس فيها على غير هدى وبصيرة ، بل هناك غيرها كالأحاديث الواردة فى التوكل والأحاديث المروية فى القدر ، وكم جر سوء الفهم عــلى المسلمين مــن تأخر وتواكــل وذل واستسلام استغله أعداء الاســلام فنشطوا وتقدموا ، واحتلوا وتمكنوا .. على الذين يتصدرون لتربية الأمة أن يكونوا أهلا لتحمل هذه المسئولية علما وفقها والله ولى التوفيق .

مدير ادارة الدعوة والارشاد

رضوان البيلى

في ذكرى المولد النبوي

خاتم النبيين

هداية الدين لاغنى عنها للناس مهما بلغوا من الرقى والتقدم فى مدارج الحياة . وقد تفضل الله تعالى على خلقه تفضل المنعم الكريم بنعم لا سبيل الى احصائها وتبيان وجوه الخير فيها . وفى ذروتها أنه أرسل اليهم من صفوة خلقه رسلا مبشرين ومنذرين يدعونهم الى الله ويهدونهم الى صراطه المستقيم الذى يظفر من سار فيه بخيرى الدنيا والآخرة .

ومحمد عبد الله ورسوله هو خاتم النبيين . وقد اصطفاه الله من الأمة العربية هاديا من ضلالة ، ومنقذا من جهالة . ومخرجا من ظلمة الى نور . ومن باطل الى حق ، ومن شقاء الى سعادة . ومن حيرة وقلق الى سكينة واطمئنان .

ولا ريب أن اختياره عليه السلام من العرب مع اختيارهم جندا له وحملة لرسالته ، انما هو فضل لهم لا يجحده الا جاحد وان جهلناه نحن الأخلاف الذين ورثوا عن أسلافهم أكرم تراث فأساءوا فيما ورثوا الصنيع . والشرف الرفيع حين تتداوله أيدى الجهالات والضلالات . يوشك أن يضيع . ليكون به الذين ضاعوا وأضاعوا سبة للأولين ومعتبرا للآخرين .

فأما أن الله تعالى قد اختار محمدا خاتما للنبوات ومتمما للرسالات فذلك حيث يقول « ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم

للشيخ أحمد حسن الباقورى

والمرسلين

النبيين » ، « وأنزلنا اليـــك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه » ، وأما أنه ــ سبحانه ــ قد اختار العرب لشرف الرسالة الاسلامية الخاتمة ، يحملونها الــى العالمين فذلك قوله « لقد أنزلنا اليــكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون » ، وقوله خطابا له عليه السلام « فاستمسك بالذى أوحى اليك انك علــى صراط مستقيم وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » ، فالذكر الشرف الــذى سوف تسأل عنه الأمة العربية يــوم القيامة ، وعن قيامها بحقه ، وعــن تعظيمها للرسالة التى نيطت بها ، وعن شكرها ربها على أن رزقها اياه وخصها به بين العالمين .

وليس ينبغى لمنصف أن يسارع الى الحكم على هذا القول بأنه اتجاه قومى يتعصب للعروبة ويعتز بالعــرب فى حين أن الناس أحوج ما كانوا الــى اطراح النعرات القوميـــة واعتناق المعانى البعيدة عن الاعتزاز بالأجناس والعروق ، وفى حين أن الناس أيضا يعلمون ــ أو ينبغى أن يعلموا ــ أن الاسلام دين لا يضيــق بشىء كمــا يضيق بالدعوات العنصرية ولا يدعو الى شىء كما يدعو الى اعتناق المعنى الانسانى الشامل الذى تختفى فيــه معالم العصبيــات لأنها فى اعتباره ضلال عن سواء السبيل . وذلك أن هناك فرقا بين العصبيـــة التى هى طغيان واستطالة على الناس ، وبين

العصبية التى هى اعتزاز بفضائل القوم ، تمتهد بها السبل الى اقامة معالم العدل والحق والخير بين الناس . ومصداق ذلك ما يقوله رسول الله لسائل سأله عن العصبية ما هى ؟ فقال له النبى « العصبية أن تعين قومك على الظلم وأن تنصر أخاك ظالما ومظلوما » ، فاذا خلت العصبية عن هذه الحدود الفاصلة بين الخير والشر والنفع والضر ، فانها عندئذ تصبح عصبية حميدة يدعى اليها ويعتز بها ويحرص عليها على ما يقول النبى نفسه « خيركم المدافع عن عشيرته ما لم يأثم » .

قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام استقبلت الانسانية وليدا مبارك الثمرات ميمون الغدوات والروحات ، لم يكن أحد يظن ، لا من بيته ولا من قبيلته ، ولا من أمته ولا من المجاورين لأمته من أصحاب الحضارات العظيمة أن سيكون له شأن ، وأنه سوف يكون أماما للقومية فى مثلها العليا ، ورسولا للانسانية كلها فى قدوتها الحسنى .

ذلك هو محمد بن عبد الله النبى العربى رسول رب العالمين الى جميع خلقه من عرب وعجم ، ومن بيض وسود ، ومن سادة ومستعبدين . وهو — مع كونه نبيا عربيا مبينا ورسولا من لدن رب العالمين الى جميع خلقه — كان راضيا بعروبته معتزا بها ، يحمد الله لأنه ولد يوم أعز الله العرب ونصرهم على متربصين بهم طاغين على حوزتهم وقد استباحوا ما استباحوا من جوارهم ، فكان صلوات الله عليه يحب قومه ، ولا يحب أحد يبغض قومه ، فلا يكره العرب الا منافق ، ولا يكون مخلصا فى عقيدته من لا يخلص فى رعايتهم وعرفان حقهم ، فيقول لصفيه ومشيره سلمان رضى الله عنه : يا سلمان لا تبغضنى فتفارق دينك ، فيقول له : وكيف أبغضك وبك هدانا الله ؟ فيقول له النبى تبغض العرب فتبغضنى .

كان محمد يحب قومه ، ويحب أن يحب الناس قومه ، وهذا غاية ما تبلغه النفس من القومية فى شعورها وعاطفتها ، وكان حبه هذا هو الحب الذى يعمل ولا يقنع بأن يشعر وينطوى على شعوره ثم يستطيل على الناس فى ظل من هذا الشعور بغير عمل ، أو بعمل يناقض الاعتزاز الكريم فهذا الحب هو الذى جمع شمل العرب وألف بين قلوبهم وأخرج من شتات قبائلهم أمة مهيبة عزيزة الجانب رحيبة آفاق الفكر ، تتلقى عنها الأمم ذوات الحضارات العريقة رسالة الهداية باسم الله رب العرب والعجم والترك والروم ، رب العالمين ، رب المشارق والمغارب ، فلا فضل لعربى على عجمى ولا لأحمر على أسود ولا لقرشى على حبشى الا بالتقوى ..

تلك هى المعجزة الالهية لمن يشاء أن يتدبر المعجزات فى حياة محمد رسول الله ، وهى أن تجىء دعوة الأمم الى المساواة ، والى فضل العمل ، والى كرامة القومية فى غير مساءة الى أحد ، من ناشىء بين قوم بلغوا بالعصبية غايتها من الانفة لها والاعتداد بها والغيرة عليها .

ولو أنه صلى الله عليه نشأ فى غير العرب ، فى غير هذه الأمة التى لا ترى سوى القبيلة ، وفى غير هذا الجيل من الأعزاء المتكبرين باللغة وبالسلف وبالمنعة ، لكانت رسالته بالمساواة بين آدم وحواء رسالة من معدنها لا تستغرب من صاحبها ولا من

قومه ، ولكن محمدا كان فى الذروة من فخار النسب ، وكان نسبه العريق ملتقى الأنساب بين أقوى الأقوياء وأغلب الغلاب وأشرف البيوتات ، يجتمع معه فى مضر قبائل قيس كلها ، ويجتمع معه فى نزار قبائل بكر وتغلب ، ويجتمع معه فى عدنان من لم يجتمع من هؤلاء وهم جميعا فى الصفوة من ذوى العصبية الأعزاء فاذا كان فى مكة فهو فى بلد الكعبة التى كان يهدى اليها العرب أعز ما يملكون وأنفس ما يقتنون ، والتى اهدى اليها كسرى — فيما يذكر الامام السهيلى — الغزالين من الذهب اللذين كشف عنهما حفر عبد المطلب بئر زمزم ، واذا كان عليه السلام فى قريش فهو فى بنى عبد مناف ، واذا كان فى بنى عبد مناف فهو فى بنى هاشم ، واذا كان فى بنى هاشم فهو ابن عبد المطلب ، خلاصة من خلاصة من خلاصة ، كما يقول الأثر الشريف « ان الله اصطفى من بنى اسماعيل كنانة ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى بنى هاشم من قريش ، واصطفانى من بنى هاشم ، فأنا خيار من خيار من خيار » .

ان محمدا أكبر من أن تجلى كرائم صفاته كلمات ، كما أن دعوته أجل واعظم من أن تشرح مقاصدها وأهدافها أقلام عجلى فى يد أذهان مجهودة تكتب الى قراء رهقتهم تكاليف الحياة ، واحاطت بهم خبائث الدعايات الكواذب التى تعوق عن التأمل الصحيح والاستيعاب الواعى لفضائل المذاهب الاصلاحية والقائمين عليها وفضائح المذاهب الهدامة والمتعصبين لها .

والذين يطيب لهم أن ينتفعوا بالحديث عنه صلوات الله عليه لا بد أن يستقوا حديثهم من منابع القرآن العظيم ، لكى يتهيأ لهم الربط الوثيق بين المنهاج وبين القدوة فى هذا المنهاج ، لأن القرآن مع كونه منهاجا اصلاحيا كاملا لم يبلغ غايته ، ولن يبلغ غايته من الاصلاح المنشود الا بالقدوة الصالحة ، ويكذب الذين يظنون أن المنهاج بغير قدوة يستطيع أن يفعل شيئا ، ويصدق الذين يقولون إن القدوة ولو بغير منهاج أقدر على الاصلاح وأيسر سبيلا اليه .

وفى القرآن والخبر يستطيع المتأمل ان يتمثله عليه السلام بشرا رضى الخلق ثقيل الأعباء داعيا الناس الى الاستقامة على الطريق بعمله أكثر من دعوته اياهم الى ذلك بقوله ، الى أنه عليه السلام حبيب الى قلوبهم مطاع فيهم فى المنشط والمكره وفيما يأخذون وما يدعون .

وأول ما يسترعى الانتباه من حديث القرآن عن رسول الله ، تلكم الآيات التى وصفته بأنه بشر ، يأكل ويشرب وينام ويستيقظ ويرضى ويغضب ويفرح ويحزن ثم يحيا ويموت « قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى » ، « فاصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم » ، « وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد » ..

فهذه الآيات وأمثالها حين تصفه بالبشرية ، تقارن فى القرآن آيات أخر تصفه بالعبودية لله رب العالمين « الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب » ، « سبحان الذى أسرى بعبده » ، « أليس الله بكاف عبده » وهذه الآيات وتلك الآيات — فى وصفها اياه عليه السلام بالبشرية والعبودية — تستهدف أمرين :

احدهما تبيان الحق وأخذ الطريق على المعاندين الذين يطلبون اليه ما ليس فى طاقة البشر ، وثانيهما تطهيره من الغلاة الذين قد ينساقون — خبثا أو جهلا — الى السمو به فوق البشر فيضعونه فى منازل الالوهية . وعجب فى هذا المعنى أن ترى من أمته من يرفعه بعض أتباعه الى منزلة الاله مع أنه صلوات الله عليه ظل على مر القرون فى منزلته من كونه بشرا عبدا لخالق السماوات والأرض ، فلم يتحدث عنه تاريخ الا بأنه عبد الله ورسوله وفيض رحمته للعالمين ، ومرد ذلك عند التحقيق الى هذه الآيات التى أدامت على الاسماع وصفه بالعبودية حتى صرف ذلك طلاب الغلو عن الغلو فيه ، وحتى وقفوا به عند وصف القرآن اياه .

ولئن كانت هذه الآيات قد أدارت على الأسماع وصفه بالبشرية فحال ذلك بين الغلاة وبين رفعهم اياه الى منزلة الألوهة ، لقد كانت هذه الآيات نفسها مجالا لعناد معاند وتكذيب مكذب « وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا » .

واما اخلاقه عليه السلام فحسبك منها فى القرآن قول الله « وانك لعلى خلق عظيم » ، « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » ، وخلقه العظيم صلوات الله عليه — بكل ما ينطوى عليه من مفردات الصفات الكريمة — لم يتهيأ له بعد الرسالة فحسب ، ولكنه كان خلقا ملازما له من قبل ومن بعد على ما يعرف ذلك كل من قرأ ما كتبه عنه الكاتبون عربا وعجما وأصدقاء وأعداء ، ومن ذلك ما يرويه الثقات من اختيار زيد بن حارثة البقاء معه عبدا على اللحاق بأبيه وقومه حرا ، فى حديث طويل يرويه الثقات من المحققين وفيه يستبين قول الله تعالى « ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله » فان هذه الآية نزلت بسبب تبنى محمد زيدا واشهاده قريشا على أنه ابنه وأنهما يتوارثان كما يرث الولد والده والوالد ولده ، وكان ذلك عرفانا من محمد لفضل زيد وتقديرا كريما لموقفه معه حين آثره على أبيه وآثر بيته على بيت قومه .

وأما ثقل أعبائه ففى قول الله تعالى تبيان له « يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا » فقد فرض الله عليه قيام الليل ، وفرض على نسائه تبعا له ما لم يفرضه على سائر نساء المسلمين فضاعف لهن العقوبة فى الاساءة والمثوبة فى الاحسان .

وأما أنه كان قدوة للمؤمنين يدعوهم الى الخير بعمله أكثر مما يدعوهم اليه بقوله فما نرى أحدا يخفى عليه أن يجد لذلك مثلا لا تخضع لحصر ولا تنقاد لبيان ، وآية ذلك أنه يدعو الناس الى التقشف وهو سيد المتقشفين حتى تقول عائشة « لقد كان يمضى الشهر والشهران دون أن توقد فى أبيات النبى نار فليس له ولا لأهله من طعام الا التمر والماء » .

ويذكر الثقات أن بعض أصحابه — بعد أن فتح الله عليهم الدنيا — قدم بين يديه طعاما طيبا فلما هم يضعيده ليأكل رآه الناس يبكى بدل أن يطعم فسأله سائل ما يبكيك فقال : أبكى لأن رسول الله فارق الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير وهأنذا كما ترانى وبين يدى أطيب الطعام .

وأما حب الناس له وايثارهم طاعته على كل أثير ، فأمر يعرفه المتدبرون تدبر الفاقهين المنصفين .

كان بعض أصحابه — فيما يروى الثقات من أهل الحديث — يؤم المسجد ، وفيما هو فى الطريق اليه سمع صوت النبى يقول اجلسوا أيها الناس ، فحين أنتهى صوته عليه السلام الى مسمع صاحبه جلس حيث هو فى السوق أو على باب المسجد ، لم يزد خطوة واحدة بعد أن انتهى الى مسمعه الصوت الشريف ، ولم يزل كذلك حتى خرج النبى ورآه على هذه الحال فسأله : ما أجلسك هذا المجلس ؟ فقال يا رسول الله انى سمعتك تقول اجلسوا فجلست حيث ترانى ، فقال له النبى « زادك الله طاعة » . .

فهكذا كان أصحابه يحبونه حبا يدعو الى القدوة به ، وهو الحب الذى يمضى بسالكيه الى مرضاة الله سعادة فى الدنيا ونعيما يوم يقوم الأشهاد ، وليس حب المجاذيب التافهين الذين يشترون بآيات الله ثمنا قليلا فيقودهم هذا الحب المصنوع الى سخرية الساخرين فى الدنيا والى مساخط رب العالمين يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

أسأل الله تعالى أن يرزقنا حبه حبا يدعونا الى القدوة به والمسارعة الى طاعته ، وأن يرزق المؤمنين به ايمانا يدعوهم الى صيانة تراثه من عبث العابثين وتآمر المتآمرين وتربص المتربصين ، ولئن فعل — وله الفضل والنعمة — لقد أدركتنا رحمته فخرجنا بها من ظلمات تلف الماضى وتحجب المستقبل وتنذر بأكبر الاضرار وأشد الأخطار .

والله الهادى الى سواء السبيل .



الرسول الأمي

للاستاذ الدكتور : محمد البهى

* هو محمد بن عبد الله عليه السـلام .

* هو ذلك الانسان الذى تخلص منذ طفولته من تأثير الشهوة والهوى على تصرفاته . وما يروى عن أنس من أنه قد شق صدره فى طفولتـه وأخرجت منه المضغة السيئة ليس الا تعبيرا حسيا عن هذا التخلص ، أو بالأحرى ليس الا تعبيرا عن مدى تجنبه منذ الصـغر وقدرته على الحركة لما يؤذى الذات أو يؤذى الآخرين ، وعن التزامه بالسلوك الانسانى الكريم فى تصرفاته وفى مواقفه .

* هو الطاهر ، والأمين : لم يفعل الا ما هو مقبول عند الناس . ولم ينقل أو يتحدث الا من واقع ملموس .

* *

* كان معدا بصفاته الانسانية الكريمة لأن يتلقى رسالة من اللـه للبشر ، تجمعهم على الكرامة الانسانية التى تتمثل فى الايمان بالله وحده ، وتهديهم الى الصراط السوى ، وهو صراط العدل والاحسان .

ولكنه لم يكن معدا لأن ينقل عن الآخرين من أهل الكتاب ممن اصابوا طرفا من رسالات الرسل السابقين . اذ كان اميا : لا يستطيع الاطـلاع

على ما لديهم بالقراءة ، كما لا يستطيع تسجيله بالكتابة ، فضلا عن اختلاف اللسان بينه وبينهم : « قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا ، وهدى وبشرى للمسلمين . ولقد نعلم أنهم يقولون : انما يعلمه بشر ، لسان الذى يلحدون اليه (أى يحيدون عنه ويكفرون به) أعجمى ، وهذا لسان عربى مبين (١) » .

* فاذا أضيف الى كونه عليه السلام أميا : ان القرآن « موضوعى » يستهدف البشرية وحدها وتخليصها من آثار الشهوة والحزبية ، وآثار الشعوبية والعنصرية .. يستهدف نقل المجتمع الانسانى من بداوة السلوك ، وقبلية التصرف والموقف .. الى مجتمع ذى حضارة ترى فيها خصائص الانسان فى بناء العلاقات ومباشرة التصرفات .. اذا أضيفت الى أميته : « موضوعية » رسالته ، فان صدقه فى هذه الرسالة لا يحيد عنه الا جرىء فى الانكار ، أو واقع تحت تأثير دفع العادة أو جمود الذهن وحركة التفكير .

وموضوعية القرآن تتجلى :

اولا : فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . والمعروف هو ما شاع فى عرف الناس قبوله واستحسانه . والمنكر هو ما راج لديهم استنكاره ورفضه . وما كان من المعروف أو المنكر على هذا النحو لا يختلف فيه فريق من الناس مع فريق آخر منهم . وبالتالى لا يمثل حزبية ولا غرضا خاصا . وانما يعبر تعبيرا واضحا عن « موضوعية » .

وثانيا : فى تحليل الطيبات فيما يستمتع به الناس : فى الأكل والشرب ، وفى العلاقة بين الرجل والمرأة . وفى تحريم الخبائث وتجنيب الناس اياها : فيما تشتهيه النفس كأكل الخنزير أو الميتة ، وكشرب الخمر ، ولعب الميسر ، وكالربا فى المعاملات المالية ، والزنا فى علاقة الذكر بالأنثى .

والطيبات هى ما تنطوى على المتعة التى لا يصحبها ضرر للذات أو للغير . والخبائث هى ما يؤدى تناولها أو مباشرتها الى ضرر يعود على الذات أو على الغير ، أو عليهما معا . وتحليل الطيبات ، وتحريم الخبائث فى القرآن لا يستند الى التأثر بعادة فى مجتمع ما . وانما يستند الى « موضوعية » فوق كل الفروق فى العادات والتقاليد فى المجتمعات البشرية وتستهدف الصالح العام وحده لكل انسان .

وثالثا : تتجلى هذه الموضوعية للقرآن فى تحرير المجتمعات مما وراء ذلك من قيود على الاستمتاع بمتع الحياة المادية ، أو على المعاملات أو العلاقات .. تلك القيود التى وضعتها تقاليد معينة أو اعراف خاصة . وعلى وجه معين تحريرها من عبادة الاصنام وعبادة الانسان للانسان ، والاعتقاد فى الخرافات والاوهام .

وهذا كله بالاضافة الى أداء عبادة المال ، ووجوب مباشرة العدل ، والسعى الى سلوك طريق الاحسان : « ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل ، يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم ،

فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه اولئك هم المفلحون »(٢) .

ان (أمية) الرسول عليه السلام مع (موضوعية) رسالته ، هى الحجة القاطعة اذن فى صدقه فى الرسالة .

وموضوعية الرسالة يبعدها عن أن تكـون طريقا للانتقـــام ، أو الانقلاب ، كما يبعد أن تكون الدعوة اليها لاثارة الاحقاد ، وهدم أواصـر الاخوة البشرية بين الافراد جميعا .

موضوعية الرسالة تجعلها تسلك مسلك التوجيه ، وتخاطب منطق الانسان ، دون شهوة المعدة او الفرج ، وتحتكم الى الارادة الحرة فيه .

ولذا : ما يعرضه القرآن من أمارات محسوسة فى الكون تشــير الى وحدة الله فى الوجود .. يقرها كل صاحب منطق سليم ، ويستخلص منها الدلائل كل من لا يعترض تفكيره تمسك بعادة أو تقليد خاطىء . وعلى نحو هذه الأمارات فى وضوح استخلاص نتائجها منها ما يضربه من أمثال . فهى توجه الى العقل البشرى وحده . نقف قليلا عند قوله تعالى : « وضرب الله مثلا رجلين : أحدهما أبكم لا يقدر على شىء ، وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير ، هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مسـتقيم »(٣) .. اذ من النظر فى هذا المثل يصــل العقل الى التمييز والمفارقة بين شخصين لا ينبغى أن يكونا فى مستوى واحد . اذ احدهما فاقد الارادة واستقلال الذات ، بينما الثانى يملك زمام أمر نفسه ، كما يملك شأن العدل بينه وغيره . ومن وصول العقل الى هذا التمييز بين موجودين فى عالم الوجود يدرك : أن هذا العالم لا يستطيع أن يوجده الا من كـان كامل القدرة على الأشباه والمتباينات . وكامل القدرة يجب أن يكون واحدا ، ويستحيل أن يكون متعددا .

وبقدر ما تخاطب الرسالة الموضوعية لدعوة القرآن العقل البشرى ، بقدر ما تعتمد كذلك على الارادة الحرة والمشيئة المطلقة فى الانسان . أى تعتمد على الاقناع الذاتى بها : « قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق مــن ربكم ، فمن اهتدى فانما يهتدى لنفســه ، ومن ضل فانما يضل عليها ، وما انا عليكم بوكيل »(٤) .

فالحق ـ وهو دعوة القرآن ـ معروض فقط وغير مفروض بالقدرة المادية أو بالتحكم فى مصائر الأفراد وارزاقهم ، والانسان له أن يهتـدى فيؤمن بها ، أو ينحرف ويضل فيكفر بها . والقائم بأمر هذه الدعوة ان هو الا مبلغ ومعلن لها .. ان هو الا موضح بعيد فى توضيحه كل البعد عن أن تكون له ولاية أو سلطة على من يدعوهم .

ولذا اذا كان موضوع الدعوة القرآنية انسانيا من حيث المبــادىء والقيم العليا التى انطوت عليها .. فأسلوبها انسانى كذلك ، من حيث : بعده عن الاكراه ، ومن حيث : اتجاهه المباشر الى عقل الانسان وحده .

وبانسانية موضوع الدعوة ، وبانسانية أسلوبها مع ذلك : تقــوم رسالة الرسول الأمى عليه السلام للانسانية حضارة فى مستوى رفيــع ، تعجز البشرية حتى الآن عن أن تقدم لونا من الحضارة يخلو من اثر الحزبية ومن وسيلة العنف والاكراه . والقرن العشرون بما له من فخر الابداع فى بحوث الفضاء والآلية ، والاعتزاز بالتوسع فى التطبيق التكنولوجى .. فان ما استحدثه من وسائل التدمير الرهيبة يجعل من بعض الشعوب أممـا

كبرى ذات نفوذ على حساب ماعداها ، ومن البعض الآخر أما صغرى تدور فى فلك غيرها ولسيادتها ومصالحها الذاتية . كما أن ما يتصارع فيه من ايديولوجيات لا تعرف للقيم الانسانية العليا وزنا وانما تمجد نظم حكم معينة والقوة المادية وحدها ، كما لا تعير حرية الانسان اهتماما فى قبوله لما يشاء . بل تكرهه اكراها على قبول رأى معين بطريق مباشر أو غير مباشر . ولذا اذا كان القرن العشرون قرن الحضارة العلمية الصناعية فانه قرن مفلس بالنسبة للحضارة الانسانية الخالصة .

ومحمد الأمى عليه الصلاة والسلام فى بلوغه هذا المستوى الرفيع المعجز فى موضوع الرسالة وفى أسلوب الدعوة اليها ، انما كان له ذلك بفضل اصطفائه من قبل الله لهداية البشرية . ولو لم يكن مصطفى ومختارا من الله لوجد قصور فى موضوع الرسالة — أو لكان قد التجأ ولو مرة الى الهوى او الاكراه فى أسلوبها : « أفلا يتدبرون القرآن ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا (أى تناقض) كثيرا »(٥) .

لم يفرض عليه السلام دعوته الى الحق على أحد ، عندما كان يستطيع أن يفرضها بالقوة على المكيين يوم أن دخل مكة فاتحا وكان له النصر المبين اذ ذاك وانما بقى ملتزما أساس الأسلوب فى الدعوة اليها : « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » .

واسلوب دعوته لذلك لم يكن اسلوب ثورة ، وانما كان اسلوب توجيه واقتناع .

ولم يكن أسلوب انقلاب ، بل كان أسلوب تطور .

فالثورة والانقلاب — مع فرق بينهما — وسيلة لتمكن صاحب الفكرة من السلطة أولا عن طريق القوة المادية . ثم بعد أن يتمكن يفرض دعوته بكل الوسائل التى تصم الآذان بها ، وتعمى الأبصار عن غيرها ، وتغلق القلوب والعقول دون قبول ما سواها .

ثم شتان بعد ذلك بين موضوع دعوته عليه السلام وموضوع ما يسمى بالثورة أو الانقلاب فى عصر العلم والتيكنولوجيا . فبينما الحق للبشرية كافة يتجلى فيما جاء به وحى القرآن .. اذا بالهوى والشهوة يسيطران على خطوط الايديولوجية الثورية وعلى وسائل نشرها .

ان الثورة أو الانقلاب من أجل السلطة فقط ، بينما دعوة الحق التى جاء بها محمد الأمى عليه السلام هى لاصلاح البشرية ، وتمكين الخصائص الانسانية فى العلاقات بين أفرادها . ولم يكن فى تصوره عليه السلام عندما قام بدعوته مبشرا ونذيرا وهاديا الى صراط الله : أن ينقض على عرش ملك أو نظام حكم ، ليرث الحكم وجاهه ، أو أن يكون ثريا يحيا حياة الترف عن طريق ثرائه الطارىء . وانما بقى فى تواضعه فى أسلوب الحياة قبل الدعوة ، ولم يتغير بعد أن دان له النصر ، واصبحت له أمة متماسكة ، وقوة عزيزة الجانب تصد العدوان عن دين الله الذى اجتمع عليه من كانوا أشد فرقة فيما بينهم ، واقرب الى الهاوية بسبب خصومة بعضهم لبعض ، فى لحظة من اللحظات : « واذكروا نعمة الله

عليكم » اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون »(٦) . .

• •

والاحتفال بذكرى ميلاد الرسول الأمى عليه السلام هو قبل كل شىء فى ابراز موضوعية رسالته ، وبانسانية مبادئها وأسلوب الاقناع بها . . هو فى تأكيد اصطفائه من الله . لأن القرآن بما له من موضوعية مطلقة يستحيل أن يأتى به شخص — وشخص أمى — مهما تعاون معه المتعاونون وشد أزره أصحاب المعرفة والحكماء المختلفون : « قل : لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن (فى موضوعيته وتجرده عن الغرض والهوى قبل كل شىء) لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا »(٧) . . هو فى ادراك المسلمين فى حاضرهم أنهم باتخاذهم أسلوب العلمانية أو التبعية لايديولوجية أجنبية ، انما يستبد لون الذى هو أدنى بالذى هو خير . لانهم عندئذ يأخذون بجملة من المبادىء صاغها الحقد والهوى ، أو صاغتها الأنانية ، بدلا من نظام يرى العلاقات الانسانية فى انسانيتها ومودتها والاخاء بين أفراد الانسان جميعا . وانهم بعد ذلك يسخرهم الشيطان فى سبيل الطغيان وحده . .



---

(١) النحل : ١٠٢/١٠٣ . .
(٢) الاعراف : ١٥٦/١٥٧ . .
(٣) النحل : ٧٦ . .
(٤) يونس : ١٠٨ . .
(٥) النساء : ٨٢ . .
(٦) آل عمران : ١٠٣ . .
(٧) الاسراء : ٨٨ . .

من هدي السنة

للدكتور علي عبد المنعم عبد الحميد
الاستاذ في جامعة الكويت

سيدي رسول الله

عن الصعب(١) بن جثامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((لا حمى(٢) الا لله ولرسوله)) .

رواه البخاري

كل عاقل يجب أن يستكثر من الخير ، وكل قوي يريد أن يبسط سلطانه على ما تؤهله له قوته ، ولا يخلو الامر في كل حال من ظلم يحيق بآخرين ، وتعد على مستضعفين ، وقد مر ويمر بالحياة قاهرون ومقهورون ، وغالبون ومتغلبون ، ولو أن البشر تركوا وشأنهم دون قيادة حازمة تضع كل شيء في موضعه ، وتعمل على ايصال الحقوق لاصحابها لصارت أوضاع الناس فوضى حيث لا هادي ولا رائد ، ولا حامي ولا ذائد ، وفي هذا الحديث الشريف يوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم متزعمي الجاهلية الى ربهم القوي ويمضي بهم الى رحاب رسوله المصطفى ويعلمهم أن كل شيء لله وحده ولا يحق لعبد أن يخص نفسه بزائد يتجاوز به حدود رب العالمين ، فقد روي أن هذا القول الشريف موجه اصالة الى شرفاء الجاهلية الذين كانوا اذا نزل احدهم أرضا استعدى كلبا فحمى مدى عوائه لا يشركه فيه غيره ، وهو يشارك القوم في سائر ما يرعون فيه ، فكان هذا التوجيه نهيا عن فعل ممقوت ، ضرره يقع على الاكثرين ، ويعود فضله على آحاد . ويستمر واجب التطبيق في كل عصر ومصر حتى ينفخ في الصور لا يقبل نقدا ولا تعديلا ، لان مصدره من يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ، ومبلغه ومنفذه المجتبى المختار .

والاسلام في حاجة ماسة الى ادامة الدعوة لمبادئه القويمة ، حتى تثبت في الارض وتستقر في النفوس، وتصبح واقعا عمليا مطبقا في أرضه، فلا بد من تبصير أممه وشعوبه بمناهجه الصريحة السليمة البينة ،

التى ترسى أسس العمران القائم على مجتمع متكاتف متحاب ، متحد متساند ، ولا ينمو ولا يزدهر الا بدعاة مخلصين مؤمنين بالله وحده وبرسوله الامين : ((**رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه**)) ووثقوا بقيوم السموات والارض ، وعرفوا عن يقين لا يتسرب اليه شك ، ولا يداخله ريب ، أن الله الذى رفع السموات بغير عمد ، وبسط الارض ودحاها ، ذلك الاله القوى القادر القاهر العظيم ، هو رب محمد النبى العربى الهاشمى القرشى ، سليل أمة شرفت به فى دنياها واخراها ، وقد رعاه فى الجاهلية وتعهده وأدبه فأحسن تأديبه ، وأكرمه اذ حال بينه وبين الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، واختاره من بين خلقه اجمعين لحمل الرسالة وأداء الامانة الى الناس كافة ، وحفظه بعنايته من شياطين الجن والانس ، وجعله من اولى العزم ، تحمل الاذى من قومه وصبر عليه ، فقد أوذى فى سبيل الله فصبر حسبة لله ، القيت عليه الحجارة وبصق علىَ وجهه الشريف ، وجمعت القاذورات على باب داره ، وأخرج من بين أهله وعشيرته ، فما وهن عزمه ، ولا ضعفت ارادته ، ولا أوغر صدره على أحد ولا قسا ابدا حين قدر : ولا تخاذل فى القيام بالمهمة التى وكلت اليه ، بل مضى قدما فى الدعوة الالهية وجاهد وجالد وصبر وصابر ، وكان جوابه الدائم للمعاندين ، والمؤذين والمعوقين جواب الرحيم ، والاخ الكريم ، والرسول الحكيم ، ((**اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون**)) ..

وهنا نتساءل : هل كان رسول الله صلى اله عليه وسلم يريد من دعوته مالا ؟ أم هل كان يطلب جاها ؟ ، أم كان يسعى لدنيا فى صورة أخرى ؟ والجواب على هذا التساؤل جواب واحد وهو : لا ، والف لا ، يقولها التاريخ بملء فيه ، وتتردد اصداؤها فى الدنيا بقوة قوية جارفة للباطل ، ماحقة للكفر ، وكيف يطلب دنيا ؟ ورب الدنيا يقول له فى محكم كتابه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه : ((**واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شىء مقتدرا**)) وكيف يطلبها وهو يعلم : أن الدنيا خداعة غدارة ، ماكرة فاجرة ، عزها ذل ، وغناها فقر ، لا بقاء لها ولا استقرار : ((**لو كانت تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرعة ماء**)) .

نعم : لقد طلبها فى حدود أوامر الله تعالى ونواهيه ، واستقر فيها لحظات من عمر الزمان ليعلم البشر أن العاجلة مزرعة الآجلة ، وأن هنا سوق للبيع والشراء ، وهناك احصاء الربح والخسارة ، وقد رحل عنها يوم اطمأن على رسوخ أقدام الدعوة ، وثبات مبادئها ، واستقرار الامر لخلفائه من بعده .

وكيف يطلب جاها ؟ وجاهه مستمد من رب كل شىء المبدىء المعيد الذى أوحى اليه ما أوحى بعدما أطلعه على جلاله وعظمته ربه مسير الفلك ، ومقيم الملوك ، ومبيد الظلم والظالمين ، أهلك فرعون وهامان ، وأسرى به فى لحظات ، وطاف به الملكوت فى لمح البصر : ((**علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالافق الاعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى الى عبده ما أوحى**)) .. الآيات من سورة النجم .. ـ كيف يطلب جاها غير جاه ربه الذى أراه منازل العتاة الجبارين فى النار : ((**اذ الاغلال فى اعناقهم والسلاسل يسحبون ، فى الحميم ثم فى النار يسجرون**)) هناك

يقال لهم : ((**ذوقوا مس سقر**)) ويقول قائلهم : ((**يا ليتها كانت القاضية ، ما أغنى عنى ماليه ، هلك عنى سلطانيه**)) فيجاب : ((**خذوه فغلوه . ثم الجحيم صلوه**)) . الآيات من سورة الحاقة .

وكيف يريد من الدنيا مالا وهو صلى الله عليه وسلم الذى انزل عليه : ((**ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا**)) . الآية ٣٠ من سورة الاسراء — ويوقن بغنى وقدرة من يقول : ((**ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ، ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون ، وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين**)) الآيات ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ من سورة الزخرف .

هيهات هيهات ، ان تكون دعوة خير الخلق لدنيا او لجاه أو لمال ؟!! وانما كان لبها وجوهرها ومبدؤها وخيرها ، وأولها ومنتهاها ، هداية الحائرين وارشاد الضالين ، وانشاء مجتمع اسلامى قوى قويم مستقيم ، فيه يتعاطف المواطنون ويتراحمون ، يعرفون لربهم حقه ، ولدينهم واجبه ، وينالون من طيبات الدنيا فى غير مخالفة ولا تجاوز لحدود الله : ((**قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون**)) . الآية ٣٢ من سورة الاعراف .. دعا سيدى رسول الله الى تكوين أمة سداها ولحمتها الايمان بالله ، والتواصى بالخير والمرحمة ، أمة تتواصى بالحق وبالصبر ويعرف أبناؤها أن لهم مكانا على الارض يجب أن يحموه ، وأن يشهروا السلاح فى وجوه أعدائه ، ويؤمنون بأن القوة كل القوة فى التعاطف الاصيل الذى يمحو الفوارق ، ويبيد الفتن التى تنشأ من حقد الفقير على الغنى ، وما الغنى فى أمة الاسلام الا نائب عن الله فى ماله ، وليس له مما ملك أو مما ملكه الله الا ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى ، أو تصدق فأبقى ، وأن يعرفوا تمام المعرفة أن من دواعى انهيار المجتمعات السعى فيها بالفساد فمحوا من بينهم الساعى بالنميمة المفسد بين الناس بالوقيعة الخادع الغاش فكل أولئك لهم مكان فى سواء الجحيم ، فمجتمع الاسلام الحقيقى يوقن العائشون على أرضه المستظلون بسمائه انهم كما هم سواسية فى هوائه وشمسه ومائه هم كذلك سواء أمام رب الهواء والشمس وخالق الليل والنهار لا فضل لأحدهم على أخيه الا بالتقوى ان أكرمكم عند الله أتقاكم .

لله أنت سيدى رسول الله ، حولت كل شىء الى الافضل ، فبدلت الظلم عدلا ، والجور انصافا ، والجهل علما ، والظلمة نورا ، والكفر اسلاما وايمانا ، والتنافر محبة ووئاما ، لقد حولت الحمق والعنجهية والجاهلية الجهلاء فى بعض اصحابك الى صرامة فى خدمة الدين ، ودفاع فى ايمان وصوفية فى قوة ، وصيرت من قصاب كسعد بن أبى وقاص قائد جيش وفاتح ممالك ، وبدلت من خالد ابن الوليد الحرب على الاسلام صديقا مؤمنا سيفا للاسلام مجاهدا فى سبيل الله حتى لقى ربه وهو عنه راض ، وجعلت من العبد ذى الرأى المطروح والقول المتروك وخدن المهانة وقرين الذل ، عنوانا على الصبر ورمزا للجهاد فى سبيل الحق والعقيدة ، وقبل كل اولئك اريتنا كيف يصير الاسلام الرجل صديقا صدوقا ، وحبيبا مخلصا ، يفدى صاحبه بنفسه ، ويقدم راضيا روحه فى

سبيله ، وحسمت هـــذه المعانى فى نماذج كثيرة من اصحابك الاكرمـــين على الله وعلى الناس .

هذه التركة التى ارسى قواعدها سيدنا رسول الله صلى الله عليـــه وسلم والتى تهيجها فى نفوســـــنا ذكرى مولـــده الشريـــف تحتاج الى رجال مؤمنين موقنين بفناء الـــدنيا وبقـــاء الآخـــرة يعملون لها (أى للدعوة) ليلا ونهارا حتى تبقى وتثبت وتطبق ، تريد عاقـــلا تعـــاف نفسه طعام الزائلة ، ويدعو مخلصا لوجه الله ، يقول مقالة نوح لقومه : « **ويا قوم لا اسالكم عليه مالا ان اجرى الا على الله ..** » ومقالة هود لعاد : « **يا قوم لا اسالكم عليـــه اجرا ان اجرى الا عـــلى الـــذى فطرنى افلا تعقلون** » وذلـــك ليثقوا فى اخلاصه ولا يجدوا ثغرة ينفـــذون منهـــا الى عرضه وخلقه .. التركة تريد رجلا حازما مجاهدا فى سبيل الله يتحمل المشاق بقوة أولى العزم ، فقد بدأ الاسلام بالـــدعوة المسالمة الى الله ، حملها رجال آمنوا باللـــه وزادهم هدى ، وباب العمل مفتوح ، ولكل مجاله الـــذى يستطيع فيه خدمـــة عقيدته فـــلا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين .

وبعد : فان الحقبة التى نعيشها الآن ، تطلب من كل فـــرد قادر ان يتحمل المسئولية كاملة وان لا يحاول إلقاء التبعـــة على غيره ، فالحاجة دافعة الى تضافر الجهود، واستغلال الخيرات ، واطراح الأنانية المقيتة ، والتجافى عن الراحـــة والدعـــة ، والسير نحو البناء المعمر الشامل ، كل ذلك مع طاعة الله ، وانتهـــاج الطريق الأقوم ، الذى نصل منه الى قهر العدو الكاشح المتربص ، وبهذا يظل الحمى للـــه ولرسوله مهـــابا مصونا ، فمن لم يـــذد عن حوضه بسلاحه يهدم ، ومن لا يحمى حماه يهلك ، ومن ينكص على عقبيه فالنار مثواه والدمار نهايته ، والحق واضح ابلج ، والباطل ضعيف لجلج ، والله مع العاملين ولن يترهم أعمالهم ..



---

(١) الصعب ، بفتح الصـــاد وسكون العين المهملتين ، وجثامة ، بفتح الجيم وتشـــديد المثلثة ، ليثى .

٢) الحمى — لغة : المحظور ، وفى الاصطلاح الفقهى ، ما يحمى الامام من الارض الموات لرعاة يعينها لهم ، ويمنع سائر الناس مـــن النزول فيها ، ويطلق الحمى ايضا على محارم الله تبارك وتعالى ، وفى الحديث الشريف ، الا وان حمى الله محارمه ، ومن حام حول الحمى يوشك ان يواقعه .. الخ .

الطلاق

للشيخ : محمد ابو زهـــرة

١ — **« ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمـــة ، إنك انت الوهاب » .**

« ربنا إنك تعلم مـــا نخفى وما نعلن ، وما يخفى على الله من شىء فى الأرض ولا فى السماء » .

ربنا اجعلنا من الذين قلت فيهم : **« وهدوا الى الطيب من القول ، وهدوا الى صراط الحميد » .**

ربنا اجعلنا من الذين يستمعون الى كتابك الخالد من غير تحريف للقول عن مواضعه ، واجعلنا من الذين يدعون اليك سبحانك .

وممن ينطبق عليه قولك الحكيم : **« ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين ، ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى احسن ، فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم ، وما يلقاها الا الذين صبروا ، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم » .**

أما بعد ، فقد قرأت فى العدد الخامس بعد الثمانين من مجلة (الوعى الاسلامى) التى اعرف أنها لا تنشر الا ما يتفق مع كتاب الله وسنة رســـوله صلى الله تعالى عليه ، قرأت فى هذا العدد مقالا مسهبا لأستاذنا على الخفيف ، قد كتب بعبارات انسانية واضحة ، تنتهى الى ضرورة ان يكون الطلاق بعـــد التحاكم أمام القاضى ، وان من يطلق من غير تحكيم للقضاء يعاقب بالســـجن والغرامة ، وقد ساق المبررات لذلك فى نظره .

وكنت أود مع اخوانى أن يبدى هـــذه المقدمات التى ساقها أمام لجنـــة الأحوال الشخصية التى قدمت مشروعها سنة ١٩٦٢ ، وكان من أبرز أعضائها لكى يجنبها الخطأ الذى وقعت فيه وهو منع أن تقع عقوبة على المطلق ، ولقـــد قررت ذلك بالاجماع ، ولم يعترض الأستاذ على منع عرض أمر الطـــلاق على القضاء الا ان يكون بطلب المرأة مما نص عليه القانون فهو قد وافق مع الموافقين ولم يخـــالف .

وكنت اود ان يقدم ذلك البيان البليغ لمؤتمـــر مجمع البحـــوث الاسلامية ليهدى المجتمعين الى ما يراه الحق المبين ، ولكنه لم يقدم ، ووافق على ما رآه اعضاء المؤتمر بالاجماع ، وهو منع وجود عقوبة على المطلق وعدم الحاجة الى ان يكون تحكيم فى مجلس القضاء .

ولا ندرى لماذا لم يقدم ذلك البيان البليغ فى الحالين ، ولمـــاذا وافق مع المجتمعين ، لعله كان معهم ، ولما انفرد عنهم رأى ما رأى ، والرجوع الى الحق فى زعمه خير من التمادى فى الباطل ، وسبحان مقلب القلوب .

٢ ــ واذا كان أستاذنا لم يقدم ذلك البحث المزين بأحسن الألفاظ فى وقت الحاجة اليه ، ووافق على ما اجتمع عليه اخوانه ، فكان معهم ، فأنا لا نسأل لماذا غير ما أجمع عليه مع اخوانه ، ولكن ندرس البحث فى ذاته من غير نظر الى ما احاط به ولا الى وقت تقديمه ، وان كان مؤخرا عن وجوب تقديم ، ولا نلتفت الى ما سبق ، فسبحان الذى لا يتغير ولا يتبدل ، ولا يجرى عليه البداء بأن يبدو له ما لم يكن فى اعتباره ونلاحظ ابتداء على بحثه انه احيانا يقتطـــع الآيات عما سبقها ، وأحيانا يقتطعها عما وليها ، فمثلا يقول : قال تعـــالى : **« تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون »** . والاشارة فى تلك الى حدود الله السابقة ، فلم لا يذكرها ؟ اليوهم أنها ما يراه هو حدا من حدود الله ؟ .

ولنتم له الآيات بذكر ما اقتطعه مما قبلها ، حتى صرنا لا نفهم لفظ الاشارة فى (تلك حدود الله) يقول تعالى : **« والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ، ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر ، وبعولتهن أحق بردهن فى ذلك ان أرادوا اصـــلاحا ، ولهن مثـــل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم . الطلاق مرتان ، فامساك بمعروف أو تسريح باحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فان خفتم ألا يقيما حدود الله ، فلا جناح عليهما فيما افتدت بـــه تلك حـــدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حـــدود الله فأولئك هم الظالمـــون »** .

انظر قد قطع لفظ الاشارة عن المشار اليه ، فلم تكن الحدود ان تكون ثمة رقابة من القضاء ولكن كانت الحدود لمدة الطلاق ، وحق المطلق فى الرجعـــة وجوازها عند ارادة الاصلاح والفدية فى التفريق ان خيف الا يقيما حدود الله . هذه هى الحدود وليس منها وضع الطلاق تحت رقابة القضاء .

وقد ذكر بعض هذه الآيات فى مقام آخر ليوهم فيه شيخنا مســـاواة الرجل بالمرأة الا فى حـــق القوامة عليها . وهى : **« ولهن مثل الذى عليهن »** والآية لو تأملها شيخنا لوجد أنها لا تتعرض لمساواة المرأة بالرجل ، بل هى تدل على تساوى حقوقها مع الواجبات عليها . فالله تعالى يقول : **« ولهن مثل الذى عليهن »** أى لهن من الحقوق مثل الذى عليهن من واجبات بدليل التعـــدية فى الأول باللام ، التى تفيد الملك ، والثانى بعلى التى تفيد الالزام ، ولا نحســـب أن ذلك كان يخفى على شيخنا صاحب ذلك البحث البليغ لو تأمله ، ولكنه نظر اليه نظرة عابرة ، وظنه يفيد مساواة الرجل بالمرأة وان ذلك مبدأ خلقى وشرعى فلا واجب الا وفى مقابله حق ، فاذا كانت المرأة عليها تربية ولدها فانه يقـــابله حق الحضانة .

والحقوق الشرعية كما يعلم الشيخ هى للتمكن من اداء الواجبات الشرعية والشيخ حفظه الله تعالى يقتطع الآية عما يليها ، ومن ذلك أنه يستشهد فى الاصلاح فقد نقل قوله تعـــالى : **« وان امرأة خافت من بعلها نشـــوزا أو اعراضا ، فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا ، والصلح خير »** واكتفى بهذا القدر ، وما بعده يوضح المعنى اكثر ، ولكنه يريد الوقوف عند ذلك ، وفيما

بعده بيان أن شح النفوس محضر ، وأن العدل النفسى غير ممكن ، وانه اذا حضر شح النفس بدل السماحة ، والظلم بدل العدل فالتفرق واجب ، ولنقرا الآية كاملة ، لا كما اقتطعها شيخنا حفظه الله تعالى :

((وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا ، فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا ، والصلح خير ، وأحضرت الأنفس الشح ، وأن تحسنوا وتتقوا ، فان الله كان بما تعملون خبيرا ، ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل . فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا ، وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما . وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما .))

ترك الشيخ حفظه الله تعالى ذلك الجزء الأخير من الآية ، ولا أدرى لماذا أهمله ولم يذكره لعله لا يريد ان يغضب أحدا بذكره ، ولعله لا يريد أن يذكر أن فى القرآن استحسانا للطلاق ولو فى بعض الأحوال .

٣ ــ ولقد استشهد الشيخ حفظه الله بأن عمر رضى الله عنه لما رأى الناس يكثرون من الطلاق بلفظ الثلاث أو يكررونه فى العدة جعله ثلاثا ، فقال :

روى ابن عباس رضى الله عنه أن الناس تتابعوا فى الطلاق ، وتعجلوا ، فتجاوزوا حدود الله تعالى فيه ، وطلق بعضهم مرتين وثلاثا فى عدة واحدة أو بلفظ واحد ، وكثر ذلك منهم ظنا منهم فيما أن الطلاق تصرف وكل لهم أن يستعملوه كما أرادوا فيكون طلاقا معتبرا فى وقوعه ، وفى عدده ، فلما رأى ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه عده خروجا عن حدود الله ، وعصيانا لما شرع الله ، فاستشار الصحابة ، وقال ان الناس قد استعجلوا فى أمر لهم كانت لهم فيه أناة فلو أمضيناه عليهم ، فلما وافقوا أمضاه عليهم . . .

ولنا تعليق على هذا الخبر عن عمر رضى الله تعالى عنه من وجوه :

أولها : ان الذى استكثره عمر رضى الله عنه أنهم طلقوا أكثر من مرة فى العدة ، ولم يذكر أنهم طلقوا ثلاثا بلفظ الثلاث (راجع كتاب الطلاق للمرحوم الشيخ شاكر ، وأعلام الموقعين) .

ثانيا : انه زاد فى الخبر انه استشار الصحابة ووافقوه ، وظاهره أن الموافقة كانت بالقول . والخبر كما جاء فى صحيح مسلم ليس فيه استشارة ولا موافقة صريحة ، وانما الامر كما جاء فى فتح القدير أنهم سكتوا ، ولم يعترضوا فعد ذلك اجماعا ، لان السكوت فى موضع الحاجة الى البيان بيان ، وفى الاجماع السكوتى كلام ، وأنكره الشافعى وفيه كلام طويل (راجع الاحكام فى أصول الاحكام للآمدى) .

ثالثا : أن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه لم يقل مع كثرة الطلاق أن يكون بتحكيم بين يدى القاضى فيكون طلب الشيخ أن يكون بتحكيم القاضى بدعة ، وهو تقليد للنصارى ، ولا حول ولا قوة الا بالله .

رابعا : أنه ادعى أن عمر فعل ما فعل للمصلحة .

واذا كان الثلاث مصلحة فى نظر الشيخ فهو يأتى على اصل دعواه بالنقض ، لأنه اذا كان الطلاق لا مصلحة فيه عند التهور ، فان توكيده يجعل الثلاث تمضى ايغالا فى البعد عن المصلحة ، فكيف يسمى ذلك مصلحة ، ولكنه سماه مصلحة لغاية فى نفسه ، والله عليم بذات الصدور .

خامسا : أن عمر رضى الله تعالى عنه لم يجد نصا قاطعا فى منع قوله ،

ولو كان هناك نص قاطع فى رد قوله ما وافق عليه احد من الصحابة . ولا التابعين . ولا الفقهاء أصحاب المذاهب .

٤ — وأن الشيخ ينتهى من بحثه الذى سماه علاجا لحال الطلاق الذى ادعى الاسراف فيه الى أن الطلاق يكون بعد التحكيم أمام القاضى . واحسب أن ذلك داء لا علاج . وهو اتباع للكنيسة لا للقرآن . وللاهواء والشهوات . وليس محاربة للاهواء والشهوات .

يقول الشيخ : « يكون العلاج بوضع تشريع يوجب على الزوجين اذا ما أريد الطلاق الرجوع الى القاضى . ليقوم بينهما بما أمر الله فى كتابه من محاولة الصلح بينهما ، وازالة أسباب الخلاف بالحكمة والموعظة الحسنة حرصا على بقاء الاسرة ، ومحافظة على ما ترتبط به المودة ... واذا اقدم الزوج على التطليق قبل أن يتمكن القاضى من الصلح عوقب لمخالفته ولى الامر ، فيما أصدره من قانون ملزم ، وليس فى عقاب من خالف ولى الأمر مخالفة لشرع الله ، فان أمره واجب الطاعة .. » .

هذا ما قاله فضيلة الأستاذ . وهو متناقض مع ما سبق من قوله من ان الطلاق بيد الزوج . وأن الله تعالى اعطاه ذلك الحق ، اذ هو يوجبه فى قانونه المحترم أن يذهب الزوجان . ومقتضى كلامه اذا ذهب الزوج وحده لا يلتفت اليه .

قد يقول اذا ذهب الزوج وحده دعيت الأخرى . ويحاول القاضى الصلح بينهما . وبقى أمر آخر لم يذكره أن عجز القاضى عن الصلح ، واعادة المودة . ورأى الزوج أن يطلق . أيمنع من الطلاق ويجبر على الصلح اجبارا .

واذا امتنعت هى عن الصلح . وطلق الزوج ايعاقب أيضا . ان قوله هذا تفكير غريب . واذا كان قانونا مقترحا . فهو أغرب .

واذا كان لدى الزوج أسباب مبررة للطلاق كريبة ارتابها . أو خروج عن جادة الزوجية الصالحة . أو كانت النفرة المستحكمة التى لا يستطيع القضاء أن يجعل منها الصفاء محل الخصام وطلق الرجل فى هذه الحال ، أيعاقب ، والله يقول : **((وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته))** .

الله يقول ذلك . وقانون الشيخ يقول : بل تبقى الزوجية على دخن . ويكون الكفر فى الاسلام ثم ألا يفصل القاضى اذا تقدم الزوج بأسباب يراها مبررة للطلاق . وألا يكون ذلك عدلا . لئن قال الشيخ ذلك فانه يكون متناقضا مع نفسه ، لأنه يمنع أن يكون الطلاق بحكم من القاضى . فيقول قبل ذلك لأنه منع التعزير على الطلاق بقوله :

بل قد يرى بحق أنها (أى الطلاق) معصية تستوجب تعزير من يقدم عليها غير أن ذلك قد يكون من الناحية العملية مؤديا الى ضرر . من المصلحة تجنبه ، وهو اشاعة اسرار الأسر ، وخفايا البيوت وما قد يتصل بذلك من اختلاق الأسباب وافتراء الكذب ، واشاعة الفحشاء ، والعيوب وغير ذلك مما ينبنى عليه طلب الطلاق ، وذلك ما يدعو الى تفاقم النزاع واشتداد البغضاء .. وهكذا نرى أن الشيخ يهدم بيد ما يبنيه باليد الأخرى ..

انه يوجب رفع الأمر الى القاضى ، والقاضى يفصل فى الخصومات . ولكن ايريد مشروعه أن يقتصر على محاولة الاصلاح فقط ، ولا ينظر ما لدى الرجل من اسباب للطلاق . وقد جاء الأمر اليه ، والا لا يكن قاضيا جالسا فى مجلس القضاء ، وأن نظر الا يكون فى ذلك ما حاول الشيخ أن يتوقاه ، أم انه يجعل مهمته فقط محاولة الصلح . وهل يستطيع أن يمنع الزوج مما يراه مبررا

للطــلاق . والا يكون اولى من القاضى حينئذ محكمون ، او الموثق الشرعى اللهم ان هذا لفكر لا جدوى فيه ، الا ان يكون استدراجا للشيخ ومن معه الى الا يكون الطلاق الا بحكم القاضى كالنصارى .

وكان غريبا أن يقول شيخنا أن العقوبة بالغرامة او الحبس ليست لأجل الطلاق انما هى لمخالفة ولى الأمر .

وقد وجدنا ذلك الكلام يجرى على السنة كل من لف لفه من اعضاء لجنة وزارة الشئون الاجتماعية ، وانا نسأله هو ومن معه لم وضع ولى الأمر هـذه العقوبة اليست على الطلاق من غير عرض الأمر على القضاء ، وحينئذ يكون وضع العقوبة على الطلاق ابتداء ، وان العقوبة على الطلاق تكون مصـادمة للنصوص القرآنية ، وما أقر الصحابة انه حلال عند الحاجة النفسية اليه ، وتقدير الحاجة نفسى للمطلق لا ينظر امام القضاء ، وخفـايا النفوس لا يمكن القضاء أن يتعرفها .

الله تعالى يقول : « **لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسـوهن او تفرضوا لهن فريضة** » . ويقول تعالى : « **واذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة** » يقول الله تعالى ذلك ، ويقول ولى الأمر باقتراح الشيخ من طلق من غير محاولة صلح عندى اغرمه أو اسجنه ، الا يكون ذلك معصية ، ولو كانت باقتراح الشيخ ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

ان من الانصاف أن نقول : ان الشيخ قال فى بعض الصحف السيارة أنه يجوز لولى الأمر أن يقيد المباحات وانه يبنى على هذا القول انه يجوز له أن يقيد الطلاق بأن يكون بعد محاولة الصلح امام القضاء . ونقول الحق فى هذا القول:

ان المباحات قسمان مباحات بالنص . كالطلاق وتعدد الزوجات وغير ذلك من المباحات التى جاءت النصوص المحللة ، وهذه لا يصح منعها ، ولا تقييدها ، وان من يحاول منعها ينطبق عليه قول الله تعـالى : « **ولا تقـولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام ، لتفتروا على الله الكذب** » وينطبق عليها قول الله تعالى ناهيا : « **يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ، ولا تعتدوا ، ان الله لا يحب المعتدين** » . وقد عاتب الله تعالى نبيه عندما حرم زوجاته على نفسه ، فقد قال تعالى : « **يايها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضاة ازواجك ، والله غفور رحيم** » .

هذا هو القسم الأول ، ومن حرمه ، انما يحرم ما احل الله ، فلا يجوز لشيخ ولا ولى أمر أن يحرمه .

والقسم الثانى ما كان مباحا بأصل الاباحة ، وبمقتضى ان الله تعالى خلق لنا كل شىء كالمرور فى الطرقات فان ولى الأمر ينظمه بقيود يقيدها ، بحيث لا يصل الأمر الى درجة التحريم ، فليس لأحد أن يحل أو يحرم .

٥ ــ هل كثر الطلاق المفرق للأسرة :

اكثر الشيخ حفظه الله من ذكر أن الناس يتسرعون فى الطلاق ، فيطلقون تحت تأثير غضب جامح ، أو فكرة عارضة من غير تدبر ولا تفكير ولا مراجعة للنفس ، وان علاج ذلك يكون بأن يكون بين القاضى مصالحـا ، أو حاكما ، والأولى ستجر الى الثانية لا محالة .

وذلك تقليد مسيحى . فهل الشرع الاسلامى لم يعالج ذلك ، وهل المشروعات التى وافق على بعضها الشيخ موافقة تامة لم تعالج ذلك .

ان الشرع الاسلامى بنصوص القرآن وسنة النبى صلى الله عليه تعالى عليه وسلم عالج ذلك فجعل الطلاق كله يكون رجعيا . وأزواجهن احق بردهن فى العدة ، كما قال تعالى : ((**وبعولتهن أحق بردهن فى ذلك**)) فان كانت الطلقة الرجعية جاءت تحت تأثير حال عارضة . فهى انذار . والفرصة قائمة وان عرض ما جعله يطلق مرة أخرى فهى ايضا رجعية . وهى نذير شديد الانذار اذ يستمع فيه الى قوله تعالى : ((**الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان**)) .

فان لم تجد النذر كانت عقوبة الله تعالى لا عقوبة ولى الامر التى لا يملكها ويريد الشيخ أن يملكها (فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره) .. وهى تجربة نفسية عنيفة لخطأ نفس متكرر . فعيوب النفس تعالج بالنفس لا بالقضاء ، والقضاء لا يعالج النفوس .

والقرآن أشار الى أن الطلاق لا يكون فى الحيض . فقال تعالى : ((**يايها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن**)) أى مستقبلات عدتهن وهن الحيض .

والفقهاء قرروا أن الطلاق اذا كان فى الحيض . أو طهر دخل بها فيه يكون بدعيا ، فالقرآن والسنة . والفقهاء بهديهما عالجوا خطأ النفس بالنفس . لا بالقضاء ، لأنه يؤرث العداوات على أنى سائل قضاة الأحوال الشخصية . — وقد شغل فضيلة الشيخ ذلك المنصب أمدا — هل كانوا يعملون على الصلح فى قضايا النفقات والحضانة وغيرها مما يعرض أمام المحاكم الشرعية ، ونص القانون رقم ٧٨ لسنة ١٩٣١ ولائحة المحاكم الشرعية قبل أن يدخلها التعديل بهذا القانون كان يدعو الى الصلح قبل ان يسير فى القضية ، ابقاء على المودة بين الزوجين ، حتى لا تمزقها الخصومات . فهل حاول القضاء ذلك ، وهل دون فى محاضره هذا فلماذا تحمل الآن القضاء ذلك الأمر . وهو لم يفعل ذلك من قبل اذ طلب ، لأنه حسب نفسه للفصل لا للصلح .

وأنا سائل الشيخ عن أنواع الطلاق الآتية ، أتكون العقوبة مقررة فيها :

أ — وقوع الفرقة بالايلاء بمقتضى قوله تعالى : ((**للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فان فاءوا فان الله غفور رحيم ، وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم**)) ماذا تقول أيعاقب الحالف الذى تربص أربعة أشهر ولم يأت امرأته فيها ووقع الطلاق نتيجة لذلك . فان كان يعاقب ، فانه يعاقب على حكم الله بالطلاق ، اذ لم يطلق . وفوق ذلك فالعقاب مصادمة لحكم الله تعالى ، واجبار على أمر لا يستطيعه ، وهو الدخول .

وان كنتم لا تعاقبون فقد هدمتم ما بنيتم . اذ يلجأ الناس عند المباغضة الى الايلاء .

ب — اذا فوض الرجل الى المرأة أمر طلاقها . فطلقت نفسها ، أيعاقب الزوج أم تعاقب الزوجة أم يعاقبان ، هو على تفويضه ، وهى على ايقاع الطلاق ، ولا أحسب أن السيدة الدكتورة وزيرة الشئون الاجتماعية تعاقب الزوجة لانها لا تلقى تبعته على امرأة ، بل تلقيها على الرجل .

جـ — اذا افتدت المرأة نفسها من عشرة لا تطيقها ، ودفعت مالا أو أبرأت عملا بقوله تعالى : ((**فان خفتم الا يقيما حدود الله ، فلا جناح عليهما فيما افتدت به**)) اذا كان ذلك كذلك ، وكان الطلاق بالخلع أتكون عقوبة ، وعلى

ايهما أعلى الزوج أم على الزوجة لأنها التى حملته على ذلك حملا ، أم عليهما ، ولا احسب أن السيدة وزيرة الشئون الاجتماعية ترضى بتحميل المرأة تبعة .

انى أحسب أن الذين وضعوا المشروع الذى يدافع عنه الشيخ أو يحاول تبريره لم يفكروا فى الامر من كل نواحيه ، ولو تدبروا فيه من كل وجوهه لرجونا أن يعدلوا ، ولاهتدوا الى سواء السبيل .

ان الأمر لا يقف عند تحكيم القاضى ، بل سيكون منع الطلاق الا باذن القاضى ، وانهم يستدرجون الشيوخ الى ذلك ، ولا حول ولا قوة الا بالله .

انهم يريدون أن تكون الأسرة الاسلامية محكومة بحكم الكنيسة لا بحكم الاسلام تقليدا وليس حماية للمرأة ، بل المرأة فى حماية الله ، وهو الرءوف الرحيم .

ولكن لماذا يتهجمون بهذه البدع التى لم يكن لها نظير فى الاسلام ، ويتحملون تبعة ذلك الابتداع فى شرعنا ، بل فى ديننا .

قالوا : ان الطلاق المفرق للأسرة قد كثر ، وان تشتيت الأولاد قد عم ، وان الطلاق هو الذى يسبب ذلك ، وان المصلحة تقتضى وضع قيود مانعة من الاندفاع فيه ، ذلك قولهم بأفواههم والله يقول الحق ، وهو يهدى السبيل .

ولنناقش هذا الذى ادعوه :

ان وقائع الطلاق فى مصر أقل من وقائع الطلاق فى أمريكا ، فقد بلغت نسبة وقائع الطلاق فى أمريكا ، وهو بيد القاضى نحو ٤٨٪ من وقائع الزواج ، وقريب من ذلك فى البلاد التى أباحت توثيق الزواج غير الكنسى ، انه يكفى عندهم أن تقول المرأة انه لم يقبلها فى الصباح كعادته فى ابتداء الزواج حتى يطلق القاضى ، هذا ما ترويه الصحف .

ونسبة وقائع الطلاق فى مصر الى الزواج ، كما يدل على ذلك احصاء ١٩٦٠ هى ٢٣٪ .

ونريد أن نقول ان الاحصائية تذكر عدد الطلاق بالنسبة للزواج سواء اكان قبل الدخول أم بعده ، وسواء كان الطلاق رجعيا أم كان بائنا ، وسواء أكان بتراضى الزوجين أم بمجرد ارادة الرجل ، ان الاحصائية لا تتعرض لذلك ، انما تحصى الوقائع احصاء ، ويجىء فلاسفة العصر المحاربون للشرع والموالون لغيره بتفكيرهم ، فيقولون كل طلاق يخرب أسرة ، ويفرق بين الأبوين ، وهو قول من لم يمحص الحقائق ، ولم يدرس الاحصاء .

ونحن شهد الله لا نتعصب لفكرة لم نفحص أدلتها ، ولا نحارب فكرة من غير بينة من البرهان القاطع فى بطلانها ، ولكنا نفحص ما يعرض فحصا يليق بمن يدرس أمرا اجتماعيا خطيرا فى مبناه ومغزاه .

٦ ــ الاحصاء يدل على أن الطلاق لا يخرب أسرا :

لقد قمنا باحصاء سهله لنا بعض أبنائنا من موظفى المحكمة الشرعية بمصر القديمة سنة ١٩٥٦ . ولقد دلنا الاحصاء على أن نسبة الطلاق بالنسبة للزواج تزيد على ٣٦٪ ، وهى تزيد على النسبة العامة فى مصر ، اذ أنها حول ٢٣٪ فى عمومها .

وذلك لأسباب اجتماعية اقتصادية خاصة بمصر القديمة لأنها مرسى

السفن التى تجىء من الوجه القبلى . وفى بولاق لأنها مرسى السفن التى تجىء من الوجه البحرى والملاحون والحمـــلة فى السفن يتزوجون ، وعند الرحيـــل يطلقـــون .

ومهما يكن السبب ، فقد درسنا حال الطلاق الكبير فى نسبته فى مصر القديمة سنة ١٩٥٦ أيخرب الأسر أم لا يمسها بسوء .

لقد وجدنا عدد الزواج يصل بالاحصاء الى ١٦٨٦ (ستة وثمانين وستمائة والف) عـــدا .

ووقائع الطلاق عددها ٦٠٥ (خمس وستمائة) .

ولا شك أن الطلاق الذى يخرب الأسرة ، ويفرق بين الأولاد يجب أن يكون بعد الدخول والا تكون رجعـــة بين الزوجين كما شرع الله تعالى ، والا تستأنف الحياة الزوجية بعقد بين اثنين وقع الطلاق بينهما ولم يتراجعا فى العدة ، والا يكون بالتراضى بين الزوجين .

ولنحكم الاحصاء فى ذلك ، بأن نتعرف عدد الطلاق قبل الدخول ونسقطه من وقائع الطلاق ، لأنه طلاق فى موضعه ، اذ هو منع لحياة زوجية غير صالحة للبقاء ، فهو وقاية من حياة زوجية فاسدة .

ولنتعرف عدد الرجعات ، فانه عند الرجعة لا تنفصم العلاقة الزوجية ، ولا تفرق فى الأسرة ، ولا يحتار الأولاد بين ابوين منفصلين .

وكذلك الأمر بالنسبة لتجديد الزواج بين زوج ومطلقته ، فان الأسرة اذا كانت قد تقطعت ابتـــداء ، فقد وصلت انتهـــاء ، ولا تخـــريب ولا تشتيت فى هـــذا الحـــال .

ويجب أن نسقط من العدد الطلاق برضا الزوجين ، لان الزواج بتراضيهما فالطلاق بتراضيهما ، وفى اكثر احواله يكون بطلب المرأة اذا كرهت زوجها كما كان فى أمر النبى بالنسبة للمرأة التى قالت للرسول : انى لا اشكو من زوجى خلقا ولا دينا ، انى اكره الكفر فى الاسلام ، انى لا أطيقه بغضا ، فأمره النبى أن يطلقها على أن ترد اليه حديقته التى كانت مهرها .

ولان التراضى بين الزوجين يكون اذا خافا الا يقيما حدود الله ، فكـــان الافتـــداء ولذلك ننزل من عدد الطلاق ، الطلاق قبل الدخول ، وعدده فى سنة ١٩٥٦ بمحكمة مصر القديمة « ٣٩ » ، وعدد الرجعات كانت « ٣٨ » وعـــدد الزواج بعد الطلاق وانتهاء العدة « ١٥٠ » وعدد الطلاق بالابراء أى برضـــا الزوجة وتقديمها مالا فى سبيله « ٤٠٤ » .

وبجمع هذه الاحوال يكون مجموعها ٣٩+٣٨+١٥٠+٤٠٤=٦٣١ .

واذا كان عدد الطلاق ٦٠٥ ، فانه يزيد الذى يسقط عن أصل العدد بست وعشرين واقعة ، وهى تكون من عدد الطلاق فى السنة التى قبلها ولم تدخل فى حساب سنة ١٩٥٦ م .

وان نتيجة هذا الاحصاء ، أنه بعد اسقاط الأعداد التى لا يمكن أن يكون تخريب أسرة ، اذ يكون الطلاق الذى يخرب أو يظلم المرأة لا وجود له ، وأن وجد فبنسبة لا تذكر فى حساب يترتب عليه محاربة نظام مستمد من الاسلام ، ولا مصلحة فى هذه المحاربة ، بل هى عبث فى عبث ، لا خير وراءه .

وانه يجب أن يعرف أنه كان احصـــاء قام به المركـــز القومى للبحـــوث الاجتماعية والجنائية قام به الاستاذ الدكتور عويس أثبت فيه أن الاولاد الذين

لا يتربون فى ظل أبويهم أكثر مما هم عندنا ، ولكن حكوماتهـــم تقوم بالرعاية والتتبع .

لقد ثبت من احصـــاء الدكتور عويس ، أن أسباب تخـــريب الأسرة فى انجلترا متعددة :

أ — ومنها الفراق الجسدى ، وهو اكثر من عدد الطلاق عندنا .

ب — ومنها اتخاذ الخلائل ، وهو اكثر من تعدد الزوجات .

جـ — ومنها الهجر الشديد ، وهو عندنا يعالج ، وان كان أقل عددا .

د — ومنها ادمان الخمر ، وهو عندنا لم يبلغ من الفحش درجة تقارب ما عنـــدهم .

هـ — ومنها القمار المخرب ، وهو عندنا محرم أولا ، ولا يقارب ما عندهم

ولذلك كان الأولاد الذين لا يتربون فى رعاية أبويهم مجتمعين أكثر ممـــا عندنا ، ولكن هناك رعاية للاحداث ليست عندنا كما قلنا ، فالعيب فى حكوماتنا لا فى شعبنا ، ولا فى شرعنا وديننا .

٧ — ومن الغريب أن تكون هذه الحملة الباطلة فى الوقت الذى تحاول فيه الحكومات الكاثوليكية أن تتحلل من منع الطلاق ، وقد صدر فى ايطاليـــا موطن البطريق الأكبر للكاثوليك ، قانون يبيح الطلاق .

ولكن لا غرابة فان عندنا نوعين من الناس يحاربون المبـــادىء الاسلامية فى الأسرة :

أولهما : نوع لا حريجة للدين فى قلوبهم ولا يجدون حرجا فى انفسهم فى تقليد الكنيسة فيما تقضى به ، ولذلك يدعون الى تقييد الطـــلاق وتقييد تعـــدد الزوجات ، ويدعون باطلا من القول وزورا وبهتانا ان الطلاق يخرب الأسر ، وليس فيه شىء من ذلك الا قليلا وما عند الأوروبيين أشد وبالا ، واقبح مآلا .

ثانيهما : طائفة من الناس يظنون انفسهم انصارا للمرأة وهم أعداؤها ، يظنون ان جعل الطلاق بيد الزوج اهدار للمرأة .

الا فليعلم هؤلاء أن الطلاق اذا شحت النفوس بالمودة يكون خيرا للمرأة ، لأنه اذا لم يكن كان الاعتداء المتكرر عليها ، وربما ادى الى موتها ، وأى سعادة مع رجل يبغضها . وليعلموا أن كل تضييق فى الأسرة يقلل الاقبال على الزواج فتعنس المرأة وتفسد أعصابها ، أو تضع نفسها فى موضع الافتراش المحرم ، وأى مهانة للمرأة اكثر من هذا . فاتقوا الله بهؤلاء الذين رضـــوا بأن يكونوا أمعات طائعة لهؤلاء وأولئك ، وليعودوا الى كتاب الله وسنة رسوله ، انهما الوقاية من كل شر ، اللهم اهدنا فيمن هديت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، ويسر لنا من أمرنا عسرا ، واهدنا الى الرشاد .



مولد آخر

محمد بن عبد الله صلوات الله عليه رسول الله للبشرية كلها ، سيدى يا رسول الله . يا من نطقت باسمك ملايين الملايين ، وسيبقى اسمك مرددا فى القلوب وعلى الألسنة حتى يوم الدين ، سيدى يا رسول الله يا من اتبعت دعوتك جموع غفيرة من ملايين البشرية فى كل مكان وحين ، سيدى يا رسول الله يا معلم البشرية الخلق الكريم ويا من بعثك الله رحمة للعالمين وجعلك خاتم النبيين والمرسلين ، ان مولدك عيد ، وعيد اكبر للمؤمنين بـه والمهتدين بهديك على مر السنين ، ان مولدك ينبغى أن يكون اكبر عيد للبشرية كلها ، فمولدك فى الحق مولد الحق المبين ، فقد اصطفاك الله من بين خلقه وجعلك على خلق عظيم ، لتبشر الناس بالحق ، وتهديهم الى الصراط المستقيم وتنقذ البشرية كلها مما كانت تتخبط فيه من عقائد تزيف افكارها ، حتى أوصلتها الى جانب كبير من الفوضى ، بعثك الله على فترة من الرسل ضل فيها الناس رشادهم ، فصاروا اصناما تعبد اصناما ، تاسرهم الشهوات ، وتستذلهم الاموال ، وتستعبدهم قوى البغى والطغيان .

لقد اضاء الله بمولدك الظلام الداجى ، يوم كان العالم يتخبط فى متاهات الحيرة والضلال ، وجعل منك الداعية الصابر الحليم ، المستميت فى سبيل اعلان كلمة الله ، وانتصار الحق ، والوقوف فى وجه الطغيان ، مهما كلفك ذلك من جهد ، أو تطلب منك تضحية وبذلا ، فكنت المعلم المثالى ، والقدوة الصالحة ، وكان الوحى هاديا لك ومرشدا ، والسيف فى يدك لمجرد الحماية من غير بغى ولا عدوان ، تدعو الناس الى التحرر من ربقة الذل والاستعباد ، وتنصف المظلوم من الظالم ، وتنصر الضعيف على القوى ، وتقف بجانب الحق دائما ، ولا تعبأ الا بصوت الضمير ، فاعدت للانسان انسانيته ، ووصلته الى الطريق الذى يحفظ به كرامته ، ويكون

رسول ورسالة

مرفوع الراس دائمــا لانه يسير على الطريق المستقيم ، فكنت بحق رحمة للعالمين .

* * * *

تفتح يوم مولده صلوات الله وسلامه عليه فى شهر ربيع الاول عن خير شمل الدنيا كلها والانسانية جمعـــاء وكان من حكمة الله أن ينشأ يتيما فقد مات أبوه عبد الله بن عبد المطلب وهو جنين فى بطن أمه آمنة بنت وهب فى أوائل مراحل الحمل ، ثم ماتت أمه وهى فى طريق عودتها بـــه صغيرا الى مكة بلده ومســـقط راسه ، وكانت فى زيارة أخوال أبيه ــ بنى النجار ــ بيثرب ، فحرم صلوات الله عليه من حنان الامومة وهو فى سن أحوج ما يكون الطفل متطلبا له ، وحرم من عطف أبيه وتوجيهه وبره ، وخلا قلبه من شواغل الابوة والامومة ليمتلىء بما أعـــده الله له من حمل رسالة الاسلام بعد أن يصنعه الله على عينه ويتعهده بالرعاية والتوجيه ، فكان فى كنف الله ، وحسبك من كان فى رعاية الله ، وكان سبحانه هو الذى يتولاه .

نشأ محمد بن عبد الله يتيما لا مال له ، بعيدا عن الجاه والسلطان فلم يخلف له أبواه مالا ولا سلطانا ، كان عزوفا منذ نشأته عن كل رجس ودنس، يميل بفطرته الى الخير ، وكان فى شبابه الصادق الامين فى قومه ، عرفوا عنه من أول أيامه بينهم الصدق والامانة والوفاء والمروءة والتعاون وحب الخير للناس جميعا ، وعندما اكتملت رجولته خلا بنفسه فى الغـــار بعيدا عن الناس وعن كل متع الحياة يناجى ربه فيتقبله الله قبولا حسنا ، ويعلمه تعليما ربانيا ، وينزل عليه الوحى بكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ، ويأمره

ان يبلغ الناس ما انزل اليه من ربه ، فيصدع لأمر ربه غير عابىء بما يقف فى سبيل ذلك من عقبات .

نعم علمه ربه ورعاه فلم يعلمه بشر ولم يتعهده بالرعاية والتوجيه انسان ، ادبه ربه فأحسن تأديبه وقوم خلقه فأحسن تقويمه ، ورعاه فأحسن رعايته ، وغرس فى نفسه مبادىء الخير واستأصل من نفسه كل معانى الشر فاستحق ان يصفه ربه بقوله : « وانك لعلى خلق عظيم » وصدق الله اذ يقول : « ما ودعك ربك وما قلى ، وللآخرة خير لك من الأولى ، ولسوف يعطيك ربك فترضى ، الم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ، ووجدك عائلا فأغنى . . » فكان خير تلميذ لافضل استاذ ، وصدق اذ يقول فيما يروى عنه : « ادبنى ربى فأحسن تأديبى » فكان بحق انسانا سويا ، ومثلا أعلى للانسانية ، يسيل رقة ، ويفيض حنانا ، ولما بلغ اشده واستوى آتاه الله العلم والحكمة ، وجعله نبيا مرسلا وختم به رسله وختم برسالته رسالاتهم ، وكان بذلك اهلا لتحمل هذا العبء الكبير ، وان يحمل للبشرية جمعاء فى عصورها المختلفة دعوة التوحيد . فحمل الرسالة ، وصان الامانة ، واحسن الرعاية ، واخلص فى دعوته ، وكان المثل الاعلى لكل من آمن به حتى يرث الله الارض ومن عليها .



ويوم ان دعا محمد صلوات الله عليه بدعوة الاسلام ، كان يقف فى وجهه واقع ضخم من عقائد وتصورات ونظم مختلفة ، وتقاليد متأصلة فى النفوس ، وكانت السيطرة الكاملة للمال والقوة ، لكنه وقف صامدا امام كل ذلك غير عابىء بشىء منه ، ورفض ما عرضوا عليه من مال وجاه وسلطان وقال كلمته الشهيرة التى ملأت فم الدنيا طوال هذه السنين : « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على ان اترك هذا الامر او اهلك دونه ما تركته حتى يظهره الله » وانتصر محمد بقوة ايمانه ، وانتصرت دعوته على الواقع الضخم ، ونادى فى الناس مقررا مبدءا انسانيا كبيرا ما كانت البشرية تعرفه فى ذلك العصر فقال :

« ايها الناس . ان ربكم واحد ، وان اباكم واحد . كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، وليس لعربى على عربى ولا لعجمى على عربى ، ولا لأحمر على ابيض ولا لأبيض على أحمر فضل الا بالتقوى » ، وبلغهم قول ربه فيما أوحى اليه : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . ان أكرمكم عند الله اتقاكم » . وقوله جل شأنه : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء . . ».

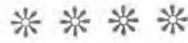
ولم يكن هذا المبدأ أو غيره من المبادىء الانسانية التى جاء بها الاسلام ، ولم يسبقه اليها قانون حضارى لم تكن مبادىء نظرية ، ولكنها كانت أوضاعا عملية ، فقد خضعت رقعة فسيحة من المعمورة للحكم الاسلامى ، شملت اجناسا مختلفة والوانا متباينة ، وعاش الجميع فى ظل الحكم الاسلامى إخوانا متحابين ذابت من بينهم فوارق الجنس واللون والطبقية المتحكمة ، وانما كان المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ،

وكالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى لــه سائر الجسد بالحمى والسهر .
كان هذا المبدأ واقعيا اذا فى حياة الجماعة المسلمة التى طبقت حكم الاسلام وخضعت لنظمه وتعاليمه ، وسرعان ما عم أوطانا كثيرة دخلها الاسلام بنوره قبل أن يدخلها المسلمــون بسيوفهم ، وسرعان ما انتشرت الدعوة الاسلامية ، وساد المسلمــون العالم بالقيم الخلقية ، والمبادىء القانونية العادلة ، ونشروا العلم والمعرفة وحافظوا على التراث العلمى ، وكانوا كقائدهم الاول ، ومعلمهم الذى يقتدون به وينهجون نهجه ويتمثلون بــه ، ان انتصروا لم يبطرهم الظفر ، وان كانت الاخرى لم يبتئسوا ولم ييأسوا ، فهم فى الحــالين منتصرون على أنفسهم ، لانهم أصحاب محمد صلوات الله وسلامه عليه الذين صاغهم من معــادن العرب رجالا ونساء قدمهم الى الدنيا كلها .



ان الدين الذى جاء به هذا الرسول الكريم منهج الهى للحياة البشرية ، وقوة بناءة وحركة دافعة الى النمو المطرد وانطلاق الى الحركة ، وهــذا المنهج يتم تحقيقه فى حياة البشر بجهد البشر أنفسهم ، وفى حدود طاقتهم ، وفى حدود الواقع المادى للحياة الانسانية فى كل بيئة ، ولا يتحقق بمجرد ابلاغه للناس وبيانه لهم ، وانما بالعمل على مقتضى تعاليمه ، عمل العقل ، وعمل البدن .
وعمل العقل يكون بفهم نصوصه والتعرف على مقاصده فى ضوء واقع الحياة الذى جاء هــذا الدين مسايرا لمصالــح الناس الحقيقية لا التوهمية ، وهذا يقتضى التزود بالعلم والمعرفة ، ومن أجل ذلك وجه الاسلام الى العلم والتزود بــه فى أول آية نزلت من القرآن جميعه ، اذ يقول جل شأنه « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » .
وعمل البدن بالمشى فى مناكب الارض ابتغاء للرزق واستثمار كل ما فيها من خيرات يقول الله : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخــرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الارض » . فقد قرن الله العمل بالعبادة ونبه الى أنه لا ينبغى أن يصرف التوغل فــى العبادة الناس عن أمور معاشهم وشئون دنياهم يقول سبحانه جل شأنه : « فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » . . فربط الرزق بالسعى فى طلبه والعمل من أجله ، وان حرص الدين الاسلامى على العمل لمن أهم ما يتجلى فى توجيهاته الرشيدة وتشريعاته الحكيمة فقد كلفنا الله بالعمل والضرب فى الارض لعمارتها فى آيات عديدة ولقد كان الرسول نفسه مثلا أعلى فى الكفــاح والسعى ، وكان يشــارك أصحابه فى الشــئون العامــة حين يتحركون ويقول صلوات الله عليه فيما يروى عنه : « اطلبوا الرزق فى خبايا الارض » ويقول : « لان يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره ويستغنى به عن الناس خير له من أن يسأل رجلا أعطاه أو منعــه » وكان أبو بكر يتعيش من حرفته فى صدر خلافته وكان عمر يقول : مــن كان لــه مال فليصلحه ومن كانت له أرض فليعمرها ولا تؤخروا عمل اليوم الى غد »

وصدق الله العظيم : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » .



أخى القارىء الكريم : أعتقد أنه من واجبى ونحن فى هذه الذكرى العطرة — التى يجب ألا يختص بها هـذا الشهر وحده ، وانما ينبغى أن تكون حاضرة وماثلة فى الاذهان دائما — أن أقدم شيئا من المثل العليا فى صفات الرسول وأعماله لنعمل على منوالها فى حياتنا ما أمكن ، وشيئا عن الرسالة التى حررت الانسان من الاستعباد والظلم والطغيان .

أولا : من صـفات الرسول وأعماله :

١ — خلقه ومظاهر السلام فى حياته : كانت مثالية النبى صلى الله عليه وسلم فى الخلق الرفيع أكبر حافز لاصحابه أن يتنافسوا فى القرب من معانيه العظيمة الكريمة . وسألوا عائشة رضى الله عنها وعنهم عن خلقه فقالت « كان خلقه القرآن ، يحل حلاله ويحرم حرامه ، ويقف عند حدوده » ، ولقد صدقت فيما وصفت ، فقد كان القرآن رضاه وسخطه ، به يصادق وفيه يعـادى ، وقد جعل صلوات الله عليه نفسه المثل الاول فى مظاهر التحرر الاسلامى ، فكان ينهى أن يعظموه فيقول : « لا تعظمونى كما تعظم الاعاجم ملوكها » وكان من الآثار العامـة لهذا الخلق : أن ألغى الفوارق فى مجتمعه وحاربها ، فقوى المجتمع الاسلامى قوة ناهز بها جميع الامم .

واذا كان السلام هو الامان ، وكانت الوسيلة اليه تأليف القلوب بكف الاذى تارة والاحسان تارة أخرى ، فقد كان رسولنا الكريم النمط الاعلى والغاية التى ليست وراءها غاية فى ذلك المعنى ، فهو الذى قال له جبريل وحى السماء : ان الله كلفك أن تصل من قطعك ، وتعطى من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك ، وقد روى ابن عباس أن المنافقين كانوا يؤذون النبى ، وكان كلما أذن له فى التشـديد عليهم فتح لهم بابا من الرحمة ، فكـان يستغفر لهم حتى أنزل الله قوله : « استغفر لهم أو لا تستغفر ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » ، ولقد وضعت له احدى اليهوديات السم فى الشاة التى قدمتها له طعاما فى المدينة فما حاول أن ينتقم منها ايثارا للسلام .

وكذلك من تتبع سيرته مع زوجاته وجـد ايثاره للسلام حافا بـه ومسيطرا عليه فقد روى انهن شغبن عليه فى بعض المناسبات . فما زاد على أن أعتزلهن حتى يثوب اليهن رشدهن دون خصومة ولا ايذاء ، فلا غرو أن تصفه السيدة عائشة بقولها : « لم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا يجزىء السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح وما ضرب بيده شيئا قط ولا ضرب امرأة ولا خادما الا أن يضرب فى سبيل الله ، ولا سئل شيئا قط فمنعه الا أن يسأل مأثما ، ولا انتقم لنفسه الا أن تنتهك حرمات الله » .

روت كتب السيرة أنه حين أخرج من مكة الى الطائف ، وأغرى به أهل الطائف سفهاءهم وصبيانهم على رميه بالحجارة حتى أوجعوه وأدموا

قدميه ، وقف يدعو الله قائلا : « ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى » فأرسل الله اليه ملك الجبال يقول له : ان الله أرسلنى اليك لأكون طوع أمرك فان شئت طبقت عليهم الاخشبين — وهما جبلان يحيطان بمكة — فأهلكتهم جميعا . فقال عليه السلام : « بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبده ولا يشرك به شيئا » . فانظر كيف آثر الرحمة والسلام وهو فى أشد حالات الضنك . أليس هو القائل : المسلم من سلم الناس من لسانه ويده .

وما يدل على أن الرسول عليه السلام عرف بين قومه وأعدائه بحبه للسلام ما روى أنه وقد عـــاد هو وأصحابه من بعض الغزوات ، ونزلوا فى بعض الطريق ليستريحوا من أعباء الجهاد والسفر . فتفرقوا وكان النبى نائما وحده تحت شجرة فأتاه بعض المشركين خلسة ، وأخذ سيف النبى فهزه فى يده ليقتل به النبى فاستيقظ الرسول وهو على ذلك فقال لـــه المشرك : من يمنعك منى يا محمد ؟! قال : الله . فارتعدت فرائص الرجل ووقع السيف من يده . فأخذه النبى وقال للرجل من يمنعك منى ؟ فقال يا محمد : كن خير آخذ . فعفا عنه .

وانظر اليه حينما دخل مكة فاتحا منتصرا وخافه المشركون من أهلها لانهم آذوه وعذبوه وأخرجوه منها لكنه جمعهم وقال : يا معشر قريش ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ قالوا خيرا فقال : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

جاء محمد رسول سلام ينادى به ويحرص عليـــه ، لكنه السلام العادل ، والعدل المسالم ، فاذا ما تهـــدده البغى هب للدفاع لا يرجو الا النصر أو الشهادة ، ويتحدى خصومه فى ساحة الحرب ، وما ذلك الا لان الاسلام حينما يدعو الى التسامح والسلام ، انما يدعو اليـــه فى عزة اذ حينما يكون فى مركز الضعف فانه يكون استسلاما لا سلاما .

٢ — علو همته وبعده عن السفاسف :

جاء فى شمائل النبى صلى الله عليه وسلم أنه اذا أوى الى منزله جزأ وقته ثلاثة أجزاء . جزءا لله ، وجزءا لأهله وجزءا لنفسه . ثم جعل ما لنفسه قسمة بينه وبين الناس ، فيعلم خواص أصحابه ما ينقلونه الى عامتهم ، وان كان صلوات الله عليه يعلم الجميع اذا خرج اليهم فلا يدخر عنهم شيئا . . ويقول الامام على : انه كان من مسلكه فى جزء أمته الذى خصصه لهم ايثار أهل الفضل بالاذن لهم بالدخول عليه فيعطى كلا منهم ما يناسبه من العلم ، وكان يتشاغل بهم ويشغلهم فيما يصلحهم ويصلح الأمة معهم ، فكان يقول لهم : « ليبلغ الشاهد منكم الغائب ، وأبلغونى حاجة من لا يستطيع ابلاغ حاجته ، فان من أبلغ ســــلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة » لا يذكر عنده الا ذلك ، ولا يقبل من أحد غيره ، فيخرجون من عنده أدلة على الخير اذ كان صلوات الله عليه كما يقول الامام على : يحفظ لسانه الا فيما يؤلفهم ولا ينفرهم ، ويحسن الحسن ويقبح القبيح ، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يميلوا . . لكل حال عنده عتاد ، وفى هذا ما يدل على ما كان عليه النبى صلوات الله عليه من الجد والصراحة ، وعلو الهمة والبعد عن الدنايا والسفاسف ، كان حاذقا يحترس من الناس من غير أن يتجهمهم .

وكان على جانب موفور من الذكاء وقوة العقل ، وكان لذلك أثره

الواضح فى توجيه الانظار الى الاسلام بالتقدير والاقبال ، فكان يسع الناس بحلمه وكرم نفسه ..

وقد كانت مقدمات الهجرة آيات بينات على صدق تلك العبقرية فقد تخير فيها من يبيت مكانه ، وتخير فيها من يصحبه ، وتخير فيها غارا يختبىء فيه فى الطريق المضاد لمهجره ، وتخير فيها من يروحون ويغدون بين الغار ومكة ، كما كان اعداده لفتح مكة وتكتمه حتى بالنسبة لجنده وقواده وجهته ، وتكتيكه العسكرى لذلك وتوزيع قواته عند الهجوم لأكبر دليل على ذكاء متوقد وقدرة فائقة فى علو الهمة .

أنظر اليه وهو يضع أسس الوحدة بين من آمنوا به حتى أصبح الواحد منهم يؤثر أخاه المسلم على أهله وعشيرته المخالفين له فى العقيدة ، فالمسلمون جميعا يخضعون لاله واحد لا شريك له ، ويتجهون له فى صف واحد لا تمايز بين أفراده ، والى قبلة واحدة وهدف واحد ، والجميع يتعاونون فيما بينهم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر .

وكان صلوات الله وسلامه عليه يتوفر على العبادة بما لا يطلبه من اتباعه ، ويملأ كل فراغه بطاعة الله والانابة اليه والخشوع بين يديه . ويسأل الله أن يعطيه العون على شغل ما استطاع من وقته بالعبادة . وأن يحفظه من التورط فيما لا يرضيه ، وكان فى كل أوقات حياته منيبا الى ربه لا يغفل عن ذكره ولا يشتغل بغير مرضاته والاتجاه الى ذاته ، ولهذا كان يمده الله سبحانه بخير مدد يقوى هذه العناية وهو لقاء جبريل معه ومدارسته القرآن فى شهر رمضان .

ومع حرصه صلوات الله عليه على اليسر له ولأمته فانه كان أحيانا يختص نفسه بمواصلة الصوم زيادة فى الرياضة النفسية الملائكية .. روى الشيخان عن السيدة عائشة رضى الله عنها أنها قالت : « نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن صوم الوصال رحمة بالناس . فقالوا : انك تواصل ؟ فقال : انى لست كهيئتكم انى يطعمنى ربى ويسقين » .



هذه مقتطفات سريعة نعرضها فى هذه المناسبة من صفات الرسول وأعماله وما أجملها وأكثرها نكتفى بها حتى نجد مجالا فى هذا المقال لما وعدنا به من الاشارة الى بعض ما جاءت به الرسالة من ثورة اصلاحية على النظم الفاسدة ..

ثانيا : دعوة الاسلام :

كانت دعوة الاسلام ثورة اجتماعية على الاوضاع الظالمة ، والنظم الفاسدة التى أشاعت فى الناس الانحلال الخلقى فأوغلوا فى الشهوات بلا عفة ، واندفعوا وراء الملذات بلا ضابط ولا حاجز الا سلطان المقاومة الجائرة بكل ما يتصور من وسائل العنف والقسوة . فقد كانت هذه النظم الفاسدة فى التعامل وفى سائر الصلات ، والتفاوت الواسع بين

الناس فى الحقوق والواجبات أمرا شائعا فى كثير من بلاد العالم .

فلما بعث الله محمدا برسالة الاسلام .. قضى بالحكمة والموعظة الحسنة على ذلك الفساد شيئا فشيئا حتى اجتثه أولا فى أمته من جذوره عندما أخذت بتعاليم هذا الدين ، فثار بدعوته على البغى والطغيان ، وعلى الخيانة والكذب ، وعلى التعـــالى والتعاظم ، وعلى التفرقة بين الناس : الافراد والجماعات ، اذ جاء بالعدل الكامل ، والامانة التامة ، وحث على الصـــدق وأوجب التزامه فى كل شىء ، وحارب الفوارق الطبقية الواسعة ، ودعا الى التعاون والتآزر ، وجعل للفقير حقا فى مال الغنى يقوم بأوده ويطهر قلبه من عوامل الحقد والغل ، فاستقام النهج وامتلأت قلوب المسلمين حبا وخيرا ، واستحقوا أن يكونوا خير أمة أخرجت للنـــاس ..

ومما ضرب به رسول الله المثل فى رفع رؤوس المسلمين وتحريرهم من ربقة الذل والاستعباد ، أنه وقعت خصومة بين أبى ذر وبلال ، وكان أبو ذر موسرا صاحب مال وجاه ، وكان بلال فقيرا لا مال له ولا جاه ، فكان مما جرى فى تلك الخصـــــومة أن عير أبو ذر بلالا بقوله : يا ابن السوداء ، فلما سمع النبى ذلك تغير وجهه وقال : « طف الصاع ، طف الصاع . أعيرته بأمه ؟! انك امرؤ فيك جاهلية » . ثم انتهز هذه الفرصة فقام خطيبا بين أصحابه لينبه الى حق بلال وأمثاله من وجوب تكريمهم ومساواتهم للآخرين ، فكان مما قال : « اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم وليلبسه مما يلبس ولا تكلفــوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فأعينــوهم ، فان الله ملككم اياهم ولو شاء لملكهم اياكم » .

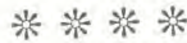
حرصت رسالة الاسلام على رد الانسان الى فطرته التى فطر الله الناس عليها ، واخضاعه لربه ، فالتوحيد هو المعنى الاول الذى اذا تمكن من النفوس ذاقت طعم التحـــرير ولم ترض ربا غير الله ، وهو المعنى الذى يشع فى العقول بأن الناس سواء فى الانسانية ، ولهذا قرن بهذه الدعوة الموحدة رفع آصار التعظيم لغير الله أيا كان قدره ، يقول جل شأنه : « اياك نعبد واياك نستعين » فلا معبود غير الله ، ولا مســـتعان سواه ، فمن عبد غير الله ولجأ اليه فهو مفتر على الله الكـــذب ، ومن استعان بسواه فهو خارج عن نطاق الدعوة المحمدية .

ولقد كان من ثمرات ذلك التحرر الكريم أن سوى الاسلام بين الرجل والمرأة فى الحقوق والواجبات على الجملة ، ورفع من شأنها وخاطبها بما خاطب به الرجل من تكاليف وعبادات ، بعد أن كانت مغلوبة على أمرها ، مهضومة الحق تعتبر ميراثا ضمن تركة المورث فى بعض الجماعات .

نعم ، لقد ساوى الاسلام بينهما ، وما وجد فى بعض أحكامه من فوارق يسيرة نشأت عن اعتبارات خاصة ، فان كان نصيب الذكر فى الارث ضعف نصيب أخته ، فلأنه هو المنفق عليها وعلى أولادها منه .. كما قاوم الرق بكل صور الاسترقاق لأن ذلك الرقيق المستعبد ان هو الا انسان فيه طاقات الانســـــان ومزاياه ، ومن انحرف عن تقديره وتكريم انسانيته فقد انحرف عن الاسلام ، ولولا أن الرق كان نظاما دوليا لما أقره الاسلام ولما اعترف به حتى فى الحد الضيق الذى قصره عليه معاملة بالمثل فى الحروب ..

ونظم حياة الأسرة وجعل للزواج حدودا يرعاها كل من الزوجين وجعل القوامة للرجل . وجعل أساس الزواج الواحدة ، وأباح التعدد فى نطاق معين اذا ما وجدت الحاجة اليه مع القدرة وتحقق العدالة ، وذلك لاعتبارات تقتضيه وتتطلبه . ورأى الاسلام أن تحل مشاكل الاسرة بأيدى أفرادها وفى دائرتهم الضيقة كما يقول الله سبحانه : « واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن » فاذا لم يجد ذلك واستعصى الامر استعانوا بأقربائهم يقول الله : « وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته » . كما بين حقوق الاولاد وواجباتهم ، وما تتطلبه صلة القرابة عموما من واجبات وحقوق .

ونظم الارث نظاما محكما فترك للشخص حق التصرف فى تركته وفى حدود الثلث ، ووزع الشارع الحكيم الباقى بين الاولاد والاقارب وأحد الزوجين ، وأمرنا باتباع حدوده فى هذا وقال : « آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما » . .

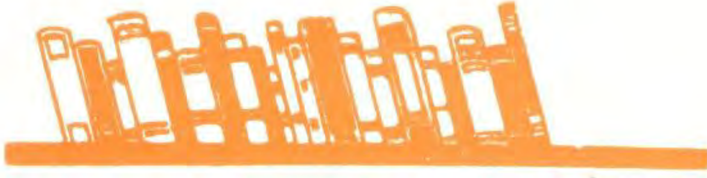


وهكذا فقد وضع الاسلام للاسرة من القواعد والنظم ما يحفظ كيانها ويؤمنها الزلل ويجنبها الهزات العنيفة ، ان أحسن الناس فهم دينهم ، وأخلصوا النية عند تطبيق أحكامه ، كما نظم علاقات الافراد والجماعات فى السلم والحرب فى جميع شئونهم ومختلف الحياة بينهم — وجاء فى كل هذا بالمبادىء الثورية القويمة التى هدمت الفساد والظلم ودعت الى ما فيه صلاح الانسانية ورقيها ، فكانت دعوة الاسلام ثورة كبرى ، مصلحة لجميع النظم ، مقومة لكل زيغ فى العقائد والاخلاق والصلات والمعاملات ، وكانت ثورة محققة لأن يعيش الناس جميعا فى أمن ورخاء وفى هدوء واستقرار .

ومع هذا فكانت ثورة لا توجب بغيا ولا ظلما ، ولا توقع الناس فى عدوان ، ولا غرو فهى دعوة الحق بوحى من الله الذى لا تخفى عليه خافية وهو أعلم بعلل الناس وأمراضهم فهو خير مرجع وأفضل متبع .



وبعد . . فما أجدرنا أن نذكر وأن نتذكر أن حياة هذا الرسول الكريم وهداه لم يخل كلاهمـــــا من عبرة ومن تذكرة ، ومن درس خالد يذكره المسلمون دائما ويهتدون بهديه صلوات الله عليه فهو نبى السلام ونبى الجهاد ، الذى رسم لنا سبيل الحياة وسبيل الدفاع عن حق الحياة ، بدأ البناء على أساس عقيدة صلبة ثم أرسى فوق هذا البناء صرح الاخلاق ، فكانت دولة الاسلام قوية بالحق ، فياضة بالعدل ، محمية بســــلاح الايمـــان . .



مكتبة المجلة

للاستاذ : عبد الستار محمد فيض

من حيـــــاة الرسول
(صلى الله عليه وسلم)

دراسة فى كتاب تتناول جانبا هاما من حياة النبى صلى الله عليه وسلم اعتمدت على مصادر مشهود لها بالثقة والتحرى والدقة وتقدير المسئولية فى نقل الاحداث وتدوين الاخبار ، والكتاب يتعرض للفترة التى قضاها النبى عليه السلام قبل البعثة وقد عرض الغزوات فى أسلوب سهل وعبارات يسيرة وكانت غاية المؤلف فى هذه الدراســة ألا يقتصر عمله على الرد الموضــوعى المجرد لحوادث الغزوات بل تنــاول كل غزوة فغذى حوادثها بتحليل لبعض زواياها وأضاف اليها تصويرا لبعض أركانها ومشاهدها كما حلل موقف أبطالها بقصد التشويق النفسى وجذب القارىء لمطالعتها فيجد فيها المتعة الذهنية والمتــابعة العذبة ومع ذلك لم يتخل الكاتب عن أساليب كتب السيرة المتقدمة فخرج الكتاب مزيجا من القديم والحديث .

والكاتب هو الاستاذ سعد صادق محمد وكتابه يقع فى أكثر من ثلاثمائة صــفحة والتزم بطبعه ونشره مكتبة النهضة المصرية ٩ شارع عدلى باشا ــ القــاهرة .

الرسول والرســـالة
للرد على شبهات الضالين ودرء مفتريات الحاقدين

كتاب من تأليف الاســتاذ توفيق على وهبه يتضمن الرد على كتاب صدر مؤخرا تعرض فى صفحاته للرسول صلى الله عليه وسلم وللقرآن الكريم ولبعض الامور المتعلقة بالرسالة الخاتمة علاوة على بعض الخرافات التى ألصقها مؤلفه بالفاتحين من المسلمين .

ولم يقصد الكاتب بهذا الرد الا بيان الحقيقة ، فضمن كتابه سبعة فصول تناولت تأكيد القرآن والسنة لبشارات المسيح ومعجزة الرسول وكيفية انتشار الاسلام وتحويل القبلة وحروب الردة وغير ذلك من الامور التى تعرض فيهــا الكتاب المذكور للرسول وللاسلام وللمسلمين فخرج كتاب (الرسول والرسالة) ليفند تلك المفتريات والمزاعم ويبين للعالم بطلانها وفسادها .

والكتاب ما زال تحت الطبع ونأمل أن يكون بين أيدى القراء قريبا ..

الله أعلم

حال النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة دليل على صدق رسالته

د. وهبه الزحيلى

ان ينبوع احترام الانبيـــاء والعظماء كامن في خصـــائص شخصية ومقومات ذاتية ، والتزام بقيم عالية ، يعتبرون بها قمة المثل العليا ، وخير أسوة حسنة أخرجت للناس ..

وان مقياس تقدير الرجال والزعماء الخالدين فى أذهان الناس قاطبة مقياس حساس يتجلى فى مدى الاحترام الذى يكنه السامعون لكلامهم ، وفى ميدان الاعمال البارزة التى تصدر عنهم أثناء مراقبة تصرفاتهم وسلوكهم عن كثب ..

ثم ان نجاح القادة فى مهماتهم أمر نسبى ، فغالبا ما يتخلل تاريخهم

حيث تجعل رسالته

عثرات قد تكون بعيدة الأثر فى حياة بلادهم ، واذا نجحوا أحيانا فى تحقيق نصر ما ، فانتصارهم اما مؤقت أو مقيد بناحيـــة معينة أو فى مكان خاص ، وقلما يحصل الفوز فى كل نواحى الحياة .

ويمتاز الانبيـــاء فى كل ذلك بأنهم طراز من نوع خاص يفوقون به كل أوصاف العظمة والتفوق لدى الابطال والقادة ، اذ ما من عظيم أو بطل ، ولو كان عبقريا أو مفكرا مبدعا الا وله هنات أو معايب تنقص من قدره ، كارتكاب بعض الزلات أو الاخطاء ، أو الوقوع فى كبوات فكرية ، أو السير فى سلوك شائن فى مسيرة قافلة الحياة التى يحياها .

أما الانبياء ــ بتكوين الله ورعايته لهم ولو قبل النبوة ــ فلا نجد منهم اطلاقا ما يعد كبوة فكرية أو زلة اعتقادية تصبح يوما ما مستمسكا للشماتة والتعيير ، أو محلا للنقد والتشهير والتكذيب . وما قد يقع من نبى من وقائع مادية خاطئة فى الظاهر قبل النبوة ، فهو لا يصدر عن تصميم وسابق اصرار وتفكير ، وانما يعد اجتهادا خاطئا أو اختيارا لأحد أمرين مأذون فيهما ، لكن أحدهما أفضل من الآخر فى تقدير الاله الحكيم .

وكذلك نجاح الانبياء ولاسيما رسل الله عليهم صلوات الله وسلامه ، كان عاما وشاملا جميع مناحى الحياة لوجود وحدة منهجية متكاملة لديهم فى العقيدة والاخلاق والمعاملة الطيبة والسلوك الشريف .

وأنموذج الانبياء محمد صلى الله عليه وسلم ، الذى ولد منذ أربعة عشر قرنا وشهور ثلاثة يعتبر مثلا فذا واضحا للاستدلال بمنهج حياته قبل البعثة على صدق رسالته التى اصطفاه الله لتبليغها للنـــاس ، وكان لذلك آثاره النفاذة فى اقناع اتباعه بدعوته ، والثقة بأقواله كما سيظهر لنا من خلال الامثلة التى سنذكرها من أقوال وكلمات خصومه أو عقلاء العرب فى الجاهلية عندما بدأ بدعوته .

ففى حياة النبى صلى الله عليه وسلم من الميلاد الى البعثة مظهر حى يدعونا الى الثقة برسالته متمثلا ذلك فى يتمه ، وأميته ، وكثرة تأملاته فى الكون ونفوره من عادات قومه الســـيئة ، وشخصيته القوية ، وســـمو أخلاقه ، وتميز سلوكه ، ورعاية الله له ، ونحو ذلك ، مما جعله يبلغ مرتبة الكمال الانسانى التى لا تكون لغير نبى مرسل معصوم مصـــدق فى ادعائه الرسالة . .

أما معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم بعد البعثة الدالة على صدق نبوته فكثيرة معروفة ومحلها بحث آخر ، من أهمها ما أيده الله به من وحى القرآن الكريم الذى نجد فيه ذلك التحدى الخالد الموجه لا لكل انسان

فحسب ، بل للانس والجن معا للاتيان بمثله أو ببعض مثله أو بآية : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هـذا القرآن لا يأتون بمثـله ولو كان بعضـهم لبعض ظهيرا » ، لأنه ليس كلام بشر ، وانما هو كلام الخالق الذى لا يضارعه أحد . ومن أروع صفاته تأثيره العجيب فى نفوس سامعيه ، واشتماله على وحدة خفية عميقة بعيدة المدى سواء فى ترابط سوره أو فى ضمن السورة الواحدة التى قد يذكر فيها عدة موضوعات تكمل بعضها بعضا فى سبيل غاية كبرى وان تراءت فى الظاهر مفككة المعـانى بعيدة عن الوحدة المنطقية لدى بعض المستشرقين السطحيين الحاقدين . مثل كارليل وموير وأرفنج ومرجليوث ونحوهم من شـبابنا المثقف الذين اغترفوا من بؤرهم الخبيثة فصاروا كفارا أمثالهم .

فبالاضافة لهذا التأييد الحاسم الكلى من الله لرسوله بالمعجزة الخالدة التى جعلته ليس فى ذروة البطـولة فقط ، بل هو الرحمـة الكبرى المهداة للوجود كله ، نرى فى شباب النبى صلى الله عليه وسـلم ومولده أمثولة الاعجاب : فقد حفظ الله له طيب المحتد . وكرامة المنشأ والمعدن والاصل . فقال عليه السلام عن نفسه ونسبه : « ان الله تعالى اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم فأنا خيار من خيار من خيار » وكان يقول لأصحابه : « أنا أعربكم ، أنا قرشى » وأبان صلى الله عليه وسلم مرة أخرى عن نفسه ودوره بالنسبة للانبياء السابقين ، وصلته بهم بعد أن سئل عن ذلك فقال : « أنا دعوة أبى ابراهيم ، وبشرى أخى عيسى ، ورأت أمى حين حملت بى أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام .. » .

وكان اليتم وحرمانه ، وشظف العيش وقسوته ، وهواء الصـحراء وخشونة عيش البادية ، رفيق النبى صلى الله عليه وسلم فى طفولته حيث انه فقد أباه عبد الله وهو جنين كما يقول ابن هشام ، أو هو ابن شهرين أو أكثر كما يقول أكثر العلماء ، وتوفيت أمه آمنة وهو ابن ست سـنين بالأبواء ، بين مكة والمدينة . وكانت مرضعته فى الصحراء حليمة السعدية ضعيفة الحال ، الا أنها كانت تحدث أنهـا وجدت فى رضـيعها محمد منذ أخذته أى بركة .. سـمنت غنمهـا ، وزاد لبنهـا وبارك الله لها فى كل ما عندها ، ولكن هذا اليتم وقسوة الحياة كان منبت أعظم الرجال ، والمثل الاعلى للعظماء والانبياء معا .

وذلك بالرغم من كونه عليه السلام نشأ أميا لا يقرأ ولا يكتب كشـأن قومه الأميين الذين كانوا يجهلون عقائد الملل الاخرى ، وتواريخ الأمم وعلوم التشريع والفلسفة والادب ، حتى يتهيـأ للوحى الالهى الذى يلقنه تشريع السماء الكامل العادل دون أن يكون له دور أساسى فى استنباط شىء بعقله ، أو ايجاد تشريع بفكره ، أو كتابة شىء بقلمه الا ما يأتيه به الوحى : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون » ، « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » ، « فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » . فأمية هذا النبى لم تمنعه بواسطة الوحى من تغيير وجه الحياة رأسا على عقب ، وقلب الأمة العربية الأمية ، الى أمة تتسنم أرقى مدارج العلم والمدنية والحضارة ، بعد أن كانت

غارقة فى حمأة الهمجية والخرافة والرذيلة ، أو قابعة فى أوضار الوثنية المتردية ، والعقول المشتتة بين أصنام عدة تمثل آلهة متعددة .

ولقد أحسن البوصيرى رحمه الله تعالى ، اذ عبر عن معجـزتى اليتم والأمية فقال :

كفاك بالعـــلم فى الأمى معجزة فى الجـاهلية والتأديب فى اليتم

وتتجلى عقلية النبى الشاب الكبيرة فى شدة كراهيته للأوثان ، ونفوره من عادات قومه السيئة ، وعبادة الأصنام وكثرة تأملاته وتفكيره فى الكون ، وانقطاعه للعبادة أو التحنث فى غارحراء — على فرسخين من شـــمال مكة — فذلك كله أكسبه دقة نظر ، وحصافة عقل ، وارهاف ذوق ، وسلامة فطرة ، وقوة غذاء للقلب والروح ، وطاقة فكرية مجردة مستقلة هيأته لمنصب النبوة الأسمى ، ومركز الرسالة الاعلى للتبليغ عن الله شرعا دائما ، وسنة كاملة ونظاما بديعا الى آخر الدهر : جوهره الايمان بالله وحده ، وعبادة الخالق الاعظم ، ورفض الأوثان ، والكفر بالطاغوت والشرور والآثام ، واعلان هذا النداء الخالد : « يا أيها الناس قولوا : لا اله الا الله تفلحوا » .

ومن أجل تحمل أعباء الرسالة الالهية والاعداد لنشر الاصلاح العام ، كان النبى صلى الله عليه وسلم مثلا أعلى للشخصية القوية صاحبة الارادة الشـــديدة فصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ، وتحمل شـــتى ألوان الاضطهاد ، والتعذيب من قومه وعشـــيرته ، وارتفع فوق الاحداث حتى استطاع تغيير الطبائع المعوجة ، واصلاح الاخلاق الشاذة ، وانارة طرق المثل العليا ، والنهوض بأمته الى مستوى أعلى ، والدفع بقومه نحو التقدم والرفعة . .

وقائد كمحمد صلى الله عليه وسلم جدير بأن يكون فى ســبيل نشر دعوته مثلا فذا للانسانية ، ومحبة الآخرين والاخلاق الرفيعة ، لذا وصـــفه الحق تبارك وتعالى بأشرف صفة فى الانسان ، فقال عنه : « وانك لعلى خلق عظيم » ووصفه الحسن بن على رضى الله عنهما بقوله : « كان الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم أشد الناس زهدا وقنـــاعة ، ليس بمتكبر ولا متجبر ، رءوفا رحيما ، كريما حليما ، صادقا أمينا ، شجاعا مقداما ، جامعا لكل محاسن الصفات البشرية ومكارم الاخلاق الادبية » .

وقد بوأته هذه الاخلاق الكريمة أن ترضي به معشر قريش حكما فيمن يضع الحجر الاسود ، قال أبو أمية بن المغيرة المخزومى . يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد ، يقضى بينكم فيه ، ففعلوا فكان أول داخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين رضينا هذا محمد . واتصافه بلقب (الامين) كان حجة قوية ودليلا واضحا على صدقه بادعاء الرسالة من عند الله ، كما أن اتجاره بمال خديجة — رضى الله عنها — الى الشام وربحه الوفير ورعيه الغنم كان دليلا على عزة نفسه وعلو همته ومقدرته ورقة شمائله ، وجمال نفسه مما لا يصدر الا عن شخصية خاصة يدمغها خاتم النبوة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من نبى الا وقد رعى الغنم » قيل : « وأنت يا رسول الله ؟ » قال : « وأنا » .

وكانت رعاية الله ترعاه فى حياته « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » وكان من ارهاصات نبوته ملء قلبه بالحكمة بكيفية مادية . حدثتنا عنها سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ليس لنا الا تصديق ما جاء فيها لصحة خبرها وترك ظاهرها الى الله سبحانه ، وهو حادثة شق الملكين صدر النبى صلى الله عليه وسلم حينما كان طفلا صغيرا فى بادية بنى سعد فيما ذكره ابن هشام وتأيد ذلك مرة أخرى قبيل الاسراء فيما أخرجه مسلم(١) عن أنس ابن مالك رضى الله عنه عن مالك بن صعصعة أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم قال « فأتيت بطست من ذهب ممتلىء حكمة وايمانا فشق من النحر الى مراق(٢) البطن فغسل بماء زمزم ثم ملىء حكمة وايمانا » .

هذه الالوان وغيرها من سيرة النبى صلى الله عليه وسلم قبل البعثة كانت مدعاة لقبول دعوته وأثرت فى مشاعر الناس . فمهدت لتصـديق رسالته ، وامارات ذلك تتضح فيما يأتى :

١ ــ قال الراهب بحيرى لعمه أبى طالب فى بصرى الشـام أثناء تجارته لخديجة : ارجع بابن أخيك الى بلده . واحذر عليه يهود ، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرا فانه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم فأسرع به الى بلاده . .

٢ ــ وقال ورقة بن نوفل حينما بدىء النبى بالوحى : لئن كان هذا حقا يا خديجة ان محمدا لنبى هذه الأمة ، وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبى ينتظر هذا زمانه .

٣ ــ قالت خديجة بعد أن أخبرها النبى صلى الله عليه وسلم ببدء الوحى : « كلا والله ما يخزيك الله أبدا . انك لتصل الرحم وتحمل الكل . وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق » .

٤ ــ قال رجل عائف(٣) من لهب من أزد شنوءة حينما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الغلام : على به » . فغيبه عنه عمه أبو طالب فجعل يقول : « ويلكم ردوا على الغلام الذى رأيت آنفا فوالله ليكونن لـه شأن » .

٥ ــ حينما أراد النبى صلى الله عليه وسلم الجهر بدعوته التى ظل يدعو قومه اليها سرا ثلاث سنين خرج الى البطحاء فصعد الصـفا فنادى (يا صباحاه) فاجتمعت اليه قريش فقال :

« أرأيتم ان أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقى ؟ قالوا ما جربنا عليك كذبا . فقال : انى نذير لكم بين يدى عذاب شـديد » فسخر به جماعة ، وآمن به آخرون متذكرين صفاته السامية طوال عمره الاربعين سـنة فيهم ، وكان أبو جهل يقول : « انا لا نكذبك ولـكن نكذب ما جئت به » .

٦ ــ قال كاهن جنب من مذحج بطن من اليمن لقومه حينما طلبوا منه

النظر فى أمر هذا الرجل — رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيهـــا الناس ان الله أكرم محمدا واصطفاه وطهر قلبه وحشاه ومكثه فيكم أيهـــا الناس قليل » .

٧ — قال الوليد بن المغيرة عن القرآن بعد أن نفى نفر من قريش عن النبى صلى الله عليه وسلم صفة الكاهن والمجنون والساحر : « والله ان لقوله لحلاوة وان أصله لعذق(٤) وان فرعه لجناه ، وما أنتم بقائلين من هذا شيئا الا عرف أنه باطل » .

٨ — قال عتبة بن ربيعـــة لاصحابه : « انى قد ســـمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهالة يا معشر قريش أطيعونى واجعلوها بى وخلوا بين هـــذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ عظيم ، فان تصـــبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به . . » .

٩ — نصح النضر بن الحارث قريشا بالتدبر فقال : « يا معشر قريش انه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة حتى اذا رأيتم فى صـــدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر ، لقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم ، وقلتم كاهن لا والله ما هو بكاهن ، قد رأينـــا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم ، وقلتم شاعر لا والله ما هو بشاعر ، قد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها : هزجه ورجزه ، وقلتم مجنون لا والله ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون ، فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه ، يا معشر قريش فانظروا فى شأنكم فانه والله لقد نزل بكم أمر عظيم » .

١٠ — قال الجلندى ملك عمان عندما دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام : « والله لقد دلنى على هذا النبى الأمى أنه لا يأمر بخير الا كان أول آخذ به ، ولا ينهى عن شيء الا كان أول تارك له ، وأنه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ، ويفى بالعهد ، وينجز الموعود ، وأشهد أنه نبى » . .

وهكذا كانت مراحل حياة النبى صلى الله عليه وسلم سواء قبل البعثة أم بعدها حلقات متكاملة تتآزر عراها مؤيدة صدقه فى رسالته وانتصاره فى دعوته حتى عد أعظم الانبياء والمصلحين الدينيين نجاحا لأنه أحدث فى عصره تغييرا شاملا فى كل نواحى الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية والدينية ، لم يشهد له العالم نظيرا أو شبيها فى التاريخ .

---

(١) راجع شرح مسلم للنووى : ٢/٢٢٣ — ٢٢٦ .

(٢) وهو ما سفل من البطن ورق من جلده . .

(٣) العائف : الذى يتفرس فى خلقة الانسان فيخبر بما يئول حاله اليه .

(٤) العذق : النخلة ، يشبهه بالنخلة التى ثبت أصلها ، وقوى وطاب فرعها اذا جنى .

مشاعر أسيفة في ذكرى المولد :

يا للرجال

محمود مؤذن

الله جلّ جلاله، زنّى محمداً ليزني به العرب
وزنّى العرب بمحمد ليزني بهم الناس

بغير دين

للشيخ محمد الغزالى

أحيانا يقترف الناس فى جنب الله سيئات يظهر فيها جهلهم بـه ، واجتراؤهم عليه ، وينكشف فيها ما فاتهم من خشوع وأدب ، فيكون تعليق القرآن الكريم على هذا النوع أو العوج المنكور « وما قدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز » أو ما أشبه ذلك من التعليقات التى تبرز بعد الشقة بين ما يجب لله ، وما يقع من الناس .

والنقائض فى أفعال البشر كثيرة ، ولعل أخسها بعد الاساءة الى الله ما يلقاه محمد صلى الله عليه وسلم من جماهير العرب فى هـذا العصر الأنكد . ! انهم ما أحسنوا الى تراثه ، ولا قدروه حق قدره ، ولا غالوا بشرف الانتساب اليه عندما ابتلوا بالتقصير فيه !! بل وجد فيهم من يريد العيش بعيدا عن رسالته زاهدا فى دعوته . .

ولما كان الله قد ربى محمدا ليربى به العرب ، وربى العرب بمحمد ليربى بهم الناس ، فان معنى التجهم لمحمد وتراثه أن العرب ينتحرون فى الميدان العالمى ، وأنهم يحاولون أن ينأوا بأنفسهم فى ركن من الارض فقير من عناصر الشرف والسيادة ومقومات الحق فى الدنيا والآخرة . . !!

انني أسأل نفسي بالحاح في هذه الايام العجاف : هل يشعر العرب بأن محمدا : مرسل للعالمين ؟ وأن هذه (العالمية) في دعوته تفرض عليهم بعد اذ عرفوه أن يعرفوا الناس به ، وهم عندما يعرفون الناس به لن يصفوا لهم ملامحه الشخصية وانما يشرحون لهم رسالته الآلهية .. !!

لكن عرب اليوم لا يقدرون محمدا قدره ، ولا يخلفونه بأمانة في مبادئه وتعاليمه ، ولا يحسون قبح الشبهات التي أثارها خصومه ضده ، بل هم — علما وعملا — مصدر متاعب للاسلام ونبيه الكريم ، وشاهد زور يجعل الحكم عليه لاله !! قد تقول : حسبك حسبك ، ان الناس بخير ، ومحبتهم لرسولهم فوق التهم فلا تطلق هذه الصيحات الساخطة فما تحب الجماهير أحدا ، كما يحب أتباع محمد محمدا ..

وأقول لك : سوف أغمض العين عن الوف من المتعلمين ضلل الاستعمار الثقافي سعيهم ، وشوه بصائرهم وأذواقهم ، مع أن وزنهم ثقيل في قيادة الامة العربية فما قيمة الحب الرخيص الذي تكنه جماهير الدهماء ؟

انه حب غايته صلوات تفلت من الشفتين مصحوبة بعواطف حارة أو باردة ، وقلما تتحول الى عمل كبير وجهاد خطير ، والترجمة عن حب محمد بهذا الاسلوب في وقت ينهب فيه تراثه أمر مرفوض ، ان لم يكن ضربا من النفاق !!

اذكر أني ذهبت يوما لأحد التجار كي أصلح شيئا لي ، فاحتفى بي وقدم بعض الأشربة ، وأفهمني أنه أتم ما أريد بعد أن وفيته ما أراد ..

ثم شعرت أن عمله كان ناقصا ولا أقول مغشوشا ! فقلت : ليته ما حيا ولا رحب ، وأدى ما عليه بصدق ! ماذا أستفيد من تحيات لا جد معها ولا اخلاص ؟

والشأن كذلك مع أقوام قد تموج أحفال المولد النبوي بهم ، أو قد يصرخون بالصلاة على رسول الله في أعقاب الأذان ، أو قد يؤلفون صلوات من عند أنفسهم يحار المرء في تراكيبها لاغراقها في الخيال .

وقد يكون حبهم تمسكا شديدا ببعض النوافل ، وهروبا تاما من بعض الفرائض ، أو حنانا لا ندى معه ولا عطاء كهذا الذي قال له الشاعر :

لا ألفينك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما قد مت لي زادا

أي حب هذا .. ان العرب لا يعرفون أي شرف كتب لجنسهم ولغتهم وأمسهم وغدهم عندما أبتعث الله محمدا منهم ، وان التقدير الحق لهذا الشرف لا يكون بالسلوك المستغرب الذي يواقعونه الآن ، ومنذ بدءوا يعبثون برسالة الله بينهم ..

لما أراد رب العزة أن يعلن بركته النامية ورحمته الهامية ، اختار في كتابه العزيز عبارتين مبينتين :

الأولى : تتحدث عن هذه البركة في مظهر القدرة التي تجمع أزمة الكون في يده ، فيستحيل أن يغلب يوما على أمره ، أو يشركه أحد في ملكه ، وفي هذا المعنى يقول جل شأنه : « تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير » ..

والثانية : تتحدث عن هذه البركة فى صورة الرجل الذى حمل هداه الأخير الى عباده ، وتفجرت ينابيع الحكمة من بيانه وسيرته ، فكان القرآن الذى يتلوه مشرق شعاع لا ينطفىء ، يهتدى على سناه اهل القارات الخمس ما بقى الليل والنهار . وفى هذا المعنى يقول جل شأنه : « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » .

ان الانسان المبعوث رحمة للعالمين اشعل الأمة التى ظهر فى ربوعها فانطلقت لاول مرة من بدء الخليقة تحمل للناس الخير والعدل ، واستطاعت أن تؤدب جبابرة الارض الذين عاثوا فى ارجائها فسادا ، وظنوا أن كبرياءهم لن يخدشها أحد !

حتى جاء الرجال الذين رباهم محمد فقوموا صعر المعتدين ، واعزوا جانب المستضعفين ، وكم تحتاج الدنيا فى يوم الناس هذا الى هذا الطراز من الرجال ليحموا الحق الذليل ، وينقذوا التوحيد المهان ، ويقروا الأخوة الانسانية المنكورة . وينزلوا البيض الى منزلة السود او يرفعوا السود الى منزلة البيض . .

لكن السقطة الرهيبة للعرب المعاصرين انهم ذاهلون عن المكانة التى منعهم محمد اياها ، هابطون عن المستوى الذى شدهم اليه ، وفيهم من يفتح فمه ليقول : ان العرب يمكن أن يكونوا شيئا من غير محمد !!!

قبح الله وجهك من قائل افاك . .

ومن ايام جاءنى نفر من العامة متنازعون على ادارة مسجد ، بعضهم يريد فى الاذان أن يقول اشهد أن سيدنا محمدا رسول الله . . والآخر يريد الاكتفاء بالوارد ، فلا يذكر لفظ سيدنا لأنه مبتدع . .

ونظرت الى اعراض المرض الذى يفتك بالأمة المعتلة ، وقلت لهم : ان محترفى الافك من المبشرين والمستشرقين ملأوا اقطار العالم بالافتراء على محمد وشخصه ودينه ، ورسموا له صورة مشوهة فى اذهان الكثيرين وانتم هنا لا تزالون فى هذا الغباء .

ما اشقى دينا انتم اتباعه . ان المسلمين بين ما ورثوا من جهل ، وما نضح عليهم من ضلال العصر لا يزالون يهرفون بما لا يعرفون . . ان حب محمد يوم يكون لقبا يضفيه عليه الكسالى الواهنون فهو حب لا وزن له ، ولا اثر !! ويوم يكون احتفالا رسمية وشعبية بيوم ميلاده ، فهو حب لا وزن له ولا اثر !! ويوم يكون قراءة لكتابه فى مواكب الموت ومجالس العزاء فهو حب لا وزن له ولا اثر ، ويوم يكون ادعاء تستتر به الشهوات الكامنة والطباع الغلاظ فهو حب لا وزن له ولا اثر . . لأن محمدا هو الرسول الذى رسم للبشر طريق التسامى الحقيقى ، ورسم للجماعات طريق التلاقى على الحقائق والفضائل ، فدينه عقل يأبى الخرافة ، وقلب يعلو على الأهواء .

ماذا كسب المسلمون عندما حولوا الدين من موضوع الى شكل ؟ وماذا كسب العرب عندما شقوا طريقهم الى المستقبل وهم يطوون اسم محمد وتراثه من نشاطهم السياسى والعسكرى ؟

ان مسلمي الباكستان هزمتهم سياسة امراة ذكية ماهرة ! ورجالات العرب دوختهم سياسة عجوز شمطاء ! يا للرجال بلا دين !!

. . . .

اننى ، والوفا من المؤمنين نحب محمدا صلى الله عليه وسلم . ونشعر بما له فى اعناقنا من دين . وبما افاء علينا من نعمة . وبما يجب ان يتوطد له فى الدنيا من سلطان مادى وادبى . وبالفقر المدقع الذى يعانيه العالم لحرمانه من الرسالة التى اضطلع بها وخلفه فى ابلاغها العرب . فلم يحسنوا البلاغ .

اننى الوم نفسى . والوم قومى ويتردد فى نفسى صدى قوله تعالى : « وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » .

. . . .

قال لى احد الصالحين : اننا نحيى ربنا جل شأنه ونحن جلوس فى صلوات اليس كذلك ؟

قلت : نعم . عقب الركوع والسجود . نهمس وايدينا على الركب التحيات لله . .

قال : ثم نتوجه الى الرسول بالسلام بصيغة المخاطب الحاضر ، نقول — وكأن الكلام لشخص قريب منا — : السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته . . !

قلت : اجل . كذلك نفعل ، على بعد المكان والزمان بيننا وبين الرسول الكريم . . !!!

قال : ان السلام افرغ فى تلك الصيغة قصدا . لأن النبى يجب ان يكون حيا فى ضمير كل مؤمن ، يجب ان ينتصب له مثال مرموق فى وعى المسلم اليقظ تتحقق فيه ملامح الصورة الذاهبة !!

وهل تؤخذ الأسوة الواجبة الا من هذا الاستحضار الدائم ؟

لقد مرت اعصار على موت الرسول صلى الله عليه وسلم ، لكن القيم الرفيعة التى تجسدت فيه ونماذج العبودية لله . والجهاد فى سبيله والحنو على خلقه ، وصور الكمال البشرى فى العفاف والعدل والايثار والمرحمة . تلك كلها معان لم تمت . وانما خلدت فى كيان هذا النبى المحمد . .

والمسلم عندما يقول فى صلواته : السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته انما يقترب من امامه الاعظم الذى امره الله ان يتأسى به . وان يسعى فى ركابه : ؟

« لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » ..

. . . .

واسترسل الرجل الصالح فى عاطفته المهتاجة ، واخذ يشرح لى ما يعنى قال :

ان الشمس فى رائعة النهار لا تعتبر غائبة عن بصير ، وتستطيع كل مرآة مجلوة الصفحة أن تعكس صورة لقرصها أو لهالتها أو لأشعتها ومحمد صلى الله عليه وسلم فى عالم اليقين والخلق ، شمس لا ينكر لها بريق ولا يغيم لها ضوء ..

والمهم ان يكون لك فؤاد مصقول يستطيع استقبال هذا النور فى حناياه ، والاستهداء به فى دروب الحياة .

ان القدوة الطيبة تقوم على استحضار المثل الاعلى فى الذهـــن ، ومحاولة السير على غراره فى الخارج ، والائتناس الدائم بهذا المثل الأعلى هو الذى يلهج الألسنة بعد تحية الله تبارك وتعالى بالسلام على رسوله ، سلام « حضور » لا سلام « غيبة » ومن ثم كان كل مصل يقول : « السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباده الصالحين » .

ومحمد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ معقد الحقائق التـــى يصلح بها العالم من ازله الى ابده ، والتعاليم التى جاء بها لا يستغنى عنها الاولون والآخرون الا اذا استغنت الأكوان عن نظام الجاذبية وسائر السنن العامة واضطراب الحياة انما يرجع الى تجاهل الهدايات التى جاء بهـــا النبيون ، والتى اتمها واجملها هذا النبى الخاتم وما يثوب الناس الـــى رشدهم الا يوم يحتفون بهذه الرسالة وصاحبها ويعرفون حكم الله عن طريقه ..

وكان حقا على العالم كله أن يصدق بهذه البعثة العامة ، ولكن العالم تنكر لها وتطاول على رجلها الكبير .

وعندى أن الشفاعة العظمى ، التى جاءت السنن بثبوتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ــ لا تعدو أن تكـــون لونا من تأديب البشر كافة على موقفهم السابق من نبى الاسلام ، فان رسول أى عظيم يستحق من التوقير والاعزاز بقدر ما لمرسله من مكانة ، والرجل الذى أرسلـــه رب العالمين .

كان يجب أن يلقى من التكرمة ما يرفع ذكره ، ويعلى شأنه ، غير ان اكثر الناس تواصوا بالصد عنه وجحد دعوته ، ورغبوا عن الحق الذى معه ، وبخسوا قيمته ثم تتابعت الاجيال والخلف فى أغلب بقاع الارض يتوارثون عن سلفهم هذا التكذيب الشنيع ..

ولو نظرت فى هذه الالوف المؤلفة من الكنائس والمعابد . لوجدت داخلها اجهزة منظمة دوارة تعمل فى غير ملل لصرف الناس عن الاسلام ونسبة اقبح النعوت الى نبيه المبرأ الشريف . .

وكأن الله تبارك اسمه شاء أن يعرف هذه الأمم مدى ما كانت فيه من غباوة . وان يذيقها شيئا من مرارة الجريمة التى ارتكبتها . فهو فى ساحة العرض الشامل لأصناف الخلائق يحشر سكان القارات الخمس على مر القرون يحشرهم فى صعيد واحد . ثم يكشف الغطاء عن عيونهم واذا هم يتبينون فداحة جهلهم بالله الكبير المتعال . ويتبينون شناعة خصامهم لامام رسله . .

وهنا يموج بعضهم فى بعض . ويضطربون فى حيرة مفزعة لا يرجى منها خلاص . وتتحرك جموعهم الى كل نبى سمعوا باسمه فى العالم الذى انتهى . يناشدونه أن يسأل الله لهم الرحمة . ولكن النبيين كلهم يرفضون التصدى لهذا المطلب ويعود اهل القارات الخمس متراكضين الى الرجل الذى طالما قيل لهم انه كذاب . انهم يحسون الآن عن يقين انهم اخطأوا فى حقه . وانهم يوم صدوا عنه كانوا يخسرون انفسهم واهليهم .. !

الشفاعة العظمى — فى نظرى — موقف يحاكم فيه التاريخ البشرى كله . ليعترف أن انصرافه عن الاسلام كان مشاقة لله وعداء لأحب أوليائه وأصدق دعاته . .

وما أعجب ان تجد الانسانية نفسها فى حرج يوشك ان يقضى عليها . ثم تعلم فجأة أن التنفيس عن كرباتها ربما تم باللجوء الى الرجل الذى عاشت دهورا . وهى تروى عنه الاكاذيب وتنسب اليه الاساطير . . .

والتجاء أهل الارض الى محمد فى تلك الساعة العصيبة . ولجوؤه الى الله يطلب مغفرته للعبيد الاغرار ذلك فى ظنى هو المقام المحمود . المقام الذى نسأله لمحمد عقب كل اذان يتردد صداه فى مهاب الريح ليستجيب له قوم وينصرف عنه آخرون « اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت « محمدا » الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته » . .

. . . .

قلت : ان محمدا فى عالم العقائد والحقائق شمس وضاحة نفاحة . لكن العميان كثير وقد مكث هذا الرسول النبيل يصدع بأمر الله وينقذ الناس من أهوائهم ومظالمهم ، ثم ذهب الى الرفيق الاعلى تاركا فينا تراثه الجليل . من كتاب وسنة . فليتعلم الدعاة من حياة سيد الدعاة أن اجر الحق المبذول لا يعجل فى الدنيا ، وأن للمقام المحمود موعدا فى غير هذه الدار يتعلق به وحده الدعاة الابرار . .

الأسوة الحسنة

وكيف نحققها

للاستاذ محمد المجذوب

كان مما واجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هجرته الى المدينة احتفال الناس هناك بيومين فى العام فسأل عنهما فأجيب « انهم كانوا يلعبون فيهما فى الجاهلية ، فقال صلى الله عليه وسلم قد أبدلكم الله بهما خيرا منهما يوم الاضحى ويوم الفطر (١) وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال (ان يوم الجمعة يوم عيد وذكر) (٢) وكان ذلك كافيا لالغاء كل عيد غير هذه الثلاثة التى حددها نبى الله صلى الله عليه وسلم ، وبات واضحا ان كل محاولة لاستحداث عيد آخر ، أو

اطلاق اسم العيد على أية مناسبة سواها ، مخالفة صريحة لحكم الشريعة .. فمن أين جاء عيد المولد وعيد رأس السنة .. وعشرات المناسبات التى يسميها الناس وبعض الحكومات أعيادا ؟!

ولكى نقدم الجواب الصحيح على سؤالنا هذا يجدر بنا أن نلقي نظرة واعية على أعياد الامم السابقة للبعثة النبوية والتالية لها .. وسنرى اننا عاثرون هناك على الجذور البعيدة لكل ما أحدثه الناس من الاعياد التى لا تكاد تحصى .

١ — ففى تاريخ المجتمع اليونانى أعياد بعدد آلهتهم ، التى اخترعتها اساطيرهم لظواهر الطبيعة : فجعلت لكل ظاهرة كونية آلهة أو إلها .. ولكل واحد من هؤلاء عيده وزمنه واحتفالاته المميزة عن سواها .

وفى حياة الهند الوثنية حتى اليوم أعياد لجموع آلهتها التى تكاد تعجز الحاسب ، ولها احتفالاتها ومواكبها التى يقرها حتى مثقفوهم على أنها من تراث الهند ، الذى يحفظ لها شخصيتها القومية على مدار الزمن ولو هبط بالعقول الى أدنى الدركات !

وفى سورية — الطبيعية — بقايا آثار عجيبة لألوان من هذه الاحتفالات الوثنية ، تتمثل فى قلعة بعلبك وعشرات الطلول ، التى يحاول الجاهليون الجدد احياءهم باسم (الفولوكلور) الشعبى ، الذى لا غرض له فى المفهوم البعيد سوى اضعاف سلطان الاسلام على نفوس الجماهير ! ...

ولم يكن شأن الجاهلية العربية فى أكناف الجزيرة شاذا عن هذا الطريق ، وان كان اهتمامها بآلهتها أقل حجما ، اذ كانت وثنيتها ضربا من التقليد السطحى لا يمس ضمير الناس كثيرا ، فلم يكن لها مثل الفلسفة والاساطير التى نسجها خيال اليونان والهنود والمصريين والفينيقيين حول الهتهم .. ولأن ظروفهم القلقة لم توفر الجواء الصالحة للتوسع فى مثل هذه الاحتفالات .

ولما انكشف الضغط الرومانى عن المسيحية ، واخذت طريقها الى العلانية بعد السرية الطويلة ، لم يستطع شعوبها التخلص من آثار وثنيتهم الاولى ، ومال المسئولون عن دعوتها الى التساهل مع هؤلاء ، فأقروهم على الكثير من تقاليدهم الموروثة ، ثم لم يمض الا قليل من الزمن حتى تبنت مسيحية بولس الجديدة بعض أعياد الرومان نفسها . كعيد الفصح الذى يرمز عند الرومان الى انبثاق الحياة ، وعند اليهود الى تذكار خروجهم من مصر ، واتخذه النصارى عيد لفطرهم اذا خرجوا من صومهم واكلوا اللحم — كذا فى اللسان — وهو عندهم — فى المنجد — عيد تذكار قيامة المسيح من الموت . وحتى عيد الميلاد لم يوقت بيوم ولادة المسيح بل أخذ من أعياد الرومان أيضا .. وهكذا حلت أعياد القديسين لدى النصارى مكان أعياد الآلهة الرومانية ، حتى لم يبق قديس مشهور بغير عيد ، ثم أفرد لمجموعهم عيد عام أطلق عليه اسم (عيد جميع القديسين) ... حتى اذا وافت العهود الحديثة اتسعت دائرة الاعياد فى العالم المسيحى ، بحيث تجاوزت حدود المناسبات الدينية الى نطاق الذكريات الخاصة ، فبات مألوفا بل من الامور الحتمية أن يحتفل كل فرد بعيد ميلاده ، وعيد ميلاد شفيعه من القديسين أيضا ، وكما يتعاون المجتمع المسيحى على ابراز عيد ميلاد المسيح فى اطار من روائع المظاهر ، هكذا يعنى الفرد المحتفى بميلاد نفسه ، فيحيط تلك المناسبة بأزهى ما يستطيع من الظواهر ..

فاذا أطللنا على التاريخ الفرعونى نرى أساطير الامم الجاهلية كلها تجتمع تحت أسماء محلية ، منها

السار الفرح ، والمحزن الترح ، ولعل من اشهر اعياد تلك العهود عيد (أوزريس) الذى يزعمون أنه قدم نفسه قربانا لتخليص الخطاة ، على الطريقة التى عرفت لدى الهنود والصينيين من قبل ، واحتلت مركزها الاخير فى عقيدة الفداء لدى النصارى (٣) . ولقد ظلت مصر تحتفل بعيد النيل الى أيام الفتح الاسلامى ، ثم عادت الى احيائه بعد قرون فى ظل الدولة العبيدية ...

وقد كان لهذه الدولة الشيعية اثرها الكبير فى اختراع الاعياد ، ومن ثم فى اذاعة بعضها فى العالم الاسلامى .. فعيد لرأس السنة ، وآخر ليوم غدير خم (٤) ومثله لذكرى عاشوراء ، ثم يأتى موالد النبى صلى الله عليه وسلم وعلى والحسن والحسين وفاطمة و ... حتى ذكرى خروج يوسف من السجن لم يغفلوها من قائمة مستحدثاتهم ، فجعلوا لها عيدا ، ترفع فيه الزينات ، وتسير المواكب وتعرض فيه التمثيليات الشعبية التى تجبى لها الاموال من التجار تحت سمع الدولة وبصرها وتشجيعها (٥) .

ولا جرم أن الذى حمل الفاطميين على استحداث هذه المواسم أمران . اما أحدهما فهو رغبة القوم فى تغيير ملامح المجتمع الذى ما انفك يحمل طوابع الاصول الاسلامية المتحدرة من الصدر الاول ، كما هو الشأن فى كل حركة ثورية تستهدف فرض خصائصها على البيئة التى تتحكم بها . وأما الحافز الثانى فهو الهاء الجماهير الخفيفة بالعراضات التى ترافق تلك الاحتفالات ، وبخاصة فى النطاق الرسمى ، حيث كان المكلفون اعدادها يفتنون فى أن يوفروا لها كل وسائل الاغراء والجاذبية ، فينظمون مواكب الخلافة ومسيرتها ، وطرق استقبالاتها ، ويفرغون على كل ذلك من مظاهر الأبهة والفخامة والترف ما يشعر بالقوة ويوحى بالمهابة ، ويشغل العامة بألوان الملاهى التى تشبع فضولهم ، وتروى أهواءهم ، فتصرفهم عن التفكير بما يراد بهم وبدينهم ! .. وما أحسب باحثا فى تاريخ هذه المواسم الفاطمية بمستبعد أثر اليهودية والمجوسية فى التخطيط لها والتركيز عليها ، تحقيقا لذلك الغرض المنشود ، ولا سيما حين يتذكر ما وراء الواجهة العبيدية من التعاليم السرية ، التى نسجت فى ظلمات المؤامرات اليهودية ، ثم فى دهاليز المجوسية الفارسية ، سواء فى جذورها التى وضعت فى السلمية — من سورية — ثم امتدت الى المغرب فمصر فديار الشام ، أو فى فروعها الاخرى التى رسخت فيما بعد بأيدى اليهودى الاصيل (يعقوب بن كلس) وزير العزيز بن المعز ، ثم بأيدى حمزة الزوزنى ، وحسين بن حيدرة الفرغانى الاخرم ، ومحمد بن اسماعيل الدرزى الذين وفدوا من فارس على الحاكم بأمر الله فأعلنوا الوهيته لأول مرة فى جامع عمرو ، ثم انتقل بعضهم بهذه النحلة المجوسية اليهودية الى بعض جبال الشام (٦) حيث لا تزال قواعدها قائمة حتى الساعة ! ..

ولا خلاف بين المؤرخين فى كون الفاطميين هم السابقين الى احداث عيد المولد النبوى منذ القرن الرابع (٧) ومن هناك انتشر تقليد الاحتفال به الى سائر بقاع المسلمين ، حتى اتخذ فى بعض الدول العربية والاسلامية يوم عطلة رسمية . وفى علمى أن اول دولة أقرتها حديثا لبنان ، وكان الباعث لذلك هو التنافس الطائفى ، اذ كان النصارى يحتكرون لأعيادهم معظم العطلات الرسمية وليس للمسلمين سوى اثنتين الفطر والاضحى ، ثم رأى المسلمون ان ينافسوا مواطنيهم فى الاحتفالات بذكرى المولد النبوى مقابل حفاوة هؤلاء بميلاد المسيح ، فاذا جاء موعده

ملأوا الشوارع والاحياء بانواع الزين وخرجوا فى تظاهرات شعبية لا تخلو من الاغراض السياسية . . ثم مازالوا حتى الحقوا تلك المناسبة بالاعياد الرسمية ، وما لبث ذلك التقليد أن سرى الى الحكومات المجاورة وما وراءها من بلاد المسلمين . . .

٢ — والاحتفال بذكرى المولد النبوى لا يزال حتى اليوم موضع اخذ ورد بين المقرين والمتهيبين ، ولكل منهما حجته فى موقفه . فهؤلاء يرون التزام سبيل السلف باجتناب كل حدث لم يقره الصدر الاول ، واولئك يتذرعون بحاجة المسلمين الى المنبهات التى تصلهم بحياة نبيهم صلى الله عليه بين الحين والحين ، ليظلوا على ذكر منها ، دون أن يتقيد ذلك بموعد ثابت وان كانوا يخصون يوم ولادته بالاكثر والافخم من مظاهر التكريم .

والى هنا والخلاف بين الفريقين ضيق المسافة ، اذ هما متفقان على وجوب التذكير ضمن هذا النطاق ، فما دام رسول الله هو اسوة المؤمنين كان لزاما عليهم أن لا يقطعوا صلتهم بذكره وسيرته ، ليحققوا ما يمكنهم تحقيقه من معانى هذه الاسوة . . . ولكن الاختلاف بينهما انما ينصب على الوسيلة التى تعتمد لتنفيذ ذلك التذكير . فبينا يرى الملتزمون لسبيل السلف أن الوسيلة المشروعة شرط أساسى فى الوصول الى الغاية المشروعة ، نرى الآخرين لا يعبأون بمشروعية الوسيلة ، بل يرتضون ، أو يسكتون بالاقل عن كل ظاهرة لا يقرها الشرع ، ولا تنسجم مع روحه ، مما يرافق فى العادة هذه الاحتفالات . . . التى تتحكم فيها نزوات العامة والدجالين ، ولا يتاح فيها لمصلح سليم الطوية نظيف الوسيلة أن يتعرض لها بكلمة نقد أو اصلاح ! . . .

صحيح أن الاحتفال بهذه الذكرى ليس سواء فى بلاد المسلمين ، اذ يقتصر فى بعضها على قراءة القصة والقاء بعض الخطب النافعة — احيانا — ثم توزيع الحلوى ، واقامة الزينات وتعطيل الدوائر . . . ولكن منكراته تتجاوز كل تصور فى مواطن اخرى ، حتى لتشكل وصمة عار فى حياة المجتمع الاسلامى ، وتضع فى يد اعداء الاسلام امضى سلاح لتشويه وجهه المشرق الجميل ، اذ (اصبحت الموالد هناك مراتع الفسوق والفجور وأسواقا تباح فيها الاعراض ، وتنتهك محارم الله تعالى (٨) ولا غرابة ، لأن الشأن فى كل بدعة أن تبدأ خطواتها فى وقار الحكماء متظاهرة بكل ما يستهوى ذوى العواطف الساذجة من الخير والاستزادة منه ، حتى اذا اطمأنت الى الانصار واستحكم سلطانها فى الصغار والكبار ، خلعت عذارها المستعار ، واندفعت الى الفساد على رؤوس الاشهاد ، حتى لا يجرؤ على معارضتها ذو رشاد !.

اجل . . أن الاتصال بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفة نشأته ، ودعوته وجهاده وأثره فى صحابته ، أحد الأسس التربوية التى لا مندوحة من التشبع بها والاقتباس من اشعتها لتصحيح المسيرة الاسلامية ، ولتكوين الجيل الصالح لاستئناف دعوته فى المجتمع الاسلامى الحائر ، وفى العالم البشرى الضائع ولكن الطريق الى هذا النور لن يكون أبدا فى السير وراء القطيع الضرير من العامة واشباههم من الطرقيين والمرتزقة . . بل فى احياء سننه الصحيحة ، ونشر المطوى المجهول من اخلاقه العظيمة ، وتيسير السبل المؤدية الى تفهم رسالته المحيية بكل الوسائل الممكنة والمشروعة . ومن اجل ذلك لا مندوحة عن تنظيف الوسط الاسلامى من تلك الشنائع التى لا تزال تقترف على مشهد من كبار علماء الاسلام ، ورجال دولهم ، باسم الدين ، والحفاوة بميلاد سيد

المرسلين ... ولكن هذا الرجـــاء سيظل حلما بعيد التحقيـــق ، ما دام المسئولون من حكام المسلمين ، الذين يشهدونها بأعينهم ، لا يحركون ساكنا فى مكافحتها ، بل ربما استراحوا الى انشغال الجماهير العمياء بها عــن الحقائق التى ضلوا سبيلهـــا ، ولا سيما اذا كان فى استمرارها مـــا يتوهمونه مصلحة لخزينة الدولـــة . ولترويج اسواق المرتزقة فى مواسمها المعتادة ! .. وهو المسلك نفســـه الذى ورثه هؤلاء عن عهود الاستعمار الذى كان من دابه تشجيع امثال هذه الضلالات ، بجانب مطاردته لاهـل الحق من كبار الدعاة والهداة ..

٣ ــ لما بعدت الشقة بين عهـــد النبوة والتابعين فى العصر الاموى ، وزالت النماذج الحية التى كانت تمثل آثار التربية المحمدية فى شخصيـات الصحابة رضوان الله عليهم ، وجد المسئولون عن قيادة الأمة لزامـــا عليهم أن يعوضوا اجيال المسلمين عن المثل المنظور بالخير المســـموع ، فأقاموا لهم القصاص ورواة السيرة ، والحافظين لأخبار المغازى النبوية ، يغذونها بتلك المعانى المحركة للهمم ، والمثيرة لروح الفداء والتضحية ، وكان ذلك اول تنظيم لما يسمونه اليـــوم بـ ـــ (التوجيه المعنوى) فى أوساط العسكريين ، وكان له أثره العميـــق فى تماسك البنيان الاسلامى علـــى الأساس الاول زمنا غير يسير ، حتى ضعف هذا الاتجاه ، وخلف الجيـــل الذى عرف عن الثقافة الدخيلة أكثر مما علم من شريعته الجليلة .. فاذا الدعائم تهتز ثم تهوى ، لتحل مكانها نزوات الساسة وشهوات القـــادة ، ومن هنا جاءت الطامة الكبـــرى ، اذ زلزل الكيان الاسلامى ، ثم لم يلبث أن انقض بأجمعه ..

ولقد كان المعقـــول بازاء هـــذا التدهور العام أن تنهض البقية مـــن اولى العزم بعبء الاصلاح علـــى اساس رد القطيع الضائع الى جادة الاسلام . والطريق الى ذلك هـــو ايقاظ ما همد من روح الايمان وابراز ما اندرس من معالم الـــوحى ، اذ لا صلاح لآخر هذه الأمة الا بما صلح به اولها .. ولا ننسى أن بعض ذلك قد حدث على أيدى المصلحين ومن تبعهم فى طريقهم السليم .. ولكن المؤسف أن أزمة السواد الاعظم من العامـــة ظلت فى أيدى الجاهلين والمضللين من اصحاب الاهواء . الذيـــن زادوا الواقع السىء سوءا بما وسعوا من ساحة المحدثات على حساب الحقائق .. ثم نبتت من بعدهم خلوف علـــى شاكلتهم ، لا عمل لهم الا ترسيـــخ قواعد الانحـــراف بما يتولونه مـــن مبتدعات ، يحسبونها خيرا وهى فى منظار الاسلام شر عظيم ...

وهكذا وجدنا أنفسنا فيما بعد تلقاء ركام من تلك المواريث المعوقة ، تنهض كجدران السد بين جماهير المسلمين والاسلام الصحيح الذى لا خـــلاص الا به ... وليست تلك الاحتفـــالات الشائهة ، التى تستقبل بها ذكـــرى المولد النبوى ، والتى يحتشد لهـــا ملايين المسلمين فى بعض اقطارهم ، على تلك الصور المخجلة المدمرة ... الا احدى المآسى التى يعانيها الاسلام فى ظل هذه الانحرافات .

لقد شوهت هذه (الموالد) فـــى عقول الجماهير المضللة شخصيـــة صاحب الرسالة صلى الله عليـــه وسلم اذ حجبت عنهـــم حقيقتهـــا القيادية ، وأثبتت مكانها صورة غريبة لا تمت الى واقعها العظيم بأية صلة ، وقد زاد المحنة عمقا تلك الحكايـــات المختلقة التى يقرؤها بعضهم فـــى مجالس العامة باسم قصة المولد ، فلا تحمل من سيرته صلى الله عليه وسلم الا طيوفا غائمة لا تزيد عن كونهـــا تعميقا لمزاعم خبيثة ، توهم أولئـــك

المساكين بانفصال تلك الشخصية المطهرة عن كل صفات البشر . . . ولن انسى يوما حضرت فيه تلاوة احدى هذه القصص فى مسجد سورى . وكان يقرؤها للناس معمم له بعض المؤلفات فى الحديث ، ومع ذلك لا يستطيع التخلص من مفتريات الدجالين ، فيصرف الوقت كله فى سر نعوت لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبلها حتى عقله . . . ثم لم يكد يعرض لشيء من أخلاقه ولا جهاده ولا رسالته ! . . . ويتخلل ذلك أناشيد تافهة لا تعدو ذلك النطاق الذى يجعله صلى الله عليه وسلم مخلوقا عجيبا لا يتكون من لحم ودم . بل من الجواهر والمعادن ، حتى لتحدد نسب كل من هذه العناصر فى تركيب جسده الشريف !! . .

ولا جرم أن الذين يقرؤون هذه المفتريات من أولى العلم لا يفوتهم الاحاطة بمصادرها الوثنية ، التى تصور لعامة أتباعها معبوداتهم فى اشكال خارجة عن المألوف . . وفى تكوينات مزدوجة تمتزج فيها الخصائص البشرية بالميزات الالهية على نحو لا يقيم للعقول أى وزن أو اعتبار ! . . وهذا ما يسوغ للمفكر المؤمن القطع بأن وراء هذه الاضاليل أيديا شيطانية ، قصدت الى افساد التصور الاسلامى فى صدور الكافة عن سابق تصميم وثيق الاحكام ، دقيق التخطيط .

٤ — ونقف هنا قليلا لنتساءل « أليس بالامكان تعديل بعض هذه الفوضى ، التى تنتظم احتفالات جماهير المسلمين بهذه المناسبة العزيزة ، بحيث تتحول الى مجهود اجتماعى ذى مردود صالح ! . .

ان المواسم الروحية فى مثل امتنا وبازاء ما تعانيه من اضطراب عام ، يجب أن تكون مراكز حساب وانطلاق حساب على ما أسلفنا وما اعددنا ، وانطلاق الى ما قررنا من هدف نوجه طاقاتنا لتحقيقه فى زحام الاحداث . . واذا نحن لم نحسن استغلال هذه المواسم لتلك الغاية المزدوجة لم نخرج عن كوننا مجموعة ضخمة من الاطفال الكبار ، كل همها العثور على اية مناسبة للهو والعبث واللغو المفرغ من كل مضمون ! . . .

ومن فضل الله على هذه الأمة انها لم تخل قط . حتى فى أيام انحدارها خلال التاريخ . من مفكرين جديين ارتفعوا على واقع الغوغاء ، فاتخذوا من مثل هذه المناسبات مواطن يراقبون منها مسيرة امتهم . ويدرسون تجاربها . على ضوء المهمة التى القاها القدر على عاتقها ؛ فينبهون الغافلين . ويوجهون المخطئين . ويحذرون الزائغين . ويضعون فى أيدى الجميع المخطط السليم ، الذى من شأنه أن يصحح مسيرتهم فى الطريق القويم .

وذلك هو المسلك الامثل ، الذى لا ينبغى لذى لب وعلم أن يغفله او يحيد عنه فى كل مناسبة اسلامية ، سواء منها ما كان حقا بنفسه ، محددا فى كتاب الله او سنة نبيه ، كالجمع والعيدين والصوم والحج . . أو ما كان مضافا الى الحق ، من عمل المتزيدين الذين ضاقت عقولهم عن ادراك الحكمة فى تحديد الالتزامات الشرعية فراحوا يخترعون ما يحسبونه زيادة فى الخير ، واجتهادا فى القربات ! . .

ولا ريب أن ذكرى المولد النبوى واحدة من هذه المناسبات التى يمكن الانتفاع بها فى اثارة العزائم وتصحيح المفاهيم ، والاتصال بأعماق المشاعر الفطرية فى قلوب الخاصة والعامة من هذه الأمة . . .

على أن الوصول الى هذا الغرض متوقف الى حد كبير على التزام الوسائل المشروعة فلا نحابى فى الحق ، ولا نراعى فى ذلك مشاعر

العامة ، رغبة فى الانتفاع بما تهيئه تلك المحدثات من فرص للتخفيف من فرقة المسلمين ، كما قال لى أحد (كبار المشايخ) وهو يحاورنى فى موضوع بعض البدع ، اذ راح يؤكد لى أنه مقر لانكارى ، ولكنه يؤثر بقاء المنكر ايثارا لما يجره من المعروف !. وقد نسى أصلحه الله الا معروف فى منكر ، وان من لا يصلحه الحق لا يجديه كل ما فى الارض من الباطل .

ان التساهل فى امرار المحدثات — فى الدين — والسكوت عليها قد اذاب الذاتية الاسلامية لدى السواد الاعظم من المسلمين . فتهدمت بذلك تحصيناتهم الروحية حتى أصبحوا مرتعا صالحا لأى طارىء من التقاليد الداخلية . وها نحن أولاء نعيش من هذا الانهيار فى بلاء لا نكاد نعرف منه مخرجا ، فالهيبية والخنفسة والوجودية ، الى جانب الطرقية الزائغة والافكار الهدامة ، والتقاليع الجائحة ... تقتحم كياننا المفتوح لكل غاز .. وقد اعان دعاة هذه المفاسد ما يحسونه من الانفصام الرهيب بين جماهير المسلمين ومنابع دينهم الحق ، حتى بات سوادهم فى معزل شبه تام عن كتاب الله وسنة نبيه ، واستقراء أحكامهما فى تدبر وتفاعل ، لأنهم استناموا الى محض التقليد ، وبات معظمهم لا يعدو نطاق القائلين (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) ... حتى الطبقة التى تمتاز ببعض الوعى من هؤلاء المسلمين لم يعد لديها من المناعة الخلقية ما يعصمها من الخوض فى وحول التبعية لكل من يستهويها ببهارجه .. فهى تتقمص راضية أخلاق غير المسلمين ، وتتلبس عاداتهم .. وبدافع من هذا الذوبان الشخصى تحتفل بذكريات ميلادها على الطريقة نفسها التى يسلكونها ، فترى أحدهم يستقبل مهنئيه ، ويوقد الشموع بعدد سنيه ، أو سنى من يحتفل بميلاده من بنيه ، وقد يكون هذا الانسان قائدا مرموقا ، يخوض بأمته معركتها الفاصلة ، فلا يشغله حرج الموقف فى بلاده عن التفرغ للاحتفال بعيد ميلاده ! ... بل ان بعضهم لينصبون فى بيوتهم شجرة عيد الميلاد ، محاكاة لأولئك .. ولا ينسون حتى البابا نويل وكل مالا يخطر بالبال ، من مبتدعات الخيال ، ومغويات الاطفال ، دون أن يسألوا أنفسهم عن حكم الاسلام فى هذا التقليد الذى يلحقهم وابناءهم بغير المسلمين ، لأن القاعدة الشرعية أن (من تشبه بقوم فهو منهم) .. ولكنها الببغاوية التى يصورها رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول فى أمثال هؤلاء (لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم .. (٩) ولا عجب ، فانما يسير هؤلاء القردة على آثار من سبقهم من الغافلين ، الذين ضلوا سبيل الاسوة المحمدية ، فراحوا يتبعون طرائق أهل الكتاب فى الاحتفال بموالد أوليائهم ، محاكاة لهم فى الاحتفال بموالدقديسيهم ! ... وتقليدا لمن تقدمهم من أمم الوثنية فى المهرجانات التى يقيمونها لموالد آلهتهم ! ..

وها نحن أولاء نشهد سباقا فى ميدان التقليد لا نعرف له حدودا يقف عندها ، فعيد للعمال — أول أيار — وعيد للأم ، وآخر للطفل ، ومثله للثورة ، والأسرة ، والشجرة و ... ولو نحن رحنا نستقصى ما كان ويكون من هذه الفنون ، لعجزت عن تصورها الظنون .. ومع ذلك لا تعدم هذه المبتدعات مؤيدين لها باسم الدين أيضا على أنها مواسم مشروعة للاصلاح أو اللهو المباح !. وقد نسوا أن الاعياد أعمال شرعية ليس لغير الله ورسوله تعيينها أو احداثها ،

وفاتهم كذلك ان لو كان فى هـــذا الابتداع من خير ما سكت عنه نبــى الله ، الذى حذر امته اشد الحذر من موافقة غير المسلمين فى اعيادهـــم ومهارجهم ، صونـــا للشخصيــة الاسلامية من الذوبان فى غيرهـــا . وبالتالى لو كان فى اتخاذ الاعياد من ذكريات النصر والمجد صلاح لما فات الصحابة وخير القرون الحفاوة بأيام بدر والخندق وخيبر ونهاوند ودمشق وبيت المقــدس ... وعشـــرات الاشراقات العظيمة فى تاريخ الاسلام .. ولكن .. قد يغفل اللبيب . حتى يقع من الهفـــوات فى العجيـــب الغريب !..

٥ ــ وأخيرا رب لاغ بعد هـــذا يقول « ان هذا الرجل يريد أن يصرفنا عن الحفاوة بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى مناسبة . على ما يحف بها وما يعتريها . خير مـــن الغائها ! ... ولهذا وأمثاله نقـــول « ان العناية بذكرى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته الطاهـــرة فرض عين على كل مسلم مستطيع . لأنها الوسيلة الى دراسة حياته ، التى هى مجال التطبيق الأسمى لاخـــلاق القرآن وحقائق الاسلام ، وبدونهـــا لن تتم الأسوة الحسنة ، ولن يعرف المسلم طريقه الحق .. وهى عـــلى هذا الاساس عمل مشروع ، عنى به الصحابة والتابعون ، وعنهم وصلنا .

وفى سلوك منهجهم استمرار لسبيل الخير ، وتثبيت للتراث الاسلامـــى فى ضمائر الاجيال . بيد ان الـــذى نريد ، وندعو اليه هو أن نسلك الى هذه الغاية الكريمة سبيل أولئـــك الكرام ، الذين لم يعينوا لهذه الذكرى موعدا خاصا ، بل اعتبـــروها مـــن أبواب العلم المطلوب فى كل زمان .. ولمجلس علم يدرس فيه شـــىء من صحيح السيرة النبوية فى تدبر وتفاعل أرجح فى ميزان الخير من الف موكب والف سماط ، والف حلقة ذكر ، من ذلك الضرب الذى لا يقرب المحتفلين من حقائق الاسلام قيد أنمـــلة ، ولا يزودهم من معانيه العليا بأية عبرة .

ولهذا نهيب بأولى الامر فى كل بلد اسلامى ممن تهمهم مصالح شعوبهم . أن يصادروا كل قصة للمولد كتبهـــا الدجالون أو الجاهلون . وان يطهروا مجتمعاتهم الاسلامية من تلك الشنائع التى لا يرضى عنهـــا الا العابثـــون والمستغلون ...

ولكن هذه الاهابة ستظل بغيـــر مردود حتى يتحرك لها أولو البصائر من أهل العلم المؤتمنون على ديـــن الله ، الغير على أمتهم ان يضللهـــا الماكرون من أعداء الله ..

ولسوف يســألون عما كانـــوا يعملون .

---

(١) أبو داود والنســائى والترمـــذى واسناده على شرط مسلم .

(٢) عن أبى هريرة واسناده حسن .

(٣) العقائد الوثنية وأثرها ... لمحمـــد التنير .

(٤) اول المحتفلين بهذه البـــدعة هـــم البويهيون عهد معز الدولة سنة ٣٥٢ وذلك قبل عشر سنوات من ظهورهـــا فى مصر (ظهـــر الاسلام) ص ١٩٤ .

(٥) (الدولة الفاطمية فى مصر) ص ١٧٢

(٦) (الوفيات) ٢/٤٩١ .

(٧) (الدولة الفاطمية ...) ٩٦ و ٩٧ .

(٨) فى مقال نشرته مجلة (جوهر الاسلام) التونسية عدد ٩ شهر ربيع الاول ١٣٩١ ترد احداث المولد الى اواسط القرن الســادس ، والصحيح ما ذهبنا اليه ــ انظر (الابداع ...) ص ١٢٦ و (الدولـــة الفاطميـــة فى مصر) ص ١٦٢ .

(٩) « الوعى » ما يستنكر فى الاحتفال هو الوسيلة لا المبدأ كما انتهى اليه الكاتب .

قراءات

انت انت الله

اذا ما اتجه الفكر فى السموات حيث انتشرت النجـــوم فى الليل ، واذا ما كل البصر فيما لا نهاية لـــه من الآفاق المظلمة ، واذا ما خشعت النفس من رهبة السكون الشامل ــ فانك تشرق بوجهك الكريم ــ من خلال هذه الآفاق وتمس بعظمتك النفس الخاشعة المطمئنة .

حينئذ تبدو الآفاق المظلمة كأنها باسمة مشرقة ، ويتحول السكون الى نبرات مطربة تنبعث من كل صـــوب وحينئذ تتغنى النفس الخاشـــعة لتقول انت انت الله .

واذا كان المتامل على شاطىء البحر الخضم ، وأرسل الطرف بعيدا حيث تختلط زرقة السماء بزرقة الماء وحيث تنحدر شمس الاصيل رويدا رويدا كأنها الابريز المسجور لتغيب فى هذا المتسع الملح الاجاج ، وحيث تتهادى الفلـــك ذات الشراع الابيض فى حدود الأفق الملون بألوان الشفق كأنها طائر يسبح فى النعيم .

اذ ذاك يشعر المتأمل بعظمة واسعة دونها عظمة البحر الواسع وإذ ذاك تقر العين باطمئنان الفلك الجارى على اديم الماء الممهـــد ، وفى رعاية الله الصمد حيث تكون مظهر العظمة وحيث تطمئن النفس لرؤية ما تطمئن اليه فى منظر جميل .

إذ ذاك يدق الفؤاد بدقات صداها فى النفس انت انت الله .

وإذ ما انطلقت السفينة بعيدا بعيدا فى البحر اللجى ، وهبت الزوابع وتسابقت الرياح ، وتلبد بالسحب الفضاء واكفهر وجـــه السماء وابرق البرق وارعد الرعد ، وكانت ظلمات بعضها فوق بعض ولعبت بالسفينة الامواج واجهد البحار جهده وفرغ الربان من حيلة واشرفت الســـفينة على الغرق وتربص الموت من كل صوب وحدب .

إذ ذاك يشق ضياؤك هذه الظلمات والمسالك ، وتحيط رأفتك بهـــذه الاخطار والمهالك وتصل بحبال نجداتك المكروبين اليائسين . وإذ ذاك يردد القلب : انت انت الله .

واذا ما اشتد السقم بمن احاطت به عناية الاطباء وسهر الاوفياء ونام بين آمال المخلصين ودعوات المحبين ، ثم ضعفت حيلة الطبيب ولم ينفع وفاء الحبيب واستحال الرجاء الى بلاء .

إذ ذاك تتجلى مستويا على عرش عظمتك والنواصى خاشعة والنفوس جازعة والايدى راجفة والقلوب واجفة لتقول : انا قضيت ويقول الطبيب والقريب والحبيب لك الامر انت انت الله .

فيما يمس النفس من مظاهر العظمة ومظاهر الســـعة ومظاهر الرحمة ومظاهر القدر والقضاء ومظاهر الـــدوام والبقاء ومظاهر الجمال والجلال اعتاد الناس ان يصفوك بالعظيم والواسع والرحيم والقـــادر والدائم والجميل والجليل وأوتار القلوب تردد : انت انت الله . انت انت اللـــه .

من خواطر نفس للدكتور منصور فهمى .

الطريقة الحديثة للهجوم

لم يكن محمد عليه الصلاة والسلام

ثائرا انعكست عليه آمال قومه ، وانما

كان رسولا امينا بلغ رسالة ربه

تقوم اصول الطريقة القديمةلحرب الاسلام والتشكيك فى عقائده وقواعده ، على هجوم علنى مباشريستهدف أبرز ما تتمثل فيه هذه العقائد والقواعد ، وأبرز ما يتمثل فيه ذلك كله : كتاب الله تعالى، وشخص نبيه محمد عليه الصلاة والسلام .

ويتخذ هذا الهجوم سبيلا مكشوفاللنيل من عظمة القرآن والحط من مكانته ، كما يتخذ سبيلا مكشوفا مثلهلتشويه سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، ودس النقيصة الكاذبةفى حياته ! ..

طريقة عتيقة :

الا أن هذه الطريقة استبدلت فيمابعد ، واستعيض عنها غيرها . فقد رؤى بعد تجربة وطول بحث ، انهاتضر بأصحابها أكثر مما تنفعهم ، فالسب والشتم واختلاق السوءوالنقيصة ، كل ذلك يكشف عن حقد أربابه أكثر مما يدل على منهجيتهموتفكيرهم ، وما علم أن مسلما صادق الاسلام أصغى بتجرد الىالشتيمة التى يسمعها فى حق رسوله

على الإسلام

للدكتور محمد سعيد رمضان البوطى

وكتاب ربه ، فهداه ذلك الى تـرك دينه الحق واتباع الشاتمين فيمـا يشتمون وينتقصون ! .. بل المعروف أن كل ذلك لم يزد المسلمين الا يقينا بدينهم وتحفظا من اعدائهم .

الثناء الساخر ، او المديح الكاذب :

لقد استبدل اقطاب الغزو الفكرى اذا بطريقتهم العتيقة طريقة جـديدة سواها ، فما هى ؟ ..

انها طريقة الثناء الساخر ، أو المديح الاجوف الكاذب ، طريقـة تستهدف استغلال الطاقة الاسـلامية بدلا من الجهد الضائع المبـذول فى تحطيم الطاقة الاسلامية ! .. طريقة رددها كثيرا الزعيم الشيوعى الايطالى (تولياتى) وهو يملى وصيته الاخيرة قبل أن يلفظ أنفاسه .

طريقة تقول : الشريعة الاسلامية عظيمة ، ومن أبرز مظاهر عظمتهـا انها تقوم على قاعدة رائعة تتسـع لجميع التشريعات الحديثة التى تفرضها الحضارة والعصر الحديث ألا وهى : تبدل الاحكام بتبدل الازمان !! ..

وتقول : ليس ثمة وثيقة خلدهـا العرب فخـلدت أمجادهم أعظم من القرآن ! .. وحسب الرسول نبوغا فى العقل والفكر انه قـد ترك من ورائه هذا الكتاب ! ..

وتقول : لم تقم أمة بثورة فكـرية

شاملة على قديمها البالى كثــــورة الجزيرة العربية على جاهليتها البالية، ولم يقم فى التاريخ العالمى ثائـــر انعكست عليه تطلعات أمته وقومه ، كمحمد العربى اذ تجسدت فيه ثــورة الجزيرة العربية كلها ! ..

أجل .. هذه هى الطريقة الحديثة طريقة الثناء الساخر. والمديح الاجوف الكاذب . عسى رجل يصـــدق .. فتلفه النشوة . ويسكره المديح ممن لم يكن يتوقع منه المديح .. فتسترق اليد العابثة عقيدة الاسلام من قلبه . وتصوغ له فى مكانها عقيدة فارغــة لها من الاسلام شكله وهيكله . وليس لها من جوهره الاصيل شىء ! ..

المنطق العلمى هو العاصم السليم :

ولكن فلنتساءل : أى قـــدر من النجاح احرزته هذه الطريقـــــة الحديثة ؟

والجواب : ان أى قدر من النجاح لا يتراءى فى هذا السبيل الجديد . فلئن كانت ردود الفعل هى المعتصم الواقى ضد الطريقة القديمة . فان المنطق العلمى النير هو العـــاصم السليم ضد الطريقة الحديثة .

ومن أبرز مزايا الاسلام . أنــه يقوم فى مبادئه الاعتقادية ، وقواعده التشريعية على موازين المنطق والمنهج العلمى ، ولذلك لم تكن مقابلة الدين بالعلم الا سخافة لا معنى لها . فى دائرة الاسلام وحكمه .

فلا الثناء الذى يهدف الى العبث بمبادئه يغر ويخدع .. ولا الحــرب المباشرة لكتابه ، أو سيرة نبيه تصد عن الايمان بهما والخضوع لسلطانهما اذ كان ضياء العلم الخالص المجرد . هو الهادى الى سبيل الاسلام ، وهو ضياء تنحط دونه جميع المســـاعى الخادعة مهما كان لونها .

لقد وقف مدرس يحترف التشكيك بالاسلام وعقائده ، أمام تلاميذه ذات يوم ، وراح يسألهم : ايهما اليق فى حق محمد عليه الصلاة والسلام ؟ ان نقول انه ابدع هذا التشريع العظيم والكتاب المعجز البليغ من فكره النافذ البصير . أم أن نقــول انه ليس الا ساعى بريد حمل هذا كله الى الناس دون أن يكون له أى حكم أو رأى فيه؟

قال ذلك وهو يحسب انه قــد اصطاد بقوله الخادع هذا ايمـــان الصغار وعقيدتهم . ولم يكن يتوقع بكل ما لديه من شخصية المعلم العاقل أن يقوم أصغرهم سنا فيقول : ايهما اليق واكرم بحق محمد عليه الصلاة والسلام ؟ أن نقول انه كاذب يأتفك على الله ما لم يقله ولا اذن به . أم أن نقول انه صادق أمين لم يأتفك على خالق ولا كذب على مخلوق ؟! ..

لقد كان المنطق والمقياس العلمى بجانب الصغير الذى قام اســـلامه على دراسة وعلم . وكان الدجـــل والختل بجانب المعلم الكبير الذى قام احترافه لحرب الاسلام على مجـــرد شهوة نفسية فارغة .

الخديعة الكبرى :

ومع ذلك . فان الطريقة الجديدة فى حرب الاسلام ، ماضية فى سبيلها، على أمل ان دوام التلبيس على الحق قد يمزجه أخيرا بالباطل . فلا يتبين هذا من ذاك ، وتضيع بينهما موازين المنطق والعلم .

وتؤلف الطريقة الجديدة صـــورة خادعة كبرى تقف عندها وترددهـــا وتتصرف فى تكرارها بكل الاساليب الممكنة . على امل أن تميع عقيـــدة المسلمين بنبوة نبيهم محمد عليــه الصلاة والسلام .

فمحمد صلى الله عليه وسلم ، فيما ترسمه هذه الصورة ، ثائر من هؤلاء الثوار الذين تتجمع فى اشخاصهم تطلعات أقوامهم وأمانيهم ، فيغيرون سبيل التاريخ ، وينسخون تيارا اجتماعيا بآخر ، ويقيمون منهجا من التقويم والاصلاح سرعان ماتخضع له أممهم بشتى وسائل السلم أو الحرب .

انه — فيما ترسمه هذه الصورة — ثائر يغلى دم الثورة حارا فى عروقه، ظهر بين قومه فى عهد هرمت فيه تقاليد الجزيرة العربية من وثنية وأوضاع اجتماعية فاسدة ، وتفتحت فيه العقول على سخافات الشرك وعبادة الاوثان . واخذت تنزع الى سبيل ما تتخلص به من تبعات القرون وآثار الماضى السحيق . وكما هى العادة فى كل أمة وعند كل قفزة من قفزات التطور الاجتماعى — فقد تجمعت هذه النزعات واتخذت مثابتها فى نفس أقوى شخصية عربية ظهرت فى الجزيرة العربية على الاطلاق ، وما هى الا ان نضجت فكرا ومنهجا فى ذهنه ثم اشتعلت ثورة وحماسا فى نفسه ، حتى قام بدعوته الاصلاحية التى شاءت لها الظروف أن تلبس لبوس الدين والحكم الالهى !! . .

الف باء المنطق التاريخى :

وهذه الصورة تعنى أن الجزيرة العربية فى العصر الجاهلى ، كانت ترتفع رويدا رويدا عن سخافة الوثنية والشرك ، وتقترب شيئا فشيئا نحو عقيدة التوحيد والقيم الاسلامية التى جاء بها محمد عليه الصلاة والسلام ، حتى اذا جاء زمن البعثة ، كانت قد نضجت فى النفوس والعقول نزعة التخلى عن القديم البالى واصطفاء الفكر الدينى الجديد أتم ما يكون النضج ! . . أى أن العرب كانوا قبل ثلاثة قرون — مثلا — من بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام ، مستغرقين فى حمأة الوثنية والشرك ، فلما طال بهم العهد وحان وقت البعثة كانوا قد استيقظوا الى عقيدة التوحيد ودبت فيهم روح الثورة على تقاليدهم القديمة ! . .

فهل هكذا يقرر التاريخ فى أبسط الف بائه التى يعرفها أطفال المدارس ؟! . .

ان كل من سمع باسم التاريخ العربى يعلم ان أمر العرب والوثنية جار على عكس ما يزعمه هؤلاء تماما . . فقد كانوا قبل بضعة قرون من بعثته عليه الصلاة والسلام يؤمنون بالحنيفية السمحة التى بعث بها أبو الانبياء ابراهيم عليه الصلاة والسلام ولا يبتغون بعقيدة التوحيد بديلا ، فلما تطاول عليهم الزمن ، تسللت اليهم أفكار الوثنية من جهة الروم ، ثم أخذت تنتشر بينهم بعامل الجهل والامية وبعد العهد . حتى أطبقت عليهم ظلمات الشرك . اللهم الا بقايا لمع كانت تظل تبرق هنا وهناك ، فعندئذ أكرم الله العالم ببعثة نبيه محمد عليه الصلاة والسلام ليخرج الناس من ظلمات الشرك والكفر ويعيدهم الى ضياء الايمان والتوحيد .

عمرو بن لحى الخزاعى ، وكيف انتشرت الوثنية فى الجزيرة العربية :

وايضاح ذلك — وهو شىء واضح معلوم فى جميع كتب التاريخ — أن عمرو بن لحى بن قمعة (وهو جد قبيلة خزاعة) خرج من مكة الى الشام فى بعض أموره ، فلما قدم (مآب)

من ارض البلقاء ــ رأى اهلها يعبدون الاصنام (ولم يكن العرب يعلمون اذ ذاك شيئا عن الاصنام وعبادتها ، وكانوا جميعا على فطرة التوحيد والايمان بالله عز وجل) فقال لهم : ما هذه الاصنام التى أراكم تعبدون ؟ قالوا له هذه آلهة نعبدها نستمطرها فتمطرنا ، ونستنصرها فتنصرنا ، فقال لهم : أفلا تعطوننى منها واحدا فأسير به الى أرض العرب فيعبدوه؟ فأعطوه صنما يقال له (هبل) فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه (١) .

وهكذا انتشرت عبادة الاوثان فى الجزيرة العربية وشاع فى اهلها الشرك ، فانسلخوا بذلك عما كانوا عليه من عقيدة التوحيد ، واستبدلوا بدين ابراهيم واسماعيل غيره ، وانتهوا الى مثل ما انتهت اليه الامم الاخرى من الضلالات والقبائح فى المعتقدات والتقاليد والانفعال .واخذت هذه المظاهر كلها تزداد ضراوة وشيوعا كلما امتد بهم الزمن ، شأن سائر الامم والشعوب عندما يغشاها الجهل ، ويطول بها العهد ، ويندس بين صفوفها المشعوذون والمبطلون .

بقايا ضياء قديم لا ثورة فكر جديد :

غير أنه بقيت فى العرب طائفة من الناس ــ كانت تقل مع الزمن ــ ظلت متمسكة بعقيدة التوحيد ،سائرة على نهج الحنيفية : تصدق بالبعث والنشور ، وتوقن بأن الله يثيب المطيع ويعاقب العاصى ، وتكره هذا الذى استحدثه العرب من عبادة الاوثان وضلالات الرأى والفكر .

ولقد اشتهر من هذه البقية كثيرون كقس بن ساعدة الايادى ، ورئاب الشنى وبحيرا الراهب .

وكان هؤلاء يعيشون فى غربة وعزلة عن اقوامهم ، وكانوا يقلون مع الزمن ، وكانوا يشبهون فى مظهرهم وتجافى الناس عنهم وثباتهم على الحق الثابت القديم ، بقايا أطلال مهشمة لبناء خرب قديم مهجور ! . .

فلئن كان هؤلاء دعائم ثورة فكرية نشأت عند العرب وقادها محمد عليه الصلاة والسلام ، فلقد كان فى الجزيرة العربية أضعاف تلك الدعائم قبل قرن او قرنين من بعثته عليه الصلاة والسلام ، فلماذا لم تقم الثورة الفكرية فى ذلك العهد ؟ . . وما الذى بطأها عن الظهور حتى تحطمت جميع دعائمها ما عدا بقايا محطمة منها معزولة هنا وهناك ؟!

وبتعبير آخر : ان فكرة التوحيد والنزوع الى فضائل الحنيفية السمحة التى هى دين الانبياء جميعا ، والتى كانت تظهر على شكل بقايا ضياء قديم فى عهد البعثة المحمدية ، لم تكن تبلغ عشر معشار تلك الفكرة ذاتها قبل قرنين أو ثلاثة قرون من الزمن ، واذا فقد كان المفروض ــ حسب تصور هؤلاء الناس لمعنى النبوة والبعثة ــ أن تكون بعثته عليه الصلاة والسلام قبل الزمن الذى بعث فيه بعدة قرون وأجيال فلماذا لم يكن الامر كذلك ؟ . .

انها شخصية رسول ! . .

ثم أين هى حصيلة الفكر الثورى الذى تجسد فى دعوة محمد عليه الصلاة والسلام ، خلال ثلاثة عشر عاما ، لم يجد خلالها من هذا الفكر الثورى الا الكيد المتواصل المطبق على دعوته وعقيدته ؟

وفيم يحتاج هذا الانسان الثورى

— على زعم الصورة المرسومة — الى أن يستنزل ثورته من السماء ، وهى انما نبتت من أدمغة أصحابه وبنى عشيرته فى الارض ؟ .. وفيم يستعين لها بقرآن متلو ، وعقائد غيبية بدلا من أن يستعين لها بالثورة الفكرية التى تغلى فى دم قومه وأمته ؟ ..

وما حاجة هذا الانسان الثورى — اذا — الى أن يحيى ليالى عمره متنسكا ضارعا باكيا يحذر الآخرة ، ويرجو رحمة ربه ، وأن يوقظ من قلبه رقيبا دائما على جميع حركات نفسه وسكناتها فى سبيل أن لا يلقى الله غدا وهو عليه ساخط — .

أقول : ما حاجة هذا الانسان الثورى الى شىء من هذا كله ، وهو انما يتعامل برأس مال ورصيد من فكر أمته وبنى قومه ؟ ..

أشهد أن كل ذى عقل من البشر يدرك — اذا أراد أن يصدق — أنها شخصية نبى مرسل من عند الله ، لا شخصية زعيم ثائر يستلهم الفكر مما عند الناس .

وأشهد أن كل ذى عقل من الناس يعلم — اذا أراد أن يصدق — أن محمدا عليه الصلاة والسلام جاء ليكون حجة على هذه الامة أولها يوم القيامة ، حتى لا يقول قائل : ما جاءنا من نذير . فقد جاءكم النذير ، ولكنكم أبيتم الا أن تستقبلوا كلامه بعقول مقلوبة وبصيرة عوراء ! ..

ايها الناس تنبهوا جيدا ، فان مصيرنا واحد ! ..

هذه الحقيقة التاريخية ، من الامور الواضحة التى لا يتعثر فى فهمها صغير ولا كبير ، فكيف يتجاهلها — مع ذلك — أولئك الذين يحلو لهم أن يستروا نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العقول بهذا الزعم الذى يناقض هذه الحقيقة مناقضة حادة بل ينطوى على عكسها تماما ؟! ..

ان الذى يدعوهم الى هذا التجاهل العجيب ، انما هو العصبية ! .. العصبية ضد الحقائق الدينية بكل ما تستلزمه من قيم وقواعد واحكام وتشريع ! ..

ولكن ما هى حساب أرباحهم من وراء هذه العصبية العمياء ؟! ..

ان البائع الذى يتعصب ضد السعر الذى يفرضه المشترى ، ينبعث فى عصبيته من الربح الذى يتوقعه ويطمع فيه . والجماعة التى تتعصب فى معركة الانتخابات لشخص ضد آخر تنبعث فى عصبيتها له من آمال المكاسب التى تعلقها عليه .

ولكن عن أى شىء ينبعث من يتعصب ضد بلاغ رب السموات والارض للصفوة المختارة من مخلوقاته ؟! ..

ان رسالة الله الى عباده عن طريق المرسلين الذين ابتعثهم اليهم واحدا اثر آخر ، يتضمن النبأ العظيم الذى يتعلق بمصيرهم جميعا ، ويحدد نهاياتهم المطلقة التى لا مناص منها ، فأى معنى غير معنى الجنون فى أن تتعصب طائفة من هؤلاء العباد ضدها ؟!

شخصان يسيران فى مفازة مجهولة ، انتهيا الى مفترق يقف على فم طريقين : أحدهما ينتهى الى هلاك لا ريب فيه ، والآخر ينفذ الى الغاية المطلوبة لهما ، فهل أمامهما من سبيل غير التعاون المطلق لمعرفة الطريق المطلوب ، وتجنب سبيل الهلاك ، حتى ولو كانا من قبل ذلك خصمين متخالفين ؟ .. وهل سمع أحد من

الناس أن عاقلا اجتهد فى معـرفة الطريق السليم ، فلما واجهه صاحبه بالرأى السديد وبصره بخطئه ، أخذت منه العصبية مأخـذها ، وأبى الا التمسك برأيه ، ثم انحط يسير فى طريق الهلاك ، حتى لقى حتفه آمنا مطمئنا ، لانه أبى التبعية لغيره ، ولم يخضع لرأى غـير الرأى الذى فى رأسـه ؟! ..

أيها الناس : أما والله ان بعثة محمد عليه الصلاة والسلام ، لم تكن عبثا من الامر ، ولا ترفـا فى باب الزعامة أو الثورة أو الفكر ! .. وانما جاء ليبلغ انذار الله لعبـاده على فترة من الرسل الذين جاءوا من قبـله .

فانظروا فى الكتاب النذير الذى تركه امانة بين أيديكم ، وامعنوا فيه الفكر محررا من كل عصبية وغرض وحقد ، فان الامر متعلق بمصـيرنا جميعا ، مصير هائل مخيف جدير أن يذوب تحت سلطانه جميع معـانى المصالح الآنية والعصبيات المذهبية والفكريـة .

فان رأيتم أن الامر كذلك ، فأجمعوا أمركم واحزموا تواكم وانطلقوا صفا واحدا نحو تحقيق الهدف الذىيدعوكم اليه كتاب الله ، وتحملكم عليـه سنة رسول الله . وسيروا فىالطريق التى لقى الله عليها أسلافكم ، لقـد خافوا الله تعالى فخافهم كل شىء ، وجعلوا همهم تحقيق مرضاته فكفاهم الله تعالى جميع هموم الدنيا .

أما إن أبى كل صاحب رأى وهوى الا مزيدا من العصبية لرأيـه أو مصلحته وهواه . فليعلم أنه انمـا يتعصب ضد ذاته هو . والا فليرنى ثباته الدائم على عصبيته هذه ! .. وليظل على هذه الحال الى أن يمتد منه الجسد الذاوى على فراش الموت وتريه عيناه الملك الموكل بقبض روحه والدنيا المطوية المنطلقة من حسـاب عمره ، والمصالح العاجلة التى غرته اذ كان يحسبها ماء فراتا ، ثم تخلت عنه اذ رآها سرابا باطلا ووهمـا مستحيلا .. !

أيها الناس : اجعلوا من ذكـرى مولد رسول الله ، مثابة عهد جـديد تبايعون به نبيكم وتصطلحون به مـع ربكم ثم انطلقوا فى مجاهدة صادقة فى سبيل مرضاة الله . قبل انينطوى عنكم بساط العمر ، ويبدو لكم من ورائه وادى الحسرة والنـدم .. ولات ساعة مندم .



---

(١) سيرة ابن هشام : ٧٧/١ والاصنام لابن الكلبى : ٨ و ٩ وانظر ما كتب فى هذا البحث مطولا فى كتابنا فقه السيرة .

محمد صلى الله عليه وسلم

في أبحاث المستشرقين الألمان

للشيخ : طه الولى

لا بد من القول بأن الصدام التاريخى الذى وقع بين الشرق الاسلامى والغرب المسيحى أثناء الحروب الصليبية قد لفت نظر الاوروبيين الى الاهتمام بكل ما يتصل بالدين الاسلامى لا سيما بشخص النبى صلى الله عليه وسلم نفسه باعتباره مؤسس هذا الدين وحامل لوائه الاول . وان شخصية الرسول الاعظم ، عليه الصلاة والسلام استقطبت فى جاذبيتها المبدعة أنظار المستشرقين الالمان ، شأنهم فى ذلك شأن غيرهم من المستشرقين الاجانب، لان هؤلاء وأولئك وجدوا فى دراستهم لمحمد صلى الله عليه وسلم ما يكمل دراستهم للاسلام من خلال القرآن الكريم . فوجهوا عنايتهم الى هذه الشخصية العظمى بنفس الحرارة التى رافقت عنايتهم بالقرآن نفسه .

وفى عام ١٧١٠ ميلادية قرأ المتحدثون باللغة الالمانية « ان محمدا لا يبتعد عن التعاليم الكبرى للديانة الحقيقية الاصيلة . وقد قام أتباعه بنشر هذه التعاليم الى أقصى شعوب آسيا وأفريقيا . وفى كثير من البلاد قام الاسلام بالقضاء على المعتقدات الوثنية التى وقفت أمام التعاليم الصحيحة عن وحدانية الله وخلود الروح » وكان قائل هذا الكلام المتزن والرأى الرصين هو الفيلسوف الالمانى « لايبنيتز » الذى شق أمام أبناء جلدته من المستشرقين طريقا مستقيما لدراسة شخصية محمد صلى الله عليه وسلم فى ضوء العقل والمنطق وبأسلوب العالم الذى

يتحرى الموضوعية والانصاف فى ما يكتب عن الاسلام ورسوله .

ولم يلبث الطريق الذى شقه لايبنتز ان وجد من يسلكه من بين الالمان ، ففى القرن الثامن عشر كتب « ليسينغ » اكبر الشعراء والنقاد فى زمانه يقول :

« اننى واثق من أنه بين هؤلاء الذين يرون أن الديانة « التركية » (ويعنى بها الاسلام) هى السبب ، أو هى التى تتحمل الذنب فى هذا أو ذاك ، هم اقل من قرأوا القرآن .

وانه أيضا من بين الذين قرأوه لا يوجد الا عدد قليل جدا حاول أن يعطى كلماته المعنى الصحيح . واننى واثق انه لو كان فى نيتى أن أقوم بهذا العمل لاستطعت أن اعرض اهم ما فى الديانة الطبيعية فى القرآن بوضوح ، كما اننى أعتقد أن كل مفكر يوافقنى على أن كل المبادىء الرئيسية فى تعاليم محمد ، تنبع من الديانة الفطرية الطبيعية . »

ولم يأت القرن التاسع عشر للميلاد حتى رأينا الدكتور جوستاف فايل يصدر دراسة كاملة تناول فيها المسيرة النبوية الشريفة حرص فيها على تقديم صورة يركن الى صحتها عن المرحلة الاولى لظهور الاسلام . ومن حسن الحظ فى دراسته هذه انه اعتمد على مصادر كانت افضل بكثير من تلك التى اعتمد عليها الذين كتبوا عن حياة النبى صلى الله عليه وسلم من قبله . وقد انتهى فايل من دراسته المذكورة ، الى الاقتناع بأن محمدا يمكن أن ينظر اليه من جانب غير المسلمين ، على انه بالفعل « رسول الله » .

ومنذ ذلك الحين اخذ المستشرقون والادباء الالمان بدراسة النبى صلى الله عليه وسلم واحتلت هذه الدراسة مركز الصدارة فى علوم الاستشراق بين الالمان . وعندما الف الشاعر الفرنسى الكبير « فولتين » مسرحيته الضخمة « محمد النبى » سارع الادباء الالمان الى ترجمتها الى اللغة الالمانية ، وما زالت الترجمة التى وضعها الشاعر الالمانى الكبير « غوته » سنة ١٨٠٠ ميلادية تعرض على المسارح الالمانية حتى اليوم .

على أن غوته لم يكتف بترجمة مسرحية فولتير عن « محمد النبى » بل انه وضع هو نفسه « الانشودة الثنائية بين على وزوجته فاطمة التى اشتهرت بعد ذلك باسم « انشودة محمد » وفيها يصور هذا الشاعر الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم على أنه « النموذج الاعلى للانسان الذى ملأ الله عليه قلبه وحياته ، وانعم عليه وطهره واصطفاه ليؤسس الديانة الكبرى » وتدور احداث هذه الانشودة حول النبى صلى الله عليه وسلم وهو بعد فى صباه يقف على ملتقى الطرق بين الافكار الدينية المختلفة ويكافح من أجل الايمان والاعتقاد بإله واحد « وفيها يشبه غوته النبى صلى الله عليه وسلم بنهر عارم مطرد ، يجرف أمامه كل شىء ويقتلع ما يصادفه معه ويندفع به بقوة الى الاله الابدى .

ولقد شغلت شخصية محمد صلى الله عليه وسلم شاعر المانيا الكبير غوته طوال أيام حياته . فعندما صنف كتابه « الديوان الشرقى الغربى »

فانه ضمن هذا الديوان اكثر من اثنتى عشرة قصيدة تدور كلها حول محمد وتعاليمه ودعوته الدينية .

والى جانب غوته نجد شاعرة المانية اخرى تتناول بقصائدها شخصية النبى محمد صلى الله عليه وسلم فى كتابين صدر اولهما سنة ١٨٠٤ تحت عنوان « حلم محمد فى الصحراء » والثانى صدر فى سنة ١٨٠٥ تحت عنوان « محمد ، نبى مكة » على أن هذه الشاعرة قدمت النبى صلى الله عليه وسلم فى صورة الناسك الزاهد متأثرة بما علق فى ذهنها من حياة الزهاد والنساك النصارى . الامر الذى ادى الى فشلها فى اجتذاب الجمهور الى الاهتمام بعملها .

وفى سنة ١٨١٥ جعل الشاعر براون مسرحيته التى كتبها بأسلوب كلاسيكى ، تحت عنوان « وفاة محمد » وقد صور فيها هذا الشاعر وفاة النبى صلى الله عليه وسلم متأثرا بفعل السم الذى وضعته له فى طعامه احدى النساء من الكفار . وقد اعتمد براون فى ذلك على بعض الاقوال القديمة التى تزعم بأن النبى صلى الله عليه وسلم قد توفى فعلا بالسم ، مع العلم بأن هذه الاقوال لا ترقى الى درجة اليقين التاريخى .

وفى غضون القرن التاسع عشر تضاعف عدد الالمان الذين عرفوا بدراسة الاسلام بصورة عامة وبالكتابة عن شخصية النبى عليه الصلاة والسلام بصورة خاصة . فنجد باعث الحركة الادبية فى هذا القرن يقول :

« أن الدافع فى مجرى حياة محمد النبوية ، كان نفوره وبغضه التام للوثنية وعباده الأصنام وايمانه الحاد بمبدا الاله الواحد ، وعبادة الله بنقاء فى عمل الخير » .

وفى هذا العصر بالذات جاء المستشرق الالمانى الكبير « يوسف فون هامر » ــ بورشتال »

فوضع ، حوالى سنة ١٨١٨ كتابا جمع فيه سير الخلفاء والامراء والملوك الكبار ونشر فى نحو خمسين مقالة تحت عنوان « أيوان الصور لحكماء المسلمين الكبار فى القرون السبعة الاولى للهجرة » وفى هذه المقالات يعالج فون هاير سير الملوك المشهورين فى بلاد الاسلام مبتدئا بسيرة الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم الذى قال فيه :

« يجب أن نتمسك بوجهة نظر أن محمدا لم تكن تدفعه مجرد تلك الفكرة العظيمة وحدها ، فكرة اخراج قومه من ضلال تعدد الالهة ، وهداية هؤلاء القوم الى الصراط المستقيم واعادتهم الى الايمان بالاله الواحد بل انه كان يتملكه أيضا شعور دينى حى . واقتناع ذاتى بالوحى الالهى الذى ينزل به الروح الامين على قلبه وكان على ايمان عميق ، شأنه فى ذلك ، شأن سابقيه من الانبياء الآخرين بأنه ارادة السماء بأخذ امته فى طريق الهدى والصراط المستقيم ، انه واحد من مؤسسى الاديان الثلاثة الكبرى التى نشأت فى مصر وسورية والجزيرة العربية ، وانتشرت فوق سطح الكرة الارضية بكاملها ، وهو خاتم النبيين . »

ولفون هامر كتب أخرى فى الاسلام والنبى محمد صلى الله عليه وسلم من ذلك القصائد الشعرية التى

نظمها سنة ١٨٠٦ تحت عنوان « نفير الجهاد » وصور فيها النبى الكريم داعية عظيما للجهاد فى سبيل الله .

وفى سنة ١٨٢٣ ندب هامر نفسه للرد على ما جاء فى مسرحية فولتير من تهجمات على شخصية النبى عليه السلام فألف كتابا تحت عنوان « محمد أو محاصرة مكة » تحدث فيه عن فتح النبى صلى الله عليه وسلم لمكة المكرمة .

وقد ادت حركة النقد التى تعرضت لها الديانة المسيحية فى القرن التاسع عشر الى الاهتمام الزائد بالاسلام وصاحب رسالته . فألف « دوامر » فى سنة ١٨٤٨ ديوانا أسماه « محمد واعماله » حاول فيه المقارنة بين كبرياء المسيحية وترفعها الروحى وبين بساطة الاسلام ويسره واتفاقه مع الطبيعة السمحة . وتوالى فى هذه الفترة المؤلفون الالمان الذين تناولوا بالكتابة سيرة النبى عليه الصلاة والسلام من ذلك : « دوللر » الذى كتب « قصصا تاريخية » ونشرها فى سنة ١٨٤٤ تحدث فى هذه القصص عن نشأة محمد عليه الصلاة والسلام وتطوره حتى مرحلة النبوة وذلك بأسلوب رومانتيكى جذاب . وكذلك أصدر كل من الكاتبين شافها يتين وفون دير بفوردتن ، كتبا وقفا فيها موقفا ايجابيا مؤيدا للنبى العربى الكريم .

ولم يقف أهتمام المستشرقين الالمان عند تأليف الكتب فى هذا الصدد ، بل أن بعضهم عمد الى نشر ما الف فى القصة العربية من كتب السيرة النبوية الطاهرة كما فعل المستشرق الالمانى فرديناند وستنفيلد الذى أصدر سنة ١٨٦٠ سيرة ابن هشام بنصها العربى ثم قفى عليه المستشرق « فايل » سنة ١٩٦٤ بترجمة هذا الكتاب التاريخى الهام من العربية الى اللغة الالمانية .

أما المستشرق الالمانى الكبير تيودور نولدكه فانه أصدر كتابا قائما بذاته تناول فيه شخصية النبى صلى الله عليه وسلم ودعوته وأطوار حياته تحت عنوان :

« حياة النبى محمد » كما شارك فى الاشراف على طبع « تاريخ الطبرى » وترجمته الى الالمانية .

ويقول نولدكه فى كتابه الذى وضعه عن سيرة النبى صلى الله عليه وسلم :

« اننا لكى نصدر حكما صحيحا وعادلا على محمد ، يجب أن لا نتأمله فقط فى حياته كنبى وداع وحاكم ، بل نتأمله أيضا فى حياته ومعاملاته مع اتباعه وأصدقائه ، وفى حياته اليومية . فان عددا لا يحصى من الشواهد والادلة الصادقة يبرز صورته فى ضوء بهيج . أما ما يقال عن اخطائه فانه يجب على المرء ان يعرف انها لم تكن أخطاؤه هو ، بل هى الى أكبر حد أخطاء عصره وشعبه . وانه كان يملك انبل الخلق والايمان برسالته فى العودة بالناس الى الدين الصحيح ينجيهم من العذاب المقيم ويمكنهم من نعيم السماء » .

وهكذا ، فلقد توالى بعد ذلك اهتمام المستشرقين الالمان بهذا النوع من الدراسات التى وجدت أهتماما ملحوظا فى المانيا بصورة خاصة ، حيث لم يعد محمد صلى

الله عليه وسلم فى نظـــر العلماء الالمان مــن المعنيين بالدراســـات الاسلامية ، مجرد وثن أسطـورى يعبده المسلمون الاغبياء ولا نبيا كاذبا خداعا يضلل الناس عن جادة الحـق والصواب ، كما كان يصوره أحبـار الكنيسة والدائرون فى فلكها المتزمت سابقا ، بل أصبح النبى عليه الصلاة والسلام فى نظـر الالمان ، انسانا جـــديرا بكل احترام وتبجيـــل « لانه جـــاء بدين ينطـــوى على أجـــود الآراء وأحســـنها » كما كان يقول المستشرق الالمـــانى القديم « غ » بوستل وهو يعظ الناس المتألبين حوله عند جسر ريالتـو . بالبندقية فى أواسط القرن السادس عشر للميلاد ..

واننا لنجد فى مؤسسات الابحاث الاسلامية المنتشرة اليوم فى طــول البلاد الالمانية وعرضها العديد مــن الدراسات المفيدة سواء فىحيـــاة النبى صلى الله عليه وسلم شخصيا أم فى سيرة صحابته الكرام رضوان الله تعالى عليهم ، وآخـــر هــذه الدراسات كما يقول الدكتور البرت ديتريش فى كتابـــه « الدراسات العربية فى المانيا » آخـر هـــذه الدراسات هو الكتاب الذى ألفـه الدكتور رودى باريت تحت عنــوان « محمد والقرآن » ..

ويحسن بنا أن نختم هذا الحديث بالاشارة الى أن « كل الاعمـــال الادبية التى قامت فى المانيـا مـع غوته وبعده حول شخص النبى صلى الله عليه وسلم ، حـــاولت وبذلت جهدها لكى تقدم صورة صادقة عنـه بقدر امكانها ، وان تقرب هذه الصورة بقوة الى القارىء الالمانى ، وانهـــا جميعها تقر وتعترف عن قناعة وتجرد : « بأن محمدا عليه الصلاة والسلام هو نور الله الداعى الى الحق والهدى » .



مائدة القارئ

« جعل رزقى تحت ظل رمحى ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمرى » .

(رواه البخارى)

مراتب الوحى

١ — الرؤيا الصادقة ، وكانت مبدأ وحيه صلى الله عليه وسلم .

٢ — ما كان يلقيه الملك فى روعه وقلبه من غير أن يراه .

٣ — كان الملك يتمثل له رجــــلا فيخاطبه حتى يحفظ عنه ما يقول .

٤ — كان الملك يأتيه فى مثــــل صلصلة الجرس ، وكان أشده عليه .

٥ — كان يرى الملك فى صورته التى خلق عليها فيوحى اليه ما شاء الله أن يوحيه .

٦ — ما أوحاه الله اليه وهو فوق السموات ليلة المعراج من فـــــرض الصلوات وغيرها .

٧ — كلام الله له بلا وساطة ملك كما كلم الله موسى بن عمران .

حاضنات النبى

أمـــه آمنة بنت وهب ، وثويبة ، وحليمة والشماء ابنتهـــا ، وأم أيمن بركة الحبشية .

زوجــات الرســول

١ — خديجة بنت خويلد رضى الله عنها .

٢ — سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس القرشية رضى الله عنها .

٣ — عائشة بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنها .

٤ — حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنها .

٥ — زينب بنت جحش الأســـدية رضى الله عنها .

٦ — هند أم سلمة بنت أبى أمية المخزومية رضى الله عنها .

٧ — جويرية بنت الحارث رضى الله عنها .

٨ — صفية بنت حيى بن أخطب وهى من ذرية هارون عليه السلام . رضى الله عنها .

٩ — أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان الأموية رضى الله عنها .

١٠ — ميمونة بنت الحارث الهلالى رضى الله عنها .

١١ — زينب بنت عبد الله المعروفة بأم المساكين رضى الله عنها ، وقد توفيت والسيدة خديجة فى حياته صلى الله عليه وسلم .

« محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود » .
(قرآن كريم)

أولاد النبى

القاسم ، ثم زينب ، ثم رقية ، ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة ، ثم عبد الله ، وكلهم من السيدة خديجة .
ثم ولد له ابراهيم بالمدينة — من السيدة مارية .

اعمام النبى

حمزة بن عبد المطلب ، والعباس ، وأبو طالب واسمه عبد مناف ، وأبو لهب واسمه عبد العزى ، والزبير ، وعبد الكعبة ، والمقوم ، وضرار ، وقثم ،والمغيرة ولقبه حجل ، والعيداق واسمه مصعب .
ولم يسلم منهم الا حمزة والعباس .
وأسن أعمامه الحارث ، وأصغرهم العباس .

سلاح النبى

كان له صلى الله عليه وسلم تسعة اسياف وهى :
ما ثور ، والعضب ، وذو الفقار ، والقلعى ، والبتار ، والخنف ، والدسوب ، والمخذم ، والقضيب .
وكانت له سبعة أدرع وهى :

ذات الفضول ، وذات الوشاح ، وذات الحواشى ، والسعدية ، وفضة والبتراء ، والخرنق .

كتاب النبى

أبو بكر وعمر وعثمان وعلى والزبير وعامر بن فهيرة ، وعمرو بن العاص وأبى بن كعب ، وعبد الله بن الأرقم ، وثابت بن قيس ، وحنظلة ابن الربيع الأسدى ، والمغيرة بن شعبة ، وعبد الله بن رواحة ، وخالد ابن الوليد ، وخالد بن سعيد بن العاص ، وقيل أن أول من كتب له معاوية بن أبى سفيان وزيد بن ثابت .

مؤذنو الرسول

كانوا أربعة ، اثنان بالمدينة . بلال ابن أبى رباح وهو أولمن أذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمرو بن أم مكتوم القرشى العامرى الأعمى . وأذن له بقباء سعد القرظ مولى عمار ابن ياسر ، وأذن له بمكة أبو محذورة واسمه أوس بن المغيرة الجمحى .

خدم النبى

١ — أنس بن مالك ، وكان على حوائجه .
٢ — عبد الله بن مسعود صاحب نعله وسواكه .
٣ — عقبة بن عامر الجهنى صاحب بغلته .
٤ — أسلع بن شريك صاحب راحلته .
٥ — بلال بن رباح .
٦ — أبو ذر الغفارى .
٧ — أيمن بن عبيد وكان على مطهرته وحاجته .

محمد مولد

محمود مؤذن

صلى الله عليه وسلم

— ١ —

فى كل كائن عنصر يندس فى كيانه ، ويضمر فى وجوده .. هذا العنصر هو سر بقائه ، وحافظ نظامه ، وروح ذاتيته ، ومختصر حقيقته . سواء فى هذا ما كان من عوالم السماء ، أو عالم الارض .. ابتداء من الهباءة والذرة ، الى النجم ، والمجرة ، ومن الانسان فى شخصه الى الانسانية كلها فى امتداد زمانها ومكانها ..

فالكائن الحى — مثلا — حين يكشف عن سره ، ويصرح عن مكنونه ، نراه يعرض فى معرض الحياة وجوده كله مختصرا فى مولود من مواليده ، أو فى آية من آيات خلقه وابداعه ..

فاذا وقف بنا النظر عند شاعر مثلا ، رأيناه مشخصا فى مرآة ديوان شعره ، الذى يضم قصائده ومقطعاته ، ثم رأيناه فى صورة أدق وأوضح فى قصيدة أو مقطوعة ، هى عين شعره ، ويتيمة درره ، ثم رأيناه آخر الامر مجسدا فى بيت ، هو بيت القصيد كله ، فى ديوان شعره !!

ويؤدى بنا هذا الى القول بأن فى كل أمة ، من عالم الانسان ، أو الانعام ، والدواب ، والطير ، وليدها وبيت قصيدها ، الذى تتمثل فيه كل وجودها ، وتستشعر منه نبض حياتها ، وتتلقى عنه — حاضرا أو غائبا — مثلها الاعلى الذى يراود أحلامها ، وتدور فى فلكه آمالها ..

فاذا كان ذلك كذلك فى الكائنات الحية ، فانه فى الكائن الانسان أصرح وأوضح ، سواء ذلك فى ذات الانسان الفرد ، أو فى محيط الاسرة والقبيلة ، أو فى دائرة الشعب والامة .. حيث لا تخلو أمة من الامم ، أو شعب من الشعوب ، من مولودها الذى تجتمع فيه خصائصها ، وتتخلق فى كيانه عناصر تكوينها المادى والروحى والعقلى جميعا .. ففى الامة اليونانية « أرسطو » وفى الامة الانجليزية « شكسبير » وفى قديم الامة الهندية « بوذا » وفى حديثها « غاندى » .. وهكذا ..

إنسان الإنسانية ونبي الأنبياء

للاستاذ عبد الكريم الخطيب

وطبيعى أن يتولد من هذا المنطق الذى تحكم به الطبيعة كائناتها ، أن يولد فى الانسانية المولود الذى يكون قمــة الجنس البشرى كله ، حيث ينتهى اليه كمالها ، وتستوفى بــه غاية حظها ، فيما تحلم بــه من سمو ، وفيما تنزع اليه من كمال ورقى .. وأحسب أن هــذه حقيقة لا يمارى فيها كثير من الناس ، فان يكن ثمــة افتراء أو خــلاف ، فهو فى هــذا الانسان : من يكون ؟ ومن تكون الامة التى ولدته ؟ وما الظرف الزمانى الذى ظهر فى كوكبه ، ولمع فى أفقه نجمه ؟

— ٢ —

والامة الاسلامية على ايمان واجماع بأن « محمدا » النبى العربى ، الذى ولدته الامة العربية فى مكة البلد الحرام ، وعلى بضع خطوات من البيت الحرام — أول بيت لله وضع للناس على هذه الارض — الامــة الاسلامية ، على ايمان واجماع بأن « محمدا » هذا ابن عبد الله ، بن عبد المطلب ، العربى ، القرشى ، هو مولــود الانسانية ، الــذى حملته فى ضميرها ، وغذته بمجاجة وجدانها ، وعصارة عقلها ، وتنقلت بــه عبر الاجيال والازمان ، على امتداد حياتها الضاربة فى أعماق الــزمن ، حتى جاءها المخاض بــه فى اليوم الموعود ، والمكان المشهود ، فأخذها منه ما يأخذ الامهات لحظــة الولادة ، وما يسرى فى كيانها من مشاعر الرهبة والخوف ، وخفقات الرجاء والامل .. وهكذا تنازع الوجود كله لحظــة هذا الميلاد ، ومن بين يديه ومن خلفــه : رهب ورغب .. فرجفت قلــوب ، وخفقت قلوب ، وغامت وجوه ، وأسفرت وجوه .. وكان صباح ، وكان مساء ، واذا بين يدى الناس فى كل أفق شاهد مبين ، من هــذا النبأ العظيم !!

فاذا تحدثت أخبار السيرة النبوية عن ميلاد الرسول الكريم ، وما واكب هـذا الميلاد من ارهاصات تنبىء عن أمر عظيم قد وقع ، أو هو وشيك الوقوع ، من شأنه أن يتغير بـه وجه الحياة كلها ، وتتحول بـه كثير من أحوال الناس فى المشارق والمغارب — اذا تحدثت كتب السيرة عن كثير أو قليل من تلك الارهاصات التى واكبت مولد النبى ، فليس ذلك بمنكور أن يحدث كله ، أو بعضه ، على صورة مطابقة ، أو مقاربـة لما تحدثت بـه هذه الكتب ، وما صورته تلك المرويات !

فغير مستبعد أن يكون قد حدث فى زمن الميلاد ما تحدثت به كتب السيرة النبوية ، من تصدع ايوان كسرى ، وخمود نار فارس . وذهاب ماء سادى ، وغير ذلك مما قل أو كثر ، من هذه الاخبار التى تضاف الى عوالم الجماد ، فلا يحمل ذلك على محمل الخيال الشعرى ، أو الحماس العاطفى ، فان ذلك الا يكن قد حدث كله أو بعضه على الصورة التى تحدثت بهـا كتب السيرة ، فانه جدير أن يحدث ، ان لم يكن فى أعراض هـذه الكائنات وهيولاها ، ففى صميم جوهرها وحقيقتها !!

واذا صح أن يقع مثل هذا فى عالم الجماد من ذلك النبأ العظيم ، فان وقوعه فى وجدان الناس ، وفى شعورهم ، وعلى مسرح احلامهم ، ومسبح رؤاهم ، أمر ينبغى التسليم بـه ، وترك المماراة والجدل فيه . . !

ان فى النفس البشرية ، قوى استطلاعية متخفية ، لا يملك الانسان سلطانا عليها ، فلا تستجيب لاستدعائه ، ولا تعطيه شيئا حين يطلب اليها أن تعطيه مما عندها . . وانما هى فى ذات الانسان سلطان لا سلطان عليه ، تظهر حين تشاء ، وتعطى كيف تشاء ، ومتى تشاء !

هذه القوة المندسة فى أعماق الانسان يجد كل انسان بعض آثارها فى حياته ، على اختلاف هذه الآثار ، كثرة وقلة ، وقوة وضعفا ، ووضوحا وخفـاء . .

ولو رصد الانسان — أى انسان — معطيات هذه القوة الكامنة فيه ، لوجد فيها اسرارا عجبا ، تحار لها العقول ، وتعجز عن تأويل اسرارها الافهـام . .

فكم من مرة يلقى فى روع الانسان أن امرا ما قد وقع أو سيقع على صفة ما ، ثم يقع على تلك الصـفة التى استشعرهـا هـذا الانسان استشعارا ، وتظناها تظنيا ، دون أن يكون بين يديه شاهد منها ، أو نبأ عنهـا !

وكم من مرة ترتسم فى مخيلة الانسان صورة لشخص ما ، من غير أن يكون له فى تلك اللحظة ، مكان فى خاطره ، أو مدار فى تفكيره ، ثم اذا بهذا الشخص يطلع عليه ، على غير انتظار ، أو توقع ؟

وكم وكم من هذه الرؤى فى اليقظة أو فى المنام يراها الانسان رأى العين ، أو يجد مسها فى خفقات قلبه ، أو مسارب تفكيره ، أو خطرات نفسه ؟

ثم ان لهذه القوى الاستطلاعية فترات تستيقظ فيها ، فيكثر تحديثها الى الانسان ، ويعلو صوتها الخفيض بين جوانحه ، كما أن لها فترات تخمد فيها جذوتها ، ويفتر نشاطها ، ويخرس لسانها . .

وللاحـــداث ذات الاثر التى تنتظر الانسان فى خاصـــة نفسه ، أو تنتظره مع الناس — فى دائرة تضيق أو تتسع — لهـــذه الاحداث المقبلة اثرها فى تحريك هذه القوة الاستطلاعية فى الانسان . وفى انبعاثها من مكامنها ، لتؤدى وظيفتها فى الوقت المناسب . كـــدعوة للانسان بالتهيؤ والاستعداد ، للقاء هذا الطارق الذى يوشك أن يدخل من غير استئذان ..

فاذا كانت الاحداث ذات طابع ثورى حاد ، تنقلب به الاوضاع القائمة فى الحياة ، ويتحول به سير الامور على غير الوجهة التى هى عليها — كان ذلك مما يهيج هذه القوة الكامنة فى الناس . ويحرضها تحريضا قويا على تشيم بروق هذه الاحداث . وتتنسم أرواحها . وتفتح خياشيمهـــا على مهابها ، فتلقاها قبل أن تولد فى الواقع الذى يعيش فيه الناس . وتكشف عن وجهها قبل أن تقع عليها عين ، أو تلمسها يد !

وفى القرآن الكريم مثل واضح لهـــذا ، وهو ما كان من رؤيا فرعون التى جاءت فى قوله تعالى : « وقال الملك انى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ، وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات » .. فلقد رأى فرعون فى هذه الرؤيا أن أمرا خطيرا سيقع ، ولكنه لم يدر هو ، ولا الملأ من حوله ، تأويل هذه الرؤيـــا ، حتى كان يوسف — عليه السلام — هو الذى عرف دلالـــة هذا الحلم ، ودل على تأويله ..

وحلم فرعون هذا ، ليس الا ارهاصا بالاحداث التى كانت ستستقبلها مصر ، ويتأثر بها أهلها .. واذا كان فرعون هو القائم يومئذ على أمر البلاد والعباد ، فان ما يطرقه من تلك الاحداث المقبلة أكثر مما يطرق غيره مـــن الناس ، ولهذا وقع فى نفسه هـــذا الاحساس الخفى ، الذى تحول الى حلم فى المنام ، ثم الى خبر فى تأويل يوسف له ، ثم الى واقع فيما جـــاءت به الايام ، بعد سبع سنين !!

ولك أن تسمى هذه القوة ، حاسة غير الحواس الخمس المعروفة ، خفية ، مهمتها أن تستقبل — أحيانا ، وليس فى كل حين — ما لا تستطيع الحواس المعروفة استقباله من أنباء وأحداث مقبلة ..

ففى المراصد — مثلا — أجهزة تنبىء عن العاصفة قبل أن تجىء ، وعن الهزات الارضية قبل أن تقع فى حواس الناس .. انها فى هـــذه الاحوال لا تخلق العاصفة ، ولا تصنع الهزات ، وانما كل ما فى الامر ، أنها ادق حسا ، وأسرع وأسبق تأثرا من تلك الاجهزة الكائنة فى الانسان .. وعملها هنا اشبه بالسبق الصحفى فى عمل الصحافة اليوم !!

— ٤ —

نقول ان الاحداث اذا كانت ذات طابع ثورى فى الحياة ، هيجت هذه القوة الاستطلاعية الكامنة فى الناس ، ودعتها اليها ، فرأت ما لا يرى الناس ، وعرفت ما لا يعرفون . ثم عادت والقت الى الناس بأنباء وأخبار ، يعجبون لها ، ويدهشون منها ، ويقفون بين مصدق ومكذب لها ، حتى تطلع عليهم من قريب أو بعيد ..

والنبوة أمر عظيم ، وحدث جليل ، قلما تشهد الحياة مثيلا له ، الا حين يظهر نبى ، وتظهر فى الحياة دلائل نبوته ..

ان النبوة صلة مباشرة بين السماء والارض .. فحين يظهر نبى يكون

معناه أن السماء قد صافحت الارض ، أو أن الارض قد صافحت السماء على يد انسان من الناس . اصطفاه الله تعالى لرسالته .. انسان يتناول من عالم الحق بعض ما فيه من رحمة . وهدى . ونور . ليأخذ الناس من بين يديه حظهم من الرحمة والهدى والنور ..

— ٦ —

ونبوة « محمد » — صلوات الله وسلامه عليه — آية الآيات فى النبوات، ومجتمع أنوار الرسالات، ولها من الآثار فى الحياة ما يربو على ما تفرق فى النبوات والرسالات من آثار فى المجتمع الانسانى كله .. انها ليست لشعب . أو قبيلة . أو بلدة . كما كان الشأن فى الرسالات السابقة . وليست لجيل أو جيلين أو ثلاثة على نحو ما سبقها من رسالات الرسل . وانما هى للانسانية كلها . وللاجيال جميعها . منذ ظهورها الى أن ينتهى دور الانسانية على هذه الارض ..

فليس عجيبا أنه اذا آن أوان هذه النبوة وأظل زمانها أن يكون لها هذا الدوى العظيم فى كيان تلك القوى الاستطلاعية الكامنة فى الناس . ذلك الدوى الذى يكاد يحيل هذه القوى الى كائنات حية . تحدث الناس عن استطلاعاتها بلسان قوى مبين ..

وقد حدث هذا أو ما يقاربه حين بدأت الخيوط الاولى من أضواء الفجر تظهر فى آفاق الجزيرة العربية ، مؤذنة بمطلع شمس النبوة المحمدية ، بعد هذا الفجر الوليد !

فلقد استيقظت فى الناس قوى روحية تتلمس مواقع هذا النور . وتتهدى اليه ، واتقدت فى صدور كثير منهم شرارة الايمان ، فلم يستطيعوا معها صبرا على معتقداتهم الفاسدة التى وجدوا ريحها العفن ، حين طلعت عليهم انسام النبوة ، واستطابوا شميمها الزكى العطر !

وتسجل صحف التاريخ لهذه الفترة التى قامت بين يدى النبوة . انباء واحداثا كثيرة مستفيضة . من الظواهر والخوارق التى ازدحم بها زمان تلك الفترة ومكانها ، حتى بلغت حدا من الكثرة والغرابة دعا بعض الناس الى انكارها ، وتكذيبها جملة وتفصيلا . كما دعا بعضا آخر الى قبول بعضها . والتوقف عند بعض . وانكار بعض ..

والذى نراه فى هذه الاخبار ، ونكاد نقطع به ، هو أن الاصول التى بنيت عليها تلك الاخبار ، أصول صحيحة سليمة ، فان ظهور النبى ، بل خاتم الانبياء لا يمكن أن يقع دون أن يقوم بين يدى موكبه من يعلن فى الناس نبأه ، ويفسح الطريق لجلال هذا الموكب الجليل المهيب !

فهذه الاحداث التى وقعت ، وتلك الاخبار التى تروى عن الذين شاهدوا انوار النبوة قبل أن تبزغ ، وشاموا مخايلها قبل أن تظهر — هى احداث واخبار ، تستند — كما قلنا — الى أصول صحيحة . وتقوم على واقع مشهود لا شك فيه . ولكن الذى يؤخذ على المرويات من تلك الاحداث والاخبار . هو ما دخل عليها من اضافات ، وما اتصل بها ، وأضيف اليها من منحولات ، أملتها عواطف ساذجة ، أو استجلبتها خيالات مريضة ، عن نيات حسنة ، أو رمى بها مكر ماكر ، أو كيد كائد ، يريد بذلك افساد تلك الصورة المشرقة بهذه الالوان الصارخة المنكرة التى ألقيت عليها ..

وليس يعنينا نحن المسلمين ، أتباع محمد ، أن تصدق هذه المرويات جميعها ، أو لا تصدق ، فانها ان صحت لا ترفع من مقام النبى الذى رفعه الله تعالى اليه ، والذى ليس فوقه ، او على مساماته مقام لبشر ، وان لم تصح فانها لا تنال من هذا المقــام ، ولا تنقص من ميزانه مثقال ذرة . . ذلك أن هذه الارهاصات ليست من جوهر النبوة ، ولا من ذاتية النبى ، وانها لا تعدو ان تكون نسمات مرت على روض ، فأصابت شيئا من شذا ازهــاره ، وطيب وروده ، دون أن يتأثر الروض فى بهائــه ، وجلاله ، وجماله ، بزيادة أو نقص . .

فاذا نظر ناظر فى كتب السيرة النبوية ، سواء المبالغ منها والمقتصد ، فيما يروى من احداث وخوارق واكبت مطلع النبوة ، واستعلنت مع انبثاق فجرها ، فلا عليه أن يقبل ما يقبل ، أو يرفض ما يرفض منها ، على أن يكون حسابه قائما أبدا على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر ، وأن ما كساه الله تعالى به من حلل الجلال والكمال ، لا يجاوز بــه حدود البشرية فى أعلى مقاماتها ، وأرفع منازلها . .

— ٨ —

وندع حديث الخوارق والارهاصات ، دون أن نقيم حسابا لما صــح منها وما لم يصح ، ولنقم نظرنا على هذا الوليد الذى ولد لآمنة بنت وهب ، فى هذا البيت المتواضع المجاور لبيت الله الحرام ، ثم لنكن من شهود هذا المولد ، وممن يرقبون مستقبل هذا الوليد ، وما يمكن أن يكون له من وضع فى الحياة التى يحياها قومه . . اننا هنا لا نرى شيئا مما أعده الله تعالى لهــذا الوليد من سوابغ فضله واحسانه ، وما طواه الغيب عنا من اصطفاء الله تعالى له ، ليكون خاتم رسل الله ، والمبلغ عن الله ، دين الله ، الى عباد الله جميعا . . !

وبعيدا عن جلال النبوة ، وبمعزل عن أنوارها القدسية الجليلــة المهيبة ، نرصد مسيرة هذا الوليد فى اطار من الزمن بلغ أربعين عاما ، عاشها « محمد » بين قومه ، قبل أن يكتسى بجلال النبوة ويتوج بتاجها الكريم . .

فماذا يرى الراعون فى محمد ، وفى مسيرته عــلى درب الحياة ، وليدا ، وطفلا ، وصبيا ، وغلاما ، وشابا ، وكهلا ، الى أن بلغ الاربعين من عمره ، حيث التقى برسالة السماء اليه فى غار حراء ؟

فهذا انسان من الناس ، ولد لابوين كما يولد الناس ، ثم لم يتلق من الحياة إرثا من الملك أو الغنى ، كما يتلقى هذا وذاك ، بعض الواردين على الحياة من أبناء الملوك ، وأصحاب الغنى والجاه . وانما الــذى استقبله هذا الوليد ، من يوم مولده ، بل وقبل يوم مولده ، هو اليتم والفقر ، أعدى أعداء الانسان ، وأشدهما ضراوة عليه ، واستبدادا به ، وهو بعد نبتة ضعيفة واهية لم تعلق جذورها بالارض . . !

هــذا الوليد ، اليتيم ، الفقير . . ماذا تظن به ؟ وما تقدر لــه مع الايــام ؟

انه لو جرت الحياة به على مألوفها ، لكان مصيره الى الضياع فــى دنيا الضائعين من اليتامى والفقراء ، فى عالم البادية الغليظــة الجافية ، وفى كنف الصحراء ، ووجهها المتجهم الكالح . . !

ولو اننا احسنا الظن بالحياة فى شأن هـذا الوليد اليتيم الفقير ، لما بلغ بنا الظن فيه على ابعد الاحتمالات ، واكثرها تفاؤلا ، الى أكثر من أن يكون فتى من فتيان قريش ، يلعب مع اللاعبين ، ويلهو مع اللاهين ، ويقطع أيامه ولياليه فى معاقرة الخمرة ولعب الميسر ، وفى مغازلـة النساء ، ومخالكة القيان .. ثم ينتهى به الامر فى شيخوخته الى أن يكون شيخا من شيوخ قريش ، يأخذ مكانه بين رواد الندوة ، يأخذ ويعطى مما يدور من احاديث الجد والهزل فيها ، ثم تطويه الايام فيما طوت من سادات قريش وصعاليكها ، لا يكاد يجرى له ذكر ، أو يعلق بـه خـاطر ، الا عند من خلفهم وراءه من أهل وخلان فى زمن ينتهى بانتهاء جيله ، ثم يعفى عليه النسيان الى آخر الدهر !

أليس هذا كل ما يمكن ، وغاية ما يتصور أن تدور فى فلكه حياة هذا الوليد الفقير اليتيم ، الذى ولدتـه آمنة بنت وهب ، وسمته « محمدا » ودرجته فى سجل المولودين من مواليد قريش ؟

ولكن الذى جاء من هذا الوليد اليتيم الفقير ، منذ أيامه الاولى ، وعلى كل خطوة خطاها فى الحياة بعد هـذا ـ كان شيئا خارجا عن كل تقدير ، مجاوزا كل حساب ، بعيدا عن مواقع كل ظن !

واحسبك تنتظر من وراء هذا القول انى احدثك عن احداث خارقة ، وعجائب مذهلة ، تطلع عليك من كل خبر من اخباره ، وكل مـوقف من مواقفه .. وليدا ، وصبيا ، وفتى ، وكهلا ..

وكلا ، فان شيئا من هـذا لم يحدث ، وان يكن حدث كثير او قليل منه فان أحدا يومئذ لم يلتفت اليه ، ولم يقف عنده .. وان يكن فى الناس من التفت اليه ، أو وقف عنده ، فما كان لهذا اليتيم الفقير حساب فيه .. كل شيء فى محيط هذا الوليد ، كان يجرى فى مجراه المألوف .. فلم تهبط عليه ثروة مفاجئة تتبدل بها حاله ، ولم يتحول فى قريش شيء عما عهد فيها ، من خير وشر ، ومن جد ولهو ، ومن رشاد وغى .. والصحراء هى الصحراء كما عهدها ساكنوها ، لم يتغير وجهها المتجهم ، وما يعلوه مـن جفاف وجدب ، وما يتعاور عليه من زمهرير الشتاء ، وسموم الصيف !

لقد ظل كل شيء هناك كما عهده الناس .. اليتيم على يتمه وفقره ، وقريش على عهدها فى صحوها ونومها ، والحياة على سيرها فى نهارها وليلها ، وكأن شيئا لم يكن قد دخل على تلك الحياة ، وكأن قدرا من الاقدار المسعدة التى يتغير بها وجه هذا الوجود لم يكن نجم فى سمائها ، وطلع فى افقها ، وكأن هـذا الوليد اليتيم الفقير لم يكن عما قليل سيملأ اسماع العالمين ذكره ، ويبدد ظلام الوجود نوره .. وهكذا ظل هذا النور القدسى مطويا فى ضمير الغيب ، يتحرك فى كيان الحياة فى هينة ورفق ، الى أن يبلغ الكتاب أجله ، ثم يصبح الناس ذات يوم ، واذا هذا اليتيم الفقير ، هو محمد رسول الله ، خاتم النبيين ، وهادى الانسانية الى الحـق ، والى صراط مستقيم !!

— ٩ —

لقد كان هذا اليتيم الفقير يصنع بيد العناية الربانية حياته على طريق النبوة ، دون أن يشعر .. يصنعها فى رفق وعلى مهل ، صادر فى ذلك عن

طبع غير متكلف ، وعن شعور غير مصطنع ، وعلى طريق غير مطروق من أحد .. فهو يصدق القول حين يكذب الناس ، وهو يؤدى الامانة حيث يخون الناس ، وهو يعف عن الخمر ، حين يتهافت عليها الشيب والشباب ، وهو يعزف عن اللهو ، حيث يتهالك عليه الرجال والغلمان ، وهو يحتقر الاوثان ويشيح بوجهه عنها ، اذ يتخاشع لها قومه ، ويسعون الى مراقدها مصبحين وممسين .. كل ذلك وما اليه من الشمائل الحلوة ، والصفات الكريمة الحميدة ، كان يدور فى فلك « محمد » ويرسل نوره الوديع فى رفق ولطف ، دون أن تنبهر به عين ، أو يغشى به بصر ، ودون أن يثير فى الناس ضجة ، أو يحدث فى الحياة هزة .. لانه ــ كما قلنا ــ يصدر عن طبيعة لا تكلف فيها ، ويتدفق من فطرة سليمة ، لا صنعة معها ..!

ولقد تسأل ويسأل الناس : من أين لهذا اليتيم الفقير ، بهذا الادب العالى الرفيع ، ومن أين له بتلك الاخلاق المجتمعة من الفضل والنبل ، والجامعة لكل معانى الفضل والنبل ، فى بيئة أمية ، غارقة فى الجهل والضلال ، تائهة فى غياهب الرمال والجبال ؟

انه قد يتهيأ لانسان فى مثل هــذه الظروف أن يستقيم على خلق فاضل ، ولكن بعيد أن يستقيم العمر كله على هذا الخلق ، دون أن يهتز أو يتبدل .. وانه لابعد من هذا ، وادخل فى باب المستحيل أن يجمع انسان بين اثنتين أو ثلاث من تلك الصفات الفاضلة ، وأن يمسك بها جميعا فى قوة واستقامة ، دون أن ينفرط عقدها ، ويتبدد شملها ..!

وأنى لهذا اليتيم الفقير ، فى هذا الجو العاصف ، وفى تلك الحيــاة الجديب المكفهرة ــ أنى له أن يربى نفسه هذه التربية العالية ، وأن ينشئها تلك التنشئة الرفيعــة ، وأن يحوز كل هذه الفضائل التى خف ميزانها فى قومه ، وغربت شمسها فى مجتمعه ؟ وأنى لهذا اليتيم الفقير ــ فى هــذا المكان ، وفى تلك الظروف ــ أن يتخلق بأخلاق الانبياء ، قبل أن يلبس ثوب النبوة ، ويتوج بتاج خاتم الانبياء ؟

انه صنع رب العالمين ، وفضل أرحم الراحمين ، يصيب به من يشاء من عباده : « ذلك فضل الله ، يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم » .. ذلك هو مقطع القول ، وكلمة الفصل ، فيما يسأل عنه من أمر محمد ، قبل البعثة وبعدها ..

— ١٠ —

ان النبوة التى تلقاها « محمد » من فضل ربه ، على رأس الاربعين من عمره ، هى التى جاءت بتأويل كل ما عرف الناس ، وما شهدته الحياة من أمر « محمد » منذ مولده ، بل ومن قبل مولده الى مبعثه ، مما لم يكن يستبين منه شىء للمتوسمين فى وجه (محمد) والمشــاهدين لخطواته الرشيدة المستقيمة ، فى كل متجه اتجه اليه ، قبل مبعثه ..

ومن هنا بدأ الناس يلقون نظرا مجددا على كل شــأن من شئون (محمد) منذ حملت به أمه .. فكان حمله حدثا ، ومولده عجبا ، وخطواته على الحياة معجزات ومذهلات !

ان الذين ينظرون الى « محمد » جنينا ، ووليدا ، وطفلا ، وصبيا ، وغلاما ، وشابا ، وكهلا ــ انمــا ينظرون الى « محمد » النبى ، بعد أن

أشرقت شمس نبوته ، واكتحلت بسنا نورها عين الوجود . . فلا عجب أن يكون كل حدث مهما يكن شأنه محسوبا بحساب النبوة ، موزونا بميزانها ، طالعا من سمائها . . وهذا حق لو سلم من طغيان العاطفة الجامحة ، أو خلص من استبداد الهوى الغالب !!

ان العقل لا ينكر أبدا أن يكون « محمد » فـــى جميع أدوار حياته محفوفا بالعناية الربانية ، ممدودا بألطافهـــا ، اذ كان مرشـــحا لنبوة النبوات ، وخاتمة الرسالات . . والله سبحانه يصنع لانبيائه فوق ما يصنع للناس جميعا ، قبل النبوة وبعدها . . يقول جل شأنــــه فى يحيى عليه السلام : « وسلام عليه يوم ولد ، ويوم يموت ، ويوم يبعث حيا » فكيف بما يصنع الله لصفوة رسله ، وخاتم أنبيائه ؟

وحسبنا فى هذا المقام أن نشير الى ظاهرة أو ظاهرتين مما يمكن أن ينظر اليه ــ بعد النبوة ــ على أنه من ارهاصات النبوة ، ومن آياتهـــا البينة ، قبل أن تطلع شمس النبى !

فليس من قبيل المصادفة أن يكون « محمد » هو الاسم الذى أطلقته آمنة على وليدها ، دون غيره من الاسماء الشائعة فى قومه ، كعبد الدار ، وعبد شمس ، وعبد ود ، وعبد يغوث ، وحرب ، وحزن . . ونحو هذا مما يحرص الآباء على تسمية أبنائهم بـــه ، ومما يعد ميراثا متنقلا فى اجيال القبائل والعشائر . .

ان اسم « محمد » لم يسم به أحد من آبائه وأجداده ، ولم يسم بـــه عربى ، أو قرشى قبله . . فمن أين لابنة وهب بهذا الاسم الذى بشر بـــه المسيح ، علما على هذا النبى العربى ، كما يقول تعالى على لسان المسيح : « ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » ؟ و « محمد » هو الاحمد ، والمحمود ، والحامد . . !!

ثم ما تأويل هذه الموافقات من الاسماء التى ولدت محمدا ، ونشأته فى حجرها ، وأرضعته من ثديها ؟

فأبوه « عبد الله » لا عبد العزى ، ولا عبد الدار ، ولا عبد ود . . انه عبد الله ، وليس عبدا لصنم من تلـــك الاصنام التى تعبد لهـــا آباؤه وأجداده ، وأضافوا وجودهم وذواتهم اليها . .

وأمه « آمنة » . . لا خنساء ، ولا عاصية ، ولا رباب ، ولا هند ، ولا دعد . . انها أمن وسلام ، حملت فى بطنها الامن والسلام الى العالمين . . !

وأبو أمه « وهب » . . لا جمح ، ولا لهب ، ولا شداد . . انه وهب الحياة لهذه الام المباركة التى ولدت « محمدا » !

ومرضعة « محمد » « حليمة » . . لا عفراء ، ولا عنيزة . . بل هى « حليمة » أرضعته الحلم ، وبنت كيانه منه . .

وبنو « سعد » دار حضانته ، ومرتع صباه ، لا بنو أسد ، ولا بنو ضبة ، ولا بنو نمير . . انه هلال سعد ، طلع فى أفق بنى سعد ، ثم ما زال يدرج فى منازل السعود ، حتى صار بدرا ، يبدد ظلمة الليل ، ويـــكون للمستوحش أنيسا ، وللحيران دليلا ، وللسهران مسامرا . .

« محمد » . . « آمنة » . . « وهب » . . « عبد الله » . . « حليمة » . . « بنو سعد » . . هى فرائد من كريم الاسماء والصفات ، انتظم منها عقد هـــذا النسب الكريم ، لمن اصطفاه ربه هدى ورحمة للعالمين . .

هذه واحدة الى مئات ومئات كثيرة غيرها ، يجد فيها الناس ريـــح

النبوة ، قبل أن يلتقوا بالنبى ، وتصافح عيونهم انوار ذاته العلوية البهية !

أما محمد النبى ، فان وصفه يجل عن الوصف ، وان هباته الجليلة ، وعطاياه العظيمة للانسانية تستعلى عن الحصر ، وحسب محمد أن يقيم للناس دينا قيما ، محررا من الشرك والعبودية لغير الواحد المعبود .. وحسب محمد أن يقيم على هدى هذا الدين امة وصفها الحق سبحانه وتعالى بقوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » .. وحسب محمد أن يكون ميراث الانسانية منه هذا الهدى الذى يقوم فى القلوب والعقول مقام ضوء الشمس فى العيون ، والذى من بعد عنه ضل ، ومن اتخذ سبيلا غير سبيله خاب وخسر ..!

— ١١ —

وندع ما يقول أتباع محمد فى محمد ، وما شهدوا من معجزاته ، وما حفظوا من سيرته ، فقد يكون هذا بمظنة من المبالغة أو التجوز ، فى مقام الحب والولاء ، شأن المحبين مع من يحبون ، حيث تكون الكلمة للقلب ، لا للعقل ، وللوجدان ، لا للادراك ..

ولكن ماذا يقول القائلون فيما تنطق به فى الحديث عن « محمد » السنة لم تعطفها على « محمد » أية عاطفة من قرابة جنس ، أو لغة ، أو دين ، ولم يكن منطقها فيه قائما على غير منطق العقل المجرد ، امام الحقائق السافرة التى ينزل العقل على حكمها ، ويفقد وجوده واحترامه ان هو كابر فيها ، فأنكرها ، أو سكت عنها ؟

واحسب ان عاقلا لا يقبل أن يتهم رجلا مثل « لامارتين » شاعر فرنسا العظيم ، بأنه كان مجاملا أو محابيا لمحمد ، اذ يقول فيه : « انه نبى اقل من إله ، وأعظم من انسان » .. ان لامارتين اذ يقول هذا فى نبى الاسلام لم يكن واقعا تحت تأثير أية عاطفة غير عاطفة الاجلال والاكبار لهذا الجلال المهيب ، الذى يطلع عليه من كل أفق ينظر فيه الى هذا الانسان العظيم ..!

وأحسب أن عاقلا يحترم عقله يتهم فيلسوفا عظيما من فلاسفة القرن العشرين هو (برنارد شو) بأنه كان واقعا تحت تأثير أية قوة غير قوة الحق ، وهو يشهد شهادة الحق ، عن علم ، ودراسة ، وتمحيص ، فيقول فى محمد ، وفى الدين الذى جاء بـه محمد : « لقد كان دين محمد موضع تقديرى العظيم دائما ، لما ينطوى عليه من حيوية معجزة ، لانه على ما يلوح لى ، الدين الوحيد ، الذى له ملكة الهضم لاطوار الحياة المختلفة ، ولذلك فانه يستطيع أن يجذب اليه كل جيل من الناس » !!

أما فيلسوف المانيا العظيم « جوته » فيقول ، وهو يستعرض الدين الاسلامى ، بوصفه قوة من أعظم قوى التهذيب والتأديب .. يقول « جوته » مخاطبا صاحبه : « أكرمان » : « أنت ترى أن هذا الدين بتعاليمه تلك لا يخفق ابدا .. ونحن بكل ما لنا من نظم لا نستطيع ، بل اقول بوجه عام : ان أحدا من البشر لا يستطيع أن يذهب الى ابعد من هذا » ..

فهذا قول فيلسوف غزا العالم بفلسفته ، ولفح العقل الحديث بآرائه !!

ونختم مقولات فلاسفة الغرب وعلمائه بما يقول العالم العالمى ، « ول ديورانت » صاحب الموسوعة التاريخية : « قصة الحضارة فى العالم » .. فكلمة هذا العالم لها قدرها ووزنها فى هذا المقام، حيث شملت

نظرته الموسوعية العالم كله ، قديما وحديثـا ، وأشخاصا واحداثا . .
يقول « ول ديورانت » :

« اذا حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من اثر فى الناس ـ قلنا أن محمدا كان من أعظم عظماء التاريخ ، فقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحى والاخلاقى ، لشعب ألقت به الحياة فى دياجير الهمجية ، وحرارة الجو ، وجدب الصحراء . . وقد نجح فى تحقيق هذا الغرض نجاحا لـم يدانه فيه أى مصلح آخر فى التاريخ كله !!

ثم يقول :

« واستطاع دين « محمد » فى جيل واحد أن ينتصر فى مائة معركة ، وفى قرن واحد أن ينشىء دولة عظيمة ، وأن يبقى الى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم فى العالم . . »

هكذا يقول فى الاسلام ، وفى نبى الاسلام ، كل منصف ، مسلما كان أو غير مسلم ، لان ذلـك هو الحق الذى لا يتغير وجهـه ابدا ، اذا استقبلته قلوب سليمة من آفات الهوى ، ونظرت فيه عقول محررة من قيود التعصب ، والحسد . .

ولسنا نذهب بعيدا اذا قلنا ان الذين انصفوا الحقيقة فى محمد ، وفى دين محمد ، من علماء الغرب وفلاسفته ، لم تكن آراؤهم تلك التى أعلنوها على الملأ مجرد كلمات صوروا بها تلك الحقيقة التى استبانت لهم ، وانما كانت آراؤهم هذه منهج سلوك ، وأسلوب عمل فى حياتهم العامـة والخاصة . . فكانوا يتأسون بمحمد ، ويترسمون خطاه ، وان لم يعلنوا أنهم من المسلمين . . انهم مسلمون عملا لا قولا ، وأتبـاع محمد حقا لا ادعاء !!

ولسنا نذهب بعيدا كذلك اذا قلنا ان اكثر المسلمين من اتباع محمد ، لم يجاوزوا حدود الكلام عما يعرفون من أخلاق « محمد » وشريعة الدين الذى جاء به محمد ـ لم يجاوزوا حدود الكلام الى العمل ، والى التأسى برسول الله ، والاستقامة على طريقه . . ولو أنهم فعلوا لما كان حـال المسلمين اليوم مما يسوء الصديق ويسر العدو ، بل لكانوا قـادة ركب الانسانية ، وحارس أمنها وسلامها ، ومصباح نورها وهداها . .

وها نحن أولاء أتباع « محمد » نستقبل مولده العظيم ، كما يستقبل المريض ريح العافية ، وكما يستقبل التائه فى الصحراء وجه الدليل . .

فليكن احتفاؤنا بهذا المولد ، وتكريمنا له ، أن نخرج مما نحن فيه من تواقع الجمود ، والتواكل ، والجهل ، والبهيمية ، وأن نولد ميلادا جديدا فى الحياة ، على سنا أضواء هذا الميلاد العظيم ، الذى أشرقت به الدنيا ، فنقيم وجهنا فى هذه الحياة على هدى وبصيرة ، فى ظل الاسوة الحسنة برسول الله ، وبالنجوم الزاهر من أصحاب رسول الله . .

فصلوات الله ، وسلامه عليك أيها النبى ، يوم ولدت ، ويوم مت ، ويوم تبعث حيا . . ورضى الله تبارك وتعالى عن آلك وأصحابك ، ومن أقام وجهه على طريقك ، واهتدى بهديك الى يوم الدين .



مع الطبيب



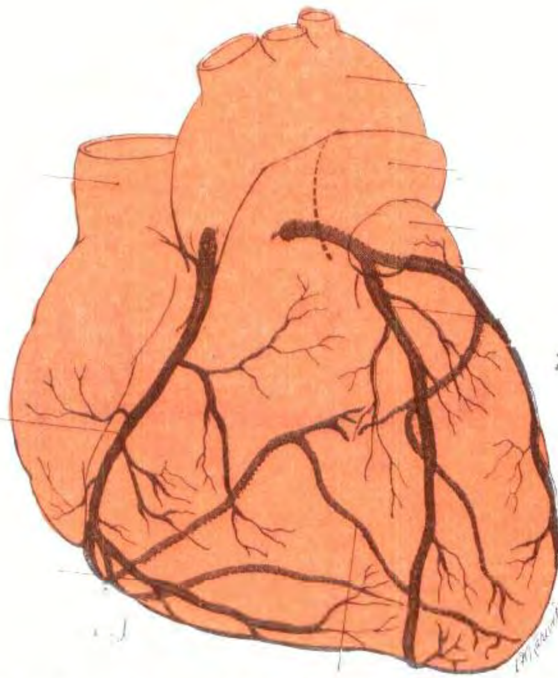
وفى انفسكم أفلا تبصرون
صدق الله العظيم

القلب

للدكتور/محمد محمد ابو شوك
رئيس قســم الامراض الباطنية
بالمستشفى الاميرى

تباركت ربى خلقت الانسان فأبدعت صنعه ــ وجعلت من خلقه معجزة تحير الالباب وتبهر العقول ــ انت القائل : « لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم » . وقولك : « يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم . الذى خلقك فسواك فعدلك . فى أى صــورة ما شاء ركبك » . وها نحن معشر الاطباء ــ ومعشــر العلماء فى شتى العلوم والمعرفة نقف فى رحاب علمك حيارى من أمرنا ، نبذل قصــارى جهدنا ونخترع الآلات ، ويزداد عدد المــكبرات ، وبعد هذا كله نرد مبهوتين ونرى ألا نستحق بعد كل هذا الا قولك الحق : « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » . .

ها هى الخلية وحــدة تكوين أعضاء الجسم ، نقول انها تتكون من جــدار يحوى بداخله النواة وما حول النواة ــ ونصف ما فى هذا وذاك حتى نصل الى مادة السيتوبلازم فنقول وهى مادة حية ولا نعرف كنه حياتها ولماذا هى كذلك ؟



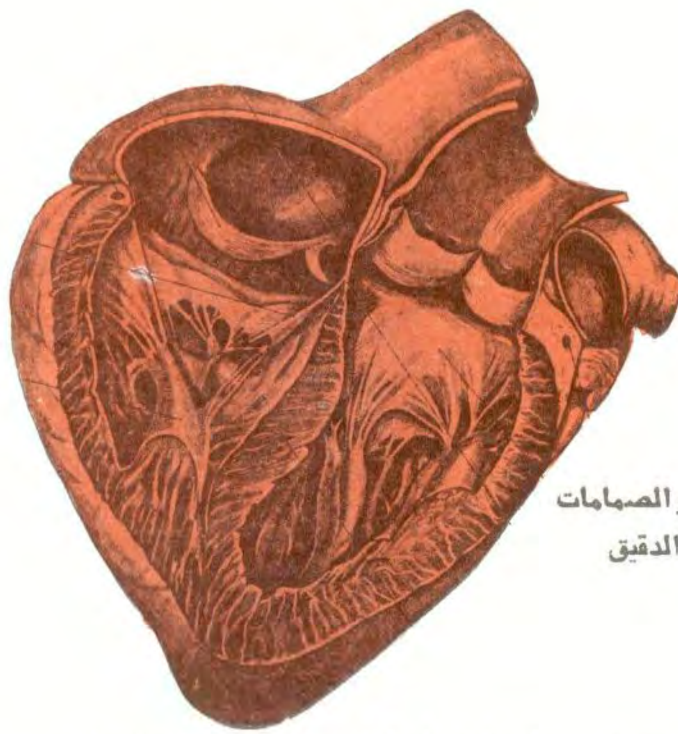
القلب وشرايينه التاجية وفروعها

فاذا كنا قد عجزنا عن فهم الوحدة المكونة ، فما بالنا أمام ملايين الملايين من الخلايا المكونة لاجزاء الجسم المختلفة .

ولنبدأ بالقلب — هذا العضو الهام من الجسم — والمضخة التى لا تتوقف من يوم أن تبدأ العمل الى يوم أن يفارق الانسان منا هذه الحياة .. هذا القلب يتركب من الياف عضلية خاصة لها خصائصها . فهى ليست كعضلات الحركة وتتميز بأن لها القدرة على الانقباض والارتخاء فى حركة منظمة دقيقة تعد بالثوانى وما دونها .. هذه الحركة التى لا تتوقف تغذيها أعصاب تساعد على زيادة نبضات القلب عند الحاجة كما هو الحال عند القيام بأى مجهود عضلى ويقل العدد عند الاسترخاء والنوم — هذا النظام المتناهى فى الدقة الذى تتمتع به عضلات القلب — لا فى دقة حساب المسافات بين النبضة والنبضة ولكن فى قوة النبضة . فنجد النبضات كلها على وتيرة واحدة حوالى ٧٠ — ٨٠ نبضة فى الدقيقة وفى ٢٤ ساعة تكون النبضات ٨٠ × ٦٠ × ٢٤ = ١١٦٫٢٠٠ نبضة فكم يكون يا ترى عدد النبضات فى الاسبوع وفى الشهر وفى السنة وفى سنى عمر الانسان — وتستمر هذه المعجزة الخارقة فى هذه النبضات التى يحيا بها الانسان ما شاء الله أن يقضى من العمر وصدق شوقى حين يقول :

دقات قلب المرء قائلة له ان الحياة دقائق وثوان

ويحاول العلماء وما زالوا فى محاولاتهم سنين وسنين يقلدون هذه الدقات بقلب صناعى ليحل محل القلب الطبيعى — وفشلوا المرة بعد المرة — وكم من ملايين الدولارات صرفت فى هذا المجال دون ما فائدة — ولا أقول ذلك ضنا منا على العلم ولكن لابراز هذه القدرة الالهية فى عمل واحد من أعمال القلب . ولو أطلت فى هذا المجال لوجدت نفسى والقارىء فى متاهات لا حد لها ولكن لأبسط الامر وليضع الواحد منا يده على شريان من شرايينه ويجس نبضه — أو يسمع دقات قلبه وهو مضطجع بالليل فى هدوء تام ويلاحظ هذا النظام الدقيق — ثم لينظر ماذا يحدث له لو اختل هذا النظام لبضع دقائق أو حتى لثوان — وتأتى دقة ليست فى آوانها — ويحس كأن روحه ذاهبة وجسمه ينهار — وكم من مريض أسهده هذا الخلل الطارىء — وراح مستنجدا بمن يجيره من هذا الذى نسميه عدم انتظام القلب ، يتساوى فى ذلك من أسرع قلبه أو بطؤ من تخلل نبضات قلبه الطبيعية نبضات زائدة وتجرى الفحوصات لمعرفة السبب من اضطرابات فى القلب نفسه — أو أسباب خارج القلب — كزيادة افراز الغدة الدرقية أو خمولها —



القلب من الداخل والصمامات
تأمل التركيب الدقيق

أو اضطرابات نفسية — أو اضطرابات فى الجهاز الهضمى . وما الى ذلك من أسباب — يحاول الطبيب التوصل اليها فيعرف الداء ويصف الدواء .

ويتخلل عضلات القلب جهاز أكثر تعقيدا . ألا وهو جهـــاز التوصيل يبـــدأ من بؤرة فى الاذن اليمنى ويمـــــــــر ما بين الاذنين ثم يتفرع الى البطينين ، وهذا الجهـــاز تسرى فيه الشـــحنة التى تسير بسرعة مدهشة فتعطى الاوامر للعضلات فتنقبض وتسرى بالترتيب من الاذين الايمن الى البطين الايمن الذى ينقبض فيدفع الدم الى الرئتين ويسرى الدم منهما الى الاذين الايسر الذى ينقبض فيدفع الدم الى البطين الايسر وهذا الاخير يدفع بالدم الى الابهر ليوزعه الى الجسم . هذه الحلقة الكهربية الباهـــرة التى تسير فى منتهى الدقـــة لسنين شاء الله أن يحياها الانسان دون ما توقف . أنى لمعامل الدنيا — أن تقلد جزءا منها بهذا النظام السوى المتين . وهل منا من لم يواجه توقف التيار الكهربى فتعطل العمل أو صارت حياته فى ظلام دامس الى أن يعاد مرور التيـــار — مهما كانت دقة من يقومون على صيانة هذا التيار .

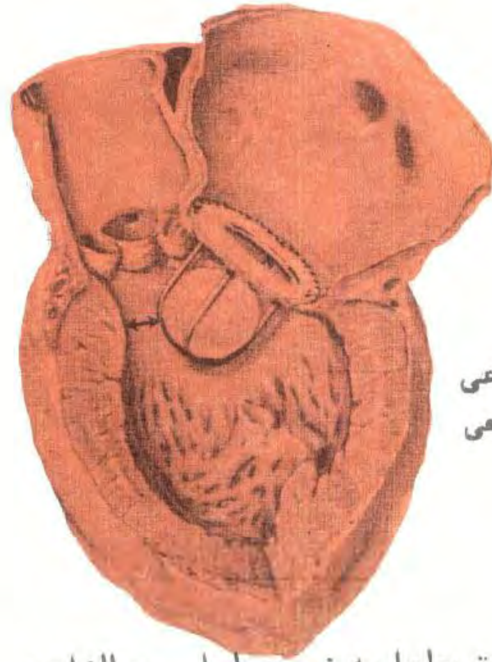
هذا الجهاز ربما يصاب بمرض كذلك فيتوقف مرور التيار وترتبك نبضـــات القلب أو ربما يحدث به خلل فيموت فى القلب ذبذبات . أو ربما يتوقف مروره ما بين الاذين والبطين فينقبض كل على حده وفى النهاية يؤدى الى هبـــوط فى القلب وفى بعض أمراض القلب الحادة الشديدة يتوقف كلية واذا استمر لفترة طويلة فارق المريض الحياة .

والامثلة واضحة للعيان أمام أعيننا نحن الاطباء ونحاول أن نزيل الذبذبات بالعقاقير أو بالآلات — واذا توقف القلب حاولنا أن نعيد اليه نبضاته بتيارات كهربية وان نجحنـــا ولو لبعض الوقت فى حـــالة فاننا نفشـــل فى عشرات بل مئات الحالات — ونعجز أمام القدرة الالهية العظمى ونلتف حول المريض ونشاهد بأعيننا وهو يلفظ أنفاسه الاخيرة ونذكر قول البارى فى علاه .

« فلولا اذا بلغت الحلقوم ، وأنتم حينئذ تنظرون ، ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون . فلولا ان كنتم غير مدينين . ترجعونها ان كنتم صـــادقين » وأنى لنا أن نرجعها ورب العزة والجبروت قابضها .

ومن أجزاء القلب الهامة الصمامات ، صمام ما بين الاذين الايمن والبطين الايمن وصمام فى مدخل الشريان الرئوى بين الشريان والبطين الايمن ثم صمام ما بين الاذين الايسر والبطين الايسر وصمام بين البطين الايسر والابهر وهو صمام الابهـــر .

هذه الصمامات المختلفة تختلف فى تركيبها وفى حجمها . فى قوة اتصالها



صمام صناعى
مكان الطبيعى

بالقلب والاوتار التى تربطها به فى عملها ــ والفاحص المدقق فيها يحار فى قدرة صانعها ــ ويا لها من قدرة التى تجعل الصمام يفتح ويغلق فى وقته المحدد لا يؤخر ولا يقدم فى جزء بسيط من الثانية ــ بل كل شيء بمقدار .

ويريد البارى فى علاه أن يجعلنا نحس بنعمائه فيبتلى البعض بمرض خلقى لا يمكن أن تستمر معه حياة ــ واذا أصيب أحد هذه الصمامات أو أكثر من واحد بمرض ــ كما هو الحال فى مرض روماتيزم القلب ــ أو تكلس صمامات القلب فاما أن يضيق هذا الصمام أو يتهتك ويتسع ــ وفى كلتا الحالتين لا يستقيم للقلب عمل ــ ويتعرض لهبوط ان عاجلا: أو آجلا .

ونحاول نحن الاطباء جاهدين لنصلح خلل الصمامات ، فان كان هذا الخلل طفيفا وخصوصا اذا كان الخلل قد أدي الى ضيق فى الصمام ، حاولنا توسيع هذا الصمام حتى نهيىء للمريض حياة تبعده عن نوبات هبوط القلب وربما ننجح لفترة طالت أو قصرت ولكن ربما يعاود الخلل الصمام ــ اما اذا كان الصمام قد تهتك واتسع فاننا نكون فى مأزق أشد ــ وقد حاول الجراحون أن يقللوا من هذا الاتساع بشتى الطرق ــ ولكن أنى لهم هذا وباءت كل محاولتهم بالفشل ، ثم توصلوا الى وضع صمام من البلاستيك بدلا من الصمام الطبيعى ــ ولكن سرعان ما وجدوا أن هذا ربما يعمل فترة ثم تظهر المضاعفات من تجلط الدم حول الصمام ــ يؤدى الى تجلط فى الشرايين الهامة كالتى تذهب الى القلب أو الى المخ أو الى غيرها من الاعضاء . . ثم استعاضوا بالصمام البلاستيكى صماما ينقل من قلب متوفى ــ وما زالت التجارب تشق طريقها ــ ومدى صلاحية هذه الصمامات ومنتهى فعاليتها . وفى بعض الحالات التى يكون قد استفحل أمرها وأثرت على معظم الصمامات وأرهقت القلب ــ بدأوا بزراعة القلب . .

واعيد القول هنا ، أن الدين يشجع العلم ، ويرفع من قدر العلماء وما من دين حث على العلم كالدين الاسلامى ــ وآياته الباقية شاهدة بذلك : « فلينظر الانسان مم خلق » . . « أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله . . من شيء » . أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج » . وغير ذلك من الآيات التى تحث على العلم والبحث . ولكن أردت أن ابرز القدرة الخارقة وراء هذا الصنع المتناهى فى الدقة والذى يستمر السنين العديدة دون ما خلل أو عطب اللهم اذا أصيب الانسان بمرض شاءه الله له . .

وتشاء قدرة القادر العظيم ان تجعل هذه الصمامات وامتداد الغشـــاء المبطن للقلب من الداخل فى حالة ملســاء حتى لا تلتصق به الــكرات الدموية الحمراء أو صفائح الدم فتساعد على صنع جلطات دموية تذهب فى شرايين الجسم المختلفة فتحرم أجزاء من الجسم من الدم الذى هو سبب حياتها .

وللقلب شرايينه الخاصـــة به والمعروفة باسم الشرايين التاجية والذى يدقق فى الصفة التشريحية للقلب يجد العجب فى شريان هذه الشرايين — فى وضعها وفى تغلغلها داخل القلب والاجزاء التى يمدها كل شريان من الشرايين — وفى كيفية عمل هذه الشرايين حينما تمتلىء وحينما تدفع ما بها من دم فى عضلات القلب لتقوم بعملها الذى يلائم هذا العضو الهام من الجسم ، وكيف أنها تحتفظ دائما بفاعليتها حتى لا يتعرض القلب لأى اضطراب وهى فى قدرتها هذه كقدرة صاحبتها التى تغذى المخ — اذ أن كلا منها من الاعضاء الجوهرية فى الجسم وليس ببعيد على كل قارىء ما يحدث للانسان عند حدوث خلل سواء أكان طفيفا فى الشرايين وما سببه من ذبحة صدرية أو انسداد فى الشريان وما يسببه من مرض الجلطة أو السدة القلبية المعروف ، ويساعد على مرض الشرايين التاجية مرض البول السكرى — والسمنة ، والتدخين ، ومرض ارتفاع ضغط الدم — وما أولى المرضى بهذه الامراض أن يعالجوا ما الم بهم من مرض حتى يحافظوا على سلامة هذه الشرايين التاجية الهامة .

ويبطن القلب من الخارج غشاء أملس رقيق مكون من طبقتين رقيقتين يدعى التامور — ومده الله بأعصاب الحس حتى يكون حارسا أمينا على هذا العضو الجوهرى ، فاذا أصاب القلب اذى من الخارج أو من الداخل وامتد الى التامور حملت أعصاب الحس به نبأ الاصابة وترجمته الى الم شديد يحس به المريض فيسعى للعلاج والدواء حتى لا تأتى اى آفة ولا مرض على القلب — ومن عجب أن ناقوس الخطر هذا الذى يحس به المريض يكون مع كل نبضة من نبضات القلب ليحث المريض فلا يتوانى فى علاج نفسه ، وما أشده من الم يحسه كل من اكتوى به . وما التهاب التامور الذى يسببه فيروس — أو يكون نتيجة لروماتيزم القلب أو نتيجة لتدرن به — أو لغير ذلك من الاسباب الا مثل حى للالم الشديد الذى يشكو منه المريض فيسعى الى طبيبه جاهدا فى أسرع وقت ليعالجه مما الم به . .

ويشاء الحكيم الخبير أن يضع القلب فى مكان أمين فى وسط الصدر خلف عظم قوى هو عظم القص ويغطى معظم الجزء الباقى منه بالرئتين حتى يكون بعيدا عن المخاطر التى يتعرض لها الجسم .

هذا هو قلبك أيها الانسان الذى كرمك ربك ومن حقه عليك أن تشكره ، وتحافظ على نعمته هذه وتبتعد جاهدا عما يضره من تدخين لا يجدى نفعا ، وتعرض الافراط فى البدانة تجهده — وأمراض مثل الضغط والبول السكرى لا بد من معالجتها ، والاسراع فى علاج كل مرض يلم به فان الله قد خلق الداء والدواء .

ولتكن بقلبك هذا مع الله الذى خلقك من عدم وقال وقوله الحق :

« ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . — ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين » .

مولد نبي الرحمة



قبل مولد الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه وسلم كان العرب فى حالة من الفوضى والاضطراب ، والتفكك والارتباك ، وسوء الاحوال ، وكانت الوثنية فاشية فيهم يتخذ اهل كل بيت صنما يعبدونه ، او يتقربون به الى الله ..

وليس بينهم جامع يجمعهم ، ولا قانون يسودهم ، ولا حاكم يسوسهم ، سوى العصبيات القبلية التى تبنى على التحزب الأعمى .

ولم يــكن حال الامم الاخرى بافضــل من حال العرب ، فى كثير من النواحى ، خصـــوصا حال دولة الفرس فى الشرق ، ودولة الرومان فى الغرب .

للشيخ عبد الحميد السائح

ويصور الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده الحالة فى تينك الدولتين بقوله : « كانت الدولتان فى تنازع وتجالد مستمر ، دماء بين العالمين مسفوكة ، وقوى منهوكة ، وأموال هالكة ، وظلم من الاحن حالكة ، ومع ذلك فقد كان الزهو والترف والاسراف والفخفخة والتفنن فى الملاذ بالغة حدا لا يوصف ، فى قصور السلاطين والامراء ورؤساء الاديان من كل أمة .

وكان شره هذه الطبقة من الامم لا يقف عند حد ، فزادوا فى الضرائب، وبالغوا فى فرض الاتاوات ، حتى أثقلوا ظهور الرعية بمطالبهم ، واتوا على ما فى أيديهم من ثمرات أعمالهم ، وانحصر سلطان القوى فى اختطاف ما بيد الضعيف ، وفكر العاقل فى الاحتيال لسلب الغافل ، وتبع ذلك أن استولى على تلك الشعوب من ضروب الفقر والذل والاستكانة والخوف والاضطراب ، لفقد الامن على الارواح والاموال .. الخ (١) » .

واذا كان حال العرب وغير العرب بهذا السوء وأكثر منه فقد تهيأت البشرية لتتلقى منقذا ينقذها من ضلالتها ، وهاديا يدلها على طريق رشادها وصوابها ، فكانت ولادة الرسول الاعظم محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وكان أن بعثه الله سبحانه للبشرية جمعاء ، وللانسانية عامة ، رحمة وهاديا ومرشدا ومنقذا ..

قال تعالى : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » (٢) ، وقال أيضا : « وما أرسلناك الا كافة للناس »(٣) وقال سبحانه : « يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا . وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا »(٤) .

ولذلك كانت رسالته الى الناس عامة ، لأن الحاجة للاصلاح والانقاذ كانت عامة ، وقد قامت دعوته على وحدانية الله وعبادته ، وارتباط الانسان بخالقه ، كما قامت على الرحمة والحرية والعدالة والانصاف ، وقد هيأ الله لهذه المهمة الكبرى والرسالة الانسانية العظمى ، نفسا كانت فى ذروة

الصفاء والنقاء ، مجندة لانقاذ الانسان من جهالاته ، وانتشاله من تخبطه وضلالاته ، واحاطته بالرحمة الشاملة ، والعناية الكاملة ، لا تحمل حقدا ولا ضغينة ، هدفها أن يسمو الانسان ليحتل مكانة الكرامة التى اختصه الله بها . .

قال سبحانه : « الله أعلم حيث يجعل رسالته »(٥) .

فسار المصطفى المختار فى سبيله ، وجل همه أن يهتدى أى انسان لطريق السداد ، وان تسلم أية نفس من مهاوى الشر والفساد ، ويعتبر ذلك نصرا عظيما ، ونجاحا كبيرا ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لسهل بن سعد — رضى الله عنه « لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم »(٦) .

وذلك لأن هذا الرسول الاعظم لا يقصد الدنيا ومباهجها ، وانما يقصد اصلاح البشر ، وانقاذ الانسانية من سفاهتها وضلالتها ، واحاطتها بالرحمة والرعاية ، ولذلك كان فى سيرته رؤوفا رحيما ، ويعتبر الرحمة من أهدافه ، وافضل مناهجه ، وكان صلى الله عليه وسلم يقول : « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله » (٧) . ويقول أيضا : « ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء »(٨) . وقال أيضا : « والذى نفسى بيده لا تدخلون الجنة حتى تراحموا » ، قالوا كلنا رحيم يا رسول الله ، قال « انه ليس برحمة احدكم — يعنى نفسه وخاصته — ولكنها رحمة العامة »(٩) . وقال أيضا : « لا يرحم الله من عباده الا الرحماء »(١٠) .

وعن أبى بكر الصديق — رضى الله عنه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال الله عز وجل : « ان كنتم تريدون رحمتى فارحموا خلقى »(١١) .

فهذا الرسول العظيم الذى جنده الله منذ نشأته ليحيط العالم برحمته ، ويشمل الناس برأفته ، ويكون القدوة فى مسلكه ، منحه الله سبحانه وسام التقدير الاعظم بقوله سبحانه : « وانك لعلى خلق عظيم »(١٢) .

ولذلك يقول صلى الله عليه وسلم : « انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق »(١٣) .

من صفات الرسول ..

قال الحسن بن على — رضى الله عنهما : سألت خالى هند بن أبى هالة التميمى وكان وصافا ، عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا اشتهى أن يصف لى منها شيئا اتعلق به ، فقال فى حديث طويل ، جاء فيه :

« كان صلى الله عليه وسلم فخما مفخما ، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر ، يبدأ من لقيه بالسلام ، ويتكلم بجوامع الكلم ، لا فضول فيه ولا تقصير ، ليس بالجافى ولا بالمهين ، يعظم النعمة وان دقت . وكان اذا أوى الى منزله جزأ نفسه ثلاثة أجزاء ، جزءا لله وجزءا لأهله وجزءا لنفسه ، ثم جزء نفسه بينه وبين الناس ، فيرد ذلك على العامة بالخاصة ، فلا يدخر عنهم شيئا ، فكان من سيرته فى جزء الامة ايثار أهل الفضل على قدر فضلهم فى الدين ، فمنهم ذو الحاجة ، ومنهم ذو الحاجتين ، ومنهم ذو الحوائج ، فيتشاغل بهم فيما يصلحهم ويلائمهم ، ويخبرهم بالذى ينبغى لهم ، ويقول :

ليبلغ الشاهد الغائب ، وابلغونى حاجة من لا يستطيع ابلاغها اياى ، فانه من بلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة ..

وكان صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه الا مما يعنيهم ويؤلفهم ولا يفرقهم ، فيكرم كريم كل قوم ، ويوليه عليهم ، ويحذر الناس ويحترس منهم ..

يتفقد اصحابه ويسأل الناس عما فى الناس ، ويحسن الحسن ويصوبه ويقبح القبيح ويوهنه .. لا يقصر عن الحق ، ولا يجاوزه الذين يلونه من الناس ، خيارهم وافضلهم عنده اعمهم نصيحة ، واعظمهم عنده منزلة احسنهم مواساة ومؤازرة ..

من سأله حاجة لم يرده الا بها أو بميسور من القول ، قد وسع الناس بسطه وخلقه ، فصار لهم ابا وصاروا عنده فى الحق سواء .

مجلسه مجلس حلم وحياء ، وصبر وأمانة ، لا ترفع فيه الاصوات ، ولا تؤبن فيه الحرم ، ولا تنثنى فلتاته ، متعادلين متواصين فيه بالتقوى ، متواضعين ، يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير ، ويؤثرون ذوى الحاجة ، ويحفظون الغريب .

قد ترك نفسه من ثلاث : المراء والاكثار وما لا يعنيه ، وترك الناس من ثلاث : كان لا يذم أحدا ولا يعيره ، ولا يطلب عورته ، ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه .. ويصبر للغريب على الجفوة فى منطقه ومسألته ، حتى ان كان اصحابه يستجلبونهم ، ويقول : اذا رأيتم طالب الحاجة فأرشدوه .. وجمع له الحذر فى اربع ، اخذه بالحسن ليقتدى به ، وتركه القبيح ينتهى عنه ، واجتهاد الرأى فيما اصلح أمته ، والقيام لهم بما جمع لهم الدنيا والآخرة(١٤) .

أسباب انتشار دعوة محمد

بهذا السمو فى مبادىء الرسالة العظمى ، وهذا التجرد لمصلحة الانسانية فى أهداف صاحب الذكرى ، انتشرت بسرعة دعوة الاسلام ، وعم خيرها ، وارتفعت راياتها بصورة لا يعرف لها مثيل .

وفى غزوة القادسية ، بعث قائد المسلمين سعد ، رسولا الى رستم ، ربعى بن عامر ، وقال هذا لرستم فى شرح أهداف الرسالة : ان الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد ، الى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الاديان الى عدل الاسلام .

وحينما سأل رستم المغيرة بن شعبة عما جاء بهم ، قال له ، انا لا نطلب الدنيا ، وانما همنا طلب الآخرة ، وقد بعث الله الينا رسولا ، بدين هو دين الحق ، لا يرغب عنه احد الا ذل ، ولا يعتصم به الا عز ، أما عموده الذى لا يصلح شىء الا به ، فشهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، والاقرار بما جاء به من عند الله ، واخراج العباد من عبادة بعضهم الى عبادة الله ، والناس بنو آدم ، فهم اخوة لأب وأم(١٥) .

قبس من نور المصطفى

روى ابو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تحاسدوا

ولا تباغضوا ولا تناجشوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله اخوانا ، المسلم اخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى ها هنا ، ويشير الى صدره ثلاث مرات ، بحسب امرىء من الشر ان يحقر اخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه(١٦) .

وخطط صاحب الرسالة العظمى لشمول المنافع ، وذيوع الخيرات والاكثار من المبرات ، وقال صلىٰ الله عليه وسلم : « السخى قريب من الله، قريب من الجنة ، قريب من الناس ، بعيد من النار ، والبخيل بعيد من الله ، بعيد من الجنة ، بعيد من الناس ، قريب من النار ، ولجاهل سخى احب الى الله من عابد بخيل »(١٧) .

وعن أبى سعيد الخدرى — رضى الله عنه — قال : بينما نحن فى سفر مع النبى صلى الله عليه وسلم ، اذ جاء رجل على راحلة له ، قال فجعل يصرف بصره يمينا وشمالا فقال النبى صلى الله عليه وسلم : (من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان معه فضل زاد فليعد به على من لا زاد له) . قال فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لاحد منا فى فضل(١٨) .

وعن أبى امامة — رضى الله عنه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا ابن آدم انك ان تبذل الفضل خير لك ، وان تمسكه شر لك ، ولا تلام على كفاف ، وابدأ بمن تعول ، واليد العليا خير من اليد السفلى(١٩) .

وعن انس بن مالك — رضى الله عنه — ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان احبكم الى الله احاسنكم اخلاقا ، الموطئون اكنافا ، الذين يألفون ويؤلفون ، وان ابغضكم الى الله المشاءون بالنميمة ، الملتمسون العثرات ، المفرقون بين الاخوان(٢٠) .

الشخصية الاسلامية ..

واذا كان صاحب الذكرى فى رسالته صلى الله عليه وسلم عمد الى هذا السمو الانسانى الرفيع حتى يوحد الصفوف على الخير ، ويؤلف القلوب ، ويكبح النفوس الجامحة ، فانه حافظ على الشخصية الاسلامية ، وحرص على أن لا يذوب المسلمون فى غيرهم ، وجعل شعاره ، الاهتمام بشئون المسلمين ، ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ، واعتبر المسلمين امة واحدة ، يتناصرون ويتعاونون على ما فيه خيرهم وخير الانسانية جمعاء ، ويقاومون الظلم والعدوان ، مهما كان مصدره ، لأن هدف رسالة صاحب الذكرى أن ترتفع راية العدالة ، وأن يأخذ كل ذى حق حقه ، مهما كانت عقيدته ومذهبه ، « ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا هو اقرب للتقوى »(٢١) .

وفى السنة كثير من الاحاديث ترمى الى الاحتفاظ بالقومية (الشخصية) وعدم فناء الامة فى غيرها ، مثل قوله صلى الله عليه وسلم : (خالفوا سنة المجوس) . ومثل النهى عن التشبه بغير المسلمين ، الى آخر ما يحفظ للأمة كيانها ولا يذيبها فى غيرها(٢٢) .

موقفه من غير المسلمين

كان موقف صاحب الذكرى صلى الله عليه وسلم من غير المسلمين

الذين يعاهدون المسلمين . الوفاء بعهودهم والحرص على مشاعرهم وعدم ايذائهم . وشرع من الاحكام فى حسن معاشرتهم ما شرح له صدورهم . وأباح البر بهم والاقساط اليهم . ومصاهرتهم والتزوج بهم . وأكل ذبائحهم وطعامهم . وجعل للزوجة غير المسلمة من الحقوق مثل ما للزوجة المسلمة . وأباح للمسلم أن يضيفهم ويذهب الى ضيافتهم . ويتبادل معهم التهـــادى والتصافح . « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن »(٢٣) .

وفى ظل هذه الاحكام الســمحة والعدالة والمســاواة . عاش غير المسلمين مع المسلمين فى بلاد الاسلام . طوال السنين . لا يشكون ضيما ولا يبخسون حقا . وفى كتاب خالد بن الوليد لأهل الحيرة . شرط عليهم أن عليهم عهد الله وميثاقه أن لا يخالفوا ولا يعينوا كافرا على مسلم . من العرب ولا من العجم . ولا يدلوهم على عورات المسلمين ..

وجعل لهم أيما شيخ ضعف عن العمل أو اصابته آفة من الآفات أو كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين وعياله .. الخ .

ولما رأى أهل الذمة وفاء المسلمين لهم وحسن سيرتهم فيهم صاروا اشداء على أعداء المسلمين . وعونا للمسلمين على أعدائهم . فبعث أهل كل مدينة . ممن جرى الصلح بينهم وبين المسلمين رجالا من قبلهم يتحسسون الاخبار عن الروم وعن ملكهم وعما يريدون أن يصنعوا . فأتى أهل كل مدينة يخبرون المسلمين بأن الروم قد جمعوا لهم جمعا لم ير مثله ..

ولما تتالت الاخبار على أبىعبيدة بذلك كتب أبو عبيدة الى كل وال ممن خلفه فى المدن التى تصــالح أهلها يأمرهم أن يردوا عليهم ما جبى منهم من الجزية والخراج . وكتب اليهم أن يقولوا لهم : انما رددنا عليكم أموالكم لأنه بلغنـــا ما جمع لنا من الجموع . وأنكم قد شرطتم علينـــا أن نمنعكم . وانا لا نقدر على ذلك . وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم . ونحن لكم على الشرط وما كتب بيننا وبينــكم . ان نصرنا الله عليهم . فقالوا ردكم الله علينـــا . ونصركم عليهم . فلو كانوا هم لم يردوا علينا شيئا وأخذوا كل شىء بقى لنا حتى لا يدعوا لنا شيئا .

وكان أن غلب الروم ونصر الله المسلمين وكتب أبو عبيدة الى عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ بما أفاء الله على المسلمين . وما أعطى أهل الذمة من الصلح . فكتب اليه عمر كتابا جاء فيه . ومنع المسلمين من ظلمهم والاضرار بهم وأكل أموالهم الا بحقها . ووف لهم بشرطهم الذى شرطت لهم فى جميع ما أعطيتهم* ولا يمنع الاسلام أية دولة اسلامية من أن تتبادل مع دولة غير اسلامية علاقات تجارية وسياسية وسفراء لنظر المصالح . ومعاهدات لضمان حقوق الافراد فى كل من الدولتين واجراء العدل بينهم(٢٤) .

كلمة الختـــام ..

مع أن دعوة صاحب الذكرى صلى الله عليه وســـلم بقيت فى أوج سموها . وذروة انسانيتها . الا أنها تضمنت ضرورة الحفاظ على مقومات الأمة الاسلامية وكيانها . ودفع العدوان مهما كان مصدره . ولزوم تكاتف المسلمين وتعاونهم لدرء الخطر . عما يصيب أى فريق أو جماعة منهم . أو أى جزء من أراضيهم ومقدساتهم .

فازاء الخطر المتلاحق على ديار الاسلام من كل صوب ، وخصوصا فى الديار المقدسة والمسجد الاقصى المبارك ، يفرض على المسلمين فرضا لا مناص منه ، أن تجند قواهم وتكتل جهودهم وترصد أموالهم وتعبأ كل طاقاتهم ، فى معركة مصيرية ، لحفظ بيضة الاسلام ، واعادة الديار والمقدسات الى أربابها ، حتى يمكن أن يرضى صاحب الذكرى ، ولعلها مناسبة سعيدة أن يتذكر المسلمون ما عليهم من أعباء يجب المبادرة لتحملها ، حتى ترد الكرامة ، ويصان السلام فى هذا العالم ، والحذر ، الحذر من أى تخاذل أو تهاون قد يقضى على البقية الباقية ، ويعرض الأمة الاسلامية لشر مستطير ، قد يهز كيانها ويزلزل عقيدتها وأصولها ، وعندئذ لا ينفع أى احتفاء ولا يجدى أى تظاهر فى مولد الرسول الاعظم صلوات الله وسلامه عليه .

---

(١) رسالة التوحيد ، الاسلام شريعة الله الخالدة .

(٢) آية ١٠٧ من سورة الانبياء .

(٣) آية ٢٨ من سورة سبأ .

(٤) آيات ٤٥ — ٤٧ من سورة الاحزاب .

(٥) آية ١٢٤ من سورة الانعام .

(٦) رواه أبو داود .

(٧) رواه البخارى ومسلم .

(٨) رواه الطبرانى .

(٩) مستدرك الحاكم .

(١٠) البخارى .

(١١) رواه أحمد بن عدى فى الكامل .

(١٢) آية ٤ من سورة القلم .

(١٣) رواه البخارى فى الادب .

(١٤) الطبرانى فى الكبير ومجمع الزوائد .

(١٥) البداية والنهاية لابن كثير ، والاسلام شريعة الله الخالدة .

(١٦) أخرجه مسلم .

(١٧) رواه الترمذى .

(١٨) أخرجه مسلم وأبو داود .

(١٩) رواه الترمذى .

(٢٠) رواه أبو بكر الخطيب فى تاريخ بغداد .

(٢١) آية ٣ من سورة المائدة .

(٢٢) الدعوة الاسلامية .

(٢٣) آية ٤٦ من سورة العنكبوت .

(*) ان وقوع بعض هذه الحوادث بعد وفاة الرسول الاعظم لا يمنع من ذكرها فى سيرته ، لأن الخلفاء وقادة المسلمين انما كانوا يتصرفون بهدى الرسول وعلى سنته .

(٢٤) الدعوة الاسلامية .



محطم الأقفال

وقف الاستاذ الكبير أبـــو الحسن الندوى وقفة تأمل عند غـــار حراء بمكة المكرمة ، وتحدث الـــى نفسه بهذه الكلمات المضيئة :

كانت الحياة كلها اقفالا معقدة . وابوابا مقفلة كان العقل مقفلا أعيا فتحه الحكماء والفلاسفة كان الضمير مقفلا أعيا فتحه الوعاظ والمرشدين . كانت القلوب مقفلة أعيا فتحهـــا الحوادث والايام كانت المواهب مقفلة اعيا فتحها التعليم والتربية والمجتمع والبيئة . كانت المدرسة مقفلة أعيا فتحها العلماء والمعلمين . كـــانت الحكمة مقفلة أعيا فتحها المتظلمين والمتحاكمين . كانت الأسرة مقفلـــة أعيا فتحها المصلحين والمفكرين . كان قصر الامارة مقفلا أعيا فتحه الشعب المظلوم والفلاح المجهود والعامـــل المنهوك ، وكانت كنوز الاغنياء والامراء مقفلة أعيا فتحها جوع الفقراء وعرى النساء وعويل الرضعاء ، لقد حاول المصلحون الكبار والمتشرعون العظام فتح قفل من هـــذه الاقفال ففشلـــوا واخفقوا ، فان القفل لا يفتح بغيـــر مفتاحه . وقد ضيعوا المفتاح مـــن قرون كثيرة ، وجربوا مفاتيح مـــن صناعتهم ومعادنهم فاذا هى لا توافق الاقفال . واذا هى لا تغنى عنهـــم

شيئا . وحاول بعضهم كسر هذه الاقفال فجرحوا أيديهم وكسروا آلتهم .

ففى هذا المكان المتواضع المنقطع عن العالم المتمدن على جبل ليس بمخصب ولا بشامخ تم ما لم يتم فى عواصم العالم الكبيرة ومدارسه الفخمة ومكتباته الضخمة . هنا من الله على العالم برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وفى رسالته عاد هذا المفتاح المفقود الى الانسانية ذلك المفتاح هو (الايمان بالله والرسول واليوم الآخر) ففتح به هذه الاقفال المعقدة قفلا قفلا . وفتح به هذه الابواب المقفلة بابا بابا . وضع هذا المفتاح النبوى على العقل الملتوى فتفتح ونشط واستطاع أن ينتفع بآيات الله فى الآفاق والانفس ويتوصل مع العالم الى فاطره ومن الكثرة الى الوحدة . ويعرف شناعة الشرك والوثنية والخرافات والاوهام .

وكان قبل ذلك محاميا مأجورا يدافع عن كل قضية حقا وباطلا . وضع هذا المفتاح على الضمير الانسانى النائم فانتبه.وعلى الشعور الميت فانتعش وعاش . وتحولت النفس الامارة بالسوء مطمئنة لا تسيغ الباطل ولا تتحمل الاثم حتى يعترف الجانى أمام الرسول بجريمته ويلح على العقاب الأليم الشديد . وترجع المرأة المذنبة الى البادية حيث لا رقابة عليها ثم تحضر المدينة وتعرض نفسها للعقوبة التى هى أشد من القتل . ويحمل الجندى الفقير تاج كسرى ويخفيه فى لباسه ليستر صلاحه وأمانته عن أعين الناس ويدفعه الى الامير لانه مال الله الذى لا تجوز الخيانة فيه .

كانت القلوب مقفلة لا تعتبر ولا تزد جر ولا ترق ولا تلين فاصبحت خاشعة واعية تعتبر بالحوادث وتنتفع بالآيات وترق للمظلوم وتحنو على الضعيف .

وضع هذا المفتاح على القوى المخنوقة والمواهب الضائعة فاشعلت كاللهيب وتدفقت كالسيل . واتجهت الاتجاه الصحيح فكان راعى الابل راعى الامم . وخليفة يحكم العالم . واصبح فارس قبيلة وبلد قاهر الدول وفاتح الشعوب العريقة فى القوة والمجد وضع المفتاح على المدرسة المقفلة وقد هجرها المعلمون وزهد فيها المتعلمون وسقطت قيمة العلم فذكر من شرف العلم وفضل العالم والمتعلم والمربى والمعلم وقرن الدين بالعلم حتى كانت له دولة وأصبح كل مسجد وكل بيت من بيوت المسلمين مدرسة . وأصبح كل مسلم متعلما لنفسه معلما لغيره . ووجد أكبر دافع الى طلب العلم وهو الدين . وضعه على المحكمة المقفلة فأصبح كل عالم قاضيا عادلا . وكل حاكم مسلم حكما مقسطا . وأصبح المسلمون قوامين لله شهداء بالقسط ووجد الايمان بالله وبيوم الدين فكثر العدل وقل الجدل وفقدت شهادة الزور والحكم بالجور .

وضعه على الأسرة المقفلة وقد فشا فيها التطفيف بين الوالد وولده والاخ وأخوته والرجل وزوجته وتعدى من الاسرة الى المجتمع فظهر بين السيد وخادمه والرئيس والمرؤوس والكبير والصغير . كل يريد أن يأخذ ما له ولا يدفع ما عليه وأصبحوا مطففين اذا أكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون . فغرس فى الأسرة الايمان وحذرها من عقاب الله وقرأ عليها قول الله (يا أيها الناس أتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به

والارحام ان الله كان عليكم رقيبا ، وقسم المسؤولية على الاسرة والمجتمع كله فقال (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) وهكذا أوجد أسرة عادلة متحابة مستقيمة ومجتمعا عـادلا . وأوجد فى أعضائه شعورا عميقـا بالامانة وخوفا شديدا من الآخرة حتى تورع الامراء وولاة الامور وتقشفوا واصبح سيد القـوم خادمهم ووالى الامة كولى اليتيم : فزهدهم فى الدنيا ورغبهم فى الآخرة وأضاف الاموال لله وقرأ عليهم « وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » . « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » .

وحذرهم من اكتناز وادخار الاموال وعدم الانفاق فى سبيل الله فقـرأ عليهم (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها فى نـار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهـم وظهورهم هـذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » .

ابرز رسول الله صلى الله عليه وسلم برسالته ودعوته الفرد الصالح المؤمن بالله الخائف من عقاب الله الخاشع الامين المؤثر للآخرة على الدنيا المستهين بالمادة المتغلب عليها بايمانه وقوته الروحية يؤمن بان الدنيا خلقت له وانه خلق للآخرة فاذا كان هذا الفرد تاجرا فهو التاجر الصدوق الامين ، واذا كان فقيـرا فهـو الرجل الشريف الكادح ، واذا كـان عاملا فهو العامل المجتهد الناصح ، واذا كان غنيا فهو الغنى السخـى المواسى ، واذا كان قاضيا فهـو القاضى العادل الفهم ، واذا كـان واليا فهو الوالى المخـلص الامين ، واذا كان سيدا رئيسا فهو الرئيس المتواضع الرحيم ، واذا كان خادما او اجيرا فهو الرجل القوى الأمين ، واذا كان أمينا للاموال العامة فهو الخازن الحفيظ العليم وعلى هـذه اللبنات قـام المجتمع الاسـلامى وتأسست الحكومة الاسلاميـة ولم يكن المجتمع والحكومة بطبيعة الحال الا صورة مكبرة لاخـلاق الافراد ونفسيتهم فكان المجتمع صالحا أمينا مؤثرا للآخرة على الدنيا . متغلبا على المادة غير محكوم لها انتقل اليه صدق التاجر وأمانته وتعفف الفقير وكدحه واجتهاد العامل ونصحه وسخـاوة الغنى ومواساته وعـدل القاضى وحكمته واخلاص الوالى وأمانتـه وتواضع الرئيس ورحمته وقـوة الخادم وحراسة المخازن ، وكـانت هذه الحكومة حكومة راشدة . مؤثرة للمبادىء على المنافع والهداية عـلى الجباية وبتأثير هذا المجتمع وبنفوذ هذه الحكومة وجدت حياة عامة كلها ايمان وعمل صالح وصدق واخـلاص وجد واجتهاد وعدل فى الاخذ والعطاء وانصاف النفس مع الغير .

وقد ذهلت فـى حديثى لنفسى وتمثلت الى الجماعات الاسلاميـة الاولى بجملها وتفاصيلهـا كأنى أشاهدها واتنفس فى جوها وانقطعت الصلة بينى وبين العالم المعاصر .

وحانت منى التفاته الى هـذا العصر الذى نعيش فيـه فقلت انى لارى أقفالا جديدة على أبواب الحياة الانسانية وقد قطعت الحياة مراحل طويلة ، وخطت خطوات واسعة ، وتعقدت الحياة والتوت ، وتطـورت المسائل وتنوعت ، وتساءلت هـل يمكن فتح هذه الاقفال الجديدة بذلك المفتاح الضيق ؟ وأبيت أن أحكم بشىء هل أختبر هذه الاقفال وأضع عليها المفتـاح ، ولمست هـذه الاقفال بالبنان فاذا هـى الاقفـال القديمة بتلوين جديد واذا المشاكـل نفس مشاكل العصر القـديم ، واذا المشكلة الكبرى وأساس الازمة هـو الفرد الذى لا يزال لبنة المجتمـع واساس الحكومة ، ووجدت أن هـذا الفرد قد أصبح لا يؤمن الا بالمـادة

والقوة ولا يعنى الا بذاته وشهواته وانه يبالغ فى تقدير هذه الحياة ويسرف فى عبادة الذات وأرضاء الشهوات وقد انقطعت الصلة بينه وبين ربه ورسالة الانبياء وعقيدة الآخرة فكان هذا الفرد هو مصدر شقاء هذه المدنية فاذا كان تاجرا فهو التاجر المحتكر النهم الذى يحجب السلع أيام رخصها ويبرزها عند غلائها ويسبب المجاعات والازمات واذا كان فقيرا فهو الفقير الثائر الذى يريد أن يتغلب على جهود الآخرين بغير تعب ، واذا كان عاملا فهو العامل المطفف الذى يريد أن يأخذ ماله ولا يدفع ما عليه ، واذا كان غنيا فهو الغنى الشحيح القاسى الذى لا رحمة فيه ولا عطف ، واذا كان واليا فهو الوالى الغاش الناهب للاموال واذا كان سيدا فهو الرجل المستبد المستأثر الذى لا ينظر الا الى فائدته وراحته . واذا كان خادما فهو الضعيف الخائن واذا كان خازنا فهو السارق المختلس للاموال، واذا كان أكبر من ذلك فهو المادى المستأثر الذى لا يخدم الا نفسه وحزبه ، ولا يعرف غيره واذا كان زعيما أو قائدا فهو الوطنى أو الجندى الذى يقدس وطنه ويعبد عنصره ويدوس كرامة البلاد الاخرى والشعوب الاخرى واذا كان مشرعا فهو الذى يسن القوانين الجائرة والضرائب الفادحة واذا كان مخترعا اخترع المدمرات والناسفات واذا كان مكتشفا اكتشف الغازات المبيدة للشعوب والمخربة للبلاد والقنبلة الذرية التى تهلك الحرث والنسل واذا كان فيه قوة التطبيق والتنفيذ لم ير بأسا بالقاء هذه القنابل على الامم والبلاد .

وبهؤلاء الافراد تكون المجتمع وتأسست الحكومة فكان مجتمعا ماديا اجتمع فيه احتكار التاجر وثورة الفقير وتطفيف العامل وشح الغنى وغش الوالى واستبداد السيد وخيانة الخادم وسرقة الخازن ونفعية الوزراء ووطنية الزعماء واجحاف المشرع وأسراف المخترع وقسوة المنفذ ، وبهذه النفسيات المادية تولدت أزمات طريفة ومشاكل معقدة تشكو منها الانسانية بثها وحزنها كالسوق السوداء وفشو الرشوة والغلاء الفاحش واختفاء الاشياء والتضخم النقدى وأصبح المفكرون والمشرعون لا يجدون حلا لهذه المشاكل وأصبحوا اذا خرجوا من أزمة وأجهوا أزمة أخرى بل أن حلولهم القاصرة ومعالجتهم المؤقتة هى التى تسبب أزمات جديدة وتنقلوا من حكومة شخصية الى ديمقراطية الى دكتاتورية ثم الى ديمقراطية ومن نظام رأسمالى الى نظام اشتراكى الى شيوعى واذا الوضع لا يتغير لان الفرد الذى هو الاساس لا يتغير ، ويجهلون أو يتجاهلون فى كل ذلك أن الفرد هو الفاسد المعوج ولو عرفوا أن الفرد هو الاساس وأنه فاسد معوج لما استطاعوا اصلاحه وتقويمه لانهم على كثرة مؤسساتهم العلمية ودور التعليم والتربية والنشر لا يملكون ما يصلحون به الفرد ويقومون اعوجاجه ويحولون اتجاهه من الشر الى الخير ومن الهدم الى البناء لانهم أفلسوا فى الروح وتخلوا عن الايمان وفقدوا كل ما يغذى القلب ويغرس الايمان ويعيد الصلة بين العبد وربه وبين هذه الحياة والحياة الاخرى وبين المادة والروح وبين العلم والاخلاق وفى الاخير أدى بهم افلاسهم الروحى وماديتهم العمياء واستكبارهم الى استعمال آخر ما عندهم من آلات التدمير التى تبيد شعبا بأسره وتخرب قطرا بطوله حتى استهدفت الحضارة والحياة البشرية اذا تبادلت الدول المتحاربة استعمال هذه الآلات للنهاية الأليمة .

الفتاوى

ميراث ووصية واجبة

قرأت فى آخر العدد الخاص من الوعى الاسلامى ذى الرقم (٨٥) المؤرخ فى غرة المحرم لعام ١٣٩٢ هـ فى الصفحة (١٢١) منه فى حقل الفتاوى ، فتوى تقدم بها السيد وهبه على من القاهرة يسأل فيها عن رجل توفى عن زوجته ، وأربعة أبناء ، وثلاث بنات ، وعن ولدى بنت توفيت فى حياته ، فما نصيب كل من هؤلاء فى التركة ؟

حيث كان الجواب هو تقسيم التركة الى خمسة وتسعين سهما ، منها سبعة أسهم لولدى البنت المتوفاة وصية واجبة بالسوية بينهما ..

وأنا قبل أن أعطى رأيى فى الجواب هذا أريد أن أوضح أن هذا الحكم (وهو استحقاق أبناء البنات حصة فى تركة جدهم مع وجود أخوالهم بطريق الوصية الواجبة) خاص بقانون الوصية المصرى دون غيره من قوانين وتشريعات الدول العربية والاسلامية الاخرى ، ذلك أن قانون الاحوال الشخصية السورى النافذ فى سورية يقضى بحرمان ولدى البنت هذين من التركة ، فلا يستحقان شيئا فيها ، لا عن طريق الارث ، ولا عن طريق الوصية الواجبة ، لانهما من ذوى الارحام ، وذوو الارحام مؤخرون عن أصحاب الفروض والعصبات فى الارث ، وما دام هنالك أبناء وبنات وهم من العصبات فلا يستحق أبناء البنت شيئا معهم ، وكذلك الوصية الواجبة فانه لا حصة لهم فيها لأنها فى القانون السورى المشار اليه خاصة بأولاد الابن دون أولاد البنت ، وفقا للمادة / ٢٥٧ / منه ..

وكذلك الحال فى جميع البلدان الاسلامية التى تسير فى نظام المواريث على وفق المذاهب الفقهية المعتمدة من غير أن تصدر تشريعات خاصة له ، فانها لا تعطى ابنى البنت هذين من التركة شيئا لا ارثا لأنهما من ذوى الارحام كما تقدم ، ولا وصية واجبة لأن الفقه الاسلامى فى مذاهبه المشهورة المعتمدة — وفيها المذاهب الاربعة — لا يعرف الوصية الواجبة على النهج الذى جاء به القانون المصرى ..

وأغلب الظن أن السائل انما يطلب اجابته وفقا للفقه الاسلامى .

لا وفقا للقانون المصرى فان ذلك هو المتبادر للذهن عند الاطلاق ، ولولاه لطلب السائل اجابته وفقا للقانون المصرى دون غيره ..

وعليه فان التركة هذه تقسم فقها الى ثمان وثمانين سهما تعطى الزوجة منها أحـــد عشر سهما ، وهو ثمن التركة فرضا ، ويعطى كل من الذكر من الاولاد اربعة عشر سهما ، والانثى منهم سبعة أسهم تعصيبا ، ولا شيء لولدى البنت ، لانهما من ذوى الارحام ..

هذا الى جانب أننا اذا رجعنا الى قانون الوصية المصرى الذى اعتمده الاستاذ المفتى فى فتـــواه هذه ، وطبقناه على هذه المسألة لوجدناها غير منطبقة عليه ، ولا أعلم كيف قســـمت التركة الى خمسة وتسعين ســـهما ..

والحل الصحيح لهذه المسألة وفقـــا لمـــا جـــاء فى قانون الوصية المصرى هو أن تقســـم المسألة الى — ٨٤٤٨ — سهما يكون للزوجة منها — ٩٧٩ — سهما فرضا ، ولكل واحـــد من الابناء الذكور — ١٢٤٦ — سهما ، ولكل واحد من البنات — ٦٢٣ — سهما تعصـــيبا ، ويعطى ولدى البنت — ٦١٦ — سهما مناصفة بينهما ، لكل منهما — ٣٠٨ — وصية واجبة ولا تصح على خـــلاف ذلك ..

د : أحمد الحجى الكردى
جامعـــة دمشق



ان ما ذكره المعقب صحيح بجميع تفصيلاته ونحن معـــه فى أن الفقـــه الاســـلامى فى مذاهبه المشهورة المعتمدة لا يعرف الوصية الواجبة على النهج الذى اعتمده القانون ..

وان الذى أصدر الفتوى المذكورة اعتمد فى اخراج مقدار الوصية الواجبة على رأى بعض العلماء المحدثين فى أن طريقة تطبيق قانون الوصية الواجبة فى مثل الحالة المسؤول عنها تكون باعطاء فرع الولد الذى مات فى حياة والده من تركة الجد مثل نصيب واحد من الاحياء من الورثة ممن يماثلون الولد الميت فى الذكورة أو الانوثة . وعلى هذا استخرج نصيب بنتى البنت فقسم المسألة ٨٨ سهما ، ولما كان نصيب كل من البنتين الوارثتين ٧ أسهم ، رأى اعطاء بنتى البنت المتوفاة ٧ أسهم كذلك وصية واجبة ، ثم أضاف أسهم الوصية الواجبة هذه الى أصل المسألة فكانت (٩٥) الا أن هذه الطريقة لا تنطبق على نص القانون الذى يصرح بأنه (يجب لفرع ولد الموروث وصية بمثل ما كان يستحقهأبوهم لو كان حيـــا) ..

فلو كانت أم هاتين البنتين حية لما كان نصيبها ٧ / ٩٥ وانما يكون نصيبها ٧ / ٩٦ وقد بين العلماء ومنهم الشيخ محمد أبو زهرة فى كتابه (أحكام التركات) ص ٢٩٢ وما بعدها وجـــه الخطأ فى الطريقة السابقة ، وان وجه الصواب فى القسمة أن يفرض الابن او البنت الذى مات أولا حيا ، ويعرف نصـــيبه وهو فى مسألتنا هذه ٧ من ٩٦ فيكون هو الوصـــية الواجبة وما بقى بعد ذلك وهو (٨٩) سهما يعمل له مسألة جديدة هى هنا (٨٨) سهما ، فيقسم على الورثـــة بموجبهـــا ..

محمد سليمان الاشقر

بريد الوعي الإسلامي

مخيمات اسلامية

ورد فى مجلة الوعى الاسلامى التى تصدر عن وزارتكم الموقـــرة فى عددها رقم ٨٤ الصادر فى غرة ذى الحجة سنة ١٣٩١ الموافق ١٧ ينـــاير سنة ١٩٧٢ فى الصفحة رقم ١٠٨ فى باب « قالت صحف العالم » تحت عنوان « **مؤتمر المسلمين** » حديث عن مؤتمر اتحـــــاد الطلبة المسلمين فى الولايات المتحدة وكندا ، جـــاء فيه « ان شباب المسلمين فى جمهورية مصر العـــربية وغيرها من الدول الاسلامية لفى حاجة ماسة الى مثل هذه المؤتمرات الجامعة وخاصة فى فصل الصيف .. ويا حبذا لو أقيمت الى جانب هــــذه المؤتمرات الدراسية مخيمات صيفية اسلامية يمارس فيها الشباب الحيـــاة الاسلامية ويصقلون فيها عقولهم وأرواحهم واجسادهم .

وأود أن أحيطكم علما أن المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بجمهورية مصر العربية ، يقيم منذ نشأته فى عام ١٩٦٠ معسكرا صيفيا بمدينة أبى بكر الصديق لأبناء العالم الاسلامى (بالاسكندرية) على هيئة مؤتمر لشباب وشابات العالم الاسلامى الذين يتلقون العلم فى مصر يستمر طوال شهرى يوليو وأغسطس من كل عـــام يلتقى فيه أكثر من ألفى طالب وطالبة من جميع الجنسيات ضيوفا على المجلس ويشمل البرنامج اليومى لهذا المعسكر ، الى جانب أداء فـــرائض الصلاة بجامع المدينة وممارسة أنواع الرياضة المختلفة وزيارة معــــالم الاسكندرية والاســـتمتاع بصـــيفها ، ندوات ومحاضرات يحضرها أســـاتذة متخصصون من الجامعات وعلماء الازهر ورجال الفـــكر والادب وزعمــــاء وسفراء الدول الاسلامية ، هذا بالاضافة الى اجتماع الطلاب والطالبات فى حلقات للمناقشة بنادى المدينة لدراسة شئون دينهم وكل ما يهم العـــــالم الاســـــلامى .

مـــــدير
ادارة الابحـــاث
محمد جمال الدين خليل

اتقــوا الله

لاحظت وجود مصاحف ، يوجــد التحريف على غلافها الخلفى ، حيث كتب المحرفون المتاجرون الآية الكريمة (**لا يمسه الا المتطهرون**) ــ خطــأ . . والصواب (**لا يمسه الا المطهرون**) .

وذلك بزيادة تــاء ، حارب الله تعالى أمثال هؤلاء الذين اتخذوا آيات الله هزوا ، وغرتهم الحياة الدنيا ، ولم ينورعوا عن تحريف آيات الله الكريمات حتى على غلاف المصاحف .

ورغم أننى لم أتمكن بعد من مراجعة المصحف كله للتأكد من عدم التحريف الا أننى أناشدكم التدخل لصيانة كتاب الله من التحريف واقترح :

١ ــ سحب المصاحف المحرفة من السوق .

٢ ــ عدم السماح ببيع المصحف الشريف الا فى أماكن شريفــة وتحت اشراف الدولة .

٣ ــ مراجعة المصحف ، ومراجعة غلافه .

٤ ــ العقاب الرادع والحاسم والفاصل لكل من حرف ، ويحرف القرآن الكريم على عيون الأشهاد ليكون ذلك رادعا لهم وعبرة لغيرهم .

٥ ــ ارسال هذا الخطاب لأعلى سلطة اسلامية بالأزهر الشريف ومجمع البحوث الاسلامية ، وكافة الهيئات الدينية فى مصر والبــــلاد الاسلامية لاتخاذ اللازم .

أنــور محمود وصفى عبد الوهاب
كلية الهندسة / جامعة عين شمس

الوعى الاسلامى

يسعدنى أن أنوه بالجهود المضاعفة التى تبذلونهــــا للنهوض بمجلتكم الاسلامية الراقية (**الوعى الاسلامى**) التى تصدرها وزارة الاوقاف والشــئون الاسلامية فحفظكم الله ورعاكم ، وزاد فى معناكم ، وآجاركم علىّ ما تبذلونه من حب صادق وتضحية وايثار فى سبيل نشر كلمة الله ، والدفاع عن عقيدته الطاهرة ومبدأه الصالح .

محمد بنعبد الله
رئيس تحرير دعوة الحق ــ الرباط

التراث المفقود والموجود

جــاء فى المقال المنشور فى العدد (٨٣) تحت هذا العنوان : أن تاريخ الاسلام الذهبى يقع فى خمسين مجلدا لم يطبع منه الا خمسة فقط ، مع أن المطبوع منه ستة أجزاء لا خمسة ، ويحتوى الجزء السادس على تاريخ عشرين سنة من ١٤١ ــ ١٦٠ وهو فى ٣٤٤ صفحة ، وهو مذكور فى قوائم المكتبات منــذ بضــع ســنين .

محمد زاهر أبو اليمن

بأقلام القراء

نصـــيحة ..

تحت هذا العنوان يقول : الاستاذ / عبد الرحمن احمد شادى :

تحاول الدول النامية المسكينة أن تعيش فى العصر الحديث فتستـــورد الأدوات ، والآلات اللازمة لها ، من الدول الغنيـــة المتقدمة .. لأنها لا تملك المصانع التى تزودها بما تحتاجه من هذه الأدوات ، والآلات ، والســـلع ، وتضطر (**والمضطر يركب الصعب**) أن تدفع ثمنا باهظا ، وتنزف دماءها لـــكى تشترى هذه الآلات .. وعلى سبيل المثال فالطائرة الالمانية (البوينج ٧٤٧) التى خطفها الفدائيون ، كما ورد فى صحف ١٩٧٢/٢/٢٧ ، تســـاوى ثمانية ملايين جنيه تقريبا ، وقد ألحت على فكرة عقد مقارنة بين ثمن طائرة من هذا الطراز وبين انتـــاج الأفدنة الزراعية ، وفرض الســـؤال التالى نفسه .. كم عدد الأفدنة التى تنتج محصولات يشتريها ثمن طائرة واحدة ، ومتوسط انتاج الفدان الواحد يقدر بمائة جنيه فى العام : ٨٠٠٠ر٠٠٠÷١٠٠=٨٠٠٠٠ فدان .

فثمن طائرة واحدة يشترى انتاج ثمانين الف فدان من المحصـــولات الزراعية ، فمن المغبون فى هذه الصفقة ، ومن الخاسر فى هذه البيعة ؟ الدول النامية التى اشترت أو الدول الغنية التى باعت .. ؟

واذا افترضنا أن المصنع ينتج طائرة واحدة فى الاسبوع ، وخمسين طائرة فى العام ، فماذا يشترى انتاج مصنع واحد : ٨٠ر٠٠٠×٥٠=٤٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ ، انتهت المسألة الحسابية البسيطة الى أن انتاج المصنع الواحد فى العام يشترى محصولات أربعة ملايين فدان .

والمصانع هناك بالمئات لعشرات ومئات وآلاف الســـلع ، والأدوات ، والآلات ، والأجهزة التى تستوردها الدول النامية المســـكينة التى تظن أنها باستعمالها لهذه الآلات قد عاشت فى العصر الحديث ، وبدلت ظهر الناقة بجوف الطائرة ، اذا ارادوا أن يتحضروا فلا بد أن يضعوا هذه الآلات بدلا من الاكتفاء باستعمالها فقط ، وأن يكونوا كما قال الزهاوى :

طاروا بأجنحة الصناعة فامتطوا ظهر الرياح مكان ظهـــر النوق

وهم فى معظم الأحوال لا يملكون الا المحصولات الزراعية ، والمواد الخام ، التى تقدم لهذه الدول الغنية بثمن بخس بدلا لهذه الآلات المستوردة .

ان هذه الدول تنزف دماءها ، وستظل كذلك الى أن يغنيها الاســـتقلال الاقتصادى بالمصانع الكثيرة عن أن تنزف دماءها ، وينقل هذا الدم المنزوف الى الدول الغنية .. هل تستطيع الدول النامية أن تحارب الفقر وهى تعصر عصرا ،

نعيم الدول الغنية فى بؤس الدول الفقيرة . ومصائب قوم عند قوم فوائد . جربت هذه الدول انشاء القليل من المصانع فحمدت التجربة . وأدت كثيرا من الغايات الاجتماعية والاقتصادية بوجود هذه المصانع . وأهمها أن تحفظ ثروتها لأهلها ، وأن لا تنزف دماءها .

قد يقول قائل : وأين الاموال التى تكفى لانشاء الصناعات الهامة التى يكلفنا استيرادها ثمنا غاليا ؟ والجواب هو توجيه النظر الى الأموال التى تنفق على الزينة . والزخرف . والنعيم . والمظاهر . والترف . والاسراف . ألا تستطيع هذه الاموال أن تقيم المصانع المطلوبة . . !

قد يقول قائل آخر : وأين الخبرة والعلم ؟ والجواب أن بعض الدول الفتية التى لا تجاوز عمر الطفولة فى الحضارة والنهضة قد بدأت حياتها وحضارتها من نقطة الصفر ، ومع هذا فقد سبقت الدول والأمم العريقة فى الحضارة .

ولكن الدول النامية المسكينة مصابة فى همم أهلها . وعزائم بنيها . فهم يريدون أن يتحضروا بهمم وأموال وعقول وأيدى غيرهم ، فهل يتسق هذا المنطق أم لا بد أن ننهض ونتحضر ونفعل ما يفعله غيرنا بهممنا وأموالنا وعقولنا وأيدينا . . !!

المادية الملحدة . .

تحت هذا العنوان يقول الأخ تاج السر محمد حمزة من السودان :

بين المادية والدين عداوة وحرب لا هوادة فيها . ولا مهادنة ، فالمادية نظام مادى يستمد فكرته من نظرية فلسفية ملحدة . تزعم أن كل ما يقع فى التاريخ من حركات فان مرجعه الى الاسباب الاقتصادية ، وما دامت الاسباب الاقتصادية هى التى تملى على التاريخ حركته ، فلا مجال للاعتراف باله خالق او قوة وراء الغيب توجه البشر الى مصائرهم بقوة وارادة .

وليس الدين عند الماديين الا تفسير خاطىء للظواهر الاجتماعية ، وبقية من بقايا النظم الاستغلالية البالية فهو عندهم مظهر جهل ، ووسيلة استغلال ، ومن واجبهم أن ينبذوه ويتحللوا من قيوده . فالمادى هو الذى ينبذ دينه ، ولا يكتفى بأن يتبرأ من الدين بقلبه بل يعمل ما وسعه لرد المؤمنين بالله عن دينهم .

ويفيض الماديون فى تبرير انكارهم للدين ، ومحاربتهم له ، فيزعمون أن الدين خرافة ، وجهل ، ويعللون انتشار الاديان بالظروف المادية التى عاش فيها الانسان الاول ، ويقولون : ان الانسان الفطرى يقف عاجزا أمام ظواهر الطبيعة كالرعد والبرق مما جعله يردها الى ارادة عليا ، فسعى لكسب عطفها واصطناع الوان العبادات ، ومن ثم نشأ الايمان بالقوى غير المنظورة .

فالمادية الملحدة تعادى الاديان ، ومن ثم فهى مخالفة لمبادىء الاسلام الاساسية . وأساس العقيدة الاسلامية شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله . واعتبار القرآن وحى الله للنبى محمد ، والايمان بالحياة بعد الموت والجزاء ، والمثوبة ، والعقاب ، وهذه جميعا ينكرها الملحدون .





كتبت مجلة (المسلم) تحت هذا العنوان تقول :

يظهر أن صمت المسلمين على ما يحدث فى الفلبين قد شجع الآخرين فى مناطق أخرى ، فقد جاء من جنوب أفريقيا .. ان علماء المسلمين فى بورت اليزابيث بجنوب أفريقيا دعوا رئيس حكومة جنوب أفريقيا الى ضمان سلامة المساجد الاسلامية من الحريق وأعمال الفوضى ، وقد جاءت هذه الدعوة بعد أن تعرضت المساجد فى كل من (سيمولزتاون وكلير مونت وكيب تاون) وغيرها لحرائق وأعمال تحقير واهانة على يد عصابات مجهولة .. هذا الخبر وهو نتيجة طبيعية لموقف المسلمين ازاء مشاكلهم ولا أظن أن كثيرا من مؤسساتنا الاسلامية فى العالم لديها علم به ولا أظن أنها ستتحرك بالصورة المطلوبة التى توقف هذه التصرفات وتمنعها من الظهور مرة أخرى و .. يا مسلمو العالم .. ان اليهود فى أى بلد اذا تعرضوا لعقوبات مشروعة وقانونية فالمؤسسات اليهودية فى العالم والافراد منهم يتحركون فما بالكم اذا تعرضوا لأى اهانة السنا خيرا منهم وأكثر عددا .. انى أرجو وأنا أنشر هذا الخبر أن يكون لنا موقف آخر مع فعله هذه الاحداث ومثيلها سواء فى الفلبين أو فى جنوب أفريقيا أو ..

ونشرت مجلة (المجتمع) الكويتية تحت هذا العنوان :

ان عيوبا بدأت تزحف على أسرنا مع زحف الافكار والمذاهب المختلفة وان هذه العيوب اذا لم تعالج بالاسلام انتشرت واستتبت وأصبحت آفة من الآفات التى تهدم مجتمعنا وتقوض كيان أمتنا وأن مظاهر هذه العيوب بدأت تظهر واضحة فى ابنائنا وبناتنا المتسكعين هنا وهناك واللاهين فى هذا المكان أو ذاك ..

فى الشوارع حيث تطير بهم مراكبهم الامريكية الطائشة فيزعجون المارة ويثيرون اعصاب الناس ويودون بانفسهم الى الهلاك وفى الاسواق حيث يسيحون لاهثين بحثا عن لحم آدمى يرسلون اليه نظراتهم الجائعة وفى المنتزهات وعلى شواطىء البحار حيث لا يتركون أسرة تنعم بجمال الطبيعة فى هدوء واطمئنان .

هذه كلها ظواهر مرض عضال ينخر فى الاسرة كالسوس ولا نرى من هذا المرض باعيننا الا هذا الجيل الثائر المتمرد والرافض فى كل مكان، ان أسرنا وقد أعماها حب المظهر ، وفت فى عضدها طغيان المادة لم تعد تعبا بالرقابة على الابناء وحسن تربيتهم وتوجيههم بل ان الزوجين فى الاسرة فقدا الرابطة الاصيلة التى تجمعهما على المودة والرحمة فانشغل الزوج بسهراته ورحلاته ولم تجد الزوجة فيه ما كانت تؤمله فلم تعد تبالى باحترامه أو تقديره أو حتى حفظه فى غيبته وتسربت الى الاسرة فى مجتمعنا مظاهر التفسخ الاخلاقى فكثرت السهرات والحفلات المختلطة وخفت الملابس

وقصرت وكشفت المفاتن وأتاحت الفرصة للشهوات وبدأ الاهتمام بالمظهر من ملبس ورياش وأثاث وقصور وحدائق يطغى على كل شيء وتفلتت الاسرة من عاداتها الاسلامية الاصيلة وتقاليدها الدينية العريقة وكان الاولاد نتاج هذا الجو وثمرة هذا التفكك .

صحيح أن الاسرة لا بد من بنائها بناء جديدا ليس أساسه استبداد الرجل وطغيانه وضياع حقوق المرأة واضطهادها وكبت الاولاد وقهرهم فلئن كانت هذه بعض ظواهر الاسرة فى عهود تخلت عن الاسلام فنحن لسنا ملزمين بها كأسس تقوم عليها أسرتنا الاسلامية الحديثة والتى تقف فى وجه هذه التيارات الحضارية المتلاطمة والمستوردة .

ان الثقافة مفتاح الحياة فى هذا العصر الذى لم يعد للأمى مكان فيه وان هذه الثقافة من حق ربة الاسرة ومديرة شئونها قبل أى انسان آخر لكن هذه الثقافة يجب أن تكون خادمة لهذا الدين موطدة لدعائمه مركزة لاركانه .

فلتتعلم الفتاة ولتتسع مداركها ولتحط بكل ما تستطيع الاحاطة به من علم وخبرة ولتشارك بعد ذلك فى حياة أمتها بكل منحى من مناحيها ولتكن فى بيتها أما تصنع الاجيال مصلحة ترشد من يضل عالمة تثبت فكرها ومبادئها سياسية تقول رأيها وما تؤمن به اجتماعية تقيل العثرة وترأب الصدع وفى اسلامها مجال يتسع لكل ذلك شرط أن تعمل فى أطاره وبوحى منه .

ان الاسرة مصنع الرجال ومولد الابطال ولقد آن لنا أن نبدأ رحلتنا من داخلها فننير جوانبها ونبدد الظلمات من حولها ونوثق رابطتها ونديم ودها فان الخير منها ينبعث اذا أردنا وفيها يندفن اذا رغبنا ..

ماذا فى أمريكا .. ؟

نشرت احدى المجلات المسيحية حديثا على لسان طبيب أمريكى قالت فيه :

ان الممثل الهزلى يتقاضى مليونا من الدولارات فى السنة بينما يتقاضى المدرس فى مدرسة عاليه الفين من الدولارات بلغ عدد القتلى فى حرب فيتنام فى مدة التسع سنوات ...ر٤٢ قتيل ولكن السائق المخمور فى بلادنا قتل فى طرقات أمريكا فى هذه المدة عينها ...ر٢٤ قتيل وقد كشفت الاحصاءات الاخيرة عن أن ...ر٢٠ شخص على الاقل يقتلون سنويا باطلاق النار عليهم .. يضاف الى هذا جرائم هتك العرض والفساد والاباحية التى تهدد نظامنا الاجتماعى كله ثم ينبغى أن نعترف فى ألم وأسى أن الرجل الاسود فى بلادنا لم يحظ بكامل حريته انما هو (نصف عبد) بالامس أصدرت محكمتنا العليا قرارا يصم بغير الدستورية أى تعليم دينى يقدم للاطفال فى مدارسنا وأنه مما يناقض روح الدستور أن ندمج فى برنامج التعليم أية معرفة عن الله وانك لترى اليوم ...ر...ر٨٥ من الامريكيين أو ٦٣٪ من السكان لا ينتمون لأية كنيسة بصفة اسمية وبالامس أصدرت احدى الولايات قرارا بتحريم اعطاء موانع الحمل للفتيات غير المتزوجات وطالبات الجامعة وعلى أثر ذلك انعقدت المحكمة العليا بالولاية وأصدرت حكما بعدم شرعية قرار الحاكم ومخالفته لروح الدستور .





الاستاذ : عبد المعطى بيومى

الـــكويت : زار البلاد وفد من السفراء المسلمين فى لندن خلال جولة فى بعض الدول الاسلامية للدعوة لجمع تبرعات لانشاء المركز الاسلامى ، ومسجد فى لندن .

● اتفق على أن يمول الصـــندوق الكويتى للتنمية العربية مشروعات فى الاردن ، وفى السودان ، فى اطار التعاون بين الكويت والدول العربية .

● قررت وزارة الاوقاف تخصيص ايجار البيوت التى أنشأتها الوزارة لموظفى المساجد .

● أقيم فى الشهر الماضى بقاعة المعهد الدينى احتفال حضره الاستاذ عبد الرحمن عبد الله المجحم وكيل الوزارة حيث سلم سيادته الشهادات لخريجى معهد الامامة والخطابة .

مصـــر : قام الرئيس أنور السادات بالتشاور مع المسئولين فى المملكة العربية الســعودية ، والكويت ، فى اطار خطة لتوطيد دعائم الاخوة العربية .

● أعلن الرئيس السادات أن مصر ماضية فى تطوير اسلحتها ، وتصنيع هذه الاسلحة محليا ، لمواجهة تصنيع اسرائيل لاسلحتها .

● تحدد يوم ٩ سبتمبر القادم موعدا لانعقاد مؤتمر علماء المسلمين بالقاهرة بعد أن كان محددا له آخر مايو القادم ..

● بعث الازهر وفدا من علماء المسلمين للاتصال بالمسئولين وبالمسلمين فى الفلبين لاخمــاد الفتنة ، ووقف المذابح ضد المسلمين .

الســـعودية : أكد جلالة الملك فيصل لأكثر من مائتى صحفى بأن معظم فساد العالم انما كان نتيجة للصهيونية والمذاهب الالحادية .

● اتخذ مؤتمر وزراء الخارجية الاسلامى الثالث عدة قرارات بالموافقة على قيــام الامانة العامة ، وميزانيتها ، وادانة اسرائيل .

● خصصت السعودية اذاعة خاصة للقرآن الكريم ابتداء من صفر الماضى فى كل من الرياض وجدة ..

الاردن : أعلن الملك حسين عزمه على تنفيذ قراره بانشاء المملكة العربية المتحدة ، من قطر أردنى وقطر فلسطينى ، يتمتع كل منهما بالحكم الذاتى ، رغم اعلان الدول العربية عن رفضه .

العـــراق : أبلغ العراق حكومة الاردن بأنها وافقت على اعادة التبادل التجارى والاقتصادى بين البلدين .

● دعت العراق الى وحدة فورية مع مصر وسوريا وتجرى اتصالات على مختلف المستويات لتحقيق هذا الهدف ..

● اقترح العراق على جامعة الدول العربية انشاء صندوق عربى لمساعدة عائلات شهداء المقاومة ..

لبنـــان : أعلن الرئيس اللبنانى أن لبنـــان لن تغير موقفها من الفدائيين ، رغم العمليــات الاسرائيلية فى الجنوب فى الشهر الماضى .

● تلقت لبنان مساعدات من الكويت ، ومصر ، والسعودية ، لاعادة بناء القرى التى هدمتها القوات الاسرائيلية المعتدية فى الشهر الماضى .

● وافقت الحكومة اللبنانية على انشاء المجمع العربى الاسلامى ، ومهمته احياء التراث العربى الاسلامى بالتعاون مع بعض الدول العربية .

قطـــر : تبرعت قطر بمبلغ (٢٠٠) ألف جنيه استرلينى لبناء المسجد والمركز الاسلامى فى لندن (يتكلف بناؤه حوالى مليون ونصف مليون جنيه استرلينى) .

الســودان : توصل فى السودان الى اتفاق يمنح الجنوب الحكم الذاتى فى اطار السودان الواحد .

● سيجرى قريبا استفتاء شعبى للانضمام الى دولة اتحاد الجمهوريات العربية .

ليبيـــا : سيقوم الرئيس معمر القذافى بزيارة لباكستان فى شهر ابريل الحالى ، والجدير بالذكر أن ليبيا كانت قد بذلت جهدا مركزا لادانة الهند ونصرة باكستان .

● استشهد خمسة ليبيين فى معارك بين الاسرائيليين والفدائيين الفلسطينيين فى منطقـة جنوب لبنان .

● صدر قرار بمنع دخول المجلات التى تنشر صورا نسائية عارية أو مثيرة .

الجــزائر : قام مساعد وزير الخارجية الامريكى للشئون الافريقية بزيارة الجزائر فى الشهر الماضى فى اطار التعامل الاقتصادى بين البلدين .

● دعت الجزائر الى استمرار النضال العربى ضد اسرائيل .

موريتــانيا : أكد الرئيس الموريتانى أن موريتانيا تستلهم الشريعة الاسلامية أساسا لحياتهـــا وتقدمها .

باكســتان : أعلن الرئيس الباكستانى أن حالة الحرب مستمرة بين باكستان وبين الهند ، وأنه يحمل الهند مسئولية اعتقال أسرى الحرب الباكستانيين .

● رفض المسئولون عن الحكم فى داكا استقبال بعض أعضاء وفد المؤتمر الاسلامى لوزراء الخارجية ..

الهنـــد : طردت الهند (٤٠٠٠) مسلم من المناطق التى تحتلها من باكستان الغربية كما أقامت الهند عدة تحصينات على خط وقف اطلاق النار بينها وبين باكستان .

● أعلنت رئيسة وزراء الهند أنها لن تطلق سراح أسرى الحرب الباكستانيين الا اذا اعترف الرئيس الباكستانى بادارة ما يسمى ببنجالاديش .

أخبار متفرقة :

أوغندا : قرر الرئيس عيدى أمين طرد جميع الاسرائيليين من أوغندا .

لنـــدن : أنشىء أخيرا اتحاد يضم الجمعيات الاسلامية الـ ٥٩ التى تمثل الجالية الاســلامية فى بريطانيا (نصف مليون مسلم) .

● قام وفد من السفراء المسلمين بجولة فى السعودية ، والكويت ، وقطر ، والامارات العربية بهدف الاستعانة على بناء مسجد ومركز اسلامى فى لندن .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الا. عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول شتراكات عندنا من الآن ، وعل الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد ال... عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار ــ ٧ شارع ...حافــة .

جــدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب ٢٠٤٣ .

الرياض : مكتبة مكـــة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعـــة ضياء .

عـــدن : وكالة الأهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

المكـــلا : مكتبـــة الشعب ــ ص.ب ٢٨ .

مســـقط : المكتبـــة الحديثة ــ السيد يوسف فاضل .

صنعـــاء : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

دمشـــق : الشركة العامة للمطبوعات ــ ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ــ ص.ب ٢٤٧٣ .

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية ــ ص.ب ٦٧ .

عمـــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات ــ ص.ب ٢١٥ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى ــ ص.ب ١٣٢ .

بنغـــازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص.ب ٢٨٠ .

تـــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بـــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ كورنيش المزرعة .

دبـــى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ السيد غازى بساط .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ ص.ب ١٧١٩ .

الدوحـــة : سالم الانصارى ــ الدوحة / قطر .

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

ال‍ ـة الثامنة ـ العدد الثامن والثمانون ـ ربيع الآخر ١٣٩٢ هـ ـ ١٤ مايو (آيار) ١٩٧٢ م



سمو امير البـــلاد المعظم وهو يستقبل بمطار الكويت الدولى الفريق حافظ الاســـد رئيس الجمهـــورية العربية السورية ، الذى وصل الى الكويت فى زيارة رسمية .



سمو امير البـــلاد المعظم وهو يستقبل بمكتبه بقصر السيف العامر الدكتور عون الشريف ، وزير الاوقاف والشئون الدينية الســـودانى والوفد المرافق له بمناسبة زيارتهم الكويت .

مســــجد الفولا بمدينة فريتاون بسيراليون ، ويعتبر من أكبر المساجد وأضخمها ، ويمتاز بمآذنه وقبابــه الكثيرة ..



الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

الســـــنة الثـــامنة

العدد الثـــامن والثمانون

غرة ربيع الآخر ١٣٩٢ هـ

١٤ مايو (آيار) ١٩٧٢ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالـــكويت في غرة كل شـــهر عربي

هدفها : المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والســياسية

الثمن

الكـــــويت	٥٠ فلسا
الســـعودية	١ ريـال
العـــــراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيـــــا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجـــــزائر	دينار وربع
المغـــــرب	درهم وربع
الخليج العربي	١ روبيــة
اليمن وعــدن	٧٥ فلسا
لبنان وســوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

في الــــكويت ١ دينـــــار
في الخـــارج ٢ دينـــاران
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)
أما الافراد فيشـــتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراســلات

مدير ادارة الدعوة والارشـــــاد
وزارة الاوقاف والشئون الاســلامية
ص.ب ١٣ هاتف : ٤٢٢٠٨٨ ــ كويت

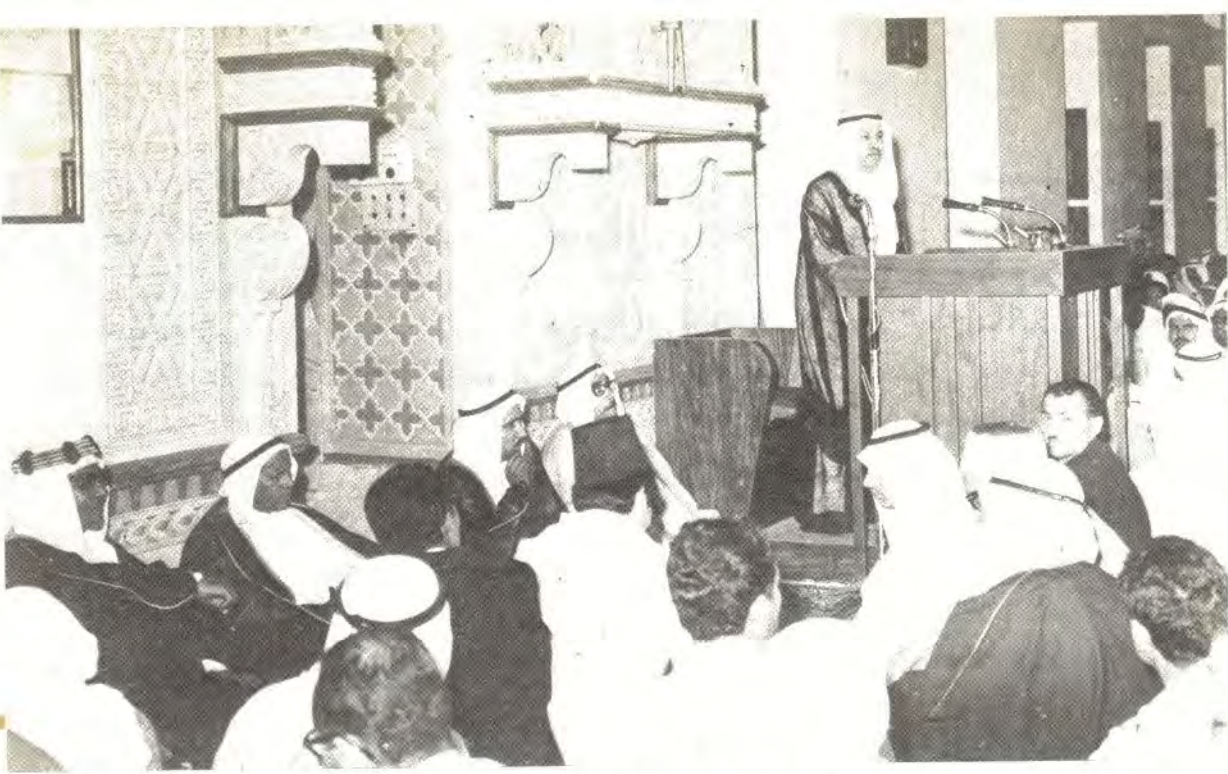
كلمة
معالي وزير الأوقاف والشؤون الاسلاميّة

اقامت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية حفلها السنوى المعتاد بذكرى ميلاد الرسول الأعظم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد السوق الكبير بعد صلاة العشاء يوم الثلاثاء ١١ من ربيع الأول ١٣٩٢ هـ وشهد الحفل جمهور كبير من المسلمين امتلأ بهم المسجد على سعته وكان فى مقدمة الحاضرين سعادة رئيس مجلس الامة وسعادة المستشار الخاص لسمو الأمير المعظم ولفيف كبير من المسئولين ، وقد استهل الحفل بتلاوة آى الذكر الحكيم ، ثم ارتجل سعادة الاستاذ راشد عبد الله الفرحان وزير الأوقاف والشئون الاسلامية الكلمة التالية ، وتتابع بعد ذلك الخطباء والشعراء وختم الحفل بآيات من القرآن الكريم ، وتولت الاذاعة والتلفزيون نقل وقائع الحفل ، وفيما يلى نص كلمة الأستاذ الوزير :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

أيها السادة يحتفل العالم الاسلامى اليوم فى مشارق الارض ومغاربها بذكرى مولد محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وتحتفل الكويت بهذه الذكرى العظيمة . ذكرى مولد زعيمنا وقائدنا وعظيمنا . ان الدول تحتفل بزعمائها وعظمائها ونحن نحتفل بقائدنا وبانى نهضتنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم .

ونحن اذ نحتفل بهذه الذكرى فانما نحتفل بالمبادىء العالية السامية والمثل الخالدة ... نحتفل بالنور العظيم الذى انزله الله تعالى على قلب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، النور الذى جاء لينقذ البشرية من الضلالة الى الهدى ومن الجهل الى العلم . اجل لقد قام محمد صلى الله



وزير الاوقاف والشئون الاسلامية راشد عبد الله الفرحان وهو يلقى كلمة فى الاحتفال الذى أقامته بمسجد السوق الكبير وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بمناسبة ذكرى المولد النبوى الشريف . وقد حضر هذا الاحتفال رئيس مجلس الامة خالد صالح الغنيم ومستشار حضرة صاحب السمو الشيخ عبد الله الجابر الصباح وعدد آخر من المسئولين وجمهور غفير من المواطنين .

عليه وسلم بدعوته ودعا الناس الى هذا الدين بالهدى ودعاهم بالحق ودعاهم بالقول الحسن ودعاهم بالحكمة فعندما جاء محمد صلوات الله وسلامه عليه الى هذه الدنيا وجد أمامه دولتين عظيمتين تتقاسمان العالم دولة فى الشرق ودولة فى الغرب وكلا الدولتين من الدول العظمى التى تسيطر على مقاليد الناس ولكن محمدا جاء الى الأمة العربية وأخرج منها رجالا وأبطالا عظاما . أخرج منها جيشا عربيا اسلاميا سلحه بالنور والهدى الذى أنزل معه ، وسارت جيوش المسلمين وجيوش العرب الى هاتين الدولتين فأسلم الناس ودخلوا فى دين الله أفواجا ودالت تلك الدولتان العظيمتان وبقيت دولة الاسلام الدولة العربية الاسلامية التى يقودها محمد بن عبد الله ..

كان الجند الذين بعثهم محمد هم من أبناء العرب بعثهم لا ليقتلوا الناس وانما بعثهم هداية للناس وكان ما كان . وكان المجد للأمة العربية الاسلامية وكانت الدولة العظيمة التى أنشأت المفكرين والعظماء والكتاب والأطباء ، والمهندسين ، وغيرهم من علماء الارض ، واستفاد من هذا النور خلق كثير ، ولا يزال العالم ينعم بهذه الحضارة الى يومنا هذا .

فيا ترى ما هذا السر الذى جعل هؤلاء العزل الذين يتقاتلون على بعير ما هذا السر الذى جعلهم يصلون الى هذه المرتبة ويكونون هذه الدولة وتكون لهم هذه المكانة بين دول العالم ؟ ان السر يكمن فى قيادة محمد صلى الله عليه وسلم ..

لقد كان القوم يأتون الى محمد يسألونه عن الصلاة ويسألونه عن الزكاة ويسألونه عن الحج ويسألونه عن النظام الاسلامى الجديد ويسألونه

عن نظم حياتهم فما كان يجبيهم بالتعقيد وما كان يجبيهم بالتعصب الأعمى وانما كان يقدم لهم الهدى بأسهل ما يمكن وبأوجز ما يمكن من الكلمات فكان يقول : « صلوا كما رأيتمونى أصلى » ولم يعطهم من الشروط ومن التعقيد ما يجعلهم ينفرون من الاسلام وكان يقول « خذوا عنى مناسككم » بهـذه الكلمات البسيطة يحج الناس وبهذه الكلمات البسيطة يصلى ويتوضأ الناس ويعرفون عبادتهم ، وكان يأتيه الرجل يحفظ آية أو آيتين فيبعثه الى بـلاد أخرى كبلاد اليمن وغيرها ليهدى الناس ويدعوهم الى الايمان : « لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم ، » وبهـذا سارت رسالـة الاسلام . لقد بعث محمد فى أتباعه ورسخ فيهم ارادة القتـال حينما لا تنفع ارادة الحكمة والقول الحسن عندما لا ينفع مع الأعداء الكـلام الطيب حين لا ينفع فيهم الا القتال « لا يفل الحديد الا الحديد » ولا تقف أمام القـوة الا القوة ، هذه رسالة محمد صلى الله عليه وسلم .

لقد كان يستعرض الجند حتى يختار منهم ، يستعرض المتقدمين للجيش فيختار منهم من يصلح للجهاد والقتال فيأتى رافع بن خديج وهـو صغير وقصير ولكنه يتطاول بين الصفوف ليوهم النبى بأنه يصلح للقتال ويصلح للجيش ويصلح للجهاد فى سبيل الله عندما رأى النبى صلى الله عليه وسلم قد نحى زيدا وأسامة وغيرهما من الصغار فيقول له الرسول لماذا تفعل ذلك ، فيقول : أريد أن أذهب الى الجهاد يا رسول الله . أين هـذا ممن يفرون من الجندية اليـوم .

وهذا عمرو بن الجموح رجل أعرج وله أربعة أولاد يقاتلون فى سبيل الله مجندون فى الجيش يأتى الى النبى ويقول خذنى معهم يا رسول الله فيقول : انك رجل أعرج لا تستطيع القتال ، فيقول أريد أن أذهب بعرجتى الى الجنة ..

هذه هى ارادة القتال التى بعثها محمد فى أتباعه وهذه هى الخنساء التى ظلت تنوح أياما وليالى على أخيها صخر فى الجاهلية ولكـن عندما استشهد أبناؤها الأربعة فى الجهاد فى سبيل الله قالت : « الحمد للـه الذى شرفنى بقتلهم جميعا فى سبيل الله » ولم ير لها دمعة .

هذا هو الايمان وهذا هو الفكر الاسلامى الصحيح وهذا هو الخط العربى الذى بعثه محمد فى الأمة العربية هذا هو النور الصحيح الـذى يجب أن ينتهجه أبناء هذه الأمة العربية .

أيها السادة : يدور الزمان دورته ويقف العـرب الآن ويقف معهم المسلمون الآن على مفترق الطرق بين دول عظيمة كثيرة تحاول كل منها أن تسير سياستنا وان تجعلنا ننطوى تحت لوائها وان نخضع لارادتها وان تكون هى المسيطرة على اقتصادنا وعلى سياستنا وعلى افكارنا ويا للأسف قـد انساق بعض نفر منا وراء هذه الأفكار الجديدة وظنوا أن مثل هـذه الدول الكبرى تريد خدمتنا وتعمل لتكسب ودنا وصداقتنا ولكنها تخشى هذه الأمة حينما تقوم لها قائمة وحينما ترجع لها دولتها وحينما يكون لها وحدتها . وأول ما تخشاه هذا النور العظيم الـذى جاء به محمد وأول ما تخشاه هـذه الارادة ، وهذا النظام وهذا الخط الـذى جاء به محمد الى أتباعه ولكننا نقول الى أصحاب اليمين والى أصحاب الشمال الـذين اعتنقوا أفكـار

الشمال والى الذين اتبعوا اليمين : ان هذا ليس هو شأن العرب وليس هذا هو خط الاسلام وليس هذا هو العقيدة وليس هذا هو الايمان .

وكل يوم تطلع علينا الصحف والجرائد والأخبار بأن هناك يسارا وان هناك يسار اليسار وان هناك انقساما فى اليسار وما الى ذلك وان هنـــاك يمينا وان هناك يمين اليمين ، وهكذا تتقسم ، وهكذا يتجزأ أتباع محمد وهذا شىء نأسف له ونأمل ألا يكون فى أمتنا والا ينخدع به بعض شبابنا واذا ما أريد لفدائيينا واذا ما أريد لجيوشنا واذا ما أريد لشعبنا أن ينتصر وان شاء الله سينتصر باذن الله ، اذا ما أريد له ذلك فليتجنب اليمين وليتجنب اليسار وليسلك الطريق الوسط : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهـــداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » .

ان هذه الافكار جاءتنا من الغزو الفكرى الذى تغلغل فينا بعد ما وهنا وبعدما ضعفنا . واننى أوجه كلمتى الى اخواننا المجاهدين والمقاتلين من الفدائيين أن ينبذوا هذه الافكار وان يوحدوا كلمتهم وصفوفهم وأن يقاتلوا فى سبيل عقيدة واحدة وحول فكرة واحدة لكى يستطيعوا أن ينتصروا ، وليساند الشعب العربى ولتساند الأمة العربية هؤلاء الشباب ولتسر مـــع هؤلاء المقاتلين وتؤيدهم وتمدهم بالمال وتعينهم بكل ما يمكن أن يعان به ، وبكل ما يمكن أن يقدم للمعركة وبذلك نستطيع أن ننتصر .

والكلمة الثانية التى أود أن أتوجه بها الى كل مسلم يسمع كلمتى هذه فى بقاع الارض أود أن أقـــول ان الحرب مع الكافر ومع المستعمر ومـــع الصهيونية لا تنفع بالقتال وحدها وانما يجب أن تكـــون هنـــــاك مساندة شعبية من جميع أفرادنا وان يكون هناك مساندة فعالة وان يكـــون هناك مقاطعة لجميع بضائع الاستعمار ولمن يساند الصهيونية ، وهذا هو أيها الاخوان أقوى سلاح نستطيع به أن نقدمه لمعركتنا أن كنا نريد النصر . النصر لا يأتى بالخطب ولا يأتى بالكلام وانما يتطلب من الشعوب المسلمة أن تقف وراء المناضلين أن تقف وراءهم بالمال وان تقف وراءهم بشد أزرهم بالروح المعنوية وان تثبط همم الأعداء أننا حينما نقاطع بضائع الأعداء يأتوننـــا راكعين .

ان اسرائيل لم تقف على ركبتيها وتتحد جميع العرب والمسلمين الا عندما ساندها وساعدها الكفر والاستعمار عندما بدأوا يجمعون لها الأموال فلماذا لا نقاطع هذه البضائع . سنة واحدة فلنقاطع بضائعهم إن هؤلاء الأعداء لا يحترمون الا من لا يحترمهم ولا يقدرون الا من يقف فى وجوههم . ومن يهن يسهل الهوان عليه . ولا نريد للأمة العربية التى قادهـــا محمد أن تهون وانما نريدهـــا أن ترجع قوية وان تكون أمة وان تكـــون دولة ولا يكون ذلك الا بالتكاتف « ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » وبذلك نستطيع أن نقدم شيئا جزئيا للمعركة ونستطيـــع أن نقدم شيئا فى مثل هذه الذكرى العزيزة علينا ونستطيع أن نحب محمدا صلى الله عليه وسلم إن حب محمد لا يكون بالكلام وانما يكون بالاقوال والأفعال معا .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يشد أزرنا وان ينصرنا على أعدائنا أنه عزيز كريم .

والسلام عليكم ورحمة الله .



١

القرآن والعلم

للشيخ محمد حسين الذهبي

فضل العلم قضية لاتحتاج الى برهان يؤيدها ، وأقدار العلماء ومكانتهم العالية حقيقة لا ينكرها الا من أنكر عقله وسفه نفسه !!! . .

والقرآن الكريم ـــ فى كثير من آياته ـــ يشيد بفضل العلم ، ويرفع من أقدار العلماء ؛ وهو اذ يفعل ذلك لا يقصد اثبات حقيقة تحتاج الى اثبات ، ولكنه يهدف الى أن ينبه القلوب الغافلة والعقول اللاهية الى قدسية العلم وسمو العلماء ، لعلها تتحرر من جهلها ، فتنخرط فى موكب العلم ، وتمضى فى ركاب العلماء لا تلوى على جهالة .

ولقد تكون أبلغ قارعة تقرع قلوب الغافلين وعقول اللاهين ، تلك الآيات البينات التى تقرر : أن العلم صفة من صفات الكمال التى يتصف بها الله سبحانه ، ويجب أن نقدسه عن الاتصاف بضدها :

((عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال)) ـــ الرعد : ٩

((ان الله عالم غيب السموات والأرض)) ـــ فاطر : ٣٨

((انما الهكم الله الذى لا اله الا هو وسع كل شىء علما)) ـــ طه : ٩٨

ولقد يكون أبلغ شاهد بعد هذه الآيات على فضل العلم ، ومكانة العلماء ، تلك الآيات القرآنية التى وردت فى حق الأنبياء عليهم السلام ،

تثبت لهم صفة العلم ، وتقرر — فى صراحة ووضوح — أنها من نعم الله التى أنعم بها عليهم :
يقول سبحانه فى أول ما نزل من القرآن على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم :
((اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم .)) — العلق : ١ — ٤
ويقول ممتنا عليه : ((وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما)) — النساء : ١١٣

ويقول مخاطبا عيسى عليه السلام وممتنا عليه « يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا ، واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل » — المائدة : ١١٠ .
ويقول فى شأن داود وسليمان عليهما السلام : ((ولقد آتينا داود وسليمان علما)) — النمل : ١٥
ويقول عن يوسف عليه السلام : ((ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما)) — يوسف : ٢٢
ويقول فى شأن لوط عليه السلام : ((ولوطا آتيناه حكما وعلما)) — الأنبياء : ٧٤
ويقول عن آدم عليه السلام : ((وعلم آدم الأسماء كلها)) — البقرة : ٣١
ثم نجد القرآن الكريم — بعد ذلك — ينكر على من يسوى بين العلماء وغير العلماء فيقول فى أسلوب تهكمى ساخر : ((هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون)) ؟ — الزمر : ٩

ثم هو بعد يقرر هذه الحقيقة : ((يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)) — المجادلة : ١١ ولعل الله جمع بين الايمان والعلم هنا ، وجعلهما السبب فى علو المكانة والمنزلة عنده ، لأن الايمان لا يقوم ولا يقوى الا على أساس العلم بالله ، والعلم بكل ما جاء منه ، وصدر عنه :

وفى كل شىء له آية   تدل على أنه الواحد

نعم ، فى كل شىء له آية تدل على وجوده ، ووحدانيته ، وقدرته ، وربوبيته . . . وكل صفات الكمال له ، ولكنها آيات لا يعقلها الا العالمون . أما الجاهلون : ففى غفلة واعراض عن هذا كله ، كما يقول سبحانه وتعالى عنهم :
((وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون)) — يوسف : ١٠٥

القرآن يدعو الى العلم والمعرفة :

ولأن الله — سبحانه — يعلم أن من الناس ناسا قلوبهم غافلة عما فى الكون من حقائق ، وعقولهم لاهية عما تنطوى عليه هذه الحقائق من علوم ومعارف ، وأنهم بتعطيلهم لقلوبهم وعقولهم عن النظر فى ملكوت السموات والأرض ، واستنباط ما أودع الله فيها من علوم وأسرار ، قد أهدروا انسانيتهم وانحطوا بها الى مستوى الحيوان الأعجم الذى لا عقل له ولا

ادراك . . ((لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بهـــا ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون)) ــ الأعراف : ١٧٩

لأن الله يعلم ان من الناس ناسا هذا شأنهم ، ساق فى محكم كتابه آيات تهيب بأصحاب هذه القلوب اللاهية : أن يفتحوا قلوبهم وعقولهم على الكون وما فيه من آيات ، ليستخلصوا منها أسرارها وعلومها التى تأخذ بيدهم الى ما فيه خير الدنيا وسعادة الآخرة ، فقال لهم فى صرامة الآمر واستنكار اللائم :

((قل انظروا ماذا فى السموات والأرض)) ــ يونس : ١٠١

((أولم ينظروا فى ملكوت الســـموات والأرض وما خلق اللـــه من شىء)) ؟ ــ الأعراف : ١٨٥

((افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت . ؟ والى السماء كيف رفعت . ؟ والى الجبال كيف نصبت ؟ والى الأرض كيف سطحت . ؟)) ــ الغاشية : ١٧ ــ ٢٠

((وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنـــا به نبات كـــل شىء ، فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ، ومن النخل من طلعها قنوان دانية ، وجنات من اعناب ، والزيتون ، والرمان مشتبها وغير متشابه ، انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه ان فى ذلــكم لآيات لقوم يــؤمنون)) ــ الأنعام : ٩٩

((وفى الأرض آيات للموقنين . وفى أنفسكم ، أفلا تبصرون . ؟)) ــ الذاريات : ٢٠ ، ٢١

((ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنـــا به ثمرات مختلفـــا الوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها ، وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف الوانه كذلك ، انما يخشى اللـــــه من عباده العلماء)) ــ فاطر : ٢٧ ، ٢٨

انظر الى هذه الآيات ونحوها مما ورد فى القرآن الكريم ، فسوف ترى أنها تدعو باصرار والحاح الى اعمال العقل والفكر فى آيات الله التى بثها فى الآفاق والأنفس ، لنأخذ منها الدليل على وجود الله وقدرته ، ثم لنستخلص منها ــ بعد ذلك ــ ما تحويه وتشير اليه من علوم ومعارف ، تنفع البشرية وتســـعدها فى حياتها الدنيـــا التى لاتقوم الا عـــلى العلم والمعرفة .

وتأمل قول الله سبحانه : ((انما يخشى الله من عباده العلماء)) تجد انه يقرر ــ فى صراحة ووضوح ان للعلم دخلا كبيرا فى معرفة عظمة الخالق عن طريق ما يهدى اليه من المعرفة بعظمة المخلوق الذى أودع الله فيه من الأسرار ما يجعل العالم البـــاحث المنقب يؤمن ــ عن مشـــاهدة ويقين ــ بأن الله هو الخلاق ذو القوة المتين ، فيتصاغر علمه أمام علم الله . وتتضاءل معرفته أمام معرفة الله ، ويتبدد كبرياؤه وغروره أمام عظمة رب الكون . . رب العالمين !! . .

ومن هنا كانت قلوب الجاهلين مغلقة لا تنفتح على حق ، ولا تتقبل حقيقة :

((كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون)) ــ الروم : ٥٩

وكانت قلوب العالمين مفتوحة على الحق ، تهتدى اليه ، وتؤمن به على طمأنينة ويقين :

((وتلك الأمثال نضربها للناس ، وما يعقلها الا العالمون)) — العنكبوت : ٤٣

((والراسخون فى العلم يقولون آمنا به ، كل من عند ربنا)) — آل عمران : ٧

((شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم)) — آل عمران : ١٨

((وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وأن الله لهادى الذين آمنوا الى صراط مستقيم » — الحج : ٥٤ .

والقرآن الكريم — حين يدعونا الى العلم والمعرفة — لا يريد منا علما فطيرا ، ولا يدعونا الى معرفة فجه ، وانما يريد منا علما ناضجا يرتكز على قواعد ثابتة ، ومعرفة تنبنى على مقدمات سليمة ، وأن يكون سبيل ذلك كله وسائل العلم والمعرفة التى أودعها الله فى الانسان ، يقول عز من قائل :

((ولا تقف ما ليس لك به علم ، ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا)) — الاسراء : ٣٦ وتأمل قوله ((ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا)) بعد قوله : ((ولا تقف ما ليس لك به علم)) تجد أن الله سبحانه — ينبه الى أن أدوات المعرفة ووسائلها عند الانسان هى : سمعه ، وبصره ، وفؤاده ، فمن تلقف الوقائع ، وتقبل الأخبار ، وانتهى الى النتائج بدون أن يتحراها ويتأكد صدقها وصحتها بكل وسائل المعرفة التى أودع الله فيه ، فقد عطل ما ميزه الله به عن غيره من الحيوان ، وسوف يسأله الله يوم القيامة عما ضيع من نعمة الله التى فضله بها ، وأوجب عليه شكرها بقوله :

« والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون)) — النحل : ٧٨

((وتأمل بعد ذلك — قوله سبحانه فى شأن من ضلوا طريق الحق وأعرضوا عن سواء السبيل :

((ان يتبعون الا الظن ، وان الظن لا يغنى من الحق شيئا)) — النجم : ٢٨

((ان يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس)) النجم : ٢٣

تأمل هاتين الآيتين تجد أن الله ما نعى على هؤلاء الضالين ضلالهم الا لأنهم ساروا وراء ظنونهم وأهوائهم .. والظن سراب ، والهوى مهلكة !! ...

والقرآن الكريم يكره لنا — كل الكراهية — ان نكون مقلدين لا مبتكرين متعلقين :

((واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ، قالوا . بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون . ؟)) — البقرة : ١٧

ولا يرضى القرآن للباحث عن الحقيقة — أيا كانت — أن يبحث عنها فى جو من الفوضى التى تحول دون رؤيتها ، وتعوق عن الوصول اليها . وانما يرضى لنا ويطلب منا : أن نوفر للبحث العلمى الموصل للمعرفة

بها جوا هادئا يبعث على التأمل والتدبر فى روية وحكمة ، يقول سبحانه مخاطبا نبيه ليوجه المكابرين المعاندين من أمته :

((قل انما أعظكم بواحدة : أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا)) سبأ : ٤٦

يقول العلامة الزمخشرى فى تفسيره لهذه الآية :

((والمعنى : انما أعظكم بواحدة ان فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم ، وهى : أن تقوموا لوجه الله خالصا ، متفرقين . اثنين اثنين ، وواحدا واحدا ، ثم تتفكروا فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم — وما جاء به أما الاثنان : فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه ، وينظران فيه نظر متصادقين متناصفين ، لا يميل بهما اتباع هوى ، ولا ينبض لهما عرق عصبية ، حتى يهجم بها الفكر الصالح والنظر الصحيح على جادة الحق وسننه . وكذلك الفرد : يفكر فى نفسه بعدل ونصفة من غير أن يكابرها ، ويعرض فكره على عقله وذهنه وما استقر عنده من عادات العقلاء ومجارى احوالهم . والذى أوجب تفرقهم مثنى وفرادى : ان الاجتماع مما يشوش الخواطر ، ويعمى البصائر ، ويمنع من الرؤية ، ويخلط القول ، ومع ذلك يقل الانصاف ، ويكثر الاعتساف ويثور عجاج التعصب ، ولا يسمع الا نصرة المذهب)) (١)

ويقرر القرآن الكريم — فى وضوح تام — أن الهداة والدعاة والقادة من أصحاب الرسالات الدينية ، او المذاهب السياسية ، أو غيرها ، لا بد أن يكونوا على جانب كبير من العلم والمعرفة ، حتى تتأكد زعامتهم وتلزم طاعتهم ، ولا يرضى القرآن لانسان يحترم انسانيته أن ينقاد لمن لا علم عنده ، ولا أن يكون منه بمنزلة التابع من المتبوع ، فان من حرم العلم حرم الخير كله ، ومن لم يتحل بالمعرفة لا يصح أن يكون قدوة ، يقول الله سبحانه — على لسان ابراهيم عليه السلام مخاطبا أباه :

((يا أبت انى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا)) — مريم : ٤٣

ويقول مخاطبا موسى وهرون عليهما السلام :
« فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون » — يونس : ٨٩ .
ويقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ((.. ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون)) — الجاثية : ١٨



والقرآن الكريم لا يرى للعلم حدا يقف الانسان عنده ، وانما يرى العلم بحرا لا ساحل له ، ويطلب منا أن نتزود منه ونزداد يوما بعد يوم دون أن نقف عند غاية ، ولهذا يقول الله — سبحانه — لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وهو الأسوة والقدوة :
((وقل رب زدنى علما)) — طه : ١١٤
ولا يرى القرآن غضاضة فى أن يتلقى الفاضل عمن دونه فى الفضل

مالديه من علم يجهله ولو كان ذلك لا يتم الا اذا كان منه بمنزلة التابع من المتبوع . يحل حيثما حل ، ويرتحل حيثما ارتحل ، وفى ذلك يقص علينا القرآن الكريم قصة موسى مع الخضر عليهما السلام :

((فارتدا (يعنى موسى وفتاه) على آثارهما قصصا . فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما . قال له موسى : هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا ؟ . قال : انك لن تستطيع معى صبرا . وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ؟ . قال : ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا . قال . فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكرا . . » الى آخر القصة (٢) ــ الكهف : ٦٤ــ٨٢ وتأمل قوله سبحانه : « فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكرا » .
وتأمل قوله سبحانه : ((فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكرا))

تجد أن القرآن الكريم لا يرضى بالتسرع فى طلب العلم ، ولا بعدم التريث فى تحمله وتلقيه ، لأن ذلك قد يفوت الكثير على طالب العلم والمعرفة ، ومن أجل هذا يقول سبحانه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم :
((ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه وقل رب زدنى علما)) طه : ١١٤

ويقول له أيضا . ((لاتحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه . فاذا قرأناه فاتبع قرآنه . ثم ان علينا بيانه)) ــ القيامة : ١٦ــ١٩

---

(١) تفسير الكشاف للزمخشرى د ٢ ص ٥٦٥ ــ ٥٦٦ ــ ط : الحلبى سنة ١٩٤٨ م .

(٢) أنظر ما كتبه المفسرون على هذه الآيات ، وأنظر صحيح البخارى وشروحه فى كتاب العلم . قال القرطبى عند تفسيره لقوله تعالى ((قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا)) ما نصه :

((فى هذه الآية دليل على أن المتعلم تبع للعالم وان تفاوتت المراتب ، ولا يظن ان فى تعلم موسى من الخضر ما يدل على أن الخضر كان أفضل منه ، فقد يشذ عن الفاضل ما يعلمه المفضول ، والفضل لمن فضله الله ، فالخضر ان كان وليا فموسى أفضل منه لأنه نبى ، والنبى أفضل من الولى ، وان كان نبيا فموسى فضله بالرسالة)) د ١١ ص ١٧ ط : دار الكتب المصرية .

لغة القرآن الكريم

اللواء الركن : محمود شيت خطاب

- ١ -

أعلن المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد برئاسة (هيرتزل) في مدينة (بازل) السويسرية سنة (١٨٩٧م) أن يهودا يشكلون وحدة دينية عنصرية ، وأنهم شعب واحد ، لهم الحق في تكوين دولة خاصة بهم ، على جزء من فلسطين كخطوة أولى للتوسع ، حتى تشمل دولتهم فلسطين كلها ، ثم تتوسع دولتهم لتشمل في النهاية منطقة اسرائيل الكبرى : من النيل الى الفرات .

ومن المعروف أن مقومات الشعب الواحد في الدولة الواحدة ثلاث : العقيدة الواحدة ، والوطن الواحد ، واللغة الواحدة .

وبدأت الصهيونية العالمية بتنفيذ مقررات مؤتمرهــا الأول بموجب خطط مرسومة وتوقيت دقيق .

واستطاعت الصهيونية العالمية التغلب على التناقضات المذهبيــة بين يهود ، بحجة أن تجمعهم فى مكان واحد ينقذهم من الاضطهاد والتشرد ، وهذا الهدف أهم من الفرقة التى تفرضها تعدد المذاهب ، والتى يمكن التغاضى عنها ولو إلى حين .

واستطاعت الصهيونية العالمية بالخداع والمال والجنس ، وبكل الوسائل الأخرى ، أن تحصل على وعد بلفور سنة (١٩١٧م) وعلى إقرار مشـــروع التقسيم سنة (١٩٤٧) فى هيئة الامم المتحدة ، فأعلنت مولد دولة اسرائيل سنة (١٩٤٨م) ، ووسعت رقعتها قليلا فى حرب (١٩٥٦) ، ثم استولت على كل فلسطين وقطاع غزة وسيناء والهضبة السورية المحتلة سنة (١٩٦٧)

وقد اعانها على تحقيق أهدافها التوسعية الاستيطانية فى الوطن العربى بالاضافة الى وسائلها الخاصة بها ــ الاستعمار القديم ، والاستعمار الحديث، واعانها تفرق العرب ، وضعف المسلمين ، وأعانها قبل كل ذلك ، وبعد كل ذلك ، واكثر من كل ذلك ، نفوس العرب والمسلمين التى دب اليها الوهن ، وابتليت بحب الدنيا ، واستبدلت الذى هو خير بالذى أدنى ، واستمرأت الذل والهوان ، وركزت على مصالحها الذاتية ، وتركت المصالح العامة وراءهــا ظهريا .

ولكن نجاح الصهيونية العالمية فى التغلب على التناقضـــات المذهبيــة مشكوك فيه ، فهذه التناقضات موجودة وستنطلق من عقالها إذا زال خطــر العرب والمسلمين ، ولن يزول أبدا ، وصدق الله العظيم : **« تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى »** .

كما أن التوسع الصهيونى على حساب الوطن العربى لن يدوم ، وأعمار الأمم لا تقاس بالسنين ، والوقت مع العرب على اسرائيل ، ما فى ذلك أدنى شك ، وسيأتى اليوم الذى يندم يهود فيه على تجمعهم فى مكان واحــد فى منطقة واحدة ، واذا خسر العرب الف معركة فان المعركة الأخيرة سيربحونها باذن الله ، اما اسرائيل فانها ستنهار اذا خسرت معركة واحدة ، واسرائيل أول من يعرف هذه الحقيقة .

ولكن الصهيونية العالمية نجحت فى جمع كلمة يهود على لغة واحدة ، هى اللغة العبرية ، فأصبحت هذه اللغة لغتهم القومية ، ولغتهم الرسمية ، ولغتهم الدينية .

قبل انعقاد المؤتمر الصهيونى الأول سنة (١٨٩٧م) كانت اللغة العبرية محصورة فى نطاق رجال الدين اليهودى داخل المعابد الدينية ، وكان يهــود يجهلون هذه اللغة ويعتبرونها لغة ميتة غير صالحة للحياة .

وبعد انعقاد المؤتمر الصهيونى الأول ، بدأت اجهزة الصهيونية العالمية المختصة باللغة العبرية ، تكتب الكتب ، وتؤلف المعجمات ، وتنشىء الصحف والمجلات ، وتوجه الاذاعات ، وتقيم المدارس والمعاهد والجامعات ، لإحياء اللغة العبرية والكتابة بها والتخاطب ، وجعلها اللغة الرسمية للمؤسسات الصهيونية ، كالوكالة اليهودية مثلا . فلما حلت سنة (١٩٤٨م) وأعلن مولد دولة اسرائيل ، اصبحت العبرية لغة الدولة الرسمية ، واصبح لهذه اللغة كتاب وشعراء ومؤلفون وصحف ومجلات ومدارس ومعاهد وجامعات وإذاعات ، وأصبح جميع يهود فلسطين يتقنون هذه اللغة ، كما انتشرت فى الجاليات اليهودية خارج فلسطين ، وأصبح لزاما على كل يهودى يزمع الهجرة الى فلسطين أن يتعلم فى بلده الأصلى هذه اللغة .

هكذا . . . بالعمل الدائب تطبيقا للخطط المرسومة ، استطاعت الصهيونية العالمية خلال إحدى وخمسين سنة (١٨٩٧م — ١٩٤٨م) ، أن تجعل من اللغة العبرية الميتة لغة تدب فيها الحياة ، وأن توسع انتشارها من نطاق رجال الدين اليهودى الى نطاق يهود العالم ، وأن تجعلها لغة رسمية فى اسرائيل ، وهى لا تنفك تطالب الهيئات العالمية أن تكون لغة على النطاق العالمى .

— ٢ —

فى اسرائيل مهاجرون من كل أقطار العالم من البلاد العربية ، والولايات المتحدة الامريكية ، وانكلترا ، وفرنسا ، وايطاليا ، والاتحاد السوفياتى ، والمانيا ، والنمسا ، ويوغسلافيا ، وإسبانيا .

وقد قدم المهاجرون الأولون قبل عام (١٨٩٧م) وبعدها ، وهم لا يعرفون كلمة واحدة من اللغة العبرية ، وكانوا يتكلمون لغة بلادهم : الانكليزية ، والفرنسية ، والايطالية ، والعربية ، والروسية ، والألمانية ، والاسبانية ، واليوغسلافية .. الخ .

وكان على كل مهاجر أن يتعلم اللغة العبرية ويبدأ بتعلمها فور وصوله الى فلسطين فى مدارس ومعاهد وجامعات خاصة وفى المدارس والمعاهد والجامعات العامة أيضا .

وكانت الوكالة اليهودية قبل عام (١٩٤٨م) مسئولة عن شئون المهاجرين القدامى والجدد ، وكانت تعتبر الحكومة غير الرسمية ليهود فلسطين فى أيام الاحتلال البريطانى ، فحرصت على جعل اللغة العبرية لغة رسمية ، وأجبرت حكومة الانتداب على الاعتراف بها لغة رسمية ليهود فلسطين .

كان على اليهودى فى فلسطين ، الذى يحتاج الى عون الوكالة اليهودية أو يريد أن تعاونه على حل مشاكله المادية أو المعنوية أن يتقدم بمذكرة الى الوكالة باللغة العبرية ، وكانت الوكالة ترفض كل مذكرة مكتوبة باللغة

الانكليزية ، او لغــات المهاجرين ، حتى ولو كان المهاجر لا يحسن العبرية ، وحينذاك كان عليه ان يلجــأ الى شخص يحسن العبرية لكتابة مذكرته ، وإلا كان نصيبها الاهمال .

وبدات الوكالة اليهودية بعد سنة (١٩١٨م) حين أصبحت فلســطين تحت سيطرة بريطانيا ، تستورد المطــابع العبرية ، وتصدر الكتب المجــلات والصحف بالعبرية ، وتجرى المسابقات بين المؤلفين والكتاب للتأليف والكتابة بالعبرية ، وتقدم الجوائز المجزية للمجيدين فى التأليف والكتابة شعرا ونثرا .

كانت الجوائز محلية ، وكانت الوكالة اليهودية فى فلسطين وفروعها فى خارج فلسطين هى التى تتبنى هــذه الجوائز وتحث غيرهــا من المؤسسات الصهيونية فى أرجــاء العالم على تبنيها وتقديمها للمجيدين فى العبرية ، بل ذهبت اسرائيل الى مدى أبعد من ذلك ، فتطلعت الى الجوائز العالمية كجائزة (نوبل) وبذلت كل جهودها لفوز أدبائها الذين كان لهم أثر فى احياء العبرية بها ، وقد استطاعت ان تحمل المسئولين عن هذه الجائزة العالمية على تقديمها الى اديب من ادبائها ، وصاحب تقديم هذه الجائزة لهذا الاديب دعاية للغة العبرية دليلا على فعاليتها ورسوخ قدمها .

ولعل الأديب الذى استلم هذه الجائزة ، والذين قدموهــا له ، والذين طبلوا وزمروا بمناسبة تقديمها من يهود ومأجورين ليهود والصهيونية العالمية واسرائيل ، أول من يعلم أن منح هذه الجائزة لهذا الأديب اليهودى مهزلة من المهازل ، ودليل صارخ على أن هذه الجائزة وغيرها من الجوائز تقدم خضوعا لمراكز النفوذ لا الى العدل المطلق ، ولكن بالرغــم من ذلك استفادت العبرية دعائيا ، واعتبر يهود واذنابهم تقديمها شهادة ببعث العبرية بعد موت طويل .

واذا كان بلفور قد أصدر وعده لانشاء الوطن القومى الصهيونى ســنة (١٩١٧م) ، ووعد بلفور وثيقة سياسة ظالمة .

واذا كانت هيئة الأمم المتحدة قد اصدرت وثيقة التقسيم لإنشــاء دولة اسرائيل فى قلب الوطن العربى سنة (١٩٤٧م) وهذه الوثيقة السياســـية ظالمة أيضا ، لأن الأمير وهب ما لا يملك كما يقول المثل العربى الشهير .

فان جائزة « نوبل » التى منحت فى أواخر سنة (١٩٦٦م) لكاتب صهيونى متعصب وثيقة ادبية ظالمة لا تقل خطرا عن الوثيقتين السياسيتين الظالمتين ، وهى تعتبر بمثابة وثيقة بلفور ووثيقة تقسيم أدبية .

ان كل ما كتبه هذا الكاتب اليهودى لا يخرج عن النطــاق الدينى أولا ، والدعوة الى التوسع ثانيا ، واحتقار الشعوب الأخرى ثالثا واخيرا ، وانتاجه لا يمكن أن يعد أدبا عالميا يستحق عليه جائزة نوبل ، فى رواياته جميعــا ، يجتمع الأبطال ليتحدثوا أو يمارسوا التقاليد الدينية اليهودية ، ويتذكروا أبطال العهد القديم .

ويندر أن ترد فى أية قصة من قصصه كلمة : (الله) دون أن يضع وراءها : « سبحانه وتبارك » أو اسم نبى يهودى دون أن يضع وراءه : « رضى الله عنه » ، أو اسم ميت دون أن يتبعه بـ : « رحمه الله وأسكنه فسيح جناته » .

وفى إحدى رواياته تقف بطلته المفضلة (تاهيلا) لتعلن : « اننى أدعو الله أن يأتى اليوم الذى تتوسع فيه حدود أورشليم حتى تصل الى دمشق . وفى كل الاتجاهات » .

وهو يكرر — هذه الدعوة (التوسعية) فى كل مكان من مؤلفاته . دون أن ينسى وضعها تحت رداء الدين . ففى روايته : (فى قلب البحر) . يضع مدينتى صور وصيدا ضمن نطاق دولة اسرائيل التى يطمح اليها . وهو يصور العرب بتصاوير بشعة ، وبأنهم شعب ميئوس منه . فى درك الانحطاط .
ولا يكتفى بذلك بل يشوه تعاليم الدين الاسلامى عمدا .

وقد سوغت لجنة منح جوائز « نوبل » تقديم هذه الجائزة لهذا الكاتب الصهيونى المتعصب بقولها : « ان كتاباته تمثل رسالة اسرائيل الى عصرنا . وتكافح كفاحا رائعا من أجل تقديم التراث الثقافى للشعب اليهودى عن طريق الكلمة المكتوبة » وأفردت اللجنة تقديرا خاصا للكاتب الصهيونى الفائز بسبب « فنه القصصى المتميز بعمق استحياء موضوعات من حياة الشعب اليهودى » .

ان لجنة جوائز « نوبل » قد باركت الرسالة الاسرائيلية . كما عبر عنها الكاتب اليهودى الفائز .

- ٣ -

هكذا بكل إصرار يدافع الصهاينة عن باطلهم . احياء للغتهم العبرية .

فلماذا نتراخى عربا ومسلمين عن الدفاع عن حقنا فى الحفاظ على لغة القـرآن ؟

وما هى حجج دعاة العامية . وما الأدلة على بطلانها ؟
هل هذه الحجج لمصلحة العرب والمسلمين ، أم لمصلحة اسرائيل وأعداء العرب والمسلمين ؟



نشر السنة

واجب ديني وإصلاح خلقي واجتماعي

فى لقـــاء لمجلة منبر الاسلام القاهرية مع الدكتور عبد الحليم محمود وزير الأوقاف وشئون الأزهر دار الحديث فيه حول السنة النبـوية ومكانتها ودورهـا التشريعى والاصــلاحى قال فضـيلته :

ان السنة دعـوة بالحسنى الى الرقى الاخلاقى الذى تجـرى وراءه الانسانية المهذبة .

انها دعوة الى التاجر أن يكـون صدوقا فيحشر مع النبيين والصديقين والشهداء .. والى العامل أن يتقن عمله **(ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه)** والى الصانع أن يؤدى العمل كما يجب حيث أخذ الاجر ، ومن أخذ الاجر حاسـبه الله على العمل .

وهى دعوة الى الأب باعتباره أبا، والى الأم فى وضع أمومتها ، والى الأخ فى مهمة أخوته ، والى غيرهم من أفراد المجتمع ، أن يرعى كل منهم ما وكل اليه من أمر رعيته ، لانـه مسئول عن رعيته يقول صلى الله عليه وسلم : **« كلـكم راع وكلـكم مسئول عن رعيته ، فالامام راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيتـه ، والمراة راعية فى بيت زوجهـا وهى مسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده وهو مسئول عن رعيته**

والرجل راع فى مال أبيه وهومسئول عن رعيته ، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .

وهى دعــوة للناس الى الامانة حيث أنه لا ايمان لمن لا أمانة له، والى الصدق ، وان الرجل ليصـــدق حتى يكتب عند الله صديقا ، يقول صلى الله عليه وسلم : **« عليكم بالصدق، فان الصدق يهدى الى البر وان البر يهدى الى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، واياكم والكذب ، فان الكذب يهدى الى الفجور ، وان الفجور يهدى الى النار ، وما يــزال الرجل يكذب ويتحرى الكــذب حتى يكتب عند الله كذابا »** . وهى دعوة الى الرحمة . الرحمة العامـــــة الشاملة .. وصلوات الله وسلامه على من قال : **«انما أنا رحمة مهداة»** ومن قال : **« ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء »** ومن قال : **« من لا يرحم الناس لا يرحمه الله »**.

وخذ أى خلق كريم تتمنى أن يسير عليه المجتمع فسترى فى السنة دعوة اليه بوسيلة وبأخرى وبثالثة .. خذ مثلا ترابط المجتمع وتضامنه فستجد قوله صلى الله عليه وسلم :

« مثل القائم فى حدود اللهوالواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فصار بعضهم أعلاها ، وبعضهــم أسفلها ، فكان الذين فى اسفلها اذا ما استقوا من الماء مـــروا على من فوقهم : فقالوا : لو انا خـــرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وان أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا » .

وقوله صلى الله عليــه وسلم : **« ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى الا كان له منأمته حواريون واصحاب يأخذون بسنته ، ويقتدون بأمره ، ثم انه تخلف من بعدهم خــــلوف يقولون مالا يفعلون ، ويفعلون مالا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهــو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهــو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهـــو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل »** .

وهى فىهذه الدعوة تنبه دائما الى دور الامة الاسلامية فى الاخـــلاق العالية .. ان دورها انما هو دور الرائدة الراعية ، وعلى الرائـــد دائما أن يكون المثـــل الاعلى ، والاسوة الكريمة ،والقدوة الصالحة.

ورسول الله صلى الله عليهوسلم يقول : **« انما بعثت لأتمم صــالح الاخلاق »** وفى رواية اخرى : **« انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق »** .

وسئل صلى الله عليه وسلم عن اكثر ما يدخل الناس الجنة ، فقال: **« تقــوى الله وحسن الخلق »** .

ومن قوله المعبر صلوات اللهوسلامه عليه : **« ان من احبكم الى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة احاســنكم أخلاقا »** .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم الصورة الحية الناطقــة التى طبقت ــ كمبادىء انســانية ممكنة ــ الخلق الذى رسمه الله واحبه للانسانية جمعاء والذى عبرت عنه السنة أجمل تعبير وابلغه .

لقد سئلت السيدة عائشة رضى الله عنها ــ كيف كان خلق رســول الله ــ صلى الله عليه وسلم ؟ .. **قالت ، كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن .. ثم قالت: اتقرا سورة المؤمنون اقرأ : (قــد أفلح المؤمنون ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغــو معرضون ، والذين هم للزكـــاة**

فاعلون،والذين‌هم لفروجهم‌حافظون . الا على أزواجكم أو ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون ، والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون ، اولئك هم الوارثون ،الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) . قالت : هكذا كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن اجل هذا التقدير الكريم للسنة الشريفة ، كان العلماء المستنيرون فى كل عصر يجاهدون من اجلها ومن اجل مكارم الاخلاق التى تعبر عنها . وكان هؤلاء العلماء علماء السنة يعرفون بسيماهم . فقد كانوا من الزهد فى حطام الدنيابحيث لا ينازعون الناس فى دنياهم .

لقد كانوا مشغولين عن جمع المال بخدمة الدين ، وكانوا مشغولين عن الجاه بغرس الخلق الصالح الكريم ، وكانوا مشغولين عن السلطان بمن بيده السلطان يؤتيه من يشاء ، وينزعه ممن يشاء : **((قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شىء قدير ، تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب)) .**

وكانوا صادقين ، ، لقد كان الصدق ديدنهم‌وفطرتهم مهما نالهم‌فى سبيله من اذى وكانوا صابرين على الحياة ، وصابرين على العمل .

لقد اقاموا نهارهم وأسهروا ليلهم عملا على مرضاة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

والمثل الذى نحب أن نسوقه — كصورة لهؤلاء القوم — هو الامام احمد بن حنبل رضى الله عنه ، انه المحدث الذى حاول ان يكون صورة صادقة لما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الزاوية الاخلاقية .

وسيرة الامام — رضوان الله عليه — مثل أعلى فى التمسك بما يراه حقا ، وفى الصبر على ما يناله فى سبيل التمسك بالحق .

على أن كل من تشبع بالسنة حقا انما هو صورة — قريبة بقدر المستطاع — من الامام احمد .

ولقد كان الامام البخارى وغيره ممن اشربت نفوسهم حب السنة أمثلة كريمة للخلق الكريم .

ومن الامثلة التى يجهلها الناس عادة وهى مثال رائع لخلق المحدثين مثال الامام سفيان الثورى .

يقول صاحب كتاب (نتائج الافكار القدسية) عنه : كان عالم هذه الامة وعابدها وزاهدها ،وكان لايعلم احدا العلم حتى يتعلم الادب ، ولو فى عشرين سنة ، وكان يقول :

اذا فسد العلماء فمن بقى فى الدنيا يصلحهم ؟ .. ثم ينشد :

يا معشر العلماء يا ملح البلد
ما يصلح الملح اذا الملح فسد

وكان سفيان المذكور ، كما حكى عنه فى الطبقات الصغرى ، اذا جلس للعلم واعجبه منطقه ، يقطع الكلام ويقوم ويقول : « اخذنا ونحن لا نشعر » .. وكان يملى الحديث ويقول : « والله لو رآنى عمر بن الخطاب لضربنى بالدرة واقامنى وقال : مثلك لا يصلح للحديث »وكان يقول للناس اذا طلبوا منه الحديث: « والله ما ارى نفسى اهلا لاملاء الحديث ، ولا أنتم اهلا ان تسمعوه، وما مثلى ومثلكم الا كما قال القائل (افتضحوا فاصطلحوا) . وكان قد امتنع من الجلوس للعلم ، فقيل له

فى ذلك فقال : « والله لــو علمت انهم يريدون بالعلم وجه الله لاتيتهم فى بيوتهم وعلمتهم . ولكن انمــــا يريدون به المباهاة وقولهم حــدثنا سفيان » .

لقد وقفت طويلا عند قوله : « اذا جلس للعلم وأعجبه منطقه يقطــع الكلام ويقوم ويقول : « أخذنا ونحن لا نشعر » .

لقد أخذت أتأمل فى هذه الحادثة التى تعبر عن محاولة مخلصــــــة للابتعاد عن الفخر والعجب ، وذلك من أجل اخلاص النفس فى حركاتها وأفعالها وأقوالها لله وحده .

ان الناس عادة يباهون بمنطقهم القوى ، وبأقوالهم الحسنة ، وبتعلق الناس بهم ، ويحبون المدح والثناء .

أما سفيان فانه حينما كان يجلس للدرس فتتعلق الآذان بمنطقــــــه الرائع ، وتتعلق القلوب بمعانيــــــه النفيسة ، وتمتد اليه الاعين لا تريد أن تفوتها حركة من حركاته ،ويسكت الناس وكأن على رؤوسهم الطير . فيجد سفيان أحيانا لكل ذلك أثــرا من الارتياح فى نفســـــه ، يعتريه مباشرة الخوف من أن يكون ذلــك اعجابا أو فخرا أو كبرياء ، فيستغفر الله : ويطوى أوراقه ، ويقول كلمته: (أخذنا ونحن لا نشعر) .

والامثلة للخلق الكريم هــدف — دائما — لسهام العصابات الاثيمــة التى استهواها الشيطان فى قليل أو فى كثير ، انه النزاع الدائم بين الفضيلة وأصحابها وبين الممثلـين لنزعات الهوى والضلال .. ولولا وجود هذه المثل العليا لمكارم الاخلاق فى كل عصر ، لفقدت الانسانية الثقة بنفسها . ولما اطمأن انسان لانسان. ولما وثق شخص بآخر .

لقـــد ربت السنة رجــالا . وخصائصها التى ربت بها الرجــال موجودة فيها لانها من طبيعتها ومن ذاتها . لقد شـــــــهدت الانسانية واعترفت بسمو هــؤلاء الرجال . وأولتهم ثقتها وتقديرها .

ان الامام أحمد بن حنبل . وان الامام البخارى ، وان أمير المؤمنين فى الحديث الامام سفيان الثــورى وأمثال هؤلاء — رضى الله عنهم — منارات يهتــدى بها عشاق المثــل العليا الاخلاقية .

لا بد — اذن — من العمل على نشر السنة واذاعتها ، ومحــاولة الاكثار من النفوس التى تتشربهــا وتحققها وتتمثلها وتجعلها كيــــان حياتها .

لا بد من نشرها وطنية . ولا بد من نشرها دينيا .

ولا بد من نشرها انســــــانية لانها تعبرعن أرقى مستوى انسانى. ولا بد من نشرها ذوقا أدبيا .

ولا بد من نشرها للثروة اللغوية .

ومن أجل ذلك كله شرعنا بتوفيق الله تعالى فى انشاء كلية للسنة . مبتدئين فى ذلك بالنواة الاولى لهــا وهى (القسم العالى للسنة) الذى يتبع مؤقتا كلية أصول الدين .

* * *

وان أول هذه الكتب وأجــدرها بالعناية وبتكرار القراءة هو صحيح البخارى ، ورضى الله عن مؤلفه .. وصحيح البخارى يفيد فى :

١ — اللغة ، فهو ثروة لغــوية هائلة . والامام البخارى يفسر فى كثير من الاحيان بعض الالفاظ ، ومنها ألفاظ القرآن الكريم .

٢ — الاسلوب ، انه أعلى أسلوب بشرى فهو أسلوب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الذى أوتى الفصاحة والبلاغة وجوامع الكلم .

٣ — أحكام الدين : ان الامــام البخارى — رضى الله عنه — رتبه

على أبواب الفقه ، وفى كل حديث منه توجيه او شرح لزاوية من زوايا الدين .

٤ ـ الاخلاق فى ذروتها وقمتها : والله سبحانه وتعالى يقـــول عن صاحبها : (وانك لعلى خلق عظيم) .

٥ ـ وقراءته تفيد كثيرا فى فهم القرآن ، بل يمكنك أن تقول انهـا كلها فوائد فى فهم القرآن ، انهـا تفيد فى ناحية اللغة ، وتفيد من ناحية العمق فى فهم الاسلوب ، وتفيـد كثيرا من ناحية ما تذكره عن أسباب نزول الايات ، وتفيد فى فهم القرآن حينما تتحدث بطـــريقة مباشرة عن تفسير القرآن الكريم .

٦ ـ ولقد سئلت مرة عن أحسن سيرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : صحيح البخـــارى وصحيح مســـلم وكل الاحـــاديث الصحيحة .. وذلك أن سيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تبدو أوضح ما تكون وأدق ما تكون فى الاحاديث الصحيحة ، وكل حـــديث منها هو سيرة ، سواء تعلق بالاخلاق أو بالغـــزوات أو بالعبـــادات أو بالتشريـــع .

وهى تفيد فى تصوير البيئة والجو الذى كان يعيش فيه رسول اللهصلى الله عليه وسلم ، وتفيد فى بيـــان مدى التغيير والتبديل الذى أحـــدثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيئته عن طريق الوحى .

٧ ـ وقراءته عبادة ، وذلك أنـــه تعلم لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتفقه فى أحـــكام الدين : ووسيلة للتخلق بأخلاق من قال فيه الامام البوصيرى :

ومنتهى القول فيـــه أنه بشر
وانـــه خير خلق الله كلهـــم

والامر كذلك فيما يتعلق بصحيح الامام مسلم .

واذا كان صحيح الامام البخارى أصح كتاب بعد القرآن الكريم ، فان صحيح الامام مسلم لا يكاد يقل عن هذه المرتبة ، وكلاهما من الكتـب المباركة .. والفوائد التى تترتب على القراءة فى كتاب البخارى هى الفوائد التى تترتب على القراءة فى صـــحيح الامام مسلم ، وهى الفوائـــد التى تترتب على قراءة الموطأ للامام مالك رضى الله عنه .

واذا كان موطأ الامام مالك هـــو أولا وبالذات كتاب فقه ، فانه يستند فى آرائه الى الاحاديث الشريفـــة ، ويرتبها بحسب الباب الذى يتحدث فيه وبحسب فصول الباب .. انـــه كتاب (فقه) فى الصورة المثاليـــة للفقه ، وهو كتاب (حديث) مـــن أوثق كتب الحديث ، وهو يشترك مع الصحيحين فى أنه يصور الســـيرة النبوية بالمعنى العام للسيرة .

وان من الكتب المباركة التى يجب أن تكون عند كل مسلم ، كتاب رياض الصالحين .. ولقد تحرى الامـــام النووى أن لا يدخل فيه الا الصحيح والحسن من الاحاديث ، وهو كتاب يصف الاخلاق الاسلامية فى مكارمها وفى سموها .

وبعد : فان السنة النبوية الشريفة هى تصوير لاكرم الخلق على الله ، انها صورة لمن جعله الله أسوة حسنة : فقراءتها وتدارسها وتدريســـها انما هو وسيلة لاتباعه صلى الله عليه وسلم ، وفى ذلك اتباع للخير ونشر له . وصلوات الله وسلامه على من كان خلقه القرآن .



حق الله وحق العباد

للدكتور على عبد المنعم عبد الحميد

عن معاذ رضى الله عنه قال : كنت ردف النبى صلى الله عليه وسلم على حمار يقال له عفير(١) فقال يا معاذ : هل تدرى حق الله على عباده ، وحق العباد على الله ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : فان حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا ، قلت يا رسول الله : أفلا أبشر به الناس ؟ قال : لا تبشرهم فيتكلوا ..

(رواه الامام البخارى)

١ ــ من تعمق فى دراسة المجتمع الانسانى ، وغاص فى بحاره ، وادرك مخبأته ، وشاهد اختلاف المشارب والمآرب ، وتباين الاهداف وتنوع الغايات ، خرج بنتيجة ملزمة، هى الايمان بوجود الله تعالى ، وثبت له بما لا يقبل الجدل ، ان هذا الاله لا شريك له ، فهو المتوحد فى ربوبيته المتفرد فى عظمته . المخصوص بالعبادة ، سبحانه ابتدأ من لا شيء كل ما أنشأ ، فالآيات الواضحة والحجج الظاهرة ، تشهد له بالعزة والقدرة ، والعظمة والجبروت ، هو الأول بلا أبد يحصى، والباقى بلا أمد يفنى ، عالم بخفيات الامور ، وخطرات القلوب **((لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء))** . قال جل شأنه : **((ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ، ولا خمسة الا هو سادسهم، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أين ما كانوا ..))** ويقول جلا وعلا : **((وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين))** محيى من حى ومهلك من هلك ، لا يغلبه

غالب ، ولا يند عن سلطانه كائن ، هو العالى فى مشيئته ، والقاهر فى عباده ، المنزه عن مشابهة خلقه كما قال : ((**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**)) خلق الانسان بقدرته وهداه النجدين برحمته ، وأوضح له السبيل الى معرفته : ((**الذى أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون**)) ثم خاطب فى الانسان عقله ، ودعاه الى التبصر فيما حوله ، وأرشده الى معالم ربوبيته ، فقال فى محكم تنزيله : ((**يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيى الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ، ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون**)) ثم أمتن على عبده بالزوجة الصالحة الوفية المؤمنة بربها الراكنة الى مولاها فقال تعالى : ((**ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون**)) ثم دله على مظاهر قدرته فى ابداع السموات والارض ، واختلاف الليل والنهار ، وتباين الالسنة والالوان ، وما ذلك بمستكن عنا ، ولا بعيد عن متناول حواسنا فقال تسامت عظمته : ((**ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان فى ذلك لآيات للعالمين**)) .

واشار سبحانه الى انه وحده الحافظ لعباده حين يتوفاهم بالنوم ، ومنحيهم عن الهلاك على يد هوام الارض ، ودوابها ، والرازق لهم دون سواه ، حين ينتشرون فى فجاج الارض كادحين باحثين عن أقواتهم : ((**ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون**)) وما الظواهر الكونية والتقلبات الطبيعية الا برهان لنا على عظمته ، ودليل على ضعف الانسان ووهنه : ((**ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا ، وينزل من السماء ماء فيحيى به الارض بعد موتها ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون**)) وها هو ذا سبحانه أبدع السماء ورفعها وبسط الارض ودحاها ، وأمسكهما بقدرته أن تزولا ، ولم يشركه أحد فيها فلم تفسدا ، فبأمره وحده يتم كل شيء ، فاذا دعا الموتى الى النشور بادروا ولم يستطيعوا عن ذلك حولا : ((**ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون**)) يدين له بالطاعة والعبادة من وما فى السموات والارض : ((**وله من السموات والارض كل له قانتون**)) .

دعا عباده الى الاستدلال على وجوده وهيمنته بما بطن لهم من أمور الحياة وما ظهر ، وما أراهم من بديع حكمته ، وجميل صنعته ، وضعفهم أمام قهره وغلبته ، وساءلهم : ما الذى غركم بربكم حتى تنكصوا عن طاعته : ((**يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم ، الذى خلقك فسواك فعدلك ، فى أى صورة ما شاء ركبك**)) ألا تتفكر فى خلق السماء ورفعها بغير عمد ترى ، وما يسبح فى الفلك من شمس وقمر ، ونجوم مسخرات بأمره ، لا يستقيم أمر العالم الا بها ، فهى تعلمك سير الازمنة التى فيها صلاح الحرث والنسل ، واحياء الارض ، وتعاور الليل والنهار : ((**وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا**)) .. ((**والشمس تجرى لمستقر لها ذلك**

تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون » . ثم هذه الجبـــال التى جعلها للارض أوتادا . وأرساها على نظام بديع . وتلك الانهار التى اجراها لنحيا بمائها . والبحار التى تستخرج منها طعامك وزينتك . قال تعالى :

« وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحمـــــــا طريا وتستخرجون حلية تلبســونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » .

٢ ــ لقد وصل العلم أو قارب ذروته ، وبرز الى العيان فى عصرنا ما كان يعد الحديث فيه أو عنه ضربا من الخيال أو الخبال . فرأينا العجب العجـــاب الآخذ بالالباب من مذياع وتلفاز وشاهدنا الذرة وكيف تبيد أمما فى لحظات وتفنى ممالك فى طرفة عين . والكهرباء . وكيف تشفى العلل وتنير الدجنات . وتسير ما دق وما عظم من آلات . ثم كيف تنقلب ماردا مهلـــكا فتقتل الأنفس وتهلك الحرث والنسل . كل هذا تعرف عليه وافد من وادى عبقر . ولكن أى عبقرى أو صاحب جاه أو سلطان يستطيع أن يصد عن نفسه عاديات الأيام ، أو يؤخر ميقات رحيله اذا واتاه القدر المحتوم . كلا فالله تبارك وتعـــالى يقول وهو الصادق القادر : **« اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ســـــاعة ولا يستقدمون »** . . وهل استطاع أو يستطيع عالم أن يوقف حركة الليل والنهار ، أو يطمس معالم البحار . أو يحصى نجوم الســـــماء ورمال الصحراء ، أو هل يستطيع واحد من هؤلاء أن يرد على تحدى ابراهيم عليه السلام : **« ان الله يأتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب »** أو هل فى امكان أحد أن يقطع صلته برب كل شىء فلا يتضرع اليه اذا اصابته البأساء . أو مسه ضر . أو لاحقته البلواء ؟ لا وربى : انما يتصـــــاغر الانسان ويضعف ويهن وتخور قواه، عند الملمات . ويبطر ويتـــكبر ، اذا أنعم الله عليه . وقد ضرب الله تبارك وتعـــالى المثل لحـــالىّ ابن آدم فى استكانته وضعفه . وتعاليه وتجبره .

فقـــــال عز من قائل : **« هو الذى يســـيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها ، جاءتها ريح عاصـــف وجاءهم الموج من كل مكان وظنـــوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين . فلما أنجـــاهم اذا هم يبغون فى الارض بغير الحق .. »** الآية . والعجب لابن آدم أن يظن عند نجاته من المآزق أنه سلم مدى الحياة . ولم يدرك أن الحياة حائلة متقلبة لا تدوم على حال . وأن نهايتها حتمية . وأن مردنا الى الله العـــليم الخبير : **« يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ، ثم الينـــا مرجعكم ، فننبئكم بما كنتم تعملون »** .

٣ ــ اذا كان الانسان بهذه المثابة من الضعف أمام أعاصير الحيـــاة ، وأن ملاذه الوحيـــد هو عون الله وحده ، فلمـــــاذا يشرك به غيره ، وينكص على عقبيه متباعدا عن هديه ونوره ، ويتبع غير سبيل المؤمنين ، ان المؤمن الصادق الموقن بربه عن دليل ــ وفى كل شىء آية تدل على

انه الواحد ــ لا يزعزع ايمانه شيء مهما عظم ، فهو يوقن أن عظمة مولاه فوق كل عظمة وجاهه دونه كل جاه وعطاؤه يتضاءل أمامه كل عطاء ، وهل يستوى خالق ومخلوق ، حاشا وكلا .. المؤمن الصادق يقاوم الشرك فى نفسه وبين قومه ولو كلفه ذلك

روحه ما دام يقيم بذلك حقا ويبيد باطلا ، وكيف يتراخى عن نصرة حدود الله تبارك وتعالى من يدرك أن لكل اجل كتابا وأن أشرف حالة لفراق

الدنيا هى ما كانت فى سبيل الله ، ولله وحده ، على أن ما يراد منا لا يكلفنا ذلك أبدا ، ولا يصل بنا الى تلك الحالة مهما كان ، فما يطلب من

المسلمين الآن الا أن يرجعوا الى ربهم ، ويستجيبوا لبارئهم ، ويقيموا حدوده كما يجب أن تكون ، المطلوب

أن يحاسب كل مسلم نفسه التى بين جنبيه عما اجترحت من السيئات فى جنب الله ، وليعلم علم اليقين أن الله تعالى يقول وهو أصدق القائلين :

« ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد » وحبل الوريد عرق فى العنق اذا قطع مات صاحبه ، وأن

يدركوا سمة المجتمع الاسلامى فيرسوا قواعد مجتمعاتهم على أسس اسلامية قويمة كما أمر الله تبارك

وتعالى : **« الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر »**

فلا يدعوا منكرا فاشيا فيهم الا عملوا على ازالته ، ولا فضيلة محمودة الا تمسكوا بها ، حتى يغير الله أحوالهم الى أحسن مما هم عليه : **« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »** يجب أن تكون أيامنا هذه حدا فاصلا بين عهدين ، عهد العمى عن الحق والغواية والضلال ، وعهد الهدى والنور وأن نسمع القول فنتبع أحسنه ، وأن نتخذ ما نتعلم وسيلة للعمل حتى يكون حجة لنا لا علينا وأن نسعى جاهدين ليحتل كتاب الله مكانته فى التشريع والقضاء وفض الخصومات بين شعوب الارض جميعا ، بعد أن نبرهن على صلاحيته

لهذه المهمة بتطبيقه على واقعنا أولا وقبل كل شيء ، وكيف ندعى الاسلام ولا نحتكم الى كتاب الله والله تبارك وتعالى يقول : **« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما »** ..

٤ ــ تلك معان تداعت الى النفس ان شئت أو الى القلب ان أردت حين وجدتنى بعيدا عن أحباب كنت ألتقى بهم صباح مساء فأجد فى لقائهم برد الايمان وراحة اليقين ، وكنت كلما حزبنى أمر ــ وما أكثر ملمات الحياة ــ أفزع الى رأى شقيقى روح فأجد العزاء وأنس الروح ، فأعود راضيا ،

وانقلب أشد ايمانا بالأخوة فى الله كما رسم سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما دعيت ــ وتنفيذا للمقدر أجبت ، ومن كتبت عليه خطى مشاها ــ جلت فى المدينة

الغربية (بالغين المعجمة) حيث أقيم الآن وحيدا على ضفاف النهر الذى يخترقها منذ آلاف السنين حاملا بين جنباته الرى والخير وعلى ظهره ظلمات نفوس ماجنة عابثة ، ينوء

بحملها ويود أن لو انقلبت طعاما لاسماكه ، وجدتنى باحثا عن الانسان الذى فقه وجوده ، وعرف سر مجيئه

من عالم الغيب . الانسان الذى يحترم انسانيته ويضعها فى المكان المراد لها بين الكائنات المحيطة به . فلم أعثر له على أثر فى هذه الجموع الصاخبة المتلاطمة كأمواج بحر هائج . أفزعته

ريح صرصر عاتيـــــة . فأخذ يضرب نفسه بنفسه يمينا وشـــــمالا طالبا النجاة ولكن هيهات . وجلست متأملا تلك الطبيعة الناضرة والوجوه التى تبدو كئيبةرغم ملاحتها خلقة، وتذكرت — وما كنت ناسيا — أن الله يريد

بعباده اليسر ولا يريد بهم العسر . وأضاء أمامى الحديث الشريف الذى جعلته عنوان البحث حيث وجدت فيه رحمة الله بعباده . ولــكنها رحمة مشروطة . ولكل شىء ثمن وغاية . فالعباد بخير ما لم يشركوا بالله شيئا ولكن أنى يتحقق للانسان المعـــاصر الذى أرى هــــذا الشرط وقد قامت مجتمعاته على أسس إلحادية فكفرت بالمثل . وعصت الرسل . ونسيت

حقوق رب العالمين الذى تبدو آثار قدرته ودلائل وجوده وقيوميته فى كل شىء بدا أو اختفى .. فانطمست المعـــــالم الخيرة فى تلك الأنفس . وتحولت حيوانات من نوع تشمئز منه العجماوات نوع لم يوضع له تعريف فلا هو بالانسان ولا هو بالأعجم .

وعجبا وأى عجب لفلاسفة ناسبوا زمانهم فجعلوا الخروج عن الحقائق المسلمة فلسفة . وأنشأوا لها كراسى فى جامعاتهم تتولى تقديمها ثقـــافة للناشئة المنكوبة فيهم وفى نفسها . والويل للانسانية ان لم يتداركهـــــا لطف الله . وبأى شكل يكون ؟ علم ذلك عند علام الغيوب . ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم . ولئن كانت فى الاجل بقية فستكون للقلم جولة أخرى فى هذا الميدان . ميدان

المجتمع المعـــــاصر وفلاســــفته البوهميين . والسلام على من اتبع الهدى .



---

(١) عفير : تصغير أعفر ، كما ورد فىتصغير أسود ســـويد ، والعفرة : حمرة يخالطها بياض ، وورد أن عفير : حمار أهداه المقوقس الى رسول الله صـــلى الله عليه وسلم ، وأن هناك آخر يقال له : يعفور أهداه فروة بن عمرو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .



ذاكرة

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ: ما أرى ذاكرة الشعوب الا كهذه اللوحات السود التى توضع للطلاب والتلاميذ فى غرفات الدرس وحجراته يثبت عليها هذا الاستاذ ما يمحوه ذاك ، وهى قابلة للمحو والاثبات ، لا تستبقى شيئا ولا تمتنع على شىء.

قال الاستاذ الشيخ لتلميذه الفتى: هذا حق ، ولكن وراء هذه اللوحات السود فى ضمائر الشعوب ، لوحات أخرى ناصعة تحفظ مايسجل التاريخ من أعمال الناس . ومن وراء هذه وتلك كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ، ثم يسأل أصحابها عنها يوم لا تنفع خلة ولا شفاعة .فأضعف الناس عقلا وأوهنهم عزما وأكلهم حدا هو الذى لا يحفل الا باللوحات السود . والرجل الماهر الاثر ذو القلب الذكى والبصيرة النافذة ، هو الذى يحفل بما وراءها من هذه اللوحات الناصعة التى يكتب فيها التاريخ . والرجل كل الرجل هو الذى يمتاز بالضمير الحى والقلب النقى والنفس الزكية ، فلا يحفل بهذه ولا تلك ، وانما يحفل بهذا الكتاب الذى تحصى الحفظة فيه على الناس أعمالهم ، لتعرض عليهم بين يدى اله فى يوم مقداره خمسون ألف سنة مما تعدون .

طه حسين

الأدب المكشوف

مليون نسخة فى مدينة القاهرة وحدها من كتب الاسرار الجنسية . هكذا تقول الصحف .. وهى حالة يتعلم منها الكبار ما ينبغى لهم أن يتعلموه من حقائق هذه الاسرار .

وأول ما يتعلمونه من دروسها أنهم يخطئون حين يظنون أن الاقبال على الكتب الجنسية نتيجة من نتائج الكبت والحجر على علاقات الفتيان والفتيات فان مثل هذا العدد من الكتب لم ينتشر فى مدينة القاهرة أيام البراقع والستائر والمقاصير والخصيان مع حساب الفارق فى عدد القارئين والقارئات .

ومن دروس هذه الحالة للكبار قبل الصغار أن الادب الذى يسمونه بالادب المكشوف ليس بالنهضة التقدمية التى نستحث لها خطوات الابناء والفتيات وانما هو عارض من عوارض الضعف التى تنم على الحاجة الى التربية والرياضة الخلقية وتدل على أن الشباب مفتقر الى ضبط الارادة فى هذه الفتنة ، وليس بالمفتقر الى اطلاق الارادة لاستباحة ما يباح والا يباح .

العقاد

حكم المسكرات في الإسلام

حقيقة الخمر وحكمة تحريمها

د. محمد سلام مدكور

من الجلى الواضح لمن مارس هذا الدين ممارسة فاحصة ، وتأمل فى أحكامه وتشريعاته ، أنه يجده يتجه الى ربط الاحكام بما يصلح العباد . فيدعو اليه بما فيه من مصلحة لهم فى نفوسهم ، أو مجتمعاتهم ، أو علاقات بعضهم مع بعض ، وينظر الى ما فيه مفسدة أو مفاسد ، فينهى عنه ، وينفر منه ، بمقدار ما فيه من مفسدة تعود على المكلف ، أو على ما بينه وبين الآخرين من علاقات ، وملابسات فى أسرته أو فى أمته ، أو فيما بين أمة وأمة أخرى . وهذا المعنى تركز عليه الشريعة وتدل عليه نصوصها صراحة أو ايماء . ومن ذلك قوله تعالى (وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) ، وقد عرف الشارع كيف يتوخى فى تشريعه ناحية المصلحة ، وكيف يهدف الى أن يشرح صدور المكلفين الى الانبعاث الى عبادته ، والاتجاه الى امتثال أمره ونهيه .

ومن قرأ قوله سبحانه (انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان . .) عرف كيف يتجه الشارع الى تقويم شئون العباد ، والحيلولة بينهم وبين الفساد ، وكيف يتجه بهم الى توخى مقاصد الشريعة بتعليل أحكامها والتوجيه الى أسرارها . وقد مهد الشارع للدعوة الى اجتناب الخمر ببيان ما تجمعه وتحويه من المفاسد ، بعد أن بين قبل ذلك أن ما فيها من آثام وأضرار أكثر مما فيها من منافع ، وصور أنها رجس من عمل الشيطان ، ثم رتب على ذلك أن الفلاح منوط باجتنابها والبُعد عن تعاطيها . فهو تشريع تكليفى بيَّن ناحيتين عظيمتين من نواحى التوجيه الى امتثاله :

احداهما تمهيد له وهو بيان ما فيها من مفاسد .

والثانية ثمرة الامتثال وهو بيان ما يترتب عليه من المنافع والمصالح المنحصرة فيما تنشده جميع النفوس من الفلاح .

وكثير من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية تنادى من تأمل فيها بأن الشارع الحكيم لم يكن عابثا — ان صح منا هذا التعبير — فيما يوجه اليه من أحكام شرعية فهو سبحانه يقول : « ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا » . . فلا يدع التشريع غير معلل رحمة بالعباد ، حتى يعملوا عقولهم ، ويروضوا نفوسهم على الامتثال والطاعة . ويقول سبحانه : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا » فهى جزئية كانت تستهين بها الناس فى جاهليتها ، ولا تدرى ما يترتب عليها من الضرر فى ملابساتها ، ولكن لطف الله بعباده ورفقه بهم أبى الا أن يعللها بثلاث علل :

انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا . ويقول سبحانه : « ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا » . وهكذا النصوص الكثيرة المعللة ، وهذا أمر واسع جدا ، وفسيح لمن تأمله ، وحاول استيعابه .

ونوعية العقوبة عليها

وانما سبيلنا أن نلقى الضوء على هذا وأمثاله ليحاول استيعابه من حرص على التحقق منه ، والتأكد من صحته . بل اتجه بعض الفقهاء والاصوليين الى أن الأحكام مرتبطة بالمصالح ، وان اختلفت فى ظاهرها مع دلالة بعض النصوص ذهابا من القائلين بذلك الى أنه لا يعقل أبدا أن يكون هناك تشريع الا وفيه رحمة بالعباد ورأفة بهم ، حتى لا يزيغوا عن القصد ولا يضلوا السبيل . حتى قالت بعض الطوائف الاسلامية بقاعدة مشهورة عنها وهى : الحسن والقبح عقليان ، على معنى أن الشرع يطلب الشىء ويدعو اليه ويأمر به بمقدار ما فيه من مصلحة متأكدة أو راجحة ، ورتب الفقهاء على هذا الاتجاه أن الاحكام الشرعية التى لم يرد فيها نص صريح يمكن أن تتغير وتتبدل بتغير المصالح المرتبطة بها أو اختلاف المفاسد المترتبة عليها .

وفى هذا المقام يقول الامام الغزالى فى المستصفى : مقصد الشارع منحصر فى الضروريات الخمس التى هى الدين والنفس والعقل والمال والنسل . فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة ، وكل ما يفوتها فهو مفسدة ، ودفعه مصلحة .

والواقع أن الشارع يراعى المصلحة فى نصوصه فيكتفى فى كثير من الأحكام بذكر جزئيات تلمح الى ما فيه المصلحة ، كما أنه كثيرا ما يقرن الحكم بحكمته صراحة ، وأحيانا بالنصوص العامة التى تدل على ربط الاحكام بالمصالح .

ومراتب المصالح حسب مقصود الشريعة : ضرورية لا بد منها لقيام حياة الناس ، ومن ذلك أصول العبادات التى ترجع الى حفظ الدين ، والعادات التى ترجع الى حفظ النفس والعقل والصلات ، والمعاملات التى ترجع الى حفظ النسل

والمال . وتلك النواحى الخمس الضرورية يقول الغزالى : ان حرمتها لم تبح فى ملة قط . وقد أفاض الشاطبى فى بحث هذا الموضوع وهو يتحدث عن الضروريات الخمس .

فالمحافظة على العقل اذن أمر ضرورى يتطلبه الدين . ذلك أن العقل هو الاساس المقوم للانسانية فى الانسان . وهو مناط التكليف ومرجع المسئولية فيما يرجع الى المرء من أفعال يحاسب عليها فى دنياه . فيثاب أو يعاقب على حسب ما يتوخاه من امتثال أوامر الله وتحقيق حسن الصلة بينه وبين غيره سواء أكان خالقا أم مخلوقا ، وبدون العقل لا يمكن أن تتحقق مسئولية . واذا لم تتحقق هذه المسئولية فان الناس يكونون هملا . ويعيشون فوضى . كما تعيش البهائم لا تعرف الا طعامها وشهوتها . وبهذا يكون الخلق عبثا . ويكون تمييز الانسان عن غيره من أصناف المخلوقات بالتكليف أمرا غير معقول ولا لائق أن يقع من خالق الانسان الذى خلقه ليكون فى الارض خليفة . يعمرها بعقله . وينظمها بتفكيره فاذا زال هذا العقل لم يكن هناك تكليف . ولم يتوجه خطاب الى انسان يعرف ماله وما عليه .

ولقد أحسن الفقهاء فأداروا صفة العقل حول كل ما كلف به الانسان من عبادات أو معاملات . فالعبادات لا يكلف بها الا عاقل . ولا تصح اذا وقعت الا من عاقل ، وكذلك المعاملات فانهم اشترطوا لصحتها الأهلية ، ولا بد لتحققها من العقل .

لهذا كان الشارع حريصا على حفظ العقل وحياطته باطار صلب حتى لا يتسرب اليه شىء من الخلل أو الفساد ، فيبقى الانسان متمتعا بانسانيته حريصا على اكتمالها ، مصلحا فى الأرض ، فاذا شرب الخمر أو ما فيه معنى الخمر من المسكرات التى تجعل على عقله غشاوة ، وتحول بينه وبين التمييز بين الحسن والقبيح تخبّط فى عيشه ، وتمادى فى غيه ، واجترأ على كل ما لا يمكن أن يفكر فيه وهو محتفظ بعقله ، متمسك بسلامة اداركه وتفكيره .

وانا لنلمس هذه الناحية فى كل من يتعاطون الخمر . ويحتسون كؤوسها . فنجد أنهم يستحسنون ما يستقبحه الصبية الذين لهم أدنى شعور وتفكير . فيقدمون على أفعال لا يشعرون بآثارها ونتائجها الا بعد افاقتهم من نشوتها . ثم يقع الندم ولات ساعة مندم . وما أكثر ما سمعنا عن ضحايا هذا الرجس الخبيث حين يقدم شاربو الخمر على قتل الأنفس التى حرم الله الا بالحق . وعلى استباحة الاعراض ، وعلى بعثرة الأموال ، وعلى الاستهداف لخصومات الناس وعداوتهم بهتك أستار التقاليد ، والاجتراء على السب والشتم والضرب . وارتكاب كل جريمة من الجرائم الأدبية ، والخلقية ، مما تجمعه كلمة واحدة من جوامع كلم الرسول صلوات الله عليه وسلامه اذ يقول فيما روى عنه : « الخمر أم الخبائث » وفى كلمة أخرى مثلها : « الخمر مفتاح كل شر » مما جعل العرب فى جاهليتهم يسمونها اثما كما قال الشاعر الجاهلى :

شربتُ الإثم حتى ضلّ عقلى كذاك الخمر تفعل بالعقول

ومن ربط بين هاته الناحية وبين تدرج الشارع فى التشريع اذ بدأ فأباحها كما يقول بعض الفقهاء فى تفسير قوله تعالى « ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا » وكان ذلك تمشيا مع عقول من دخلوا فى الاسلام ممن ألفوا شربها ، ثم تدرج فوصفها بما فيها من اثم مع تلك المنافع التى كانوا ينتفعون بها . وكانت أيضا اثما عندهم كما قلنا ، وكان فيها منافع فربط بين

هاتين الناحيتين : وهى كونها اثما كما يقوله المصلحون منهم ، وكونها منافع كما يتوهمونه أيضا .

ومن أبرز صور الانتفاع بها الاتجار فيها ، والربح المادى من ورائها ، أما ما فيها من آثام فهى ترجع لأمور كثيرة ، فهى كما يقول الشيخ رشيد رضا : (١) سبب لوقوع العداوة والبغضاء بين الناس حتى الأصدقاء منهم ، وكثيرا ما ينشأ عن العداوة والبغضاء التى يثيرها السكر : القتل والضرب ، والعدوان ، والسب والفسق والفحش ، وافشاء الاسرار ، وهتك الاستار ، وخيانة الحكومات والاوطان ، ويكفى فى تصديق ذلك والدلالة عليه قول الله تعالى بعد أن وصف الخمر بأنها رجس ، وأمر باجتنابها : « انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون » ويكفى ان الله قد وصفها بالرجس الذى يدل على منتهى القبح ، والرجس فى اللغة : الشىء القذر . وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الخمر أم الفواحش ، وأكبر الكبائر ، ومن شرب الخمر ترك الصلاة ووقع مع أمه وخالته وعمته » .

واذا نظرت فى قول الله تعالى « انما الخمر والميسر . . » لوجدته صدر الجملة بإنما الدالة على الحصر للمبالغة فى ذمها فكأنه قال : ليست الخمر الا رجسا ، كما أنه جعلها من عمل الشيطان ، وهو العدو الأكبر لعباد الله المؤمنين .

على أن أكثر الناس حتى فى الدول المتقدمة علميا وحضاريا يعتقدون أن الخمر شديدة الضرر فى الجسم والعقل والمال وآداب الاجتماع ، حتى ألف الغربيون والشرقيون من غير المسلمين جمعيات للنهى عن شرب الخمر ، والسعى لابعاد الناس عن ادمانها ، وبيان ما يترتب على ذلك من اضرار بدنية وخلقية ومالية ، وكان من أقوى هذه الجمعيات منذ عهد قريب الجمعية التى أنشئت فى الولايات المتحدة . ومن العجيب أن يدخل بعض المسلمين فى هذه الجمعيات وينشئون لها فروعا فى البلاد الاسلامية ، وما أجدرهم أن يكونوا هم الائمة المتبوعين فى هذا أخذا بتعاليم دينهم ، وقد نشرت احدى الطبيبات الالمانيات مقالا ضد تعاطى الخمور تقول فيه : (٢) « اقفلوا لى نصف الحانات ، أضمن لكم الاستغناء عن نصف المستشفيات والمارستانات والملاجىء والسجون » .

وقد ثبت أن السكر يضعف الجنود عن القيام بأعباء الحرب ، واحتمال أثقالها ، والتنبه الى مفاجآتها ، حتى قررت بعض الدول ابطال الخمور بها مدة الحرب .

والخمر بما تفقد من الوعى وبما تهيج من شهوات ونزوات تفقد شاربيها فى العادة حساسيتهم ، وتوقعهم فى مشاحنات ، وان غيبوبة السكر تنافى اليقظة الدائمة التى يفرضها الاسلام على قلب المسلم ليكون موصولا بالله فى كل لحظة ، مراقبا له فى كل خطوة ، ثم ليكون بهذه اليقظة عاملا ايجابيا فى نماء الحياة وتجددها ، وفى حماية نفسه وماله وعرضه ، وحماية أمن الجماعة من كل اعتداء ظاهر أو خفى والفرد المسلم ليس متروكا لذاته وللذاته ، فعليه فى كل لحظة تكاليف تستوجب اليقظة الدائمة ، حتى حين يستمتع بالطيبات فان الاسلام يحتم عليه أن يكون يقظا لهذا المتاع ، فلا يصبح عبدا لشهوة أو لذة ، وأسيرا لعادة أو خصلة . وغيبوبة السكر لا تتفق فى شىء مع هذا الاتجاه ، ثم ان هذه الغيبوبة فى حقيقتها ان هى الا هروب من واقع الحياة فى فترة من الفترات ، والاسلام ينكر على الانسان هذا الطريق ، ويريد من الناس أن يروا الحقائق وأن

يواجهوها وأن يصرفوا حياتهم وفقها ، وهذا وحده كاف لتحريم الخمر من وجهة النظر الاسلامية ، وتحريم كل ما يشاركها فى علة التحريم . وبذا تكون حكمة تحريم الخمر قد ظهرت جلية واضحة لكل من له عقل .

أباح الشارع السكر فى بادىء الأمر على ما قلنا ، ثم انتقل من ذلك الى بيان أن اثمها أكبر من نفعها وأفحش ، إثر سؤال وجه الى الرسول عليه الصلاة والسلام فجاء الوحى بقوله تعالى « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما » .

أخرج ابن المنذر عن سعيد بن جبير قال : لما نزلت هذه الآية شربها قوم لقوله : « منافع للناس » وتركها قوم لقوله : « إثم كبير » . حتى نزل قول الله تعالى : « لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى » . فتركها قوم وشربها قوم يتركونها بالنهار حين الصلاة ويشربونها بالليل ، وهكذا حتى نزلت آية تحريم الخمر وهى قوله سبحانه : « انما الخمر والميسر والانصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » . فتركها الناس .

وقد جعل الشارع الأمر بتركها من مادة الاجتناب اذ يقول : « فاجتنبوه » وهو أبلغ من الترك لأنه يفيد الأمر بالترك مع البعد عن المتروك ، ولم يؤكد القرآن التحريم فى شىء بمثل ما أكد به التحريم هنا ، وحكمته شدة افتتان الناس بشرب الخمر ، وتناولهم كل ما يمكن تطرق الاحتمال اليه . وقد فهم النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة كافة من هذه الآية أن الله حرم الخمر تحريما باتا لا هوادة فيه . فالقطع بتحريم الخمر والنهى عنها كان بعد تمهيد بالذم ، والنهى عن السكر فى حال قرب الصلاة ، وأوقات الصلاة متقاربة ، فمن ينهى عن قرب الصلاة وهو سكران ، فلا بد أن يتجنب السكر فى أكثر الاوقات كى لا تحضره الصلاة وهو سكران .

والحكمة فى وقوع التحريم على هذا الترتيب والتدرج ان الله تعالى علم أن الناس كانوا قد ألفوا شربها ، وكان انتفاعهم بها كثيرا فعلم الله انه لو منعهم منها دفعة واحدة لشق عليهم ، ووقعوا فى الحرج ، والله تعالى يقول : « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » . وهكذا شأن التشريع الاسلامى فى أغلب الأحكام .

ان من تأمل فى حكمة تشريع هذا التحريم ، وفكر فيه استطاع أن يطمئن كل الاطمئنان الى سلامة اسلوب التحريم وقوته وبراعته . وقد أمر الله الناس باجتناب الخمر ، ولم ينههم عنها بعبارة من صيغ النهى ، كقوله لا تشربوا ولا تقربوا مما قاله فى غيرها ، ولكنه أمر بالاجتناب الذى ينم عن التحذير ، ولا يصدر التعبير به الا فى جو ملىء بالاشفاق ، مشبع بالحرص على تحويل النفوس وصرفها مما علق بها من رغبة أو حرص وشهوة . وانظر كيف سماها رجسا ، والرجس معنى تستقذره النفوس ، وتحرص أشد الحرص على اجتنابه ، وجعلها من عمل الشيطان الذى عرف بأنه عدو مضل مبين مفسد فى الارض ، ثم أنظر كيف ختم الفقرة بعد الأمر بالاجتناب بالتشويق الى ضالة كل النفوس ، وبغية كل انسان ، وهى تحقيق الفلاح ، وتكليل المساعى بالنجاح بقوله : « لعلكم تفلحون » ، فمن أراد ذلك فليجتنب الخمر ، وليحذر قربانها والتلوث بها . فهل بعد هذا يمكن لعاقل أن يقول : ان الخمر لم يرد نص قاطع بتحريمها ، وأن طلب الاجتناب دون التحريم . . وكفى بالمرء اثما أن يحل ما حرم الله جريا وراء الهوى والشهوات .

هذا فرش تمهيدى فى شأن الخمر وما يرتبط بها من مفاسد ، وحكمة

تحريمها ، والدليل القاطع على التحريم ، واننا ننتقل بعد ذلك الى بيـــان ماهية الخمر ، وما يدخل تحت هذا الاسم ، وما يشترك معها فى الحكم ، مما يشاركها فى وصف الاسكار والتأثير على العقل والادراك ، وما يتعلق بذلك من أحكام .

التعريف بالخمـــر :

الخمر فى اللغة : ما خامر العقل . وعرفه صاحب القاموس بأنه : ما أسكر من عصير العنب أو عام كالخمرة ثم قال : ـــ والعموم أصح لأنها حرمت ، وما بالمدينة خمر عنب ، وما كان شرابهم الا البسر (٣) والتمر ثم قال : ـــ انها سميت خمرا لأنها تخمر العقل وتستره ، أو لأنها تركت حتى أدركت واختمرت ، أو لأنها تخامر العقل أى تخالطه . وينقل الشيخ رشيد رضا (٤) عن ابن عبد البر أنـــه قال :

تطلق الخمر لغة على كل مسكر ، وهذا ما ذهب اليه أشهر علماء اللغة ، والظاهر أن هذا الاطلاق حقيقى ، وقد فهم الصحابة من تحريم الخمر تحريـــم كل مسكر .

والخمر فى الاصلاح الفقهى هى ـــ كما جاء فى كتب الفقه الحنفى ـــ (٥) النيىء من ماء العنب اذا غلا واشتد وقذف بالزبد ، وهذا القيـــد الأخير وهـــو القذف بالزبد يثبته الامام دون صاحبيه فهما يعتبران عصير العنب خمرا اذا غـــلا واشتد سواء قذف بالزبد أم لم يقذف لتحقق معنى الاسكار . ورأيهما فى هذا هو المعتبر فى المذهب وعليه الفتوى ، وبمثل قول الصاحبين قال الظاهرية والزيدية وهو أرجح عند الامامية .

الا أن صاحب البحر الزخار فى الفقه الزيدى .

قال : ـــ « لا يغلى العصير الا ويقذف بالزبد » ، وهذا يفيد أن الخلاف بين الامام وهؤلاء لفظى ، لأنه اذا غلا لا بد أن يقذف بالزبد .

ونرى أنه لا يلزم من وجود الغليان وجود القذف بالزبد اذ أن هذا لا يمكن الا بعد درجة معينة من الغليان وعلى هذا فالخلاف جوهرى لا لفظى .

ويعرف بعض فقهاء المالكية الخمر بأنها : ما أسكر وخامر العقل (٦) ، وجاء فى كتاب الخلاف بيانا لمدلول الخمر فى مذهب الامامية : انها عصير العنب الذى اشتد وأسكر وكذا كل مسكر من الاشربة يســـــمى خمرا ، يدل على هذا قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « ان من العنب خمرا ، وان من التمر خمرا ، وان من العسل خمرا ، وان من البر خمرا ، وان من الشعر خمرا » (٧) . وفى رواية أخرى : « ان من الشعير خمرا ، ومن العسل خمرا ، ومن الزبيب خمرا ، ومن الحنطة خمرا ، ومن التمر خمرا ، وأنا أنهاكم عن كل مسكر » ، ويؤكد هذا أيضا قوله صلوات الله عليه وسلامه « كل مسكر خمر ، وكل مسكر حرام »، وقوله : « ما أسكر كثيره فقليله حرام » ، وقد سئل رسول الله عن المزر ـــ بكسر الميم ـــ (شراب يتخذه أهل اليمن من الذرة) ، وعن البتع ـــ بفتح البـــاء ـــ (شراب يتخذونه من العسل) قال فيما رواه البخارى ومسلم : « كل مسكر حرام » ، ولما كان قليل الخمر يدعو الى كثيره لزم أن يدار التحريم على كون الشأن فيها الاسكار لا على وجود الاسكار فى الحال .

وأما ما روى عن الرسول من قوله : « الخمر من هاتين الشجرتين ، النخلة والعنبة » فانه من قبيل اعتبار الغالب ، أو عينهما لمناسبة خاصة مثل وجوده عندها فى ذلك الحين ، ويؤكد أنه لا يريد بذلك حقيقة الحصر فيهما ما استفاض من

أحاديث فى تحريم كل مسكر ، وكل ما أدى الى المفاسد التى نص القرآن عليها . وهذه وتلك موجودة فيما استخرج من العنب والبلح ، وفيما اســـتخرج من غيرهما ، وقد يكون المستخرج من غيرهما أشد افسادا وأسرع اسكارا .

واطلاق الخمر على كل مسكر هو اتجاه كثير من المذاهب الفقهية ، وهو الذى يمثل اتجاه جمهور الفقهاء (٨) فهم يرون أن سائر المسكرات تأخذ حكم الخمر من كل الوجوه سواء من حيث التحريم ، أم من حيث العقــوبة ، أم من حيث حرمة الانتفاع بها وعدم تقومها ، وهو المروى عن جمع غفير من فقهاء الصحابة والتابعين ، منهم عمر ، وعلى ، وابن مسعود ، وسعد بن أبى وقاص ، وأبى ابن كعب ، وأنس ، وعائشة من الصحابــة ، وعطاء ، وطاوس ، ومجاهــد ، والقاسم ، وقتادة ، وعمر بن عبد العزيز من التابعين(٩) .

وعلى هذا فما كان مسكرا سواء كان متخذا من العنب والرطب والتين والحنطة والشعير والعسل وغيرها من الثمار أو الحبوب أو الحلويات يأخذ نفس الحكم بالتحريم الذى جاء به الشارع سواء كان مطبوخــا أم نيئا (١٠) ، وسواء فى ذلك ما اســتحدث من أصناف وما عرف قديما يــدل على هــذا العموم والشمول ما رواه الامام أحمد ، وأبو داود عن مالك الأشعرى : انه سمع النبى عليه الصلاة والسلام يقول : « ليشربن أناس من أمتى الخمر ، ويسمونها بغير اسمها » (١١) .

وبهذا يبين أن الاتجاهين الفقهيين فى تصوير الخمر لا يبعدان عن المعنى اللغوى كما نقلناه عن صاحب القاموس ، ويكون الخــلاف اذن فى مصــــدر التحريم هل بالنص بالنسبة لكل مسكر أو بالنسبة للمستخرج من العنب . والباقى ثبت تحريمه بالقياس الذى اقتضاه وجود العلة المشتركة بين المنصوص عليه وغيره وهى الاسكار . فالاسكار وصف موجود فى النيىء من ماء العنب . كما أنه موجود فى كل ما يتحقق فيه الاسكار من غيره من الاشربة ، وعلى هذا فكل مسكر حرام اما بالنص أو بالقياس دون خلاف فى أصل التحريم .

ولا يتسربن الى بعض الاذهان أن ثبوت التحريم بالقياس فى غير النيىء من ماء العنب ــ على القول بذلك ــ لا يكون موضع اعتبار ، فان الثابت بالقيــاس فى وجوب العمل به مثل الثابت بالنص ، والاثم على فاعل ما ثبتت حرمتـــه بالقياس متحقق ، هذا فضلا عن أنه ثبت تحريم سائر الأنواع بالسنة فيما روى النسائى بسنده عن ابن عباس مرفوعا للرسول عليه الصلاة والسلام : « حرمت الخمر ، قليلها وكثيرها ، والمسكر من كل شراب »

فالأشربة التى من شأنها أن يســكر قليلها وكثيرها محرمة لذاتها بالنص سواء كانت من العنب أو غيره ، وأما سائر الأشربة التى ليس من شأنها الاسكار فالقدر المسكر منه حرام (١٢) كما هو مفاد ظاهر الحديث .

ولكن روى أحمد وابو داود والترمذى عن السيدة عائشة أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال : « ــ كل مسكر حرام وما أسكر الفرق (١٣) منه فملء الكف منه حرام » ، وروى أحمد وابن ماجه والدارقطنى وصححه عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ــ « ما أسكر كثيره فقليله حرام » ، وروى النسائى والدارقطنى عن سعد بن أبى وقاص عن النبى صلى الله عليه وسلم قــال : ــ « أنهاكم عن قليل ما أسكر كثيره » .

قال الحافظ النسائى : تحريم قليل كل مسكر وكثيره صح فى عدة أحاديث وثبت بالإجماع ، ولا خلاف بين أهل العلم أن السكر بكليته لا يحدث عن الشربة

الأخيرة دون الأولى ، والثانية بعدها ، أى أن السكر يكون بمجموع ما يشرب ، ويمكن القول بأن المقدار المسكر محرم لذاته ، وما دون ذلك محرم لسد الذريعة . وقد يظهر الفرق بين ما يعتبر خمرا وما لا يعتبر فى العقوبة الواجبة لا فى التحريم ، والأمر بالاجتناب ، وفى تكفير مستحل الخمر المتخذة من العنب ، حيث البيان السابق فى تعريف الخمر ، وتفسيق مستحل ما عداها على ما سنذكر بعد .

ويؤكد أن الخمر الذى تكلم عنها التشريع وحرمها فى قوله سبحانه : « انما الخمر .... رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه » لا تقتصر على ما استخرج من العنب ، أنه لما نزل التحريم فهم المسلمون من الأمر بالاجتناب تحريم كل مسكر ولم يفرقوا بين ما يتخذ من العنب وبين ما يتخذ من غيره ، ولم يتوقفوا فى الحكم ، ولم يشكل عليهم شىء من ذلك ، بل بادروا الى اتلاف ما كان من غير عصير العنب ، ولو كان عندهم أدنى تردد لتوقفوا عن اراقة ما عندهم .

روى البخارى فى صحيحه عن ابن عمر أنه قال : ــ نزل تحريم الخمر وان بالمدينة يومئذ لخمسة أشربة ، ما فيها من شراب العنب شىء .. وروى أحمد والبخارى ومسلم عن أنس قال : ــ كنت أسقى بعض الاصحاب عند أبى طلحة حتى كاد الشراب يأخذ منهم فأتى آت من المسلمين فقال : ــ أما شعرتم أن الخمر قد حرمت ؟ فقالوا : حتى ننظر ونسأل ، فقالوا : يا أنس ــ اسكب ما بقى فى انائك ، وما هى الا من التمر والبسر وهى خمرهم يومئذ . ومن ذلك أيضا ما رواه مسلم وأبو داود والترمذى من حديث ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل مسكر خمر وكل مسكر حرام » .

ويقول رشيد رضا فى تفسيره المنار (١٤) المعروف بتفسير الامام محمد عبده : الخمر نوعان ــ نوع يخمر تخميرا ، ونوع يقطر تقطيرا ، وأقوى الخمور سما ، وأشدها ضررا ، ما كانت مقطرة ، ويعبرون عنها بالأشربة الروحية ، ثم يقول : ولم يختلف الصحابة فى تحريم ما كان عندهم من خمر البسر ، والتمر ، والحنطة والشعير ، وغيرها . وقد خطب عمر على منبر الرسول بحضرة كبار الصحابة فقال : ــ أيها الناس نزل تحريم الخمر وهى من خمسة : من العنب ، والتمر ، والعسل ، والحنطة ، والشعير ، والخمر ما خمر العقل .

ولم ينقل أن أحدا من الصحابة أنكر على عمر قوله هذا ، وقد قيل : ان هذا يأخذ حكم الحديث المرفوع الى النبى من حيث هو تفسير لحكم شرعى لا يقوله الصحابى برأيه ، وعلى فرض أنه رأى صحابى باعتبار ما فهمه من النصوص فان فهم عمر للغة والدين ، وموافقة جمهور الصحابة ، وعدم اعتراض أحد يجعله قويا .

فظهر بهذا أن كون كل شراب من شأنه الاسكار خمرا حكم ثابت بالكتاب والسنة واجماع الصحابة ، وقد حرم الله الخمر تحريما لا يقبل الجدل ، واعتبرها رجسا من عمل الشيطان .

وأبو يوسف الفقيه الحنفى ينضم الى الامام فيريان فى بعض الأشربة (١٥) غير المستخرجة من العنب أن الذى يحرم منها هو القدر المسكر فقط ، أما ما دونه فيحل ، ولا يقام عليه حد اذا غلب على ظنه أن نوعه لا يسكره ، ولم يكن الشرب بقصد اللهو ، ومع هذا فاذا سكر من القدر القليل الذى لا يسكر عادة ، والذى لم يأخذه بقصد اللهو والطرب فانه يعاقب من غير حد .

والشيخان فى هذا يتجهان وجهة ابراهيم النخعى ، وسفيان الثورى ، وابن أبى ليلى ، وشريك ، وابن شبرمة ، وبعض فقهاء الكوفة والبصرة واستدلـــــوا ببعض آثار لا تسلم من النقد ، ويعتريها الضعف .

وبذا فقد ظهر لك أيها القارىء الكريم حقيقة الخمر التى حرمها الاسلام ، وأنها تشمل كل ما من شأنه الاسكار ، وأن تحريم الشارع لها جاء عاما ، وفى العدد القادم نعرض باقى البحث .

---

(١) تفسير المنار جـ ٧ ص ٥٩ .

(٢) تفسير المنار جـ ٢ ص ٣٢٥ .

(٣) البسر — البلح النيىء .

(٤) تفسير المنار جـ ٢ ص ٣٢٣ .

(٥) حاشية ابن عابدين جـ ٥ ص ٣١٤ المطبعة اليمنية بمصر ، وباب الأشربة فى جميع كتب الفقه الحنفى ، المبسوط جـ ٢٤ ، البدائع جـ ٥ ، الفتح جـ ٨ ، تبيين الحقائق جـ ٦ وغيرها .

(٦) بداية المجتهد جـ ٢ ص ١١ طبعة سنة ١٣٢٥ .

(٧) تحفة المحتاج جـ ٧ ص ٧٣٦ .

(٨) راجع المغنى لابن قدامة جـ ٨ كتاب الأشربة من صفحة ٣٠٣ ، الطبعة الثانية مطبعة المنار ، وانظر فى هذا صفحة ٣٠٥ الشرح الكبير للدردير جـ ٤ ص ٣٥٢ فما بعدها ، تحفة المحتاج ، وحاشيـــة الشرقاوى عليه جـ ٧ ص ٦٣٧ ، المحلى لابن حزم جـ ٧ ص ٥٦٢ فما بعدها ، مطبعة الامام ، كتـــاب الخـلاف عند الاماميـــة جـ ٢ ص ٤٨٧/٤٨٤ ، الروض النضير جـ ٣ ص ١٥٤ ، شرح الازهار جـ ٤ ص ٣٦١ .

(٩) أنظر تبيين الحقائق للزيلعى جـ ٦ ص ٤٤ .

(١٠) نيل الاوطار للشوكانى جـ ٨ كتاب الأشربة ص ١٦٩ فما بعدها .

(١١) البدائع جـ ٥ ، الهداية والفتح جـ ٨ باب الأشربة فى كل منهما ، وكذا غيرهما .

(١٢) نيل الاوطار للشوكانى جـ ٨ ص ١٧٩ .

(١٣) الفرق : — بفتح الفاء — مكيال يسع ستة عشر رطلا على أساس أن الرطل ١٣٠ درهما .

(٤) تفسير المنار جـ ٧ ص ٨١ .

(١٥) من هذه الانواع : نقيع التمر الذى لم تمسه النار أو النيىء من ماء الرطب اذا غلا واشتد غليانه .. النضيح : — بفتح النون وكسر الضاد — وهو النيىء الذى لم يطبخ من ماء البسر اذا غلا واشـــتد .

نقيع الزبيب — وهو النيىء من ماء الزبيب المنقوع فى الماء حتى خرجت حلاوته من غير طبخ اذا غلا ، المثلث : وهو المطبوخ من ماء العنب اذا تبخر ثلثاه ، وبقى ثلثه ، وصار كثيره مسكرا ، وكذا نبيذ التمر أو نبيذ الزبيب اذا طبخ كل واحد منهما أدنى طبخة ، وصار مما يسكر كثيره لا قليله ، وكذا نبيذ العسل ، أوالتين ، أو البر ، أو الشعير على تفصيل وخلاف فى المطبوخ منها .

جريمة القذف في الشريعة والقانون

للاستاذ توفيق على وهبة

تعريف القذف : هو رمى المحصنة أو المحصن بالزنا أو نفى النسب ، ولقد شرع حد القذف بعد حادثة الافك المشهورة حيث أقام الرسول صلى الله عليه وسلم الحد على مرتكبى هذا الجرم بعد نزول القرآن ببراءة السيدة عائشة رضى الله عنها وبتحديد عقوبة للقاذفين .

أدلة تحريم القذف :

أ) من القرآن الكريم :

يقول الله سبحانه وتعالى : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون . الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم » .

ويقول تعالت كلماته : « ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم » .

ب) من السنة النبوية :

يقول النبى صلى الله عليه وسلم : اجتنبوا السبع الموبقات .. قالوا : وما هى يا رسول الله ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات .

ويقول عليه الصلاة والسلام : « إن قذف المحصنة يحبط عمل مائة سنة » .

ويقول الامام القرطبى رضى الله عنه فى تفسير الآية الاولى المشار اليها « للقذف شروط عند العلماء تسعة : شرطان فى القاذف وهما العقل والبلوغ لأنهما أصل التكليف ، اذ التكليف ساقط دونهما . وشرطان

فى الشيء المقذوف به وهو ان يقذف بوطء يلزمه فيه الحد . وهو الزنا واللواط ، أو بنفيه من أبيه دون سائر المعاصى . وخمسة فى المقذوف ، وهى العقل والبلوغ والاسلام والحرية والعفة عن الفاحشة التى رمى بهـا سواء كان عفيفا من غيرها أم لا ، وانما شرطنا فى المقذوف العقل والبلوغ كما شرطناهما فى القاذف وان لم يكونا من معانى الاحصان لأجل أن الحد انما وضع للزجر عن الاذاية بالمعرة الداخلة على المقذوف ولا مضرة على من عدم العقل والبلوغ ، اذ لا يوصف اللواط فيها ولا منها بانه زنا » .

واتفق العلماء على أنه اذا صرح بالزنا كان قذفا ورميا موجبا للحد ، فان عرض ولم يصرح قال مالك « هو قذف . وقال الشافعى وأبو حنيفة : لا يكون قذفا حتى يقول أردت به القذف . والدليل لما قاله مالك هو أن موضوع الحد فى القذف انما هو لازالة المعرة التى أوقعها القاذف بالمقذوف . فاذا حصلت المعرة بالتعريض وجب أن يكون قذفا كالتصريح والمعول على الفهم » .

أركان الجريمة :

للجريمة ثلاثة أركان :

١ — اسناد واقعة الزنا أو نفى النسب للغير مع عجز الرامى عن اثبات الواقعة ، أما اذا كان الرمى بغير الزنا أو نفى النسب فلا يحد الرامى ولكنه يستحق التعزير ويتحقق الاسناد بأى طريقة سواء أكانت كلامية أم كتابية من شأنها أن توصل الجمهور الواقعة المدعاة .

٢ — أن يكون القاذف مكلفا بالغا عاقلا غير مكره على اسناد الواقعة عالما بتحريم القذف وأن يكون المقذوف مسلما محصنا عاقلا بالغا وأن يكون معلوما .

٣ — القصد الجنائى وهو قصد الرامى وعلمه ان ما يرمى به المقذوف فى حقه غير صحيح أو عدم استطاعته اثبات الواقعة او احضار شهود لاثباتها . ففى الشريعة الاسلامية مسموح للقاذف أن يقيم الدليل على صحه الواقعة ، فاذا ثبتت أقيم الحد على من تثبت عليه أما فى التشريع الوضعى فلا يسمح للقاذف باثبات الواقعة . ويعاقب على اسناد الفعل للمجنى عليه .

ويثبت القذف بالشهادة أو الاقرار كما هو فى سائر الجرائم فى الشريعة الاسلامية . .

عقوبة القذف :

١ — عقوبة القاذف اذا كان حرا ثمانون جلدة لقوله سبحانه وتعالى « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون » .

٢ — عدم قبول شهادة القاذف بنص الآية السابقة الا بعد التوبة وعدم العودة الى هذا الجرم .

أما اذا كان القاذف عبدا فيرى جمهور الفقهاء أن توقع عليه نصف العقوبة .

ويسقط الحد عن القاذف اذا استطاع اثبات الواقعة أو اقرار المقذوف فى حقه بصحة القذف .

القذف فى القانون الوضعى :

تعريف الجريمة :

تعرف المادة ٣٠٢ فقرة (١) القذف فيقول : « يعد قاذفا كل من أسند لغيره بواسطة احدى الطرق المبينة بالمادة ١٧١ من هذا القانون أمورا لو كانت صادقة لأوجبت عقاب من أسندت اليه بالعقوبات المقررة لذلك

أو أوجبت احتقاره عند أهل وطنه » .

أركان الجريمة :

١ — اسناد واقعة للغير لو صحت لوجب عقاب من أسندت اليه واحتقاره عند أهل وطنه .

٢ — حصول الاسناد بطريقة من الطرق المحددة بالمادة ١٧١ ع .

٣ — القصد الجنائى وهو أن ينشر القاذف أو يذيع أمورا متضمنه القذف وهو يعلم أنها لو كانت صحيحة لأوجبت عقاب المقذوف فى حقه أو احتقاره عند أهل وطنه ولقد أضاف المشرع مادة الى قانون العقوبات تحت رقم ٣٠٨ مكررا سنة ١٩٥٥ عاقبت على أمور استحدثها القانون واعتبرها جريمة قذف لم يكن معاقبا عليها من قبل وتنص المادة ٣٠٨ مكررا على أنه : « كل من قذف غيره بطريق التليفون يعاقب بالعقوبات المنصوص عليها بالمادة ٣٠٣ وكل من وجه الى غيره بالطريق المشار اليه بالفقرة السابقة سبا لا يشتمل على اسناد واقعة معينة بل يتضمن بأى وجه من الوجوه خدشا للشرف أو الاعتبار يعاقب بالعقوبة المنصوص عليها فى المادة ٣٠٦ واذا تضمن العيب أو القذف أو السب الذى ارتكب بالطريق المبين بالفقرتين السابقتين طعنا فى عرض الافراد أو خدشا لسمعة العائلات يعاقب بالعقوبة المنصوص عليها فى المادة ٣٠٨ » .

طرق اسناد واقعة القذف :

حددت المادة ١٧١ فقرات ٣ ، ٤ ، ٥ الطرق المحددة لاسناد واقعة القذف كما يلى :

١ — يعتبر القول أو الصياح علنيا اذا حصل الجهر به أو ترديده باحدى الوسائل الميكانيكية فى محفل عام أو طريق عام أو مكان آخر مطروق أو اذا حصل الجهر به أو ترديده بحيث يستطيع سماعه كل من كان فى مثل ذلك الطريق أو المكان أو اذا أذيع بطريق اللاسلكى أو بأى طريقة أخرى (مادة ٣/١٧١) .

وعلى ذلك فالقول يعتبر علنيا فى الحالات التالية :

أ) الجهر بالقذف باحدى الوسائل الميكانيكية فى مكان عام أو أى طريق آخر مطروق .

ب) الجهر أو الصياح فى مكان خاص يمكن سماعه من مكان عام .

جـ) اذاعة القذف بطريق اللاسلكى أو بأى طريقة أخرى .

٢ — يكون الفعل أو الايماء علنيا اذا وقع فى محفل عام أو طريق عام أو فى أى مكان آخر مطروق أو اذا وقع بحيث يستطيع رؤيته من كان فى مثل ذلك الطريق أو المكان (مادة ٤/١٧١) .

٣ — العلانية بالكتابة وقد حددتها الفقرة (٥) حيث تنص على أنه : « تعتبر الكتابة والرسوم والصور الشمسية والرموز وغيرها من طرق التمثيل علنية اذا وزعت بغير تمييز على عدد من الناس أو اذا عرضت بحيث يستطيع أن يراها من يكون فى الطريق العام أو أى مكان مطروق أو اذا بيعت أو عرضت لبيع فى أى مكان .

فالعلانية بالكتابة تكون على الوجه التالى :

أ) توزيع المطبوعات أو الرموز .

ب) عرضها بحيث يستطيع أن يراها من يكون فى الطريق العام .

جـ) بيعها أو عرضها للبيع .

وقد تتوافر العلانية بغير الوسائل المذكورة بالمادة ١٧١ ع والتى يستخلصها قاضى الموضوع من كل ما يحيط بها من ظروف وملابسات .

وترفع الدعوى من المقذوف فى حقه أو وكيله بتقديم شكوى الى النيابة العامة أو أحد مأمورى الضبط القضائى ويجوز التنازل عن الشكوى

فى أى وقت الى أن يصير فى الدعوى حكم نهائى .

ويباح القذف فى الحالات الآتية :

١ ــ الطعن فى أعمال موظف عام أو من فى حكمه (مادة ٢/٣٠٢) .

٢ ــ اخبار الحكام القضائيين أو الاداريين بأمر مستوجب العقوبة فاعله (مادة ٣٠٤) .

٣ ــ اسناد القذف من خصم الى آخر فى الدفاع الشفوى أو الكتابى أمام المحاكم (مادة ٣٠٩) .

٤ ــ القذف المباح وفقا لمبدأ عدم المسئولية البرلمانية (بنص الدستور) .

٥ ــ نقد التصرفات ونشر الاخبار فى الصحف .

العقوبة :

يعاقب على القذف بالحبس مدة لا تتجاوز سنتين وبغرامة لا تقل عن عشرين جنيها ولا تزيد على مائتى جنيه أو باحدى هاتين العقوبتين فقط (مادة ١/٣٠٣) . وتتشدد العقوبة فى الحالات الآتية :

١ ــ القذف فى حق موظف عام أو من فى حكمه : اذا وقع القذف فى حق موظف عام أو شخص ذى صفة نيابية عامةأو مكلف بخدمة عامة وكان ذلك بسبب أداء الوظيفة أو النيابة أو الخدمة العامة كانت العقوبة الحبس وغرامة لا تقل عن خمسين جنيها ولا تزيد على خمسمائة جنيه أو احدى هاتين العقوبتين فقط .

٢ ــ ارتكاب القذف بطريق النشر أو فى احدى الجرائد والمطبوعات (اذا ارتكبت جريمة من الجرائم المنصوص عليها فى المواد ١٨١ الى ١٨٥ ، ٣٠٣ ، ٣٠٦ بطريق النشر فى احدى الجرائد أو المطبوعات رفعت الحدود الدنيا والقصوى لعقوبة الغرامه المبينه فى المواد المذكوره الى ضعفها . ولم يجز ان تقل عقوبه الغرامه فى الجريمه المنصوص عليها فى الماده ٣٠٦ عن عشرين جنيها .

٣ ــ الطعن فى الاعراض . تنص الماده ٣٠٨ على انه « اذا تضمن العيب او الاهانة او القذف أو السب الذى ارتكب باحدى الطرق المبينه فى الماده ١٧١ طعنا فى عرض الافراد او خدشا لسمعة العائلات يعاقب بالحبس والغرامة معا فى الحدود المبينة فى المواد ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ على أن لا تقل الغرامة فى حالة النشر فى احدى الجرائد أو المطبوعات عن نصف الحد الاقصى ولا يقل الحبس عن ستة شهور .

تلك هى جريمة القذف فى الشريعة الاسلامية والقانون الوضعى . اذ تقصرها الشريعة على الرمى بالزنا ونفى النسب فقط بينما يوسع القانون دائرة الجريمة فيعاقب كل من يسند الى غيره أمورا لو كانت صحيحة لأوجبت عقابه واحتقاره بين أهل وطنه .

ولم يكن القانون يحدد عقابا لجريمة الطعن فى الاعراض حتى أضيفت بالقانون رقم ٩٧ لسنة ١٩٥٥ باضافة مادة ٣٠٨ مكررا الى قانون العقوبات ورفع حد العقاب على هذه الجريمة بحيث لا تقل عن الحبس لمدة ستة شهور .

واننا نهيب بالمشرع الوضعى أن يعود الى أحكام الشريعة الاسلامية فيضع العقاب المنصوص عليه فى قوله تعالى : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون . الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم » .



ملاحظات في الميلاد

للدكتور : عماد الدين خليل

ان الاطار التاريخى لسيرة رسولنا عليه السلام منذ مولده حتى وفاته يضم حشدا كبيرا من الروايات ، يكثر ويتكاثف فى مرحلة نبوته ، ويقل ويتباعد طيلة الاربعين سنة التى سبقت مبعثه فى غار حراء ، فلا يكاد يغطى سوى مساحات قليلة من هذه السنين الطويلة ، ولا يكاد يرسم سوى خطوط عريضة عن (طفولة وشباب) الرجل الذى قدر له أن يعيد صياغة الحياة الدنيا بما ينسجم ونواميس الكون ، وتلك هى الصعوبة الكبرى فى تاريخ الرجال الكبار فى حياة البشرية .. ان اهتمام الناس بأبطالهم يقتفى أثر النواميس الطبيعية ذاتها فحيثما تجمعت الاضواء فى جانب حيثما زادت الظلال المجاورة عتمة وخفاء .. وما أن يبرز البطل فجأة على مسرح الاحداث حتى تسلط عليه الاضواء فلا يتبقى من سيرته أية مساحة غير معرضة للانارة والتلوين .. لكنه قبل أن يظهر .. قبل أن يجىء من وراء الكواليس ، يحيطه الغموض ، ويصعب على الناظرين تمييز جل مساحات حياته ، مهما امتدت سنى هذه الحياة ..

ان أربعين سنة من حياة رسولنا العظيم عليه الصلاة والسلام هى الارضية التى أقيمت عليها نبوته الشامخة .. ترى ما الذى قدمته لنا الروايات عن أمداء هذه الارضية ؟ النسب الاصيل لامه وأبيه فى بيئة (ترفض) الهجناء

والمختلطين .. اليتم السريع للأب والأم ولما يتجـاوز المولود عهد طفولتـه .. الفقر والحرمان فى صحراء تزيد نار الفقر والحرمان اشتعالا .. رعى لقطعان من الغنم وحيدا فى الصحراء .. رحلتان الى الشام ، احداهما صبيا برفقـة عمـه أبى طالب ، والأخرى شابا مسؤولا عن تجارة للسيدة خديجة رضى اللـه عنها .. اسهام حريص فى عدد من الاحداث المهمة التى شهدتها مكة : حرب الفجار ، حلف الفضول ، بناء الكعبة .. زواج بالسيدة خديجة بعد عودته من رحلته الثانية الى الشام .. رفض حاسم لقيم الوثنية وعاداتها وتقاليدهـا وأخلاقياتها .. ثم فترات من العزلة والتأمل فى غار حراء بعيدا عن صخب مكـة وضجيجها ..

وبين هذه الاحداث (المرئية) الأبعاد جميعا ، لمحات غير مرئية الأبعاد ، ذات دلالة عميقة ، أكدتها الروايات والاسانيد ، جاءت بمثابة ارهاصـات أولية عن أن هذا الانسان سيلعب دوره فى القضية الكبرى فى تاريخ البشرية : قضية الحوار المفتوح بين السماء والارض : الخير العميم الذى راح يتدفق فى مضارب مرضعته آمنة بعد اعسار وجفاف .. شق صدره واستخراج علقة من قلبه قبل ان يتفتح وعيه للحياة .. اشارات أولى عن نبوته تصـدر عن الراهب بحيرا فى طريق الشام .. ولن نذكر هنا أية واقعة أخرى لعب الخيال الشعبى والاسرائيلى دورا بارزا فيها ..

تلك هى النقاط الاساسية التى لم يتمكن (باحث) لحد الان أن يعثر على ما يفوقها أهمية او ما يضيف اليها حقائق أخرى .. ولن نلقى اللوم على رواتنا ومؤرخينا فتلك هى ، كما قلنا ، طبيعة التاريخ . فالابطال ، أنبياء وغير أنبياء ، يظلون مجهولين ، يتحركون فى مناطق الظلال ، لكيما يلبثوا ان ينتقلوا فجأة لاداء أدوارهم حيث تسلط الاضواء . ولنا أن نحمد الله سبحانه على أن هيـأ لنا هذا القليل عن هذه المرحلة الطويلة الاساسية عن حياة الرسول عليه السلام . فهذه القلة — على ندرتها — يمكن ان تقدم لنا الكثير اذا ما استنطقناها بالاسلوب العلمى الهادىء الرصين بعيدا عن ضجيج النزعات الخطابية والبلاغيـة والانشائية مستمدين من الشعر — فى الوقت نفسـه — نقاءه ووجدانيتـه ، رافضين اندفاعاته صوب المبالغة والفخامة والتمجيد ، فليس البحث الجاد كلمات تقال فى حفل يموج بالناس ، تستدر عواطفهم فتدفعهم الى الهتـاف والتصـفيق .. !!

• • •

ان البطل فى التاريخ ، نبيـا أو غير نبى ، لكى يلعب دوره الحاسم ، لا بد أن يستكمل شرطين أساسيين ، أحدهما يتعلق بتكوينه الذاتى الخاص ، والاخر بالعالم الذى يضطرب فيه عبر دوائره التى تبدأ بعلاقاته الضيقة ثم تتسع وتتسع عبر الاقليم والجماعة والوطن والشعب والامة ، لكى تشمل العـالم كله .. ومن ثم فان أى حوار ينفتح بين الانسان والعالم سوف لن يبعث أبطالا ان لم يكن كلا القطبين مهيأ لانجاح ذلك الحوار ..

وهكذا فان أية دراسة عن حياة رسولنا عليه الصلاة والسلام قبـل مبعثه ، وبعده ، سوف لن تتوغل فى فهم هذه الحياة ، توغلا كافيا ، ان لم تضع فى حسبانها هذين الطرفين ، وتتمعن فيهما عن كثب ، بقدر ما تسعفها الوقائع والاحداث . وها نحن نمر على كل منهما مرورا سريعا بحسب ما يتيحه مقـال كهـذا ..

١ ـ الانســـان : يبدو أن الظروف (البيئية) و (الوراثية) التى تسهم معا فى تكوين الانسان ، وتمنحه صفاته الخلقية ، والخلقية ، وتصوغ بنيانه الجسدى والنفسى ، وتحدد قدراته العقلية ، واستجاباتـــه العاطفية ، قـــد اجتمعت لكى تجعل من محمد عليه الصلاة والسلام الانســـــان المهيأ لتحمل المسؤولية التى أنيطت به بعد أربعين سنة من ميلاده .. اربعة عقود فى حياة الانسان المحدودة ، تمثل ولا ريب امتدادا زمنيا طويلا أريد به أن يستكمـــل محمد الانسان كل مساحات تكوينه الذاتى ونضجه البشرى قبل أن يتاح له أول لقاء مع الوحى الكريم .. وما أصعب اللقاء الاول بين ممثلى السماء والارض . وما أشق الحوار ..

طيلة هذه العقود الاربع ومحمد عليه الصلاة والسلام يأخذ ويتلقى ، ويجابه ، ويهضم ، ويتمثل شتى المؤثرات الوراثية والبيئية لكى يحولها الى خلايا تبنى كيانه وسماته المادية والروحية ، وتهيئه لليوم العظيم . فعن (أصالة) أبيـــه وأمـــه أخذ الرسول فى دمه وأعصابه أصـــالة الشخصية ووضوحها ونقاءها ، وكسب على المستوى الاجتماعى احتراما وتقديرا فى بيئة كانت تستهجن مجهولى الانساب وتحتقر الخلطاء . ومن مرارة اليتم ووحشة العزلة وانقطاع معين العطف والحنان قبس الرسول الصلابة والاستقلال والقـــدرة على التحمل والارادة النافذة ، والتحدى الذى لا تنكسر له قناة .. وبالفقر والحرمان تربى ونما ، بعيدا عن ترف الغنى ، وميوعة الدلال واتكالية الواجدين .. وعبر رحلته الاولى الى الشام ، فى رعاية عمه ، فتح محمد عليه الصلاة والسلام عينيه ووعيه تجاه العالم البعيد الذى يتجاوز حدود الصحراء وسكونها الى حيث المجتمعات المدنية التى تضطرب نشاطا وقلقا ، والجماعات العربية التى فصلتها عن شقيقاتها فى الصحراء الام سلطات أجنبية أحكمت قبضتهـــا على الاعناق وساقت الشيوخ والامراء العرب الى ما تريد هى وتهـــــوى لا ما يريدون ويهوون . وعن رحلته الثانية الى الشام ، مسؤولا عن تجـــارة للسيدة خديجة ، تعلم الرسول الكثير الكثير : عمق فى حسه معطيات الرحلة الاولى ، وزاد عليها ادراكا أكثر لما يحدث فى أطراف عالمه العربى من علاقات بين الغالب والمغلوب ، والسيد والمسود ، وافادة أغنى من كل ما يتعلمه الذين يرحلون من مكان الى مكان فيتعلمون من رحيلهم طبائع الجماعات والشعوب ، وكنـــه العلاقات بينها ، واختلاف البيئات والاوضاع ، ويزدادون مرونة وقدرة على التعامل المنفتح الذى لا ينقطع له خيط مع شتى الطبائع ، وفهما لمــــا يتطلبه الانسان فى عصر من العصور بعد اطلاع مباشر على عينات من هـــذا الانسان فى سعادته وهنائه ، أو فى تعاسته وشقائه .. وفوق هذا أو ذاك فقد أتيح للرسول فى رحلته هذه تنمية واضحة لقدراته الخاصة التى تعلمها أيام الرعى صبيا ، وها هو الآن (يدير) تجارة لسيدة تملك الكثير ، فيعرف كيف يحيل القليل كثيرا ، ويصمد ازاء اغراء الذهب والفضة ، أمينا لا تلحق أمانته ذرة من غبار .. قديرا على الارتفاع فوق مستويات الاغراء الى آخر لحظة ..

ثم يجىء اسهامه فى القضايا الكبرى التى عاشتها مكة آنذاك ، متنوعا شاملا مغطيا شتى مساحات العمل البشرى الجماعى ، وكأنه أريد له أن يجرب كل شىء ، أن يسهم عاملا فى كل اتجاه ، وان يبنى عبر نشاطاته المتنوعـــة جميعا شخصية قادرة على التصدى لكل مشكلة ، والاسهام الايجابى الفعال فى كل ما من شأنه أن يعيد حقا أو يقيم عدلا .. فى حرب الفجار مـــارس

الرسول شؤون القتال ، وفى حلف الفضول شارك فى تجربة السياسة والحكم، وفى بناء الكعبة أعرب عن بداهته المثيرة للاعجاب فى حل المشاكل التى تلعب فيها المعتقدات والقيم والمقدسات دورا كبيرا .. وخلال هذا وذاك يتزوج فيمارس فى أعقاب زواجه ذاك كبرى التجارب الاجتماعية فى حياة الانسان ، وينجح فى التجربة ، ومن وراء نجاحه تقف السيدة البرة التى وضعها الله فى طريق رسوله لكى تكون سنده النفسى واليقينى الاول فى السنين الصعبة الطويلة التى تطيش معها ألباب الثائرين الذين بعثوا لتغيير العالم والانقلاب على الاوضاع والمألوفات ..

هكذا تبدو حياة رسولنا الكريم قبل مبعثه ، سلسلة مترابطة الحلقات ، منطقية التعاقب من التجارب والخبرات فى شتى المساحات : عائلية ونفسية وتجارية وحركية وحربية وسياسية ودينية واجتماعية . أما البعد الاخلاقى فى حياة الرسول المديدة هذه فيتمثل واضحا نقيا فى انسلاخه الحاسم عن كل الممارسات الجاهلية اللاأخلاقية ، التى كانت تعج بها الحياة العربية فى المدينة والصحراء : شربا للخمر ، واستمراء للزنا ، ولعبا للميسر ، وتصعيدا للربا ، وتهافتا على مال اليتيم ، ووأدا للبنات ، وظلما للذين لا يقدرون على رد الظلم ، واستعبادا محزنا للذين لا يعرفون طعم الحرية .. ممارسات شتى لا يحصيها العد كانت تجرى على مسرح الجزيرة العربية وممثلتها مكة ليل نهار ، ويغدو من تعاقبها وتكرارها أن تصبح الفا وعادة ، ثم تتجاوز هذا لكى ما تلبث أن تصبح مفاخر ومكرمات ، يتبارى العرب فى الاتيان بالمزيد منها . ومحمد عليه الصلاة والسلام بعيد عن هذا كله ، منسلخ عنه . ولقد منحه موقفه النبيل هذا نظافة وطهرا لم يعرفها انسان قط ، وعلمه ، فى الوقت نفسه ، كيف يكون الرفض والتمرد على الوضع الدنىء ، الوضع اللاانسانى ، مهما حمل هذا الوضع من تبريرات انتقلت به من كونه اثما وفسقا وفجورا الى مرتبة الالف والعادة .. ثم الى مصاف القيم والمفاخر والمعتقدات ..

ولم يبق ثمة الا البعد الروحى — الفكرى ، وهو أشد الابعاد ثقلا وخطرا فى حياة الانسان ، والروايات القليلة التى تحدثنا عن عزلة الرسول عليه الصلاة والسلام بعيدا عن صخب مكة وضجيجها حينا بعد حين ، وعناء انقطاعه الى الصحراء وحيدا ، متأملا ، باحثا ، منقبا ، مقلبا وجهه فى أمداء السموات والارض .. هذه الروايات تكفى لالتقاط الاشارة الاخيرة الحاسمة المتممة للصورة التى علينا أن نعرفها عن حياة الرسول قبل مبعثه ..

فكما علمه الانشقاق الاخلاقى على الوضع المكى القدرة على الرفض والتمرد ، فقد جاء تغربه وعزلته وانقطاعه امدادا نفسيا باتجاه آخر ، لكنه متمم ، وبدونه لا يمكن لانسان ما أن يلعب دوره الحاسم الكبير . انه امداد باتجاه الاندماج والاتصال بمواجهة رفض الجاهلية والتمرد على قياداتها وأعرافها وسلطاتها .. اندماج بالكون على اتساعه ، بالعالم الجديد الذى جاء لكى ينقل البشرية اليه ، بالنواميس التى سيبعثها عما قريب كى يجعل الانسان فى كل مكان وزمان يعود اليها وينسجم فى مساراتها المعجزة ، مغادرا مواضعه المنحرفة الخاطئة التى ساقته اليها زعامات جائرة ، وسلطات مستبدة ، وألوهيات زائفة ، وأعراف وبيئات مليئة بالدنس والوحل والخطيئة .. واتصال — عبر البحث والقلق والتقلب الطويل — بالسلطة الواحدة التى تشرف على الكون وتحرك الانسان والخلائق فى ساحاته الكبرى ، وفق خرائط غاية فى

الدقة والاعجاز .. اتصال بالمصدر الوحيد للحيوات والاشياء ، بالارادة التى تنبثق عنها سائر الارادات وتؤول اليها .. بالله الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى !!

كان محمد اذن يستكمل بناءه النفسى واستعداداته التجريبية ، وخبراته التى بنتها السنين الطويلة ، والاعمال التى غطت كل المساحات .. كان يضع ، بمشيئة الله ، اللمسة الاخيرة ، الحاسمة ، للانسان الذى سيغدو نبيا عما قريب .. ان عزلة رسولنا وانقطاعه ، واتساع مساحات هذه العزلة والانقطاع ، عكسا ازاء طغيان الجاهلية ، وطردا اتجاه يوم الوحى ، كانت بمثابة الارهاص الاكبر والاخطر والاخير فى الوقت نفسه الى أن موعد القطاف قد حان ، وأن هذه الشخصية التى ربتها عناية الله فى مدى أربعين سنة قد غدت على استعداد تام للتلقى ، واتصال مباشر بمبعوث الله فى آخر حلقة من حلقات (تعاليم) السموات للأرض ..

* * *

وازاء هذا الهيكل المرئى من حياة الرسول الكريم قبل مبعثه ، يقف عدد من الاشارات والاحداث ملفتا الانظار فى ذلك الحين ، وفى كل حين ، الى أن هذا الانسان ، من بين كل الناس ، قد اختير لاداء دور ما ، لانجاز عمل أو الانقلاب على وضع .. وأن هنالك عناية تفوق كل العنايات ، واهتماما يتعدى كل الاهتمامات تجاه هذا الانسان بالذات ، تمهد له الطريق وتسهم اسهاما غيبيا يند عن التحليل والتعليل فى تكوينه النفسى الذى سيمكنه من أن يكون نبيا عما قريب . وأن هذه الاحداث الموثوقة المنتزعة من بين حشد من الاحداث الضعيفة والمكذوبة ، لهى فضلا عن كونها أسلوبا من أساليب العناية الآلهية فى تربية الشهداء والقديسين والانبياء ، أشبه بالرموز المكثفة والدلالات العميقة على أبعاد الدور الذى سيلعبه هذا المخلوق ..

ان تدفق الخير على مضارب القبيلة التى احتضنت محمدا طفلا ، بعد أيام من العسر والجفاف والمجاعة ، توحى ، فيما توحى ، الى أن مجاعة العالم كله ، وجفاف الروح الانسانية جميعا ، وعسر الحضارة البشرية فى تمخضها الدائم .. تنتظر من يعيد توجيهها وصياغتها من جديد ، فيحيل الجوع شبعا وريا ، وجفاف الروح انطلاقا وامتلاء ، وعسر الحركة الحضارية تدفقا وابداعا. وان هذا الطفل الذى تفجرت بميلاده ينابيع الخير سيكون هذا الرجل ، وأنه قد آن الأوان . وهذه الحادثة ستقال مرارا وتكرارا بعد أن يكبر الطفل ويفتح وعيه على الحياة ، وستلعب دورها ولا ريب فى صياغته النفسية وفى لفت الانظار الى تفرده وتميزه .. والتمهيد لقبول الدور (الخاص) الذى سيلعبه بعد عدة عقود من السنين ..

ومن أجل مزيد من لفت النظر ، والتمهيد .. تجىء اشارة (بحيرا الراهب) الى أن هذا الصبى الذى يعود من الشام برفقة عمه هو النبى الموعود . واشارة بحيرا هذه هى اشارة الاديان السابقة جميعا ، واقرارها بصدق رسالة النبى الاخير التى أكدتها عهودهم القديمة والحديثة على السواء . ومن ثم تلعب دورها — هى الاخرى — فى عملية لفت النظر والتمهيد للنبوة الجديدة كى لا تجىء فجأة دونما سوابق من اشارات وأحداث ذات دلالة وارهاصات .. وسواء على المستوى العربى الجاهلى أم على المستوى الدينى اليهودى — المسيحى ، فان هذه الاشارات قد جاءت وليس ثمة معذر لكل من يقول : ان

رسالة الرسول عليه الصلاة والسلام تنزلت مفاجئة دون مقدمة ولا تمهيد ..

وأما حادثة شق الصدر ، فهى ولا ريب مما يند عن مواصفات علمنا البشرى فى ميدانى النفس والتشريح ، لانها ، كأية تجربة او حدث روحى ، لا تخضع لمقاييس العقل والحس المحدودة ، وكيف يخضع الكلى المطلق للمقيد المحدود ؟! يكفينا أن نلتقط منها رمزا أو دلالة تغطى مساحة ما فى صورة الاربعين سنة من حياة محمد . ولنقرأ معا السطور القليلة لهذا الحدث : (عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان ، فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه فاستخرجه ، فاستخرج منه علقة ، فقال : هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم ، ثم لأمه ، ثم أعاده الى مكانه .. وجاء الغلمان يسعون الى أمه — يعنى مرضعته — ان محمدا قد قتل ، فاستقبلوه وهو منتقع اللون) . (أخرجه مسلم) ..

يقول محمد الغزالى فى فقه السيرة : (لو كان الشر افراز غدة فى الجسم ، ينحسم بانحسامها ، أو لو كان الخير مادة يزود بها القلب كما تزود الطائرة بالوقود فتستطيع السمو والتحليق .. لقلنا : ان ظواهر هذه الآثار مقصودة . ولكن أمر الخير والشر أبعد من ذلك ، بل من البديهى أنه بالناحية الروحية بالانسان ألصق ، واذا اتصل الامر بالحدود التى تعمل الروح فى نطاقها ، أو بتعبير آخر عندما ينتهى البحث الى ضرورة استكشاف الوسائل التى يسير بها الروح هذا الغلاف المنسوج من اللحم والدم ، يصبح البحث لا جدوى منه ، لانه فوق الطاقة . وشىء واحد هو الذى نستطيع استنتاجه من هذه الآثار ، أن بشرا ممتازا كمحمد لا تدعه العناية غرضا للوساوس الصغيرة التى تتناوش غيره من سائر الناس . فاذا كانت هناك (موجات) تملأ الآفاق ، وكانت هناك قلوب تسرع الى التقاطها والتأثر بها ، فقلوب النبيين — بتولى الله لها — لا تستقبل هذه التيارات الخبيثة ولا تهتز لها . وبذلك يكون جهد المرسلين فى متابعة الترقى لا فى مقاومة التدلى ، وفى تطهير العامة من المنكر لا فى التطهر منه ، فقد عافاهم الله من لوثاته) ..

وهذا يكفى .. فما دمنا بصدد تحليل المؤثرات البيئية والوراثية والغيبية فى تكوين الرسول وتهيئته للرسالة ، فان حادثة شق الصدر تقف فى القمة من المؤثرات جميعا ، صياغة روحية — مادية لشخصية النبى الانسان ، وتهيئة من لدن العليم بمنسربات النفوس ، الخبير بتعقيدات الشخصية البشرية .. لكى يكون هذا الرجل بالذات ، ووفق تكوينه الموجه هذا ، قادرا على التقاط اشارة السماء ، ومقابلة الوحى ، وتحمل المسئولية نبيا الى الناس جميعا ، صعدا الى القمم الشامخة التى تتقطع دونها أعناق الرجال !!

• • •

٢ — العالم : وعلى قدر ما تشح الروايات والاحاديث عن حياة الرسول الانسان قبل مبعثه ، على قدر ما تزيد وتتسع لكى تمنحنا ما فيه الكفاية عن العالم الذى ولد فيه محمد عليه الصلاة والسلام . وذلك أمر معروف أيضا ، ان المدى يتسع هنا لكى يحتوى فى دوائره المتسعة شيئا فشيئا عشائر ، وقبائل، وشعوبا ، وأمما ، كانت قد مهدت بممارساتها وتوقعاتها فى الوقت نفسه الطريق الى المولد الجديد .. بالاحرى ان تاريخ العالم كله ، فى فترة قد تجاوز الاربع أو الخمس قرون بعد استنفاد النصرانية دورها ومهمتها ، هى الساحة التى تهمنا فى دراستنا هذه ، وما أكثر الروايات والاحاديث والابحاث عن هذه الساحة زمانا ومكانا ..

ومن ثم فان كل ما يمكن أن يقال ايجازا وتركيزا لهذا المدى الواسع هو أن العالم كان قد فسد فى القرن الذى ولد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم ، والانسان — ثانية — كان قد ضاع ، الانسان فردا ، والانسان فى جماعة . حيثما التفتنا ، أنى قلبنا وجوهنا فى جهات العالم الاربع فسوف لن نعثر الا على الفساد والضياع ، وابتداء بأعمق أعاميق النفس البشرية وانتهاء بالعالم فى مداه الشامل ، مرورا بالتجارب والممارسات الدينية والاجتماعية والسياسية والثقافية ، لا نجد الا السوس ينخر فى البنيان ، والعفن يتسرب عميقا فى ضمائر الاشياء والتجارب والممارسات ، لكى ما يلبث السوس والعفن أن يفسدا كل شىء ويدنسا كل حياة .

ان سيل — على سبيل المثال — يحدثنا عن نصارى القرن السادس الهجرى بأنهم (أسرفوا فى عبادة القديسين والصور المسيحية حتى فاقوا فى ذلك الكاثوليك فى عصرنا هذا) (١) . ويحدثنا الفردج . بتلز بأن (ذينك القرنين، الخامس والسادس ، كانا عهد نضال متصل بين المصريين والرومانيين ، نضال تذكيه اختلاف الجنس واختلاف الدين ، وكان اختلاف الدين أشد من اختلاف الجنس ، اذ كانت علة العلل فى ذلك الوقت تلك العداوة بين الملكانية والمنوفيسية . . وكانت الطائفة الاولى كما يدل عليها اسمها حزب مذهب الدولة الامبراطورية وحزب الملك والبلاد ، وكانت تعتقد العقيدة السنية الموروثة وهى ازدواج طبيعة المسيح ، على حين أن الطائفة الاخرى من أهل مصر كانت تستبشع تلك العقيدة وتستفظعها وتحاربها حربا عنيفة فى حماسة هوجاء يصعب علينا أن نتصورها، وأن نعرف كنهها فى قوم يعقلون ، بله يؤمنون بالانجيل : (فتح العرب لمصر ص ٣٧ — ٣٨) . وفى عهد هرقل (٦١٠ — ٦٤١) يقول الندوى (وقع فى مصر على يد واليه قيرس اضطهاد فظيع استمر عشر سنين حدث خلاله ما تقشعر منه الجلود ، فرجال كانوا يعذبون ثم يقتلون اغراقا ، وتوقد المشاعل وتسلط نارها على الاشقياء حتى يسيل الدهن من الجانبين على الارض ، ويوضع السجين فى كيس مملوء من الرمل ويرمى به فى البحر . الى غير ذلك من الفظائع . ويقول غوستاف لوبون فى كتابه (حضارة العرب) : « لقد أكرهت مصر على انتحال النصرانية ، ولكنها هبطت بذلك الى حضيض الانحطاط الذى لم ينتشلها منه سوى الفتح العربى ، وكان البؤس والشقاء مما كانت تعانيه مصر التى كانت مسرحا للاختلافات الدينية الكثيرة فى ذلك الزمن . وكان أهل مصر يقتتلون ويتلاعنون بفعل تلك الاختلافات ، وكانت مصر التى أكلتها الانقسامات الدينية وأنهكها استبداد الحكام ، تحقد أشد الحقد على سادتها الروم . وتنتظر ساعة تحريرها من براثن قياصرة القسطنطينية الظالمين : ص ٣٣٦) . ويعود بتلر فيؤكد أن (اختلاف الناس ومناظراتهم العنيفة كلهاكانت مبنية على خيالات صورية من فروق دقيقة بين المعتقدات ، وكانوا يخاطرون بحياتهم فى سبيل أمور لا قيمة لها ، وفى سبيل فروق فى أصل الدين ، وفيما وراء الطبيعة ، يدقفهمها ويشق ادراكها . . ولم يكن نظر الناس الى الدين على أنه المعين يستمدون منه ما يعينهم على العمل الصالح ، بل كان الدين فى نظرهم هو الاعتقاد المجرد فى أصول معينة : ص ٤٧) وما دمنا بصدد مصر كنموذج لما كان يجرى فى المستعمرات الشرقية كلها ، فلنستمع الى ما يقوله مؤلفو تاريخ العالم للمؤرخين (ان مصر كانت تضيف الى مالية الدولة البيزنطية

مجموعا كبيرا من حاصلها ومنتجاتها . وكانت طبقات الفلاحة المصرية مع حرمانها من كل قوة سياسية ومن كل نفوذ مرغمة على أداء الخراج للدولة الرومية ككراء الارض فضلا عن الضرائب . وكانت ثروة مصر فى هذا العهد تتجـه الى النقص ٧ / ١٧٣) ..

وفى الدولة (الكبيرة) نفسها ، الدولة البيزنطية (ذابت أسس الفضيلة، وانهارت دعائم الاخلاق ، حتى صار الناس يفضلون العزوبة على الحيـاة الزوجية ليقضوا مآربهم فى حرية — كما يقول ادوارد جيبون فى كتابه عن الامبراطورية الرومانية — وكان العدل ، كما يقول سيل ، يباع ويساوم عليه مثل السلع . وكانت الرشوة والخيانة تنالان من الامة التشجيع ..

وجيبون فى كتابه المذكور يقول : فى آخر القرن السادس وصلت الدولة فى ترديها وهبوطها الى آخر نقطة ، وكان مثلها كمثل دوحة عظيمة ، كـانت أمم العالم فى حين من الاحيان تستظل بظلها الوارف . ولم يبق منها الا الجذع الذى لا يزداد كل يوم الا ذبولا . ويعود مؤلفو تاريخ العالم ليحدثونا بأن : المدن العظيمة التى أسرع اليها الخراب ولم تسترد مجدها وزهرتها أبدا تشـهد بما أصيبت به الدولة البيزنطية فى هذا العهد من الانحطاط الهائل الـذى كانت نتيجته المغالاة فى المكوس والضرائب ، والانحطاط فى التجارة واهمـال الزراعة وتناقص العمران فى البلدان : ٧ / ١٧٥) . .

وفى الموسوعة البريطانية (مادة جوستين) ان اضطرابا وقع فى العاصمة نفسها عام ٥٣٢ م ذهب ضحيته ثلاثون ألف شخص !! ويتحدث بريفولت عن النظام الطبقى الجائر فى الدولة البيزنطية فيقول (مما جرت العادة عليه أنه اذا أصيبت مؤسسة اجتماعية بالزوال والانحطاط لا يرى القائمون عليها حيلة الا أن يمنعوها من الحركة والتطور ، لذلك كان المجتمع الرومى — فى عهـد الانحطاط — خاضعا لنظام طبقى جائر يرزح تحته ، وما كان لاحد فى هـذا المجتمع أن يغير حرفته ، وكان لا بد للابن أن يتخذ حرفة أبيه : ص ١٦٠) .

وعن أوربا يقول بريفولت : (لقد أطبق على أوربا ليل حالك من القرن الخامس الى القرن العاشر ، وكان هذا الليل يزداد ظلاما وسوادا . لقد كانت همجية ذلك العهد أشد هولا وأفظع من همجية العهد القديم ، لانها كانت أشبه بجثة حضارة كبيرة قد تعفنت ، وقد انطمست معالم هذه الحضارة وقضى عليها بالزوال ، وقد كانت الاقطار الكبيرة التى ازدهرت فيها هذه الحضارة وبلغت أوجها فى الماضى كايطاليا وفرنسا فريسة الدمار والفوضى والخـراب : ص ١٦٤) ولم تكن فى أوربا الغربية فى ذلك العهد كما يقول هـ.ج ويلز ، فى مختصر تاريخ العالم ، امارات الوحدة والنظام ..

فاذا ما انتقلنا شرقا الى الدولة الكبيرة الاخرى (الامبراطورية الفارسية) فماذا نرى ؟ ان فى كتاب (ايران فى عهد الساسانيين) للبروفسور آرثـر كرستنسن ، الكثير الكثير : (كان المجتمع الايرانى مؤسسا على اعتبار النسب والحرف ، وكان بين طبقات المجتمع هوة واسعة لا يقوم عليها جسر ولا تصل بينها صلة . وكانت الحكومة تحظر على العامة أن يشترى أحد منهم عقارا لأمير أو كبير . وكان من قواعد السياسة الساسانية أن يقنع كل واحـد بمركزه الذى منحه نسبه ولا يستشرف لما فوقه ، ولم يكن لاحد ان يتخذ حرفة غـير الحرفة التى خلقه الله لها . وكان ملوك ايران لا يولون وضيعا وظيفـة من وظائفهم . وكان العامة كذلك طبقات متميزة بعضها عن بعض تميزا واضحا ،

وكان لكل واحد مركز محدد فى المجتمع : ص ٥٩٠ ، ٤١٨ ــ ٤٢٢) ويقول المؤلف المذكور : « كان الجباة لا يتحرزون من الخيانة واغتصاب الاموال فى تقدير الضرائب وجباية الاموال . ولما كانت الضرائب تختلف كل سنة وتزيد وتنقص ، لم يكن دخل الدولة وخرجها مقدرين مضبوطين .. ولم يكن ما ينفق على أهل البلاد فى ايران من مالية الدولة شيئا كثيرا . وقد اعتاد ملوك ايران من القديم أن يكتنزوا النقود ويدخروا الطرف والاشياء الغالية . ولما نقل خسرو الثانى فى المدائن أمواله الى بناية أحدثها سنة ٦٠٧ ــ ٦٠٨ كان ما نقله ٤٦٨ مليون مثقال ذهب ، وذلك ما يساوى ٣٧٥ مليون فرنك ذهبى. وفى العام الثالث عشر من جلوسه على العرش كان فى خزانته ٨٠٠ مليون مثقال ذهب : ص ١٦١ و ١٦٢) . ويقول : « كان الفلاحون فى شقاء وبؤس عظيم وكانوا مرتبطين بأراضيهم ، وكانوا يستخدمون مجانا ويكلفون بكل عمل . ويصف المؤرخ اميان مارسيلينوس كيف كان هؤلاء الفلاحون البؤساء يسيرون خلف الجيوش مشاة كأنهم قد كتب عليهم الرق الدائم ، ولم يكونوا ينالون اعانة أو تشجيعا من راتب أو أجرة ، وكانت علاقة الفلاحين بالملاك أصحاب الاراضى كعلاقة العبيد بالسادة : ص ٤٢٤) ..

ويحدثنا شاهين مكاريوس فى كتابه عن تاريخ ايران : انه كان لكسرى ابرويز ١٢ ألف امرأة وخمسون ألف جواد وشىء لا يحصى من أدوات الترف والقصور الباذخة ومظاهر الثروة والنعمة ، وقصره مثال فى الابهة والفن . ولم يرو فى التاريخ أن مليكا بذخ وتنعم مثل الاكاسرة الذين كانت تأتيهم الهدايا والجرايات من كل البلدان الواقعة ما بين الشرق الاقصى والشرق الادنى : ص ٩٠ و ٢١١) . وفى الطبرى أن أهل فارس كانوا يجعلون قلانسهم على قدر أحسابهم فى عشائرهم ، فمن تم شرفه فقيمة قلنسوته مائة ألف ، وكان هرمز ممن تم شرفه فكانت قيمتها مائة ألف ، وكانت مفصصة بالجوهر . ذكروا ــ يقول كرستنسن ــ أن يزدجرد آخر ملوك فارس لما فر من المدائن أخذ معه الف طاه ، وألف مغن ، وألف قيم للنمور ، والف قيم للبزاة وآخرين وكان يستقل هذا العدد : ص ٦٨١ . أما عن الدين فيقول مكاريوس (كان الفرس فى الزمن القديم يعبدون الله ويسجدون له ، ثم جعلوا يمجدون الشمس والقمر والنجوم مثل غيرهم من الاوائل ، وجاء زرادشت فدعا الى التوحيد وابطل الاصنام .. وأمر بالاتجاه الى جهة الشمس والنار ساعة الصلاة لان النور رمز الاله .. وجاء بعده علماء سنوا للزرادشتيين شرائع مختلفة فحرموا عليهم الاشتغال بالاعمال التى تستلزم النار .. ومن هذا التمجيد للنار واتخاذها قبلة فى العبادات تدرج الناس الى عبادتها حتى صاروا يعبدونها عينا ويبنون لها الهياكل والمعابد ، وانقرضت كل عقيدة وديانة غير عبادة النار : ص ٢٢١ ــ ٢٢٤) ..

أما الهند ــ يقول الندوى ــ (فقد اتفقت كلمة المؤلفين فى تاريخها على أن أحط أدوارها ديانة وخلقا واجتماعا ذلك العهد الذى يبتدأ من مستهل القرن السادس الميلادى .. وقد امتازت الهند عن جاراتها بظواهر يمكن ان نلخصها ثم ثلاث (١) كثرة المعبودات والآلهة كثرة فاحشة (٢) الشهوة الجنسية الجامحة (٣) التفاوت الطبقى المجحف والامتياز الاجتماعى الجائر : ص ٤٦ و ٤٧) . ونكتفى باشارة الى النقطة الاولى ، ان البوذية فقدت بساطتها وحماستها وابتلعتها البرهمية الثائرة الموتورة فتحولت وثنية تحمل معها الاصنام حيث

سارت ، وتبنى الهياكل وتنصب تماثيل بوذا حيث حلت ونزلت . وقد غمرت هذه التماثيل الحياة الدينية والمدنية التى ظهرت فى عهد ازدهار البوذية ، يقول الاستاذ ايشورا توبا استاذ تاريخ الحضارة الهندية فى احدى جامعات الهند : لقد قامت فى ظل البوذية دولة تعنى بمظاهر الآلهة وعبادة التماثيل، وتغير محيط الرابطات الاخوية البوذية . وظهرت فيها البدع ، ولاحظ ذلك أيضا جواهر لال نهرو فقال فى كتابه (اكتشاف الهند) : جعلت البرهمية بوذا مظهرا للالهة ، وقلدتها فى ذلك البوذية نفسها ، وأصبحت الرابطات الاخوية تملك ثروة هائلة ، وأصبحت مركزا لمصالح جماعات خاصة ، وفقدت النظام ، وتسرب الى مناهج العبادة السحر والاوهام وبدأت الديانة تتقهقر وتنحط بعد ما سادت فى الهند وازدهرت ألف سنة : الندوى ص ٤٤ و ٤٥) .

أما عن نظام الطبقات الجائر فهنالك الكثير ، ان القانون الهندى المدنى السياسى الدينى المعروف بـ (منوشاستر) يقسم البلاد الى أربع طبقات هى (١) البراهمة ، طبقة الكهنة ورجال الدين (٢) شترى ، رجال الحرب (٣) ويش ، رجال الزراعة والتجارة (٤) شودر ، رجال الخدمة ، وعن الطبقة الاخيرة (وهم المنبوذون) يصرح القانون المذكور بالنص (من سعادة شودر ان يقوموا بخدمة البراهمة ، وليس لهم أجر وثواب بغير ذلك ، وليس لهم أن يقتنوا مالا أو يدخروا كنزا فان ذلك يؤذى البراهمة ، واذا مد أحد من المنبوذين الى برهمى يدا أو عصا ليبطش به قطعت يده ، واذا رفسه فى غضب فدعت رجله ، واذا هم أحد منهم أن يجالس برهميا فعلى الملك أن يكوى إسته ، وينفيه من البلاد ، واما اذا مسه بيد أو سبه فيقتلع لسانه ، واذا ادعى أنه يعلمه سقى زيتا فائرا ، وكفارة قتل الكلب والقطة والضفدعة والغراب والبومة ورجل من الطبقة المنبوذة سواء) !!

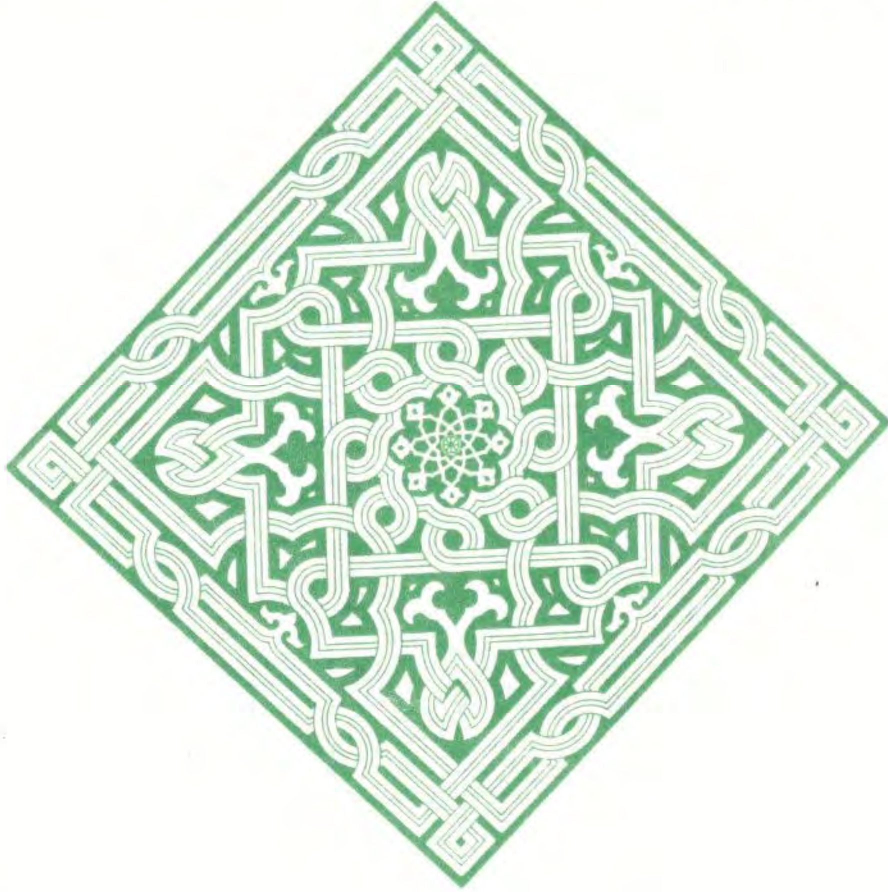
والامر كذلك بالنسبة للصين . أما الامم الاخرى فى آسيا الوسطى وفى الشرق كالمغول والترك واليابانيين فقد كانت بين بوذية فاسدة ووثنية همجية ، لا تملك ثروة علمية ولا نظاما سياسيا راقيا ، انما كانت فى طور الانتقال من عهد الهمجية الى عهد الحضارة ، ومنها شعوب لا تزال فى طور البداوة والطفولة العقلية : الندوى ص ٤٦ . وأما عن العرب فى جاهليتهم فهنالك أيضا الكثير الكثير اسوة بالامم الاخرى فى العالم الذى ولد فيه محمد عليه الصلاة والسلام (٢) . .

• • •

هكذا ، فى كل ميدان ، وفى اى اتجاه ، لا نعثر الا على الفساد والضياع . . ان العالم الذى ولد فيه محمد صلى الله عليه وسلم عالم فى أمس الحاجة الى منقذ ، وهو يفسر بوضعه الراهن ذاك لماذا جاء الرسول فى ذلك العصر بالذات . . إن القرآن الكريم ، تحدث فيما بعد ، عن أبعاد الازمة البشرية عندما قال (ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس لنذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون) لقد جاءت هذه الآية بمثابة انذار وبشارة فى الوقت نفسه ، انذار الى أن هذا العفن الذى يغمر العالم انما هو من صنع أبنائه أنفسهم ، وانهم يغرقون الان الى أذقانهم بما صنعوا !! وبشارة لكل الذين انشقوا على دنس العصر واستعلوا على عفنه وفساده ، وآلوا على أنفسهم أن يتحملوا المسؤولية ، وان يسيروا وراء رسولهم بعيدا عن الحفرة التى كان

العالم يختنق فيها ، من أجل ان (يخرجوا) بالناس من ضيق الدنيا الى سعتها ومن جور الاديان الى عدل الاسلام ، ومن عبادة العباد الى عبادة الله . وتلك هى قمة الحرية التى بعث الرسول لكى يمنحها للانسان ، وغاية الدور الكبير الذى يفسر ميلاد رسولنا عليه الصلاة والسلام . .

ان مهمة أى دين سماوى شامل هو ان ينقل البشرية من وضع معين الى وضع أرقى منه وفقا للمهمة التى أنيطت بالانسان عندما استخلفه الله على الارض واستعمره فيها . . وعندما انتصف القرن السادس للميلاد كـــانت جميع الاديان والمذاهب قد عجزت تماما ــ بما عانته من تمزقات وما استضافته من أجسام وقيم خاطئة غريبة ــ عن أداء دورها المنشود . . وما كان لها من ثم الا ان تفسح الطريق للقادم الجديد كى يأخذ على عاتقـــه مهمـــة القيادة فى عملية الاعمار والتحضر . ولقد كان محمد هذا القادم . . وبعد اربعين سنة من ميلاده تلقى رسالة الاسلام الى العالم كله فأشار الى الطريق الواحد لكل من يريد أن يحيا كانسان استخلفه الله على الارض واستعمره فيهـــا . . والا فان هنالك ألف طـــريق !!



(١) هذا النص والنصوص التى ستليه كاستشهادات ، مقتبسة جميعا من الفصلين الاول والثانى لكتاب أبى الحسن الندوى القيم (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) الطبعة الخامسة ١٩٦٤ . وبامكان القارىء ان يرجع اليهما بالتفصيل لاستكمال الصور الشاملة عن العصر الذى ولد فيه محمد عليه الصلاة والسلام .

(٢) انظر بالتفصيل كتاب الندوى المذكور فى الهامش السابق .

مائدة القارئ

الاخراج من الوطن جريمة

قال تعالى : « انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم . ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون .

أصحاب السنن :

(١) البخارى ..

محمد بن اسماعيل بن ابراهيمبن المغيرة ـ البخارى. ولد فى بخارى فى ١٩٤ هـ ـ ٨١٠ م . نشأ يتيما . ومات فى (خرتنك) من قرى سمرقند فى ٢٥٦ هـ ـ ٨٧٠ م .

(٢) مسلم ..

اسمه : مسلم بن الحجاج ابن مسلم القشيرى ـ النيسابورى . ولد بنيسابور . فى ٢٠٤ هـ ـ ٨٢٠ م . وتوفى بظاهر نيسابور فى ٢٦١ هـ ـ ٨٧٥ م .

(٣) ابو داود ..

سليمان بن الأشعث بن اسحاق بن بشير الأزدى السجستانى . أصله من سجستان . ولد فى ٢٠٢ هـ ـ ٨١٧ م . وتوفى بالبصرة فى ٢٧٥ هـ ـ ١٨٨٩ م .

(٤) ابن ماجة ..

محمد بن يزيد الربعى القزوينى ـ أبو عبد الله ، ابن ماجة .
من اهل قزوين . فىالقاموس ماجة : لقب والد محمد . وقيل هو اسم لأمه . ولد فى ٢٠٩ هـ ـ ٨٢٤ م وتوفى فى ٢٧٣ هـ ـ ٨٨٧ م .

(٥) الترمذى ..

محمد بن عيسى بن سورة السلمى البوغى الترمذى .. ابو عيسى . من أهل ترمذ (على نهر جيحون) . ولد فى ٢٠٩ هـ ـ ٨٢٤ م وتوفى بترمذ فى ٢٧٩ هـ ـ ٨٩٢ م .

(٦) النسائى ..

احمد بن على بن شعيب بن على بنسنان بن بحر بن دينار.
أبو عبد الرحمن النسائى ـ اصله من نسا (بخراسان) ، دفن ببيت المقدس . وقيل خرج حاجا فمات بمكة .
ولد فى ٢١٥ هـ ـ ٨٣٠ م.
وتوفى فى ٣٠٣ هـ ـ ٩١٥ م .

العشـــرة الـــبررة

أرحم أمتى بأمتى أبو بكر ، وأقواهم فى دين الله عمر ، وأشدهم حياء عثمان ، وأقضاهم على ، ولكل نبى حوارى ، وحواريى طلحـــة والزبير . وحيثما كان سعد بن أبى وقاص كان الحق معه ، وسعيد بن زيد من أحباء الرحمن ، وعبد الرحمن بن عوف الزهرى من تجار الرحمن ، وأبو عبيدة عامر بن الجراح أمين الله وأمين رسوله .

وقد جمع أحد الشعراء أسماء هؤلاء العشرة فقال :

بعد بشرت بعد النبى محمد　　　بجنة عدن زمرة سعداء

سعيد وسعدوالزبير وعامر　　　وطلحةوالزهرى والخلفاء

ذو الشهادتين

حضر خزيمة بن ثابت الأنصارى نقاشا بين الرسول وبين أحد الناس على دين كان على الرسول وقضاه ، فقال خزيمة : أشهد أنك قد قضـــيته يا رسول الله .

فقال له النبى : كيف تشهد ، ولم تحضره ، ولم تعلمه ؟

فقال خزيمة يا رسول الله : نحن نصدقك على الوحى من السماء ، فكيف لا نصدقك على أنك قضيته .. !

فسر رسول الله بهذا الايمان الوثيق ، واطلق عليه ذلك اللقب (ذو الشهادتين) .

وروى الامام البخارى فى صحيحه عن زيد بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل شهادة خزيمة شهادة رجلين .

ذو البجادين

لما أسلم عبد الله بن عمرو المزنى طرده عمه ، ونزع عنه كل شىء حتى ثيابه فأعطته أمـــه بجادا من صوف (والبجاد : هو الثوب المخطط الخشن) فأخذه ، وشقه قطعتين ، جعل احداهما ازارا ، والاخرى رداء ، وقدم على النبى صلى الله عليه وسلم ، وحينما سأله عن اسمه قال : اسمى عبد العزى. فقال له النبى : بل أنت عبد الله ذو البجادين . فصار ذلك اسما ولقبا له .

فرعـــون الأمـــة

عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومى وكنيته أبو الحكم وكان من أشـــد الناس عداوة لرسول الله واضطهادا للمسلمين ، وغير رسول الله كنيته ، وكناه بأبى جهل ، ولقى مصرعه فى غزوة بـــدر ، وحينما رآه رســـول الله مقتولا قال : (قتل فرعون هذه الأمة) .

هذا هو حكم الإسلام

في لباس المرأة وعملها وتعلمها

وأعوذ بالله من أن أقول : (حكم الاسلام) ثم أخلط به شيئا من رأيي ، أو بعضا مما قد تشتهيه نفسي . وأعوذ بالله من أن البس على الناس ما لا يمكن أن يلتبس على الله ، فأجمل لهم قولا تنزع اليه نفسي بصبغة زائفة من الدين لا يرضى عنها ربي ! . .

ان الكاتب ليستطيع – اذا شاء – أن يخلط بين رأى باطل تشتهيه نفسه ، وحق واضح قد قضى به ربه ولكنه انما يخلط بذلك على الناس أوفئة منهم ، أما في علم الله عز وجل – وهو الرقيب على كل شيء – فان الحق لا يعتريه بذلك أى تبدل ولا تحوير . وكل ما قد يكون جناه الكاتب بتلبيسه الذى أقدم عليه انه تحمل أوزارا مما قد اقترفه الناس في جنب الله ، اعتمادا على ما قد أفتاهم به من الحكم الذى خيل اليهم انه حكم الله .

وما أغنى الكاتب المؤمن بالله واليوم الآخر عن أن يذلل عنقه لأوزار يتحمل عن الناس تبعاتها ، ويجد يوم القيامة اليم نتائجها وسوء مغباتها . وما أغناه عن أن يجعل نفسه واحدا من أولئك الذين يدأبون على تضليل الناس عن معالم الحق الالهى . حتى اذا اجتمع الناس لليوم الذى لا ريب فيه . واكتشف هؤلاء الضالون عظم الخديعة التى ابعدوا



الاسلام

د. محمد سعيد رمضان البوطي

بها عن الحق ، اتجهوا الى ربهم يقولون :
(ربنا اننا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا ، ربنا فآتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا) .

اجل ! .. فأنا أعوذ بالله من ان أزعم للناس أنى أحدثهم عن (حكم الاسلام) فى شأن من شؤون المرأة ، ثم انحاز بهم الى سبيل هوى من أهواء النفس أو غرض مما قد تستدعيه مصالح الدنيا ، فأكون بذلك واحدا من هؤلاء الكبراء الذين يقفون غدا أمام محكمة الله عز وجل وقد تعلق بأذيالهم المغرورن والمخدوعون من الناس ، يطلبون لهم من الله عز وجل مزيدا من العذاب ومزيدا من اللعن والعقاب !! ..

وقائع الاحوال ليست مصدرا من مصادر الحكم الاسلامى

وانما يؤخذ حكم الاسلام من نص ثابت فى كتاب الله تعالى ، أو حديث صحيح من سنة رسوله محمد عليه الصلاة والسلام ، أو قياس صحيح عليهما ، أو اجماع التقى عليه ائمة المسلمين وعلماؤهم .

فلا جرم أن التصرفات الفردية من أحاد الناس ، أو ما يسميه الاصوليون بـ (وقائع الاحوال) لا يعتبر أساسا أو دليلا لأى حكم شرعى صحيح ، سواء كان هؤلاء الافراد من الصحابة أو التابعين أو ممن دونهم . بل المقطوع به عند المسلمين جميعا أن تصرفاتهم هى التى توزن ــ صحة

وبطلانا ـ بميزان الحكم الاسلامى . وليس الحكم الاسلامى هو الذى يوزن بتصرفاتهم ووقائع أحوالهم .

ولو كان لتصرفات آحاد الصحابة أو التابعين مثلا قوة الدليل على حكم شرعى ، دون حاجة الاعتماد على دليل آخر ، لبطل أن يكونوا معرضين للخطأ والعصيان . ولكانوا مثل رسول الله عليه الصلاة والسلام معصومين عن الوقوع فى أى خطيئة أو انحراف . ومعلوم بالبداهة أن الانبياء والرسل هم وحدهم المعصومون من الزلل والآثام . وأما من دونهم من الناس فما منهم الا من رَدَّ ورُدَّ عليه وحق عليه قرار الله تعالى : كل بنى آدم خطاء .

وبناء على ذلك ، فانما يكون السبيل الى معرفة حكم الله تعالى فى موضوع المرأة ، بتلمس قرار كتاب الله وسنة رسوله فى ذلك . فاذا انتهيت الى هذا القرار ورأيته مؤيدا بفهم العلماء العاملين من أئمة الكتاب والسنة ، فذلك هو الحكم الالهى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ،ولا يؤثر عليه بنسخ أو تحوير أو تقييد أن تجد آحاداً من الناس يخالفونه من أى طبقة أو سوية كانوا .

كل ما عدا الوجه والكفين من المرأة عورة

وقد كانت المرأة فى العصر الجاهلى تحرص على اظهار زينتها امام الرجال ، وأن لم تكن تبالغ فى ذلك كشأن المرأة فى الامم الاخرى . وقد كان الجيد والنحر وجمة الشعر من ابرز مفاتنها عناية وظهورا أمام الرجال .

فلما جاء الاسلام وتنزلت أحكامه الشرعية تترا ، نزل فى حق المرأة ولباسها قول الله عز وجل : **(يا ايها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ، وكان الله غفورا رحيما)** ونزل ايضا قوله عز وجل :

(وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ماملكت ايمانهن أوالتابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) النور :

فقد دلت الآيتان بصريح البيان على أن ذلك التبرج الذى كانت قد تعودت عليه المرأة العربية فى جاهليتها قد أصبح أمرا محظورا وسلوكا محرما مشينا ، وأن عليها أن لا تكشف من زينتها ومفاتنها أمام الغرباء الا ما يظهر منها بطبيعة الحال وتقع فى حرج وضيق عند محاولة ستره . وقد وضع البيان الالهى هذا الحكم ضمن اطار بارز من الخطورة والاهتمام ، عندما عدد أصناف الاقارب والناس الذين يستثنون من عموم هذا الحكم صنفا صنفا كما قد رأيت فى الآية الثانية .

من اجل ذلك أجمع ائمة المسلمين كلهم على أن ما عدا الوجه والكفين من المرأة داخل تحت وجوب الستر ، اذ الظاهر الذى قد تتحرج المرأة من ستره لا يعدو أن يكون الوجه والكفين على حالة طبيعية لا زينة فيهما .. وقد أمر الله بستر ما عدا هذا الظاهر من جيد ونحر ونحوهما . فلم يقع

بين أئمة المسلمين فى أى عصر من العصور خلاف فى أنه يحرم على المرأة أن تكشف أمام الاجانب — وهم ما عدا الاصناف الذين استثنتهم الآية — شيئا غير الوجه والكفين ، من شعرها أو بقية أجزاء جسمها .

تحقيق العلماء عن الوجه ذاته

الا أن محل البحث والنظر فيما بينهم ، انما كان فى أمر الوجه نفسه ، وقد انقسم العلماء فى ذلك الى فريقين :

فأما الفريق الأول ، فقد فسر ما ظهر من الزينة ، فى الآية المذكورة ، بزينة الثوب وأطراف الاعضاء وما قد يبدو معها كالخاتم ونحوه .. فبقى الوجه والكفان داخلين فى عامة ما يحظر كشفه . وعليه فلا يجوز للمرأة أن تكشف وجهها أمام غير من استثناهم الله تعالى ، من أصناف الاقارب ومن يلوذ بهم .

ويستدل أصحاب هذا التفسير — وهم الحنابلة وبعض الشافعية — على ما ذهبوا اليه بالاحاديث التالية :

١ — ما رواه البخارى عن عائشة رضى الله عنها فى باب ما يلبس المحرم من الثياب : (لا تلثّم المرأة ولا تتبرقع ولا تلبس ثوبا بورس ولا زعفران) . ومثله ما رواه مالك فى الموطأ عن نافع أن عبد الله بن عمر كان يقول : لا تنتقب المرأة المحرمة ولا تلبس القفازين . فما معنى نهى المرأة عن أن تتبرقع أو تنتقب أثناء الاحرام بالحج ، لو لم تكن فى عامة أحوالها الاخرى مبرقعة ؟

٢ — ما رواه البخارى أيضا عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم أردف الفضل بن العباس يوم النحر خلفه — وفيه قصة الخثعمية التى وقفت تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم — فطفق الفضل ينظر اليها ، فأخذ النبى عليه الصلاة والسلام بذقن الفضل فحول وجهه عنها . قالوا : فلولا أن وجهها عورة لا يجوز نظر الرجل الاجنبى اليه ، لما فعل رسول عليه الصلاة والسلام ذلك بالفضل ، أما المرأة ذاتها فقد كان عذرها فى كشف وجهها أنها كانت محرمة بالحج .

٣ — ما رواه ابن هشام عن ابن اسحاق فى سبب اجلاء النبى عليه الصلاة والسلام ليهود بنى قينقاع عن المدينة ، من أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها (ما يجلب الى السوق للبيع) فباعته بسوق بنى قينقاع ، وجلست الى صائغ بها ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها ، فأبت ، فعمد الصائغ الى طرف ثوبها فعقده الى ظهرها ، فلما قامت تكشف جسمها ، فضحكوا منها ، فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين فقتله .. الخ قالوا : فلولا أن الحجاب الشرعى سابغ للوجه أيضا لم يكن أى دافع الى أن تسير هذه المرأة فى الطريق ساترة وجهها . ولولا أنها قد فعلت ذلك تحقيقا لحكم دينى تعلمه وتؤمن به لما وجد اليهود ما يدفعهم الى ما صنعوا ، لأنهم انما أرادوا بذلك مغايظة شعورها الدينى .

٤ — ما أخرجه عبد الرزاقّ فى مصنفه وغيره ، عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : لما نزلت آية الحجاب خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من أكسية سود يلبسنها .

وأما الفريق الثانى ، فقد فسر « ما ظهر منها » بالوجه والكفين . اذ هما الظاهر الذى قد تتحرج المرأة من الدوام على ستره . ولكن أصحاب هذا التفسير شرطوا لجواز كشف المرأة وجهها أن لا يكون ذلك

فى حالة تثير الفتنة كأن تكون بارزة الجمال أو أن تظهر أمام فساق يغلب على الظن أنهم يتأملونها بشهوة ، فان عليها فى هذه الحال أن تنهى عن هذا المنكر الذى هى المتسببة فيه . وانما يكون نهيها له بأن تمنعه من النظر اليها بهذا الشكل ، أو أن لا تخرج من بيتها الى مثل هؤلاء الناس ، أو أن تحتجب عنهم ببرقع تسدله على وجهها .

قالوا : فكل ما ورد من الاحاديث الصحيحة الدالة على الانتقاب مما احتج به الفريق الاول ، يفسر بحالة الخوف من الفتنة أو يفسر بحب الحيطة والورع فى الحكم ، والراجح ان اكثر نساء الصحابة والتابعين فيهن من الورع وحب الحيطة فى دين الله ما يدفعهن الى الانتقاب .

محلّ الإجماع .. ونتيجة الخلاف

فقد تحصل من هذا الكلام ان ائمة المسلمين كلهم اجمعوا على ما يلى :

أولا : لا يجوز أن تكشف المراة أمام الاجانب شيئا اكثر من وجهها وكفيها .

ثانيا : لا يجوز أن تكشف المراة الوجه والكفين أيضا اذا علمت ان من حولها من قد ينظر اليها النظر المحرم الذى نهى الله عنه وهو التأمل بشهوة .

ثالثا : اتفقوا على جواز كشف الوجه — ترخصا — لضرورة تعلم أو تطبب أو شهادة أو تعامل ما من شأنه أن يستوجب الشهادة .

واختلفوا فيما وراء هذه الاحوال، وهو أن تكون المرأة بادية الوجه فى مجتمع عام ، وليس ثمة من يتأملها بشهوة . فقد ذهب البعض الى انه لا حرج عليها فى ذلك ، وهم الجمهور ، وذهب آخرون — وهم الحنابلة وبعض الشافعية الى أنه يجب عليها ستر وجهها مطلقا .

هذا هو حكم الاسلام فى لباس المرأة . اتفقت عليه كلمة علماء المسلمين كلهم ، معتمدين فى ذلك على نصوص واضحة صريحة فى كتاب الله تعالى واحاديث ثابتة صحيحة من سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام . فاذا عثرنا بعد ذلك على وقائع وتصرفات فردية لبعض نساء الصحابة أو التابعين أو غيرهم ، تخالف هذا الذى أجمع عليه الأئمة مما دل عليه صريح الكتاب والسنة ، فانها وقائع محجوجة بالحكم المبرم فى كتاب الله جل جلاله ، وحاشا ان يكون حكم الله محجوجا بها .

ليس فى أمر العمل والتعلم ما تختلف به المراة عن الرجل

اما ان تباشر المراة عملا ما تستدر به الرزق لنفسها أو لأسرتها ، أو أن تعكف على علم من العلوم تدرسه وتتعلمه ، فليس للاسلام فيه الا الحكم العام الذى يشمل المراة والرجل على السواء . واذا عثرت على حالة ينهى فيها الاسلام المراة عن أن تعمل خارج بيتها أو ان تتعلم، فذلك لما قد يصحبه من ارتكاب لبعض المحاظير ، كأن لا تلتزم بأحكام الستر والاحتجاب عن الأجانب على النحو الذى أوضحناه . اما اذا جمعت بين التمسك باللباس الاسلامى المشروع ، والعمل المباح فى ذاته أو العلم النافع الذى تسعى الى تحصيله ، فليس فى الامر مشكلة تحتاج الى بحث . ولم يصح عن رسول الله صلى الله عليه

وسلم أى حديث فى المنع عن شىء من ذلك ، بل اتفق الفقهاء على أن المرأة المتوفى عنها زوجها لها أن تخرج من بيتها فى مدة العدة اذا اضطرها الى ذلك حاجة اكتساب ورزق .

وتعلم من هذا الذى ذكرناه ، أن المفتاح الذى بيده حل المشكلات الاجتماعية المختلفة المتعلقة بالمرأة ، انما هو انصياعها لحكم الله عز وجل فيما ينبغى أن يكون عليه لباسها وسترها . فاذا انصاعت لهذا الحكم الالهى ، فلا عليها أن تناكب الرجل أو تسابقه فى جميع الاعمال والميادين والمهارات المباحة المختلفة . أما عندما لا تنصاع لهذا الحكم الالهى فان جميع أعمالها وتصرفاتها تتسم بطابع الحرمة والحظر ، ولكن لا لذاتها بل من أجل ما صاحبها من المحظور الذاتى الذى لا شك فى حرمته .

أيهما المشكلة التى .. تحتاج الى حل ؟

فاذا تبينت — يا أخى القارىء — حكم الله تعالى فى هذه المسألة ، فأيهما تعتبر مشكلة تحتاج الى معالجة وحل ؟ .. المرأة التى تحتاط لدينها وتبالغ فى تحقيق مرضاة ربها فتفيض على جسمها مزيدا من الستر وتسدل منه على وجهها وسائر أطرافها ، مخافة أن يتأملها ناظر بشهوة فتكون هى المسببة لذلك فتبوء باثمها واثمه أم المرأة التى تتأول حجاب الجسم بعفة النفس وتتخذ من كشف بعض شهيرات النساء عن وجوههن — تابعيات كن أم صحابيات — دليلا على زيف الحجاب من أساسه ، فتنطلق بين الرجال عارضة من جسمها كل ما فيه زينة وفتنة واغراء ، دون أن تتقيد من ذلك بحد الا ما تفرضه (الموديلات) المتناسخة التى ترعاها دور الازياء فى باريس وأنحاء أوروبا وأمريكا ؟! ..

أجل يا أيها القارىء المسلم : أيهما تعتبر مشكلة دينية واجتماعية وخلقية تحتاج الى اهتمام وحل ؟!..

أليس من أعجب العجب أن تجد طائفة من كتابنا — وهم مسلمون بألسنتهم — وكثيرا من مجلاتنا — وهى مطبوعة بطابع التوحيد والايمان — تجعل من الحيطة فى دين الله والاهتمام الصادق بشرع الله مشكلة المشاكل وكبرى المصائب ، فتجرد لها الاقلام وتستعين لحلها بالصور المغرية آنا والساخرة آنا آخر ، وبالايحاءات والمعالجات النفسية المختلفة ، كل ذلك من أجل أن طائفة من النساء المسلمات — وهن قلة على كل حال — دفعتهن الحيطة ابتغاء مرضاة الله عز وجل فأسدلن الحجاب على وجوههن أو على ما سواها من بقية أعضاء الجسم ، دون أن يشفع لها أنها قد تساهم مع ذلك فى خدمة مجتمعها ورعاية أمتها ، وتقوم فى مجال النشاط الثقافى والاجتماعى الصحيح بما لاتقوم به الاخريات — ثم لا تستشعر فى المقابل بأى مشكلة أو خطيئة تحتاج الى معالجة وتقويم بالنسبة لهذهالكثرة الكاثرة من النساء والفتيات اللاتى وقعن أسيرات تحت حكم بيوت الازياء الحديثة التى يعلم المطلعونجميعا أنها انما تنقاد لادارة طائفة من الادمغة الصهيونية التى تعمل جاهدةعلى أن تتحكم بلباس المرأة فى العالم الاوروبى والامريكى عامة وهذا الشرق الاسلامى خاصة ! ..

اليس من اغرب العجب أن تجد طائفة من الكتاب — وهم مسلمون بألسنتهم — يتعلقون بما قد يعثرون عليه من الوقائع الفردية لحال بعض نساء الصدر الاول من التاريخ الاسلامي ، ليسوغوا به هذا الواقع الاليم الذى لا يقره دين سماوى ولا خلق انسانى ولا ينطوى الا على شر خطير طالما تنادى المصلحون لمعالجته وغالط بعضهم بعضا فى الاشارة الى مصدره ثم لا يعرجون على شىء من حكم الله تعالى الواضح الصريح فى كتابه وعلى لسان نبيه والمجمع عليه عند ائمة المسلمين ، ليتخذوا منه وسيلة الى اصلاح شىء من هذا الفساد العظيم ، وتخفيف قدر ولو يسير من بلاء هذا التعرى الذى انحرفت اليه الاسرة المسلمة دون أن تجد فى طريقها أى مقاومة ولا تنبيه ! ..

عشرات الأبحاث والمقالات تنشر بين حين وآخر فى الغمز واللمز والسخرية من بقايا حجاب المرأة المسلمة ، وهو لم يأت الناس الا بالفائدة والخير ، ولا يكتب فى مقابلها بحث واحد يلفت فيه النظر الى ضرام هذه النار التى تتقد فى كل بيت وتندلق الى كل شارع ومجتمع ، وهو لم يقدم الى جيل هذه الأمة بل الى شباب العالم كله الا أخطر أسباب الهلاك والدمار !!! ...

أختى المسلمة !

أختى المسلمة : لئن كان ثمة من يريد أن يزيد مشاعرك تخديرا تحت وطأة هذه (التقاليع) التى أحاطت بك كما تحيط خيوط العنكبوت بالضحية الحبيسة ، فيذكرك بفلانة التى كانت تبرز مفاتنها أمام الرجال وفلانة التى كان لها « صالونها » الادبى البارز بين الناس ، فانى لأذكرك بالحكم الالهى الذى نقلته لك بأمانة وبالحديث الثابت الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول :

(صنفان من امتى لم أرهما قط : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، مائلات مميلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة (أى كسنام الجمال) لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وان ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا) .

ولئن كان ثمة من يزعم لك بأن حجاب المرأة عائق عن مشاركتها الرجل فى نهضته الفكرية والثقافية والاجتماعية ، فانى أقطع لك بأن هذه المقارنة بهتان كبير لا أساس له . واقرر لك — وانا شاهد عيان — أن فى فتيات بعض جامعاتنا العربية متحجبات بحجاب الاسلام مستمسكات بحكم الله عز وجل ، وهن اسبق الى النهضة العلمية والثقافية والنشاط الاجتماعى من سائر زميلاتهن المتحررات . لقد رأينا الكثير من مظاهر التبذل والعرى فى افريقيا وجهات أخرى وما رأيناها نبعت بشىء من سحر النهضة العلمية والنشاط الفكرى والتقدمى . كما رأينا الكثير من مظهر المحافظة على شرع الله وحكمه دون أن ينحط هذا المظهر بأصحابه أو صاحباته عن أوج الرقى الصحيح والحركة الثقافية الناشطة . ان التخلف له أسبابه والتقدم العلمى له أسبابه ، واقتحام شريعة الستر والاخلاق فى الامر خدعة لا تنطلى الا على متخلف عن مستوى النظر والفكر .

ولئن كان ثمة من يزعم لك بـأن عفة الفتاة حقيقة كامنة فى ذاتهـا وليست غطاء يلقى ويسدل علـى جسمها ، فانى أقول لك : ان هـذا صحيح ، ولكن من هذا الذى زعـم أن مشروعية الحجاب فى دين اللـه انما تعنى خلاف هذه الحقيقة ؟ .. ان الله عز وجل انما فرض الحجاب على المرأة حفاظا على عفة الشاب الذى قد يقع نظره عليها ، لا حفظا علـى عفتها هى من العين التى قد تراها ، ولئن كانت تشترك معه فى هـذه الفائدة فى بعض الاحيان ، فـان فائدته من ذلك أخطر وأعظم ، والا فمن ذا الذى يقول ـ تحت سلطان هذه الحجة المقلوبة ـ ان للفتاة أن تبرز عارية أمام الرجـال كلهـم ما دامت انها ليست فى شك من قوة اخلاقهـا وسلامة عفتها ؟! ..

ثم أن كان ثمة من يذكرك بجمال هذه الدنيا ومغريات الانطلاق فيها ، فانى أذكرك بخطـورة عقبـاها ، وجسامة ما ينتظرك من آثارهـا ونتائجها .. أذكرك بيوم الديان ، ان كنت قد آمنت بوجوده . أذكرك بهذا كله ، فان ذلك أدعى الى ان تتلمس سعادة الدنيا والآخرة معا .

ودعينى اذكرك اخيرا ، بأن جميع هؤلاء الخادعين انما ينظرون فيمـا ينصحون لك بزعمهم الى أمر انفسهم وحاجة شهواتهم ، ولو انـى أردت لنفسى حظها لفعلت مثلهم ولانضممت الى ركبهم ، فأنا رجل فى نفسى من هوى الرجال وشهواتهم مثل الذى عندهم جميعا . ولكنى أيتها الاخت المسلمة لا اريد أن ابوء بإثمى وإثمك يوم القيامة ، أريد أن تكونى حسنـة فى ميزانى وأن اكـون حسنة فـى ميزانك . أريد لى ولنفسك شيئـا اقـدس واسـعد من كل هـوى وشهوة .

اريد لى ولك مرضاة الله .



نموذج من دعاة الاصلاح
في عصور الركود الفكري

الامام ابن تيمية

- ١ -

للشيخ محمد الصادق عرجون

ليس هذا الحديث ترجمة لابن تيمية رحمه الله لأن ترجمة شخصية تاريخية مثل شخصية هذا العلم العليم ، عبقرى دهره ، ونسيج وحده ، تستدعى كتابا جامعا ، يحلل ويستشهد ، ويوازن بين احداث الشخصية ليحكم بعد ان ينقد ، ويجمع النظير الى نظيره ليستنتج ، ودون ذلك مئات الصفحات تنفد ولا ينفد الحديث عن معالم هذه الشخصية التى فتح لها التاريخ صدره فاستقرت منه فى قرار من الخلود مكين .

وانما هو حديث عن جانب من جوانب شخصية هذا الامام الذى جدد الله به لهذه الأمة أمر دينها بعد أن فقد المسلمون معالم الطريق لهدايته فى غمرة من المحن ، وصيب من البلاء ، والذى نهض بعبء الاصلاح فى الامة الاسلامية ، وبعث الله به الفكر الاسلامى بعد الجمود ، وأيقظ به الحياة بعد الركود .

ذلك الجانب هو جانب الدعوة الى الله تعالى ، فهذا الحديث يقصد الى تصوير شخصية ابن تيمية بوصفه نموذجا حيا للدعاة فى عصور الركود الفكرى والجمود الدينى ، وفى هذا الجانب نجد فى ابن تيمية شخصية عريضة المعالم ، عميقة الغور ، صنعها الله على عين الاسلام فى بدنه غريبا ، وفى قوته مؤيدا رهيبا ، وفى سماحته رغيبا أريبا ، وفى عدله حكيما لبيبا ، وفى رحمته مواسيا حبيبا ، وفى آدابه وشرائعه معلما نجيبا .

جاء ابن تيمية الى الحياة على فترة من المصلحين فى تاريخ الاسلام ، كان المجتمع الاسلامى فيها قد وصل الى صورة يعجز القلم عن تصوير ما كان يغمر هذا المجتمع من الانحلال الاجتماعى ، والتحلل السياسى ، والتفتت المذهبى ،

والتفرق الطائفى ، والتعصب القومى ، والجمود الفكـــرى ، والركود الدينى ، مجتمع فرقه الهوى ، ومزقه الترف البطين ، واستولت على سياسته قيـــادات حاكمة عاشت لشهواتها الداعرة فى ظل من الجهالة الجاهلة ، واستحوذ عليه البلاء من كل جانب ، وصبت عليه المحن القواصم صبا ، واحاطت به الرزايـــــا العواصف ، فعصفت بمقوماته حتى أفقدته الاحساس بالمقاومة ، فهو يبصر ولا يعى ، ويسمع ولا يفقه ، ويساق فلا يدرى ، تألبت عليه الصليبية الحاقدة فـــى تعصب مسعور ، تريد أن تستأصل شأفته من الارض ، وتكالبت عليه معهـــــا وحشية التتار فى جنون مجنون ، تعب من دماء البشر فلا تشبع ، وتخرب كـــل عامر فلا تقنع ، وتدمر كل قائم فلا تهدأ ، تشرد الآمنين ، وتطارد الهاربين ، وتفتك بالزمنى والعاجزين لا يصدها عن غيها دين ، ولا يردعها عن كفرها وضلالها ضمير ولا تردها عن طغيانها رحمة ، ولا توقف عتوها مروءة ، فهى لعنة الله على أهل الارض ، ونقمته بالمسلمين ، وبطشه بمن نام منهم عن رعيته فتولى رعيها الذئاب تنهش ما تبقى فى أشباحها من بقايا الحياة ، ولا تـــزال أسواء هاتين النكبتيـــن العاصفتين بفضائل الاسلام فى مجتمعه تلازم هذا المجتمع وتفتك به ولا يزال هذا المجتمع فى أشد الحاجة الى من يقوده ويوجهه من نماذج الدعاة المصطفين للقيام بالدعوة الى الله بايمانهم وعلمهم وصادق اخلاصهم .

فالصليبية الحاقدة لا تزال تشن على الاسلام والمسلمين حربا شعواء فى صور وألوان مختلفة ، من أقساها وامرها واشدها فتكا بخصائص المجتمـــــع الاسلامى ، هذه الحرب الفكرية الالحادية التحللية التى وجهت وتوجه الفكر الاسلامى وجهات بعيدة كل البعد عن معالم دينه ، وصرفته عن منابعه الاصيلـــة وأصوله التى انزله الله عليها ، فأخرج بها الناس من الظلمات الى النور ، والتى وضع الله بها فى يد الأمة الاسلامية أزمة القيادة الانسانية منذ أهاب بها (كنتـــم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنـــــون بالله) فاستجابت متصدرة محافل العلم والمعرفة ، حاملة لواء القيادة للحياة سلطانـــا وعلما وخلقا ، مما أوغر صدور أعدائها حقدا ، فتربصوا بها حتى عشت عن طريق اسلامها وضلت طريقه فى الهداية والدعوة الى الله ، وخلعت عن جيدها قلائد فضائله ، فوثبوا عليها وثبة المجنون ينطلق من وراء أسوار الظلام ، فلا يصادفه فى طريقه شىء الا أتى عليه تحطيما .

وهذا الحقد الصليبى الاسود الذى أدرك الامام ابن تيمية آثار أعاصيـــره الدامية لم يكتف باثارة العصبية العمياء فى اشعال نيران الحروب المدمرة ، وتأليب النصرانية الكافرة بنعمة الاسلام والمسلمين عليها يوم أن عاشت فى ظله آمنة مطمئنة فى الشرق والغرب ، ولكنه أثارفى ظل تكتلاته المسعورة بجميع مذاهبه وطوائفه حربا من الاكاذيب الفكرية ، توهم موقدوها من قسيسيهم ورهبانهم كما يتوهم مستشرقوهم اليوم أنهم يستطيعون — وحروبهم المدمرة تحميهم — أن ينالوا من الاسلام فى عقائده وتشريعاته نيلا ، ولكن الله تعالى كان لهم بالمرصاد فسلط عليهم سيف ابن تيمية العلمى ، فنهض بقلمه ولسانه الى رقاب شبههم يجزهـــا بحجته ، حتى تركها بين أيديهم كالرميم ، ورماهم بباقعة الدهر فى كتابه العظيـــم (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) الذى لم يؤلف فى موضوعه مثله ، بيـــن فيه أغاليط النصرانية الكافرة المبدلة المحرفة ، وكشف سوءات الحقد الصليبـــى فيما زعموه دينا وفلسفة ، وقد حفظ الله للاسلام والمسلمين هذا الكتاب القيـــم ليكون مادة علمية تمد كل مسلم بأصدق البراهين على حقـــائق الاسلام ، دينا سماويا خالدا ، وشريعة الهية نسخ الله بها جميع الشرائع قبلها ، وختم بها وحيه

الى الناس كافة ، وسيظل هذا الكتاب شجا فى حلق الاستشراق والتبشير يغصان به ، كاشفا عن أباطيلهما ، مضيئا للناس فى طريق الدعوة الى الله .

ولئن خدع متزعمو المسلمين فى أوطان الاسلام شرقا وغربا بأكاذيب النفاق السياسى ــ فتوهموا أو وهموا أن هذه الحروب التى تشنها الصليبية الحاقدة اليوم بكل قواها وبكل صورها وأشكالها الظاهرة والخفية هى حروب سياسية جديدة لا تتصل بمطالع تلك الحروب الدينية الحاقدة المدمرة ــ فلن يخدع الواقع الاسلامى أمام الحقائق التى تلظى هذه الحروب ، وتلونها مرة فى صورة علم وبحث استشراقى خبيث ، يضع للمسلمين السم فى الشهد ، ومرة أخرى فى صورة تبشير دعائى آثم كفور ، يفتك بالعقائد والاخلاق ، ومرة ثالثة فى صورة أوضاع حضارية اباحية لا تقيم وزنا للقيم الاخلاقية والفضائل الانسانية ، ليخدعوا بها غرائز الشباب الفوارة ينذر المراهقة لتنهار أمام عينيه حصون الفضائل ، ومرة رابعة فى صورة فلسفة الحادية منحلة متحللة تدعو الى الدعارة الوجودية والاباحية الفاجرة ، لتحطم مقدسات الاديان وأصول الشرائع الالهية.

أما نكبة الوحشية التتارية فلا تزال رواسبها التى انحدرت وراثة فى مواليد الأجيال تكمن فى مكامن الحياة من نفوس العالم الاسلامى الذى أصطلى بنار تلك النكبة المسعورة فى جنونها ، فولدت فيه الرعب والخوف من كل حركة ، يستشعرها حوله ، لا يبالى أن تكون له أو عليه حتى أصبح كأنما هو المعنى بوصف الجذوع الخاوية من أشباح المنافقين **(يحسبون كل صيحة عليهم)** فاذ هو مجتمع متهافت ، فقد كل مقومات المقاومة للدفاع عن نفسه ، ودينه ووطنه ، ومقدساته فى الداخل والخارج ، نتيجة لما أصيب به على أيدى وارثى وحشية التتار المغوليين من الملاحدة الشيوعيين الذين أفنوا ملايين المسلمين فى أوطان اسلامية ، كانت أنضر رياض الاسلام ، بما كان فيها من شموس أعلام العلماء ، حتى أصبحت ــ من شدة الهلع ــ كلمة « الاسلام » غريبة فى منطق المتزعمين على أمم الاسلام ، لا تكاد تجد لها مكانا فى أحاديثهم وخطبهم ، واذا الجئوا اليها الجاء لظرف قاهر ، خرجت مهزوزة ، مريضة، كأنما تعانى بها السنتهم سكرات الموت، واذا اضطروا لمناسبة تتملق الجماهير الى ذكر النبى صلى الله عليه وسلم ، ذكروه كما يذكره من لم ينشأ نشأة إسلامية أصيلة ، فيقولوا : « النبى محمد » أو « محمد النبى » هكذا بهذا التعبير الغريب عن شعائر المسلمين .

من هذا التصوير الموجز لفداحة ما أصاب المجتمع الاسلامى فى حياته الدينية ، والفكرية ، والاجتماعية ، يوم أن نهد فيه الامام تقى الدين أحمد بن عبد الحليم المشهر بابن تيمية ، داعية الى الله تعالى فى عصره ، مصلحا ما افسده الجمود الفكرى والضعف الاجتماعى ، نستطيع أن نتعرف على المعالم الاصليةالتى جعلت من هذا الامام نموذجا لأفضل الدعاة الى الله تعالى فى عصره والأعصر التى توالت بعده .

ومعالم الداعية الى الله تعالى هى التى تهمنا فى دراسة شخصية ابن تيمية ، وقد اخترناه نموذجا للدعاة الاصلاحيين فى عصور الركود الفكرى ، وأما ما وراء ذلك من معالم عامة أو خاصة لشخصية هذا الامام ، فقد أشرنا الى أنها أوسع وأعمق من أن يحاط بها فى صفحات دراسية معدودة فى زمن محدود .

والامام ابن تيمية كان حظيا جد الحظوة فى سجل التاريخ ، فقد كتب عنه الكثير بين كتب مطولة ، تترجمه ، وبحوث موجزة ، تتحدث عنه ومقالات وفصول تبين بعض فضائله ،وتعليقات على فتاويه ورسائله ، تشيد بعلمه ، بيد أنه عاش

عمره يتقلب فى سراديب المحن ومضايق البلايا ، وهو صابر مصابر ، لا يحقد على أحد ناله بأذى ، ولا تلين قناته أمام صولة باطل ، مهما أزبد وأرعد ،قوال بالحق فى غير تكلف ولا مصانعة ، لا يصده عن الجهر به فى وجه من كان — وعد أو وعيد ، ولا يقعده عن اظهار معتقده وآرائه ترغيب أو ترهيب ، زهد الدنيا فتحرر من ربقتها ، كان ايمانه بالله مصدر قوته يناضل عن الحق ، مهما لقى فى طريقه من مصاعب وعقبات ، والناس فيه بين محب أفرط فبالغ وتجاوز المدى ، وشانىء أعمته البغضاء عن رؤية الحق .

ولو حكم الناس على الناس والأحداث بعلم ومعرفة ومعدلة لاستقامت بين أيديهم موازين الحق والعدل فى تقدير الرجال ، ووضعهم من الحياة فى مكانهم الصحيح مع احداث التاريخ ، ولا سيما حياة الاسلام والمسلمين ، فهى حياة ولود، ودود ، لا تعرف العقم فى ولادة الأكملين فى خصائص الانسانية الفاضلة ، ولا ترضى بالظلم فى غمط الفاضلين ، فهى حياة مخصبة عادلة ، والله تعالى وضع الميزان للناس فى كتابه العزيز فقال عز شأنه **(يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا أعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون)** وقال تبارك وتعالى **(يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين)** .

وللامام ابن تيمية نسب روحى عريق فى المحن والصبر على لأوائها ، فهو وليد أسرة علمية تتمذهب بمذهب الامام قدوة الصابرين فى الاسلام على محن البلاء احمد بن حنبل رضى الله عنه ، فكأنما كان مهد ابن تيمية فى أحضان هذه الأسرة ارهاصا لما كان ينتظره فى حياته مسطورا فى لوح الغيب من الابتلاء بما ابتلى به فى سبيل آرائه العلمية ، فلا بد أن يكون ابن تيمية قد فتح عينيه ، وأرهف أذنيه وأصغى بقلبه وعقله الى ما تتناقله أسرته وترويه من حياة أمامها أحمد بن حنبل معجبة به ، فخورة بصبره وثباته لتثبيت الحق فى قلوب المؤمنين ، ولا بد أنه قرأ عن محنة امامه وعرف مصادرها ومواردها ونهاياتها ، ومن كان فيها وليا للشيطان يوقد نارها ، ومن كان فيها وليا للرحمن يطفىء بصبره أوارها ، ومن كعّ وتوارى وراء التورية والتعريض ، ومن تخاذل فهرب من ميدان الجهاد فى الله ، ومن تلقى نبلها من قوس باطلها فرده فى نحر أعداء الحق ، فاختار ولا خيرة لمثله فى هذا المقام ، لأنه لماح تواق لتسنم ذرى معالى مراتب الايمان ، ولو كانت بين أشواك المحن والبلاء ، وانها لكذلك فى واقعها ، ولا بد أنه سأل نفسه ، هل كانت هذه المحنة ، محنة العقيدة فى صورة القول بخلق القرآن أولى وآخر البلايا والمحن فى تاريخ الاسلام ؟ وهل كان امامه ، الامام أحمد بن حنبل أول وآخر مبتلى صبار فى أحداث الاسلام ؟ ولا بد أنه أجاب نفسه عن هذه التساؤلات وتمثلت أمام عينيه مواقف من المحن والرزايا منذ كانت دعوة الاسلام ، وكان دعاتها الذين خاضوا فى سبيلها لجج البلاء والمحن صابرين مصابرين حتى أقاموا منائر الحق تضىء للسالكين طريق الدعوة الى الله .

واذا كان الصحابة رضوان الله عليهم فوق مستوى من جاء بعدهم ، فلا يلحقهم فى صبرهم على البلاء من يحاول اللحاق بهم ، لما كان لهم من خصيصة التربية النبوية ، ففى تلاميذهم من التابعين وتابعيهم نماذج وشواهد ، وأى امام سادت آفاق الارض سمعته وسيرته وطوف فى الأرجاء علمه وفضله لم يمتحن

بقواصم البلايا على أيدى الظالمين ؟ سعيد بن المسيب ، سعيد بن جبير ، مالك بن أنس ، أبو حنيفة ، سفيان الثورى ، البويطى ، وغيرهم وغيرهم ممن لا يحصيهم العد ، فليكن ابن تيمية سليل هذا الرعيل فى نسب الروح والايمان وصلابة العزيمة ، وليعمل كما عملوا ، وليصبر كما صبروا ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون .

وأول معالم الداعية واعظمها فى شخصية ابن تيمية التى جعلته نموذجا يحتذى ، وقدوة به يقتدى ، سعة معارفه فى جميع فنون المعارف التى كانت معروفة فى عصره ، وكان كثير منها قد استوى فى ذروته ونضجت مباديه وأصوله ، فقرأها وهضمها ، ونقدها وزيف الباطل منها ، وانتفع بما فيها من حق وخير .

ولقد صادف ذلك عنده تبحره فى علوم الاسلام والعربية بما لم يعرفه التاريخ العلمى فى الاسلام لفرد غيره منذ أن اقام بنهضته الاصلاحية داعيا الى الله ، مبلغا رسالة الاسلام كما فهمها من الكتاب والسنة وأقاويل الصحابة والتابعين . وقد اعترف بفضله وقوته فى العلوم والمعارف الفطاحل من معاصريه الذين كان لهم فى مجال الفكر الاسلامى القدح المعلى ، والذين تعتبر شهادتهم مفخرة فى حياة هذا الامام الداعية المجاهد . يقول فيه الامام ابن دقيق العيد . وكان قد اجتمع به وسئل عنه : (رأيت رجلا جمع العلوم كلها بين عينيه ، يأخذ منها ما يريد ، ويدع ما يريد) . ويقول عنه ابن سيد الناس : (كان يستوعب السنن والآثار حفظا ، ان تكلم فى التفسير فهو حامل رايته ، أو أفتى فى الفقه فهو مدرك غايته ، أو ذاكر فى الحديث فهو صاحب علمه ودرايته ، أو حاضر بالملل والنحل لم تر أوسع من نحلته فى ذلك ولا أرفع من دلالته ، برز فى كل علم على أبناء جنسه ، ولم تر عين من رآه مثله ، ولا رأت عينه مثل نفسه) . ويقول فيه الامام الزملكانى : (كان اذا سئل عن فن من العلم ظن الرائى والسامع انه لا يعرف غير ذلك الفن وحكم أن أحدا لا يعرفه مثله ، وكان الفقهاء من سائر الطوائف اذا جلسوا معه استفادوا فى مذاهبهم منه ما لم يكونوا عرفوه من قبل ، ولا يعرف أنه ناظر أحدا فانقطع معه ، ولا تكلم فى علم من العلوم سواء أكان من علوم الشرع أم غيرها إلا فاق فيه أهله والمنسوبين اليه) .

نشأ ابن تيمية فى بيئة علمية بأوسع ما تعطى هذه الكلمة من معنى ، فبيئته الخاصة ، بيته وأسرته ، أبوه وجده ، من أساطين العلماء فى عصرهم ، اشتهر جده فى علم الحديث ، وفى فقه السنة وأصول الفقه وكان مرجعا للفتوى فيها ، وحسبه كتابه « المنتقى » فى الحديث وفقهه ، والذى شرحه الشوكانى فى كتابه (نيل الأوطار) واشتهر أبوه بالتدريس فى مدارس الاسلام ببلده وفى دمشق التى رحلت الاسرة اليها أمام هجمات الوحشية التتارية حتى بلغ مرتبة مشيخة الحديث فى مدارسه ، وجدته ذكرت فى التاريخ بأنها واعظة تجلس مجالس الوعظ والتعليم ، وأمه يكتب اليها من مصر وهو فى محنته رسائل لا يكتبها الا لمن كانت على جانب من المعرفة بما يجرى فى الدين والدنيا .

وبلده التى ولد ونهد فيها فكانت حاضنة طفوليته « حران » وطن الفلسفة ومهد الصائبة وهى نحلة فلسفية وملة فلكية ، ودمشق مهاجره ومهاجر أسرته العالمة كانت فى عصره معلمة الدنيا بما تعج به من مدارس اسلامية للحديث

والتفسير وفقه المذاهب ، يقوم بالتدريس فيها أعلام العلماء وأئمة الحديث والتفسير وعلم الكلام ، وفنون العربية وآدابها ، والفقه وفروعه ، وعلوم الفلسفة وطوائف الملل والنحل ، وزعماء الفرق الاسلامية وغيرها .

ففى هذه البيئة الخاصة والعامة نشأ الامام ابن تيمية ، يزينه عقل جمع الله له فى المعارف قوى الفكر الانسانى ، حفظا وادراكا ، ووعيا ، فالتاريخ يضعه مع طليعة الافذاذ الذين يضرب بهم المثل فى الألمعية والذكاء المتفوق ، وفى الحفظ الضابط ، والذاكرة الواعية ، الذين لا تغلطهم الأغاليط ، ويقول عنه معاصروه : انه ما حفظ شيئا ونسيه ، ولا نظر فى مكتوب قل أو كثر الا وحفظه ، ولا سمع من العلم والمعارف شيئا غاب عنه بعد أن علمه فاذا قرأنا عن مالك بن أنس أمام دار الهجرة أنه كان يسمع من شيخه أمام المحدثين ابن شهاب الزهرى من الثلاثين الى الاربعين حديثا فى مجلس واحد فيحفظها لا يخرم منها حرفا اذا تلاها ، وقد ذكر الرواة أنه سمع مرة هذا القدر وفيه حديث السقيفة على اتساعه وطوله وتنوع الكلام فيه ، فأعادها كلها لم تند عنه منها كلمة ، واذا قرأنا عن الامام أبى عبد الله الشافعى أنه سمع من شيخه مالك بن أنس بضعة عشر حديثا فى مجلس واحد ، فأعادها حفظا بأسانيدها لم يختلف فيها عن سماعه من الامام فى كلمة أو حرف ، الى كثير ممن أوتوا فى الاسلام حوافظ ضابطة ومدارك واعية — فان ما أثر عن ابن تيمية منذ طفولته — وهو الرجل المخاصم الذى يتربص به خصومه ليأخذوا عليه شيئا يعيبونه به — ليضعه فى الذروة مع أولئك الغر البهاليل من أئمة الاسلام ، دون نكير . يقول صاحب العقود الدرية فى ترجمة ابن تيمية (اتفق أن بعض مشايخ العلماء بحلب قدم الى دمشق ، وقال سمعت فى البلاد بصبى يقال له أحمد ابن تيمية . وأنه سريع الحفظ ، وقد جئت قاصدا لعلى أراه ، فقال له رجل خياط ، هذه طريق كتا"به ، وهو الى الآن ما جاء ، فاقعد عندنا الساعة يجىء . . . فجلس الشيخ الجليل قليلا ، فمر صبيان . فقال الخياط للشيخ الحلبى هذا الصبى الذى معه اللوح الكبير هو أحمد بن تيمية فناداه الشيخ فجاء اليه ، فتناول الشيخ اللوح ، فنظر فيه ، ثم قال يا ولدى امسح هذا حتى أملى عليك شيئا تكتبه ففعل ، فأملى عليه من متون الاحاديث احد عشر أو ثلاثة عشر حديثا ، فقال اقرأ هذا ، فلم يزد على أن تأمله مرة بعد كتابته اياه ، ثم رفعه اليه وقال اسمعه، فقرأه عليه عرضا كأحسن ما أنت سامع ، فقال يا ولدى امسح هذا ففعل ، فأملى عليه عدة أسانيد انتخبها ، ثم قال اقرأ هذا ، ففعل فيه كما فعل أول مرة فقام الشيخ وهو يقول : ان عاش هذا الصبى ليكونن له شأن عظيم ، فان هذا لم ير مثله » .

وكانت مراجع العلوم والمعارف رجالا وكتبا بين يديه ، يغترف منها اغترافا، وينهل من معينها عذبا ذلالا ، فشيوخه أربوا على المائة من الفطاحل البهاليل فى كل علم وفن ، ومراجعه من الكتب تدل على كثرتها كثرة لا تدخل تحت حصر نقوله منها — وهو الصادق المخاصم — فى فتاويه وكتبه ، ولم يعرف — على كثرة خصمائه — أنه اتهم فى نقل نقله ، بل ان أصدقاءه بالغوا فيه وقالوا فى علمه بالحديث : ان كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فهو ليس بحديث . ولم يعارض خصومه هذا القول ولا اتهموا قائليه .

ونشأة ابن تيمية ليست فيها غرائب ولا عجائب ، فهى نشأة طبيعية ، بيد أنها نشأته هو لا نشأة كل طفل وشاب ورجل ، نشأته فى بيئته وخصائصه العقلية وصفاته النفسية ، فهى نشأة طفل حفظ القرآن الكريم فى بيته منذ حداثة سنه ، تقول بعض الروايات أنه أكمل حفظ القرآن فى سن السابعة من عمره ، واستبقى الله له هذه النعمة ، فلم يكن شىء أيسر عليه فى حجاجه وفتاويه وكتبه من سوق الآيات القرآنية لمواضعها من الاستدلال بها فى مناسباتها .

وكان من الطبيعى فى مثل بيئة ابن تيمية أنه بعد أن حفظ القرآن يتجه الى علم الحديث والفقه ووسائلهما من اللغة والأدب فحبب اليه علم الحديث ، وجعله كما هو فى أصول الاسلام ثانى اثنين ، القرآن والسنة ، فبرع فيه وأحاط حفظا بالكتب الستة المعتبرة أصولا عند الأمة وأضاف اليها موطا مالك ومسند إمامه أحمد ، والمستدرك للحاكم والمستخرجات وسنن الدارقطنى وابن حبان والبيهقى ومعاجم الطبرانى ومسند الدارمى وغيرها من كتب الرواية والمسانيد وكان يورد أحاديث هذه الكتب كلها املاء ويسند اليها دون رجوع الى أصولها ، فتأتى فى صحة النقل وجودة الحفظ كأنما هى منقولة نقلا حرفيا من كتبها ، وكان الى جانب ذلك من أعرف الناس وأعلمهم بفقه الحديث يورد المسائل ويستدل عليها بالاحاديث كأنما جاءت هذه الاحاديث لهذه المسائل بعينها .

أما معرفته بالفقه الاسلامى فعجب من العجب ، كان ضليعا فى معرفة فقه المذاهب الأربعة . حتى قيل أن علماء المذاهب كانوا يستفيدون منه مسائل فى مذاهبهم لم يكونوا يعرفونها ولا اطلعوا عليها . فاذا اختبروا صدقه فى هذه الغرائب التى يجىء بها اليهم من داخل بيوتهم وهم عنها غافلون وجدوه صدوقا متحريا ، وكان الى جانب ذلك عليما بفقه الصحابة ومسائلهم التى تضمنتها المصنفات مثل مصنف عبد الرزاق وابن أبى شيبة وغيرهما ، الى ما كان يورده من فقه الأئمة الذين لم تدون مذاهبهم كالاوزاعى والسفيانين الثورى وابن عيينة والليث بن سعد ، وزيد وجعفر ، وأبى ثور ، وداود وسواهم كثرة لا تحصى ، يورد أحكام المسائل من مذاهبهم ويحتج لهم بما احتجوا به من الادلة القرآنية والحديثية .

أما علمه بتفسير القرآن وأقاويل المفسرين من لدن الصحابة الى عصره فأمر يدخل فى دائرة الاكرام الالهى الذى لا يستقل به فرد من الافراد ، والنظر فى تفسير ما فسره من آيات أو سور من القرآن الكريم يحقق ذلك ويصدقه ، ويقول بعض مؤرخيه أنه كتب فى التفسير نحو ثلاثين مجلدا ، بعضها نقل لأقاويل السلف من الصحابة والتابعين مجردا عن الاستدلال وبعضها بيان لمعانى الآيات مستعينا عليه بالمنقول ان كان عنده روايات من صحيح هذا المنقول ، وهذا النوع الأخير هو الذى تظهر فيه براعة الامام ابن تيمية وعمق نظره ونضج عقله ، وقد كتب اليه بعض تلاميذه وهو فى سجنه الأخير — وكان الامام قد عكف على مذاكرة القرآن والتفقه فيه وإثارة حقائقه ومعانيه — يطلب منه كتابة تفسير مرتب للقرآن كله انتهازا لفرصة خلوته فى سجنه ، فكتب اليه الامام يقول : « إن القرآن منه ما هو بين بنفسه ، وفيه ما قد بينه المفسرون فى غير كتاب . لكن بعض

الآيات أشكل تفسيرها على جماعة العلماء ، فربما يطالع الانسان فيها عدة كتب ولا يتبين له تفسيرها ، وربما كتب المصنف الواحد في آية تفسيرا ، ويفسر غيرها بنظيره ، فقصدت تفسير تلك الآيات بالدليل ، لأنه أهم من غيره ، واذا تبين معنى آية تبين معانى نظائرها ... وقد فتح الله على في هذه المرة من معانى القرآن ومن أصول العلم بأشياء كان كثير من العلماء يتمنونها وندمت على ضياع أكثر أوقاتي في غير معانى القرآن) .

وقد طبع من تفسيره الذي أمكن العثور عليه تفسير سورة النور ، وسورة الاخلاص ، وسورتى المعوذتين، وأدرج له في الفتاوىكثير من تفسير الآيات ، كما أدرج له منها تفسير سورة الجن ، وقد فسرها تفسيرا موجزا ، وله مقدمة التفسير ، صغيرة الحجم عظيمة المعانى والنفع ، وله رسالة في منهاج التفسير بين فيها الطريق الى فهم القرآن ، ويظهر من تتبع سيرة الامام ابن تيمية العلمية أن القرآن الكريم كان جماع علمه ومعارفه ، وكان محوره الذي يدور عليه عقله متفقها ، مستنبطا ، وقد يحسن بمن يحاول أن يجلي جانب الدعوة الى الله في هذا الامام أن يبين نهجه في تفسير القرآن ليكون نموذجا يتجلى به طريقه في فهم الكتاب الكريم الذي جعله مفتاح معارفه العقلية والنقلية ، وقد تخيرنا هذا النموذج مما ذكر في فتاويه استطرادا لتفسير قوله تعالى (وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين) قال رحمه الله (ولما سلط الله العدو على الصحابة يوم أحد قال (أو لما أصابتكم مصيبة) الآية ، وقال (وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير) الآيات — والاكثرون يقرأون قاتل ، والربيون الكثير عند جماهير السلف والخلف هم الجماعات الكثيرة ، قال ابن مسعود وابن عباس في رواية عنه ، والفراء : ألوف كثيرة ، وقال ابن عباس في أخرى ومجاهد وقتادة : جماعات كثيرة وقرىء بالحركات الثلاث في الراء ، فعلى هذه القراءة — أي قراءة (قاتل) — فالربيون الذين قاتلوا معه الذين ما وهنوا وما ضعفوا ، وأما على قراءة أبي عمرو وغيره — أي قتل — ففيها وجهان :

أحدهما يوافق الأول ، أي الربيون يقتلون فما وهنوا ، أي ما وهن من بقي منهم لقتل كثير منهم ، أي ما ضعفوا لذلك ولا دخلهم خور ولا ذلوا لعدوهم ، بل قاموا بأمر الله في القتال حتى أدالهم الله عليهم وصارت كلمة الله هي العليا .

والثاني أن النبي صلى الله عليه وسلم قتل معه ربيون كثير فما وهن من بقي منهم لقتل النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا يناسب صرخ الشيطان أن محمدا قد قتل ، لكن لا يناسب لفظ الآية . فالمناسب أنهم مع كثرة المصيبة ما وهنوا ، ولو أريد : أن النبي قتل ومعه ناس لم يخافوا لم يحتج الى تكثيرهم ، بل تقليلهم هو المناسب لها ، فاذا كثروا لم يكن في مدحهم بذلك عبرة . وأيضا لم يكن فيه حجة على الصحابة ، فانهم يوم أحد قليلون ، والعدو أضعافهم ، فيقولون ، ولم يهنوا لأنهم ألوف ونحن قليلون . وأيضا فقوله (وكأين من نبي) يقتضي كثرة ذلك ، وهذا لا يعرف أن أنبياء كثيرين قتلوا في الجهاد . وأيضا فيقتضي أن المقتولين مع كل واحد منهم ربيون كثير ، وهذا لم يوجد ، فان من قبل موسى من الأنبياء لم يكونوا يقاتلون ، وموسى وأنبياء بني اسرائيل لم يقتلوا في الغزو ، بل ولا يعرف نبي قتل في جهاد ، فكيف يكون هذا كثيرا ويكون جيشه كثيرا ؟

والله تعالى أنكر على من ينقلب سواء كان النبى مقتولا أو ميتا فلم يذمهم اذا مات أو قتل على الخوف بل على الانقلاب على الأعقاب ، ولهـذا تلاها الصديق رضى الله عنه بعد موته صلى الله عليه وسلم فكأن لم يسمعوها قبل ذلك .

ثم ذكر بعدها معنى آخر وهو أن من كان قبلكم كانوا يقاتلون فيقتل منهم خلق كثير وهم لا يهنون ، فيكون ذكر الكثرة مناسبا لأن من قتل مع الأنبياء كثير ، وقتل الكثير من الجيش يقتضى الوهن ، فما وهنوا وان كانوا كثيرين ، ولو وهنوا دل على ضعف ايمانهم ، ولم يقل هنا : ولم ينقلبوا على أعقابهم ، فلو كان المراد أن نبيهم قتل لقال فانقلبوا على أعقابهم ، لأنه هو الذى أنكره اذا مات النبى أو قتل فأنكر سبحانه شيئين : الارتداد إذا مات أو قتل ، والوهن والضعف والاستكانة لما أصابهم فى سبيل الله من استيلاء العدو ، ولهذا قال (فما وهنوا لما أصابهم) الخ ولم يقل : فما وهنوا لقتل النبى ، ولو قتل وهم أحياء لذكر ما يناسب ذلك ، ولم يقل : (فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله) ومعلوم انما يصيب فى سبيل عامة الغزوات لا يكون قتل نبى .

وأيضا فكون النبى قاتل معه أو قتل معه ربيون كثير لا يستلزم أن يكـون النبى معهم فى الغزاة بل كل من اتبع النبى وقاتل على دينه فقد قاتل معه ، وكذلك كل من قتل على دينه فقد قتل معه ، وهذا الذى فهمه الصحابة ، فان أعظم قتالهم كان بعـد وفاته صلى الله عليه وسلم ، حتى فتحوا البلاد ، شاما ومصرا وعراقا ويمنا ، وعجما ، ودوما ، ومغربا ، ومشرقا ، وحينئذ فظهر كثرة من قتل معه . فان الذين قاتلوا وأصيبوا وهم على دين الأنبياء كثيرون ، ويكون فى هذه الآية عبرة لكل المؤمنين الى يوم القيامة ، فانهم كلهم يقاتلون مع النبى صلى الله عليه وسلم على دينه ، وإن كان قد مات ، والصحابة الذين يغزون فى السرايا والنبى ليس معهم كانوا معه يقاتلون وهم داخلون فى قوله (محمد رسول الله والذين معه) الآية ، وفى قوله (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم) الآية ، ليس من شرط من يكون مع المطاع أن يكون مشاهدا للمطاع ناظرا اليه .

وقد قيل فى (ربيون) هنا : أنهم العلماء ، لما جعل هؤلاء هذا كلفظ الربانى ، وعن ابن زيد : هم الاتباع كأنه جعلهم المربوبين ، والأول أصح من وجوه :

أحدها : ان الربانيين عين الأحبار ، وهم الذين يربون الناس ، وهم أئمتهم فى دينهم ، ولا يكون هؤلاء الا قليلا .

الثانى — أن الأمر بالجهاد والصبر لا يختص بهم ، وأصحاب الأنبيـاء لم يكونوا كلهم ربانيين ، وان كانوا قد أعطوا علما ومعه الخوف من الله .

الثالث — ان استعمال لفظ الربانى فى هذا ليس معروفا فى اللغة .

الرابع — أن استعمال لفظ الربى فى هذا ليس معروفا فى اللغة ، بـل المعروف فيها هو الاول ، والذين قالوه قالوا هو نسبة للرب بلانون ، والقـراءة المشهورة (ربى) بالكسر ، وما قالوه انما يتوجه على قراءة من قراه بنصب الراء، وقد قرىء بالضم ، فعلم أنها لغات .

الخامس ــ ان الله تعالى يأمر بالصبر والثبات كل من يأمره بالجهاد ، سواء كان من الربانيين أو لم يكن .

السادس ــ أنه لا مناسبة فى تخصيص هؤلاء بالذكر ، وانما المناسب ذكرهم فى مثل قوله (لولا ينهاهم الربانيون والأحبار) الآية ، وفى قوله (ولكن كونوا ربانيين) فهناك ذكرهم به يكون مناسبا .

السابع ــ قيل أن الربانى منسوب الى الرب ، فزيادة الالف والنون كاللحيانى ، وقيل : الى تربيته الناس ، وقيل الى ربان السفينة ، وهذا أصح ، فان الاصل عدم الزيادة فى النسبة ، لأنهم منسوبون الى التربية ، وهذه تختص بهم

وأما نسبتهم الى الرب فلا اختصاص لهم بذلك ، بل عبد له فهو منسوب اليه اما نسبة عموم أو خصوص ، ولم يسم الله أولياءه المتقين ربانيين ، ولا سمى رسله وأنبياءه ، فان الربانى من يربى الناس ، كما يربى الربانى السفينة ، ولهذا كان الربانيون يذمون تارة ، ويمدحون أخرى ، ولو كانوا منسوبين الى الرب لم يذموا قط ، وهذا هو الوجه .

الثامن ــ أنها جعلت مدحا ، فقد ذموا فى مواضع ، وان لم تكن مدحا لم يكن لهم خاصة يمتازون بها من جهة المدح ، واذا كان منسوبا الى ربانى السفينة بطل قول من يجعل الربانى منسوبا الى الرب ، فنسبة (الربيون) الى الرب أولى بالبطلان .

التاسع ــ أنه اذا قدر أنهم منسوبون الى الرب فلا تدل النسبة على أنهم علماء ، نعم ، تدل على ايمان وعبادة وتأله ، وهذا يعم جميع المؤمنين ، فكل من عبد الله وحده ، لا يشرك به شيئا ، فهو متأله ، عارف بالله ، والصحابة كلهم كذلك ولم يسموا ربانيين ، ولا ربيون ، وانما جاء أن ابن الحنفية قال لما مات ابن عباس : اليوم مات ربانى هذه الأمة ، وذلك لكونه يؤدبهم بما آتاه الله من العلم ، والخلفاء أفضل منه ، ولم يسموا ربانيين ، وان كانوا هم الربانيين ، وقال ابراهيم : كان علقمة من الربانيين ، ولهذا قال مجاهد : هم الذين يربون الناس بصغار العلم قبل كباره ، فهم أهل الأمر والنهى ، والأحبار يدخل فيه من أخبر بالعلم ورواه عن غيره ، وحدث به ، وان لم يأمر أو ينه ، وذلك هو المنقول عن السلف فى الربانى ، نقل عن على : هم الذين يغذون الناس بالحكمة ويربونهم عليها . وعن ابن عباس قال : هم الفقهاء العلماء الحكماء . قال ابن قتيبة : وأحدهم ربانى ، وهم العلماء المعلمون . قال أبو عبيد : أحسب الكلمة عبرانية أو سريانية ، وذلك أن أبا عبيد زعم أن العرب لا تعرف الربانيين . قلت : اللفظة عربية منسوبة الى ربان السفينة الذى ينزلها ويقوم لمصلحتها ، ولكن العرب فى جاهليتهم لم يكن لهم ربانيون ، لأنهم لم يكونوا على شريعة منزلة من الله عز وجل .

الاسلام دين الوحدة والقوة

محمد فوزي

للاستاذ محمد الدسوقى

١ — هل كان هؤلاء العرب الرحل الذين عاشوا فى شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام ينظر اليهم من الدول التى تحيط بهم أو تبعد عنهم نظرة اهتمام أو اكتراث .. ؟

هل كان يتوقع من هؤلاء الذين ثارت بينهم الحروب لاتفه الاسباب وأوهى العلل أن يوحدوا كلمتهم ، ويجمعوا أمرهم ، ويكونوا مصدر قلق لسواهم .. ؟

ان عرب الجاهلية على ما عرفوا به من البأس والشدة ، لم يكونوا مصدر قلق لغيرهم من الامم لأنهم عاشوا أوزاعا لا تجمعهم رابطة ، ولا يقودهم زعيم ، ولا يخضعون لقانون أو سلطان ، فبأسهم بينهم شديد ، وثاراتهم تمتص كل ما لديهم من طاقات فضلا عن المنكرات التى فشت فيهم وفى مقدمتها عبادة الحجارة ..

٢ — فلما جاء الاسلام حول هذه الأمة المفككة المتصارعة المنحلة ، الى أمة أخرى ، لها قيمها الخالدة ورسالتها المجيدة ، لقد صار العرب بالاسلام أمة جديدة فى عقيدتها وسلوكها ومثلها ، أمة توحدت كلمتها ، وقويت ارادتها وسمت مبادئها وغاياتها ، فقادت البشرية الى الامام وأذهلت العالم بفتوحاتها فى شتى الميادين . فلولا الاسلام لظل العرب كما كانوا فى جاهليتهم جماعات متحاربة ، تحصدها العداوات والغارات ، وتسلب أمنها الضغائن والاحقاد ولظلوا يعيشون

فى عزلة فى تلك الصحراء المجدبة ، لا يقيم العالم لهم وزنا .

٣ — ان الاسلام دين الحياة المتجددة الفاضلة ، لأنه دين الوحدة الشاملة والقوة العادلة وبالوحدة والقوة تتحقق كل المعجزات وتعيش الامة التى تؤمن بهما قولا وعملا مرهوبة الجانب عزيزة المكانة يخطب ودها الجميع .

على أن دعوة الاسلام الى الوحدة والقوة ، لا تقوم على نزعة عنصرية كريهة ، تبغى الاستعلاء والسيطرة ، لأن الاسلام دين الله الى الناس جميعا ، لا يعرف عصبية الا للحق ، ولا يبغى علوا الا لكلمة الله .

٤ — من أجل ذلك قرر الاسلام أولا أن الناس من نفس واحدة وأصل واحد « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » .

« يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير » .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم « كلكم لآدم وآدم من تراب » .

وحين قرر الاسلام ذلك فقد أبطل تلك المزاعم التى تذهب الى تفضيل بعض الشعوب والاجناس على بعض لاسباب ليست لها علاقة بهذا التفضيل ولا تدل الا على عنصرية بغيضة عفى عليها الاسلام ، ونزعة منحرفة قاستمنها البشرية وما زالت الويلات والمتاعب ، ويكفى أن الحربين العالميتين فى هذا القرن قد حدثتا نتيجة لهذا الانحراف الكريه ، كما أن الصهيونية العالمية بنشاطها المحموم فى كل مكان من أجل تحقيق أحلامها المريضة فى الوطن العربى انما يحركها ويشد أزرها مزاعمها العنصرية البغيضة التى تنظر الى غير اليهود نظرة الكراهية والاستعلاء والعداء .

٥ — فالمسلم اذن يؤمن بأنه عضو فى الجماعة الانسانية كلها ، وان هذه الانسانية لا يتفاوت أفرادها من ناحية الشكل والمكان ولكن من ناحية ما يقوم به كل فرد من عمل صالح ينفع الناس ، وهذا الايمان يفرض على المسلم أن يسهم ما استطاع فى تقدم الحياة ورفاهيتها وأن يكون دائما رسول خير وسلام وداعية أمن ووئام .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يؤمن المسلم بأنه والمسلمين جميعا يشكلون أمة أبرز سماتها الوحدة « وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » . والاخوة « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا » . والمحبة والتناصر والتكافل « وتعاونوا على البر والتقوى » . (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم) .

٦ — فوحدة المسلمين قوامها الاخوة والمحبة والايمان بأن وشائج العقيدة أقوى وأولى من وشائج الدم والنسب ، ولذلك فهى وحدة راسخة الدعائم لا تنال منها الاحداث ، لأنه لا يمكن تحقيق وحدة سليمة أصيلة فى مجتمع لا يشعر أفراده بأنهم سواسية كأسنان المشط ، وبأنهم أخوة تجمعهم عقيدة لا تؤمن بفوارق الاجناس والالوان .

ان الوحدة فى الاسلام وحدة جامعة ، والمسلمون بها كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام كالجسد الواحد أو كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

٧ — ولحرص الاسلام على وحدة اتباعه وتماسكهم وبقائهم دائما صفا واحدا وقلبا واحدا نهى عن كل

ما يضعف هذه الوحدة فلا غيبة ولا حقد ولا كذب ولا نفاق ولا اعتداء على الحقوق والحرمات ، واذا ما نشب خلاف بين جماعتين من المسلمين فقد وجب الاصلاح بينهما وازالة جميع أسباب الخلاف والشقاق ، واذا لم تذعن احدى الطائفتين لما فيه الخير للمسلمين كان استعمال السلاح ضدها أمرا مشروعا وعملا مطلوبا « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله ، فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين » .

ان الاسلام يمقت التفرق ويحذر من الخلاف ويحض على الوحدة لأنها سبيل القوة وطريق النصر والعزة « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .. « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » .

٨ — وقد يقال — اذا كان الاسلام دين وحدة واتحاد فلماذا نرى المذاهب الفقهية والكلامية قد فرقت المسلمين الى نحل ومذاهب تتخاصم وتتعادى وتحدث بين المسلمين شقاقا وخلافا ؟ ولكن اذا عرفنا أن المذاهب الفقهية والكلامية لا تخوض فى المسائل القطعية والاحكام الكلية ، وانما تبحث فى المسائل الظنية والفرعية وان اختلافات المجتهدين ليست مبعث شقاق لأنها آية على تفاوت العقول فى المدارك والاستنباط — اذا عرفنا هذا أدركنا أن ما نراه ونسمعه من تخاصم بين المذاهب الفقهية انما ظهر فى عصور الضعف والتخلف والتقليد ومع هذا فان الذين يفقهون الاسلام فقها واعيا يرون أن هذا الدين يدعو الى الوحدة بكل معانيها ، ولا يرون فى مذاهب الفقهاء وعلماء الكلام ما ينقض هذه الوحدة ، لأن هذه المذاهب ليست منزلة من عند الله ، فهى آراء كونتها ظروف بيئية واجتماعية وثقافية مختلفة ، وبالتالى ليست فرضا يجب اتباعه ، وليس لازما على المسلمين أو بعضهم الاخذ بقول امام دون آخر وقد آن للمسلمين أن يتحرروا مما خلفته لهم عصور الضعف والتقليد . فلا ينزلون مذاهب الفقهاء منزلة لا يقرها دين ولا منطق ، ولا يختلفون بسبب آراء لم نؤمر باتباعها وعدم الخروج عليها ، وليجعلوا قبلتهم فى تعرف أحكام دينهم كتاب الله وسنة رسوله مع الاسترشاد بآراء الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين .

٩ — واذا كانت الوحدة طريق القوة والمنعة ، لأنه لا يمكن لأمة مفككة متشاحنة متنابذة أن تكون قوية متقدمة ، فان مفهوم القوة فى الاسلام يختلف الى حد كبير عن مفهومها فى بعض المذاهب الاجتماعية والآراء الفلسفية .

القوة التى يدعو اليها الاسلام تتسع فى مدلولها لتشمل كل قوة روحية أو مادية تحتاج اليها الامة ، فليست قاصرة على جانب من جوانب الحياة ، ولكنها تعم جميع مظاهر الأمة المختلفة من شئون فردية وجماعية .

يقول الله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » .

ويقول الرسول الكريم « المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير » .

ولا ريب فى أن مظاهر القوة المادية تختلف من عصر الى عصر ومن جيل الى جيل ، فالخيل فى الآية يناظرها فى عصرنا الحاضر المدفع والدبابة والطائرة والصاروخ ، وحتى لا يتخلف المسلمون فى عصر من

العصــــور عن غيرهم من الأمم فى مضمار اعداد القوة المادية ، دعــا الاسلام الى العلم وأمر بالنظر والتدبر والعلم فى الاسلام يشمل كل جوانب الحياة وليس خاصا بعــلم الدين أو الفقه مثلا ، والمسلمون لم يضعفوا ويتخلفوا الا يوم أن هجروا العــلم وقنعوا بحياة التقليد والمحــاكاة ولم ينهجوا نهج أسلافهم فى التجــديد والابتكار ، فوقفوا حيث تحرك غيرهم وضعفوا حيث قوى سواهم ، فكان أن أصبحوا وبخاصة فى القرن الماضى لقمة سائغة لعدو متربص لم ينس ما فعله البطل المسلم صلاح الدين .

١٠ ــ أما القوة الروحية فهى سند للقوة المادية ، ولا تجدى قوة مادية هائلة ليس من ورائها قوة روحيــة راسخة ، والقوة الروحية ســبيلها العقيدة النقية التى ترى هذه الحياة الدنيا سلما لحياة خالدة باقية، وتؤمن بأن لكل أجل كتابا وأن الشــــهادة مطمح تتشوف اليه النفوس المطمئنة التى تخشى الله سرا وعلانية .

وبعد ، فان القوة فى الاسلام قوة عادلة رحيمة لا تعرف الاعتداء ولا تعشق اراقة الدماء ولكنها قوة تحمى الحق وتنصر الخير وتنشر السعادة، وتقضى على الذين يفسدون فىالارض ولا يصـــــلحون ، كما أن الوحــدة الاسلامية وحدة انسانية غايتهـــا تحقيق التقدم والرفاهية للناس جميعا فليست وحدةعنصرية طائفية متعصبة تعيش فى دائرة مغلقة وتؤمن بأفكار منحــرفة تجــلب على البشر الضر والشر كمـــا نرى لدى بعض الامم الآن .

والمسلمون اليوم وهم يواجهــون محنة وامتحـــانا لا مناص لهم من الاعتصام بحبل دينهم وجمع كلمتــهم وتقوية أنفسهم حتى يحققوا النصر الذى كتبه الله للمؤمنين فى الحياة الدنيا وفى الآخرة « انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد » .



أخطر تقرير عن المخططات الصليبيّة والصهيونيّة ضد مسلمي الفلبين !!



خريطة الفلبين

وردت من المصادر الوثيقة أن المنظمات الارهابية المسيحية بالفلبين عادت الى تجديد نشاطها محاولة تصفية المسلمين حيث تقوم بعمليات القتل والارهاب ضد مسلمى الفلبين وذلك بتشجيع وبمساعدة الحكومة الفلبينية والجيش الفلبينى وبامداد حكومة اسرائيل بالمال والسلاح والخبراء فى حرب العصابات الارهابية المتعصبة التى تطلق على نفسها عصابة ايلاجاس ـ أى جماعة الفئران والتى قيل فى بعض الصحف أن فرديناند ماركوس رئيس جمهورية الفلبين هو الذى أسسها لتنفيذ مخططه . ولعل هذا التقرير الذى ننشره فى هذا العدد يوضح مدى وحشية هذه الجرائم التى ترتكب اليوم ضد المسلمين فى الفلبين .

لا شك أن حالة مسلمى الفلبين فى الوقت الحاضر هى أخطر وأكبر مما تنشره الجرائد الرسمية ولا ريب أنها أشد خطرا من حالة اخواننا الفلسطينيين ذلك لأن فلسطين تحيط بها الاقطار العربية والاسلامية أما مسلمو الفلبين فانهم يقطنون فى جزيرة بعيدة معزولة وسط المحيط الهادى ويكون مصيرها الهلاك الجماعى أن لم تهتم بهم الدول الاسلامية والعربية .

وان أخطر الجرائم التى يرتكبها أفراد العصابات المسيحية ضد المسلمين انهم يطردون المسلمين من

أراضيهم ويحرقون بيوتهم ومساجدهم ومزارعهم ويهتمون باحراق القرآن الكريم وبقتل أئمة المساجد أكثر من غيرهم ويهتكون أعراض النساء قبل قتلهن ويمثلون بالشهداء من المسلمين وذلك بقطع ثدى المرأة وقطع رؤوس الاطفال وآذان الرجال وقد أخذ من مصدر موثوق به أن من الاغراض فى تمثيلهم بالشهداء من المسلمين أن لكل من أحضر أذنا أو ثديا أو رأس طفل جائزة مالية من زعماء المنظمات السرية قدرها يتراوح من ١٠٠ الى ١٠٠٠ بيسو من عملة الفلبين .

ويؤكد هذا ما ذكرته صحيفة الاهرام بتاريخ ٢٩ ـ ٩ ـ ١٩٧١ نقلا عن مسئول حكومى فلبينى أن عصابات معروفة باسم الفئران قد قامت بقطع آذان ضحاياها من المسلمين للحصول على مكافأة وصلت الى ٨٠ فرنكا للاذن الواحدة وما ذكرته صحيفة أخبار اليوم بالقاهرة بتاريخ ٢ ـ ١٠ ـ ١٩٧١ أنه خصصت جوائز تتراوح من ١٠ الى ١٠٠ جنيه ثمنا ـ لاذن ـ القتلى المسلمين فهم يقطعون آذان المسلمين بعد قتلهم .

ولا شك أن أكبر هذه الجرائم وأبشعها ما ذكرته الصحف العربية بتاريخ ٢٣ـ٦ـ١٩٧١ أنه قتل سبعون مسلما فلبينيا فى مذبحة رهيبة فى قرية صغيرة بجزيرة ميندانا‌وا الفلبينية وهى احدى الجزر الجنوبية التى يسكنها أغلبية من المسلمين .

وقد نشرت أنباء المذبحة فى صحيفة مانيلا تايمز التى ذكرت نقلا عن مسئول حكومى ـ ان جميع الضحايا كانوا فى داخل أحد المساجد فى انتظار عقد اجتماع صلح مع المسيحيين فى الجزيرة عندما اقتحمت المسجد مجموعة من الاشخاص وأطلقت الرصاص على الرجال والنساء والاطفال وقد قتل ٧٠ وأصيب عدد كبير آخر ومن الملاحظ هنا أن هؤلاء المسلمين الشهداء لم يدفنوا فى المقابر المعروفة لتعذر نقل أجسامهم المفتتة من المسجد الى المقابر بل جعل المسجد مدفنا لهم اضطراريا كما يلاحظ هنا أن ثلاثة أطفال ماتوا وهم فى أحضان امهاتهم .

ومن أبشع الجرائم أيضا التى ارتكبت ضد المسلمين ما لم تنشره الجرائد الرسمية أن عصابة ايلاجاس أغارت على المسلمين فى بلدية الامادا فى منطقة كوتاباتو فى ١٢ ربيع الاول سنة ١٣٩١ هـ الموافق ٧ ـ ٥ ـ ١٩٧١ م أثناء احتفالهم بمولد النبى صلى الله عليه وسلم فقتل جميع من فى المولد ـ وهم ثمانية وتسعون مسلما ـ ما عدا خمسة أولاد اذ لجأ الخمسة الى ثكنة الجنود لطلب النجدة من الجيش الفلبينى فوجدوا أن قائد الثكنة مسلم فاتجه القائد المسلم الى مكان الحادث وأخذ معه خمسة جنود وهم مسيحيون وبينما هم يمشون فى الطريق أخذ الجنود الخمسة يطلقون الرصاص على ثلاثة من الاولاد الخمسة فاستشهدوا فى الحال وبقى صبى وصبية ثم أطلق القائد المسلم الرصاص على الجنود الخمسة فماتوا كلهم وهرب القائد وانضم الى المسلمين المجاهدين .

وتتلخص النتائج التى أسفرت عنها المذابح التى تعرض لها مسلو الفلبين الى ما يأتى .

١ ـ احرق أكثر من ستة آلاف من بيوت المسلمين كما أحرق أكثر من ستين مسجدا .

٢ ـ ان ضحايا المسلمين أكثر من ثلاثة آلاف شخص رجالا ونساء

وأطفالا وشيوخا .

٣ـ لقد هاجر أكثر من خمسين ألف أسرة من أراضيهم وهم الآن بين الموت والحياة لمعاناتهم الجوع والالم .

٤ ـ المسلمون المهاجرون لم يستطيعوا أن يحصدوا مزارعهم لطردهم من أراضيهم وانما حصدها الجيش الفلبيني وأفراد العصابات المسيحية .

٥ ـ استولى المسيحيون على ١٢ بلدية من أراضي المسلمين .

وجدير بالذكر أن معظم هذه الخسائر حدثت قبل أن يتحد زعماء مسلمي الفلبين وبعد اتحادهم استطاع المسلمون المقاتلون بصبرهم وشجاعتهم وايمانهم أن ينتصروا في كثير من المعارك التي نشبت بينهم وبين الجيش الفلبيني كما استطاعوا أن يقتلوا عشرات مقابل شهيد واحد من المسلمين .

هذا وبالرغم من انتصار المسلمين في كثير من المعارك التي دارت بينهم وبين الاعداء بعد اتحاد زعمائهم بالرغم من ذلك كله فانهم بحاجة ماسة الى المال والسلاح والذخيرة الامر الذي دعاهم الى مناشدة زعماء الدول العربية والاسلامية الوقوف الى جانبهم بالعون المادي والمعنوي .

ولا ريب أن الاكتفاء بالنداء الى وقف اطلاق النار بين الجيش الفلبيني والمسلمين ليس كافيا في تسوية النزاع لأن الاعداء استولوا على ١٢ بلدية من قرى المسلمين وأراضيهم وأحرقوا آلافا من بيوتهم ومساجدهم وقتلوا أكثر من ثلاثة آلاف مسلم .

بدأت مأساة مسلمي الفلبين من أيام مجيء الاسبان واستمرت الى يومنا هذا ، اذ قاوم مسلمو الفلبين الاستعمارين الاسباني والامريكي في شجاعة خارقة ، وبطولة خالدة ، وتضحية نادرة ، وواجهوا المسيحيين الذين تولوا الحكم بعد المستعمرين ، كافحوا وناضلوا دفاعا عن العقيدة الاسلامية وعن الوطن ، وتتلخص أسباب المأساة التي تعرض لها مسلمو الفلبين في مختلف العصور الى ما يأتي :

أولا ـ اقتراح زعماء المسيحيين بضرورة جعل حكومة الفلبين حكومة مسيحية بحتة خالية من المسلمين بحجة أن انتشار الامن والسلام بالفلبين يتوقف على خلوها من المسلمين ، فمن المقترحين الجنرال ـ باولا ـ قائد الجيش الفلبيني سابقا ، فقد قدم مشروعا الى الحكومة الفلبينية في عام ١٩٥٦ وهو ضرورة توحيد الدين ، وارغام أهالي الفلبين كلهم على الدين المسيحي مدعيا بأن تقدم البلاد أو انتشار الامن والسلام فيها يتوقف على مشروعه ، ولكن هذا المشروع قوبل بالنفي ، حيث رفضه المسلمون ، حتى استعدوا للجهاد ، فلذلك غير الزعماء المسيحيون اقتراحهم العلني باقتراح سري لا يعرفه الا أعضاء المنظمات السرية الارهابية .

ثانيا ـ تأييد مسلمي الفلبين لجميع القضايا الاسلامية عامة ولقضية الشرق الاوسط بصفة خاصة .

ويتجلى هذا التأييد في مطالبة مسلمي الفلبين بالتطوع الصادق في كل معركة تدور بين المسلمين وغيرهم من الطوائف الاخرى المعتدية ، ومعارضة زعماء مسلمي الفلبين اقامة العلاقات بين الفلبين واسرائيل ومهاجمتهم الحكومة الفلبينية لدعوتها جولدا مائير لزيارة الفلبين عام ١٩٦٤ ودعوتها أبا ايبان لزيارة الفلبين عام ١٩٦٧ م .

كما يتجلى هذا التأييد فى مظاهرة أبناء مسلمى الفلبين ضد هاتين الزيارتين لجولدا مائير ، وأبا ايبان ، فطاردوا جولدا مائير حتى اضطرت الى السفر بعد ١٢ ساعة من مجيئها الى الفلبين ، وحاصروا جامعة الفلبين أثناء زيارة ايبان ، وسدوا الطرقات المؤدية اليها من المطار ، مما اضطر ايبان الى أن يخرج من باب جانبى فى المطار ، ويستخدم طائرة هليكوبتر ليذهب الى — مالاكانيان — قصر الجمهورية ، ثم الى الجامعة وكان مقررا أن يلقى محاضرة فى الجامعة فلم يستطع وعاد من حيث أتى :

وقد ذكرت صحيفة الاهرام بتاريخ ٢ — ٦ — ١٩٦٩ م تعليقا على زيارة ابا ايبان للفلبين ، فقيل فى التعليق : والغريب فى الامر أن سفير اسرائيل ظل يتحرى عن الطلبة الذين قادوا هذه المظاهرات ، وعرف أسماءهم فوجه الى زعمائهم جميعا الدعوة لزيارة اسرائيل .. وقد رفضوا كلهم قبول هذه الدعوة المجانية ، وحتى الآن فان السفير الاسرائيلى قد دعاهم ثلاث مرات دون أن يمل ، وفى كل مرة كانت الدعوة تقابل بالرفض .

وفى الوقت نفسه فان زعماء المسلمين لديهم دعوات مفتوحة لزيارة اسرائيل فى أى وقت ولكنهم جميعا أيضا — رفضوا هذه الدعوات . وأغرب من هذا فان السفير الاسرائيلى يجرى اتصالات للسفر الى الجنوب الى مناطق المسلمين ، وعلى وجه التحديد الى منطقة جزيرة ميندانا و ص ٧ ع ٧ .

ويظهر هذا التأييد أيضا فى مظاهرة المسلمين فى عاصمة الفلبين — مانيلا — عندما سمعوا خبر احراق اسرائيل للمسجد الاقصى أولى القبلتين ، وثالث الحرمين ، حتى أحرق الطلبة علم اسرائيل فى سفارتهم ، كما أحرقوا سيارة سفيرها وكاد هؤلاء الابناء أن يقتلوا السفير لولا تعطل مصعد السفارة ، وان يحرقوا السفارة نفسها لولا جهود الشرطة الفلبينية .

ويؤيد هذا السبب المذكور ما ورد فى صحيفة الاهرام بالقاهرة بتاريخ ٢٩ — ٩ — ١٩٧١ م نقلا عن مسئول حكومى بالفلبين — ان المذابح التى تعرض لها المسلمون فى جنوب الفلبين كانت وراءها بعض المصالح الاجنبية ، وان اسرائيل قد تكون على صلة بالمصادمات بين الطوائف وذلك بسبب مساندة مسلمى الفلبين لموقف العرب ص ٢ ع ٤ .

كما يؤيد ذلك ما ذكرته صحيفة الجمهورية بالقاهرة بتاريخ ٣ — ١٠ — ٧١ نقلا عن زعيم فلبينى — ان الصهيونية العالمية وراء كل المذابح التى يتعرض لها المسلمون فى الفلبين ، للمعارضة التى أبداها مسلمو الفلبين لسياسة اسرائيل ، واستنكارهم العدوان الاسرائيلى على الشعوب العربية .

ثالثا — تواطؤ اسرائيل مع الحكومة الفلبينية والعصابات المسيحية ، لأجل القضاء على الاسلام والمسلمين بالفلبين والاستيلاء على أراضيهم ،

ويرجع السبب فى هذا التواطؤ الى أن للرئيس فرديناند ماركوس مستشارا يهوديا صهيونيا هو — ما نويل اليسالدى — واختصاصه هو شئون الاقليات من المسلمين والبوذيين واللادينيين ، وهو المتهم الاول فى حوادث الفلبين ، وهو فضلا عن كونه — مليونير — فهو

وزميله اليهودى الآخر الجنرال — هانز منزى — المستشار الخاص للرئيس ماركوس يملكان مزارع شاسعة فى جنوب الفلبين — منطقة المسلمين — .

ويؤيد هذا ما ذكرته صحيفة الجمهورية بالقاهرة بتاريخ ٢١ — ١٨ — ٧١ أن بعض المراقبين السياسيين يعزو اهمال حكومة الفلبين لمصالح الاقلية المسلمة ، التى تعيش فى الجنوب الى تسلل النفوذ الصهيونى الى السلطة فى الفلبين ، اذ أن مستشار الرئيس ماركوس لشئون الاقليات شخص يهودى هو — مانويل اليسالدى — وهو يمتلك مزارع شاسعة فى الجنوب ، ويمد رجال القبائل هناك بالسلاح لمهاجمة المسلمين .

كما يؤيد هذا ما نشرته صحيفة أخبار اليوم بالقاهرة بتاريخ ١٤ — ٨ ٧١ أن الذى يحدث الآن للمسلمين فى الفلبين صورة مفزعة — مكررة — لما حدث فى فلسطين ... وليس غريبا أن يقود عملية الفلبين اثنان من أغنى الصهاينة اليهود : الجنرال منزى ، والمليونير اليسالدى ... وكلاهما يمتلك مزارع شاسعة فى أراضى المسلمين .

كما يرجع السبب فى هذا التواطؤ الى زيارة جولدا مائير للفلبين عام ١٩٦٤ م يوم أن كانت وزيرة الخارجية لحكومة اسرائيل ، واجتماعها بزعماء المسيحيين بالفلبين ، وانتهى اجتماعهم بأن تتحمل اسرائيل مساعدة المسيحيين بالفلبين بمعونات مادية ومعنوية ، وامدادهم بالخبراء والاخصائيين فى مجال الزراعة ، ولكن جولدا مائير اشترطت فى هذه المساعدة وهذا الامداد أن يعمل المسيحيون بجميع طاقاتهم وجهودهم على تحويل أراضى المسلمين جميعها الى أراض مسيحية بحتة .

وعندما بلغ هذا الخبر الغريب الى زعماء مسلمى الفلبين هاجموا الحكومة الفلبينية لدعوتها جولدا مائير لزيارة الفلبين . وقال أحدهم فى برلمان الفلبين نيابة عن الآخرين : ان لم تستطع الحكومة الفلبينية أن تطرد جولدا مائير على الفور فاننا نتولى مطاردتها بأنفسنا .

وقد صرح ابراهيم اسماعيل فى كتيبه — نقلا عن مصدر موثوق به — أن الرئيس فرديناند ماركوس استلم عشرة ملايين دولار كمساعدة من اسرائيل للفلبين ، كما استلم أسلحة من اسرائيل تسلم الى عصابة ايلاجاس التى تمارس القتل والارهاب ضد المسلمين .

رابعا — اكتشاف المليونير اليهودى — مانويل اليسالدى — الاسبانى الاصل وهو يعمل مستشارا للرئيس ماركوس اكتشافه أن فى جزيرة مينداناو عددا من المعادن المختلفة : كالذهب ، والفضة ، والنحاس ، والحديد ، والمانجانيز ، والالمنيوم ، والكبريت فبناء على هذا شجع المستشار أفراد العصابات المسيحية على عمليات القتل والارهاب ضد المسلمين ، وطردهم من أراضيهم ، وأمدهم بكل ما يحتاجون اليه من المال والسلاح والذخيرة لمهاجمة المسلمين .

خامسا — احتلال أراضى المسلمين بأى وسيلة ممكنة .

ويتمثل هذا فى تشجيع حكومة الفلبين للمسيحيين على الهجرة الى أراضى المسلمين فى المناطق الجنوبية واعطاء الحكومة الفلبينية للمسيحيين الذين يتمردون ضدها جزءا كبيرا من أراضى المسلمين ، لكى يكفوا عن تمردهم .

هذا ، وقد بدأت عمليات التهجير سافرة ومبتدئة من شمال الفلبين — منطقة المسيحيين — الى جنوبها

ـ منطقة المسلمين ـ فى عام ١٩٤٨ م بعد أن قررت الحكومة الفلبينية اباحة امتلاك أى أرض بالفلبين ، ما دامت لم تسجل باسم أحد من سكان الفلبين فبسبب هذا فقد المسلمون أرضهم بما عليها من ثروات ، اذ كان القادمون المسيحيون من الشمال يسجلون الارض بأسمائهم بعد قليل من استقرارهم فى أراضى المسلمين فى الجنوب ، بينما لم يكن هناك من بين المسلمين من يكترث أو يفطن الى ضرورة احتفاظه بسند يثبت ملكيته للارض ، ذلك لأن معظم المسلمين يملكون سندا لهم فى احقيتهم وملكيتهم لاراضيهم بأن جزر الجنوب التى يعيشون فيها توارثوها عن آبائهم وأجدادهم جيلا بعد جيل لمدة تزيد فى بعض الاحيان على ستة قرون ، فعليه لا يرغب كثير من المسلين فى تسجيل أراضيهم عند حكومة الفلبين ، ولأن أغلبية منهم لا يعترفون بأن الدولة الفلبينية هى دولتهم ، ولا يرضون بتسميتهم الفلبينيين ، وانما يعترفون بالسلطات الاسلامية ، مثل : السلطنة فى سولو والسلطنة فى ماجنداناو ، والسلطنات فى منطقة ـ لاناو ـ .

وبعد التسجيل كان المسيحيون المهاجرون من الشمال يسعون الى انتزاع الارض من أصحابها المسلمين وعندما يصل الامر الى القضاء الفلبينى يحكم لصالح من لديه دليل اثبات الملكية ، وهكذا عاما بعد عام فقد المسلمون آلاف الهلكتارات من الاراضى الزراعية بل وطردوا منها ويقدر بعض الناس أن متوسط عدد الاسر التى تهاجر كل عام من الشمال الى الجنوب يصل الى ٥٠٠ أسرة .

سادسا ـ وجود الحزبين بالفلبين وتفرق زعماء مسلمى الفلبين .

فكان هؤلاء الزعماء المسلمون موزعين على حزبى الفلبين : الاحرار والقوميين وبقدر ما هناك من صراع دائم وعنيف بين الحزبين فان زعماء المسلمين وجدوا أنفسهم متصارعين بالضرورة أيضا ، بحكم ارتباط مصالحهم بالقوى الاقتصادية والسياسية الرئيسية التى تحكم البلاد ، والتى تتمثل فى حزبى الاحرار والوطنيين ، وأصبح المسلمون كذلك ممزقين بين هذين الحزبين ، بغير مصلحة تعنيهم لا فى هذا ولا فى ذلك ، فينتج من هذا التفرق البغيض أن الاعداء يستغلونه فى تحقيق أغراضهم ونواياهم السيئة ضد الاسلام والمسلمين .

غير أن هذا الفرق عولج فى وقتنا الحاضر بعد أن عرف تحالف الجيش الفلبينى مع العصابات المسيحية ، التى تقوم بعمليات القتل والارهاب ضد المسلمين .. وبعد أن ظهرت النوايا السيئة من قبل اليهود والنصارى الفلبينيين ، عولج هذا حيث رفع زعماء مسلمى الفلبين شعارا واحدا ، وهو الوحدة للدفاع عن الاسلام وعن الارض .. وللمحافظة على أرواح المسلمين وأموالهم وأعراضهم ، وأصدروا بيانا فى ١٥ ـ ٧ ـ ١٩٧١ م وقع عليه ٣٠ من كبار زعمائهم من الحزبيين أعلنوا فيه استنكارهم للمذابح الدموية التى تحدث فى الفلبين .. ومذابح الجوامع ، والتفرقة فى المعاملة ، وقلة الفرص المتاحة للمسلمين ، وعدم احترام الشريعة الاسلامية ، أو الشعائر الدينية ، وعدم معاقبة المسئولين عن هذه الحوادث دائما ، وتواطؤ البوليس والجيش مع المجرمين .. ومحاولة تصفية المسلمين فى الجنوب تماما ، وهم أصحاب البلد الاصليون (راجع صفحة أخبار اليوم بتاريخ ١٤ ـ ٨ ـ ١٩٧١ م وصحيفة مانيلا تايمز

بالفلبين تاريخ ٢١ – ٧ – ١٩٧١ م ص ١٣) .

سابعا – عدم نجاح عمليات التبشير المسيحي في تحويل المسلمين الى الدين المسيحي .

فبالرغم من أن البعثات التبشيرية المسيحية أقامت المستشفيات .. والمدارس ، والجمعيات الدينية ، وكل مشاريع الخدمات المكنة ، وشدت كثيرا من المسلمين الفقراء الى هذه المواقع ، حيث وجدوا فيها التعليم والرعاية الطبية ، والغذاء والكساء ، بل والمال أحيانا ، فبالرغم من ذلك كله فان هذه البعثات لم تحقق جميع أغراضها ، في تحويل جميع المسلمين الى الدين المسيحي ، وأنه يوجد هناك من يعتنق الاسلام من المسيحيين والقسيسين أكثر عددا ممن يعتنق الدين المسيحي من أبناء المسلمين ، الذين تربوا في الملاجيء والمدارس المسيحية ، فلذلك لجأت هذه البعثات الى تشجيع العصابات المسيحية على القيام بعمليات القتل والارهاب ضد المسلمين .

ثامنا – استمرار الحروب الصليبية :

ومن المعروف تاريخيا أن الحروب الصليبية هي : حروب حدثت بين المسيحيين الاوروبيين والمسلمين من سنة ١٠٩٥ م ، وانتهت بانتصار قوى الحق على قوى الشر (أي بانتصار المسلمين على الصليبيين الاوروبيين)

وكان السبب في الحروب الصليبية استياء الاوروبيين من ازدياد نفوذ الاتراك في آسيا .. وتوالي اكتساحهم لأمم الشرق ، ولكن هذه الحروب قد تركت في نفوس الاوروبيين ما تركت من آثار مرة عميقة ، فتغيرت حالتها الى حالة أخرى ، ولبست ثوبا جديدا واتخذت أشكالا أربعة :

١ – استعمار البلاد غير المسيحية وكان الغرض منه عادة التوسع في النفوذ ، وسلب خيرات البلدان ، والتسهيل لنشر الدين المسيحي وثقافته وحضارته ، وكان السبب الرئيسي الذي دعا الاوروبيين الى عمليات الاستعمار هو سبب ديني في الدرجة الاولى لما تركته الحروب الصليبية من حب الثأر والانتقام .

ب – الاستشراق ، وهو دراسة الثقافات والحضارات الشرقية عامة والثقافة والحضارة الاسلامية بصفة خاصة ، ثم توجيه النقد اليها .

وقد تركت أهداف الاستشراق مع تنوعها أخيرا في التخاذل الروحي وايجاد الشعور بالنقص في نفوس المسلمين والشرقيين عامة .. وحملهم من هذا الطريق على الرضا والخضوع للتوجيهات الغربية .

جـ – التبشير بالدين المسيحي ، وهو الدعوة الى الدين المسيحي بكل وسيلة ممكنة ، وكان هدف التبشير هو تفتيت وحدة المسلمين والتنفيس عن السلبية ، وعن الانهزامات التي مني بها الصليبيون طوال قرنين من الزمان أنفقوهما في محاولة الاستيلاء على بيت المقدس .. وانتزاعه من أيدي المسلمين ، وكان من أهداف التبشير أيضا تمكين الاوروبي المسيحي من البلاد الاسلامية .

ومن هنا يبدو واضحا أن التبشير مقدمة أساسية للاستعمار الاوروبي كما أنه سبب مباشر لتوهين قوة المسلمين ، ولقد كانت الدول الاستعمارية تبسط الحماية على مبشريها في بلاد الشرق ، لأنها تعدهم حملة لتجارتها وآرائها ، ولثقافتها الى تلك البلاد .

د – تأسيس المنظمات السرية التي تمارس القتل والارهاب ضد المسلمين ، ولا شك أن هذا الشكل الاخير للحروب الصليبية هو السبب المباشر للحوادث والمذابح التي

تعرض لها مسلمو الفلبين فى وقتنا الحاضر ، ذلك لأن غيره من الاشكال لم يجد نفعا فى تحويل جميع مسلمى الفلبين الى الدين المسيحى .

تاسعا — تحيز الحكومة الفلبينية وتعصبها للعناصر المسيحية الكاثوليكية ، واهمالها لمصالح الطوائف الاخرى وبالاخص المسلمين.

ويتجلى هذا التحيز فى رفض الحكومة الفلبينية معاقبة المجرمين المسئولين عن الحوادث والمذابح التى تعرض لها مسلمو الفلبين ، وأكثر من هذا تحيزا وتعصبا تحالفها مع العصابات المسيحية فى قتالهم ضد المسلمين .

ويظهر أيضا هذا التحيز ويأخذ شكلا واضحا فى معاملة الحكومة الفلبينية للمسلمين كمواطنين من الدرجة الثانية ، ونظرتها لهم على أنهم أقل شأنا من المسيحيين .. ونصيبهم دائما أقل من القليل .

والدليل على هذا التحيز الحكومى الخطبة التى القاها أحد زعماء مسلمى الفلبين فى المؤتمر الاسلامى الخامس فى مدينة (زامبوانجا) بالفلبين بتاريخ ٢٦ مايو ١٩٧٠ م ، وهذا هو ملخص الخطبة :

« ان التفرقة فى معاملة حكومة الفلبين للمسلمين ازاء اخوانهم المسيحيين تتبين فى الامور الآتية :

١ — فى الملكية .

ان سبعين فى المائة من المسلمين لا يملكون أراضى .

٢ — فى الخدمات الطبية والصحية .

نجد أن المسلمين لا يتمتعون بالخدمات الطبية والصحية ، على نقيض غيرهم من المسيحيين ، فانهم يتمتعون بها أكثر بالرغم من شدة حاجة المسلمين اليها .

٣ — فى الاصلاح الزراعى والرى :

لا يوجد فى أراضى المسلمين أى مشروع من مشروعات الرى بينما توجد عدة مشروعات للرى فى أراضى المسيحيين .

٤ — فى توزيع المدارس :

فرص أقل فى التعليم بالنسبة للمسلمين ، فان المدارس تقل بكثير فى المناطق الاسلامية ، فى حين أنها تزداد فى المناطق المسيحية ، مع أن المسلمين فى أمس الحاجة الى تلك المدارس .

٥ — فى تطوير البناء والتعمير فى المناطق الريفية :

ان هناك اهتماما كبيرا بالنسبة لتطوير البناء أو التعمير فى المناطق الريفية المسيحية ، بينما لم يكن أى اهتمام بذلك فى المناطق الريفية المسلمة ، مع العلم بأن فى رئاسة الجمهورية لجنة لشئون المناطق الريفية مهمتها تطوير المناطق والريف .

٦ — فى اعداد القوى العاملة :

لا توجد هناك فى المناطق الاسلامية مراكز للتدريب المهنى ، ولكنها توجد كثيرا فى المناطق المسيحية .

٧ — فى الشئون العسكرية :

لا تقبل الحكومة الفلبينية أى مسلم للالتحاق بالكلية الحربية الفلبينية ، لأنها انشئت أساسا للمسيحيين ، وربما يوجد من يعترض على هذا بأن السيد العقيد (لويس مار ، وهو بسار) من أهل منطقة سولو تخرجا فى كلية الحربية الفلبينية ، فيجاب عليه بانهما تلقيا تدريبا عسكريا فى الكلية الحربية الفلبينية فى عهد الاستعمار الامريكى ، وأما تحت حكومة الفلبين المستقلة فلم يكن هناك أى مسلم يقبل فى الدراسات العسكرية أو الحربية .

عاشرا – تعصب الحكومة الفلبينية فى أحكام الدين المسيحى وعدم سماحها للمسلين أن يمارسوا أحكام دينهم تحت حكمها .

وهذا هو الفرق الواضح بين الدولة الاسلامية والدولة المسيحية الكاثوليكية فى مبدأ التسامح فان الدولة الاولى يفرض عليها دينها الاسلامى أن تتيح الفرصة لرعاياها غير المسلمين أن يمارسوا أحكام دينهم تحت حكمهافى حين أن الدولة الثانية لا تسمح بذلك للمواطنين غير المسيحيين فلذلك لا تجد فى قانون الفلبين أى حكم من أحكام الدين الاسلامى وانما تجد فيه الاحكام المسيحية فقط .

ويمكن أن يقال ان هذا غير صحيح لغرابته وشدته نقول ان أحد زعماء مسلمى الفلبين طلب فى برلمان الفلبين فى عام ١٩٤٦ أن يتاح للمسلمين عن طريق الاستثناء اباحة ثلاثة أحكام الى أجل مسمى تلك هى تعدد الزوجات والطلاق والتوارث ولكن الموعد المسموح به قد انتهى فى سنة ١٣٩١ هـ الموافق ١٩٧١ ميلادية ولم يحدث شىء .

ويتجلى هذا التعصب الدينى فى كراهة الحكومة الفلبينية للدين الاسلامى وعدم رضاها بالتغيرات التقدمية التى وصل اليها الدين الاسلامى والمسلمون بالفلبين لذلك نجد أن الحكومة الفلبينية قد تحالفت وتواطأت مع العصابات المسيحية فى قتالهم ضد المسلمين واحراقهم للقرآن الكريم ومساجد الله وقيامهم بمذابح الجوامع والمدارس ومذابح الحفلات الدينية الاسلامية .

والسبب الحادى عشر وهو الاخير هو انتماء المسلمين الى الدين الاسلامى وانتسابهم اليه .

فكل المآسى التى عاناها المسلمون فى مختلف العصور من يوم مجىء الاسبان فى الفلبين الى يومنا هذا وكل الحوادث والمذابح الدموية التى يتعرض لها مسلمو الفلبين أخيرا فى بلادهم وأراضيهم وبيوتهم ومساجدهم وحفلاتهم الدينية كل ذلك من أجل الفتنة فى الدين ويرجع سببها الى انتماء المسلمين الى الدين الاسلامى وانتسابهم اليه فيقتلون لأجل كونهم مسلمين فلو كانوا مسيحيين لما اقدمت الحكومة الفلبينية والعصابات المسيحية على محاولة تصفيتهم .

لهذا قضى الاسلام دفاعا عن الاقليات المسلمة بأنه ما من مسلم قتل أو ظلم من أجل دينه أو عرضه أو ماله فى أى دولة من الدول التى يحكمها غير المسلمين الا وجب وتحتم على الدولة الاسلامية أن تغير على هذه الدولة المعتدية منعا للفتنة وفى هذا يقول الله تعالى فى سورة البقرة آية ١٩٤ ((فمن أعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)) ويقول فى سورة البقرة آية ١٩٠ ((وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم)) ويقول فى سورة البقرة آية ١٩٢ ((وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين)) . .

ولا شك أن أكبر هذه الاسباب واهمها الاخيرة وهو الدين أى انتماء المسلمين الى الدين الاسلامى وانتسابهم اليه وذلك لكونه سببا تتفرع عنه الاسباب الاخرى .

لجنة المتابعة لمسلمى
الفلبين



للشيخ : مصطفى عيد

مسجد عبد الله العثمان

روى البخارى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال فيما يرويه عن ربه :
((ان بيوتى فى الارض المساجد وان زوارى فيها عمارها فطوبى لمن تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى فحق على المزور أن يكرم زائره)) .

المساجد بيوت الله فيها يعبد وفيها يذكر اسمه ولا يعمر المساجد الا أهل الغيرة على الدين حيث التوحيد الخالص والعبودية الصادقة لله عز وجل .

ومن هنا كان من أبر الاعمال وأعظمها منزلة عند الله بناء المساجد وتعمير بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله .

وليس أمتع للنفس ولا أهنأ للروح من أن يرى المسلم ويسمع أينما حل وأنى سار اهتمام الخيرين بانشاء المساجد وحرص الذين آتاهم الله من فضله ورزقه على تعميرها وبنائها .

ومسجدنا هذا الذى نكتب عنه بناه رجل ممن أعطاهم الله من فضله وأسبغ عليهم من نعمه وأفاء عليهم من رزقه . فكانت نفسه سخية وكفه ندية فى انشاء المساجد حيث لم يقتصر — رحمه الله — على بناء مسجد فى الكويت بل وفقه الله الى أن يحظى بالخير ويزداد من الثواب فأنشأ المساجد فى كل من البصرة بالعراق ، وفى دمشق بسوريا ، وفى صيدا وبحمدون فى لبنان وأسهم فى انشاء عدد كبير من المساجد والمنشآت الخيرية فى كثير من الاقطار .



مسجد عبد الله العثمان

واذا حاولنا أن نعطى القارىء الكريم لمحة عن روعة وجمال مسجد عبد الله العثمان ، فاننا لن نستطيع أن نلم بكل ما فيه من فن وروعة ومعمار تجلت فيه يد الراحل الكريم حيث كان هو الذى وضع بنفسه تصميم المسجد وكان موظفو مكتبه وعماله هم الذين قاموا بالتنفيذ وكان يشرف على كل صغيرة وكبيرة فيه فلم يعهد به الى شركات المعمار وكبار المهندسين لانه أراد أن يزداد بهذا العمل والمشاركة فيه بالجسم والخبرة بعد المال قربا الى الله وعلم الله صدق نيته وصفاء سريرته فكان التوفيق حيث جاء المسجد روعة فى البناء .

أقيم المسجد فى ضاحية النقرة بدولة الكويت ولعل السبب فى اختيار هذه المنطقة وتفضيلها على غيرها أنها آهلة بالكثير من السكان حيث الحاجة ماسة الى مثل هذا البناء فضلا عن أنها المنطقة التى عاش فيها الراحل الكريم .

وأقيم على أرض مساحتها (٣٣٧٠) مترا مربعا أى ما يعادل ٣٦٣٢٩ قدما مربعا وهو محاط بأربعة شوارع رئيسية وبلغت قيمة الارض وثمن مواد البناء الفعلية حسب تقدير المرحوم عبد الله عبد اللطيف العثمان نفسه (٣٫٥٠٠٫٠٠٠) ثلاثة ملايين وخمسمائة ألف روبية أى ما يعادل

(۲٦۲ر۵۰۰) مائتين واثنين وستين ألفا وخمسمائة دينار كويتى .

ولقد بدأ فى بنائه فى أواخر عام ۱۹۵۸ وتم افتتاحه فى فبراير ۱۹٦۱ م والمسجد له قبة واحدة كبيرة ومئذنتان ترتفعان الى علـو شاهق يراهمـا الرائى من مسافة بعيدة وخاصة فى الليل عندما تتلألأ أنوارهما الكهربية مع سائر الانوار المنبثـة فى المسجد ويخيل للرائى أنه جنـة خضراء تهز روعتها النفس وتضفى عليـه الجلال والخشية .

وللمسجد ثلاثة أبواب رئيسـية ضمن سور كبير يحيط به وقد نقشت عليها الآيات القرآنية . وعندما يتهيأ الانسان لدخول المسجد يرى باحة كبيرة وقد فرشت بالسجاد الفاخر ثم يجد بابا ضخما ما أن يدلف منه الى حرم المسجد حتى لا يملك الا أن يقف فى خضوع وخشوع حيث المسجد من الداخل بجماله وجلاله ونقوشه التى جمعت بين روائع الفـن الاسلامى والهندسة المعاصرة . ولـقد زينت جدران المسجد بأربع عشرة لوحـة قرآنية كل لوحـة فى اطـار كبير كتبت فيهـا الآيـات القرآنية بماء الـذهب . وإذ رأى الانسان ببصره الى أعلى شاهد الثريات الكهربية التى صنعت لهذا المسجد واستحضرت له حسب المواصفات المطلوبة ونثرت فى كل جنباته وقد توسطتها ثريا كبيرة ويبلغ طولها (۳۳۵) سم وقطرهـا (۲۵٦) سم وتحتوى على أكثر مـن مائتى مصباح (لمبة) ولها واجهـة من نحاس نقش عليها لفظ الجلالة (الله) وأما باقى الثريات فكل واحدة منها يبلغ طولها (۱۳۵) سم وقطرها (۱۰۰) سم وتحتوى كل واحدة على (۲۷) مصباحا (لمبة) .

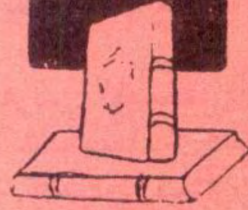
كما فرش المسجد بالسجاد الذى استورد خصيصا له حسب المقاسات المطلوبة فأضفى جمالا على جمـال وجلالا على جلال وقد تم تركيب جهاز تكييف عـام للمسجد حتى تشـعر النفس بالـروح والراحة وتؤدى العبادة فى خشوع وخضوع .

وبالمسجد مصـلى بمدخل خاص للسيدات بمعـزل عن الرجـال ، وبالمسجد مكتبة ضخمة حوت الكثير من الكتب الدينية التى تعين الباحث وترشد الحائر وتهدى الضال الـى سماحة الدين وتشريعاته ، كما أنشىء مكتب لامام المسجد يستقبل فيه كل من أراد الوقوف على رأى الدين فى مسألة من المسائل الدينية .

ولقد ظل الفقيد يشرف على المسجد ويوفر لـه جميع احتياجاته الى أن توفى رحمه الله فى آخر عام ۱۹٦۵ . وبعد وفاته أسند الاشراف الى وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية .

ولما لهـذا المسجد من أثر كبير فى توجيه المسلمين وارشادهم فقـد حرصت الوزارة مشـكورة على أن تنظم فيـه الـدروس اليوميـة والمحاضرات الاسبوعية بالاضافة الى أنه جامـع يغص بالمصـلين عـلى سعته .

وبعد فانه لا يسعنا الا أن نعترف بأننا لم نوف المسجد حقه فى تلـك العجالة السريعة ، وندعو بالرحمـة لمن أنشأه لتكون بمثابة الشكر على هذا العمل الجليل . ففى الحـديث القدسى عن رب العزة : ((عبدى اذا لم تشكر من أجريت الخير على يديه لم تشكرنى) .



المعجزة الكبرى.. القرآن

تأليف الشيخ محمد أبو زهرة
عرض وتحليل : محمد عبدالله السمان

انه لمن تحصيل الحاصل اذا قلنا : أن فضيلة أستاذنا الجليل ، الشيخ أبو زهرة غنى عن التعريف ، فالدراسات الاسلامية الناضجة التى قدمها فضيلته الى المكتبة الاسلامية والعربية وأثرت بها ، تجعل من عبارة : غنى عن التعريف .. عبارة استهلاكية ليس لها مكان فى مقام الكتابة عن أحدث انتاج فكرى اسلامى ، لعلم من أعلام الفكر الاسلامى وعالم من العلماء الرجال ، الذين يسمو بهم ايمانهم عن انحناءات الرءوس ، وعن اهتزازات الأقلام لتمالىء الباطل على حساب الحق ..

هذه كلمة عابرة ، قبل أن نعرض هذا الكتاب الجديد الذى نشرته دار الفكر العربى بالقاهرة ، فى زهاء خمسين وستمائة صفحة من القطع الكبير ، وقد تضمنت أبوابه دراسات على جانب من الاهمية :

« نزول القرآن .. كتابته .. جمعه .. اعجازه .. جدله .. علومه .. تفسيره .. ثم حكم الغناء به .. »

وفى رحاب هذه الأبواب الرئيسية ، ناقش أستاذنا كثيرا من القضايا :

- قراءات القرآن ووجوه الاختلاف فيها ، وأنها ليست الأحرف السبعة ، بل هى على حرف واحد ..
- مذهب الصرفة وبطلانه ، وأن مصدر القول بالصرفة هندى ..
- وجوه اعجاز القرآن ، وآراء العلماء فى هذه الوجوه ..
- قصص القرآن من الناحية البيانية وأنه لون من تصريف بيانه ..
- تفسير الكتاب ، ومناهج التفسير ومصادره ..
- ترجمة القرآن ، وأن ترجمته غير ممكنة ..

● الغنـــاء بالقـــرآن ، والفرق بين الغناء والتغنى . .

قد يخيل الينا لأول وهلة ، أن مثل هذه الدراسات القرآنية ، ليس فيهـــا جـــديد ، فطـــالما كتب فيها الكتاب ، وأدلى العلماء فيها بدلائهم ، لكن حين نقرأ هذه الدراسات بشيء من التروى يتأكد لدينا ، أن أهمية هذه الدراسات ليست ــ وحسب ــ فى اســـتيعابها بين دفتى كتاب واحد ، فى اسهاب غير ممل ، بل أيضا فى جو المناقشة الذى ساد معظم قضاياها ، وفى وجهـــات النظر الجديدة فى بعضها . . فمثلا ، يعرض المؤلف سؤالا ذا أهمية ويناقش الاجابة عنه :

لماذا كانت معجزات الأنبياء السابقة حسية ، ومعجزة الرسول معنـــوية ، فقد كانت بيانا يتلى ، وذكرا حكيمـــا يحفظ ، فيه بيان الشرائع المحكمـــة الخالدة ؟

ويرى أستاذنا الشيخ ابو زهرة : أن معجزات الأنبياء ، ســـواء أكانت مادية فى كونها ، أم كانت متضـــمنة معانى روحية كانت من النـــوع الذى يحس بالرؤية ، ويكون من بعدهـــا التأمل ، وليس من النوع الذى يكـــون بالتأمل ، ولا يدرك الا بالتأمل ، وان كان قائما ثابتا فى الوجود من غير ريب ، وكانت حـــوادث تقـــع ، ولا تبقى ، ولا يبقى منها الا الاخبار بها ، فلا يعرفها على اليقين الا من عاينها . . لكن معجزة محمد عليه السلام ، كانت من نوع آخـــر لم يكن حـــادثة تقع ، وتزول من غير بقاء لها الا بالخبر . . انها مناســـبة لرسالة لعمـــومها فى الاجيال ، ولمكانته بين الرسل ، ومقامه فى هـــذا الوجود الانســـانى الى يوم القيامة . .

وحـــول قراءات القـــرآن ، يقرر أستاذنا الشيخ أبو زهرة أمرين :

أولهمـــا : أن قـــراءات القـــرآن المتواترة ليست هى الاحرف السبعه ، بل ان الرأى القويم الذى انتهى اليه الباحثون ، كابن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هـ وغيره ، الى أن القراءات كلها تنتهى الى حرف واحد ، وهو الذى كتب به المصـــحف المحفـــوظ عند أم المؤمنين حفصة ، وهو الذى جمعـــه عثمان ، وألزم به الأقاليم الاسلامية ، وهو مطابق تمام المطـــابقة للمصحف الذى كتب فى عهد أبى بكر وعمر ، وهو الذى حفظ فى بيت أم المؤمنين حفصة . .

ثانيهما : أن هـــذه القراءات تنتهى فى نهايتها الى أنها من ترتيل القرآن الذى رتله الله ، وتفضل بنسبته الى ذاته الكريمة : « ورتلناه ترتيلا » فهى الأصوات التى أثرت عن النبى عليـــه السلام . . فهى فى مدها ، وغنها ، واهمازهـــا ، واهمـــال همزاتها ، وامالتها ، واقامتها ، أصوات القرآن المأثورة ، اذ أن القراءة سنة متبعة ، وان اختلاف القراءات الصحيحة وكلها متواترة عن الصحابة الذين أقرأهم النبى وأعلمهم طرق الأداء التى تعلمها والمنهل السائغ ، وهو تلاوة النبى ، لكن الاختلاف ليس اختلاف تضاد فى المعانى ، أو اختـــــلاف تباين فى الألفاظ . .

ويرى أستاذنا أن مصـــدر مذهب الصرفة الهند ، فالبراهما يقولون فى كتابهم (الفيدا) وهو مشتمل عـــلى مجموعة من الاشعار : ليس فى كلام الناس ما يماثلها ، وان البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها ، لأن براهما صرفهم عن أن يأتوا بمثلها ، وعنـــدما دخلت الأفكار الهندية فى عهـــد العباسيين تلقف هـــواة الأفـــكار الوافـــدة من الفلاسفة هـــذه الاقـــوال واعتنقوها وأرادوا تطبيقها على القرآن ، فقال قائلهم : ان العرب اذ عجزوا عن أن

الذى أعجـــزهم . وقد كان القـــرآن معجزة النبى . والقول بالصرفة ينفى عنه خواص الاعجاز . . لا سيما وأن معجزات السابقين من الأنبياء ما كان فى طاقة الناس الاتيان بمالها . فلماذا لا تكون معجزة محمد كسائر المعجزات وهى أجل وأعظم ؟

وتحت عنـــوان : « علم الكتاب » الذى أشارت اليه الآية الكريمـــة : « قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم . ومن عنده علم الكتاب » تســـاءل أســـتاذنا : ما هـــذا العلم القرآنى الذى يعلو بصاحبه الى هذا المقـــام الاسمى والمنزلة العليا ؟ ثم أجاب عن هذا التساؤل بجوابين : أحدهما فيـــه اجمال والآخر فيه بعض التفصيل :

■ الاول : انه علم النبـــوة . أى علم الرسائل الالهية . فالقرآن قد اشتمل — فيمـــا اشتمل عليـــه — على لب الرسالة الإلهية وهو التوحيد . وهذا الجـــواب مبنى على مـــا قرره الذين قرءوا القرآن من السلف وما نقلوه عن النبى عليه السلام .

■ الثانى : ان من علوم النبوة عـــلم الغيب . . والغيب هو لب الايمان . وان العلم بمنشىء الكون هو الفطـــرة الانسانية . وان الفلاسفة يحاولون أن يدركـــوا المغيب عنهـــم من حقيقـــة المنشىء . ولا تجد فى كلام الفلاســـفة ما يهدى للتى هى أقـــوم . وما كان عجزهم عن أن يدركوا الشىء الاول الا من سيطرة أوهام سبقت . عكرت على الفطرة . وضللت العقل . ولنظريات ضالات كنظرية الأسباب والمسببات . متوهمين أنها تنطبـــق على منشىء الوجود . كما هى ثابتة فى العلة بين الموجودات .

وان من علوم النبوة : علم الرسالة الإلهية والمعجزات التى اقترنت بها .

وقد أطنب الاستاذ فى الحديث عن الخـــوارق التى صـــاحبت رســـالات يأتوا بمثل القران . ما كان عجزهم لأمر ذاتى من الفاظه ومعانيه ونسجه ونظمه . بل كان لأن الله تعالى صرفهم عن ان يأتوا بمثله .

معنى هذا أن رواج هـــذا القول يؤدى الى أمرين :

أولهمـــا : ان القرآن ليس فى درجة من البلاغة . والفصاحة تمنع محاكاته . وتعجز القدرة البشرية عن أن تأتى بمثله . فالعجـــز ليس من صفات القرآن الذاتية . .

ثانيهما : الحكم بأنه ككلام النـــاس لا يزيد عليـــه شىء فى بلاغتـــه أو معانيه . .

وبعد أن أشار فضيلة أستاذنا الى أن القول بالصرفة نبت أول نبت له فى رواق الفلسفة الكلامية . قاله شيخهم ابراهيم بن ســـيار الشهير بالنظـــام والمتـــوفى عام ٢٢٤ هـ . ولقـــد نقده تلميذه الجاحظ المتوفى عام ٢٥٥ هـ . كما أشـــار الى أن فكرة الاعجـــاز بالصرفة مجال اختلاف بين العلماء . ما بين مقرر لها وما بين مستنكر . بعد الاشارة الى هذا وذاك . أخـــذ أستاذنا يبين بطلان هـــذه الفكرة من أساسها . فدلائل البطلان قائمة ثابتة . مأخـــوذة من الوقـــائع التاريخيـــة والموازنات الحقيقية الثابتة . من هذه الدلائل :

■ ان العرب — راعهم بيان القرآن وأثار اعجابهم أسلوبه وعبـــاراته . فكان المعجز لذاته لا لشىء خارج عنه .

■ أن المعجـــز لو كـــان لأمر خارجى لا لأمـــر ذاتـــى فيـــه . بـــأن تكون للعرب المقدرة على أن يأتوا بمثله ولكنهم صرفوا . فان ذلك يقتضى أن تثبت لهم القدرة أولا . وقد نفوا ذلك عن قدرهم . وليس لنا أن نفرض لهم قدرة قد نفوها عن أنفسهم . .

■ لو أخذنا بمذهب الصرفة ما كان القرآن معجـــزا . بل يكون الله هو

الأنبياء ، مبررا لذلك بأمرين :

■ **الاول** : أن التوحيـد الذى هو لب العقيدة الاسلامية ، بل هو اللب فى كل الاديان السماوية ، انما يقوم على أوصاف ثلاثة :

وحدة الخالق فى انشائه الكون . ووحـدانيته فى ذاته فهو منزه عـن المماثلة للحوادث ، ليس كمثله شىء . . ووحدة المعبود ، وهو الله سبحانه وتعـالى .

■ والوصف الثانى : ان اللـه مريد مختار فعال لما يريد ، وأنه أنشأ كـل ما فى الوجود بارادته وقدرته ، ولم ينشأ عنه نشوء المعلول عن علته . .

■ الوصف الثالث : ثبوت الرسـالة الإلهية للمصطفين من خلقه ، ولا تثبت الرسالة الا بأمره .

■ **أما الأمر الثانى** : الذى من أجـله أفاض فضيلته فى ذكر بعض الخوارق فهـو أن بعض الذين يجعلون أمـور الدين خاضعة للتجارب يدعـون أن رسالة محمد قامت على العقل ، ولم تقم على الخوارق ، وأن القرآن الذى هو حجة محمد الكبرى خاطب العقول ولم يخـاطب الخـوارق ، وجـرت عباراتهم بما يفيد أن الاسلام لا يعرف الخوارق . .

وفى باب . . تفسير الكتاب : أشار أستاذنا الى رأى من رأى من العلماء ، أن القرآن لا يحتاج الى تفسير ، الا فى بعض الألفاظ الغريبة على القارىء والا بعض الاحكام والمجملات المبينـة بالسنة ، وما عدا ذلك لا يحتاج الى بيان الا أن يكون متشابها ، وهـذا لا تفسير له . .

ويرى أستاذنا أن لهذا الرأى سندا من القرآن ، فقد وصف بأنه مبين أى بين ، والبين لا يحتاج الى تبيين ، وربما دفع اليه ما تورط فيه بعض المفسرين من نقل اسرائيليات قد تفسد المعنى ، وتضع ستارا كثيفا بين الآية الكريمة ونورانيتها المشرقة ، وكأن صاحب هذا الرأى يريد أن يجد التالى للقـرآن الاشراق والنور من غير حجب يحجبها من روايات مـا أنزل اللـه بها من سلطان . .

ويعرض أستاذنا بعـد ذلك لرأى آخـر غريب وجـد فى بعض كتب المعتزلة ، مؤداه : ان القرآن يتعبد به ويتلى تلاوة ، ولا تتعرف معانيـه الا بتعريف من النبى صلوات الله عليه . . ويرى أستاذنا أن الذى دفع الى هذا الرأى توقع خشية انحراف الفكر فتصرف معانى القرآن الى غيرها ، فرؤى الاكتفاء بالتـلاوة والتعبد بها وقوفا عند ذلك ، حتى لا يقال على الله بغير علم — لكن مهما يكن المقصد فان هذا الرأى لا يؤخذ به ، ولم يشر اليه أحد الا القاضى عبد الجبار المعتزلى فى كتاب المغنى وقد تولى تفنيـده والرد عليه . . فالقرآن مقصود بمعـانيه وبتلاوته ، وان التفسـير علم يدرس وهو مفيد ، وهو قائم منذ عهد التابعين الى اليوم .

وبعد أن أسهب أستاذنا فى شرح مناهج التفسير ، عرض لمصـادر التفسير : اللغة ، والسنة ، وأقوال الصحابة مع تلاميذهم التابعين ، أشار الى المصـدر الرابع وهـو التفسير بالرأى — أى بالنظر المجرد الذى لا يخالف اللغة ، بل يستعين بمناهجها ، ولا يخالف السنة ، بل يعتمـد على الصحيح من اسانيدها ان صحت عنده ولا يناقض تفسير الصحابة المأثور ، ولا أسباب النزول التى صحت بسند صحيح . .

وقد تضاربت أقـوال العلماء فى التفسير بالرأى ، منهم من عارضـه بشـدة كشيخ الاسـلام ابن تيمية ، ويراه حراما ، وأن من يفسر القرآن برأيه يقول بغير علم . . وساق حديث : من قال فى القـرآن بغير علم فليتبوأ

مقعــده من النار ، لــكن استاذنـــا الشيخ أبو زهـــرة يرى أن الحـــديث خاص بمن لم يؤت أدوات التفسير من علم اللغـــة ، ومصادر الشريعـــــة ومواردها ومرامى الاسلام وغاياته .

أما من اخـــذوا فى تفسير القرآن بالرأى فقد سلكوا مسلك الفقهاء الذين أخذوا بالقياس ، ان لم يجـــدوا فى الموضوع نصا . . وكان هذا المســـلك مسلك الذين حاولوا تعرف اعجـــاز القـــرآن ، وعـــلى رأسهم الامــــام الزمخشـــرى ومن قبـــله كان الامام الطبرى ، وكذلك كان الامام الغزالى الذى اســـتدل على جـــواز التفسير بالرأى بعدة أدلة . .

ويعقب أستاذنا الشيخ أبو زهـــرة على قول الامام الغزالى : « ان المأثور من التفسير بالسنة قليل لا يشـــــمل القرآن كله » فيرى أن ذلك فى غير الحلال والحرام . فيما يتعلق بتفسير القرآن بهما ، ورد عن النبى فيه كثير وليس قليلا ، لانه بيان الشريعة . . وتبليغ رسالة الله ، اذ أن التكليفات لا بد أن يبينها النبى ، ولا يتركنا الا وقد بين ما يجب على المكلفين فعله ، ومـــا يجب عليهم تركه . .

والـــذين سوغوا التفسير بالرأى منعـــوه فى موضعين ، يكون الرأى فيهما مذموما :

■ **الاول** : أن يفسر القرآن مفسر على هواه ، أو يحاول حمـــل الآيات على مذهبه أو رأيه . .

■ **الثـــانى** : المسارعـــة الى تفسير القرآن بظواهر الآيات والاقتصـــار على هـــذه الظـــواهر من غير تعرف للمنقول فى موضـــوعها ، ومن غير ادراك للاساليب البيانية القرآنيـــــة المعجزة .

وبعـــد . .

فهذه جولة سريعـــة بين صفحات كتاب استاذنا الشيخ أبو زهرة الذى ضم بين دفتيه دراسات قرآنية على جـــانب من الاهميـــة ، ولا أعتقد أن دارسا أو باحثا الا فى حاجة اليها . وان كان لا بد من ملاحظـــات . فلن تكون الا ملاحظات على الهامش :

أولا : كنا نـــود ألا تضم هـــذه الدراسات حديثا نبويا واحـــدا دون تخريجه . ذكر السند والدرجة معا . لان هـــذه الدراسات أثارت مناقشات وقضايا كثر فيها الجدل .

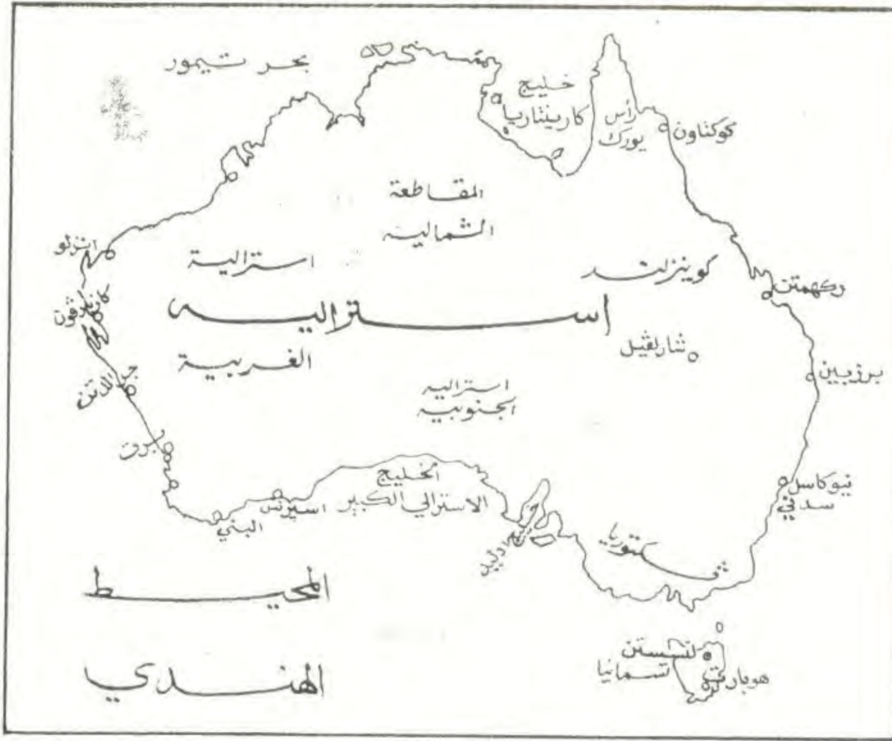
ثانيا : ان علمـــاء السلف الـــذين تعرضوا لوجوه الاعجاز القرآنى — لم يتطرقوا — على ما أعتقد — الـــى التشريع القرآنى كوجـــه من وجـــوه الاعجاز ، وقد سبق لاستاذنا دراسة فى هذا الموضوع سبق نشرهـــا فى مجلة (المسلمون) تحـــت عنوان : « شريعة القرآن دليل على أنه من عند الله » وفى هذا الكتاب اشارة عابرة الى هذا البحث ، لذلـــك كنا نود أن يعطى حقه فى هذا الكتاب ، فهـــو موضوع الساعة بلا جدال .

ثالثا : لقد عرض أستاذنا للقصص القرآنى فى ١٢٥ صفحة ، لكن مـــن الناحية البيانية وحسب — ولذلك كنا نود أن يناقش أستاذنا قضية عـــلى جانب من الأهمية ، هى واقعية القصة فى القرآن ، وهذه القضية سبق لها أن شغلت الأذهان . .

رابعا : لقد خلت هـــذه الدراسة القيمة من استعراض سريـــع لحاضر القرآن ، فالقرآن هو المصـــدر الأول للتشريع الإسلامى الـــذى يمر اليوم بمحنة . . ولا أقول بمأساة . .

هذه ملاحظات على الهامش ، ولم يكن هناك مبرر لذكرها ، لولا ثقتنا فى علم أستاذنا الشيخ أبو زهرة ، وفقهه وايمانه . . وشجاعته . .

الوجود الإسلامي في استراليا



دخل الاسلام الى استراليا عن طريق التجار والعمال من المسلمين القادمين من أفغانستان وباكستان والهند والذين نقلتهم الحكومة الانجليزية الى استراليا للاستعانة بهم لدى قيامها بفتح طرق المواصلات الداخلية .. ولا زالت السكك الحديدية فى بلدة ــ اويليد الايك ــ تسمى بكلمة ــ خان ــ تخليدا لذكرى هؤلاء العمال المسلمين . . ولقد دأب المسلمون على نشر الاسلام فى البلاد بحسب امكانياتهم وظروفهم وعلى المستوى الفردىحينا والجماعى حينا آخر حتى اذا كانت سنة ١٨٨١م كان عدد المسلمين قد وصل الى ٤٧٠٠ مسلم وأكثر فى مقاطعتى ــ اديلاند ــ وبريسبين .

أما عدد المسلمين اليوم فى استراليا فيبلغ ما يقارب ١٢٠ ألف نسمة من بين عدد سكان البلادالبالغ عددهم ١٢٫٢٠ مليون نسمة .

ويتوزع المسلمون فى استراليا الى ثلاث فئات :

١ ــ أعضاء السلك الديبلوماسى المسلمون .

٢ ــ الطلاب المسلمون القادمون للدراسة بموجب مشروع ــ كولومبو ــ أو على حسابهم الخاص .

٣ ــ المهاجرون والوطنيون من اهل البلاد .

أما المهاجرون فهم قادمون من يوغسلافيا وأفغانستان والباكستان وقبرص والاردن والبانيا .. وماليزيا وأندونيسيا .

وقد عمد المسلمون الى تأسيس مجالس اسلامية عديدة لهم .. وآخرها المجلس الاسلامى للدعوة الاسلامية .. ولا زال المسلمون هناك فى حاجة ماسة الى المزيد من الدعم المادى والادبى من قبل الحكومات والمنظمات الاسلامية .. وذلك لتحقيق غرضين هما :

١ ــ رفع مستوى الوعى بالدين الاسلامى لدى المسلمين ولدى من اعتنقوا الاسلام .

٢ ــ دعوة غير المسلمين من الوثنيين وغيرهم الى اعتناق الاسلام وخاصة ان كل الفرص متاحة الى ذلك .



ابنة الفقيه



تمثيلية من تاريخنا العظيم

للاستاذ أحمد العنانى

فى قصر الخليفة عبد الملك بن مروان فى دمشق
عبد الملك مستوحدا على شرفة مظللة بالشجر من أمامهـــا

عبد الملك « منفعلا وبلهجة هادئة » الله الله ! هذه ظلال الدنيا آيـــات من الجمال معجبة كيف اذاً يكون الظل الظليل فى الجنة ؟!

كيف الظلال الوارفة ، والقطوف الدانية « يتنهد ويصمت قليلا » إيه ! اللهم انى قد خلطت عملا صالحـــا ، وآخر ســيئا ، اللهم انك تعلم أنى وجدتنى محمولا عـــلى ظهر الفتنة شقت فيها عصا الطاعة ، وطـــال عذاب الناس بالخلاف ، ولقد فعلت ما أحسب أن فيه رضـــاك يا رب فارحم بفضلك يا رحيم (يتنهد) .

يسمع خطوات مقبلة .

أف لما أنا فيه من فضـــول الاهل أما يدعوننى فى خلوتى ، وائتناسى فى العزلة بطلب العفو من ربى ..

عاتكـــة بنت يزيـــد « زوجة عبد الملك » : حتى لو كانت عاتكة ؟!

عبد الملك : كل الناس الا عاتكة « ضحك منهما » .

عاتكة : مضى عليك وقت غير قليل يا ابن العم

عبـــد اللك : هل كان قليـــــلا ما واجهت من شر وغم .. ؟!

عاتكة : ولـــكن الله عافـــاك ونصرك .

عبد الملك : وإنى أســأله العفو

يا عاتكة ، شد ما بليت بهذه الامارة يا ابنة العم (يتنهد) .

عاتكة : الآن تحزن بعدما صفا الجو ، لو كان ذلك ساعة خرجت لقتال مصعب ، فثار عليك من خلفك ابن سعيد الاشدق .

عبد الملك : كفى يا عاتكة دعينى من ذكرى كأنها قطعة ليل اسود .

عاتكة : ذلك ما ابغى ان تنسى كل شيء يحزن قد زال الخطب يا أمير المؤمنين والحمد لله .

عبد الملك : الحمد لله !! « يتنهد ويهز رأسه ثم يصمت قليلا ويبتسم » اذاكرة انت حين وقفت تودعيننى والدموع ملء عينيك ؟

عاتكة : أما اتفقنا على ان ننسى ؟

عبد الملك : الا ساعة الوداع تلك فى ضيق اليأس ما كان لها أن تنسى ، لقد ذكرت بيتا من الشعر ربطت به على قلبى .

عاتكة « تضحك » .

عبد الملك : احسبك سمعت ذلك منى غير مرة ومع ذلك فلقد يحلو لى أن أردده يتمتم به ببطء وانفعال :

اذا ما أراد الغزو لم يثن همه
حصان عليها نظم دُرّ يزينها

عاتكة : لقد أذهب الله الحرج وكشف الغمة ..

عبد الملك : الحمد لله يا عاتكة تمر الايام بالحلو والمر فلا هذا يبقى ولا ذاك يدوم .. ويتنهد .

عاتكة : كأن شيئا يشغل بال امير المؤمنين ..

عبد الملك : أجل ، ولقد تحسنين فيه الرأى .

عاتكة : أنا يا أمير المؤمنين ؟ « تضحك » .

عبد الملك : ليس فى كل مشورة تخالفين (يضحك) استمعى إلى يا عاتكة ، هل تملكين من نفسك ان تخفى هواك وتقدمى عقلك فى أمر يمسك أكثر من سائر الناس .

عاتكة : وما ذاك ؟

عبد الملك : زواج الوليد .

عاتكة : الله الله يا أمير المؤمنين !! وهل أحب الى قلب حرة عاقلة من خبر عن فرحة ابنها وفرحتها به ؟

عبد الملك : اذاً فقد سألت الوليد فى زواجه فأطرق راضيا وهو يتعثر بحيائه .

عاتكة : بشرك الله بالخير . وطوبى لمن كان حظها أن تزف الى الوليد .

عبد الملك : وبمن تشيرين على لزواجه ؟

عاتكة : استغفر الله يا أمير المؤمنين ما كان الوليد ولدى وحسب . انه المنظور للخلافة بعد عمرك الطويل يا أمير المؤمنين وليس زواجه كسائر الناس ، بل حتى الأمراء .

عبد الملك : بوركت يا عاتكة . لقد خشيت ورب البيت أن تجنحى الى غير ذلك من القول فأجابهك بما لا ترضين .

عاتكة : معاذ الله يا أمير المؤمنين .

عبد الملك : لقد فكرت فى الامر طويلا وأرانى انتهيت الى رأى .

عاتكة : ونعم ما ترى .

عبد الملك : إنها ابنة محدث فقيه كريم .

عاتكة : ليست أموية إذاً

عبد الملك : أبناء عمومتنا وبناتهم طرفت أعينهم الدنيا ، ولقد أذكر انى كنت بمسجد الرسول عليه الصلاة والسلام بيثرب ولا همّ لى غير العلم فلما نوديت للخلافة والله يعلم ما كان ذلك على رأى منى أو رغبة اسقط فى يدى ، ولولا عمر ابن عمى عبد العزيز

لقلت ذهب المروانيون بغير علم ولا آخرة .

عاتكة : ولكنى لا أعرف أى فقيه محدث يعنى أمير المؤمنين لعلها من آل الخطاب ... إنهم نعم الناس .

عبد الملك : لا يا عاتكة .. أبوها من غير العرب كلهم .

عاتكة : كذا يا أمير المؤمنين ؟

عبد الملك : ذلك لا يضرها فى شىء .. بل إنها هى تضارع فى علمها أباها وتبز فيما نمى إلىّ من سواها . جمالا فى الخلق . وعظمة فى الخلق . وخفرا وفهما .

عاتكة : آه .. ها .. لا .. لا « مترددة » ولكن ليس غير التى

عبد الملك : « يضحك » لن تفطنى لها .

عاتكة : بل قد عرفتها .. أعنى سمعت بها . ولكن أباها يا أمير المؤمنين

عبد الملك : ومن أبوها ؟ بل ومن هى ؟

عاتكة : أبوها سعيد .. سعيد بن المسيب .. لكن هذا الرجل يا أمير المؤمنين . فى أحسن علمى عنه . معتصم بمسجد الرسول عليه الصلاة والسلام . مباعدا ما بينه وبينكم حتى ..

عبد الملك : « يقاطعها » حتى لم يبايع أحدا من بنى أمية بخلافة ! ولكنى سائلك عن ابنته .

عاتكة : إن كانت فى حقيقتها على عشر ما أسمع عنها ، إذاً فهى نعم الزوجة لوليد ... وليد رزين يا أمير المؤمنين كما تعلم .

عبد الملك : ونحن نريد أن يبايعنا هذا الرجل يا أم الوليد ، والله لقد بلغ من علمه وخلقه ما فتن الناس به فى سائر الامصار ، وأن الرجل ليحج من المغرب أو المشرق فلا يقصد بعد انتهاء الحج لأمر قبل لقاء سعيد أو السماع منه . هذا الرجل ينبغى أن نصلح ما بيننا وبينه .

عاتكة : ما أحسن العلم ذخيرة لدنيا وآخرة . لقد نلت حظا يا ابنة المحدث الفقيه تقطع لمثله أميرات أمية أيديهن . توكل على الله يا أمير المؤمنين وامض بهذه العزيمة ففيها لك ولابنك رضا من الله وخير إن شاء الله .

عبد الملك : كذلك ترين ؟

عاتكة : مبروك ما عزمت عليه .

عبد الملك : أرسل إذاً لهشام بن اسماعيل ؟

عاتكة : وهل أحب إلى من شىء أستعجله كزواج الوليد ؟

عبد الملك : سأرسل مع هشام أحسن الهدايا وأسناها وسنغالى فى عرس الوليد بما ينبغى له .

عاتكة : على بركة الله يا أمير المؤمنين .

عبد الملك : قبل أن تنهضى ، لا أريد لهذا الخبر ذيوعا أبدا أبدا .

عاتكة : حتى الفرح نكتمه يا أمير المؤمنين ؟

عبدالملك : كذلك أوصانا الرسول ، وهل الضلالة إلا أن نخرج عن وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم « تنهض وعبد الملك صامت يلاحظ خروجها » .

(ينتهى هنا المشهد) .

المشهد فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم

سعيد بن المسيب ينهى درسا له بعد صلاة العصر ..

سعيد : كذلك أيها الناس أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأمر الحديث المروى عنه ، فإياكم ونفسى أوصى ، وإياكم ونفسى ، أحذر من التهافت فى النار فى الخوض فيما لا

نعلم علم اليقين . أقول هذا واستغفر الله لى ولكم . ومن كان عنده سؤال فليدع ذلك الى غد إن شاء الله .

همس : يريد أن يرى ضيوفه هذا عامل أمير المؤمنين ينتظر انتهاء الدرس .

بصوت مسموع : جزيت الخير لا فض فوك السلام عليكم .

سعيد : وعليكم السلام ورحمة الله . . . حركة خروج الناس .

هشام بن اسماعيل : جزاك الله خيرا يا سعيد . لقد قلت فأجدت . وأفضت ولم تترك زيادة لمستزيد .

سعيد : ربنا لا تجعلنا ممن يحبون الحمد فيما لا يفعلون أو يستحقون .

هشام : بل أنت بكل محمدة حقيق يا سعيد .

سعيد : هات يا هشام أنت ومن هم معك . لم تجيئوا طبعا لفقه ولا لحديث .

هشام : قد جئتك يا سعيد بهؤلاء النفر من خيرة أهل الشام ووجوههم لنحمل اليك أحسن التحيات من أمير المؤمنين . ولا نطيل عليك . لكنه شرف نحمله . ورسالة يسعدنا إبلاغها . وليست هى الا عدل علمك وحسبك فى تقوى الله تعالى. ان أمير المؤمنين يا سعيد لما عرف من فضلك وعلمك ومقامك عند الله تعالى يسعده أن يعرض عليك الصهر لابنه وولى عهده الوليد بن عبد الملك . ولو كان غير الوليد طلب ذلك ما رأى له أمير المؤمنين ما رآه لولى عهده وافضل أبنائه .

سعيد : أذلك كل ما تقول ؟

هشام : تكلم كما تريد أنت يا سعيد .

سعيد : بل قل كل ما تشاء أنت .

هشام : هذا وامير المؤمنين اجزل الله له الخير غير منقص لكم ولا لكريمتكم قدرا لم يكفه ما يهدى من الحجاز . فساق معنا قافلة مسوقة بكل غال من الشام .

« تدخل من الرجال الذين مع هشام » .

ما هكذا تورد الابل يا ابن اسماعيل عمرك الله يا مخزومى . . . أمير المؤمنين حين يزوج ولى عهده ليس عليه ولا على عرسه بضنين .

هشام : حسبكم يا رجال ما ينبغى لى أن أنسى هذا أيضا .

سعيد : هل انتهيت ؟

هشام : حين تشاء يا سعيد فنحمل لأمير المؤمنين بشائر الرضا والقبول .

سعيد : حسبنك انتهيت لا يلبث الرجال ان يملأوا المسجد استعدادا للمغرب .

هشام : ما أراك والله إلا بطيئا الى صهر أمير المؤمنين كبطئك فى البيعة له . أما وربى يا سعيد لئن شئت الدنيا كلها ساقها اليك أمير المؤمنين . أما ندمت على تركك البيعة . ومفارقة الجماعة ؟ . .

أحد الرجال : تريث يا هشام فالرجل لم يرفض طلب أمير المؤمنين والى من عساه يصهر إن يرفض ولى عهد المؤمنين ؟

هشام : بل أنت واهم وأنا والى أمير المؤمنين هنا . وأنا أعرف منك بمن أخاطب ، قد والله عرفت فى وجهه الرفض قبل أن يسكت سكوت المريب .

استمع يا سعيد لا نجاة هذه المرة بما تريد . . أمير المؤمنين اعز عزا وأعلى شأنا من أن تفضحه برفض آخر . فقد كفى ما سكت عليه حتى الآن منك . أما والله لتزوجنها لابن أمير المؤمنين . أو لتفعلن ما يريد راغم الأنف . . أفهمت يا سعيد ؟!!

سعيد : بلى يا ابن اسماعيل لأزوجنها إن شاء الله رجلا يتمنى أمير المؤمنين ، وابن أمير المؤمنين ، وعمال أمير المؤمنين وولاته أن لو كانوا من بعض خدمه وعبيده يوم لا ظل إلا ظل الله ، دعنى الآن فقد حان لى أن أقوم لشأنى هنا ..

هشام : هيا بنا يا رجال وفى غد يكون لنا مع هذا الرجل شأن غير هذا الشأن .

« ينهض هشام ويتبعه من معه يخرجون وسعيد يشير الى فتى فى المسجد طالب علم » .

سعيد : الى هنا يا بنى .

طالب العلم : حبا وكرامة .

سعيد : جزيت خيرا ما شأن طالب العلم المغربى ابن وداعة ؟

طالب العلم : لا تؤاخذه فى غيابه عن الحلقات والدروس ، لقد رزىء بزوجته المغربية من قريب لعله استوحش لذلك فآوى الى منزله .

سعيد : « يقاطعه » كذا !! وأين يقيم ؟ أولستم واسيتموه فى مصابه ؟

طالب العلم : بلى يا سيدى لم ندعه وحده إلا منذ يومين بسبب الحاجه علينا فى الا نشق على أنفسنا .

سعيد : اظن بيته فى جوار بيت ابن مسعود ؟

طالب العلم : بل هو دونه بكثير انه لصق جدار الحرم من الجنوب .

سعيد : كذا ؟ جزيت الخير يا ولدى .

يخرج الفتى وسعيد مطرق كأنما يناجى الحق تعالى فى سكوته .. ينهض ويتجه فى سرداب مسقوف من جانب جدار الحرم حتى يصل الى بيتهفاذا ابنته خارجة من صلاة نافلة .

سعيد : يتقبل الله يا ابنتى .

ابنة سعيد : منك ومنى يا أبتاه .. أراك جئت فى غير موعد يا أبتاه .

سعيد : لأمر قد ترضين عنه يا ابنتى إن شاء الله .

ابنة سعيد : إن كان يرضيك ففيه اذاً لله مرضاة .

سعيد : رعاك الله يا ابنتى ودلك على الخير ودله عليك ، استمعى إلىّ يا ابنتى كل أمر فيه سلامة الفطرة ففيه الخير أيضا ، وقد حان زمان زواجك يا ابنتى وأحسبك ترضين رجلا صادقا فى طلب العلم ومخافة الله .

ابنة سعيد : أبتاه !

سعيد : إنى لأسألك وأنا أعلم سلفا أن هواك مع الله ... وأنك تختارين من كان فى عيشك معه قربى من الله .

ابنة سعيد : لعلك لم تسأم مقامى معك يا أبتاه ؟

سعيد : هيا يا ابنتى .. أعدى نفسك فنحن خارجان بليل الى ما أرجو أن يكون بيتك الجديد إن شاء الله ... تظلين بخير .. يا ابنتى ..

المشهد بليل وقد سار سعيد ومن خلفه ابنته تتعثر حياء ومعهما صرة ملابس .. يقفان عند باب متواضع سعيد ينقر الباب وابنته تتراجع مجفلة ..

ابن وداعة : من بالباب ؟

سعيد : افتح يا عبد الله لا تخشى شرا يا بنى .

ابن وداعة : « مندهشا » من ؟ انت يا سيدى تطرق بيتى المتواضع ؟

وهو يفتح الباب من أنا حتى تزورنى .. وقد مضت عليك السنون لا تبارح الا الى مسجد رسول الله !!

« الباب يفتح كله الآن » .

سعيد : السلام عليكم .

ابن وداعة : وعليكم السلام ورحمة الله ألا تدخل يا سيدى ؟

سعيد : لعلى ان شاء الله فعل غير هذه المرة أصغ الى يا عبد الله ، واجبنى بصدقك الذى أعهد فيك .

ابن وداعة : تفضل يا سيدى .

سعيد : أما كنت تخبرنا عن وفاة زوجك يرحمها الله ... لعلك غير جازع يا بنى من أمر الله .

ابن وداعة : معاذ الله أن أكون من الجاهلين .

سعيد : ولعل حالك لم تسؤ ..

ابن وداعة : لقد أضر بى فقدها حتى الجأنى للقعود لحاجة نفسى هنا ، والغياب لبضعة أيام عن الدروس .

سعيد : قل لى لو رزقك الله فتاة شريفة الخلق ، صحيحة الدين والعقل والجسم أكنت تتزوج ومعك صداق ؟

ابن وداعة : يا سيدى أن كان لا بد لى من الجواب فمعى بضعة دراهم ولكن من ذا يزوج طالب علم فقير غريب وحاله كما ترى ؟

بلى أنا أزوجك من ابنتى .

ابن وداعة : يتلعثم ! .. انا يا سيدى .. وهل أستاهل الشرف الذى به تغمرنى .

سعيد : تقدمى اذا يا ابنتى .. تتقدم متعثرة بخطاها .. هات دراهمك يا ابن وداعة ثم امض فأت برجلين من جيرانك يشهدان على زواجك .

ابن وداعة : يا سيدى حملتنى فوق ما يحمل الناس ، وطوقت عنقى بفضل .. هيهات انهض لجزائه .. الله يجزيك وهو وحده يكفيك قدر ما احسنت لى ألا تدخل يا عماه !

سعيد : هيا يا بنى انى لارجو أن أكون عقدت الليلة عقدا . ليس فيه للشيطان نصيب « ابن وداعة يتحرك نحو جيرانه » .. وانت يا ابنتى لقد زوجتك ممن أرجو الا تتفرقى عنه يوم يتفرق الناس ، الى العذاب أو الى روضات جنان فيها يحبرون ! اللهم قد اردت وجهك اللهم بارك لهما فى آخرتهما ، واغفر لنا ، انك أنت الرحمن الرحيم .

ابن وداعة : أحسن الله اليك يا أبت ! وصانك من صولات الجبّارين ، وجعلنى لك سترا من النار ، يوم يكون الفوز لمن زحزح عنها وسيق مع الوفود الى جنة النعيم .

ابن وداعة : يظهر ومعه بعض جيرانه .

أصوات زغاريد ..

سعيد : لا .. لا ، دعو الضجيج الآن حتى لا تفسدوا علينا أمرنا ... دعو ذلك حتى منصرفى الى مكانى من مسجد رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .

---

(١) من أروع القصص الانسانى الحق فى تاريخنا قصة زواج ابنة الفقيه المحدث التابعى الجليل سعيد بن المسيب رضى الله عنه وقدكتبها بالاسلوب القصصى المترسل الكاتب الاسلامى العظيم مصطفى صادق الرافعى رحمه الله .

وهذه كتابة لها بالاسلوب التمثيلى دون أى خروج من واقعها التاريخى أما البناء (الدرامى) فهو متوفر فى الواقع للحادثة . (الكاتب)

الفتاوى

(وردت هذه الأسئلة لفضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز فأجاب عليها ، وتفضل بارسالها الى هــذا البــاب •)

العقــــــر

السؤال : إذا تخاصم قبيلتان أو شخصان حكم شيخ القبيلة على المدعى عليه بعقائر من الإبل أو الغنم تعقر وتذبح عند من له الحق ، الى آخره ؟

الاجابة : الذى يظهر لنا من الشرع المطهر أن هــذه العقــائر لا تجوز لوجوه ، أولها : أن هذا من سنة الجاهلية ، وقــد قال النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ : (لا عقر فى الإسلام) ، والثانى أن هذا العمل يقصد منه تعظيم صاحب الحق ، والتقرب اليه بالعقيرة ، وهــذا من جنس ما يفعله المشركون من الذبح لغير الله ، ومن جنس ما يفعله بعض الناس من الذبح عند قدوم بعض العظماء ، وقد قال جماعة من العلماء : إن هــذا يعتبر من الذبح لغير الله ، وذلك لا يجوز بل هو فى الجملة من الشرك ، كما قال الله سبحانه : (قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) ، والنسك هو الذبح ، قرنه الله بالصلاة لعظم شأنه فدل ذلك على أن الذبح يجب أن يكون لله وحده ، كما أن الصلاة لله وحده ، وقال تعالى : (إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر) ، وقــال النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ : (لعن الله من ذبح لغير الله) ، الوجــه الثالث : أن هذا العمل من حكم الجاهلية ، وقد قال الله سبحانه : (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) وفيه مشابهة لأعمال عباد الاموات ، والاشــجار ، فالواجب تركـــه وفيمـــا شرع الله من الأحكام ، ووجوه الإصلاح ما يغنى ويكفى عن هذا الحكم ، والله ولى التوفيق

السؤال : قد اشـــتهر عندنا أن الرجــل اذا غاب عن بلاده ثم قدم أن النساء من جماعته ياتين اليه ويسلمن عليه ويقبلنه ، وهكذا فى الأعيــاد ، عيد الفطر ، وعيد الأضحى ، فهل هذا مباح ؟

الاجابة : قد علم بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة أن المرأة ليس لها أن تصافح أو تقبل غير محرمها من الرجال سواء كان ذلك فى الأعياد أو عند القدوم من السفر أو لغير ذلك من الأسباب ، لأن المرأة عورة ، وفتنة فليس لها أن تمس الرجل الذى ليس محرما لها سواء كان ابن عمها أو بعيدا منها ،

وليس لها أن تقبله او يقبلها . لا نعلم بين أهل العلم ــ رحمهم الله ــ خلافا في تحريم هذا الامر وانكاره لكونه من أسباب الفتن . ومن وسائل ما حرم الله من الفاحشة . والعادات المخالفة للشرع لا يجوز للمسلمين البقاء عليها . ولا التعلق بها بل يجب عليهم أن يتركوها . ويحاربوها . ويشكروا الله سبحانه الذي منّ عليهم بمعرفة حكمه ووفقهم لترك ما يغضبه . والله سبحانه بعث الرسل ــ عليهم الصلاة والسلام ــ وعلى رأسهم سيدهم وخاتمهم نبينا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ لدعوة الناس الى توحيده سبحانه . وطاعة أوامره . وترك نواهيه . ومحاربة العادات السيئة التى تضر المجتمع فى دينه . ودنياه . ولا شك أن هذه العادة من العادات السيئة . فالواجب تركها . ويكفى السلام بالكلام من غير مس . ولا تقبيل . وفيما شرع الله وأباح غنية عما حرم . وكره . وكذلك يجب أن يكون السلام مع التحجب ولا سيما من الشابات لأن كشف الوجه لا يجوز لكونه من أعظم الزينة التى نهى عن ابدائها . قال الله تعالى : (ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن) الى آخر الآية الكريمة . وقال تعالى فى سورة الاحزاب : (واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلك أطهر لقلوبكم وقلوبهن) الآية . وقال تعالى : (يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما) . وقال تعالى : (والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وان يستعففن خير لهن والله سميع عليم) والقواعد هن العجائز . بين الله سبحانه أنه لا حرج عليهن فى وضع ثيابهن عن الوجه ونحوه إذا كن غير متبرجات بزينة . وأن التستر . والتحجب خير لهن لما فى ذلك من البعد عن الفتنة . أما مع التبرج بالزينة فليس لهن وضع الثياب بل يجب عليهن التحجب . والتستر وان كن عجائز . فعلم بذلك كله أن الشابات يجب عليهن التحجب عن الرجال فى جميع الاحوال سواء كن متبرجات بالزينة أم غير متبرجات لأن الفتنة بهن أكبر . والخطر فى سفورهن أعظم . واذا حرم سفورهن فتحريم الملامسة . والتقبيل من باب أولى لأن الملامسة . والتقبيل أشد من السفور . وهما من نتائجه السيئة . وثمراته المنكرة . فالواجب ترك ذلك كله . والحذر منه . والتواصي بتركه وفق الله الجميع لما فيه رضاه . والسلامة من أسباب غضبه إنه جواد كريم . والذى أوصي به الجميع هو تقوى الله سبحانه . والمحافظة على دينه . ومن أهم ذلك . وأعظمه المحافظة على الصلوات الخمس فى أوقاتها . واداؤها بالخشوع والطمأنينة . والمسارعة من الرجال الى أدائها فى الجماعة فى مساجد الله التى أذن أن ترفع ويذكر فيها اسمه كما قال الله سبحانه : (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين) . وقال تعالى : (واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون) . ومن الأمور المهمة الأمر بالمعروف . والنهى عن المنكر . والتعاون على البر والتقوى . والتواصي بالحق . والصبر عليه . وهذه هى أخلاق المؤمنين . والمؤمنات . وصفاتهم كما بين الله ذلك فى قوله عز وجل : (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم) .

بريد الوعي الإسلامي

المنجم والفلكي

نقرأ كثيرا فى الصحف والمجلات تنبؤات خاصة بالمستقبل ، وبأحداث سارة او محزنة سوف يتعرض لها اشخاص ولدوا فى اشهر معينة ، وذلك فى باب تفرده الصحيفة أو المجلة تحت اسم « حظك هذا الاسبوع » .

ونحن نعلم أن التنجيم أو الفلك علم قديم له اصول وقواعد .. فهل ما يرد فى مثل هـذا الباب مبنى على حقيقـة يعتمد عليها ؟ وقد أخبرنى احد الاصدقاء بحرمة قراءة هذا الباب أو تصديق ما جاء فيه . فهل صديقى محق فى قوله أم لا ؟

★ ★ ★

هناك فرق بين علم التنجيم وعلم الفلك . فالتنجيم يقصد بـه صناعـة أحكام النجـوم تمييزا له عن علم الفلك الذى هو علم طبيعى ينظر فى النجوم والكواكب من حيث مواضعها وحركاتها والظواهر الطبيعية كالخسوف والكسوف واتجاهات الرياح . وقد اخترع لكل ذلك آلات حاسبة وعدسات مقربـة ومراصد كاملـة المعدات عرف بواسطتها الكثير من علوم الفضاء والكون . فعلم الفلك صحيح لأنه يعتمد على قواعد حسابية .

أما التنجيم او النجامة فتنصرف الى صناعة النظر الى النجوم من حـيث علاقتها بحوادث العالم كالحرب والسلم والولادة والوفاة والسعد والنحس . ويقوم التنجيم على أساس أن ما يحدث فى الكون وما يجرى للانسان ذو اتصال سببى بحركات النجوم ومواقعها .

لهذا يعتبر علم الفلك من العلوم الطبيعية اليقينية ، بينما التنجيم مـن التخيلات الوهمية . ويعرف المشتغل بالعلم الاول بالفلكى ، أما من يعمل بالعلم الثانى فيطلق عليه المنجم .

ولا يستند التنجيم الى اصل شرعى اسلامى ، بل انه مردود أو مذموم . وقد جاءت الاحاديث الدالة على ذلك قال النبى عليه الصلاة والسلام « من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « تعلموا من النجوم ما تهتدون به فى ظلمات البر والبحر ثم انتهوا » .

وروى مسلم فى صحيحه عن بعض أزواج النبى صلى الله عليه وسلم عنه قال : « من أتى عرافا ، فسأل عن شىء لم تقبل له صلاة اربعين ليلة » .

وغير ذلك من الاحاديث التى وردت بهذا الخصوص مما يفهم منه تأكيد حرمة استخدام علم النجوم فى معرفة الغيب قال تعالى : (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا) .

الاستشارة والاستخارة

ورد فى بعض الكتب الدينية هذان اللفظان ــ الاستشارة والاستخارة ــ فما معناهما ؟



الاستشارة هى استشارة أهل الخير والصلاح والخبرة قبل الاقدام على السفر ، أو على أمر من الامور الهامة وهى مشروعة ــ قال تعالى آمرا الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله (وشاورهم فى الامر) وقال تعالى فى وصف المؤمنين (وأمرهم شورى بينهم) .

قال قتادة : ما شاور قوم يبتغون وجه الله الا هدوا الى أرشد أمرهم .

وقال ابن تيمية : ما ندم من استخار الخالق وشاور المخلوقين . فالأليق بالمؤمنين أن يستأنسوا برأى أهل الصلاح والتقوى قبل أن يشرعوا فى أمر من أمورهم المهمة .

والاستخارة هى أن يستخير الانسان الله تعالى قبل الشروع فى كل امر ذى بال . ولقد وجهنا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الى ذلك الهدى الكريم ، فقال « من سعادة ابن آدم استخارة الله . من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله . ومن شقوة ابن آدم تركه استخارة الله . ومن شقوة ابن آدم سخطه بما قضى الله » .

وصفة الاستخارة كما روتها كتب السنة انه اذا أراد المسلم أمرا من الامور أن يتوضأ ، ويصلى ركعتين من غير الفريضة ، فى أى وقت من الليل أو النهار ، يقرأ فيهما الفاتحة ويقرأ بعد الفاتحة شيئا من القرآن الكريم . ثم يحمد الله ، ويصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم يدعو بالدعاء الذى رواه البخارى ، من حديث جابر رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة فى الامور كلها ، كما يعلمنا السورة من القرآن يقول « اذا هم أحدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة ، ثم ليقل :

اللهم انى استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك ، واسألك من فضلك العظيم ، فانك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم وانت علام الغيوب . اللهم ان كنت تعلم أن هذا الامر ــ ويسمى حاجته ــ خير لى ، فى دينى ، ومعاشى ، وعاقبة أمرى (أو قال عاجل أمرى وآجله) فاقدره لى ، ويسره لى ، ثم بارك لى فيه . وان كنت تعلم أن هذا الامرشر لى ، فى دينى ، ومعاشى ، وعاقبة أمرى (أو قال عاجل أمرى وآجله) فاصرفه عنى ، واصرفنى عنه ، واقدر لى الخير حيث كان ، ثم ارضنى به » .

قال النووى ينبغى أن يفعل بعد هذه الاستخارة ما ينشرح له صدره ويطمئن اليه قلبه ، فاذا انشرح صدره للاقدام على الامر الذى استخار الله من أجله ، فليعتمد على الله ويقدم عليه والله الموفق . وهو الهادى الى سواء السبيل .

هذا وان نظام الاستخارة هو البديل الذى جاء به الاسلام ، بعد أن حطم النظام الجاهلى البغيض ، نظام الاستقسام بالازلام ونظام التطير . وبعد أن كان العربى قبل الاسلام يستخير الحجارة الصماء والطيور السوانح والبوارح ، اصبح فى نور الاسلام لا يطلب الهداية والرشد الا من الله رب العالمين .

الوســـاطـة

ما معنى قول النبى عليه الصلاة والسلام (اشفعوا تؤجروا ويقضى الله على لسان رسوله ما يشاء) ؟

★★★

هذا الحديث النبوى رواه الشيخان واللفظ للبخـــارى فى كتاب الادب . فعن أبى موسى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا أتاه السائل أو صاحب الحاجة قال « اشفعوا فلتؤجروا ـ الحديث » .

والشفاعة الحسنة التى قصدها الرسول فى هذا الحديث ، ونوه بشأنها القرآن الكريم حين قال (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها) هى التوسط ابتغاء وجه الله تعالى فى جلب نفع للناس أو دفع ضر عنهم ، فى غير معصية لله تعالى ولا حد من حدوده بعد أن يبلغ الحاكم ولا ابطال حق للغير .

ومن الشـــفاعة الحسنة . التحريض على الصدقات للفقراء ، وتفريج الكربات عن المكروبين . وقضاء الحاجات لاصحابها ولا سيما العاجزين عـــن الوصول الى حقوقهم ، والعاجزين عن بيان مطالبهم . ومن الشفاعة الحسنة . التوسط فى تخفيف الدين عن المدين ، أو ابرائه منه ، أو تأديته عنه من غير من ولا أذى . واذا كانت الشفاعة أو الوساطة للاضرار بالآخرين ، أو لاخــلاء سبيل مجرم ، او لاسناد عمل لمن لا يصلح له او نحو ذلك مما يضر مصلحة الفرد والجماعـــة فانها غير جائـــزة .

ـ الوعى الاسلامى ـ

وصلتنا أعداد رمضان وشوال من مجلة « الوعى الاسلامى » الغراء ، كما وصلتنا الأعداد التى قبلها ، وهى بحق غذاء روحى دسم ، وفيها الكثير من الحلول لما نواجه اليوم من مشكلات الحياة ، فهى تصوير دقيق لما يعج فى مجتمعنا الحديث من تيارات ومذاهب ، مع البيان السليم لما ينبغى أن يسير عليه المسلم ، ويأخذ طريقه للوصول الى بر الأمان .

وان معهدنا الذى يضم عشرات من أساتذة الدين والعربية ليتخذون من المجلة مادتهم ، كما يقرأها أيضا بعض طلبة المعهد العالى ، وهـــو معهد خاص فى العربية والدين فى مستوى الكليات . يضم مالا يقل عن مائة طالب .

ونحن اذ نحيى ونكبر فيكم روح العمل ، والنظام ، والتجديد الذى يساير العصر مع التمسك المتين بالمبادىء ، والمثل الاسلامية ، نرجو أن تخصصوا للبحوث الادبية التى تقدم روائع الادب الحديث وتراجم الشـــعراء والادباء المعاصرين بابا خاصا ، بجانب البحوث العلمية الدقيقة ، والمواضيع الاسلامية الاخرى ، وذلك لأن اتصالنا بالعالم العربى جـــد محدود .

واخيرا نضرع الى المولى الكريم أن يأخذ بيـــد الأمة الاسلامية نحـــو النصر ، ويجعل من دولة الكويت منارا هاديا ترشد الأمة الاسلامية نحو صلاح امورهم ، ورائدا من رواد البعث الاسلامى الجديد .

الرئيس محمد بارقبــة
مجلس المعلمين للمعهد الاسلامى
بكالونجان ـ جاوى ـ اندونيسيا

بأقلام القراء

بـــــــلاغ

من كلمـــة للاستاذ محمد سيد أحمد المسير :

متى تتكاتف الجهود الخيرة للحفاظ على قيم المجتمع ومبادئه الاسلامية .

ان الاسلام اليوم يتعرض لحملات عدائية كثيرة شرقية وغربية ، بل انه فى محيط أبنائه غريب غرابة كاملة ، الامر الذى يضاعف الجهد والجهاد .. وان الاسلام قد امتحن كثيرا وخرج من كل امتحـــان أشد صلابة وأقوى عـــودا ، ففى العصر الاول اجتمعت الجزيرة العربية لتحطيم الاسلام .. لكنه انتشر ، وأراد اليهود لـــه كيدا .. فبــاءوا بالخسران ، ثم اقتتل المسلمون وخيل للعـــالم أن الاسلام يصفى نفسه .. لكنه واصل الفتوحـــات وخلص الانسانية من براثـــن الطغيان ، ثم هجم عليه التتار هجمة قاصمة وانهزم المسلمون فى الميدان العسكرى .. ومع ذلك انتصر عليهم الاسلام فى الميدان الفكرى فاسلموا واحتضنوا دعوته ، ثم جـــاء الصليبيون بحقدهم الحاقد واستولوا على أرض الشام وبيت المقدس .. فكانت معركة حطين وعلت راية الاسلام خفاقة .. وفى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين لم يكن هناك بلـــد اسلامى الا وهو مكبل بالاغـــلال وواقع تحت السيطرة الصليبية .. وقد انقشعت الآن هذه السحابة القاتمة وأصبح المسلمون أحرارا فى أوطانهم .

ولكن هل انتهى الكيـــد للاســـلام ؟

ان كل الدلائل الماديـــة تؤكد بشكل قاطع أن روح العـــداء والتعصب البغيض ما زالت هى السائـــدة .. وما حادثة انشقاق اقليم بيافرا ومذبحـــة الانقلاب ضد المسلمين فى نيجيريا ، ومذابح المسلمين فى الفلبين ، وعمليات التقتيل والتبشير فى ربوع افرقيا .. ماذلك كله ببعيد ، ولقد كشفت محاكمة قائد المرتزقة العالمى (رودلف شتاينر) فى السودان عن وقائع مذهلة اذ تبين أن حركة المرتزقة فى أفريقيا عامة وفى السودان خاصة يتولى الاشراف عليها قساوسة ، ويقوم الفاتيكان بتمويلهـــا بمساعدة دول الغرب المسيحى بهدف التصدى لانتشار الاسلام ..

انّ علينا أن ندرك ما يحاك ضدنا ـ بالوعى والبصيرة ، بالقدوة والسلوك ، بالعلم والايمان ، بالتعـــاون والنصرة ..

* * * * * * * * * * * * *

العقبـــة

سأل سائل عن الفائـــدة التى تعطيها المصارف لمن يودعون فيها أموالهم أحلال هى أم حرام .. وهذا سؤال شغل الالوف من الناس عشرات السنين ، وظل قائما لا يجد حلا حاسما يوفق بين الدين والدنيا ..

وائتمان المصارف على الاموال أصبح ظاهرة شائعة فى هذا العصر ، وهى تقوم باستغلال هذه الامـــوال واستثمارها فى المشاريع الصناعية والزراعية ، ولا تبقيها فى خزائنها ، وتظل هى حارسة

على الكنز المعطل .. ثم تعطى فائــدة محدودة ونسبة ثابتة فى المائة ، فيجد المودع حرجا فى أخذ نصيبه منها ونفسه لا تطيب باستثمار أمواله دون أن يجنى هو ثمرة .. واذا كانت التضـــحية سهلـــة بالنسبة للمبالغ القليلة .. فهى ثقيلة على النفس فى المبالغ الكبيرة والعقبة الكئود هى سعر الفائـــدة المحدد ، ولو علا وانخفض بحسب زيادة المكسب أو نقصه ، واختلف من عـــام لآخـــر واحتمل الخسارة الى جانب المكسب لما كان هناك حرج فى أخذ ربح من المضاربة ، وتسمى أحيانا بالقراضة ـ المشروعـــة بين العمل ورأس المال ، ويصح أن يتعدد اصحاب رأس المال ، كما هو الحال فى أموال المصارف المكونة من أيدى الناس ..

فقال السائل .. لو ذكرنا ذلك للناس لما أقدم احد على ايـــداع امواله فى المصارف لان الفائدة المحـــددة المضمونة من المصرف ومن الدولة فى بعض الاحيان تغرى أصحاب الاموال بايداعهـــا فى المصارف .. فقلت للسائل ان الخسارة احتمال ممكن الوقوع ، وان مسألة الضمان هذه قاصرة ، ولا يستطيع أحد أن يضمن حياته وعمله غـــدا .. وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا .. والدنيا كلهـــا معرضة للفناء ، فهل فيها شىء لا يحتمل الخسارة والكسب . ومهما كانت المشروعات التى تستثمر فيهـــا الاموال مضمونة المكسب مؤكـــدة الربح كما يقول الخبراء الاقتصاديون ، فعوامل الفناء والفساد تبغت المصارف والخبراء بما لم يحتسبوا ، ومن هذه العوامل الحرائق ، وقيام الحروب ، وتدمير مـــدن كاملة لا شركة واحدة أو مصنع واحد أو بيت واحد ألخ .. فيها بلايين الجنيهـــات موظفة فى المشروعات الصناعية والزراعية والتجارية والعمرانية ، وهـــذا ما لا يستطيع أحد أن يكابـــر فيــــه .

قال : ان الدولة تضمن الفائدة الثابتة المحددة أحيانا فقلت : ان الخسارة حين تقع فلن يستطيع أحد أن يفر من نتائجها ، واذا بقى سعر الفائـــدة ثابتا فى الظاهر ، فان الدولة تعوض الخسائر بالضرائب التى يضطر الافراد لدفعها رضوا أم كرهوا ...

فلماذا لا يشترط المصرف على المودع أن يتحمل المبلغ المكسب والخسارة ما دام هذا هو الذى يحدث فعلا ..

ثم هناك النظرة القاصرة التى ينظرها الافراد الى الدولة ، وهى أنها على كل شىء قديرة كنظرة الطفل والمـــرأة الى رب البيت ، كما جاء فى المثل المرأة والطفل الصغير يعتقدان أن رب البيت على كل شىء قدير ..

فالفرد يظن أن الدولة ما دامت قد ضمنت الفائـــدة فلن تقع عليه خسارة ما ، وقد بينا خطـــأ هـــذا الظن ..

واذا ناقشنا مناقشة عقلية مبدأ الفائـــدة المحدد سلفا ، وجدنا أن فيه ظلما فاحشا لمن يودعون أموالهم اذا حققت المشروعات والاستثمارات أرباحا ضخمة ، فهى فى البترول مثلا تصل أرباحها الى ٩٠٠٪ . فى حين أن المسكين صاحب المبلغ لايأخذ الا تراب الربح ٩٪ وشتان ما بين تسعة وتسعمائـــة .. فأى عدل فى هذا .. لماذا لاترفع الفائـــدة تبعا لزيادة المكاسب ، وتقل فى أعوام الازمات والشدائد ، ثم يتحمل نصيبه فى الخسارة حين تقع كارثة ..

هذه هى العقبة الكئود فهل نجد بين محافظى المصارف ومديريها والعاملين فيها من يقتحم هـــذه العقبة فلا يكون هناك تعارض أو تناقض بين الدين والدنيا ، ومن المعروف أن الاسلام للدارين معا ، فكل نظام يؤدى الى تعارض وتناقض بين الدارين فهو نظام غريب عنه ، فمتى تزول هذه الحيرة ، ومتى يأتى الانسجام بين ضمير الفـــرد الدينى وبينمعاملاته الدنيوية .

لماذا لا نجرب ولو فى مصرف واحد كنقطة ابتداء فى كل بلد اسلامى ، ولكن هناك عقدة أخرى .. عقدة نقل النظم الغربية نقل مسطرة دون تغيير ولا تبديل ولا زيادة ولا نقصان حتى وان خالفت الدين وتعارضت مع العقل كاننا لو غيرنا فى الاشكال والنظم بما يتلاءم مع الدين والعقل والبيئة فسنغرق فى البحر ، وكأن عقول الغربيين من مسك وعقول الشرقيين من طين ..

جربوا وانا على يقين من أناللهلنيخذل قوما أرادوا أن يقتربوا من الدين والعقل والعدل ..



قالت صحف العالم

الدولـــة الاســـلامية

عن صحيفة الأهرام القاهرية :

ان هذه الدولة لم تقم فى مكة ، وانما قامت فى المدينة . لم تقم فى مكة مع أنهـــا البلدة التى نشـــأ فيها محمد عليه الصلاة والسلام ، والذى وقع عليه الاختيار من بين بنيها أجمعين ليكون رسول الله الى الناس والتى عاش فيها ثلاثا وخمسين سنة قضى منها ثلاث عشرة سنة فى الدعوة الى الدين الجديد ينـــذر الناس ويبشرهم . ينذرهم بعاقبة أمرهم ان هم اســـتمروا على ما هم فيـــه من ضـــلال وفســـاد ، ويبشرهم بحياة أفضل فى مجتمع أفضـــل ان هـــم آمنوا بما جـــاء به من عقيدة ومارسوا الحياة على أساس مما يدعو اليه من قيم : أخلاقية ، واجتماعية ، وروحية .

وقامت الدولة فى المدينة مع أنهـــا البلد التى هاجر اليها محمد عليه الصلاة والســـــلام بعد أن جاوز الثالثة والخمسين ، والتى لم يكد يستقر فيها حتى أنشأ هذه الدولة .

هذه الظاهرة التاريخية الاجتماعية تحتاج ، فيما نرى ، الى مزيد من البيـــان والايضاح ، أن الفرق بين مكة والمدينة ، فيما يخص العوامل المؤثرة فى قيام الدولة ، انما يكمن فى القوى التى كانت تحيط بمحمد عليه الصلاة والسلام فى كل من البلدين — تلك القـــوى القادرة على انشـــاء دولة ، والتمكين لهـــا من ممارسة وظائفها المدنية والعسكرية .

والقوى التى تؤثر فى قيـــام دولة دينية قد تكون الهيـــة ، وقد تكون بشرية .

فمن حيث القـــوى الالهية نستطيع القـــول بأن عناية الله بمحمد عليه الصلاة والسلام ، ورعايته له ، لم تختلف فى المدينة عنها فى مكة . لقد كانت واحدة فى البلدتين ولم يحدث أبدا أن تخلى الله عنـــه فى مكة ورعـــاه فى المدينة حتى نتخذ من ذلك دليلا على احداث آثار فى المدينة تختلف عنها فى مكة .

ان الاختلاف انما كان بسبب اختلاف القوة البشرية فى كل من البلدتين .

لقد كانت القوى البشرية التى تحيط بمحمد عليه الصلاة والسلام فى مكة قلة قليلة ، عاجزة عن حماية نفسها فضلا عن أن تحمى محمدا عليه الصلاة والسلام ، وكانت مستضعفة ينالها الاذى ويقع عليها الاضطهاد فلا تستطيع الدفاع عن نفسها ، وكل ما تستطيعه هو الهجرة . الهجرة الى الحبشة والى غيرها من بقاع الارض فرارا بدينها ، وحماية لنفسها .

وكانت هذه القوى فى المدينة كثرة كاثرة . كانت فى منعة وفى عزة ، وكانت قادرة على فرض ارادتها وعلى الدفاع عن نفسها . ومن هنا كانت عاملا قويا فعالا فى نشأة الدولة .

وهذه الظاهرة التاريخية الاجتماعية من حياة النبى عليه الصلاة والسلام ونشره للدعوة الاسلامية ، واقامته للدولة العربية التى اتخذت من الاسلام عقيدة ونظاما تؤكد دور القوى البشرية ، أو القواعد الشعبية فى كل من العقيدة والدولة . فى انتشار العقيدة ، وفى انشاء الدولة ، وفى استمرار كل منهما .

ان العقيدة انما تحيا فى أنفس المؤمنين بها ، وتقوى بقوة الايمان وبممارسة الحياة على أساس منها ، وتنتشر بكثرة عدد الذين يؤمنون بها ، ويدافعون عنها .

أن العقيدة حين لا تمارس الحياة بها تضعف وتضمحل لان قوتها انما تكون فى قدرتها على دفع الناس الى هذا العمل ونهيهم عن ذلك .

القوى البشرية أو القواعد الشعبية مطلوبة كمقوم أصيل فى كل من العقيدة والدولة . فى النشأة الاولى ، وفى الاستمرار فى الحياة .

قوانين اسلامية جديدة

كتبت مجلة (العربى) تقــول :

من أهم التطورات التى حدثت فى الجمهورية العربية الليبية بعد ثورة الاول من سبتمبر عام ١٩٦٩ ، الاتجاه الاسلامى الذى تميزت به هذه الثورة .. فبعد الثورة صدر قانون تحريم الخمور .. وأغلقت النوادى الليلية وبيوت اللهو غير البرىء .. كما صدر أخيرا فى عام ١٩٧١ قانون فرض الزكاة وهو ينص على انشاء ادارة عامة لشئون الزكاة بوزارة الخزانة تتلقى الاقرارات من المكلفين بأداء الزكاة وفحصها والتحقق من مقدار الزكاة الواجب أداؤه وجبايتها وتوريدها الى الجهات التى تقوم بالصرف منها فى الوجوه المقررة شرعا .

ونص القانون على أن من حق الادارة العامة أن تستدعى مقدم الاقرار اذا شكت فى صحة المعلومات المكتوبة فيه ، كما نص أيضا على توقيع غرامة لا تجاوز قيمة مثلى الزكاة المستحقة على كل من لا يقدم اقرار الزكاة .

ولم تمض شهور على صدور قانون الزكاة الا وصدر قانون جديد ينظم اجراءات النفقة للزوجات المطلقات وينص القانون على أن لا تحصل رسوم قضائية على قضايا النفقة وعلى ضرورة البت فى هذه القضايا بسرعة . وقد لاحظنا فى مدينة طرابلس حركة دائمة فى انشاء مساجد جديدة ..

وفى نفس الوقت تم تشكيل عدة لجان لتطوير القوانين المدنية والتجارية والجنائية بحيث تتفق مع الشريعة الاسلامية ، وتم تأليف لجنة عليا يرأسها رئيس المحكمة العليا ولجان فرعية متخصصة تقوم كل لجنة منها بدراسة قانون من القوانين . وينتظر أن تنتهى هذه اللجان من أعمالها خلال العام الحالى وبذلك يتم تحويل كل قوانين البلاد بحيث تتفق مع الشريعة الاسلامية ..

أخبار العالم الإسلامي

اعداد : عبد المعطى بيومى

الكويت : بحث وزير خارجية موريتانيا أثناء زيارته للبلاد مع المسئولين المشاكل المتعلقة بالشرق الاوسط .

● زار البلاد فى الشهر الماضى وفد يمثل مسلمى الاتحاد السوفيتى برئاسة المفتى ضياء الدين خان بدعوة من وزير الأوقاف والشئون الاسلامية ، وقد تركزت المباحثات بين المسئولين على النشاط الاسلامى والجهود التى تبذل لخدمة الدعوة الاسلامية فى روسيا ..

● يصدر قريبا الجزء الثالث من كتاب المطالب العالية الذى تطبعه الوزارة ضمن سلسلة احياء التراث الاسلامى .

● زودت الوزارة المدرسة الاسلامية فى بوروندى بافريقيا الوسطى ، وبعض المؤسسات الاسلامية فى غانا بمجموعات من التفاسير والكتب الاسلامية .

● ساهمت الحكومة فى مشروع توسيع كلية الزاهرة فى كولومبو بسيلان .

● أعلن سفير ج م ع فى الكويت بأن ما بين الكويت ومصر من علاقات وثيقة يعتبر وحدة كاملة غير معلنة ..

● نشرت الصحف المحلية أن الكويت تؤيد ترشيح السيد محمود رياض أمينا عاما للجامعة خلفا للسيد عبد الخالق حسونة ..

مصر : احتفلت مصر بعيد المولد النبوى ، وقد ألقى الرئيس أنور السادات خطابا فى هذه المناسبة بشر فيه المؤمنين فى العالم بانتهاء الاحتلال الاسرائيلى للارض العربية خلال عام .

● قرر الرئيس أنور السادات افتتاح فرع لجامعة الازهر فى غزة .

● ستفتح جامعة أزهرية جديدة تحتوى على كلية للطب وكلية للشريعة فى كفر الشيخ .

● أوصت لجنة من مجلس الشعب بتدعيم الأزهر وزيادة الاعتمادات المخصصة لمبانى الجامعة والمدينة السكنية للطلاب .

● نقلت مصادر مطلعة ان اتحاد الجمهوريات العربية سيبدأ بانتاج الطائرات محليا .

● رشحت مصر السيد محمود رياض أمينا عاما للجامعة العربية خلفا للسيد عبد الخالق حسونة .

السعودية : قام وفد من رجال التشريع الاوربى بزيارة الى الرياض لمدة ١١ يوما من الشهر الماضى للمقارنة بين حقوق الانسان فى الاسلام والوثيقة الدولية .

● قام البنك الاهلى بتحويل مبلغ (٢١٦ ر٦٧) ريالا الى باكستان ، وذلك من اموال التبرعات التى يدفعها الاهالى للبلد الاسلامى الشقيق .

● قامت وزارة المعارف بتزويد معهد التضامن الاسلامى فى مقديشو بمكتبة كاملة (٧٠٠ كتاب) من المقررات الدراسية ..

الأرض المحتلــة : بلغت المساعدات الاقتصادية والعسكرية التى قدمتها أمريكا لاسرائيل فى العام الماضى فقط مليـــار و ١٠٠ مليون دولار ..

● قامت اسرائيل بهدم عدد آخر من مبانى الوقف الاسلامى كما هدمت مسجدا فى مدينـــة القدس ، ولم تعبــأ بمذكرة احتجاج بعثها العلماء استنكارا لهذه الاعمـــال ..

لبنـــان : قام مفتى لبنان ببحث الانتهاكات الاسرائيلية للمقدسات الاسلامية والمسيحيـــة فـــى الارض المحتلة ، وذلك مع المسئولين السوريين أثناء زيارته لسوريا .

● يقوم العدو بتحرك عسكرى كبير فى المنطقة المواجهة للعرقوب بجنـــوب لبنان .

السودان : عين فى الجيش السودانى ١٨ ضابطا من المتمردين سابقا فى جنوب السودان ، بعد أن انتهت نهائيا مشكلة الجنوب باعطائه الحـــكم الذاتى فى اطار السودان الواحد (كـــانت اسرائيل تستغل هذه المشكلة لانهاك السودان) .

المغـــرب : يبذل المكتب الدائم لتنسيق التعريب جهودا متواصلة مع الدول العربية من أجـــل مؤتمر التعريب الذى سيعقد فى العام القادم ..

ايـــران : صدر العدد الأول من مجلة (الهادى) التى تصدر فى مدينة قم باللغة العربية ، وتنطق بلسان دار التبليغ فى ايران .

ماليزيـــا : قال وزير الشباب الماليزى أن التعاليم الاسلامية تلعب دورا هاما فى صقل سلوك الشباب ، ودعا الى تخصيص فصول دراسية لتدريب الشبان وفق التعاليم الاسلامية ، وأعلن عـــن استعداد وزارته للمساهمة فى هذا الموضوع ..

قطـــر : تبرعت حكومة قطر بمبلغ ١٥ ألف جنيه استرلينى للمشروعات الخيرية التى يقـــوم بهـــا اتحاد مسلمى غرب أفريقية .

الفلبين : أعلن فى مانيلا عن وفاة خمسين مسلما معظمهم من الاطفال بسبب المجاعة والمرض بعد أن طردتهم العصابات المسلحة من ديارهم ..

أوغنـــــدا : دعا الرئيس عيدى امين الى تعاون عربى وأفريقى واسع من شأنه أن يطـــرد النفوذ الاسرائيلى فى أفريقيا كما طرده من أوغنـــدا ..

أخبـــــار متفرقـــــة

فرنسا : أقام اتحاد الطلبة المسلمين فى باريس تسعة فروع جديدة فى تسع مدن فرنسية لنشر الاسلام وتعليم اللغـــة العربية ..

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	ربيع الثاني ١٣٩٢ هـ	مايو ١٩٧٢ م	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي						المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
الأحد	١	١٤	١٧ ٣	٥٧ ٤	٤٤ ١١	١٩ ٣	٣١ ٦	٥٩ ٧	٣٧ ٩	١. ١١	٣٥ ٥	٩ ٩	٢١ ١
الاثنين	٢	١٥	١٦	٥٦	٤٤	١٩	٣٢	.. ٨	٣٥	٨	٣٤	٨	٢١
الثلاثاء	٣	١٦	١٥	٥٦	٤٤	١٩	٣٢	..	٣٣	٦	٣٣	٧	٢١
الاربعاء	٤	١٧	١٤	٥٥	٤٤	١٩	٣٣	١	٣١	٥	٣٣	٦	٢١
الخميس	٥	١٨	١٣	٥٤	٤٤	١٩	٣٤	٢	٢٩	٣	٣٢	٦	٢٢
الجمعة	٦	١٩	١٢	٥٤	٤٤	١٩	٣٤	٣	٢٧	١	٣١	٥	٢٢
السبت	٧	٢.	١١	٥٣	٤٤	١٩	٣٥	٤	٢٥	..	٣.	٤	٢٢
الأحد	٨	٢١	١.	٥٣	٤٤	١٩	٣٥	٥	٢٣	٥٨ ١.	٢٩	٤	٢٢
الاثنين	٩	٢٢	١.	٥٢	٤٤	١٩	٣٦	٦	٢١	٥٧	٢٩	٣	٢٣
الثلاثاء	١.	٢٣	٩	٥٢	٤٤	١٩	٣٧	٧	١٩	٥٥	٢٨	٢	٢٣
الاربعاء	١١	٢٤	٨	٥١	٤٤	١٩	٣٧	٧	١٧	٥٣	٢٧	١	٢٣
الخميس	١٢	٢٥	٨	٥١	٤٤	١٩	٣٨	٨	١٥	٥٢	٢٦	١	٢٣
الجمعة	١٣	٢٦	٧	٥.	٤٤	١٩	٣٨	٨	١٣	٥.	٢٥	..	٢٣
السبت	١٤	٢٧	٧	٥.	٤٥	١٩	٣٩	٩	١١	٤٨	٢٤	٥٩ ٨	٢٤
الأحد	١٥	٢٨	٦	٥.	٤٥	٢.	٤.	١.	١.	٤٧	٢٤	٥٩	٢٤
الاثنين	١٦	٢٩	٥	٤٩	٤٥	٢.	٤.	١١	٨	٤٥	٢٤	٥٨	٢٤
الثلاثاء	١٧	٣.	٥	٤٩	٤٥	٢.	٤١	١٢	٧	٤٤	٢٣	٥٧	٢٤
الاربعاء	١٨	٣١	٤	٤٩	٤٥	٢.	٤١	١٣	٥	٤٢	٢١	٥٧	٢٥
الخميس	١٩	يونيو	٤	٤٨	٤٥	٢.	٤٢	١٤	٣	٤١	٢١	٥٦	٢٥
الجمعة	٢.	٢	٣	٤٨	٤٥	٢.	٤٢	١٤	٢	٤.	٢.	٥٥	٢٥
السبت	٢١	٣	٣	٤٨	٤٦	٢.	٤٣	١٥	..	٣٩	١٩	٥٤	٢٥
الأحد	٢٢	٤	٢	٤٨	٤٦	٢.	٤٣	١٥	٥٨ ٨	٣٧	١٩	٥٣	٢٦
الاثنين	٢٣	٥	٢	٤٨	٤٦	٢.	٤٤	١٦	٥٦	٣٥	١٨	٥٣	٢٦
الثلاثاء	٢٤	٦	٢	٤٧	٤٦	٢.	٤٤	١٦	٥٥	٣٤	١٧	٥٢	٢٦
الاربعاء	٢٥	٧	٢	٤٧	٤٦	٢١	٤٥	١٧	٥٤	٣٣	١٧	٥٢	٢٦
الخميس	٢٦	٨	١	٤٧	٤٦	٢١	٤٥	١٨	٥٢	٣٢	١٦	٥١	٢٧
الجمعة	٢٧	٩	١	٤٧	٤٧	٢١	٤٦	١٩	٥.	٣.	١٥	٥.	٢٧
السبت	٢٨	١.	١	٤٧	٤٧	٢١	٤٦	١٩	٤٩	٢٩	١٥	٤٩	٢٧
الأحد	٢٩	١١	١	٤٧	٤٧	٢١	٤٧	٢.	٤٨	٢٨	١٤	٤٩	٢٧



« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأم عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار ــ ٧ شارع الصحافـــة .

جــدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب ٢٠٤٣ .

الرياض : مكتبة مكـــة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعـــة ضياء .

عـــدن : وكالة الأهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

المكـــلا : مكتبـــة الشعب ــ ص.ب ٢٨ .

مســـقط : المكتبـــة الحديثة ــ السيد يوسف فاضل .

صنعـــاء : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

دمشـــق : الشركة العامة للمطبوعات ــ ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ــ ص.ب ٢٤٧٣ .

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية ــ ص.ب ٦٧ .

عمـــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات ــ ص.ب ٢١٥ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى ــ ص.ب ١٣٢ .

بنغـــازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص.ب ٢٨٠ .

تـــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بـــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ كورنيش المزرعة .

دبـــى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ السيد غازى بساط .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ ص.ب ١٧١٩ .

الدوحـــة : سالم الانصارى ــ الدوحة / قطر .

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة عبد الرزاق الصحفية — الكويت

الوعي الإسلامي

إسلاميّة ثقافيّة شهريّة

ة ـ العدد ٨٩ ـ غـرة جمادى الأولى ١٣٩٢ هـ ـ ١٢ يونيو (حزيران) ١٩٧٢ م

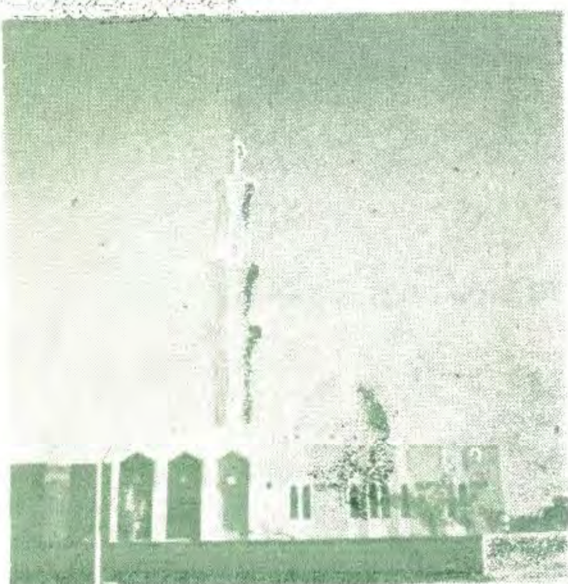




تفضـــل حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم والقائد الاعلى للجيش والقوات المسلحة ، فشمل برعايته السامية حفل تخريج الدفعة الثالثة من الطلاب الضباط فى الكلية العسكرية ، ويبدو سموه وهو يسلم شـــهادة التخـــرج لأحـــد الخريجين .



سمو الأمير المعظم وسمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء وسعادة رئيس مجلس الأمة وعدد كبير من السادة الوزراء والمسئولين أثنـــاء الاحتفـــال .



مسجد الجابرى بضاحية عبد الله السالم بالكويت ــ شيدته الشيخة مريم الجابر الصباح وافتتح فى سنة ١٣٩١ هـ .

تصوير كاظم الناصر

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة الثامنة

العدد التاسع والثمانون

غرة جمادى الأولى ١٣٩٢ هـ

١٢ يونيو (حزيران) ١٩٧٢ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربى	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
أما الافراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص.ب ١٣ هاتف : ٤٢٢٠٨٨ ــ كويت

بسم الله الرحمن الرحيم



مشكلة الفراغ

الفراغ : بمعنى خلو اليد من العمل الجاد ، وخلو العقل من الفكر الباحث هو الضياع الذى ليس بعده ضياع ، والفراغ : بمعنى الاعتماد على الغير فى كل عمل يحتاج اليه مع القدرة على الاستقلال به ، أو المشاركة فى انجازه هو طفولة هزيلة ، ونفسية مهزوزة .

الفراغ : بمعنى تعطيل المواهب ، وقبر القدرات اكتفاء بمواهب الناس وقدراتهم ، هو الداء العياء والمرض العضال .

الفراغ : بمعنى الوقوف عند حد من الكسب ، أو حد من الخبرة مع الفسحة فى العمر والقدرة على المزيد والتجديد ، هو الزهد الكاذب والنقص الكبير .

الفراغ : بمعنى انقضاء العمر يوما فيوما وعاما فعاما دون سعى الى تحصيل علم ، أو اكتساب خبرة استنادا الى حسب أو نسب ، أو اكتفاء بمال موروث هو التسول الحقيقى والفقر المشين .

والانسان الفارغ المكفى الطاعم الكاسى كيف يستطيب الحياة أو يجد لها طعما ، وهو لا يبذل جهدا ولا يغبر قدما ولا يكد ذهنا .

كيف يكسب احترام الناس وثقتهم من يعيش عالة على سواه يأتيه رزقه رغدا من كل مكان لا لكفاية نادرة ، ولا لموهبة خلاقة ، ولكنه لأنه الحسيب النسيب ابن الاصول والاسياد .

أن العربى القديم بفطرته الصافية وطبيعته السوية ، وتقديره الصحيح لقيمة الوقت أبى أن يمنح الفارغ المكفى احترامه وتقديره ، بل أسقطه من حسابه ، ولم يعده فى عداد الرجال ، ولم يعول عليه فى النهوض لكريهة أو تحصيل مكرمة أو الدفاع عن حمى بل امتهنه وشهر به فى شعره السائر .

دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

هذا الفراغ الذى يعيشه الفارغون بلا قيود ولا حدود أخطر ما يكون على حياة أصحابه وحياة المجتمع الذى يضمهم ويؤويهم لأنه يسوقهم الى الانحراف والفساد واشباع النزوات ، وبهذا الانحراف والفساد يخربون بيوتهم بأيديهم ، ويدمرون حياتهم ويقتلون أنفسهم بأنفسهم .

ان الشباب والفراغ والجده
مفسدة للمرء أى مفسدة

وما يقبل انسان حر يحس بوجوده ويشعر بشخصيته ، ويتفهم رسالته فى الحياة أن يعيش واهن العزم منحل الارادة ، خائر القوى يكفيه من دنياه أن يطعم أطيب الطعام ، ويلبس أرفه الثياب ويركب أفره المراكب ينتقل من الظل الى الشمس شتاء ، ويتحول عن الشمس الى الظل صيفا ، ويظل يدور حياته كلها فى هذا المدار البهيمى ما يقبل انسان أن يكون فى وضع المرأة الحمقاء الملتاثة التى ندد القرآن بها لأنها تقضى حياتها فيما لا غناء فيه « ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا » .

ألا ان هذه العقول الفارغة والنفوس المغلقة والحواس المعطلة والمواهب المطموسة ، أوعية للتأخر والجمود والهوان ، وما شقيت أمة من الأمم شقاءها بهؤلاء الذين لا يعيشون الا على طريقة الشاعر الذى يقول .

سألت الله أن يجمعنى بليلى ...
...... الخ .

ولندع هؤلاء الذين منحوا أنفسهم اجازة تفرغ للراحة طول الحياة فهم فارغون دائما لا يستريحون الا من عناء الراحة ، لندعهم وشأنهم وكان الله فى عونهم وعون أمتهم ، الى فريق آخر يعمل ولكنه لا يعمل طول وقت العمل ولا نصفه ، أو أنقص منه قليلا ، وينتج ولكنك لو حسبت ما ينتجه من العمل ، وما يصرف من الوقت لراعك مقدار الزمن التالف والوقت الضائع .

وايا كان السبب فى هذا : التضخم الوظيفى بلغة دواوين الموظفين ومجالس التخطيط وأدارات الاحصاء واسناد عمل الواحد الى الثلاثة أو الاربعة أو عدم كفاءة الموظف للعمل لأنه وضع فى المكان غير المناسب أو حالته النفسية واحساسه بالغبن الواقع عليه لعدم تقديره وانصافه ، أو الاستخفاف بالمسئولية وعدم المبالاة والامان من الحساب والمجازاة لأنه مسنود محسوب ... أيا كان السبب فيوجد فراغ كبير لا يملؤه عمل ولا يسده انتاج ، هناك طاقات ضخمة مهملة وقوى كبيرة ضائعة ، وثروة طائلة مبددة ومصالح كثيرة معطلة .

أرقب الموظفين فى مكاتبهم ومواقع عملهم تجد مظاهر هذا الفراغ كثيرة ومتنوعة ، تجد الكثير والكثير ليس لديه عمل يشغل وقته ولهذا يبحث عن الاساليب والوسائل المختلفة لتزجية هذا الفراغ تجده يضيع وقت العمل فى طعام خفيف يتناوله وقهوة أو

شاى يشربه وصحيفة أو مجلة يقلب صفحاتها وفى استقبال صديق يقضى معه الساعات الطوال فى حديث ، أو فى محادثة تليفونية لا تمت لمصلحة العمل بصلة ، فاذا استنفد هذه الوسائل والاساليب انتقل الى مكتب رئيسه يتملقه ويتزلف اليه ويشكو له كذبا من كثرة العمل أو عرج على زميل له يشغله عن عمله وليس هذا قاصرا على حملة الاقلام وأصحاب المكاتب ، بل لو راقبت قاطع الاشجار فى طريق من الطرق لوجدت أنه يقطع فى الساعات الطوال ما يستطيع أن يقطعه فى ساعة واحدة وبقية الوقت فراغ فى فراغ وضياع فى ضياع .

وبجانب هؤلاء طبقة عالية من موظفين كبار سابقين لهم كفايتهم ولهم خبرتهم ولكنهم لا يعملون ، ولا ينتجون ، ولا يشغلون أنفسهم بعمل ما فى انتظار تحول الاحوال وتغير الاوضاع وانتهاز الفرص لتحقيق الحلم اللذيذ والعودة الى المنصب المرموق .

ولو تجاوزنا وقت العمل الرسمى الى بقية اليوم وحسبنا كم يمضى من الوقت فى الجلوس على المقاهى والتردد على الاندية والسهر فى المسارح والسينما واللف والدوران على الملاهى والمراقص ، لو فكرنا فى هذا الوقت الضائع لوجدنا فراغا كبيرا لا يستفيد منه الفارغون فى عقلهم أو جسمهم ولا تستفيد منه الأمة عملا نافعا يزيد من انتاجها ويضاعف من قوتها ... مئات الآلاف من الساعات تضيع من عمر الأمة فى يوم واحد ، ليس فيها عمل لا للدنيا ولا للآخرة وليس فيها رياضة بدنية ، ولا رياضة عقلية .

ويجىء فصل الصيف بشمسه الموقدة ورياحه اللافحة ، وجوه الملتهب ، وعرقه المتصبب وللصيف فى المناطق الحارة آثاره الواضحة على الحيوان والنبات والجماد والشاعر العربى الذى عاش فى هذه البيئة لم يعد الحقيقة كثيرا حين صور تلك الآثار فى هذه الابيات :

فى زمان يشوى الوجوه بحر
ويذيب الجسوم لو كن صخرا
لا تطير النسور فيه اذا ما
وقفت شمسه وقارب ظهرا
ويود الغصن النضير به لو
أنه من لحائه يتعرى

ومع الصيف يحس العاملون بحاجتهم الماسة الى الراحة من العمل والتخفف من المسئوليات ، والترويح عن النفس فيصيفون فى الاماكن التى يلطف جوها ويطيب هواؤها ويهرعون اليها يقضون فيها فترة الحر ومدة الصيف .

ومع الصيف تغلق المدارس والمعاهد والجامعات أبوابها ، ويفرغ الاساتذة والطلاب من الدراسة وتحصيل العلم ويطوون الكتب ويدعون الكراسات والاقلام ويرتحلون مع أهليهم وذويهم الى شواطىء البحار وأماكن الاصطياف وتستغرق فترة الفراغ فى الصيف ثلاثة أشهر وتزيد أو تنقص قليلا فكيف تقضى هذه الفترة التى تقرب من ربع العام من حقهم أن يفرغوا من العمل ، ومن حقهم أن يروحوا عن أنفسهم ، ولكن ليس من حقهم ولا من صالحهم أن يقضوها فى فراغ مهمل أو لهو مفسد .

هناك ألوان كثيرة من اللهو ، وفنون من الرياضة أقرها الاسلام

ترويحا عن النفس وتجديدا لنشاطها وترويحا عن القلوب وجلاء لهمومها ، هناك السباحة والرماية والفروسية ومن مأثورات عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ((علموا أولادكم السباحه والرماية ومروهم فليثبوا على ظهور الخيل وثبا) وقال عليه الصلاة والسلام (عليكم بالرمى فانه ليس من اللهو) وقال ((كل شىء ليس من ذكر الله فهو لهو الا أربع خصال : مشى الرجل بين الغرضين (للرمى) وتأديبه فرسه وملاعبته أهله وتعليمه السباحة)) .... وهناك الصيد وهو رياضة ومتعة وكسب : صيد البر بالنبال والرماح والجوارح كالكلاب المعلمة والصقور ، وصيد البحر ، وما أجملها من جلسة على الشاطىء تؤخذ فيها النفس بزرقة المياه وتموجها وحركتها ، وهناك الرحلة بين السهول الفسيحة والوديان الجميلة والينابيع الساحرة والجبال ذات الالوان البديعة وهناك القراءة ، والكتاب هو المسامر الذى لا يمل والجليس الانيس والصديق المخلص ومصاحبة الكتب تملأ النفوس بهجة والعقول معرفة والقلوب نورا .

هم جلساء ما تمل حديثهم
مأمونون غيبا ومشهدا
اذا ما خلونا كان خير حديثهم
معينا على نفى الهموم مؤيدا
يفيدننا من علمهم علم ما مضى
وعقلا وتأديبا ورأيا مسددا

وهناك معسكرات العمل ونشاطات الجوالة ، وقبل كل شىء هناك معسكرات التدريب التى يجب أن تقام فى كل مكان فى البلاد العربية لتدريب كل قادر على حمل السلاح .

هذه وأمثالها فنون الرياضة والراحة واللهو التى يشغل فيها وقت الفراغ ... أما موائد القمار ومجالس الشراب والليالى الحمراء فانها تقتل الوقت وتقتل النفس ...

الفراغ عندنا فى الشرق كبير وطويل ، ومشاكله متعددة : مشاكل اقتصادية ، ومشاكل ثقافية ، ومشاكل أخلاقية .

الاراضى الخصبة المترامية مهملة ومعطلة ، وفى حاجة الى مشروعات وأيد تعمرها وتستنبتها .

الثروات الطبيعية المخبوءة فى باطن الارض ضخمة وفى حاجة الى عقول وجهود لاستخراجها .

الأمية والجهالة نسبتها مرتفعة وفى حاجة الى كتائب لمحوها وازالتها .

التخلف العلمى والصناعى والثقافى فى حاجة الى من يتصدى لانقاذنا منه .

نحن فى أشد الحاجة الى عقل واع وضمير يقظ مفعم بالايمان .. الايمان الذى علمنا من جهالة وغنانا من عيلة .. الايمان الذى أيقظنا من همود ، وحركنا من خمود ، وجعلنا رواد العلم وملوك العالمين ..

نحن فى حاجة الى كل عقل وكل يد . فى حاجة الى كل ثانية وكل دقيقة ، ولن يتحقق ذلك الا اذا عملنا وشغلنا فراغنا وكان شعار كل فرد منا ماذا عملت فى وقت عملك ، وماذا ربحت فى وقت فراغك ..

مدير ادارة الدعوة والارشاد
رضوان البيلى



من أخطائنا

دكتور على عبد المنعم عبد الحميد

عن شداد بن أوس رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال :

((سيد الاستغفار أن تقول : اللهم أنت ربى ، لا اله الا أنت ، خلقتنى وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء بنعمتك علىّ ، وأبوء بذنبى ، اغفر لى ، فانه لا يغفر الذنوب الا أنت))(١) .

(رواه البخارى)

أ ــ ثلاث مقالات ظهرت فى كبريات مجلات الكويت ، بل انها تعتبر طليعة مجلات العالم الاسلامى والعربى ، دعت تلك الاحاديث المثالية فى عصرنا ، المعبرة باخلاص عن أخطائنا ، الداعية بصدق الى تلافى نقصنا ، ومحاولة بذل الجهد للقول الجاد ، والدعوة المثمرة ، فى حقل لا يضار فيه أحد ، ولا يهدف الى ما يروم الناس من عرض زائل ، وانما هى فى اعتقادى دعوة للعقل المستنير المستطيع أن يعمل ، مقتديا بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولا يتأثر بما يصادفه فى الحياة العملية من عقبات ، أو ما يضاده من أفكار ، أو ما يلاحقه من تعويق ..

المسلمين من تأويل بعض الاحاديث النبوية الشريفة بما لا يتفق وروح النص . ولا يليق بمجتمع يقيم عمده على أسس الشريعة الواقعية العملية الداعية الى الحق ، واعمار الارض ، والاعداد للحفاظ على كيان الدعوة والارض التى تعيش عليها ، وتكوين أجيال تتفاعل مع أزماتها ساعية الى قيادة عالمية فاضلة فى كل ميدان ، فى الخلق ، فى الصناعة ، فى الاقتصاد ، فى الحكم ، فى السياسة . فى كل مناحى الوجود ، دون استعمال (الا) أو احدى أخواتها .. وقد ضرب الكاتب العلامة لذلك الامثال بما اتسع له المقام .

والثانية : كانت مسطورة فى نفس العدد ، وهى مداعبة بين عالمين متكافئين علما وعملا فيما أرى ، ويعلم الناس ، وفضل الله عليهما (حين أتاح لهما العلم الواسع ، والعقل الناضج ، ويسر لهما السبيل لخدمة الشريعة فى مؤلفات سارت بها الركبان) لا ينكر ، وأسميها مداعبة ، ذلك لأن مداعبات العلماء بعضهم لبعض طالما دافعت عن حق ورد الى صواب ، وكبحت من جماح ، والذى لا ينكر من بوادر عصرنا ، هو أن فتاوى كثيرة صدرت من شخصيات علمية لها وزنها لدى العامة والخاصة ، ما زالت تيسر وتيسر حتى وصلت الى درجة لو تابعناها فى السلوك لانتهينا الى تمييع كامل للشريعة ، واضاعة تامة لحدود الله ، وألقينا بالناس فى بيداء مجهل لا يعلم ما وراءها الا بارىء السموات والارض ، والحلال بين والحرام بين ، فمن أراد الدين الخالص فليسلك طريقه . ومن رام غير ذلك ونكص فانما ينكص على نفسه ، ولهذا فأنا (ولا أقصد الا وجه الله وحده) مع العلامة الشيخ أبو زهرة فيما سجل تحت عنوان : (الطلاق) وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر !!

والثالثة : حملتها زعيمة مجلات العرب فى العصر ، وجرّها يراع مقول مرموق ، وخطيب مفوه ، نرجو له السلامة والعافية ، جاء فيها : « .. ما أحوج أمتنا اليوم الى متدينين مستنيرين ينظرون الى المرأة ، لا على أنها آفة من آفات المجتمع ، بل على أنها نعمة من نعم الله فيه .. » .. وهذا قول جيد وطيب الأثر ، وحديث تتفتح له آذان المسلمين العقلاء ليتدبروه على ضوء أصول الشريعة ، وسلوك رسولها الامين ، ولكن هل لى أن أسر الى السيد المفضال وهو شيخ العارفين ، أو أعلن على ملأ من الناس ، أن الأسلوب الذى عيب على الشرق فى أقسى درجات نظرته الى المرأة قد كان فى الغرب ما يزيد عليه فظاظة وفظاعة ، وهل درى المتحاملون على الشرقيين أن الزمن الذى حفظ فيه الاسلام حقوق المرأة كاملة ، وصانها عن الابتذال ، ووضعها فى مكانها اللائق بها فى المجتمع ، كانت أختها فى الغرب تعيش فى أتعس حالة تسف اليها قسوة الجهالة ، حيث كان يصنع لها غطاء من حديد يوضع على موطن العفة منها وله مفتاح يحمله الزوج الكريم أو الأب الرحيم المسافر جنديا فى الحروب وقد لا يعود ، صورة لم أستطع أن أصدقها الا عندما رأيت رأى العين الغطاء ومفتاحه فى أحد متاحف باريس ، وقرأته خبرا مقتضبا فى قاموس (روبير) وأخذ الحياء السيد (لاروس) فلم يشر اليه فى قاموسه الشهير !! ماذا أريد أن أقول ؟!

سؤال يردده القارىء البصير ، والجواب : لقد ثارت المرأة فى الغرب لترفع القيد ، ثورة صامتة فى ظاهرها ، ولكنها تحمل وقود الاشتعال السريع فى باطنها ، وظهر لها أنصار يدعون الى حريتها ، ولكنهم حين أزاحوا الغطاء الحديدى ، طووا معه كل أرديتها وتركوها مجردة كيوم ولدتها أمها ، فلم تكن

حرية ولكن ابتذالا لها وتناسيا لكرامتها ، وقتلا لأنوثتها ، وبعدا بها عن موطن سعادتها .. وكانت بدايتهم معها أن سخروا الفنانين وخاصة الرسـامين والنحاتين ، فأعمل كل ريشته ومعوله فى ابراز مفاتن الطبيعة فى الحيوان أولا (كإرهاص لما سيكون) وليست للحيوان الأعجم عورة مستورة ، وقد يقال إنها مستورة بما لا يبعد عن لون الهيكل البادى للعيان ، واذا برزت فى صورة ما اشمأز العقلاء من منظرها مجردة من سترها ، ومع هذا قال الفنـانون : إنها الطبيعة وهذا شىء مع الاعتياد لا يخدش الحياء ، ولا يثلم المروءة ، ولو أطيل النظر اليه ، ثم انتقلوا الى الانسان وأى انسان ؟! اقلب أولى صفحات كتاب (ميكائيل لانج) المنشور فى مجلدين عظيمين بالالوان الطبيعية ، تجد صورا متفرقة يظهر فيها السيد المسيح (وهو فى عقيدة ـ ميكائيل ـ سليل الاله وحيده) فى صور عارية تماما وعورته بادية دون أى ستار ، فى ابتذال وقح مثير .. وبعد هذا .. فلا ضير أن يظهر الفنان المتدين (كما كانوا ينعتـونه) عورات غير المسيح من البشر العظماء فى نظره ، وعمرت تلك التماثيل الميادين ، ورآها الناشئة وأفهموا أن هذه هى فلسفة الحياة ، شىء طبيعى لا غبار عليه ، وما زالوا يقلدون فى واقعهم تلك التماثيل حتى تجردوا من ثيابهم ، ثم وقعوا فيما يعف عنـه بعض الحيـوان الأعجم ، وهكذا كانت الطـامة الخلقيـة ، والاجتماعية ، وصار من المعتاد أن تشاهد فتاة فى عمر الزهور لم تتجـاوز الخامسة عشرة ولها وليد يجرى وراءها من سفاح تحميه الحـكومة وترعاه الدولة ، وكأنها تناجيها : انسلى ولا ضير عليك ، وليس هذا من الأسرار التى تخشى اذاعتها ، وانمـا هى من الأمور التى يجب أن تعـلم عنـد القوم ليقتدى اللاحق بالسابق .. والى أين المسير .. الله أعلم بالمصير ..

٢ ـ هنا فى بلاد المسـلمين يجب أن نقول : ان لله حدودا يجب أن لا تتعدى ، وأن لا نتهادى بالتهوين من شأنها فى مجالسنا العامة أو الخاصة ، فالمرأة فى الاسلام لها شأن عظيم لا ينكر ، ووضع كريم لا يطاول ، ووظيفة أو وظائف جديرة بها ، ولم يكن الاسلام هو الذى رسم خطة قصور السـلاطين ولا حريم اسـتامبول ، وانما الذى فعل ذلك شىء آخر كالذى حمل أروبى العصور الوسطى على أن يغطى موضع العفة من زوجته أو بنته بقفل ورتاج من حديد ، والذى أخشى هو أن نتمادى مع الغرب فنقول : ان الاختلاط سهل وهين ، وان العرى جميل ، وان الجلوس فى المقاهى حرية ، وان الاسـفار لا غبار عليها ، حتى يجىء اليوم الذى وصل اليه الغرب حيث لا تعرف الأسرة رباطا ، ولا يدرى المولود من والده ، ولا يصدق الرجل أن هذا المخلوق الجديد من نسله ، وهكذا يتفرق المجتمع أيدى سبا ، ويتلاشى الجميع فى تيار الحيـاة التقليدية دون وازع من ضمير ، أو حماية من عقل ، أو رادع من حكم ..

وبعـد :

فمن يستطيع أن يقول ان المرأة آفة من آفات المجتمع ، هل صدر هذا القول فعلا ؟! هل له فى الحقيقة واقع ..؟!

ما أظن أن مجنونا بله العاقلين يستطيع أن يقول هذا ، وانما الذى تجرى عليه سنة الحياة ولن تجد لسنة الله تبديلا ، هو أن المرأة زمام الاسرة ، وعافية العقل ، وراعية الخلق ، وداعية العمل الجاد ، هى ركن ركين فى الحياة ان ضاعت ضاع الوجود كله ، وهى دعامة لو فقدت لاختفت كل الفضائل ، انها الأم والاخت والبنت ورفيقة الحياة ، فمن ذا يقول ان الاسلام ضيق عليهـا

الخناق ، انه لم يضارها أبدا لا فى واقعة الحق ، ولا فى تشريعاته الاصيلة ، وتعالوا الى الحرية التى يتمتع بها صنوها الرجل أية حرية يملك ذلك المسكين ؟! انه عبد للأسرة ، وخادم للمجتمع ، وقِنُ قوته ، وطوع أمر رئيسه ، ان الرجل رقيق فى الحياة ، فما الحرية الحقيقية بمعنى الانطلاق الواسع الذى لا يحده حاجز ولا يعوقه قيد ، ان هى الا خيال الشعراء وحلم الفلاسفة ، وان شئت فقل : ربما تتحقق لدى المتدينين كأمل يوم القيامة ، أما فى وجودنا هنا على ظهر الارض فلا حرية مطلقة أبدا ، وانما لكل نافذة تطل على الحرية باب يستر وراءه عدة قيود وسدود ..

وتعالوا : ننظر الى التدرج الغربى فى حرية المرأة والنتيجة التى وصل اليها : قفل ورتاج من حديد على المرأة ومفتاح بيد الرجل ، ثم حرية فى ابراز العورات على الحجارة الصماء ، والالواح البكماء ، ثم تقصير للثياب ، ثم ترك الجسد عاريا ، وهنا حامت الكلاب حول الرمم ، وتداعى الفراش الى النار ، وأحب السائم المرعى ، وعيث الماجن بالجسد دون رقيب ، وحصل على طلبته فى يسر ، وجاء نتاج لا يعرف أبا ، ولا ترعاه أسرة ، فلنأخذ أمورنا نحن برفق ولا نغالى ولا نبالغ فى التعبيرات ، فان الحرب أولها كلام ..

والخلاصة : أن أعمالنا جميعا (وأبدأ بالمتصدين لتفسير الإسلام وشرح قواعده) تحتاج الى مزيد من الاستغفار ، فالاستغفار فى عقيدتى لا يصدر الا من عارف بربه ، ومن عرف ربه هداه سواء السبيل ، ولنبدأ الطريق بازالة الغبار عن الاحاديث الشريفة ، وتجليتها فى صورتها الصادقة الاصيلة كما أرادها قائلها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

وفى النهاية أقول : ان المرأة ليست مشكلة ، وحاشا لله أن تكون آفة مجتمع ، وانما المرأة الآن عالمة ومتعلمة ، ومنهن من لا ترضى عن الأوضاع التى يراد لها أن تسود أبدا بل ترى فيها كل الضياع للمرأة ولكرامتها ..

ونعود الى الحديث الشريف فى صحبة عالم جليل من شراحه الأكرمين الذين سبقونا باحسان طيب الله ثراه فنعيد مقالته رضى الله عنه « قد جمع هذا الحديث الشريف من بديع المعانى ، وحسن الالفاظ ما يحق أن يسمى سيد الاستغفار ، ففيه الاقرار لله وحده بالألوهية والعبودية ، والاعتراف بأنه الخالق ، والاقرار بالعهد الذى أخذه على عباده ، والرجاء لما وعدهم به ، والاستعاذة من شر ما جنى العبد على نفسه ، وفيه اضافة النعماء الى خالقها ، واضافة الذنب الى العبد ، ورغبة فى المغفرة ، واعتراف بأنه لا يقدر على ذلك الا رب العالمين سبحانه » .. فاللهم انى أستغفرك وأتوب اليك ، غفرانك ربنا واليك المصير .

---

(١) شرح مفردات الحديث الشريف :

أ) سيد الاستغفار : أفضله ، وصيغ الاستغفار كثيرة ، ومنها ما فضله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على غيره ، لمزية خاصة ، أو حالة مفردة ، أو لمعنى يراد .

ب) وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت : المراد : الايمان بك ، واخلاص الطاعة لك ، فلا أشرك بك غيرك ، ولا ألوذ بحمى سواك ، وفى قوله : ما استطعت : اعتراف من العبد بالتقصير والعجز عن القيام بحق الشكر كما ينبغى ، فهذا شئ لا يمكن الوصول اليه مهما حاول العبد وعمل من طاعات فنعم الله لا تحصى ، ان عدّت .

جـ) أبوء بنعمتك على وأبوء بذنبى : أى أعترف وأقر ، ففضلك فى الحالين غير مجحود ، ففى الأولى : تفضل ومنة ، وفى الثانية : غفران ورحمة .





القرآن والعلم

آراء الغلاة والمتطرفين

للشيخ محمد حسين الذهبى

آراء الغـلات والمتطرفين :

تتبع العلامة المرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى آيات القرآن الكريم فلاحظ : أن الآيات التى تتعلق بالعلوم الكونية سبعمائة وخمسون آية صريحة ، وأن الآيات التى تتعلق بالفقه الاسلامى لا تزيد عن مائة وخمسين آية صريحة .. وانطلق من خلال هذه النتيجة يبدى الأسف والعجب لكثرة ما ألفه علماء المسلمين فى الفقه ، وقلة ما ألفوه فى علوم الكائنات ، وكان الأولى بهم أن يبرعوا أكثر وأكثر فى علوم الكائنات التى أعطاها الله حظا أوفر من كتابه (١) ولسنا ننكر على الشيخ طنطاوى ــ اذا تغاضينا عن منحاه فى التفسير العلمى للقرآن ــ ما أبداه من أسف وعجب ، فمبلغ علمنا وتعليلنا لزيادة الآيات المتعلقة بالعلوم الكونية على الآيات المتعلقة بالعلوم الفقهية ، تجعله على حق فيما ذهب اليه ، ذلك لأن العلوم الكونية لها تعلق قوى بالعقيدة الاسلامية، فالنظر فيها طريق الى معرفة الله ، وكلما ازداد الانسان علما بأسرار الكون كلما ازداد علما بخالقه ومكونه ، هذا علاوة على ما يترتب على

من تقدم ، ورقى ، وازدهار مادى ، لا يقل فى نظر الدين عن الجانب الدينى أو الروحى ، أما العلوم الفقهية أو علوم التشريع . فهى — على أهميتها — تأتى فى المرتبة الثانية بعد العقيدة ، فالعقيدة أساس تقوم عليه الشريعة ، ولا يمكن أن يكون لها كيان بدونه .

والحقيقة التى لا يمارى فيها أحد : أن القرآن الكريم حوى من علوم الدين والدنيا ما فيه خير البشرية وسعادتها فى الدنيا والآخرة .

ولكن هذه الحقيقة تنازعها فريقان من المسلمين على مدى تاريخ القرآن الطويل : فريق غالى وبالغ فقال : ان القرآن حوى كل علوم الدنيا والدين ، ما كان منها وما يكون الىيوم القيامة .

وفريق اعتدل والتزم أمرا وسطا فقال : ان القرآن حوى الكثير من علوم الدنيا والدين ، بعضها صريح ، وبعضها بتلميح ، ونبه الى أن الكون ملىء بعلوم كثيرة حث على استنباطها من خلال كتاب الكون المفتوح أمام أبصارنا وبصائرنا ، لتفتح لنا الطريق الى الله ، ثم الى حياة زاهرة ، آمنة ، مستقرة .

ولقد كان من أبرز العلماء القدامى الذين تبنوا القول الاول وجهروا به وروجوا له فى الأوساط العلمية حجة الاسلام الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ هـ ، فقد نقل فى كتابه « احياء علوم الدين » (٢) عن بعض العلماء: « أن القرآن يحوى سبعة وسبعين ألف علم ومائتى علم ، اذ كل كلمة علم ، ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف ، اذ لكل كلمة ظهر ، وبطن ، وحد ، ومطلع » .

ثم يروى عن ابن مسعود — رضى الله عنه أنه قال : « من أراد علم الأولين والآخرين فليتدبر القرآن » . ثم يقول بعد ذلك كله : « وبالجملة فالعلوم كلها داخلة فى أفعال الله عز وجل وصفاته ، وفى القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته ، وهذه العلوم لا نهاية لها ، وفى القرآن اشارة الى مجامعها » .. ثم يزيد على ذلك فيقول : « بل كل ما أشكل فهمه على النظار ، واختلف فيه الخلائق فى النظريات والمعقولات ، فى القرآن اليه رموز ودلالات عليه ، يختص أهل الفهم بدركها » .

ثم يمضى الغزالى — فى كتابه « جواهر القرآن » الذى ألفه فيما يبدو بعد كتابه الاحياء — فيقرر هذا الرأى الذى قرره فى الاحياء ، ويزيده بيانا وتفصيلا ، وذلك حيث يعقد الفصل الخامس منه لكيفية انشعاب سائر العلوم من القرآن ، فيذكر علم الطب ، والنجوم ، وهيئة العالم ، وهيئة بدن الحيوان ، وتشريح أعضائه ، وعلم السحر وعلم الطلسمات .. وغير ذلك ثم يقول : « ووراء ما عددته علوم أخرى يعلم

تراجمها . ولا يخلو العالم عمن يعرفها . ولا حاجة الى ذكرها . بل أقول : ظهر لنا بالبصيرة الواضحة التى لا يتمارى فيها : أن فى الامكان والقوة أصنافا من العلوم بعد لم تخرج من الوجود ، وان كان فى قوة الآدمى الوصول اليها ، وعلوم كانت قد خرجت من الوجود واندسرت الآن .. وعلوم أخر ليس فى قوة البشر ادراكها والاحاطة بها ، ثم هذه العلوم ما عددناها وما لم نعددها — ليست أوائلها خارجة من القرآن ، فان جميعها مغترفة من بحر واحد من بحار معرفة الله وهو بحر الأفعال ، وقد ذكرنا : أنه بحر لا ساحل له ، وأن البحر لو كان مدادا لكلماته لنفد البحر قبل أن تنفد :

فمن أفعال الله تعالى وهو بحر الأفعال — مثلا — الشفاء والمرض كما قال تعالى حكاية عن ابراهيم : « واذا مرضت فهو يشفين » . وهذا الفعل الواحد لا يعرفه الا من عرف الطب بكماله ، اذ لا معنى للطب الا معرفة المرض بكماله وعلاماته ، ومعرفة الشفاء وأسبابه .

ومن أفعاله تقدير معرفة الشمس والقمر ومنازلهما بحسبان ، وقد قال تعالى : « الشمس والقمر بحسبان » وقال : « وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب » وقال : وخسف القمر وجمع الشمس والقمر » وقال : يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل » وقال : والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » ولا يعرف حقيقة سير الشمس بحسبان ، وخسوفهما ، وولوج الليل فى النهار ، وكيفية تكور أحدهما على الآخر الا من عرف هيئات تركيب السموات والارض ، وهو علم برأسه .

ولا يعرف كمال معنى قوله : « يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم . الذى خلقك فسواك فعدلك . فى أى صورة ما شاء ركبك » الا من عرف تشريح الاعضاء من الانسان ظاهرا وباطنا ، وعددها ، وأنواعها ، وحكمتها ، ومنافعها ، وقد أشار فى القرآن — فى مواضع — اليها ، وهى من علوم الأولين والآخرين ، وفى القرآن مجامع علم الأولين والآخرين .

وكذلك لا يعرف معنى قوله : « سويته ونفخت فيه من روحى » ما لم يعلم التسوية ، والنفخ ، والروح ، ووراءها علوم غامضة يغفل عن طلبها أكثر الخلق ، وربما لا يفهمونها ان سمعوها من العالم بها ، ولو ذهبت أفصل ما تدل عليه آيات القرآن من تفاصيل الافعال لطال ، ولا تمكن الاشارة الا الى مجامعها .. فتفكر فى القرآن والتمس غرائبه لتصادف فيه مجامع علم الاولين والآخرين » (٣) .

ثم يأتى جلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ ، ويقرر فى كتابه « الاتقان فى علوم القرآن » وفى كتابه « الاكليل فى استنباط التنزيل » ما قرره الغزالى : من أن القرآن قد حوى كل علوم الأولين

والآخرين ، ويسوق من الأدلة على ذلك قوله تعالى : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » وقوله : « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء » ، وقوله صلى الله عليه وسلم فى شأن القرآن — كما فى سنن الترمذى — « فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم » ، وقول ابن مسعود رضى الله عنه — كما أخرجه ابن أبى حاتم — « أنزل فى القرآن كل علم ، وبين لنا فيه كل شىء ، لكن علمنا يقصر عما بين لنا فى القرآن » (٤) .

ثم يذكر السيوطى عن أبى الفضل المرسى : أنه قال فى تفسيره « جمع القرآن علوم الأولين والآخرين ، بحيث لم يحط بها علما حقيقة الا المتكلم به ، ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم — خلا ما استأثر به سبحانه وتعالى — ثم ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابة وأعلامهم ، مثل : الخلفاء الأربعة ، وابن مسعود ، وابن عباس ، حتى قال : « لو ضاع لى عقال بعير لوجدته فى كتاب الله تعالى » ثم ورث عنهم التابعون باحسان ، ثم تقاصرت الهمم ، وفترت العزائم ، وتضاءل أهل العلم ، وضعفوا عن حمل ما حمله الصحابة والتابعون من علومه وسائر فنونه » .

ثم تكلم عن العلوم التى تفرعت عن القرآن ، فذكر : علم القراءات ، وعلم النحو ، وعلم التفسير ، وعلم الاصول ، وعلم الفقه ، وعلم القصص والتاريخ ، وعلم تأويل الرأى ، وعلم الفرائض ، وعلم البلاغة .. ثم قال « هذه الفنون أخذتها الملة الاسلامية منه (يعنى القرآن) وقد احتوى على علوم أخر من علوم الاوائل ، مثل الطب ، والجدل ، والهيئة ، والهندسة ، والجبر والمقابلة ، والنجامة ، وغير ذلك من العلوم » .

« أما الطب : فمداره على حفظ نظام الصحة واستحكام القوة ، وذلك انما يكون باعتدال المزاج بتفاعل الكيفيات المتضادة ، وقد جمع ذلك فى آية واحدة ، وهى قوله تعالى : « وكان بين ذلك قواما » .
« وعرفنا فيه بما يفيد نظام الصحة بعد اختلاله ، وحدوث الشفاء بعد اعتلاله فى قوله تعالى : « شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس » ، ثم زاد على طب الاجسام بطب القلوب : « وشفاء لما فى الصدور » .

« وأما الهيئة : ففى تضاعيف سوره من الآيات التى ذكر فيها ملكوت السموات والارض وما بث فى العالم العلوى والسفلى من المخلوقات » .

« وأما الهندسة . ففى قوله تعالى : « انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب . لا ظليل ولا يغنى من اللهب » فان فيه قاعدة هندسية وهى : أن الشكل المثلث لا ظل له » .

« واما الجدل : فقد حوت آياته من البراهين ، والمقدمات ، والنتائج ، والقول بالموجب ، والمعارضة ، وغير ذلك شيئا كثيرا ، ومناظرة ابراهيم نمرود ، ومحاجته قومه أصل فى ذلك عظيم » .

« وأما الجبر والمقابلة : فقد قيل : ان أوائل الســـور فيها ذكر مــدد ، وأعوام ، وأيام التواريخ لأمم سالفة ، وان فيها بقاء هذه الامة، وتاريخ مدة أيام الدنيا ، وما مضى ، وما بقى ، مضروب بعضــها فى بعض » .

« واما النجامه : ففى قوله تعــالى : « أو اثارة من عــلم » فقد فسره بذلك ابن عباس » .

« وفيه أصول الصنائع ، واسماء الآلات التى تدعو الضرورة اليها، كالخياطة ، فى قوله : « وطفقا يخصفان » والحــدادة : « آتونى زبر الحديد » . والبنــاء : فى آيــات ، والنجارة : « واصنع الفلــك بأعيننا » والغــزل : « نقضت غزلهــا » ـ والنسيج : « كمثل العنكبوت اتخــذت بيتا » والفلاحــة : « أفرأيتم ما تحرثون » الآيات . والصيد . فى آيات . والغوص . « والشياطين كل بنــــاء وغواص » « وتستخرجون منه حليــة » .

والصياغة : « واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجــلا جسدا » والزجاجة : « صرح ممرد من قوارير » « المصباح فى زجاجــــة » . والفخارة . « فأوقد لى يا هامان على الطين » والملاحة : « أما السفينة » الآية والكتابة « علم بالقلم » . وفى آيات أخر والخبز : « أحمل فوق رأسى خبزا » والطبخ : « بعجل حنيذ » . والقصارة : « وثيابك فطهر » . « قال الحواريون » وهم القصارون . والجزارة « الا ما ذكيتم » . والبيع والشراء: فى آيات . والصبغ « صبغة الله » . « جدد بيض وحمر » . والحجارة : « وتنتحون من الجبال بيوتا » . والكيالة والوزن : فى آيــات كثيرة . والرمى : « وما رميت اذ رميت » ، « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » .

« وفيه من أسماء الآلات ، وضروب المأكولات ، والمشروبات ، والمنكوحات ، وجميع ما وقع ويقع فى الكائنات ما يحقق معنى قوله : « ما فرطنــا فى الكتــاب من شىء » . قال السيوطى ـ انتهى كــلام المرسى ملخصــا مع زيادات » (٥) .. وأخيرا عقب السيوطى عــلى هذا بقوله : « وأنا أقول : قد اشتمل كتاب الله العزيز على كل شىء : أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هى أصل الا وفى القــرآن ما يدل عليها ، وفيه عجائب المخلوقات ، وملكوت السموات والارض ، وما فى الأفق الأعلى ، وما تحت الثرى وو .. الى غير ذلك مما يحتــاج الى مجلدات » (٦) .

ثم يأتى من المحدثين من يقول بما قال به الغزالى والسيوطى ، وأبو الفضل المرسى ، مع مزيد من المبالغة والتكلف وعلى رأس هؤلاء المحدثين المرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى ، فقد حمل كتاب الله كل عـــــلوم الدنيا والدين فى كتابه « الجواهر فى تفسير القرآن الكريم » .

ولو أننا تتبعنا سلسلة البحوث التفسيرية للقرآن الكريم فى هذا العصر الحديث وفى وقتنــا الحاضر بالذات لوجدنا لأصحاب هـــذا المنزع العلمى فى فهم القرآن الكريم وتفسيره بحوثا كلها تعســـف

وتكلف ، ولوجدنا لهم فى ذلك مؤلفات كثيرة تحمل بعض النصوص القرآنية مالا تحتمل من نظريات علمية مستحدثة !! ..

ونستعرض بعض هذه الكتب فنرى فيها عجبا :

فى كتاب « الجواهر فى تفسير القرآن الكريم » للمرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى ، عند تفسيره لقوله تعالى فى سورة البقرة : « واذ قال موسى لقومه : ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة » الآيات ٦٧ وما بعدها الى آخر القصة نراه يقول ما نصه :

« وأما علم تحضير الارواح ، فان من هذه الآيات استخراجه . ان هذه الآيات تتلى ، والمسلمون يؤمنون بها حتى ظهر علم الارواح بأمريكا أولا ، ثم بأوربا ثانيا » ثم يذكر نبذة طويلة عن مبدأ ظهور هذا العلم ، وكيفية انتشاره ، ومدى فائدته ، ثم يقول :

« ولما كانت السورة التى نحن بصددها قد جاء فيها حياة العزيز بعد موته ، وكذلك حماره ومسألة الطير ، وابراهيم الخليل، ومسألة الذين خرجوا من ديارهم فرارا من الطاعون فماتوا ثم أحياهم . وعلم الله أننا نعجز عن ذلك ، جعل قبل ذكر تلك الثلاثة فى السورة ما يرمز الى استحضار الارواح فى مسألة البقرة ، كأنه يقول : اذا قرأتم ما جاء عن بنى اسرائيل فى احياء الموتى فى هذه السورة عند آواخرها فلا تيأسوا من ذلك فانى قد بدأت بذكر استحضار الارواح فاستحضروها بطرقها المعروفة ، واسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » (٧) .

وفى كتاب « طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد » للمرحوم السيد عبد الرحمن الكواكبى ، نراه يقول فى ص ٢٣ — ٢٥ ما نصه :

« ان العلم كشف فى هذه القرون الاخيرة حقائق وطبائع كثيرة تعزى لكاشفيها ومخترعيها من علماء أوربا وأمريكا ، والمدقق فى القرآن يجد أكثرها ورد التصريح أو التلميح به فى القرآن من ثلاثة عشر قرنا ، وما بقيت مستورة تحت غشاء من الخفاء الا لتكون عند ظهورها معجزة للقرآن ، شاهدة بأنه كلام رب لا يعلم الغيب سواه — » .

ثم يذكر بعض المكتشفات العلمية التى يقول ان القرآن سبق اليها فيقول :

« وكشفوا أن التغيير فى التركيب الكيمائى ، بل والمعنوى ناشىء عن تخالف نسبة المقادير ، والقرآن يقول : « وكل شىء عنده بمقدار » .

« وكشفوا طريقة امساك الظل ، أى التصوير الشمسى ، والقرآن يقول : « ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا » .

وفى كتاب « الاسلام والطب الحديث » للمرحوم الدكتور عبد العزيز اسماعيل ، نراه يعرض لقوله تعالى فى الآية (٢) من سورة

البقرة « وأنزل من السماء مـاء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم » تحت عنوان « الحياة تحت ضوء القرآن » فيقـول فى ص ١٣ — ١٥ ما نصـه :

« هذه الآية الكريمة معناها — والله أعلم — أن اللحوم والاسماك والالبان .. الخ . أفضل فى التغذية من البقول والقمح والذرة » .

ثم يعقد مقارنة بين الاغذية الحيوانية والاغذية النباتيـة ، ويخرج بنتيجة تقرر هذه الافضلية ثم يقول : « ان هذه النتيجة التى لخصها القرآن الشريف ، ولم تظهر حقيقة ثابتة الا منـذ سـنوات قليـلة » .

وها نحن — أخيرا — نقرأ لبعض الكاتبين ، ونسـمع من بعض المحاضرين نماذج من هذا التفسير العلمى للقرآن الكريم ، وفى كثـير منها تكلف ظاهر !! .

يقول بعضهم : ان الصعود الى القمر والنزول على سطحه — وهو أحدث ما وصل اليه العلم فى عصرنا قد ورد فى آيات من القرآن الكريم ، منهـا :

قوله تعالى : « يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطـار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان » — يعنى سلطان العلم .

وقوله : « ومن آياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قـدير » . وها هو ذا سـائل يسأل المرحوم الاستاذ العقـاد فيقول :

قوله تعالى : « فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا : هذا عارض ممطرنا ، بل هو ما استعجلتم بـه ريح فيها عذاب أليم . تدمـر كل شىء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم كذلك نجزى القـوم المجـرمين » . أليس من الممـكن أن تعتبر هـذه الآيـة « يريد الآيتين » اشارة مبكرة من القرآن الكريم الى القذيفة الذرية **ودليلا قاطعا** على سبق القرآن العلمى الذى أمكن اثباته فى مواضع كثيرة ؟ ..

.. هذه بعض الأقوال والآراء لجماعة من الغلاة المتطرفين !! ..

---

(١) انظر الجواهر فى تفسير القرآن الكريم للشيخ طنطاوى جوهرى ص ٢٥ ص ٥٣ — ط : الحلبى سنة ١٣٤٠ — ١٣٥١ هـ .

(٢) جـ ٣ ص ١٣٥ — ط لجنة نشر الثقافة الاسلامية .

(٣) جواهر القرآن ص ٣٢ — ٣٤ ط : كروستان العلمية سنة ١٣٢٩ .

(٤) الاكليل ص ٢ ، والاتقان جـ ٢ ص ١٢٦ .

(٥) الاكليل ص ٢ — ٥ ، والاتقان جـ ٢ ص ١٢٦ — ١٢٨ .

(٦) الاتقان جـ ٢ ص ١٢٩ — ١٣٠ .

(٧) الجواهر فى تفسير القرآن الكريم ص ٧١ — ٧٢ .

ما وجدت لتبقى

للاستاذ : نديم الجسر

الذين يهمني اقتناعهم ، من قراء هذه المجلة الواسعة الانتشار ، هم الشبان المسلمون المثقفون ، الذين فتحوا عيونهم على النكبة وليس في أيديهم من الأمر شيء ، وسوف يكون في أيديهم ، وحدهم ، عما قريب ، كل شيء . . .

والكلام مع هؤلاء من اصعب الصعاب ، واهون الهينات :

اما السهولة فهي من جهة ان المتحدث اليهم يجد نفسه مستغنيا عن الاسهاب بالايجاز ، وعن التصريح بالتلميح ، واما الصعوبة فهي من جهة انهم لا يؤخذون بالسفسطات والاغاليط والمبالغات ، فلا بد للكلام ، معهم ، ان يعتمد على المنطق الصارم . وبهذا المنطق الصارم ساحدثهم عن بعض جوانب النكبة ، وعن اسرائيل ، بلا غرور ، ولا غلو ولا أوهام ، ولا أحلام .

اعرفوا اقداركم :

من جوامع الكلم المروية عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، قوله (ما هلك امرؤ عرف قدره) ومما اشتهر على ألسنة الحكماء ، من عهد الاغريق ، قولهم (اعرف نفسك) .

ولكن أكثر الناس يحملون هاتين الكلمتين الجامعتين على وجه واحد من النصيحة : وهوأن يعرف الانسان جوانب ضعفه ، ونواحي عجزه . وقل ان يتبادر منهما الى الاذهان ذلك المعنى الاعم الاوسع الذي نحن اليوم ، أحوج اليه .

ان غفلة الانسان عن معرفة نفسه ، في حقيقة ضعفها وعجزها ليست أكثر ضررا من غفلته عن عرفان نفسه ، في حقيقة قوتها وقدرتها . . . ويزداد هذا الضرر ، ضراوة واستشراء ، اذا كانت هذه الغفلة في أمر يتعلق بالجماعة او الأمة للخور والتهلك واليأس عند صعقة البلية وبغتة النازلة ، عدوى سارية طاغية تنتقل من الضعفاء الى الاقوياء بل من السخفاء الى الحكماء . . . ولولا ذلك لما تهلكنا ، كلنا ، امام المعركة المباغتة ، حيارى ، معولين ، يائسين ، قانطين . . .

الكبوة ليست نكبة الأبد :

ان نكبة (أحد) ، التى جرح بها النبى القائد الاعلى ، فى قلب معقله هى كبوة ، وليست نكبة الابد ...

وفتح الافرنج لبلاد الشام ، واستيلاؤهم عليها ، مدة قرنين لم يكونا نكبة الابد ...

وفتح بغداد وتخريبها من قبل (هولاكو) لم يكن نكبة الأبد على شعب استطاع أن يصنع معركة (حطين) ، ثم استطاع أن يبيد ، جيوش المغول المتحالفة مع الافرنجة فى (عين جالوت) ...

وهزيمة دمياط التى كانت تحمل كل عناصر النكبة : بخيانة القائد ، وموت الملك (الصالح) ، ووضع الخلافة الاسلامية ، لأول مرة فى التاريخ فى حضن الجارية (الصالحية) لم تكن نكبة الأبد ، على شعب استطاع أن يأسر ملك فرنسا العظيم ويضعه فى دار القاضى لقمان (غير الحكيم ..

واسر لويس التاسع هذا فى (المنصورة) لم يكن نكبة الأبد ، كما أن اسر (فرنسوا الأول) فى معركة (بافيه) ، لم يكن نكبة الابد على الشعب الافرنسى ، الذى استطاع بعد ذلك بامد غير طويل أن يخلق (لويس الرابع عشر) الذى تحكم ، فترة من الزمن بمقدرات اوروبا ...

واحتلال نابليون الأول لالمانيا كلها ، لم يكن نكبة الأبد ، على شعب استطاع ، بعد ذلك بامد قصير ،أن يخلق (بسمارك) ويصنع معركة (سدان) ، ويأسر نابليون الثالث .

واحتلال الالمان لباريس ،لم يكن نكبة الأبد ، على شعب استطاع أن يخلق (ديغول) ، الذى بدأ طريدا شريدا ، وانتهى ، بأن يتحكم بمقدرات اوروبا ...

واحتلال الاستعمار فى القرن الماضى ، للهند ، واندونيسيا ، ومصر والسودان ، والجزائر ، وتونس ، والمغرب الاقصى ، وليبيا ، وسوريا ولبنان وفلسطين ، والعراق ، اى للعالم العربى والاسلامى كله تقريبا لم يكن نكبة الأبد ، بدليل أن هذه الاقطار كلها تتمتع اليوم بالاستقلال وتقعد مع تلك الدول المستعمرة على مائدة واحدة فى الامم المتحدة ...

واحتلال الحلفاء فى سنة ١٩١٨ لاستانبول ، لم يكن نكبة الأبد على شعب استطاع ان يحطم قيوده ثم ينتهى الى أن يرى الحلفاء الذين اذلوه يركعون امامه مستجدين منه أن يدخل معهم فى حلف الاطلسى

عناصر البقاء

فى معركة (المصير الأبدى) للامم عناصر ثلاثة اساسية ضرورية يقوم عليها بقاء الأمة :

١ ــ الأرض الكافية الوافية للبقاء
٢ ــ العدد الكافى للبقاء .
٣ ــ الوحدة الفكرية الكافية لجمع القلوب .

وكل نقص ، فى غير هذه العناصر الثلاثة ، من علم ، وتصنيع ، وتسليح يمكن تلافيه مع الزمن .

فان قيل لك ، ايها الشاب المسلم ان امة على وجه الأرض بل فى تاريخ الأرض ، قد احتمعت لها هذه العناصر الاساسية الثلاثة ، اكثر مما اجتمع للأمة الاسلامية ، فلا تصدق ،

ومهما قيل لك عن ذهاب ريح المسلمين الى الأبد ، بسبب ضعفهم وتنازعهم ، فلا تصدق .

ولا يخدعن المستعمرين اننا ، بمكائدهم ، نختلف ونتنازع ، واحيانا نتقاتل ، فان هذه الخلافات مؤقتة وسطحية : فما من مسلم ، مهما وهن ايمانه ، الا ويخشع قلبه لقول الله

تعالى (انما المؤمنون اخوة) ولقول النبى صلى الله عليه وسلم (اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النــار) ومن اثر الحديث كانت الحروب التى جرت بين المسلمين قليلة ومحدودة اذا قيست بالحروب الدائمة الضارية الهائلــة التى لا تنقطع بين دول اوروبا . . .

وان امة تبلغ ثلث ســكان الارض وتملك فى سرة الدنيــا ، اكبر واغنى رقعة متواصلة غير متفاصلة تمتد من اقصى المغرب الى اقصى المشــرق ، وتمتلك ثلثى ساحل (البحر المتوسط) وتتسلط على معابره الثلاثة ، وتمتلك البحر الاحمر بكامله ،وتنام على بحر من البترول ويشد قلوب ابنائها كتاب واحد ، نحو ايمان واحد ، بآله واحد واخوة واحدة ، ليســت بالأمة التى تغلب وتقهر الى الأبد .

ما وجدت لتبقى

اما اسرائل فلن يكتب لها البقاء . لانه لم يكتب لها البقاء . . .

يقول الذين خلقوها انهــا (وجــدت لتبقى) . . . وانا اقول : انها وجدت لتزول . . . لا اقولهــا مغرورا ، ولا موتورا ، ولكنى اقولها عالما بنواميس الاجتماع التى يبنى عليها وجود الأمم وبقاؤها ، وزوالها بامر الله ، وحتمية التاريخ .

نعم نعم . أن دولة اســرائل هذه ، وفى فلسطين بالذات ، لن تبقى ، ولو اجتمع يهود العالم بملايينهم العشرة المتفرقين فى أطراف الارض وجاءوا كلهم الى فلســطين ، وحمل كل واحد منهم مدفعا فى سيارة وصاروخا فى طيارة . . .

وقبل أن اقول لماذا لن تبقى ، امهد بكلمة عن دولة اسرائيل فى التاريخ وعن دورها ونصيبها من البقاء ، فى صراع ناموس تنازع البقاء :

ما هى دولة شاوول وداود وسليمان عليهمــا الســلام اللذين نقرا عن امجادهما فى تاريخ الدين صفحات ذهبية تكاد توهمنا انها دولة عظيمة ؟ انهــا دويلة ، بل اصغر من دويلة ، لا تتعدى حدود رقعة صغيرة من قطر فلسطين الصغير القاحل ،الضيق ، المحصــور بين الامبراطــوريــات : الفرعونية والكــلدانية والآشــورية والفارسية والرومانية ، المتطاحنة فى حروب لا نهاية لها ، للســيطرة على العالم القديم . . . فهى كدولة (وبقطع النظر عن الرسالة الســماوية التى كانت ملقاة بامر الله على عاتقها) لا تكفى بارضها وسكانها وهيكلها الذهبى أن تكــون لقمــة فى اشــداق تلك الامبراطوريــات هذا من بديهيــات النــاموس الالهى الاجتمــاعى الذى يســمى ناموس تنازع البقاء وبقاء الانسب : ولكن دولة شاوول وداود وسليمان قد وجدت بتدبير الله لغاية عظيمة ، استنفذت اغراضها :

انها وجدت لحمل رسالة فى سبيل غاية سامية يريدها الله وهى حماية الشعب الوحيد الباقى (بعد ابراهيم ونســله) على عبادة الله الحق من مظالم الوثنيات الفرعونية والكلدانية والآشورية والفينيقية .

وقــامت هذه الدولــة الصغيرة وازدهرت فى عهد داود وســليمان على اساس مبادىء الحق والخير . ثم فسد الشعب ، فخرج عن مبادىء الحق والخير ، بظلمه وترفه وقتله الانبياء فخسرت الدولة ســند بقائها الالهى الاوحد ، وخسرت الديــانة مقومات صلاحها ، فارسل الله السيد المسيح عليه السلام بالانجيل والدين الحق ليحل محل الديانة التى افسدها اهلها . . . وسلط الله على الفاسدة من زلزلها ، وعلى الشعب الظالم من مزقه وفرقه وشرده تشريدا لم يعرف

التاريخ له نظيرا فى اى شعب من شعوب العالم : فكان الاجلاء الاول الى بابل على يد (بختنصر) ، ثم كان التشتيت الأبدى على يد (تيطوس)

وهكذا انتهت الديانة اليهودية المنسوخة بالمسيحية ، فلم يبق مبرر لوجودها الهيا . وانتهت الدولة اليهودية لانه لم يبق لوجودها مبرر وهو حماية الدين الحق ... وانتهى الشعب اليهودى (كوحدة سياسية) لانه لم يبق لوجوده ، اى مبرر او سند اجتماعى بحكم قلته وضعفه وبحكم تنازع البقاء ، فتمزق فى الأرض ابادید بعد هذا التمهيد التاريخى ارجع لاكرر القول : إن اسرائيل الدولة الحالية المصنوعة فى فلسطين ما صنعت لتبقى اولا — لان كيان الدولة الاسرائيلية فقد مبررات وجوده الدينية والاجتماعية فاعطاها لغيره .

ثانيا — لان دولة اسرائيل الجديدة الاصطناعية غير الطبيعية التى فقدت مبررات وجودها هى بذاتها ، وبقطع النظر عن النظرة الدينية غير صالحة للبقاء بحكم ناموس القوة فى تنازع البقاء : لانها تفتقر الى العنصرين الاساسيين من عناصر البقاء : وهما الارض الكافية ، والعدد العديد الكافى كما سبق البيان فى صدر الكلام .

ثالثا — لان الفلاسفة الذين وضعوا نواتها قد وقعوا فى سوء اختيار البقعة الصالحة لتكوين دولة يمكن ان يكتب لها البقاء ، بل وقعوا فى الفخ الذى نصبه لهم الاستعمار حين وافقهم على اختيار بقعة فلسطين بالذات لتأسيس الدولة الاسرائيلية الجديدة . فالاستعمار اراد ان يجعل اسرائيل شوكة فى حلق الامة العربية من غير أن يبالى بالمصيبة على من تقع من الطرفين (فبأيهما جاءت فبالعدو) .

ولو قدر للفلاسفة اليهود الذين وضعوا نواة الفكرة لاعادة دولة اسرائيل أن يختاروا بقعة أخرى فى احدى بلاد الوثنية الافريقية مثلا لكان من الممكن أن تتكون لهم دولة اسرائيلية قابلة للحياة والبقاء ولكن فلاسفة اليهود خدعوا أنفسهم حين ركزوا أنظارهم على جاذبية الدعاية الدينية . التى يتأثر بها كل يهودى ساذج يقال لهانك سوف تحي دولة داود وسليمان فى نفس هيكل داود وسليمان . فيا لغباء الفلاسفة ما أغربه ...

انهم فكروا فى جاذبية الدعاية الدينية وغفلوا عن رد الفعل للدعاية الدينية نفسها عند المسلمين ، الذين يدخل فى صميم عقيدتهم تقديس المسجد الاقصى وما حوله ، والذين بذلوا فى الحروب الصليبية دماء غزيرة حتى استردوها ، والذين مضى على استقرارهم التاريخى فيها أربعة عشر قرنا ، حتى رأت الدول المسيحية العظمى ، التى هى أقدر على انتزاعها من أيدى المسلمين ، ان تحترم ذلك الاستقرار التاريخى المزمن فتركتها لهم .

من كل هذا يظهر بوضوح ، ليس بعده وضوح ، ان خلق دولة اسرائيل فى أرض فلسطين الضيقة القاحلة التى لا تكفى بمساحتها وثروتها الطبيعية لتكوين دولة ، ومن شعب لا يكفى بعدده لو اجتمع كله للصمود ، وفى وسط بحر من الامتداد العربى الاسلامى الهائل الذى وصفناه ، وفى أتون من نار الغيرة الدينية الاسلامية والمسيحية ، ومع التجاهل لأثر الحق الناتج من الاستقرار التاريخى ، كان خلقا اصطناعيا يحمل فى صدره عناصر زواله لأنه لا يعتمد على أى مبرر للوجود والبقاء من المبررات الدينية والاجتماعية والتاريخية أو الارضية أو البشرية أو الاقتصادية وان قيل لكم أيها الشباب ان هذا

الكيان الاصطناعى تحميه الدول الغربية الى الابد فلا تصدقوا لأنه لا مبرر طبيعى وأساسى لحماية هذا الكيان الى الابد .

فالحماية أما أن تكون للعاطفة . وأما أن تكون للمصلحة :

أما العاطفة فلا عاطفة . . . وتاريخ الاوربيين مع اليهود هو سلسلة من القتل ، والذبح ، والخنق ، والحرق كما تعلمون .

وتبقى المساعدة للمصلحة . وهذا هو الواقع . فالدول الاستعمارية التى خلقت دولة اسرائيل لتكون شوكة فى صدر الأمة العربية ، انما خلقتها لمصلحة سياستها الاستعمارية والبترولية ، ولم تخلقها للعاطفة . وستظل تحميها ما دامت لها مصلحة فى حمايتها . . . فاذا قيل لكم أنها سوف تحميها الى الابد فلا تصدقوا فما فى سياسة المصلحة شىء ثابت الى الابد .

هذه حقيقة يؤيدها المنطق . ويؤيدها التاريخ :

فالمصلحة السياسية والاقتصادية تكاد تكون وحدها المنطلق الاساسى الرئيسى لاستعمار البلاد العربية والاسلامية . . . ، والمصلحة السياسية والاقتصادية هى وحدها المنطلق للتخلى عن البلاد العربية والاسلامية واعطائها استقلالها .

وعلى ضوء هذا الوضوح اطرح هذين السؤالين :

هل التخلى عن تونس والجزائر والمغرب أعظم واوجع فى ميزان المصلحة الاستعمارية الفرنسية من التخلى عن مساعدة اسرائيل ؟

وهل التخلى عن الهند الدرة فى التاج البريطانى ، أعظم واوجع فى ميزان المصلحة الاستعمارية الانكليزية من التخلى عن مساعدة اسرائيل ؟

الجواب واضح وبديهى .

ناموس التدافع

ومع ذلك فان سياسة المصلحة السياسية الدولية العامة اجبرت فرنسا وانكلترا على ترك هذه المستعمرات العزيزة الغالية .

هذه السياسة الدولية العليا التى تتفاعل على الارض فترغم الجبابرة على أن يتخلوا عن جبروتهم وطغيانهم بحكم تدافعهم هى الناموس الاجتماعى الذى عبر عنه القرآن بقوله **(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض)** • وبقوة هذا الناموس يقوم التوازن الدولى بين الغرب والشرق اليوم . . . وبقوة هذا الناموس أرغمت فرنسا وانكلترا وهولانده وايطاليا على ترك أعز وأعظم مستعمراتها .

وبقوة هذا الناموس دفن الانكليز والافرنسيون اربعين ألف عسكرى من شبابهم أمام حصون سيفاستابول ليردوا روسيا المسيحية عن تركيا المسلمة . . .

وها هو الناموس الآلهى نفسه يعود ليتجلى من جديد فى سياسة الدولتين الاوروبيتين اللتين هاجمتا بور سعيد بالاشتراك مع اسرائيل من عهد قريب .

وتبقى أميركا . وسوف يأتى دورها وتنقشع الغشاوة الصهيونية عن عيون الشعب الاميركى الذى لا يخلو من عقول نيرة ترتفع أحيانا فوق الدعايات وفوق الرواسب :

وليس ببعيد ذلك اليوم الذى سيقول به الشعب الاميركى ياويلنا من الخطر الاصفر . . .

وليس ببعيد ذلك اليوم الذى تقف به امريكا المسيحية تستجدى مساندة المدار الاسلامى المؤمن فى حربها مع الوثنية الصفراء .

ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله . .

بـل .. هـذا الزحف من يتصدى له ..!

بقلم: الاستاذ محمد احمد العــزب

حين كتبت مقالى (هذا الزحف من يتصدى له ؟) فى عدد شوال ١٣٩١ هـ ١٩ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٧١ م على صفحات مجلـــة الوعى الاسلامى ، محاولا من خلاله أن أعبىء لثورة عقائدية فى الفن تصالب ثورة الالحاد فى الفن على كل العقائد والموروث الدينى هنا وهناك ، كنت أطمح الى اشتجار جــدل حقيقى حول هــذه الدعوة الى التعبئة ، وليس الى تثاؤب مرضى يســحب عليه غطاءه وينام !!

وفى عدد (صفر) ١٣٩٢ هـ من الوعى الاسلامى قرات أول أصداء هــذه الدعوة . بحثا بحجم ثقافة عصرية واعية ، كتبه الصديق الفنان الشاعر الاستاذ يوسف حسن نوفل المدرس بالكــويت تحت عنوان (هؤلاء المتصـــــدون من يدعمهم ؟) !!

وبدءا .. نحن لم نختلف حول محاور الدعوة الصميمية ، وإن كنا قد اختلفنا بعض الشىء فى منظوراتنا حول تطبيقية المقولات .. اننى لا اكتب الآن ردا على الصديق الباحث الشاعر الفنان ، ولكنى اكتب استدراكا ، او قل إننى أرفــع يدى لمجرد الاستفسار عن أشياء !!

وقبل أن أستطرد .. فقد يكون من المفيد ان أوجز رؤيتى للقضية ، وأن أوجز كذلك رؤيــة الصديق للقضية ، ثم أرفع فى نهاية الرحلة يدى متسائلا . وللصديق أن يمنح جوعى الحقيقى قرى إجاباته على كل ما أثير من تساؤلات :

قلت واقول : إننا على مستوى العالم الاسلامى ــ نواجه كل القضــايا

الصميمية بمزيد من لزوجة الصمت ومزيد من لزوجة اللامبالاة ، فى نفس اللحظة التى يتحرك فيها الآخرون بمزيد من بنادق الوعى ، ومزيد من رايات الاستبصار !!

وقلت واقول : إن فننا العقائدى يتكىء فى تحركه — إن تحرك — على غرضيتين : اولاهما أن العقائديات ليست فى حاجة الى من يناضل عنها . . . وثانيتهما أن هذه العقائديات تملك من قدراتها الذاتية على الاشعاع والتوصيل ما يغنيها عن معاناة الدعاة وكدح الراشدين !! وهذه فيما يخيل إلىّ مقولات باهظة غبية تطفىء أحداق الدعوة وأحداق الدعاة على السواء !!

وقلت واقول : إننى لا أصادر الفكر النقيض ، ولا يمكن أن أدعو الى مصادرته ، لأن معنى ذلك إذا حدث اننى انفى نفسى من العصر الذى أحياه من جهة ، وأننى أصادر رافد الخصب الحقيقى — وإن كان نقيضا لا يهم — فى حقول فكرنا العقائدى وفننا العقائدى جميعا من جهة أخرى ، وتلك جريمة لا يتصدى للعمل فى رهجها إلا المهرجون !!

وقلت واقول : إن ما يقرؤه شبابنا فى هذه المرحلة لا يعدو أن يكون واحدا من اثنين :

(١) فكر بلا فن ، وفن بلا فكر ، هذا على الشاطىء العقائدى !!
(٢) فكر مبطن بالفن ، وفن مائج بحركة الفكر ، هذا على الشاطىء اللا عقائدى !!

وحتى لا أتهم بتسطيح قضية من أخطر قضايا فكرنا المعاصر بلا تحفظ حددت لنفسى محاور من خلالها قلت ما قلت . قلت إن فى المسرح الغربى ، والرواية الغربية ، والشعر الغربى ، نزوعا الى مصادرة مقولة (الله) ربما تبدأ بخلخلة الجذور ، وربما تنتهى الى اقتلاع الشجرة مرورا بالاكباب على بتر شروشها مرة ، وعلى إجهاض ثمارها مرة أخرى ، هكذا بلا توقف وبلا مبالاة !! وقلت — من خلال إحصاء مقارب استشهادى — إن نمطا من انماط هذا الابداع الفنى المكرس لهذه الغاية وهو (المسرح) قد ضرب فى هذا الصدد ضرباته الفاجعة ، مؤسسا كل خطوة من خطواته على اقتدار فنى ، وعلى استبصار ثقافى بطبيعة المرحلة ، وطبيعة العصر ، وطبيعة الشخوص الذين تتعامل معهم هذه الكلمات !! وقد حاولت أن أستكنه ملامح هذه الحركة الفنية القاصدة الى خلخلة ايماننا بكل شىء ، مستنهضا ملكات واقلام أدبائنا وفنانينا ونقادنا جميعا على طريق التصدى لهذا الزحف المسلح بكل إمكانيات عصره الخلاق !!

وقلت واقول : إن مسرحنا العربى فى مواجهة هذا الزحف — واحزن معى إن شئت — ما يزال قطاع منه يتلهى بالتسكع الفاشل على ضفاف فكرة الزمن ، وقطاع منه يتغنى بانتصاراتنا الوهمية التى أجهضها الواقع الضاغط فى أول لقاءاته معها ، وقطاع منه يتلكأ على صدر مومس عجوز تبيع الحب فى طرقات المدينة ، وقطاع منه يتهاوى تحت معاول عجزه الذاتى فلا يقوى حتى على مجرد أن يقول !!

هذه محصلة مقولاتى التى حملها مقالى الاول ، واعتقد أن لقاء المقال أجدى بكثير من القناعة بمجرد المرور المسطح على حروف هذه المحصلة مهما كانت قدرتها على حمل ملامح هذا المقال . .

وقبل أن أدير نقاشا من أى لون ، فلأغامر بتحديد ملامح مقال الصديق الاستاذ يوسف حسن نوفل (هؤلاء المتصدون من يدعمهم ؟) ، وعذرا من لحظة البداية اذا كبوت على طريق فهمى الجاد لمقولات مقاله الممتع ، وآمل أن تجنبنى المعاناة مرارة العثار على هذا الطريق !!

يقول الصديق الباحث : إن إنسان الثلث الاخير من القرن العشرين قد تعرض لهزات عقائدية فادحة مهد لها التطور الحضارى بإنجازه المادى من جهة ، وببروز عمالقته الملحدين من جهةأ خرى ، وبتدفق الحس المأساوى القلق المصاحب لتطور ادوات الحرب من جهة ثالثة . . . وقد زكّى هذا الصدع الفاجع انشطار العالم الى شرق وغرب ، وإيمانه الاعمى بمنطق القوة المغرورة بلا حدود .

ويحيل الصديق الباحث الى هذه الاسباب والدوافع التى أسلف بروز تيارات الالحــاد المعاصر مرتبا فيما يشـــبه الحتمية هذه النتيجة على هــذه المقدمات !! ثم يمهد لقضية (الفن العقائدى) ــ التى مــن اجلها يدور هــذا الحوار ــ باستعراض آراء (تشارلتون) الذى يرى أن الفن ينبغى أن يكــون (تصويرا للواقع كما هو) ــ ولا أدرى كيف ؟ ــ (وتولستوى) الذى يرى أن الفن المعبر عن الدين فن جيد ، وما عداه فهو فن ردىء !! ويسوق الصديق نماذج من كتابات أدبائنا ــ فى مجال القصة ــ يستوحون فيها تراثنا العقائدى ، على مستوى الارتباط الميكانيكى مرة ، ثم على مستوى التحرك من خلال إطــار عام مرة أخرى ، ثم على مستوى الاهتمام بالاولياء وكراماتهم وأحفالهم ومواسمهم وعاداتهم آخر الأمر ؟!

ويستطرد الصديق الى رصد نتائج اجتماع اليونسكو عام ١٩٦٩ وخروجهم بنتيجة أن الثقافـــة العربية المعاصرة لا تحتل المكـــان اللائق بها فى عالم اليوم !! ثم ينعى فى نهـــاية مقاله الممتع بحق على نقادنا تنطعهم اللا محـــدود فى إنغاض رءوسهم عن كل فن لـــه محتوى عقائدى ، بلا تبرير لهـــذه الحركـــة العدوانية الصـــماء !!!

هذه محصلة المقولات الصميمية التى يمكن أن يكون مقال الصديق الباحث قد دار فى محاورها ربما على وجه اليقين . . . وآمل أن أكــون قد وفقت فى نشدان هذا القطع اليقينى .

فهل يأذن الصديق لى الآن بأن أرفع يدى فى محاولـــة مخلصة للتساؤل المتشوف الى مزيد من إطلالات ضوء على هذا الطريق ؟؟

كان مقالى صيحة احتجاج على عشوائية الخلق فى فننا المسرحى ، ولم أكن بعد قد خطوت خطواتى على طريق التأمل فى ملامح القضية الروائية والقصصية فى أدبنا العربى ، وهى القضية التى استقطبها مقال الصديق الباحث . . ربما امتدادا وليس معارضة لمقالى الاول ، ولكننا على الرغم من كل ذلك نختلف هنا فى عديد من الأساسيات !!

اولها : أننى — ودع الجانب التاريخى فى مقال الصديق — لا أوافق على أن نتناول القضية على مستوى فنى وعقائدى معا من هذا المنطلق ، فحين تحركت بهذه القضية من مخاضها الفكرى الى واقعها الحلولى لم أكن أريد بها هـذا اللون من ألوان اللقاء (مصادفة) مع الفكر العقائـدى ، فما أكثر هذه اللقاءات اللقيطـة فى أدبنا المعاصر ، وإنما أردت لها أن تكون قضية وجود كونى مقاتل على كل الجبهات فى آن ، أعنى أننى أردت لهذه القضية أن تستحيل فى أدبنا العربى الى ما يمكن أن نطلق عليه مصطلح (الخلفية الفلسفية) ينزع عنها الفنان نزوعه عن نبضات الوعى فى شرايينه ، أعنى أن تكون هذه الخلفية العقائدية خبزه وهواءه ، لا يتحرك إلا من خلالها ، ولا يصدر إلا عنها ، ولا يتيح للجـدل الجانبى أن يصرف وجهه عنها بما هى أساسا حركة حلوله الجَوّانِىّ فى الكون ، وحركة جدله البَرّانِىّ مع ظواهر هذا الكون إذا استعرنا بعضا من هـذه المصطلحات !!

إن نجيب محفوظ ، ومحمد عبد الحليم عبد الله ، وعلى احمد باكثير ، وعبد الحميد جودة السحار ، أولئك الذين استشهد بهم الصديق الباحث فى مقاله لا يمكن أن يكونوا نموذج هـذا الفنان العقائدى الـذى ينزع عن خلفية فلسفية عقائدية ، وبالتالى لا يمكن حتى أن يكونوا قلعـة صمود على الاقل ، حين لم يستطيعوا أن يكونوا جبهة فتح وانتصار .. إن الوجودية بمضمونها الملحـد عند واحد كجان بول سارتر تشكل خلفية كل أعماله على السواء . الفكرية ، والفنية ، والاكاديمية جميعا ، فهل نستطيع أن نقف واحدا من هؤلاء الادبـاء العرب مع سارتر على هذا المستوى الصميمى ؟ أوشك أن اصرخ : الف لا .. ولا !! فمثلا نستطيع فى أدب واحـد كنجيب محفـوظ — على روعته وقيمـة إضافاته — أن نعثر ليس على قضية محور تستقطب أبعاد تحركه الفنى فى شتى الاتجاهات ، وإنما نعثر بلا تـردد على أمشاج هائلـة من البِنى الفكريـة ، والرؤى العقائدية ، والتجاريب الروحية ، وليت كل ذلك كان صميم المجرى الفنى للكاتب المبدع يعمقه من مستوى الى مستوى جديد ، إن الواقع الفنى لكاتب مثل نجيب محفوظ يؤكد بالضرورة صيرورته المستمرة ، من الكاتب المـلامس للاشياء ، الى الكاتب المتأمل للاشياء ، الى الكـاتب الحائـر فى مواجهة كل الاشياء ... إن الموت اللامبرر ، والعشوائى ، والغـاشم ، يطل كواحد من المصائر اللازبة لأبطال هذا الكاتب ، إن الاسئلة الطفلة عن الحب ، والموت ، والله ، لا تجد فى مساحات الواقع الفنى لروايات الكاتب العربى وقصصه إجابة واحدة مقنعـة ، وهى إن وجـدت إجابـة إيجابية مـرة ، فسوف تواجـه إجابات قلقة غير واحدة من المرات !! فهل نستطيع مع هـذا الكاتب أن نقول : إنه كاتب عقائـدى ؟؟ هل نستطيع مثلا فى رواية (أولاد حارتنا) أن نبايع نجيب محفوظ حتى بمجرد الادعاء العقائـدى على النحو الذى ندير من حوله هـذا الحوار !!

ولأضع هنا تحفظا ، فقد يقال إن الفن لا يمكن أن يقدم حلولا أو إجابات ... وأنا معكم .. ولكنى أعتقد أنكم معى فى قضية أنه يوحى بكل أولئك جميعا !!

إن نجيب محفوظ ثروة قومية وأممية على مستوى فنى لا أجادل فى ذلك على الاطلاق ، ولكنه على مستوى عقائدى واحد من ملايين الراكضين على سفوح القلق الوجودى بلا قرار ، وربما كان هـذا القلق واحدا من العناصر الهائلـة

التى تعطى إبداعه مذاقه الخاص !! ولكنى لست عن كل أولئك أبحث — إننى باحث عن الفنان العقائدى الذى ينزع فى تحركه الفنى عن خلفية فلسفية عقائدية صامدة ، لا أعنى نزوعا جامدا يبـدأ من حيث ينتهى ، وينتهى من حيث يبـدأ بلا ملال .. وإنما أعنى نزوعا متخلقا متناميا متسقا ، يكتشف من خلال تجاريبه ذاته وأبعاده ، ويطور من خلال مغامراته رؤيته الصميمية ، لله — والكون — والانسان .. الشرط التاريخى الوحيد الذى أضعه هنا هو أن يكون مؤمنـا أساسا بهذه العمد الثلاثة : (الله . والكون . والانسان) !! وتستطيع أن تقول فى أدب عبد الحليم عبد الله ، وعلى أحمد باكثير ، وعبد الحميد جودة السحار . وغيرهم وغيرهم .. نحـوا من هـذا الذى قلت فى أدب كاتبنا الرائع نجيب محفوظ !! مع الاحتفاظ لباكثير ببعض حقه علينا فى هذا المجال !!

ثانيها : إننى أرفض أن يكون الوعظ من جهة ، والخرافة من جهـة أخرى ، طريقنا الى محاولة الترشيد العقائدى ، وما أشك فى أن الصديق الباحث يوافقنى على أن مجرد ذكر الاسلام فى قصة أو رواية لا يعنى بالضرورة أن هـذه القصة أو هذه الرواية يمكن أن تكون خَلْقا عقائديا مسلما على الاطلاق ، وما أشك فى أنه يوافقنى كذلك على أن احتواء الخرافة التى تستشرى فى ريفنا العربى حتى وإن كان محورها دينيا لا يعنى على الاطلاق احتواء ظل من الحس العقائدى خاصة على المستوى الاسلامى الـذى يرفض منذ البـدء منطق الخرافة ، ومنطق التدين الأبله الساذج المتسكع فى دروب الهلوسات !!

إن الصديق الباحث — وهو بصدد إعداد رسالـة الدكتوراه عن الفـن القصصى — يعلم أكثر مما أعلم أن روائع الأدب العالمى التى عالجت قضية الدين كانت تحمل هموما أكبر من مجرد الوعظ ، وأعمق من مجرد الهروب فى مستودع الخرافة ... إن أعمـالا من أمثال : (الاخوة كـرامازوف. لديستويفسكى) . (والاخوة الاعـداء . لكازانتزاكس) . (والغثيان . لجـان بول سارتر) (والطاعون . لألبير كامى) . (والقصر ، والمحاكمـة . لكافكا) . وعشرات غيرها كثيرة ، لم تتلكأ على أرصفة التناول الهش لقضية من أخطر قضايا الفكر العالمـى ، وإنما واجهت قضيتها — رفضا وقبولا — بحس المسئولية وهيبة الفن ، فأتاحت بذلك لنفسها خلودا مجذرا فى تربة كل العصور !! فهل نجم فى أدبنا العربى حتى اليوم عمل واحد فنى يسامت واحدا من هذه الاعمال !! إن عينى على العصر الذى نحياه ، على إحباطنا الحضارى ، على وقوعنا فى المضايق ، على الحصـار الوضعى الذى نعانى من كبوله وسيوله !! ولكننى مع كل أولئك لا أستطيع أن أغفـل قضية أننا نتنفس من خلال قرون ومواريث كان من الممكن أن تشكل فى وجداننا الفنى رافـدا متنامى العطاء يقفنا فى النهـاية على مستوى الندية الصميمية لأولئك الاغيار ، وهذا ما لم تلح له إيماضة واحدة، حتى إيماضة واحدة على أفق حياتنا المركوم بظلام الظلام !!!

ثالثها : إن طموحى يمتد الى ملاقاة فنان عقائـدى مثقف بثقافة عصره وكل العصور ، أعنى أن رعيلا هائـلا من فنانينا المبدعين قد يكـون مثقفا بثقافـة العصر ، ولكنه مجدب تماما فى قضية احتوائه للتراث ، تراثه هو ، وهذا واحد من العوامل الصميمية فى حركة عجز هذا الفنان عن استيعاب تجربته العقائدية ، وبالتالى عجزه عن استقطابها فنا رائعـا فى مسيرة إبداعـه الكَمّىّ والكيفى ،

واذكر اننى كتبت فى هذا الصدد على صفحات (الوعى الاسلامى) تحت عنوان: (دعوة الى ادب إسلامى) . ومرة أخرى وأخيرة ، آمل أن لا تفهم هــذه الدعوة على أنهــا تقوقع داخل جغرافية ثقافية أو حتى روحية مغلقة ، إن معنى ذلك لو حدث أن يستحيل الفكر العقائــدى ، والفن العقائــدى جميعا الى استحلاب ذاتى مريض يرفض شمس العالم وهواءه ، ثم ينتحر فى غرفه المغلقة غير تارك وراءه سوى قدر البوار !!

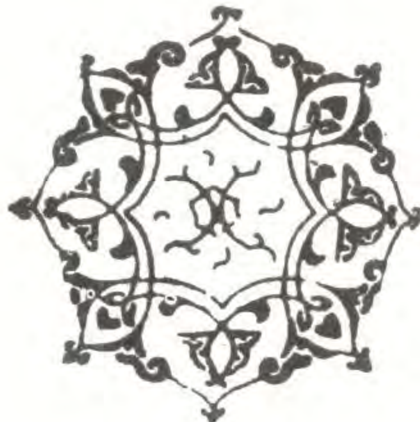
إن نوعية الثقافة التى أدعو الى احتوائها هنا هى (الانسانية) أحجاما واغوارا ، ثم التحرك بهذه الثقافة الانسانية الشاملة فى اتجاه تأصيل عقائــدى بمنهج (الفن) ومنطقه ، وليس بمنهج الدعاية والخرافة من جهة .. وليس كذلك بلا منهج على الاطلاق !!

هذه هى المحــاور الاساسية الثلاثة فى قضيتى بلا هروب من قدر المواجهة .. المحور الاول هو أن منحى القضية الصميمى أن يولد على خريطــة الوطن الاسلامى هذا الفنان العقائدى الذى ينزع فى تحركــه الفنى عن خلفية فلسفية مكتملة أو متنامية ، بلا جنوح للتخبط فى دياجير التناقض أو احتطــاب أمشاج الحلول !!! والمحور الثانى هو أن يكون طريق هذا الفنان الى إبداعه العقائــدى ليس الوعظ الدعائى بما هو مقولة مرفوضة فى منطق الفن ، وليس الخرافة المسطحة بما هى حركة ممرورة لا تستطيع أن تواجه شمس الحقيقة الكونية !!! والمحور الثالث هو أن تكون هموم هذا الفنان الأمل أن يحرك فى اتجاهه ثقافة عصره وكل العصور ، قابضا فى حركة إبداعــه على قيمة وضعيته العقائدية ، غير هارب فى أردية التوافق الجماهيرى من هويته الذاتية التى قد يوصم معها بالجمودية ، والرجعية ، والورائية . الى آخر ما فى جعبة الأغرار من شعارات فارغــة جوفــاء متآكلة الجبين !!

فهل — فى أدبنا العربى المعاصر اليوم — حتى ما يوحى بميلاد مثل هذا الفنان المبدع الخالق ؟؟

وهل — فى أدبنا العربى المعاصر اليوم — حتى ما يومىء الى ميلاد مثل هذا الفن المغامر المدجج القابض على أمل الخلاص ؟؟

اترك الاجابــة للذين يستطيعون !!!



الفقه الاسلامي يبحث قضية

المحتسب وأحكام

محمد فاروق

□ المحتسب يمنع الاحتكار وارتفاع الأسعار
□ واللباس غير المحتشم من النساء والرجال
□ وينفذ فوراً ولا ينتظر إذناً من القاضي

لعل من نافلة القول الاشارة الى ان معالجات المشاكل ، والقضايا ، فى المجتمع الاسلامى ، أحكام شرعية مصدرها الفقه الاسلامى سيان فى ذلك العبادات ، والمعاملات او مسائل السياسة الداخلية ، والخارجية . والتى تكون فى جزئياتها مستنبطة من أدلة الفقه التفصيلية من الكتاب ، والسنة ، وما دلا عليه ، كالاجماع ، والقياس، ليس الا . وهذا الحصر للاحكام فى الفقه ، وللفقه فى أدلته الاصولية ، هو الذى يضمن تنقية المعالجات ، والقانون ، والدستور لدى المسلمين من أية شائبة ، قد تخلط الاوضاع ، او تفقدها صلتها الاصيلة بالاسلام . كما أنه المحك الذى يميزها ، ويحفظ عليها صبغتها الاسلامية . ومن أجل ذلك ، كان على كل من يحاول ان يعرض لبحث أية قضية ، مهما كان لونها ، وأيا كان اتجاهها فى عالمنا الاسلامى ، ان يلتزم الفقه الاسلامى دون سواه . مجالا لبحثه . وليس معنى هذا ان

وظيفة الحسبة

الأستاذ أحمد محمد مصطفى السفارينى

ا سجل من تراث اسلامى للائمـة
لجتهدين هو وحده الفقه الاسلامى
لكن معناه أن الباحث فى أية مسألة
فض النظر عن أنها نالت قسطا من
ناية المجتهدين السابقين على اعتبار
نها مشكلة قديمة ، عرضت لهم .
استنبطوا لها حكما شرعيا أضيف
ى ثروة الاسلام الفقهية أم أنهـا
ديدة لم تكن على أيامهم ، ولمتعرض
م ، فهى بحاجة الى اجتهاد ، لبيان
كم الله فيها ، ان على هذا الباحث
ن كان يملك آلة الاجتهاد ، واهليته،
ن لا يبيح لنفسه الخروج عن ما قرره
لاسلام من أصول فقهية . ومسـألة
حسبة هى واحدة من المسـائل
كثيرة الملحة فى المجتمع الاسلامى،
ند عرض لها الفقهاء الاسبقون ،
نها واجهتهم ، فبينوا حكم الله فيها
نصلوها تفصيلا شافيا ، شأنهم فى
ى ما بحثوا ، من مشكلات . واذا

كنا نحن فى أيامنا هذه ، نستغرب مثل هذه التعابير لان مجتمعنـا . وقاموسنا القانونى ، قد خلتا منذ فترة غير قريبة منهـا ، واستبدلت بمسميات جديدة ، عن قصد حينا ، وعن جهل حينا آخر ، فان لنا من دقتها ، وشمولها ، وصدق دلالتها على معانيها ، وتصميمنا على العودة الحميدة للحياة الاسلامية الخالصة ، دافعا قويا ، لاستعادتها ، للمجـال الفكرى فى العـالم الاسلامى . فالحسبة لغة : اسم من الاحتساب . وهو البـدار الى طلب الأجر ، وتحصيله ، قال الفيروزباى : حسن الحسبة يعنى : حسـن التدبير ، واحتسب عليه . يعنى أنكر . ومنه المحتسب . أما معناها الفقهى : فهو مشـارفة السوق ، والنظر فى مكاييله وموازينه . وتحديد الاسعار، ومنع الاحتكار ، والغش والتدليس

ورفع الضرر عن الطريق . بدفع الحرج عن السابلة الى نحو ذلك من الاعمال . وقد يدخل فى مضمونها العمل على اقامة الصلاة فى مواقيتها والنظر فى أحوال الائمة والمؤذنين . والزامهم باداء وظائفهم حسب مقتضى الشرع . ولذلك وصفها الماوردى فى الاحكام السلطانية : الحسبة هى أمر بالمعروف اذا ظهر تركه . ونهى عن المنكر اذا ظهر فعله . أما الغاية منها فهى أن يكون الدين لله ، وأن تكون كلمة الله هى العليا . والاصل فيها أن انضباط الناس فى مجتمعهم بالتعاون ، والتناصر ، ودفع الضرر وأن الاوامر والنواهى تحتاج الى من يقوم بتنفيذ مقتضاها ، والسهر على تطبيقها ، وهى متعلقات انبثقت عن العقيدة الاسلامية عند المسلمين . لأنها أساس الدولة . وأساس المجتمع فمهما يكن من قوة هذه العقيدة ، وتأثيرها على السلوك لدى المسلم ، فلا بد من ملاحظة استمرار الالتزام بها ، لا سيما وأن الدولة تضم الكثيرين من أهل الكتاب . ومع أن للتقوى عند الفرد المسلم ، قوة لا يستهان بها ، لجعل المقياس لديه الحلال والحرام . وان التناصح لدى الجماعة بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، قدرة ، تحد من انحراف المنحرفين ، وان فى عدالة التشريع الاسلامى . الطمأنينة التى لا تلجىء ذا الفطرة السليمة للمخالفة . الا أن الهيبة من قوة السلطان . ضرورية ، لحياة الجماعة ، وايجاد التناسق فى المجتمع ، وبعث التأثير العملى للنظام . هذا بالاضافة الى أن طبيعة الانسان ، ليست دائما فى نقائها ، وصفائها . وان لهذه الهفوات التى يشهد الواقع بها أحكاما تشكل نظام العقوبات فى الاسلام ، مما يجعل وجود الاشراف عليها ، من الامور التى لا يجوز اغفالها ، ومن هنا نشأت ادارات الدولة الاسلامية ، وعلى هذا الاساس قامت ، وكانت تعرف بالولايات العامة ، والولايات الخاصة ومن تلك الولايات الخاصة : الحسبة: وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقوم هو ، أو من ينيبه عنه فى ولاية المدينة ، او مكة ، او البحرين ، او اليمن ، بأعمال المحتسب على اعتبار أنه رئيس دولة ينفذ ما يرشد اليه الوحى ، وهكذا استمرت الحالة فى عهد أبى بكر الصديق ، حتى اذا ما تشعبت مهمات الخليفة فى عهد عمر ، ولى على الحسبة عبد الله بن عقبة للنظر فى الاسواق ، والتفتيش على المكاييل ، والموازين ، ومنع الغش فيما يباع وما يشترى ، فقد روى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على صبرة طعام ، فأدخل يده فيها ، فنالت أصابعه بللا ، فقال: ما هذا يا صاحب الطعام ؟ فقال : اصابته السماء يا رسول الله ، قال: أفلا جعلته فوق الطعام كى يراه الناس ؟ من غشنا فليس منا .. وهذا الحديث يدل على أعمال الحسبة ، وولاية المحتسب على الاسواق . وروى المسيب بن دارم قال : رايت عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، يضرب حمالا ويقول : حملت جملك ما لا يطيق . كما روى أنه علا أبا سفيان بدرته بعد ان أنذره ثلاثة أيام وهو يقول له : قم بابك ابا سفيان . ومن بعد عمر استكملت الحسبة مقوماتها كولاية خاصة يقوم عليها موظف او موظفون من الفقهاء فى كل مدينة . ومن ثم فقد تعرض المجتهدون بكثير من الاسهاب لصلاحيات المحتسب وشرعية الأعمال التى يقوم بها حتى أن بعضهم أفرد لها كتبا خاصة مثل (نهاية الرتبة فى

طلب الحسبة) لعبد الرحمن الشيزري توفي (٥٨٩) هـ ، و (معالم القربة في احكام الحسبة) لمحمد بن محمد القرشي المشهور بابن الاخوة توفي (٧٢٩) و (الحسبة في الاسلام) ، لتقي الدين بن تيمية المتوفي (٧٢٨)هـ كما بحثها ضمن كتاب كل من (الماوردي) ، و (أبي يعلى) في كتابيهما (الاحكام السلطانية) والغزالي (٥٠٥) هـ في كتابه (احياء علوم الدين) وابن خلدون (٨٠٨) هـ في مقدمته، والنويري في نهاية الأرب .

ونحن حينما نستعرض دوائر الدولة الاسلامية ، نرى ان الخليفة هو الذي كان يشرف عليها ويقوم بأعمالها في الخلافة الراشدة ، ما استطاع الى ذلك سبيلا ، فاذا ما وجد الحاجة ماسة الى معاونة اشخاص ،اختارهم وانشأ لهم دوائر محددة المسئولية ، والاعمال ، كانشاء بيت المال (الادارة المالية) ثم ادارة الجيش (ادارة الحربية) واحصاء اصحاب الاعطيات وادارة الزكاة ، وادارة القضاء وادارة الحسبة ، وغيرها . أما سلطات هذه الادارات فكانت تتسع، وتضيق حسب الحاجة ، ووفقا لمقتضيات الحال ، « وجميع الولايات الاسلامية انما مقصودها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر سواء في ذلك ولاية الحرب الكبرى ، ونيابة السلطنة ، وولاية الشرطة ، وولاية الحكم ، وولاية المال ، وولاية الدواوين ، وولاية الحسبة ، لكن من المتولين من يكون بمنزلة الشاهد المؤتمن ، ومنهم من يكونون بمنزلة الامين المطاع » ، كما يقول ابن تيمية في كتابه الحسبة في الاسلام ، ثم يضيف : « عموم الولايات ، وخصوصها وما يستفيده المتولي بالولاية ، يتلقى من الالفاظ ،والاحوال والعرف ، ليس لذلك حدا في الشرع فقد يدخل في ولاية القضاء في بعض الامكنة والازمنة ، ما يدخل في ولاية الحرب في مكان وزمان غيره . وكذلك الحسبة وولاية المال ، وجميع هذه الولايات هي في الاصل ولاية شرعية ومناصب دينية ، فأي من عدل من هذه الولايات ، فساسها بعلم وعدل، واطاع الله ورسوله بحسب الامكان فهو من الابرار الصالحين ، وأي من ظلم ، وعمل فيها بجهل فهو من الفجار الظالمين . أما المحتسب ، فله الامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، مما ليس من خصائص الولاة ، والديوان، والقضاة ، ونحوهم ، وكثير من الامور الدينية هي مشترك بين ولاة الامور ، فمن أدى الواجب وجبت طاعته فيه » ، أما الاعمال التي يقوم بها المحتسب ، وتناط به ، فهي بعامة لا تخرج عن كونها معالجات ، لجرائم وقتية ، واحكامها واضحة كل الوضوح ، لا تحتاج الى كبير جهد في معرفتها ، وتقصيها ، فهو بوليس آداب ، ومفتش صحة ، وموظف بلدية ، مما نعرفه اليوم ، لان الادارة في الدولة الاسلامية تتسم بطابع البساطة ، وسرعة التنفيذ . لان الموظف يقوم بواجبه تجاه الله ربه ، بأذن من السلطان . فموظف الحسبة مسئول عن السوق ، وما يجري فيه من مخالفات ، له السلطة على كل ما يتعلق بالصفقات التجارية اليومية كالغش في البضاعة ، من أن تكون فاسدة ، أو مصنوعة من مواد غير جيدة ، او موضوعة للعرض بشكل لا ينبىء عن حقيقتها كما أنه مسئول عن الموازين ، والمكاييل، من أن تكون ناقصة ، أو فيها زيادة عن وزن وكيل السوق . كما انه يفحص العملة الفضية ، او الذهبية ، او الورقية ، من أن تكون مزيفة ، وهو يمنع أية صفقة يتم فيها البيع والشراء ، على

غير ما بين الشرع كالبيوع الربوية، وبيوع الغرر ، وبيع المجهول ، والميسر والنجش وهى أن يزيد فى السلعة من لا يريد شراءها ، وتصرية الدابة اللبون ، وسائر أنواع التدليس . وهذه معاملات يحرمها الشرع ولا يجيزها ، فلا يجوز ان يتعامل بهـا المسلمون ، ولا ان يسمح بوجودها فى أسواق المسلمين . ومن المعاملات المنكرة ، تلقى السلع قبـل أن تجىء الى السـوق ، وبيـع من لا يماكس بسعر مرتفع عن السـوق وله أن يمنع الاحتكار ، وارتفـاع الاسعار ، او خفضها بقصـد التغرير . وهو يملك سلطة يمنع بها اهل السوق من الاتفاق على سـعر فيه ضرر على المستهلكين لسلعة هى من ضرورات الجماعة . والمحتسب مسئول عن كل منكر يظهر فىمجتمع المسلمين ، فهو العاش الذى يتجول فى أسواق المدينة ليلا ، لمنع أيـة مخالفة شرعية ، كالاجتماعـات المشبوهة لشرب أو لزنا . وبحيث لا يظهر فى المجتمع ما هـو من المخالفات الشرعية ، كالتماثيـل فى ميادين المدن ، واللباس غير المحتشم من النساء والرجال . ومسئول أيضا عن نظافة المدينة ، وازالة كـل ما يعترض سبيل المارة ، ومنع الابنية التى تضيق على السابلة . كما ان المحتسب مسئول عن ائمة المساجد، وصلاة الجمعة، والجماعة، لا يتعدى فى ذلك كله ما امر بـه الشرع ، والعقوبات التى يطبقها هى التـى لا تصل الى تنفيذ ، أو اقامة حد ، لان تلك ليست من صلاحياته ، ولا تقام الا بأمر يحكم به القاضى بشهود ومجلس قضاء ، ولكنه يتلف الطعام المغشوش ، او الفاسد ، حـالا ، ولا ينتظر من القاضى اذنا بذلك . ويعزر المغرر فى بيعه . أو الـذى ارتكب مخالفة البيع بسـعر فيه غبن فاحش حالا ، ولا يرفع قضيته الى القاضى . هذه هى مسـألة الحسبة . كما حـددها الفقهاء ، وبينوا ما يندرج تحت احـكامها . ولعلها لو طبقت فى اى بلد اسلامى، لخلا من التعقيدات الكثيرة المقيتة ، ولاراح ، واستراح ، وضرب مثـلا سـاميا .



عظمة الخالق

للنابغة الجعدى

الحمـــــدُ للهِ لا شـــــريك لــــــه
مــن لم يَقُلْهـــــا فَنَفْسَه ظَلَمــا

المولِــج الليــلَ فى النهـــار وفى
اللَيْـــلِ نهـــارا يفــرّج الظُلَمــا

الخافـضِ الرافـع السـماءَ عــلى
الأرضِ ولم يَبْنِ تَحْتَهــا دعَمَــا

الخالقِ البـــارىء المصوّرِ فى الـ
أرحـــام ماءً حتّى يصيرَ دَمَـــا

مـن نُطْفَــةٍ قَدّهـــا مُقَدِّرُهــا
يَخْـــلق منها الأبشـارَ والنَسَمَـا

ثم عظـــاما أقامهــا عَصَـــبٌ
ثمّـــتَ لحمـــاً كساه ، فالتأمــا

ثم كَسَى الـريش والعَقَـــائِقَ أبْـ
شـــارا وجِـــلْداً تخـــاله أدَمَا

ثمّـتَ لا بُـــدّ أن سَيَجْمَعُكــم
واللهِ جهـــراً شـــهادة قَسَمَــا

فائتَمِـــروا الآن ما بَــدا لكــم
واعتصموا إن وَجَـــدْتمْ عِصَـــمَا

فى هـــذه الأرض والسـماءِ ولا
عصـــمة مِنْــهُ إلاّ لِمَنْ رَحِمَــا

في سبيل الدعوة

رضينا بالإسلام

من الحقائق التى لا تحتاج الى تدليل على ثبوتها ــ لأنها ملموسة مشاهدة ــ أن الغرب الصليبى الاستعمارى قد حرص منذ قرون وقرون على مهاجمة الاسلام ، وتشويه صورته ، وتجريح نبيه عليه الصلاة والسلام ، حتى قال « جون وبستر » الانجليزى الذى اهتدى الى الاسلام : « يظهر أن الغرب المسيحى قد تآمر منذ الحروب الصليبية على التزام الصمت تجاه محاسن الاسلام ، وحاول تشويه مبادئه بطريقة متعمدة كلما تحدث عنها » .

ويقول « السير عبد الله أرشبالد هاملتون » ، الانجليزى الذى اهتدى الى الاسلام : « لا يوجد دين أسىء فهمه ، وكثر الهجوم عليه من الجهلة والمتعصبين مثلما أسىء فهم الاسلام وهوجم » .

ولم يكتف الغرب الصليبى الاستعمارى بتشويه ديننا فى أنظارنا وانظار سوانا ، بل بذل جهوده الظاهرة والباطنة ، لكى يخرجنا عن هذا الدين ، ويسلكنا فى فلك دينه : « ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون » .

وحاول هذا الغرب الصليبى الاستعمارى أن يفرض علينا مدنيته الحديثة بغثها قبل سمينها ، ومغارمها قبل مغانمها ، وسلك الى ذلك كل سبيل ، سلك طريق التغرير والتخدير تارة ، وطريق المخادعة والمطاوعة تارة ، وطريق الارغام والافحام تارة أخرى ، واوهمنا هذا العدو الماكر انه ليس فى الامكان أبدع من حضارته ، ولا أروع من مدنيته .

اسلام دنيا

للدكتور أحمد الشرباصي

وحين يقول بعض العقلاء البصراء من الشرقيين : ان المدنية الغربية المادية فيها الكثير من البرق الخادع ، والبهرج الزائف ، الى جوار ما فيها من خير ، يقال من أعدائنا ان ذلك القول منا ناشىء عن عجزنا وقصورنا وتخلفنا .

ولكن ها نحن أولاء نقف أمام اشخاص رتعوا فى حقل المدنية الغربية ، وشبوا بين احضانها ، وبلغوا مراكز عالية ملحوظة بين أهلها ، ومع ذلك ضاقوا بها ، وحملوا عليها ، وفروا منها ومن قيمها حين رأوها تزيد الحس ضراوة وشراسة ، وتزيد الروح فقرا وقلقا ، وتزيد القلب حيرة واضطرابا ، ثم وجدوا أمنهم واطمئنانهم بعد طول البحث والتنقيب فى رحاب الاسلام العظيم .

ولعل من أدق العبارات التى تصور آفة المدنية الغربية تلك العبارة التى جرت على قلم واحد من رجال هذه المدنية ، وهو « اللورد سنل » اذ يقول : « لقد استطعنا بناء هيكل خارجى متكامل الاطراف ، ولكننا أغفلنا العامل الاساسى فى بناء نظام داخلى . لقد وضعنا تصميم الكأس بعناية فائقة ، كما قمنا بزخرفة شكلها الخارجى ، ولكن داخل الكأسّ ملىء بالفضلات والشوائب ، لقد استعملنا معرفتنا وما نملك من قدرة بالغة لما فيه صالح الجسد ، ولكننا تركنا الروح تشكو الفقر والحرمان » .

ولقد تنكرت المدنية الغربية المادية لروح الدين الحق ، وتنكرت للمسيحية التى تنتسب اليها ، وتستبقى رسومها جسدا بلا روح ، وأساءت

استغلال هذه المسيحية لتخفي من ورائها مطامع أهلها وعدوانهم ، فلا هي وفت لعقيدتها ومبادئها ، ولا هي تركت التمسح بالدين جانبا ، وواجهت العالم بنزعتها الاستعمارية الباغية . وهذا هو « السير عبد الله أرشبالد هاملتون » يردد عبارة صريحة صارخة يقول فيها : « بينما نجد الاسلام يرشد الانسانية الى الحق والصواب فى حياتها اليومية ، نجد المسيحية المعاصرة تعلم متبعيها ــ بطريق غير مباشر من الناحية النظرية ، وبطريق مباشر من الناحية العملية ــ أن يصلوا لله يوم الاحد ، وأن يفترسوا عباد الله فى بقية أيام الأسبوع » .

ولقد سعدت سعادة غامرة حين طالعت الكتاب الذى يحمل عنوان : « رضينا بالاسلام دينا » وهو مجموعة فصول لأناس كانوا غير مسلمين ، ثم درسوا الاسلام دراسة موضوعية بصيرة ، فتأثروا به ، واستجابوا له ، ودخلوا فيه ، وأخذوا يدعون الناس اليه .

وقد قام الأستاذ خورشيد احمد بجمع هذه الفصول فى كتاب بالانجليزية ، وقدم لها ، وطبع الكتاب بالانجليزية مرتين ، فى سنتى ١٩٦١ و ١٩٦٧ م ، ثم ترجمه الى العربية الدكتور عبد المحسن البيلى مدير المركز الاسلامى بلوس انجلوس ، بناء على رغبة كريمة من الدكتور على نور الدن العنيزى الذى قرأ الكتاب فى لغته الانجليزية ، وأعجب به ورأى من الخير أن يترجم الكتاب الى اللغة العربية : لغة القرآن الكريم ، ولغة الاسلام العظيم .

ولعلى لا أعدو الحقيقة حين أقول : كان هذا الكتاب نوع من التكفير الجزئى عن الجريمة العامة الكبرى التى ارتكبها الغرب الصليبى الاستعمارى ، حيث شوه بها الاسلام فى أنظار أهله ، وفى أنظار غير أهله ، وحمل فيها على الاسلام ونبى الاسلام وأتباع الاسلام حملته الشعواء النكراء .

وعنوان هذا الكتاب « رضينا بالاسلام دينا » يذكر الانسان بالرضى والرضوان ، والأمن والاطمئنان ، ويذكر الانسان بقول الله جل جلاله : « اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » . ويذكره بفضل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم وعلى اتباعه حين يقول له : « ولسوف يعطيك ربك فترضى » . ويقول له : « قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها » .

وحين يقول عن الأخيار الأبرار من عباده المؤمنين : « ليدخلنهم مدخلا يرضونه وان الله لعليم حليم » . ويقول لهم : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » .

وحين يتحدث عن ذلك الرضى المتبادل بين الله تبارك وتعالى وعباده المؤمنين ، فيقول : « قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ، لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ، رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم » . ويقول : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه ، وأعد لهم جنات

تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم » .
وحين يشعر النفس المؤمنة الصالحة بأنها ستتمتع بالرضى والرضوان فى أولاها وأخراها ، فيقول لها : « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية . فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » . ويقول عن المؤمن الذى يتلقى كتابه بيمينه يوم لقاء ربه ، ويفوز بنعيمه . « فهو فى عيشة راضية . فى جنة عالية . قطوفها دانية . كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية » .
ومن اللافت للنظر وللفكر معا ان هؤلاء الذين كانوا على غير الاسلام ، ثم أدركتهم نعمة الله فاهتدوا اليه وسعدوا به ، لم يدخلوا الاسلام اعتباطا أو عن جهالة أو بتغرير أو بتأثير ، بل دخلوه على علم به ، وبعد دراسة وتمحيص ، وكثير منهم ظل حينا طويلا وهو يدرس ويحاور ، ويشك ويتردد ، ويجادل وينتقد ، قبل أن يعتنق الاسلام عن ايمان ويقين ، وكثير منهم ظل سنوات قضاها فى الدراسة والبحث ، فالحاج لورد هيدلى الفاروق ـ يقرر أن اعتناقه للاسلام كان نتيجة لسنوات طويلة من الدراسة والتفكير ، ومحمد أسد ـ أو ليوبولدوايز وهو اسمه الأصلى ـ ظل خمس سنوات يقرأ عن الاسلام حتى تمكن نوره من قلبه .

والدكتور أحمد ماركوس الالمانى ظل سنوات يباحث العارفين بالاسلام ، قبل أن يرتضى الاسلام لنفسه دينا ، و « وليام بورشيل بشير بيكارد » ظل كذلك سنوات يدرس ويبحث ، حتى اقتنع بأن الاسلام دين الفطرة والخير ، والسيدة « أمينة موسلر » الالمانية مكثت سنوات عديدة تدرس الاسلام قبل أن تأخذ طريقها الى الدخول فيه ، وهكذا . .

وبعض هؤلاء كان فى أول أمره يهاجم الاسلام ويطعنه ، ويقوم بانتقاده وتجريحه على ملأ من الناس ، ويعيب على الاسلام اقراره للرق ، وتعدد الزوجات والطلاق ، ولكن هذا البعض استطاع بعمق النظر وسعة البحث أن يدرك أن ما فى الاسلام خير الف مرة مما فى غيره من النظم والشرائع ، ومن الأمثلة على ذلك المسلمة الانجليزية « ماتيس . ب . جولى » التى اعترفت بصراحة انها ظلت مدة طويلة تحقد على الاسلام وتهاجمه وتعيبه ، ثم اقتنعت أخيرا بصوابه وسموه ، وأعلنت دخولها فيه ، وهى تقول :

« لقد فعلت هذا وانا أشعر بقدر عظيم من الرضا والارتياح ، لادراكى التام أن هذا الايمان لم ينشأ عن نزوة عاطفية عارضة ، بل كان نتيجة لعملية فكرية طويلة ، امتدت عامين تم خلالهما تأكدى من أصالة الاسلام وروعة تعاليمه ، مما جعلنى فى النهاية أعتنقه وأومن به » .
وأغلب هؤلاء الذين كانوا غير مسلمين ، ثم درسوا الاسلام وآمنوا به ، أناس متعلمون مثقفون ثقافة واسعة ، ففيهم أساتذة جامعات ، وأساتذة قانون ، ورجال سياسة ، ورجال صحافة ، وغير ذلك ، ومعنى هذا أنهم لم يؤمنوا ايمان العجائز ، ولم يتابعوا متابعة العاجزين ، ولم يندفعوا اندفاع الجاهلين ، ولم يقعوا فريسة للتغرير أو التضليل أو الاكراه ، ولم تكن هناك عوامل غير طبيعية لاسلامهم ، كالوقوع فى شرك غرام جامح ، أو طمع مثير ، أو نحو ذلك .

ونلاحظ على بعض هؤلاء ظاهرة الانتقال من اقصى اليسار الى أقصى اليمين ، أو من الضد الى الضد ، وهم فى طريقهم الى اعتناق الاسلام : الدين السهل السمح الوسط العادل ،فبعض هؤلاء قد ضاق ذرعا بما فى دينه من أمور لم يستسغها ولم يؤمن بها ولم يصبر عليها ، فثار ثورته العارمة ، وانتقل مثلا من الكاثوليكية المتشددة او الارثوذكسية المحافظة ، الى الشيوعية المادية الجاحدة ، أو الالحاد المطلق الكافر بكل دين ، ولعل ذلك الانتقال السريع الواسع كان « رد فعل عنيف » لعدم الرضا أو الاقتناع بالدين الموروث دون دراسة واقتناع ، ثم عاد هؤلاء بعد حين ، ففكروا ودبروا ، ودرسوا الاسلام ، فوجدوا فيه الدواء والشفاء والغذاء والضياء ، فلجأوا الى رحابه آمنين مطمئنين .

وهذا على سبيل المثال المانى مسيحى كاثوليكى متشدد وهو « سيف الدين ديرك والترموسيج » كان يعد نفسه ليكون قسيسا كاثوليكيا ، ومع ذلك هدته دراسته الدينية المجردة الى الاسلام ..

يقول فيما يقول : « عثرت على ترجمة للقرآن الكريم باللغة الأسبانية ، ولم يعترض والدى على قراءتى لها فى البداية ، حيث كان يظن أنها ربما تساعدنى على توسيع مداركى لا أكثر ولا أقل ولم يكن يدرى مدى الأثر العميق لكلمات الله فى عقلى ..

كنت كاثوليكيا متعصبا عندما بدأت فى قراءة القرآن ، وأصبحت عند انتهائى منه مسلما على الأصالة ، ومن البديهى أن فكرتى عن الاسلام كانت فكرة خاطئة قبل قراءتى للقرآن الكريم ، حيث بدأت أقرأه فى تعجب وسخرية ، متوقعا أن أجد بين طياته أخطاء فاحشة ، وافكارا كافرة ، وخرافات زائدة ، ومتناقضات لا يقبلها العقل السليم .

لقد كنت متعصبا وانا فى هذه السن الصغيرة ، ولكن لحسن حظى لم يكن قلبى قد أصبح صلدا بعد . ولقد بدأت قراءة السور على الرغم منى فى البداية ، ثم انتهيت وانا أكثر ما أكون ظمأ لمعرفة الحقيقة .

وفى لحظة من اعظم لحظات عمرى شرح الله صدرى للاسلام ، وهدانى الى الصراط المستقيم ، وأخرجنى من الظلمات الى النور ، ومن المسيحية الى الاسلام .. » .

والكثير من هؤلاء الذين اهتدوا الى الاسلام بعد أن كانوا غير مسلمين ، قد درسوا الأديان الأخرى بتوسع قبل دراستهم الاسلام ، فكانت لديهم الفرص الواسعة للمقارنة بين دين ودين ، ثم ختموا مطافهم بدراسة الاسلام ، وانتهوا اليه بالدخول فيه والاستقرار عليه ..

لقد درس الكثير من هؤلاء : اليهودية ، والمسيحية ، والبوذية ، والهندوكية ، والشيوعية ، والفاشية ، والمادية ، والتاوية ، والديمقراطية ، والمذاهب الفلسفية ، ومع ذلك لم يقنعوا ولم يشبعوا .. ثم درسوا الاسلام بعد هذا كله فوجدوا لديه المرفأ الامين ، والرائد الذى لا يمين .

واغلب هؤلاء الذين اهتدوا الى الاسلام كانوا يعتنقون المسيحية قبل اسلامهم ، وقد ضايقهم فى المسيحية المعاصرة أمور لم يستطيعوا هضمها ولا الرضى بها ، ومنها ما يلى :

١ ـ غموض عقيدة التثليث ، وتأبيها على التصور العقلى .

٢ ــ القول بألوهية المسيح ، وأن مريم أم الرب ــ عليه وعليهما السلام ــ .

٣ ــ عقيدة الشقاء الأبدى المضروب على بنى البشر ، ونشأة البشر كلهم فى ظل المعصية السوداء ، بسبب خطيئة آدم وحواء ــ عليهما السلام ــ وعدم الاقتناع العقلى بوراثة كل البشر خطيئة أبويهم منذ أول الحياة .

٤ ــ عقيدة الصلب على أساس أن المسيح قد قبل أن يصلب للتكفير عن خطايا الناس وسيئاتهم .

٥ ــ عقيدة « الاتحاد » عن طريق « الخبز المقدس » الذى يمثل جسد المسيح ، حيث يقال ان قطعة الخبز التى يتناولها الكاثوليكى من يد الكاهن .. وقت صلاة الاتحاد المقدس تتحول الى دم المسيح فى صورته اللاهوتية والناسوتية .

٦ ــ السلطة المخولة لرجال الكنيسة والكهنوت ، والقول بأنهم وسطاء بين البشر وربهم ، وأنهم يملكون حق الغفران ، وأن البابا له سلطة مقدسة ، وأنه لا يخطىء .

٧ ــ المطالبة بتصديق ما تقرره الكنيسة ، وان لم يقتنع به العقل .. الخ .

واذا كانت هناك أشياء قد نفرت هؤلاء ــ كما رأينا ــ من عقيدتهم السابقة ، فمن الطبيعى أن تكون هناك فى الاسلام أشياء شدت اليه هؤلاء ومنها ما يلى :

١ ــ عقيدة التوحيد : « لا إله الا الله » فالاسلام يقرر وحدة الخالق تبارك وتعالى ، وتنزيهه عن أى مشابهة لما عداه ومن عداه : « ليس كمثله شىء وهو السميع البصير » . وهذه العقيدة تمتاز بالوضوح واليسر ، والبعد عن التعقيد الغامض الذى نراه فى عقائد أخرى كعقيدة التثليث ، والقرآن يقرر :

« قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد » .

٢ ــ تقرير الاسلام لوحدة الرسالات الالهية ، ودعوته الى الايمان بجميع رسل الله وكتبه : « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير » ، « قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » .

٣ ــ كفالة حرية الاعتقاد : « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » :

٤ ــ احتكام الاسلام الى العقل ، وايقاظه العقل ليتدبر ويتأمل ويحكم : « قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون » .

٥ ــ دعوة الاسلام القوية العميقة الى العلم والازدياد منه : « وقل رب زدنى علما » .

٦ ــ ابتعاد الاسلام عن النظم الكهنوتية القائمة على الوساطة المزعومة بين الله وعباده ، فصلة المسلم بربه صلة مباشرة لا تتوقف على

وسيط : « وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » .

٧ ــ تأكيد الاسلام لحقوق الفرد وحقوق الجماعة ، وربط الأمة برباط الأخوة والمحبة : « انما المؤمنون اخوة » .

٨ ــ دعوة الاسلام الى السلام العادل المنصف ، وافادة كلمة « الاسلام » نفسها معنى السلام ، لأنها تفيد معنى الاستسلام للخالق جل علاه ، وهذا الاستسلام يورث الانسان خشوعا لخالقه من ناحية ، وسلاما مع عباد الله من ناحية أخرى : « والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم » ، « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » .

٩ ــ الاسلام دعوة انسانية عالمية ، تعمق معانى الأخوة والمساواة والحرية بين البشر : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » ، « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير » .

١٠ ــ الاسلام عقيدة وعبادة ومعاملة وأخلاق : « ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين . ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم . وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم » .

١١ ــ المواءمة بين المادة والروح ، وبين أمور الدين وأمور الدنيا ، مع التوسط والاعتدال والتوازن : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الأرض ان الله لا يحب المفسدين » ، « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » .

١٢ ــ القرآن ــ وهو دستور الاسلام ظل محفوظا مصونا كما نزل من عند الله تعالى ، لم يطرأ عليه تغيير أو تحريف كما حدث لغيره : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

والعجيب أن كثيرين من هؤلاء الذين اهتدوا الى الاسلام يقررون انهم اكتشفوا فى أنفسهم ــ بأنفسهم أنهم كانوا مسلمين قبل أن يتجهوا الى اعتناق الاسلام دينا ، وقبل أن يقرروا لأنفسهم أن يكونوا من المسلمين ، فهذه مثلا هى السيدة : « ايفلين زينب كوبولد » الانجليزية تقول :

« اننى لا أتذكر على وجه التحديد اللحظة التى انجلت فيها حقيقة الاسلام أمام ناظرى ، فيبدو أننى كنت مسلمة طوال حياتى ، دون أن أتأكد من هذه الحقيقة » .

وهذه هى السيدة « سيسليا محمودة كانولى » من استراليا تقول :

« ان سبب اعتناقى للاسلام يرجع فى الدرجة الأولى الى أننى كنت مسلمة فى قرارة نفسى ، دون أن أكون على شعور تام بهذه الحقيقة » .

ان هذه العبارات الصريحة الواضحة تذكرنا بحقيقة قررها القرآن الكريم ، وأكدتها السنة المطهرة ، وهى أن الاسلام دين الفطرة الصافية النقية التى لم يطرأ عليها فساد أو انحراف ، والله جل جلاله يقول : « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله

ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون » ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « كل مولود يولد على الفطرة ، وانما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » .

وثمة ملاحظة مهمة لابد أن نتذكرها دائما ، وأن نعتبر بها ونتعظ ، تلك الملاحظة هى ان بعض هؤلاء الذين اهتدوا الى الاسلام لم يغب عنهم الفرق الواسع الشاسع بين الاسلام والمسلمين ، ولا بين روعة مبادىء الاسلام وواقع المسلمين المخجل ، فالاسلام غير المسلمين . الاسلام ثابت خالد ، والمسلمون يتغيرون ويتبدلون ، الاسلام باهر رائع ، والمسلمون اليـــوم لا يعطون صورة صحيحة لهذا الاسلام ، وهم يحيون حياة غير مشرفـــة للاسلام ، ولا يجوز فى شرعة العدل والانصاف أن نحكم على الاسلام من واقع المسلمين .

ولذلك لم يكن عجيبا ان تسمع « ليوبولد وايز » ــ أو محمد أسد كما تسمى بعد اهتدائه الى الاسلام ــ يقول : « ان واقع المسلمين اليــوم لا يعكس المثل الأعلى الذى يمكن أن تحققه تعاليم الاسلام .

ان كل ما فى الاسلام من حيوية ودفع وتقدم ، قد تحول على أيدى المسلمين الى اضمحلال واهمال وجمود .

ان مافى الاسلام من حث على كرم الطبع والاستعداد ، وبذل النفس والتضحية ، قد تقلص على أيدى المسلمين المعاصرين الى ضيق فى الأفق ، والتعود على حياة كلها دعة واستكانة » .

ولم يكن عجيبا أن نجد « خديجة فيزوى » الانجليزية التى اهتدت الى الاسلام ، تحث المسلمين حثا قويا على أن يكونوا عناوين طيبة للاسلام ، وأن يكونوا قدوة كريمة أمام الناس تعبر عن الاسلام تعبيرا صادقا فــى سلوكهم وأعمالهم ، فتقول فيما تقول : « اننى لا أشك لحظة واحدة فى أن الاسلام يمكن أن يكون عاملا فعالا لتحقيق الخير والسلام فى العالم ، اذا ما تحقق المسلمون من أن المبادىء الدينية لا تتعارض مع التقدم المادى ، واذا ما بدأوا فى بناء صرح حضارة قيمة قائمة على تراث ماضيهم المجيد ، بدلا من نقلهم للحضارة المادية الغربية ، بما فيها من معايير أخلاقيـــة منحلة » .

ثم تضيف قولها : « ان كل ما ارجوه أن يضرب المسلمون الذيـــن يزورون بلادنا المثل الطيب ، حتى يثيروا فى نفوس الانجليز اهتماما وشغفا بالاسلام » ! .

ليت المسلمين يســـمعون . .

وليتهم اذ يسمعون يستجيبون . .

أما بعد ، فاذا كان القدماء قد قالوا : « الفضـــــل ما شهدت بـــه الأعداء » ، فان هذا الكتاب يرينا للاسلام فضلا أعظم وأكبر ، لأنه فضل جعل الأعداء من صميم الأولياء ، ولذلك أحرص على التنويه بهذا الكتاب ، ولفت الأنظار والأفكار اليه فى عالم الاسلام .

وأرى أنه من واجب المسلمين نحو هذا الكتاب ــ وأمثاله من كتب التعريف بالاسلام ، والحديث عن جمـــاله وجلاله وحقه وصـــدقه ــ أن تتنافس دول الاسلام الغنيـــة القادرة فى نشرهـــا وتعميمها بمختلف اللغات ، وأخص بالذكر هنا دولا اسلامية آتاها الله واسع نعمته ، وعندها

الاقتدار والاستعداد لخدمة الاسلام . أذكر ليبيا والكويت . والسعودية وقطر وأبو ظبى ..

ان نشر هذا الكتاب وأمثاله بلغة القرآن وغيرها من اللغات ، يعد جزءا مهما من الدعوة الى سبيل الله تبارك وتعالى بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن ، واذا كان هذا الكتاب قد طبع مرتين باللغة الانجليزية ، وطبع منه ٣٥ ألف نسخة فى الطبعة الأولى سنة ١٩٦١ م ، وطبع منه خمسون ألف نسخة فى الطبعة الثانية ١٩٦٧ م ، فانه ينبغى أن تطبع منه مئات الآلاف من النسخ باللغة العربية ، وأن يترجم كذلك الى اللغات الشرقية : الافريقية والآسيوية ، ويطبع منه مئات الآلاف كذلك بهذه اللغات ليقرأ المسلمون بشتى لغاتهم هذا الكتاب ، ويزدادوا ايمانا وثقة بدينهم وعقيدتهم ، وأن يعاد طبعه باللغة الانجليزية وباللغة الفرنسية وباللغة الألمانية وغيرها ، بعد ترجمته الى تلك اللغات ، لكى يقرأه غير المسلمين بلغاتهم ، فيثير فى نفوسهم الشوق الى مطالعة المزيد عن تعاليم الاسلام ومبادئه ، فيكون ذلك بابا الى استضاءتهم بنور الله الذى أشرقت له السموات والأرض ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » .

وينبغى كذلك أن يتفرغ بعض المسلمين فى الشرق والغرب ليواصلوا تتبع الظروف والأحوال التى اعتنق فيها الاسلام أناس لم يكونوا مسلمين من قبل ، فلقد أعلم أن هناك كثيرين أسلموا وكتبوا عن الدوافع التى دفعتهم الى الايمان بالاسلام ، وأن هناك كثيرين قد أسلموا ، ولم يكتبوا عن هذه الدوافع ، ويستطيعون أن يكتبوا اذا سئلوا ذلك .

ولا شك فى أنه من صميم التعريف بالاسلام والدعوة اليه ، أن نضع أمام العالمين التفاصيل المتعلقة بهذه الدوافع ، ليزداد المسلمون اعتزازا باسلامهم ، ولينجذب غير المسلمين الى ضوء الاسلام والايمان .

انى أؤكد أنى كنت سعيدا حين طالعت هذا الكتاب ، فقد جعلنى أصحب طائفة من اخوتى فى الانسانية وفى الاسلام ، وأشهدهم وهم يتحدثون عن خطواتهم التى خطوها ، حين أراد الله تبارك وتعالى لهم أن يتجهوا — بفضله وتوفيقه — من ظلمات الحيرة والضلال فى متاهات الاعتقاد الى نور الاسلام .

وسأكون أكثر سعادة وغبطة حين أشهد هذا الكتاب وهو يسعى الى الملايين من بنى الانسان ، ليحدثهم بشتى اللغات عن دين الاسلام .

ان موضوع هذا الكتاب وأمثاله ليس لفرد دون فرد ، ولا لطائفة دون طائفة ، ولا لجنس دون جنس ، انه موضوع الناس جميعا ، لأنه موضوع الهداية الربانية التى نريدها ونتمناها للناس جميعا ، وموضوع الرحمة الالهية التى يضعها بديع السموات والارض بين أيدى الناس جميعا ، والله جل جلاله هو القائل لرسوله :

(وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) .



ماذا يجري هنالك ؟

شبهات [illegible]

للدكتور : محمد ابراهيم الجيوشي
المركز الاسلامى ـ لنـــدن

تلقيت رســـالة من طـــالب عربى يدرس بأحـــد الأقسام العاليـــة فى جامعات انجلترا . أرى من الخير أن أضعها بنصها بين يدى القراء ليعلم العرب والمسلمون أى شر يراد بهم وبدينهم ، وليكونوا على يقظة دائمة لما يتعرض له دينهم من الكيد والهجوم الظالم حتى فى دور المفـــروض فيها أنها معدة للبحث العلمى الخـــالص الذى لا صلة له من قريب أو بعيـــد بأمور الدين والعقيدة يقول الشـــاب العربى ــ المسلم ــ بعد الاحتفـــاظ باســـمه ومكان دراسته خشـــية أن يسبب له ذلـــك ضررا فى عمـــله الدراسى ــ **أنا طالب عربى من ... اقطن الآن فى مدينة « .... » التى تبعد ... من لندن وادرس المستوى العـــالى فى علم الأحيـــاء والفيزياء والكيمياء .**

١ ــ لقد كنت فى بلدى اداوم على قراءة الصحف والمجلات الدينية .. كالـــوعى الاســـلامى « والتربيـــة الاسلامية » ولكن منذ مجيئى الى هنا لم أتمكن من الحصول على احداهـــا مما جعلنى أشعر بفراغ هائل فـــان كنتم تتسلمون أى مجلات أو صحف دينية فأنا مستعد أن أدفع الرســـوم المستحقة لأحصل عليها .

٢ ــ تعطى لنـــا كل اســـبوع .. حصـــتان فى دراسة الأديـــان وفى

احدى الحصص تكلم المدرس وهو قسيس عن الاسلام فذكر فوائد الزكاة والحج والصوم ، ولكنه قال ان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قد قرأ الانجيل ونقل منه الى القرآن وذكر ايضا أن كثيرا من الناس بدأوا يدخلون الاسلام لأن الشيوعية تزود الدعاية الاسلامية بالمال لإخماد المسيحية التى تقترن بعدو الشيوعية الا وهو الغرب فاخبرته أن محمدا كان اميا فكيف استطاع قراءة الانجيل ، اما الشيوعية فانها تكن للاسلام عداء اشد من عدائها للمسيحية فكيف لها ان تعينه ؟.

ارجو منك يا سيدى ان ترسل لى جوابين على هذين الافترائين ، لأفحم بهما منطق هذا القسيس الواهن .

• • • • • •

وهذه صورة الرد .

الأخ العربى المسلم الشاب .

حفظك الله ورعاك ، وسدد خطاك ، وعصمك من الزلل ووقاك شر الفتنة وحصنك باليقين ، وشرح للحق صدرك ، وكان معك فى غربتك يهديك ويحميك ، ويأخذ بيدك للفوز والتوفيق .

اخى قرات رسالتك والدهشة تعقد لسانى ، والمرارة تعتصر قلبى ، لأنى كنت أحسب ان هذه النماذج التى تفترى على الحقيقة ، وتجترىء على الباطل ، قد انطوت بانطواء العصور الماضية ، ولم يعد لها وجود فى عصرنا هذا الذى يقولون عنه . ان العقل الانسانى قد تحرر من قيود الجمود ، ولم تعد تؤثر فيه افتراءات المفترين ولا اضاليل المضللين ، ولكن رسالتك أعطت الدليل القاطع على أن هؤلاء الناس لا يكفون عن عداوتهم للإسلام ، ولا يتركون فرصة تمر الا انتهزوها للنيل منه والافتراء عليه بغير دليل ، ولا حجة .

ولست أدرى لم سولت لهذا القسيس نفسه أن يذيع هذه الاباطيل على الشباب فى دار من دور العلم والبحث يؤمها الطلاب من كل انحاء الأرض ، وكان الأولى بالقائمين عليها أن يقدموا لروادها الحقيقة ناصعة خالية من كل شائبة ، أمانة للعلم ذاته ، وقياما بحق البحث العلمى الحر النزيه ، واذا كان هذا الجانب الذى تعرض له القسيس قد تبين فيه مقدار تجنيه على الحقيقة وبعده عن الواقع لنا فقط ولا يعرف الشباب من غير المسلمين الذين يحاضرهم هذا القسيس أين تكون الحقيقة فإنا ندرك مدى الخيانة العلمية التى تقترف فى ساحات العلم ودوره وكم لها من نظائر واشباه ، ولولا أن فى ساحة الدرس من يحيا الاسلام فى قلبه وعقله وضميره لما تهيأ لنا أن نقف على هذه الفعلة الشنعاء التى ارتكبها القسيس المحاضر ، وكان الاولى به وقد تصدر لأسمى رسالة ، وأقدس أمانة ، أن يعرف أو يقدر انه ربما يكون فى ساحة الدرس من يعرف جوهر الاسلام ، يحيا فى وجدانه ، ويستمد من سموه مبدأ فى الخلق ، ومنهجا فى السلوك ، وأسلوبا فى الحياة يمضى على هداه فى الأرض ستمائة مليون مسلم الآن ينضم اليهم اخوان جدد مع كل مشرق شمس ، لأنهم لمسوا سمو مبادىء الاسلام ، ونقاء جوهره ، واقتناع منطقه ، فى وقت سعت فيه الانسانية الى البحث عن الحقيقة ، وتطلعت الى عقيدة تلبى اشواق الروح أو ترضى فى اعتدال مشروع مطالب الجسد ، من غير افراط ولا تفريط ، حتى اهتدوا الى ما فى الاسلام من تحقيق للسلام والطمأنينة للنفس الانسانية .

ومع ذلك يأتى هـذا وأمثـاله ، فيلقون بهذه الاتهامات جزافا ، ومن غير اكتراث ، لأن الحقد قد أعماهم عن ادراك الحقيقة ، وباعد بينهـم وبين الصواب .

هذه نفثة صدر يلقيها مسلم لمسلم وتعبير عـن ألم ينهش القـلب لهذا المسلك المعوج ، الذى يلجأ اليه هذا وأمثاله . ولنقف معا أمام القضـايا التى أثارها لنناقشها فى منطق وهدوء ونرى مـدى ما بينهـا وبين الحـق والواقع من بعد ، ومدى ما تقـوم عليه من مغالطات .

١) يزعم أن الرسول صلوات الله عليه قد قرأ بعض الانجيل ونقل منه الى القرآن .

هذه دعواه ، وقد ألقاهـا كأنها حقيقة ثابتة مسلمة لأن ملقيها يلقنها شـبابا أتوا للدراسـة فى المستوى العـالى . وهى كـأى قضـية من القضايا التى تعرض فى ساحـات الدرس ــ ان كان للحـرية الفكرية مجال كما نتصور ــ تحتاج الى الأدلة التى تثبتها والمصـادر التى استقيت منها هذه الأدلة ، ثم توضع هــذه الأدلـة ومصادرهـا تحت البحث لتناقش وتمحص ، ثم يعرض بعـد ذلك مقدار ما اشتملت عليه من صدق أو ما انطوت عليـه من زيف ، فهل فعل شيئا من ذلك أو بعضا منه هذا المحاضر ؟ هل كلف نفسه ــ كما تدعو اليه أمانة البحث العلمى ــ أن يناقش ذلك أو يعرضه على حقائق التاريخ ووقائعه ؟

يقينى أنه لم يفعل شيئا من ذلك ، ولم يعد الى هذه الأحكام ليناقشـها ويمتحن صلابتها ، لأنه لو فعل لمـا وقع فى هذا الخطأ الفاحش ، وارتكب تلك الحماقة الكبرى ويقينى أيضا أنه ألقى نظرة عجلى على بعض الكتب الحاقدة التى كتبها زملاء له من قبل ، ينتهجون نفس المنهج ، فعلق بنفسه منها ما وافق هواه المحموم ، وأرضى تعصبه الأعمى ، فأخذ هذه المجالات وأضفى عليها ألوانا قاتمة من تفكيره الضيق ، وذهنه المريض . وحقـده الأسود ، وألقى بها فى ساحـات الدرس كأنها قضايا مقررة لا مجال فيها لأخذ أو رد . أما أمانة العلم ، أما قدسية الحقيقة ، أما مسئوليـة الضمير ، فليس لكل ذلك اعتبار فى تقدير القسيس المحترم .

لم يقل لنا متى قرأ النبى الانجيل ؟ وبأى لغة كان يقرأ ؟ ومن الذى علمه القـراءة ؟ كل ذلك لم يكن من هـم الباحث أن يلقى اليـه بالا ، لأنه لا يعنيه ، ولا يهتم به ، ولا يحاول أن يجشم نفسه عناء البحث من ورائه ، حسبه أن يصدر الحكم الذى لا نقض فيه ولا ابرام ، مـا دام ذلك يوافق هواه . ويرضى تعصبه الجامح .

ألم يعلم ذلك الـذى تسنم مقـام الأستاذية لصفوة من شباب العالم أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ؟ وأن القرآن الكريم الذى يزعم أنه نقل من الانجيل يقول الله فيه : **« وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينـك اذا لارتاب المبطلون ، بل هو آيـات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم ، وما يجحد بآياتنا الا الظالمون »** .

ولو كان للعقل سلطان عند ذلك القسيس الباحث لأدرك أن محمـدا صلى الله عليه وسلم كان يقرأ هـذا القرآن على هـؤلاء الذين يعرفون دقائق حياته من يوم أن ولد ، الى أن لحق بالرفيـق الأعلى ، وأن سادتهم وكبراءهـم ناصـبوه العداء وأنهـم يدركون جيدا أنه لم يعرف القـراءة ولا الكتابة من قبل ، والا لكان يسيرا عليهم أن يردوا عليه ، ولكنهم لـم

يفعلوا . لأن أمية محمد صلى الله عليه وسلم حقيقة لا يدنو اليها الشك ولا ينازع فيها منازع ، والا لكان المجال مهيأ لمعارضيه من أهل مكة أن يردوا عليه دعواه . ان كان هناك الى رد من سبيل .

ويشير القرآن الكريم الى أمية النبى صلى الله عليه وسلم فى أكثر من موضوع فيقول مثلا فى سورة الأعراف : **« الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث . ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون ، قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا إله الا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » .**

تلك هى أمية النبى تعرض لها القرآن الكريم فى أكثر من موضع وهو يتلى على قوم يعرفون كل ما دقّ وجلّ من حياة هذا النبى الكريم ، ولو كان فى مقدورهم أن يردوا هذه الدعوة لردوها ولكنهم لم يفعلوا .

أما ما أشار اليه المحاضر من نقل الرسول عن الانجيل الى القرآن ، فهناك سؤال بديهى ، كنت أود لو وجهه الى نفسه قبل أن يلقى بهذه القاصمة ، ترى ما هى مواضع ذلك النقل الذى أشار اليه ؟ وهل قرأ القرآن الكريم وقارن بينه وبين الانجيل ليحدد تلك النقاط ويبين مدى الصلة بين الأصل المأخوذ عنه — فى زعمه — وبين القرآن الكريم ؟ .

يقينى أنه لم يفعل ، ولو فعل لأحجم أن يقدم على هذه الجرأة العجيبة ، لأنه لو قدر له أن يقرأ القرآن الكريم ، لأدرك مدى ما فيه من احاطة وشمول وعمق ، ومدى ما يحويه من عظمة التشريع ودلائل الهداية ، ولأحجم عن القاء باطله الذى ألقاه لا تسليما واقتناعا ، لأن أمثاله ليسوا أهلا للانقياد الى الحق والتسليم به ، ولكن خوفا من أن يكون بين صفوف المستمعين من هيىء له أن يقرأ ويفهم ، ويستوعب فيكشف عواره . ويبين عن مغالطاته . ويتصدى للرد عليه ، وتفنيد مفترياته وهو ما يخشاه أشد الخشية ، ولست أدرى اذا كان الباحث يعلم ان الانجيل ليس فيه الا وصايا وأخلاق ، أما القرآن فهو شامل لكل مناحى الحياة ، ملب لحاجات البشر جميعا فى الأخلاق والسلوك والمعاملات والتشريعات ، ونظم الحياة وأساليبها لعله لم يعرف ذلك ، ولعله ان قرأ يستفيد من القرآن مادة تنفعه فى منهج الحياة والحرص على الحقيقة .

ولست بحاجة الى أن أبين ان هناك من الأمور التى اتفقت عليها الأديان السماوية ما يعطى اتفاقا أو شبه اتفاق فى التعرض لها والحديث عنها ، ولكن لا يعنى ذلك أن بعضها نقل عن البعض أو أخذ عنه فلا نقول إن الانجيل قد أخذ عن التوراة مثلا بل سبب ذلك أن المصدر واحد وهو الوحى الالهى .

٢) تلك واحدة ، أما الثانية فهى دعواه أن الشيوعية تزود الداعية الاسلامى بالمال لاخماد المسيحية التى تقترن بعدو الشيوعية الا وهو الغرب .

صدقونى أننى ما كنت أتصور أن تفاهة هذا التفكير وسخف التصور واهتزاز النظرة تبلغ بالفرد العادى الى هذا الحد الذى يغثى النفس ويصيبها « بالقرف » حينما تسمع منه

هذا الكلام ، فما بالك برجل يحمل شعار الدين أولا ويتصدى للأستاذية فى مجالاتها العليا ثانيا ؟. لا شك أن شخصا يصدر منه هذا الهراء جاهل كل الجهل بتاريخ الأديان ، غير مدرك لأبعاد المعركة الضارية التى تدور رحاها بين الأديان والالحاد .

هلا قال لنا المحاضر . كيف انتشر الاسلام فى أفريقيا ؟ ومتى ساد بلاد آسيا ؟ وكيف جذب اليه القبائل والشعوب هناك ؟ وهل قرأ ما كتبه سادته المبشرون منذ بدأت حركة التبشير والاستشراق حتى الآن ؟ وكيف صوروا اكتساح الاسلام لهذه الشعوب فى آسيا وأفريقيا ، واقبال الناس على اعتناقه بدون حملات تبشير ولا بعثات ارساليات دينية تغرى بالمال والجمال !! وترهب بالمدفع والسلاح ، وتضحك على البسطاء بالعلاج والدواء . .

هلا قرأ صراخ أسلافه المبشرين واصغى الى عويلهم ، وهم يسجلون بمداد الحسرة والأسى كيف يقبل الناس على اعتناق الاسلام فى أفريقيا على يد تاجر ضرب فى مناكب الارض سعيا عن الرزق ، سلاحه الأمانة والصدق والوفاء ، نزل بقرية أو حل فى قبيلة ، يبيع ويشترى ، فأدهشتهم أمانته ، وأسرهم صدق حديثه ، وأنسوا الى خلقه ، ولمسوا فيه الناصح الأمين ، والمحب للناس جميعا ، وأن كل هذه الفضائل اكتسبها من دينه السهل السمح العميق ، الذى يدعو الى المساواة بين البشر جميعا ، لا يفرقهم لون ولا جنس ولا لغة ، لأنهم كلهم لآدم وآدم من تراب ، وأن مجال السبق والوجاهة عند الله والناس هو العمل النافع ، والاستعداد الطيب النبيل ، كما قال نبى الاسلام « الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى ، وأن الله لا ينظر الى صوركم وأجسامكم ، ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم » . وأن القرآن الكريم دستور الحياة ومنهجها يقول مؤكدا هذه الحقيقة **« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله اتقاكم »** .

بهذه السماحة فى التشريع ، والسمو فى النظرة الى بنى الانسان، وعدم اهدار القيمة الانسانية فيهم ، على اختلاف الوانهم وأجناسهم ، وعقائدهم ولغاتهم ، والبساطة والسهولة والاقناع التى تمتاز بها العقيدة الاسلامية ، بكل تلك الوسائل والميزات تهيأ للاسلام أن ينتشر فى ربوع آسيا وأفريقيا وكل بقاع الأرض على أيدى تجار يضربون فى الأرض ، لتحصيل الرزق ، أو دعاة من العباد سلاحهم الايمان ، وارادة الخير للناس جميعا ، مما دفع الناس الى اعتناق دينهم اقتناعا بتعاليمه ، وايمانا بمبادئه ، واقتداء بأخلاقه ، ولم يكن هؤلاء الدعاة الى الاسلام — من العباد والتجار — يحملون فى ايديهم ، ولا من خلفهم سلاحا أو مالا ولا تتبعهم أو تمهد لهم جيوش جرارة ودعايات محبوكة .

لست أدرى اذا كان القسيس يعلم أو حاول أن يعلم أن الاسلام حقق هذا الانتصار من قبل أن توجد الشيوعية بمئات السنين ، أغلب ظنى انه لا يعنيه أن يعلم ذلك ، لأن الحقيقة لا تعنيه فى قليل أو كثير ، وانما الذى يشغل اهتمامه أن يقول على الاسلام كذبا وزورا ما تسول له نفسه .

هل يعلم القسيس المحاضر أن الشيوعية قامت فى اكتوبر سنة ١٩١٧م ، وأن الاسلام كانت له السيادة فى العالم قبل ذلك بقرون

عـديدة ؟ هـل يعلم أن الشيوعية خاضت ولا زالت تخـوض حـروبا مريرة ضد الاسلام والمسلمين فى كل مكان وأن هـذه الحـروب امتـداد للصراع بين قياصرة روسيا من قبلهم وبين المسـلمين فى هـذا الجزء من العـالم ؟.

هل يعلم المحاضر أن الجمهوريات السوفيتية تضم عددا من الجمهوريات التى كان حكامها وسـكانها مسلمين من قبل ، وأنهم واجهوا من الضغط عليهم مثلما كانوا يواجهون من قبل فى عهد القياصرة ؟

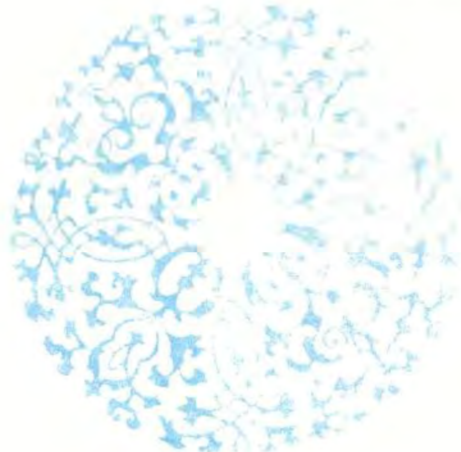
ليت المحـاضر يكلف نفسـه عناء البحث والدرس ، ليعرف الحقيقة ان كان يبغى يوما أن يعرف الحقيقة ؟.

هل يعلم القسيس المحـاضر أن الاسلام يحقـق للانسـانية نظـاما اجتماعيا كاملا كفيلا بتحقيق العدالة والحرب والمساواة لشعوب الأرض جميعا ، لو انهم أرادوا حقا أن تسود هذه القيم الانسانية العـالية ، وأن سيادة مثل هذا النظام واستقراره لا يسمح لأى نظـام آخر أن يتخذ من العدالة والمساواة والحرية أهـدافا يتغنى بها ، ولهذا تخشاه كل الأنظمة وتحاربه سـواء كانت شـيوعية أم استعمارية محتكرة .

أخى الشاب العربى المسلم هذه خواطـر تجد فى طيـاتها اجـابات لسؤاليك ، ولكنى اود فى ختام هذا الحديث أن أوجه نداء الى القائمين على أمر هذه المعاهد والدراسات ان يحترموا عقول الشباب الذى جاءهم راغبـا فى التزود من المعرفة ، وأن يختـاروا الرجـل المناسب للمكان المناسب ، واذا كان لا بد من دراسة الأديان فى قسم يتخصص دارسـوه فى « علم الأحياء والفيزياء والكيمياء » فلتسند هذه الدراسات الى ايد امينة خالية من التعصب بعيدة عن الهوى واننى اخشى ان اقول إن هنـاك سياسة مرسومة للنيل من الاسلام . وزرع الكراهيـة والخـوف منه فى نفوس الأجيال ، وعند ذلك ينبغى أن يكون لنا نحن المسلمين موقف آخـر نعرف منه أعداءنا من أصدقائنا .

ولعل واضعى المناهج العلمية فى بلادنا الاسـلامية والمسئولين عـن البعثـات يأخـذون من هذا عظـة وعبرة ، ويرون بأعينهم ، أن الغرب رغم دعواه العريضـة ــ أن ليس للدين عليه سلطان ــ يعطى قسـطا من الدراسات الدينية للطلاب فى كل المستويات والمجـالات حتى ما يظن منها أن ليس له صلة بالدين .

ليت شعرى هـل يدرك قومنـا الحقيقة أو يظلون رغم هـذه النذر غافلين .



القصة ومفهومها في القرآن

للأستاذ عبد الكريم الخطيب

القصص القـــــرآنى كله عرض لأحداث تاريخية مضى الزمن بها .. فهو — والامر كذلـــك — وثيقـــة تاريخية ، من أوثق واصدق ما بين يدى التاريخ من وثائق ، فيما جاء فيه من أشخاص وأحداث ، وما يتصـــل بالاشـــــخاص والاحداث من أمكنة وأزمنة ..

ونحن فى دراستنا هنا للقصـــة القرآنية ، لا نقف كثيرا عند هـــذه الحقيقة — حقيقة واقعية القصص القرآنى ، من حيث أنها ذات قيمة كبيرة فى الدراسات التاريخية ، وفى تصحيح كثير من مرويات التاريخ ، وانما الذى يعنينا من واقعية القصص القرآنى أولا وبالذات ، ذلك الاثر الذى لتلك الواقعية فى الجو الفنى للقصة .. بمعنى أن القصة الادبية فى القديم وفى الحديث ، لم تقف عند الحقيقة التاريخية وحدها ، حتى ولو أتيح لها الظفر بها ، وانما هى تعتمد فى كثير أو قليل على عنصر الخيال ، الذى من شـــأنه أن يلون الاحداث بغير الوانها ، وأن يبدل ويغير من صورها وأشكالها ، وذلك لكى تبدو الاحداث مختلفة فى وجوهها عما ألف الناس أن يروها عليه ، مما يضفى عليها شيئا من الجدة والطرافة ، مما يبعث على الاثارة والتشويق ، الامر الذى ان خلت منه القصة لم تقع من القلوب موقع القبول والرضا .

ونسأل : هل اذا اعتمدت القصة اعتمادا كليا على الحقيقة المطلقة — كما هو الشأن فى القصص القرآنى — يمكن أن تكون قصـــــة بالمعنى المفهوم ؟ وهل يعتبر عرض الحقائق كما وقعت ، عملا فنيا ، وقد خلا من كل اضافة يضيفها اليه ناقل تلك الحقائق من تصوراته ، ومدركاته ، ومشاعره ، وخيالاته ؟ .. واخيرا

هل يمكن أن تكون القصة المنسوجة من خيــــوط الواقع قادرة على أن تشوق وتثير ؟ ثم هل هى قادرة بعد هذا على أن تمس المشاعر ، وتلمس الوجدان ، وتقود الى ما وراءها من منازع وغايات .. ؟

هذه الاسئلة وما اليها ليس هنا جوابها ، حيث أن للاجابة عليهـــا مكانا خاصا فى هذا البحث .. ولكن الذى نريد أن نقـــرره الآن ، هو أن القصة القرآنية قد بنيت بناء محكما من لبنات الحقيقة المطلقة ، التى لا يطوف بحماها طائف من خيال ، ولا يطرقها طارق من وهم ، ثم هى — مع هذا — أكثر من قصة .. حيث سمى القرآن كل قصة منه قصصا . كما يقول سبحانه : « نحن نقص عليك أحسن القصص » وكما يقــول جل شــأنه : « ان هــذا لهو القصص الحق » .. فكل قصة هى قصص ، لما فى كل مشهد منها من غنى عريض من المعانى التى لا تنفد أبدا ..

وهكذا أطلق القرآن الكريم لفظ القصص على ما حدث به من أخبار الماضــــين فى مجال الرســـالات السماوية ، التى حملها رسل الله الى أقوامهم ، وما كان يقع فى محيطها من صراع بين قوى الحق والضلال ، وبين مواكب النور وجحافل الظــلام .. فقصة كل نبى تشكل قصصا ، متجدد العطاء : « يؤتى أكله كل حين باذن ربه » ..

الشخصية والحادثة :

ويقوم العمل القصصى على أحد محورين : اما الشـــخصية ، واما الحدث .. بمعنى أن تكون الشخصية الانسانية هى الفلك الذى يدور حوله الحدث ، أو أن يكون الحدث هو المركز الذى تدور حوله الشخصية .. وقد يتوازن فى العمل القصصى كل من الشخصية والحدث ، فيتبادلان نقطة الارتكاز والتجــــمع ، مرة ، بعد مرة ..

ويلاحظ فى القصص التاريخى غلبة الشـــخصية على الحدث ، فيـــكون الشخص هو محــــور الحركـــة فى القصـــــة ، وهو متعلق الاحداث الجارية فيها .. ويصدق هذا أيضـــا على القصص المتخـــيل .. اذ كان الناس دائما يحبون أن يروا أنفسهم فى غيرهم ، وأن يشهدوا الانسان ، وكيف يتعامل مع الحيـــــاة ، وكيف يواجه الاحداث التى يواجهونها ، أو التى يمكن أن يواجهوها .. ذلك أن الناس لا يعنيهم الحدث من حيث هو ، وانما يعنيهم اذا كان مما يقع فى حياتهم ، ويتصل بوجودهم ، وهذا لا يكون الا اذا تعلق بانســـان ، أو تعلق به انسان .. !

ومن هنا كان أبطـــــال الحدث التاريخى أو الخيـــالى فى العمـــل القصصى — أشخاصا لا أحداثا .. وقل أن يكون بطل القصة فى هذا العمل ظاهرة من ظاهرات الطبيعة ، أو كائنا من الكائنات غير الانسان .. فان كان شىء من هذا كان منظورا اليه دائما من خلال الانسان ، مؤثرا أو متأثرا بهذه الظاهرة أو هذا الكائن ، حتى القصص الحيــــــوانى ، هو حيوانات تنطق بلسان انسان ، أو انسان يلبس مسلاخ حيوان .. !

ماذا فى القصص القرآنى .. ؟

أما فى القصص القرآنى ، فاننا نرى تدبيرا عجيبا معجزا ، فى توزيع المشاهد القصصية توزيعا محكـــما متوازنا بين الشخصية والحدث ..

فلا نجد فى القصص القرآنى موقفا من المواقف تستأثر به الشخصية وحدها ، أو الحدث وحده .. وانما تلتقى الشخصية مع الحدث ، أو الحدث مع الشخصية ، فيتخلق من اجتماعهما مضمون ، هو الذى يكون بطل الموقف ، فتصبح شخصيته أبرز شخوص القصة ، ويبدو صوته أندى الاصوات فيها ، وأقواها سلطانا على المشاهدين ، أو المستمعين ..

فالاشخاص فى القصص القرآنى — أيا كانوا — ليسوا مقصودين لذاتهم من حيث هم أشخاص تاريخيون يراد ابراز حياتهم ، وكشف أعمالهم، والتمجيد أو التنديد لسيرتهم ، وانما يعرض القرآن ما يعرض من شخصيات ، كنماذج بشرية فى مجال الحياة الخيرة أو الشريرة ، وفى صراعها مع الخير والشر ، وفى تجاوبها أو تعاندها مع الاخيار والاشرار ..

ان الشخصية فى القصة القرآنية، انما ينظر اليها بهذا الاعتبار الذى تؤدى فيه دورها كشاهد من شواهد الانسانية ، فى قوتها وضعفها ، وفى استقامتها وانحرافها ، وفى هداها وضلالها ، وفى رشدها وغيها ، وفى حكمتها وسفاهتها .. الى غير ذلك مما تندرج تحته عوالم الانسانية ، وتتشعب فيه مذاهب سعيها ومسلكها فى وجوه الحياة ..

وكذلك الشأن فى الاحداث التى يعرضها القرآن الكريم فى قصصه .. انها ليست الا محاك اختبار تظهر بها معادن الرجال ، وتختبر بها مواطن القوة والضعف فيهم ، وتنكشف بها منازع الاحسان والسوء منهم .

ومن أجل هذا ، كان الذى نشهده فى القصص القرآنى من عرض الشخصية الواحدة فى معارض كثيرة وفى مواضع متعددة من القرآن ، حيث تستدعيها الاحداث والمواقف .. وهذا هو بعض السر فيما نشهده فى قصص القرآن الكريم من توزيع بعض الشخصيات ، وعرضها فى مواقف متعددة ، وفى أزمنة متباعدة حسب نزول القرآن بها حالا بعد حال ، ومشهدا بعد مشهد .. ولو أن الشخصية كانت مقصودة قصدا أصليا لذاتها ، لذكرت أحداثها ومواقفها فى معرض واحد ، حتى تظهر مرة واحدة بكل شخصياتها وسماتها ..

فكنا نجد قصة موسى — مثلا — فى سورة واحدة ، كسورة البقرة ، أو سورة الاعراف ، أو سورة القصص ، بدلا مما هى عليه فى القرآن الكريم ، وقد ذكرت فيه فى نحو مائة وعشرين موضعا .. وكذلك الشأن فى قصة ابراهيم وهود ، وصالح ، وموسى ، وعيسى ، ونوح ، وآدم ، وغيرهم .. فنحن نرى فى القرآن الكريم مشهدا من مشاهد الشخصية ، مع حدث من الاحداث ، تواجهه ، وتتفاعل معه ، وتمضى به الى غايتها فى موقفها منه، أو موقفه منها ، ثم ينتهى المشهد ، ويطوى الموقف ، حتى اذا مضى زمن — طال أو قصر — طالعنا وجه الشخصية من جديد ، مع حدث آخر، يأخذ دوره معها ، ثم يمضى .. ثم يجىء غيره .. وهكذا ..

وعلى هذا فان التكرار الذى يقال عنه فى القصص القرآنى ، ليس تكرارا لحدث ، ولا اعادة للواقعة بصورتها التى عرضت بها أولا ، بل

ان أكثر القصص القرآنى تتكرر فيه الشخصية ، ولا يتكرر فيه الحدث ، وانما الذى دعا الى هذا القول الذى يقال بأن فى القرآن الكريم تكرارا واضحا فى قصصه ، هو ظهور الشخصية فى مواقف متعددة ، فوقع من ذلك للنظرة المجردة من التعمق والتبصر ، أن ذلك من التكرار ، بل والتكرار المعيب الذى لا تدعو اليه داعية من حال ، أو مقام .. حتى لقد فتح ذلك لذوى النيات السيئة ، وأصحاب العقول المريضة — مجالا للاتهام ، والتطاول على مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والطعن فى نبوته ، وأن هذا التكرار الذى فى القرآن — وفى القصص القرآنى كذلك — انما هو نتيجة لاحوال كانت تعترى النبى ، من صرع ، وجنون — كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا — حتى لينسى ما كان قد قاله من قبل ، فيعيد قوله من جديد ، بصورة أو بأخرى ، مقاربة أو مباعدة ، لما كان قد ذكره منذ زمن قريب أو بعيد .. !

هذا بعض ما يقوله المتقولون على كتاب الله ، وعلى رسول الله فى ظاهرة التكرار التى وردت فى كثير من معارض القرآن الكريم ، سواء اكان ذلك فى مشاهد القصص القرآنى ، أم فى غيره ، كما فى سورة (الرحمن) ، وقد تكرر فيها قوله تعالى : « فبأى آلاء ربكما تكذبان » احدى وثلاثين مرة خلال آياتها التى بلغت ثمانيا وسبعين آية .. وكما فى سورة (القمر) التى تكرر فيها قوله تعالى : « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » أربع مرات، وتكرر فيها قوله تعالى : « فكيف كان عذابى ونذر » أربع مرات أيضا .. وكما فى سورة (المرسلات) وقد تكرر فيها قوله تعالى : « ويل يومئذ للمكذبين » عشر مرات .

ولا نعرض هنا للرد على هذه المزاعم الفاسدة التى يرددها الذين يكيدون للاسلام ، ويتلقاها عنهم أدعياء العلم ، ممن ينتسبون الى الاسلام ، ويلبسون ثوب المجددين والمجتهدين فيه .. فالرد على تلك المزاعم له موضعه من هذا البحث ان شاء الله .. وذلك بعد أن نستكمل بحثنا عن مفهوم القصة فى القرآن الكريم .

ونعود فنقول : ان الشخصية فى القصص القرآنى ليست مقصودة لذاتها ، ولا كان ذكر الاشخاص فى هذا القصص منظورا اليه نظرة القصص التاريخى الى شخصياته ، وعرضها فى معارض البطولة فى أى مجال من مجالاتها .. وانما الذى كان المقصد الاول للقرآن الكريم من قصصه ، هو الحدث .. لأنه مناط العبرة والعظة ، فيما يكون من موقف الناس منه ، وتلقيهم له ، من بين محسن ومسىء ، ومقبل ومعرض ، ومستقيم ومنحرف .. ومن خلال هذه المواقف التى يقفها المحسنون أو المسيئون من الحدث أو الاحداث ، تنكشف وجوه العبرة والعظة منها .. وهذا ما جاء القصص القرآنى كله من أجله .. كما يقول تعالى : « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك » وقوله جل شأنه : « فاقصص القصص لعلهم يتفكرون »

والذى يتتبع القصص القرآنى يجد احداثه كلها تدور حول الدعوة الى الله ، والى تحرير العقيدة ،

وتصفيتها من العبودية لغير الله ، وتوجيهها الى عبادة الاله الواحد ، الخالق ، رب العالمين ، والاستقامة على صراطه المستقيم .. ولهذا كانت دعوات الانبياء — لا الابنياء — هى الوجه البارز فى القصص القرآنى ، وأنه لو كانت شخصية النبى هى مناط القصة ، ودافعها الاصلى ، لجاءت قصة كل نبى ، فى موضع واحد من القرآن الكريم ، فى سورة أو بعض سورة ، ولما كان هناك ثمة داعية لتقطيع حياة تلك الشخصية الى هذه الاجزاء الموزعة فى مواضع متباعدة من القرآن الكريم .. ولكن اذا اعتبرنا الحادثة ، لا الشخصية ، هى محور القصة ، لم نجد هذا التمزق فى وحدة الشخصية ، بل نجد كل حادثة ، أو موقفا يمثل قصة كاملة ، وان كان هذا لا يمنع من أن نلتقى بالشخصية الواحدة مع أكثر من حدث ، وفى اكثر من موقف ، مع تباعد الزمان والمكان ، كما أن هذا لا يمنع من أن تقترن الاحداث المتماثلة ، فى مساق واحد ، وفى عرض متصل ، فى سورة أو بعض سورة ، لشخصيات متعددة ، متباعدة الزمان ، والمكان ..

ففى أكثر من سورة من سور القرآن الكريم نجد عرضا متصلا لدعوة عدد من الانبياء ، حيث تتماثل الاحداث ، وتتشاكل الوقائع ، وفى هذا الجمع بين الاحداث المتماثلة والوقائع المتشاكلة ، ما يعطى دلالة واضحة لهذا الصراع الدائم بين الخير والشر ، وما يكشف عن هذا العناد والكنود فى الطبيعة البشرية .. وأن الانسان هو هو الانسان ، فى كل زمان ومكان ..

والمثل الواضح فى هذا ما نجده فى سور : الاعراف ، ويونس ، وهود ، والشعراء ، والنمل ، والقصص .. فقد جمعت كل سورة من هذه السور مواقف لكثير من الانبياء مع أقوامهم ، اذ يدعونهم الى الله تعالى فى لين ورفق ، وفى رحمة ومودة ، ثم لا يجدون لدعواتهم تلك آذانا سامعة ، أو قلوبا واعية ، وانما الذى يأتيهم من أصداء تلك الدعوة ، امعان فى الضلال ، واغراق فى الكفر ، وسفاهة وتطاول ، بلا بقية من مروءة أو حياء !

القصة القرآنية :
نبأ ، أو خبر ، أو حكاية .. ؟

ونحن حين ننظر فى المعنى اللغوى للقصة ، نرى أن أصل اشتقاقها يتلاقى مع المفهوم الذى قام عليه أصل التسمية للقصص القرآنى .. فالقصة مشتقة من القص ، وهو تتبع أثر الشىء ، وما خلفه وراءه للاستدلال منه عليه ، ومنه قوله تعالى : « وقالت لاخته قصيه » .. أى تتبعى آثاره حتى تصلى الى ما انتهى اليه أمره .. ومن هذا قولهم : قص الاثر ، أى نظر فيه ، ليستدل منه على مسيرة صاحبه ، يقال : قصصت أثره ، واقتصصته ، وتقصصته وخرجت فى اثر فلان قصصا ، أى اتتبع آثاره ، وفى القرآن الكريم : « فارتدا على آثارهما قصصا » .. ومنه قص عليه الرؤيا ، والحديث ، أى أعاده عليه ، وحكاه له كما حدث .. وفى القرآن الكريم : « لا تقصص رؤياك على اخوتك » .

فالقص للاثر ، اشبه بما يعرف فى عصرنا بتصوير (البصمات) أو رفع

الآثار التى خلفها الجناة ، وراءهم ، والنظر فيها نظرا دارسا ، ليستدل منها عليهم .

والقصة فى القرآن ، انما تتبع احداثا ماضية واقعة ، وتعرض منها ما ترى عرضه ، ومن هنا كانت تسمية الاخبار التى جاء بها القرآن قصصا .

وقد استعمل القرآن الكريم الخبر، والنبأ بمعنى التحدث عن الماضى ، وما وقع فيه من احداث ، وان كان قد فرق بينهما فى المجال الذى استعملا فيه ، جريا على ما قام عليه النظم القرآنى من دقة واحكام واعجاز .. فاستعمل لفظ النبأ والانباء فى الاخبار عن الاحداث التى مضى الزمن بعيدا بها ، ولفها فى أطوائه ، حتى حجبها عن الانظار .. ومن ذلك قوله تعالى فى اصحاب الكهف : « نحن نقص عليك نبأهم بالحق » .. ومنه قوله تعالى فى شأن الامم الغابرة وما وقع فيها من مثلات : « ذلك من أنباء القرى .. نقصه عليك .. منها قائم وحصيد » ومنه قوله سبحانه فيما يقص على نبيه صلى الله عليه وسلم ، من قصص الاولين : « تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا .. » .

اما لفظ الخبر والاخبار ، فقد كثر استعماله فى القرآن الكريم للكشف عن الوقائع القريبة العهد بالوقوع ، أو التى لا تزال مشاهدها قائمة ماثلة للعيان .. ومن ذلك قوله تعالى مخاطبا المؤمنين : « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ، ونبلو اخباركم » .

واذ ننظر فى القصص القرآنى نجد انه يجيء بمادته كلها من الماضى البعيد ، الذى يطلق عليه لفظ نبأ ، اكثر مما يطلق عليه لفظ خبر .. وفى هذا يقول الله تعالى فيما يقص على النبى صلى الله عليه وسلم من أنباء الرسل عليهم الصلاة والسلام : « ولقد جاءك من نبأ المرسلين » أى من خبرهم ، ولكنه عدل عن لفظ خبر ، الى لفظ نبأ ، لما اشرنا اليه من تفرقة القرآن الكريم بين النبأ والخبر ، وان تقاربت مواردهما .

وأما الحكاية ، فمعناها فى اللغة محاكاة الشيء ونقله فى صورة مطابقة له ..

ويبدو من هذا أن لفظ الحكايةاقرب شيء الى معنى القصص .. اذ كان القصص هو نقل الخبر فى صورة مطابقة لما وقع عليه ، كما فى قوله تعالى : « فلما جاءه وقص عليه القصص » اى أن موسى حين التقى بشعيب قص عليه ما وقع له من الاحداث التى من أجلها خرج من مصر ، طالبا النجاة من الذين يريدون أن يقتلوه بالقتيل الذى قتله خطأ ..

ولكن القرآن الكريم لم يستخدم لفظ الحكاية فى الدلالة على قصصه ، كما انه لم يجعل لهذه اللفظة ومشتقاتها مكانا فيه ، فلم يرد فى القرآن الكريم لفظ حكى ، أو يحكى او حكاية ، أو محاكاة .. وما الى ذلك من مشتقات تلك اللفظة ..

وهذا أمر يدعو الى كثير من التأمل والتدبر ، للكشف عن أسرار هذا التدبير الحكيم ، الذى تقوم منه شواهد ناطقة بأن هذا القرآن من لدن حكيم عليم ، وأنه فوق قدر العالمين جميعا .

وحسبنا أن نشير هنا — فى ايجاز — الى سر من تلك الاسرار التى لا

تنتهى فى أبعاد لفظ (الحكاية) عن ساحة القرآن الكريم كله ، فى قصصه ، وفى غير قصصه .. وذلك أن الحكاية للشىء ، وان جاءت مطابقة له ، فى صدق وأمانة ، الا أنها — مع هذا — غير الاصل .. هذا من جهة .. ومن جهة أخرى ، فان حاكى الشىء غير منشىء لهذا الشىء ، بل هو مقلد ومحاك لمنشئه .. وتعالى الله جل شأنه أن يحكى عن غيره ، اذ كان كل شىء فى هذا الوجود ، هو فى ملك الله ، خلقا وأمرا ، والحاكى انما يحكى ما ليس له .. فتنزه جل شأنه أن يكون حاكيا لشىء ، وكل شىء حوله ..

وما فى القصص القرآنى ، وعرضه للاحداث الماضية ، ليس محاكاة لها ، ولا تمثيلا لشخوصها ومشاهدها ، وانما هو بعث لها ، واعادة لوجودها ، فى هذا النظم المعجز الذى ينقل الينا الماضى ، أو ينقلنا نحن اليه ، فنطالع وجوه الحياة فى زمانها ومكانها ، وفى تحركات أشخاصها وأحداثها .. تماما كما تبعث القدرة الالهية الموتى من القبور ، فيقومون بأشخاصهم ، وسماتهم على ما كانوا عليه فى الحياة الدنيا .. فهذا البعث ليس محاكاة للحياة الاولى ، وانما هو اعادة لها كما هى .. وكذلك الشأن فى القصص القرآنى .. انه ليس محاكاة للاحداث الماضية ، وانما هو اعادة لها من جديد كما هى : « كما بدأنا أول خلق نعيده » .. « فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة » .

وعلى هذا ، فان اطلاق لفظ القصص على أحداث الماضى التى ذكرها القرآن الكريم ، فيما يتصل بأنبياء الله وغيرهم هو أنسب لفظ ، وأعدل وأصدق اسم يدل على مسماه .. اذ أن قص اثر الشىء وتتبعه ، انما غايته هى الوقوف على ذات الشىء نفسه ، لا على صورته ، أو مايشبه صورته ، الأمر الذى جاء عليه القصص القرآنى ..

ونخلص من هذا الى القول بأن القصص القرآنى ، هو أنباء وأحداث تاريخية ، بعثها القرآن الكريم من مرقدها ، ونفض عنها غبار الزمن المتراكم عليها ، وأعادها الى الحياة مرة ،لم يتلبس بها شىء من الخيال ، ولم يدخل عليها شىء من غير الواقع ..

نقول هذا حتى لا يقع خلط بين القصص القرآنى ، وما يصطنعه الناس من قصص تاريخى ، أو خيالى ، فهذا كلام الله ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، وذاك من كلام البشر ، يختلط فيه الحق بالباطل ، والصدق بالكذب ، والواقع بالخيال .. وهذا أمر أوضح من أن يدل عليه فى القصص القرآنى ، الذى كان بمرصد من الباحثين والدارسين من غير المسلمين ، ليقعوا على خبر من أخباره أو حدث من أحداثه ، كشف عنه غبار الزمن ثم جاء على غير ما تحدث به القرآن ، فأعياهم ذلك ، وحملهم الحق الواضح فيه على أن يذعنوا له ، ويصححوا كثيرا من معارفهم على ضوء ما نطق به .

أما التكرار فى القصص القرآنى ، والذى كان ، ولا يزال مظنة تهمة للقرآن الكريم عند بعض المستشرقين، ومن تتلمذ عليهم من المستغربين — فذلك موضوع حديث تال ان شاء الله ، نكشف فيه عن هذا التكرار ، وأنه اعجاز قائم بذاته الى اعجاز القرآن الكريم كله ، آية آية ، وسورة سورة .. والله يقول الحق ، وهو يهدى السبيل ..

مائدة القارئ

التشهد

عن ابن عباس قال :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن وكان يقول :

التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله . سلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته . سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . أشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله .

التوكل

قال الغزالى : قد يظن أن معنى التوكل ترك الكسب بالبدن ، وترك التدبير بالقلب ، والسقوط على الأرض كالخرقة الملقاة ، وكاللحم على الوضم ، وهذا ظن الجهال ، فان ذلك حرام ، والشرع قد أثنى على المتوكلين فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظورات الدين بل انما يظهر تأثير التوكل فى حركة العبد وسعيه الى مقصده .

تعزية

عزى على بن أبى طالب رضى الله عنه الأشعث بن قيس عن ابنه فقال :

ان تحزن فقد استحقت ذلك منك الرحم ، وان تصبر ففى الله خلف من كل هالك ، مع أنك لو صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور ، وان جزعت جرى عليك القدر وأنت موزور . سرك الله وهو بلاء وفتنة ، وحزنك وهو ثواب ورحمة .

الرجال أربعة

قال الخليل بن أحمد : الرجال أربعة :

رجل يدرى ولا يدرى أنه يدرى ، فسلوه .

ورجل يدرى ، ولا يدرى أنه يدرى ، فذاك ناس ، فذكروه .

ورجل لا يدرى ، ويدرى انه لا يدرى ، فذاك مسترشد فعلموه .

ورجل لا يدرى ، ولا يدرى انه لا يدرى ، فذاك جاهل ، فارفضوه .

كتمان السر

قال تعالى اخبارا عن نبيه يعقوب حين أوصى يوسف ابنه :
« يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لـك كيدا » ..

ابو بكر الصديق بن ابى قحافة

اسمه : عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى القرشى التميمى .
مولده : بعد الفيل بسنتين وستة اشهر .
وفاته : يوم الاثنين/جمادى الاولى سنة ١٣ هـ ـ وهو ابن ٦٣ سنة .

عمر بن الخطاب

عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب القرشى العدوى ـ أبو حض أمير المؤمنين .
قيل ولد قبل المبعث النبوى بثلاثين سنة .

عثمان بن عفان

عثمان بن عفان بن أبى العاص ابن أمية بن عبد شمس القرشى الأموى .
مبايعة عثمان : السبت غرةمحرم سنة ٢٤ هـ .
وقتل على رأس ١١ سنة ، ١١ شهرا ، و ٢٢ يوما من خلافته ، مع اختلاف .
وقيل : قتل يوم الجمعة لـ ١٨ خلت من ذى الحجة بعد العصر ، ودفن ليلة السبت بين المغرب والعشاء فى حش كوكب كان عثمان اشتراه فوسع به البقيع وقتل وهو ابن ٨٢ سنة وأشهر على الصحيح المشهور .

على بن أبى طالب

على بن أبى طالب بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف القرشى الهاشمى .
أول الناس اسلاما فى قول كثير من أهل العلم .
ولد قبل البعثة بعشر سنين على الأصح .
تربى فى حجر النبى .
قتل فى ليلة ١٧ رمضان سنة ٤٠ هـ
مدة خلافته ٥ سنوات الا ٣ أشهر ونصف شهر .

[illegible]

قال الأصمعى : أول العلم الصمت والثانى الاستماع ، والثالث الحفظ ، والرابع العمل ، والخامس النشر .

[illegible]

- البخيل انسان يعيش فقيرا ويموت غنيا .
- كل شىء اذا كثر قلت قيمته الا العلم .
- المقابر مليئة بأناس خالوا الدنيا لا تدوم بدونهم .

التزام الدولة الإسلامية بأرزاق الناس في خلافة عمر بن الخطاب

– ١ –

تقـــديم :

منذ نشأة العمران البشرى وحتى يومنا هذا لم يخل وجـــه الأرض من الصراع بين العقائد والمبادىء والنظم والأفكـــار ، وقد شـــمل هـــذا الصراع كل مجالات الحيـــاة البشرية فى الحرب والسياسة والاقتصـــاد والفكر ، بالسيف والمدفع والكلمـــة والذهب ، بالتضحية والفداء والصدق والخـــداع والمغالطـــة والتشـــويه والاغـــراء .. بكل مـــا يمكـــن أن يستخدمه الانسان لنصرة المبـــدأ أو النظام أو المعتقد أو الفكرة . وهـــذا الصراع الدائم المتتابع سنة من سنن الله فى الكون ، قال تعالى : (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين . الا من رحم ربك ولذلك خلقهم) وقد أوجب الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وســـلم وعلى المؤمنين به إزاء هذا الاختلاف وما يتبعه من صراع أن يدعـــوا الى سبيل الله بكل الوسائل الميسرة لهم وأن يعملوا على مكانتهم لنصر كلمـــة الله حيث قال لرسوله صـــلى الله عليـــه وسلم بعـــد ذلك (وقل للذين لا يؤمنون اعمـــلوا على مكانتكم إنـــا عاملون . وانتظروا إنا منتظرون) .

على أن التقدم العلمى وما حققه للانسان المعاصر من سهولة الاتصال وسرعة نقل الأفكار والمبادىء وبثها فى أنحـــاء الأرض بوسائل مختلفـــة بالغة السرعة والتأثير ــ بصرف النظر عن خطها الحقيقى من الصـــدق ــ قـــد أججت هـــذا الصراع وحمـــلت الكثيرين من دعاة مختلف النظم الى



للدكتور محمد بلتاجى

إظهار نظمهم وصياغتها فى صورة دعائية تكسب بها الأنصار والمعتنقين من شتى أنحاء العالم بالكلمة المطبوعة والمسموعة والصورة والتمثيلية وغيرها من الفنون التى تستغل بطريق مباشر أو بصورة ضمنية مستترة موحية لخدمة فكرة والتبشير بها فى كل مكان . وكثيرا ما يكون النجاح فى هذه المهمة نتيجة لحسن العرض والحذق فيه ودراسة نفوس الناس ومسايرة بعض أهوائهم ، والدخول اليهم من الطرق التى تفتح مغاليق قلوبهم ، بصرف النظر فى هذا كله عن الحق الخالص والصدق الصريح . بل كثيرا ما يكون عرض الحق والصدق فى ذاتهما ضارا بالقضية التى يدعون اليها .

وفى خضم هذا المعترك ينبغى على علماء الاسلام ودعاته المتصدين للحديث باسمه فى مختلف المجالات أن يبذلوا أقصى ما يستطيعونه من جهد فى تجلية مبادئه الحقيقية فى صورة ميسرة للناس جميعا ، وأن يتصدوا لصياغة تلك الجوانب التى يهتم بها الانسان المعاصر اهتماما كبيرا ويعتبرها مقاييسه الأساسية التى يعيش بها جودة النظريات ورداءتها ، والتى تهتم النظم المتصارعة كلها بأن تأخذ منها موقفا معينا تجليه للناس وتحسنه وتظهره لهم فى أحسن صورة تكشف فيها عن الجوانب المضيئة البراقة التى يمكن أن تجتذب الناس أو طوائف منهم .

والاسلام متين كعقيدة وكشريعة ، وليس فيه أسرار كهنوتية مستورة عن غير الخاصة ، وهو كلمة اللـه

الواضحة الاخيرة الى الناس ، وهو أصلح نظام يمكن أن يطبق بين الناس بيد أن هذا كله يجب أن يصاغ للناس حميما فى صورة تخاطبهم بأسلوب عصرهم وتقارن لهم مبادئه ونظمه المنزلة بذلك السيل من المبادىء والنظم والأفكار الأخرى التى يتعرضون لدعاياتها الموجهة بإحكام وتدبير فى كل لحظة بغية صرفهم عن كلمة الله عن طريق الكلمة المطبوعة والمسموعة وعن طريق الصورة وغيرها من شتى السبل والفنون التى تتخذها المبادىء لبث دعاياتها وأفكارها بطريق مباشر وغير مباشر . وهذه الصياغة هى بالنسبة للمسلمين القادرين عليها واجب دينى وأمانة يسألون عنها يوم الدين .

— ٢ —

وإذا كانت (الكفاية الاقتصادية التى تحققها الدولة لمواطنيها) تمثل أحد المقاييس الرئيسية المعاصرة التى تقاس بها جودة النظام الذى تحكم به الدولة أو رداءته — فاننا نقدم فى الصفحات القليلة التالية نموذجا من نتائج التطبيق الاقتصادى لمبادىء التشريع الاسلامى ما لم يتحقق مثله — ولا ما يقاربه — فى أى عصر آخر من عصور التاريخ البشرى باطلاق وحتى عصرنا الحاضر ، وذلك على اختلاف النظريات والنظم الوضعية التى تداولها العالم ولا يزال يتداولها وسنرى أيضا أن ما حققه عمر بن الخطاب حين طبق التشريع الاسلامى فى صدق ودقة وعبقرية ما يزال حلما من أحلام البشرية حلم بعض المفكرين المثاليين بتحقيقه فى صور خيالية بعيدة عن أوضاع الواقع ومتطلباته أما عمر فقد حققه فعلا .

روى عن عمر بن الخطاب انه قال حين قدم عليه أحد عماله بأموال كثيرة من فىء المسلمين : « والله الذى لا إله الا هو ما أحد إلا وله فى هذا المال حق .. وليؤتين الراعى نصيبه من هذا المال وهو بجبل صنعاء ودمه فى وجهه » . وكان عمر يعلم يقينا أن هذه الاموال حق للناس جميعا ، فليست له أو لآله خاصة ، أو لفئة معينة من الناس . يروى ابن سعد أن عمر لما كتب الى حديفة عامله : « أن اعط الناس أعطيتهم وأرزاقهم » فكتب اليه حذيفة : « إنا قد فعلنا وبقى شىء كثير » — كتب اليه عمر : « إنه فيؤهم الذى أفاء الله عليهم ، ليس هو لعمر ، ولا لآل عمر .. اقسمه بينهم » .

وقد أجمعت الروايات التاريخية على أن عمر عمل طوال خلافته بهذا المبدأ ، فكفل بذلك رزق كل فرد من الناس فى الدولة الاسلامية مما لم يشهد له التاريخ البشرى مثيلا منقبل أو من بعد . وحين أمر بانشاء ديوان الاموال أمر باتخاذ دفاتر يكتب فيها اسم كل مولود ، ذكر أو انثى ، وفرض له مائة درهم ، وجريبين من الطعام فى كل شهر ، تدفع لأهله . لا فرق بين أن يكونوا محتاجين اليها أو أغنياء عنها ، فهو انما كان يفرض للمولود لا لأهله . وفى أول الامر لم يكن يفرض للوليد حتى يفطم ، ثم حدثما جعله يفرض له من يوم ولادته فقد قدمت الى المدينة قافلة من التجار فنزلوا المصلى ، فقال عمر لعبدالرحمن ابن عوف : هل لك أن تحرسهم الليلة من السرق ؟ فباتا يحرسانهم ويصليان فسمع عمر بكاء صبى ، فتوجه نحوه وقال لأمه : اتقى الله وأحسنى الى صبيك ، ثم عاد الى مكانه ، فسمع بكاءه ، فعاد الى أمه فقال لها مثل

ذلك ، فلما كان فى آخر الليل سمع بكاءه ، فأتى أمه فقال : ويحك ، إنى لأراك أم سوء ، مالى أرى ابنك لا يقر منذ الليلة ؟ فقالت : يا عبد الله — وهى لا تعرفه — قد أرقنى منذ الليلة ، انى أريغه عن الفطام فيأبى، قال : ولم ؟ قالت : لأن عمر لا يفرض الا الفطم ، قال : وكيف له ؟ — يسأل عن عمر الصبى — قالت : كذا وكذا شهرا ، قال : ويحك ، لا تعجليه . فصلى الفجر وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء ، فلما سلم قال : يا بؤسا لعمر ، كم قتل من أولاد المسلمين ، ثم أمر مناديا فنادى: ألا لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام ، فأنا نفرض لكل مولود فى الاسلام .

ولم يكن عمر يفرق فى هذا العطاء بين المواليد الشرعيين واللقطاء ، لأنه كان « اذا أتى باللقيط فرض له مائة درهم ، وفرض له رزقا يأخذه وليه كل شهر بقدر ما يصلحه ، ثم ينقله من سنة الى سنة . وكان يوصى بهم خيرا ، ويجعل نفقتهم من بيت المال » وعلى هذا يمكننا القول بأن عناية عمر باللقطاء كانت أكبر من عنايته بالاولاد الشرعيين الذين يعيشون فى كنف آبائهم ورعايتهم ، أما اللقطاء فان عمر ولى وأب لمن لا اب له . ومن البدهى انه قد نص على أن اللقيط حر ، تجب معاملته كسائر الأحرار .

ثم ان الطفل اذا نما وأصبح صبيا زاد عمر عطاءه الى مائتى درهم . فاذا بلغ زاده الى خمسمائة أو ستمائة . وكان عمر يصدر فى هذا العطاء من الفكرة التى أعلنها فيما سبق وهى أن أموال بيت المال ملك لجميع الناس ، فلكل فيها حق يجب أن يصله بما يكفيه ويعف نفسه .

ولم يكن هذا الرجل العظيم يرى أن مسئوليته المالية إزاء الناس تنتهى بايصال عطائهم اليهم ، انما كان يرى انه مسئول عن توجيههم الى صرف هذا العطاء فيما ينفعهم ، فكان يشغل نفسه بالتفكير فى مستقبل الناس بعده ، فكأنه لم يكتف بتأمين حاضرهم حتى شغل نفسه بتأمين مستقبلهم بعده ، يروى ابن سعد والبلاذرى أن خالد بن عرفطة العذرى قدم على عمر ، فسأله عما وراءه ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، تركت من ورائى يسألون الله أن يزيد فى عمرك من عمرهم ، ما وطىء أحد القادسية الا عطاؤه الفان او خمس عشرة مائة ، وما من مولود يولد الا الحق على مائة وجريبين كل شهر ، ذكرا كان او أنثى ، وما يبلغ لنا ذكر الا الحق على خمسمائة أو ستمائة . فاذا خرج هذا لاهل بيت منهم من يأكل الطعام ومنهم من لا يأكل الطعام ، فما ظنك به ؟ فانه لينفقه فيما ينبغى وفيما لا ينبغى .

قال عمر : فالله المستعان ، انما هو حقهم أعطوه ، وأنا أسعد بأدائه اليهم منهم بأخذه ، فلا تحمدنى عليه ، فانه لو كان من مال الخطاب ما اعطيتموه ، ولكنى قد علمت أن فيه فضلا ، ولا ينبغى أن احبسه عنهم ، فلو انه اذا خرج عطاء احد هؤلاء العريب ابتاع منه غنما ، فجعلها بسوادهم ، ثم اذا خرج العطاء الثانية ابتاع الرأس فجعله فيها ، فانى — ويحك يا خالد بن عرفطة — اخاف عليكم ان يليكم بعدى ولاة لا يعد العطاء فى زمانهم مالا ، فاذا بقى احد منهم او احد من ولده كان لهم شىء قد اعتقدوه فيتكئون عليه . فان نصيحتى لك — وأنت عندى جالس — كنصيحتى لمن هو بأقصى ثغر من ثغور المسلمين وذلك لما طوقنى الله من أمرهم . قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مات غاشا لرعيته لم يرح رائحة الجنة » .

وعلى ضوء هذا نستطيع أن نفهم ما روى من ان عمر كان فى سفر ، فلما كان قريبا من الروحاء ، سمع صوت راع فى جبل ، فحول الركاب اليه ، فلما دنا منه صاح : يا راعى الغنم ، فأجابه الراعى ، فقال له عمر : انى قد مررت بمكان هو اخصب من مكانك ، وان كل راع مسئول عن رعيته . ثم عدل صدور الركاب الى طريقه بعد أن أرشد الراعى الى المكان الاكثر خصبا . وفى كلمة واحدة كان عمر يرى أنه مسئول عن كل ما يصيب الانسان أو الحيوان داخل الدولة الاسلامية . أليس هو القائل : لو مات جمل ضياعا على شط الفرات لخشيت أن يسألنى الله عنه . فاذا كان عمر يعد نفسه مسئولا عن كفالة الطعام للحيوان حتى لا يموت ضياعا ، فان فرضه العطاء لجميع الناس كان نابعا عن تقديره لهذه المسئولية والتزامه بها .

وقد أسلفنا أن العطاء فى عهد عمر لم يقتصر على الاموال النقدية ، حيث يروى أنه أمر بجريب من طعام فعجن ، ثم خبز ، ثم برد بزيت ، ودعا ثلاثين رجلا فأكلوا منه غذاءهم حتى شبعوا ، ثم فعل بالعشى مثل ذلك ، وقال : يكفى الرجل جريبان كل شهر فكان يرزق الناس ، الرجل والمرأة والمملوك جريبين كل شهر ، وقد سبق أنه جعل للاطفال مثل ذلك . فكان الرجل اذا أراد أن يدعو على صاحبه قال له : قطع الله عنك جريبك !

ويروى أبو عبيد وغيره أن عمر قال — وقد أخذ المدى بيد والقسط بيد ، وهما مكيالان عربيان — : انى قد فرضت لكل نفس مسلمة فى كل شهر مدى حنطة وقسطى خل وقسطى زيت . فقال رجل : والعبيد ؟ قال عمر : نعم ، والعبيد . ثم انه صعد المنبر فحمد الله ثم قال : انا اجرينا عليكم اعطياتكم وارزاقكم فى كل شهر — وفى يديه المدى والقسط — فحركها ، ثم قال : فمن انتقصهم فعل الله به كذا وكذا (ودعا عليه) . ومن ثم كان أبو الدرداء يقول « رب سنة راشدة مهدية قد سنها عمر فى أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم منها المديان والقسطان »

لم يكتف عمر إذن بما فرضه للناس من أموال نقدية ، ففرض لكل منهم نصيبا من الخبز والزيت والخل يأخذه كل شهر ، لا فرق فى ذلك بين الرجل والمرأة ، والحر والمملوك ، والكبير والصغير . ومن ثم لم يفرق عمر فى هذا العطاء بين البشر على أساس الوضع الاجتماعى من حيث الحرية والرق ، لانه كان يرى الرق وضعا اجتماعيا مؤقتا ، وأن حاجة المملوك المادية — من حيث هو انسان — لا فرق بينها وبين حاجة مالكه . وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باطعام المملوك مما يطعم منه مالكه ، وفرض للارقاء من الغنيمة فى حياته . الا أن الوضع الاجتماعى الذى يقصد به الدوام والاستمرار ويؤثر فى حاجة الانسان المادية — كان له وزن عند عمر فى العطاء ، فقد كان يعطى المتزوج ضعف نصيب العزب لأن حاجته أكبر .

وتظهر عبقرية عمر وعظمته الانسانية النابعة من تفهمه العميق لروح الاسلام وتشريعه الذى يطبقه فى أنه لم يفرق بين العربى وغيره من الأجناس الاخرى فى العطاء أو غيره ومن ثم لم يعرف عمر التعصب للجنس أو اللون . وكان هذا منه اتباعا لروح

التشريع الاسلامى ونصوصه العامه والخاصة التى لا تميز بين الناس على أى أساس عنصرى ، ولا تعرف فكرة التعصب الجنسى ، ولا تقر سيادة قومية معينة ، انما يتفاضل الناس فيها بتقوى الله وحدها ، يروى أبو عبيد أن عمر حين فرض للناس ساوى بين العرب والموالى ، ثم كتب الى أمراء الأجناد : « ومن أعتقتم من الحمراء فأسلموا فألحقوهم بمواليهم لهم ما لهم وعليهم وما عليهم . وان احبوا أن يكونوا قبيلة وحدهم فاجعلوهم أسوتكم فى العطاء والمعروف » . ولما قدم قوم على أحد ولاته فأعطى العرب وترك الموالى ، كتب اليه عمر : « أما بعد ، فبحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، ألا سويت بينهم » .

ولم يفرق عمر بين الناس فى العطاء على أساس وضعهم الجغرافى ومكان اقامتهم ، ومن ثم لم يقتصر على المقيمين فى المدن والتجمعات الكبيرة وانما كتب أهل العوالى وعيالهم وعمالهم ، ثم فرض لهم .

وقد كان الامر يصل بهذا الرجل العظيم الى أن يحمل بنفسه ديوان قبيلة خزاعة ، حتى ينزل به قديدا ، فيجتمع الناس عليه « فلا يغيب عنه امرأة بكر ولا ثيب ، فيعطيهن فى أيديهن ، ثم يروح فينزل عسفان فيفعل مثل ذلك .. حتى توفى » .

وفى مثل هذا المجتمع لا يسرق السارق عن جوع ، انما عن اعتداء وظلم كبير ، ولا يتاح للاضطرار المادى أدنى مجال فى أن تبيع المرأة عرضها بالمال ، أو أن يموت الاطفال الذين لا عائل لهم ضياعا .

واذا كانت النزعة الانسانية العامة عند عمر — فى تطبيقه للتشريع الاسلامى ، لم تفرق فى العطاء بين الناس على أساس الجنس ، أو السن ، أو الرق ، أو الحرية ، أو الوضع الجغرافى — فهل فرقت بينهم على أساس العقيدة ؟

يروى أبو يوسف أن عمر « مر بباب قوم وعليه سائل يسأل ، شيخ كبير ضرير البصر ، فضرب عضده من خلفه وقال : من أى أهل الكتاب أنت ؟ قال : يهودى . قال : فما ألجأك الى ما أرى ؟ قال : أسأل الجزية والحاجة والسن . فأخذ عمر بيده ، وذهب به الى منزله ، فرضخ له بشىء من المنزل ثم أرسل الى خازن بيت المال فقال : أنظر هذا وضرباءه ، فوالله ما أنصفناه ان أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم . انما الصدقات للفقراء والمساكين ، وهذا من المساكين من أهل الكتاب . ووضع عنه الجزية وعن ضربائه » .

ويروى البلاذرى أن عمر « مر عند مقدمة الجابية — من أرض الشام — بقوم مجذومين من النصارى ، فأمر أن يعطوا من الصدقات ، وأن يجرى عليهم القوت » .

فعمر كان يرى أن الصدقات التى يزكى بها المسلمون ما لهم ينبغى أن تدفع فى مصارفها الخاصة كما ذكرها القرآن ، ومنها سهم المساكين . وقد كان يرى أن المسكين هو الذى لا يقدر على كسب ما يكفيه ، لا فرق بين مسلم وغيره . أوليس انسانا يستوى فى حاجاته المادية مع سائر الناس ؟ وكيف يكون عمر مسئولا عن موت جمل بشط الفرات ضياعا ، ولا يكون مسئولا عن انسان من رعيته ، أو ليس التشريع الاسلامى قد حصن على مطلق الانفاق على الناس بصرف النظر عن عقائدهم ؟

يروى أبو عبيد عن ابن عباس قال كان ناس لهم انسباء وقرابة من قريظة والنضير ، فكانوا يتقون أن يتصدقوا عليهم ويريدونهم على الاسلام ،

نزلت آية : ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وأنتم لا تظلمون ! . وعن سعيد ابن المسيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تصدق بصدقة على أهل بيت من اليهود فهى تجرى عليهم .

وقد تصدقت صفية زوجه (صلى الله عليه وسلم) على ذوى قرابة لها ، يهوديين . فبلغت صدقتها ثلاثين ألف درهم . وقال ابن جريج فى قوله تعالى : (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا) « لم يكن الأسير يومئذ الا من المشركين » . قال أبو عبيد : « يريد أن الله تبارك وتعالى قد حمد على اطعام المشركين » .

فعمر بن الخطاب فى فرضه العطاء المنتظم لغير المسلمين من مواطنى الدولة الاسلامية انما كان يصدر عن أساس من أسس التشريع الإسلامى ومبدأ من مبادئه العامة ، وهو الانفاق المطلق . ولا بأس بعد ذلك ألا نجد نصا خاصا فى القرآن أو السنة فى طريقة اجراء القوت عليهم وكتابتهم فى الديوان . فانما كان الديوان وتنظيم العطاء من المستحدثات فى عهد عمر .

ويبدو من قصة عمر مع الشيخ اليهودى أنه لم يكن يرى فى التسول مصدرا مشروعا للكسب . وكان — فى موقفه هذا — يصدر عن كراهية أصيلة فى التشريع الاسلامى للتسول ، باعتباره أمرا مهينا للكرامة البشرية . ولا يتسع المجال هنا لتفصيل القول فى هذا .

.. .وبعد . هل بقيت فئة من الناس لم تلتزم الدولة الاسلامية فى خلافة عمر بأرزاقها ؟ اللقطاء ، والأرقاء ، والمواليد ، والغلمان ، وأهل ذمة الله ورسوله من اليهود والنصارى ، وأهل العوالى من الرجال والنساء .. بعد هذا كله نستطيع أن نقول ان الدولةالاسلامية عرفت فى خلافة عمر بن الخطاب نوعا من الكفالة والضمان والأمان والكفاية لم تعرفه البشرية فى غيرها حتى عصرنا الحاضر وبالقياس الى كل ما عرفته من نظم ودول .

يقول الدكتور طه حسين بحق عن هذا العصر : « فأما أن تكفل الدولة رزق المسلمين جميعا على هذا النحو فلسنا نعرفه فى التاريخ القديم ، وما أظن أن الحضارة الحديثة قد وفقت اليه . وكل ما وصلت اليه الحضارة الحديثة فى بعض البلاد ، وصلت اليه بآخرة . انما هو التأمين الاجتماعى الذى تؤخذ نفقاته من الناس لترد عليهم بعد ذلك ، حين يحتاجون فى بعض الامر الى العلاج حين يمرضون والى كفالة الحياة للشيوخ والضعفاء والعاجزين عن العمل لكسب القوت ، وتأمين العمال من اخطار العمل ، وتأمين الذين يخدمون الدولة والهيئة الاجتماعية على رزقهم حين تنقضى خدمتهم . فأما أن يكون لكل فرد من افراد الأمة نصيب مقسوم من خزانة الدولة فشىء لم يعرف الا منذ عمر » .

ولا نظن أن أحدا يستطيع أن يرمى الدكتور طه حسين بالتعصب العاطفى للاسلام وما يتصل به . فقد كان هنا يصدر وثائق تاريخية ثابتة عرضنا فى الصفحات السابقة لشىء منها .

على هامش
المؤتمر العالمي
لزرع الأعضاء

المؤتمر يبحث

- شرعيّة إعطاء أو بيع أحد الأعضاء الزوجية من إنسان حيّ إلى آخر
- شرعيّة أخذ الأعضاء الفرديّة من إنسان ميّت إلى آخر حيّ
- ملكيّة الجثة بعد الموت .. وأهمية وصيّة المتوفّى

للدكتور : محمد حسن محمود سعيد

لا يزال العالم يعيش فى نشوة أثر انتصاره بتحقيق ذلك الحلم وهو الوصول الى القمر .. وقد كان الدكتور (دادا) أشهر جراحى القلب فى بلاده ومبتكر الصمام الأورطى الصناعى محقا عندما صرح فى احدى الصحف بقوله : **(إن اعظم ما حققه الانسان علميا فى هذا القرن ، هو الوصول الى القمر وزرع قلب شخص فى صدر شخص آخر)** . وأنا هنا لا أريد أن أبحث فى الوصول الى القمر فقد رأى العالم بأم عينيه ذلك واختصاصيو هذا الميدان أحق منى بالحديث ، وأنا أود أن أطرق الموضوع الآخر وهو زرع القلب .

بصفتى طبيب أولا ، رأيت عن كثب بل وشاركت فى عمليات كثيرة وناجحة أجريت على الكلاب فى مستشفى الـ Conceqclon بمدريد .

وثانيا : انى كنت ممن أتيحت لهم الفرصة للمشاركة فى اول مؤتمر عالمى يمثل سبع عشرة دولة لا للبحث فى زرع القلب وحده ، بل فى زرع الأعضاء الاخرى الرئتين ، الكليتين ، الجهاز الهضمى ، العصبى ، وحتى الاعضاء التناسلية ، ولم يكن الحضور مقصورا على أساطين الطب فى العالم كل فى اختصاصه بل حضره المشرعون ورجال القانون ، والاطباء الشرعيون ورجال الأديان ممثلة باختصاصيين عنها فى هذا الميدان .

تنظيم المؤتمر :

اما منظم المؤتمر باسم الحكومة الاسبانية فهو المركيز الدكتور مارتينيث Martinez الصهر الأوحد لرئيس الدولة الاسبانية فرانكو واول من قام بعملية زرع القلب في اسبانيا . كان افتتاح المؤتمر بحضور رئيس الدولة الاسبانية وحضور كافة الوزراء ورجال الدولة ورؤساء الكنيسة .. وهذا ما يؤكد اهميته وخاصة اذا ألقينا نظرة على من حضره من المندوبين الرسميين ، والذين يزيدون على المائتين ، واضعاف مضاعفة حضروا المؤتمر كمستمعين أو مراقبين . وقد انشغلت الصحافة الاسبانية بكاملها طيلة تلك الأيام بنقل دقائق المؤتمر وقراراته ، وانا فى هذا التقرير البسيط سأحاول تلخيص ما دار به والتأكيد على بعض النقاط التى اثارت اهتمامى كعربى مسلم وجعلتنى أكتب حول هذا المؤتمر .

الاختصاصات التى وجهت اليها الدعوة :

قسم المؤتمر الى الأقسام التالية :

اولا ــ قسم القلب وكان عدد الرسميين المدعوين اليه سبعة وعشرين على راسهم برنارد Barnard . C وقد حضر معه المريض الشرطى Smith الذى زرع له القلب وهو فى حالة جيدة وكذلك Houston Cooley وفشينسكى **Vishneski** من روسيا ، وروس Ross من لندن ودوبست Dubost من فرنسا ومريضه الذى زرع له القلب منذ اكثر من سنة الراهب Boulogne والدكتور Wade اليابانى وحتى ليفى من فلسطين المحتلة وغيرهم .

ثانيا ــ قسم الكليتين وكان عدد المندوبين الرسميين أربعة وعشرين على راسهم دوسيت Dausset الطبيب الفرنسى العالمى المختص بمعامل صنع Sueros التى تقاوم رفض الجسم للعضو المزروع والاسبانى المشهور رئيس نقابة امراض الكليتين Hernando وكذلك الاسبانى الفارس Alferez و الفرنسى و Penn و Danielson الامريكيين وغيرهم .

ثالثا ــ قسم الرئتين وعدد الرسميين من المندوبين فيه عشرون على راسهم Derom البلجيكى وفكرى اليكان الأمريكى من أصل تركى و Trapeznikov الروسى وغيرهم ..

رابعا ــ قسم الجهاز الهضمى بأنواعه المعدة والبنكرياس ، الامعاء ، الكبد ، فكانوا اثنين وعشرين ، على راسهم Clane من لندن و Lillehil من نيويورك ومورينو Moreno و Banet الاسبانيين وغيرهم ..

خامسا ـ قسم Inmunology فكان عدد الرسميين واحدا وعشرين على رأسهم Parra الاسبانى و Van Bekkum الهولندى و Mathe الفرنسى و Rapaport الامريكى وغيرهم .

سادسا ـ أما قسم الأمراض العصبية وجراحتها وتخطيط المخ فكان على رأسهم الجراحان العالميان Schwab و Silverman. الامريكيان و Arfel الفرنسى و Obrador الاسبانى وغيرهم .

سابعا ـ أما قسم الطب الشرعى فكان عدد الرسميين ثمانية وعشرين على رأسهم Spann الالمانى Chivdi الايطالى Matera الارجنتينى و Gisbert الاسبانى وغيرهم .

ثامنا ـ قسم التشريع القانونى فكان عدد الممثلين اثنى عشر محلفا وقاضيا ومحاميا عينوا من قبل وزير العدلية لبحث أمور زرع الأعضاء واستنباط تشريع قانونى وحتى يؤخذ رأى الاديان فقد وجهت الدعـــوة الى ممثلين عنها ، فكان عن الكاثوليك مجموعة كبيرة من علماء اللاهوت عندهم على رأسهم Fuchs من روما والراهب الذى زرع له القلب من فرنسا و Cuyas و Higuera .. وغيرهم من اسقانيا وكـــذلك ممثلون عن الارثوذكس والبروتستانت .. وعن الديانـــة اليهودية حاخام مدريد الشاب المغربى الجنسية والذى كان والده وزيرا للبريد فى احدى الوزارات المغربية ، وهو على قدر كبير من النشاط والدهاء واسمه Garzon Serfaty والحاخام الأكبر لمدينة تل أبيب من فلسطين المحتلة بالذات وهو Rabinonritz

واما عن المسلمين فعلى ما يظهر فالحكومة الاسبانيـــة وجهت دعوة الى المغرب لارسال علماء يمثلون وجهة نظر الاسلام وقد حضر اثنان من أســـاتذة كلية الشريعة وأصول الدين هناك .

تقسيم المؤتمر الى لجان وأهمية اللجنة الدينية :

قسم المؤتمر الى لجان مختلفـــة حسب التقسيم الذى ذكرته بحيث ان كل لجنة تجتمع على انفراد .. لمناقشة الأمور المعروضة على بساط البحث لاصدار قرار بشأنها مع أن هنالك لجانا عدة كانت على اتصال فيما بينها فمثلا اللجنـــة الدينية كانت على اتصال مباشر بالطب الشرعى وبعض اللجان الأخرى .. وقد حدد يوم لاجتماع كل المؤتمرين وقراءة القرارات والنتائج النهائية التى توصلت اليها كل لجنة .

لقد كانت الأنظار وحب الاستطلاع متجها الى رجال الدين .. وخاصة لعامة الشعب الذى لا يفقه كثيرا من أمور الزرع المعقدة ، بل يهمه أن يعلم رأى الدين فى ذلك ، هذا اذا أخذنا بعين الاعتبار مقدار تدين الشعب الاسبانى وتقيده الى حد كبير بتعاليم الكنيسة ويكفى أن أذكر مثالا على ذلك أنه عندما أصدر البابا قراره ضد حبوب منع الحمل فقد اختفت من الأسواق والمعامل وأصبح الحصول عليها من أصعب الأمور بعد أن كان شيئا عاديا .. وكذلك كان الاطباء فى شوق لمعرفة رأى الأديان حتى تكون لهم الحرية وراحة الضمير فى مثل هذه الأمور .

الاتصال بالمندوبين المسلمين والأسئلة المعروضة للبحث :

وعلى ضوء ما تقدم وبسبب الأهمية الكبرى لرأى الأديان كان لا بد لليوم السابق للاجتماع من الاتصال بالمندوبين المغاربة لمعرفة آرائهم حول المواضيع المعروضة للبحث وخاصة أنهم فى نظر المؤتمرين يمثلون الاسلام ، وان كان ما يقولونه سينشر حرفيا فى الصحافة ، ويلقى على المؤتمر ، ويترجم الى اللغات المختلفة ويحمله المؤتمرون الى بلادهم . وقد كانت دهشتى كبيرة عندما علمت أن أحد الأخوة ابلغ بالتهيأ لحضور المؤتمر فى اليوم السابق على وصوله الى مدريد ، وبيومين أو ثلاثة من بدء المؤتمر ، واما الآخر فلا ادرى الظروف الخاصة به .. هذا مع العلم أن الدعوة أرسلت منذ اكثر من شهرين على بدء المؤتمر كما أخبر منظموه . وان الاخوة وان كانوا على اطلاع كاف فيما يخص الشريعة الاسلامية ، الا أن هناك دقائق وأمورا طبية كان لا بد من دراستها ومعرفة ظروفها حتى يستطيع العالم المسلم قول كلمة الدين فيها .. ومؤتمر ماليزيا الذى عقد من مدة قد بحث أمور زرع القلب بشكل مجمل ، ولكن ممثلى الأديان فى هذا المؤتمر كان عليهم أن يجيبوا على الأسئلة المذكورة أدناه ، وقد شاء الله أن أنضم الى الوفد المذكور لابداء الرأى وتوضيح الأمور الطبية والمناقشة والبحث ، واما الأسئلة فهى كما يلى :

١ — شرعية اعطاء أو بيع احد الأعضاء الزوجية (الرئتين ، الكليتين) من انسان حى الى آخر .
٢ — شرعية أخذ الأعضاء الفردية (القلب ، الكبد) من انسان ميت الى آخر حى .
٣ — ملكية الجثة بعد الموت . واهمية وصية المتوفى اذا وجدت .
٤ — الموافقة أو عدمها على اعلان الموت من قبل المختصين من الأطباء .
٥ — احترام الآراء الدينية التى تخالف عملية الزرع .
٦ — امكانية الزرع جزئيا أو كليا للشخص الحى كعملية تجريبية اكثر منها علاجية .
٧ — كيفية معاملة الأشخاص الذين هم فى غيبوبة (Descerebrados) أى أن جهازهم العصبى المخ قد مات مع أن اجزاءهم الأخرى كالقلب والرئتين الخ لا زالت حية (وطبعا هؤلاء الأشخاص لا يؤمل شفاؤهم بسبب موت الجهاز العصبى المركزى) .
٨ — البحث بامكانية زرع المخ كليا أو جزئيا ، وكذلك بحث امكانية زرع المبيضين عند المراة او الخصيتين عند الرجل .

راى الأديان :

وقد بدا ممثلو الديانات المختلفة بالقاء كلماتهم ويمكن تلخيصها فيما يلى :

اولا — المسيحيون واليهود سمحوا باعطاء احد الأعضاء الزوجية من انسان حى الى آخر حى دون تحفظ ، وبخصوص البيع فقد اعلن اليهود انهم يقرون ذلك وان عملية البيع فى حد ذاتها ليست مشكلة وانما هو شيء شخصى يهم البائع نفسه . واما المسيحيون فقد تضاربت آراؤهم ، ولكن الراى القائل بجواز البيع

قد رجح وان كانوا قد وضعوا بعض التحفظات ، ولا زلت اذكر أن احد علمائهم الكبار فى اللاهوت قال : ما يعطى يمكن أن يباع . وقد أخبر أحدهم كذلك بأنه اذا لم يسمح بالبيع العلنى ، فسيكون هناك بيع سرى كالسوق السوداء وقارن ذلك بالبلدان التى لا تسمح بافتتاح بيوت الدعارة ..

وأما رأينا نحن فقد كان صريحا واضحا وهو أن حياة الانسان ليست ملكا له وحده ، بل هى لله وملكا لمجتمعه ، فلا يجوز أن يتصرف بجسمه على هواه اذا كان فيه الحاق ضرر كبير .. وقد ضربنا مثالا على ذلك بالمنتحر الذى هو فى نظر الاسلام مخطىء يعاقب فى الدنيا وهو فى الآخرة فى النار .. وهكذا رأينا أن تؤخذ هذه الاحتياطات بعين الاعتبار من قبل الطبيب عندما يسمح بنقل عضـــو زوجى من حى الى حى .

وأما عن البيع فقد أجبنا بأن جسم الانسان لا يقدر بثمن فى نظر الاسلام وأن هذا البيع هو أمر تشمئز منه الشريعة الاسلامية وتقاومه . وقد رددنا على الأب الذى طالب بالسماح له خوفا من السوق السوداء وتشبيهه ذلك بالســـماح فى بعض الدول لافتتاح بيوت الدعارة .. بأن هذا قول مردود ، فالاســـلام لا يقاوم الشر بالشر ، وخوفا من الزنا وانتشاره السرى لا يمكنه أن يقبل بافتتـــاح بيوت له ، لان ذلك محرم . وقد كان لرأينا الصريح بعدم جواز البيع ضجة كبيرة حيث أنه أيدنا أكثر من فى المؤتمر وأهم من دافع عن عدم جواز البيع هو الطبيب العالمى الفرنسى Dauset وزوجته حتى أنه طالب بتحريم بيع الدم وأخبر أنه ممنوع فى فرنسا ، وأن الاعطاء هو عملية اختيارية من الاشخاص الصحيحى الجسم وتحريم هذه العملية هو الاحتياط حتى لا يلحق الانسان الأذى بنفسه فى سبيل الحصول على منفعة مادية ، وأذكر أنه فى احدى الجلسات وعندما رفضت الجوانب الأخرى الأخذ برأيه انسحب غاضبا ، وكان يود أن يترك المؤتمر ويغادر اسبانيا ، وقد أخبرنى أن أدافع بقوة عن رأينا بعدم البيع والا فان قرار السماح سيكون مأساة لها نتائجها الخطيرة .

وأما الاجابة على السؤال الثانى وهو السماح بنقل العضـــو الفردى من الميت الى الحى فقد اتفقت وجهات النظر على أنه جائز اذا تأكد بشكل قاطع بأن المنقول منه قد مات فعلا ، وهـــذا شىء من اختصاص الاطبـــاء .. ولكننا أبدينا ملاحظة وهو أنه لا يكفى أن المنقول منه قد مات بل لا بد من التأكد بأن عمليـــة الزرع للمريض هى الطريق الوحيد لعلاجه ويجب أخذ رأيه فى ذلك ، وأن الذى يقوم بالعملية هو شخص اختصاصى قادر على عملها وله خبرة فى ذلك (قد تكون تجريبية فى الحيوانات) وأن تكون فى مكان مناسب ومجهز تجهيزا كافيا ، وقد أكدت قرارات اللجنة المختصة وجهة نظرنا .

أما الأمر الثالث وهو بخصوص الجثة فقد أعلن اليهود تقديس الجثة ، وانه لا يمكن أن تكون ملكا لأحد مع أنهم زادوا على ذلك أن بعض رجال الدين اليهـــود يسمح فى بعض الحالات بعكس ذلك على أن يطلب من أهله أو أقربائه . وكذلك المسيحيون أكدوا أن الجثة ليست ملكا لأحد وانه فى حالة وجود وصية من الميت يجب احترام وصيته وفى حالة عدم وجودها يمكن أخذ رأى العائلة أو الأقرباء .

وأما رأينا فقد كان موافقـــا ، الا أننا زدنا على ذلك وهو أنه يوجـــد فى الاسلام بالاضافة الى القرآن السنة ، الاجماع ، القياس والاجتهاد شىء يدعى بالمصالح المرسلة أو الاستحسان ، وهو أنه اذا كان هنالك أمر فيه مصلحة عامة

ولا يتعارض هذا الامر مع القرآن والسنة فيمكن اعتباره أمرا تشريعيا وبناء على ذلك فقد قلنا بانه يمكن لولى أمر المسلمين أن يسمح بالتصرف فى الجثث اللازمة للبحث العلمى أو حتى لأخذ الاعضاء اللازمة وحفظها ، ثم استعمالها عند الضرورة لمصلحة الافراد ، وهذا ما يعمم عملية الزرع فى المستقبل فيجعلها ليست قاصرة على الطبقات الترية . وكذلك فى هذه الحالة يمكن مفاداة اعطاء احد الاعضاء المزدوجة من الحى الى الحى وما يترتب عليها من اضرار وذلك لوفرة ما يؤخذ من الاعضاء فى حالة تطبيق هذا الامر .. وقد كان لهذا الرأى أهمية كبيرة وثورة فى عالم العلم اذ أن الديانات الاخرى لا تسمح بذلك .. وقد أثبتنا بأن الاسلام يرى أن المصلحة العامة هى المقدمة أولا .. وقد لاحظت أن الاخوة المغاربة احتجوا على ذلك . ولما تناقشت فى جواز الامر اقتنعوا ، ولكنهم قالوا : لا يمكن أن نعطى هذا الامر الى فلان من الحكام أو زيد من الملوك . فقلت لهم : اننا هنا نناقش أولا أمرا دينيا محضا فاما فلان أو فلان فهو أمر يهمنا نحن ، وكثير من الأطباء المختصين أدركوا أهمية اصدار مثل هذا القرار ، وخاصة ان عملية الحفظ اصبحت الآن على مستوى رفيع .

وأما بخصوص الامر الواقع فقد اتفقت وجهات نظر الأديان الاخرى ووجهة نظرنا بأن اعلان الوفاة هو أمر يخص الاطباء ، ولكن اليهود أكدوا انهم بالاضافة الى راى الأطباء لا زالوا يتمسكون بانقطاع التنفس كأمر روحى بالنسبة لهم كما هو مذكور فى لاهوتهم (مع العلم بأن العلم الحديث لا يقر هذه النظرية) .

اما الأمر الخامس فقد اتفقت وجهات النظر باحترام الآراء الدينية التى تعارض عملية الزرع وعدم الزامهم بها .

اما الأمر السادس .. فقد كان هناك اختلاف متضارب فيما بين الديانات الاخرى حول القيام بعملية الزرع كحاجة تجريبية أكثر منها علاجية وقد اقر بعضهم ذلك . وكان رأينا قاطعا وهو انه محرم حسب الاسلام بأن يكون هناك هدف آخر غير علاج المريض وشفائه ولا يهم ذلك اذا كانت نتيجة العملية ضئيلة او كبيرة .. المقصد الوحيد هو العلاج وهذا شيء يتعلق بضمير الطبيب الذى يقوم بالعملية .. وقد اختلفنا عنهم بذلك وأثبتنا انسانية الاسلام .

أما الأمر السابع .. وهو يتعلق بالطريقة التى يجب اتباعها للاشخاص الذين هم فى غيبوبة ولا يمكن شفاؤهم .. فقد عجبنا بأنهم قسموا هؤلاء الى قسمين ــ منهم من لا يحتاج الى أدوات أو آلات خاصة بل يستطيع التنفس والأكل والافراز وحده وهذا يعتبر انسانا له حق البقاء على هذه الأرض . وأما الآخر الذى يحتاج الى آلات للتنفس .. النبض ــ لاعطاء الطعام ... الخ

وانه لا يستطيع العيش بدونها فهو غير انسان (كما قال بعضهم) وان الديانة المسيحية وعلى رأسها الكاثوليكية ليسوا ملزمين بالمحافظة على حياته .. وأما اليهود فقد أخبروا أن التلمود لا يسمح بأن يعيش الانسان الذى لا فائدة منه .. وقد احترنا نحن فى ابداء الرأى . فالشخص المذكور هو حقيقة ميت من الناحية العصبية وان كان حيا من الناحية الاخرى .. ولكن الواضح أن التقسيم هذا الى قسمين يحافظ على احدهما ولا يلزم بالمحافظة على الاخر إذا كان أساسه الناحية الاقتصادية فقط ، اذ أن القسم الثانى يكلف أموالا باهظة ، وما داموا قد زجوا بالناحية المادية فى أمر دينى فقد اعلنا رأينا وهو أن الاسلام يطلب المحافظة

بكل الوسائل وبقدر الاستطاعة على حياة الانسان منذ أن تتكون النطفه ، اى منذ اتحاد البويضة مع الحيوان المنوى وحتى انتهاء حياته على الارض ، اى موت جميع اعضائه .. واننا نعتبر أن هذا المريض هو انســــان ولا يمكن تقسيمه الى قسمين ، وان الدولة فى الاسلام يجب أن تتولى المحافظة على حياته فى حـــالة عجز الافراد .. وقد كان لرأينا كذلك ضجة كبيرة وخاصة أمام الشعب حيث انه ثبت له انسانية الاسلام .. واننى لا زلت اذكر أنه بعد انتهاء المؤتمر قمت بزيارة لاعب الكرة الاسبانى المشهور (Moisner) والذى يعيش فى غيبوبة منذ أكثر من ثلاث سنوات عن طريق الاجهزة والآلات ، وكان أحد أفراد عائلته قد تابع المناقشة حول هذا الامر عندما مد يده الىّ وقال شكرا .. وقد أدرك بأن الديانات الاخرى لا تلتزم بالمحافظة على حياة قريبه وانه من الممكن الآن سحب احـــدى الآلات ليقضى نحبه حالا ، وقد أجبته (الشكر للاسلام) .. وانا أقول بصراحـــة باننى لا زلت محتارا ، اذ أن هذا المريض حسب التعريف الحديث هو ميت ، لأن جهازه العصبى المركزى ليس به حياة فهل كان رأينا مطابقا للاسلام ؟؟ فمـــا قول علمائنا ؟.

وأخيرا فقد نوقشــت امكانية زرع الاعضـــاء التناسلية والجهاز العصبى ، وخاصة المخ .. وقد حدثت مناقشات حادة وبعض المسيحيين سمحوا بذلك وقالوا ان هذه العملية لا حرج فيها ولا فرق بينها وبين زرع أعضاء أخرى .. وأما اليهود فقالوا بأن الأمر مبكر ولا يستطيعون البت بذلك ، وكان رأينا صريحا بأن هـــذه العمليات اذا كان من شأنها تغيير شخصية المرء كما هو الحال بزرع المخ (وطبعا هذا شىء نظرى لانه من المستحيل من الناحية العلمية) فهو ممنوع اصلا وكذلك فان زرع الأعضاء التناسلية وخاصة المبيضين سيجعل الشخص المزروع فيه ينتج نسلا لا يمت اليه بصلة بل يمت الى الشخص المنقول منه اذا أن البويضـــات قد تكونت أصلا فى المبيض أثناء الجنين والخلايا التى تنتج الحيوانات المنوية كذلك وقد قارنا تلك العمليات بالتلقيح الصناعى وهو محرم فى الاسلام .

تميز الاســـــلام :

وقد تبين بعد المناقشات شموخ الاسلام وانفراده بشيئين اساسيين هو مسايرته للتقدم العلمى مع الاحتياط اللازم .. ووضع مصلحة المجتمـــع كحجر اساسى ثم انسانيته العظيمة التى لا ترقى اليها ولا يشوب مبادئها اى شرط مادى او منفعة خاصة ..

وكانت ردود الفعل هائلة من الشعب عامة ومن ممثلى الديانات الاخرى خاصة اذ أنهم اصبحوا فى موقف حرج لانفراد الاسلام فى تلك الأمور واجاباتنا بشكل واضح صريح وصعوبة اجابتهم وعدم استطاعتهم استنباط احكام شرعية من كتبهم المقدسة التى تخلو من كثير من الامور ..

استنتاج وخلاصـــة :

ولا أستطيع أن أذكر التطورات الاخرى للجان المختلفة لسعة المقال ..

ولكن الأهمية بالنسبة لى هو فى هذه النتائج التى استخلصها من هذا المؤتمر ليطلع عليها الأخوة فى بلادنا وهى :

١ ــ أنه من الصعب أن تجد فى مثل هذه المؤتمرات العلمية أشخاصا من بلادنا ، وبالنسبة للمجال الطبى .. فهل خلت بلادنا من مثل هؤلاء .. لا أعتقد ذلك فهنالك لا شك أناس على جانب من الاهمية .. ولكنهم مع الاسف مغمورون لا يسمع بهم أحد انهم كالزهرة فى عرض الصحراء لا يشمها الا الأقوام الرحل .. وقد يسأل سائل هذا تحامل . ان الاعداء يحاولون اخفاء معالمنا وعلمائنا ، وانا اقول هذا ليس صحيحا كليا اننا فرضنا العزلة على أنفسنا .. فكثير من جامعيينا قد درسوا فى الدول الخارجية ، ولكنهم اذا رجعوا الى البلاد استنهك قواهم جمع المادة والترفع عن الشعب ، وحتى عدم مواصلة البحث فهمهم العيش الرغيد . ولا شك أن الحكومات لها أثر كبير فى ذلك ، لقد سألت منظم الحفل لماذا لم توجه دعوة الى بعض الأطباء فى البلدان العربية ؟ فقال لى : لمن .. هل تعرف أحدهم .. وقد سكت وطبعا قد أعرف ولكنى لم اقرأ على الاطلاق مقالا واحدا لأحدهم فى مجلة أجنبية أطلعت عليها حتى الآن ، فاما أنهم لا يكتبون على الاطلاق ، واما أنها كتبت فى المجلات الاخرى التى لم يحالفنا الحظ بالاطلاع عليها .. والمجلات على استعداد ان تنشر الابحاث والأمور العلمية والحالات المرضية من اى مكان وما أكثر هذه الحالات فى بلادنا .. وأنا القى اللوم فى هذا على نقابات الأطباء لعدم الاهتمام بمثل هذه الامور ، وأقترح أن يدخل بهذه النقابات أطباؤنا ممن يزاولون اختصاصهم فى أوروبا وأمريكا أو غيرهما ، وأن يكونوا على اتصال مع هذه النقابات لتبادل المجلات والمقالات وترجمتها ونشرها اذا لزم.

لا تمر أشهر عدة الا ونسمع أن هناك مؤتمرات فى بلادنا عمالية ، اشتراكية سياسية ... فلاحية .. بعضها عالمى والآخر محلى .. واما المؤتمرات العلمية فهى ضئيلة وكلها محلية للدول العربية .. فهل يا ترى نعجز عن اقامة مؤتمرات عالمية لأبحاث علمية محضة .. ان هذا ليس بالصعب كما يتصور البعض ، فاذا وجدت الدول التى تستطيع الانفاق وما أكثرها .. ووجد الرجال العلميون من مختلف الدول العربية وهم كثيرون كان بالامكان اقامة مثل هذه المؤتمرات .. وفى هذه الحالة تكون لجان ، ويتصل بطلابنا ممن يدرسون بالجامعات الاجنبية لاستشارتهم بشأن توجيه الدعوات واحضار اختصاصيين للقيام بهذا الامر .. واسبانيا مثال على ذلك فقد عقدت مؤتمرات سابقة كانت بدايتها سيئة ، ثم أخذت بالتحسن شيئا فشيئا كما أن حضور هذه المؤتمرات سيكون دعاية على جانب كبير من الأهمية ، فالعالم لا ينظر الينا الا من خلال السنتنا ، ولم ينظر إلينا بعد من خلال عقولنا .. وواحد من هذه المؤتمرات العلمية فى عصر القمر أفضل من عشرات من تلك العمالية أو السياسية التى سئمنا ومللنا من سماعها .

٣ ــ ان التعرف فى هذه المؤتمرات على علماء من البلدان الاخرى سيفيد قضيتنا سياسيا دونما أن نحاول الجهد الجهيد فى اظهارها وذلك عن طريق تكوين صداقات مع غيرنا وافهامهم قضيتنا والتقدم فى بلادنا ، ولا زلت أذكر أول مقابلة مع برنارد عندما علم انني عربى مسلم من فلسطين ومقدار فرحه ، وكأنه وجد شيئا مجهولا بالنسبة اليه وقبوله دعوتى بكل سهولة واشتياق والتحدث بأمور شتى .

٤ — ان حضور مؤتمرات فى الخارج يجب أن يسبقه الاستعداد ، ويجب أن يكون من يحضره على اطلاع كبير ، وبالنسبة لهذا المؤتمر فالمسؤولون المغاربة الذين تلقوا دعوة الحضور يتحملون مسؤولية الاهمال وعدم الاهتمام المناسب لابلاغها للمختصين بالامر بالوقت الكافى لدراسة الموضوع .. كما أن الاخوة عند تبليغهم هذا القرار كان عليهم التريث قبل السفر حتى يتسنى دراستهم للموضوع دراسة كافية ، فالعصر هو عصر العلم الذى يقوم على المعرفة والتجربة ، وليس العيب أن يتواضع المرء ويقول انى لا أعرف .. وانا اذكر أنه أثناء المناقشات أثيرت قضية دينية سئل عنها الراهب الذى أرسلته روما وهو Fushs عندما قال : (لا أعرف ما أجيبه الآن ، ولكن اذا أمهلتمونى اربعة وعشرين ساعة حتى افكر وأراجع الكتب سأجيبكم ..) .

كما أنه فى الاسلام ليس هنالك فرق بين الدين والنواحى الاخرى فى الحياة فالاحكام يعنيها مصلحة المجتمع والفرد ، وهذه المصلحة اذا كانت تخص الناحية الطبية مثلا فانه يقدر اهميتها الاطباء .. فعلى علماء المسلمين اذا حضروا اى مؤتمر فى اى اختصاص كان ، ان يأخذوا رأى ذوى الشأن ولا يستنكفوا عن اخذ تلك الآراء من هؤلاء بحجة انهم لم يتضلعوا فى الشريعة أو لم يحصلوا على شهادة من الأزهر أو الزيتونة مثلا .

٥ — عند حضور مثل هذه المؤتمرات ، فعلى المندوبين أن يدخلوا فى صميم الموضوع وما يسألوا عنه ، ومن المفضل أن يتفقوا قبل حضورهم على كل الامور ويكتبوا ذلك فى بيان مجمل حول النقاط التى ستثار فى البحث ويوزعوا هذا البيان على المؤتمرين ، واذا ارادوا تصريحات ، فمن الافضل أن تكون الأسئلة مكتوبة ، والأجوبة عليها كذلك . وهذا يسد على الصحفيين التأويلات ويسد عليهم كثرة الكلام وتضارب الآراء .. وقد وزع اليهود قبل القاء كلمتهم بيانا يوضح كل النقاط وكان خطابهم لا يزيد عن قراءة البيان .

٦ — ان من يحضر هذه المؤتمرات يجب أن يكون على علم تام بلغة اهل البلاد ، وشىء من نفسيتها وطباعها ، وأن لا يتنازلوا عن النقاط الرئيسية .. وانا هنا أود أن اذكر أنه رغم دفاعنا عن تلك الأمور التى ذكرتها واختلاف وجهة نظرنا عن الديانات الاخرى .. الا أن نتيجة القرارات النهائية كانت مخيبة للآمال بالنسبة لى ، فقد علمت بمكر الآخرين ودهائهم وعدم السماح لى بحضور الجلسة النهائية التى سيوقع فيها على القرارات بحجة أنى لست مندوبا رسميا فى اللجنة الدينية .. وقد أوصيت الاخوة أن ينتبهوا ، وأن يثابروا على ما أبديناه .. ولكن عندما قرئت القرارات على المجتمعين ونشرت بالصحافة كان هناك غير ما أبديناه فمثلا لم يذكروا أننا ضد عملية البيع للاعضاء من الحى الى الحى ، بل ذكروا بأن الديانات كلها تشمئز من البيع ، وتطالب بأن تتدخل السلطات فى حالة استغلال هذه العملية .. أى أننا اقترنا عملية البيع على أن لا يكون استغلالا . وبخصوص امكانية ولى الامر أو الدولة بأن تسمح بالتصرف بالجثث اللازمة اذا كانت فيها مصلحة عامة ، ومع أننا قلنا أن هذا راى وليس يلزم كل المسلمين .. الا أنه عند ظهور القرار النهائى ذكروا هذا الرأى ، ولكنهم قالوا هناك رأى اسلامى معاكس لا يسمح بأى حال من الاحوال بالتصرف بالجثة .. وطبعا غاظهم أن ينفرد

الاسلام بذلك فوضعوا شرطا مقابله لابطال مفعوله . وبالنسبة للامر الذى يتعلق بعدم استعمال عمليـــة الزرع كأمر تجريبى أكثر منه عـــلاجى ، لم يذكروا رأى الاسلام القاطع . . وكذلك لم يذكروا رأى الاسلام فى امكانية زرع الاعضـــــاء التناسلية . . وهذا ما جعلنى أعتقد بأن الأخوة لم يثابروا على تلك الامور ، إما عن حسن نيـــة ، واما ارضاء لهم وفى تلك الحالات كان مناقضا لقولنا فعنـــد خروج القرار كان هناك تساؤل من الطبيب الفرنسى . لماذا هذا التنازل ؟ وقـــد رأيت من الواجب علىّ أن أعطى تصريحات أوضح لتلك الامور . ان من يحضر هذه المؤتمرات لا بد أن يكون داهية ويعرف مكر الآخرين . وأن لا يتنازل قيد أنملة عما يعتقده أساسا . . وقد كان التنازل فقط من ممثلى الدين الاســـلامى . ولم يتنازل أحد من أولئك . . لقد تذكرت موقف الرسول عليه السلام عندما جاءت قريش لتطلب منه فقط أن لا يسب آلهتها فقط ، ولكنه أبى . فقد كان ذلك تعارضا مع مبـــادئه التى ينادى بها ولم يهتم بخصـــومه ، مع أكثريتهم وكذلك ، فيجب الانتباه عند حضور هذه المؤتمرات من التلاعب بالالفاظ فقد أراد المؤتمرون فى البداية عند قولنا بجواز عملية الزرع أن يقولوا بأن التقدميين فى الاسلام هـــم الذين يوافقون . . وقد أصررت كل الاصرار أن يحذفوا كلمة (التقدميين) وقد بينت بأنه ليس هناك فى الاسلام شىء اسمه تقدم أو محافظ أو رجعى . بل هناك آراء واجتهادات والاسلام كله تقدم .

اليهـــودية والصهيونيـــة :

٧ ـــ أما مسألة حضور اليهود مثل هذه المؤتمرات فان هناك مبادىء اساسية لا نتنازل عنها وهو اعتبار أن الدولة المحتلة لفلسطين غير شرعية ، فلا مفاوضات ولا صلح ولا سلام ، واذا كان هذا من الناحية السياسية فما موقفنا من المؤتمرات العلمية التى يحضرها اناس من هذه الدولة ؟ ان الشىء الذى نوده هو أن توجه الدعوة الينا وحدنا دون أن توجه اليهم ، ولكن اذا كان هذا يتحقق فى الدول العربية والاسلامية ، وبعض الدول الاسيوية والافريقية ، فان هذا مســـتحيل فى الدول الاخرى . . فاليهود يتمتعون بمركز مرموق فى عالم الاقتصاد والعلم فى العالم ، ولا يكاد يخلو مؤتمر ما من نفوذهم ، فهل نمتنع عن الحضور بحجـــة وجودهم ؟ ان هذا ما خطر بفكرى فى البداية وجعلنى أستشير الاصـــدقاء من الاسبان ، وبعض الاخوة العرب . وأهم شىء التفكير بعيـــدا عن العاطفة فى بلاد ليست عربية . . واستقر الرأى على أن عدم الحضور هو عمل سلبى ، وهو افساح المجال لهؤلاء الأعداء بالضحك علينا للانسحاب ، وشرب نخب هزيمتنا وعدم قدرتنا على المجابهة . . فالعالم العلمى والثقافى بحاجة أن يعرف وجهـــة نظرنا وهو يستمع الينا ، ويعطف علينا اذا احسنا نقل تلك القضية اليـــه . . ومحاولة بعض زعمائنا التفريق بين اليهود والصهيونية ، وبين يهود فلسطين ، واليهود الآخرين هو شىء جميل أمام العالم لاثبات أننا لسنا ضد اليهودية كدين ولكنه شىء خطير اذا حاولنا غرس هذا الرأى فى بلادنا ، وخاصة لفدائيينا . فهذه التفرقة ستؤدى الى أن تخلق فى النفس مشاعر من الشك ، ونحن أحوج ما نكون الى رجال حربيين مائة فى المائة على جانب عظيم من الحماس والتعصب

الاعمى الذى يتجاوز الحد ، وهــذا التعصب سيسد المنافذ التى قد يحــاولون التسلل منها .. وأنا أعلن هذا بصراحة بأنى طيلة وجودى بأوروبا واختــلاطى الكثير ، ومعرفتى الشخصية وسماعى واستنتاجاتى لم أجد يهوديا واحدا ليس صهيونيا ، أو على الأقل لا يعطف عليها وأولئك الذين هم فى بعض البلدان العربية السنتهم معنا لتحقيق مصالحهم ، ولكن قلوبهم وأعمالهم مع الصهيونية ، فكم من يهودى مغربى درس بمنحة من حكومة المغرب فى اسبانيا ، حتى اذا انهى دراسته سافر الى فلسطين المحتلة ، كذلك فان التفريق بين اليهود الذين يسكنون فلسطين وبين من يعيشون فى الخارج هو تفرقة لها نتائجها الخطيرة .. فمن يمد الدولة هذه بالسلاح والمال .. وكلنا يعلم بأن يهود أمريكا هم المسؤولون بالدرجة الاولى واذا كانوا لا يحملون جنسية الدولة اليهودية فى فلسطين ، ولا يعيشون هناك فهذا بالنسبة لهم أمر ثانوى .. ولا شك أن هناك افرادا قلائل من اليهود قــد يعارضون الصهيونية ، ولكن كيف يمكننا التأكد من صحة قولهم والوثوق بهم ، انه على كل يهــودى أن يضــع علامة استفهام لأول مرة بأنه صهيونى حتى يثبت العكس .

انــا فلســطينى :

وقبل اختتامى لهذا الحديث ، أحب ان اذكر مشادة كلامية جرت بينى وبين الحاخام لفلسطين المحتلة عندما كان فى قاعة الفندق يتحــدث عن دولته وحبها للسلام ، حينها قلت له : هل تسمح لى بكلمة .؟ قال : تفضل — وهو يتحدث خليطا من الاسبانية والبرتغالية — .

قلت : من أين حضرت قبل ذهابك لفلسطين .

قال : أنا أصلى من بولندا ، وقد عشت فى البرازيل ..

قلت : هل تدرى من اين انا بالضبط .؟

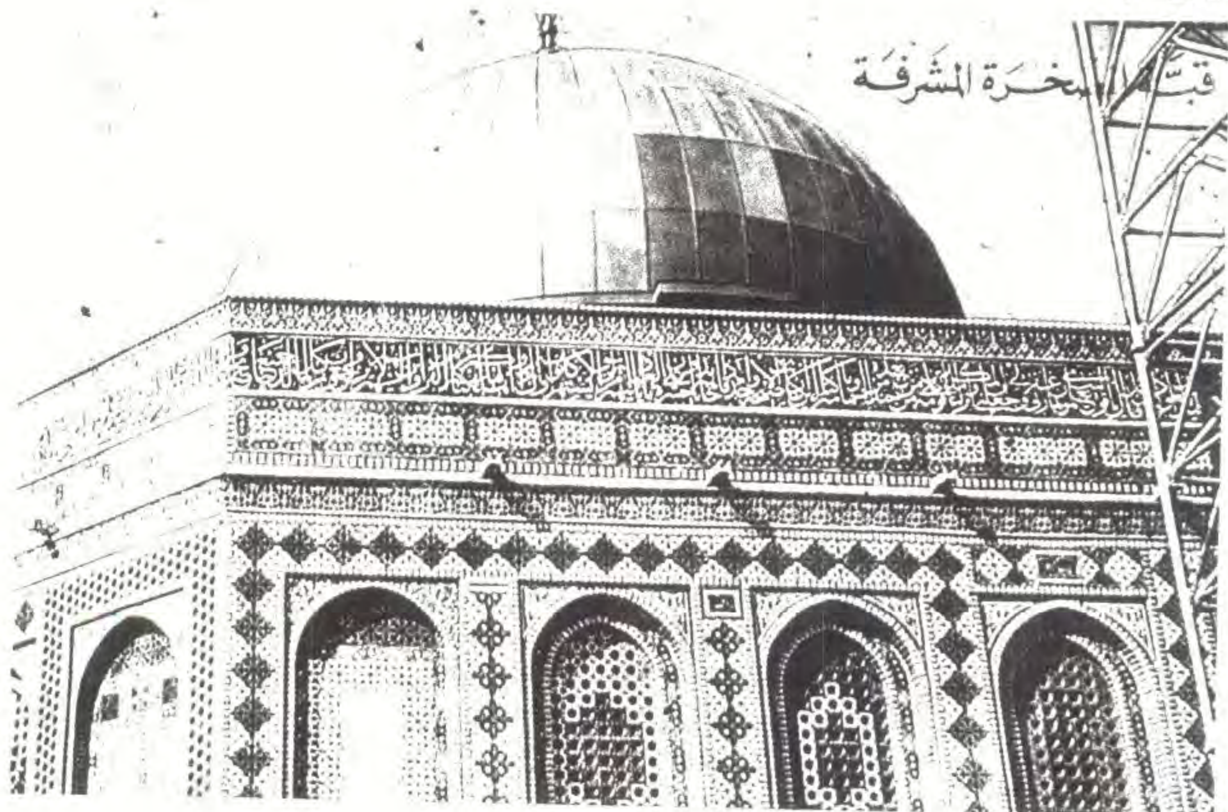
قال : لا ادرى ..

قلت له من فلسطين .. من حيفا أولا ، ومن نابلس ثانيا .. طردت مرتين ووجهت كلامى للحاضرين .

اليست مأساة أيها الاصدقاء أن يستطيع هــذا البولندى الذى قــد يكون اجداده قد اعتنقوا اليهودية من أحد قريب . يستطيع هذا أن يرجع الى فلسطين معتمدا على حق مشكوك فيه بعد أربعة آلاف عام .. أما أنا الفلسطينى الذى لا أعرف وطنا غيره .

انا الفلسطينى لا أستطيع الرجــوع الى بيتى والتمتع بهــواء بلادى .. وتوجهت اليه وقلت له : هل تسمح لى حضرتك بأن تخبرنى من اضطهد اليهود ؟. أليسوا هم الأوربيين ؟. وأن اليهود لم يجدوا ملجأ الا الدول العربية ، وهل بلغت الحضارة اليهودية أوجها الا فى زمن الاسلام فى اسبانيــا ، وانه بعد خروجهم ماتوا فى محاكم التفتيش .. وهل تعلم أن الجاليات اليهودية فى البلدان العربية تتمتع بامتيازات ومعيشة أفضل منا .؟ وقد اجاب على ذلك بدهاء وقال : نعم .. ولكن حاول أن تقارن رجال العودة من الفلسطينيين باليهود الذين هاجروا من

البلدان العربيـــة . وقد رددت عليه أمام الحاضرين أن هذا القول مغلوط ، ان هؤلاء هاجروا باختيارهم .. كما أنهم لم يذهبــوا الى فلسطين كمواطنين ، بل ذهبوا لاقامة دولة موجهين من قبل الصهيونية والاستعمار فى العالم .. كمـــا أخبرته بأن كون الفلسطينيين عرب لا يمنع من أن يتمتعوا بمقومات خاصة ومميزة تجعلهم شعبا قائما بذاته يحب الحرية والاستقلال وان كان جزءا من الأمة العربية وان هذا الشعب يرفض الاندماج أو التعــويض للعيش فى البلدان العربيـــة ، وضربت له مثالا ، فقلت له : اننى أعيش هنا فى أسبانيا ، وقد أتيحت لى الفرصة للتمتع بالعيش الرغيــد ، ولكن قلبى وأنظارى معلقة دائما فى حيفا ولا أرضى عنها بديلا .. فما بالك بأولئك الملايين المشردين الذين لا يملكون شيئا .. هل تعتقد بأنهم يرضون ببلادهم ثمنا .. وقلت له : ألا تعترف بحق هؤلاء فى الرجوع لبلادهم ، أليس كفاحهم الآن كفاح حق وعدل ، فأجاب بلهجة داهية : نعم .. هذا صحيح . .ولكن نريد أن نجلس معا على مائدة واحدة لنبحث هــذه الامور .. وأدركت ذلك الاصرار من طرف دولتهم بالجلوس معنا وذلك الوسواس الذى يؤرق حياتهم وانه رغم تلك الانتصارات العسكرية لم يتقدموا خطوة واحدة . فقلت له : كيف يمكن الجلوس معكم ؟. ان هــذا يعنى أن نعترف بدولتكم التى قامت على جثثنا وأرواحنا ، يعنى أن نعترف للمجرم بجريمته .. ان هذا غير ممكن ، عليكم أن تسمحوا أولا للفلسطينيين بالعودة ، ثم بعد ذلك يعيش الجميع بما تسمح به البلاد بالاتساع وترجع تلك الارض مرة أخرى تحمل اسم فلسطين بدل اسرائيل . وقلت له موجها : أتستطيع أن تقول لحكومتك بأننا مصممون على العودة مهما كلف الامر ، وان حل القضية لا تحاولوا أن تبحثوه مع أى زعيم عربى فالحل يقرره شعب فلســطين بأجمعه ، واذا أحببت فليكن ذلك باســتفتاء عام بحضور ممثلين عن هيئة الامم المتحدة لترى أن هناك اجماعا على العودة ، ونحن الآن كتلة واحدة فى ساحة المعركة ، ولم يطل ذلك النقاش حيث انصرف الى شأنه .



تربية النفوس في الاسلام

للدكتور محمد محمد خليفة

واجه الاسلام وحشية الوثنيين فى مكة ، ثم واجه تنكر اليهود وغدرهم به فى المدينة ، وهم الذين كانوا يستفتحون به على الكفار (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به) .

وقد أمر الله رسوله بتبليغ رسالته (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته) وتبليغ الرسالة فى مجتمعات الوثنيين المعاندين والكتابيين الذين حرفوا كلام الله من بعد ما عقلوه أحوج ما يكون الى قوة ، تحمى تلك الرسالة من التيارات المناوئة وتصون صاحبها والمؤمنين بها ، وتنشرها تحت ظلال السيوف اذا ركب الضلال رءوسهم .

والقوة المرجوة تحتاج أول ما تحتاج الى تربية النفوس واعدادها للمستقبل الذى يواجهها حتى لا يخوض الرسول صلى الله عليه وسلم اهوال ذلك المستقبل بنفوس تتطاير حين تواجه شرور الوثنية او اليهودية او عدوان المتشبثين بعروشهم وراء جزيرة العرب خوفا على تلك العروش من أن يقوض الاسلام سلطانها .

تربية الله للنبى وتربية النبى للمسلمين

أدب الله نبيه وصنعه على عينه منذ نشأ فى مكة فأدب النبى أمته وصنعها على عينه منذ بعث ، وقد حدثت عائشة رضوان الله عليها عن تربية الرسول صلى الله عليه وسلم فقالت : كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم (القرآن) .

تلقاه من ربه فتأدب به وحمل نفسه على العمل به قبل ان يحمل غيره ، وبنى به نفسه قبل ان يبنى به سواه ليكون فى عمله لامته القدوة الصالحة والأسوة الحسنة .

أصاخ الى أمر الله : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » فكان خير مثل لامته فى العفو عند القدرة حين قام على رأسه أحد الاعداء بالسيف فى غفلة من أصحابه فقال له : من يمنعك منى ؟

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : الله

فسقط السيف من يد الرجل فالتقطه الرسول وقال للرجل : من يمنعك منى ؟

فقال الرجل : كن خير آخذ ، قال الرسول : قل أشهد أن لا اله الا الله وانى رسول الله ، فقال الرجل : لا . غير أنى لا أقاتلك ولا أكون معك ، ولا أكون مع قوم يقاتلونك فخلى الرسول سبيله ، فعاد الرجل الى أصحابه فقال لهم :

جئتكم من عند خير الناس .

وقد أكمل الله بناء نبيه فكان أشجع الناس وأعدلهم وأسخاهم واصبرهم على الجوع والمكاره ، واشدهم تواضعا ، وأرحمهم بالفقراء والمساكين .

بل لقد اجتمعت فيه مكارم الاخلاق كلها فلو تجسمت فضيلة من الفضائل لكانت محمدا صلى الله عليه وسلم وبكل الاداب الاسلامية أدب أصحابه وبأخلاق القرآن بنى نفوسهم ففتحت أخلاقهم البلاد قبل أن تفتحها سيوفهم ودانت لاخلاقهم القلوب قبل أن تدين للرماح الاعناق وما أكثر الوصايا التى وصى بها الرسول وخلفاؤه القواد المحاربين بألا يقاتلوا الشيوخ والاطفال والنساء والضعفاء ، وإليكم الدعائم التى بنى عليها الرسول نفوس المسلمين :

١ ـ الايمان ..

كان الايمان من اعظم الركائز التى اعتمد عليها النبى صلى الله عليه وسلم فى بناء الامة الدينى والسياسى والحربى والاقتصادى والاجتماعى فكان المسلم بايمانه الكامل لبنة صلبة فى بناء المجتمع الشامخ لا يزعزعه مروق من حدود الدين وآدابه ، ولا يهزه هوى سياسى ، ولا يقعده تواكل حربى ولا يغل يده عن البذل اضطراب اقتصادى ولايصم أذنه عن نداء مبدأ اجتماعى .

كان المسلم ايمانا عاملا فى دنياه، متفاعلا مع الحياة يعطيها الجهد ، فلا تضن عليه بالخير ، ويجذبها الى ما يقربه من ربه فتستجيب بل تدين له ، عاش لمجتمعه ، فعاش به مجتمعه ، وبهذا الايمان شقت الامة الطريق بين الاشواك والادغال والبحار والجبال فدقت أبواب الهند والصين وفارس وما وراء فارس ، واستهانت الامة بالجهد بل بالموت فى ذلك المنتأى لتشترى للاسلام هنالك الحياة ، وما اشتكى دعاتها فى ذلك المنتأى اغترابا ولا نصبا بل حبب الايمان الى نفوسهم العمل الدائب فى نشر دعوة الحق مخلصين لله صادقين فى رفع كلمته .

فمالنا لا نعمل الا حيث نؤجر ، ولا نعطى الا حيث نأخذ ونشح بما وهبنا الله من علم لنبيعه لمن لا يصونه او ينتفع به ونشيح بوجوهنا عن طلابه وربما انتفع به اولئك ونفعوا ؟

اترانا فقدنا ايماننا او انكرنا أثره فى الخلق والاصلاح أو أيأستنا من رسالتنا المجتمعات المنحلة فطوينا على اليأس والالم النفوس ؟

ان أمتنا الاسلامية الكبيرة مازالت ترجو ايمانا هاديا يقودها الى الحق

فى دنيا التيارات المذهبية التى تلعب بعقول شبابها ، وما زالت ترجو ايمانا عاملا فى كل حقل من حقول مجتمعاتها التى يهددها الجدب الروحى بل انها لترجو ايمانا ثائرا يصرخ فى وجه الحاكم : ان الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن ، فردوا عن هذا الدين حماقات المأجورين ، وصونوا الاجيال مما يهدد العقائد (ولينصرن الله من ينصره) .

٢ ــ جهاد النفس :

ان أشق ما يعانيه الانسان جهاد نفسه التى بين جنبيه والتى تسول له الخطيئة ، وتزين له الشر حتى يقع بين حبائله ولا يستطيع كبح جماح النفس غير المؤمن الذى يحارب شيطان نفسه حتى يقهره .

وربما يكون جهاد العدو أيسر على المجاهد من جهاد نفسه وذلك ما عبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال لقوم قدموا من الجهاد (مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر) .

قالوا : وما الجهاد الاكبر يا رسول الله ؟

قال : جهاد النفس .

فلا يستقل بوصف المجاهد عند الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك الذى يصارع أعداء الله ، او الذى يسيل دمه فى سبيل الله ، او الذى يقضى حياته غازيا يفتح الآفاق لكلمة الله ، وانما المجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله .

فاولئك الذين يتحكمون فى بشريتهم ليجردوها من الحيوانية الشرهة ، ويتساموا بها فوق البشرية الطينية ، واولئك الذين يحملون نفوسهم على الخير ، ويحاربون فيها نوازع الشر .

وأولئك الذين لا تثنيهم متاعب الحياة عن عبادة الله ، كل لوئلك وامثالهم هم المجاهدون فى نظر رسول الله . فجهاد شهوات النفس والبطن وجهاد ميولهما وثوراتهما جهاد اكبر .

وقد حدثت عائشة رضوان الله عليها عن جهاد البطن فقالت : ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام متوالية حتى فارق الدنيا ، ولو شئنا لشبعنا ولكنا كنا نؤثر على أنفسنا .

وحدثوا أن معاوية بعث الى السيدة عائشة فى خلافته بمائة وثمانين ألف درهم فقسمتها بين الناس فلما امست قالت لجاريتها : (هلمى فطورى) وكانت صائمة فجاءتها بخبز وزيت وقالت الجارية : ما استطعت فيما قسمت اليوم ان تشترى لنا بدرهم لحما نفطر عليه ؟ فقالت : لو ذكرتينى لفعلت .

لقد نسيت عائشة نفسها وهى تقسم الاموال على الناس فلم تفكر فى فطورها وبين يديها أكوام المال حتى استنفدت عطية معاوية ، وكيف لا وهى بنت أبيها بنت أبى بكر الذى جاد بكل ماله لله ، فليتنا ننتفع فى دنيانا بأخلاق عائشة وأمثال عائشة وليتنا نجاهد نفوسنا ونؤثر المحروم لنكسب حبه ونحقق بذلك دعامة من الدعائم التى بنى عليها الرسول امته .

٣ ــ الصبر :

ودعامة الصبر تتناول الصبر على الجوع ، والصبر على الايذاء والصبر على المكاره والصبر على المصائب والصبر على لقاء الاعداء والصبر على الطاعات .

وفى كل أنواع الصبر كان الرسول صلى الله عليه وسلم قمة الصابرين وانعكست طبيعته الصابرة على من حوله من المسلمين فكان لهم أسوة نعم الأسوة :

صبر على الجوع حتى شد الحجر على بطنه ، وصبرت ابياته على ذلك وصبر اصحابه فأكلوا أوراق الشجر

حين قاطعتهم قريش وعزلتهم فى شعب بنى هاشم ليرغموهم على الرجوع عن دينهم . ولكنهم آثروا الموت جوعا على عبادة الأحجار أو الأرباب كما كانوا يعتقدون .

وصبر الرسول على ايذاء قريش له حتى أخذوا بتلابيبه فى الحرم وخنقوه ووقف أبو بكر بينهم وبينه يبكى ويقول : أتقتلون رجلا ان يقول ربى الله .

وتأسى به فى الصبر على الايذاء بلال وعمار وياسر وسمية وغيرهم ممن صبروا على العذاب وآثروا الشهادة فى سبيل الله بل ظفرت سمية بالشهادة وهى تكوى بالنار وتهتف : لا اله الا الله محمد رسول الله .

وصبر محمد عليه الصلاة والسلام على غلمان الطائف وهم يقذفونه بالحجارة حتى ادموا عقبه حين راح يعرض على ثقيف أن تجيره من قريش فردته ثقيف وخرج فى اثره غلمانها يقذفونه بالحجارة ، فكان هذا الموقف درسا لفاطمة بنت الخطاب فىموقفها من عمر (قبل اسلامه) حين انكر عليها وعلى زوجها اسلامهما فحمل عليهما وضربها فشج رأسها وسال وهى صابرة لا تخشع لغلظة عمر بل تعلن فى اصرار اسلامها غير خائفة من بطشه .

وصبر الرسول صلى الله عليه وسلم على طاعة الله فكان يقوم اكثر ليله متعبدا ، وثبت عن حذيفة انه كان يقرأ فى الركعة الواحدة نفلا (البقرة والنساء وآل عمران) .

وصبر على المعارك فشجت رأسه فى أحد وسال فخضب لحيته ، وصبر على البرد وهو يحرس موقعه من الخندق حين زحفت قريش وأحلافها على المدينة فحفر الخندق حولها ، وسهر كالجندى يحمى موقعه فلم ينم حتى وافاه صحابيان فطلبا منه أن ينام وان يقوما هما بحراسة الموقع فاستجاب وأغفى اغفاءة ثم رفع رأسه وقال للصحابيين : انصرفا فقد عصمنى الله من الناس حيث نزل جبريل بقوله تعالى : « والله يعصمك من الناس » .

ولقد حقق الصبر للمسلمين النصر فى معاركهم مع العرب وغيرهموكان من أعنفها معاركهم مع الفرس الذين كانوا يدفعون بالفيلة أمام جيوشهم لينفروا بها خيول المسلمين فكان المسلمون يترجلون عن خيولهم ويعترضون الفيلة برماحهم فيطعنونها ليزحزحوها عن أرض المعركة وتحت أقدام الفيلة كان يلقى طاعنوها مصارعهم فى صبر وايمان .

وما أكثر قصص المجاهدين الذين صبروا فى المعارك واستهانوا بالموت طلبا للشهادة .

بل لقد بكى خالد بن الوليد سيف الله كما سماه الرسول صلى الله عليه وسلم وهو على فراش الموت لان الله لم يكتب له الشهادة التى كان يتمناها وقال :

لقد شهدت مائة زحف أوزهاءها ومافى بدنى موضع شبر الا وفيه ضربة بسيف او رمية بسهم او طعنة برمح وهأنا أموت على فراشى حتف أنفى كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء) .

واثر عنه أنه كان يقول : ما كان فى الارض ليلة أحب الى من ليلة شديدة الجليد فى سرية من المهاجرين أصبح بهم العدو) .

فما لنا لا نتخذ من سيرة الرسول وصحبه دروسا نربى عليها الاجيال لنعيد الى الوجود المعسكر الاسلامى كمعسكر له دينه واخلاقه وايمانه وصبره .

نموذج من دعاة الاصلاح في عصور الركود الفكري

الامام ابن تيمية

- ٢ -

للشيخ محمد الصادق عرجون

فى المقال السابق عرضنا فى حديثنا عن الامام ابن تيمية فى جانب من جوانب حياته العريضة الخصبة ، وهو جانب الداعى الى الله تعالى ـ لونا من نهجه فى تفسير القرآن الكريم ، أدار فيه الكلام على لفظ (ربيون) من قوله تعالى (وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير) بعد أن أعطى مجمل الآية حقهـــا .

والمتأمل فى هذا التفسير يرى أن الامام ابن تيمية يجمع فى نهجه بين التفسير بالمنقول عن السلف ، والتفسير الذى يعتمـــد على فهم المعنى من أوضاع الالفاظ واستعمالاتها فى اللغـــة ، وعلى سياق الآيات ، واســـباب نزولها ، والاحداث المشابهة لها فى دلالاتها ، بل انه يذهب الى اوســـع من ذلك ، الى ابعد مما يحتمله اللفظ فى مجرد وضعه اللغوى ، كما يلمح ذلك فى ادارته معنى المعية فى قوله (قاتل معه) حتى جعلها تشمل كل قتال على الدين، وكل قتل فى سبيله ، وجعل كل مجاهد فى سبيل الله من المؤمنين الى يـــوم القيامة مقاتلا مع النبى صلى الله عليه وسلم ، داخلا فى معية الآية .

فما اشتهر عنه من القول انه يمنع التفسير بغير المأثور ، معناه ـ فيما يظهر لنا ـ انه يحظر الهجوم على تفسير القرآن بمجرد الراى والهـــوى ، اعتمادا على مجرد فهم المعنى من اللفظ بدلالته اللغوية تأييدا لمذهب أو فكرة ، او انتزاعا لراى دون بحث عن نص مأثور ، او ربط لألفـــاظ الآية بسياقها وسباقها ، ولكنه لا يمنع مع التقيد بالآثار إن وجدت أن يفتح الله على عبد من عباده العلماء المخلصين باب فهم يؤتيه اياه ، لم يكن مأثورا ، ولكنه من معين

الحكمة والفضل الالهى . والاتجاهان موجودان فيما ثبت عنه من التفسير ، ويدل على ذلك ما رواه صاحب العقود الدرية من قول الامام (ربما طالعت على الآية الواحدة نحو مائة تفسير . ثم اسأل الله الفهم ، وأقول : يا معلم آدم وابراهيم علمنى . وكنت أذهب الى المساجد المهجورة ونحوها ، وأمرغ وجهى فى التراب وأسأل الله تعالى ، وأقول : يا معلم ابراهيم علمنى) .

وكان رحمه الله تعالى فى علوم العربية آية من آيات الله فى الاحاطة بفنونها . وقد ذكر مترجمو حياته أنه وقع له مع أبى حيان المفسر النحوى صاحب كتاب البحر فى التفسير قصة تدل على سعة اطلاعه وطول باعه فى معرفة دخائل العربية .

وكان أبو حيان مفتونا بسيبويه امام العربية . ينكر على من يغمزه بخطأ فى العربية . وكان أبو حيان عارفا بفضل ابن تيمية يقدره ويعرف مكانته من العلم والمعرفة ، ولكنه سمع ابن تيمية مرة يخطىء سيبويه فى مسألة من كتابه . فعظم ذلك على ابى حيان واشتد على ابن تيمية فى انكاره أن يكون سيبويه مخطئا . مما حمل ابن تيمية على النظر فى كتاب سيبويه نظرات ناقدة، فاستخرج منه عدة مواضع كشف فيها عن خطأ سيبويه .

وحسب ابن تيمية حجة فى براعته اللغوية فصاحة أسلوبه فى المناقشة والجدل واملاء كتبه ورسائله وفتاويه . وهى بالقدر الذى لم يذكر التاريخ أن احدا خلف مثلها كيفا وكما .

وقد يكون غريبا أن يقف ابن تيمية للفلاسفة يناقشهم وينقض عليهم فلسفتهم بأسلوبهم ومنطقهم ، فقد تعرض لابن سينا وآرائه وناقش ابن رشد فيما ذهب اليه فى كتابه (فصل المقال) وغيره . مناقشة الخبير بطرائقهم . وفضح رسائل اخوان الصفا . وفند آراءهم المخالفة لنهج الكتاب والسنة . وانتقد أبا حامد الغزالى فى انحيازه الى الفلاسفة فى بعض المسائل ، وان كان يعترف له بأنه لم يكن يوافقهم فى كل ما يقولون . وفى ذلك يقول ابن تيمية (كان أبو حامد مع ما يوجد فى كلامه من الرد على الفلاسفة وتكفيره لهم وتعظيمه النبوة ، ومع ما يوجد منه من أشياء حسنة بل عظيمة القدر نافعة يوجد فى بعض كلامه مادة فلسفية وأمور اضيفت توافق أصول الفلاسفة المخالفة للنبوة . بل المخالفة لصريح العقل ، وينقل ابن تيمية عن أبى عبد الله المازرى ، وكان من أشد خصوم الغزالى قوله :

(ووجدت هذا الغزالى يعول على ابن سينا فى اكثر ما يشير اليه فى علوم الفلسفة حتى انه فى بعض الاحيان ينقل نص كلامه من غير تغيير واحيانا يغيره وينقله الى الشرعيات أكثر مما نقل ابن سينا لكونه اعلم بأسرار الشريعة منه ، فعلى ابن سينا ومؤلف رسائل اخوان الصفا عول الغزالى فى علم الفلسفة) .

ولابن تيمية موقف اسلامى عظيم مع الشيعة الرافضة والنصرانية الملحدة والباطنية الكافرة أبان فيه عن الحادهم وكشف كذبهم ، وجعل من كتابه (المنهاج) آية على أن هذه الطوائف الخبيثة التى ينتسب بعضها الى الاسلام زورا هى اعدى اعداء الاسلام ، ولم يقف معهم عند حد كشف باطلهم علميا ،

ولكنه أبان عن عوارهم السياسى وخبثهم فى دسائسهم ضد الاسلام والمسلمين، وانهم كانوا أعوان اعداء الاسلام من الصليبيين الحاقدين ومن التتار المتوحشين، وأن خبيثهم ابن العلقمى وزير الخلافة العباسية فى أيام احتضارها على يدى المستعصم هو الذى خان الاسلام والبلاد وفتح أبواب بغداد لهؤلاء الوحوش المغوليين حتى قضوا على الخلافة الاسلامية قضاء نهائيا ، بل قضوا على الفكر الاسلامى وآثاره من التراث العلمى التى عبثوا بها عبثا بغيضا ، منكرا ، وأعملوا سلاح الفتك بالعلماء يقتلونهم ويشردونهم ، ولو لم يقيض الله تعالى ملوك مصر وجندها بتحريض الامام المجاهد الصابر المحتسب ابن تيمية فردوهم عن بلاد الاسلام مدحورين لما بقى على الارض اثر للخير والهدى ولكن الله تعالى الذى أنزل كتابه المجيد هدى ورحمة للعالمين ، ورضى لعباده الاسلام دينا — القى فى روع الامام ابن تيمية أن ينفر الى سلطان مصر الناصر قلاوون بعد هزيمته أمام التتـــار ، ولم يزل به يقوى عزيمته ويستنهض همته ، ويوقظ دعائم الايمان فى قلبه ، ويعده بنصر الله حتى شرح الله صدر هـــذا السلطان وجهز كتائبه وعاد الى الشـــام لملاقاة الوحوش التتارية ، فحاربهم حـــربا مريرة كان فيها ابن تيمية جنديا مجاهدا أو فارسا معلما ، يقف موقف الموت فى صدر أبطال الحملة الاسلامية ، وقد نصر الله جنـــده وهـــزم الباطـــل وحزبه ، وعادت كلمة الاسلام مدوية فى الآفاق ، ولم تقم لدولة الباطل المتوحش قائمة بعد هذا النصر الاسلامى المؤزر الذى كان بطله الحقيقى هـــذا الامام العالم الذى رباه الاسلام بتعاليمه وأدبه فأحسن تربيته .

ولم يقف اثر هذا النصر عند حد الهزيمة للمتوحشين التتـــار ، ولكنـــه فتح أمامهم باب الهداية فدلفوا الى الاسلام يدخلون فيه أفواجـــا ، حتى اصبحوا من اهله وأنصاره ، واقاموا فى ظله المؤمن الموحـــد ، وهذا من عجيب صنع الله (يدخل من يشاء فى حمته والظالمين أعد لهم عذابا اليمـــا) .

كان من اشد المحن التى لقيها الامام ابن تيمية فى حياته موقفـــه من (متصوفة) عصره فقـــد حاربوه بألسنتهم وأيديهم ، وأغروا به السفهاء حتى نالوا منه بأيديهم ، وهذا أقسى ما يلقاه داعية الى الله تعالى ، وقـــد كان الامام ابن تيمية كريما مع أعدائه الذين آذوه بألسنتهم وأيديهم ، لانه كان يعيش للحق ، يرفع لواءه ، وينشره بين الناس ، وهو أعرف العارفين بما لقى سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم فى سبيل الدعوة الى الله ، ولم يكن يقابل اشـــد الايذاء من الســـفهاء الا بالتضرع الى الله أن يهـــدى قومه ، ويعتذر الى الله عنهم بأنهم لا يعلمون ، فكانت له برسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الاسوة ، ذكر بعض من ترجم له أن بعض محبيه ومقدرى فضله من عامة اهل مصر أرادوا أن يدافعوا عنه بمثل ما اوذى به فأبى عليهم أشد الاباء ، وقال لهم فى مدافعتهم عن مقابلة السفهاء بمثل عملهم : اما أن يكون الحق لى ، أو لكم ، او لله ، فان كان الحق لى فهم فى حل منه ، وان كان الحق لكم فان لم تسمعوا منى فلم تستفتونى ؟ افعلوا ما شئتم ، وان كان الحق لله ، فالله يأخذ حقه ان شـــاء .

والمتصوفة الذين حاربهم ابن تيمية هم أرباب الشطح الذين فلســـفوا « التصوف » العملى ، وجعلوه مذهبا نظريا ، يشطحون فيه بما يخـــالف

شريعة الاسلام ، بل بما يناقض الشرائع الالهية كلها ، وينقضها من أساسها ، فقد جعل كثير منهم هجيراه الكلام فى وحدة الوجود ، وظهر من بعضهم كلمات شديدة لا تقبل التأويل ، وقد تبع ذلك شيوع الخرافات والاساطير ، وأغرق العامة فى الدعاوى الكاذبة والاباطيل ، تقال باسم الدين ، والدين منها برىء ، فشمر لهم ، وانكر عليهم أشد الانكار ، وجاهر بانكاره وتفنيد باطلهم ، وانتهض لمحاربتهم بالحجة والبرهان ، وكان شيوخ المتصوفة المعاصرون له الذين يتبطنون مذهب وحدة الوجود على صلة سياسية بالسلاطين ، يقودون لهم الشعب بزمام السيطرة القلبية والسلطان الروحى ، ولكن ابن تيمية لا يعرف المداهنة فى الحق ، فلم يسكت على هذا الباطل ، وناضل عن آرائه وعقيدته، وناظر شيوخهم فحجهم ، فعمدوا الى ايذائه ، وشكوه الى السلطان وافتروا عليه الكذب ، واختلقوا عليه الاقاويل ، فحبس وضيق عليه فى حبسه، ولكنه مضى فى سبيله قدما ، يجهر بكلمة الحق ، فتخرج من وراء أسوار سجنه داوية ، وكان يعلن عن تكفير كل من يذهب الى القول بوحدة الوجود ، أو القول بالحلول والاتحاد ، ويبدع كل من يخرج على السنة المطهرة فى عمل أو عبادة .

وقد اتصل ذلك بمسألة حساسة لدى جمهور المسلمين ، أثارها عليه هؤلاء المتصوفة ، وهى فتواه الحموية ، وقد امتحن امتحانا شديدا بما جاء فيها ، وكان اشد ذلك على قلوب الجمهور قوله بالمنع من زيارة الروضة المشرفة ، وشد الرحال لزيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقوله بعدم جواز الاستغاثة بأحد من المخلوقين ، نبى أو ولى ، وأن الاستغاثة حق لوحدانية الله تعالى المنفرد بتدبير ملكه ، ونفع العباد أو ضرهم كإحيائهم وإماتتهم ، ورزقهم .

وابن تيمية لا ينكر (الصوفية) بمعنى السلوك الخلقى ، والنهج العملى الذى يحقق تطبيق الحقائق الشرعية تطبيقا عمليا ، باخلاص العبادة والعمل لله تعالى سواء وضع تحت هذا العنوان أم لم يوضع تحته ، وقد بحث ابن تيمية فى لفظ (الصوفية) و (الصوفى) ومرد ذلك من اللغة والتاريخ ، فلم يجد له مساغا لغويا الا على انه نسبة للصوف الذى كان أكثر واظهر لباس الزهاد فى الاسلام ، فعرفوا به تمدحا وقد جاء فى كلام الحسن البصرى الذى رواه عنه ابو نعيم فى الحلية : لقد أدركت سبعين بدريا اكثر لباسهم الصوف. ولم يظهر هذا اللقب كعنوان على طائفة مسلمة لها صفاتها وخصائصها ومعارفها ومصطلحاتها الا فى أواخر القرن الثالث الهجرى ، أما قبل ذلك فلم يكن الا الزهد والتقلل من الدنيا ، واخلاص العبادة لله من قوم اعتزلوا المجتمع الى زوايا العبادة ، وتشددوا فى أخذ أنفسهم بهذا التشدد ، ويقول ابن تيمية فى فتاويه — وقد سئل عن التصوف — : أما لفظ « التصوف » فانه لم يكن مشهورا فى القرون الثلاثة وانما اشتهر التكلم به بعد ذلك ، وقد نقل التكلم به عن غير واحد من الأئمة والشيوخ كالامام احمد بن حنبل وابى سليمان الدارانى وغيرهما وقد روى عن سفيان الثورى أنه تكلم به وبعضهم يذكر ذلك عن الحسن البصرى . ثم يقول ابن تيمية : أول ما ظهرت الصوفية فى البصرة وأول من بنى دويرة للصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد ، وعبد الواحد من أصحاب الحسن ، وكان فى البصرة من المبالغة فى الزهد والعبادة والخوف

من الله ونحو ذلك ما لم يكن فى سائر أهل الأمصار ... ولهذا غالب ما يحكى من المبالغة فى هذا الباب انما هو عن عباد أهل البصرة ، مثل حكاية من مات أو غشى عليه فى سماع القرآن ونحوه كقصة زرارة بن أوفى قاضى البصرة فانه قرأ فى صلاة الفجر (فاذا نقر فى الناقور) فخر ميتا .. فلما ظهر ذلك أنكره طائفة من الصحابة والتابعين .. والمنكرون يظنـــون أن ذلك تكلف وتصنع أو أنه بدعة لم يعرف من هدى الصحابة ...

ثم يقول ابن تيمية (والذى عليه جمهور العلماء أن الواحد من هـــؤلاء اذا كان مغلوبا عليه لم ينكر عليه وان كان حال الثابت أكمل منه ، ولهـــذا لما سئل الامام احمد عن هذا فقال : (قرىء القرآن على يحيى بن ســعيد القطان فغشى عليه ولو قدر أحـــد أن يدفع هـــذا عن نفسه لدفعه يحيى بن ســعيد فما رأيت أعقل منه) وقد نقل عن الشافعى أنه أصابه ذلك ، وعلى بن الفضيل بن عياض قصته مشهورة وبالجملة فهذا كثير ممن لا يستراب فى صدقه .. وقد يذم حال هؤلاء من فيه من قسوة القلوب والرين عليها والجفاء عن الدين ما هو مذموم ، وقد فعلوا ، ومنهم من يظن أن حالهم هذا أكمل الاحوال وأتمها واعلاها . وكلا طرفى هذه الامور ذميم) .

ثم قال الامام ابن تيمية : بل المراتب ثلاث :

« احداها » حال الظالم لنفسه الذى هو قاسى القلب ، لا يلين للسماع والذكر . وهؤلاء فيهم شبه من اليهود ، قال الله تعالى (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قســوة) الآية ، وقال تعالى (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) .

« الثانية » حال المؤمن التقى الذى فيه ضعف عن حمل ما يرد على قلبه، فهذا الذى يصعق صعق موت أو صعق غشى ، فان ذلك انما يكون لقـــوة الوارد وضعف القلب عن حمله .

« الثالثة » حال من لم يزل عقله مع انه حصل له من الايمان ما حصل لهم أو مثله او اكمل منه ،فهو افضل منهم وهذه حال الصحابة رضوان الله عليهم .

ثم قال : والمقصود ان هذه الامور التى فيها زيادة فى العبادة والاحوال خرجت من البصرة ، وذلك لشدة الخوف من الله فان الذى يذكرونه من خـــوف عتبة الغـــلام وعطـــاء السلمى وامثالهما أمر عظيم ولا ريب ان حالهم أكمل وأفضل ممن لم يكن عنده من خشية الله ما قابلهم أو تفضل عليهم .

ثم قال : والتصوف عندهم له حقائق وأحوال معروفة .. وهم يسيرون بالصوفى الى معنى الصديق .. ولهذا ليس عندهم بعد الانبيـــــاء أفضل من الصوفى ، لكن هو فى الحقيقة نوع من الصديقين .. ثم قال : والصواب أنهم مجتهدون فى طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله ، ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده ، وفيهم المقتصد الذى هو من اهل اليمين .. وقد انتسب اليهم طوائف من اهل البدع والزندقة ولكن عند المحققين من أهل

التصوف ليسوا منهم كالحلاج مثلا . فان اكثر مشائخ الطريق أنكروه واخرجوه عن الطريق مثل الجنيدين بن محمد سيد الطائفة وغيره ويقول ابن تيمية فى موضوع آخر : نعم للمؤمنين العارفين بالله المحبين له من مقامات القرب ومنازل اليقين مالا تكاد تحيط به العبارة ولا يعرفه حق المعرفة الا من أدركه وناله ، والرب رب ، والعبد عبد ، ليس فى ذاته شيء من مخلوقاته ولا فى مخلوقاته شيء من ذاته وليس أحد من أهل المعرفة بالله يعتقد حلول الرب تعالى بـه أو بغيره من المخلوقات . وان سمع شيء من ذلك منقـول عن بعض أكابر الشيوخ فكثير منه مكذوب اختلقه الأفاكون الاتحادية المباحية الذين أضـلهم الشيطان والحقهم بالطائفة النصرانية) .

ومن هذه التلخيصات التى قبسناها من نصوص كلام الامام ابن تيمية فى فتاويه وهى مطبوعة بين أيدى طالبيها يتبين ما يأتى :

أولا ــ أنه كغيره حاول أن يرد لفظ « التصوف » و « المتصـوفة » و « الصوفى » و « الصوفية » الى أصل لغوى فى الاشتقاق والنسبة فلم يجد ما يمكن أن يكون اصـلا يرجع اليه هذا اللفظ رجوعا لغويا صحيحا سوى « الصـوف » ونقل عن بعض الاشـياخ أن « الصـوف » كان اللبـاس الغالب على أهل الزهادة المتشددين فى العبادة المعرضين عن الدنيـا وزخـارفها .

ثانيا ــ انه يرى ان هـذا اللفظ كان منذ القرن الأول يدور على ألسـنة بعض الاشـياخ من التابعين كالحسن البصرى وأصحابه مثل عبد الواحد بن زيد وتلاميذه . ومثل سفيان الثورى ، وانه ظهر أكثر فى عهد تابع التابعين ، وذكر منهم الامام أحمد وأبو سليمان الدارانى وغيرهما . ثم اشتهر اللفـظ وعرفت به طائفـة من العبـاد بعد القـرن الثالث ، واكثر ما كانـوا فى البصرة . وكان يغلب عليهم الخوف واذا سمعوا القرآن أو الذكر أخذتهم غشية أو صعقة ، وذكر أمثلة لذلك اقرها ولم ينكرها .

ثالثا ــ انه يؤخذ من كلامه انه لا يرى ابقاء هذا اللفظ عنوانا على طائفة من العباد . لانه لم يرد فى القرآن ولا فى السنة ، ولا عرف فى عهد الصحابة رضوان الله عليهم وان المعنى الذى يدور عليه عند القائلين به هـو معنى الصديقين الذى ورد فى القرآن واليا لوصف النبوة فى ذكر طوائف اكمـل المؤمنين ولم يستفد من كلامه أن لفظ « الزهد » و « الزهاد » يمكن أن يؤديه لفظ « الصوفى » و « الصوفية » عند القائلين به .

رابعا ــ أن الامام ابن تيمية ذكر أن للتصوف مراتب واحـوالا ، وأن المخلصين من هذه الطائفة مجتهدون فى طاعة الله ، واذا جاء عنهم شيء لا يقبل ظاهره فى الشرع عذروا فيه بأنهم قالوه لغلبـة الوارد على قلوبهم وضعفها عن احتماله ، وأن الثابتين الذين لا يعتريهم من غلبة الوارد شيء يفصى عقولهم اكمل من أولئك الضعفى .

خامسا ــ ان الذين خرجوا بسلوكهم وأقاويلهم ممن ينتسب الى هـذه الطائفة الى تقرير امور تتعارض مع الاسلام وأحكامه فهم بدعيون مفارقـون للسنة ، وإما كفار مجرة إن كان ما يقولونه يناقض أصول الدين فى العقيـدة

كالقول بوحدة الوجود أو الحلول والاتحاد ، وشيوخ الطائفة صادقو الايمان كالجند واضرابه أخرجوا من ديوانهم من يذهب الى شىء من ذلك كالحلاج وأضرابه .

سادسا ـ أن الامام ابن تيمية لا يحكم أحكاما عامة يذهب فيها الطيب مع الخبيث ، ولكنه يعدل فى احكامه ويتحرى ، ويعطى كل ذى حق حقه فيثنى على الذين عرفوا بالصحة والصدق فى ايمانهم وعباداتهم ويأخذ عليهم ما خالفوا فيه منبها على ضرره فى الدين ، وذلك كقوله فى الحكيم الترمزى أنه تغلب على كلامه الصحة والصدق ، ثم نقده نقدا شديدا فى وضعه كتاب (ختم الاولياء) وكقوله فى عدى بن مسافر أنه كان رجلا صالحا ، وان اتباعه وضعوا على لسانه عقيدة لم تكن من وضعه وانها منقولة من كلام غيره ، وانهم وضعوا أسانيد للبس الخرقة الصوفية .

والخلاصة أن ابن تيمية فى علمه وفضله لا ينكر على المخلصين من شيوخ الصوفية حالهم ، ولكنه حارب فى متأخرى الطائفة الخروج الى الابتداع ، وحارب من انتسب اليهم من الزنادقة والمتفلسفة الذين احالوا أصول الاسلام الى كفريات وحدة الوجود والحلول والاتحاد مما يقول به النصارى وسواهم من الوثنيين .

ويتجلى من كلام الامام حرصه على الوقوف فى اخلاص شديد مع الكتاب والسنة وما أثر عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرسوخ والثبات مع قوة الايمان .

هذا العرض الموجز لمكانة ابن تيمية العلمية ومعارفه وقيامه بموجب ما حباه الله من فضل هو المعلم الاول الذى يجب أن يتجلى فى نموذج افضل الدعاة الى الله تعالى ، وعلم ابن تيمية ومعارفه لا يمكن أن يصل احد الى مكانه منهما الا اذا احاط درسا وبحثا بجميع ما أثر عنه فى مؤلفاته ومناظراته ورسائله ودون ذلك نفاد أعمار الافراد قبل الوصول الى تحقيق البحث فى مأثور العلم والمعرفة عن هذا الامام ، فقد بالغ قوم فى مؤلفاته وكثرتها مبالغة لو صحت لكانت ضربا من الاعجاز ، وحسب القادرين لمكانة العلم أن يبلغوا الغاية أو قريبا منها فى التفقه فيما عرف مطبوعا أو مخطوطا متماثلا دون شك من كتب ومؤلفات الامام ابن تيمية ، وكثير من مؤلفاته وفتاويه ورسائله لم يعثر عليه ، والذى عثر عليه لا تزال المطبعة منه فى منتصف الطريق .

وقد حاولت جاهدا ان يكون عرضى لموجز هذه المعلومات مستقى من مطالعاتى الشخصية لما امكن ان يقع تحت يدى فى الماضى والحاضر من مأثور هذا الامام ، ولا يزال الطريق طويلا يضىء للسالكين (وثانى) المعالم فى شخصية بن تيمية التى جعلته ـ فى نظرنا ـ نموذجا لأفضل الدعاة الى الله الذين يجب أن يقتدى بهم هو شجاعته الفائقة ، وجراته فى الحق والجهر به ، لا يخاف وعيدا وترهيبا ، ولا يتلمظ الى وعد وترغيب وصبره واحتماله الأذى مما لم يعرف لاحد سوى أفراد من ابطال الاسلام فقد عرف هذا الامام منذ أحس بالمسئولية الايمانية وواجباتها وهو لا يزال فى ميعة الشباب أنه مسئول عن دينه وامته التى تخوض المحن والبلايا ، فلا بد أن يكون طليعة لها وقائدا دينيا يقودها الى طريق عودتها الى حقيقة اسلامها ، تلك الحقيقة التى اضلتها فى غمرة المحن والجهالات والاساطير والخرافات ، فدرس وبحث

وتعمق وتضلع ، ونهض ليقوم بالعبء وحيدا ، ولداته وأقرانه من حــــوله رضوا بالمقام فى دنياهم ، يدفعون عن أنفسهم شر المحن والبلايا سلبا ، وحسب الفاضلين منهم أن يحتلوا كراسى التدريس فى مدارس العــلم المنتشرة فى عواصم الاسلام ، ولا عليهم أن يكون المجتمع على مستوى ما يدرسون له من علم ومعارف تبين حقائق الاسلام وشرائعه ، ولكن ابن تيمية أبى أن يكون شحنة يفرغ درسا فى المدارس والمساجد ، وانما رأى أن دينه يكلفــــه تكليفا ويدفعه دفعـــا الى أن يطبق علمه على أعمال الناس ، ولا ســيما فى عقيدتهم لان العقيدة هى الاساس لوزن كل عمل يصدر من المكلفين .

وقد نشاهد فى المجتمع أمورا أنكرها علمه ومعارفه ، فجاهر بانكاره . واشتد فى دحض الاباطيل التى كان يراها منسوبة الى الاسلام ، والاســلام منها برىء ، واجتهد فى أمور ظهر له فيها من اجتهاده مخالفة من سبقه من الائمة ، فأعلن ذلك وجاهر به ، ولم يبال بصيحات المقلدين المتعصبين ولا بقعقعة العامة ولا ببطش الملوك والسلاطين ولم يتهيب الالقاب والسمعة ، ووقف مع اجتهاده يناضل عنه ويجادل الذين يجادلونه ، يقرع الحجة بالحجة ، ويــرد الشبهة بالدليل مع ثبات جأش وقوة يقين ، لا يلين ، ولا يستكين ، وقد أتعب خصومه ، وكانوا من ذوى السمعة العلمية فى عصره ، وذوى السلطان فى الدولة ، فعقدوا له مجالس المناظرة فكان يحضرها وحده ، وكان خصــومه كثرة فى العدد ، وقوة فى التناصر بمكانتهم فلما استيأسوا منه خلصوا نجيــا يتآمرون عليه ، وكتبوا مرات يشكونه للسلطان ، فحبس وأطيل حبسه ، ولكن قلمه لم يحبس ، فكتب وأعلن عن آرائه ..وأطلق من الحبس فعـــــاد الى الدرس ، واستشرى الخصام بينه وبين عديد الطوائف من فقهاء الى صـــوفية الى فلاسفة الى شيعة باطنية رافضة ، الى ملاحدة لا يؤمنون بالنبوة والرسالة ولكنهم ينتسبون الى الاسلام ، فلما عجزوا عن مناضلته آذوه وحرضوا عليه الغوغاء فنالوا منه بأيديهم ، وأبى على أنصاره ومريديه أن يشتبكوا معهم لدفع عدوانهم ، وترجمته مليئة بالقصص والحوادث التى وقعت له بســـبب آرائه العلمية ، ولكنه خرج منها كلها أشجع ما يكون ونحن لم نتعرض لجـــوانبه السياسية والعسكرية التى كان يصول فيها ويجول دفاعا عن الاســـلام والمسلمين وفيها تجلت شجاعته بما لم يعرف فى التاريخ الا لقلة من أبطـــال الاسلام قادة وعلماء ومواقفه مسطورة فى تراجمه ، فليرجع اليها من شـــاء .

المعلم الثالث : من معالم الداعية فى شخصية الامام ابن تيمية التى جعلته نموذجا للداعى الى الله ، صفاء قلبه واخلاصه فى دعوته ، لقد كثر خصـــومه واشتد عليه منهم الاذى ، وبلغوا منه فى محنته كل مبلغ الا أن يسكتوه عن قولة الحق جهيرة مسموعة ، وكثيرا ما تمكن من رد عدوانهم عليه ، ولكنـــه تكرم ولم يؤذ أحدا منهم بل أنه كان يدافع عنهم ويلتمس لهم الاعذار وقد كتب بذلك من مصر الى بعض أصدقائه بدمشق فقال : (تعلمون رضى الله عنكم انى لا أحب ان يؤذى احد من عموم المسلمين ، فضلا عن أصحابنا بشىء اصلا، لا ظاهرا ولا باطنا ، ولا عندى عتب على أحد منهم ، ولا لوم أصلا ، بل لهم عندى من الكرامة والاجلال والمحبة والتعظيم اضعاف ما كان ، كل بحســـبه ، ولا يخلو الرجل اما أن يكون مجتهدا مصيبا او مخطئا ، أو مذنبا ، فالاول مأجور مشكور،

والثانى مع أجره على الاجتهاد معفو عنه ، والثالث فالله يغفر لنا وله ولسائر المؤمنين) ويقول أيضا : (لا أحب أن ينتصر من أحد بسبب كذبه على ، أو ظلمه لى وعدوانه على ، فانى قدأحللت كل مسلم ، وأنا أحب الخير لكل المسلمين ، وأريد لكل مؤمن من الخير ما أريده لنفسى ، والذين كذبوا وظلموا هم فى حل من جهتى) .

بل لقد سما ابن تيمية بنفسه لارفع المنازل ، فقد أراد السلطان الناصر بن قلاوون سلطان مصر — وكان صديقا للامام ، يعزه ويعظم مكانته — أن يأخذ له من أعدائه بعد أن عاد الى عرشه ، وكان قد سلب منه وانحاز بعض خصوم ابن تيمية الى أعداء الناصر ، فسأله عن العلماء والقضاة الذين آذوه ، فقال ابن تيمية : ان دماءهم حرام عليه ، وأنه لا يحل انزال الاذى بهم ، فقال له السلطان : انهم قد آذوك وأرادوا قتلك مرارا ، فقال له الامام : من آذانى فهو فى حل من جهتى ، ومن آذى الله ورسوله ، فالله ينتقم منه ، وأنا لا انتصر لنفسى ، ثم قال للسلطان: انك اذا قتلت هؤلاء لا تجد بعدهم مثلهم .

وقد كان لهذا الموقف الكريم أثره فى نفوس هؤلاء القضاة والعلماء الذين ناصروا خصم السلطان عليه ، وتوقعوا قتلهم ، فلما نجوا قال ابن مخلوف قاضى المالكية بالديار المصرية — وكان أشد خصوم ابن تيمية عليه — ينطق على لسان سائر القضاة والعلماء من خصوم الامام : (ما رأينا مثل ابن تيمية، حرضنا عليه ، فلم نقدر ، وقدر علينا فصفح وحاج عنـا) .

ولا شك أن هذا من أرفع ما عرف فى أخلاق الدعاة الى الله تعـالى ، وهو خلق ربى عليه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الطليعة من الرعيل الأول الذين سبقوا الى الاسلام ، واحتملوا الاذى فى سبيل عقيدتهم وايمانهم

المعلم الرابع — من معالم الامام ابن تيمية باعتباره نموذجا لافضل الدعاة الى الله تعالى : هو تجافيه عن الدنيا وتباعده عن طلبها تباعدا فرغ عقله وقلبه وجوارحه الى العلم والمعرفة ، والى العمل الايجابى فى تطبيقهما على أحوال المجتمع الاسلامى، فلم يعرف عنه أنه اشتغل بعمل من أعمال الدنيا ، ليكسب منه مالا ، أو يقتنى ضياعا ولا عرف عنه أنه تولى عملا من أعمال الدولة ، يتقاضى عليه أجرا ، ولكنه أعطى حياته وجهده للدعوة الى الله تعالى ، من طـريق العلم ، يقول صاحب الكواكب الدرية (ما خالط الناس فى بيع ولا شراء ، ولا معاملة ولا تجارة ، ولا مشاركة ولا مزارعة ولا عمارة ، ولا كان ناظرا لوقف أو مباشرا لمـال .. ولا كان مدخرا دينارا ولا درهما ، ولا طعاما ولا متاعا ، وانما كانت بضاعته مدة حياته وميراثه بعد وفاته — رضى الله عنه — العلم اقتداء بسيد المرسلين الذى قال (العلماء ورثة الأنبياء ، والأنبياء لم يورثوا دينـارا ولا درهمـا ، ولكن ورثوا العلم ، فمن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر) .
والله ولى التوفيق .



مع الطبيب



بنك الدم

بقلم طبيب

مر بالكويت حين من الدهر كان كل الاعتماد فيه على الدم المستورد . وكثيرا ما كانت تستهلك شحنة من الدم قبل أن تصل الشحنة التالية ، فتمر فترة من الحيرة والقلق . وتترك المستشفيات كالجبهة المكشوفة ازاء كل حادث يحتاج فيه الى اجراء عملية نقل الدم ، ويروح الاطباء فى لهفة وعجلة يفتشون بين اقارب المرضى عمن يوافق دمه دم المريض أو المصاب ، بل ان من بين الاطباء ممن تطوع فعلا بدمه هو ليستنقذ حياة مريضه .

ولقد ظلت فكرة الاكتفاء الذاتى المحلى فيما يختص بالدم حبيسة الصدور فترة من الزمان . لأن الناس فى ظروف حياتهم اليومية كانوا فى شغل عن معرفة مدى الحاجة اليه . حتى مر بالكويت ظرف نحسبه لا يزال حيا فى ذاكرة كل مواطن ، وعرضت شدة كشفت عن روح البذل واصالة المعدن فى هذا الشعب .. ورب صفات وشمائل يسترها الرخاء ولا تبين عنها الا الشدائد . فلم يكد يشيع فى يوم من الايام منذ سنوات أن الكويت قد يضطر الى الدفاع عن الحدود والذود عن الحياض ، حتى سارع أهلوه لا الى حمل السلاح فحسب ، ولكن الى تلبية دعوة الجهات الصحية الى التبرع بالدم . وانشىء يومها فى المستشفى الاميرى بنك مؤقت للدم ، ازدحم بالمتبرعين من أبناء الكويت مواطنين وضيوفا ، واستبق الشيب والشباب ذكرانا واناثا الى التطوع بدمهم ، على نطاق دعا السلطات الصحية أن يصدروا نداء آخر يناشد المواطنين تأجيل التبرع بدمهم وحفظه فى عروقهم الى حين الحاجة اليه ، ومرت الأزمة بسلام والحمد لله .

ومرت الشدة وتركت وراءها حقيقتين . الحقيقة الاولى هى أن هذا الشعب لا تعوزه طاقة البذل وملكة العطاء كلما آنس أن الواجب يدعوه الى ذلك .

والحقيقة الثانية هى استبانة أن الحاجة الى التطوع بالدم ليست رهن شدة معينة او محنة طارئة ، بل ان حياة الكثيرين فى المستشفيات بالكويت فى كل ساعة من ليل أو نهار وفي كل يوم من شدة أو رخاء انما تتوقف على نقل الدم وعلى توفره فى أوان الحاجة اليه .

وكم من مصاب وكم من مريض وكم من والدة يدهمهم النزف فلا يحول بينهم وبين مصير الطير الذبيح الا أن ينصب فى عروقهم دم بدلا من الدم الذى نزفوه ، فتستقيم الحياة وتنبض العروق مرة اخرى ويحدث الله من بعد عسر يسرا .

يحدث ذلك الآن وقبل الآن وفى كل آن . ويشهده كل مستشفى فى الكويت. ولهذا فان اقامة بنك للدم لم يجىء ترفا ولا بهرجا وانما صادف حاجة قائمة دائمة فى مجال حياة او موت .

واذا كان بنك الدم اليوم قد استوى عوده بما توفر لديه من المتطوعين ، فاننا نود أن ننوه لكل مواطن أن هؤلاء المتطوعين ليسوا طائفة بذاتها او صنفا خاصا من البشر . وأن الدعوة الى التطوع بشىء من الدم ليست دعوة خاصة لناس بذاتهم . بل هى دعوة عامة موجهة اليك كما هى موجهة الى غيرك . وهى دعوة حرية بأن يستجيب لها كل مؤمن بالخير ، وكل مؤمن بأنه ما استحق ان يولد من عاش لنفسه فقط ، وكل مؤمن بأن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وكل مؤمن بأن من قتل نفسا فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما احيا الناس جميعا .

ويخطىء من يظن بأن دعوته للتبرع بشىء من دمه هى دعوة الى تهلكة يلقى بيديه اليها ، أو الى شطط نود أن نحمله عليه . فأول خطوة يخطوها المتطوع هى أن يستوثق الطبيب بالفحص الطبى والتحليل المخبرى ، ان عملية بذل الدم لن يكون لها اى ضرر صغير او كبير على المتطوع نفسه . لأن العرف الطبى المتفق عليه أن يضحى الرجل الكريم بشىء من دمه بشرط الا يضحى على الاطلاق بشىء من صحته قل أو كثر فى الحاضر أو فى المستقبل .

أما الخطوة التالية فهى أن يفحص المتطوع ويفحص دمه لضمان خلوه من أى مرض ينقله الى غيره .

ثم تعين بعد ذلك فصيلة دمه ، لأن دماء الناس تنتمى الى عدد من الفصائل ولا بد أن يكون الدم المحقون ودم المريض من فصيلة واحدة حتى لا تحدث مضاعفات قد تؤدى الى أوخم العواقب .

ثم يجمع الدم بطريقة معقمة ويحفظ تحت ظروف خاصة فى بنك الدم ، حتى يجد طريقه الى المحتاجين اليه حاملا اليهم الحياة .. وحاملا اليهم أهم من ذلك دليل صحة هده الحياة .. وهو أن الناس بخير لا نقول ما عاشوا فحسب ، ولكن نقول ان الناس بخير ما تراحموا . وصدق من قالها .

والخلاصة اذن ان فى الكويتبنك دم . وانه بحاجة الى تدعيم مستمر ، وانه فى رسالته السامية الصامتة يطرق كل اذن بقول الله تعالى « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا » ..

فمنذا الذى لا يجيب ؟! ..

طبيب

من القصص الإسلامي



المجلس الكبير

للأستاذ : حسين الطوخي

● أنقضت خلافة أبى العباس عبد الله ــ السفاح اول خلفاء بنى العباس بما حفلت من خير وشر ، بوفاته فى شهر ذى الحجة من العـــام السادس والثلاثين بعد المائة الاولى للهجرة .

لم يكن هناك من أمر كان يشغل بال ((عبد الله السفاح)) طوال سنوات خلافته التى لم تدم غير أربعة أعوام ، الا مطاردة فلول بنى أميـــة فى شرق البلاد وغربها والقضاء على عصبيتهم ، ومصادرة أموالهم وضياعهم ، وتقويض نفوذهم بالرغم من أنها كانت خلافة عربية خالصة لم تمتزج دماؤها بدم غـــير عـــربى نقى وأصـــيل .

ولقد عـــانى المسلمون الاهـــوال والويلات فى آخريات أيام الدولـــة الأموية وأوائل أيام الدولة العباسية ، فذلك سمة كل حكم تؤذن شمسه بالمغيب ليطلع من بعدها نـــور فجـــر جديد يحمل فى غلائل ضـــوئه تباشير تغيير شامل وملامح تبديل هـــائل .

ثم يبايع ((أبو جعفر المنصور)) بخلافة المسلمين بعد موت اخيه السفاح ، وتنقضى أيام خلافته لينة على المسلمين ، ويرونه يتجاوز عن كثير من سيئات خصماء البيت العباسى ليكسبهم الى جانبه ويفيد من تجـــاربهم وقدراتهم ، ويرونه كذلك يلتفت الى الجبهة الداخلية ليتحسس مواضع الصدع فى كيان الامبراطورية الاسلامية ، فيرأب خللها ، ويقوم معوجها ، حتى استقامت له امور العباد فى شتى الامصار والبلاد .

والحق الذى لا خلاف عليه ان **« المنصــور »** يعد المؤسس الحقيقى لدولة بنى العباس . فقد ظل طوال خلافته التى امتدت اثنتين وعشرين سنة . يرسى قواعد حكم رشيد بعد مغيب دولة استنامت فى أواخــر أيامها الى أحـــلام الترف ونعيم الحياة الزائف . وأدارت ظهرها لما أمر به الدين الحنيف .. خير دين أنزل للناس .

ويوم أن اعتلى الخلافة **« محمد المهدى »** ولد المنصور . كان ملك الدولة العباسية قد قويت دعائمه . واشتد عوده . فاستقرت أمور الدولة ، وهدأت من حولها الثائرات ، وامتد سلطان المسلمين حتى بات يتاخم حدود الصـــين شرقا وينفسح غربا حتى يلامس شطآن أسبانيا .

افتتح المهدى خلافته بالترفيه عن الناس بعد أن زالت ضرورات الشدة التى مارسها عمه السفاح وأبوه المنصور ، فأمر باطلاق من كان فى الحبس على ايام أبيــه الا من كان معروفا بالسعى فى الارض فسادا وبين النـــاس تضـــليلا .

كان الرخـــاء ويسر العيش قد عم « بــغـــداد » عاصمة العباسيين ، وانتقل منها الى جميع أقاليم الامبراطورية الاسلامية الشاســـعة ، وكانت الاموال وخيرات الارض والبحر تتدفق عليها مدرارا من شرق ومن غـــرب ، ولم تكن هناك ايامئذ قيود مفروضة على الناس حين يغدون أو يروحون الا من كان يسعى فى الارض فسادا .

كذلك كان « المهـدى » يجلس بنفسه للمظالم ليستمع الى الشـــاكى والى المشكو فى حقه وهما يقفان بين يديه على قدم سواء ، ثم يصدر حكمه بمعاونة قضاته وفقهاء الدين ليأخذ كل ذى حق حقه بالعدل والقسط .

ويوم أن بلغه تدخل عماله وقبولهم الرشا لتقديم هذا النفر واقصـــاء ذلك النفــر من الشاكين ، اتخذ قاعة لها شباك من حديد على الطريق العام تطرح فيه شكايات الناس مكتوبة ، ويدخل الخليفة وحده الى هذه القاعـــة ، فيأخـــذ ما يقع بيده أولا فأولا وينظر فيه دون أن يقدم بعضها على بعض .

لم يكن يحكم على احد من الناس أيام المهدى بالحبس أو بأية عقـــوبة دون حجة دامغة ودلائل ثابتة . كما كانت عيون الخليفة وآذانه تتعقب المفسدين فى الارض ومن يسيئون استخدام ما بأيديهم من مركز وسلطان ، فيمسك بهم ويحاسبهم بالقسط ويقمع ظلمهم ويرد الحق لصاحبه دون التفات لوشيجـــة قربى ومصاهرة ، أو اواصر صداقة ومسامرة .

ولم تكن فى بغداد أو فى غيرها من عواصم الامصار الاســـلامية أيام الخليفة المهدى ضوائق عيش أو ازمات تأخذ بتلابيب الناس وتمسك بخناقهم . ولم تكن هناك اسواق سوداء للغذاء والمأوى والكساء ، انما كانت ضرورات

الانسان مكفولة وحاجاته ميسورة وهى بعد موفورة للجميع وفقا لخطط مرسومة ونظم محتومة .

كان الخليفة « المهدى » يستمد سعادة أيامه من سعادة المحكومين ، وكان يحس برخاء الحياة ورغد العيش من خلال ما ينعم به المسلمون من

رخاء حياتهم ورغد عيشهم ، فلا يستكبر ولا يستعلى ، ولا يكل أمور العباد الا لمن يثق فى طهارة ضميره وخشيته من الله ، وكان يسأل عن صغير الامور قبل كبيرها ، ولا يفتأ يذكر نفسه آناء الليل واطراف النهار بأن معظم النار من مستصغر الشرر .

لكن « المهدى » مع كل ما كان يشعر به من غبطة وسعادة كان يحس كذلك بوخز يؤلمه ويؤرقه بالليل وبالنهار .

انها ولاية **« خراسان »** التى يأتيه بريدها بأنها تشق عصا الطاعة وتوشك أن تنقض بيعتها بخلافته وتطرد عمال الخلافة وتلتوى بما عليها من الخراج وتمتنع عن أدائه .

ويحدث « المهدى » نفسه فى أخريات الليل وقد استبد به الارق والحزن:
— ترى هل اغتر أهل خراسان بحلمى ، ووثقوا بعفوى ، فكسروا الخراج ، وطردوا عمال الخلافة وسألوا ما ليس لهم من الحق ؟

والحق انه شاع وأثر عن المهدى انه كان حليما بأهل خراسان غاية الحلم ، واحتمل عنتهم ودالتهم ، واقال عثرتهم مرة تلو مرة ، واغتفر زلتهم تطولا بالفضل واتساعا بالعفو وأخذا بالحجة ورفقا بالسياسة .

وتعاود الخليفة المهدى أحزانه وهمومه فى ليلة أخرى ويحدث نفسه من جديد : قد يكون لهم بعض العذر فيما يشتطون فيه ، فخراسان قد حملت لواء الدعوة لخلافة بنى العباس بقيادة **« أبى مسلم الخراسانى »** وقد قتل بتدبير من أبيه « المنصور » بعد أن ركبه الكبر والاستعلاء فظل أهلها يضمرون السوء حتى انتهت خلافة المنصور ثم طمعوا فى حلم المهدى فأرادوا أن يثأروا لمقتل عميدهم بنكث البيعة وطرد عمال الخلافة والامتناع عن أداء الخراج .

لكن المهدى يقهر أحزانه ، ويطرد همومه وراء ظهره ، ويهب كالليث الغضوب لما تبين له خطورة ما انتوى عليه أهل خراسان ، سرعان ما تبخرت من قلبه هوادته وانزاح عن نفسه اغضاؤه ومداهنته ، اثرة للحق وقياما بالعدل واخذا بالحزم .

والخليفة المهدى مع ما يملك من سلطان وقوة ونفوذ ، لم يحب يوما أن يكون مستبدا برأيه ، منفردا بالحكم على الامور ، انما الذى يحبه المهدى ، أنه يدعو الى مجلس كبير يضم مستشاريه ونصحائه ، وفيهم نفر

من لحمته ووزرائه ، ليعلمهم الحال ويستنصحهم ما فيه صالح الرعيـة وصوالح المســلمين .

وينعقد المجلس الكبير ذات ليلة من العام الواحد والاربعين بعد المائة للهجرة بقصر الرصـافة فى بغداد ويتذكر المهـدى قول الرسول العظيم :

(لا نـدم من استشـار ولا خـاب من اسـتخار) .

ثم يبعث المهـدى الى ولديه « **موسى الهادى** » و « **هارون الرشيد** » ليحضرا مجلسه وليشاركا بالرأى . وأمر « **محمد بن الليث** » بحفظ مراجعـة كل من يتحدث فى المجلس واثبات مقالاتهم فى كتاب يرجع اليه عند الحاجة .

افتتح المهـدى الكلام فى المجلس الكبير بقوله :

ان المشاورة والمناظرة بابا رحمة ومفتاحا بركة لا يهلك عليهما رأى ولا يفل معهما حـزم فأشيروا برأيكم ، وقولوا بما يحضركم فانى من ورائـكم وتوفيق الله من وراء ذلك .

قال الربيع بن يونس حاجب الخلافة بعد أن حمد الله واثنى عليه :

أيهـا المهـدى : ان تصاريف وجوه الرأى كثيرة ، وان الاشارة ببعض معاريض القول يسيرة ، ولكن « خراسان » أرض بعيدة المسافة ، متراخيـة الشقة ، متفاوتة السبل . ولكن الرأى لك أيها المهـدى — وفقك الله — ان تصرف احالة النظر وتقليب الفكر فيما جمعتنا له واستشرتنا فيه من التدبـير لحربهم والحيل فى أمرهم ، الى الطلب لرجل ذى دين فاضل وعقل كامـل وورع واسع ليس موصوفا بهوى فى سواك ، ولا متهما فى أثرة عليك ، ثم تسند اليه أمورهم ، وتفوض اليه حربهم ، وتأمره فى عهدك ووصيتك اياه بلزوم أمرك ما لزمه الحزم ، وانيواثب أمرهم من قريب ، ويسقط عنه ما يأتى من بعيد .

وسكت الربيع بن يونس بعد أن فرغ من ابداء مشورته ، فأشار الخليفة الى الفضل بن العباس ليدلى برأيه فقال الفضل :

أيها المهـدى ان ولى الامور وسائس الحروب ربما نحى جنوده وفـرق أمواله فى غير ما ضيق أمر حزبه ، ولا ضغطة حال اضطرته ، فيقعـد عند الحاجة اليها وبعد التفرقة لها عديما منها ، فاقدا لها ، لا يثق بقوة ، ولا يصول بعدة ، ولا يفزع الى ثقة . فالرأى لك أيها المهـدى — وفقك الله — ان تعفى خزائنك من الانفاق للأموال ، وجنودك من مكابدة الاسفار ، ومقارعـة الاخطار ، وتغوير القتال ، ولا تسرع للقوم فى الاجابة الى ما يطلبون ، والاعطاء لـما يسألون ، فيفسد عليك أدبهم ، وتجرىء من رعيتك غيرهم ، ولكن اغـزهم بالحيلة ، وقاتلهم بالمكيدة ، وصارعهم باللين ، وخاتلهم بالرفق ، وأبـرق لهم بالقول ، وارعد نحوهم بالفعل ، وابعث البعوث ، وجنـد الجنـود ، وكتب الكتائب ، واعقد الألوية ، وانصب الرايات ، واظهر انك موجه اليهم الجيوش مع احنق قوادك عليهم ، واسوئهم اثرا فيهم ، ثم ادسس الرسل ،

وابثث الكتب ، وضع بعضهم على طمع من وعدك ، وبعضا على خوف من وعيدك، فان مرام الظفر بالغيلة ، والقتال بالحيلة ، والمناصبة بالكتب ، والمكايدة بالرسل، والمقارعة بالكلام اللطيف المدخل الى القلوب ، القوى الموقع من النفـوس ، المعقودة بالحجج ، الموصول بالحيل ، المبنى على اللين ، الذى يستميل القلوب ، ويسترق العقول ، ويسبى الآراء ، ويستميل الاهواء ، ويستدعى المواتاه .. ذلك كله ، انفذ من القتال بظبات السيوف وأسنة الرماح . كما أن الوالى الذى يستنزل طاعة رعيته بالحيل ، ويفرق كلمة عدوه بالمكايدة ، احكم عملا والطف نظرا وأحسن سياسة من الذى لا ينال ذلك الا بالقتال ، والتغرير والخطـار والاتلاف للاموال . وليعلم المهـدى ــ وفقه الله ــ أنه ان وجه لقتالهم رجلا ، لم يسر لقتالهم الا بجنود كثيفة تخرج على حال شديدة ، وتقدم على أسـفار ضيقة ، وأهوال متفرقة ، وقواد غششة ، ان ائتمنتم استنفدوا مالك ، وان استنصحتهم كانوا عليك لا لك .

قال المهـدى : هذا راى قد أسفر نوره ، وبرق ضوؤه ، وتمثل صوابه للعيون ، وتجسد حقه فى القلوب ، ولكن فوق كل ذى علم عليم .

ثم وجه المهـدى الحديث الى ولده **« موسى الهادى » فقال** : ما ترى يا ابا محمـد ؟

قال موسى الهادى ولـد المهـدى :

ايها المهدى : لا تسكن الى حلاوة ما يجرى من القول على السنتهم ، وانت ترى الدمـاء تسـيل من خلل فعلهم ، والحال من القوم تنادى بمضمرة شر ، وخفية حقد . والراى للمهـدى ــ وفقه الله ــ الا يقيل عثرتهم ، ولا يقبـل معذرتهم ، حتى تطأهم الجيوش ، وتأخذهم السيوف ، ويستحربهم القتل ، ويحدق بهم الموت ، ويحيط بهم البلاء ، ويطبق عليهم الذل ، فان فعل المهـدى بهم ذلك ، كان مقطعة لكل عادة سوء فيهم ، وهزيمة لكل بادرة شر منهم .

سكت الخليفة لحظة تأمل خلالها راى ولده موسى الهادى ، ثم اشار الى ولده « هارون » ان يدلى برايه فقال :

خلطت الشدة ايها المهـدى باللين ، فصارت الشدة أمر فطام لما تكره ، وعاد اللين أهـدى قائد الى ما تحب ، ولكن ارى غير ذلك .

قـال المهـدى :

ــ لقد قلت قولا بديعا ، وخالفت به اهل بيتك جميعا . والمرء متهم بما قال، وظنين بما ادعى ، حتى يأتى ببينة عادلة ، وحجة ظاهرة ، فاخرج عما قلت .

قـال هـارون :

ــ ايها المهـدى : ان الحرب خدعة ، والاعاجم قوم مكرة ، والطبيب

الرفيق بطبه ، البصير بأمره ، لا يتعجل بالدواء حتى يقع على معرفة الداء . فالرأى للمهدى — وفقه الله — ان يسبر غورهم بمتابعة الكتب ، ومظاهرة الرسل ، وموالاة العيون حتى تهتك حجب غيوبهم ، وتكشف أغطية أمورهم . فان تبين للمهدى أنهم يسألون أمورا بما لهم من دالة مناصحتهم ، وسابقة حمل لواء دعوتنا ، فالرأى للمهدى — وفقه الله — ان يتسع لهم بما طلبوا ، ويتجافى لهم عما كرهوا ، ويولى عليهم من أحبوا ، ويداوى بذلك مرض قلوبهم . ثم ان خراسان بخاصة ، لهم دالة محمودة ، وحقوق واجبة ، لانهم أيدى دولته ، وسيوف دعوته ، فليس من شأن المهدى المؤاخذة لهم ، ولا التوعر بهم ، ولا المكافأة باساءتهم .

قال المهدى :

— ارى أن تدعوا ما قد سبق موسى فيه أنه هو الرأى ، وثنى بعده هارون ، ولكن من لأعنة الخيل ، وسياسة الحرب ، وقيادة الناس أن أمعن بهم اللجاج ، وأفرطت بهم الدالة ؟

قال محمد بن الليث كاتب المجلس :

— اهل خراسان — ايها المهدى — قوم ذوو عزة ومنعة ، وشياطين خدعة ، الروية عنهم عازبة ، والعجلة فيهم حاضرة ، تسبق سيولهم مطرهم ، وسيوفهم عذلهم ، لأنهم بين سفلة لا يعدو مبلغ عقولهم منظر عيونهم ، وبين رؤساء لا يلجمون الا بشدة ، ولا يفطمون الا بالقهر ، وان ولى المهدى عليهم وضيعا لم تنقد له العظماء ، وان ولى أمرهم شريفا تحامل عليه الضعفاء . وليس المهدى — وفقه الله — فاطما عاداتهم ، ولا قارعا صفاتهم ، بمال أحد رجلين لا ثالث لهما ، ولا عدل فى ذلك بهما : **أحدهما** لسان ناطق موصول بسمعك ، ويد ممثلة لعينك ، نقى العرض نزيه النفس ، جليل الخطر ، فان قلدته أمرهم ، وحملته ثقلهم ، فجعل العدل عليه وعليهم اميرا ، والانصاف بينه وبينهم حاكما ، وسلك المعدلة فأعطاهم مالهم وأخذ منهما عليهم ، غرس لك فى الذى بين صدورهم ، وأسكن لك فى السويداء داخل قلوبهم طاعة راسخة العروق ، باسقة الفروع . **وثانيهما** عود من غيضتك ، ونبعة من أرومتك ، فتى السن ، كهل الحلم ، راجح العقل ، محمود الصرامة ، يجرد فيهم سيفه ، ويبسط عليهم خيره بقدر ما يستحقون ، وعلى حسب ما يستوجبون .

سكت المهدى ساعة يقلب وجوه الرأى ، ويستصفى ما تحدث به كل من حضر مجلس المشاورة ، وفى النهاية قال :

— ولكن اين تركتم ولى العهد موسى ؟

قالوا : لم يمنعنا من ذكره الا كونه شبيه جده ، ونسيج وحده ، ومن الدين وأهله بحيث يقصر القول عن أدنى فضله ، فكرهنا شسوعه عن محلة

الملك ، ودار السلطان ، ومقر الامامة والولاية ، وموضع المدائن والخزائن وقلنا: ان وجه المهـــدى ولى عهده فحدث فى جيوشه وجنوده ما قد حدث بجنود الرسل من قبله ، لم يستطع المهـــدى أن يعقبه بغيره ، الا ان ينهض اليهم بنفســـه ، وهذا خطر عظيم ، وهول شديد . وان تنفست الأيام بمقامه ، واستدامت الحال بأيامه ، حتى يقع عرض مـــا ، أو يحدث أمر لا بد من حدوثه ، صار ما بعده مما هو أعظم هـــولاوأجـــل خطرا ، له تبعا وبه متصلا .

قال المهـــدى بعد أن أمعن التفكير فيما قالوا :

ــ الخطب أيسر مما تذهبون اليه ، وعلى غير ما تصفون الامر عليه . نحن أهـــل البيت . نجرى من أسباب القضايا ومواقع الامور على سابق من العلم ، ومحتوم من الامر قد انبأت به الكتب ، وتتابعت عليه الرسل ، وقـــد تناهى ذلك بأجمعه الينا ، وتكامل بحذافيره عندنا ، فيه ندبر وعلى الله نتوكل: أنه لا بد لولى عهدى ــ وولى عهدى عقبى بعدى ــ ان يقود الى خراســـان البعوث ، ويتوجه نحوها بالجنـــود .

ثم بعث المهـــدى الى ولى عهده موسى الهادى ليسمع آخر ما استقر عليه رأى المجلس ، وقال متوجها اليه بالحديث :

ــ أى بنى : انك قد أصبحت بسمت العيون نصبا ، ولمثنى أعطـــاف الرعية غاية ، فعليك بتقوى الله وطاعته ، فاحتمل سخط الناس فيهما ، ولا تطلب رضاهم بخلافهما ، فان الله عز وجل كافيك من أسخطه، عليك ايثارك رضاه ، وليس بكافيك من يسخطه عليك ايثارك رضا من سواه . ثم اعـــلم أن الله تعالى فى كل زمان عترة من رسله ، وبقايا من صفوة خلقه ، وخبـــايا لنصرة حقه ، يجدد حبـــل الاسلام بدعواهم ، ويشيد أركان الدين بنصرتهم ، ويتخذهم لأولياء دينه أنصارا ، وعلى إقامة عدله أعوانا ، يسدون الخلـــل ، ويقيمون الميل ، ويدفعون عن الارض الفساد . واعلم ــ بنى ــ أن أهل خراسان أصبحوا أيدى دولتنا ، وسيوف دعوتنا الذين نستدفع المكاره بطاعتهم ، ونصرف نزول العظائم بمناصحتهم ، وقد مضت لهم وقائع صادقات ، ومواطن صالحات. فظاهر عليهم لباس كرامتك ، وأنزلهم فى حدائق نعمتك ، ثم اعرف لهم حق طاعتهم ، ووسيلة دالتهم ، بالاحسان اليهم ، والتوسعة عليهم ، والاثابـــة لحسنهم ، والاقامة لمسيئهم . اى بنى : ثم عليك العامة ، فاستدع رضـــاها بالعدل عليها ، واستجلب مودتها بالانصاف لها ، وتحسن بذلك لربك ، وتزين به فى عين رعيتك ، واجعل عمال القدر وولاة الحجج ، مقدمة بين يدى عملك ، ونصفة منك لرعيتك ، وذلك ان تأمر قاضى كل بلد ، وخيار أهل كل مصر ، أن يختاروا لانفسهم رجلا توليه أمرهم ، وتجعل العدل حاكما بينه وبينهم ، فان احسن حمدت ، وان أساء عذرت . ولا تدع أن تختار لك من فقهاء البلدان وخيار الامصـــار ، اقواما يكونون جيرانك وسمارك ، واهل مشاورتك فيما تورد ، وأصحاب مناظرتك فيما تصدر . فسر على بركة الله أصحبك الله من عـــونه وتوفيقه دليلا يهدى الى الصواب قلبك ، وهاديا ينطق بالخير لسانك .

وقبل أن يطلع فجـر اليـوم الجديد ، كانت الرسل والبعوث التى تحمل كتب الخليفة ورسائل ولى عهده الى أئمة وزعماء خراسان ، قد تجهزت للرحيل، ووقف جميع من حضر المجلس الكبير يودعون الرجال ويوصونهم بتقوى الله فيما يصدر عنهم من أقوال وأفعال .

وان هى الا أيام قليلة حتى كان « **موسى الهادى** » قد نظم وعبأ جيشـا ترى العين أول صفوفه ولا تدرك نهايته الطويلة الممتدة وهو يقطع الطـريق من أطراف بغـداد الى خراسـان .

وانقضى شهر وراء شهر والأنباء ترد الى المهـدى من خراسـان ، تحمل استتباب الحال ، والعدول عن القتال ، وان « الهــادى » يسير فى الناس أحسن سيرة ، على خير ما أمر به الله ، وما أنزل فى كتابه الحكيم ، وكفى الله المؤمنين القتـال .



المراجــع :

العقد الفريد لابن عبد ربه . عيون الاخبار لابن قتيبة . الاغانى للاصـفهانى . تاريخ الامم الاسلامية لمحمـد الخضرى .

بريد الوعي الإسلامي

القراءات المتواترة

أثناء الاستماع الى القرآن الكريم فى الصباح من اذاعة الكويت يوم الثلاثاء الموافق ٢٧ صفر ١٣٩٢ ، وكان القارىء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد لفت نظرى أنه عندما قرأ الآية السادسة من ســـورة الحجرات قال : « ان جاءكم فاسق بنبأ فتثبتوا » .. وحسب حفظى لبعض آيات الكتاب الكريم ، ورغبة فى التأكد من صحة الآية رجعت الى المصحف فوجدت أن المكتوب بالمصحف « ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » ..

فهل يجوز التغيير فى اللفظ حتى ولو كان بنفس المعنى ....؟

أرجو ألا يكون المقرىء قد وقع فى خطأ لمكانته وحبنا جميعا لطريقة تلاوته للقرآن الكريم ..

حمدى الكفراوى ـ جامعة الكويت

. . . . .

ـ ان قراءة (فتثبتوا) قراءة مشهورة صحيحة متواترة قرأ بها كل من حمزة والكسائى وخلف وهؤلاء الثلاثة من العشرة الذين أجمع المسلمون على صحة قراءتهم ..

وتوجيه هذه القراءة كما ذكر العلماء انها مشـــتقة من الثبت او التثبت وقراءة باقى القراء العشرة (فتبينوا) أنها مشتقة من التبين .

وكلا القراءتين متقارب فى المعنى فالتثبت معناه التبين .

هذا وكون المصاحف التى رجع اليها الاستاذ غير موجود فيهـــا هذه القراءة ، فهذا صحيح لأن المصاحف التى اطلع عليها منقوطة على رواية حفص ، ولو أن المصحف كتب على قراءة حمزة أو قراءة احد ممن معه فى عصرنا هذا لنقط على ما يوافق قراءته وقد تكون هناك مصاحف مكتوبة بالفعل على هذه القراءة والعبرة بما صح سنده وتواتر وقد صحت هذه القراءة وتواترت .

ولو أن السائل الكريم تأمل قليلا لوجد أن الرسم يحتمل القراءتين معا . وان اختلف نقطهما وهذا سر من أسرار الرسم العثمانى للمصاحف حيث لم يكن بها نقط ولا شـــكل فى الصدر الاول عندما كتبت فى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه .

عبد الرءوف محمد سالم

هل للرسول صلى الله عليه وسلم معجزات كما كان للانبياء من قبله .. ؟

ــ ارسل الله سبحانه وتعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة بشيرا ونذيرا وأيده بمعجزات كثيرة اهمها واجلها القرآن الكريم الذى نزل بأفصح اللغات وأصحها وأبلغها وأوضحها وأثبتها وأمتنها . وتلك معجزة عظمى حيث لم يكن عليه الصلاة والسلام كاتبا ولا قارئا وقد تحدى القرآن بلغاء العرب أن يأتوا بمثله او بمثل آية منه فعجزوا وهم أهل الفصاحة والبلاغة .. !!

واظن السائل يريد من سؤاله معرفة المعجزات الاخرى لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى كثيرة منها : الاسراء والمعراج ، وانشقاق القمر ، ونبع الماء من بين أصابعه الشريفة ، وبركاته فى الطعام وغير ذلك ..

روى أنس بن مالك رضى الله عنه : « بأن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين » وقال عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه : « بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى اذ انفلق فلقتين فكانت فلقة وراء الجبل وفلقة دونه فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا ..

ولقد ثبت أن حجرا كان يسلم على النبى صلى الله عليه وسلم قبل بعثته .. كما أن الجذع الذى كان يخطب عليه بكى عندما تركه النبى واتخذ منبرا غيره . فعن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انى لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علىّ قبل أن أبعث إنى لأعرفه الآن .. » .

أما عن نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم فقد روى أنس بن مالك رضى الله عنه : « ان نبى الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالزوراء (قال : والزوراء بالمدينة عند السوق والمسجد فيما ثمة) دعا بقدح فيه ماء فوضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ جميع أصحابه قال قلت : كم كانوا يا أبا حمزة ؟ قال : كانوا زهاء ثلاثمائة ؟ » .

كما أن هناك كثيرا من المعجزات والبركات للنبى صلى الله عليه وسلم منها انقياد الشجر له وبركاته فى الطعام وفى الماء والسمن واللبن . وما روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه رأى النجاشى ملك الحبشة عند موته وأنه خرج الى المسجد وصلى عليه .

وغير ذلك الكثير مما رواه المؤرخون والمحدثون .

. . . . .

الافلام الفاضحة .. !!

هل عرض الافلام السينمائية ومشاهدتها حرام .. ؟

ــان الافلام التى تعرضها دور الخيالة أو الاذاعة المرئية التى تحض على الفضيلة ومحاسن الاخلاق أو التى تصور حياة المصلحين أو المجاهدين أو تلك التى تدعو الى الدين وتوضح أهدافه كل تلك الافلام جائزة .

أما الافلام أو الصور أو اللافتات التى تصـــور حياة المجون وتحض على الفسق والفجور وتعرض صورا لممارسة الجنس أو القبل أو المواقف الآثمة ، التى تجرح الشعور وما شاكلها محرمة لانها تؤدى الى انهيار الاخلاق ، ونشر الفاحشة ، والعدو الاسرائيلى والاستعمار العالمى يستخدمان مثل هذه الافلام للقضاء على الاخلاق الفاضلة حتى تنهار قيم الشباب العربى فيقنع بالخنـــوع والخضوع والذلة ، ويعيش تائها ضـــائعا لا تحده قيم ولا تحـــكمه مبادىء .. ولا أعتقد أن انسانا لديه حمية من دين أوخلق يرضى بذلك .

انا لنرى اليوم الكثير من الشـــــباب وقد تشبهوا بالنساء ، وأصــــبحنا لا نستطيع التمييز بين الفتى والفتـــاة ..!! وهـــذا عين ما تريده اسرائيـــل والاستعمار .. !!

اننا نتوجه الى أولى الأمر والى الرقباء والى الكتاب أن يراعوا حق الله ، وأن يراعوا حق أمتهم وشبابهم وأن يحافظوا على الاخلاق ما وسعهم الجهد :

وانمـــا الآمم الأخـــــلاق ما بقيت — فان همو ذهبت أخلاقهـــم ذهبـــوا

الله الله يا سادة فى أخلاق أمتنا وشبابها الذى هو عدتها للنصر القريب باذن الله ..

أدعوه سبحانه جل علاه أن يحفظ أمتنا ويتم لها دينها ، ويحفظ لنا الاسلام دائما ظاهرا قاهرا انه سميع مجيب .

توفيق على وهبه

. . . . .

اتحاد الطلاب المسلمين فى لييج

مدينة لييج هى احدى كبرى المدن البلجيكية الناطقة باللغة الفرنسية ويبلغ تعداد سكانها حوالى (٧٠٠) الف من السكان وهى منطقة صـــــناعية ضخمة (للصناعات الثقيلة) لذا يتوفر فيها عدد كبير من الاجانب الذين يســـعون للرزق وهناك عدد من المسلمين من جنسيات مختلفة وخاصة من المغرب العربى ومن تركيا وقد كان الطلاب يحافظون على صلاة الجمعة فى غرفة صغيرة من مبانى الجامعــة حتى يسر الله لنا بمعونة السيد قنصل المغرب مبنا كبيرا تابعا لأحد المدارس ليصبح مسجدا للمسلمين فى لييج واصبحت الآن تقام فيه الصلوات وهناك ندوة اسبوعية فى تفسير القرآن الكريم وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم كما اقيمت فيه لأول مرة صلاة العيد وكنا فى السابق نضطر للصلاة فى احد كنائس المدينة . كما ان مدينة لييج قريبة من مدينة آخن الالمانية لذا فان هناك تبادلا للزيارات مع الاخوة فى مسجد بلال واننا لنرجو الله ان يوفقنا لما فيه خير ديننا ودنيانا . كذلك هناك لقاءات مع الاخوة فى المركز الاسلامى فى بروكسل .. وعسى ان يكون لنا معكم لقاءات عن طريق الكتب والمجلات ، ونحن الآن فى صدد اقامة محاضرة عن الاســــلام فى الجامعة يلقيها احد الاخوة المسلمين الذى اعتنق الدين الاسلامى بعد ان وجد فيه ما وجد وهو من اصل بلجيكى .

المندوب الثقافى للاتحاد
عصام عناية

الفتاوى

خالـة الزوجـة

السؤال :

توفيت زوجتى ، ولى منها اولاد صغار ، ولها خـالة ، فهل يحـل لى شرعا تزوجها ؟

الاجابة :

يحل لك شرعا التزوج من خالة زوجتك بعد وفاتها ، أو طلاقها والمحـرم شرعا هو الجمع بينهما ، أما تزوج كل منهما على انفراد الواحدة بعد الأخـرى فلا مانع منه شرعا ، روى البخارى ومسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى ان تنكح المرأة على عمتها أو خالتها .

دفن البهائيين

السؤال :

توفى احد البهائيين ، واراد بعض اصدقائه دفنه فى مقابر المسلمين ، ولكنه وجد معارضة شديدة بحجة انه لا يجوز شرعا دفنه مع المسلمين ووقع خلاف شديد ، فنرجو بيان حـكم الشرع فى ذلك .

الاجابة :

صدرت فتاوى كثيرة فى ازمان مختلفة عن هيئات علمية اسلامية ، كلهـا تقضى بفساد معتقـدات البهائيين وكفرهم ، وعدم صحـة زواجهم ومنعهم من دفن موتاهم فى مقابر المسلمين .

ومن بين الفتاوى التى صدرت عن دار الافتاء بجمهورية مصر العربية فتوى فى هذا الموضوع ونصها :

ان هذه الطائفة ليست من المسلمين كما يعلم هذا من عرف معتقداتهم ، وقالت الفتـوى :

من كان فى الأصل مسلما أصبح مرتدا عن الاسلام باعتناقه عقيدة البهائية وتجرى عليه احكام المرتد ، واذا كانت هذه الطائفة ليست من المسلمين فانه لا يجوز شرعا دفن موتاهم فى مقابر المسلمين سواء من كان منهم فى الأصل مسلما ، ومن لم يكن كذلـك . .

الرهـن

السؤال :

طلب منى احد الاصدقاء مبلغا من المال على سبيل القرض ، وطلبت منـه

رهنا يضمن لى المبلغ الذى أقرضته له ، فرهن عندى دارا واذن لى فى سكناها، فهل يحل لى شرعا الانتفاع بهذه الدار .

الاجابة :

المحافظة على المال بالكتابة والاشهار عليه ، أو بالرهن أمر مشروع قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه » وقال سبحانه : « وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة » وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى طعاما من يهودى بالمدينة ورهن عنده درعا ، فالرهن جائز فى الحضر والسفر ، وهو للاستيثاق وضمان الدين ، وليس للانتفاع والاستثمار ، وكثير من الفقهاء يرى أن الانتفاع بالعين المرهونة غير جائز وان أذن بذلك المقترض لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كل قرض جر نفعا فهو ربا » وهذا هو ما تطمئن اليه النفس ، ويقتضيه التراحم والتعاون بين الناس ..

بعث الحيوانات

السؤال :

هل تبعث الحيوانات وتحاسب يوم القيامة كما يبعث الانس والجن ويحاسبون فى هذا اليوم .

الاجابة :

البعث والحساب للمكلف ، والمكلف هو الثقلان : الانس والجن ، من الحيوانات لا مسئولية عليه ، فلا حساب عليه قال الامام الالوسى فى تفسيره : « ليس فى هذا الباب يعنى بعث الحيوانات نص من كتاب أو سنة يعول عليه يدل على حشر غير الثقلين من الوحوش والطيور » ..

فى الطلاق

السؤال :

طلقت زوجتى طلقة اولى رجعية ، وقبل أن اراجعها طلقتها فى العدة طلقة ثانية ووقع الطلاق الثانى كما وقع الطلاق الأول فهل تحسب طلقتان او طلقة واحدة ..

الاجابة :

الطلاق يلحق الطلاق الرجعى والبائن بينونة صغرى ما دامت فى العدة ، وبهذا يكون قد وقع على السائل طلقتان لا طلقة واحدة ، فاذا طلقها للمرة الثالثة لم تحل له حتى تنكح زوجا غيره .

فى الميراث

السؤال :

توفيت امرأة ، وتركت اخوين شقيقين واختا شقيقة ، واولاد اخ شقيق متوفى ، واولاد أخت شقيقة متوفاة فمن يرثها من هؤلاء وما نصيب كل وارث ؟ .

الاجابة :

تقسم التركة خمسة اسهم ، أربعة منها لشقيقيها مناصفة بينهما وسهم واحد لأختها الشقيقة ، ولا شىء لأولاد أخيها لحجبهم بالأخوة الأشقاء ولا لأولاد أختها لكونهم من ذوى الأرحام ..

بأقلام القراء

ذخيـــرة

للاستاذ / عبد الرحمن احمد شادي

كان من عادة العرب قديما أن يرسلوا أولادهم الى البادية فى فترة الطفولة ليشبوا على فصاحة أهلها ، وقد نشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه النشأة كما هو مدون فى كتب السيرة .

وبطول الزمن واختلاط العرب بغيرهم من الأمم فشت العجمة ، وابتعدت السنة أهل البادية عن العربية الفصحى .. ولا يتيسر لكثيـــر من العرب الـــذين يسكنون العواصم والحواضر والمدن والقـــرى أن يلتمسوا الفصاحة من أهـــل البوادى .. ولا يستطيعون ارسال أبنائهم اليها ليشبوا فيهـــا ... ويمكن ايجـــاد بادية صناعية تتمثل فى دور الحضانة ورياض الاطفال والمدارس التىيحفظ فيها التلميذ القرآن الكريم وقدرا من الأحاديث الشريفة الصحيحة ، وعيون الشعـــر العربى ، واقوال الحكماء والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها التقطها .

اليس هذا من العلاج لضعف النشء فى اللغة العربية .. وهم بذلك يبتعدون عن كتب التراث لأنهم لا يفهمونها ولا يعرفون ما فيهـــا ، وليس الأديب وحده هو الذى يحتاج هذه الذخيرة ، وانما يحتاج اليها العـــالم فى أى علم أيضا لابد لهمن البيان عما فىنفسه من العلم ،ولا بد لهمن ورثة وتلامذة وطلابيعرفون علمه فكيف يؤدى عمله وينقل علمه اليهم أن لم تكن عنده هذه الذخيرة التى تعينه على نقل أفكاره بسهولة ،بالتعليم الشفوى او تأليف الكتب ... اليس من العجيب أن يكون التعبير بلغات أخرى أســـهل على بعض العلماء والادباء العرب الذين نشأوا فى بادية صناعية انجـــليزية أو فرنســـية من التعبير باللغة العربية ... والبادية الصناعية الانجليزية والفرنسية التى تتمثل فى مدرسة أو مربية أجنبية خطوة فى سبيل النهضة والتقدم والرقى أما البادية الصناعية العربية فهى خطوة الى الوراء ... فى نظر هؤلاء .

ان اللغة الأم للاطفال العرب أحق بالحضانة من بقية اللغات حتى اذا شبع الطفل من لبنها فليأكل من بقية اللغات والعلوم ما شـــــــاء .

جوارى القرن العشـــــرين

للاستاذ : محمد سيد أحمد المسير

اذا كان العـــالم قد الغى الرق ومنع مزاولتــه فأحرى بنا أن نحرر هؤلاء الجدد من رق الشــهوة والدنس والابتذال ، ورق الجنس والمهـانة والضياع ليعرفن معنى الحرية الشريفة والشرف الحر .. ولحســاب من يزاولن هذا العمل ؟

ان عشاق جوارى المجتمع الحديث انما هم جراثيم البيئة من السادة المترفين أو النسـاء الساقطات أو الشباب المنحل ... وما بهؤلاء تنهض أمة وما هؤلاء بالمتحملين تبعاتها ، انهم وباء يجب أن يحاصر ويحصر ، وعدوى يجب أن تطارد وتطرد .. واذا كنا نسمع بين الحين والحين صيحات تقييد الطلاق وتعدد الزوجات ، فان ارباب الفن الماجن هم الذين يسيئــون الـــى المجتمع بنزواتهم الخبيثة ، فما من أحد منهم الا ونجد الزواج التاســع أو العاشر فى حياته ، ويعلم الله ما وراء ذلك وما أظن رجلا يكدح يومه يقضى ليلة مع هؤلاء الاماء ...

وما أظن جنديا يرابض على خط النار يســتبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير ، ويسامرهن فى شعاع القمر ... وما أظن شبابا يعد للمستقبل وآماله يتغازل معهن والنجوم ساهرة ..

هذا وينبغى أن يفرق بين الفن الرخيص والفن الســامى الذى يهذب الذوق ، ويزكى حاسة الجمال التى كثيرا ما استوقفنا القرآن عليها .. مثل قوله تعالى : « والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . » (سورة النحل) .

وقوله : « وانزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة » . سورة النمل ، وقوله : « أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناهـــا وزيناها وما لها من فروج » . (ق) وان التصوير القرآنى لمشاهد الجنة وأهلها ليفوق الوصف الجمالى بكل الوانه ففيها ــ كما ورد به الأثر ــ ما لاعين رات ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشـــــــر ...

فالفن بمدلوله الجـــمالى الشريف ومغزاه التثقيفى النبيل له احترامه وتأثيره المحمود ... وماذا علينا لو عمدنا الى غرس فكرة رشيدة أو محو عادة ســيئة عن طريق تمثيلية هادفة بعيدة عن مشـــاهد الاثارة ومواقف المجون أو عن طريق فكاهة طريفة أو اغنية عذبة لاتكســر فيها ولا تخنث

أما أن يتخذ الفن معول هدم للقيم ، وتفتيتا لبنـــاء المجتمع بوســائل الرقص الفاضح والغناء الماجن والصـــور العاريـــة والتمثيل المحموم فهذا ما لا يقره العقل الراشد فضلاً عن الدين الخالد ....



قالت صحف العالم

ارادة القتال ... لا ارادة التعايش

ما زال العدو الصهيونى يسعى جاهدا ، على كل المستويات ، العلمية والنفسية ، والاعلامية ، ليوقع اليأس والشعور بخيبة الامل ، فى قلوب العرب والمسلمين عامة ، والفلسطينيين خاصة ، لتخويفهم واقناعهم بأن لا فائدة لهم من التصدى للأطماع الصهيونية ، ولا امل فى الانتصار على القوات الاسرائيلية ولا بد لهم من التخلى عن ارادة القتال والصمود ، وان الخير لهم فى القبول بالأمر الواقع والرضا بالتعايش مع الصهيونيين المحتلين .

ولقد سبق للأعداء ان استغلوا انتصاراتهم السهلة التى نالوها نتيجة ضعفنا وتخاذلنا وقصر نظرنا ، وهم اليوم يتابعون هذه الحرب النفسية الخطيرة ، مستغلين تضخيم ما يحصلون عليه من المساعدات العسكرية الامريكية ، من مدافع ومصانع وطائرات وأموال : لايقاع المزيد من اليأس وخيبة الامل فى النفوس ، وللتمهيد من جديد ، لروح الاستسلام وآراء التخاذل والتنازل أن تتوطن فى النفوس ، ولدعم القائلين بالتخلى عن ارادة القتال ، والتحلى بارادة التعايش السلمى ، مهما كانت الحال ..

ولما كان العلم العسكرى ، يعتبر الانتصار الحاسم رهنا بالقضاء على ارادة القتال لدى الخصم ، فان أعداء العرب من صهيونيين ومستعمرين ، يعملون بدهاء لبلوغ هذا الهدف ، وهم يعلمون أن النصر فى معركة أو أكثر ، لا يعنى النصر الكامل ما دام العرب متمسكين بحقوقهم وبلادهم ، ومصممين على الاستمرار فى القتال والفداء فى سبيل انتزاعها من أيدى الأعداء والحفاظ عليها .

ان الشعب الفلسطينى الذى قارع السياسة البريطانية والصهيونية العالمية بكل بسالة وشجاعة ، لن يتخلى عن حقوقه ، ولن يتراجع عن تصميمه على القتال ، وهذا الشعب الأبى المجاهد الذى رفض جميع المشاريع الاستعمارية وقاوم كل محاولات الترويض والخداع لكبح جماحه وتضليله ، وتصدى بحزم لكل عروض التخاذل والتنازل المزيفة بطلاء الاغراء والتمويه ، هو الذى ما زال

العقبة الكبرى فى طريق تصفية القضية الفلسطينية أو تسويتها تسوية تحقق للصهيونيين أهدافهم وتنتزع منه اعترافا شرعيا بوجودهم العدوانى فى فلسطين ذلك أن الشعب الفلسطينى الذى تمرس بالصعاب ، وعانى الكثير من التآمر الاستعمارى الصهيونى ، يدرك أكثر من غيره حقيقة الصراع المصيرى وخطورة المخططات الصهيونية ، وأن معركته مع اليهودية العالمية لا تقبل أى تسوية ، أو تعايش أو تنازلات اقليمية ، لأنها معركة مصير ووجود فى هذه المنطقة الحساسة من العالم ، التى لا تتسع للحقوق العربية والاسلامية ، وللمطامع اليهودية والاحلام الصهيونية معا . . .

لقد حاول الأعداء كثيرا ، ارهاب الشعب الفلسطينى ، وبث الرعب فى نفوس أبنائه بوسائلهم الارهابية الوحشية ، واشعاره باليأس وخيبة الأمل للقضاء على معنوياته ، وتحطيم مثله العليا ، واليوم يشيع الأعداء مختلف الأنباء عن المساعدات العسكرية والمالية الضخمة التى تنهال عليهم ، وذلك لقصد التأثير من جديد على نفوس الفلسطينيين وسائر العرب ، ويلوحون لهم فى الوقت نفسه بمشاريع الحلول والتسويات ناصبين شراك المفاوضات والتنازلات فى محاولة جديدة لتحطيم ارادة النضال فى نفوس الفلسطينيين واخضاعهم للامر الواقع . لكن الفلسطينيين الذين أدركوا منذ بداية كفاحهم المجيد خطورة أهداف الصهيونية العدوانية واستيقنتها انفسهم ، كما قدروا وفرة الامكانات والوسائل العربية والاسلامية وأهميتها فى خوض معركة المصير ، وقفوا بكل قوة وتصميم فى وجه جميع المحاولات التى بذلت لانتزاع اعتراف منهم بشرعية الوجود الصهيونى ، واختاروا طريق الجهاد والصمود ، وقاوموا كل الدعايات المضللة لايهامهم بأن اليهود قوة لا تغلب ، واثبتوا بجهادهم المتواصل وثوراتهم المتوالية انهم قادرون على المحافظة على وطنهم وكرامتهم ، وما زالوا يؤملون فى أن يكون جهادهم وفداؤهم الوسيلة لايقاظ النائمين وتنبيه الغافلين ، وأن يكون شهداؤهم الابرار القدوة الصالحة للمجاهدين من اخوانهم العرب والمسلمين وهم فى ذلك مؤمنون بأن قضية فلسطين ليست لهم وحدهم بل هى ملك للعرب والمسلمين جميعا ، وأن قضية فلسطين ليست قضية حدود ، تنقص أو تزيد ، بل هى قضية مصير ووجود ، وان وجوب التصدى للخطر الصهيونى ليس قاصرا على الفلسطينيين وحدهم ، ولا على الجيل الحاضر من العرب والمسلمين ، بل هو أمانة فى أعناق الأجيال المقبلة أيضا ، ولذلك لا يحق لأحد ان يتنازل عن شبر من أرض فلسطين ، ولا أن يقبل بأى نوع من انواع التعايش مع الأعداء المحتلين

وبعد فان القتال هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين عملا بالآية الشريفة :

« كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أنتحبوا شيئا وهو شر لكم » .

« والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون »

عن مجلة (فلسطين)

اعـــداد : الأستاذ عبد المعطى بيومى

الكـــويت : أدلى سعادة رئيس مجلس الامة أثناء زيارته لـ (ج.م.ع) على رأس وفد برلمانى بحديث طالب فيه بضرورة عقد مؤتمر قمة عربى من أجل حشد الطاقات العربية لازالة آثار العدوان الاسرائيلى .

● يشترك سعادة وزير الاوقاف والشئون الاسلامية فى الوفد البرلمانى الذى يزور كـوريا الشمالية فى الشهر القادم تلبية لدعوة رسمية .

● تبرعت الكويت بنصف مليون دينار لاعادة تعمير المناطق التى هدمت نتيجـة العـــدوان الاسرائيلى على جنوب لبنان .

● وافق مجلس الامة على تخصيص عشرة ملايين دينار تدعيما لسوريا .

● تعاقدت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية مع بعض الشركات لتكييف ٤٧ مسجدا توفيرا لراحـة المصـلين .

● تعد ادارة شئون المساجد سجلا حافلا بأسماء المساجد محلى بالصور .

● نظمت جمعية الاصلاح الاجتماعى بالاتفاق مع وزارة الاوقاف والتربية دروس تقوية مجـانا فى مـواد الشهادة المتوسطة والثانوية فى عدد من المساجد بالكويت .

● تجـرى امتحـانات الطلاب المنتسبين لدار القـرآن الكريم ، وكان عـدد المتقدمين ٤٥٠ طالبـــا .

● تعكف وزارة الأوقاف حاليا على اعداد كشف بالكتب الاسلامية المزمع توزيعهـا مجـانا باللغات المختلفة فى كافة أنحـاء العـالم .

القـــاهرة : قام وفد اسلامى مصرى بزيارة أوغندا فى الشهر الماضى ضمن اطار التعاون الاسلامى والعلمى بين العرب وأوغندا .

● افتتحت مصر اذاعة بحرية موجهة الى الشعب الاسرائيلى كما وجهت اذاعة للعـرب فى الارض المحتلة .

● أوقفت الحكومة المصرية بتوجيه من الرئيس السادات عرض الافـــلام التى تتنـــافى مع الخلق ومنـــع استيرادها على الاطلاق .

● من المنتظر أن تحتفل القاهـرة فى سبتمبر القادم بالعيد الالفى للازهر بمرور ألف عـــام عليه ــ وسيحضر الاحتفال ملوك ورؤســاء الدول الاســلامية وتجرى الاعدادات لهذا الحفل . وتقدر نفقات الاحتفال بربع مليون جنيه .

السـعودية : استنكرت رابطة العالم الاسلامى موقف الهند من اسرى الحـرب الباكستانيين وأهابت بالدول والشعوب الاسلامية أن تستنكر هذه المعاملة وان تقف صفا واحدا ازاء الاوضـاع هنـــاك .

● صرح الامير فهـد بن عبد العزيز النائب الثانى لرئيس مجلس الوزراء أنه قد آن للعرب أن يدركوا أن الصهيونية والاستعمار اليسارى واليمينى مظهران لجوهـــر واحد وان عليهم أن يجمعوا الجهود فى اطـار علمى للتضامن والاحترام المتبادل .

● تستمر فى الامانة الاسلامية العامة الاجتماعات لانشاء وكالة الانباء الاسلامية .

● أعلنت الحكومة السعودية أنها ستعطى الطلاب اليمنيين تسهيلات فى جامعاتها بالقدر الذى تعطيه للطالب السعودى .

الأردن : طلبت اسرائيل من ٥٤٢ أسرة عربية فى القدس القديمة أن تخلى مساكنها ومنحتهم مدة أقصاها شهر لتنفيذ القرار وذلك ضمن خطة التهويد للمدينة .

● نشر اتحاد الطلاب الاحرار فى لندن تقريرا أفاد فيه عن وجود عشرة آلاف فلسطينى فى سجون اسرائيل بدون محاكمة وقد سلم الاتحاد نسخة من التقرير الى السفارة الاسرائيلية فى لندن .

● تواصل اسرائيل اجراءاتها الوحشية ضد سكان قطاع غزة لحملهم على الهجرة وتهويد القطاع وقد صرح موشى ديان فى الشهر الماضى بأن قطاع غزة خاضع لاجراءات تل أبيب .

العراق : قدمت العراق ٥ مليون دولار مساهمة فى المجهود الحربى المصرى .

● بعثت الحكومة العراقية وفدا الى أوغندا يحمل تاكيدا بمساندة العراق لأوغندا ودعمها لمواقفها من التسلل الصهيونى .

سوريا : سيقام قريبا أسبوع الثقافة المصرية وقد بحث البلدان امكان تنسيق برامج التاليف والترجمة والنشر بين مصر وسوريا .

لبنان : قام مفتى لبنان بزيارة الى ليبيا استهدفت تدعيم العلاقات الاسلامية بين البلدين .

● تقوم لجنة لبنانية بجولة فى السعودية والكويت وبعض امارات الخليج لجمع التبرعات لانشاء جامع الامين فى بيروت .

ليبيا : طلبت الحكومة الليبية من القائم بالاعمال الامريكى ابلاغ حكومته بقلق الحكومة الليبية من الاشتباكات التى جرت فى مسجد هارلم بنيويورك ..

● انشات ليبيا رابطة لنشر التعاليم الاسلامية تكون مهمتها الاشراف على تنفيذ الشريعة الاسلامية فى البلاد ونشرها .

● عقد فى طرابلس الغرب فى مطلع شهر مايو ندوة اسلامية كان موضوعها (التشريع الاسلامى) وقد حضر الندوة علماء من مختلف البلاد العربية والاسلامية .

تونس : أجرى الرئيسان التونسى والجزائرى عدة مباحثات لاقامة المغرب العربى وقد بارك جهودهما الملك الحسن الثانى ملك المغرب .

الجزائر : سيعقد فى مدينة الجزائر فى الفترة من ١٥ ــ ٢٥ يوليو القادم مؤتمر للتعرف على الفكر الاسلامى بالمغرب وسيحضره طلاب وطالبات من جامعات الجزائر وقسطنطينة ووهران وبعض طلاب المدارس الثانوية .

السودان : أغلقت الحكومة المركز الثاقى الالمانى الشرقى بالخرطوم لاسباب تتعلق بأمن البلاد .

أوغندا : فتح الرئيس عيدى أمين طريقا يربط بين حدود أوغندا والسودان ودعا الى تعاون مشترك بين البلدين .

● اقترح الرئيس عيدى أمين تكوين حلف عسكرى على غرار حلف وارسو وحلف شمال الاطلسى بين الدول العربية والافريقية للوقوف فى وجه الصهيونية والاستعمار .

أندونيسيا : أقيم احتفال كبير فى الشهر الماضى بمناسبة اعتناق حوالى ٢٠٠٠ رجل من قبائل كادازان التى تسيطر على ولاية صباح ــ للدين الاسلامى .

● شن ديوان الدعوة الاسلامية باندونيسيا حملة لانشاء مشروع مستشفى ابن سيناء الاسلامى فى أندونيسيا وهو بحاجة الى التبرعات المالية .

باكستان : انتهت الاحكام العرفية واجرى العمل بالدستور المؤقت وانتخب الرئيس بوتو رئيسا لباكستان وقد أعلن الرئيس الباكستانى أنه لن يتساوم ولن يتنازل عن مبادئه .

مَواقيت الصَلاة حَسَبَ التوقيت المحَلي لـدولـة الكوي

أيام الأسبوع	جمادى الأولى ١٣٩٢ هـ	يونيو ١٩٧٢ م	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي: فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي: فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
الاثنين	١	١٢	١ ٣	٤٧ ٤	٤٧ ١١	٢١ ٣	٤٧ ٦	٢٠ ٨	١٤ ٨	٠٠ ١٠	٠٠ ٥	٣٤ ٨	١
الثلاثاء	٢	١٣	١	٤٧	٤٧	٢١	٤٧	٢٠	١٤	٠٠	٠٠	٣٤	
الاربعاء	٣	١٤	١	٤٧	٤٧	٢٢	٤٨	٢١	١٣	٥٩ ٩	٠٠	٣٤	
الخميس	٤	١٥	١	٤٧	٤٧	٢٢	٤٨	٢١	١٣	٥٩	٠٠	٣٤	
الجمعة	٥	١٦	١	٤٧	٤٧	٢٢	٤٨	٢١	١٣	٥٩	٠٠	٣٤	
السبت	٦	١٧	١	٤٧	٤٧	٢٢	٤٩	٢٢	١٢	٥٨	٥٩ ٤	٣٣	
الاحد	٧	١٨	١	٤٨	٤٧	٢٢	٤٩	٢٢	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	
الاثنين	٨	١٩	١	٤٨	٤٧	٢٢	٤٩	٢٢	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	
الثلاثاء	٩	٢٠	٢	٤٨	٤٨	٢٣	٥٠	٢٣	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	
الاربعاء	١٠	٢١	٢	٤٨	٤٨	٢٣	٥٠	٢٣	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	
الخميس	١١	٢٢	٢	٤٨	٤٨	٢٣	٥٠	٢٣	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	
الجمعة	١٢	٢٣	٢	٤٨	٤٨	٢٣	٥٠	٢٣	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	
السبت	١٣	٢٤	٢	٤٩	٤٨	٢٣	٥٠	٢٣	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	
الاحد	١٤	٢٥	٣	٤٩	٤٩	٢٤	٥٠	٢٣	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	
الاثنين	١٥	٢٦	٣	٤٩	٤٩	٢٤	٥١	٢٤	١٢	٥٨	٥٩	٣٤	
الثلاثاء	١٦	٢٧	٣	٤٩	٤٩	٢٤	٥١	٢٤	١٢	٥٨	٥٩	٣٤	
الاربعاء	١٧	٢٨	٤	٥٠	٥٠	٢٥	٥١	٢٤	١٣	٥٩	٠٠ ٥	٣٤	
الخميس	١٨	٢٩	٤	٥٠	٥٠	٢٥	٥١	٢٤	١٣	٥٩	٠٠	٣٤	
الجمعة	١٩	٣٠	٤	٥٠	٥٠	٢٥	٥١	٢٤	١٣	٥٩	٠٠	٣٤	
السبت	٢٠	يوليو	٥	٥١	٥١	٢٥	٥١	٢٤	١٤	٠٠ ١٠	٠٠	٣٤	
الاحد	٢١	٢	٥	٥١	٥١	٢٦	٥١	٢٤	١٤	٠٠	٠٠	٣٥	
الاثنين	٢٢	٣	٥	٥١	٥١	٢٦	٥١	٢٤	١٤	٠٠	٠٠	٣٥	
الثلاثاء	٢٣	٤	٦	٥٢	٥٢	٢٦	٥١	٢٤	١٥	١	١	٣٥	
الاربعاء	٢٤	٥	٦	٥٢	٥٢	٢٦	٥١	٢٤	١٥	١	١	٣٥	
الخميس	٢٥	٦	٧	٥٣	٥٢	٢٧	٥١	٢٣	١٦	٢	١	٣٦	
الجمعة	٢٦	٧	٨	٥٣	٥٢	٢٧	٥١	٢٣	١٧	٢	١	٣٦	
السبت	٢٦	٨	٨	٥٤	٥٢	٢٧	٥٠	٢٣	١٨	٣	٢	٣٧	
الاحد	٢٨	٩	٩	٥٤	٥٢	٢٧	٥٠	٢٢	١٩	٤	٢	٣٧	
الاثنين	٢٩	١٠	١٠	٥٥	٥٣	٢٧	٥٠	٢٢	٢٠	٥	٣	٣٧	
الثلاثاء	٣٠	١١	١١	٥٥	٥٣	٢٨	٥٠	٢٢	٢١	٥	٣	٣٨	

« الى راغبى الاشــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الام عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعل الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار ــ ٧ شارع الصحافــة .

جــدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب ٢٠٤٣ .

الرياض : مكتبة مكــة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعــة ضياء .

عــدن : وكالة الأهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

المكــلا : مكتبــة الشعب ــ ص.ب ٢٨ .

مســقط : المكتبــة الحديثة ــ السيد يوسف فاضل .

صنعــاء : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

دمشــق : الشركة العامة للمطبوعات ــ ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ــ ص.ب ٢٤٧٣ .

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية ــ ص.ب ٦٧ .

عمــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات ــ ص.ب ٢١٥ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى ــ ص.ب ١٣٢ .

بنغــازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص.ب ٢٨٠ .

تــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ كورنيش المزرعة .

دبــى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ السيد غازى بساط .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ ص.ب ١٧١٩ .

الدوحــة : سالم الانصارى ــ الدوحة / قطر .

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

السنة الثامنة – العدد ٩٠ – غرة جمادى الآخرة ١٣٩٢ هـ – ١٢ يوليو (تموز) ١٩٧٢ م



العدد القادم
خاص



حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم لدى مغادرته أرض الوطن الى لبنان وكان فى وداعه جمهور غفير من المودعين فى مقدمتهم سمو الشيخ جابر الأحمد الجابر نائب الامير المعظم وولى العهد وسعادة رئيس مجلس الأمة وسعادة المستشار الخاص لسمو الامير المعظم وأصحاب السعادة الشيوخ والوزراء وجمع من كبار المسئولين .



سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء يوزع الشهادات على الدفعـــة الثانية من كلية الشرطـــة ..



جامع القائد ابراهيم
بالاسكندرية

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة الثامنة

العدد التسعون

غرة جمادى الآخرة ١٣٩٢ هـ

١٢ يوليو (تموز) ١٩٧٢ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ
الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية
والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربى	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)
اما الافراد فيشتركون رأسا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص.ب ١٣ هاتف : ٤٢٢٠٨٨ — كويت

بسم الله الرحمن الرحيم



ما أشبه الليلة بالبارحة

عرف المسلمون من قديم أساليب أعداء الاسلام فى الخداع والتضليل وتشويه الحقائق ، وقد تصدى القرآن الكريم لكشف زيف الذين يتخذون الغيرة على الحرمات متاريس لهتك تلك الحرمات ، وما أشبه الليلة بالبارحة ، فقد استغل اليهود حادثة الهجوم على مطار اللد لاظهار العرب بمظهر المعتدين ، وراحوا يتباكون على الضحايا ليشغلوا العالم عن جريمتهم الكبرى فى القضاء على شعب بأكمله واخراجه من أرضه ، وليفتوا فى عضد المجاهدين، ويوقعوا البلبلة فى نفوسهم والفرقة فى صفوفهم .

وقد وقع فى صدر الاسلام حادثة تلقى الضوء على ما حدث اليوم ، ونزلت فيها آيات بينات نقدمها مع ما قيل فى تفسيرها وسبب نزولها ليشدد المجاهدون من هجماتهم ، ويسلبوا أعداءهم والمساندين لهم الامن والطمأنينة . .

أما الآيات فهى قول الله عز وجل فى أمر القتال فى الشهر الحرام « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه . قل قتال فيه كبير . وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه أكبر عند الله . والفتنة أكبر من القتل . ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا . ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم

فى الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » .

وأما تفسيرها وسبب نزولها ، والكلام لمفسر كبير — أنها نزلت فى سرية (عبد الله ابن جحش) رضى الله عنه — وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم — قد بعثه مع ثمانية من المهاجرين ، ومعه كتاب مغلق ، وكلفه الا يفتحه حتى يمضى ليلتين ، فلما فتحه وجد به « اذا نظرت فى كتابى هذا فامض حتى تنزل بطن نخلة — بين مكة والطائف — ترصد بها قريشا ، وتعلم لنا من أخبارهم ، ولا تكرهن أحدا على المسير معك من اصحابك » وكان هذا قبل غزوة بدر الكبرى ، فلما نظر عبد الله بن جحش فى الكتاب قال : سمعا وطاعة ، ثم قال لاصحابه قد أمرنى رسول الله أن امضى الى بطن نخلة أرصد بها قريشا حتى آتيه منها بخبر ، وقد نهى أن استكره أحدا منكم ، فمن كان منكم يريد الشهادة ، ويرغب فيها فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع ، فأنا ماض لأمر رسول الله، فمضى ومعه أصحابه لم يتخلف منهم احد حتى اذا كانت السرية ببطن نخلة مرت عير لقريش تحمل تجارة ، فيها عمرو بن الحضرمى وثلاثة آخرون ، فقتلت السرية عمرا ، وأسرت اثنين وفر الرابع ، وغنمت البعير ، وكانت تحسب أنها فى اليوم الاخير من جمادى الآخرة ، فاذا هى فى اليوم الاول من رجب وقد دخلت الاشهر الحرم التى لفظها العرب ، وقد عظمها الاسلام واقر حرمتها ، فلما قدمت السرية بالعير والاسيرين على رسول الله . قال : ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام ، فظن القوم أنهم قد هلكوا ، وعنفهم اخوانهم من المسلمين ، واستغلت قريش هذه الفرصة ، وقالوا قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الاموال واسروا الرجال ، وقالت اليهود : تفاءلوا بذلك على محمد .. عمرو بن الحضرمى قتله واقد بن عبد الله .. عمرو : عمرت الحرب، والحضرمى : حضرت الحرب ، وواقد : وقدت الحرب .

وانطلقت الدعاية المضللة على هذا النحو بشتى الاساليب الماكرة التى تروج فى البيئة العربية ، وتظهر محمدا واصحابه بمظهر المعتدى الذى يدوس المقدسات حتى نزلت هذه الآية ، فقطعت كل قول ، وفصلت فى الموقف بالحق ، فقبض رسول الله الاسيرين والغنيمة .

« يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه . قل قتال فيه كبير » .

نعم .. للشهر الحرام حرمته ، ونعم القتال فيه كبير .. ولكن :
« وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله والفتنة اكبر من القتل » .

يقول المفسر الكبير : ان المسلمين لم يبدأوا القتال ، ولم يبدأوا العدوان .. انما هم المشركون . هم الذين وقع منهم الصد عن سبيل الله والكفر به وبالمسجد الحرام .. لقد

صنعوا كل كبيرة لصد النـــاس عن سبيل الله ، ولقـــد كفروا بالله ، وجعلوا الناس يكفرون به ، ولقـــد كفروا بالمسجد الحرام . انتهـــكوا حرمته ، فآذوا المســـلمين فيه ، وفتنوهم عن دينهم طوال ثلاثة عشر عاما واخرجوا أهله منه ، وهو الحرم الذى جعله الله آمنا ، فلم يأخـــذوا بحرمته وقدسيته ..

واخراج أهله منه اكبر عند اللهمن القتل فى الشـــهر الحرام ، وفتنـــة الناس عن دينهم اكبر عند الله من القتل .. وقد ارتكب المشركون هاتين الكبيرتين فسقطت حجتهم فى التحرز محرمة البيت الحرام وحرمة الشهر الحرام ، ووضح موقف المسلمين فى دفع هؤلاء المعتدين على الحـــرمات الذين يتخذون منها ســـتارا حين يريدون ، وينتهكون قداســـتها حين يريدون ، وكان على المســـلمين أن يقاتلوهم أنى وجدوهم لأنهم عادون باغون أشرار . لا يرقبون حرمة ، ولا يتحرجون أمام قداسة ، وكانعلى المسلمين الا يدعوهم يحتمون بستار زائف من الحرمات التى لا احترام لها فى نفوسهم ولا قداسة .

لقد كانت كلمة حق يراد بها باطل، وكان التلويح بحرمة الشهر الحرام مجرد ستار يحتمون خلفه لتشـــويه موقف المسلمين واظهـــارهم بمظهر المعتدى ، وهم المعتدون ابتداء ، وهم الذين انتهكوا حرمة البيت ابتداء .

ان الاسلام لا يقوم على مثاليات خيالية جامدة فى قوالب نظرية ،انه يواجه الحياة البشرية كما هى .. يواجهها بحلول عملية .

هؤلاء قوم طغاة بغاة معتدون ، لا يقيمون للمقدســـات وزنا ، ولا يتحرجون أمام الحرمات ، ويدوسون كل ما تواضع المجتمع على احترامه من خلق .ودين وعقيدة يقفون دون الحق ، فيصدون النـــاس عنه ، ويفتنون المؤمنين ، ويؤذونهم أشـــد الايذاء ، ويخرجونهم من البلد الحرام الذى يأمن فيه كل حى ، ثم بعد ذلك يتسترون وراء الشـــهر الحرام ، ويقيمون الدنيـــا ويقعدونها باسم الحرمات والمقدسات .

كيف يواجههم الاســـلام ؟ .. يواجههم بحلول مثالية نظرية طائرة .. انه ان يفعل يجرد المســـلمين الاخيار من السلاح بينما خصـــومهم البغاة الاشرار يســـتخدمون كل سلاح ، ولا يتورعون عن سلاح .
كلا ان الاسلام لا يفعل هذا لأنه يريد مواجهة الواقع لدفعه ورفعه .. يريد أن يزيل البغى والشر ، وأن يقلم أظافر الباطل والضلال ويريد أن يسلم الارض للقوة الخيرة ، ويسلم القيادة للجماعة الطيبة ، ومن ثم لا يجعل الحرمات متاريس يقف خلفها المفسدون البغاة الطغـــاة ليرموا الطيبين الصالحين وهم فى مأمن من رد الهجمات .



ان الاســـلام يرعى حرمات من يرعون الحرمات ، ويشدد فى هذا

المبدأ ويصونه ، ولكنه لا يسمح بأن تتخذ الحرمات متاريس لمن ينتهكون الحرمات ويؤذون الطيبين ، ويقتلون الصـــــالحين ، ويفتنون المؤمنين ويرتكبون كل منكر وهم فى منجاة من القصاص تحت ستار الحرمات التى يجب أن تصان .

ان الاســـلام يصـــــون الحرمات ويحمى الفضائل ، ولـــكن لا حرمة لمعتد أثيم ولا حماية لفاجر داعر .. انه يحرم الغيبة ، ولكن لا غيبـــة لفاسق ، فالفاسق الذى يشتــــتهر بفسقه لا حرمة له يعف عنها الذين يكتوون بفسقه ، وهو يحرم الجهر بالسوء من القول ولكن من ظلم له أن يجهر فى حق ظالمه بالسوء من القول لأنه حق .. ان الاسلام يحمى الامن أمن النـــــاس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم ، ولكن لا أمن لقاتل ولا لغاصب ..

ان الاسلام لا يتدنى الى مستوى الاشرار ولا الى أســـلحتهم الخبيثة ووسائلهم الخسيسة ، ولكنه يدفع المسلمين الى قتالهم وقتلهم والـــى تطهير الحياة منهم .

هذا هو الاسلام صريحا واضـــحا قويا دافعا لا يلف ولا يدور ، ولا يدع الفرصة كذلك لمن يريد أن يلف ويدور .

هذا هو القرآن يقف بالمســـلمين على أرض صــــلبة لا تتأرجح تحت أقدامهم وهم يمضون فى سبيل الله لتطهير الارض من الشر والفساد ، ولا يدع ضـــــمائرهم قلقة متحرجة تأكلها الهواجس وتؤذيها الوساوس .. هذا شر وفساد وبغى وعدوان ، فلا حرمة له اذن ، ولا يجـــوز أن يتترس بالحرمات ليضرب من ورائها الحرمات .

على المجاهدين أن يمضـــوا فى طريقهم فى يقين وثقة ، والله معهم .





تفسير القرآن بالقرآن

للدكتور : عبد العال سالم مكرم

معنى التفسـير :

التفسير فى اللغة يرجع الى معنى الاظهار والكشف ، واصله كما يقول الزركشى فى كتابه : « البرهان » مأخوذ من التفسرة .

والتفسرة كما يقول صاحب « اللسان » : هى البـول يستدل به على المرض ، وينظر فيه الأطباء يستدلون بلونه على علة العليل ، وكذلك المفسر يكشف عن شأن الآية ، وقصصها ، ومعناها ، والسبب الذى انزلت فيه ، وكأنه تسمية بالمصدر ، لأن مصدر فعّل جاء ايضا على تفعلة نحو : جرب تجربة ، أو كرم تكرمـة .

وفى رأى ابن الأنبارى أن أصل التفسير مأخوذ من قول العرب : فَسَرْتَ الدابة ، وفسَّرتها اذا ركضتها وهى محصورة لينطلق حصرها ، وعلى هذا المعنى يصير معناه الى الكشف أيضا .

ومعنى التفسير على هـذا الرأى : كشف المغلق من المراد بلفظه ، والفعل منه يأتى مزيدا وغير مزيد ، يقال : فسرت الشىء أفسره تفسيرا ، وفسرته أفسره فسرا ، وقد سمى ابن جنى كتبه الشارحة الفسر وهى مصدر فسر .

والراى الذى أميل اليه ، لانه أوضح فى مجال الدلالات ، وعلاقات المعانى أن التفسير أصله ، سفر لا فسر ، وضعت الفاء موضع السين على أساس القلب

المكاني ، والقلب المكاني باب معترف به في مجال اللغة ، وسفر معناها : الكشف، يقال : سفرت المراة سفورا اذا القت خمارها عن وجهها وهي سافرة ، واسفر الصبح : اذا اضاء .

وإنما بنوه على التَّفعيل فقالوا : التفسير ، لأنه للتكثير كقوله تعالى : « يذبحون أبناءكم » ، « وغلقت الأبواب » فكأنه يتبع في تفسيره سورة بعد سورة ، وآية بعد أخرى .

والتفسير معناه في اصطلاح المفسرين : علم نزول الآية وسورتها واقاصيصها ، والاشارات النازلة فيها ، وترتيب مكيها ومدنيها ، ومحكمها ومتشابهها ، وناسخها ومنسوخها ، وخاصها ، وعامها ، ومطلقها ، ومقيدها ، ومجملها ، ومفسرها .

متى بدأ التفسير ؟

مما لا ريب فيه أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب ، ولغة العرب في هذه الفترة من التاريخ كانت مضرب المثل في رصانة الالفاظ ، وبلاغة المعاني وقوة التراكيب ، وقد برزت خصائصها كاملة في الشعر العربي مما جعل بعض العلماء يقول : « ولو وجد ارسطو في شعر اليونان ما يوجد في شعر العرب من كثرة الحكم والأمثال ، والاستدلالات ، واختلاف ضروب الابداع في فنون الكلام لفظا ومعنى ، وتبحرهم في أصناف المعاني وحسن تصرفهم في وضعها ، ووضع الالفاظ بإزائها ، وحسن مآخذهم وتلاعبهم بالاقاويل المخيلة كيف شاءوا — لزاد على ما وضع من قوانين الشعر » ومع قوة اقتدارهم في فنون القول تحداهم القرآن الكريم ان يأتوا بمثله ، أو بعشر آيات منه ، أو بأقصر سورة من سوره ، فعجزوا بعد أن حاولوا ، وصدق الله العظيم حين يقول : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .

ومما لا شك فيه أن هذا يدل على أن كلام الله لا يشبهه كلام في مجال الفصاحة والغرابة ، والتصرف البديع ، والمعاني اللطيفة ، والفوائد الغزيرة ، والحكم الكثيرة ، والتناسب في البلاغة ، والتشابه في البراعة .

ولنا أن نتساءل : هل القرآن الكريم الذي بلغ هذه الذروة في فصاحة الكلمة وبلاغة المعنى يفهمه العرب جميعا ، ولا يحتاجون في مجاله الى بيان او تفسير ؟ وللاجابة عن هذا السؤال اقول : ان من المفكرين العرب من يرى هذا الراى كابن خلدون الذى نص في مقدمته على : « أن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم ، فكانوا كلهم يفهمونه ، ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه » .

وفي رأيي أن ابن خلدون تجاوز الحقيقة في هذا الراى ، وذلك للأمور الآتية :

١ — لغة العرب لم تكن ممثلة في لهجة واحدة ، حقا قال الرواة : ان

القرآن الكريم نزل بلهجة قريش لان قريشا — كما يقول ابو نصر الفارابى فى كتابه : المسمى (بالالفاظ والحروف) — كانت أجود العرب انتقاء للأفصح من الالفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق .

أو كما يقول أبو حاتم الرازى فى كتابه : « الزينة » بصدد لهجة قريش : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى نزل القرآن الكريم على قلبه لينذر قومه أفصح العرب ، وهو من قريش ، وقريش من ولد اسماعيل ، وولد اسماعيل أفصح من اليمن الذين هم من ولد يعرب بن قحطان » .

ولكنى مع هذه النصوص لا أميل الى أن القرآن الكريم نزل بلهجة قريش وحدها ، بل نزل بها وبغيرها من اللهجات العربية الاخرى لان هنالك نصوصا تؤكد أن القرآن الكريم نزل بسبعة أحرف لييسر للعرب جميعا الانتفاع به ، ومعنى ذلك أن هذه الاحرف تشتمل على كثير من اللهجات العربية ، وحوادث اختلاف القراءات بين الصحابة عديدة سجلتها كتب الرواة والتاريخ . واذا كان الامر كذلك فان كثيرا من الاحرف التى نزل بها القرآن لا يعرفها العرب جميعا ، وتحتاج الى بيان وتوضيح ، وتفسير لمعانيها ، والامثلة على اختلاف مدلولات الكلمات باختلاف اللهجات عديدة ، والى القارىء طائفة منها لتكون دليلا على ما أقول :

ذكر اسماعيل بن عمرو المقرىء فى كتابه الشهير (اللغات فى القرآن) الأمثلة الآتية من سورة البقرة :

« رغدا » آية ٣٥ = الخصب بلغة طيىء .
« فأخذتكم الصاعقة » آية ٥٥ = الموت بلغة عمان .
« رجزا » آية ٥٩ = العذاب بلغة طيىء .
« اشتروا » آية ١٦ = باعوا بلغة هذيل .
« فلا رفث » آية ١٩٧ = الجماع بلغة مذحج .

الا يدل هذا على اختلاف المدلولات بين اللهجات مما يؤكد أن العرب جميعا لم يكونوا على مستوى واحد فى فهم مدلولات القرآن الكريم .

٢ — ذكر ابن قتيبة فى كتابه (المسائل) أن العرب لا تستوى فى المعرفة بجميع ما فى القرآن من الغريب والمتشابه ، بل لبعضها الفضل فى ذلك على بعض ، والدليل عليه قوله تعالى : « وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به » ، ثم قال ابن قتيبة ويدل عليه قول بعضهم : يا رسول الله إنك لتأتينا بالكلام من كلام العرب ما نعرفه ، ونحن العرب حقا ؟ قال : إن ربى علمنى فتعلمت » .

٣ — وقد ذكر ابن تيمية فى مقدمته « أصول التفسير » : انه يجب أن يعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم بين لاصحابه معانى القرآن كما بين لهم الفاظه فقوله تعالى : « لتبين للناس ما نزل اليهم » يتناول هذا ، وهذا ، وقد قال أبو عبد الرحمن السلمى : « حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان ،

وعبد الله بن مسعود ، وغيرهما أنهم كانوا اذا تعلموا من النبى صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم ، والعمل ، قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا » .

فهذه النصوص التى قدمتها تردّ قول ابن خلدون السابق ، وتشير الى أن العرب لم يكونوا على درجة واحدة فى ادراك معانى القرآن ، بل لبعضهم الفضل فى ذلك على بعض ، وأن الذين لا يدركون هذه المعانى من حقهم أن يدركوها فالنبى عليه الصلاة والسلام بينهم يبيئن ما غمض عليهم ، ويوضح ما خفى عنهم .

= الخطوة الاولى لتفسير القرآن الكريم :

وكان بيان النبى عليه السلام لما غمض ، وتوضيح ما خفى ، هو الخطوة الاولى لتفسير القرآن ، واليك الدليل :

١ ــ لما نزل قوله تعالى : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن » قال بعض الصحابة : واينا لم يظلم نفسه ؟ ففسر النبى عليه الصلاة والسلام الظلم بالشرك ، واستدل عليه بقوله تعالى : « ان الشرك لظلم عظيم » .

٢ ــ سألت عائشة رضى الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحساب اليسير فى قوله تعالى : « فأما من أوتى كتابه بيمينه . فسوف يحاسب حسابا يسيرا » فيبين لها النبى عليه الصلاة والسلام أنه العرض يوم القيامة .

٣ ــ حديث عدى بن حاتم قال : لما نزلت : « حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر » عمدت الى عقال أسود ، والى عقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتى ، فجعلت أنظر فى الليل ، فلا يستبين لى ، فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال : « إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار » . وهذه الخطوة الأولى من التفسير التى تمت على يد النبى عليه الصلاة والسلام موضع اتفاق بين العلماء جميعا ، ذلك لان السنة هى الضوء الكاشف لما أجمله القرآن ولم يفصله ، والسنة هى التى حددت لنا عدد الصلوات ، وعدد الركعات والسجدات فى الصلاة ، وهى التى بينت لنا مقدار النصاب فى الزكاة ، ولذلك رد عمران بن حصين على كل رجل كان يرى أن القرآن حوى كل شىء ، فقال له : انك رجل أحمق ، أتجد الظهر فى كتاب الله أربعا لا يجهر فيها بالقراءة ؟ ثم عدد عليه الصلاة ، والزكاة ، ونحو ذلك ثم قال : أتجد هذا فى كتاب الله لنا مفسرا ؟ ان كتاب الله تعالى أبهم هذا ، وان السنة تفسر هذا .

هذا وقد ثار الجدل بين العلماء حول تفسير النبى صلى الله عليه وسلم للقرآن هل فسر القرآن الكريم كله أو فسرجزءا منه ، أو فسر فقط ما أشكل من آياته ؟

فى رأيى أن النبى عليه السلام لم يفسر القرآن كله متتبعا سوره ليفسر آياتها آية آية كما يفعل ذلك المفسرون ، لانه لو فعل ذلك لاغلق باب التفسير . .

ووقف الفكر عند هذا الحد . وبذلك يتعطل الاجتهاد ويتجمد الفكر ، والاسلام من أخص خصائصه أن يتيح الطريق للافكار العطشى أن تنهل من معين القرآن ما شاء لها أن تنهل ، بشرط أن تكون أدوات التفكير متكاملة ، ومن ثم ازدهر التفسير وتعددت مناهجه عبر القرون الى يومنا هذا .

ولكن الذى يمكن أن يقال : ان النبى عليه الصلاة والسلام تناول فى تفسيره التى تحتاج الى بيان فى العقيدة أو العبادة أو المعاملة أو السلوك ، وما كان فى إطار غير هذا الاطار تركه النبى صلى الله عليه وسلم للعرب يفهمونه بلغتهم ، وعلى مقتضى أساليبهم فى فنون القول . ولا أستطيع فى هذا البحث الموجز أن أبين مناهج التفسير المختلفة فى عصر الصحابة أو التابعين ، ومن جاء بعدهم ، ولكن الذى أستطيع أن أتبينه هنا أن من أهم مصادر التفسير ومناهجه تفسير القرآن بالقرآن .

تفسير القرآن بالقرآن :

وتفسير القرآن بالقرآن يتوقف على الادراك الواسع ، والفهم الدقيق لآياته ، والنظر الى الآيات المتكررة وربطها بعضها ببعض . وجمعها فى إطار واحد لينظر اليها فى صورتها المتكاملة . وان الاشعاعات الفكرية التى تعطيها هذه الصورة المتكاملة تزيل التناقضات، والاختلافات التى يرمى بها الجهلة كتاب الله ، وكتاب الله منها برىء لانه كتاب أحكمت آياته ، ثم فصلت من لدن حكيم خبير ، وفهم القرآن ليس سهلا . لانه يحتاج الى تصفية النفس من أكدارها ، والعقل من شبهاته ، والقلب من خطراته ، ولا أدل على ذلك من كلمة على كرم الله وجهه ، وقد سئل : هل خصكم يا أهل البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشىء ؟ فقال : ما عندنا غير ما فى هذه الصحيفة ، أو فهم يؤتاه الرجل فى كتاب الله . والزبيدى يبين أن مرتبة فهم كتاب الله مرتبة عظيمة ويستدل لذلك بقوله تعالى : « ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما » فانه تعالى خصص ما انفرد به سليمان بالتفطن له باسم الفهم ، وجعله مقدما على العلم والحكم ، فهذه الامور تدل على أن فى فهم معانى القرآن مجالا رحبا ، ومتسعا بالغا ، وأن المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الادراك فيه .

وتفسير القرآن بالقرآن يتمثل فى صور عديدة أذكر منها ما يأتى :

١ — المعانى العديدة للكلمة الواحدة .

ذلك لان الكلمة الواحدة فى القرآن الكريم قد تنصرف الى عشرين وجها أو أكثر أو أقل ، ولا يوجد ذلك فى كلام البشر — من ذلك كلمة الهدى فهى :

= بمعنى البيان فى قوله تعالى : « أولئك على هدى من ربهم » .
= وبمعنى الدين فى قوله تعالى : « قل ان هدى الله هو الهدى » .
= وبمعنى الايمان فى قوله تعالى « ويزيد الله الذين اهتدوا هدى » .
= وبمعنى الداعى فى قوله تعالى « ولكل قوم هاد » .
= وبمعنى الرسل أو الكتب فى قوله تعالى : « فإما يأتينكم منى هدى » .

= وبمعنى الرشاد فى قوله تعالى : « اهدنا الصراط المستقيم » .
= وبمعنى التوراة فى قوله تعالى : « ولقد آتينا موسى الهدى » .
= وبمعنى الحجة فى قوله تعالى : « والله لا يهدى القوم الظالمين » .
بعد قوله تعالى : « الم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه » .
= وبمعنى التوحيد فى قوله تعالى : « ان نتبع الهدى معك نتخطف » .
= وبمعنى السنة فى قوله تعالى : « وإنا على آثارهم مهتدون » .
= وبمعنى الالهام فى قوله تعالى : « أعطى كل شىء خلقه ثم هدى » .. الخ

٢ — التكـــرار :

والتكرار تفسير وتوضيح ، فقصة موسى عليه السلام ذكرهـــا الله تعالى — كما قال بعضهم — فى مائة وعشرين موضعا فى كتابه ، ومع ذلك التكرار فان الصورة لا تهتز ، لانه تفنن فى القول ، وابداع فى التصوير ، واساليب مختلفة تساق لقصة واحـــدة ، وفى هذا من البلاغة ما فيه .

على أن التكرار لا يخلو من زيادة مفيدة ، ففى قصة موسى مثلا نجد أن الله تعالى صور العصا فى سورة طه آية (٢٠) بأنها حية تسعى ، وذكرها فى الاعراف آية (١٠٧) بأنها ثعبان مبين ، وفى موضع آخر — تهتز كأنها جان ولى مدبرا — :

ويعقب السيوطى فى الاتقان على صور العصا المختلفة بقوله : « ان خلقها خلق الثعبان العظيم ، واهتزازها وحركتها كاهتزاز الجان وخفته » .
ويبين الزركشى بعض الاسباب التى من أجلها كررت القصة فى القرآن فيقول :

١ — إن الرجل كان يسمع القصة من القرآن ثم يعود الى أهله ، ثم يهاجر بعده آخرون يحكون عنه ما نزل ، فلولا تكرار القصة لوقعت قصة موسى الى قوم ، وقصة عيسى الى آخرين ، وكذلك سائر القصص ، فأراد الله سبحانه وتعالى اشتراك الجميع فيها فيكون فيه إفادة لقوم ، وزيادة تأكيد وتبصرة لآخرين ، وهم الحاضرون .

٢ — ومن الاسباب تسلية النبى عليه الصلاة والسلام ، وتكرار هذه التسلية ليثبت قلبه دائما فى مجال دعوته الى الحق كما قال تعالى : « وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك » .

٣ — إن الدواعى لا تتوفر على نقلها كتوفرها على نقل الاحكام فلهـــذا كررت القصة ، دون الاحكام .

وانى أميل الى رأى ابن فارس فى قوله : إن تكرار القصة نوع من الاعجاز

القرآنى لبلغاء العرب وفصحائهم ، فبعد أن عجزوا عن الاتيان بمثل آية ، بين لهم وأوضح الامر فى عجزهم ، بأن كرر ذكر القصة فى مواضع إعـلاما بأنهم عاجزون عن الاتيان بمثله بأى نظم جاءوا ، وبأى عبارة عبروا . ويؤيد هذه الفكرة الامام الباقلانى فى إعجاز القرآن فيقول :

« ونظرنا القرآن فيما يعاد ذكره من القصة الواحدة فرأيناه غير مختلف ولا متفاوت ، بل هو على نهاية البلاغة ، وغاية البراعة ، فعلمنا بذلك أنه مما لا يقدر عليه البشر ، لان الذى يقدرون عليه قد بينا فيه التفـاوت الكثير عند التكرار ، وعند تباين الوجوه » .

على أن الناظر الى قصص القرآن يجد أن الهدف من التكرار هو الهداية والعبرة ، وكأن هذا التكرار يذكر الامم دائمـا بالمصير الوبيل الذى حل على هؤلاء الناس الذين وقفوا من دعوات أنبيائهم موقف التحـدى والنكران .

٣ ــ توضيح الفكرة بضروب من الاستدلالات المختلفة :

ومن تفسير القرآن بالقرآن ان الفكرة تتضح أبعادها ، وتنكشف جوانبها ، اذا تعددت الاستدلالات عليها من واقع الحياة ، وبذلك يطمئن القلب اليهـا . وتستريح النفس لها ، ويؤمن العقل بها ، والمثال على ذلك قصة البعث والاعادة :

وقد سلك القرآن الكريم لتفسير قصة البعث طرقا مختلفة :

١ ــ قياس الاعادة على الابتداء بقوله تعالى : « كما بدأكم تعودون » .

٢ ــ قياس الاعادة على إحياء الارض بعد موتها بالمطر والنبات بقوله تعالى : « ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون » .

٣ ــ قياس قدرة الاعادة على قدرة إخراج النار من الشجر الأخضر ، وقد ورد فى هذا أن أبى بن خلف لما جاء بعظام بالية ففتها وذرها فى الهواء ، وقال يا محمد : « من يحيى العظام وهى رميم » فأنزل الله تعالى : « قل يحييها الذى أنشأها أول مرة » ثم زاد الحجاج بقوله : « الذى جعل لكم مـن الشجر الاخضر نارا » .

٤ ــ احتمال اللفظ معنيين فى موضع ، وتعيين واحد منهما فى موضع آخر :

ومن تفسير القرآن بالقرآن أن اللفظة أو الكلمة تحتمل معنيين فى موضع ثم يعين أحد المعنيين فى موضع آخر وذلك كقوله تعالى : « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة » ، فيحتمل أن يكون السمع معطوفا على « قلوبهم » ، ويحتمل الوقف على « قلوبهم » ، والابتداء بقوله : (وعلى سمعهم) والاحتمال الاول أولى لقوله تعالى فى سورة الجاثية : « وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة » .

وكقوله تعالى : « ويستغفرون لمن فى الارض » والمراد بهم المؤمنون بدليل قوله تعالى فى موضع آخر : « ويستغفرون للذين آمنوا » .

٥ ـ الاستنباط مع ضميمة اخرى تعين عليه :

وذلك كاستنباط على وابن عباس رضى الله عنهما أن اقل الحمل ستة اشهر من قوله تعالى : « وحمله وفصاله ثلاثون شهرا » مع قوله تعالى « وفصاله فى عامين » ، وعلى هذا الاستنباط جرى الامام الشافعى .

وكاستنباط بعض المتكلمين أن الله خالق لافعال العباد من قوله تعالى : « وما تشاءون الا أن يشاء الله » مع قوله تعالى : « وربك يخلق ما يشاء ويختار » فاذا ثبت أنه يخلق ما يشاء ، وأن مشيئة العبد لا تحصل الا اذا شاء الله أنتج أنه تعالى خالق لمشيئة العبد .

٦ ـ رفع التناقض وإزالة الاختلاف :

وذلك كقوله تعالى : « اتقوا الله حق تقاته » مع قوله تعالى : « فاتقوا الله ما استطعتم » .

جمع بينهما بعض العلماء ، فحمل الاول على التوحيد بدليل قوله تعالى بعدها : « ولا تموتن الا وانتم مسلمون » ، وحمل الثانية على الأعمال .

ومثله قوله تعالى : « وإذ واعدنا موسى اربعين ليلة » مع قوله تعالى : « وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر » .

قيل : إن آية الاعراف تجرى على الظاهر من أن الوعد كان ثلاثين ثم اتم بالعشر ، فاستقرت الاربعون ، ثم أخبر فى آية البقرة بما استقر .

وقد سأل رجل بعض العلماء عن قوله تعالى : « لا أقسم بهذا البلد » ، فأخبر أنه لا يقسم ، ثم أقسم فى قوله : « وهذا البلد الأمين » فقال له : اعلم أن هذا القرآن نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضرة رجال ، وبين ظهرانى قوم ، وكانوا أحرص الخلق على أن يجدو فيه مغمزا ، وعليه مطعنا ، فلو كان هذا عندهم تناقض لتعلقوا به ، وأسرعوا بالرد عليه ، ولكن القوم علموا وجهلت ، فلم ينكروا منه ما أنكرت ، ثم قال له : إن العرب قد تدخل لا فى أثناء الكلام وتلغى معناها ، وأنشد عليه أبياتا .

٧ ـ علم المبهمات :

ومن تفسير القرآن بالقرآن علم المبهمات ، هكذا أطلق عليه علماء التفسير ، والمراد به أن يبهم فى موضع استغناء ببيانه فى موضع آخر فى سياق الآية ، ويمثلون له بقوله تعالى :

« مالك يوم الدين » فقد بين يوم الدين بقوله فى موضع آخر فى سياق الآية : « ثم ما أدراك ما يوم الدين . يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله » .

وكقوله تعالى : « صراط الذين أنعمت عليهم » فقد بينه بقوله : « فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين » .

٨ ـ تفسير الألفاظ الغريبة :

وهو ضرب من تفسير القرآن بالقرآن ، وتفسيرها بالسياق القرآني نفسه ، ويمثلـــون له بقوله تعالى : « إن الانسان خلق هلوعا » وقد فسر السياق القرآنى نفسه هــذا الهلوع بقوله بعد ذلك : « اذا مسه الشر جزوعــا . واذا مسه الخير منوعا » .

٩ ـ تفسير المراد بنص صريح يبين خفاءه :

لما نزل قوله تعالى : « وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله» اضطرب الصحابة ، لانهم اعتقدوا أنهم سيحاسبون على كل شىء حتى خواطر أنفسهم ، وحركات قلوبهم . فقالوا يا رسول الله : نزلت علينا هذه الآية ولا نطيقها . فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم : أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتاب من قبلكم : سمعنا وعصينا ، بل قولوا سمعنا وأطعنا ، غفرانك ربنا واليك المصير . فأخذوا يتضرعون بهذه الدعوات حتى أنزل الله بيانها فى نص صريح وهو قوله : « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » الى آخر السورة ، وبعد نزولها علموا أنهم لا يحاسبون على خطرات النفس ، وهواجس القلب .

ولما توفى عبد الله بن أبى ، كبير المنافقين ، كفنه النبى عليه الصلاة والسلام فى ثوبه ، وأراد أن يستغفر له ، ويصلى عليه ، فقال عمر رضى الله عنه : أتصلى عليه وقد نهاك ربك ؟ فقال صـــلى الله عليه وسلم : إنمـــا خيرنى ربى فقال : « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ، إن تستغفر لهم سبعين مـــرة .... » .. وسأزيد على السبعين وصلى عليه بناء على هذا الفهم الانسانى ، ولكن القرآن وضع النقاط على الحروف ليزيل خفاء المعنى ، ويمنع اللبس ، حيث قال تعالى بعد ذلك : « ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره » .

١٠ ـ الاجمال والتفصيل :

هناك آيات قرآنية وردت مجملة موجزة ، وأخرى موضحة مفصلة فـــى موضوع واحد ، ونحن بإزاء هذه الآيات يجب الا نقف عند المجمل وحده من غير نظر الى الآيات التى فسرته وفصلته ، ولو فعلنا ذلك لوقعنا فى الخطأ لاننا أخذنا الحقيقة مغلقة ولا ندرى ما بداخلها .

ويمثلون لهذا النوع من التفسير بقوله تعالى : « وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم » ولكن ما الذى يتلى علينا ، ويحرم علينا أكله ؟ لم تبينه هــذه الآية ، ولكنها أجملت ما يتلى فى هذا الموقف ، وتعود الآيات بعد ذلك لتوضح هذا الذى يتلى فيقول تعالى : « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير » الى آخر الآيـــة .

وقوله تعالى : « لا تدركه الأبصار » فسرتها آية « وجوه يومئذ ناضرة . الى ربها ناظرة » .

وبعد ، فان المنهج السليم لتفسير القرآن الكريم يجب أن يتناول أولا وقبل كل شىء هذه الآيات العديدة التى يفسر بعضها بعضا ، ولا يستطيع المفسر المنصف أن يبنى حكما ، أو يقـــرر رأيـــا أو يكشف معنى الا بعد استيعابه الكامل لهــذا اللـــون من التفسير ، الا وهو تفسير القرآن بالقرآن .



بين الخطأ والإكراه

دكتور على عبد المنعم عبد الحميد

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« ان الله تعالى تجاوز عن امتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه »

(رواه ابن ماجة والبيهقى)

نستعين الله جلت قدرته ، ونجول قليلا مع سادتنا العلماء الذين سبقونا باحسان ، ولم تعج دنياهم بما يملأ دنيانا من مساوىء ومخاطر ، وملهيات ودافعات الى الشرور ، فعاشوا باعصاب هادئة ، ولم يلووا رءوسهم عن نداء ربهم ، واخلصوا الله تعالى عملهم ، وحمدوه على توفيقه ، فادوا للعلم خدمات لا يمكن ان تؤدى فى نفس المجال الآن ، واقول : لا يمكن ان تؤدى ، وان لا ! فاين صاحب الهمة العالية ، والعزيمة الماضية ، التى لا تضعفها الملاحقات المعاصرة المنبثة فى كل مكان ، ليسير على درب البحث الخالص لله وحده ، والرغبة الاكيدة فى عمل يرضيه ، وان كان ما نرى ، فيما ارى مرض يلاحق دورة الفلك ، ولا يستطيع الثبات دائما اذا واجه الطبيب النطاسى ، وامتدت اليه يد الاخلاص مع التوفيق الالهى ، وما دام سليل آدم يدرج على البسيطة فالامل مرجو ، والشفاء مدرك ، وسبحان من يبدىء ويعيد ، دون معقب او رقيب .

بعد هذا : أورد مقالة الاقدمين فى هذا الحـــديث الشريف ، بادئا بلغوياته ومعقبا بمعنوياته ، فقد قالوا — رحمهم الله تعالى — وحســـنا ما قالوا : **الخطا :** هو نقيض الصواب ، ومن المشـــكل توضيح الواضح ، ومعلوم منطقيا : أن النقيضين هما الامران الوجوديان اللذان لا يجتمعـــان ولا يرتفعان ، فاما خطأ ، واما صواب ، وقالوا : من أراد الصواب فصار الى غيره فهو المخطىء ، ومن فعل مالا ينبغى فهو الخاطىء ، وفى حــديث شريف (لا يحتكر الا خاطىء) . **والنسيان :** هو عدم الذكر للشىء ذهولا ، أو غفلة ، وهما (الخطأ والنسيان) من ملازمات الانسان ، فهو كانســـان لا بد وأن يخطىء ويصيب ، وأن يتذكر وينسى ، وقد كلف الله جلت عظمته ، عباده أن يسألوه رفع المؤاخذة عنهم لدى الخطأ والنسيان ، فقال سبحانه فى محكم كتابه العزيز « **.. لا يكلف الله نفسا الا وسعها ، لها ما كســبت وعليها ما اكتسبت ، ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطانا ..** » الآية الكريمة (٢٨٦) من سورة البقرة ، **وما استكرهوا عليه :** وما قهروا عليه قهرا أورد له علماء الفقه شروطا كثيرة ووضحوا الحد الذى يحمل المسلم على الظهور بما يخـــالف اعتقـــاده تطبيقا لقوله تعـــالى : « الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان » . .

هذه لمحات يسيرة من آثار الاقدمين رضوان الله تعالى عليهم نعرج بعدها على واقع عصرنا فندرس فيه — على ضوء هذا الحديث الشريف — ظاهرتين تلويان اليهما الاعناق ، وتثيران التساؤل ، أولاهما : موقف أولئك الذين وسدت اليهم أمور لبها وجوهرها خدمة الانسانية ، ومنفذها الايمان العميق بخالق القوى والقدر حيث يتلاشى الاكراه ويختفى الخوف ، ولكنهم خرجوا من أعمالهم أقل ايمـــانا منهم حين دخلوها ، ثم لما انصرم العصر ، وانسأ الله لهم فى الاجل بدأوا ينقدون ما اشتركـــوا فى تنفيذه ، ويحملون غيرهم تبعاتها ، دون حياء من الله أو خجل من الناس ، **والظاهرة الثانية :** قد تكون ضاربة فى القدم والزمان بعيدها ، وقد تكون من ملابسات العصر ، الا وهى : المحاكاة دون وعى ، أو ادراك لشؤم عواقبها . .

وعن الاولى : قد حيرنى كثيرا حديث (متابع) التقى به صباح مساء ، يعيد الى ذاكرتى صورة مجلس حملته اليه مناسبة لا يد له فيهـــا ، يردد ما دار فيه ، ويضع تحت بصر القارىء ، وسمع المنصت ، رسما لواقعة حية لا مدخل للخيال فيها ، وليست صنو رؤى أو وليدة أحلام .. قريبا من التاسعة مساء يوم من شهر يناير حيث يتكاثر زوار بلدنا ، دلفت مع الصحب الى رحاب مبنى لا أستطيع وصف مشتملاته من الاشياء والناس ، تعددت طبقاته ســـامقة فى جو المدينة ، حيث وجدت المصاعد فيهـــا مجالا للغدو والرواح ، فهى لا تصعد الا لتهبط ، ولا تمس الارض الا لتجافيها ، وفى أحد أروقة هذا المبنى الشامخ كبرياء المدل بجناته ، تكشفت لنا غرفة فسيحة ، صفت فيها الارائك الغربية الصنع الى جانب الطنافس الشرقية الابداع ، وتصدر المجلس شيخ جاوز السبعين وقارب المدى الذى دعا الشـــاعر الجاهلى لصاحبه أن يبلغه ، وان كان قد أحوج سمعه الى ترجمان ، تنم هيئة الشيخ عن خلجات قلبه ، وتحمل اشلاؤه مياسم الصراع العنيف الذى

اعتمل ويعتمل فى جوانحه ، والذى لم يجد منفذا سليما مباحا فاصطدم بأحد أركان الهيكل العام فهدمها ، وتركها صريعة تحمل ولا تحمل (الاولى بضم التاء المثناة والثانية بفتحها) فهى كلة على سيدها ، وعبء على أقرانها ، وما كان لها من ذنب فيما كان من ضياع قوتها ، الا أنها اختيرت ولم تختر لتصرف غير معتاد ولا منتظر ..

سلمنا ، ورد الشيخ الذى وجدت فيه شخصا كانت تربطنى به صلات عمل منذ أمد هو فى عمر الزمان قصير ، وفى حساب عادّ الايام طويل ، وجرى الحديث متخذا مداخل ومخارج شتى والحديث ذو شجون ، وكان من شجونه وان شئت فقل من أشجانه حديث مؤسسات ضاربة فى أغوار الماضى ، ماضى الانسانية البعيد ، قد نالتها يد العابثين فصارت الى الاسوأ قصدا وعمدا مع سبق اصرار الفاعل كما يقول رجال فقه القانون الجنائى حين يقفون أمام قضية تلطخ جبين الانسانية بالعار ، وراح شيخ السبعين يكيل اللوم ويستنزل لعنات السماء على العاملين والمشاركين فى أعمال أخرت سير القافلة ، وأهاضتها ، وحطمت جوانحها ، ونشرت الرعب فى آفاق حداتها ، ولم يفته أن يطلب الى الملائكة المقربين أن ينقضوا على من دوخوا الحرية بل قتلوها ، وهدموا أركان الفضيلة بل ابادوها ، ومنعوا افعال الخير ، وعاقبوا عليها ، وكانت النتيجة أن وصل المجتمع الذى أظلتهم سماؤه وأقلتهم أرضه ، ونعموا منفردين بخيراته ، الى الحد الذى انبتت فيه روابط البر (كما وردت فى احدى سور القرآن الكريم) وتباعدت القربى فلا رحم ، ولا أخوة ، ومن نجا بنفسه ان استطاع فقد نجا ، ومن رام أن يمد يده لغيره سقط وكبا ، وهكذا يمضى الشيخ فى حديثه والحضور منصتون ، وهذا أمر لا غبار عليه لولا أن المتحدث نفسه بعقله الالمعى ، وفكره الذكى ، وادراكه العبقرى ، لم يكن عضوا فعالا فى كل ما حدث كما يحدّث ، فهل كان ما صدر عنه من مشاركة فعلية ، لا بالصمت فقط ، تنفيذا لما ورد فى الذكر الحكيم « الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان » ؟! أم أن وراء الأكمة ما لا يستطيع أحد ادراك كنهه الا هذا اللوذعى الفطين ، ألم تسنح له فرصة الحديث الى من تسنم غارب الامر والنهى ليقف منه موقف امرأة من عمر ، أم أن جاه الوظيفة ، وبريق السلطان المؤقت قد غشى عينيه وأنساه التاريخ الذى لا يرحم ولا يستر ، واليوم الثقيل الذى ينتظره هناك يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون ؟! .. لعمرك لا أدرى ، ولا المنجم يدرى .. !!

لعلك يا سيدى القارىء أدركتها شخصية شرقية معاصرة ، والحقيقة انها لا شرقية ولا غربية ، فليست مختصة باقليم أو قارة ، ولكنها قدر مشترك فى الانسان ولا تستثنى الا من رحم الله ، فالمرء اذا ابتعد عن ساحة ربه وهدايته تخبط يمينا وشمالا ، وتلمس الطريق فى احساس شهوانى مريب عجيب ، لا شهوة الجنس نقصد ، وانما هى أخفها اذا قيست بملازمات لا تنفك بل لا تفارق ولو عمر الشيخ قرونا .

وهنا : لا بد من الافصاح عن الذى حمل (المتابع) على اثارة مثل هذا الحديث المؤلم الدامى ، وجوابه ثورة اعتملت فى نفسه حين أهاجه استعراض اجراه تلفاز باريس على مرحلتين فى شهر مايو المنصرم ، وترك القول فى

المرحلة الاولى لسكان تلك الارض الطيبة ، وأعطى الجولة الثانية ، للذين خرجوا على أشلاء مليون شهيد ، والذين كانوا دائما فى حوارهم لا يرددون كلمة (عرب) أبدا ولو على سبيل الخطأ ، وانما تمسكوا بأن محاربيهم (هم المسلمون) والمسلمون فقط ، وجاء دور العسكريين الغاصبين فتباكى أحدهم وقد كان قائد الدمار حينذاك ، على الجزائر الفرنسية ، وسب ولعن فى اسلوب سياسى مقنع أولئك الذين زجوا به فى السجن ، ولم يدعوه يقتل الابرياء المطالبين بحق مشروع حين بلغوا الحلم وارادوا رفع الوصاية عنهم ، وبرز فى الميدان شيخ ويا ليته ما كان ، قد انحاز الى الشيطان يوم كان له السلطان ، وتباكى مع الراعى يوم أمن أنياب الذئب العاوى ، الوالغ فى الدم ، يقول اكرهنا وعَلامَ أكرهوا ؟ على المناداة بدوام الاستعباد والكف عن الجهاد ، وكانت لحظة ثقيلة على نفس (المتابع) ذكرته بمواقف كثيرة مثيرة لعديد من رجال الاسلام خاصة « على حد تعبير العسكريين الفرنسيين عن الجزائريين » وبالأخص قادة الفكر منهم ، فلهم مواقف لا يقرها قانون ولا يعترف بها اسلام ، فقد عالجوا الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة حسب اهواء سادتهم ، وقالوا للعامة عذرنا مقبول (الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان) ..

ولصاحبى مقياس لهذا الاكراه لا يتقيد فيه بحديث الفقهاء ولا غيرهم ، فهو لا يرى أى مجال لتطبيق هذا الاكراه ، ويقول : لو اتخذنا مقولات البعض مقياسا ، لما دافع أحد عن حق ، ولما وصل مظلوم الى انصاف ، وعلى سبيل المثال : لو أن الخوف من الموت والفناء ، وضياع المال والولد جعل أساسا ، لما مضى رسل الله فى دعواتهم ، ولما حققوا رسالات ربهم ، ولما هدوا الى صراط مستقيم ، فقد أخرجوا من ديارهم وأوذووا فى أنفسهم وأموالهم ، واهيجوا عن حماهم ، بل وانتهى الامر ببعضهم الى القتل الفعلى ولقى ربه أشخب دما يشهد بقسوة الانسان على أخيه ، وما يدعوه الا الى هدى وخير ، وليس هذا حديثا مبتدعا أو القاء للقول على عواهنه دون دليل .

فاليك سيدى القارىء قول الله تبارك وتعالى « .. الذين قالوا ان الله عهد الينا أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار ، قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم **فلم قتلتموهم** ان كنتم صادقين » الآية ١٨٣ من سورة الاعراف : اذا هم قد قتلوا الانبياء الذين لم يتوقفوا عن التبليغ وهم على منصة الاعدام ، فالمقصود بالاكراه الذى يتجاوز الله عنه لأمة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الاكراه الذى يشق على النفس ولا يترتب عليه مهما كان ضياع شىء من مقومات الدين ، أو مساس بالايمان ، والحياة ماضية مهما حرصنا عليها ، فمن يستطيع ايقاف سير الفلك ، أو التصدى لعجلة الزمان ، فاذا أدى الامر الى وضع تهان فيه حدود الله تعالى فالموت خير من الحياة ، والبقاء على الضيم هو والموت سواء ، ومن حرص على الموت فى سبيل عقيدته فقد أحرز الحياة التى تليق به كانسان حريص على انسانيته وبالتالى على عقيدته . ومن حرص على عقيدته وافتداها بالنفس والمال حرص على تراب أرضه ومثوى أجداده ..

وأما الخطأ كما أسلفنا فكثير الوقوع وهو عمل غير متعمد ، وطبيعة الانسان أنه خطّاء ، والله لا يوصد باب رحمته أمام الخطائين التوابين أبدا ، والنسيان أصل متمكن من ابن آدم وقديما قيل :

وما سمى الانسان الا لنسيه ولا القلب الا انه يتقلب

وعلى هذا فالله سبحانه عفو غفور يغفر لمن نسى أو أخطأ ، ولكن باب الاكراه له حد مقبول ، وآخر موصد ، لو فتح كما يريد الذين شاركوا ويشاركون المفسدين فى الارض ويساعدونهم بالفتيا والتأويلات البعيدة عن الاسلام ، لبادت الفضائل ، وسادت الرذائل ، وعفت آثار الخير ، وخلا الجو للشر ليبيض ويفرخ ..

ونختم القول بتوجيه الحديث الى الذين قاربوا الفناء جريا على المعتاد ، وحان موعد لقائهم مع رب السموات والارض ، فلعلهم يكونون أكثر تعقلا ، واشد احساسا بالحاجة الى رضى لله وحده وأكثر علما وتجربة بأن الخسران المبين فى اغتنام عاجلة زائلة واطراح آجلة باقية ، وما عند الله خير للابرار ، عندئذ يحركون أقلامهم ويجرونها بما يرضى الله ، ولا يمهدون لشر قد فتح له غيرهم الابواب على مصاريعها ، وعرف أكثر مما يعرفون كيف يصل الى تثبيت أركانه وتقويض عمد الخير فى أرضنا لينفذ من ذلك الى ما يريد من اغتيال مصادر خيراتنا ، وليكونوا عوامل دفاع عن ما دافع عنه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن منح علما وفضلا وعرفه الناس بالمعرفة خير له أن يتحرى قبل أن يكتب ، وأن يدقق قبل أن ينطق ، حتى يبعده الله عن غضبه ، ويتلقاه بواسع رحمته وسبحانه القائل « وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى » .

وأما عن المحاكاة فالحديث يطول ، ولنا معه لقاء فى غد قريب اذا لم تسبق المنايا الامانى ..

وان غدا لناظره قريب .. وكل شىء عنده بمقدار جل ربى وعلا .





٣

القرآن والعلم

آراء المعتدلين

للشيخ محمد حسين الذهبى

أما الفريق المعتدل الذى لم يشأ أن يحمل القرآن كل علوم الأولين والآخرين ، ولا أن يخضعه للنظريات العلمية ، فأبرز علمائه الأقدمين : الفقيه الأصولى أبو اسحق الشاطبى المتوفى سنة ٧٩٠ هـ ، فقد حمل لواء المعارضة ، وتوجه باللوم الى من حملوا القرآن كل علوم الدنيا والدين ، وبين أنهم قد تجاوزوا الحد فى دعواهم على القرآن فقال :

« ما تقرر من أمية الشريعة ، وأنها جارية على مذاهب أهلها ــ وهم العرب ــ ينبنى عليه قواعد : **منها** أن كثيرا من الناس تجاوزوا فى الدعوى على القرآن الحد ، فأضافوا اليه كل علم يذكر للمتقدمين والمتأخرين من علوم الطبيعيات والتعاليم : كالهندسة وغيرها من الرياضيات ، والمنطق ، وعلم الحروف ، وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها ، وهذا اذا عرضناه على ما تقدم لم يصح » (١) ..

ثم يصحح الشاطبى رأيه هذا ، ويحتج له بما عرف عن السلف من نظرهم فى القرآن ، فيقول :

« إن السلف الصالح ــ من الصحابة والتابعين ومن يليهم ــ كانوا أعرف بالقرآن وعلومه وما أودع فيه ، ولم يبلغنا أنه تكلم أحد منهم فى هذا المدعى سوى ما تقدم (٢) ، وما ثبت من أحكام التكاليف ، وأحكام الآخرة ، وما يلى ذلك ، ولو كان لهم فى ذلك خوض ونظر لبلغنا منه ما يدلنا على أصل المسألة ، الا أن ذلك لم يكن ، فدل على أنه غير موجود عندهم ، وذلك دليل على أن القرآن لم يقصد فيه تقرير لشىء مما زعموا » (٣) .

ويمضى الشاطبى فينقض أدلة الغلاة التى استندوا اليها من نحو قوله تعالى : « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء » وقوله : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » بحملها على ما يتعلق بحال التكليف والتعبد . ثم ينهى الشاطبى كلامه بقوله :

« .. فليس من الجائز أن يضاف الى القرآن ما لا يقتضيه ، كما أنه لا يصح أن ينكر منه ما يقتضيه ، ويجب الاقتصار فى الاستعانة على فهمه على كل ما يضاف علمه الى العرب خاصة ، فيه يوصل الى علم ما أودع من الأحكام الشرعية ، فمن طلبه بغير ما هو أداة له ضل عن فهمه ، وتقول على الله ورسوله فيه » (٤) ..

وفى العصر الحديث تجد من بين علمائنا الأفاضل من يتصدى للغلاة الذين حملوا القرآن كل علوم الأولين والآخرين ، وعلى رأس هؤلاء الأستاذ الأكبر المرحوم الشيخ محمد مصطفى المراغى ، فقد قال فى تقريظه لكتاب « الاسلام والطب الحديث » الذى تحدثنا عنه من قبل :

« لست أريد من هذا (يعنى ثناءه على الكتاب ومؤلفه) ، أن أقول : إن الكتاب الكريم اشتمل على جميع العلوم جملة وتفصيلا بالأسلوب التعليمى المعروف ، وانما أريد أن أقول : انه أتى بأصول ، وترك الباب مفتوحا لأهل الذكر من المشتغلين بالعلوم المختلفة ، ليبينوا للناس جزئياتها بقدر ما أوتوا منها فى الزمان الذى هم عائشون فيه » (٥) ..

● ● ● ● ●

وهكذا نجد لكل من فكرتى الغلو والاعتدال فى قضية القرآن وما حوى من العلوم مؤيدين ومعارضين من بين علمائنا القدامى والمحدثين .

والذى نرتضيه فى هذا الشأن هو ما يلى :

١ ــ إن القرآن حوى كثيرا من علوم الدنيا والدين تصريحا أو تلميحا .

٢ ــ إن اهتمام القرآن بعلوم الدنيا لا يقل عن اهتمامه بعلوم الدين ، لأن علوم الدنيا تؤيد الدين ، وتحميه ، وتفتح الطريق أمامه ، والا فما السر فى امتنان الله سبحانه على داود عليه السلام وقومه بقوله :

« وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون ؟ »
ــ الأنبياء : ٨٠ ..

وقوله : (ولقد آتينا داود منا فضلا : يا جبال أوبى معه ، والطير ، وألنا له الحديد . أن أعمل سابغات وقدر فى السرد واعملوا صالحا انى بما تعملون بصير » ــ سبأ : ١١ وعلى أى أساس غير علوم الدنيا يمكن أن نستجيب لأمر الله سبحانه « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ؟ ــ الأنفال : ٦٠ ..

٣ ـ إن العلم لا يقف عند غاية ، وإن الكون ملىء بأسرار لا تحصى . ومهما كشف الانسان من حجب عن أسرار هذا الكون فلن يستوعب كل مكنونه من علوم ومعارف ، ويقرر القرآن الكريم هذه الحقيقة فى نحـو قوله عـز وجـل :

« وما أوتيتم من العلم الا قليلا » ـ الاسراء : ٨٥ ..

وقوله : « سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الارض ومـن أنفسهم ومما لا يعلمون » ـ يس : ٣٦ ..

وقوله : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » ـ فصلت : ٣٦ ..

ولن يحيط بكل شىء علما الا الله خالق الكون ومبدعه :

« الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ؟ » ـ الملك : ١٤ .

« وهو بكل خلق عليم » ـ يس : ٧٩ .

« وكنا بكل شى عالمين » ـ الأنبيـاء : ٥١ .

« وكان اللـه بكل شى عليما » ـ الأحزاب : ٤٠ .

٤ ـ ان الله سبحانه ـ لا يرضى للانسان الـذى استخلفه فى الأرض واستعمره فيها أن يقنع بالقليل من العلم ، أو ينام عن استجلاء ما احتواه الكون من كنوز العلم والمعرفة ، بالنظر والتأمل ما وسعه ذلك « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » (٦) وبالرجوع الى العلماء المختصين فيما وقفت قدرته دونه « فاسألوا أهل الذكر أن كنتم لا تعلمون » (٧) ..

وفى القـرآن الكريم آيات كثيرة تتحـدث عن الظواهر الكونية ، ثم تختم هذه الآيات .

بنحو قوله تعـالى :

« قد فصلنا الآيات لقـوم يفقهون » ـ الأنعام : ٩٨ .

« إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » ـ الرعـد : ٣

« إن فى ذلك لآية لقوم يعقلون » ـ النحل : ٦٧

« إن فى ذلك لآيات للعالمين » ـ الـروم : ٢٢

ولسنا نفهم من هذه العبارات وأمثالها الا أن الله يهيب بأولى الألباب والعقول أن يفتحوا أبصارهم وبصائرهم على آياته التى بثها فى الأنفس والآفاق ليتكشف لهم بعـض ما حواه الكون من علوم وأسرار ، تشهـد أولا عـلى قدرة الله وعلو سلطانه ، ثم لتكون لهم هذه الثروة العلمية ـ فيما بعد ـ مصدر قوة وعزة ومنعة فى حياة سلاحها العلم والمعرفة .

٥ ـ لا شك أن القرآن الكريم « يتحدث الى عقول الناس جميعا من لدن نزوله الى أن يرث الله الارض ومن عليها ، وهو يساير حياتهم فى كل ما يمرون به من مراحل الزمن ، وهذا كله بحكم كونه كتاب الشريعة العامة الشاملة ، وقانون الدين الذى جعله الله خاتم الأديان السماوية لأهل الارض » (٨) .

ولا شك أن فى القرآن الكريم نصوصا يفهمها العربى وقت نزول القرآن على نحو ما وصل اليه العلم فى زمانه ، ولا يكاد يخرج فهمه عن حدود دلالة النص ، ويفهمها العربى فى العصر الحديث على ضوء ما وصل اليه العـلم فى زمانه فهما آخر لا يخرج هو أيضا عن دلالة النص ، ومثال ذلك :

قوله تعالى فى الآية ٣٠ من سورة الانبياء : « أو لم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما » فقد فسرها ابن عباس ـ رضى الله

عنهما — على ضوء ما وصل اليه العلم فى زمانه تفسيرا تحتمله الآية فقال :

« كانت السموات رتقا لا تمطر ، وكانت الأرض رتقا لا تنبت ، فلما خلق للأرض أهلا ، فتق هذه بالمطر ، وفتق هذه بالنبات » (٩) ..

وفسرها بعض علماء العصر الحديث على ضوء ما انتهى اليه العلم فى زمانه فقال :

« قرر الكتاب الكريم أن الارض كانت جزءا من السموات وانفصلت عنها ... وهذا الذى قرره الكتاب الكريم هو الذى دل عليه العلم ، وقد قال العلماء : إن حادثا كونيا جذب قطعة من الشمس وفصلها عنها ، وأن هذه القطعة بعد أن مرت عليها أطوار تكسرت وصارت قطعا ، كل قطعة منها سارت سيارا من السيارات ، وهذه السيارات طافت حول الشمس ، وبقيت فى قبضة جذبتها ، والارض واحدة من هذه السيارات ، فهى بنت الشمس ، والشمس هى المركز لكل هذه السيارات » (١٠) ..

ولا نكاد نجد تعارضا بين الفهمين ، والآية — على فرض صحة الرأى الثانى — تتسع لهما ، وذلك من وجوه الاعجاز القرآنى .

غير أن الذين فتنوا بنظرية أن القرآن حوى كل ما كان وما يكون من العلوم بالغوا فحملوا بعض النصوص القرآنية حملا فيه تعسف ظاهر وتكلف غير مقبول على بعض العلوم ومصطلحاتها التى جدت ولم يكن للعرب عهد بها من قبل ، بل وعلى بعض النظريات العلمية التى لم تستقر بعد ، ومن لم تستخفهم هذه النزوة العلمية قرروا : أن هذا تأول للقرآن على غير تأويله يقول الأستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى — رحمه الله فى تقريظه « لكتاب الاسلام والطب الحديث » :

« يجب الا نجر الآية الى العلوم كى نفسرها بها ، ولا العلوم الى الآية ولكن إن اتفق ظاهر الآية مع حقيقة علمية ثابتة فسرناها بها » (١١) ..

ويقول فى أحد دروسه التى كان يلقيها فى تفسير القرآن الكريم :

« وجد الخلاف بين المسلمين فى العقائد والأحكام الفقهية ، ووجد عندهم مرض آخر . هو . الغرور بالفلسفة ، وتأويل القرآن ليرجع اليها ، وتأويله وتأويله وفقا لبعض النظريات العلمية التى لم يقر قرارها . وذلك خطر عظيم على الكتاب ، فان للفلاسفة أوهاما لا تزيد عن هذيان المصاب بالحمى . والنظريات التى لم تستقر بعد لا يصح أن يرد اليها كتاب الله » (١٢) ..

ويقول الاستاذ عباس محمود العقاد رحمه الله تعالى :

« كل ما يجب على المسلم أن يؤمن به : أن كتابه الالهى يأمر بالبحث والتفكير ، ولا ينهاه عنه ، ولا يصده عن النظر والتأمل فى مباحث الوجود وأسرار الطبيعة ، وخفايا المجهول كيفما كان ، ولكنه لا يأمره بالتماس التوفيق بين نصوصه وبين نظريات العلوم كلما ظهرت منها نظرية بعد نظرية يحسبها العلماء ثابتة مقررة وهى عرضة بعد قليل للنقص والتبديل » (١٣) ..

ويقول فى موضع آخر :

« فمن الحق أن نعلم أن كتابنا يأمرنا بالبحث ، والنظر ، والتعلم ، والاحاطة بكل معلوم يصدر عن العقول ، ولكن ليس من الحق أن نزعم : أن كل ما تستنبطه العقول مطابق للكتاب ، مندرج فى الفاظه ومعانيه ، فان كثيرا من آراء العلماء التى يستنبطونها أول الأمر لا يعدو أن يحسب من النظريات التى يصح منها ما يصح ، ويبطل منها ما يبطل ، ولا تستغنى على الدوام عن التعديل واعادة النظر من حين الى حين » (١٤) .

ويبدو لنا ان هؤلاء الغلاه الذين حملوا القران الكريم مالا يحتمل من علوم ونظريات . حتى جعلوه مصدرا لجوامع الطب ، وضوابط الفلك ، ونظريات الهندسه ، وقوانين الكيمياء ، ومعادلات الرياضه .. الخ ، حسبوا ان ذلك يخدم القران ويبرز جانبا هاما من جوانب اعجازه ، وهذا وهم منهم ، فان مثل هذا التكلف لا يبرز الاعجاز ، وانما يذهب بالاعجاز !!

وليعلم هؤلاء الغلاة أن القـرآن الكريم غنى عن ان يعتز بمثل هـذا التكلف الذى يوشك ان يخرج به عن هدفه الانسانى الاجتماعى فى اصـلاح الحياة ، ورياضه النفس ، والرجوع بها الى الله .. !!

وليعلموا ـ أيضا ـ أن من الخير لهـم ولكتابهم الا يسلكـوا هـذا المسلك فى فهم القرآن وتفسيره ، رغبة منهم فى اظهار اعجازه ، وصلاحيته للتمشى مع التطور العلمى فى مراحله الزمنية المتتابعة ، وحسبهـم وحسب القرآن اعجاز الا يكون فيه نص يصادم حقيقة علمية ثابتـة ، وانه يمـكن التوفيق بينه وبين ما جد ويجد من نظريات وقوانين تقـوم على أساس مـن الحق ، وتستند الى أصل صحيح ..

---

(١) الموافقات للشاطبى ﺟ ٢ ص ٧٩ ط : التجارية . ويقصد الشاطبى بقوله (ما تقـدم) ما قرره من ان الشريعة امية وأهلها كذلك . وتنزيلها كان على مقتضى حال المنزل عليهم ، وخالهم الاعتناء ببعض علـوم ذكرها لا بكـل العلوم ..

(٢) يريد أن العرب لم يتكلموا الا فى العلوم التى كانت لهم بها معرفة .

(٣) الموافقـات ﺟ ٢ ص ٨٠/٧٩ ..

(٤) الموافقـات ﺟ ٢ ص ٨٠ ـ ٨٢ .

(٥) الاسلام والطب الحديث ص د. وانظر ما كتبه المرحوم الشيخ محمد رشيد رضا فـى تفسير المنار ﺟ ١ ص ٧ ، وما كتبه المرحـوم الاستاذ الاكبر الشيخ محمود شلتوت فـى العدد ٤٠٧ ، ٤٠٨ من السنة التاسعة لمجلـة الرسالة (ابريل سنة ١٩٤١ م) ، وما كتبه المرحـوم الشيخ امين الخولى فى كتابه « التفسير . معالم حياته . منهجه اليوم » عند الكـلام عـن التفسير العلمى .

(٦) فى الايـة ١٠ من سورة يونس ..

(٧) فى الآية ٧ من سورة الأنبيـاء ..

(٨) التفسير والمفسرون ﺟ ٢ ص ١٥٨ ..

(٩) تفسير ابن كثير ﺟ ٢ ص ١٧٧ ط : الحلبى ..

(١٠) تفسير سورة لقمان للاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى ص ١٢ مطبعـة الازهر ..

(١١) الاسلام والطب الحديث ص ٢ ولبعض قدامى المفسرين اقـوال قريبة من هـذا فلتراجع فى كتب التفسير .

(١٢) الدروس الدينيه للشيخ محمد مصطفى المراغى لسنه ١٣٥٦ ﻫ ص ٤٢ .. مطبعة الازهـر ..

(١٣) الفلسفة القرانية للعقاد ص ٢٠٦ ـ ط : دار الكتاب العربى ـ بيروت ..

(١٤) التفكير فريضة اسلامية ، للعقاد ص ٧٨ ط : دار الكتاب العربى ـ بيروت .

حكم المسكرات في الإسلام

حقيقة الخمر وحكمة تحريمها ونوعية العقوبة عليها

د : محمد سلام مدكور

- ٢ -

بينا في المقال السابق أن الشارع الحكيم ربط الأحكام بما يصلح العباد ، ويجنبهم الوقوع فى المفاسد ، وأن الشارع مهد للدعوة الى اجتناب الخمر ببيان ما تجمعه من المفاسد ، وأنه فى كثير من الأحكام يذكر جزئيات تلمح الى ما فيه المصلحة ، كما أنه كثيرا ما يقرن الحكم بحكمته صراحة أو يكتفى بالنصوص العامة التى تدل على ربط الأحكام بالمصالح ..

وبينا أن العقل امر ضرورى يتطلبه الدين ، واعتبره من الضرورات الخمس التى يجب الحفاظ عليها ، لأنه الاساس المقوم للانسانية ، وهو مناط التكليف ، لذا فان الشارع حرص على احاطته باطار صلب حتى لا يتسرب اليه شىء من الخلل أو الفساد .

وبينا أن الخمر ، وما فيه معنى الخمر من المسكرات تؤثر على العقل ، وتجعل الشخص متخبطا فى حركاته ، وأقواله ، وأفعاله ..

كما بينا حقيقة الخمر التى جاء الاسلام بتحريمها ، وأنها تشمل كل مسكر مما عرف قديما أو استحدث فى العصور المتأخرة ، وأن التحريم جاء بأسلوب الأمر بالاجتناب بعد بيان أنها رجس من عمل الشيطان ، وتكلمنا عن حكمة التحريم والتدرج فيه ، وانتهينا الى أن كل شراب من شأنه الاسكار يكون من الخمر ، وأن الله حرم الخمر تحريما لا يقبل الجدل ، وأن ما اسكر كثيره فقليله حرام ، وقلنا

أن الامام ابا حنيفة وصاحبه أبا يوسف يريان أن الاشربة التى لم تستخـــرج من العنب ، المحرم منها هو القدر المسكر ، وأما ما دونه فانه أذا شربه لغير لهو مع غلبة ظنه أنه غير مسكر فانه أيضا يأثم ، ويلزمه العقاب ، الا أن عقابه يكـــون دون العقاب على الحد المسكر منه ، وقلنا أن ما استدلوا به ضعيف لا يسلم لهم .

وسنتكلم هنا عن ضابط الاسكار ، وعقوبة مستحل الخمر ، وشاربها ، وحكم التداوى والانتفاع بها على أى وجه ، وحـــكم تناول المخدرات .

وضابط السكر الموجب للحد كما يرى أبو حنيفة أن يصـــل الشخص بسبب الشرب الى درجة لا يعقل شيئا ، ولا يفرق بين الرجل والمراة ، أو الأرض والسماء، أى أن أبا حنيفة بنى الحكم على أكمل السكر ، لأن الحدود يؤخذ فى أسبابهـــــا بأقصاها درءا للشبهة ، بينما يرى الصاحبان أن السكر الـــذى يجب فيه الحد هو أن يكون الشخص قد غلب على كلامه الهذيان ، لانه المتعارف بين الناس ، وهذا القياس واضح مما روى عن الامام على فى قوله : « اذا سكر هذى ، واذا هذى افترى » ، والمفتى به فى المذهب بالنسبة لضابط السكر ، هو ما قاله الصاحبان ، وهو المعتبر فى المذاهب الأخرى ، من الاكتفاء بغلبة الهذيان على كلام الشخص .

واذا كان الشيخان يتجهان هذه الوجهـــة فى قصر التحريم عـــــلى القدر المسكر بالنسبة لبعض الأشربة مسايرة لبعض فقهاء الكوفة والبصرة ، على ما بينا فى المقال السابق فان محمد بن الحسن الفقيه الحنفى يتجه وجهة جمهور الفقهاء من المالكية ، والشافعية ، والحنابلة ، والظاهرية والشيعة الجعفرية والزيدية ، وعامة فقهاء الحجاز ، فى تحريم ما قل أو كثر من كل شراب مسكر من أى نـــوع كان .

واذا كان محمد بن الحسن لا يوجب الحد فى بعضها ، ويوجب عقوبة التعزير فان سائر المذاهب الأخرى يوجبون الحد فى تناول أى قدر من أى شراب من شأنه الاسكار ، وهو المروى عن جمع من الصحابة والتابعين (١) ومع هذا فانه يروى عن الشافعية والحنابلة بالنسبة لبعض الأصناف التى ليس من شأنها الاسكار الكراهة لا التحريم . .

عقوبة مستحل الخمر وشاربها : ـــ

لا خلاف بين الفقهاء فى أن المتخذ من العنب والرطب على ما بينا يكون خمرا وكذا غيرهما من المسكرات على ما ذهب اليه جمهور الفقهاء ، فقد بينا قبل أن اتجاه كثير من المذاهب الفقهية : أن سائر المسكرات تأخذ حكم الخمر من كـــل الوجوه ، سواء من حيث التحريم أم من حيث العقوبة أم من حيث حرمة الانتفاع بها وعدم تقومها .

ولهذا فان الفقهاء يكفرون مستحل الخمر المتفق على تحريمها لثبوتها بالدليل القطعى ، أما غيرها مما جاءت به السنة والحقته بالخمر مما اختلف الفقهـــاء فى اعتباره خمرا ، فانه لا يحكم بكفر مستحلها ، وانما يفسق ، وان كان شاربهـــا يستحق العقاب ، بل نص الشيعة الامامية على أن مستحل الخمر يقتل ولا يستتاب لأنه مرتد من حيث انكاره ما علم من الدين بالضرورة .

أما عقوبة شارب الخمر : فانه يجب معاقبة شارب الخمر طوعا واختيارا ،

وان لم يسكر ، سواء شرب الكثير او القليل على التفصيل والخلاف السابق .
نقل الصنعانى (٢) عن طائفة من أهل العلم أن العقوبة الواجبة هى التعزير ، لان الرسول صلوات الله عليه وسلامه لم ينص على حد معين ، وانما ثبت عنه الضرب المطلق ، فقد ثبت فى الأحاديث الصحيحة انه كان يؤتى بالشارب فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم فيضرب بالأيدى ، والجريد ، والثياب ، والنعال .

وفى حديث أنس الذى رواه كل من أحمد ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذي: أن النبى صلوات الله عليه وسلامه اتى برجل قد شرب الخمر فجلد بجريدتين نحو أربعين . قال — وفعله أبو بكر . فلما كان عمر استشار الناس فقال عبد الرحمن أخف الحدود ثمانون ، فأمر به عمر للشارب .

وفى الصحيحين عن على : ما كنت لأقيم على أحد حدا فيموت ، وأجد فى نفسى شيئا الا صاحب الخمر ، فانه لو مات وديته — بفتح الدال وسكون الياء — أى دفعت ديته — وذلك أن رسول الله لم يسنه .

ويقول الشيخ رشيد رضا : « ويستفاد من مجموع الروايات أن المشروع فى العقاب على شرب الخمر هو الضرب ، المراد منه اهانة الشارب ، وتنفير الناس من الشرب وأن ضرب الشارب أربعين أو ثمانين كان اجتهادا من الخلفاء » (٣) ويروى فى هذا عن الامام على انه قال : « لما استشار عمر الصحابة فى حد الشرب : انه اذا شرب سكر ، واذا سكر هذى ، واذا هذى افترى ، وعلى المفترى ثمانون جلدة . ومع هذا فيروى فيما اخرجه مسلم فى صحيحه أن عليا جلد الوليد بن عقبة أربعين ، وقال : جلد النبى صلى الله عليه وسلم أربعين ، وأبو بكر أربعين ، وعمر ثمانين ، وكل سنة ، وهذا أحب الى . وروى أبو داود بسنده عن أبى هريرة أن رسول الله اتى برجل قد شرب فقال : — اضربوه ، قال أبو هريرة فمنا الضارب بيده والضارب بنعله . فلما انصرف — أى هم الرجل بالانصراف — قال بعض القوم : أخزاك الله ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: لا تقولوا هكذا ، لا تعينوا عليه الشيطان !! . .

ومن هذا يبين أن عقوبة شرب الخمر كانت فى عصر الرسو ل، وفى خلافة أبى بكر لا تتجاوز الاربعين جلدة ، ولما كان عهد عمر وقد أرسل له خالد بن الوليد بعض الرجال يقول : ان الناس قد انهمكوا فى الشرب ، وتحاقروا الحد والعقوبة، وكان فى مجلس عمر كل من عثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعلى وطلحة ، والزبير ، قال عمر هم هؤلاء عندك فسألهم فقال على : نراه اذا سكر هذى ، واذا هذى افترى ، وعلى المفترى ثمانون جلدة . فقال عمر للرجل : بلغ صاحبك ما قالوا .

ونستطيع القول بأن عقوبة شرب الخمر من قبيل التعزير ، وليست حدا ، لأن كل الأخبار الواردة عن الصحابة لا تدل على اجماع قاطع بتحديد حد ، بل تفيد أنهم لم يستقروا على رأى لم يجدوا معدلا عنه أكثر من القدر المشترك بعقوبة التعزير . وما كان فى عهد عمر فانه من قبيل السياسة الشرعية ردعا للناس لما قال رسول خالد : ان الناس استهانوا بعقوبة الخمر .

وتقرر هذا المبدأ ببيان ان الفقهاء قالوا : ((**ان الحد ماله عقوبة مقدرة فى كتاب الله ، والخمر ليست له عقوبة مقدرة محددة فى كتاب الله ، بل ولا فى عهد الرسول عليه السلام ، بل كانوا يضربون بالوان مختلفة من الضرب ، والآلة ، والقدر فالعدد الذى ورد فى بعض الاحاديث لم يكن على سبيل التحديد ، وانما جاء بصيغة تفيد التقريب ، وهى نحو الاربعين**)) ..

وكذلك فى عهد الخلفاء لم يقع هناك استقرار على رأى نقل الينا أمره على وجه التحديد ، وانما كان اجتهادا . ولو كان هناك حد معروف لما قال عمر لرسول خالد : هؤلاء . على أن صيغة رواية هذا الخبر وما قاله عمر بعد أن افتوا : ابلغ خالدا ما قالوا — ليشعر انه يريد اظهار أنه ليس مصدر الفتوى ، وان كان قد أقرها تبعا لهم ..

على أن عليا برغم أنه فى مناسبة اخرى أفتى بطريق النظر والاجتهاد بثمانين جلدة قياسا على عقوبة القذف ، فاننا نجده قد بقيت فى صدره بقية من الحرج والتردد حتى قال : لو مات الشارب المجلود بمقتضى فتواى لألزمت نفسى بالدية . ولو كانت هذه العقوبة حدا مقدرا لما ألزم نفسه بالدية ان صحت الرواية عنه بذلك. ومع قياسه هذا فانه كان أحيانا يعاقب بأربعين جلدة ويقول : ان كلها سنة . مما يدل على أن عقوبة الشرب ليست من قبيل الحدود (٤) .

هذا وجمهور الفقهاء من الحنفية ، والمالكية ، والحنابلة ، والزيدية . والجعفرية على أن عقوبة شارب الخمر الحد ، وأن القدر الواجب لشارب الخمر أو غيرها من المسكرات ثمانون جلدة (٥) ، واستدلوا بما روى عن أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى برجل قد شرب الخمر فجلده بجريدتين **نحو اربعين** . قال أنس : وفعله أبو بكر فلما كان عمر استشار الناس فقال عبد الرحمن ابن عوف : أخف الحدود ثمانون فأمر به عمر (٦) . وليس فى هذا ما يدل على أن عقوبة الخمر شرعها الرسول ثمانين ، واعتبرها من قبيل الحد .

وقد أدعى بعض الفقهاء الاجماع على أنها من قبيل الحد ، وأنها ثمانون جلدة لكن أى اجماع هذا مع ما صدرنا به الكلام فى عقوبة الشارب من نقل الصنعانى عن طائفة من أهل العلم : ان العقوبة الواجبة هى التعزير ، ومع ما قدره الشافعية والظاهرية من أن حد الخمر وسائر المسكرات أربعون جلدة (٧) .

واختلف الفقهاء أيضا بالنسبة لمن تكرر منه شرب الخمر فذهب ابن حزم الى انه يقتل فى المرة الرابعة ، مستدلا بما أخرجه أحمد عن معاوية عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال فى شارب الخمر : اذا شرب فاجلدوه ، ثم اذا شرب فاجلدوه ، ثم اذا شرب الثالثة فاجلدوه ، ثم اذا شرب الرابعة فاضربوا عنقه (٨) . لكن جمهور الفقهاء لم يروا القتل ، وقالوا : انه منسوخ بما رواه أبو داود عن الزهرى من أنه صلوات الله عليه ترك القتل فى الرابعة (٩) .

وينبغى أن نشير هنا الى ما قاله الفقهاء فيما اذا مزجت الخمر بالماء ، أو طبخت مع مرق ، أو لحم ، أو عجن بها الخبز ونحوه فقالوا : اذا مزجت بالماء وبقى طعم الخمر ورائحتها لكثرتها أقيم عليه الحد ، أما أن زالت رائحتها وطعمها

لكثرة الماء وتلاشيها فيه ، فانه لا يجب الحد عند القائلين باقامة الحد ، وانما يجب زجره بالتعزير لحرمة شربها مع ذلك بالاتفاق (١٠) .

وكذلك بالنسبة للخمر اذا ما طبخت وخلطت بالمرق وان كان الشافعية يوجبون الحد اذا ما طبخ اللحم بالخمر . ثم شرب الشخص المرق وان كان لا يحد بأكل اللحم دون المرق ، واما أكل الخبز ونحوه المعجون بخمر أو مسكر آخر فانه حرام ويعزر فاعله ، وكذلك من يحتقن بالخمر فانه يجب التعزير لا الحد ، ومن هذا يظهر الحكم بالنسبة للماكولات والحلوى التى دخل فى صنعها شىء من الخمر وما الحق بها ، كما يبين حكم الاحتقان بالمخدرات من الافيون ونحوه لانها تأخذ نفس الحكم على ما سنذكر .

حكم التداوى بالخمر

اختلف العلماءفقيل بعدم الجواز مطلقا ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « ان الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم » ، ولقوله فى الخمر فيما رواه مسلم : «انه ليس بدواء ولكنه داء » ويرى الشافعية أيضا حرمة التداوى بالخمر غير الممزوجة بما تستهلك فيه أما اذا استهلك فى شىء آخر من الحلال فانه يجوز التداوى بها ، وبعضهم لا يجيز التداوى بالخمر (١١) ، والذى يتضح من قول الشافعى فى الام اذا علم المريض أو أخبره أهل العلم به ، أن براه يكون بأكل كذا أو شرب كذا ، او أنه أعجل ما يبرئه كان له اكله وشربه ما لم يكن خمراً اذا بلغ ما يسكر ، وكذا ما يذهب العقل من المحرمات . ويتضح من هذا ان الممنوع فى هذه الحالة هو القدر المسكر ، ولعل حقيقة الخلاف فى الفقه الشافعى انما ترجع الى القدر المسكر دون غيره ، فالتداوى بالقدر الذى لا يسكر يبدو انه جائز عندهم .

بينما يذهب الزيدية والامامية الى جواز التداوى بالخمر اذا تاكد حصول الشفاء بهــا ، ويكون ذلك من قبيل الاضطرار ، والقاعدة : ان الضرورات تبيح المحظورات . وكذلك فان ابن حزم الظاهرى يجعل التداوى من حالات الضرورة ويقول : التداوى بمنزلة الضرورة ، وقد قال الله تعالى : (وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه ، وأورد أدلة المانعين ، وضعف بعضها وأول الاحاديث فقال : ان المحرمات فى حالة الاضطرار الى التداوى بها تكون مباحة ولا تكون من الخبائث ، ويقول الكاسانى الحنفى (١٣) : يجوز التداوى بالخمر اذا تيقن حصول الشفاء فيه . ويقول السرخسى (١٤) : الدواء مما لا طريق الى معرفة حقيقته من جهة معرفة الشفاء به على وجه اليقين ، وما لا طريق الى معرفة حقيقته يعتبر فيه غالب الراى . ويقول فى موضع آخر بالنسبة للدواء الممزوج بمسكر : ولو عجن دواء بخمر أو جعلها احد اخلاط الدواء ثم شربها والدواء هو الغالب فلا حد عليه ، وان كانت الخمر هى الغالبة فانه يحد لأن المغلوب يصير مستهلكا بالغالب اذا كان من خلاف جنسه ، والحكم للغالب . ويقول ابن تيمية (١٥) : اذا استهلكت الخمر فى المائع بأن زالت عينها لم يكن الشارب لهذا المائع شاربا لخمر . ويشترط الامام محمد عبده لجواز اخذ دواء من الخمر أن لا يقصد المتداوى بها اللذة والنشوة ، ولا يتجاوز مقدار ما يحدده الطبيب ، ثم قال : ان اخذها لمجرد تقوية الدم أو اصلاح المعدة ونحو ذلك منهى عنه حتى لو بأمر الطبيب لقول النبى صلى الله عليه وسلم

لما سئل : « انه ليس بدواء ولكنه داء » (١٦) ، كما جاء فى تفسير المنار ايضا : اذا وصل التداوى بالخمر الى حد الاضطرار ولو بشهادة الثقة من الأطباء فانه يجب ان يراعى فى تعاطيه قاعدة الضرورة ، وانها تقدر بقدرها ، وقد فصلنا القول فى ذلك فى كتابنا « الاباحة عند الأصوليين والفقهاء » .

وجاء فى فتاوى ابن تيمية (١٧) نقلا عن الحنابلة : عدم اباحة التداوى بمحرم وقد افتى كل من ابن تيمية ، وابن القيم بذلك (١٨) ، وبه قال كل من سحنـــون ، وابن العربى ، من فقهاء المالكية (١٩) ، واحتجوا بجملة احاديث ، منها مـــا رواه مسلم فى صحيحه عمن سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن صنعه الخمر بقصد ان تكون دواء : « انه ليس بدواء ولكنه داء » ، بل نجد الامامين ــ مالـــــكا ، والشافعى ــ لم يجيزا شرب الخمر لضرورة العطش ، جاء فـــى الأم (٢٠) : « وليس للمضطر أن يشرب خمرا » ، ونقل ابن العربى (٢١) عن مالك أنه قال : لا يزيده الخمر الا عطشا . لكن ابن العربى استظهر أنها تدفع العطش فتباح لضرورة دفع الهلاك عن النفس .

الانتفاع بالخمر وتقومها ونجاستها

امر الله سبحانه باجتناب الخمر ووصفها بانها رجس ، فحرم لهذا على المسلم الانتفاع بها بأى وجه ، كما يحرم عليه تملكها أو تمليكها للغير ، وقد وردت أحاديث كثيرة بلغت مبلغ التواتر فى تحريم الانتفاع بالخمر ، منها ما رواه مسلم ، وأحمد ، والنسائى ، عن ابن عباس ، كما روى عن طريق أبى هريرة أن الرسول صلوات الله عليه قال : « ان الذى حرم شربها حرم بيعها » ، كما روى أبو داود عن ابن عمر أن الرسول صلـــى الله عليه وسلم قـــــال : (لعن اللــــــه الخمـــــر ، وشاربهـــا ، وساقيهـــا ، وبائعهـــا ، ومبتاعهـــا وعاصرهـــا ، ومعتصرهـــا وحاملهـــا ، والمحمولـــــة اليـــه ، وآكـــــل ثمنهـــــا) ، وقـــد حـــرم بعض الفقهاء كالمالكية ، والحنابلة ، والشافعية ، ساقيها للدواب غير أن الشافعية يجيزون مداواة البهائم بها (٢٢) ، وقال السرخسى : (الانتفاع بالخمر حرام ، فقد لعن رسول الله فى الخمر عشرا ، وقال فى الجملة من ينتفع بها ، ولا تمشط المرأة بالخمرة لانهافى خطاب تحريم الشرب كالرجل ، وكذلك يقام عليها الحد عند الشرب فكذلك فى الانتفاع بها من حيث الامتشاط ، وقد صح عن السيدة عائشة انها كانت تنهى النساء عن ذلك اشد النهى . ثم قال : ولو عجن الدقيق بالخمر ثم خبز كره اكله ، لان الدقيق تنجس بالخمر ، والعجين النجس لا يطهر بالخبز فلا يحل اكله ولو صب الخمر فى حنطة لم يؤكل منها حتى تغسل لانها تنجست بالخمر .وذكر فى النوادر عن ابى يوسف فيما اذا تشربت الحنطة بالخمر ، تغسل ثلاث مرات وتجفف فى كل مرة ، وعند محمد لا تطهر بحال لان الغســـل انما يزيل ما على ظاهرها ، فاما ما تشرب فيها فلا يستخرج الا بالعصر ، وهو لا يتاتى فيها . .ثم قال : ولو سقى شاة خمرا ، ثم ذبحت ساعتئذ فلا بأس بلحمها ، وكذلك لو حلب منها اللبن فلا بأس بشربه ، لان الخمر مستهلكة بالوصول الى جوفها ، ولم تؤثر فى لحمها ولا لبنها ، وهى على صفة الخمرية (٢٣) ، « ولا يبعد فقهاء المذاهب فـــى حرمة الانتفاع بالخمر عن ذلك (٢٤) .

كما نص الفقهاء على حرمة مجالسة شارب الخمر وغيرها من المسكرات ، أو الأكل على مائدته . لما روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم من قوله : « ملعون من جلس على مائدة يشرب عليها الخمر » . .

ويتفق فقهاء المذاهب على نجاسة الخمر نجاسة مغلظة لأن الله سماها رجسا ، وينص المالكية على أن كل مسكر من أى نوع نجس الذات ، ويوافقهم على ذلك صراحة الشيعة الجعفرية اذ ينصون : ومن النجاسات المسكرات ، وقالوا « وفى المعتبر الأنبذة المسكرة عندنا فى التنجس كالخمر (٢٥) .

أما من ناحية ماليتها وتقومها ، فان الفقهاء متفقون على عدم تقومها بالنسبة للمسلم ، وان كانت ماليتها لا تسقط فى الاصح ، وأما بالنسبة للذمى فانها تكون متقومة اذا كانوا يعتقدون ذلك ، وعلى هذا لو اتلف ذمى لمسلم خمرا فلا ضمان عليه ، لأن ما أتلفه ليس بمتقوم ، واذا أتلف مسلم لذمى خمرا فانه يضمن قيمته ، لأنه مال متقوم فى عقيدته ، والعبرة فى كل حال بعقيدة المالك للخمر ، الذى وقع عليه الاعتداء ، وقد فصلنا القول فى ذلك فى كتابنا « المدخل للفقه الاسلامى) .

حكم المخدرات :

هذا وينبغى بعد أن بينا الأحكام المتعلقة بالخمر والمسكرات فى الاسلام أن نشير هنا الى أن فقهاء المذاهب من الحنفية ، والمالكية ، والشافعية ، والظاهرية والشيعة الجعفرية ، قرروا حرمة تناول كل ما يؤثر فى العقل كالحشيش ، والأفيون ، وما فى حكمها لثبوت ضررها .

والأصل فى تحريمها ما رواه احمد عن أم سلمة قالت : نهى رسول الله عن كل مسكر ومفتر . واذا كانوا قد نصوا على عدم وجوب الحد على شارب شىء من ذلك لعدم ورود نص فيها ، فانهم نصوا على معاقبة من يتعاطاها بعقوبة التعزيز وفقا لما يراه القاضى رادعا وزاجرا ومحققا للصالح العام (٢٦) غير أن ابن تيمية نص فى فتاويه على أنه يجلد متعاطى الحشيش كما يجلد شارب الخمر ، والى هذا اتجه الشيعة الجعفرية (٢٧) .



وفى الختام نستطيع أن نقول : ان الخمر من الكبائر ، وهى أم الخبائث ، لأن من تأمل فى الاخبار الواردة فيها ثبت له أن تحريمها لما فيها من المفاسد ، لأنها تتصل بحفظ العقل الذى هو من الضروريات الخمس ، التى وردت جميع الشرائع للمحافظة عليها .

وما أكثر ما صنعت الخمر بشاربيها فهان عليهم قتل النفس ، وهان عليهم الزنى ، حتى بأقرب الناس اليهم ، وقد ورد فى بعض الاخبار : أن الخمر أم الفواحش ، واكبر الكبائر ، من شربها وقع على أمه وخالته وعمته (٢٨) . وهذا أكبر تفظيع للخمر ، وتنفير منها ، وهو أمر مشاهد ، فان من زال عقله زال تقديره واستوت عنده الأمور ، فحسن عنده أن يزنى كيف شاء ، وأن يفحش كيفما اشتهت نفسه ، دون تقيد بقيم ولا اعتبار لحرمات .

ومن المشاهد أن الكثير ممن يقدمون على ارتكاب الجرائم يحتسون كئوسا

من الخمر يدسون بها عقولهم ، ويورون بها نور تفكيرهم ، ويتجهون بعد ذلك الى جرائمهم ، وهذا مما يفسر لنا قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « الخمر أم الخبائث » . فهذه سهرات الخمر تستباح فيها الأعراض ، وتسقط القيم الخلقية ، وتهان الكرامات ، وتنزل الخمر بشاربها من الاتزان الى أن يصير أضحوكة يستخف بأمره ويستهزأ به .

ولقد لمسنا آثار المسكرات والمغيبات على الصحة النفسية والجسمية ، فنجد شاربها يتميز عن غيره ، بأنه سريع الغضب ، قليل الاحتمال كثير التبرم ، قليل الصبر على ما يؤديه من الواجبات ، وأنه يصبح أسيرا لهذه العادة ، عبدا لهذه الشهوة ، وسرعان ما يجد نفسه مشدودا اليها ، مضطرا الى معاودة تعاطيها ، ومعالجة حاله بها فيقول : وداونى بالتى كانت هى الداء .

ولا يزال الداء هو الدواء لا فكاك منه حتى يدرك أنه خسر انسانيته فيقلع عنها اقلاعا تاما فيستقيم أمره ، ثم تهدأ أعصابه ، وتستريح نفسه ، ويسير فى حياته سيرا طبيعيا .

ولقد ترامت الينا آراء الحكماء ، ولا سيما أطباء الاعصاب من أن للخمر وغيرها من المسكرات والمغيبات تأثيرا فاتكا على الكبد ، الذى هو دعامة الهضم ، وأساسه ، والذى اذا فسد فسد انتفاع الانسان بطعامه وشرابه ، فانها تحدث فيه تليفا ، وتعرض صاحبه لكثير من الأمراض .

من أجل هذا وذلك حرم الاسلام شرب الخمر والمسكرات ، وسبق كل المدنيات ، وتقدم جميع النظريات فى اعلان الحرب على هذه الأشربة الخبيثة التى بدأت الأمم المتحضرة تشعر بمضارها وتعمل على الحد من سلطانها على الناس ، فهو سبحانه القائل : « انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » .

ومن هذا النص القرآنى الكريم يبين أن الاسلام أسبق فى مفهوم أن تعاطى الخمور من دوافع ارتكاب الجرائم ، وأن فى منعها وتحريمها منعا لكثير من الجرائم وهكذا دائما نجد أن الاسلام أسبق الى كل ما يعود على المجتمع الانسانى بالخير .

نعم للاسلام شرف السبق فى هذا ، شأنه فى كل أحكامه وتوجيهاته ، ولا غرو فان الاسلام الذى يحافظ على العقل وينظر اليه عنوانا لميزان الانسان فى حياته ، أبى على معتنقيه أن يفرطوا فى هذه الجوهرة ، ولو فى ساعات قد تكون فيها كبوة الواحد منهم ومهلكته .



والنتيجة التى ننتهى اليها أنه لو اتجه الناس الى الاسلام وجهة صادقة خالصة فأخذوا بهديه وتشريعه ، لوجدوا أنه هو رائد سعادتهم ، وكافل انسانيتهم ، وحامى تآلفهم وتوادهم ، ودعامة ذلك كله المحافظة على العقل ، ودعامة المحافظة على العقل فى اجتناب هذا الاثم ، وانظر كيف اتجه التشريع الى تحريم القليل والكثير من كل مسكر فى قوله صلوات الله عليه : « ما أسكر منه الفرق — بفتح الفاء والراء — فملء الكف منه حرام » ، حتى يغلق كل باب دون تعاطيها محافظة

على عقولهم ، ومهابتهم ، وكرامتهم ، وللانسان على نفسه بصيرة ، هدانا الله الى الخير والفلاح ، وجنبنا الشر والفسوق والعصيان .

---

(١) راجع المغنى لابن قدامة جـ ٨ ص ٢٠٥ ، المحلى لابن حزم جـ ٧ ص ٥٦٢ ، البحر الزخار جـ ٤ ص ٣٤٩ .

(٢) سبل السلام جـ ٤ ص ٣٧ ، مطبعة محمد على صبيح ـ باب حد الشارب وبيان المسكر ـ وانظر هذه العبارة فى ص ٣٩ .

(٣) تفسير المنار جـ ٧ ص ٩٨ .

(٤) ويتجه هذه الوجهة صاحب رسالة تعليل الاحكام اذ يصرح بان عقوبة شرب الخمر من قبيل التعزير لا الحد ، راجع ذلك فى ص ٦٠/٦٢ .

(٥) المغنى لابن قدامة جـ ٨ ص ٣٠٤ ، البحر الزخار جـ ٥ ص ١٩٥ ، الروضة البهية جـ ٢ ص ٣٧٢ شرح النيل جـ ٧ ص ٦٥٢ .

(٦) سبل السلام للصنعانى جـ ٤ ص ٣٨ .

(٧) مغنى المحتاج جـ ٤ ص ١٨٩ ، نهاية المحتاج الى شرح المنهاج جـ ٨ ص ٩ فما بعدها ، المحلى لابن حزم جـ ٧ ص ٥٦٢ .

(٨) سبل السلام جـ ٤ ص ٣٩ .

(٩) المرجع السابق .

(١٠) مغنى المحتاج جـ ٤ ص ١٨٨ ، المغنى جـ ٨ ص ٣٠٦ ، المحلى جـ ٧ ص ٥٦٨ ، البحر الزخار جـ ٥ ص ١٩٢ ، الروضة البهية فى فقه الشيعة الامامية جـ ٢ ص ٣٧١ .

(١١) المجموع جـ ٧ ص ٤٩ .

(١٢) جـ ٢ ص ٢٥٢ .

(١٣) البدائع جـ ٥ ص ٦١ .

(١٤) المبسوط جـ ٢٤ ص ٥٠ .

(١٥) فتاوى ابن تيمية جـ ١ ص ٢٠ .

(١٦) تفسير المنار جـ ٧ ص ٨٩/٩١ .

(١٧) جـ ١ ص ٢٧٠ .

(١٨) زاد الميعاد جـ ٣ ص ١١٤ .

(١٩) أحكام القرآن جـ ١ ص ٥٩ .

(٢٠) جـ ٢ ص ٢٥٣ .

(٢١) أحكام القرآن جـ ١ ص ٥٦ .

(٢٢) المحلى جـ ٧ ص ٥٦٢ .

(٢٣) المبسوط جـ ٢٤ ص ٢١ .

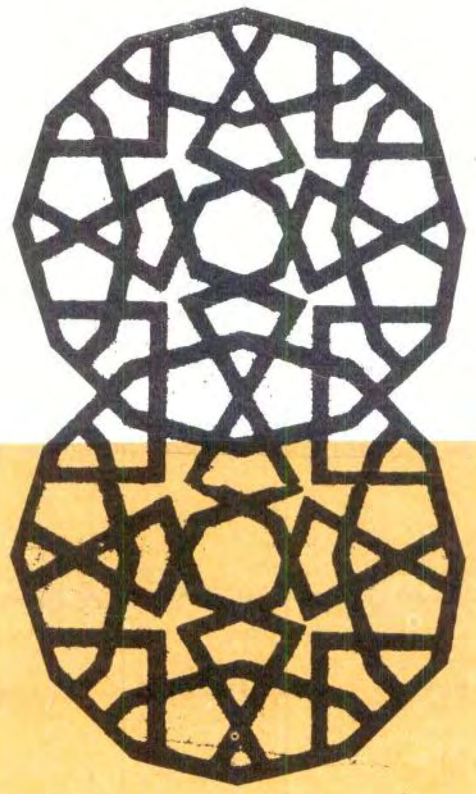
(٢٤) الشرح الكبير وحاشية الدسوقى جـ ٤ ، تحفة المحتاج جـ ٧ ، المغنى لابن قدامه جـ ٧ ، البحر الزخار جـ ٤ ، جواهر الكلام جـ ٦ .

(٢٥) راجع ابن عابدين جـ ٥ ، المقدمات جـ ٢ ، مغنى المحتاج جـ ٤ ، المغنى لابن قدامة جـ ٨ ، المحلى جـ ٧ ، البحر الزخار جـ ٤ ، شرح النيل جـ ٤ ، الخلاف جـ ١ .

(٢٦) حاشية ابن عابدين جـ ٥ .

(٢٧) الروضة البهية جـ ٢ ص ٣٨٥ .

(٢٨) الجامع الصغير للعزيزى جـ ٢ ص ٢٧٦ .



فقهاء إيران

ان أبا جعفر الطوسى (المولود فى ٣٨٥ والمتوفى ٤٥٩ أو ٤٦٠ للهجرة) كان من كبار فقهاء الاسلام فى ايران ، ولكن ليس هو الوحيد منهم ولا الأول من بينهم . ان زملائى من أهل العلم ذكروا لنا ذلك فى دراسة حياته وآثاره ، ولعل بحثى القصير الحقير يبين كيف تيسر للطوسى أن يصل الى ما وصل من المعارف والفضائل العلمية .

ان ايران أمة ذات ثقافة قديمة وتاريخ طويل . ومن حسن حظها أن من الله عليها بسعادة روحانية أيضا بعد أن كانت قد نالت ما نالت من السعادة المادية الملك والمال ، فدخل الاسلام فيها منذ أول الامر . وهذا مكن الايرانيين من أن يساهموا فى تطور الفقه الاسلامى ، فصاروا شركاء فى ملكيته ، لا فى الاستفادة منه فقط .

ان أساس الفقه أو القانون الاسلامى هو كلام الله ، وسنة رسوله وهما أعلى وأرفع من أن يكونا لأمة من الامم البشرية . بل انهما لجميع الانسانية . فاذا لم يجد الانسان فيهما صراحة ، فلا بد من أن يجتهد برأيه . وقد ساهم المفتون والفقهاء والقضاة والولاة خاصة فى هذا الصدد . وهذا منذ العصر النبوى . فقد روى أن بعض الصحابة ، مثل سيدنا أبى بكر ، كانوا يفتون للسائلين حتى فى حضرة النبى عليه السلام ، طبعا فى بسائط المسائل « التراتيب الادارية — للكتانى ١/٥٧ — عن ابن الجوزى » . ويشير اليه أيضا الحديث الشهير الذى ذكره كثير من المحدثين أن النبى عليه السلام لما أرسل معاذ بن جبل قاضيا الى اليمن ، سأله : بم تحكم ؟ قال : بكتاب الله . قال : فإن لم تجد فيه ؟ قال : فبسنة رسول الله . قال : فإن لم تجد فيه ؟ قال : فأجتهد رأيى ولا آلو جهدا . فسر النبى عليه السلام وقال : الحمد لله الذى وفق رسول رسوله بما يرضى رسوله .

للدكتور محمد حميد الله

قبل الطوسي

عصر الصحابة :

ذكر بروكلمان (فى كتابه الالمانى تاريخ الآداب العربية) ٩٣ من الفقهاء قبل أبى جعفر الطوسى ، وصلت الينا تآليفهم . فمنهم أصناف : أهل السنة ، وأهل الشيعة ، وأهل الظاهر ، وسائر الفرق الاسلامية . ولا يقال ان هذا العدد يستقصيهم كلهم .

نجد بين الصحابة رضى الله عنهم عددا من الرجال والنساء الذين كانوا ايرانيين ، اما نسلا أو وطنا . وفيهم فقهاء أيضا . ونبدأ بذكر بعضهم :

سلمان الفارسى :

ان سيدنا سلمان الفارسى كان قد أسلم فى أوائل سنى الهجرة ، وكان كاتب مالكه اليهودى ليستخلص من الرق ، فشرط اليهودى أن لا يتمتع سلمان بالحرية قبل أن تأتى النخيل التى غرسها سيدنا سلمان بثمرها . فبقى فى العبودية الى السنة الخامسة للهجرة ، ثم صار من أخص أصحاب النبى عليه السلام ، بل صار من أهل بيته موالاة ، كما يؤكد قوله عليه السلام فى أثناء غزوة الخندق : « سلمان منا أهل البيت » وكان زاهدا ورعا ، وفاضلا فقيها . وشمّر ذيله لنشر الاسلام فى ايران وبين الايرانيين . وروى عنه أحاديث كما روى عنه فتاوى فقهية . وهو أول من ترجم آيات من القرآن ، فقد ذكر السرخسى (المبسوط ٣٧/١) : « روى أن الفرس كتبوا الى سلمان رضى الله عنه أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية فكانوا يقرأون ذلك فى الصلاة حتى لانت ألسنتهم للعربية » وزاد تاج الشريعة (فى النهاية

حاشية الهداية) أن سلمان عرضها أولا على النبى عليه السلام ثم أرسلها اليهم بإذنه . وتوفى سلمان الفارسى فى سنة (٣٥) هجرية .

ابو هريرة :

ومن الصحابة سيدنا ابو هريرة الدوسى اليمنى ، وكان يجيد اللغة الفارسية كما نرى فى حديث ذكره البيهقى (فى السنن الكبرى ٣/٨) : « بينما انا جالس مع أبى هريرة اذ جاءت امرأة فارسية معها ابن لها (وزوجها) فادعياه ، وقد طلقها زوجها . فقال ابو هريرة : استهما عليه ، ورطن لها بذلك » . وذكر الاستاذ المرحوم مناظر أحسن كيلانى أن سيدنا أبا هريرة كان يعرف اللغة الحبشية أيضا « وتعرف أن الحبشة حكموا اليمن قبل مجىء الايرانيين على دعوة أهل اليمن » . ونجد عنده طلبا للعلم ما لا مزيد عليه ، فقد ذكره الذهبى (فى تذكرة الحفاظ ١/٣٤) : « قال كعب الأحبار : ما رأيت أحدا لم يقرأ التوراة أعلم بما فيها من أبى هريرة » . ومعلوم أنه من كبراء المحدثين للحديث النبوى . ويطعن فيه أعداء الاسلام ليهجنوه فى نظر المسلمين فيتركوا أحاديثه ليضيع قسم كبير من أحاديث نبى الاسلام عليه السلام .

وهناك حديث ذكره كثير من الرواة مثل ابن عبد البر (جامع بيان العلم ١/٤) وابن حجر (فتح البارى ١/١٧٤) عن الحسن بن عمرو بن أمية الضمرى قال : « تحدثت عند أبى هريرة بحديث فأنكره ، فقلت : انى سمعته منك . فقال : ان كنت سمعته منى فهو مكتوب عندى . فأخذ بيدى الى بيته فأرانا كتبا كثيرة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد ذلك الحديث ، فقال : قد أخبرتك ان كنت حدثتك به فهو مكتوب عندى » . فنرى فى هذه الرواية أن سيدنا أبا هريرة كان من أهل العلم وكان دوّن الأحاديث فى كتب كثيرة . ووصل الينا منها صحيفته التى أملاها لتلميذه همام بن منبه اليمنى . ولمعرفة سيدنا أبى هريرة الادارية والفقهية كان النبى عليه السلام والخلفاء بعده يستعملونه فى مهمات الوظائف . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أرسله مرة سفيرا الى المنذر بن ساوى عامل كسرى على البحرين « وهى بلاد الاحساء اليوم فى شرقى جزيرة العرب ، وليس جزيرة البحرين ، وكانت تسمى حين ذلك (أوال) » كما ذكره ابن سعد فى (الطبقات، ١/٢ ، ص ٢٧ — ٢٨) .

ابو موسى الاشعرى :

ومن كبار فقهاء الصحابة اليمنيين سيدنا أبو موسى الاشعرى . وأبسط ترجمة لحياته فى تاريخ دمشق لابن عساكر « مخطوطة السلطان أحمد الثالث باستانبول رقم ٢٨٨٧ ، ج ٦ ، ورقة ١٨٢ / ألف الى ٢٠٠ ألف » تحت كلمة (عبد الله بن قيس) . أرسله النبى عليه السلام الى زبيد ، وعدن ، وساحل اليمن واليا وقاضيا . ثم ولاه عمر البصرة وكتب اليه كتابه فى « سياسة القضاء وتدبير الحكم » وشهرة هذا الكتاب مستغن عن التفاصيل « راجع لنصه ومصادره واختلاف رواياته كتابنا : (الوثائق

السياسية) ، طبعة ثالثة ، رقم ٣٢٧ ، وللبحث فى صحة الانتساب مقالتنا فى مجلة (فرانس اسلام) الباريسية سنة ١٩٦٩ » : ولمعرفته المسائل القانونية والادارية جعله سيدنا على حكما بينه وبين سيدنا معاوية .

وهناك صحابة آخرون كانوا يعرفون اللغة الفارسية قبل الاسلام واشتغلوا بمهمات المسائل الادارية مثل عبد الله بن حذافة السهمى حامل رسالة النبى عليه السلام الى كسرى . ومنهم المغيرة بن شعبة الثقفى . وكذلك صحابة اشتغلوا بالقضاء أو بالفتيا فى البلاد التى هى الآن فى ايران ، يطول ذكرهم ..

شريح :

ولا بأس بأن نضيف ههنا ذكر القاضى شريح مولى الكنديين وهو من أكبر قضاة العالم . ولد فى حياة النبى عليه السلام ولكن لم يره ، بل قدم المدينة بعد وفاته ، ذكره ابن‌كثير (فى البداية ٢٢/٩) وزاد : « أصله من أولاد الفرس الذين كانوا باليمن »تولى القضاء بالكوفة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه وللخلفاء بعده . وقضى أيضا بالبصرة فى امارة زياد . ولذلك سمى بقاضى البصريين . ولشدة فطانته ولاه عمر قاضيا مع أنه كان شابا حدثا ، فكتب اليه يعلمه أصول القضاء وآدابه « كما رواه وكيع فى أخبار القضاة ١٨٩/٢ — ١٩٠ ، وابن كثير ٢٤/٩ ، واللفظ لوكيع » : « اذا جاءك أمر فاقض فيه بما فى كتاب الله . فإن جاءك ما ليس فى كتاب الله فاقض بما سن رسول الله . فإن جاءك ما ليس فى كتاب الله ولم يسنه رسول الله ، فاقض بما أجمع عليه الناس . فإن جاءك ما ليس فى كتاب الله ولم يسنه رسول الله ولم يتكلم به أحد ، فاختر أى الأمرين شئت : فإن شئت فتقدم واجتهد رأيك ، وان شئت فأخره . ولا أرى التأخير الا خيرا لك » . وفى رواية : « ولا أرى فى مؤامرتك اياى الا أسلم لك » . فكأنه كان يراجعه فقد نقل وكيع (١٩١/٢ — ١٩٤) نحو عشرين مكتوبا لعمر الى شريح فى دقائق القضايا .

ولما اتخذ سيدنا على بن أبى طالب الكوفة دار خلافته ، أراد امتحان من يشتغل هناك بالفقه . فقال (فيما رواه ابن كثير ٢٣/٩ ، وكيع ١٩٥/٢) : « يا أيها الناس ، يأتونى فقهاؤكم يسألونى وأسألهم . فلما كان من الغد غدونا اليه حتى امتلأت الرحبة ، فجعل يسألهم .. حتى اذا ارتفع النهار تصدعوا غير شريح فانه جاث على ركبتيه لا يسأله عن شىء الا أخبره . قال سمعت عليا يقول : قم يا شريح فأنت أقضى العرب » .

وبدأ شريح بتزكية الشهود سرا قبل قبول شهادتهم — وكانوا من قبل يكتفون بتزكية العلانية — فلما قيل له فى ذلك ، قال : أحدثتم فأحدثنا (رواه السرخسى فى المبسوط ٩١/١٦) .

قال ابن كثير (٢٢/٩) لما ولاه عمر « رزقه على القضاء فى كل شهر مائة درهم . وقيل : خمسمائة درهم » . وروى السرخسى (فى المبسوط ١٢٢/١٧) ما يدل على ورع شريح وورع على ، فقال : « روى أن الحسن شهد لعلى مع قنبر عند شريح بدرع له ، فرد شريح شهادة الابن لأبيه ، قال : ائت بشاهد آخر .. فعزله على عن القضاء ، ثم أعاده عليه وزاد فى رزقه » .

ومكث شريح قاضيا نحو سبعين سنة . وتوفى بالكوفة سنة ثمان وسبعين وعمره مائة وثمانى سنين (ابن كثير ٢٢/٩ . وقد بسط وكيع فى أحوال شريح فى كتابه ١٨٩/٢ — ٣٩٨) .

عصر التابعين :

المراد بالتابعين المسلمون الذين جاءوا بعد عصر الصحابة ، أو رأوا الصحابة ولم يروا النبى عليه السلام ، وعدد الفقهاء الايرانيين بين هؤلاء كثير جدا . وللكوفة ، وهى فى العراق ، مكانة خاصة فى هذا الصدد ، لأسباب تاريخية . كما هو معروف ، لليمن ثقافة قديمة ، فى سبأ ومعين ، وهذا قبل تأسيس اثينا وروما . ولما انهدم سد مأرب ، هاجرت القبائل المجاورة طلبا للخصب . فوصلت بعضها الى الحيرة ، وأسست هناك دولة لها صيت عظيم فى العرب كما فى ايران .

ثم جاء الى اليمن أبرهة الحبشى ونصرانيته ، ثم تلاه وهرز الايرانى ومجوسيته . فكانت اليمن ملتقى للثقافات والافكار العديدة . ولما انعم الله على الانسان بدين الاسلام ، وجدوا الحيرة فى محل جغرافى مهم ، فأسسوا بلدة اسلامية جديدة بجانب بلدة الحيرة القديمة ، وسموها الكوفة . وأسكنها سيدنا عمر العرب ، أكثرهم من أهالى اليمن . فكما ذكر البلاذرى وياقوت ، سكنها اثنا عشر ألفا من اليمنيين ، وبين الاهالى ١٠٥٠ من الصحابة ، ومن بينهم ٢٤ من أهل غزوة بدر . فلما بنوا مسجدا جامعا بالكوفة ، أسسوا فيه كالعادة مدرسة ، فأرسل سيدنا عمر معلما من أعظم فقهاء الصحابة ، الا وهو سيدنا عبد الله بن مسعود . وقال عمر فى رسالته : « أما بعد ، فانى بعثت اليكم عمار بن ياسر أميرا ، وعبد الله بن مسعود معلما ووزيرا . وهما من النجباء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أصحاب بدر . وقد جعلت عبد الله بن مسعود على بيت مالكم . فتعلموا منهما واقتدوا بهما . وقد آثرتكم بعبد الله بن مسعود على نفسى « الوثائق السياسية لمحمد حميد الله رقم ٣١٤/ الف ، عن ابن سعد والبلاذرى ، والحاكم وابن القيم » .

ولكثرة الطلاب فى المدرسة ، كانت توجد فى مسجد الكوفة أربعمائة محبرة كالوقف (الموفق ، مناقب أبى حنيفة ١٤٠/٢) فلما توفى سيدنا عبد الله بن مسعود فى سنة ٣٢ هـ ، خلفه تلميذه علقمة النخعى (المتوفى ٦٣ هـ) ، ثم تلاه تلميذه ابراهيم النخعى (ف ٩٥ هـ) . وكلهم كانوا فقهاء ، حتى رسخ اختصاص الفقه فى الكوفة . فلما توفى ابراهيم النخعى ، جعلوا تلميذه حماد بن أبى سليمان (ف ١٢٠ هـ) مدرسا هناك . وكان ايرانيا ، مولى للأشعرين . وكان من كبار الفقهاء ، وقد ألف كتبا فى الموضوع ضاعت اليوم . وكفى له فضلا انه أستاذ الامام أبى حنيفة ، وهذا الاخير أيضا درس الفقه فى مسجد الكوفة بعد ما ارتحل حماد الى جوار رحمة الله . ومما يذكر، أن الكوفة انتخبها أيضا سيدنا على كدار للخلافة ، فانتشر هناك علمه ، واجتمع حوله كبار العلماء والصلحاء مما لا بد منه فى عاصمة .

أبـو حنيفـة :

هناك حديث ينسب الى النبى صلى الله عليه وسلم : « لو كان العلم

بالثريا لناله رجال من أبناء فارس » ووجده أسلافنا يتحقق فى الامام أبى حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى بن ماه . وكان يعرف الفارسية (راجع الموفق ٢/٥٥ ــ ٥٦) وكان تاجرا موسرا . فلمـــا جاء عصر عمر بن عبد العزيز ، عصر الذهب ، زاد اهتمام الناس بالعلم . وكان أبو حنيفة اذ ذاك شابا لم يبلغ العشرين ، فبدأ يتعلم الفقه حتى فاق أهل عصره ، وينسب اليه كتب عديدة فى علم الفقه . منبينها كتاب الرأى (كأنه فى أصول الفقه) . وكذلك ينسب اليه رسالة خاصة فى أحكام الصلاة سماها كتاب العروس (كما ذكره الموفق ١/٦٧ ــ ٦٨) . وهو أيضا أول من دون كتاب الفرائض ، وكتاب الشروط ، ولم يبحث فيهما أحد قبله بحثا مستقلا (الموفق ١/٣٥) . وهو كذلك أول من ألف رسالة فى علم السير ، وهو القانون بين الدول يبحث عن مسائل الحرب والسلم . وكأنه أول تأليف فى الموضوع فى العالم ، لان القدماء من اليونان والهند والصين وغيرها كانوا يبحثون فى هـــــذا الموضوع ضمن علم السياسة .

مجمع الفقه :

وقد ذكر ابن حجر فى توالى التأسيس (١) أن أبا حنيفة الف هذه الرسالة ، وأباح فيها قتال الظلمة على أساس أنه : « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » . فرد عليه الاوزاعى فى رسالة ، وقال : تحملنا كل شىء من أبى حنيفة حتى جاءنا بالسيف . فكتب تلميذه أبو يوسف ردا على كتاب الأوزاعى ، وصل الينا ، وطبع تحت اسم « الرد على سير الاوزاعى » . ثم بدوره حاكم الشافعى ، ونقل آراء أبى حنيفة والاوزاعى وأبى يوسف ، ثم أبدى رأيه ، وكل هذا موجود فى كتاب الأم للشافعى ، فى باب (ســـير الاوزاعى) .

وأكبر سهم أبى حنيفة فى علم الفقه هو تأسيس مجمع علمى لتدوين الفقه . وكانت الحاجة ماسة اليه . فقد ذكر ابن المقفع (فى كتاب الصحابة) أن الفرق عظيم جدا بين آراء الفقهاء والقضاة حتى فى نفس البلدة . فكتب رسالة الى الخليفة وقال : لو أمرت لأرسل القضاة اليك ما يختلفون فيه ، مع تفصيل ما له وما عليه ، ثم ترى أنت بأمرك فيكون واجبا على جميـــع قضاة الدولة ويجتمع الناس على أمرك (٢) . .

فخاف الفقهاء أن تخضع الشريعة لأهواء الخلفاء ولسياسة الظلمـــة الفجرة ، بينما كانت الشريعة حرة الى ذلك العصر . فجمع أبو حنيفة أربعين من فضلاء تلاميذه ، كأبى يوسف ، ومحمد الشيبانى ، وزفر ، وعبد الله بن مبارك الخراسانى ، وفضيل بن عياض ، وداود بن نصير ، ووكيع ، وحسن ابن زياد ، وحفص ، وعافية ، ويحيى بن زكريا ، وحبان ، ومندل ، وقاسم ابن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، وغيرهم . بعضهم يختص بالتفسير ، وآخر بالحديث ، وغيره باللغة والشعر ، أو المنطق أو الرياضيات وسائر ما يحتاج اليه أبواب الفقه . فلم يستبد بمذهبه ، بل جعله شورى بين أعضـــــاء المجمع . وبدأ يدون الاحكام بابا بابا وكان أبو يوسف كاتبا للمجمع . فبعد البحث كلما وصلوا الى نتيجة ، دونها أبو يوسف كتـــــابة (الموفق ١/٣٣ ، الكردرى ، مناقب أبى حنيفة ١/٥٠) . ولعل الاعضـــاء الآخرين أيضا دونوا على حسابهم ولنفسهم .

فلو رجعنا مثلا ، الى كتاب المبسوط ، للامام محمد الشيبانى لرأينا أن أبواب الطهارة والصلاة والصوم والزكاة والسير مثلا على النهج : « قال أبو يوسف : أرأيت . . قال أبو حنيفة : . . » فجميع الباب مرتب على الاسئلة والأجوبة ، بدل سرد الاحكام ومع الاسف لم يصل الينا كتاب أبى يوسف حتى نرى عيانا هذا الامر . مهما كان وان أبا حنيفة هو الذى بدأ يدون الفقه بابا بابا ، إما على أساس القرآن الكريم والحديث الشريف وفتاوى السلف من الصحابة ، أو على القياس والاستنباط لمسائل لم تقع ، ففرضوها وبحثوا الجواب فيها ، قال الامام مالك : إن أبا حنيفة أبدى رأيه فى ستين ألفا من المسائل (الموفق ٩٦/١) ، وقال آخرون : بل بلغ ما استنبط من المسائل الى نصف مليون (الموفق ١٣٧/٢) .

الشيبانى :

وبين أصحاب أبى حنيفة يجب أن نذكر هنا الامام محمد الشيبانى . وكان قاضى القضاة بالرّىّ ، وتوفى ودفن هناك على جبل طبرك . فهو ايرانى الوطن . ولد فى واسط ، وتدرّس بالعراق وخراسان وسوريا والحجاز وسائر كبار المراكز العلمية الاسلامية فى عصره ، وتتلمذ عند أبى حنيفة ومالك والأوزاعى بين آخرين ، وبرز بين أبناء عصره حتى انه لما توفى أبو يوسف ، لم يجد هارون الرشيد غير محمد الشيبانى يتخذه قاضى القضاة، فكان يأخذه معه أينما سار ونزل ، من الرقة الى الرى .

لم يصل الينا كتب أبى حنيفة فى الفقه . ولا بأس بأن نفترض أن محمدا الشيبانى هو مؤسس المذهب الحنفى كتابة وتدوينا . وذكر الكفوى أن لمحمد ٩٩٩ تأليفا ، ولم يصل الينا الا القليل منها ، يظهر أن محمد الشيبانى كان عنده مساعدون للتأليف ، فقال الكردرى (١٦٣/٢) وطاشكوبريزاده (مفتاح السعادة ١١٠/٢) وغيرهما أن الامام محمدا لما جلس فى مكتبته : « كان بين يديه طست من ماء ، وبين يديه عشر جوار روميات عالمات بالكتابة والعربية يقرأن العلم عليه » .

ألف محمد الشيبانى فى العقائد ، وفى أصول الفقه وفى الفقه والحديث . يوجد بعضها كما ألفها المؤلف ، وأخرى فى شروح لفحول العلماء . وضاعت أخرى . مثلا ينسب اليه كتاب فى أصول الفقه ، ولم يصل الينا الا اقتباس وجيز نقله عنه أبو الحسن البصرى المعتزلى فى كتابه المعتمد فى أصول الفقه . وليذكر فى الشروح ما هى للسير الصغير والسير الكبير والجامع الصغير والجامع الكبير والزيادات وزيادات الزيادات وكلها لشمس الأئمة السرخسى . ويوجد له كتاب الموطأ عن مالك ، وكتاب الآثار ، وكتاب الحجج ، وكتاب المخارج فى الحيل أيضا . ولكن أكبر تآليفه هو كتاب المبسوط ، ويسمى أيضا كتاب الأصل . ومخطوطة له فى مكتبة مراد ملاّ باستانبول فى ثمان مجلدات فى ٤٧٤٠ صفحة استنسخه أبو بكر بن أحمد ابن محمد الطلحى الاصبهانى فى ٦٣٩ للهجرة . وفى الكتاب ستون بابا فى العبادات والمعاملات والزواجر ، والمعاقل والفرائض وغير ذلك سوى ما ألفه مستقلا لم يدخل فى هذا الكتاب ، مثل كتاب الحج ، وكتاب أدب القاضى .

ولا بأس أن نذكر أن الشيبانى هومعاصر شارلمان امبراطور المانيا

وفرنسا وايطاليا . ويوجد كتاب يحتوى على قوانين دولته ، يسمى (كابى تولاريا) ، لا يزيد على خمسين صفحة ، وأكثر تلك الاحكام تتعلق بادارة أراضى نفقات الامبراطور نفسه . ولو قابلنا محمد الشيبانى بيوستينيان أكبر مقننى أوروبا ، لرجح أيضا . فإن الامبراطور يوستينيان لما رأى كثرة الاختلاف بين كتب القانون الرومانى أسس لجنة تنتخب ما يصلح لعصره من الاحكام . فكان أمام اللجنة نتائج العلم الرومى يمتد على مئات السنين . وبعد ما تم عمل اللجنة ، لم يرض يوستينيان بل لم يزل يغير القوانين ويبدلها طول حياته حسب أهوائه . أما الامام محمد فلم يكن أمامه أى تأليف فقهى جدير بهذا الاسم . ففعل ما فعل من تلقاء نفسه ما يدهش الناظر . وتوفى الامام محمد فى ١٨٩ للهجرة ، واحتفلوا هذه السنة على مرور ١٢٠٠ سنة على وفاته فى تركيا والهند وباكستان وباريس أيضا .

أما الفقهاء فى القرن الثالث للهجرة فعددهم كثير بين الايرانيين مثل مقاتل الرازى ، والأعرج القمّى ، وغيرهما . وفى القرن الرابع نجد الحاكم المروزى ، والجصاص الرازى ، والمكحول النسفى ، والبردعى والشاشى ، والمنذرى والنيسابورى ، والنويختى ، وعلى بن محمد الخزاز القمّى ، وابن بابويه القمّى ، والكلينى ، وبختيار بن راسباس الديلمى ومن لا يحصون عددا .

أما أبو جعفر الطوسى فولد فى ٣٨٥ للهجرة وتوفى اما فى ٤٥٩ أو ٤٦٠ للهجرة . ومن معاصريه قاضى القضاة عبد الجبار المعتزلى ، والفورانى المروزى ، وأبو على المروروذى ، والجويتى ، والجرجانى بين آخرين .

رحمهم الله فكل فعل حسبما تيسر وبدا له ، فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا . .

---

(١) طبع بولاق ، ص ٧٨ ، ولفظه : « ومن طريق عمر بن خالد ، قال جاءنى الشافعى فاخذ منى كتاب موسى بن أعين ، وهو كتاب اختلاف الاوزاعى وابى حنيفة . قال البيهقى : هو كتاب فى السير ، أصله لأبى حنيفة ، فرد عليه فيه الاوزاعى ، فرد أبو يوسف على الاوزاعى رده على أبى حنيفة . فاخذه الشافعى ، ورد على أبى يوسف رده على الاوزاعى . وهو الكتاب المعروف بسير الاوزاعى . قلت « وهو ابن حجر العسقلانى مؤلف توالى التاسيس » ، (وهو من جملة كتب الأم) .

(٢) وهذا نص ما قال : (راجع رسائل البلغاء نشرة محمد كرد على الرسالة الخامسة رسالة ابن المقفع فى الصحابة ، ص ١٢٦) : « ومما ينظر أمير المؤمنين فيه من أمر هذين المصرين وغيرهما من الامصار والنواحى ، اختلاف هذه الاحكام المتناقضة التى قد بلغ اختلافها امرا عظيما فى الدماء والفروج والاموال ، فيستحل الدم والفرج بالحيرة وهما يحرمان بالكوفة . ويكون مثل ذلك الاختلاف فى جوف الكوفة ، فيستحل فى ناحية منها ما يحرم فى ناحية أخرى غير انه على كثرة الوانه نافذ على المسلمين فى دمائهم وحرمهم يقضى به قضاة جائز أمرهم وحكمهم .. فلو رأى أمير المؤمنين أن يأمر بهذه الاقضية والسير المختلفة فترفع اليه فى كتاب ويرفع معها ما يحتج به كل قوم من سنة أو قياس ثم نظر فى ذلك أمير المؤمنين وامضى فى كل قضية رأيه الذى يلهمه الله ويعزم عليه عزما وينهى عن القضاء بخلافه وكتب بذلك كتابا جامعا ، لرجونا أن يجعل الله هذه الاحكام المختلطة الصواب بالخطأ حكما واحدا صوابا ولرجونا أن يكون اجتماع السير قربه لاجماع الامر برأى أمير المؤمنين وعلى لسانه ثم يكون ذلك من امام آخر ، آخر الدهر ان شاء الله » مما يذكر أن ابن المقفع أيضا ايرانى ، ترجم كتبا فارسية الى العربية مثل كليلة ودمنة وغير ذلك .

علمتني الحياة

الإيمانُ

جَلَّ مَنْ صَاغَهُ نداءً قويّاً .

عَلَّمتني الحياةُ أَنَّ مِنَ الإيـ … ـمانِ ما يَصْنَعُ العجائبَ صُنْعا
ويُثِيرُ النُّفوسَ كل مثار … ويزيدُ القُلوبَ وَقْداً وَلَفْعا
فإذا ما انْتَضَى العَزائِمَ هَبَّتْ … تَدْفَع الجَمْرَ فى الأَضالِعِ دَفْعا
جَلَّ مَنْ صَاغَهُ نِداءً قَوِيّا … طَابَ صَوْتًا وَلَذَّ فى السَّمْعِ وَقْعا

الحَقيقَةُ

وسارتْ على هُدَاها الأُمورُ

عَلَّمتني أَنَّ الحَقيقةَ نُورٌ … لَيْسَ يَغْشَى رَفيفَها الدَّيْجُورُ
نَقِيَتْ مِنْ شَوائِبِ الرَّيْبِ والبُطْـ … ـلِ وسارتْ على هُدَاها الأُمُورُ
حُلْوَةٌ مُرَّةٌ تبَارَكَ حَامِيـ … ـهَا وللحقِّ حافظٌ ونَصِيرُ
صُورَةٌ تَبْهَرُ العُيُونَ وَرَمْزٌ … لا يُضَاهَى وَعَزْمَةٌ لا تَخُورُ

الركونُ الى الدنيا

يا لدارٍ قد رَوَّعَتْ ساكنيها

عَلَّمتني أَنَّ الرُّكونَ إلى الدُّنْـ … ـيا ضلالٌ ما بَعْدَهُ مِن ضَلالِ
ما ارْتَضَاهَا اللبيبُ يوماً ولا اخْتا … رَحِمَاها أخو النُّهَى والكَمالِ
يا لَدارٍ قَدْ رَوَّعَتْ ساكنيها … بضُروبٍ مِنَ الأذى والنَّكالِ
تَتَلَقَّى زُوَّارَها بِبُكاهُمْ … وتَرُدُّ الماضينَ بالإعْوالِ

للاستاذ أنور العطار

التفرُّقُ هَدَّامٌ

طبعتهم على الخِصامِ اللَّيالِي

عَلَّمتني أَنَّ التَّفَـرُّق هَـدَّا ... مُ يثُـيرُ العِـدَاءَ والبَغْضَاءَ
وَيَـرُدُّ الأُلىٰ ارْتَضَوْه سبيلاً ... أنفسًا لاتَـرَىٰ الوُجُـودَ إِخَاءَ
طَبَعَتْهُمْ عـلى الخِصَـامِ اللَّيَالِي ... وَرَمَتْهُـمْ أَذِلـَّـةً ضُعَفَـاءَ
وَنَفَتْ عنهم الرِّعَـايةَ والحُـبَّ وزادتهـم قِـلىً وَجَفَـاءَ

التَّـدْبيرُ

وارْضَ بالعيشِ فَقرِه وغِناهُ

عَلَّمتني الحَيَـاةُ أَنَّ مِـنَ التَّـد ... بيـرِ ما يَجْعَـلُ القليـلَ كَثِيـرًا
فَتَدَبَّرْ ما اسْتطَعْتَ أَمْـرَكَ واسْلُكْ ... جَانِبَ الرُّشْدِ واتَّخِـذْهُ نَصِـيرَا
كُنْ عَطوُفًا إِذاَ غَـدَوْتَ غَنِيًّـا ... وَصَـبُورًا إِذا انْقَلَبْتَ فَقِـيرًا
وارْضَ بِالعَيْشِ فَقْـرِه وغِنَـاهُ ... ولا تبُـذِّرْ خَيْرَاتِـهِ تَبْذِيـرَا

الرَّأْيُ الصَّرِيحُ

وأَفْضَتْ بِكُلِّ رَأْيٍ صَريحِ

عَلَّمَتْنِي الحَيَـاةُ يا خَيْرَ مَا أَهـ ... ـدَتْ إلى النَّفْسِ من عَطاءٍ رَبيحِ
أَرْشَدَتْنِي إلى الصَّـوابِ وَشَدَّتْ ... عَزَماتِي وَضَمَّـدتْ منْ جُروحِـي
فلهـا أنْ أَخُصَّهَا بصحيـحٍ ... مِنْ ثنـائِي وصادقٍ مِنْ مَدِيحِـي
فلقد أَوْلَتِ الكثيرَ مِـنَ الخَيْـ ... ـرِ وأَفْضَتْ بكلِّ رأيٍ صريحِ

الإسلام والمسلمون في أوروبا

١

للاستاذ : محمد علوى عبد الهادى

١ ـ دعاة الاسلام فى اوربا

يتركز المفهوم العام للبلاد الاسلامية فى الاقطار الاسيوية والافريقية التى تسود فيها غالبية من السكان المسلمين وقلما يتذكر المسئولون أن فى كثير من بلاد أوروبا والامريكيتين جاليات اسلامية قوية تهفو آمالها وأشواقها الى اخوانهم فى الدين فى الاقطار الاسلامية الكبيرة بل إن كثيرا من خاصة المتعلمين لا يعلمون أن فى كثير من بلاد أوروبا مناطق يتركز فيها المسلمون ويكونون جاليات تختلف قوة وضعفا حسب أقدار تاريخها .

ذلك أن مقررات التاريخ التى تدرس فى مدارسنا ومدارس معظم البلاد العربية تغفل اغفالا معيبا ما كان من امر بلاد الاسلام بعد العصر العباسى الثانى ، ولذلك فان خريجى مدارس التعليم العام لا يعلمون شيئا عما كان من دول شرق ووسط آسيا الاسلامية ولا عن تاريخ الاتراك من تتار ومغول وعثمانيين وصراعهم مع الدول الاوروبية وهم يجهلون كل الجهل امر دولة الاسلام فى صقلية .

ولعل أحداث التاريخ القريب فى بلاد العرب قد ألقت فى نفوس العرب شيئا من الكراهية لسلطنة آل عثمان كما أن الجزء الضئيل من تاريخ المغول والاتراك الذى يدرس بالمدارس

العربية لا تصور الا وحشية المغول والتتار .

ولكن القراءة الواعية لنشاط هذه الدولة تجعل مشاعر السخط المعتادة تختفى قليلا ليحل محلها شعور بفضل هذه الدول فى نشر الاسلام فى ربوع كثيرة وقفت فتوح دولة الاسلام الاولى عندها .

٢ ــ كيف دخل الاســلام أوروبــا

على مدى أربعة قرون من الزمان من فتح القسطنطينية فى منتصــف القرن الخامس عشــر الميلادى حتى منتصف القرن التاســع عشر دامت الحروب والغزوات بين آل عثمــان وممالك أوروبا الشرقية والروســية واحتل الاتراك بلاد اليونان والبلقان وبعض الولايات السوفيتية بين بحر البلقان والبحر الاسود .

وقف المد الاسلامى على يد العرب عند حدود دولة تركيا الحالية شمالا وعند حدود بلاد السند جنوبا .

ولكن ظهور الدول التركية الغزنوية والســلجوقية أعطى دفعــة للمــد الاســلامى فدخــل فى حوزة الدول الغزنويــة كثير من بــلاد الهنــد وافغانســتان وأجزاء من تركســتان الشرقية والصــين . وامتدت دولة السلاجقة الى آسيا الصغرى وبلاد البلغار الشرقية وجورجيا والقوقــاز حتى أصبح البحر الاسود وبحر آزوف بحيرة اسلامية .

ثم جاء جنكيزخان وأولاده وأحفاده من بعد فانتشــروا غربا ، ولا تذكر كتب التاريخ الا الدمار الذى أوقعوه فى البلاد التى فتحوها .

ولكن الحق والانصاف يقضى بأن نذكر أنهم بعد أن خربوا بغداد وقضوا على دولة الخلافة العباسية المتداعية اعتنقوا الاســلام واعتنق من بعدهم اتباعهم هذا الدين الحنيف ثم اتجهوا نحو الغرب الشــمالى فغزوا معظم بلاد الاتحاد السوفيتى وجمهوريات بحر البلطيق .

وقد زار ابن بطوطة هذه البلاد فى النصــف الاول مــن القرن الثامــن الهجرى ووصف أحوال المسلمين بها

ثم جــاء العثمانيون

وعلى مدى ٤ قرون من الزمــان بعد فتح القســطنطينية فى منتصف القرن الخامس عشــر الميلادى حتى منتصف القرن التاســع عشر دامت الحروب والغزوات بين آل عثمــان وممالك أوروبا وروسيا ودخل تحت حكمهم بلاد البلقان وأجزاء من النمسا والمجر .

ولكن الدول الاوروبية وخاصــة الدول الكاثوليكــية لم تترك الاتراك فى هدوء ودامت الحرب ضد الترك من جانب النمسا أو الروسيا تارة أو من جانب أحلاف مقدســة بين دول أوروبا المختلفــة القوية يباركهــا البابوات وتبادلت هذه الاطراف النصر ولم تهدأ ثائرة الدول الاوروبية ضد العثمانيين حتى قضت عليها تماما فى الحرب العالمية الاولى .

وبعيدا عن جو الحروب الذى حال دون توطيد أركان حضارة اسلامية قوية بشرق أوروبا فان ســياســة الاتراك اتســمت بقدر كبير جدا من الحرب الدينية . فلم يكن للدولة دخل اى دخل فى عقائد الشــعوب التى فتحوها فى الشرق أو الغرب متأسية فى ذلك بسياسة المسلميــن الاول .

ولكن ولو أن دولة صدر الاســلام لم تتدخل رســميا فى نشر الدعوة ، فان الشعب نفسه ســار على نهج الصحابة والتابعين فى الحماس لنشر الدعوة .

ولكن انهيار الشعوب الاسلامية الذى انتهى بســقوط بغداد فى يد

المغول والشام فى يد الصليبيين كان عرضا لضعف مستوى التعليم والتربية وبالتالى لضعف مستوى البشر ومن ثم ضعف حال الدولة الاسلامية .

ولما ظهر العثمانيون اتجهوا بقوتهم الحربية غربا وحاولوا أن يجددوا من شأن الاسلام فأنشـأ محمد الفاتح هيئة دينية من كبـار علمـاء البلاد الاسلامية التى دانت لسلطانه وجعل من رئيس هذه الهيئة شيخا للاسلام وكان المأمول أن تقوم هذه الهيئة بـدور الدعوة والتوجـيه الروحى والتشريعى للمسلمين ولكن الحـالة العامة للفكر الاسلامى فى ذلك العصر لم تسـتطع مواجهة حاجـات الامم الجديدة ولم تهىء لها برامج للدعوة والتعليم ولذلك بقيت غالبية شعوب هذه الامم على دياناتها القديمة .

ولكن رغم ذلك فقد اسـتطاع الاسلام ببساطته واعجازه أن يدخل قلوب الناس فى كثير من البلاد ليس فقط تلك التى غزاهـا العثمانيون ، ولكن فى كثير من البلاد التى ربطت الحروب بينها وبينهم بسبب .

ويقول مرجع نمساوى (١) إنه فى منتصف القرن الثانى عشر احتل بعض الجنود المسلمين الذين كانوا يعملون فى خدمة ملوك البحر بعض أراضى النمسـا (٢) وأن صلوات الجمعة كانت تقام علنا وسـرا فى بعض قرى النمسا . وأن بلاط ملوك المجر كان يضم رجـالا ممتازين من المسلمين كمستشارين وقواد ورجال مال . ويقول هذا المرجع إن التقاويم الغربية تذكر اسماء أربعة رؤسـاء لبعثات تبشير اسلامية دخلت النمسا من المجر . وأن هؤلاء المبشرين كانوا يرتدون قفاطين وأغطيـة للرأس من شعر الجمل وكانوا يعيشون معيشة بسيطة ويرفضون أطعمة أهل العقائد الاخرى ولايشربون الخمر ويحمدون الله كثيرا على كسـرة مـن الخبز الاسود ويدعون للمعطى برفع أيديهم للسـماء وكانوا يتكلمون عدة لغات ولهم قدرة غريبة على الجدال السلمى

وبفضل أمثال هؤلاء دخل الاسلام كثير من القبائل التى تسكن بلاد شرق أوروبا من اليونان جنوبـا حتى بلاد بحر البلطيق وبولندا شمالا .

ويذكر المؤرخـون الاوروبيون أن السلطان سليم الاول أراد أن يرغم اليونان على اعتناق الاسـلام ولكن شيخ الاسلام « على الجمالى » حال دون ذلك وذكره بما أصـدره جـده محمد الفاتح من فرمان يعطى حرية التدين الى اليونانيين ، ومع الحـرية الدينية التى تمتعت بهـا الشـعوب الاروبية تحـت حـكم الاتراك يذكر المؤرخون عهود العسف والظلم التى وقعت وكانت تقع على غير الكاثوليك عندما ينسحب المسلمون من اى من هذه البلاد .

٣ ــ العوامل المضادة التى حجبت انتشار الاسـلام فى أوروبـا

ولو أن الفتح العثمانى تم وحـال المسلمون كان كما كانوا فى صـدر الاسـلام . لكان من المؤكـد أن نور الاسلام قد ساد ربوع أوروبا كلها .

ولكن القوى التى أثرت فى عقول الناس منذ محـمد الفاتـح كـانت مستقطبة فى قوتين :

أ ــ دعوة الاسـلام ويحمل لواءها هيئة العلماء التى كونها محمد الفاتح فى الشرق الاسلامى .

ب ــ قوة الكنيسـتين الكاثوليكية والشرقية التى تولت عبء المحافظة على المسيحية والدعوة لها ، ليس فى

أوروبا فقط ولـكن فى نفس بـلاد السلطنة العثمانية .

فأما عن قوة هيئة العلماء المسلمين ونشاطها فقد كان شأنها شأن باقى مرافق الدولة والشعب ـ خمـول وتواكل وكسل ـ وعجزت هـذه الهيئة عن ان تسـاير الهيئـة الحـربية التى كـانت لدولة آل عثمـان فى أول أيامهـا . ولم تـكن هذه الهيئة أكثر من مجموعـة من العلمـاء الجامدين يلوذون ببلاط السـلطان دون أن يكون لهم تنظيم ادارى أو علاقـة روحية تربطـهم بالشعب . وعندما عم الفساد فى بلاط السلاطين أصدروا فتـوى بوقـف الاجتهاد فى الفقه الاسلامى وبذلـك زاد موقف المسلميـن جمودا علـى جمود .

ولو كانت القوة الحربيـة التى اظهرت آل عثمان ومن قبلهم الاتراك السلاجقة قد صاحبها دعوة مذهبية كـدعوة المعتزلـة التى عـاصرت الفتوحات العربية فى دولة بنى أمية ودولة العباسيين الاولى والتى كان لها تنظيم رائع من الدعاة والمدرسـين الذين كان لهم الفضل فى دعوة الناس للاسلام وفتح المدارس وتعليم النشء لو كان قد أتيح للاتراك السـلاجقة والعثمانيين مثل هذا التنظيم التثقيفى لكان الفتح العثمانى قد انتهى بادماج الشعوب التى فتحوها فى نطاق الامم الاسلامية .

ولكن مع ضـعف اجهزة التوجيه والتعليم للمسلمين كان على الجانب الآخر جهاز قوى مدعم بسـلطـات روحية وادارية يقف مع سلطة الحكم الزمنى على قدم سواء ، إن لم يكن فى ذلك الوقت يفوقها اذ كـان علـى الملوك واجب الولاء لهذا السـلطان ونعنى به سلطان الكنيسة التى كان الملوك يستمدون السلطة الزمنية منها

وفى الوقت الذى كان النشـاط العقلى للمسلمين يتجه نحو الخمول والركود كانت الكنيستان الارثوذكسية والكاثوليكية تجتاحهما نهضة عقلية شـاملة . وبعد الفرقة التى دامت قرونا طويلة تحالفت هاتان الكنيستان بل إن الكنيسـة البروتستانتية التى نشأت ثائرة على كنيسـة رومـا قد اتحدت معها للوقوف فى وجه الزحف التركى .

وواجهت الكنيسـة الغزو العقلى الاسلامى بكل وسائل الدعوة ، من فقه فلسفى وكتابات علمية على شتى المسـتويات الى التأثير المركز لفنون الغناء والموسيقى والشعر والقصائد الشعبية والقصص الذى راج وروج معه أفكارا سوداء تناقلها الناس حتى رسـبت فى أعماق باطنهم تبث فيهم روح الكراهية ضد الاسلام والتعصب ضده ، وكانت عاملا لاشك فيه لوقف تأثير الاسـلام على عقول الناس وبالتالى وقف انتشاره بين الشعوب الاوروبية ، ولكن رغم ذلك فقد دخل الاسلام عدة ملايين من البشر آمنوا به عن عقيدة وصدق ايمان .

وحتى بعد أن خرجـت هذه البلاد من حكم العثمانيين بقى الموحدون على دينهم يعبدون الله الواحد الاحد القهار رغم عسف الحكام الجدد وقسوتهم فى اجبار الناس على اعتناق الكثلكة

ولقد اغتصـبت الروسـية عدة مناطق من أوروبا وآسيا بعد ثورتها على الاحـتلال المغولى الذى دام بها قرابة ثلاثة قرون واستولت النمسا على مناطق أخرى ، واستقلت اليونان تحت حماية القوى الاوروبية الكبرى فى أوائل القرن التاسـع عشـر واستولت ايطاليا على جنوبها والجزء المحيط بها بما فيها صقلية وسردينيا وأخذت فرنسا كورسـيكا واحتلت

بريطانيا قبرص ومالطه . وانفردت الكنائس بأمر التعليم والتثقيف والتعبئة الروحية للناس ولكن رغم كل الصعوبات فقد بقى الناس على دينهم حتى اليوم .

حقا لقد تقلص العدد بشكل ملحوظ ولا زال يتناقص بحكم قسوة الظروف وانعدام السبيل نحو تعليم الاجيال الجديدة أمر دينهم .

٤ ــ الأوضاع الحالية للمسلمين فى أوروبا

على أنه بالرغم من هذه العوامل فان تعداد المسلمين التقريبى فى هذه البلاد يقدر كالآتى (٣) :

٤٨ مليون مسلم فى جمهوريات الاتحاد السوفيتى الاوروبية والآسيوية
٣ مليون مسلم فى يوغوسلافيا
٣ مليون مسلم فى بلاد البلقان (البانيا ، رومانيا بلغاريا ، المجر واليونان)
٢٠٠ ألف مسلم فى بولندا

٦٠ ألف مسلم فى فنلندا

كذلك فقد أعقب الحرب العالمية الثانية دخول مهاجرين مسلمين الى أوروبا قدموا من آسيا وافريقيا لاجل العمل أو التعليم أو اللجوء السياسى كما قدموا من البلاد الاوروبية لنفس الاغراض وبذلك وجدت جاليات اسلامية كبيرة فى المانيا وسويسرا والنمسا وفرنسا وايطاليا وأسبانيا وبريطانيا (٤) وتختلف حال المسلمين فى كل بلد من هذه البلاد قوة وضعفا شدة ورخاء تبعا للظروف السياسية لبلادهم .

وقد اتصلت شخصيا ببعض الجاليات الاسلامية فى أوروبا ولمست أحوالهم ومشاكلهم وفى المقالات التالية تقرير عنهم .

---

١) النمسا والاسلام : للدكتور اسماعيل باليش وهو نمساوى مسلم ويعمل بمدرسة التجارة العليا بفينا .

٢) يلاحظ أن هذا الزمن كان زمن الحروب الصليبية وظهور قوة عماد الدين زنكى وولده نور الدين

٣) هذه الارقام مؤخوذة من بيانات شبه رسمية للمسلمين فى تلك البلاد ..

٤) لا يمكن اعطاء أرقام محدودة عن اعداء هؤلاء المهاجرين المسلمين لتغير اعدادهم باستمرار ولان مصادر الاحصاء القومية لاتنشر بيانات عنهم . ولكن البيانات غير الرسمية تشير الى تفوق العدد الاجمالى فى هذه البلاد عن مليونين .

حق المساواة بين الناس

مبدأ من مبادئ الإسلام الكبرى

للدكتور وهبه الزحيلى

ان الحملة الحضارية الانسانية الشاملة التى اقترنت بالاسلام اقتضت اقرار كل المبادىء الخلقية الاصيلة ونبذ كل مظاهر التخلف والتعثر والرجعية والتفرقة الظالمة بين أبناء البشر دون اعتماد على ميزان معقول أو حساب صحيح للنتائج ..

ومن الاصول الحضارية للاسلام ومنهجه الديمقراطى فى الحياة السياسية والاجتماعية اعلانه مبدأ المساواة التامة دون تمييز بين الناس بسبب الجنس أو العرق ، أو اللون أو النسب ، والحسب ، أو الدين ، أو المنصب والجاه وسلطة الحكم ، أو السن ، أو الغنى والمال أو المحبة والبغض وذلك تجاوبا مع نزعة الاسلام العالمية وعموم رسالته للبشرية واعتبار تنظيماته وشرائعه رحمة للعالمين ..

ومن أهم مظاهر المساواة اجمالا ثلاثة أمور :

١ — المساواة فى القيم الانسانية المشتركة : أى لا تفاضل فى الاجناس « فالجنس الآرى والحامى والسامى كلها سواء » ولا تفاضل فى الالوان « فالابيض والاسود والاحمر والاصفر على حد سواء » ، ولا تمييز فى

الانساب والاحساب « فالشريف والوضيع لهما حقوق متساوية » وبذلك ألغى الاسلام نظام الطبقات وحارب العنصرية البغيضة ، والعصبية الكاذبة الحمقاء وأهدر نظام الاسر الراقية والالقاب الفارغة وسوى بين دماء الناس ، فليس هناك دم أزرق نبيل وآخر عادى من دماء العامة .. !!

٢ ــ المساواة أمام القانون والقضاء وفى تكافؤ الفرص : يعنى أن الناس جميعا متساوون فى التكاليف والالتزامات العامة والحقوق وفى نطاق الجريمة والعقاب وفى مبدأ تكافؤ الفرص بالنسبة للعمل والتوظف ونحو ذلك .

٣ ــ المساواة فى جزاء العمل : فما دام الاشخاص متكافئين فى العمل ، فهم يستحقون أجرا متساويا دون تمييز أو محاباة لأحد على حساب الآخرين . وعليه فلا يصح أن ينخفض أجر انسان ، لانه أسود مثلا ، ويعطى آخر أجرا أعلى ، لكونه أبيض أو منحدرا من سلالة رفيعة النسب عريقة المجد ، أو لقرابة ونحو ذلك . فالناس جميعا متساوون فى الاجور ، متفاوتون بقدر ما ينجزونه من أعمال ، أو يظهرونه من كفاية وابداع وانتاج .

الكرامة الانسانية أو الوحدة الانسانية :

وفى سبيل اقرار مبدأ المساواة فى مظاهره الثلاثة السابقة نظريا وعمليا نادى الاسلام بوحدة السلالة البشرية ، وان البشر أبيضهم وأسودهم من اب واحد وام واحدة وهم سواء فى مبدأ الكرامة الانسانية ، فلا ينبغى أن يترفع انسان على آخر أو يستعبد انسان غيره بسبب اللون ، أو الحسب ، أو القوة أو الغنى أو الفكر والمواهب والفضائل أو الجماعة الخاصة ، قال الله تعالى فى قرآنه الكريم : « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا » (النساء : ١) .

ويعلن القرآن مبدأ تكريم الجنس البشرى عامة فى قوله سبحانه : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » (الاسراء : ٧٠) فهذا النص الصريح يدل على أن التكريم العام شامل لكل انسان ، وكرامته ملازمة لانسانيته والانسان أخ للانسان أحب أم كره والانسانية مكرمة سواء فى السلم أم فى الحرب فالصراع على المصالح الخاصة وبالتالى اراقة الدماء واستباحة الانفس يجب الا يكون سببا لتلويث كرامة الانسان ، فلا تمثيل ولا تقتيل بدون حق ولا تشويه ولا تجويع ولا اظماء ، يقول النبى صلى الله عليه وسلم : « اياكم والمثلة » « اذا قتلتم فا « حسنوا القتلة » .

وكرامة بنى آدم تقضى عدم التفريق فى المعاملة بين طبقة وطبقة ، ولا بين جنس وجنس ، ولا بين فقير وغنى ، او قوى وضعيف ، لأن الاسلام يجعل الناس جميعا سواء ، ومرجعهم الى اصل واحد ، العدل يعمهم ، والرحمة تشملهم ، والخير والسعادة حق كل فرد منهم . قال النبى صلى الله عليه وسلم فى خطبة الوداع : « يأيها

الناس ، ان ربكم واحد ، وان أباكم واحد ، ألا لا فضـــل لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لاحمر على أسود ، ولا لاسود على أحمر الا بالتقوى ، ان أكرمكم عنـــد الله أتقـــاكم » (رواه البيهقى فى سننه عن جابر) « الناس مستوون كأسنان المشـــط ، ليس لاحد على أحد فضل الا بتقوى الله » (رواه الديلمى عن أنس) .

ولقد كان اعلان الاســـــلام لمبدأ الوحدة الانسانية ــ وحدة الاصـــل والمنشأ سبيلا لتقرير مبدأ المســـاواة بين الاخوة فى الحقـــــوق الفطرية الطبيعية وللرد على اليهـــــود الذين جعلوا رحمة الله حكرا على شعبهم ، وان الاله اله بنى اسرائيل وحدهم ، ولا يحق لأى شعب آخر الايمان به أو الانتماء اليه .

أما الاسلام فمبدؤه أن الله تعالى اله العالمين «الحمد لله رب العالمين» (الفاتحة : ٢) « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » (الانبياء : ١٠٧) « قل : أغير الله أبغى ربا ، وهو رب كل شىء » (الانعام : ١٦٤) .

ثم ان مبدأ الكرامة الانســــــانية يقضى تحرير الانسان ، وتوفير كل أسباب العزة والكرامة والشرف له ، عملا بتكريم الله له وازالة كل عوامل التفرقة بين أبناء البشرية بســــبب الجنس واللون وغير ذلك من العوامل الآتية ، لأن الكرامة هى الاحساس المعنوى بشخصية الانسان، والانسان هو أساس كل القيم والحضـــارات التى تقوم على الخير والســــــلام والعدل والاخاء والحرية ولن يؤمن بالحرية من لا يؤمن بالانسان وكرامة الانسان ، فأى انسان يولد بالفطرة حرا متساويا فى الحق والكرامة مع سائر الناس .

١ ــ الجنس :

عرفنا أن الاســــــلام لا يميز بين الاجناس والاعراق فليس هناك جنس أو شعب هو بنشأته وعنصره ودمه افضل من غيره ، وانما الناس جميعا أخوة فى النسب ، ووحدة فى الاصل والمنشأ . قال تعالى : « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعــــارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير » (الحجرات : ١٣) فمهمة الشعوب فى العالم هى التعارف والتعـــاون والتآلف، لا التناكر والتفاخر والتزاحم غير الشريف ، ولا تفاضل الا بالايمان الصحيح والتقوى والعمل الصـــالح البناء ، فبالعمل والانتـــــاج وبالنفع العام للانسانية يفضل الشـــــخص غيره .

وبهذا هدم الاسلام برج العصبية القـــــاتلة والقبليـــــة أو العنصرية البغيضة ، وحارب كل أشكال التمييز العنصرى وأزال كل ألوان الفـــوارق الطبقية عملا بمبدأ المساواة الانسانية العامة . وسبب محاربة الاســــــلام لفكرة الطبقية والعنصرية : هو أنها تكون عادة سبيلا للظلم والتحــــكم والطغيــــــان ، وغمط الحقوق ، والانحـــــراف عن جادة الحيــــاة المستقيمة ، والسلوك الرشــــيد ، والعدالة لذا قال نبى الاسلام : « ليس منا من دعا الى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية » (حديث حسن رواه أبو داود عن جبير بن مطعم) « من قتل تحت راية عميـــــة يدعو لعصبية أو ينصر عصبية ، فقتلتــه جاهلية » (رواه مسلم والنســـــائى بسند صحيح) . وقال تعالى : « اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على

رسوله وعلى المؤمنين والزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها ، وكان الله بكل شىء عليما » (الفتح : ٢٦) .

واذا كانت الدول الحديثة قد اعلنت مبدأ حقوق الانسان عام ١٧٨٩ م وقررت الامم المتحدة اعتبار عام ١٩٧١ كله لمكافحة ومحاربة التمييز العنصرى بكل اشكاله ، فان ذلك ما يزال أمرا نظريا لا عمليا ، فما زال الرجل الابيض يستذل الاسود فى قلب أوروبا ، وما تزال أمريكا زعيمة العالم الحر وبريطانيا تؤيدان مبدأ التفرقة العنصرية الذى يشجبه العالم كله والضمير الانسانى والشرائع السماوية ، سواء فى قلب أمريكا ضد الزنوج أم فى قارة أفريقيا متمثلا ذلك فى حكومة روديسيا ودولة جنوب أفريقيا ، والمستعمرات البرتغالية ضد الملونين .

وعلى أساس هذه النظرة العنصرية قامت فى الشرق العربى دولة اسرائيل العنصرية التى تمثل احط صور المفهوم العنصرى ضد الشعب العربى الذى تضطهده اجهزة الحكم الاسرائيلى ، فتمنع حقوق الانسان وتمارس ضد السكان الشرعيين الاصليين كل انواع القتل والسجن والتعذيب والتشريد والطرد ومصادرة الممتلكات الخاصة والعبث بأوقاف المسلمين وباحراق المسجد الاقصى .

وبمثل ذلك تفعل دولة اثيوبيا ضد العرب المسلمين فى الحبشة وأرتيريا حيث القتل والهدم الكامل للقرى والمدن والابادة الجماعية للسكان .

٢ ـ اللون :

كذلك لا تمييز بين الناس بسبب اختلاف اللون ، فهذا من اثر البيئة الجغرافية او الاصل البشرى قال تعالى : « ومن آياته خلق السموات والارض، واختلاف السنتكم والوانكم، ان فى ذلك لآيات للعالمين » (الروم : ٢٢) « ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه ، كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ، ان الله عزيز غفور » (فاطر : ٢٨) .

وقد فطن الاسلام الى مشكلة اللون فى بادىء الامر ، فقرر مبدأ المساواة التامة بين الابيض والاسود ، حدث مرة أن النبى صلى الله عليه وسلم سمع أبا ذر الغفارى يعير صحابيا بأمه ، ويدعوه : يا ابن السوداء فغضب النبى صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا ، وقال مستنكرا : طف الصاع ، طف الصاع ، طف الصاع (أى تجاوز الامر حده) ، ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل الا بالتقوى او بعمل صالح ، فما كان من ابى ذر الا أن وضع خده على التراب وقال لصاحبه : دس بقدمك على رأسى ، لما استشعر من تعديه عليه .

وفى عبارة أخرى لهذه القصة ان رجلا قال : لقيت أبا ذر بالربذة (مكان قرب المدينة) وعليه حلة وعلى غلامه حلة ، فسألته عن ذلك فقال : انى سابيت رجلا ، فعيرته بأمه فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم : يا أبا ذر أعيرته بأمه ؟ انك امرؤ فيك جاهلية ، اخوانكم خولكم (أى أعوانكم وحشمكم) جعلهم الله تحت ايديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فان كلفتموهم فأعينوهم » . وقد شاهد عمر رضى الله عنه قوما فى مكة يأكلون ، والخدم يقفون لهم ، فغضب وقال للسادة : « ما بال قوم يستأثرون على خدامهم ؟ » وأمر بالخدم فأكلوا

مع السادة فى أجفان — أى آنية واحدة . وقال الرسول صلى الله عليه وسلم مؤكدا نبذ التميز بالالوان : « أنا أخو كل تقى ، ولو كان عبدا حبشيا ، وبرىء من كل شقى ، ولو كان شريفا قرشيا » « سلمان منا أهل البيت » .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « لو كان سالم مولى أبى حذيفة حيا لوليته » أى الخلافة . وقد تولى فعلا كثير من الموالى المسلمين قيادة الجيوش وامارة المدن . قال النبى صلى الله عليه وسلم : « ان الله يرفع بهذا الكتاب — أى القرآن — أقواما ويضع به آخرين » .

فاين هذه المحاربة للعصبية القبلية والعنصريه فى نطاق الاسلام مما تفعله الحضارة الحديثة التى تبيح للامريكان افناء عنصر الهنود الحمر بطريقة تدريجية منظمة ، أو القيام بتخصيص مدارس ومطاعم وناقلات خاصة ومقاهى وغير ذلك للزنوج الملونين ، بل تحرمهم من أبسط الحقوق المدنية والسياسية ، وتسن لهم القوانين الخاصة ، وتحول دون انتفاعهم بمظاهر المدنية الجديدة كالكهرباء والطرق والمرافق العامة المنظمة والمساكن الصحية والمشافى اللائقة ، ولا تمنحهم الاجور العادلة .. ويتم مثل ذلك فى حكومة جنوب أفريقيا التى تجاهر بالقوانين العنصرية ضد الملونين ؟

٣ — الدين :

لم يفرق الاسلام بين الناس فى النظرة الانسانية بسبب العقيدة أو الدين ، فاذا لم يكن هناك حرب ولا عدوان فلا فرق بين مسلم وغير مسلم فى مظاهر المساواة الثلاثة السابقة : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يحرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين . انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون » (الممتحنه : ٨ — ٩) .

ويمنح الاسلام حقوقا مساوية للمشركين المعاهدين عند الاعتداء على الدماء ، فيوجب نفس الدية والكفاره الواجبتين بقتل المؤمن خطأ : « ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله ، الا أن يصدقوا ، فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ، وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله ، وتحرير رقبة مؤمنة » (النساء : ٩٢) .

وهذا نقيض ما تفعله بعض الدول الحديثة فى الشرق أو الغرب أو فى أفريقيا من تعمد افناء المسلمين وتشريدهم فى الآفاق .

كما أنه ليس فى الاسلام ما يعرف بطبقة رجال الدين الذين يتمتعون بامتيازات معينة أو لا يخضعون للقانون .

٤ — النسب :

ان من أصول الاسلام الثابتة قطعا ألا تأثير للنسب فى مركز الانسان ، ولا فى المفاضلة بين الناس ، قال الله تعالى : « فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون » (المؤمنون : ١٠١) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا صفية بنت عبد المطلب ، يا فاطمة بنت محمد يا بنى عبد المطلب : انى لا أملك لكم من الله شيئا ، سلونى من مالى ما شئتم » (رواه الترمذى عن

عائشة رضى الله عنها) وفى عبارة أخرى مماثلة : « يا معشر قريش لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يا بنى عبد مناف لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئا ، ويا صفية عمة رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئا » (رواه البخارى ومسلم) .

وفى نداء آخر من الرسول موجه لقومه وأقاربه : « يا بنى كعب بن لؤى ، انقذوا أنفسكم من النار ، يا بنى عبد مناف ، انقذوا أنفسكم من النار ، يا بنى هاشم انقذوا أنفسكم من النار ، يا بنى عبد المطلب انقذوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة بنت محمد ، انقذى نفسك من النار ، فانى لا أملك لك من الله شيئا » (رواه البخارى فى الادب المفرد عن أبى هريرة) أى أن قرابة الرسول عليه السلام لا تفيد أحدا شيئا ولا تكون سبيلا للمفاضلة .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم محددا الغاء دور النسب فى الاعمال بصفة نهائية : « ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه » (رواه مسلم عن أبى هريرة) .

وبذلك تقرر فى الاذهان ألا نفع لغير العمل ، قال عمر بن الخطاب : « والله لئن جاءت الاعاجم — غير العرب — بالاعمال ، وجئنا بغير عمل ، فهم أولى بمحمد منا يوم القيامة ، فان من قصر به عمله لم يسرع به نسبه » وفى كتاب عمر الى سعد بن أبى وقاص : « ان الله ليس بينه وبين أحد نسب الا بطاعته ، والناس شريفهم ووضيعهم فى ذات الله سواء » .

٥ — الحسب (ما تعده من مفاخر آبائك ، أو المال ، أو الدين ، أو الكرم ، أو الشرف فى الفعل ، أو الفعال الصالح ، أو الشرف الثابت فى الآباء) :

ان الاعتماد على الحسب أمر موهوم ايضا ، فصاحب الحسب الشريف لا ميزة له على غيره فى تطبيق احكام الشريعة ، ففى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وقعت حادثة سرقة من امرأة قرشية ذات حسب ونسب ، واسمها فاطمة المخزومية ، فأتى أهلها أسامة بن زيد ، فكلموه ، فكلم النبى صلى الله عليه وسلم فيها ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : يا أسامة لا أراك تشفع فى حد من حدود الله عز وجل ، ثم قام النبى صلى الله عليه وسلم خطيبا ، فقال : انما هلك من كان قبلكم بأنه اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف (الضعف هنا : الصغار فى المجتمع) قطعوه ، والذى نفسى بيده لو كانت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها ، فقطع يد المخزومية » (رواه أحمد ومسلم والنسائى) .

وفى فاتحة التاريخ الاسلامى واقعة أخرى مشهورة وهى : لما أسلم جبلة بن الايهم الغسانى ، وكان من ملوك آل جفنة كتب الى عمر رضى الله عنه يستأذنه فى القدوم عليه ، فأذن له عمر ، فخرج اليه فى خمسمائة من أهل بيته ، وأمر جبلة مائتى رجل من أصحابه ، فلبسوا السلاح والحرير ، وركبوا الخيول معقودة أذنابها ، والبسوها قلائد الذهب والفضة ، ولبس جبلة تاجه ، فلما انتهى الى عمر رحب به والطفه وادنى مجلسه ، ثم أراد عمر الحج فخرج معه جبلة . فبينما هو يطوف بالبيت ، وكان مشهورا بالموسم ،

اذ وطىء ازاره رجل من بنى فزارة ، فانحل ، فرفع جبلة يده ، فهشم أنف الفزارى فاستعدى عليه عمر رضوان الله عليه ، فبعث الى جبلة، فأتاه ، فقال : ما هذا ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، انه تعمد حل ازارى ، ولولا حرمة الكعبة لضربت بين عينيه بالسيف ، فقال له عمر : قد أقررت فاما أن ترضى الرجل ، واما أن أقيده (القود : القصاص أى العقاب بالمثل) منك . قال جبلة : وماذا تصنع بى ؟ قال : آمر بهشم أنفك كما فعلت ، قال : وكيف ذاك يا أمير المؤمنين وهو سوقه وأنا ملك ؟ قال : ان الاسلام جمعك واياه، فلست تفضله بشىء الا بالتقى والعافية قال جبلة : قد ظننت يا أمير المؤمنين أنى أكون فى الاسلام أعز منى فى الجاهلية . قال عمر : دع عنك هذا ، فانك ان لم ترض الرجل أقدته منك . قال : اذاً أتنصر ، قال : ان تنصرت ضربت عنقك ، لأنك قد أسلمت فان ارتددت قتلتك .

ثم استمهل جبلة الى الغد ، وفى جنح الظلام فر مع خمسمائة رجل من قومه الى بلاد الروم ، فدخل الى هرقل ، فتنصر وقومه (أنظر تمام القصة فى سيرة عمر بن الخطاب للاستاذ على الطنطاوى وأخيه ناجى : ١/٣٦٠ ، الطبعة الاولى) .

فهذا تطبيق عملى حاسم لمبدأ المساواة فى العقوبات ، حيث لا مجاملة ولا محاباة ولا استثناء قل أن نجد نظيره فى تاريخ الامم .

٦ ــ المنصب والجاه وسلطان الحكم :

سوى الاسلام بين الحاكم والمحكومين ، والولاة والرعية أمام القانون والقضاء ، فلم يجعل لصاحب المنصب أو الولاية أى امتياز على غيره فى تطبيق أحكام الشريعة، قال النبى صلى الله عليه وسلم قبيل انتقاله الى الرفيق الاعلى : « ألا من كنت جلدت له ظهرا ، فهذا ظهرى فليستقد (أى فليقتص) ، ومن كنت شتمت له عرضا ، فهذا عرضى فليستقد منه » (رواه الفضل بن عباس فى الكامل لابن الاثير : ٢/١٥٤) .

وكان الخلفاء الراشدون بعد النبى صلى الله عليه وسلم يعلنون فى أول خطبة سياسية لهم : « انى وليت عليكم ولست بخيركم ، فان أحسنت فأعينونى ، وان أسأت فقومونى ، أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فاذا عصيت الله ورسوله ، فلا طاعة لى عليكم » .

فليست ذات الحاكم مقدسة أو مصونة ، وانما هو وغيره سواء . كذلك ليس فى الاسلام امتيازات خاصة بالاسرة الحاكمة أو ما يسمى بطبقة الاشراف .

فهذا عمر بن الخطاب يقيم عقوبة الحد على ولده عبد الرحمن عندما شرب شرابا مسكرا ، وكتب الى واليه عمرو بن العاص يهدده بالعزل ويؤنبه حينما بلغه أنه جامل ابن عمر فى اقامة حد السكر عليه (سيرة عمر بن الخطاب ، المرجع السابق : ١/٢١٨ وما بعدها) .

وقدم رجل قبطى من أهل مصر شكوى الى أمير المؤمنين عمر ، فقال : أجرى عمرو بن العاص بمصر الخيل ، فأقبلت فرسى ، فلما رآها الناس ، قام محمد بن عمرو

(والى مصر) ، فقال : فرسى ورب الكعبة ، فلما دنا منى عرفته فقلت : فرسى ورب الكعبة ، فقام الى يضربنى بالسوط ، ويقول : خذها وأنا ابن الاكرمين ، وبلغ ذلك عمرا أباه فخشى أن آتيك ، فحبسنى فى السجن ، فانفلت منه ، وقد أتيتك . فلم يزد عمر الخليفة على أن قال له : اجلس . ثم كتب الى عمرو : اذا جاءك كتابى هذا فأقبل ، وأقبل معك بابنك محمد وقال للمصرى : أقم حتى يأتيك .

وفى وسط جمع كبير من الناس بعد أن قدم عمرو وابنه ، قال عمر للمصرى : دونك الدرة فاضرب بها ابن الاكرمين . فضربه حتى أثخنه ، وعمر يقول : اضرب ابن الاكرمين ، ثم قال : أجلها على صلعة عمرو ، فوالله ما ضربك الا بفضل سلطانه . قال : يا أمير المؤمنين قد ضربت من ضربنى .

ثم قال الخليفة عمر : أيا عمرو ، متى تعبدتم (استعبدتم) الناس ، وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ فجعل يعتذر ويقول : «انى لم أشعر بهذا» (سيرة عمر بن الخطاب ، المرجع السابق : ٢٣٩/١ وما بعدها) .

وشكا يهودى على بن ابى طالب فى خصومة ، فأحضرهما عمر ، وقال عمر لعلى : قف يا أبا الحسين بجانب خصمك ، فتأثر على ، فقال له عمر : اكرهت يا على أن تقف الى جانب خصمك ؟ فقال : لا يا أمير المؤمنين ، ولكنى رأيتك لم تسو بينى وبينه ، اذ عظمتنى بالتكنية ، ولم تكنه .

وجمع عمر عماله (أى ولاته) فى موسم الحج ، ثم قام فقال : « أيها الناس ، انى والله ما أبعث اليكم عمالى ليضربوا أبشاركم ، ولا ليأخذوا أموالكم ، ولكن أبعثهم اليكم فيعلموكم دينكم وسنة نبيكم فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه الى ، فوالذى نفسى بيده لأقصنه منه » (المرجع السابق : ٢٢٦/١) .

٧ ــ الغنى والمال :

لا فرق فى الاسلام بين غنى وفقير ، وانما الاغنياء والفقراء سواء أمام الشرع ، فلا ألقاب ولا امتيازات للاغنياء ، ولا احتكارات ولا استغلال ولا استعباد ولا اقطاع لشريف ، وانما التقدير للعمل والكفاية قال تعالى : « وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى ، الا من آمن وعمل صالحا ، فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا ، وهم فى الغرفات آمنون » (سبأ : ٣٧) « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ، ولا تطع من أعقلنا قلبه عن ذكرنا ، واتبع هواه وكان أمره فرطا » (الكهف : ٢٨) ، « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ، ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين ، ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ، وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا » (النساء : ١٣٥) .

وكان عمر بن الخطاب يرى أولا المفاضلة فى العطاء من بيت المال ، ثم لما رأى المال قد كثر ، رجع الى رأى أبى بكر آخذا فى التسوية بين الناس فى القسمة ، وقال : لئن عشت الى قابل ، لألحقن آخر الناس

بأولهم حتى يكونوا فى العطاء سواء، فتوفى رحمه الله قبل ذلك » (سيرة عمر ، المرجع السابق : ١/٢٦٥ ، ٢٧١) .

ولم يقسم عمر الاراضى المفتوحة فى العراق والشام ومصر بين الغانمين الفاتحين ، حتى لا يأتى الذين بعدهم فلا يجدون شيئا لهم (الخراج لابى يوسف : ص ٢٨ — ٣١) .

قال أبو بكر الصديق فى أول خطبة له بعد استخلافه : « الضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ الحق له ان شاء الله والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه ان شاء الله » .

٨ — الشهرة والسمعة :

ان الشهرة أو السمعة الادبية عن الشخص فى العلم أو الدين أو الخلق لا تجعل له ميزة عن غيره فى استحقاق جزاء فعل ارتكبه أو باعفائه من التزام واجب مفروض عليه ، فهو وغيره من الناس العاديين أو المغمورين أو الجاهلين سواء أمام حكم الشرع فى المثول أمام القضاء . وأما اشادة القرآن بالعلم فى قوله تعالى : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » (الزمر : ٩) فالقصد منها تعظيم قدر العلماء المستقيمين ، وأنهم يستحقون جزاء أوفى .

٩ — العمر أو السن :

الناس كبارا وصغارا بالغين سواء أمام الحق ، وفى مجال التنافس الشريف ، وفى الولايات وادارة الاعمال، فقد ولى النبى صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد الشاب قيادة الجيش وفيه أبو بكر وعمر وغيرهما من كبار الصحابة .

وأما تقديم الاكبر سنا فهو فقط فى مجال المجاملات الادبية كالدخول والخروج والتوقير والاحترام والاطعام والمساعدة ونحو ذلك ، قال غلام لأمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز : « أصلح الله أمير المؤمنين ، انما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، فاذا منح الله عبدا لسانا لافظا ، وقلبا حافظا فقد استحق الكلام ، وعرف فضله من سمع خطابه . ولو أن الامر يا أمير المؤمنين بالسن ، لكان فى الأمة من هو أحق بمجلسك هذا منك . فقال : صدقت ، قل ما بدا لك .

١٠ — نوع الحرفة :

ليس فى الاسلام حرفة أو مهنة مبتذلة ، وأخرى شريفة ، ويقدس كل صاحب عمل لعمله ، ولا يؤثر ذلك على مركزه الحقوقى اطلاقا ، فكل عمل ضرورى للامة ، ولا بد من تقدير ذوى الحرف لما فى ذلك من عود النفع على الآخرين ، فقد ذكرنا سابقا أن عمر بن الخطاب مر يوما بمكة ، فرأى الخدم وقوفا لا يأكلون مع سادتهم، فغضب ، وقال لسادتهم مستنكرا صنيعهم : « مالقوم يستأثرون على خدامهم ؟ » ثم يدعو الخدم للاكل مع السادة فى اناء واحد . وقال الله سبحانه : « أهم يقسمون رحمة ربك ، نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ،

ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ، ورحمة ربك خير مما يجمعون » (الزخرف : ٣٢) أى ليسخر بعضهم بعضا فى الاعمال لاحتياج كل واحد من البشر الى غيره .

١١ ــ المحبة والبغض :

ان عاطفة المحبة أو الكراهية ينبغى ألا تؤثر فى ميزان العدالة والحق والمساواة ، قال الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله (أى كونوا قوامين بالحق لله عز وجل لا لاجل الناس والسمعة) شهداء بالقسط (أى وكونوا شهداء بالعدل لا بالجور) ولا يجر منكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، (أى لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم ، بل استعملوا العدل فى كل أحد صديقا كان أو عدوا) ، أعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون » (المائدة : ٨) .

ومن الوقائع العملية للتغلب على عاطفة البغض أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لرجل : انى لا أحبك . فقال : أتنقصنى شيئا من حقى ؟ قال : لا ، قال : فما يفرح بالحب بعد هذا الا النساء .

وخُلاصة القول أن الاسلام كان شعاره منذ بدء أمره هو اقرار واحترام حقوق الانسان بشكل كامل، فهو الشريعة الفريدة بين الشرائع التى ضمنت توفير ذلك الاحترام من الناحية التطبيقية العملية ، وذلك يعنى أنه لم تقتصر على مجرد اعلان ما يسمى مجددا بحقوق الانسان ، ولاسيما احترام مفاهيم الكرامة الانسانية والحرية والعدالة والاخاء والمساواة ، وانما كان القضاء الاسلامى مثلا رائعا فى تنفيذ وتطبيق تلك المفاهيم ، حتى أن أعمال المسلمين اصطبغت بهذا اللون الاخاذ من المساواة المادية والمعنوية فى عباداتهم وأعرافهم وتقاليدهم وتعاليمهم وأحكامهم القضائية حتى مع غير المسلمين .

ومرجع تحقيق المساواة هو السلطة ، فالحكومة الاسلامية منوط باختصاصها لا باختصاص الافراد تحقيق المساواة نظريا وعمليا . وما على السلطات الحكومية القائمة الآن الا أن تحذو حذو الاسلام فى هدم الطبقية ونبذ التفرقة العنصرية وازالة كل الفوارق التى تتنافى مع كرامة الانسان والشعور بالمعنى الانسانى الصحيح ، وبذلك يسقط امتياز النسب أو المال أو أرستقراطية المواهب والفضائل أو أى أرستقراطية أخرى تقوم على الفكر أو التجمع أو العنصرية القومية أو الدينية أو الايدلوجية : « والله يقول الحق وهو يهدى السبيل » .

مظهر التقوى في أدب العرب[٧]

للأستاذ منذر شعار

كان الادب العربى مزاج ما بين الدين وغليان النفس ، كما تمزج الكهرباء اليوم النور والحركة ، فمن ينظر فى أدب العرب بعد الاسلام يجد شعرا ونثرا عريضين مرتاحين لانبساط النفس ، سيالين برغباتها ومكنونها ، ولكنه ان أنعم النظر وألقى قلبه وراء السطر والقافية أحس الدين ، وما من شك فى أن الاسلام حين مس العرب هزهم هزة مباركة ظلت ، عبر القرون ، تحدو مواكبهم — جيوشا وأنفسا — نحو مجد الحياتين .

فما يعقل أن يسلم العرب مناهج وسبل دولة ولا يسلم أدبهم ، بل ان الكلمة المهتزة تسبق غيرها من جوانب الكون البشرى الى الدين ، ومهما يلقها العربى فى جريان الادب ومهما يلبسها من لبوس ، فان التقوى وراءها ان لم تكن بمظهر الطيلسان فهى بسر الكهرباء . ولا نريد من هذا القول شعر الزهد والتصوف وذكر الموت والآخرة ، ولكننا ننساق فى ركب الادب المحض حيث لا يظن ظان أن تقوى وراءه فننظر ونغوص ونلمس فاذا الدين قائم فى كل معان واذا التقوى موجودة وراء الحركة النفسية التى منها القافية والكلمة والادب العريض ، واذا بنا نرى أن العرب أسلمت بقوة واتساع حتى لقد أسلمت خلجاتها البعيدة وأغوار عواطفها السحيقة . وبدا ذلك فى أدبها عبر العصور فكان للتقوى مظهر فى الادب الذى هو حرية فى التفكير وربما شطحة فى الخيال .

ولسنا نريد ههنا الا حوادث من التقوى لطيفة جرت على هامش الادب ، فى تلك الاحوال التى تصنع نفسها ولايصنعها المرء ، بل تصنعها التقوى المستكنة فى نفوس أولئك الذين كانوا دعاة الله فى أرضه مهما يتقلب بهم الزمان .

من ذلك ما رواه أبو العباس المبرد قال : نزل اعرابى من طىء يقال له المثنى بن معروف بأبى جبر الفزارى ، فسمع الطائى أبا جبر — وهما يتسامران — يقول : والله لوددت أنى أبيت الليلة خاليا بابنة عبد الملك بن مروان ، كلام جار مجرى ما يسمى اليوم « اللامبالاة » ، ولكن الطائى ينتبه للكلمة ، ولا تمر على حسه النقى ، وتقواه الفطرية مرورا غبيا ، يتمنى الفزارى وهو المضيف ، أن يبيت ليلة خاليا بابنة الخليفة القرشية الجميلة !!. فى كلام معتاد هاذر .. فلا يحبس الطائى نفسه عن أن يسأل مضيفه : أحلال أم حرام ؟؟ نعم .. تحديد للفكرة وتقييد للكلمة العابرة ، انه لا مزاح فى عالم التقوى ولا شطط ، والمسلم أبدا جاد ، لــه من نفسه على نفسه رقيب ، ومن دينه وعقله على لسانــه محاسب ... أحلال أم حرام ؟ ولكن المضيف الفزارى فى نشوة السمر ، وبحبوحة الترف الطامع ، والامنية المتمردة ، وهو يحسب أن الكلام حر ، والفكرة مشاع ، فيقول مجيبا : ما أبالى !!.. فيثب عليه الطائى الضيف فيضرب رأسه برحالة (١) ، ويمضى عنه قاليا ضيافته . وكأن شيئا كالنار فى ذهنه يدور ويشتعل ، كيف يبيح مسلم لنفسه شطط الحديث بلا تقوى ولا جلال ، وهل نساء الامة عرض فمن شاء مزقهن بأمانيه فى غير تحرج ، شىء كثير عنيف دار حينئذ بذهن المثنى ، ولكنه سلسله رقيقا لطيفا فى هذه الابيات :

أبلــغ (٢) أمير المؤمنين رسالـــة ... على الناى أنى قد وترت أبا جبر
كسرت على اليافــوخ منه رحالــة ... لنصر أمير المؤمنين وما يــدرى
على غير شىء غير أنى سمعتــه ... بنى بنساء المسلمين بــلا مهر (٣)

هذه الابيات هى التى قربت الحادثة من بساط الادب . وهى التى — من بعد — خلدتها على العصور ، وكان المثنى الطائى تقيا حتى الغايــة ، لم ينس تقاه فى ساعة السمر والحديث المغامر ، فكان ممن يحاسبون أنفسهم وغيرهم على ما يظن الآن أنه سهل يسير ، وما هو بيسير ، لأن المتساهل بالفكرة مؤداه أن يتساهل بالعمل ، وهذا — اذن — ضوء ساطع من أضواء التقى فى أدب العرب ، كثير الدلالــة على الحساب الجــاد للنفس واللسان ، ظاهره الخشونة وباطنه التحرج أبــدا من الاثــم وما يدانيه .

ومما يروى من هذه الدلائل ما ساقــه الاصفهانى فى أخبار الشاعر المخضرم لبيد بن ربيعة ، وهو شاعر فحل من أصحاب المعلقات ، وهن مذهبات شعر الجاهلية ، ومعلقته كبيرة الشهرة فى المعلقات وأولهــا :

عفت الديــار . محلهــا فمقامهــا ... بمنى تابــد غولها فرجامهــا

وكان لبيد قد أدرك الجاهلية والاسلام جميعا ، وحسن اسلامه حتى أنه لم يقل شعرا بعد الاسلام الا نثرات فى الملمات ، فروى عنه الاصفهانى هــذا الخبر قال : « لم يسمع من لبيد فخر فى الاسلام غير يوم واحد ، فانه كان فى رحبة غنى (٤) مستلقيا على ظهره ، قد سجى نفسه بثوبه ، اذ أقبل شاب من غنى فقال : قبح الله طفيلا (٥) حيث يقول :

جزى الله عنا جعفرا (٦) حيث أشرفت ... بنا نعلنا فى الواطئين فزلت
أبوا أن يملــونا ولو أن أمنــــا ... تلاقى الذين يلقون منا لملت

ليت شعرى ما الذى رأى من بنى جعفر حيث يقول هذا ؟ قال فكشف لبيد الثوب عن وجهه وقال يا ابن أخى . انك أدركت الناس وقد جعلت لهم شرطــة يزعون بعضهم عن بعض ، ودار رزق تخرج الخــادم بجرابها فتأتى برزق أهلها ، وبيت مال يأخذون منه أعطيتهم ، ولو أدركت طفيلا يوم

---

(١) الرحلة : السرج ، أو من جلود لا خشب فيه/القاموس/غير أن سباق الابيات بعد يقتضى أن فى الرحالة خشبا .
(٢) البيت مخروم عروضيا ، والخرم حذف فاء فعولن وأكثر ما يكــون هــذا فى صدر الطويل .
(٣) عن كتاب الكامل للمبرد ج ١ ص ٣٥٤ مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٩٥١ .
(٤) هم بنو غنى بن أعصر ، احدى قبائل مضر .
(٥) طفيل بن عــوف . أحد شعراء الجاهلية الكبار ، وكان وصافا للخيل .
(٦) هم بنو جعفر بن كلاب ، قبيلة الشاعر لبيد ومفخره الادنى ، والمعنى اذن . جزى الله قبيلة جعفر .

يقول هذا لبنى جعفر لم تلمه . ثم استلقى وهو يقول : استغفر الله ، فلم يزل يقول استغفر الله حتى نام (١) . فأكرم بهذه تقوى مزهرة ، وأحسن بلبيد مسلما حسان (٢) بالـدين على رهافـة وحصافة ، فانه كان تقيا مع كونه شاعرا أديبا ، وفحوى القصة هـذه أن الشاب الغنوى مـر بلبيد وهو من بنى جعفر ، فتعجب من أبيات كان قالها فى الجاهلية الشاعر طفيل الغنوى يمدح بنى جعفر قوم لبيد ، ويقول ما كان طفيل صادقا أو مصيبا للحق فى مدحـه بنى جعفر ، فيسـتاء لبيد ويزيح الثوب عن رأسه ويرد عليه بتلك الكلمات البليغـة . ولكن لبيدا بعد أن رد العيب ونافح عن قومه . تذكر على الفور أن الفخر محرم فى الاسـلام ، فرجع يستغفر الله مرددا تائبا مع أن الذى قاله ليس شيئا ازاء الفخر القديم المتعصب الطاغى ، وما هو ههنا الا رد لجاحد ، ليس غير ، بكلام عذب فيه علم وحقيقة ، ولكن لبيدا التقى كره كل ذلك ، واستغفر من جمـاح لسانه ، وندم ندما شديدا دل عليه ترداد الاستغفار حتى أخـذه النوم . وهـذا كله لا يكون لـولا التقـوى البعيدة الغور فى نفس لبيد المسلم المؤمن ، ولا عجب ، فلبيد كانت لـه أخبار فى الاسلام حسان ، وهو القائل فى الجاهلية :

ألا كل شىء ما خلا الله باطل   وكل نعيم لا محـالة زائـل

وهو القائل فى الاسلام :

ان تقوى ربنـا خير نفـل   وباذن اللـه ريثى وعجـل

أحمد اللـه ولا نـد لـه   بيديـه الخير ما شاء فعـل

من هـداه سبل الخير أهتـدى   ناعم البـال ومن شاء أضـل

وقد روى لـه صاحب الاغانى خبرا جميلا بليغـا فى الدلالـة على حسن التقوى فى أدب العرب ، وفحوى الخـبر أن عمر بن الخطـاب رضى الله عنه كتب الى عاملـه على الكوفـة المغيرة بن شعبة أن استنشد من قبلك من شعراء مصرك ما قالوه فى الاسلام ، فارسل المغيرة الى الشاعرين المفردين فى مصره : لبيد والاغلب العجلى ، فأما الاغلب فقال للمغيرة :

أرجـزا تريـد أم قصـيدا   لـقد سألت هينا موجـودا

واستمهلـه حتى يكتب ما أحدث ، وأما لبيد فجـاء يوم الموعد ومعه صحيفة ، فقدمها الى المغيرة، فنظر فيها المغيرة فاذا فيها سورة البقرة . وتعجب المغيرة والتفت الى لبيد ، فاذا هو مبتسم يقول : أبدلنى الله هذه فى الاسلام مكان الشعر (٣) . انه لجواب ، وانها لتقوى ظاهرة ، فلبيد يعـلم أن الشعر مكروه فى الاسلام ، خلا شعرا ينافح به عن دين الله فى ظرف مخصوص ، وأن آيات الله حلت محل أبيات الشعراء فى العظـة والعلم والجمال الادبى ، واستولت تقـاه على منافذ نفسه وسكنت حينا وبرزت وقت الحاجة كأحسن ما تكون ، وكانت ألطف ما تزين بـه صحائف الادب ودواوين الشعراء .

وقد كانت التقوى مبسوطة فى نفوس العرب نساء ورجالا ، فقد روى أن عزة صاحبة الشاعر المشهور كثير بن عبد الرحمن دخلت على الخليفة عبد الملك بن مروان ، فقال لها : أنت عـزة كثير ؟ فأجابت : أنا عزة بنت حميل الضمريـة .. كأنها كرهت أن تنسب الى شاعر غريب عنها ، يشبب بهـا ، ويشهرها بالحب ، مع أن كثيرا قال فيها ما تنحنى على جماله الثريا ، وتنبسـط لرقراقة البحار ، وكانت عزة تسر بما يقوله فيها — وكان لا يقول الا خيرا — ونجد فى نفس الزهو أنهـا مهبط إلهام شاعر ، ولكنها وقت الجد ترجع الى تقواها ، وتأنف من أن تنسب الى غير الاب أو الزوج أو العشيرة ، ثم يقول لها عبد الملك : هل تروين قول كثير فيك :

وقد زعمت أنى تغيرت بعدهـا   ومن ذا الـذى يا عز لا يتغـير

---

(١) عن الاغانى للاصفهانى ج ١٥ ص ٣٩٦ — ٣٦٧ ط بيروت دار الثقافـة .

(٢) حسان . شديد الاحساس ، وهو فعلان من الحس كقولك عطشان من العطش . وهو أجود مـن قولهم « حساس » .

(٣) الاغانى ج ١٥ ص ٢٩٧ — ٢٩٩ .

وظاهر من هذا البيت أن عزة تتهـالك على كثير ، فقالت للخليفة : لا أعلم هذا ولكنى سمعتهم يقولون :

كأنى أنادى صخرة حين أعرضت من الصم لو تمشى العصم زلت (١)
صفوحا فما تلقاك الابخيلـة فمن مل منها ذلـك الوصل مـلت (٢)

وهما بيتان لكثير فى عزة يصـف هجرانها وقسوتها ونفورها من الوصل وبعدها من الريبة ، وتمـام الخبر أن عبد الملـك أمر أن تدخل عزة على زوجه عاتكـة بنت يزيد ، فدخلت فسرت بهـا عاتكة ثم قالت لها : أخبرينى ياعـزة عن قول كثير فيك :

قضى كل ذى دين فوفى غريمـه وعـزة ممطول معنى غريمهـا

ما كان ذلك الدين الذى له عليك ؟ فقالت عزة : قبلة وعدته إياها ثم أخلفت . فتقول عاتكة : هـلا كنت قضيتها له وعلىَّ إثمها . يقول الـراوى : ثم ندمت عاتكة على هذه الكلمة ، واستغفرت واعتقت عنها أربعين رقبة . (٣) فهذا خبر مزدوج فيه أدب ، وعلى الادب التقوى ظاهرة ، فعـزة تأنف من قران اسمها وحالها باسم كثير وحاله ، ولا مانع الا تقوى الله ، وكثير يصف هذا منهـا فى شعره ويذكره أليما لـه . مع أن المعشوقات كن يجبن الشعراء فى الجاهلية ، كما يدل على ذلك قول امرىء القيس :

ويا رب يـوم قد لهـوت وليلـة بآنسة كانهـا خط تمثـال (٤)

وجل الشعراء الجاهلين قد ذكروا استجابة حبائهم لهم ، ووصفوهن وصفا ماديا حتى اذا جاء الاسلام تحرجت النساء ، ومنعهن التقى كالذى رأينا من عزة ازاء كثير وأحسن من ذلـك وأدل على حس التقوى فى غضون الادب نـدم عاتكة بنت يزيد على حماستها لكثير وعلى تمنيها لو أن عزة أجابت كثيرا الى القبلـة ، ثم استغفارها وعتقها لذلك أربعين رقبة ، وكل ذلك من أجل كلمة عابرة قالتها فى جريان الحـديث وأخذ الحماسة والرقة ، نـدم فاستغفار،فأربعين رقبة . كم كان خوف عاتكة من الله شديدا ومحاسبتها لنفسها كبيرة ، حتى فعلت ما فعلت . وهذه تقوى شديدة . ونعم قوم يحاسبون أنفسهم على خلجـات وكلمات ، ونعم ما طرزت به تقـوى القلوب آداب العرب .

وان أكرم مظهر للتقوى فى أدب العرب ماحدث فى ضرام الحب البدوى والقروى بعد الاسلام ، فمما لا شك فيه أن العرب كانوا ذوى نفوس مرهفة رقيقة ، وحين استولى الدين على هذه الانفس ، ثم جاشت غوارب الحب اصطرع الهوى والتقى،فنجم حب مطهر صاف ما فيه ريب ، وحفظت لنا الكتب أخبارا عظاما من أولئك العشاق الذين انتصرت فيهم التقوى على الهـوى ، وغنى شعرهم ذلك النصر ، فهـذا الشاعر جميل بن معمر يقول لبثينة فى أعلى أحوال الغرام .

وأنت التى أن شئت كدرت عيشتى وان شئت ، بعد الله ، انعمت باليا (٥)

فهو حين ألقى نفسه على سجية هواه وجعل بثينة سبب سعادته وشقائه تذكر — والبيت لم يكمل — أنه مسلم وأنه قبيح به أن يقول الشطط ، ويتعدى الدين ، فاستدرك وهو حيران ولهان ،

---

(١) العصم . ج أعصم وهو الوعل فى ذراعيه أو احداهما بياض وسائره أسود أو أحمر . والوعول مسكنها الجبال ، والصخرة أشد ما تكون اذا كانت ملساء تزلق عليها الوعول مع مرانها عليها ، وعزة اذا ناداها العاشق كتلك الصخرة الهائلة فى عدم الجواب .. بلاغة فى وصف العفـة واستطراد من عزة لوصف الصخرة .

(٢) صفوحا : هاجرة تخيلة ممرضة ..

(٣) أتم ما رويت به هذه الحادثة الادبية جاءت فى كتاب « ثمرات الاوراق » ، لابن حجة الحموى ص ٣٨ المطبعة الوهبية بمصر سنة ١٣٠٠ هـ .

(٤) الديوان ص ١٠٧ طبعة لسند وبى سنة ١٩٢٠ المطبعة الرحمانية بمصر . والبيت مقبوض عروضيا عند قوله « بآنسة كأنها » ولم يكن الا القدماء يأتونه عهنا .

(٥) ديوان جميل ص ٧٥ طبعة صادر بيروت .

فقال : « بعد الله » فجـاء استدراكه ههنا نصرا للبلاغـة وللتقوى جميعا ، فما أحسن « بعد الله » هنا فى حس الفن الادبى الشعرى ، وما أحسنها فى معنى التقوى وحساب النفس أمام دين الله .

ومن هذا النوع قول جميل فى موضع آخر من ديوانه :

أصلى فأبكى فى الصلاة لذكرها	لى الويل مما يكتب الملكـــان (١)

فشعوره بمن يكتب عنه حسناته وسيئاته غاية التقوى ، ومن يشعر وهو فى قوة الحب بقوة الملكين لا يكن الا تقيا على أن أحسن ما يستشهد به هنا ذلك الحوار الرائع الذى جرى ذات عصر بين عبد الرحمن القس وبين سلامة المغنية ، وكانا متحابين متعاشقين كأقوى مايكون بين الرجل والمرأة ، ضمهما يوما مجلس منفرد فماذا يقولان والهوى ضرام ، والشوق دفّاع . قالت سلامة : أنا والله أحبك .

فقال عبد الرحمن : وأنا والله الذى لا إلـه الا هو .

فقالت سلامة : وأشتهى أن أعانقك وأقبلك .

فقال القس : وأنا والله .

فقالت : فما يمنعك ، فوالله ان الموضع لخال .

فقال القس : يمنعنى قول الله عز وجل « الاخـلاء يومئذ بعضهم عدو الا المتقين » (٢) فاكـره أن تحول مودتى لك عداوة يوم القيامة . (٣) ..

وعبد الرحمن القس شاعر ، ولكنه وراء الشعر تقى ، لا يقول ولا يفعل الا صدورا من الدين وورودا اليه ، وله أشعار حسان فى سلامة وحاله ومأساته ، وهو واحد منعشرات ومئات كانوا قبل الادب أتقياء فمـا اشتطوا وماغلوا وخلفوا للتراث العربى بدور كلام فى سماء تقوى عريضة .

وهذا المعنى العفيف الذى سيطر على غرام الشعراء كان منتشرا عند الكثرة الكثيرة ، ونقدة الشعر أجمعوا على أن الاسلام كان هو السبب فى نشوء الحب العذرى المعروف ، وظل هذا النهج حتى عصور بعيدة من تاريخ الاسلام ، يـدل على ذلك قول الشاعر أبو عبيد اللـه ابراهيم ابن عرفـة :

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعنى	منه الحياء ، وخوف الله ، والحذر
أهوى الملاح وأهوى أن أجالسهم	وليس لى فى حـرام منهم وطـر
كذلـك الحب ، لا اتيـان معصية	لا خير فى لذة من بعدها سقر(٤)

ويقول هذا الشاعر أيضا :

ليس الظريف بكامل فى ظرفـه	حتى يكـون عن الحـرام عفيفـا
فاذا تعفف عـن محـارم ربـه	فهناك يدعى فى الانام ظريفـا (٥)

وقد كان من مظاهر التقوى على هوامش الادب أن يرغب الممدوح بمدح الروح فوق مـدح الجسد ، وبان يوصف بما يناسب الدين أكثر مما يناسب الدنيا . كالذى جرى بين الخليفة عبد الملك ابن مروان والشاعر عبد الله بن قيس الرقيات ، فقد كان هذا الشاعر مختصا بمصعب بن الزبير ، يمدحه ويهاجم بنى أمية ، فلما قتل عبد الملك مصعبا وتمزق أمر الزبيرية آب عبد الله الرقيات الى عبد الملك . فدخل عليه يمدحه بقصيدة أولها :

عادلـه من كثيرة الطـــرب	فعينـــه بالدمـــوع تنســـكب

حتى اذا وصل الى قوله فى عبد الملك :

أن الاغـر الـذى أبوه أبو الـ	ـعاصى عليه الوقار والحجب ٦)

---

(١) ديوان جميل ص ٧٧ طبعة صادر بيروت .

(٢) الآية ٦٧ من سورة الزخـرف .

(٣) آثرنا نقل هذا الحوار من كتاب وحى القلم ج ١ للرافعى ، وهو مبثوث فى كثير من كتب الادب .

(٤) عن زهـر الآداب ج ٣ ص ١٥١ ، ١٥٢ .

(٥) عن زهر الآداب ج ٣ ص ١٥١ .

(٦) أبو العاصى بن أمية جد عبد الملك ، وهو أيضا جد عثمان بن عفان (رضى الله عنه) .

يعتدل التاج فوق مفرقه على جبين كانه الذهب

صاح فيه عبد الملك . ما زدت على أن جعلتنى علجا من اعلاج العجم ، هلا قلت فئ ما قلته فى مصعب .

انما مصعب شهاب من اللـه تجلت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك عزة ليس فيه جبروت ولا به كبرياء (١)

رغب الخليفة عن مدح الدنيا الى مديح الآخرة ، وكره أن يشبه بذوى التيجانمن الاعاجم ، وأحب صفات تقربه من الدين ، ولا سبب الا التقوى التى يستشعرها إزاء كل عمل . وعبد الملك كان قبل الخلافة يسمى حمامة المسجد لطول ملازمته المسجد الحرام فى مكة المكرمة .

ورغبة الامراء والخلفاء فى مديح دينى ورغبة الشعراء فى ذلك كثيرة فى شعر العرب وان خفى بعض الاحيان على النظر الاول ، ولا عجب أن يرغب فى ذلك معشر لم يزالوا يرددون قوله تعالى (أن أكرمكم عند الله اتقاكم) (٢) ، فيتسامون لذروة التقوى فى قول وفعل ، ومن الادلة على ذلك بائية أبى تمام فى مدح الخليفة المعتصم يوم انتصر على الروم فى وقعة عمورية ، فهى قصيدة ذهبت مثلا أدبيا رائعا فى تراث العرب وحوت من البيان والبلاغة والتاريخ ما لا تبلغه قصيدة أخرى ، ولكن المتمعن فيها يجد أبا تمام حريصا على وصف ممدوحه بما يقرب من التقوى وبما يدخل أبياته العظيمة فى باب الدين من أفق واسع ، فهو يقول فى فتح عمورية :

فتح تفتح أبواب السماء لـه وتبرز الارض فى أثوابها القشب

ويخاطب ذلك اليوم فيقول :

أبقيت جد بنى الاسلام فى صعد والمشركين ودار الشرك فى صبب

ويتحدث عن الخليفة المعتصم بهذا الاسلوب :

تدبير معتصم بالله منتقم لله مرتغب فى الله مرتقب

هكذا كل نامة عمل ، كل هجسة فكرة فهى لله وفى سبيل الله ، ثم يوضح أبو تمام وجه التقوى فى مدحه فيخاطب المعتصم قائلا :

رمى بك الله برجيها فهدمها ولو رمى بك غير الله لم تصب

انه يجعل سبب النصر الله سبحانه ، فهو الذى رمى بواسطة المعتصم ، ولو رمى غير الله بواسطة المعتصم لما أصاب ولما نجح ، هكذا يربط الشاعر عمل الدنيا بطلب الآخرة ، ويلبس الخليفة القائد وشاحا دينيا ويسره اذ يرده الى التقوى لا الى شىء سواها ، واذ يبارك لـه سعيه فى سبيل الدين ، واذ يقول لـه :

خليفة الله .. جازى الله سعيك عن جرتومة الدين والاسلام والحسب (٣)

ويختم رائعته بهذا القول العظيم الدال بقوة على ما نذهب اليه من أمر التقوى فى أدب العرب فيقول :

أن كان بين صروف الدهر من رحم موصولة او ذمام غير منقضب (٤)
فبين أيامك اللاتى نصرت بها وبين ايام بدر اقرب النسب

ومثل أبى تمام المتنبى حين مدح سيف الدولة الحمدانى اثر معركة الحدث فقال :

ولست مليكا هازما لنظيره ولكنك التوحيد للشرك هازم

وهذا أمر كثير فى شعر العرب القدماء ، يصعب حصره ، أما الشعر الذى يصف أصحابه فيه عفة نفوسهم وخوفهم من الله فشىء ضخم واسع ، وانما أردنا مظهرالتقوى الخفى الظاهر فى حيث لا يظن ظان انه موجود ، فلا شك فى أن كثيرا من أدباء العرب كانوا أتقياء مع كونهم أدباء وشعراء ، وكانت يومئذ أمة سواء ذات أصالة وسداد ، تنبثق عن رشد وتنتشر برشد ، ولا ينسى انسانها أنه مؤمن حيثما جذب ، أوجذبته الحياة .

---

(١) القصة هذه فى الاغانى مع تغيير فى اللفظ ج ٥ ص ٧٠ طبعة دار الثقافة بيروت .
(٢) جزء من الآية ١٣ من سورة الحجرات .
(٣) الجرثومة : الاصل ..
(٤) منقضب : منقطع .

وذكرهم بأيام الله

الدعوة الموسوية

نظرة في العرض القرآني لها

للأستاذ : محمد صبيح

يتحدث القرآن الكريم فى قصة موسى عليه السلام ،عن شخصيتين: هما فرعون ، وهامان .. ويصف فرعون بأنه علا فى الارض وقسم الناس الى طبقات ، استضعف طبقة منها ، وسامها العذاب ، وكان يقتل الذكور من ابنائها .

وبعد أن عرض القرآن لرحلة موسى الى بلاد مدين ، التى وصفته فيها احدى فتاتى شيخ القبيلة بأنه « القوى الامين » ، جاءته النبوة ، ولخصت دعوته فى آيات بينات :

« اننى أنا الله لا اله الا أنا ،فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى . »
« ان الساعة آتية أكاد أخفيها
لتجزى كل نفس بما تسعى . »
« فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها،واتبع هواه فتردى . »
(طه)

ومؤدى هذه الرسالة أن النبوة فى صورتها الموسوية تدعو الى ثلاث:

* وحدانية الله ، ولا يعبد الا هو منزها عن كل شبيه ونظير .

* الصلاة لله تعالى ، أى الاتجاه بالدعاء له وحده .

* الايمان بالبعث وبالحساب فى الآخرة عن أعمال الانسان فى الحياة الدنيا . وعدم الاستجابة لمن يدعو الى غير هذه السبيل .

وقد استعان موسى على اقناع فرعون بوحدانية الاله بمنطق سهل

بسيط ، فعندما سأله فرعون عن ربه :

« قال ربنا الذى اعطى كل شىء خلقه ، ثم هدى . »

« قال فما بال القرون الاولى . »

« قال علمها عند ربى فى كتاب ، لا يضل ربى ولا ينسى . »

« الذى جعل لكم الارض مهدا ، وسلك لكم فيها سبلا ، وأنزل من السماء ماء . »

« فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى . »

« كلوا ، وارعوا انعامكم ، ان فى ذلك لآيات لاولى النهى . »

« منها خلقناكم ، وفيها نعيدكم ، ومنها نخرجكم تارة اخرى . »

واذن فقد تحدث موسى عن الاله الواحد ، الذى خلق وحده كل شىء وكل حى ، وهو اله الحاضر والماضى والمستقبل ، ليس قبله شىء ، وليس بعده شىء . وان من آيات وجوده هذا النبات ، ودورته حتى يصبح حياة ، ويصبح طعاما للانسان والحيوان . والله الواحد الاحد ، خلق أيضا الانسان ، ثم اماته ورده الى الارض ، ثم هو الذى يبعثه حيا فى يوم معلوم .

هذه حدود الرسالة الموسوية المبلغة الى مصر ملكها ، وقائد جيشها (هامان) ، او لعله كبير كهنتها .

الطغيان وما يجر اليه :

أما لماذا استحق حاكم مصر واعوانه هذا التبليغ من رب السماء والارض ، على لسان موسى واخيه هارون .. وما الاثم الذى ارتكبه فرعون فتحدده الآية :

« اذهبا الى فرعون إنه طغى »

فقد عد الطغيان كبيرة الكبائر ، والاثم الذى لا يعد له اثم واستحق تحذير السماء واستحق عقوبة السماء .

الطغيان هو مجانبة العدل ، والعدوان على حريات الناس وارزاقهم واعراضهم وأرواحهم ..

الطغيان هو الاعتزاز بالقوة ، واهدار آدمية البشر ، وهم خلق الله .. أعظم خلق الله .. أعظم من الملائكة واجل شأنا .. هم صورة الله فى أرضه .. فمن نسى الله فى عباده ، فقد استحق هذا الوصف القرآنى . .استحق ان يكون طاغية .

ولم يكن استبداد فرعون موجها الى اليهود وحدهم ، وكانوا ضيوفا على مصر منذ اربعة قرون وبعض قرن ، ولكنه انصب أيضا على شعب مصر ، لان الطاغية لا يعرف حدا يقف عنده ولا يعرف ناسا يؤثرهم ويكرمهم ، وآخرين يبعدهم ويذلهم ، الا بمقدار ما يحقق مصلحة .

وقد كره القرآن الكريم الطغيان، واعطى صيغة مبالغة لمن يتصف به، فهو « الطاغوت » وأحب القرآن العدل ، وحث عليه ، وجعله من صفاته تعالى ، قرن به الرحمة التى لا تميل على الضعف والضعفاء ولكن تمد لهم يد المساعدة حتى يزول ما بهم من هوان ، ويسيروا مع الناس فى مسيرة الحياة الحرة باقدام ثابتة ليس فيها مجال للخوف، ولا للتهديد به .

اذهبا الى فرعون انه طغى .. هذا هو أمر السماء . وقولا له قولا كريما سهلا ، وهو انه انسان خلقه الله ، وان الناس جميعا من خلقه ، حتى هؤلاء الذين أذلهم حكمه وهم اليهود . والله لم يخلق الناس، ولكنه خلق النبات كذلك ، وخلق الحيوان ، وخلق كل شىء . وانه هو، وليس فرعون واهب الحياة ، وهو

الذى يستردها . فلماذا الطغيان . ولماذا الاذى ؟ . .

وما حدث كان مقدرا له ان يحدث. فقد شاعت دعوة موسى الى التوحيد ، والى العدل بين الناس ، والى ترقب الموت والحساب فى حياة اخرى . . شاعت بين كثير من المصريين بل اعتنقها بعض امراء واميرات البيت المالك المصرى فى ذلك الوقت . .

واذن فلم تكن الدعوة الموسوية موجهة الى اليهود وحدهم ، ولا هى قاصرة على هذه القبيلة من بنى يعقوب . ولكنها كانت دعوة عامة .

وليس عجيبا ان تكون هناك دعوة سماوية توجه الى قوم الحضارة من أبناء النيل ، بل لعلها لم تكن الدعوة الاولى . فقد سبقتها صيحة اخرى من أجل التوحيد ، ونبذ عبادة الاوثان ، صحبت وجود يوسف الصديق الى مصر ، قبل ان يتحدث بها موسى . وفى هذا نص صريح فى سورة المؤمن :

« ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات ، فما زلتم فى شك مما جاءكم به ، حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا . كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب . »

وتوالت الاحداث من بعد ذلك ، فقد واجه موسى ملك مصر ، ووجه اليه دعوته فأجاب اجابة ساذجة ، وهو أنه سيبنى برجا عاليا ، يصل الى السماء ، ليرى اين يوجد اله موسى ، ليواجهه . ولكن هذا البرج لم يبن ، على الرغم من أن مصر بلاد البناء والتشييد ، واكتفى فرعون بمواجهة عامة بين معجزات موسى ، ومايمكن ان يقوم به سحرة مصر ، وعلماؤها ، وكهانها لابطال هذه المعجزات والتفوق عليها . وقد وصف القرآن كلا من هؤلاء الافراد بأنه « سحار عليم » وقد تفوق موسى ، فهو مؤيد من السماء .

وذهل فريق العلماء والكهان والسحرة لما رأووا بأعينهم . ولا بد أن هذه المباراة كانت صاعقة مفحمة ، لم يملك مشاهدوها من المصريين (باستثناء فرعون وبعض اركان حكمه) من أن يخروا سجدا ، ويعلنوا على الملأ أنهم آمنوا برب موسى ، وكان تحديهم لفرعون ، يدل على شديد تأثرهم . لقد رفضوا تهديد الطاغية بأن يقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ، وان يصلبهم على جذوع النخل ، ويسومهم من العذات مالا قبل لبشر به . . أكثر من عذاب الآخرة فى زعمه .

فى ثقة ويقين قال هذا الحشد لفرعون الطاغية : « فاقض ما انت قاض ، انما تقضى هذه الحياة الدنيا » وقد عدوا ما كانوا فيه من عبادات وطقوس وثنية خطايا تمنوا على الله ان يغفرها لهم .

واذن فقد آمن بدعوة موسى الى التوحيد هذا الفريق الكبير من مفكرى مصر وكهانها وكانوا قد وفدوا للاجتماع الخطير من اقصى البلاد وادناها ، من الدلتا والصعيد وما بينهما . . وارجح الظن ان هذا اللقاء كان فى منف (الجيزة) فهى حاضرة البلاد الثانية بعد طيبة (الاقصر) ، وذلك لقربها من جاسان (الشرقية) حيث استقر اليهود واقاموا .

ولم تقتصر دعوة موسى على من شهد المعجزات ، بل لعل التمهيد للدعوة سبق هذا الموقف ، فان القرآن الكريم يحدثنا عن **« رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه » ،** ولا عجب أن يكون لموسى فى القصر الملكى أصدقاء وأوفياء ، فقد نشأ

فيه وعاش حتى بلغ سن الاربعين ولا بد انه كان يتحدث عن عقيدة التوحيد كما جاء بها ابراهيم الخليل. وهو حديث هامس ولا شك لم تعلم به السلطات الحاكمة . وان كانت سجلت عندها ان موسى قتل رجلا من المصريين وانه هرب من مصر حتى لا يحل به العقاب .

لقد تصدى هذا الرجل من آل فرعون للملك . عندما قرر أن يعدم موسى . حتى لا يبدل دين المصريين جميعا .. وكان منطقه فى الدفاع عن رسول دعوة السماء ، انه اذا كان كاذبا فعليه وحده الذنب . **« وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم »** . ويبدو أن هذا المصرى المؤمن بالتوحيد كان وافر العلم . وافر الشجاعة . فقد ضرب أمثلة لما حدث للظالمين من الحكام السابقين فى شعوب أخرى .

وانتهى أمر المواجهة بين ملك مصر ونبى الله موسى . لتستمر باقى المعجزات التسع التى اريد بها اظهار سلطان الله تعالى على الخلق جميعا . وكل آية تكبر التى قبلها .

المسيرة الى سينا :

وفى ليلة من ليالى الربيع المصرى اوحى الله الى موسى . أن يسير بقومه من اليهود الى سينا ...

وكانت مصر فى هذا الفصل من العام بادية الرونق . مروجها مزهرة . وقنواتها جارية . ولقد اصاب بعض الاضطراب جنبات الحياة . على يد موسى ومعجزاته التسع ، فان آخر منظر رآه اليهود فى مصر مما لا ينمحى من الذاكرة . وقد ورد وصف سريع فى ذلك الوقت ضمن ما تحدث به القرآن عن خروج اليهود .. قال :

« كم تركوا من جنات وعيون » .
« وزروع ومقام كريم » .
« ونعمة كانوا فيها فاكهين » .

وما اكثر ما كانت تنبت مصر من أصناف الغذاء .. « من بقلها ، وقثائها ، وفومها (١) ، وعدسها ، وبصلها » .. وما أكثر خير النيل عندما كانت أسماكه تغذى الناس بأشهى غذاء .. ولكن هذه الوسائل الميسرة للحياة ، لم تكن كافية لتشعر اليهود ، وشعب مصر من حولهم بالراحة النفسية والرفاهية الحقيقية ، طالما أن سلطان القانون قد اختل فى يد حاكمهم ، وهانت عليه أرواح الناس وأموالهم فكان طاغية. وحق لليهود وهم غرباء عن البلاد ، أن ينجووا بأنفسهم ، متبعين داعيهم الاكبر موسى الكليم ، وأخاه هارون .

وقد عرض كثير من الباحثين للطريق الذى سلكه موسى وقومه فى خروجهم من مصر . قالت التوراة أن موسى لم يتجه مباشرة عبر سينا الى فلسطين ، حتى لا يفزع اليهود من محاربة الفلسطينيين ولم يكونوا مستعدين لهذه المعارك ، فيعودوا أدراجهم الى مصر ، أرض عبوديتهم.

ووصفت التوراة الماء الذى اجتازه اليهود بأنه ، بحر سوف « وقد اخترنا من بين المراجع عن رحلة الخروج كاتبا ، كان قنصلا للولايات المتحدة فى مصر منذ قرن من الزمان تقريبا ، او على وجه التحديد عام ١٨٧٦ ميلادية . وقد سهل له الخديو اسماعيل القيام برحلة علمية متبعا خط سير موسى وقومه ، ودارسا على الطبيعة ، ما كان عليه طريق العبور فى ذلك التاريخ البعيد .. هذا القنصل ، واسمه (البرت فارمان » (٢) .

قام هذا الرحالة الامريكى برحلتين واحدة على شواطىء بحيرة المنزلة ، ثم الى موقع مدينة (زون) القديمة. أو (تانيس) كما أسماها الاغريق . او (صان) وهذا هو اسمها الحديث .. قال فى يوميات رحلة :

« اختلفت الآراء بالنسبة للمكان الذى استقر فيه الاسرائيليون أثناء اقامتهم فى مصر . فهؤلاء الذين يتمسكون بنظرية مرورهم بالفعل من المكان الذى يعتبر الآن جزءا من البحر الاحمر . يقولون ان هذا المكان فى اقصى الجنوب . بينما يعين آخرون ذلك المكان فى اقصى الطرف الشمالى الغربى من البلاد « وتدل القرائن اللغوية على أنه من المحتمل ان يكونوا قد احتلوا الجزء الاكبر من الاقليم الواقع فى شمال الدلتا . وشرق فرع دمياط من النيل عندما اصبح عددهم كبيرا . ويشمل هذا الاقليم أخصب الاراضى المصرية انتاجا (كذا) . وكان كافيا لاقامة مليون نسمة . ولقد أصبح الجزء الاكبر من هذه الاراضى صحراء غطتها المستنقعات . بعد ان كانت من أغنى الاراضى زراعة .

« وكان يوجد بالمنطقة المجاورة لبحيرة المنزلة أراض وطيئة تنتج الحشائش الرديئة التى تتغذى عليها الماشية . وكانت تحد شرقا بالصحراء التى تنتج من النباتات فى كثير من الاماكن فى فصل الشتاء ما يكفى لتغذية عدد محدود من الماعز والاغنام . . وكان يبلغ عدد ذرية يعقوب وقت نزولهم مصر ستا وستين نفسا . . ولقد أقاموا فى بقعة صغيرة من الارض الخصبة المجاورة للصحراء، مثلهم فى ذلك مثل اعراب الوقت الحاضر . كما انهم ضموا اليها جزءا من الاراضى اللاطبة المجاورة للبحيرة . وكان هذا بالنسبة لهم اختيارا موفقا ، فهى حديقة فيحاء . وكان هذا هو الواقع اذا قورنت هذه الاراضى بالاراضى الصخرية الوعرة التى هاجروا منها . كانت هذه الارض ملائمة تماما لحياة الرعاة ، ولحفظ قطعانهم التى أحضروها معهم ولأنها لم تكن مرغوبة لدى المصريين . وبعد رحلة استكشافية فى الارض المجاورة لشواطىء بحيرة المنزلة . والوقوف عند اطلال مدينة صان عاد القنصل الامريكى وصحبه . واذا بهم امام مفاجأة لم تكن فى الحسبان . فقد وجد القارب الذى كانوا يستقلونه فى البحيرة ابتعد بضعة أميال عن موقعه الذى تركوه فيه . وذلك لان الرياح الشمالية ترفع المياه وتغير مناسيبها . فهى فى وقت من اليوم ضحلة قليلة الغور يمكن السير منها بالاقدام العارية . ونفس المكان فى وقت آخر موفور الماء يغطى قامات الرجال مثنى وثلاثا .

وكانت بحيرة المنزلة تمتد عشرات الاميال خارج حدودها الحالية . وكانت للنيل فروع تصب منها جفت الآن . وربما كانت البحيرات المرة الحالية من مخلفات بحيرة المنزلة .

يقول هذا المصدر . وينقل عن الأثريين الذين عاصروه :

« فى مخطوطات التوراة القديمة. كانت الكلمات التى ترجمت بالبحر الاحمر هى (يم سوف) ، والكلمة العبرية (سوف) تعنى الأعشاب والبوص وسمار الحصر ونبات البردى .

وهى تشير الى منطقة صالحة للملاحة مغطاة بالنباتات المائية مثل بحيرة المنزلة . وكانت تطلعه على البحيرات والمستنقعات الواقعة فى شمال شرق مصر . . وقد صنع تابوت موسى من السوف ، أى من السمار والبردى .

ووصف رحالة قديم (ديو دورس) هذه المياه بقوله : « ان سطح المستنقع الذى يمتد أميالا ، كان مغطى برمال جارفة تغوص فيها الاقدام . .لقد غصت حتى ركبتاى تقريبا فى الوحل) .

وكانت البحيرات الضحلة ممتدة على طول الساحل ، وتكون عديدا من الخلجان ، وما بين هذه الخلجان يمكن العبور الى شاطىء البحر . وقد

ورد فى التوراه ان بنى اسرائيل فى خروجهم تملكهم الفزع و (جعل الله البحر ينحسر بواسطه ريح شرقية قوية هبت طوال الليل واحالت البحر أرضا يابسة) .

وذكر الرياح الشرقية فى هذه الرواية يجعل طريق العبور بين بحيرة المنزلة والبحر الابيض حيث يمكن ان تتراجع المياه الضحلة اذا دفعتها رياح قوية كما ورد فى هذا الوصف . واستمرت معجزة العبور طوال الليل ، فلما قدم فرعون وجنده، مقتصين أثر القبائل الهاربة ، تابعوها على نفس الارض ، دون ان يتنبهوا الى ان انحسار الماء عنها ، هو أمر مؤقت ، فلما سكنت الريح انطبق الماء من الجانبين : جانب البحيرة ، وجانب البحر ، فغرق فرعون ومن معه .

وقد ورد فى التوراة ان المياه كانت على جانبى طريق العبور كالجدار من يمين ومن شمال وقد أدى هذا الوصف المجازى بتصور أن هذا الماء هو ماء البحر الاحمر ، وعلى هذا الاساس تصور سيسيل دى ميل وخبراؤه فى فيلم السينما الذى عرض لهذا الحادث ، قاع البحر الاحمر بأعماقه البعيدة ، والماء من الجانبين أعلى من جدار كل أهرام فى البلاد .

ومحققو القرن الماضى الذين راجعوا طبيعة الارض المصرية على امتداد خليج السويس والبحيرات المرة ، استبعدوا كل مكان الا شواطىء بحيرة المنزلة .

وكانت الحملة المصرية وراء اليهود الفارين مكونة من ٦٠٠ عربة حرب، وكانت المطاردة فى أواخر الليل . وقد غاصت العجلات فى الوحل ، ثم ما لبث مد البحر ان غمر الطريق.

وبعد ان أوغل الاسرائيليون فى الصحراء متجهين جنوبا ، دار البحث عن جثث الغرقى ، وامكن انقاذ جثة فرعون ، كما ورد فى القرآن لتكون للناس عبرة . وقد وجدت جثث الفراعنة الاربعة الذين تعاقبوا فى الاسرة الثامنة عشرة الفرعونية، وأحدهم على أرجح الاقوال ، هو فرعون الخروج ، وجثثهم الاربعة من بين ما يحفظه متحف القاهرة .

وقد ورد فى القرآن أن فرعون ، وقد رأى الموت يحتويه ، تأكد ان معجزات الله طالته هو فهتف يعلن ايمانه ، ولكن هيهات .. تقول سورة يونس :

« وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر، فاتبعهم فرعون وجنوده » .

« بغيا وعدوا ، حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت أنه » .

« لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل ، وانا من المسلمين . »

« فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية »

« وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون » .

وفى هذه اللحظة الحاسمة ، يتبين لنا أن نقطة الخلاف بين العقائد المصرية فى ذلك الوقت . وعقيدة موسى هى « التوحيد » والايمان بالله واحد أحد .

وهكذا أغلق باب من هداية السماء فى مصر ، حاول اخناتون فيما بعد ان يفتحه قليلا ولكن لم تستمر محاولته ولم تفلح ، وظل الامر كذلك حتى جاء المسيح عليه السلام ، فأقبل المصريون على رسالته ثم جاء محمد بن عبد الله ، فكانت مصر ، وما زالت كلمة التوحيد الكبرى » .

---

(١) الفوم هو الحنطة .

(٢) كتاب مصر وكيف غدر بها تاليف ألبرت فارمان ترجمة المجاهد الوطنى ، من شباب ثورة سنة ١٩١٩ الاستاذ عبد الفتاح عنايت

أساليب مسمومة

في كتب الأدب

للدكتور محمد كامـــل الفقى

اكثر شبابنا لا يفطنون حين يتلقون ثقافتهم من كتب الأدب ـــ وغيرها ـــ لما في هذه الكتب من أساليب مسموحة ، يسرى سمها الناقع الى الافكار والعقـــول ..

انهم يشغلون بما في هذه الكتب من صور جديدة ، وقصص مثيرة ، عن التعبيرات الخبيثة التى لا تلتقى مع مبادىء الدين الاسلامى فى شىء . ويبيح اصحابها لأنفسهم من الحرية والانطـــلاق ما يشتهون ، دون حساب لقيم ، او مراعاة لمثل . انما هى جراة وتبجح . يحاول بها اصحابها ، بعد الحاح ومثابرة ، أن يصلوا الى خط من الشهرة . وان يعقدوا بينهم وبين الناشئة الفا وآصرة .

ومن عجب أن هذه الكتب تجد رواجا ملحوظا ، ويتهم بالجهل والتخلف من قصر عن النظر فيها . والعلم بها .

ان شبابنا يقراون كتب التبشير وهم فى حذر ويقظـــة ، ويرتادون ميادينها ليعرفوا اسلحة خصومهم . ووسائل كيد هؤلاء للاسلام واهله .

والدين نفسه لا يكره ان يقرا المسلم حجة اعدائه او يناقش ما تكاد تفتن به العقول القاصرة ..

بل لعل الذى يتصدى لاحباط كيد المارقين . يجد نفسه امام حاجـــة ملحة للنظر فى هذه الضلالات ليحفظ الأغرار من خطرهـــا .

ولا سيما حين نعلم ان هنالك أكاديميات علمية فاجرة تكيد لدين الله كيدا . ولديها من العدة والمال ما تدخل به الى نفوس كثير من النشء وهم غافلـــون ..

لكن النظر فى الثقافات ، وفى الآداب المختلفة . يعصب العيون عن الدس والتدبير اللئيم ، الذى تحتويه هذه السطور . خلف بريق وخداع واغراء .

ولقد راينا اثر هذه الاساليب فى شبه رانت على بعض العقول . بل راينا شبابنا ينقلون . وهم يدرون او لا يدرون قولا وتعبيرا مما قراوا لهؤلاء المارقين .

ان من شر ما يصيب المسلمين ان يعزلوا ثقافتهم عن دينهم . وأن ينظروا الى العلوم والمعارف بعين . وينظروا الى مقومات دينهم ، وفروع دستورهم بعين أخرى .

يجب أن يكون للمسلمين كيان أدبى خاص . وما ينبغى بحال أن نتميع حتى تذوب أفكارنا فى بحر لجى من الكفر والضلال .

فليس أحد من غير المسلمين بالذى يخضع علومه ومعارفه لسلطان الاسلام ، ومهما قرأ من كتبنا . فانه يعزل ما قرأه — ولو فتنة — عن علومه ومعارفه .

ليست حرية الكلمة تعنى أن يهرف مسيحى فيما يخرجه للناس بتعبيرات غريبة ضالة ، ويسلط اغراءها على عقول المبتدئين فيشبوا على الفتنة بها .

ولا أزعم انى مبالغ أو مزيد اذا قلت ان البلاد الاسلامية فى أشد الحاجة الى فرض رقابة قوية واعية على كل كتاب يصل الى حدودها .

هذه فتن ومزالق ، وتلك اغراءات ومعاول . تطبع فى نفوس ابنائنا ما شاءه هؤلاء الضلال من انحراف وضلال .

وكما نسهر على عصمة أبنائنا وحمايتهم من كتب الجنس والمبادىء الهدامة . يجب أن نضع فى اعتبارنا وفى عملنا ومنهاجه أن الكتب التى تحاول أن تحل عرى العقائد .

وتجرىء على التعبير الكافر ، هى أشد خطرا وأعظم فاحشة من كتب الجنس والمبادىء الهدامة .

وليس يعز علينا ضرب الامثال بكتاب لهم هذه الرسالة النكراء .

ولا يضيق صدرنا واطلاعنا بكتب حوت هذه التعبيرات المارقة . فهى كثير وكثير .. لقد يكون فى مثل هذه الكتب ما ينفع الناس من نظريات وآراء . ومن نقد وبحث . لكنها تضيف الى ذلك هذه الحمى التى تسرى عدواها فى صمت وفى نهم .

ان ممن عرفناهم بسعة الاطلاع وغزارة البحث . ووفرة الانتاج الاستاذ « مارون عبود » . وفى المكتبة العربية فيض من آثاره . لكنى وجدته لا يقف فى حرية التعبير عند مدى . ويبيح لنفسه من الاساليب ما هو عجيب ومثير ومنكر حقا . انه راض كل الرضا عما يفعل . بل لعله فخور يملأ الزهو نفسه . لما يجده من جدة فى تعبيره واسلوبه .

واذا كان هو مسيحيا لا يتعارض مع كيانه ذلك الذى يقذفنا بحممه . فاننا مسلمون . نزن بميزان الدين القيم . كل قول . كما نزن به كل عمل .

والاستهتار طبعا هو الذى يحدو الكاتب الى أن يرسل القول على عواهنه فى هذه الأساليب . فلا حرمة لعقيدة . ولا هيبة لدين . أو أحد

لقد اخترت كتابا واحدا من كتب هذا الكاتب لأعرض على الناس بعض ما جاء فيه . وليس كل ما جاء فيه ليفتحوا عقولهم على شىء غريب . حين يقرأون هذا التجديد .

ففى موضوع « الأدب والحياة » يقول الكاتب فى الصفحة الخامسة « .. الكلمة قوام الادب . ولولاها لم يكن شىء مما كان . فالله سبحانه وتعالى هو الأديب الأول . انشأ

بالكلمة هذا الكون » .

وفى موضوع « ثورة على القديم » يقول فى الصفحة الثامنة : « جـدد الله فى حياته الازلية الابدية مرتين الأولى حين كـانت الارض خربـة وخالية والظلام يسودها فقال : ليكن نور فكان نور . . . وبعد حين رأى الله أن أبناء آدم زاغوا وفسدوا فشاء أن يقوم بتجديد جديد شامل . فأرسل الطوفان العرمرم . وأفنى بنى البشر الا نفرا قالوا انهم كانـوا من الصالحين » . .

وفى هـذه الصفحة يقول فى الموضوع ذاته : « ان الذين ينكرون الماضى لفى ضلال . فهم لن يفلتـوا من براثن الامس . وبرهانى على ذلك اننا ما زلنا نحنى الهام عندما نذكر راسين وهو ميروس وشكبير وفرحيل وامرأ القيس وسليمان وداود ومحمد وعيسى وغيرهم » .

فقد ذكر محمدا وعيسى عليهمـا الصلاة والسلام مع هؤلاء . وقـدم عليهما هؤلاء .

وفى موضوع « الشيوخ والشباب » يقول فى الصفحة السادسة عشرة :
« . . شباب شيوخ . قديم جديد . هذا نزاع أزلى سرمدى . فالملائكـة ثاروا فى شبابهم على اللـه القديم الأجيال .

هذه حجة العاجز فاصفعـوا بها لحيته . الحياة شباب . وان لم نصدق الله سبحانه وتعالى فمـن نصدق ؟ انه لم يعلل عبيده الابشباب دائم . . لم يعللهم بالحكمة والكهول والعجائز بل بجنة للشباب فى حافاتها زجل . كل من فيها أمرد . ولا ملتحى فيهـا غيره سبحانه وتعالى » .

« أومن بأدب عربى واحـد . لا فينيقى ولا فرعونى تألم وصلب على عهد الحريرى واليازجى . وأومـن بالشباب والمشيب والروح القدس المنبثق منهما . وبكنيسة أدبية واحدة جامعة » . .

وفى موضوع « من ذكريات جيل » فى الصفحة الواحدة والثلاثين قال :
« فى أورشليم الأمس حيث عبـد الحب . وتأله الاحساس بالجمال . فى بيباوس ملعب الاله المغامر . فى مدينة الثالوث هيكل الالـه الذى صرعه الخنزير » الخ .

وبعنوان أباطيل قال فى الصفحـة الثالثة والخمسين : « تحت يدى الآن ديوانا شعـر لطـالبين جـامعيين أحدهما عراقى . وعنوان ديوانـه أباطيل . والثانى لبنانى وعنوانـه « فى دروب المغيب » الديوانان من قطع واحد . وعدد صفحاتهما واحد . ولا فرق بينهما الا أن الجلد العـراقى أحمر . . والجلد اللبنانى أزرق . أما الفكرة فى الديوانيين فهى واحدة . ثورة على الله المسكين . . الخ .

هذا كتاب واحد من عدة كتب .
وهذا كاتب واحد من جملة كتاب .
ماذا يفعل شبابنا حين يقراون هذه المزالق ؟ اليسوا متأثرين حتما بها ؟ هل هم من الوعى والحذر واليقظـة حين يفتحون عيونهم عليهـا بحيث ينقدون ويسخطون ؟

اغلب الظن انهم سيغفلون عـن النقد والسخط بما فيهما مـن بريق ورواء وجدة وابتداع . ليس لـدى اقتراح محدد بهذا الصدد فى هذه الكارثة الادبية التى تنتهى الى كارثة اجتماعية ودينية ووطنية .
لكنى انادى بتنحية هذا الخطر عـن افلاذ اكبادنا .

والوقاية خير من العـلاج .
وربما كان من الزم ما يكـون فـى اعناقنا أن ننوه دائما بمن هم فـى عداد هؤلاء الكتاب . وأن نشير فى وضوح ونور الى امثال هذه الكتب حتى لا نخدع السذج والاغرار .

مائدة القارئ

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدى القـوم الظالمين » .

(قـرآن كريم)

خمس .. ؟

رأى المنصور فى منامه ملك الموت فسأله كم بقى لى من العمـر ؟ فأشار اليه باصابعه الخمس ، فانتبه مذعورا ثم سأل عن تأويل رؤياه فقيل خمسة أعوام وقيـل خمسة شهور وقيل خمسة أيام . وأخيرا سأل أحد العلماء ـ فقال المشار اليه خمسة أمور انفرد الله بعلمها وهى أن الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام . وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا . وما تدرى نفس بأى أرض تموت .

أول مولـود فى الاسـلام مـن المهاجـرين

عبد الله بن الزبير بن العـوام ـ أبوه الزبير حوارى رسول اللـه وأمه أسماء ذات النطاقين بنت أبى بكـر الصديق وجدته صفيـة بنت عبد المطلب عمة رسول الله وعمة أبيه خديجة بنت خويلـد أم المؤمنين وخالته عائشة أم المؤمنين .

هاجرت أمه أسماء وهى حامل به فولدته فى (قباء) فى السنة الأولى من الهجرة وهو أول مولود فى الاسلام من المهاجرين بالمدينة .

فيـل المدينـة

روى أنه حضر فيل فى المدينة المنورة وكـان مالك بن أنس يدرس فى المسجد فقال قائل حضر الفيل فقام تلاميذ مالك ينظرون الفيل وتركوه الا يحيى بن يحيى الليثى الاندلسى فقال له مالك ـ لم لم تخـرج لتـرى هذا الخلق العجيب وليس فى بلادك ؟ قال ـ انما أتيت لآخذ علمك ولم آت لانظر الفيل ..

العلم والسلاح

مجالسة السوق مذمومة
ومنه مجالس قد تحتسب
فلا تقربن غير سوق الجياد
وسوق السلاح وسوق الكتب
فهاتيك آلة أهل الوغى
وهاتيك آلة أهل الادب .

فى اللغة

قال عبد الملك يوما فى بعض مجالسه — أيكم يأتينى بحروف المعجم فى بدنه مرتبة وله على ما يتمناه ؟
فقال سويد بن غفلة — أنا لها يا أمير المؤمنين فقال — هات فقال سويد — أنف بطن ترقوة ، ثغر ، جمجمة . حلق خد دماغ . .
فقال آخر فى المجلس — يا أمير المؤمنين — انا أقولها فى جسد الانسان مرتين ، فقال سويد أنا اقولها ثلاثا — أنف أسنان اذن واستمر فأعجب عبد الملك من بديهته وأجازه .

الفيل والهرة

حكوا عن هارون بن موسى الازدى أنه كان يحارب مع المسلمين فى أرض الهند وقد اكتشف سرا خطيرا وهو أن الفيل يخاف من الهرة فلما حضرت الوقعة جاء ومعه هر فلما دنا الفيل منه رمى الهر فى وجهه ففزع الفيل وولى هاربا وهربت الفيلة على أثره وتساقط الاعداء من فوقها .

أفضل من عجل

سئل أحد الزعماء الذين يقدسهم أتباعهم — أحقا أنك تحمل روح الله فى بدنك وانك لهذا تعبد ؟

سكت الرجل قليلا . . ثم قال ضاحكا — انا أولى بالالوهية من غيرى انهم فى الهند يعبدون البقر وأحسبنى أفضل من عجل . .

بغداد

كانت بغداد قبل أن يبنيها المنصور الخليفة العباسى الشهير ضيعة صغيرة يجتمع فيها على رأس كل سنة التجار من الاماكن القريبة منها فلما عزم المنصور على بنائها أحضر المهندسين وأهل المعرفة بالبناء والعلم بالمساحة وقسمة الارضين ثم وضع بيده أول حجر فى بنائها وقال — بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله والارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . ثم قال ابنوا على بركة الله وبلغ مجموع ما أنفق على بنائها أربعة ملايين وثمانمائة ألف درهم وبلغ عدد العمال المشتغلين فيها مئة الف وكان لها ثلاثة أسوار يلى الواحد منها الاخر وبلغ عدد سكانها مليونى نسمة وبلغت عدد روابيها وسككها ستة الاف بالجانب الشرقى وأربعة الاف بالجانب الغربى وكان فيها عدا دجلة والفرات أحد عشر نهرا فرعيا تدخل مياهها الى جميع بيوت بغداد وقصورها وكان فى دجلة وحده من المعديات (المعبرانيات) ثلاثين الفا أما حماماتها فقد بلغت ستين ألف حمام .

وأما مساجدها فقد بلغت ثلاثمائة ألف مسجد . وأما سكانها وكثرة العلماء والادباء والفلاسفة فذلك فيها ما لا يحيط به حصر .

المدينة الفاضلة وصلتها بالأخلاق عند الفارابي

للأستاذ : سعيد زايد

أبو نصر الفارابى الذى لقب بالمعلم الثانى ، عاش فى النصف الثانى من القرن الثالث والنصف الاول من القرن الرابع الهجرى ، فقد استنتج تاريخ مولده فقيل إنه كان حوالى ٢٥٩هـ أما تاريخ وفاته فهو مؤكد برواية المؤرخين وكان سنة ٣٣٩هـ ولقد هوى أبو نصر التنقل والأسفار ، ونشأ على ثقافة لغوية دينية ، وأقبل على العلوم الاسلامية من فقه وحديث وتفسير ، وتعلم اللغة العربية والتركية والفارسية ، وقد كانت رحـــلاته وراء البحث عن الدراسات العقليـــة فذهب الى بغداد وحران وحلب ودمشق .

ولم يكن المعلم الثانى بالرجل الذى تغريه مظاهر الدنيا والجاه ، بل إنه قضى حياته كلها فى شظف من العيش ، وكان يكسب قوته بعمـــل يديه ، حتى إنه كان يعمـــل ناطورا إبان الفترة التى ذهب فيها الى دمشق . وقد توفى فيها . وكرمه سيف الدولة بن حمـــدان بأن صلى على جثمـــانه مع بعض خواصه ، ودفن بظاهر دمشق خارج الباب الصغير .

وفلسفة الفارابى من الفلسفات ذات المعالم الواضحة والأهداف المحددة ، ترتبط أجزاؤهـــا بعضها ببعض ارتباطا وثيقا ، بحيث تبدو منسجمة متناسقة . وقد كتب فى جميـــع فروع الفلسفة من منطق وأخلاق وفيزيقا وميتافيزيقا .

وقد ارتبطت نظريته فى الأخـــلاق بفكرته عن المدينـــة الفاضلة ارتباطا وثيقا . ان السعادة هى الغاية القصوى التى يشتاقها الانسان ، واذا كان كل ما يسعى اليه الانسان ، هو فى نظر المعلم الثانى خير وغاية فى الكمال ، فان الســـعادة هى أسمى الخيرات جميعها ، فبقدر سعى الانسان الى بلوغ الخير لذاته تكتمل سعادته .

وينال الانسان سعادته بممارسة الأعمال المحمودة عن إرادة وفهم متصلين . ولذا فان أى انسان يستطيع عمل الخير ويسير فيه . وينال السعادة . اذا أراد ذلك فما عليه إلا محاولة تنمية خصال الخير الموجودة فى نفسه بالقوة لتصير ملكة راسخة تتجه دائما الى عمل الخير . فان الممارسة عنصر هام . عند الفارابى . لاكتساب الأخلاق المحمودة أو المذمومة . ومن الممارسة تتولد السعادة .

ويحاكى الفارابى أرسطو فى اعتباره أن الفضيلة وسط بين حدين : الإفراط والتفريط . فهو فى كتابه « التنبيه على سبيل السعادة » يعتبر العمل الصالح هو العمل المتوسط . فالشجاعة — مثلا — حد وسط بين التهور والجبن . والكرم يتوسط بين البخل والتفريط . والعفة تقع بين الخلاعة وعدم الشعور باللذة .

واذا كانت اللذات الجسدية تأتى عن طريق الحواس . فان اللذات الفكرية طريقها العقل . واذا كانت الأولى سهلة المنال فهى أيضا سريعة الزوال . بعكس الثانية التى لا تكتسب الا بممارسة الخصال الحسنة مثل جودة الروية والتمييز وقوة العزم ، وجودة التمييز — كما يقول المعلم الثانى — هى التى نحصل بها على المعرفة والمعرفة نوعان : نوع يُعلم ولا يعمل ، مثل علمنا أن العالم محدث وأن الله واحد ، ونوع يُعلم ويعمل ، مثل علمنا أن طاعة الوالدين حسنة . أى أن المعرفة عبارة عن العلم النظرى والعلم العملى ، وهما يؤلفان الفلسفة التى بها تنال السعادة ، واذا كنا نصل الى الفلسفة وننال السعادة بجودة التمييز فاننا نصل اليها بوساطة المنطق .

ويذكر المعلم الثانى فى كتابه « تحصيل السعادة » أن الأشياء الانسانية التى بها تحصل السعادة للناس فى الدنيا والآخرة عبارة عن أربعة أجناس ، وهى :

١ — **الفضائل النظرية** : وهى العلوم الأولى ، أى المبادىء الاولى للمعرفة . منها ما يحصل للانسان بلا شعور ، ومنها ما يحصل نتيجة للتأمل والفحص والاستنباط والتعليم والتعلم . مثل : المنطق والبحث عن مبادىء الموجودات .

٢ — **الفضائل الفكرية** : وهى لا تفارق الفضائل النظرية ، وبها يمكن للانسان أن يستنبط ما هو أنفع بالنسبة لغاية فاضلة . وهى على حد تعبير الفارابى « أشبه أن تكون قدرة على وضع النواميس » ولذا فانها فضائل فكرية مدنية .

٣ — **الفضائل الخلقية** : وهى فى مرتبة تالية للفضائل الفكرية ، لأن الفضائل الفكرية شرط لها ، وبها يلتمس الخير .

٤ — **الفضائل العملية** : وهى تحصل للانسان اما بالأقاويل الإقناعية وإما بالاكراه .

هذه هى الفضائل الأربع التى يذكرها الفارابى فى كتابه « تحصيل السعادة » . وهو يرى أن من الفضائل ما هو كائن بالطبع ، ومنها ما يكون بلا إرادة ، فمن أوتى طبعا فائقا عظيما تحصل عنده الفضائل النظرية والفكرية والخلقية العظمى ، وكذلك تحصل عنده الصناعة العلمية العظمى . ومن الممكن ايضا الحصول على الفضائل الانسانية بالإرادة ، وذلك يأتى بمراقبة الانسان لنفسه

والعمل على تلافى نقائصها فاذا وصل الى درجة الفضيلة المتوسطة عـــد فاضلا .

وبالتعليم والتأدب تحصل الفضائل المختلفة فى الأمم ، فالأول طــريق للفضائل النظرية ، والثانى طــريق للفضـــائل الخلقيـــة والصناعـــات العمـــلية ، ويحصل الأول بالقـــول فقط ، أما الثانى فيحصل أحيـــانا بالقول وبالفعل .

ومن يقوم بمهمة التعليم والتأدب ، معلم أو مؤدب ، وهو رئيس المدينة أو من ينتدبه الرئيس لهذا الفرض . فرئيس المدينة ــ الذى هو واضع النواميس والشرائع ــ هو المعــلم والمرشد والمدبر ، ذلك لان الفطر تختلف بين كافـــــــة البشـــــر ، فمن أوتى فطرة قوية وحصل عـــلى السعادة ، يقف موقف المعلم والمرشد لمن لم يعلم السعادة من تلقاء نفسه .

ورئيس المدينة عنـــد الفارابى ، تجتمع فيه جميع الخصال الحميدة ، قوى الشخصية ، تام الأعضاء ذكى ، لبـــق ، قانع فى المأكـــل والمشرب والنكاح ، غيرى لا محبـــا لذاته ، صادق لا يكذب ، كبير النفس ، كريم ، عـــادل ، مبغض للجـــور والظلم ، قوى العزيمة ، شجاع لا يخاف . وقد ذكر المعلم الثانى صفات الرئيس فى كتابه « آراء أهل المدينة الفاضلة » .

ذلك أن مهمـــة الرئيس ليســـت سياســـية فحسب ، ولكنها خلقيـــة أيضا . فمن الناحية السياسية هو الرئيس الاعلى لكل المدينة ، ووزراؤه ومساعدوه ليسوا إلا منفذين لأوامره ومن الناحية الخلقية هو النمـــوذج الذى يقـــلده المدنيون والمثـــال الذى يحتذونه ويترسمون خطوات سيره . وما على الرئيس الا أن يحاول مـــا استطاع أن يصـــبغ جميـــع الأفراد بطبيعته هو .

وهذه الصفات التى يرى المعـــلم الثانى ضرورتها فى رئيس المدينة ، اذا اجتمعت فى رجل واحد كان هو ، بالطبع ، رئيس المدينـــة . أما اذا توزعت على عدة رجال ، كانوا جميعا الرؤساء الأفاضـــل بشرط أن يكون هؤلاء الرجال متلائمين . أى أن يكون منهم الحكيم ، والعادل ، وصـــاحب العزيمة .. وهكذا ، أمـــا إن خلوا جميعا من رجل حكيم ، فان المدينـــة تبقى بلا ملك ، ويكون رئيسها ليس بملك ، وبذا تتعرض للهلاك .

هذا باختصار بعض ما يتعلـــق برئيس المدينة الفاضلة . فمـــا هى المدينة الفاضلة ؟

الانسان مدنى بطبعه ، وليس من الممكن أن يبلغ كمالا ما اذا عـــاش منفردا دون معاونة الناس . فـــان الانسان مفطـــور فى بلوغ افضـــل كمالاته الى أشياء كثيرة لا يمكنه القيام بها وحده ، فالاجتماع وسيلة لبلوغ الكمال ، والحياة فى المجتمعـــات تهيىء الانسان لنيل السعادة التى هى غاية الفرد .

والمجتمعات عند الفارابى قسمان : مجتمعـــات كاملة ، ومجتمعات غير كاملة .

اما الكاملة فهى ثلاث : العظمى ، وهى جماعة من أمم كثيرة أى عبـــارة عن المجتمع الانسانى بأسره .

والوسطى ، وهى عبارة عن امة واحدة . والصـــغرى ، وتتكون من اهل مدينة واحدة .

واما غير الكاملة ، فهى مجـــرد اجتماعات فى القرى او فى الطرق أو فى البيوت ، ومن الطبيعى ان تختلف

الأمم بعضها عن بعض بفعل العوامل الجغرافية والأخلاق والشيم الطبيعية واللغة ، وما الى ذلك .

والتعاون بين أفراد المجتمع الواحد هو وسيلة السعادة ، وبه تنال ، وتصير المدينة فاضلة ، وبه أيضا تصير الأمة التى هى مجموعة من المدن امة فاضلة ، وبه كذلك يصير المجتمع الانسانى الذى هو مجموعة من الأمم مجتمعا انسانيا فاضلا . فالمدينة الفاضلة أشبه بجسم الانسان يختص كل عضو من أعضائه بعمل معين ، فاذا قام كل عضو بعمله على الوجه الأكمل صار الجسم فى مجموعه صحيحا ، وكذا المدينة الفاضلة فطر أفرادها بفطر متفاضلة ووجهتهم إرادتهم نحو فعل الخير ، وبذا تصبح المدينة سعيدة .

وكما أن القلب هو العضو الرئيسى فى البدن تخدمه جميع الأعضاء ، وكما أن للنفس — عند الفارابى — وحدة ، وتترتب قواها بحيث نجد القوة الغازية فى المرتبة الدنيا ، والقوة الناطقة فى المرتبة العليا ، فكذا المدينة الفاضلة ، فيها مراتب رئاسات تبدأ بالرئيس الأعلى وتنتهى الى مرتبة من الخدمة « ليست فيها رئاسة ولا دونها مرتبة أخرى » وكذلك تصير المدينة الفاضلة فى انسجامها وتسلسل مراتب أفرادها شبيهة أيضا بمراتب الموجودات .

والى جانب المدينة الفاضلة ، ذكر المعلم الثانى بعض مدن أخرى هى :

أ — **المدينة الجاهلية :** وهى التى لم يعرف أهلها السعادة ولم تخطر ببالهم . وجل اهتمام أهلها هو سلامة الأبدان والحصول على الثروة وممارسة اللذات ، وهم يرون فى ذلك سعادتهم . وللمدينة الجاهلية عدة اقسام منها :

١ — المدينة الضرورية ، ويقتصر أهلها على الضرورى مما يحفظ عليهم صحتهم .

٢ — والمدينة البدالة ، ويتعاون أهلها على الثروة لذاتها .

٣ — ومدينة الخسة والشقوة ، ويقتصر اهلها على التمتع باللذة المحسوسة .

٤ — ومدينة الكرامة ، ويتعاون اهلها على أن يصيروا مكرمين ذوى عظمة وشهرة ، سواء بالقول أو بالعمل .

٥ — ومدينة التغلب ، وغاية سكانها التغلب على غيرهم ، وسعادتهم فى هذه الغلبة .

٦ — والمدينة الجماعية ، ويعيش أهلها حسبما يشاءون ، وليس لأحد منهم على أحد سلطان .

٧ — ومدينة النذالة ، ويتعاون سكانها على جمع الثروة فوق ما يحتاجون ، ولا ينفقون منها .

ب — **المدينة الفاسقة ،** وهى التى عرف أهلها ما يعرفه أهل المدينة الفاضلة ، ولكن اعمالهم تشبه أعمال اهل المدن الجاهلة .

ج — **المدينة المتبدلة ،** وهى التى كان يعتقد أهلها ما يعتقده أهل المدينة الفاضلة من آراء ، ولكنهم تبدلوا ، فدب الفساد فى آرائهم وافعالهم .

د — **المدينة الضالة ،** وهى التى لا يسير أهلها على العقيدة الصحيحة فى الله ويخدع رئيسها الناس ، ويدعى انه موحى اليه .

هـ ــ **النوابت** ، وهذه توجد فى المدن الفاضلة نفسها ، وفى غيرها من المدن ، وهم عبارة عن أناس يضرون بالمجتمع ، ومثلهم ــ كما يقول الفارابى ــ مثل الشوك النابت بين الزرع . ومنهم البهيميون بطبعهم وهم لا يعدون مدنيين ، بل هم أشبه بالبهائم الانسية أو البهائم الوحشية . يأوون البرارى متفرقين أو مجتمعين ، أو يأوون قرب المدن ، منهممن يعيش على اللحوم النيئة ، ومنهم من يعيش على النبات ، ومنهم من يفترس مثل السباع ، فمن كان من هؤلاء إنسيا يترك ويستعبد وينتفع به كما ينتفع بالبهائم ، والا فيقاتل كما تقاتل سائر الحيوانات الضارة .

هذه ، باختصار ، اشكال المدن الجاهلة والضارة ، أما آراؤهم فجميعها الجهالة والضلالة أيضا .

فهم قوم أنانيون ، يرى بعضهم ان الاجتماع لا يقوم الا على الحاجة والضرورة ، ويرى البعض الآخر أنه يقوم على التحاب . ولكنهم اختلفوا فيما يكون به التحاب . فقيل ان أساسه القربى ، وقيل ان أساسه التماهد ، وقيل ان أساسه تشابه الخلق والاشتراك فى اللغة ، وقيل ان أساسه الاشتراك فى السكنى أو فى السكة أو فى الملة . وهم فى الجملة يرون العدل من وجهة نظر خاصة ، لا تخرج عما يدعو اليه الطبع ، ففعل الغالب عدل دائما ، وعلى الضعيف اتقاء شر القوى بممارسة القناعة وقبول الاستعباد .

هذا على عكس صفات أهل المدينه الفاضلة التى تقوم على النظام والعلم وتعشق الفضيلة ، فكل عضو يقوم بالعمل الذى يصلح له .

أسرة من الأطباء والطبيبات

وطبيبات مسلمات

للاستاذ مصطفى الشهابى

طالعت بمزيد الاغتباط ذلك المقال الذى دبجته يراعة الدكتور محمد أبو شوك تحت عنوان « أسرة من الاطباء » فى مجلة الوعى الاسلامى وفيها تحدث عن الاطباء من تلك الاسرة الفريدة « أسرة ابن زهر » حديثا يثلج له صدر كل مسلم اذ جلى فيه ناحية من النواحى التى يجهلها الكثيرون عن حضارة الاسلام .

غير أننى لا ادرى لماذا أغفل

السيد الدكتور ابو شوك الحديث عن طبيبتين من تلك الاسرة قد نوه بهما ابن أبى أصبعة فى كتابه الذى أشار اليه سيادته .

وخشية أن يمر هذا الموضوع دون استدراك خاصة وقد اهتمت المجلة بمشروع « رابطة تاريخ الطب العربى » ، لذلك بادرت بالكتابة اليكم فى هذا الصدد ، استكمالا للبحث فأقول :

كان للحفيد أبى بكر بن زهر اخت وابنتها وكانتا عالمتين بصناعة الطب والعلاج وامتازتا بخبرتهما فى علاج أمراض النساء ولذلك كان المنصور لا يقبل معالجا لنسائه الا اخت ابى بكر فلما توفيت الاخت عهد بالعلاج الى ابنتها .

وقد ماتت أبنة الاخت هذه مع خالها اثر تناول سم فى بيض دسه لهما ابن يوجان وزير المنصور .

وتشاء عدالة الله تعالى أن يموت ابن يوجان هذا مقتولا .

وغير بنات زهر سجل لنا التاريخ نساء مسلمات اشتغلن بالطبابة منذ فجر الاسلام نذكر منهن :

١ — السيدة عائشة زوج النبى وابنة الصديق :

ذكر ابن الجوزى فى (صفوة الصفوة) عن هشام بن عروة قال :

« كان عروة يقول لعائشة رضى الله عنها : يا أماه ، لا أعجب من فقهك ، أقول زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنة ابى بكر ، ولا أعجب من علمك بالشعر وايام الناس اقول ابنة ابى بكر وكان من أعلم الناس ولكنى أعجب من علمك بالطب؟ فضربت على منكبه وقالت : « أى عروة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى آخر عمره فكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه فتنعت له الانعات فكنت أعالجها من ثم » .

وفى تاريخ الاسلام الذهبى ، قال عروة بن الزبير :

« ما رأيت أعلم بالطب من عائشة ، فقلت : يا خالة من أين تعلمت الطب ؟ قالت : كنت أسمع الناس ينعت بعضهم البعض فأحفظه » (١) .

٢ — أم عطية الانصارية :

وهى من النساء المسلمات اللائى روى عنها بعض الاحاديث محمد بن سيرين واخته حفصه وغيرهما ، هذه السيدة الجليلة غزت مع النبى صلى الله عليه وسلم سبع غزوات ، كانت تطهو فيها للمجاهدين طعامهمفى رحالهم وتداوى جرحاهم وتقوم على المرضى منهم .

٣ ـ رفيدة الاسلمية :

كان أبوها انصاريا من بنى أسلم أسمه سعد وكانت من فضليات عصرها اشتهرت بالتمريض وعلاج الجرحى ولذلك اختارها النبى لتقوم بالعمل فى خيمة متنقلة واقامت بمسجده خيمة تداوى فيها المرضى وتسعف الجرحى وفى واقعة الخندق أصيب سعد بن معاذ بسهم فقال النبى : « اجعلوه فى خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب » .

وقد تناولها بعض الشــعراء فى قصائدهم ومنهم الشاعر احمد محرم فى ملحمته الاسلامية الذى قـــال يناجيها وهو يصف مشهدا من مشاهد قتال المسلمين ، يـــوم الاحزاب ، ومطلع هذا الجزء :

رفيدة علمى النـــاس الحنانا
وزيدى قومك العـــالمين شانا
خذى الجــرحى اليك فاكرميهم
وطــوفى حــولهم آنا فآنــا

ويفهم من ذلك أمور ثلاثة :
أولا : ان النبى صلى الله عليه وسلم اول من أمر بالمستشفى الحربى المتنقل .

ثانيا : عناية الاسلام باســعاف وعلاج رجال الحرب قبل ان يعــرف ذلك ابناء اوروبا .

ثالثا : ان رفيدة هذه سبقت فى ظهورها « فلورنس نيتنجيل » (٢) التى يعتبرها الانجليز وغيرهم رائدة فن التمريض الحربى ، بنحو ١٢ قرنا

٤ ـ الشفاء بنت عبد الله :

صحابية جليلة اسلمت قبل الهجرة اشتغلت بالطب ومما اشتهرت بــه معالجتها النملة (الاكزيما) .

٥ ـ زينب طبيبة بنى أود :

واشتهر فى عصر الامويين مــن النساء اللاتى اشــتغلن بالطبابة ، زينب طبيبة بنى أود ، وكانت ماهرة فى صناعة الكحالة (أى طب العيون) .
ذكرها أبو الفــرج الاصفهانى فى كتابه « الاغانى » فقال :

« قال رجل من الاعراب : أتيت امرأة من بنى أود لتكحلنى من رمــد أصابنى فكحلتنى ثم قالت : اضطجع قليلا حتى يدور الدواء فى عينيك ، فاضطجعت ثم تمثلت قول الشاعر :

امخترمى ريب البنون ولم أزر
طبيبة بنى أود على النأى زينبا

« فضحكت وقالت : أتدرى فيمن قيل هذا الشعر ؟ قلت : لا ، قالت فى والله قيل وانا زينب التى عناها الشاعر ، انا طبيبة بنى أود : أفتدرى من الشاعر ؟ قلت لا ، قالت : هــو عمك ابو سماك الازدى » .

٦ ـ بنت أبى الصائغ المصرى :

وهى ابنة أحمد بن سراج الدين المعروف بابن الصائغ المصرى الذى كان رئيسا للاطبـــاء بدار الشفاء المنصورى بالقاهرة (قلاوون) وشيخا لاطباء مصر ، فلما توفى عام ١٠٣٦ هـ لم يعقب الا بنتا واحدة تولت مكانه مشيخة الطب (٣) .

٧ ـ أم الحسن بنت القــاضى أبى جعفر الطنجالى :

وهى من أهل لوشة (الأندلس) ، كانت تجيد القرآن ونواحى اخرى منها نظم الشعر ، قال عنها لسان الدين ابن الخطيب فى كتابه الاكليل الزاهر ما نصه :

« ثالثة حمدة وولادة ، وفاضــلة الادب والمجادة ، تقلدت المحاســن من قبل ولادة واولدت ابكار الافكــار قبل سن الولادة ، نشأت فى حجــر أبيها ، لا يدخــر عنها تدريجــا ولا

سهما ، حتى نهض اداركها وظهر فى المعرفة حراكها ودرسها الطب ففهمت اغراضـــــه وعلمت اســـبابه واعراضه » (٤) .

وهناك غير من تقدمن كثيرات أقل شانا وشهرة منهن :

١ — خرقاء العامرية :

وكانت احدى نساء بنى عامر بن ربيعـــة .

كانت تحل فلجا (٥) ويمر بهـــا الحاج فتقعد لهم وتحادثهم وتهاديهم . كانت كحالة فداوت عينى ذى الرمة الشاعر المعروف من رمد كان بهما فـــزال فقال لها ما تحبين فقـــالت عشرة أبيات تشبب بى ليرغب الناس فى اذا سمعوا أن فى بقية للتشبيب ففعل ، وكانت تقول أنا منسك من مناسك الحج لقول ذى الرمة فيها :

تمام الحج أن تقف المطـــايا
على خرقـــاء واضـــعة اللثام

٢ — حبـــــة :

وقد ذكر لسان العرب فى مادة (نظر) انها امراة علقها جنى فكانت تطبب بمـــا يعلمها وفى ذلك قيل :

ولو أن منظورا وحبة اســلما
لنزع القذى لم يبرئا لى قذاكما

والى جانب هؤلاء وغيرهن يمكننا أن نسجل بفخر ان عددا كبيرا من النساء المسلمات قمن بانشـــــاء بيمارستانات أوردها الدكتـــور أحمد عيسى بك فى كتـــابه « تاريـــخ البيمارستانات فى الاسلام » ومـــن أشهرها بيمارستان الســـيدة الذى انشأته ببغداد السيدة شغب جارية المعتضد وام المقتدر بالله عام ٣٠٦هـ وكانت تنفق عليه كل شهر ستمائـــة دينار . وبيمارستان قيسارية التـــى توجد جنوبى شرقى انقره المسمى دار الشفاء الذى انشأته عام ٦٠٢ هـ السيدة كوهى خاتون ابنـــة قليج ارسلان السلجوقى الذى كان يحكم بلاد الروم (الاناضول وتركيا الحالية) .

رحمهن الله جميعا وأثابهن على حسن صنيعهن .

---

(١) تاريخ البيمارستانات فى الاسلام للدكتور أحمد عيسى بك صفحة ٥ ، ٦ .

(٢) فلورنس هذه تشتهر باسم سيدة المصباح نشأت فى أسرة كريمة ، وقـــد مالت الى التمريض ودرست نظمه فى انجلترا وأوروبا ثم عينت رئيسة لمستوصف نسوى صـــغير حيث شرعت فى اعداد ممرضات مدربات . وفى سنة ١٨٥٤ هالها كثرة المرضى والجرحى والوفيات فى حرب القـــرم التى قامت بين روسيا وبين انجلترا ودول اخرى ، فلمـــا طلب اليها الانتقال الى القرم وافقت وهناك قامت بجهود جبارة انخفضت فيها نســـبة الوفيات من ٤٢ ٪ الى ٢ ٪ وبعد انتهاء تلك الحرب ساهمت فى تنظيم التمريض فى انجلترا وغيرها كما دعت الى الاهتمام بجـــرحى الحرب وكان من ثمار دعوتها انشاء هيئـــة الصليب الاحمر .

(٣) خلاصة الاثر فى أعيان القرن الحادى عشر للمحبى الجزء الاول صفحة ٢٠٤ .

(٤) الاحاطة فى اخبار غرناطة لابن الخطيب تحقيق الاستاذ محمد عبد الله عنان صفحـــة ٤٣٨ المجلد الاول .

(٥) الفلج : النهر الصغير او القناة والفلوجة هى الارض المصلحة للزرع .



جمع الجوامع أو .. الجامع الكبير للإمام السيوطي

للاستاذ حسين عيسى عبد الظاهر

- **العصر : عصر تدوين موسوعى فى كل فنون العلم والمعرفة**
- **المؤلف : معلمة اسلامية واسعة الاطلاع غزيرة الانتاج**
- **الكتاب : أكبر موسوعة أبجدية فى السنة النبوية**

من المعلوم أن سنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ما نقل الينا بطريق التواتر المقطوع بصحة نسبته اليه وهو القليل ، ومنها ما نقل بغير هذه الطريق المقطوع بها ، بل بطرق مرجحة ومرجوحة .

ولقد تفاوتت الكتب التى تصدت لجمع هذه السنة من حيث الكم والكيف فمنها ما هو مقل فى الجمع ومنها ما هو مكثر . وكلاهما فى اقلاله واكثاره بنى على معايير محددة ارتضاها لاختياره ورده ، ولم يدع أى منهما أن ما جمعه هو كل ما صح عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وما عداه غير صحيح ، كما لم يدع واحد أنه استقصى كل سنته ، والا كانت دعوى يحيلها العقل اذ أن ما فعله وما قاله وما أقره فى حياته بعد البعثة خلال ثلاث وعشرين سنة تفوق أضعاف المرات أى كتاب جامع للصحيح أو لغيره . بل انه قد استدرك على أئمة السنة كثير مما فاتهم وعلى معاييرهم التى أرتضوها فى تدوينهم للسنة .

والناظر فى كتب السنة بعامة يرى أنها يتكامل بعضها ببعض فى الجمع الا أنها فرادى لا تعطى الا القليل .

من هنا كان لزاما بل ودينا فى عنق الأمة الاسلامية القيام بعمل موسوعة تضم — ما أمكن — كل ما أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم وثبتت نسبته اليه ، وبرغم ما قام به السلف الصالح من محاولات لهذا الجمع فلا زالت الحاجة ملحة لعمل هذه

لموسوعة ، وكتاب (جمع الجوامع) للامام السيوطى خطوة رائدة لهذا المشروع بل ونواة طيبة يمكن البناء عليها مع جهد فى التهذيب والتكميل ومحاولة استقصاء فى الجمع ، بل هو يمثل اكتمال مرحلة من مراحل تدوين السنة يمكن أن تسمى مرحلة الموسوعات فقد سبق بمحاولات فذة ومخلصة اقتفى أثرها وحاول أن يضيف اليها جديدا وقد كان له من عصره ونشأته ركائز قوية أرتكز عليها فى عمله هذا .

عصر السيوطى :

ولد السيوطى ونشأ فى عصر كانت شمس الحضارة الاسلامية فيه تؤذن بكسوف فى شرق العالم الاسلامى على يد المغول ، وفى مغربه على يد الاسبان . وكان شر ما ابتليت به هذه الحضارة من شقى هذه الرحى فى شرق وغرب احراق المكتبات الاسلامية وما تحويه من تراث لا يقدر بثمن ، ففى بخارى ونيسابور وغيرهما من بلاد المشرق كان البلاء على يد (جنكيز خان) الذى أحرق المدن وفى الأندلس فى المغرب كانت سلسلة من المآسى ختمت بشر خاتمة فى آخر القرن التاسع على يد الكردينال (زيمتسى) الذى أحرق مكتبة غرناطة وكانت تضم بين جنباتها ما يقارب ثمانين ألف مجلد فى عصر لم تعرف فيه الطباعة وكتبت بالجهد البشرى .

فى هذا العصر كانت الحضارة الاسلامية انتهت الى أوج استقر فيه الفكر الاسلامى على لون من التأليف والتدوين استوعب — تقريبا — كل فنون العلم والمعارف وتفريعاتها .

ثم هب عليه هذا الاعصار من شرق وغرب ليأتى عليه بالحرق والابادة فى صورة همجية جاهلة حقود .

وكانت يقظة العلماء فى مواجهة هذه التيارات العاصفة يستنقذون منها تراث الأمة ويعيدون تجميعه وتدوينه وتنسيقه فى صور شتى اتسمت بالجمع الموسوعى الضخم وذلك لأمور :

منها : ما وقع ويقع تحت سمعهم وبصرهم من زحف مبيد على هذا التراث ومحو معالمه وطى سجلاته مما كان داعية لاعادة التدوين والجمع الموسوعى المستوعب لجل الكتابات فى أى فرع من الفروع .

ومنها : أن حركة التدوين والتأليف كانت قد انتهت فى ذلك العصر الى لون استقرت فيه أصول العلوم وفروعها واتسم كل منها بحده ورسمه فلم يكن المجال — آنذاك فى معظم امره — مجال اجتهاد وابتكار بقدر ما كان مجال بسط وتخريج وتفريع وتجميع وبخاصة ما كان منها متصلا بعلوم الرواية . وفى ذروتها علم الحديث .

ومنها : أن هذا الاكتفاء أو التكامل كان داعية الى لون من اعادة النظر فى هذا التراث بالنقد والتمحيص والحذف والاضافة والانتخاب والاختيار فى التصنيف والتجميع .

ومنها : أن هذه الفنون من المعرفة وقد استوت على سوقها اتجه التأليف فيها الى شرح أصولها باسهاب بل واستطراد فى كثير منها كما نرى فى « فتح البارى » لابن حجر « وعمدة القارى » للعينى ، اتسمت حركة التأليف بهذه السمات فى كل فن تقريبا فأبرزت نوعا من التأليف الموسوعى الذى يحق للأمة أن تفخر به فى وقت لم يتسن لغيرها الا بديهيات المعرفة وأبجديتها ، وكان هذا عملا حفظ

للأمة تراثها بل وكان قدوة للعصور والأمم من بعد .
نرى من ذلك فى عالم اللغة موسوعات ومعاجم كان فى الريادة منها . (لسان العرب) لابن منظور (٧١١ هـ) و (القاموس المحيط) للفيروز أبادى (٨١٧ هـ) .

وفى التاريخ والأدب (نهاية الأرب) للنويرى (٧٣٢ هـ) ، و (المقدمة . والتاريخ) لابن خلدون (٨٠٨ هـ) و (صبح الأعشى) للقلقشندى (٨٢١ هـ) ..
وكذلك كان الشأن فى فن الحديث والذى بلغ أوج الجمع الموسوعى فيه بكتاب (جمع الجوامع) للسيوطى .

السيوطى ونشأته :

أما اسمه فهو : عبد الرحمن بن الكمال أبى بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبى الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الهمام الخضيرى الأسيوطى .

ولد بعد المغرب ليلة الأحد مستهل رجب عام ٨٤٩ هـ بالقاهرة وبها نشأ وتربى يتيما فحفظ القرآن الكريم وهو دون ثمان سنين . ثم حفظ العمدة ومنهاج الفقه والأصول وألفية ابن مالك وأخذ الفقه والنحو عن جماعة من الشيوخ . وأجيز بتدريس العربية فى مستهل عام ٨٦٦ هـ وكانت سنه اذ ذاك ١٧ سنة يقول : وقد الفت فى هذه السنة فكان أول شىء ألفته (شرح الاستعاذة والبسملة) وأوقفت عليه شيخنا شيخ الاسلام علم الدين البلقينى فكتب عليه تقريظا — ولزمت فى الحديث والعربية شيخنا الامام العلامة تقى الدين الشبلى الحنفى فواظبته أربع سنين وكتب لى تقريظا على شرح ألفية ابن مالك وعلى (جمع الجوامع فى العربية) تأليفى وشهد لى غير مرة بالتقدم فى العلوم بلسانه وبنانه . ورجع الى قولى مجردا فى حديث .. وشرعت فى التصنيف فى سنة ٨٦٦ وبلغت مؤلفاتى الى الآن ثلاثمائة كتاب سوى ما غسلته ورجعت عنه ..
وسافرت بحمد الله تعالى الى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب والتكرور (غرب أفريقية) ولما حججت شربت من ماء زمزم لأمور منها : أن أصل فى الفقه الى رتبة الشيخ سراج الدين البلقينى . وفى الحديث الى رتبة الحافظ ابن حجر . وأفتيت فى مستهل سنة (٨٧١) وعقدت املاء الحديث من مستهل سنة (٨٧٢) ورزقت التبحر فى سبعة علوم : التفسير والحديث والفقه والنحو والمعانى والبيان والبديع .
وقد كملت عندى الآن آلات الاجتهاد بحمد الله تعالى أقول ذلك تحدثا بنعمة الله تعالى لا فخرا ..
وقد أزف الرحيل وبدا الشيب وذهب أطيب العمر . ولو شئت أن أكتب فى كل مسألة مصنفا بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية ومداركها ونقوضها وأجوبتها والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها لقدرت على ذلك من فضل الله لا بحولى ولا بقوتى .
وأما مشايخى فى الرواية سماعا واجازة فكثيرون أوردتهم فى المعجم الذى جمعتهم فيه وعدتهم نحو مائة وخمسين . ولم أكثر من سماع الرواية لاشتغالى بما هو أهم وهو قراءة الدراية . وهذه أسماء مصنفاتى لتستفاد .. »
ثم أخذ رحمه الله يصنف كتبه فنونا ذاكرا مع كل فن ما معه من

كتب بادئا بالتفسير والقراءات مثنيا بفن الحديث وما يتصل به وأحصى فيه وحده تسعين كتابا منها :

أسعاف المبطأ برجال الموطأ ، الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج اللآلىء المصنوعة ، تدريب الراوى ، الأزهار المتناثرة ، الجامع الصغير . ثم الجامع الكبير .

وكان — رضى الله عنه — قد اعتزل الناس فى أواخر أيامه وترك الافتاء والتدريس وسكن فى جزيرة الروضة متجردا للعبادة والاشتغال بالتأليف . وألف فى ذلك كتابه (التنفيس فى الاعتذار عن الافتاء والتدريس) وبقى على ذلك فى الروضة لم يتحول عنها الى أن مات . وكانت وفاته سنة ٩١١ هـ ودفن بالقاهرة فى مشهد عظيم فى المكان المعروف ببوابة السيدة /عائشة فى حى السيدة عائشة فى طريق الذاهب الى مسجد الامام الشافعى . بعد حياة حافلة بالعلم والتدريس والفتيا والعفة والصلاح والتقوى لا يمد يده لسلطان ولا يقف على بابه حتى سعى اليه الأمراء والوزراء يقول الشبلى فى (السنى الباهر) : (ولما مات لم يتعرض أحد فى تركته مع أن الزمن كان زمن جور ، وقال الغورى (السلطان الغورى) : لم يقبل الشيخ منا شيئا فى حياته نتعرض لتركته) .

كتابه : جمع الجوامع أو الجامع الكبير :

كان جمع السنة من أفواه الرواة وتدوينها والنظر فى رجال الأسانيد ودراستهم وبيان علل الحديث من صحيحه كاد ذلك كله ينتهى بانتهاء القرن الرابع الهجرى ، وسلك المؤلفون بعد ذلك فيها مسلك التهذيب والترتيب والاختصار والبسط ثم الجمع فى موسوعات تضم الكثير من الكتب . وبدأ ذلك بالجمع بين (الصحيحين) قام به كثير منهم الجوزقى ، وابن الفرات ، والحميدى — الخ — ثم الجمع بين الكتب الستة وممن قام به الاشبيلى ، وقطب الدين المكى ، والسرقسطى فى كتابه (تجريد الصحاح) الذى هذبه ورتب أبوابه وأضاف اليه ما أسقطه من الأصول ابن الاثير الجزرى ٦٠٦ هـ ثم اختصر هذا الجامع المروزى ثم الحموى ثم الزبيدى ثم جاءت مرحلة كان يؤلف فيها جوامع عامة شاملة . منها : (جامع المسانيد والألقاب) لأبى الفرج الجوزى جمع فيه بين الصحيحين ومسند أحمد وجامع الترمذى ومنها : (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد) للهيثمى جمع فيه زوائد مسانيد أحمد وأبى يعلى والبزار ومعاجم الطبرانى الثلاثة . ومنها : (المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية) لابن حجر ثم منها : (جمع الجوامع) فى الحديث للسيوطى .

تعريف بالكتاب : هذا الكتاب (جمع الجوامع) يعد من أضخم كتب السنة باطلاق جمع فيه مؤلفه بين الكتب الستة وغيرها فى محاولة جادة ومثابرة لجمع السنة بأسرها التى يصل اليها جهده . يقول فى مقدمته : (قصدت فيه الى استيعاب الأحاديث النبوية وأرصدته مفتاحا لأبواب المسانيد العلية) .

والكتاب مخطوط فى عدة نسخ مختلفة فى خطها وحجمها والزمن الذى نسخت فيه وموزعة فى مكتبات العالم الاسلامى عامة وخاصة . منها نسخة (بدار الكتب) بالقاهرة برقم ٩٥ حديث (قوله) .

ومنها نسخة بدار الكتب بالقاهرة برقم ١٦٩٥٦ نسخ أحمد بن أحمد ابن محمد بن أحمد بن ابراهيم المعروف بابن العجمى وعليه تعليقات كتبها أحمد مرتضى .

ومنها نسخة برقم ٤٧٣ كتبخانه الخديوية المصرية .

ومنها نسخة بالمكتبة الأحمدية بالجامع الأعظم من نسخ يوسف الشرقاوى ١٤١١ .

ومنها نسخة بالمكتبة الظاهرية بدمشق حديث ١٩٥ تاريخ النسخ ٩٤٩ بخط عبد الخالق عبد الرحمن ابن عباس مدون على ورقتها الاولى : (هذا ما وقفه الوزير المكرم والمشير المفخم الحاج أسعد باشا محافظ الشام على مدرسة والده المرحوم الحاج اسماعيل باشا) .

وكل هذه النسخ مكتوبة بخط نسخ دقيق بعضها يقرأ بسهولة وبعضها يحتاج الى جهد وعناية وتوجد مصورات لهذه النسخ كلها برواق لجنة السنة بمجمع البحوث الاسلامية وكذا نسخة مخطوطة للقسم الثانى من الكتاب من محفوظات مكتبة المعهد الدينى بدمياط .

منهج الكتاب :

التزم الامام السيوطى فى جمعه لهذا الكتاب عدة أمور بعضها لم يسبق اليه ، الامر الاول : أنه اقتفى أسلوب الجمع لسابقيه من الكتب وزاد عليه أنه لم يقصر جمعه هذا على كتب محددة بل جنى فى كتابه هذا ثمار ما يزيد على ستين مؤلفا ذكرها فى مواطنها عند المنقول منها بين صحاح ومسانيد ومراسيل وبعضها يكاد يكون انتهى تماما من المكتبة الاسلامية ولا أثر له الا فى كتابه هذا . وبعضها لا يزال فى أضابير المخطوطات الخاصة والعامة يعمل فيه الزمن عمله .. فهو بهذا وبجانب أنه عمل موسوعى قد حفظ على الأمة فى كتابه هذا تراثا لولاه لضاع وضاعت به فوائد جمة فى عصر تحاول فيه الامم أن تحفظ كل كلمة كتبت وتكتب فى حضارتها فى مجالات الأديان والشرائع والعلوم بل وأقامت لذلك المؤسسات الضخمة لحفظ مثل هذا التراث .

الأمر الثانى : قسم كتابه الى قسمين كبيرين وأولهما أكبر من ثانيهما :

القسم الأول : أسماه (السنن القولية) يسوق فيه متن الحديث مباشرة ثم يتبعه بذكر من خرجه من الأئمة أصحاب الكتب المعتبرة مع بيان من رواه من الصحابة واحدا الى عشرة أو أكثر . وبهذا يعرف الباحث اسم الصحابى الراوى واسم الكتاب المنقول منه واسم مؤلفه ان شاء رجع اليه للبيان والاستيعاب .

القسم الثانى : السنن الفعلية أو المشتملة على قول وفعل أو سبب أو مراجعة أو نحو ذلك .

الأمر الثالث : التزم فى ترتيب القسم الأول ترتيبا لغويا على حروف المعجم مراعيا أول الكلمة فما بعده . وبدأه بالحديث الشريف (آتى باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد . فيقول : بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك) حم ، وعبد بن حميد ، م ، عن أنس ، والتزم فى ترتيب القسم الثانى ترتيبه على مسانيد الصحابة رضى الله عنهم بادئا بمسانيد العشرة المبشرين ثم بالباقى على حروف المعجم فى الأسماء ثم بالكنى كذلك ثم بالمبهمات

ثم بالنساء ثم بالمراسيل .

الأمر الرابع : أنه في جمعه لهذا الكتاب ناقل عن أئمة هـذا الفن وعما دونوه ويعزو كل نقل الى مصدره ولو تعددت المصادر مختارا لفظ واحد منهم ومشيرا اليه واليهم برمز مصطلح عليه مثل خ للبخارى ، م لمسلم وهكذا . .

الأمر الخامس : لبيان معرفة درجة الحديث فانه سلك طريقة يعرف منها صحة الحديث أو حسنه أو ضعفه وذلك بتصنيف المؤلفين الى درجات بحيث تعرف درجة الحديث بالعزو الى واحد منهم فيقول : (ورمزت للبخارى خ ، ولمسلم م ، ولابن حبان حب ، وللحاكم فى المستدرك ك ، وللضياء المقدسى فى المختارة ض ، وجميع ما فى هذه الخمسة صحيح فالعزو اليها معلم بالصحة سوى ما فى المستدرك من المتعقب . .) وهكذا ثم يعدد بعد ذلك كتبا أخرى كسنن أبى داود وجامع الترمذى وغيرهما ويقول : (وهذه فيها الصحيح والحسن ، والضعيف فأبينه غالبا) ثم يذكر ثالثا : (وللعقيلى فى الضعفاء عق ، ولابن عدى فى الكامل عد ،وللخطيب خط ، فان كان فى تاريخه أطلقت وإلابينته ، ولابن عساكر فى تاريخه كر ، . وكل ما عزى لهؤلاء الاربعة أو للحكيم الترمذى فى نوادر الأصول أو الحاكم فى تاريخه أو لابن النجار فى تاريخه أوللديلمى فى مسند الفردوس فهو ضعيف فيستغنى بالعزو اليها أو الى بعضها عن بيان ضعفه) ولم يترك ـ رحمه الله ـ القارىء أمام هذا التعميم بل كان دقيقا فى عبارته وتعقبه فيقول مثلا بالنسبة لأبى داود : فماسكت عليه فهو صالح وما بين ضعفه نقلته عنه . .

ويقول عن الترمذى : وأنقل كلامه على الحديث ، ويقول عن الكتب التى فيها الصحيح والحسن والضعيف : « والضعيف فأبينه غالبا) :

وسار على هذا المنهج فجمع ما يقارب مائة ألف حديث وسنة ثم وافاه أجله قبل اتمامه .

هذا الكتاب الجامع أختار منه مؤلفه عدة آلاف من الأحاديث رتبها أبجديا وأسماها (الجامع الصغير) عدته أربعة وثلاثون وتسعمائة وعشرة آلاف حديث ، ثم جاء علامة الهند الشيخ علاء الدين على بن حسام الدين الهندى الشهير بالمتقى المتوفى ٩٧٥ هـ فجمع كلا الجامعين الكبير والصغير مع اضافات وترتيب وتبويب وأسماه (كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال) وهو فى صورته تلك يعتبر كتابا ذا منهج مستقل عن منهج السيوطى ، ثم طبع المنتخب منه مع مسند الامام أحمد بعد حذف المكرر الذى يقارب ثلث الكتاب .

أما كتاب (جمع الجوامع) للسيوطى فحتى عام ١٣٩٠ هـ ــ ١٩٧٠ م كان فى عداد المخطوطات الموزعة فى مكتبات العالم الاسلامى عامة وخاصة حتى هيأ الله له بعض الصالحين من عباده ليقفوا وراءه بعزم المؤمنين لاخراجه للأمة الاسلامية .

ويقوم مجمع البحوث الاسلامية الآن باخراجه مطبوعا الطبعة الأولى على أجزاء محققا ضمن مطبوعاته (من موسوعة السنة) وخرج منه حتى ربيع الاول ١٣٩٢ هـ تسعة أجزاء تضم ستا وثمانين وخمسمائة وثلاثة آلاف حديث تتلوها بقية الأجزاء

بعون الله تعالى وتوفيقه .
وتقدم هذه الطبعة لأول مرة من واقع المخطوطات التى سبقت الاشارة اليها . ولا تكاد تكون نسخة منها كاملة بل هى كلها فى مجموعها متكاملة وقد نهجت اللجنة القائمة بتحقيقه منهجا علميا بينته فى مقدمة الجزء الأول اذ راجعت وقابلت بين صور هذه المخطوطات ثم نسخت صورة كاملة من مجموع هذه النسخ مستعينة بالرجوع الى اصول الكتب المنقول عنها — ما أمكن — وقد التزمت فى التحقيق بأصل من هذه المخطوطات جعلته عمدة فى النسخ والطبع ونبهت على الخلاف الذى يكون بينه وبين بقية النسخ مع الاشارة — ما أمكن — الى تمام النص فى مصدره الذى نقل عنه السيوطى أو الاحالة عليه وبيان قول العلماء فى درجته وبخاصة ما كان متكلما فيه بالتوهين أو الوضع وهو جهد نسأل الله تعالى أن يكون مقبولا عنده ..

ملاحظات وتعقيبات :

لم يسلم هذا الكتاب — كأى عمل علمى بل كأى جهد بشرى — من بعض ملاحظات هى اذا ذكرت انما لتداركها وسد ثغراتها والمؤمن مرآة لأخيه يسد عيبته . لا انتقاصا من جهد سلف صالح ينوء بمثله العصبة من الرجال .
من ذلك ما ذكره صاحب (كنز العمال) من أنه : (لا يمكن كشف الحديث الا اذا حفظ رأس الحديث ان كان قوليا ، واسم راويه ان كان فعليا ، ومن لا يكون كذلك يعسر عليه ذلك) وذلك نظرا لترتيبه أبجديا فى قسمه الاول . وعلى المسانيد فى قسمه الثانى ، ومن ذلك : أن بعض الاحاديث ترد فى غير ترتيبها الابجدى وذلك راجع اما الى خطأ من النساخ عن الاصل ، واما أن المؤلف كان يستدرك ما يفوته فيضعه كيفما اتفق على أن يعود اليه بالترتيب . وقد وافاه الاجل قبل ان يحقق ذلك .
ومن ذلك أن المؤلف حين التزم الترتيب الابجدى لييسر على القارىء العثور على طلبته من الحديث فقد فاته بذلك الوحدة الموضوعية بين الحديث وسابقه ولاحقه فقد يكون السابق فى العبادات والتالى فى الجنايات واللاحق فى مكارم الاخلاق وهكذا .

.. .. ..

وهذه الملاحظات يمكن تداركها حين يستكمل الكتاب بفهارس كاملة ابجدية وموضوعية واعلام تكون دليلا يوضح للقارىء معالم هذه الموسوعة الفريدة .
ومن ذلك : ان يكون للحديث عدة روايات مختلفة المطلع فيختار المؤلف واحدة منها محيلا القارىء على مصادر بقية الطرق واحيانا يبين راوى اللفظ المختار .
وقد عالجت اللجنة — ما أمكن — مثل هذا الوضع بالهوامش بالتنبيه على صاحب الرواية المذكورة بقولها: اللفظ لفلان — وتورد احيانا الرواية بطولها لبيان الحال ومايفيده من أحكام .

.. .. ..

يبقى بعد هذا أمران اشتد النكير بهما على المؤلف من بعض السادة العلماء المعاصرين شدة بلغت حد الاغماض عن فائدة هذا السفر الجليل والتراث الرائد الى درجة المناداة باهماله وتناسيه .
الامر الاول : أن بالكتاب أحاديث موضوعة . وهذه لا يصح أن تخرج الى الناس ما دام قد حكم

بوضعها .

الامر الثانى . أن المؤلف أحيانا يختار طريق روايته للحديث أقل درجة بينما يكون للحديث طريق أخرى أقوى .

والخطب فى هذين الامرين أيسر من أن ينادى برفض هذا العمل الضخم بل باستدراك ما فيه وتصحيحه .

ذلك ان أمر (الوضع) فى السنة قد بينه علماء هذا الفن ودرسوه وحصروه ووضعوا القواعد الوافية لمعرفة الصحيح والزيف مما لم يعهد فى أمة من الامم وأفردوا له المصنفات مثل (اللآلىء المصنوعة) و (تنزيه الشريعة) و (موضوعات) ملا على القارى . مما أصبحت معه السنة المطهرة فى مأمن من كل دخيل عليها . يعرفه كل متذوق ودارس للسنة .

ثم إن الحكم بالوضع يختلف حسب المعايير التى أرتضاها الائمة ومنهم المتشدد المغالى ومنهم دون ذلك وقد يصح عند هذا مالا يصح عند ذاك . ومالا يتفق على الحكم بوضعه لا يصح أن يترك اذ هناك ضوابط للاخذ والترك .

ونحن فى كتابنا هذا أمام موسوعة ضخمة لم يدع مؤلفها أنه جردها للصحيح أو الحسن بل هو فيها بصدد عمل مستوعب يجمع فيه من كتب الصحاح وغيرها ويعزو كل نقل الى من نقل عنه ويبين درجته .. ولم تكن له مندوحة — بحكم أنه ناقل عن غيره نقلا أبجديا — أن يغفل فى كتابه هذا نقل ما تكلم فيه من أحاديث وذلك حتى يضع القارىء وجها لوجه أمام تراث السنة وما فيه .. وعمل الموسوعات من شأنه الاستقصاء والاستيعاب لا الاختيار والانتقاء .

على أن ايراد الضعيف او الموهن أو الموضوع فى هذه الموسوعة منبه عليه من المؤلف بالنص صراحة أو بحكم ما وضعه من قاعدة وتصنيف لمعرفة ذلك . وما يكون قد فاته فان لجنة تحقيقه تنبه عليه . فهو حين يقرأه القارىء انما يقرأه مقرونا بالحكم عليه بدرجته وما على القارىء حين يقرأ حديثا موهنا لم يكن يعرف توهينه الا انه سيفيد فائدة جديدة بمعرفته لدرجة مثل هذا الحديث الذى قد يكون درج على لسانه وتناوله بالقراءة أو الحفظ أو التداول فيعرف بذلك مثلا أنه موضوع فيأخذ الحيطة له وتكون أمانة العمل به أو تركه معصوبة برأسه اذ أن المؤلف قد أخلى عهدته ببيان الحال والدرجة والمصدر . ولم يكن ليقطع بالحكم بالوضع — وهو بصدد النقل الا فيما اتفق على الحكم بوضعه لا ما اختلف فى شأنه وهذا منهج علمى سليم .

صحيح أن ما اتفق على الحكم بوضعه كان المقتضى أن يستبعد عند النقل اذ لا يسع مسلما أن يقر كلاما أو فعلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تثبت صحة نسبته اليه ، والامام السيوطى على دين وتقوى نعيذه بهما أن يقر ذلك عن علم متثبت منه . ولو كان امتد به الاجل وأتيحت له فرصة للمراجعة لكان له شأن آخر فى مثل هذا — وهو على أى حال قليل لا يحجب رؤية جلال هذا العمل وضخامته وفائدته .. ولجنة تحقيقه بصدد عمل ملاحق له ومنها ملحق خاص بالموضوعات التى فيه لحصرها والتنبيه عليها وسبحان من له الكمال وحده .

الامر الثانى : أن المؤلف حين يختار الرواية الضعيفة تاركا الاقوى منها فلعله بذلك يريد ان يترك الاقوى لقوته ويقف بجانب الرواية الضعيفة

يوردها ويقويها بالشواهد التى هى أقوى منها حتى تستقيم على سوقها بالشاهد والمتابع والاقوى ولا يتركها للاندثار .

وبعد : فاذا كانت الامة الاسلامية فى حاجة ملحة الى موسوعة ضخمة تجمع كل ما أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم محققا ومرتبا فان هذا أمل يراود كل مسلم ودين فى عنق الامة واجب الوفاء وقد استشعر هذا مؤتمر علماء المسلمين المنعقد بمجمع البحوث الاسلامية فى رجب ١٣٨٦ هـ اكتوبر سنة ١٩٦٦ م فأوصى بوضع موسوعة مفهرسة للاحاديث النبوية الشريفة تتولى تحقيقها لجنة خاصة حتى يكون رجوع الناس الى المصدر الثانى فى الاسلام أمرا مأمونا وميسرا .

واذا كان مالا يدرك كله فلا يترك كله .

فان كتاب (جمع الجوامع) أقل ما يقال فيه انه نواة لهذه الموسوعة وخطوة رائدة فى الطريق اليها .. وان لم يكن له من ميزة الا انه اختصر كثيرا من خطوات مراحل الجمع لهذه الموسوعة وانه حفظ لنا كثيرا من كتب السنة التى فى حكم المندثر لكفاه .

فهو أساس صالح للبناء عليه وتدارك ما فيه . واخراجه وطبعه خطوة ميسرة لبناء موسوعة كاملة تتضافر عليها الجهود والاجيال والله الموفق لما فيه الرشد والصواب وصلى الله على سيدنا محمد صاحب السيرة العطرة والسنة المطهرة وعلى آله وصحبه وسلم . ورحم الله الامام السيوطى وجزاه عن جهوده فى خدمة السنة خير الجزاء ووفق كل عامل يسر لهذه الموسوعة طريقها الى المسلمين للافادة منها .

نتيجة الامتحان فى دار القرآن الكريم

أعلنت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية نتيجة امتحان الطلاب المنتسبين لدار القرآن الكريم ، وكانت نسبة النجاح فى الفترة الصباحية ٨٢٪ وفى الفترة المسائية ٧٩٪ فى امتحان الدور الأول .

وتقرر أن يكون امتحان الدور الثانى يوم السبت ٨ من شعبان ١٣٩٢ هـ الموافق ١٦/٩/١٩٧٢ وأن تبدأ الدراسة للعام الجديد ٧٢/١٩٧٣ يوم السبت ١٥ من شعبان ١٣٩٢ الموافق ٢٣/٩/١٩٧٢ م .


قصص لا تنسى ..

جريمة في المدينة!

للاستاذ محمد المجذوب

من حق الناس فى طيبة المباركة أن يدهشوا لهـذه الخيانة ويتحدثوا بها ، فهم لا يزالون يعيشون فى جو النبوة الذى أشرقت بـه نفوسهم ، وزكت به أرواحهم ، فارتفعوا على الشهوات والضرورات ، وبـات كل واحد منهم حارسا طبيعيا لمبادىء الاسلام يأمـر بالمعـروف وينهى عن المنكر ، ويؤمن ملء قلبه أن تلك هى وظيفته الاولى لضمـان استمرار الحياة السعيدة ، التى تركهم عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ... ولقد استمر على ذلك عهد الصديق ، الذى ثبت الله بـه كيان الدولـة المؤمنة ، ثم جاء عهد الفاروق امتدادا له وتوسعة لأمجـاده وخيراته ، حتى نعم الناس بما لم تحلم به الدنيا من العدالة والامن والتعاون على البر والتقوى ... وهم على تفاوت عقولهم ومفاهيمهم متفقون على الثقة بخليفتهم الملهم ، الذى جعل غاية مأمله أن يلحق بصاحبيه رسول الله وصديقه على الجادة نفسهـا التى سلكاها قبله .. ومن أجل ذلك جعل حياته جهادا متصـلا فى خدمـة المسلمين يفقههم فـى دينهم ويعنى بمصالحهم ، ويسهر لحمايتهم ، ويعلن فى كل مناسبة ، وفى كل موسم ، لوفود الحجيج والتجار ، وللمترددين على المدينة ، أنه وعماله ليسوا سوى أجراء مستعملين لرعاية شئون الامة كلها ، والطوائف التى تعيش معها فى ظل هذه الدولة الربانية ، مهما تباعدت أمصارهم ، وتباينت أفكارهم ..

ومن هنا كان استكبار الناس لهذه الحادثة ، التى ما كانوا ليتوقعوا مثلها فى بلد ما برح يتوهج فى أنوار الوحى ، ويسعد بالعديد من تلاميذ النبوة السابقين الى الايمان ، على الرغم من توالى هجرتهم الى أنحاء العالم ، الذى كلفوا إبلاغه رسالة نبيهم ، وهداية شعوبه الشقية المضللة الى سبيل ربهم ..

انها جريمة قتل لم يعرف مقترفها ، بالرغم من كل الجهود التى بذلت لاظهاره .. وانهم ليتناقلون خبرها فى أسى عميق وحيرة بالغة ...

كان القتيل فتى يشارف الثامنة عشرة ، صبيح الوجه أمرد لم ينبت الشعر فى عارضيه الا طلائع متفرقة، فهو أقرب الى منظر الانثى الناعمة منه الى منظر الرجل الخشن .. وقد ثبت أنه لقى حتفه بطعنة وجأت عنقه فاستنزفت دمه ، وأنه حمل بعد مقتله الى تلك البقعة الواقعة فى طريق الناس ، فكأن القاتل قد خشى المفاجآت ، فلم يتسع له الوقت للابتعاد به عن مجال العمران .

بيد أن هذه المعلومات لم تخفف من حيرة الفاروق ، ولم تكف من تساؤلات الناس ، الذين ذهبوا فى تقدير أسبابها وعواملها مذاهب شتى .. ولكنهم مع كل ذلك لا ييأسون من انكشاف الحقيقة على يدى خليفتهم ، الذى يشعرون أنه محفوف بتوفيق الله فمهما تعقدت الامور ، وعميت الطرق ، فلا قنوط من الفرج ، ولا مندوحة عن معرفة القاتل ولو بعد حين !...

وأطرق أمير المؤمنين يفكر فى هذه المعضلة ، وراح يتتبع بتصوراته حال هذا القتيل ... من هو ؟ ... وكيف تم القضاء عليه ؟.. وأين حدث ذلك ؟ ... ومن الذى حمله الى تلك البقعة ؟!.. ولم يستطع أن يأمن من قلقه وحيرته الا باللجوء الى الدعاء ، فرفع يديه ، وهو فى مصلاه من بيته ، يضرع الى ربه فى حرارة « اللهم .. اظفرنى بالقاتل !... »

. . . . .

ومرت الايام ، وتلاحقت الاشهر ، وقل حديث الناس عن الجريمة ، حتى كادوا ينسونها .. لولا هذه المفاجأة التى ووجهوا بها منذ فجر اليوم ... ويالها مفاجأة أن يعثر الناس على وليد ابن يومه ، فى البقعة نفسها التى عثروا بها على القتيل قبل تسعة أشهر !...

وحمل الصغير اللقيط الى أمير المؤمنين ... وكانت لحظة قاسية جددت قلق الناس ، وألهبت ما هدأ من مشاعرهم التى أوشكت أن تنطفىء ... فليس باليسير أن تقع الفاحشة فى الحرم المطهر ، وان يلقى بثمرتها على أعين الناس دون أن يعثروا على الفاعل ، الذى جرؤ على الاستهانة بحدود الله ، ثم لم يكتف بذلك حتى راح يتحدى الدولة الحارسة لشريعته باعلان جريمته على هذا النحو الشرس !...

وفى المسجد النبوى ضم أمير المؤمنين الوليد البرىء الى صدره وهو يتأمله فى حنان أبوى لا يوصف .. ولكنه بدلامن أن يتغضن جبينه من الغضب المهيب ، تلألأت على وجهه — ذى البياض النقى المشرب بالحمرة — ابتسامة غامضة .. وتمتم فى صوت لا يكاد يسمع (ظفرت بدم القتيل ان شاء الله ...) (١) ..

وتململ الوليد على ذراع الخليفة ، وانطلق يصرخ كأنه يطالب بحق .. فتنبه الخليفة الى ما كاد ينساه ، وهمس فى أذن احدهم (ايتنى بفلانة حالا ..) وما هو الا القليل حتى عاد بها تتبعه على الاثر ...

وبعد الفاروق يديه بالصغير الى المرضع وهو يقول (قومى بشأنــه وخذى منا نفقته ..)

وكادت المــرأة تغيب عن ناظره بحملها المظلوم ، حين استوقفها ، ثم مضى حتى انتهر اليهــا بعيــدا عن الناس ، وهناك قال لها فى صــوت منخفض (انظرى من يأخذه منك .. فاذا وجدت امرأة تقبله وتضمه الى صدرها فاعلمينى بمكانها ..)

وتلقت المرضع كلمــات الفاروق هذه بكثير من الرضى ، اذ شعرت انه انما يعبر لها عن ثقته بذكائها وحكمتها ... فلم تر جوابا له خيرا من قولها (سمعا وطاعة .. وأرجو أن يوفقنى الله الى ما يسر أمير المؤمنين ...)

وعادت المرأة برضيعها وقد قررت أن تعطيه من الرعاية كل ما تستطيع تقديرا لحسن رأى الخليفة ... ولم يغفل أمير المؤمنين أمر الصبى ولم يكن لينساه ، فكان لا يكتفى بتأمين نفقته وإكرام مربيته ، وزيادة أجرها كلما تقدم فى مدارج النمو ، بل كان يقصد اليه لتفقده بين الحين والحين، فيحمله ويداعبه ويطرفه بالهدايــــا المبهجــة للطفولة .. ثم يعود الى عمله فى خدمــة المســلمين وتفقد أوضاعهم وأسواقهم ، وهو يــردد دعوته الاولى التى رفعها الى الله قبل سنتين (اللهم اظفرنى بالقاتل ..)

وبينا هو ذات صباح ــ يغــادر مدخل المسجد النبوى فى أعقاب صلاة الفجر ، تلقى سمعه صوتا يناديه بما يشبه الهمس فيتجه صوبــه ، فاذا المرأة التى ائتمنها على الصبى، وكأنه توقع أمرا هاما ، فأسرع اليها يسأل « هل من جديد ؟.. » وبمثل ذلــك الهمس تقول « نعم عنــدى الجديد الذى تنتظر يا أمير المؤمنين . »

وكأنما كان على موعد مع هــذا الجديد ، فلم يبد عليه أى تأثر ، ولم يحدث فى لهجته أى تغير ، بل قال للمرأة (اذن فالى المسجد) .

وعاد أدراجه ، والمرأة خلفه ، وقد كاد المسجد يخلو من آخر المصلين عندما جلس على الحصباء يســتمع اليها وهى تحدثه فى انفعال لا تستطيع كتمانه :

(كان ذلك مساء أمس .. حين جاءتنى جارية فلان ...)

ولم يتمالك الفاروق أن يقاطعها فى لهجة مشحونة بالتعجب ، وكأنه ينبهها الى وجوب التثبت مما تذكر « تقولين » جارية فلان ..

ــ وعادت المرأة فى تصميم الواثق « بلى .. جاريــــة فلان الشــيخ الانصارى نفسه ... »

ــ حسن .. فأتمى ما تريدين ..)

وتابعت المرأة « قالت الجارية »

وتابعت المرأة « قالت الجارية : « ان سيدتى فلانة .. أعنى ابنــة الشيخ يا أمير المؤمنين .. »

ولم ير أمير المؤمنين حاجة لذلك التفصيل فقال « تلك فتاة مشهورة بالفضل . فلا ضرورة لتعريفها ... أتمى حديثك » .

ــ قالت لــى ان سيدتى بعثتنى اليك لتبعثى اليها بالصبى تراه وترده عليك ...)

ـ حسن .. حسن .. ثم ماذا ؟!
ـ رأيت أن أحقق رغبتها على أن أكون مع الصبى أراقب ما تصنع .. تماما كما أمرتنى يا أمير المؤمنين ..)
ـ نعم ما فعلت . ثم ماذا ؟..)
ـ لقد أخذت الصبى فقبلته وضمته اليهـا ..)

ولم يجد الخليفـة حاجة لمزيد من التفصيل فقال للمرأة « حسبك .. حسبك ، وانصرفى راشدة .)

. . . . . .

ووقف عمر على الشيخ الانصارى وهو متكىء على باب داره ، فحياه ، وأخذ يسألـه « ما فعلت ابنتـك فلانة ؟!.. »

ورد الـرجل فى لهجـة راضية « جزاها الله خيرا يا أمير المؤمنين هى من أعرف الناس بحق أبيها ، مع حسن الصلات والقيام بالدين .. »
فقال عمر « قد أحببت أن ادخل اليها فأزيدها رغبة فى الخير وأحثها عليه .. »

ونهض الشيخ لفوره يؤذنها برغبة الخليفـة ، الذى لحق بـه علـى الاثر .. وفى حجرة الفتاة اتخذ عمر مجلسه على جانب مـن الفراش ، وأمر من هناك بالخروج ، حتـى لم يبق ثمة سواهما هو والفتاة ...

وهنا كشف أمير المؤمنين طـرف ردائه عن السيف الذى اشتمل عليه ، وأطبق قبضته على قائمه ، وهو يقول فى نبرات مركزة حاسمة « أصدقينى ... والا ضربت عنقك .. »

وأدركت الفتاة أنهـا تلقاء انـذار عمرى لا يعرف التردد .. فاستوت فى مجلسها ونظرت اليه من خلال نقابها بعينين تنطقان بالتصميم علـى الرضى بكل شىء ... وجعلت تتكلم فى لهجة تصور عزيمتها القاطعة ...
ـ على رسـلك .. فواللـه لأصدقن .. »

وصمتت قليلا تجمع أفكارها ، ثم تابعت « انعجوزا كانت تتردد علينا حتى ألفناها دون أن نعرف منبتها .. وقد بلغت ثقتى بهـا وحبى لهـا أن اتخذتها مكان أمى التـى توفيت . فكانت تقابل ودى بمثله ، وتقوم من أمرى بما تقوم به الوالدة .. حتى مضى لذلك حين .. ثم جاءتنى ذات يوم تقول « يا بنية .. لقد عرض لى سفر ، ولى ابنة فى موضع أتخـوف عليها بـه ان تضيع ، وقد أحببت أن أضمها اليك حتى أرجع ...)

وعادت الفتاة هنا الى الصمت ، وأطرقت برأسها الى الارض كأنهـا تريد أن تتخير الكلمات المجزئة .. ولم يشأ عمر أن يراجعها أو يستحثها على المتابعـة ، بل جعـل يدقق فـى حركاتها ، ويتفطن الى نبراتها بوعيه العميق ، وقد مضت أصابعه فى فتل سبلتى شاربيه ، على دأبه حـين يستغرقه الغضب والتفكير ، حـتى رجعت الى مواصلة الحديث :

(وجاءت العجوز بابنتها الينا ، وتركتها لنا وديعة ريثما تعـود ، وأكرمت البنت كما كنت اكرم والدتها وأكثر .. وقابلـت هى إكرامـى بالتقدير ، فكانت تخالطنى فى شئونى كلها ، وجعلت ترعانى باللطف نفسه الذى عهدته من أمها .. حتى كانت تلك الليلة المشئومة ...)

وعند هـذه العبارة بدأت لهجتها تتغير ، وخشن صوتها حتى أشـبه السعال اليابس ، وتوقفت عن الكلام للحفاف الذى اعترى فمها .. وكأن

الخليفـــة قد خشى أن يعرض لها ما يؤثر على تصميمها فقال ويده علـــى قائم السيف « لا ينبغى لك أن تكتمى عنى شـــــيئا ، يجب أن أعلم كل شىء ..)

وأجابت الفتاة فى قوة « أبدا لن أكتم ... ان من حق أمير المؤمنين أن يحيط علما بكل ما جرى .. ان هذه الفتـــاة التى الفتهـــا وأمنتهـــا وفسحت لها مكانا دائما من مخدعى ... قد انتهزت فرصة استغراقى فى نومى ذات ليلة ، فاذا هى تخالطنى ثم تعلونى .. ولم أســـترد يقظتى التامة الا بعد أن أصاب منى ذلـــك الغادر — الذى ظل يخدعنا بأنوثته المزورة حتى تلك اللحظة — كل ما أراد !...

ولم يستطع أمير المؤمنين الا أن يتعجل تتمة الاقـــرار فقـــال « ثم ماذا ؟... »

قالت الفتاة « لقد مددت يدى الى شفرة كنت أجعلها تحـــت فراشى فطعنته حتى استوثقت من نفوقه .. ثم أمرت به فألقى حيث رأيت .. »

وفجأة تتحول لهجتهـــا الى رقـــة محزنة فتقول « وقد شاء اللـــه أن أشتمل من ذلك الغادر على هـــذا الصبى ، فلما وضعته أمرت به فألقى موضع أبيه ..

ومسحت عينيها بنقابها ثم تابعت (ذلك والله خبرهما على ما أعلمتك بـــه ...)

ولم يعد عمر فى حاجة الى مزيد من الكلام فنهض واقفا وهو يقـــول للفتاة « ولقد صدقت .. والله أسأل أن يزيدك من فضله ، فواصلى سبيلك فى طاعة الله وفى مرضاة والدك ..)

ثم غادر الحجرة ليلقى والدهـــا الشيخ ، وقد انتقع وجهه ، وغرق فى حيرة مبينة ، وأطرق برأسه ينظر فى ما بين يديه ، على صورة يمتزج فيها الخوف بالخجل !.. ولكن أمير المؤمنين لم يشأ أن يطيل قلقه ، فألقى عليه تحيته بلهجـــة ملأت قلبه غبطة وطمأنينة ، ثم غادر المنزل وهو يقول له « نعمت الابنـــة ابنتك أيهـــــا الشيخ ...)



---

* اقتبست أصول هـــذه القصة من كتاب (الطرق الحكمية ...) للامام بن القيم .

الفتاوى

تعلم النساء الكتابـة

السؤال :

قرأت حديثا منسوبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونصه « لا تسكنوهن الغرف ؟ ولا تعلموهن الكتابة » فهل هذا الحديث صحيح ؟

الاجابة :

هذا الحديث الذى يشير اليه السائل لا تسكنوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة رواه الحاكم فى المستدرك من طريق عبد الوهاب بن الضحاك عن عائشة ، وهو كاذب كما قال أبو حاتم ، متروك كما قال النسائى ، منكر الحديث كما قال الدار قطنى ، وقال الحافظ بن حجر فى الاطراف بعد ذكر تصحيح الحاكم له ــ بل عبد الوهاب متروك ، وقد تابعه محمد بن ابراهيم الشامى عن شعيب ابن اسحق ، وابراهيم رماه ابن حبان بالوضع ، وابن حبان هو الذى روى حديثه هذا فى كتاب الضعفاء ، وقال الدار قطنى فيه ــ كذاب . وأخرج ابن حبان فى الضعفاء أيضا عن ابن عباس مرفوعا (لا تعلموا نساءكم الكتابة) وفى سنده جعفر بن نصر وهو متهم بالكذب كما قال الذهبى وهذه الروايات الواهية أو الموضوعة معارضة بروايات صحيحة فى مشروعية تعليم النساء الكتابة . منها حديث الشفاء التى علمت حفصة أم المؤمنين الكتابة وقال لها النبى صلى الله عليه وسلم مرة مازحا (الا تعلمين هذه ، رقية النملة كما علمتها الكتابة) رواه أحمد وأبو داود بسند رجاله رجال الصحيح إلا ابراهيم بن مهدى البغدادى المصيصى وهو ثقة كما قال ابن القيم ، ورواه النسائى والحاكم وصححه وغيرهم وقد صرح كثير من العلماء بان حديث الشفاء يدل على جواز تعليم النساء الكتابة وفى الأدب المفرد للبخارى أن عائشة بنت طلحة كانت فى حجر عائشة أم المؤمنين تكاتب الرجال . كانوا يكتبون اليها من الامصار ويهدونها

لمكانها من أم المؤمنين فتأمرهـــا أم المؤمنين بان تجيبهم على كتبهم وتثيبهم على هداياهم ، وعلى هذا جزى المسلمون فكان فيهم كثير من الكاتبات العالمـــات بالحديث والأدب والفنون وهن يدخلن فى عموم خطاب الشرع فى جميع أحكامه الا ما خصص ، ومن مقاصد الشرع اخراج الامة من الأمية وتعليمها الكتـــاب والحكمة كما هو منصوص فى كتاب الله تعالى ..

مجـــلس المعصيـــة

السؤال :

ما حكم الله تعالى ورسوله فى رجل يمضى وقتا كل يوم فى قهوة عمومية بها مسكرات ولعب ميسر ولعب بليارد وغير ذلك مع انه لا يتعاطى شيئا من ذلك كله ، وينكر ذلك بقلبه ، بل قصده تمضيـــة وقت فهل يجوز له الجلوس أم لا ؟

الاجابة :

قال الله تعالى : « **واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وما على الذين يتقـــون من حسابهم من شىء ولكن ذكرى لعلهم يتقون وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا » الآية** — وقال تعالى — **« وقد نزل عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم آيات اللـــه يكفر بها ويستهزأ بها ، فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره » .**

هذا حكم الله فيمن يرى الباطل والمنكر أو يسمعه من غيره وهو أنه منهى عن القعود مـــع أهله لان أقل ما فى قعوده اقرار ما يرى ويسمع واحترام أهله والاستئناس به وهو نوع من المشاركة فيه ..

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان) رواه مسلم وغيره من حديث أبى مسعـــود البدرى رضى الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم (إياكم والجلوس بالطرقات) قالوا — يا رسول الله ما لنا بد من مجالسنا نتحدث فيها . قال فاذا أبيتم الا المجلس فأعطوا الطريق حقه قالوا — وما حقه ؟ قال (غض البصر وكف الأذى ورد السلام والامر بالمعروف والنهى عن المنكر) رواه البخارى

ومسلم ، والاحاديث فى هذا كثيرة ، وهى واضحة المعنى ، وقلما واظب أحد على مجالسة أهل المعاصى والأنس بهم الا وشاركهم فى معاصيهم ولو بعد حين ، وما يجده أولا من إنكار القلب وتوبيخ الضمير الذى هو أضعف الايمان يزول بالتدريج فليتق العاقل ربه ، ولا يغش مجالس المنكــرات ويجالس أهلها الا لضرورة وبقدر الضرورة ان وجدت وتقطيع الوقت ليس بضرورة ولا حاجة صحيحة بل الوقت أثمن ما يملك العاقل فعليه أن يصرفه فيما ينفعه فى دينه أو دنياه لا فيما يعد وسيلـــة الى أضاعتهما جميعا .

قراءة العامى للحــديث

السؤال :

هل يجوز للعامى الذى لا يعرف نحوا ولا صرفا ان يقرأ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اللحن فيه أم لا ؟

الاجابة :

يجوز للعامى أن يطالع كتب السنة للاستفادة منها فان عـــوام العـــرب يفهمون كثيرا منها فهما صحيحا واذا أراد أن يحفظ حديثا ليرويه ويفيد الناس به فعليه أن يعتمد على بعــض أهــل العلم فى ضبط الفاظه وفهم معناه ودرجته فى الصحة وما يقابلها ..



بريد الوعي الإسلامي

تعقيب ..

جاء فى المقال الذى كتبه الاستاذ أحمد حسن الباقورى فى العدد ١٦٢ من هذه المجلة أن جارا للنبى صلى الله عليه وسلم دعاه الى طعام فأبى الا أن تصحبه زوجه عائشة ، وأنه حضر وليمة عرس فقامت العروس بنفسها على خدمة الضيوف .

وربما حسب كثير من الناس أن الحديثين دليل على أن للنساء أن يختلطن مع الرجال على نحو ما يتم اليوم فى السهرات البيتية والاندية الليلية .. وربما ظنوا أن الاستاذ الباقورى يقصد ذلك فاحتملوها منـــه فتوى باطلة بهذا الامر المشين الذى لم يرد به نص كتاب ولا هدى رسول .

ولا ريب أن الكاتب لا يريد ذلك وما ينبغى له ــ وهو المؤمن بكتاب الله وهدى رسوله ــ أن يقصد شيئا من ذلك .

ان ذهاب عائشة رضى الله عنها مع النبى عليه الصلاة والسلام الى تلك الدعوة لا يعنى أنها ظهرت سافرة متبرجة أمام الاجانب من الرجال ، وليس بين الأمرين أى تلازم أو اقتضاء . وقد روى مسلم وغيره عن أنس بن مالك أن أم سليم صنعت حيسا (نوع من الحلوى) وأرسلت به الى رســـول الله عليه الصلاة والسلام بمناسبة زواجه من زينب بنت جحش ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ، وجلسوا يأكلون ويتحدثون ، ورسول الله جالس وزوجته مولية وجهها الى الحائط الى أن خرجوا .

فتلك هى صورة ما أراد أن يستشهد به الاستاذ الباقورى ، وهى صورة لا تمت بأى نسب كما نرى الى واقع كثير من الناس اليوم .

والعروس التى قامت تخدم الضيوف بنفسها فى الحـــديث الآخر لم تكن مزينة بادية الجسم والمفاتن كما هو الشأن اليوم ، وانما كانت كما قال شارح البخارى : متسترة بعيدة عن كل أسباب الفتنة ومظاهر التبرج (فتح البارى : ٩/٢٠٠) واذا كان الشأن فى كل من الحديثين كما قد اتضـــح لك فليس فى عرضها أى تسويغ للتبرج أو الاختلاط المشين الذى يتم فى بعض الأسر اليوم .

وأغلب الظن أن الاستاذ الباقورى انما أراد أن يوضح اتساع الشريعة الاسلامية لتلاقى الرجل والمرأة فى مثل هذه المناسبات ، اذا توفرت الصيانة والحجاب الاســـلامى الذى نص عليه القرآن فى كل من ســـورتى النور والاحزاب ، كما يتلاقيان على هذا النحو فى المســـاجد والمؤسسات العلمية ونحوها .

ولكن الواقع السيىء الذى يعيش فيه أكثر المسلمين اليوم ، كان يقتضى من الاستاذ الباقورى التركيز على القيد والشرط أكثر من أن يركز على أصل الفكرة والمبدأ .. المبدأ المجرد عن أى قيد .

د . محمد سعيد رمضان البوطى

.. .. ..

حول مقال :

((الخطر الذى يهدد المصحف .. كيف ندفعه .. ؟))

نشرت (الوعى الاسلامى) الزاهرة فى العدد ٨٦ للسنة الثامنة تحقيقا واسعا حول الاخطاء التى كثر وقوعها فى طبعات المصحف الشريف ، للاستاذ الفاضل محمد مهدى ، جزاه الله تعالى عن قرآنه الـــكريم خير الجزاء ، وقد وردت فى التحقيق العبارة التالية :

((ويطبع ــ المصحف ــ فى لبنان والعراق وتركيا وغيرها بالخط الاملائى الذى يخضع لقواعد الاملاء الحديثة التى تكتب كل ما ينطق باستثناء حالات معينة التزم فيها المصحف بالرسم العثمانى ، ويجد مسلمو هذه البلاد صعوبة كبيرة فى قراءة أى مصحف مطبوع بغير خطهم ص ٤١)) أقول إن هذه العبارة مجانبة للصواب وبعيدة عن الواقع خاصة فى ما يتعلق بالعراق من عدة وجوه .

١ ــ أن المصحف الشريف ما طبع فى العراق أبدا بالخط الاملائى الذى يخضع لقواعد الاملاء الحديثة وانما طبع بخط (النسخ) .

٢ ــ طبع المصحف الشريف عدة طبعات تزيد على عشرين طبعة ، وكلها بخط المرحوم الحافظ عثمان التركى الخطاط المتوفى سنة ١١١٠ هـ وكان المرحوم الاعظمى يأخذ احدى النسخ المطبوعة فى القاهرة أو دمشق ويسحب كليشيهات مستقلة لكل صفحة بكاملها بما فى الصــــفحة الواحدة من الاطار والزخرفة والسجدة ، والحزب والجزء ورقم الصفحة وآياتها وأرقام الآيات .

ابتغاء للدقة والامانة واعتمادا على النسخة المطبوعة فى القاهرة والموقعة من لجنة الفحص ومشيخة المقارىء المصرية ..

٣ ــ أخرج المرحوم الاعظمى طبعة للمصحف الشريف سنة ١٩٦٠ م وكان فى تلك الطبعة حرف واحد مطموس هو حرف (و) فى احدى الآيات الكريمة ــ لا أذكرها ــ وقد انطمس ذلك الحرف لكثرة الطبع حيث لم تحتمل الكليشيهات ذلك ، وقد نبه على ذلك الخطأ أحد عمال السكك الحديدية فى العراق ورفع مذكرة الى رابطة العلماء وقاضى بغداد وديوان الأوقاف .

٤ ــ المصحف الذى طبعته مكتبة المثنى سنة ١٩٦٢ م فى ألمــانيا ، كان بخط المرحوم مصطفى نظيف قدرغلى الخطاط التركى البارع .

والمصحف مطبوع فى القاهرة وفى تركيا ، ويعرف أيضا باسم (مصحف استانه) وطبع فى ألمانيا بنفس الطريقة وهى كليشيهات مستقلة لكل صفحة بكاملها .

٥ ـ المصحف الذى طبعته مديرية المساحة العامة فى العراق سنة ١٣٧٠ هـ بحجم كبير بخط المرحوم محمد أمين الرشدى التركى الخطاط كتبه سنة ١٢٣٦ هـ وطبع بسحب كليشيهات مستقلة لكل صفحة وقد أتم بعض حروفه المطموسة الاستاذ هاشم محمد الخطاط البغدادى ، وقد أشرف على طبعه بنفسه .

٦ ـ المصحف الذى طبعته رئاسة ديوان الاوقاف العراقية فى ألمانيا سنة ١٣٨٦ هـ هو نفس مصحف مديرية المساحة العامة ، وقد كتب له الاستاذ هاشم البغدادى عناوين السور ، وأرقام الآيات وزخرفة الفاتحة وأول البقرة .

٧ ـ كل هذه المصاحف طبعت بخط النسخ وعلى الرسم العثمانى ، ولم يطبع مصحف واحد بالخط الاملائى أبدا بل أكثر من ذلك أن الكتب المدرسية التى تتضمن نصوصا من القرآن الكريم طبعت تلك النصوص بالرسم العثمانى مغايرة بذلك حروف الكتاب المدرسى نفسه حتى يشعر الطالب بالنص القرآنى ولا يرتبك حين يجد مغايرة فى الكتاب المدرسى نفسه ونسخة المصحف الشريف ولا أدرى من أين استقى الاستاذ الفاضل محمد مهدى هذه المعلومات المغلوطة عن طبع المصحف فى العراق .

٨ ـ المقصود بالرسم العثمانى هنا هو الطريقة التى رسمت بها الحروف وتركيبها فى عهد سيدنا عثمان بن عفان رضى اله عنه ، وطريقتها تخالف الطريقة الاملائية الحديثة طبعا مثل (امرأت عمران) وسنت الله ، والزكوة ، والصلوة ، والحيوة الدنيا ، وأمثالها .

ثم تطورت الخطوط العربية وتنوعت من الناحية الفنية والجمالية كالثلث والنسخ والرقعة والديوانى والتعليق والاجازة والريحانى والكوفى والمغربى وغيرها ، وهى فى كل الكتابات تخضع للقواعد الاملائية الحديثة الا فى كتابة المصحف الشريف فانها تلتزم بالرسم العثمانى وتكتب مثلا (حاميم) هكذا : حم وتكتب (سنت الله) هكذا أيضا .

ثم جاء دور المطابع وطبعت عدة مصاحف بخط النسخ ، ولكنها على الرسم العثمانى وأشهرها وأجملها وأوضحها مصحف (الحافظ عثمان) ولا يزال الناس يفضلون المصحف المطبوع بخط الحافظ عثمان على غيره ، ولعل الأمر يلتبس عند كثير من الناس فيخلطون « سيدنا عثمان بن عفان والدولة العثمانية والحافظ عثمان » ولا يدرون معنى (الرسم العثمانى) لمن يعود من هؤلاء ، والصحيح أنه يعود الى سيدنا (عثمان بن عفان) ومعنى الرسم العثمانى أنه يكتب بالطريقة التى كتب بها مصحف سيدنا عثمان والذى أخذت عنه سائر اقطار المسلمين الى يومنا هذا ، وحتى الخط المغربى فانه على الرسم العثمانى ايضا ، ولا عبرة بنقطة الفاء والقاف لأن التنقيط استحدث بعد ذلك ، ولكن وضع الحروف وتركيبها فى الكلمات سواء مثل (الحيوة الدنيا) فى الخط المشرقى والمغربى سواء ، وحتى فى التعليق الفارسى ، فقد طبع المصحف الشريف فى ايران والهند بخط التعليق و (نستعليق) ولكنه على الرسم العثمانى .

وليد الاعظمى

بأقلام القراء

« الاسلام بين انصاره واعدائه »

من كلمة للدكتور السيد عبد الله عبد القادر تحت هذا العنوان نقتطف ما يأتى :

ان الدين الاسلامى هو الدين الاجتماعى ، ففى القرآن أصول المسائل الاجتماعية التى ينبنى عليها بقاء الامم وفناؤها وسعادتها وشقاؤها ، وهى فى القرآن ابسط من سائر الاشارات العلمية ومع ذلك فقد سئل الدكتور جرينيه الفرنساوى عضو مجلس النواب سابقا عن سبب اسلامه ، فقال : انى تتبعت كل الآيات القرآنية التى لها تعلق بالعلوم الطبية والصحية والطبيعية وهى التى درستها من صغرى وأعلمها جيدا فوجدت هذه الآيات منطبقة تماما على معارفنا الحديثة فأسلمت لأنى تيقنت أن محمدا عليه الصلاة والسلام أتى بالحق الصريح من قبل أكثر من ألف سنة من غير أن يكون له معلم أو مدرس من البشر ولو أن كل صاحب فن من الفنون أو علم من العلوم قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بما تعلمه جيدا كما قارنت أنا لأسلم بلا شك اذا كان عاقلا خاليا من الاغراض .

وليست المسائل الاقتصادية فى القرآن بأقل من المسائل الاجتماعية ألا ترون كيف نص على تحريم الفواحش الثلاث المضادة للفطرة والمخربة للديار والمذهبة للثروة والمثيرة للبغضاء والحسد والكراهية والوقاحة وهى الزنا والخمر والقمار مع ما فى الزنا من ضياع الانساب وخراب البيوت والأسر وفساد الأخلاق وذهاب الحياء وفشو الامراض التناسلية وقلة النسل وظلم النساء أن يصرن العوبة بأيدى الفساق محرومات من الكرامة البيتية ومن الذرية والحقوق الزوجية وما يتصل بها كالارث والنفقة والحضانة مع أن المتزوجة انما تحاول ارضاء رجل واحد هو زوجها تأخذ منه بايجاب الشرع كل ما تحتاجه من النفقة والكسوة وأسباب الزينة وتصير أم بيت وأسرة وذات ذرية تقر بها عينها الى غير ذلك .

فالزنا هو الذى يفتح باب ظلم المرأة وامتهانها ، والزناة هم الذين يظلمون البيئة الاجتماعية بافسادهم جانبا منها ومثل الزنا فى كونه يفتح باب ظلم المرأة كل ما صار سببا اليه أو حال دون سهولة الزوجية الشرعية . فان كل قيد مانع من سهولة الزواج الشرعى أو حائل دونه يلجىء لا محالة الى اقتحام الرذيلة فانه اذا ضاق على النفوس البشرية جانب الحلال المشروع اقتحمت لا محالة جانب الحرام الغير المشروع .

فالدين الاسلامى سد باب الزنا من كل وجه ووسع للناس فى النكاح الحلال الى الاربع الزوجات أما عكس ذلك فهو السبب فى قلة العفة عند بعض الامم واضطرارهم الى اباحة الزنا أو تخصيص حرمته بالمتزوجة ، ومع ما فى الخمر من ازالته للعقل واضعافه للبدن واتلافه أنسجته بتأثير الكحول كما

أجمع على هذا محققو أطباء العالم وهو مبدد للثروة سائق الى الفجور والى الجنون فى النسل .

ومعلوم تأثير القمار فى افناء الثروة وافساد الخلق وتقوية خلق الطمع والشراهة الى مال الغير كما تشاهدون ذلك فى بلاد أوروبا أظهر وأظهر وحسبنا فى ذلك قول الله تعالى : « **انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون** » (المائدة — ٩) .

وتأملوا كيف نهى الله عز وجل عن التبذير وأمر بالاقتصاد وأثنى على أهله فقال عز وجل : « **ولا تبذر تبذيرا . ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا** » (الاسراء — ٢٦/٢٧) .

وكما أشار فى سورة النساء الى فائدة اقتصادية عظيمة نبه بها الى أن ثروة الافراد هى فى الحقيقة ثروة الأمة من حيث تكافلهم وتشريعه الحجر على السفهاء لئلا يضيع مجموع ثروة الأمة بتبذير أفرادها وان المال قوام الأمة لا يصلح شأنها بدونه . وذلك فى قوله تعالى : « **ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا** » (النساء — ٥) . وقال تعالى فى سورة الانعام : « **وهو الذى جعلكم خلائف فى الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات** (أى فى القوة والثروة والعلم وسائر ما يتفاوت فيه البشر) **ليبلوكم فيما آتاكم أن ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم** » (سورة الانعام — ١٦٥) أى ليختبركم فيما آتاكم من النعم التى تفاوت بسببها رفع بعضكم فوق بعض .

وقال تعالى فى سورة الزخرف : « **نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا** » (الزخرف — ٣٢) ، فالتفاوت وشعور القوى بقوته عادة ينتج التغالب بالحق والباطل فيما بين البشر أفرادا وأمما بل يكاد يكون عاما فى الاحياء كافة فانك تنثر الحب للطيور فتراها تتزاحم عليه وينقر قويها ضعيفها ، فيطرده ويحرمه ويخرج الاطفال من المدرسة فيتزاحمون حول بائع الثلج فيزحم القوى الضعيف بمنكبيه فيغلبه على مكانه حتى قيل إن الظلم من شيم النفوس ومهما كان الحال فان العقلاء غير معذورين فيما خرج فى التغالب عن دائرة العدل والابتلاء الالهى فى قوله تعالى : « **ليبلوكم فيما آتاكم** » . انما هو فى كيفية استعمالنا تلك القوى مع غيرنا ممن هو أضعف منا بأن تكون هناك حقوق وأسباب وحدود فيما بين الفريقين ولا بد من تحديد المعاملة فيما بينهم لا يبغى قويهم على ضعيفهم ولا يستأثر دونه بقوته ولا يستعملها فى سلب حقه . فهل يوكل الى البشر ايجاب الحقوق ووضع الحدود وأى الفريقين يوكل اليه ذلك وهما إما قوى لا يعدل واما ضعيف لا ينتصف .

لا جرم أن خالق الخلق قد تكفل بانزال هذا القرآن الذى فيه نظام العدل وأصوله الاساسية وفيه فوق ذلك نظام الاحسان والفضل وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لا تقدس أمة لا يقضى فيها بالحق ولا يأخذ الضعيف حقه من القوى غير متعتع ، فقد روعى حال ضعفاء الأمة وفقرائها فى شرع الاسلام فأوجب لهم ربع العشر من النقد من مال أغنيائها كل عام ، ومن سائر الانواع الزكوية حصصا متفاوتة لتتم ألفتها واتحادها ولا يبلغ الى حال الاضطرار والفاقة والفقر المدقع فى تحريمه الربا لئلا يستغل ذو الثروة حاجة الضعفاء فتقسوا قلوبهم عليهم ويستولوا بالتدريج على اكسابهم وعقاراتهم وأبدانهم فالبطبع يكونون تحت نفوذهم وسيطرتهم يسخرونهم لاغراضهم كيف شاؤوا أو تتراكم الثروة فى يد عدد معدود من الافراد والجماعات .



قالت صحف العالم

الاجتهـــاد

تتبعت منذ بدأت مطالعتى موضوع (الاجتهاد) الذى كان يثور بين الحين والحين فى حياة المسلمين وما استمعت اليه من خلال الاحاديث ومن خلال الصحف وتعمقته من خلال البحث وآمنت به من خلال الممارسة العملية لقضايا الحيـاة وشؤون المجتمع وادركت أى هوة باعدت بين المسلمين وبين الرقى منذ أن أغلقوا باب الاجتهاد .

هل فى وسع الانسان أن يتمثل دعوة أشد على المسلمين أثر سوء من هذه الدعوة ـ الدعوة الى الصمت فى مجابهة صوت الواقع والاذعان فى مقابلـة التحدى ..

وكيف نقفل باب الاجتهاد فى حياة تفتح لها فى كل يوم بابا وتواجـه فى كل ساعة حدثا ويكون لها مع كل لحظة الجديد .

فى البداية كانوا يقولون ـ أين الذين تكتمل لهم شروط الاجتهاد ؟ حسنا ولكن اقفال الباب شىء والدعوة الى أن يلجه أصحابه والقادرون عليه شىء آخر .

ان الاجتهاد ركن من أركان الحياة الاسلامية ولقد ظل المسلمون يتقدمون على طريق الحضارة ما داموا يجتهدون فلما وقفوا وقفت بهم الحياة عند الحدود التى جمدوا عليها وخلفتهم من ورائها أمم كثيرة على الارض .

لو لم يكن هناك اجتهاد فى صميم الفكر الاسلامى لكان علينا أن نوجده ، لو لم يكن هناك باب مفتوح لكان علينا أن نفتحه ، وان حركة الحياة لا تقبل جمود الفكر ، وحين نواجه احداث الحياة بتراث لا يتجدد وفكر لا يتحـرك فاننا نقود هذه الحياة الى حافة الموت . كل شىء فى حياتنا الداخلية والخارجية فى حياتنا المادية والمعنوية فى حياة الافراد والجماعات يشعرنا بالقصور الكبير ويلهب جلود الطبقة المثقفة من العلماء السلفيين والمحدثين بسياط من الاحساس بالمسؤلية .

ويؤرق ضميرها ويدعها نهب هذا الاحساس العميق بأن عليها فى الفترة المعاصرة واجبا مزدوجا ـ واجب الخروج من التخلف وواجب مواكبـة الركب الحضارى ولن يتيسر شىء من ذلك الا من طريق الاجتهاد وبه .

لا بد للمسلمين وقد تخلفوا فى كل شىء واختلفوا فى كل شىء ان يلتقـوا على هذا وان يعدوا له عدته من الفهم والدراية وان يفتحوا بابه على أساس من هذا التفتح للحياة الجديدة بمتطلباتها التى تفرضها وشؤونها التى استجدت فيها وتطلعها الى البعيد الذى تخترق به فى كل يوم طبقا بعد طبق .

ما من شك فى أن هناك جهودا كبرى صادقة تبعث على التقدير والاعجاب يقوم بها علماء أعلام بين أطراف الوطن الاسلامى يكتبون بهذا الوضع المتأخر .

ولكن عيب هذه الجهود انها جهود فردية حتى فى حدود الوطن الواحد وما لم تخرج هذه الجهود الى عمل منظم له مؤيداته الادبية وسلطانه المعنوى فان هذه الأغلال التى تكبل المسلمين وتشدهم الى التأخر تظل عـــلى عنفوانهـــا وتحكمها ..

انني لا أدعوا الى سلطة جديدة فى الاسلام ولكنى أدعو الى أن يــؤمن المسلمون بحقهم فى تجاوز الحاضر الماثل الى المستقبل المأمول .

أليس من صميم هذا الجمع بين الفكر والعمل فى الاسلام أن يكون هـــذا الجمع بين الاجتهاد فى معناه المادى الـــذى يعنى بذل الجهود وبين الاجتهاد فى معناه الفكرى الذى يعنى التفتح على أبعد الآفاق .

ترى هل غفل المسلمون حتى عن معانى الالفاظ فى حياتهم فأصبحت حياتهم الفاظ دون معان وهيكلا من دون روح ..

عن مجلة الثقافة الجزائرية ..

شعب فى فــراغ

وتلك هى طبيعة الامة الاسلامية عبر التاريخ ولا استغراب .

ان الله سبحانه وتعالى خص هذه الامة بالقيادة والهداية واكرمها بتجديف سفينة الانسانية الى يوم القيامة فكيف يسمح لها بالنكر لدينها والتنكب عن طريقها والخيانة بمادئها والغدر بأهدافها ومراميها والانسانية كلها عالـــة عليها ، والدنيا كلها فى حاجة إليها .

اذا فحرام على هذا الشعب أن يعيش فى فراغ ان يعيش من غير عقيدة وعاطفة وشخصية وحرام عليه أن تكون له عقيدة غير عقيدة الاسلام وان تكــون له عاطفة غير عاطفة الايمان وان تكون له شخصية غير شخصية المؤمن الصالح المصلـــح ..

وإذا نفعت استعارة المبادىء وسرقة الافكار وانتحـــال الفلسفـــات وتقليد القرود والببغاوات بعض الشعوب الآسيوية والافريقية وإنها قطعت بعض الشوط فى النهضة الصناعية والمادية واحسنت المحاكاة والتقليد وربما سبقت معلماتها فى التكنية فى بعض المجالات فانها لا تنفـــع الشعب المسلم اينما كان وباى قميص تقمص ولو تفهد وتنمر لان الله حصر العزة والمجـــد والنهضة والاستعلاء فـــى دعوته العامة التى لا تفرق بين الاجناس والالوان والاوطـــان ومبادئه الخالـــدة التى لا تتغير ولا تدور مع الريـــاح ..

اننا لا نستطيع أن نعيش فى فراغ ولا نستطيع فى نفس الوقت ان نملأ هذا الفراغ بمبادىء ما أنزل الله بها من سلطان ان الله لم يسمح لنا بالاختيار بين دعوات جاهلية وحركات هدامة من شرقية وغربية أو من حمراء وصفراء والتنقل بين معسكرات وتكتلات ، فيجب أن نملأ هذا الفراغ بمبادىء اسلامية واضحة تسد أبواب الفساد والقلق والحيرة والضياع .

أننا لسنا فى فراغ ولسنا فى جمود فكلاهما مستحيلان فى عالم الحقيقـــة والواقع انما نحن فى حالة ما بعد الفراغ وما بعد الجمود اننا نجنى أشـــواك الفراغ الـــذى وقع بترك المبادىء الاسلامية كالدافع الاقوى ونجنى أشـــواك الجمود بايقاف العمل الاسلامى فى المجتمع .

عـــن مجلـــة البعث .

أخبار العالم الإسلامي

اعـــداد الاستاذ عبد المعطى بيـــومى

الكـــــويت : يقضى حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم فترة الصيف فى لبنـــان للراحـــــــة والاســـــتجمام .

● أعلن سعادة رئيس مجلس الوزراء بالوكالة ووزير الداخلية والدفاع أن العمل جار بسرعة لتزويد القوات المسلحة الكويتية بالصواريخ والطيارات ومختلف أنواع الاسلحة الحديثة .

● صـــدر الجزء الثالث من كتاب المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية وتقـــوم وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بتزويد الهيئات العلمية والاسلامية فى العالم به .

● بلغ مجموع التبرعات التى وافقت عليها اللجنة الدائمة للمعونة الاســـلامية الخارجيـــة لتسع مؤسسات اســـلامية فى نيجريا ثلاثين ألف دينار .

● ووافقت اللجنة على التبرع لكل من اللجنة النسائية فى الاردن التى تشرف على خـــــدمة الطالبات اليتيمات ، والمساهمة فى تجديد مسجد الفيل فى المحافظة الخامسة فى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ومساعدة جمعية غرباء أهل الحديث فى كراتشى لتجديد مسجد الجمعيـــــة وبنـــاء بيت مسكن الطلاب هنـــاك .

● تدفق على السفارة الليبية عدد كبير من الراغبين فى التطوع فى صـــــفوف المقـــاومة الفلسطينية .

● انتظمت الدراسة فى جميع مراكز تحفيظ القرآن الكريم التى اقامتها جمعية الاصــــلاح الاجتماعى .

القـــــاهرة : بحث الرؤساء الثلاثة فى مرسى مطروط آخـــر تطورات الموقف بعـــد العـــدوان الاسرائيلى على لبنان .

● قـــام وزير الاوقاف وشئون الازهر بزيارة لبنان واجرى مباحثات مع المسئولين اســـتهدفت توثيق الروابط الدينية والثقافية بين البلدين .

● قـــام وفـــد اسلامى مصرى بزيارة باكســـتان .

الســــعودية : أكـــد جلالة الملك فيصل والرئيس ذو الفقـــار على بوتـــو فى البلاغ المشترك الذى صــــدر عقب زيارة الرئيس الباكســـتانى للمملكة ايمانهما العميق بأنه لا خلاص للعالم من الضياع الذى يعيشـــه الا بالرجوع الى ما نادت به الرسالات الســـماوية .

● صرح الامين العـــام للامانة الاسلامية لوكالة الانبـــاء الاسلامية بان الهزيمة التى واجهها المسلمون فى الشرق الاوسط وشـــبه القـــارة الهندية كانت أقسى تجربة يعانيها المسلمون فى العصر الحـــــديث .

● تبرعت السعودية بمبلغ ١٥ ألف دولار للجمعية الخيرية الاسلامية فى ماليزيا كما تبرعت بـــ ٥ آلاف ريال لمدرسة التربية الاسلامية فى مالى .

● تبرع جلالة الملك فيصل بالمبالغ التأسيسية لتكوين وكالة الانبـــاء الاسلامية وستبدأ الوكالة عملها عما قريب .

الاردن : اجتمع وفـد من الزعمـاء الدينيين الاردنيين مع أمين عـام الامم المتحدة فشرحوا لـه ما يتعرض له العرب فى الارض المحتلة من الظلم واهدار حقوق الانسان .

● بلغ عـدد الفلسطينيين ثلاثة ملايين نسمة بزيادة قدرها مليون و ٨٠٠ الف عن سـنة ٤٨ احصائية عن وكالة الانباء العراقية .

● أعلنت فصائل المقاومة الفلسطينية توحيدها تحت قيادة واحدة وقـد قام الفدائيـون ببعض العمليات داخل الارض المحتلة منها حريق معمل التكرير فى حيفـا .

العـراق : وقفت الدول العربية المصدرة للبترول موقف التاييد المادى بالقروض والمساعدات مع العراق فى موقفها مع شركات البترول المؤممة بعد ان أيدت كل الدول العربية مـوقف العـراق .

● عقدت اتفاقية تجارية بين العراق وافغانستان فى نطاق تدعيم الصلات الاقتصادية بين البلدين المسلمين .

سـوريا : دعا الرئيس الاسد الشعب السورى الى تعزيز الوحدة الوطنية والا فستبقى عرضة لكل الاعاصير .

لبنـان : سيقوم الرئيس اللبنانى بزيارة بعض الدول العربية ومنها دول الخليج فى الخـريف القـادم .

● قام العدو بهجمات انتقامية على جنوب لبنان ومرتفعات الجولان .

● واصل الثوار الفلسطينيون عملياتهم الجريئة فى عمق الوطن المحتل وقد منى العـدو بخسائر فادحـة .

السـودان : صرح الرئيس السودانى أنه فى سبيل تدعيم البلاد اقتصاديا واجتماعيا وايجـاد حلول للمشكلات فى السودان .

● ساهمت مصر وليبيا وقطر فى اعانة توطين العائدين الى جنوب السودان .

ليبيـا : أعلن الرئيس القذافى أن ليبيـا تمد يـد المساعدة لمسلمى الفلبين والمسلمين السود فى أمريكا .

● أصـدر مجلس الثورة الليبى قرارا بانشـاء جمعية الدعوة الاسلامية هدفها نشر الاسلام واللغـة العـربية .

تـونس : أقيم معرض للفكر الاسلامى ضم عديدا من المؤلفات الاسلامية لمفكرين اسـلاميين من الشرق والغرب وبعض المستشرقين .

الجـزائر : دعا الرئيسان بومدين وبورقيبة الى تجنيد طاقات الامة العربية كلها فى مواجهـة الخطـر الصهيونى .

● استقدمت الجزائر ١٠٠ مدرس من العراق للتدريس فى مدارس الجزائر .

المغـرب : أصدر مؤتمر القمة الافريقى الذى أنعقد فى الرباط فى الشهر الماضى أقوى قرار لادانة اسرائيل لاحتلالها الاراضى العربية كما قرر المؤتمر تقديم المساعدات المادية والمعنوية لمصر .

موريتانيا : أعلن الرئيس مختار ولد داده أن اسرائيل هى التى تسببت فى فشل جهـود الحكماء الافريقيين فى التوسط لحل المشكلة العربية الاسرائيلية .

● أعربت الجزائر وليبيا وتونس عن استعدادها لمساعدة موريتانيا فى اصلاح نظامها التربوى .

باكسـتان : قام الرئيس الباكستانى بجولة فى بعض الدول العربية والافريقية استعدادا لجولة المباحثات مع رئيسة وزراء الهنـد .

الفلبـين : اشتعلت فى الشهر الماضى من جديد المذابح بين المسلمين والمسيحيين وقد قتل ١٥ مسلما بينما أنكر الرئيس الفلبينى اشتراك قوات الجيش فى المذابح .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	جمادى الآخرة ١٣٩٢ هـ	سبتمبر ١٩٧٢ م	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي						المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
الاربعاء	١	١٢	١١ ٣	٥٦ ٤	٥٣ ١١	٢٨ ٣	٥٠ ٦	٢١ ٨	٢٢ ٨	٦ ١٠	٣ ٥	٣٨ ٨	٣١ ١
الخميس	٢	١٣	١٢	٥٦	٥٣	٢٨	٤٩	٢١	٢٣	٧	٤	٣٩	٣١
الجمعة	٣	١٤	١٣	٥٧	٥٣	٢٨	٤٩	٢٠	٢٤	٨	٤	٣٩	٣١
السبت	٤	١٥	١٤	٥٧	٥٣	٢٨	٤٩	٢٠	٢٥	٩	٥	٤٠	٣١
الاحد	٥	١٦	١٤	٥٨	٥٣	٢٨	٤٨	١٩	٢٦	١٠	٥	٤٠	٣١
الاثنين	٦	١٧	١٥	٥٨	٥٣	٢٩	٤٨	١٩	٢٧	١٠	٥	٤١	٣١
الثلاثاء	٧	١٨	١٦	٥٩	٥٣	٢٩	٤٨	١٨	٢٨	١١	٦	٤١	٣١
الاربعاء	٨	١٩	١٦	٥٩	٥٣	٢٩	٤٧	١٧	٢٩	١٢	٦	٤٢	٣٠
الخميس	٩	٢٠	١٧	٠٠ ٥	٥٣	٢٩	٤٧	١٧	٣٠	١٣	٧	٤٢	٣٠
الجمعة	١٠	٢١	١٨	١	٥٣	٢٩	٤٦	١٦	٣١	١٤	٧	٤٣	٣٠
السبت	١١	٢٢	١٩	١	٥٤	٢٩	٤٦	١٥	٣٣	١٥	٨	٤٣	٢٩
الاحد	١٢	٢٣	٢٠	٢	٥٤	٢٩	٤٥	١٤	٣٥	١٧	٩	٤٤	٢٩
الاثنين	١٣	٢٤	٢١	٢	٥٤	٢٩	٤٥	١٤	٣٦	١٨	٩	٤٤	٢٩
الثلاثاء	١٤	٢٥	٢١	٣	٥٤	٢٩	٤٤	١٣	٣٧	١٩	١٠	٤٥	٢٩
الاربعاء	١٥	٢٦	٢٢	٣	٥٤	٣٠	٤٤	١٢	٣٨	٢٠	١٠	٤٦	٢٩
الخميس	١٦	٢٧	٢٣	٤	٥٤	٣٠	٤٣	١١	٤٠	٢١	١١	٤٦	٢٨
الجمعة	١٧	٢٨	٢٤	٥	٥٤	٣٠	٤٢	١٠	٤٢	٢٣	١٢	٤٧	٢٨
السبت	١٨	٢٩	٢٥	٥	٥٤	٣٠	٤٢	١٠	٤٣	٢٤	١٢	٤٨	٢٨
الاحد	١٩	٣٠	٢٦	٦	٥٤	٣٠	٤١	٩	٤٤	٢٥	١٣	٤٨	٢٨
الاثنين	٢٠	٣١	٢٧	٧	٥٤	٣٠	٤١	٨	٤٦	٢٦	١٣	٤٩	٢٧
الثلاثاء	٢١	اغسطس	٢٨	٧	٥٤	٣٠	٤٠	٧	٤٨	٢٧	١٤	٤٩	٢٧
الاربعاء	٢٢	٢	٢٩	٨	٥٤	٣٠	٣٩	٦	٥٠	٢٩	١٥	٥٠	٢٧
الخميس	٢٣	٣	٣٠	٨	٥٤	٣٠	٣٨	٥	٥١	٣٠	١٥	٥١	٢٧
الجمعة	٢٤	٤	٣١	٩	٥٤	٣٠	٣٨	٤	٥٣	٣١	١٦	٥٢	٢٦
السبت	٢٥	٥	٣١	٩	٥٣	٣٠	٣٧	٣	٥٤	٣٢	١٦	٥٢	٢٦
الاحد	٢٦	٦	٣٢	١٠	٥٣	٣٠	٣٦	٢	٥٦	٣٤	١٧	٥٣	٢٦
الاثنين	٢٧	٧	٣٣	١١	٥٣	٣٠	٣٦	١	٥٨	٣٥	١٨	٥٤	٢٥
الثلاثاء	٢٨	٨	٣٤	١١	٥٣	٢٩	٣٥	٠٠	٥٩	٣٦	١٨	٥٤	٢٥
الاربعاء	٢٩	٩	٣٥	١٢	٥٣	٢٩	٣٤	٥٩ ٧	١ ٩	٣٨	١٩	٥٥	٢٥
الخميس	٣٠	١٠	٣٦	١٣	٥٣	٢٩	٣٤	٥٨	٢	٣٩	٢٠	٥٦	٢٥



« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأم عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار ــ ٧ شارع الصحافـــة .

جـــدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب ٢٠٤٣ .

الرياض : مكتبة مكـــة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعـــة ضياء .

عـــدن : وكالة الأهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

المكــلا : مكتبـــة الشعب ــ ص.ب ٢٨ .

مســـقط : المكتبـــة الحديثة ــ السيد يوسف فاضل .

صنعـــاء : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

دمشـــق : الشركة العامة للمطبوعات ــ ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ــ ص.ب ٢٤٧٣ .

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية ــ ص.ب ٦٧ .

عمـــان : الشركة الاردنية لتوزيع المطبوعات ــ ص.ب ٢١٥ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى ــ ص.ب ١٣٢ .

بنغـــازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص.ب ٢٨٠ .

تـــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بـــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ كورنيش المزرعة .

دبـــى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ السيد غازى بساط .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ ص.ب ١٧١٩ .

الدوحـــة : سالم الانصارى ــ الدوحة / قطر .

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية ـ الكويت

عـدد خاص

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام

إلى المسجد الأقصا الذي باركنا حوله
لنريه من ءايتنا إنه هو السميع البصير

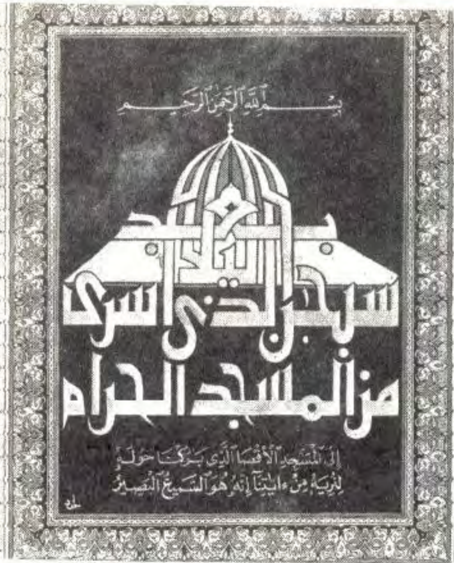
بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية

دار القرآن الكريم

بعون الله وتوفيقه تعلن وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية عن قبول طلبات الراغبين في الانتساب لدار القرآن الكريم للعام الدراسي الجديد ٧٢/١٩٧٣م ويشترط في المتقدم أن يكون ملماً بالقراءة والكتابة وأن يوضح في طلب رغبته للانتساب بالفترة الصباحية أو الفترة المسائية، وتقدم الطلبات إلى إدارة الدعوة والإرشاد أثناء الدوام الرسمي اعتباراً من يوم ١/٧/١٩٧٢ م ـه

وكيل الوزارة عبد الرحمن عبد الله المعجم



الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة الثامنة

العدد الحادى والتسعون

غرة رجب ١٣٩٢ هـ

١٠ اغسطس (آب) ١٩٧٢ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية .

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربى	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

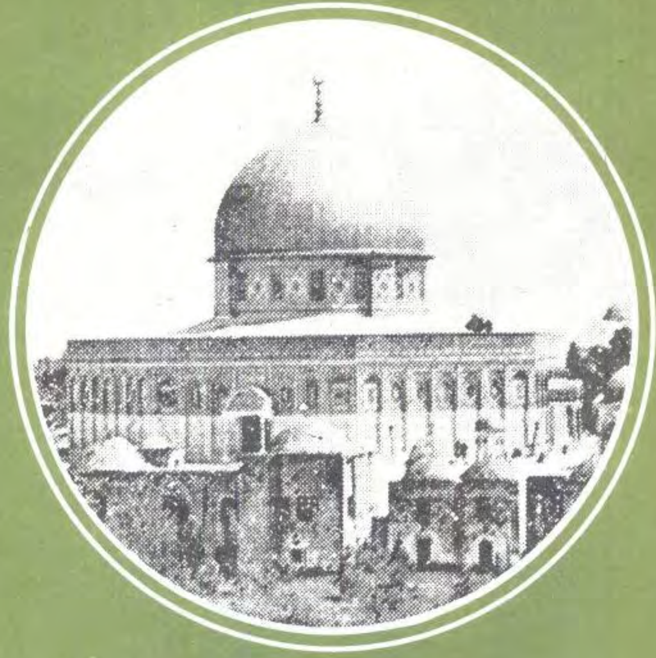
الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
اما الافراد فيشتركون راسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص.ب ١٣ هاتف : ٤٢٢٠٨٨ ـ كويت

من وحي الإسراء والمعراج



تتضمن رحلة الاسراء والمعراج – بعد معانى التثبيت والتكريم لرسول الله صلى الله عليه وسلم – موحيات كثيرة متجددة تهدى المسلمين طريقهم وسط الضباب الذى يلفهم، والاعاصير التى تهب عليهم.

وفى هذه الكلمة القيمة التى تفضل بها سعادة الاستاذ راشد عبد الله الفرحان وزير الأوقاف والشئون الاسلامية تذكيرا ببعض هذه المعانى:

فى رحلة الاسراء والمعراج تجسيد للرباط الروحى بين المسلمين على مختلف أوطانهم وتعدد اجناسهم، وفى امامة محمد صلى الله عليه وسلم للانبياء والمرسلين تأكيد لقيادة الأمة العربية للشعوب الاسلامية، وفيها إشارة للفتوحات العملية والقيادة الفكرية. وإسراء النبى صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام فى مكة الى المسجد الأقصى فى القدس، وكلا المسجدين اتجه نحوهما المسلمون فى صلاتهم وشدوا الرحال اليهما لدليل آخر على الرابطة القوية بين العرب والمسلمين ... فاحتلال بيت المقدس يؤلم كل مسلم، وإنقاذه واجب على الجميع، واذا لم يستطع العرب اخراج اليهود من الأرض العربية الطاهرة المحتلة، فلا يمكن اغفال بقية المسلمين فى العالم، وهم يشكلون ثلث اعضاء المنظمة الدولية، ولكن الذى ينقصهم هو: التنظيم والتصميم على العمل وعدم الركون الى آراء الاعداء ... (ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار) والكفر والاستعمار والصهيونية يعمل ضد العرب والمسلمين، فعلينا أن نتعاون ونتعاضد لصد هذا التيار الزاحف المتحالف ضدنا والمتكالب على خيراتنا وعلينا ان نضع الايمان قبل العمل.



رحلة الى السماء

للشيخ عبد الله كنون

كان الكلام فى المعراج ، مع المؤمنين طبعا ، يقتضينا البحث فى ادلته ، وامكانيته ، وصفته ، والآيات الكبرى التى شاهدها النبى صلى الله عليه وسلم فى عروجه ، والمغزى العظيم الذى ينكشف عنه هذا الحدث العجيب ، من حيث ثبوت المعجزة ، وصدق الرسالة ، واثر القدرة الباهرة التى لا يمتنع عليها شىء .

والآن بعد ريادة الفضاء ، والرحلة الى القمر ، اصبحنا فى كلامنا على المعراج ، بحاجة الى رفع الالتباس عند بعض المؤمنين الذين ظنوا ان الصعود الى القمر ، صعود الى السماء ، ومن ثم فان منهم من وقع فى شبهة عقائدية ، ومنهم من احالوا وقوعه ، وجزموا بأن كل ما يقال عن الرحلات الفضائية ، انما هو دعاية كاذبة وزعم باطل .

وقد كنت أدليت بحديث الى وكالة المغرب العربى للانباء ، بمناسبة نزول مركبة ابولو ١١ فوق سطح القمر سنة ١٩٦٩ حول نظر الاسلام فى هذه القضية جاء فيه : ليس فى الاسلام ما يعارض صعود الانسان الى القمر ، وليس فى وصول الانسان الى القمر ما يناقض اى تعليم من تعاليم الاسلام .

ذلك ان القمر ما هو الا كوكب من كواكب مجموعتنا الشمسية السابحة فى الفضاء ، والوصول اليه كالوصول الى اميركا ذلك الجزء من كوكبنا الارضى الذى بقى مجهولا للانسان ، آلافا من السنين .

والالتباس الذى يقع فى اذهان بعض الناس انما يجىء من الاشتراك فى لفظ السماء بين مدلولها اللغوى ومدلولها الغيبى اى الدينى ، فالسماء فى اللغة هى كل ما علاك ، ومنها الكواكب السيارة مثل الشمس والقمر . وفى الدين

هى عالم الملكوت المحفوظ المحروس مقر الملائكه والعرش ، والذى لا يصل اليه ولا يدخله الا من أكرمه الله بذلك ، وهو الذى عرج اليه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعاد منه ، ليلة السابع والعشرين من رجب السنة الثانية عشرة بعد النبـوة ، فأين هذا من السماء اللغوية التى معناها المكان العالى لا غير ؟ ..

ومع هذا فان صعود الانسان الى القمر ، مأثرة علمية جليلة ، وهى مما يستدل به على صحة وقوع المعراج ، وهكذا نرى العلم دائما يسير فى ركاب الـدين .

ومن المعلوم أن السماوات فى النصوص الدينية سبع ، مثل الأرضين ، وهى من خلق الله وصنعه ، ويجب الايمان بها كما نؤمن بعالم الغيب وان لم نره ، ولا يصح تنزيلها على هذه الكواكب المشاهدة من عالمنا الارضى المعروف ، فالكون غير محصور فى هذا العالم ، والعلم لم يحط ولا بهذه الكواكب ، فكيف بالكـون كله ؟ وفى عالم المجرة وحده ما حير عقول العلماء ، علمـاء هـذا العصر ، والمختصين منهم بالدراسات الفلكية قبل غيرهم .

وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه فى هذه الآية : (**الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن**) أنه قال : لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم ، وكفركم تكذيبكم بها . ولعله أشفق عليهم من اجل ان عقولهم لم تكن لتتصور عظمـة هذا الكون وسعته ، بالنسبة الى ما كان عندهم اذ ذاك من عـلم قليل بهـذه الشـؤون .

واذا كان هذا العصر على ما بلغ اليه من رقى فى العلوم الكونية ما يزال يتعثر فى الاتصال بأحد الكواكب السابحة فى الفضاء ، فضائنا الارضى المعدود والمحدود بغاية الدقة ، فما بالنا بآلاف بل ملايين النجوم والكواكب بل المجموعات الشمسية والافلاك التى لا يحصى عددها الا خالقها ؟ فما بالنا بالسماوات السبع والأرضين السبع التى لا نعلمها الا غيبا ، ولا نعرفها الا وحيا ؟ .

ولئن قال بعض علمائنا ان المراد بالسماوات السبع طـرائق السيارات ومداراتها ، وقالوا فى الارضين السبع انها السبعة الأقاليم ، فان مما ينقض هذا القول انه ثبت علميا وجود سيارات أخر ، غير السيارات السـبع المعروفة كأورانوس ونبتون ، وان الاقاليم السبعة لا يصح أن يقال فى كل واحد منها انه ارض الا على ضرب بعيد من المجاز .

على ان النصوص المتواترة تفيد أن خلق السماوات هو من قبيل البنـاء والتشييد : (**والسماء بنيناها بأيـد**) (**وبنينا فوقكم سبعا شـدادا**) حتى أن العلماء يتطرقون الى امكانية الخرق والالتئام ، عند الكلام على المعراج ، فأين هذا من اعتبار طرائق السيارات ومداراتها هى السماوات ، بله جعلها هى هذه الكواكب ، مع ان الكواكب انما هى زينة للسماء الاولى (**وزينا السماء الدنيـا بزينة الكواكب**) ؟

وعلى كل حال فان المعراج كان رحـلة الى السماء ، السماء الحقيقية

بالمعنى الشرعى ، اى باعتبار الحقيقة الشرعية لا السماء اللغوية التى هى كل ما علاك ، وهى رحلة فريدة فى تاريخ الانسانية لم تقع لبشر حى من غير خلاف ، الا لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ولن تقع لأحد بعده على الاطلاق .

والريادة القمرية انما هى استكشاف فضائى ، وفى عالمنا الارضى ، لا يعدو أن يكون مثل استكشاف أميركا وأوستراليا على ظهر البسيطة ، بعد ما بقيتا مجهولتين لنا آلاف السنين كما قلنا فى الاستجواب المشار اليه من قبل .

ومن الغرور أن يعتقد أحد رواد الفضاء ، وهو الرائد السوفياتى الاول يورى جاجارين ، أنه صعد الى السماء وانه لم ير الله هناك . . فان مجرد الزمان الذى يقضيه الرواد فى الرحلة الى القمر ، وقياسه بالزمان الذى قضاه الرسول صلى الله عليه وسلم فى معراجه ، مما يبين الفرق العظيم بين الرحلتين . . وهذا بقطع النظر عن نهايتى الرحلة : القمر والسماء . السماء التى قدر القرآن بعدها من الارض بخمسين الف سنة (**تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة**) فهذه المسافة التى تكاد لا تتصور ، قد قطعها الرسول الكريم فى سويعات من ليلة ، مع ما صحبها من الاسراء من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى . .

فتبارك الله ما أعظم قدرته ، وأجل حكمته ! . .

واختم هذه الكلمة بقصيدة رجزية كنت قلتها لما قال جاجارين كلمته النكراء آنفــة الذكر :

وقال رائــد الفضا من جهــله — ما إن رأيت الله فى الســماء
اى سماء رادها وهـــل درى — أن السما ليست من الفضـــاء

* * *

وهــل درى بانه ســبحانه — ما إن يرى بهيكل الفنـــــاء
قال لموسى الطهــر لن ترانى . — فكيف بالحصَّـــاد والبنَّـــاء

* * *

وهل درى أن الســماء لم تكن — قط مكان الله ذى الســناء
فالله فوق عرشه قــد استوى — وأين عرشـــــه من الأجــواء

* * *

وقد نهى نبينــــــا محمــد — فيما روى عنــه ذوو الانبــاء
عن المفاضـــلة بين من رقى — الى السما ومن هوى فى الماء(١)

* * *

فان ربنــــا تعــالى معنـــا — بعلمـــه المحيط بالاشــياء
فى كل ما اينٍ نكــون فيـــه — وكـــل ماء آنٍ من الآنـــاء

* * *

يا زلـــة ما إن لها إقـــالة — وهل لداء الهــذر من دواء ؟
فقسما لو ان (لايـكا) نطقت — لما أتت بهـــذه العوراء (٢)

---

(١) اشارة الى الحديث : لا تفضلونى على يونس بن متى .

(٢) العوراء : الكلمة الشنيعة ، ولايكا هى الكلبـــة التى كانت اول مخلوق أرضى حى نزل على القمر .

ثلاثة مساجد وثلاث دلالات

محمد فوزي

المسجد الحرام :

مسجد المدينة :

المسجد الأقصى :

* يروى عن ابى هريرة رضى الله عنه ، قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تشد الرحال الا لثلاثة مساجد : مسجدى هذا ، ومسجد الحرام ، ومسجد الاقصى » . ومعنى شد الرحال الى هذه المساجد : القصد فى الانتقال اليها لزيارتها واداء الصلاة فيها .

والاسلام يحتاط كثيرا فى ربط العبادة بالاماكن ، خشية ان تتحول العبادة من الله لذات الاماكن نفسها ، ومن ثم يعود الشرك بالله من جديد . ولكنه يربط مناسك الحج باماكن معينة فى مكة وما حولها : لاحياء ذكريات تاريخية خاصة .. او استهداف غايات دينية معينة . وعلى نحو ربط عبادة الحج باماكن معينة وجواز الانتقال اليها لاداء هذه العبادة .. كذلك يجيز الانتقال الى هذه المساجد الثلاثة واداء عبادة الصلاة فيها ، لاهداف تستهدف من زيارتها ، بجانب اداء الصلاة فيها .

صيانة هذه المساجد وبقاؤها تحت إمرة المسلمين واجب ديني .. وتاريخي .. وانساني في عنق المسلمين وحدهم !!

اقترن بمقاومة الالحاد واتجاه المادية

اقترن بريادة الدعوة الاسلامية في تصحيح انحرافات أهل الكتاب

اقترن بقيام مجتمع انساني معافى من وباء المادية

للاستاذ الدكتور محمد البهى

عودة الرسالة الالهية إلى صفائها

* فالمسجد الحرام بمكة : زيارته وأداء الصلاة فيه يذكران المؤمن برسالة الرسول عليه الصلاة والسلام : بعودة الرسالة الالهية الى صفائها ، والى ما كانت عليه ، على عهد ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام . فالكعبة فيه اول بيت لله : « **إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم** » (١) .. وأقامه ابراهيم واسماعيل : « **واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت ، واسماعيل ربنا تقبل منا ، انك انت السميع العليم** » (٢) .. وقصدا من اقامته : الدعاء والصلاة فيه بأن يجعلهما مسلمين ويخلق منهما أمة مسلمة : « **ربنا واجعلنا مسلمين لك** ، ومن

ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم » (٣)

وعهد الله الى ابراهيم واسماعيل بجانب الدعوة الى الاسلام . ازالة آثار الشرك والوثنية المادية في محيط بيته ، حتى تكون عبادة الناس فيه خالصة لله وحده : **« وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل : ان طهرا بيتي للطائفين ، والعاكفين ، والركع السجود »** (٤) .. وحتى يستقر الامر للاسلام وحده ، ويكون ما عداه ، كفرا وسفها : **« ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه في الدنيا ، وانه في الآخرة لمن الصالحين »** (٥) .

وبالكعبة – بيت الله – في المسجد الحرام بمكة ارتبطت ذكريات تاريخية كانت أهدافا لرسالة ابراهيم واصبحت مستهدفة كذلك في رسالة محمد بن عبد الله من نسل ابراهيم ، ولده اسماعيل ، بعد ان طغت الوثنية المادية على حياة المكيين :

الذكرى الاولى : وجود اول بيت لله ، فيه ، يجب أن يحافظ عليه كل مؤمن بالله .

الذكرى الثانية : اعلان الاسلام ، بعد الايمان به ، واتخاذه دينا للبشرية كلها .

الذكرى الثالثة : مقاومة الوثنية المادية ، وتطهير الحياة الانسانية منها ، وتخليص الانسان في عبادته لله من صنوف الشرك ، واتجاهات المادية .

.. أصبحت هذه الذكريات الثلاث مستهدفة في جانب كبير من رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم ، لان الفترة التى مرت على مكة منذ ابراهيم وولده اسماعيل .. حتى رسالة المصطفى عليه السلام غيرت معالم رسالة ابراهيم في مكة .. وحولتها الى مادية جارفة اوصلت الانسان هناك الى أن يعبد الاصنام ويشركها في العبادة مع الله سبحانه وتعالى . وبذلك كانت مقاومة الوثنية المادية من جديد أمرا رئيسيا في رسالته عليه السلام بجانب اعلان الاسلام والدعوة اليه ، بعد الايمان به ، وبجانب الاحتفاظ ببيت الله في مكة خالصا لعبادة الله وحده ، وبعيدا عن الشرك والوثنية .

وتصوير الدعوة في القرآن : الى الوحدة في الالوهية ، كما يصور فيه : بيان مضار الشرك والوثنية المادية على الانسانية .. امر هذه المقاومة . ويعتبر ما اوحى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو بمكة قبل الهجرة .. خاصا بالمادية واتجاهاتها : واساس المادية كما يحددها القرآن في : عدم الايمان بالله .. وعدم الايمان باليوم الآخر .. وعدم تحريم ما حرم الله ورسوله . وجاء هذا الاساس في وصف الماديين عند مطالبة القرآن رسول الله صلى الله عليه وسلم – والمؤمنين معه – ان يقاتلوهم في قوله : **« قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله »** (٦) . وجعل الغاية من قتالهم : أن يكون الدين كله لله ، أى أن تكون العبادة له وحده : **« وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين لله ، فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير . وان تولوا فاعلموا : ان الله مولاكم ، نعم المولى ونعم النصير »** (٧) . وفي تأكيد ولاية الله للمؤمنين ومساندته لهم في قتالهم ضد الماديين ، ووعده بنصرهم عليهم . ما يوضح خطورة أصحاب الاتجاه المادى في الحياة ، ومبلغ عبثهم وفسادهم ، ومنتهى سخريتهم بالقيم العليا التى تتمثل أخيرا في صفات المولى سبحانه .

وقد أتم الرسول عليه الصلاة والسلام في حياته بفتح مكة : تحقيق

الاهداف الثلاثة التى ارتبطت ببيت الله بمكة : فحقق مقاومة المادية . ومظهر الكمية من مظاهر هذه المادية التى تمثلت فى احط صوره لها ، وهى صورة الاصنام التى لا تنفع ولا تضر . وبذلك حافظ على ان يبقى بيت الله لله وحده ، لا شريك له ، واعاد رسالة ابراهيم واسماعيل فى نصاعتها وهى رسالة الاسلام ، وتكوين أمة مسلمة خالصة لوجه الله .

فزيارة المسجد الحرام بمكة وشد الرحال اليه ليس لانه مكان عبادة . ولكن لانه يذكر كل مؤمن قادم اليه بالمهمة التى انجزها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياته، بتكليف من ربه . وهى مهمة مقاومة المادية ، التى هى ليست ممثلة فحسب فى الاصنام . ولكن قبل ذلك : ممثلة فى عدم الايمان بالله واليوم الآخر ، وعدم تحريم ما حرم الله ورسوله ، على اى عهد وفى اى عصر . وبالانتصار على المادية ينتهى الشرك بالله ، ويصان بيت الله ، لله وحده . ولقد جاء قوله تعالى : « **يا ايها الذين آمنوا : انما المشركون نجس . فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا** » (٨) .. تعبيرا عما يجب أن يكون لدى المؤمنين من اصرار على مقاومة المادية مقاومة مستمرة . اذ لو تركت وشأنها ربما تطغى وتقتحم من جديد كل مكان يعلو فيه صوت المؤذن بـ : لا اله الا الله ، محمد رسول الله .

والمادية اذن ليست المادة .. وليست الاستمتاع بها . ولكنها اتجاه مخرب فى الحياة للقيم الانسانية ، وللروابط السليمة فى المجتمعات البشرية .

تصحيح رسالة موسى وعيسى من تحريف بنى اسرائيل

* وزيارة بيت المقدس ـ او المسجد الاقصى ـ وأداء الصلاة فيه يذكران المؤمن برسالة الرسول عليه الصلاة والسلام بما طلب اليه فى كتاب الله من اعلان تصحيح رسالة موسى وعيسى وابعاد ما لحقها من تحريف على يد بنى اسرائيل : « **ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون** » (٩) . وقد جاء تحريفهم على نحو ما يحكيه قوله تعالى : « **وما قدروا الله حق قدره ، اذ قالوا : ما انزل الله على بشر من شىء ، قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس ؟** (والحديث هنا عن الماديين المشركين بمكة) **تجعلونه** (والخطاب الآن الى بنى اسرائيل) **قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا** (اى انهم قسموا كتاب موسى الى صحف واجزاء ؛ ابدوا البعض .. واخفوا الكثير منها . وهذا كناية عن أن التوراة لم تعد صالحة الآن : لأن تكون نورا وهدى للناس ، كما جاءت اول الامر . ولذا كان هناك فراغ فى البشرية نزل القرآن ليملأه . كما أشير بعد فى هذه السورة ، فى قوله : « **وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه** (يعنى التوراة) » .

واسراء الله بعبده : محمد صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس هو بمثابة زيارة له من الرسول . فاذا ضم الى هذه الزيارة اداؤه عليه السلام الصلاة فيه ـ كما يروى فى الحديث الصحيح ـ وامامته فى هذه الصلاة : لانبياء بنى اسرائيل ومن بينهم : موسى وعيسى .. عد ذلك توجيها من الله بمهمته مع أهل الكتاب . وهى مهمة التوجيه .. وهى مهمة الكشف عن التصحيف واعلان الباطل الذى باشره المستكبرون من الزعماء فى بنى اسرائيل : فى استغلال الرسالة

الالهية التى تصورهـــا التوراة فى عهديها القديم ، والجديد .

وشـــد الرحال من اتباع الرسول عليه السلام بعده الى اليوم : الى بيت المقدس ، وأداء الصلاة هناك . تذكير بحادث الاسراء .. وبالتـــالى تذكير بما كان لزيارته عليه السلام من ارتباط بوجوب اعلان الحق فى رسالة الله ، ازاء أهل الكتاب . مما تآمر على اخفائه المتآمرون من بنى اسرائيل ، لمصـــالح دنيويـــة يرجونها من وراء ما يخفون من الهداية الالهية .

والقرآن الكريم يفصل بين آياته دعوة أهل الكتاب الى الرجوع الى الحق ، فيقول فى بعضها : ((**قل : يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد الا الله ، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله** (كما كان النمط الاخير : هو شأن المستضعفين من المستكبرين فى مجتمـــــع بنى اسرائيل) **فان تولوا فقولوا : اشهدوا بانا مسلمون . يا أهـــل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم ، وما انزلت التوراة والانجيل إلا من بعده ، أفـــلا تعقلون ؟))** (١٠) .

ولم يرق لزعماء بنى اسرائيل ان يعلن القرآن الحق الذى اخفوه بصورة ما فى رسالة الله لموسى . لان اعلانه سيفوت عليهم مصالحهم الدنيوية . واصروا على أن ما أبدوه من كتـــاب موسى يمثل وحده الحق ، وان ما عداه مما جاء بتصحيحه القـــرآن : كذب واختلاق : ويقص القرآن فى هذا الشأن قول الله تعالى : ((**واذا بدلنا آية مكان آية** (اى اذا غير الله فى القرآن واتى بحكم فيه على خلاف ما فى التوراة) **والله اعلم بما ينزل، قالوا** (اى لرسول الله عليه السلام) : **انما انت مفتر ، بل اكثرهم لا يعلمون. قل :نزله روح القدس من ربك بالحق، ليثبت الذين آمنوا وهـــدى وبشرى للمسلمين))** (١١) .

وبيت المقدس من اجل المهمة التى نيطت برسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعوته : فى مواجهة اهل الكتاب .. **لا يقل اهمية اطلاقا فى** حياة المسلمين وفى دعوة القرآن ، عن أهمية بيت الله فى مكة . فكل منهما يتصل اتصالا وثيقا برســـالة الله التى أوحى بها الى رســـــول الله محمد بن عبد الله صـــــلوات الله عليه وسلامه . فقــــــد طالب القرآن — ويطالب المؤمنين به الى يوم البعث — بمواجهة الماديين الذين تمركز نشاطهم اذ ذاك فى الكعبة: بضلالهم .. كما طالب ، ويطـــالب المؤمنين به ايضا الى يوم البعث ، بمواجهة أهل الكتاب — الذين اتخذوا من بيت المقدس قبل الاسلام مقـــر نشاطهم : بتزييفهم فى رسالة الله . وبوجوب عودتهم الى دين الله ، كما يعبر عنه القرآن ويعبر عنـــه دين ابراهيم : جد اجدادهم وآبائهم . وكل من بيت المقدس ، وبيت الله بمكة اذن : مشعر ، او تعبير مجسم لجانب من جـــوانب الدعـــــوة الاسلامية . وفقد المسلمين لاى منهما — فى اى وقت — هو فقد للعوامل التاريخية التى تذكى روح النشـــاط للدعوة الى الاسلام ، والتى تعود بصلة الرسالة للرسول عليه السلام الى ابراهيم ، والتى تلقى الضـــوء الواضح على حق هذه الرســـالة فى مواجهة ضلال الماديين، وتصحيف المستكبرين من اهل الكتاب ، والتى تضع امام البشرية الى يوم البعث: هداية الله للمستوى الفاضـــل من الانسانية .

الصراط الســـوى
للمجتمع الانسانى المهذب

* وزيارة مسجد المدينة النبوية، واداء الصلاة فيه يذكـــران المؤمن

برسالة الرسول عليه السلام : انــه المسجد الذى اسس على التقوى من أول يوم ، كما يذكران ببناء المجتمع الاسلامى وتطوره فى هذا البناء الذى ارتبط به .. الى ان انتهى الوحى بقوله تعالى : ((... **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليــكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينــا)) (١٢)** .

فشأن المجتمع الاسلامى : فى علاقة افراده بعضهم ببعض . وفى سياسة حكمه . وفى صلاته بالآخرين فى المجتمعات الاخرى .. تحدد فى هذا المسجد بما كان يتلوه فيه رســـول الله عليه السلام : من وحى ينزل عليه ، لمعالجة مشاكـــل المؤمنين وقضاياهم التى كانت تحدث لهم ، وتتجدد من حين الى آخر .

والقرآن الكريم — بما جـاء فى السور المدنية منه — يوفر للمؤمنين دستور هذا البناء ، ونظام حـــكم مجتمعهم : ان فى العلاقات الاجتماعية .. او فى المعامـــلات الاقتصادية والمالية .. او فى شؤون الاسرة . او شؤون الحرب والسلم .. أو فى شؤون السياسة الدولية .

وهكذا : ان اقترن بيت الله بمكة بمقاومة الالحاد واتجاه المادية فى الدعوة الاسلامية .. واقترن بيت المقدس والمسجد الاقصى هنـــاك بريادة الدعوة الاسلامية فى تصحيح انحرافات اهل الكتاب .. فمسجد المدينة يقترن بقيام مجتمع انسانى معافا من وباء المادية ، ومـــرض الاختلاق والتصحيف فى الرســالة الالهية من أصحاب النفعيـــة ممن وقعوا تحت تأثير اغراء الدنيا وجاه الحياة المادية من أهل الكتاب .

والقرآن فى دعوته موزع على هذه الاتجاهات الثلاثة : توضيح عاقبـــة المادية وشرورها على البشرية : فى حديثه عن الشرك والمشركــين .. وتوضيح التحريف فى الرسالـــة الالهية : فى كلامه عن أهل الكتاب ومعارضتهم لدعوة الرسول عليـــه السلام .. وتوضيح الصراط السوى للمجتمع الانسانى المهذب : فى تناوله للمؤمنين ولآثار الايمان فى الحيـــاة الانســانية .

* * *

وشد الرحال الى هذه المســاجد الثلاثة له دلالته القوية اذن ، وله كذلك آثاره على المؤمن فى اعتزازه بانتسابه الى أمة القرآن . لانهــا الأمة التى تقيم مجتمعها على أساس من التقوى .. على أساس من تجنب مفاسد المادية ، وتجنب استغلال دين الله فى سبيل مصالح دنيوية .

وطالما كانت الفرصة أمام المسلمين متاحة لزيارة هذه المساجد الثلاثة . فسبيل الاعتزاز والفخر بالانتماء الى الأمة الاسلامية مفتوح لكل مسلم ، لم يغلق بعد . ومن هنا كـــانت صيانة هذه المساجد الثلاثة وبقاؤها تحت أمرة المسلمين : واجبا دينيا .. وتاريخيا .. وإنسانيا ، فى عنـــق المسلمين وحدهم .

---

(١) آل عمران : ٩٦/٩٧.
(٢) البقرة : ١٢٧
(٣) البقرة : ١٢٨
(٤) البقرة : ١٢٥
(٥) البقرة : ١٣٠
(٦) التوبة : ٣٩
(٧) الانفال : ٣٠/٢٩
(٨) التوبة : ٢٨
(٩) النمل : ٧٦
(١٠) آل عمران : ٦٤ ، ٦٥
(١١) النحل : ١٠١ و ١٠٢ .
(١٢) المـائدة : ٣

على هامش الإسراء

للشيخ محمد الغزالى

عندما يتدبر التالى سورة الجمعة يرى فى آياتها منعة الأمة العربية . والحكمة التى من أجلهــا ولدت فى التاريخ !

ولك أن تسأل : ما علاقة أمــة العرب بسورة الجمعة ؟ وقد جرى فى نفسى هذا التساؤل قبل أن أعلم أن يوم الجمعــــة كان يسمى فى الجاهلية « يوم العروبة » ثم غلب عليه عنوان الشهيرة التى استحدثها الاسلام ، والتى لم يكن العرب من قبل يتشوقون لها ، أو يلتقون فى عبقتها !

ومعروف أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يصل الجمعــة فى مكة ، وإنما صلاها بعد ما قدم المدينــة ، فهل صليت فى المدينة قبل الهجـــرة النبوية إليها ؟

يبدو أن ذلك قد وقع فقد روى عبد الرزاق فى مسنده قال : « جمع أهل المدينة قبل أن يقدمها النبى صلى الله عليه وسلم ، وقبــل أن تنزل الجمعة . قالت الأنصار : إن لليهود يوما يجتمعون فيه كل سبعة أيام ، وللنصارى مثل ذلك . فهلم فلنجعل يوما نجتمع فيه نذكر الله تعالى ونصلى فيه . فجعلوه يوم العروبة . واجتمعوا إلى « أسعد بن زرارة » فصلى بهم . وقد روى ذلك الحديث من طرق أخرى صحيحة .

فكان سورة الجمعة هى سورة

العروبة ! فلننظر بعد هذه التقدمة إلى السورة نفسها .

لقد بدأت بتسبيح الله الملك القدوس العزيز الحكيم . والله ولى المنة والفضل ، وأهل التقوى والمغفرة ، وقيم السموات والارض ومن فيهن . »

ومن حكمة الله الماضية إلى يوم الدين أن يمنح اصطفاءه من شاء من الأفراد والأجناس ليكونوا مجلى رحمته ، ومظهر نعمائه .

وفى الآية الثانية من هذه السورة، وبعد ثناء الرحمن على ذاته ، ذكر ــ تبارك اسمه ــ أنه اختار العرب ليحملوا رسالته الخاتمة إلى خلقه « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته .. ويزكيهم .. ويعلمهم الكتاب والحكمة .. وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » .

وقوام هذا الاختيار ثلاثة معان بارزة !

● الأول : تلاوة آيات الله : فإن أهل الكتاب أخفوا كثيرا منها ، وعبثوا بمعالم الوحى حتى التبس الحق بالباطل ، وتحول الدين من أفواههم إلى سقام للعقول والضمائر بدل أن يكون شفاء لما فى الصدور ، واستنارة لذوى الألباب .

.. لكن النبى الخاتم تلا على أمته آيات الله كاملة غير منقوصة ، مستقيمة لا عوج فيها واصبح العرب من بعده أمناء الله على هداياته ، وفى أيديهم وحدها الصحائف التى لا ترقى إليها ريبة ، ولا تلحقها آفة .

● وتلاوة الحق يتبعها التأثر به ، والارتفاع إلى مستواه سيرة وسريرة، وذلك معنى التزكية ، وقد ربى محمد عليه الصلاة والسلام جيلا من الناس له فضل أدب وتقوى أهله لقيادة العالم عن جدارة لا عن دعوى .

والمتأمل فى مسالك هؤلاء الأميين من العرب يعجب لإدمانهم العبادة ، وحبهم الجهاد ، وغيرتهم على الحق ، ونفورهم من الدنايا .

إن هذه الأمة الجديدة التزمت نهجا فى التربية النفسية والاجتماعية ، أعز الإيمان ، وأعلى قدره !!

● والمدد العقلى لهذه الرفعة الخلقية والسياسية نبع من علوم الكتاب والسنة ، ومدارسة ما أودع الله فيها من حكمة بالغة .. ثم إن علوم الدين عندنا تتسع دائرتها لتشمل الكون كله ، أى لتشمل كل ما يدل على الله ، ويكشف عن جلاله وعظمته . ومن هنا كانت الحضارة الإسلامية تستند إلى الوحى الحق ، وما ينبعث عن هذا الوحى من علم وأدب .

وذلك ما نهضت به الأمة العربية فأضاءت ظلمات التاريخ ، وصححت مسيرة الحياة . وذلك ما أسداه محمد للناس واولهم قومه « وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » .. لكن عهد العرب بالنبوات بعيد ، فإن علم « الكتاب » عرف بقوم آخرين تخصصوا فيه وتوفروا عليه ، أما العرب أنفسهم فقد ألفوا الأمية وألفتهم ، حتى أصبح اسم « الأميين » علما عليهم ..

فأنى لهم قياد العالم فى هذا المجال ؟ وهؤلاء ، بنو اسرائيل قد احتكروا النبوات دهرا طويلا ؟ حتى ظنوا أنفسهم همزة الوصل بين الأرض والسماء ، وتسموا بالشعب

المختـار إشارة إلى هـذه المكانة العتيـدة !!!

هنا يرد قوله تعالى فى سـورة «الجمعة» أو فى سورة «العروبة» : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشـاء والله ذو الفضل العظيم » .

لكن الفضل الإلهى لا يتنزل على من لا يترشح له ، ولا ينسحب عن أمة دون سبب واضح ! فلم عزل الله اليهود وأحل مكانهم العرب ؟

وبدأت السورة تجيب على هـذا التساؤل « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا ، بئس مثل القـوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدى القوم الظـالمين » .

إنك لا تأمن على تأديب ولدك معلما سيىء الأخلاق ردىء الطبائع ! فكيف يكل الله تربية العالمين لشعب قاسى القلب ، مظلم السريرة ، جـامح الشـهوات ؟

لقد عزل اليهود عن مكانتهم القديمة لأنهم برذائلهم ومعاصيهم هبطـوا دونها ؟ .. إن صلتهم بالوحى الإلهى تشـبه صلة الدابة بما تحمـل من كتب .

وما داموا لم يستفيدوا هم أنفسهم منها فكيف يفيدون غيرهم ؟

ومن ثم جردوا من أمجادهم الأولى وقلد العرب هذه الأمجاد ، فالعرب ـ بابتعاث محمد منهم ـ أصبحـوا الشعب المختار الجديد المكلف بحمل أمانات الوحى المؤتمن على هدايات الله !!

ومضت سورة « الجمعـة » أو سورة « العروبة » تسرد العيـوب الجسيمة التى فشت بين اليهـود فأزلتهم عما كانوا فيه من فضـل رفيـع .

إن موالاه الله تقتضى حتما البذل فيه ، والتضحية من أجله ، وإيثـار ما عنده على الدنيا وما فيها .

وموالاة الله تجعل ذويه يحبون الآخرة أكثر مما يحب غيرهم الدنيا ، وتطهرهم تطهيرا من الجبن والإخلاد إلى الأرض .

ولكن اليهود بلغوا فى حب المال حـد الشره ، وفى حب الحياة حد التشبث بها والحرص عليها .

وقد أخذت السورة الكريمة تقرعهم على هذه الخلال « قل : يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا المـوت إن كنتم صادقين . ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم .. الآيات » .

إن الأمة العربية لما اختارها الله لحمل رسالته الخاتمة كـانت أنقى جوهرا ، وأعمق أثـرا ، من بنى إسرائيل ! ..

ويبدو أن العرب حتى فى جاهليتهم الأولى ـ كانوا يحسون فتك الأمراض النفسية والاجتماعية بأهـل الكتاب المجاورين لهم ، وأن هؤلاء الكتابيين يفقدون الصلاحية المفروضـة فيمن يتصل بالوحى ويتحدث عنه !

وتأمل قوله تعالى وهو يستحث العرب على الإيمان « وهذا كتـاب أنزلناه مبارك فاتبعـوه واتقـوا لعلكم ترحمون . أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين . أو تقولوا : لو أنا أنزلنا علينا الكتاب لكنـا أهدى منهم .. » !!

إن أولئك الأميين لا يقولون ذلك إلا لأنهم احتقروا أهـل الكتاب ، واكتشفوا فى بواطنهم وظـواهرهم ما يسـوء .

والواقع ان التدين الفاسد لعنة على الحياة ، وأن تحول الدين إلى كهانة واحراف واحتكار يخلق طائفة من المرضى المستكبرين او الموجهين المنخورين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ، تتاخر بهم الحياة ولا تتقدم، وتشقى بهم ولا تسعد .

من أجل ذلك اصطفى الله العرب بعد ما آتاهم رشدهم ، وأقام عوجهم، فخرجوا على الناس وهم اسلم فطرة وأهدى سبيلا .

فكان انسياحهم فى الأرض عجبا ، وكانت بركتهم على الحياة نامية ، وكانت ضرباتهم للباطل حاسمة شافية ، وما ندرى أى درك كانت الدنيا جمعاء سوف تهوى اليه لو لم ينطلق العرب شرقا وغربا بهذا الدين الحنيف ..

وفى الموازنة بين الأمة الجديدة ، حاملة الرسالة الخاتمة ، وبين أهل الكتاب الأوائل يقول الله تعالى «كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم .. منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون » .

والأمم تصلح للحياة والسيادة بمقدار كثرة الخير وقلة الشر فيها .
إن مادة الشر يستحيل أن تنحسم من بين الناس ولو كان الأنبياء رعاتهمولكن الأمم إذا توارى الانحراف فى مساربها وشعر فاعلوه بنكره ، واستعلن البر فى أرجائها ، وشعر فاعلوه بمجده كانت أجدر بالبقاء ، وأحق برعاية الله .

أما إذا قل الأخيار ، وبرز الفجار فإن البلاء يعم ، والانكسار يحيق ، ما يغنى فى دفعه مصلح نادر ، وتقوى ضئيلة !!

والأمر بالمعروف يجىء إثر الإحساس بحقهفى الظهوروالسيادة، والنهى عن المنكر يجىء إثر الإحساس بضرورة استخذائه واستخفائه . وهذا وذاك يلدهما الإيمان النابض بالقدرة والنشاط .

وقد كان ذلك الإيمان سمة الأمة الفتية الناشئة من قلب الصحراء .
أما بقايا أهل الكتاب فإن العفن الفكرى أو النفسى كان ضاربا فى أحوالهم وأعمالهم .

وربما اصطلحت ضمائرهم مع المنكر فأساغته ، وتراخت عن المعروف فتركته ينسحق تحت أقدام الطغاة والفساق .

كان العالم ــ والحالة هذه ــ فقيرا إلى نجدة تسعف الحق المهزوم ، والشر المتبجح ، وذلك ما فعله أبناء القرآن الكريم الذين نفخ فيهم محمد من روحه وتعهدهم بحكمته .. !

وفى سورة الجمعة ، أو سورة العروبة ، نرى أن الله ذكر فضله على العرب بهذه الرسالة فقال : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » .

ثم شرع يذكر مآسى بنى اسرائيل وغدرهم بما اخذ عليهم من عهود .
أما فى سورة آل عمران فإن الله جل شأنه ذكر اولا انحراف اليهود وفسقهم عن أمر الله ثم اعلن عزله لهم ، ونزع الملك منهم ، واختيار العرب دونهم لقيادة العالم .

فقال اولا : « الم تر إلى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم

يؤتى فريق منهم وهم معرضون » .

وبعد أن رفض هذا السلوك ، وبنى عليه طرد أصحابه وجه الخطاب إلى نبيه محمد : « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدر » وظاهر من السياق ان ذلك فى إيثار محمد وامته العربية على بنى اسرائيل! قد تقول : ما علاقة هذا كله بقصة الإسراء ؟ والجواب ان ليلة الإسراء كانت تقريرا عمليا للحقـــائق التى ابرزناها من سورة الجمعة ، وغيرها ، قلنا فى كتابنا « فقه السيرة » : « لماذا كانت الرحلة إلى بيت المقدس ، ولم تبدأ من المسجد الحرام إلى سدرة المنتهى مباشرة ؟

إن هذا يرجع بنا الى تاريخ قديم . فقد ظلت النبوات دهورا طوالا وهى وقف على بنى اسرائيل . ظل بيت المقدس مهبط الوحى ، ومشرق أنواره على الأرض ، وقصبة الوطن المحبب الى شعب الله المختار .

فلما أهدر اليهود كرامة الوحى واسقطوا أحكام السماء ، حلت بهم لعنة الله ، وتقرر تحويل النبـــوة عنهم إلى الأبد : ومن ثم كان مجيء الرسالة الى محمد صلى الله عليه وسلم انتقالا بالقيـــادة الروحية فى العالم ، من امة إلى امة ومن بلد إلى بلد ، ومن ذرية « اسرائيل » الى ذرية « اســـماعيل » .

وقد كان غضب اليهود مشتعلا لهذا التحول ، مما دعاهم إلى المسارعة بإنكاره « بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشـــاء مـــن عباده فباءوا بغضب على غضب » .

لكن إرادة اللـــه مضت ، وحملت الأمة الجديدة رسالتها ، وورث النبى العربى تعاليم : ابراهيم ، واسماعيل ، واسحاق ، ويعقوب ، وقام يكـــافح لنشرها وجمع الناس عليها فكان من وصل الحاضر بالماضى ، وإدمـــاج الكل فى حقيقة واحدة ، أن يعتبر المسجد الأقصى ثالث الحرمين فـــى الإسلام ، وأن ينتقل إليه الرسول فى إسرائه فيكون هـــذا الانتقال احتراما للايمان الذى درج — قديما — فى رحابه .. ثم يجمع الله المرسلين السابقين من حملة الهداية فى هذه الأرض وما حولها ليستقبلوا صاحب الرسالة الخاتمة .

إن النبوات يصدق بعضها بعضا ، ويمهد السابق منها للاحق وقد اخذ الله الميثاق على انبياء بنى اسرائيل بذلك . « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن بـــه ولتنصرنه قال : أأقررتم واخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قـــال : فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » .

وفى السنة الصحيحة أن الرسول صلى بإخوانه الانبيـــاء ركعتين فى المسجد الأقصى فكانت هذه الإمامة إقرارا مبينا بأن الإسلام كلمة الله الأخيرة إلى خلقه ، أخذت تمامها على يد « محمد » بعد ان وطأ لها العباد الصالحون من رســـل الله الأولين والكشف عن منزلة محمد صلى الله عليه وسلم ودينه ليس مدحا يساق فى حفل تكريم ، بل هو بيان حقيقة مقررة فى عالم الهداية ومنذ تولت السماء إرشاد الأرض ، ولكنه جاء فى إبانه المناسب .

لماذا سردت هذا القصص الغابر ؟ إنه ليس سرد تاريخ مضى ، وخبر كان .. !!

إنه تعريف أمة تائهة بحقيقتها ، ورسالتها ، وقدرها المكتوب ، وحسابها الدقيق !!

إن العرب ينبغى أن يعرفوا : من هم ؟ وبم أوثروا ؟ وما المطلوب منهم لليوم الحاضر والغد القريب .

وسورة الإسراء التى حكت فى الآية الأولى وحدها خلاصة القصة ، ثم تتابعت آياتها تستعرض الحكم ، وتسوق النذر .. هذه السورة أكدت للعرب مثل ما أكدت لغيرهم أن الله يعامل شتى الأجناس بقانون موحد لا مكان فيه لمحاباة أو فوضى .

فمن تطلع إلى الدنيا وحدها حبسه الله فى نطاقها ورمى إليه — جل شأنه — بما يريد منها . أما الآخرة فلا بد لكسبها من شروط ثلاثة :

- أن تكون إليها الوجهة .
- أن يقترن الاتجاه بالسعى الجاد .
- أن يقترن السعى بالإيمان الخالص .

وفى الفريقين معا يقول الله جل شأنه : « من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا . ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا » هذا الحكم ينطبق على خلق الله أجمعين لا يستثنى منهم أحد .

فماذا يريد العرب من الله ؟ إن غيرهم لما أهان وحيه نزعت منه الراية ، وأهين فى الأرض والسماء، فهل يريدون أن يتنكروا لوحى الله لديهم ، ومواريثه بينهم ، ثم يتجاوز عنهم ، ويبسط يده عليهم بالخير والنصر ؟

« أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم !! ساء ما يحكمون ! »

ونعود إلى خواتيم سورة الجمعة أو « سورة العروبة » ، لنرى فيها السعى إلى ذكر الله واقام الصلاة فاذا وفينا بحق الله انتشرنا فى الأرض لننال من خيرها ما يعيننا على أسباب الفلاح .

إن الدين والدنيا قد اجتمعا عندنا فى قرن ، واتسقا فى غاية « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » .



خطوات النبى

للاستاذ : عبد الكريم الخطيب

تمهيد :

يعد الاسراء حدثا بارزا من أحداث الاسلام ، ومعلما واضحا من معالمه، اذ كان متصلا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكاشفا عن شأن من شئونه مع ربه جل وعلا ، الامر الذى يعنى كل مسلم أن يتعرف اليه ، وأن يتلقى العبرة والعظة منه ، شأنه فى هذا شأنه مع كل ما يتصل بسيرة رسول الله ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ من قريب ، أو بعيد . .

ففيه ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ القــدوة والأســـوة لكل مؤمن ومؤمنة : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثـــيرا » (٢١ : الاحزاب) .

والحديث عن الاسراء ، يتلقــاه المسلمون وحيا من عند الله ، فيما نزل من آيات القرآن الكريم ، على رسوله الامين . . ومن هنـــا كان الايمان به ، والتصديق بوقوعه على الصورة التى جاء بها القرآن الكريم، شرطا لازما لايمـــان كل مؤمن بالله ورسوله ، فمن كذب به ، أو شك فيه ، فهو على غير الايمان ، وعلى غير سبيل المؤمنين .

القرآن والاسراء :

وفى القرآن الكريم سورة تسمى سورة الاسراء ، آخذة اســـمها من هذا الحدث العظيم ، الذى استفتحت به آياتها ، وذلك بقوله تعـــالى : **« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنـــا انه هو السميع البصير »** .

وفى هذا الاطار المحدود من النظم القرآنى جمع القرآن الكريم حديث الاسراء كله ، فى زمانه ، ومكانه ، ومعطيـــاته . . وانه بحسب المؤمن من حديث الاسراء أن يتلو هذه الآية الكريمة ، وأن يقف بين يديهـــا فى خشوع ، مفكرا ، متدبرا ليجـــد ما يحف برسول الله من ألطاف ربه . وما يفاض عليه من جليل آلائه ومننه،

في الجو العطر والأفق الطهور

مما يعجز البيان عن وصفه ، وتشفق الكلمات من حمله ..

ونحن اذ نحاول أن نرصد مطلع هذه الآية الكريمة ، وأن نتملى على ضوء نورها القدسى مشاهد هذه الرحلة المباركة ، ونرقب آثار خطوات النبى فى جوها العطر ، وعلى أفقها الطهور — نحن اذ نفعل هذا فانما لنروى ظمأ ، ونبل أشواقا من هذا المورد العذب ، الذى من نغب نغبة منه ، وجد ريا لا ظمأ بعده .. !

ونود قبل أن نبدأ هذه المحاولة ، ونتزود من الآية الكريمة بالنور الذى سيكون دليلنا فى تلك المسيرة الروحية — أن نقف قليلا على أول الطريق ، حتى تألف أبصارنا هذا النور الساطع وتأنس به ، كى لا يخطفها اذا هى هجمت عليه ، والقت بوجودها فى عبابه ..

وأول ما ينبغى أن نتنبه له ، وننبه اليه ، هو ما بين آية الاسراء التى افتتحت بها السورة ، وبين الآية التى ختمت بها سورة (النحل) قبلها ، من تطابق ، وتوافق ، وتناسب ، الامر الذى يجعل منهما معا قضية واحدة ، أحد طرفيها مقدمة والآخر نتيجة لتلك المقدمة ..

فلقد ختمت سورة النحل بقوله تعالى مخاطبا النبى الكريم : « **واصبر وما صبرك الا بالله ، ولا تحزن عليهم ، ولا تك فى ضيق مما يمكرون ، ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** » .. وفى هذا ما يشير الى تلك الحال من الضيق والالم التى كان يعانيها النبى صلى الله عليه وسلم ، من عناد قومه ، وخلافهم له ، وما كان يجد لذلك فى نفسه من مشاعر الاسف والحزن ، الذى لا يخفف لواعجه ، ولا يطفىء تأججه الا ما كان يتنزل عليه من آيات ربه ، وما تحمل اليه من عزاء كريم ، يمسح بيد اللطف على تلك الجراح الغائرة ، التى كانت تصيبه من رميات قومه وأهله ، ومن ذلك قوله تعالى : « **ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون ، فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** » (٩٧ — ٩٩ الحجر) .

وقوله سبحانه : ((**لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين**)) (٣ : الشعراء) وقوله تبارك اسمه : ((**فلا تذهب نفسك عليهم حسرات .. ان الله عليم بما يصنعون**)) (٨ : فاطر) ..

وختام (النحل) بالآيتين السابقتين ، هو من هذا المدد السماوى ، الذى كان يتلقاه النبى الكريم من ربه ، تثبيتا له على مسيرة الدعوة ، وتخفيفا لما يحمل من ثقال الهموم والآلام .. ثم يجىء بعد هذا الختام مفتتح سورة الاسراء كاشفا عن تلك الرحلة المباركة التى حل بها النبى — صلوات الله وسلامه عليه — ضيفا على ربه فى الملأ الاعلى ، سابحا فى عالم النور ، لا يلم به شىء من هموم الحياة الدنيا ، واكدارها ، ولا يطوف به طائف من آلامها واحزانها ..

ثم ان مما ينبغى أن نتنبه اليه ، وننبه له أيضا ، هو سورة الاسراء نفسها ، وما وقع من خلاف فى الاسم الذى سميت به .. فانه على الرغم من أن السورة قد بدئت بأعظم حدث فى حياة النبى ، بل وفى حياة البشرية كلها ، الامر الذى يجعل من هذا الحدث العظيم علما عليها ، فان بعضا من المفسرين يطلق عليها اسم سورة بنى اسرائيل ، قولا واحدا فيها ، على حين أن كثيرا منهم اذا اطلق عليها اسم الاسراء ، قرن ذلك بقوله : وتسمى سورة بنى اسرائيل ! وقليل هم أولئك الذين وقفوا بها عند اطلاق اسم الاسراء عليها ..

فالطبرى مثلا يسميها سورة بنى اسرائيل ، ولا يضيف اليها اسما آخر ، وكذلك فعل البيضاوى ، ومثلهما فعل الطبرسى ، فى تفسيره المسمى (مجمع البيان) ، كما نجد مثل هذا فى التفسير المنسوب الى ابن عباس .

واما ابن كثير ، فيجعل للسورة اسمين ، هما : (سبحان) و (بنو اسرائيل) ، ولا يجعل (الاسراء) من اسمائها .. واما الألوسى فى تفسيره (روح المعانى) فيطلق على السورة ثلاثة أسماء : (بنى اسرائيل) و (سبحان) و (الاسراء) وكذلك فعل النورى فى تفسيره !

ويكاد الزمخشرى ينفرد بتسمية السورة (الاسراء) وجعل هذا الاسم علما عليها دون غيره ..

وأيا كان الامر ، فان اطلاق اسم (بنى اسرائيل) على سورة (الاسراء) هو كيد من كيد اليهود ، تسلل الى المفسرين واصحاب السير فيما تسلل اليهم من الاسرائيليات التى دسها اليهود على المسلمين فى خبث ودهاء ..

ولو كان لبنى اسراءيل أن تكون لهم سورة باسمهم فى القرآن الكريم ، لكانت سورة البقرة — مثلا — أولى من الاسراء فى هذا المقام ، اذ كان فى البقرة من الحديث الممتد عن بنى اسرائيل ما ليس فى سورة الاسراء ، ومع هذا فقد اخذت السورة اسم (البقرة) وهى بقرة بنى اسرائيل ، ولم تأخذ اسمهم ، الامر الذى يحمل على القول بأنه مستبعد اصلا أن يكون لبنى اسرائيل سورة تسمى باسمهم فى القرآن الكريم ، وان كان لأبى (لهب) سورة باسمه فى كتاب الله .. !!

ومن جهة اخرى ، فانا نرى سورا كثيرة فى القرآن الكريم ، تكاد تكون كلها حديثا متصلا عن بنى اسرائيل ، كسور الاعراف ، وطه ، والقصص ،

ومع هذا فلم تسم أى منها باســم بنى اسرائيل .. !
فلماذا اذن كانت سورة (الاسراء) بالذات هى التى يدخل عليها هــذا الاسم الغريب ، وينازعها شرف الاسم الكريم الذى سميت به .. ؟

اننا نشم هنا ريح اليهود الخبيثة ، ونجد بصمات أصابعهم المتلصصة ، التى تريد أن تقلل من شأن الاسراء ، وأن تجعل الحديث عنه حديثا خافتا، لا يذكر الا عند تلاوة الآية الكريمة فى مطلع السورة ، دون أن يجرى له حديث عند ذكر سور القرآن ، كلما ذكرت آية من آيات الــكتاب الكريم منسوبة الى سورتها .

هذه واحدة من فعلات اليهود فى حديث الاسراء ..
واخرى ، اشـــد مكرا ، وابلغ كيدا ، وهو ما ادخلـوه على حديث الاسراء ذاته ، من زور القــول ومفتراه ، والذى اخذه عنهم بعض العلماء عن غفلة ، أو نية حسنة ، باعتبار أن هذه الاحاديث المبــالغ فيها ، تعلى من قدر النبى ، وترفع من شأنه ، اذ ليس مما يعقل أن ينتحل اليهود مثل هذه الاحاديث ، وهم على ما هم عليـــه من عداوة للنبى ، ولأمة هذا النبى !! وما درى هؤلاء العلمـــاء أن تلك المفتريات المفضوحة ، اذ تجتمع مع الحق ، تبعث حوله الشك والاتهام ، الامر الذى يذهب بجلال الحقيقة وروعتها، ذلك الجلال وتلك الروعة النابعان من بساطتها، وجريها على حدود الطبيعة البشرية ، ومداناتها للواقع المألوف .. وحسبنا شاهدا لهذا ، القرآن الكريم فى اعجازه الذى افحم الإنس والجن جميعا ، وهو مع هذا كلام لم يخرج عن مألوف اللسان العربى ، ولم يجاوز حدود اللغة العربية !!

وسنرى فى حديث الاسراء ، ما دخل على هذا الحديث من دس اليهــود وكيدهم ، الامر الذى القى شـــبها كثيرة عند من يستمعون الى هــذا الحديث ، وما أضيف اليه من ذيول ضافية من نسج الكذب والزور ، فلا يدرى المؤمن ماذا يأخذ وماذا يدع من هذا الحديث ، فلو انه أخذه جملة لما اطمأن اليه قلبه ، ولما سكن اليه عقله ، ولو انه أخذ بعضا وترك بعضا لفقد الثقة فيما أخذ أو ترك ، جميعا !!

مع الاسراء :

ونعود الى كتــاب الله ، لنتلقى ما يحدثنا به عن (الاسراء) اذ يقول الحق جل شأنه : « ســبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ، الذى باركنا حوله ، لنريه من آياتنا ، انه هو السميع البصير » .

و (سبحان) مصدر منصــوب بفعل دل عليــه هذا المصـــدر ، وتقديره : سبح الله تسبيحا ، أو سبح الله سبحانا .. فالمصدر قد ناب عن الفعل ، واضـــيف الى مفعوله ، فقوله تعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده » معناه : سبح الذى أسرى بعبده ، أى اعبـده ، واذكره بالحــمد ، والتنزيه عن كل نقص ..
واسرى بكذا ، أى سار به ليلا ، وأصل الفعل من السر ، وهو ما خفى من الامور عن غير صاحبه .. ولأن الليل يستر الناس، ويخفى شخوصهم وافعالهم ، فقد سمى السير فيــه سرى ، وسمى تحرك الليل نفســه سرى ، قال تعالى : « والليل اذا يسر » أى يسير متخفيا فى ظلامه ، فلا تنكشف حركته للناس ..

وعلى هذا ، فكل حركة أو عمل يكون فى خفاء يمكن أن يطلق عليه لفظ السرى ، فيقال : أسريت بهذا الامر ، أى فعلته سرا ، دون أن يطلع عليه أحد .. يقال ذلك دون قيد بظرف الليل أو النهار ، ما دام الفعل قد فعل سرا ..

وقيد السرى بالليل فى قوله تعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا » يحقق أمرين : أولهما اتخاذ الليل ستارا للسير ، وظرفا حاويا له ، حتى لا تنفذ اليه الابصار .. وثانيا : وقوع الامر فى حذر وحيطة، دون جلبة أو ضوضاء ، الامر الذين يعين على وقوع الامر دون أن يشعر به أحد .. فان الليل وان كان سترا يحجب الابصار بظلامه ، فانه لا يحجب الآذان عن أن تسمع ما يقع فيه من حركات ، ولا يعطل ظلامه وظيفة السمع ، بل ان سكونه يزيد من قدرة السمع على التقاط أخفى الاصوات ..

ونستظهر من هذا أمرين : أولهما ان الاسراء بالرسول صلوات الله وسلامه عليه ــ كان بالجسد والروح ، ولم يكن بروحه الشريف ، كما يذهب الى ذلك بعض العلماء ، لانه لو كان بالروح لما جاء التعبير القرآنى بلفظ (أسرى) الذى يدل بذاته على الستر والخفاء ، لأن الروح أخفى من أن تراه عين ، أو تسمع به أذن ، ثم لما كان لجعل السرى فى مضمون ستر آخر ، وهو الليل ، موضع فى هذا المقام ..

وثانى الامرين ، هو أن الاسراء بالنبى الكريم لم يكن معجزة متحدية ، وانما كان رحلة روحية ، واستضافة كريمة من الله الرحمن الرحيم ، للنبى ، فى رحاب ملكوته ، حيث يشهد من آيات الله ، ويتزود من الطافه ، ما لم يشهده بشر ، وما لم يتزود به انسان من عالم الحق ..

ولو أن الاسراء كان معجزة متحدية لشهدها الناس فى يومها أو ليلها ، أو لشهدوا آثارها ، الامر الذى لم يحدث ، وانما كل ما حدث هو ما نزل من كلمات الله ، مخبرا عن هذا الحدث ، الذى تلقاه المؤمنون بالتصديق ، والحمد لله الذى اختص نبيه بهذا الفضل العظيم ، على حين تلقاه المشركون والذين فى قلوبهم مرض ، بالبهت والتكذيب ، والتشنيع : **« فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون . واما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون »** (١٢٤ و ١٢٥ التوبة) .

فى اطار الحق :

قلنا ان حديث الاسراء قد احتوته آية واحدة من آيات الكتاب الكريم ، فأمسكت به من جميع أطرافه ، وعرضته فى هذا النظم الموجز المعجز ، الذى تقوم الكلمة فيه ، بل الحرف منه بما لم تقم به عشرات الفصول الضافية مما كتب الكاتبون عن الاسراء ، ومما حشدوا من بين يديه ومن خلفه من الوان وظلال ، وما أضافوا اليه من تهاويم وتهاويل !

واستمع الى قوله تعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا » وخذ لنفسك موقفا بين يدى هذا الجلال الذى يملأ الوجود عليك ، من أنغام هذا النشيد العلوى ، الذى ينتظم الكائنات جميعها فى مقام الولاء والتسبيح بحمد الله رب العالمين ، الذى أسرى بعبده محمدا، وجعله فى معيته ، وأضافه الى ذاته، وانزله منازل فضله واحسانه . فأى مقام من الكرامة والتكريم ناله

عبد من عباد الله ، يرتفع الى هذا المقام الذى ناله محمد من ربه ؟ انه سبحانه هو الذى أسرى بعبده ، وحفه بما شاء أن يحفه به من فواضل كرمه ونفحات بره ، وحمله فى هذه الرحلة المباركة على جناح القدرة ، مكسوا بحلل من النور ، متوجا بتاج من البهاء والجلال ، مأنوسا بألحان التسبيح والتحميد الصادرة من قلب الوجود ، لتزف ابن الانسانية وبكرها الى الملأ الاعلى فى ليلة عرسه هذه، حيث عروسه التى تنتظره ، وقد صاغها له ربه من جوهر العلم والحكمة !!

هذا وتستمع الى قصة الاسراء فى كثير من كتب الحديث ، والتفسير ، والسيرة ، فتجدك بين يدى أخلاط من العجائب والغرائب ، قد اختلط فيها الوهم بالحقيقة ، والخيال بالواقع ، حتى ليكاد يختنق هذا الشعاع المنبعث من هذا الحدث العظيم ، وتغيب عن نظر الناظر فيه ، مواقع العبرة والعظة منه ، وتبهت صورة الروعة والجلال الحافة به ..

ان الذى يطالع مسيرة الاسراء على تلك الصورة ، أو الصور المجسدة ، التى تعرضها بعض كتب السيرة والتفسير والحديث ، لتموت فى نفسه كثير من تلك المشاعر الروحية ، التى كان خليقا أن يثيرها فيه حديث الاسراء ، لو انه قد أزيح من طريقه هذا الركام الكثير من العوائق والسدود .. ولا تنخدع لتلك الالوان والاصباغ الساذجة التى يطلى بها القصاص وجه هذه المجسدات ، ليجعلوا لها بتلك الاصباغ وجها تدخل به الى العالم العلوى .. ذلك أن هذا (المكياج) المصطنع يجعل منها مسخا اكثر منها حقيقة ، ويردها الى تراب الارض أكثر مما يرتفع بها الى آفاق السماء ..

فالبراق ــ مثلا ــ الذى يأخذ فى حديث (الاسراء) لونا بارزا صارخا، والذى يهيأ للرسول الكريم ليتخذ منه مطية فى مسراه ــ هذا البراق ليس الا أتانا ، هو دون البغل وفوق الحمار ، كما جاء وصفه فى كتب الحديث والسيرة ، وقد ركب عليه جناحان من ريش .. !

وتسأل : لم هذا الحيوان ؟ ولم جاء على تلك الصورة ؟ فيأتيك الجواب مما يقع تصورات الخيال والوهم ، بأن مثل هذه المرحلة الطويلة لا تقطع فى هذا الزمن القصير الا على دابة مما كان يركب فى هذا الزمان ، ثم لا بد أن يكون لهذه الدابة جناحان لتكون سرعتها سرعة الطير ! ولو أدرك واضعوا هذه القصةعصر النفاثات والصواريخ لما جرءوا على القول بتلك المقولة المفضوحة .. !

ثم ما يقال عن هذا الحجر الذى يشد اليه الانبياء دوابهم عند المسجد الاقصى ، وتلك الحلقات المفروشة فى هذا الحجر لتمسك المقاود واللجم ، والتى شد البراق الى واحدة منها ــ ان هذا وأشباهه لما يمسك بالمعانى العالية الكريمة التى كان من شأن الانسان أن يجدها فى نفسه لو أنه أزاح هذا الخجر ، وأزاح معه اللجم والمقاود، والسروج وغيرها مما يكون فى مرابط الحيوان .. !!

وأمر آخر من أمر تلك الملفقات والمماحكات التى اتصلت بحديث الاسراء ، فصرفت الانظار اليها ، وشغلت العقول بها ، وجارت على الموقف الذى كان ينبغى أن يقفه المؤمن بين يدى الاسراء فى نقائه ، وصفائه ، وبهاء أنواره ، وجلال

موكبه .. وذلك فيما وقع من خلاف حول طبيعـــة الاسراء ، وهل كان بالروح ، أم كان بالجسد .. ؟ وهل كان مناما أم فى يقظة .. ؟

ومن عجب أن تتخلق من هـــذا الخلاف قضية ، وأن تتعدد أطراف الخصومة فيها ، وأن يمســك كل طرف برأى ، وأن يقيم لرأيه الادلة والبراهين ، وأن يأتى له بالمرويات المتصلة الاسانيد .. !!

وقد فصل القاضى عياض فى كتابه (الشفا بالتعريف بحقوق المصطفى) وجوه هذا الخلاف ، وذلك فى قوله : « اختلف السلف والعلماء ، هل كان اسراؤه عليه الصلاة والســلام ، بروحه أو جسده، على ثلاث مقالات : فذهبت طائفـــــة الى أنه اسراء بالروح ، وأنه رؤيا منام ، مع اتفاقهم على أن رؤيا الانبياء حق ووحى .. والى هذا ذهب معاوية ..

« وذهب معظم الســــلف والمسلمين ، الى أنه اسراء بالجسد وفى اليقظة .. وهذا هو الحق ، وهو قول ابن عبـــاس ، وجابر ، وأنس ، وحذيفــة ، وعمر ، وأبى هريرة ، ومالك بن صعصعة ، وأبى حية البدرى ، وابن مســـعود ، والضـــحاك ، وســـعيد بن جبير .. وهو قول الطبرى ، وابن حنبل، وجماعة عظيمة من المسلمين » ..

وقالت طائفـــة : « كان الإسراء بالجسد يقظة الى بيت المقـــدس ، والى السماء بالروح ، واحتجوا بقوله تعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المســجد الأقصى » فجعل المسجد الأقصى غاية الإسراء .. ولو كان الإسراء بجسده الى زائد عن المسجد الأقصى لذكره ، فيكون أبلغ فى المدح . »

ثم بعد أن انتهى القاضى عياض من عرض هذه الآراء عرض رأيه هو ، فقال :

« والحق من هذا ، والصحيح ان شاء الله ، انه إسراء بالروح والجسد فى القصة كلها — أى فى الإسراء والمعراج — وعليه تدل الآية وصحيح الأخبار ..

« وليس فى الاسراء بجسده وحال يقظته استحالة ، اذ لو كان مناما لقـــال : « بروح عبده » ولم يقـــل « بعبده » ولو كان مناما لما كان فيه آية ولا معجزة ، ولا استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ، ولا ارتدّ ضعفاء من أســلم وافتتنوا به ، اذ مثل هـــذه المنامات لا ينكر . بل لم يكـــن ذلك الانكار منهم الا وقد علموا أن خبره إنما كان عن جسمه ، وحال يقظته »

ونقول : ان هذا الخلاف فى كون الاسراء والمعراج كانا بالجســـد أو بالروح ، خلاف ينبغى الا يقف عنده المؤمن ، لأنه لا يؤثر فى حقيقـــــة الاسراء والمعراج ، وما نال فيهمـــا الرســـــول الكريم من الطاف ربه وعطـــــاياه ، وما رأى من آياته فى ملكوت الســـموات والارض ، فان قدرة الله تعالى لا تتقيـــد بتلك القيـــود التى تحكمهـــا الضـــرورات البشرية ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .. وانه لخير من هذا الخلاف الذى يذهب بجلال الاسراء ، ويعبث بالستر الخفى الملقى عليه من عالم الحق — خير من هذا أن نشهد هذا الجلال فى موكب رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فى مسراه المهيب الجليل ، تحف به الطاف ربه ، وتحدوه رعـــايته الى حيث يســـبح فى عالم النـــور ، ويطعم من موائد الســـماء الممدودة بين يديه ، وينهل من ينابيع العلم والحكمة المتدفقة من حوله ..

وعلى أىّ فان الإسراء ، سواء اكان معه معراج أم لم يكن ، وسواء اكان بالروح أم بالجسد ، لم يخرج بالنبى الكريم عن بشريته ، ولم يباعد بينه وبين الإنسان الرسول الذى هو « محمد » . . فقد عاد ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ من هذه الرحلة العلوية المباركة، ولقى قومه ــ مؤمنين وكافرين ــ فلم ينكر أحد من هؤلاء وأولئك شيئا مما كان يعهده فيه ، حتى ان المشركين انفسهم لم يجدوا عليه أمارة من أمارات تلك الرحلة العظيمة الميمونة ، يقوم منها شاهد يقطع السنتهم التى كانت ترميه بالكذب والبهت . . ذلك أن خير هذه الرحلة كان كله مخبوءا فى كيانه ، منطويا فى صدره ، ساريا فى روحه . ان ذلك شأن من شأن الله تعالى مع نبيه ، وزاد روحى زوده به ربه ، تكريما له ، وعزاء لما كان يحمل فى نفسه من هموم ، وما يعالج من آلام . . فلقد كان النبى صلوات الله وسلامه عليه قبيل الإسراء فى حال من الضيق هو أشد ما يكون حاجة فيها الى تلك النقلة البعيدة عن هذا الجو الخانق الذى انعقد من حوله فى مكة ، حيث كانت تغلى صدور المشركين بالنقمة عليه ، وعلى اصحابه ، وحيث كانت سياط العذاب تلهب ظهور المستضعفين من اصحابه فيجد وقعها فى كل خلجة من خلجاته !!

ماذا هناك ؟

وإنه لكى ندرك بعض الحكمة العالية من الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحلوله ضيفا على ربه فى الملأ الأعلى ، ينبغى أن نلقى نظرة على موقع الأحداث التى كانت تجرى فى مكة بين النبى صلى الله عليه وسلم ، والمشركين من قومه ، بعد أن ظل نحو عشر سنين بينهم يدعوهم الى الله ، دون أن يلقى منهم إلا امعانا فى الإعراض عنه ، والإعنات له ، والافتنان فى خلق وسائل الكيد لدعوته ، وأخذ السبيل عليها فى داخل مكة وخارجها .

إنه بعد أن يئست قريش من بنى هاشم ، وبنى عبد المطلب ــ رهط النبى الأدنين ــ من أن ينحلّوا عنه ، ويدعوه للقوم لمضوا أمرهم فيه ــ اجمعوا رأيهم على مقاطعة بنى هاشم وبنى عبد المطلب ، وعقدوا بذلك عقدا مكتوبا بينهم أودعوه الكعبة ، ويقضى هذا العقد بمقاطعة رهط النبى مقاطعة حاسمة صارمة ، فلا يزوجونهم ، ولا يتزوجون منهم ، ولا يأخذون منهم أو يعطونهم ، ولا يتبادلون معهم نفعا أبدا ما داموا على موقفهم هذا من النبى . .

وقد أبت العصبية العربية على بنى هاشم ، وبنى عبد المطلب أن يتخلوا عن النبى ، وأن يسلموه لقريش ، وكانوا فى هذا يدا واحدة، لا فرق فى ذلك بين من أسلم ، ومن بقى على شركه ، وعداوته للنبى كعمه أبى لهب . فجمع أبو طالب ــ عميد بنى هاشم ــ أهله ، وانحاز بهم الى شعب ، سُمى فيما بعد شعب أبى طالب ، معتزلا القوم الذين اعتزلوه واهله . . وقد استمر هذا الحصار نحو ثلاث سنين ، بلغ بهم الجهد فيها غايته ، حتى لقد كان يسمع بكاء صبيانهم وهم يتضاغون جوعا من وراء الشِّعب . . !

ولا تسأل عن الآلام النفسية ، بل

والجسدية ، التى احتملها النبى خلال تلك المحنة التى عاش فيها أهله .. إنها كانت أقسى وأشق ما لقى النبى فى طريق دعوته من آلام .. انه حمل آلام أهله كلها ، وان ذهب كلٌ منهم بنصيبه منها .. ومما ضاعف من آلام النبى أن معظم الذين احتملوا هذه المحنة لم يحتملوها من أجل العقيدة ، وانما كان من أجل العصبية للقرابة والدم ، ولو كان ذلك من أجل العقيدة لهان الأمر ، ولخف وقعه على النبى ، ولكان على أصحاب العقيدة أن يؤدوا بمواجهة تلك المحنة ضريبة الدفاع عن عقيدتهم ، لقاء الثواب العظيم من الله تعالى الذى آمنوا به ، واتبعوا رسوله ..

وينتهى هذا الحصار ، بعد أن يئست قريش من جدوى هذا الأسلوب الذى اتخذته مع بنى هاشم الذين تربطهم بهم روابط وثيقة من النسب والمصاهرة ، ويخرج أبو طالب بأهله من هذا الحصار ، وقد أثخنتهم الجراح النفسية والجسدية ، ويدخل الهاشميون مكة ، متوحشين منها ، ضائقين بها وبأهلها ..

رحلة فى العالم الأرضى :

أما النبى — صلى الله عليه وسلم — فانه بعد أن خرج أهله من هذا الحصار ، كان على نية أن يخرج من مكة ، حتى لا يحمل أهله على مواجهة تجربة أخرى تجربها قريش معهم ، اذا هم ظلوا على تعصبهم للنبى ، والوقوف معه ، وهو قائم بالدعوة الى الله ..

ولكن الى أين يذهب النبى ، وهو مدعو من ربه أن يواجه قومه بدعوة الإسلام ، وأن يكون ميدانه الأول بتلك الدعوة أهله وعشيرته ، كما يقول الحق جلّ وعلا : « **وانذر عشيرتك الأقربين** » .. ويؤذنه ربه بما سيلقى من أذى قومه له ، وخلافهم عليه ، فيقول له : « **يأيها المدثر ، قم فانذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر ، ولا تمنن تستكثر ، ولربك فاصبر** » .. ثم اذ تتحرك فى نفس النبى مشاعر التحول عن قومه ، والانتقال بدعوته من مكة ، الى بلد آخر ، يجيئه أمر ربه ، ليمسك به ، فيقول له جلّ شأنه : « **فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل ، ولا تستعجل لهم** » (٣٥ : الاحقاف) .. ويقول له سبحانه : « **واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله ، وهو خير الحاكمين** » (١٠٩ : يونس) ويقول له تبارك : « **فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم** » (٤٨ : القلم) .. وهكذا تتوالى آيات الله لتربط على قلب النبى ، ولتنعش فؤاده بأنسامها المعطرة ، فيصمد للمحنة ، ويصبر على مواجهة هذا البلاء ..

ثم انه ما يكاد النبى — صلى الله عليه وسلم — يجد برد السكينة من هذا العزاء الجميل ، حتى يتعرض لامتحان جديد ، تمتلىء منه نفسه حسرة وحزنا ، اذ يصاب بعمه أبى طالب ، وبزوجه خديجة ، فى وقت واحد ، فسقط الجناحان اللذان كان يظلانه ، ويرفان عليه حنانا ورحمة ، ذلك أنه ما كادت محنة الحصار تنتهى حتى يموت عمه أبو طالب بعد الخروج من الشّعب بستة أشهر ، ثم تلحق خديجة — رضى الله عنها — بربها ، بعد موته بثلاثة أيام ..

وكان لا بد أن يخرج النبى من مكة ولو لأيام ، بعيدا عن هذه الوجوه

المنكرة المتجهمة ، التى تطل منها نظرات الشماتة ، محملة بنذر التهديد والوعيد ..

وخرج النبى سرا الى الطائف — وهى أشبه بضاحية من ضواحى مكة — يصحبه مولاه زيد بن حارثة .. وهناك يلتقى برءوس القوم ، ويعرض عليهم دعوة الاسلام ، فردوه أشنع رد ، ثم أغروا به سفهاءهم ، وصبيانهم يرجمونه بالحصا ، ويرمونه بالحجارة ، حتى أدموا قدميه الشريفتين .

وعاد النبى من الطائف ، وقد تضاعفت همومه ، وأثقل ظهره حملها وأشفق أن يدخل مكة على تلك الحال، وليس معه فضل من قدرة على احتمال فوق ما يحمل !!

وفى الطريق من الطائف الى مكة نزل النبى منزلا بمكان يسمى «نخلة» قضى فيه ليلته . مع آيات الله ، يتلوها ، ويأنس بترتيلها .. حتى اذا طلع الصباح ، جاء الوحى بآيات الله ، تحمل اليه هذا النبأ المسعد : « **وإذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن ، فلما حضروه قالوا انصتوا ، فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين ، قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى يهدى الى الحق ، والى طريق مستقيم ، يا قومنا اجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم ، ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الارض وليس له من دونه اولياء اولئك فى ضلال مبين** » (٢٩—٣٢ : الأحقاف)

عندئذ وجد النبى — صلوات الله وسلامه عليه — من القوة والعزم ما يستطيع به مواجهة قريشٍ ، ومثلها معها من أهل العناد ، والضلال .. إنه يحمل فى قلبه ، وعلى لسانه وبين يديه آيات الله التى لم يكد الجن يستمعون اليها حتى آمنوا وخرّوا بين يدى جلالها ساجدين ، صاغرين ، ولن تكون قريش ، أو غير قريش ، أشد عتوا ، وأمعن فى العناد والضلال من الجن !!

وعلى هذا العزم ، ومع تلك القوة مضى الرسول الى مكة ، وهناك تلا على القوم ما نزل عليه من آيات ربه، من استماع الجنّ اليه ، وايمانهم به .. فما زادهم ذلك الا تكذيبا له ، ونكيرا عليه ..

ويستعرض النبى الكريم موقف الجن بالأمس من آيات الله ، وايمانهم بها ، وموقف قومه اليوم ، وقبل اليوم منه ، ومن آيات الله التى يتلوها عليهم ، فيجد أنه فى مواجهة قوم قد اغتال الكبر والعناد كلّ معالم الخير فيهم ، فكانوا كما وصفهم الحق سبحانه وتعالى بقوله : « **إنا جعلنا على قلوبهم اكنة أن يفقهوه ، وفى آذانهم وقرا ، وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا إذن ابدا ..** » (٥٧ : الكهف) .. لقد استنفد النبى كل وسيلة ممكنة ، لشفاء أخبث العلل العارضة لبنى الانسان ، ولعالم الجنّ أيضا ، ولكن ذلك لم يغنِ شيئا فيما ابتلى به قومه من داء الكبر والعناد !!

لقد ابلى الرسول الكريم بلاءه فى الأرض ، واستنفد كل ما يمكن أن يُعطى أو يأخذ من أهلها ، فكان لا بد من تحوله الى عالم آخر ، يتزود منه بزاد روحى ، يشيع فى كيانه قوى مجددة ، لا تنفد أبدا على كثرة ما ينفق فى هذا النضال المتصل بينه وبين قومه ، حتى يحكم الله بينه

وبينهم بالحق ، وهو خير الحاكمين . فكانت رحلة الاسراء .. وذلك قبل الهجرة بنحو عام ، ولسبع عشرة ليلة من ربيع الاول ..

ان الاسراء لم يكن فى صميمه الا رحلة روحية لرسول الله صلى الله عليه وسلم : فى عالم النور ، والا استدناء لـه من مواطن الرحمة والاحسان ، وان ذلك لهو الجزاء الحسن المعجل لرسول الله فى هذه الدنيا على جهاده الصادق فى سبيل الله ، وما احتمل من جهد وعناء ..

ان الاسراء شأن خاص بالنبى ، وفى حدود هذا المعنى ينبغى أن نقيم نظرنا الى الاسراء ، فاذا حدث الرسول صلى الله عليه وسلم بالاسراء ، وبما رأى من آيات ربه فى مسراه ، كان على المؤمن أن يجعل من ايمانه ، التصديق بهذا الحديث ، ثم اذا ذكر القرآن هذا الخبر فى آية من آياته ، لم يكن لمؤمن بالله أن يشك أو يجادل أو يمارى فى هذا الخبر .

عـود على بدء :

هـذا ما ينبغى أن نقف عنده من حديث الاسراء ، فهو آية من آيات الله ، اختص بها سبحانه نبيه فيما اختصه به من نعم وآلاء .. فاذا كان لنا أن نمد النظر الى ما وراء هذا فليكن الى المسجد الأقصى ، الذى كان معلما بارزا من معالم الاسراء ، حيث كان غاية لتلك المسيرة المباركة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحيث كان الميقات الذى التقى فيه بأنبياء الله ، وصلى بهم إماما أولى صلاة من تلك الفريضة التى فرضها الله على المسلمين فى تلك الليلة ..

وهـذا من شأنه أن يصل مشاعر المسلمين بهذا المسجد ، ويجعل منه ومن المسجد الحرام آيتين من آيات الله فى الأرض ، وعلمين من أعلام الهداية ، يستظل المسلمون بظلهما ، ويقومون على عمارتهما ، وتأمين السبيل اليهما .. وهذا لا يكون الا اذا كان هذان المسجدان داخل دار الاسلام ، وتحت يد المسلمين ، الأمر الذى يكشف عن وجه من وجوه إعجاز القرآن فى اخباره بالغيب عن هذا المسجد الذى لم يكن يقع لنظر أحد من المسلمين يومئذ ، أو يدور فى خاطره ، أنه سيكون بعضا من دار الاسلام ..

وقد مكّن الله تعالى للمسلمين من المسجد الأقصى ، ودخل هو وما حوله فى دار الاسلام منذ خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، الى اليوم ، والى ما بعد اليوم والى يوم الدين ، ان شاء الله .. وانه على رغم ما بذل أعداء الاسلام من جهد ، وما دبروا من كيد ، وما ساقوا من جيوش لاخراج هذا البيت من يد المسلمين — فانه كان اذا خرج لا يلبث أن يعود كما يعود المسافر الى أهله ، فى رحلة ، قد تطول ، وقد تقصر .. انها غربة تلفت أنظار المسلمين اليه ، وتحرك أشواقهم اليه وتبعث فيهم يقظة الى الاعداء المتربصين بهم ، والمتخذين من هذا المسجد معبرا الى القريب والبعيد من أوطانهم ..

وانه ليس من قبيل المصادفات أن يكون هذا المسجد المبارك هو الذى يتلقى دائما الصدمة الأولى فيما يُراد بالمسلمين من سوء ، وما يدبر لهم من عدوان ، فيكون ذلك أشبه بالنذير لهم أن يستيقظوا من نومهم ، وأن ينتبهوا من غفلتهم ، وأن يتداركوا أمرهم ،

وأن يعملوا على رد البــلاء قبل أن يحيط بهم .. ان ذلك من آيات الله ، ومن لطفه بأمة محمد الذى وضــع جبهته الشريفة على أرض هذا المسجد المبارك ، ليكون مرقبا يكشف لتلك الأمة كل كيد يساق اليها ..

ونحن نكتب هــذا فى سنة الف وثلاثمائة واثنتين وتسعين من الهجرة (١٩٧٢م) والمسجد الأقصى فى يد اليهود منذ أكثر من خمس سنوات.. اليهود الذين عملوا لذلك من قبل ظهور الاســلام يوم كانوا خاضعين لحكم الرومان ، واليهود الذين عملوا لذلك بعد ظهور الاسلام ، فأشعلوا الفتن ، وأوقدوا الحروب ، وأغروا النصارى بالمسلمين ، حتى وقع الشرّ بينهم فى تلك الحروب الصليبية التى اتصــلت نحو قرنين ، والتى خرج المسجد فيها أكثر من مرة من أيديهم ثم لم يلبث أن يعود اليهم .. كل هذا ليجد اليهود فرصتهم الى هذا البيت المقدس .. وها هم أولاء قد وجــدوها اليــوم ، مستعينين بأموالهم ، وبسلطانهم على أمريكا التى ســـاندتهم ، ووقفت وراءهم ، وأمدتهم بالعتاد ، والرجال والأموال ..

ان المسجد الأقصى اليوم ، ومنــذ خمس سنوات فى يد اليهــود ، ولا ندرى السبيل الذى نسترده به من أيديهم ، أهو سبيل الحرب أم السلم .. ولكن الذى ندريه ونستيقنه ، هو أن هذا المسجد وما حوله لا بد أن يعود الى المسلمين ، وأن يدخل فى دولة الاسلام ، وأن غربته فى يــد اليهود ستنتهى حتما ، ويعود الغريب الى أهله .. ان شاء الله .

واذا كان المسلمون اليوم فى حال من الألم والأسى لغربة هذا المســجد عنهم ، أشبه بتلك الحال التى كان عليها رسول الله صلى الله عليــه وسلم ، وغربة قومه عنه ، وخروجهم من يده — فان مسرى الرســول صلوات الله وسلامه عليه ، الذى اتصل فيه اتصالا مباشرا بالملأ الاعلى والذى جاءت فى أعقابه الهجرة ، ثم الفتح ودخول الناس فى دين اللــه افواجا — ان فى هذا المسرى مــا يفتح للمسلمين طريقــا الى التأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم ، والى ان يرتادوا بوجــودهم كلــه الطريق الى الله ، والى مصالحــة ربهم ، بالاستقامة على دينه ، والجهاد بالأموال والأنفس فى سبيله ، حتى يعطوا من رضوان الله ، ومن أمداد عونه وتوفيقه بعض ما أعطى رسول الله فى مسراه ، ويومئذ يفتح الله للمسلمين مغالق الخير ، ويمكن لهم من أســباب العزة والغلب ، ويرد عليهم غربة هذا المسجد وما حوله ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، وان ذلك لقريب ان شاء الله .. واللــه سبحانه وتعالى يقول : « **ولا تهنــوا ولا تحــزنوا وانتم الأعلون ان كنتم مؤمنين** » ..



عسكرية الاسلام

جهاد وذياد

للاستاذ أحمد محمد جمال

يخوض العرب اليوم معركة حاسمة مع عدو ثلاثى حاقد غشوم(١) بعد أن طال الامد على استذلاله لانسانيتهم ، واستغلاله لامكانيتهم ، وأكله لخيراتهم ، ونهبه لثرواتهم وبعد أن نقض ميثاقه ، وأخلف موعده ، وكذب بعمله الفاجر الغادر دعواه أنه صديق العرب وحليفهم ، وانه يريد ان ينهض بهم الى العزة والمعرفة والحضارة .

أجل ، ان العرب اليوم يخوضون معركة حياة أو موت ، مع عدو مبين كان يلبس لهم ثوب المحالف، ويتحدث اليهم بلسان الصديق ، ويمثل أمامهم دور المحامى، وهو خادع لهم، متربص بهم ، باسط اليهم فى الخفاء يد السوء .

وما أجدرنا اليوم ، ونحن نقف وقفتنا الفاصلة مع عدونا اللدود ، ان نعرف بعض الحقائق عن الحرب الاسلامية ،باعثها وغايتها ووسائلها، ليشتد يقيننا ويقوى ايماننا ، ويتضح وتثبت أقدامنا ، حتى ندرك غاية الحياة فينا : عزة وحرية وعملا صالحا ، او نبلغ مصيرها المحتوم : شهادة وسعادة .

يقرر القرآن الكريم أول ما يقرر فى فلسفة الحرب الاسلامية : تربية النفوس المسلمة على حب السلام ، ويؤكد فى هذا السبيل طبيعة الكراهية فى هذه النفوس للقتال فيقول :

ـ (وان جنحوا للسلم فاجنح لها) .

ـ (ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا ، تبتغون عرض الحياة الدنيا) .

ـ (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة) .

وجاءت التعاليم الاسلامية بتعبير للتحية بين المسلمين ، وهو (السلام عليكم) ، يوحى اليهم دائما بحب السلام ، ويذكرهم أبدا بواجب نشر السلام بينهم ، وعدم العدوان على غيرهم ، كما جاء الحديث النبوى ناهيا عن تمنى المسلم لقاء العدو ، موجها اياه الى التماس العافية .

الى جانب هذا الحض القرآنى على السلام يقرر القرآن أن الحرب قد تكون فرضا لا عذر منه ، مع ادراكه لطبيعة الانسانية الكارهة للقتال فيقول : (كتب عليكم القتال ، وهو كره لكم ، وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم) .

ذلك ان المسلمين مع حبهم للسلام وكرههم الطبيعى للحرب ، لن يسلموا من مكر غادر ، ولن ينجوا من بغى معتد أثيم ، ولن يعزوا على أمنية طامع فى ثروات أفرادهم وخيرات بلادهم ، الا اذا عرفوا للسلام حقه فاحترموه ، وعرفوا للحرب واجبها فأحسنوه . ومن هنا جاء قول القرآن : (الفتنة أكبر من القتل) و (الفتنة أشد من القتل) .

* * *

نعم لئن كانت الحرب شديدة على النفوس المسلمة المحبة للسلام ، كبيرة بتكاليفها وتضحياتها الا ان الفتنة ـ وهل بعد التآمر الثلاثى الكافر فتنة ـ أشد وأكبر ، فان المتآمرين يفتنون المسلمين عن دينهم، سياسيا وخلقيا وثقافيا واقتصاديا وعسكريا ، ومن ثم وجبت حربهم وحقت لعنتهم ، ولزم اخراجهم من بلادنا ، لتبقى لنا دنيانا التى فيها معاشنا رخية أبية ، ويبقى لنا ديننا الذى به صلاحنا وعصمة أمرنا : سيدا متبعا .

ان الحرب الاسلامية جهاد وذياد . جهاد فى سبيل الدعوة الى الحق ، والامر بالمعروف ، والنهى عن المنكر، وتطهير البشرية من أرجاس المادية والاباحية .. وهى ذياد عن حمى الاسلام ، لئلا تطأه أقدام ملوثة بالدنس ، وتمتد اليه يد باغية بالسوء ، وتنطلق السنة حداد طعنا فى المسلمين .

وليست عسكريتنا الاسلاميةكعسكرية الغربيين : عدتها الخراب والدمار ، وغايتها الاستلاب والاغتصاب .وانما هى نظام لرد الحق المنهوب ، ونصر الكرامة الانسانية المنتهكة ، ونشر الحرية المطوية ، وتعميم الأمن والرخاء .

● يقول القرآن الكريم عن الغاية من الحرب الاسلامية :

— (الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله) .

— (وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا) .

— (ومالكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان) .

● ويقول عن التنظيم العسكرى والاستعداد الحربى :

— (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم ، فانفروا ثبات ، او انفروا جميعا) .

— (ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص)

— (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) .

— (واذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا) .

● ويقول القرآن عن مصدر الانتصار فى الحرب الاسلامية :

— (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) .

— (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم) .

— (وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم) .

● ويقول القرآن عن مثوبة القتال الاسلامى :

— (ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما) .

—(ولئن قتلتم فى سبيل الله ، او متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون) .

— (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) .

ذلك شىء يسير من روائع القرآن فى الحرب الاسلامية الفاضلة العادلة ، التى هى حرب أشبه بالسلم ، وأقرب للسلامة ، وأضمن لإقرار الرخاء والاخاء فى الارض ، لانها مقاومة للبغاة ، وتأديب للمعوقين وزجر للظلمة ليست كحرب الغربيين: مطامع ومظالم ، وافتراء واعتداء ، وسلبا لحرية الحى ، وانتهاكا لكرامة الحياة .

* * *

ويضع القرآن — بعد ذلك — قواعد ووصايا حكيمة رحيمة ،للحرب الاسلامية ، فيدعو المجاهدين المسلمين الى المسارعة لتلبية نداء السلام اذا وجه اليهم من اعدائهم : (وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) .

وهو فى الوقت نفسه ، يحذرهم من الافراط فى حب السلام ، بحيث يغفلون عن مكائد المعاهدين من اعدائهم : (واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء . ان الله لا يحب الخائنين) ، (وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم ، وطعنوا فى دينكم فقاتلوا ائمة الكفر .. انهم لا ايمان لهم) .

والقرآن يوصى فى آية واحدة بالإثخان وشد الوثاق ، وبالمن على الأسرى أو مفادتهم بأسرى المسلمين عند الاعداء : (فاذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق ، فإما منا بعد ، وإما فداء) .

وفى باب مقت الجبن ، ومقاومة التخاذل وخشية الموت يقول القرآن : (اينما تكونوا يدركم الموت، ولو كنتم فى بروج مشيدة) — (الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو اطاعونا ما قتلوا .. قل فادراوا عن انفسكم الموت) — (وما كان لنفس أن تموت الا بإذن الله كتابا مؤجلا) — (وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير ، فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله ، وما ضعفوا وما استكانوا) . الخ.

وعندما خالف المحاربون المسلمون

واجب (الطاعة) فى نظام الحرب الاسلامية ، جاءتهم العبرة والموعظة العمليتان الزاجرتان فى معركة أحد التى بدأت بانتصارهم ، واختتمت بهزيمتهم لما خالفوا أمر قائدهم — عليه السلام — فنزل الرماة من الجبل. وانتهزت جنود قريش ذلك ، فانصبوا على المسلمين منه .

ويقص القرآن قصة اخرى ، بل درسا تأديبيا .. عندما غفل الجنود المسلمون عن حقيقة الغلبة فى الحرب ، وباعثها الحق ، وهو الايمان والصبر والتضحية ، وليس كثرة العدد والعتاد : (ويوم حنين إذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ، وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مذبرين) .

هذا هو نظام الجندية ، كما وضعه القرآن لادارة الحرب الاسلامية . وهو كما نرى نظام حكيم رحيم ، سبيله : الانتصاف والرحمة ، وغايته دعوة الحق ، ومقاومة العدوان .

* * *

بقى أن نلم بتاريخ الحرب الاسلامية كما وقعت فى حدود هذا النظام :

ففى رسائل النبى عليه الصلاة والسلام — فى العام السابع الهجرى — الى ملوك الاعاجم يومذاك (كسرى هرقل ، المقوقس ، والنجاشى) وغيرهم من ملوك الجزيرة العربية — كان عليه الصلاة والسلام يقول لكل واحد منهم : اسلم تسلم فان أبيت فعليك إثم امتك !

ومعنى هذه الدعوة النبوية السلمية ان النبى كان يعتقد قابلية تلك الامم التى يحكمها اولئك الطغاة ، لتلبية دعوته ، واعتناق دينه ، وكان يعلم أن الملوك والرؤساء وحدهم هم الحوائل والعوائق دون اسلام رعاياهم حرصا على سلطانهم وزعاماتهم واقطاعياتهم من المال والعقار والعبيد .

وقد ثار بعض اولئك الملوك والرؤساء على سفراء النبى الذين حملوا ، اليهم دعوة الاسلام ، وهددوا بمحاربة المسلمين .. فلم يكن بد للجيش الاسلامى من أن يستعد للدفاع وان يستعد للهجوم أيضا فى سبيل دعوته الى رعايا اولئك الملوك .. تلك الرعايا التى كانت مستعدة لاعتناق الاسلام دينا ، او على الاقل كانت مستعدة لقبول الاسلام كدولة تحكمها بالعدل والمساواة بدلا من ملوكها الطغاة المترفين .

ان الفتوح الاسلامية التى تجاوزت بلاد العرب لم تكن طمعا فى استعمار البلاد المفتوحة ، او رغبة فى استذلال اهلها — كما يفعل الفاتحون الغربيون اليوم — وانما كانت ضمانا لسلامة الدولة الاسلامية من جانب ، وحبا فى إدخال العالم الحائر التعس ، فى دين الحق والخير والعدل والسلام من جانب آخر .

فعندما بدأت الاحوال فى دولتى فارس والروم تضطرب حينذاك ، لم يكن الخليفة المسلم ملوما فى العمل على حماية دولة الاسلام من عدوى ذلك الفساد بما أعد من جند للفتوح الجديدة ، التى يقيم بها فى البلاد المفتوحة قواعد عسكرية تحمى ظهر الدولة الاسلامية ، وقواعد اجتماعية تصلح بها حياة الناس إن رضوا بالاسلام دينا ، وان لم يرضوا ، فهم بعد الجزية والمسالمة أحرار مكرمون ، محفوظة حقوقهم ، محمية أعراضهم ، كالمسلمين تماما . وهذا أندر مايطمع فيه مغلوب من غالبه ؟

ولقد اتهم المؤرخون الاوربيون الاسلام بأنه : دين سيف ، ودين عدوان ، ودين (قطع طريق) ولو رجعوا الى تاريخ الحرب الاسلامية

لعرفوا أولا — أن الاسلام كان فى بداية عهده هو المعتدى عليه ، ولـــم يكن معتديا على احد ، وكان المسلمون يؤمرون — فى القرآن — بقتال من يقاتلونهم فحسب .

● ولعرفوا ثانيا : ان المسلمين كانوا يحاربون من لا يؤمن عهده ، ولا يتقى شره بالمعاهدة والمسالمة — كما جاء فى وصايا القرآن .

● ولعرفوا ثالثا : ان ما كان من حرب المسلمين لغيرهم هجوما لم يكن الا مبادرة بالدفاع بعد التثبت من نكث العدو للعهد ، وإقباله على القتال . حتى إن الجيش الاسلامى رجع من تبوك دون ان يطارد جيش الـــروم الذى نكص على عقبيه ، على فرط ما تكبد المسلمون من متاعب ونفقات، فى مسيرهم الى تبوك .

● ولعرفوا رابعا : ان (السرايا الاسلامية) التى اسموها (قطعـــا للطريق) قد اتبع نظامها قائـــدهم العسكرى الاشهر نابليون ، عنـــدما منع السفن الانجليزية التجارية مـــن الوصول الى القارة الاوربية ،وحول المعاملات الاقتصادية من طـــريق بريطانيا الى طريق فرنسا .. هـــذا الى أن القانون الدولى الحـــديث ، ونظام هيئة الامم المتحدة ، وتجارب الحربين العالميتين الماضيتين قـــد أقرت فرض العقوبات الاقتصاديةعلى الدول المعادية .

● ولعرفوا خامسا : الفرق الفارق بين الاسلام كدين عالمى عام جاءليمنح العالم كله منهاج الخير والحـــق والعدل والسلام ، وبين اليهـــودية كدين خاص بشعب اسرائيل ، يكره معتنقوه ان يشاركهم فيه الناس ، فكانوا من أجل ذلك لا يدعون اليـــه احدا من غيرهم — وبين المسيحيـــة كدين جاء للتربية الخلقيـــة ، دون القوانين السياسية التى كانت الدولة الرومانية تفرضها وتنفذهـــا ، وهى دولة أجنبية مسيطرة لم يكن لاصحاب الدين المسيحى الجديد قدرة علـــى مناهضتها .

● ولعرفوا أخيرا : ان الاسلام لم يحارب بالسيف مبادىء وافكـــارا ودعوات يمكن مقاومتها بالدليـــل والحجة والبرهان .. وانما شـــهر الاسلام السيف فى وجوه سلطات وقوى وزعامات ورئاسات وموروثات كانت تقف فى سبيل دعوته الجديدة الرشيدة ، وهى تطرق الابـــواب والآذان والقلوب ..

ولكن انى لهؤلاء المؤرخين الحاقدين ان يعرفوا هذه الحقائق من تاريخ الحرب الاسلامية — وهم عامـــدون عمدا ، وقاصدون قصدا الى الكذب والبهتـــان .. ؟



على هامش الإسراء والمعراج

القرآن والبعد الزمني

د . عماد الدين خليل

فى القرآن الكريم اشارات ولمحات معجزة عن البعد الزمنى فى الكون ، تثير الدهشة والتساؤل ولو تيسر لجمعها وتنسيقها وتحليلها عالم طبيعي او رياضى (مؤمن) وقارنها بنسبية (آنيشتاين) التى ادخلت البعد الزمنى كبعد جديد ثالث فى دراسة الكتلة الكونية ، لرأى بأم عينيه العجب العجاب ولأدرك يقينا أن هذه الاحاطة الرياضية الشاملة بابعاد الكون ، وعدم التقيد بمقاييس الارض ونسبياتها المحدودة سيما فى زمن نزول القرآن حيث علوم الطبيعة والرياضة تحبو بعد ، لم تتجاوز مرحلة طفولتها وهذه النظرة الكلية التى تطل على الكون ولا تندمج فيه إنما هى جميعا من لدن العليم الخبير الذى احاط بكل شىء علما .

ولست هنا بالذى يبحث عن هذه التحليلات والمقارنات ، وما أنا بقادر عليها ، إنما اريد أن أقدم بعض الملاحظات الأولية فى هذا الجانب المعجز من القرآن الكريم ومن حياتنا البشرية على السواء لأنه — والحق

يقال — يثير الرغبة فى التأمل ويدفع الى الاستقصاء حتى لو اوقع المتأملين والباحثين فى عشرات الأخطاء لكن عذرهم أنهم يـريدون بهذا البحث أن يتعبدوا الله جل جلاله ويتقربوا إليه.

ما الذى يلفت الانظار فى قرآننا الكريم بهذا الصدد ؟ حشد من الايات واللمسات والإشارات منبثة فى حنايا السور هنا وهناك . نذكر منهـا هذه الآيات الموحية ذات الدلالة العميقة : **((قال كم لبثت ؟ قال : لبثت يوما أو بعض يوم))** : (البقرة ٢٥٩) **(ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار)** يونس ٤٥ **((يوم يدعـوكم فتستجيبون بحمده ، وتظنون إن لبثتم إلا قليلا))** الاسراء ٥٢ **((قالوا لبثنـا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين))** المؤمنون ١٣ **((ويوم تقوم الساعـة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة))** الروم ٥٥ **((ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة ممـا تعدون))** السجدة **((يسأله من فى السـموات والارض كل يوم هـو فى شـأن))** الرحمن ٢٩ **((كأنهم يوم يرونهـا لم يلبثوا الا عشـية أو ضـحاها))** النازعات ٤٦ **((اذ يقول امثلهم طريقة أن لبثت الا يوما))** طه ١٠٤ **((وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون))** الحج ٤٧ **((ادعو ربكم يخفف عنـا يوما من العذاب))** غافر ٤٩ **((ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام))** الاعراف ٥٤ **((الله الذى خلق السموات والارض ومـا بينهما فى ستة ايام))** السجدة ٤ .

ان بين هذه الآيات المنبثة فى حنايا القرآن—وغيرها— ترابطا وانسجاما رياضيا دقيقا ، وان فيها تأكيـدا مستمرا على الحقيقة (الطبيعية) الكبرى لم تتكشف بعض جوانبهـا للعلم الا اخيرا تلك هى ان الزمـن فى الارض والزمن فى امداء الكـون ليسا سواء ، وان هناك فرقا شاسعا بين الوحدة الزمنية الارضية والوحدة الزمنية الكونية، تبلغ تارة ٣٦٥٫٠٠٠ ضعفا وتبلغ تارة أخرى ١٨٫٢٥٠٫٠٠٠ بحساب القـرآن الـكريم نفسه .. فأين نحن فى حياتنا الدنيا وفى أيامنا الضئيلة التافهة هذه ؟

من اجل ذلك سيشده الناس يوم القيامة وسيظنون ان حياتهم الدنيا لم تكن سوى ساعة من نهار وانهم لم يلبثوا الا قليلا وعندما يسـأل أحدهم : كم لبثت ؟ يجيب : لبثت يوما أو بعض يوم .. أما المجرمـون فيقسمون أنهم ما لبثوا غير ساعة . ويقول أمثلهم طريقة : ان لبثت الا يوما . ويسعى هؤلاء المجرمون الى التأكد من هذه الحقيقة الواضـحة فيلتمسون من الله جل وعلا ان يسأل العادين فلعل عندهم الخبر اليقين ، ومن أجل ذلك كانت دعوة الكافـرين وهم يتخبطون فى أعماق جهنم أن يخفف عنهم يوما واحدا من العذاب، فما أشد هذا اليوم الكونى وما اطوله فهو ربما يكون ثلاثمائة وخمسـا وستين ألف يوم ارضى وربما يكون ١٨٫٢٥٠٫٠٠٠ من أيامنـا على الارض .. حقيقة رهيبة هائلةتقشعر لها الأبدان وتشعرنا لو كنا مؤمنين قليلا بضآلتنا وتفاهتنا وانحسـارنا فى زاوية من زوايا الكون لا تعـدو أيامها ان تكون لحظات من الايام هناك فيما وراء عالمنا الارضى ونسبياته المحـزنة .

ورغم ان الله سـبحانه يريد ان يرفعنا ويطهرنا ويكرمنا على العالمين ويمنحنا مكانة كبيرة فى هذا الكون الشاسع نتجاوز بهـا انحسارنا وضآلتنا وتفاهتنا فاننا نرفض هذه المنحة ونشيح هذا النداء الكبـير ونتجمع على بعضنا خائفين مرتعبين كالديدان من اجل الا نسمع صـوتا

ينقلنا من الحفرة الضيقة الى رحاب الكون ومن أجل ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان الله يمهل ولا يهمل) وانه (يملى للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته) وهذا الامهال للكفار والطواغيت والمجرمين يبدو فى حسابنا الارضى طويلا . . طويل قد يتجاوز السنوات وقد يمتد الى عقود السنين وربما القرون لكى تحق كلمة الله على الظالمين ويأخذ العدل الالهى مجراه لكن هذه الايام والسنين والعقود والقرون لا تعدو فى زمن الله يوما او بعض يوم ومن ثم كان تمهل الله بطيئا فى حسابنا سريعا سرعة مذهلة فى حساب الملأ الاعلى واذا كنا نحن نستبطىء عقاب الله حينا فربما كان الملأ الاعلى يتسرعه احيانا ، وما كان لنا اذن الا ان نذعن لامر الله وتتيقن نفوسنا عدله الازلى الشامل الذى يتجاوز نسبيات الزمان والمكان الىالقيم المطلقة التى لاينحرف بها ميزان ولا يطيش عندها جزاء أو عقاب .

ومن بين هذه الآيات المحكمة نلتقى بحقيقة (طبيعية) أخرى لا تقل فى خطورتها وضخامتها عن الحقيقة السالفة ان لم تفقها وتتجاوزها الى ما هو أشد واخطر ، ان القرآن الكريم يعلن ان الله سبحانه وتعالى خلق السموات والارض فى ستة أيام ويكرر هذا الاعلان فى اماكن عديدة ثم يفصله فى سورة (فصلت) فيقول: **قل (أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين . ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها)** ٩ — ١٢

ولنا ان نتصور لا بحسابناالارضى ولكن بحساب المطلقات القرآنية الامداء الزمانية لهذه الايام الست التى (خلق) فيها الله سبحانه بناء السموات والارض واعد كرتنا الارضية لاستقبال الحياة وانمائها وتطويرها على يد الانسان خليفة الله فى الارض وسيد مخلوقاتها ، ولنا أن نتصور كذلك كيف تم هذا التصميم والاعداد **المعجزين القائمين** على قوانين وسنن ونواميس غاية فى الدقة والاتقان والانضباط،ليس اقلها قوانين الجاذبية وتصريف الرياح وحركة الليل والنهار وانبات النخل والرمان والعنب من قلب التربة ، وتوازن نسبة مكونات الغلاف الغازى وخلق الانعام وإرساء الجبال وتكثيف الغاز والدخان الى كتلة صلدة صالحة للحركة والبناء،وتزيين السماء الدنيا بالمصابيح الزرقاء وتفجير الحياة من الطين اللازب ولنا ان نتصور بعد هذا وذاك ماذا تريد هذه الآية ان تقول لنا **(يسأله من فى السموات والارض كل يوم هو فى شان)** كل يوم وأى يوم أنه ذلك الذى قلنا أنه ربما يبلغ ...ر٢٥٠ ر١٨ يوم من أيامنا (**فبأى آلاء ربكما تكذبان))** ؟

ونريد ان نقف قليلا عند هذه الآيات ففيها من الحقائق الشاملة والايحاء العميقة ما يهز الفكر والوجدان ، والعجيب أنها تعرض هذه الحقائق (الرياضية) باسلوب يقطر موسيقية وتأثيرية ووجدانا ولنتدبرها معا : **(سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع . من الله ذى المعارج تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة فاصبر صبرا جميلا انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا)** المعارج ١ — ٧ .

ان الملائكة والروح وقد تجردت من عوائق الجسد والتراب التىتقيد

الانسان . وتجاوزت قوانين الزمان والمكان الارضية النسبية تصعد الآن فى طريقها الى بارئها عبر معارج وامداء لا يحيطها خط خيال انسان مهما امتد به الخيال،لانها ستجتاز هذه الامداء التى تبعثرت فيها خمسمائة مليون مجره فى كل منها آلاف المجموعات الشمسية كمجموعتناواكبر ولتجتاز هذه كلها فى يوم واحد لكنه ليس كأيامنا انه بحساب أيامنا يبلغ ثمانية عشر مليون وربع المليون يوما ولكنه يوم كونى . اشار اليه انيشتاين فى نسبيته تلك التى قادته الى آفاق جديدة رحبة فى ميدان العلوم الطبيعية والرياضية .

واذكر مرة انى كنت استمع الى ندوة تلفزيونية علمية ، وتحدثأحدهم عن جوانب من هذه النظرية وقال فيما قال : ان وصول انسان ما الى احدى المجرات ، وسماها،يحتاج الى خمسمائة سنة ضوئية وإن هذا الانسان نفسه إذا تيسر له جهاز ينقله عبر الفضاء بسرعة الضوء فانه سيختزل هذه المدة الشاسعة الى ما يقرب من خمسين سنة فحسب .

ان الملائكة والروح المتخفف من أعباء الجسد وشد الاعضاء لايعجزها أن تفوق فى حركتها سرعة الضوء ومن ثم فهى تعرج الكون كله فى طريقها إلى خالق الكون جل وعلى فى يوم واحد فى حساب حركتها الزمنية عبر الكون لكنه فى حسابنا ! ومن ثم ينادى الله فى علاه رسوله الكريم وهو يشقى بدعوة اناس يرون يوم الحساب بعيدا كبعد السراب **(فاصبر صبرا جميلا . انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا)** .

وهذا يقربنا بعض الشىء من فهم حادثتين زمنيتين عرضهما عليناالقرآن الكريم فى سيرة نبيين من أنبيائه عليهم السلام تكريما لهما وتقديرا .

حادثة نقل عرش بلقيس من أقصى الجنوب الى اقصى الشمال فى جزء من لحظة ، وحادثة الاسراء بالرسول عليه السلام من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ثم العروج به الى رحاب الكون فى ليلة واحدة او جزء من ليلة .

نقرأ عن الاولى **(قال يا أيها الملأ ايكم يأتينى بعرشها قبل ان يأتونى مسلمين ؟ قال عفريت من الجن انا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وانى عليه لقوى امين.قال الذى عنده علم من الكتاب ، أنا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربى غنى كريم قال نكروا لها عرشها ننظر أتهدى أم تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت قيل أهكذا عرشك ؟ قالت كأنه هو واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين)** النمل ٣٨ — ٤٢ .

ألا تلفتنا فى هذا العرض عبارات كهذه **(عنده علم من الكتاب)** **(واوتينا العلم من قبلها)** ثم الا يثير تساؤلنا تفوق (الانسان) الذى عنده علم من الكتاب على (العفريت) وتمكنه من اختزال عملية النقل من ست ساعات الى سدس اللحظة وربط سليمان إتيانه العلم من قبلها بكونه مسلما أى منقادا لأمر الله وسننه ونواميسه ثم الا يعنى هذا كله أن منح (علم الكتاب) لرجل او عفريت او نبى او ملك هواطلاعه على الدستورالرياضى والطبيعى لقوانين السموات والارض ومن ثم تسخيرها الى اقصى مدى ممكن لتحقيق منجزات زمنية ومكانية خارقة ؟

إن الناس قبل أن يسخروا قوى البخار والكهرباء والذرة كانوا يقطعون المسافة بين بغداد والقاهرة

بشهرين أو ثلاثة ، ولو قيــــل لهم حينذاك أن بامكان الانســـان — لو حظى بمزيد من العـــلم بنواميس الطبيعة وسننها — ان يختزل هــذه المدة الى أيام والى ســاعات فانهم سوف لن يصدقوا وســوف يتهمون المتسائل بالجنون او بشطط الخيـــال على أقل تقـــدير ومضــــت الايام والسنون وسخر البخار والكهـــرباء والذرة ، وصرنا نصـــل الى أطراف الارض بساعات معدودات ونجتـــاز الارض صوب القمر ونتطلع للذهاب الى ما هو أبعد فى مجموعتنـــــا الشمسية فى يوم قريب او بعيـــد ولو قال لنا قائل الآن انه ســيجىء يوم يكشف العلمـــاء فيه عن مزيد من (السنن والقوانين) الطبيعيـــة والرياضية وانهم سيتمكنون بذلك من صنع اجهزة تنقل الانسان الى القمر فى ساعتين أو ثلاث لاتهمناه بالجنون او بشطط الخيال على اقل تقدير .

ولكن ذلك اليوم سيجىء وسيجىء حتما طالما كان هنالك ســعى دائب للكشف عن مزيد من جوانب العـــلم الذى تسير به السموات والارض .

وكثيرا ما يقول القـــائلون ويكتب القصاص ويخرج المخرجون روايات عن محاولات تجرى لنقل الاجســـام والاشياء من مكان الى مكان بعيـــد بسرعة كسرعة الضوء بعد تفكيكهـــا الى تكويناتها الذرية الاولى واعـــادة تركيبها فى المكان الذى استقرت فيه متحدية حواجز المكان والزمان ،وهذا الامر كذلك لا يستبعد ان يتحقق فى يوم قريب او بعيد وهل كان بامكان أحد قبل قرنين من الزمان ان يصدق ان بامكان قنبلة لا تتجاوز حجـــم كتاب عوملت فيها الذرات التافهـــة الحقيرة معاملة خاصة معقدة انتدمر مدينة كبيرة بأسرها وتمحقها محقـــا من الوجود فى دقائق ولحظات ؟!

ان القوانين والسنن الطبيعية التى تسير السموات والارض الى غاياتها المرسومة فى علم الله والطاقات التى تحتويها هذه الكتلة الكونية هى هـــى فى كل زمان .. والذى يتاح لــــه الاطلاع على بعض جوانبها وفاعلياتها يستطيع أن يأتى بالعجب العجاب وان يتحدى الوقائع المألوفة ويتجاوز تحديات المكان والزمـــان فكيف وان هذا العلم يمنح مبـــاشرة من الله سبحانه معززا بارادته التى لا تغلب لذلك الرجل الذى (عنـــده علم من الكتاب) او الى نبى كسليمان عليه السلام ، هل يعجزهما أن يأتيا بعرش بلقيس عبر آلاف الاميال فى جزء تافه ضئيل من لحظة زمنية ؟ .

ونقرأ عن الحادثة الثانية فىسورة الاسراء **(سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المســجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو الســميع البصير)** . ونقرأ فى سورة النجم : **(ولقد رآه نزلة اخـــرى عند ســدرة المنتهى . عندها جنة المأوى اذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد راى من آيات ربه الكبرى)** ١٣ــ١٨ وفى صحيح البخارى نقرأ : عن مالك ابن صعصعة أن نبى الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة اسرى به قـــال :

(ثم اتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض ، قال الراوى : وهو البراق يضع خطوة عند اقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بى جبريل حتى أتى السماء الدنيا .. الى آخـــر الحديث الشريف) .

لقـــد أمتطى رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم — اذن — براقا ، انطلق به من القدس ليجتاز به امداء الكون صوب (سدرة المنتهى) حيث (جنة المأوى) من أجل ان تتـــاح

للرسول عليه السلام فرصة نــادرة المثال لرؤية جوانب من الملكــوت عن كثب تكريما له وتقديرا .

ان البراق هذه المخلوق المجهول الذى يضع خطوة عند أقصى طــرفه والذى يقطع المسافات الشاسعة فى ليلة واحدة او جزء من ليلة وربما فى لحظات خاطفة يشتق اسمه من عالم الضوء والكهرباء وهى تسمية ذات مغزى عميق جاءت فى عصر لم يكن أحد فيه يعرف شيئا عن قــوانين الضوء وسرعته وطاقات الكهــرباء وامكاناتها ، وهى لعمرى رمز ما بعده رمز للتعبير عن الانسجام الكامل بين رحلة الرسول صلى الله عليه وسلم وبين سنن العلوم وقوانينها ، تلك الرحلة التى لم يرد لها ان تكــون اعجازا يفحم المشركين بعــد اذ لم تقنعهم معجزة القرآن ذاتها ، بقدر ما أريد لها أن تكــون رحلة تكريم يطلع فيها الرسول صلى الله عليه وسلم على اطراف الكون الذى ابدع الله صنعه واتقن حبكه ، وان كان من بديهيات القول ان بامكان الله سبحانه ان يتجاوز السنن والقوانين فى ايــة لحظة يشاء لانه جلت قدرته صــانع السنن والقوانين لكن هذه الحقيقــة الكبيرة لا تمنعنا من القول بأن رحلة الرسول صلى الله عليه وسلم يمكن ان تجد لها تفسيرا وتحليلا حتى على نطاق الطبيعة والرياضيات .

وفى صبيحة اليوم التالى عندمــا تحدى مشركو مكة الرســول عليه السلام أن يصف لهم بيت المقــدس ان كان رآه حقــا طفق الرســول يصفه وكأنه معروض عليه عرضــا أزقته واسواقه وباحاته وكنائســه وطرقاته ، عن جابر قال : قال رسول الله : (لمــا كذبتنى قريش قمت فى الحجر ، فجلى الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وانا انظر اليه) وانا أنظر اليه لحظة من لحظات تجاوز الابعاد والحواجز الزمانيــة والمكانية تعتمد السنن نفسها التــى نقل فيها عرش بلقيس مــن اقصى الجنوب واسرى بالرسول عليه السلام الى اقصى الشمال وعرج به فى ليلة الى أقصى الكون . السنن التى جعلت عمر بن الخطاب فيما بعد يصرخ وهو فى مسجد المدينة (يا سارية الجبل . . الجبل .) سارية الذى كان يقــاتل فى العراق ويتعرض وجنده لكمين قــاتل .

وكنا نسمع فى طفولتنا من جداتنا وهن يقصصن علينا ان أناسا مــن أصحاب الكرامات يطلق عليهم (أهل الخطوة) كانوا يجتازون المســافات الشاسعة ويقطعون مئات الاميــال ويتنقلون عبر القرى والمدن بمجــرد خطوات فحسب تصل بهم الى اهدافهم وكان تصديق ذلك أمرا صعب الاحتمال يفوق قدرات خيالنا وتخيلنا الضئيل الصغير ، تماما كما يفــوق خيــال وتحليل (الكبار) الذين يرفضــون بمجانية رخيصة الايمان بكل مــالا يخضع ــ ابتداء ــ لخبرات الحواس الخمس ويقيناتها ، اولئك الكبار الذين يصفهم القرآن بسبب موقفهم الرخيص المبتذل هذا بأنهم كالانعام بــل هم اضــل .

لكن الانسان عند ما يكبر لابحساب الاعمار ولكن بحســاب القدرات والادراك فانه سيعرف حتمــا ان احداثا كهذه يجب ان تعالج بأسلوب جاد فى البحث والتمحيص ، من اجل الوصول الى كلمة الحق ، صــحيح أن الكثير من تلك الاقاصيص كــانت خيالا منمقا لا رصيد لها فى ســاحة الوقائع والاحداث التاريخية ، الا أن الفكرة مبدئيا تحتمل التصــديق بل اليقين ، ذلك أنه كما لعوالم الطبيعة قوانين وسنن من (علم) بها تمكن

من اجتياز العقبات الظاهــــرية والوصول الى اهداف كانت تبدو لاول وهلة عسيرة التحقيق تفوق حــدود الخيال كذلك الحال فى عوالم الروح والارادة التى تحكمها هى الاخــرى قوانين وسنن أراد لها الله ان تنظم الطاقات الروحية فى الكون كما تنظم قوانين الجاذبية والنسبية طاقاتــه المادية . الا ان الكشف عن هــذه السنن الروحية وتلمسها اصعب من الكشف عن قوانين الطبيعة والمــادة بما يفوق القياس والاحصاء ، لاننا اذا امكننا ان نطل على الطبيعة من نوافذ حواسنا الخمس فان الاشراف على عالم الروح لا يتحقق بهذه السهولة ولا يتيسر إلا للقلة القليلة التى تتمكن برياضتها الدائمة أو بمعــونة الله سبحانه ان تكشف عن جوانب مــن سنن الروح فتسخرها وتصنع بهــا الاعاجيب ، ولذلك لما سئل الرسول عن الروح : ما هى ؟ وما كنهها ؟ وما طبيعة السنن التى تحكمها ؟ قال له الله سبحانه (ويسألونك عن الروح، قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا) .

وعن طريق هذا التكشف لبعض سنن الروح الذى يجىء عن رياضة ومراس كما هو الحال بالنسبة لغير المسلمين (بعموم لفظ الاسلام) او عن امداد الهى كما هــو الحــال بالنسبة للمسلمين عامة ولمتصوفيهم على وجه الخصوص وهى قضــية شبيهة وموازية تماما للكشــف عن قوانين الطبيعة التى يمكن ان يحظى بها علماء ملحدون او رجال وانبيــاء يؤمنون بالله واليوم الآخر كما حدث لسليمان ومحمد عليهما السلام .

وعن هذا الطريق أمكن لكثير من الناس ان يعتمدوا هــذا التكشف ويسيطروا به على قــوانين الجسد وسنن الطبيعة ويصلوا الى اهدافهم او يحققوا فاعلياتهم بأساليب يعجز العلم الطبيعى عن تفسيرها وتحليلها

واذكر على سبيل المثال ما حدث قبل سنتين فلقد قيل لطبيب حــاز درجة الدكتوراه فى الجراحة ومارس عمله طويلا وتمرس فيه أن جماعة من (أهل الدرباشه) جــاءوا الى المدينة وراحوا يقدمون عروضــــهم فى ادخال الســـيوف فى بطونهم واخراجها من ظهورهم وغرز المسامير الحديدية فى خدهم الايمن واخراجها من الخد الآخر، ومضغ الآنية الزجاجية وابتلاعها على أصوات الطبول وفى غمرة من الادعية والابتهالات ، هم يفعلون ذلك كله دون أن ينزف لهم دم ، أو يتمزق لهم عضو ، فســخر (الدكتور الجراح)من ادعاءاتهم هذه، وقرر أن يذهب بنفسه ليرى بأم عينيه وماذا كانت النتيجة ؟ قدم هــؤلاء عروضهم كالمعتاد وشــده الطبيب واكتفى بالقول بأن أمرا كهذا يحيره ولا يجد له تعليلا (علميا) مقبــولا لان هذه العروض تمثل تحديا سافرا لعلوم الفسيولوجى ووظائف الاعضاء. الى آخره .

هذا أمر كثير الوقوع أمام اعيننا، البوذيون الذين يمتنعون عن الطعام والشراب اشهرا طوالا أمر مسلم به وما يحدث فى حلقــات ومختبرات تحضير الارواح والتنويم المغناطيسى عجز عن رده الماديون والطبيعيون ، فكيف بأهل الخطــوة واصــحاب الكرامات الذين يستمــدون قدرتهم على الكشف الروحى من الله سبحانه لا من رياضة ذاتية ، أليس بامكانهم أن يختزلوا المسافات الشاسعة بلحظات ويجتازوا المدن والبلاد بخطوات ؟! .

ان الرسول الكريم عليه السلام يبين لنا فى حديث قدسى أن العبــد ما يزال يتقرب الى الله حتى يكون يد الله التى يضرب بها وعينه التى

يرى فيها ثم ما يزال يتقرب حتى يصل الى تلك القمة الروحية السامقة التى تسخر الاشياء والاحداث والخلائق باشارة واحدة اذ تقول له كن فيكون .

ان الله سبحانه صانع السنن والقوانين فى عالمى الروح والطبيعة يهب بعض عباده هذه القدرة الخارقة التى يتمكن بها العبد من طبيعته الخاصة ، ومما يحيط بها من أشياء وموجودات فيصنع المستحيل ، وتبدو هذه المستحيلات (خوارق) بالنسبة لاناس ينظرون من الخارج لكن القضية بالنسبة للعبد لا تعدو ان تكون قضية (علمية) تعتمد قوانين الروح وطاقاتها لتسخير الاشياء والموجودات ولتحطيم الحواجز الخارجية للزمان والمكان .. لقد كشف العلم الطبيعى نفسه وفى العقود الاخيرة ومن خلال تحليله لخواص المادة وتوغله فى تركيبها الباطنى عن حقيقة خطيرة ، هى أن الطاقة او الحركة انما هى قاعدة المادة واساس الاشياء ، وان تركيب الذرات وما تحتويه من تكوينات أدق كالنيوترونات وما تضمه هذه من تركيبات أشد دقة وضآلة يؤول فى نهاية المطاف الى طاقة حركية غير مادية هى التى تتشكل منها الذرات والجزئيات ، وهى التى تصوغ فى سرعتها وابطائها وطبيعة حركتها اشكال الاشياء الصلبة والسائلة والغازية .

فاذا كانت الوحدة الاساسية للبناء الطبيعى المادى قد تكشفت عن الحركة اللامادية أفلا يمكن القول اذن بأن الطاقة الروحية التى تتميز بالوعى والانفصال والامتثال والاستشراق والارادة يمكن ان تتعامل مع هذه الطاقة (اللامادية) بشكل من الاشكال وتطوعها لامرها فتذعن وتلبى ؟!. ان اشارة ضوئية غير ملموسة توجه مركبة فضائية فى غاية التعقيد الى اهدافها فى ظروف تقرب من المستحيل أفلا يمكن لاشارات الروح ان تحقق فى عالم الطبيعة ما هو أكثر استحالة واعجازا ؟!

ان انهيار الاساس المادى للاشياء الذى كشف عنه العالم اخيرا يقربنا خطوات من فهم وادراك طبيعة التعامل بين الروح والمادة ، ولكنها خطوات فحسب ربما ستطلعنا على وحدة البناء الكونى ، فوحدة خالقه جل وعلا ، ولكنها لن تطلعنا بحال على كل ابعاد وخصائص الروح الانسانى ولا على كل سننه وقوانينه ، هذا الروح الذى هو نفحة الله فى الطين ، ومصدره الحياة والفكر والارادة والتقدم ، وسيظل مستغلقا على الادراك والتحليل الكاملين لان اخلاقنا على الارض لا تقتضى هذا التكشف الكامل ولان المقادير الضئيلة التى يمنحنا الله اياها فى عالم الروح توازى فاعليتها المقادير الضخمة التى مكننا من معرفتها فى عالم الطبيعية ، وهذا التوازن الحضارى الفذ بين الروح والمادة فى ميدان الكشف والمعرفة هو ما يقودنا القرآن اليه فى حشد كبير من الآيات التى تدعونا الى أن نفتح كل منافذنا على الطبيعة لاستكشاف قوانينها وطاقاتها وتسخيرها لتنمية الحياة البشرية وتطويرها ، يقابل هذا الحشد آية كريمة تقول (**ويسالونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما اوتيتم من العلم الا قليلا**) وصدق الله العظيم .

من وحي الإسراء ..

الوحدة أولاً

محمود ذنون

ولا وحدة بدون محور جامع ولا جامع إلا الإسلام !

للدكتور : محمدسعيد رمضان البوطى

ليس اثقل على من ان اكتب فى موضوع يتعلق بمشكلة فلسطين وعلاجها !!
وليس ذلك عن جهل منى بجوهر المشكلة وطريق علاجها ، ولكنى اجدنى عندما أتحدث فيها ، كمن يعزف فى قاعة على لحن سمعه الجالسون امامه ما يزيد على عشرة آلاف مرة ، سمعوه بآلات مختلفة وصور متعددة . وما من عازف ينتمى بنسب الى الفن الا واقبل يبنى امجاده الفنية بينهم عليه ، يعيد اللحن من أوله كلما انتهى الى آخره ، ويملأ الآذان بانغامه كلما رأى أنها فرغت من ذكره وضجيجه !..

فلو كان هذا اللحن مستوحى من نشوة فراديس الجنان ، او الدواء الشافى من سائر المصائب والأسقام ، لكان فى كثرة هذا التكرار له والمباهاة به واقامة شوامخ الأمجاد عليه ما يقلب نشوته الى اشمئزاز وسآمة ويحيل ترياقه الشافى الى بلاء يزيد المريض آلاما !..

لو احصينا النشرات والمقالات والمؤلفات التى كتبت عن قضية فلسطين ، وضممنا الى ذلك المحاضرات والندوات والخطب التى ألقيت أو عقدت من أجلها — لاجتمع من ذلك أعظم مكتبة عمومية فى العالم كله . ولو كان من شأن الكلام يوما ما أن يدفع الباطل ويزهقه ، ويحفظ الحق ويعيده لأهله ، لكان ذلك من شأن هذه المكتبة العظيمة من الكلام !..

ولكن الكلام لا يفعل شيئا من ذلك ، وانما شأنه أن ينبه الناس الى الحق وأن يلفت أنظارهم اليه . فاذا تكرر واستمر يتكرر ، كان من شأنه أن يثير فى الناس مشاعر السآمة والضجر . فاذا ظل مع ذلك يدور ويتكرر ، أثار فى الناس مشاعر الاشمئزاز والكراهية ، لأنهم يرون اذ ذاك أن المتكلم انما يريد بذلك أن يلفت الأنظار الى ذاته بدلا من أن يلفتها الى القضية التى يتحدث عنها .وليس أثقل على الناس من رجل أعوزه أن يجد فى عمله سبيلا الى الشهرة والمجد ، فاتخذ الى ذلك سبيلا من الخطب والكلام .

نكبة تحولت الى مائدة طعام

لقد انقضت سنوات طويلة من عمر النكبة ،واكثر الذين يعالجونها فى الظاهر ، انما يحدثون بها ليتغذوا على مائدتها ، كل يحاول أن يستلّ منها غذاءه الصالح له .

فلقد كانت هذه النكبة — كما قد اريد لها — ينبوع فائدة عظيمة لمصالح الشرق والغرب ، كما كانت فى الوقت ذاته دريئة شر وقناع فضيلة لكثير من أهل الدار ذاتها !..

لقد بات من الحقائق الواضحة التى لا تغيب عن الأطفال فى مدارسهم أن كلا من الشرق والغرب انما يسعى جاهدا لخلق أو استبقاء مناطق نفوذ له فى هذا الشرق العربى المسلم ، وانما السبيل الى ذلك أن يتكىء على نقطة ضعف يعانى منها .

ولقد كانت قضية فلسطين — ولا تزال — أضعف نقطة رائعة تصلح معتمدا لهذا الغرض !.. انها مفتاح سحرى يمكن أن يدار بيد غربية ، واذا الأبواب الموصدة بيننا وبين الغرب مفتحة واذا بسلطانه الاستعمارى قد انبسط فوق هذه المنطقة وأحدق بها . وهى مفتاح سحرى يمكن أن يدار بيد شرقية أيضا ، فما هو الا أن تجد جميع الحواجز الكيانية والفكرية قد تهاوت مما بيننا وبين الشرق ، واذا نحن كتلة مستعمرة أو مستذلة بيده لا تملك من أمر نفسها أو مصيرها شيئا .

لقد كان من أخطر نتائج المشكلة الفلسطينية الفقر .. والفقر لا يندفع (وأستغفر الله) الا بمعونة شرق أو غرب !..

ولقد كان من أهم آثارها ضرورة الالتجاء الى ركن شديد ينحاز الى صفنا ويشد من أزرنا ويزجر بالتخويف أعداءنا ، وانما يتم ذلك بأن نولى وجوهنا صاغرة ذليلة قبل الشرق أو الغرب !..

ولقد كان من أبرز عواقبه حاجتنا الى الجديد من السلاح ، والمال الذى يؤخذ به السلاح الصالح مفقود ، فكان لا بد للحصول عليه من الاعتماد على أريحية الشرق أو الغرب ! ..

وهكذا ، فقد كان احتياجنا الى معونة دولة كبرى ترد عن بلادنا الحيف والظلم مجرد وسيلة من وجهة نظرنا ، ولكنه من وجهة نظر تلك الدولة غاية ذاتية تحلم بها وتخطط اكثر من سبيل اليها !.. فأى نتيجة ، اذاً ، يحق أن ينتظرها السائل الذى يصبر على ذلّ المسألة طمعا بالخير الذى يتأمله ، اذا كان المسؤول يرى فى استجدائه أعظم غاياته التى يحلم بها ؟!..

لسوف يظل المسؤول يظهر فنون الرقة والتأثر بما يسمعه من لحن الاستجداء والرجاء ، ليظل السائل يأمل الخير بسعيه فيزداد فى التشبث والرجاء .. وتستمر القصة عند هذه الصورة التى لا تبديل لها .

معـــونات .. ولكـــن لإطالة عمر النكبـــة !..

إن أى دولة لم تقدم عونا لحـــل مشكلتنا الا بالقدر الذى يزيد فى أجل آمالنـــا . ويبعد السبيل الى حـــل مشكلتنا . لقد تجلت هذه الحقيقة فى معونات السلاح .. وفى المعونات الاقتصادية المختلفة .. وفى المعونات الأدبية فى المحافل الدولية .

ومع ذلك فان الكثيرين منـــا لا يزالون يلتمسون حل المشكلة من خلال معونة الأصدقاء ! .. كان الأصدقاء لا يعلمون أن انتهاء المشكلة انما يعنى انتهاء الحاجة الى معونتهم ، وبالتالى انتهاء ما يلزمنا بالخضوع لأحكامهم وقيودهم .

اذاً ليس من أمل فى حل نكبة فى فلسطين ، عن طريق الاعتماد على عواطف شرق ولا غرب .. وليس فى هذه الحقيقة أى خفاء يدعو الى التأمل أو الارتياب .

فما هو سبيل الحل ؟!..

فلنتذكر اعمدة النكبة اولا

اما عنوان هذا السبيل فواضـــح معروف ، يردده اليوم كثير من الناس فى كثير من المناســـبات . وهـــو العنوان الذى يقول : لا حل للمشكلة الا باعتماد أصحاب المشـــكلة ــ وهم العرب والمسلمون عمـــوما ــ على أنفســـهم . ان هذا العنـــوان رغم بساطته يحمل البذور الحقيقية لحـــل المشكلة .

غير أن أى تفسيرات ايجـــابية صادقة لم تظهر لهذا العنوان الى اليوم .

وكل ما يفعله دعاة هـــذا العنوان والمنادون به ، انهم يقـــدمونه اسما بارزا ضخما لكتاب فخم لم يكتب على شىء من صفحاته سطر واحد بعد !.

أجل .. لا بد من اعتماد أصحاب المشـــكلة على أنفســـهم ، ولكن اذا اعتمدوا على أنفسهم فأى شىء ينبغى عليهم أن يفعلوه بناء على ذلك ؟..

ونقول فى الجواب : ان عليهم أن يتذكروا التغيرات العضوية والذاتية التى أدخلت بتخطيط دقيق على كيان هـــذه الأمة بين يدى حلول نكبـــة فلسطين .

لقد كانت تلك التغييرات الجوهرية هى الأعمدة الأساسية لها .

فاذا تذكروها واستيقنوها ، كان عليهـــم أن يكروا عليهـــا بالنقض ، فيعيدوا الأمور الى ما كانت عليه من قبل ، ويستعيدوا لأنفسهم الذاتيـــة التى كانوا يتمتعون بها فيما مضى .

لقد كان أكثر المسلمين ــ من قبل أن يفقدوا فلسطين ــ ينضوون تحت سلطان حكم واحد ودولة واحـــدة . (ولا يعنينى أن أخوض هنا فى بيان شكل تلك الدولة وخصائصها) ولقد كان لشعب أو شعوب هذه الدولة ، الى أوائل الربع الأخير من حياتهـــا ذاتيتها المستقلة فى المنهج والحيـــاة والعقيدة والسلوك ، ولقـــد حاولت المحافـــل اليهـــودية والماسونيـــة طويـــلا أن تقتنـــص فلســـطين الى ذلك سبيلا بطريقة ما من قلب هذه الدولة الاسلامية الواحدة فمـــا استطاعت .

بل لقد منيت تلك الدولة فى أواخر عهدهـــا بأسباب استوجبت ضعفها وإسراع الهرم ــ قبل ميعـــاده ــ اليها ، ، فمـــا استطاعت المحـــافل الصهيونية ، مستعينة بكل من كان يشد أزرها ، رغم ذلك الضعف ، أن تنال من بغيتها منالا !..

طوق الوحدة..وصلابة الذات

لقد كان السبب الذى خيب آمال اليهودية بشتى أحلافها ، هو طـــوق الوحدة !..

« طوق الوحدة العثمانية » ــ وهو

التعبير الذى عبر به حاييم وايزمن فى مذكراته — هو الذى حـال دون أن تجنى المؤسسات الصهيونية لنفسها أى ثمار إيجابية من وراء طول سعيها وكثرة مؤتمراتها .

ولقد استفرغ اليهود كل ما لديهم من جهد ، قبل أن يتجهوا بكامل قواهم الى بنية الخـلافـة ذاتها ، فلم يأت شىء من جهدهم بطائل :

قدموا العروض المالية الخيالية الى السلطان عبدالحميد ، فلم يتأثر بها ، ورفض أن يبيعهـم شبرا من أرض فلسطين الا بنفس الثمن الذى جاءت به ، الا وهو الدم الطاهر الزكى .

وهددوه بتقويض ملكه وإزهـاق روحـه ،فلم يثنه التهديد — وهـو عنوان الدولة المريضة — عن عزمـه الذى واثق نفسه عليه !..

ولقد أرسل اليه الثرى اليهـودى المعروف « قرصو » برقية من ايطاليا لا يزال بعض كتب التـاريخ التركى يحتفظ بالصورة الأصلية لها ، وهى :

(أنت رفضت عرضنا ، ولكن هذا الرفض سـيكلفك أنت شـخصيا ، ويكلف مملكتك كثيرا) .

وعندئذ اتجه السـعى منهم الى (تكسير طوق الخلافة) على حد تعبير حاييم وايزمن واعترافه . حتى اذا تم تحطيمه ، وانتشرت القوى التى فى داخله ، وتمزق الشمل ، وظهـرت حواجز الفرقة والخـلاف — تحققت الغاية اليهودية من أيسر سـبيل ، كل مستعمر يغرس لنفسه فى أرض فلسطين فسيلة أو غرسا .

هكذا ضاعت فلسطين ، وبعكس ذلك تعـود..

فهكذا ضاعت فلسطين !..

وباصلاح الفساد الذى تم ، واعادة الطـوق الذى تحطم ، ولم الشعث الذى تناثر ، تعـود فلسطين مـرة اخرى بأيسر سبيل كما ضاعت بأيسر سبيل .

وليثق العرب والمسلمون جميعـا أنها لن تعود بغير ذلك . مهما طال عمر النكبة . ومهما بذل لعلاجها من محاولات وجهود .

ولعل أكثر الناس اليوم يؤمنون بهذا الكلام الى هذا الحد . فقدبات أمرا معلوما بأن الوحدة هى العلاج الذى لا بديل عنه . وقد أصبحت كلمة (الوحـدة) بسبب ذلك من أقدس الغايات التى تتطلـع اليها الشعـوب العربية .

ولكن أكثر هؤلاء الناس يحسبون أنمن اليسير أن تستولد الوحدة فى مراسيم ودساتير مجـردة ، ثم لا تحتاج لبقائها ونجـاحها الا أن توثق بمعاهدات وتواقيع ثابتة !.. ويغيب عن تفكيرهم أن ثمة أساسا شـاقا وخطيرا لا يمكن أن تنهض الوحدة الا عليه .

يرى هؤلاءالناس تاريخهم الطويل مستظلا بظل وحدة كلية غالبـا ، وجـزئية فى بعض الظـروف . ولا يتنبهون الى المحـور الجاذب لتلك الوحـدة والعصب الممتد فى كيانها ليقيهـا من التصـدع والانتشـار . فيحسبون أن اعادة مثل ذلك البناء أمر يسير ، لا يحتـاج الى أكثر من قناعـة فكرية يلتقى عليها الحـكام وايمان بتاريخهم الوحدوى الطويل .

الوحـدة ليست إرادة ذاتية ، بل هى انجذاب ضرورى إلى محـور

والحقيقـة أن الأمـر ليس بهذه السهولة واليسر !..

انالوحدة فىتاريخنا ثمرة ضرورية لاجتماعها على عقيدة ومبدأ ، وليست ارادة ذاتية مستقلة نشأت فى أعماقه أو كيانه . والأصل أن يظل النـاس

متفرقين مختلفين ، طالما لم يكن بينهم قاسم مشترك من الاعتقاد والشعور ، حتى اذا لمسوا فيما بينهم شيئا من ذلك ، تكون لهم على قدر ذلك نسيج من الوحدة والائتلاف ، وكلما ازداد نسيج هذه الوحدة قوة وكمالا ، وازداد فيما بينهم شمولا واتساعا .

فعلى قدر ما يتوفر فى الناس من قاسم فكرى مشترك ، يتحدون ، وعلى قدر ما يستشعرونه من خلافات الفكر والرأى يتفرقون ويتدابرون .

وما أشبه الذى ينادى فى أقوام يسلكون من حياتهم الاعتقادية والفكرية طرائق قددا ، بالاتحاد والتضافر ، بمن ينادى فى أرض قاحلة ليس فيها أى نبت بأن تلد الفاكهة والثمار !.

ان وحدتنا التاريخية التى نحلم بمثلها ، لم تستولد فى حياة أسلافنا رغبة منهم بالوحدة ذاتها ، ولم يكونوا فى ذلك مخيرين . وانما جاءت نتيجة مقدمات تحققت فى حياتهم : بعث فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، فآمنوا بنبوته ورسالته ، وقرأوا كتاب الله تعالى فأيقنوا انه كلام منزل من عند الله . واصاخوا السمع اليه . فعلموا ان لا اله الا الله الخالق البارىء الذى بيده ملكوت كل شىء واليه مآل كل أمر ، وانه الحاكم المنفرد بالحكم فى عباده ، فما ينبغى أن يجنحوا الى شرع غير شرعه — آمنوا بذلك كله ، فاضطرهم الأمر الى أن يتخلوا عن كل مبدأ ورأى كانت تنزع اليه نفوسهم وأن يتراجعوا عن سبيل المنافسة على المناصب والزعامة والحكم ، وأن يرتضوا بالله الذى آمنوا به حكما فى كل ما يستشكلونه أو يختلفون فيه . فتولدت لهم من ذلك وحدة لم يكونوا مخيرين فى شأنها ، وذابت الخصومات وأسباب الشقاق مما بينهم تحت سلطان تآلف لم يكن لهم أى يد فى ايجاده وفرضه .

لقدكان اذا ثمة محور جذاب ائتلفت عليه افئدة العرب واجتمع من حوله شملهم ، ولم يكن هذا المحور غير الايمان الصادق بالله ورسوله واليقين بأن الحاكمية ليست الا لله وحده . ولولا هذا المحور الذى طرح فيما بينهم لظلوا اشتاتا متفرقين ، مهما ظهرت بينهم زعامات موحدة أو عقول مفكرة أو آراء مدبرة .

وانظر فى تصوير هذه الحقيقة الى دقة التعبير الإلهى : (واعتصموا بحبل الله جميعا ، ولا تفرقوا) لقد أمر اولا بوضع المحور ثم ذكر بضرورة الالتفاف من حوله والاجتماع عليه . ولو أمرهم ابتداء بالاتحاد ونهاهم ابتداء عن التباعد والشقاق ، لما انصاع احد منهم الى أمر ولا نهى .

ومن اعجب الغرائب أن ترى فى الناس اليوم — على كثرة ما يستشهد بهذه الآية ويجمل القول بها — من لا يفهم منها الا جزءها الثانى ، فيمضى يدعو الناس الى بناء من غير اساس بل يدعوهم الى ثمار بدون مثمر !..

ومنذا الذى يكون ذا عقل ثم يجهل أن برادة الحديد اذ تمتزج وسط تراب فى الارض ، لا يمكن الا ان تكون مبعثرة بين ذرات التراب ، وليس من قانون يستطيع أن يغير من وضعها الطبيعى هذا مهما طال عليها الامد وتنوعت المحاولات ، حتى تعمد الى قطعة من المغناطيس الجاذب فتلقيه بينها ، فعندئذ تلتقى هذه الذرات التائهة الى بعضها ، وتجتمع من شتات ، وتتحول الى كتلة قوية واحدة ذات ثقل واحد ، ملتصقة بذلك المحور المغناطيسى الجاذب !.

هل من بديل عن محور الاعتصام بحبل الله ؟

واليوم . على أى محور يمكن أن

يتحد العرب ، وقد تحول محور الاعتصام بحبل الله فيما بينهم الى مئات الخيوط والحبال ، كل ينتهى الى غاية غير التى ينتهى اليها الآخر ؟

أى جامع هذا الذى يمكن أن يضم أشتاتا من الناس ضاعت مما بينهم معالم الجادة العريضة الكبرى . فانطلقوا يتفرقون فى متاهات من السبل الصغيرة المتعرجة ؟

ربما قال بعض الناس : حسبنا محورا للوحدة والاتفاق ، وحدة الشعور بالمشكلة والاتفاق على ضرورة حلها باستعادة الارض السليبة لأصحابها ، وما يضرنا أن نختلف بعد ذلك الى مذاهب وآراء .

والواقع أن هذا الكلام لا يعدو ان يكون غلطا بينا نتيجة جهل وغباء ، أو مغالطة فاحشة نتيجة مكر وخبث !

من المعلوم انه لا قيمة لأى راى فرعى جامع اذا كان من قبله أصول من العقائد الكلية المتخالفة . ذلك لان كل رأى فرعى فى حياة الانسان انما ينصبغ لا محالة بلون عقيدته الكبرى، بل انه لا يظهر الا بدافع من تلك العقيدة وعلى هدى منها . بل ان من المقطوع به أنه لا قيمة لأى فرعى فى حياة الانسان اذا جاء ذلك مخالفا لمقتضى مبدئه العام وعقيدته الكبرى .

وتستطيع أن تلمس تطبيق هذا الذى نقول فى واقعنا ، حيال نفس المشكلة التى نتحدث عنها . فأنت ترى أننا رغم اتفاقنا على شعار : (الأرض العربية لأصحابها) نتفرق فى صدد تحقيق هذا الشعار الى شيع وأحزاب ، لأن كلا منا يريد أن يجعل من هذا الشعار ظلا لعقيدته واثرا من آثار مبدئه .

وربما قال آخرون : نعم لا بد من مبدأ جامع ، ولكن أفحتم أن يكون هذا المبدأ هو الاسلام ؟.

والجواب : أن أى مبدأ موحد جامع يمكن أن ينهض بحل المشكلة ، ولكن هل اكتشف العرب والمسلمون بعد طول مغامرة — أى مبدأ غير مبدأ الاسلام لدين الله يمكن أن يجمع الناس كلهم فى حمى منهج وشرع واحد ؟

ان من أجلى الحقائق الواضحة ان شيئا من المبادىء والعقائد الأرضية لا يمكن أن تصلح يوما ما محورا لتوحيد الامم وائتلافها .ذلك لان الناس احرار بفطرتهم ، وهم يشعرون بحريتهم هذه كما يشعرون بوجودهم ومن نتائج ذلك أن أحدا من الناس لا يستطيع أن يفرض شيئا من أفكاره وآرائه ويجعل منها عقيدة يدين بها الآخرون . ولئن استطاع فرض ذلك على أسرته بسلطان تربوى يمتلكه ، فانه لا يستطيع أن يفرضه على أوسع من ذلك النطاق ، ولئن استطاع ذلك بما له من سلطان وهيمنة وقوة حكم ، فلن يكون ذلك الا الى حين .. أى ريثما تتجمع عوامل الثورة على نظامه وحكمه .

وما الحروب الطاحنة التى تدور رحاها اليوم ، فى كثير من جهات العالم ، وما التهديدات المتكررة بالاهلاك والتدمير ، الا نتيجة صراع بين مبادىء الارض .. مبادىء متناكرة يسفه كل منها الآخر ، ويستبق الآخر الى حرية الناس وسيادتهم .

بلاء التناقض المهلك

ونحن لا نريد ، فى صدد بحث مشكلتنا الخاصة ، أن نتحدث عن علاقة هذه الحقيقة بالمصائب العالمية الكبرى وتهديدها للسعادة الانسانية المطلقة ، فحسبنا اليوم أن نعالج على ضوئها نكبتنا الانسانية الخاصة بنا .

اننا فى هذا الشرق مؤمنون بالله، وغالبيتنا العظمى تفسر هذا الايمان بالعقيدة الاسلامية التى بعث بها

محمد عليه الصـــلاة والسلام خاتم النبيين مؤيدا ما جاء به سائر النبيين من قبله . اذا فنحن نملك منطـــلق المبدأ الجامع والمحور الجاذب ، لو أحيينا كوامن هذه العقيدة فى نفوسنا والتزمنا بما تقتضيه من منهج وشرعة نقيم عليهما حياتنا الفردية والاجتماعية .. ونحن نملك — لو فعلنا ذلك — أن نحزم مشاعر المسلمين المتفـرقة فى شرق العالم وغربه فى شعور ملتهب واحـــد ، لا ينهض عــــلى مواصفات فكرية عابرة ، بل علـــى عقيدة راسخة تستند الى دلائل العلم القطعى ، والواقع التـــاريخى ، والتجربة البصيرة الحية .. فلمـــاذا لا نفعل ذلك .. ؟

ألسنا مسلمين ؟ .. ألسنا نبرهن على اسلامنا كل صباح ومساء على أمواج الاثير وفى شاشة التلفزيون عنـــــدما نقرأ مترنمين أو ننصت خاشعين الى آيات من كتاب الله ؟ فلماذا لا نتخذ من هذا الكتاب الذى نؤمن به المحور الجاذب لحياتنا والمبدأ المقوم لسلوكنا ، واذا لتهاوت حواجز الفرقة مما بيننا ولقامت روابط الالفة والوحدة فى حياتنا ، ولنبعت لنا من خلال ذلك قوة ذاتية تمدنا بالمـــال الوفيـــر والــرأى السديد والعــدة الكافية ؟ ..

ولعمرى ما رأيت أغرب من عقل انسان يزعم انه مسلم ، ويتباهى بأنه من أسرة عريقة فى اسلامها ، وأنه قد حجج والدته وأختيه على حسابه(!) ثم يقول : ولكنى أرى أن الاسلام غير صالح فى هذا العصر أن يكون أساسا جامعا أو مبدأ موحدا !!

اذا فلماذا أنت يا أخى ، مسلم ؟ وماذا بقى من اسلامك الذى يرضى الله ورسوله اذا كنت لا تـــرى أن الاعتصام بحبل الله الذى هو منهجه وتشريعه يجمع من فرقة ويؤلف من شتات ويعتبر أساسا لدولة ؟! ..

واذا كان الاسلام الذى هو دين الله وحكمه ، لا يعتبر مبدأ جامعـــا لأشتات الناس ، فأين هو المبدأ الذى يعتبر جامعا لذلك ؟ ..

ملايين من الشبان المؤمنين بالله المسلمين أنفسهم لدين الله ، تتقدح النيران فى مشاعرهم تطلعا الى سبيل من القيادة الاسلامية الراشـــــدة . ليتحولوا فى هذه السبيل الى شعلة وضرام ، وليبيعوا النفس والنفيس فى سبيل أعزاز الحق واستعـــادة الارض وحراسة القيم .

فلماذا تغمضون العين عـــن هذه القوى الهائلة العارمـــة ، ثم تبحثون عن ركائز جامعة أخرى ، لن تزيد عالمنا العربى إلا ضيعة وشتاتا ؟ ..

. . ***** .

وبعد فأن الذين استلبوا فلسطين منا ، انما استلبوا قبل ذلك وحدتنا الاسلامية وخلقنا الاسلامى . والذى يكون جادا فى استعادة الحق المسلوب هو الذى يحرص على استعادة الدار قبل أن يتجه الى استعادة ما كـــان فيها من أثاث ورياش .. وهو الذى يحرص على استعادة البستان قبـــل أن يتجه الى استعادة ما فيه مـــن ثمار ..

والذى يكون جادا فى استعـــادة حق له ، لا يفوته أن يعلم بأن الذى ليست له دار تؤويه لن يملك أثاثـــا يتنعم فيه ، والذى لا يملك أرضـــا يجنى قطافها لن يمتلك ثمارا يستمتع بمذاقها . والذى لا يملك حصنـــا من الوحدة الحقيقية الواقية ولا خلقا ذا صلابة ذاتية رادعة ، لـــن يبقى على أرض ولا وطن . ومهما افتعل البحث والتنقيب فانما يصيح فى واد وينفخ فى رماد ..

لماذا احتضنت القدس باسراء الرسول نحن اليوم وواجب المسلمين

قال تعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ، الذى باركنا حوله ، لنريه من آياتنا ، انه هو السميع البصير » (١) .

آية كريمة من كتاب الله ، يتلوها المسلمون فى كل زمان ومكان ، ويرددونها فى صلواتهم وعباداتهم ، والايمان بها جزء من ايمانهم بقرآنهم، ولكن ما معنى ذلك كله ؟ واخرج أبو داود وابن ماجه ، كما اخرج الامام احمد وابو يعلى عن ميمونة مولاة النبى صلى الله عليه وسلم ، قلت يا رسول الله :افتنا فىبيت المقدس؟ قال « ائتوه فصلوا فيه ، وكانت البلاد اذ ذاك حربا ، فان لم تأتوه وتصلوا فيه فابعثوا بزيت يسرج فى قناديله » (٢) وهذا حديث نبوى شريف يقتضى ايماننا بسنة الرسول عليه السلام ، ان نستلهم ابعاد هذا الحديث ، وماذا أراده الرسول بذلك ؟ .

وحينما نزلت الآية الكريمة وحين وقع الاسراء بالرسول الاعظم الى القدس ، وحين أفتى الرسول فى أمر بيت المقدس ، بان دعا المسلمين ان يأتوا اليه ويصلوا فيه ، كانت القدس تحت حكم الرومان ، وليس للاسلام عليها سلطان ، ولم يكن لهم فيها ديار ، فما هدف الآية الكريمة ؟ وما أبعاد إسراء الرسول إلى القدس حينئذ ؟ وماذا قصد الرسول من حديثه الشريف وهو الصادق المصدوق ، الذى لا ينطق عن الهوى . إن هو الا وحى يوحى ؟

وهل يكفى فى صحة الايمان ان نردد القول ونكرر التلاوة ونتعبد الله بذلك ؟ أم لا بد فى الايمان من تنفيذ مقتضى ما نؤمن به ونحقق ما هدف اليه ؟

يقول عبد الله بن محمد البخارى سمعت محمد بن اسماعيل (يعنى صاحب الصحيح الامام البخارى) يقول : لقيت أكثر من ألف رجل من أهل الحجاز والعراق والشام ومصر وخراسان ، فما رأيت واحدا منهم يختلف فى هذه الاشياء ، « ان الدين

للشيخ عبد الحميد السائح

قول وعمل » وان القرآن كـــلام الله » (٣) .

والايمان الصحيح ليس مجـــرد عبادة محضة يتجه بها المخلوق نحو خالقه وحسب ، وانما هو اتجـــاه للخالق مع الاخلاص للناس ، والبعد عن كل رذيلة تنافى شريف الاخلاق ، والعمل المثمر للصالح العام ، وخوض معارك الكفاح فى سبيل مجد الاسلام وقـــوته (٤) .

وروى الطبرانى عن ابن عمـــر رفعه « لا يقبل ايمان بلا عمل ولا عمل بلا ايمان » (٥) .

اذن أراد الله أن يوحى للمؤمنين بأن عليهم ان يستخلصوا القدس من الاغيار ، ويبسطوا عليها ســلطان الاسلام ، حتى يحمـــوا عقيدتهم الاسلامية ، ويطهروا موطن امجادهم وذكرياتهم الدينية ، ويطمئنوا الى أن منتهى الاسراء كمبتداه فى أمـــان واستقرار ، تشد اليها الرحال ، من كل حدب وصوب ، بحرية تامـــة ، وبلا خوف أو وجل ، رغبـــــة فى ثواب الله وطاعته ، وحرصا على احياء سنة رسوله ومرضاته .

واذ لم يحقق الله هذا على يـــد حبيبه ورسوله ، فقد حققه على يـــد خليفته الثانى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وبذلك تأكد للاسلام بالفتح العمرى للقـــدس ما تأسس من قبل فى الاسراء من مقدم الرسول اليهـــا ، واصبحت الرابطة بين مكة والقـــدس ، وبين المسجد الحرام والمســجد الاقصى وثيقة لا انفصام لها ، كما ان الابواب أصبحت مفتحة لكل مسلم أن يأتى القدس ويصلى فى المسجد الاقصى كما أراد . لكن الشىء الذى يجب أن يثار هنا ، وهو موضع التساؤل؛ اذا كان الاسلام فى اسراء الرســـول الى القدس استهدف تحريك الهمم واثارة نفوس المؤمنين لينشروا دعوة الحق ، ويرفعوا الويـــــة الايمان ، ورايات العدالة وشعائر الاسلام ؟ فهل يسوغ فىعرف الاسلام ومبادئه، أن يتخاذل المسلمون عن حمايتهـا بعد ان كـــانت فى ســلطانهم ، واستردادها من غاصبيها واستعادتها الى حوزتهم سيادة وادارة ، بعـــد اغتصابها ، وتدنيس طهرها والاعتداء على كل بقعة فيها ، وازالــــة معالم الاسلام والعروبة عنها ؟ وهـــل يجوز للمسلمين أن يصيبهم شىء من الوهن والتراخى فى استرداد ماحول القدس من الديار والاوطان والبقاع، وكلها مقدسة ، جبلت تربتها بدمـــاء الشهداء من الصحابة والتابعـــين والعلماء والمجتهدين ، وصرح الله فى قرآنه باختصاصها ببركاتـــــه ، وميزها بالتقديس والتطهير . وهـــل يبقى اولئك المتخاذلون فى حـــوزة المؤمنين اذ قصروا بواجب الجهـــاد والكفاح ، واسترخـــاص الانفس والاموال فى سبيل استردادها ؟والله تعالى يقول فى محكم قـــــرآنه :

« انما المؤمنون الذين آمنـــوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهـــدوا بأموالهم وانفسهم فى سبيل الله ، اولئك هم الصادقون » (٦) .

أيها المسلمون والعرب فى مشارق الارض ومغاربها .

انكم جميعا معنيون بهذا النداء ، وانكم مقصودون بهـــذا الخطاب ،

لا فرق بين مليك ورئيس ، وحاكم ومحكوم ، وقاص ودان .

اذا كنتم حقيقة آمنتم بالقرآن كتاب الله ، وصدقتم واذعنتم باسراء الرسول الى القدس والمسجد الاقصى وعرفتم ان الرسول طلب منكم التردد عليها ، وشد الرحال اليها ، ومع هذا حبستم الانفس والاموال عن بذلها فى سبيل الدفاع عن وطن الاسراء ، وحريتكم فى التردد اليه، فكيف تكونون صادقين فى ايمانكم ، والله تعالى جعل الجهاد بالانفس والاموال ركنا ركينا فى صدق دعوى الايمان ، وهل يرضى احد منكم لنفسه ان يخرج من نطاق المؤمنين الصادقين فى سبيل متاع زائل ، او عروش او مناصب ليست قائمة على أرض صلبة تستند الى ايمان المؤمنين ، وكفاح المجاهدين المخلصين ؟ واعتقد أن كل واحد منكم يحرص على ان يكون من الايمان فى الذؤابة والذروة ولكن ليس الايمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل .

تحذير :

ولا بد لى فى هذا المقام من أن أنبه الى حديث نبوى شريف أورده بعض العلماء والكتاب ، فى سبيل تطمين المسلمين الى ان النصر فى النتيجة لهم ، وان لا موجب لقلقهم ويأسهم ، وهو الحديث الذى ينوه فيه الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، بأنه لا مناص من معركة حاسمة بين المسلمين واليهود ، تكون النتيجة فيها تدمير اليهود واستئصالهم ونصرة المسلمين عليهم وغلبتهم .

ذلكم الحديث الشريف الذى رواه البخارى ومسلم هو قول الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم :

« لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود يقتلهم المسلمون حتى يختبىء اليهودى من وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر أو الشجر ، يا مسلم ، يا عبد الله ، هذا يهودى خلفى فاقتله الخ . »

ونحن لا نتردد فى صدق كل حديث صحيح والاعتماد عليه ، لكن لفظ الحديث واضح فى أنه يبحث فى اشراط الساعة، كما ان علماء الحديث أوردوه فى هذا المجال ، وذكره فى غير هذا المجال يخلق فى صفوف المسلمين التواكل والاستناد اليه فى أن النصر بالنتيجة يكون لنا ، فتزداد عوامل التخذيل واضعاف الهمم عن الاعداد للجهاد او مباشرته وفى ذلك خطر كبير يجب ان ينتبه اليه المسلمون ، وان عليهم — دون انتظار اشراط الساعة التى لا يعلم وقتها الا الله سبحانه — أن يبادروا دون مماطلة الى المعركة الفاصلة التى تقرر مصيرنا ومصير أعدائنا والتى لا يوجد لنا بديل عنها ، فى الدفاع عن مقدساتنا وعزتنا وشرفنا ووجودنا وعقائدنا ، وهذا هو السبيل الوحيد الذى يرد عن المسلمين عوامل اليأس والقنوط ، ويزيد المؤمنين ايمانا .

توضيح :

لا ينبغى ان يتبادر الى ذهن أحد أننا بهذا الموقف نعرض العالم الى خطر الدمار ، واننا عشاق حرب، واراقة الدماء ، ولكن يجب ان يكون واضحا اننا لا يمكن ان نتسامح أو نتساهل فى استعادة ديارنا وقدسنا الحبيب على رأسها ، ولا يمكن ان نترخص فى ان تعود القدس كاملة غير منقوصة ادارة وسيادة الينا ، ولو تعرضنا لخطر الافناء ، وأن التساهل فى أية ناحية من ذلك جريمة لا تغتفر وكبيرة لا تمحى آثارها ، وتعرض مصالح العرب والمسلمين فى كل ديارهم لمخاطر لا حد لها ولا نهاية تقف عندها .

أيها العرب والمسلمون :

أنا أفهم ، وكل عاقل بعيد النظر يفهم ان تتريثوا فى القيام بواجبكم حتى تستكملوا استعدادكم. وتتهيئوا نفسيا وحربيا ، لئلا تكونوا

مجازفين او مخاطرين ، ولكن ما عذركم وقد مضى على الهزيمة الاولى ربع قرن من الزمان ، كاد العالم ينظر من خلالها لما اغتصب العدو ، كأنه حق مكتسب ، نتيجة السكوت والتفريط ، كما مضى على هزيمة سنة ١٩٦٧ خمس سنين او يزيد ، ووطن الاسراء تحت الاسر، وأنتم لا تجمعون أمركم ، ولا تردون شاردكم ، ولا تعقدون عزيمتكم على مواصلة الجهاد ، والمبادرة لتحطيم كل الحواجز ،واستعادة وطن الاسراء وجميع الاراضى والحقوق المغتصبة، خصوصا وقد ظهر حديثا أن العدو ممعن فى احداث حفريات فى أسفل المسجد الاقصى وتحت أسس العمارة الجارية بعد احراقه ، وذلك بقصد توفير عوامل جريمة أخرى تؤدى الى انهيار المسجد الاقصى بكامله، وتهيىء الظروف المواتية لاقامة هيكلهم المزعوم فى المكان الذى أسرى بالرسول اليه ، وفى ذلك تحد صارخ لكم جميعا واستهتار بجميع مشاعركم وعواطفكم ومقدساتكم .. ؟

وكثير من الناس يعتقدون بأن العرب والمسلمين يملكون القدرة والاستعداد لدخول المعركة ، ولا ينقصهم إلا جمع صفوفهم ، وعزمة المؤمنين ، والاعتماد على الله رب العالمين ، وتجنيد كل ما يملكون فى سبيل ذلك .

وكل تأجيل أو تأخير فى القيام بذلك ، يضع الناس فى حيرة وتساؤلات :

الى متى الاستعداد ؟

الى متى مباشرة القتال ؟

الى متى تكسير الحواجز ؟

الى متى استعادة العزة ؟

الى متى العمل الدائب الجدى على الوصول الى النصر ؟

الى متى اقامة البرهان الساطع المحسوس على صدق الايمان ؟ حتى يتم نصر الله لنا ، « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » ؟

الى متى يا قوم يكون العرب والمسلمون فى مذلة ومهانة ، لمن ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة ؟

اذا كنتم لا تزالون تعلقون الامال على الامم المتحده ، او على الدول الكبرى فى أن تعيد اليكم دياركم ومقدساتكم ،وترد اليكم عزتكم، فانكم تتعلقون بسراب لا ظل له من الحقيقة ولا تتوصلون من هذا التعلق الى أى نصر او نتيجة مشرفة . فواجب كل واحد منكم ان يبادر الى القيام بواجبه ، فى المساهمة الفعلية للمعركة وتأدية دوره ، وكل تقصير أو تخذيل أو انشغال فى أية معركة جانبية جريمة كبرى أمام الله والتاريخ والاجيال .

فالبدار البدار يا قوم الى مصدر عزتكم ومنبع كرامتكم ، ووحدة كلمتكم ودفن أحقادكم ، وتجنيد كل ما تملكون فى سبيل معركة المصير ، التى ترد اليكم الاوطان والمقدسات ، وتحفظ عليكم عناصر وجودكم وكيانكم وحضارتكم .

وانى أكرر النداء فى هذه الذكرى العطرة لاسراء الرسول صلوات الله وسلامه عليه ومعراجه الشريف ، لعلها تكون آخر الذكريات التى تظللها الكآبة والحزن والاسى، ولعله آن الآوان لنرفع رايات العزة والايمان على يد من اختارهم الله سبحانه ليسجلوا دور البطولة والشرف ، وان لله عبادا اذا أرادوا أراد ، والله ولى التوفيق والنصر والهداية ، انه سميع مجيب .

---

(١) آية ١ من سورة الاسراء .

(٢) جمع الفوائد ج ١ ص ٥٩٥ وجمع الجوامع ج ١ ص ٣١ .

(٣) مقدمة صحيح البخارى ص ٣٠ .

(٤) الاسلام دين ودولة ص ١٢٦ .

(٥) جمع الفوائد ج ١ ص ٢٣ .

(٦) الآية ١٥ من سورة الحجرات .

مائدة القارئ

القـــدس .. القـــدس

وصف شاعر القدس زمن الحروب الصليبية فقــال : ــ

مررت على القدس الشريف مسلما على ما تبقى من ربوع كأنجم
ففاضت دموع العين منى صبابة على ما مضى من عهدها المتقدم
وقد رام علج أن تعفى رسومه وشمر عن كفى لئيم مذمـــم
فقلت له شلت يمينك خلهــا لمعتبر أو سائل أو مســـلم
فلو كان يفدى بالنفوس فديته بنفسى وهذا الظن فى كل مسلم

فــص الخـــاتم

بلغ عمر بن عبد العزيز أن ولدا له اشترى خاتما له فيه فص بألف درهم فكتب اليه ــ

أما بعد ــ فقد بلغنى أنك اشتريت فصا بألف درهم ، فبعه ، وأشبع به ألف جائع واتخذ خاتما من حديد ، واكتب عليه رحم الله امرأ عرف قدر نفسه .

قرطبـــــة

كانت قرطبة فى عهــد عبد الرحمن الثالث الأموى عاصمة الاندلس المسلمة تنار بالمصابيح ليلا ، ويستضىء الماشى بسرجهــا عشرة أميال ، وسكانها أكثر من مليون نسمة بينما كانت أكبر مدينة فى أوروبــا لا يزيد سكانها عن خمسة وعشرين ألفا وكانت حماماتها تسعمائة وبيوتهـــــا ٢٨٣٫٠٠٠ وقصورها ثمانون ألفا ، ومساجدها ستمائة مسجــد ، وفيها مائة وسبعون امرأة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفى وخمســـون مستشفى ، ومسجدها الجامع لم يوجد له نظير فى الفخامـــة وروعة البنـــاء ..

الانصاف فى النقد

حكى الابشيهى فى المستطرف أن شيخا نادى أبا حامد الغزالى قائلا : —
يا دانشمند ، لقد استدركت عليك فى الاحياء ألف خطأ ، فهل تريد أن تراها فقال له حجة الاسلام ، دعها عندك فانا اعرفها واعرف فى كتابى أكثر منها واذا كنت قد احصيت على غلطى فاحص رحمك الله أيضا صوابى .

اكال لا رزاق

استشهد أحد المجاهدين فى ميدان الجهاد وكان فقيرا ذا عيال ، وقابلت زوجته نبأ استشهاده بصبر وايمان ، وعندما سئلت عن سبب تجلدها وهى لا تجد قوت نفسها ولا قوت أولادها ، قالت عن زوجها — عرفته اكالا ، وما عرفته رزاقا ، ولئن ذهب الاكال لقد بقى الرزاق .

لعب الاطفال

ظهرت فى أسواق أوربا بعد أشهر قليلة من اجراء أول عملية نقل قلب لعبة (الجراح المرح) وهى تمثل مريضا توجد فى جسده ثقوب وفتحات ويتعلم الطفل كيف يستعمل ملقاطا خاصا موصلا بدائرة كهربائية ليعيد الى الجسم الاجزاء المختلفة بعد أن يتعرف عليها ... هذه هى لعب الاطفال عندهم ..

السعادة

غاضب الرجل زوجته ، وقال لها متوعدا لاشقينك فقالت فى هدوء لا تستطيع أن تشقينى فقال لها وكيف ذلك ؟ قالت لو كانت السعادة فى مال لحرمتنى منه أو فى حلى لمنعته عنى ، ولكنها فى شىء لا تملكه أنت ولا الناس أنى أجد سعادتى فى ايمانى ، ايمانى فى قلبى ، وقلبى لا سلطان لاحد عليه غير ربى ..

البياض والسواد

اشترى الحجاج غلامين أسود وأبيض ، فقال لهما أريد أن يمدح كل منكما نفسه ويذم الآخر فقال الاسود : —

الم تر أن المسك لا شىء مثله ... وان بياض اللفت حمل بدرهم
وان سواد العين لا شك نورها ... وان بياض العين لا شىء فاعلم

فقال الابيض : —

ألم تر ان البدر لا شىء مثله ... وأن سواد الفحم حمل بدرهم
وان رجال الله بيض وجوههم ... ولا شك ان السود أهل جهنم

فضحك الحجاج وكافأهما .

سنابل

قال حكيم : —
وقفت أمام حقل من حقول القمح فرأيت سنابل تتمايل فى خيلاء وسنابل أحنت رأسها فى حياء وحين دققت النظر رأيت الاولى فارغة والثانية مليئة بحبات القمح .

سورة الاسراء

تحدثنا عن نهاية

إسرائيل

سورة بنى اسرائيل :

تناولت سورة الاسراء الحديث عن بنى اسرائيل ما كان وما سيكون منهم وعن الصراع المرير والدور الخطير الذى سيكون بينهم وبين المسلمين ، وعن قيام اسرائيل كعقوبة من الله للمسلمين ، وعن نهايتها الشرعية المحتومة ، كل ذلك فى ايجاز فذ وبيان معجز .

كما تناولت تنبيه المسلمين وتوعيتهم وتحذيرهم من مواطن الضعف التى ينفذ منها العدو الى مقاتلهم من الترف والفسق ، ومن حب العاجلة ونسيان الآخرة ، ومن خصال السوء التى تفسد حياة الأسرة وتهدم كيان المجتمع ، ومن أشدها الفتنة عن وحى الله وهداه واقتفاء ما ليس لهم به علم واتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين ولعل ذلك من أهم ما أضاع فلسطين ، ومن أجل ذلك سميت (سورة بنى اسرائيل) وهى أحق أن تشتهر بهذا الاسم اليوم من وجوه الأول — لأن فيها نبانا مع اسرائيل — قضية الحياة أو الموت للمسلمين — وفيها علاجها والطب لها .

للشيخ عبد المعز عبد الستار

الثانى ــ أن الحديث فيها عن الاسراء لم يستعرض أكثر من آية واحدة افتتحت بها كتمهيد للحديث عن بنى اسرائيل أما الحديث فيها عن بنى اسرائيل فقد استغرق صدر السورة ونهايتها فى آيات كثيرة توحى بأنه المقصود

الثالث ــ أنه اسمها من قديم روى البخارى ، عن ابن مسعود قال فى (بنى اسرائيل والكهف ومريم) انهن من العتاق الأول وهن من تلادى وروى الامام أحمد عن عائشة (رضى الله عنها) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كــان يقرأ كل ليلة بنى اسرائيل والزمر)

فسورة الاسراء هى فى الحقيقة سورة بنى اسرائيل تحدثت عن بدايتهم ونهايتهم وتضمنت كذلك كل أسباب الهداية والوقاية والقوة التى تحتاج اليها الآية فى غلابهم ونبدأ الحديث من أوله ..

بسم الله الرحمن الرحيم

((سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا أنه هو السميع البصير)) .

معلوم أنه حين وقع الاسراء كان المسلمون يومئذ قليلا مستضعفين فى الارض مشردين فى كل وجه اتقاء الفتنة والعذاب ، طائفة منهم بالحبشة ، وآخرون نزاع فى قبائل العرب والمقيمون منهم بمكة لم يكن باستطاعتهم أن يعلنوا عبادتهم حول الكعبة .

ومعنى ذلك أنه لم يكن وقتئذ للمسلمين مسجد حرام ولا حرم ولا حرمة فقد استحلت حرماتهم فى البلد الحرام هم والنبى (صلى الله عليه وسلم) فى وقت كان القاتل يدخل فيه الحرم فيأمن حتى أنزل الله يهدد القوم الظالمين (لا اقسم بهذا البلد . وأنت حل بهذا البلد) ..

كذلك لم يكن للمشركين مسجد بمكة فما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية (أى صفيرا وتصفيقا) لا يركعون ولا يسجدون وكانت الكعبة يومئذ بيتا للاصنام يتمسح به المشركون ويذاد عنه المؤمنون الموحدون .

كذلك حين وقع الاسراء لم يكن ثمت بالشام مسجد أقصى ولا فى مكانه معبد يعبد الله فيه ولكن كان هناك خرائب هيكل سليمان منذ دمره الرومان وجعلوه مطرحا للقمامة وحرموا على اليهود دخول المدينة اطلاقا بما غدروا وأفسدوا .

لكن الله عز وجل حين أخبر عن هذا الاسراء قال :

((سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى))
وهو إخبار فيه تبشير للنبى (صلى الله عليه وسلم) والمؤمنين معه بأن هذا الاسراء ليس مجرد رحلة خارقة ولكنه انتقال من مسجد حرام الى مسجد مثله وإيذان بتمام النعمة وظهور أمر الاسلام والمسلمين .

وبشرى : بأن هذا البيت الذى لا يستطيعون أن يستعلنوا فيه بعباداتهم سيصير لهم مسجدا .

وبأن هذا البلد الذى حلت فيه حرماتهم سيعود لهم حرما
وبأن هذا الظهور سيتم ويمتد ويسرى حتى يبلغ ملك الروم فى أرض الشام فيحول ما خربوا فى بيت المقدس الى مسجد أقصى يكون للمسلمين قبلة وحرما مثل بيت الله المحرم

وانه لنبأ عجب وبشارة أعجب وانه ليستحق لذلك أن يصدر بكلمة التسبيح والتنزيه على عادة العرب ((سبحان الذى أسرى بعبده ليــلا)) وهل أجل أو اعجب من عدة بالنصر والتمكين لقليل مستضعفين تكون لهم كالعافية بعد البلاء وكالفجر يطلع للسارى بعد ليل طال امتداده واشتد سواده .. ؟ .. ثم لا تمضى عشر سنوات بعد هذه الآية حتى يجىء نصر الله والفتح وتزول الاصنام والظلام ويعود البيت مسجدا حراما ولا تمضى عشر مثلها حتى يدخل عمر رضى الله عنه بيت المقدس فيزيل القمامة بثوبه ويعيد الخرائب مسجدا أقصى يذكر فيــه اسم الله كثيرا ((فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون)) .

لنريه من آياتنا

وقد بين الله سبحانه الحكمة من هذا الاسراء بقوله ((لنريه من آياتنا)) فقد أطلع الله نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم على عجائب من آياته الكبرى وكشف له من أسرار الكون وأنباء الغيب ما يزداد به علما ويقينا لينبىء أمته ويعلمها عن مشاهدة وعن يقين فقد تمثلت له الاعمال والاقوال والحســنات والسيئات والاشياء صغيرها وكبيرها منها ما يتوهمها أصحابها منفعة وهى مضرة ولذة وهى ألم ومسرة ، وهى تورث حزنا طويلا ومنها ما يرى مغرما وهو غنــم ، وشرا وهو خير ، وكرها ويجعل الله فيه خيرا كثيرا .

فقد مثل له المجاهدون والمحســنون والمرابون والظـــالمون والكذابون والزناة والخونة .. الخ .

بيعــة بالامامة

ولقد كان من أجل ما أراه الله من آياته أن جمع له الانبياء والمرســلون فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اماما وكأن ذلك منهم بيعــة لــه بالامامة واعلان بأنه انتهت اليه رسالات السماء ومواريث الانبياء ، والى أمته بالتبع قيادة البشرية الى الله وهدايتها بالحق وشــهادتها على الناس أن الله (هو السميع) لدعاء المؤمنين وتحدى الكافرين (البصير) بالعباد يعز من يشاء ويذل من يشاء ، وهو اعلم حيث يجعل رسالته .

الحديث عن بنى اسرائيل .

بهذه الآية الاولى انتهى الحديث عن الاســراء فى السورة جملة وتفصيــلا وكأنما بدىء بالحديث عنه بمقدار ما سيقت به البشرى للمؤمنين ١ ــ بظهور

أمرهم والتمكين لهم ٢ ــ وانعقــاد لــواء الامامة فى هداية الخــلق اليهم ٣ ــ ووراثتهم المقدسات وتعظيمهم الحرمات . وهنا يجىء الحديث عن بنى اسرائيل كأنه جواب عن سؤال أنشأته البشرى فى الآية حاصله :
س ــ اذا انتهت الى المسلمين قيادة البشرية وهدايتها وصــارت لهم أمانــات الســماء ومواريث الانبياء وامتد سلطانهم الى ملك الروم حتى حولت خرائب سليمان الى مسجد أقصى فما هو موقف بنى اســرائيل الذين يزعمــون أنهم شعب الله المختار وورثة داود وسليمان والكتاب .

ج ــ والجواب أنهم عزلوا عن قيادة البشر لما فسدوا وافســدوا واثبتوا عــدم صلاحيتهم بسوء أعمالهم ومن أجل ذلك سيكون لهم دور جسيم وخطب عظيم مــع المسلمين واستمع لبيان ذلك فيما يقصه الله علينا من نبأ ماضيهم وحاضرهم فــى سورتهم قال تعالى : ((وآتينا موسى الكتاب ، وجعلناه هدى لبنى اسرائيل ألا تتخذوا من دونى وكيلا . ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا)) .

هذا أول أمرهم : ــ أنزل الله اليهم التوراة فيها هدى ونور فلم يهتدوا بهــا وحرفوا كلمها ــ وعهد اليهم ألا يتخذوا من دونه وكيلا فاتخذوا الههم هواهم ــ وذكرهم بأنهم من ذرية قوم نجاهم مع نوح العبد الشكور من الطوفان لعلهم أن يشكروا مثله وفيه تذكير لهم أنه أنجاهم وأغرق آل فرعون لو كانوا يذكرون وهيهات لمثلهم أن تنفعهم الذكرى وقد نبأنا الله بأمرهم وما سيكون منهم .

فقال تعالى ــ ((وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفســدن فى الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا .))
أى أنهينا الى بنى اسرائيل فى التوراة وشأنها وموقفهم منها وتحريفهم لها أنهينا اليهم هذا الامر أنهم سيفسدون فى الارض بدل المرة مرتين وسيتعالون على طاعة الله وعلى عباده ويبغون فى الارض بغير الحق وستكون عاقبتهم الدمار فى النهاية فان الطريق الذى سلكوه سينتهى بهم حتما الى هــذا الافســاد فى الارض والى تدميرهم بكل تأكيد .

وفى التعبير بـ (قضينا الى بنى اسرائيل فى الكتــاب لتفســدن) حــكم بادانتهم وبيان لسبب عزلهم وفسادهم وان جنايتهم على الكتاب ، كأنما رفعت قضية الى الله عز وجل فقضى بحرمانهم من وراثته وهدايته بأنهم فسدوا ولم يعد ينتظر منهم الا الافساد كما يقال للمؤتمن الذى خان أمانته حكمنا بعزلــك وبأنك ستعيش عاثرا مفسدا لا تقوم من حفرة الا لتقع فى غيرها وشر منهــا لا تعتبر ولا تنزجر حتى يدركك المحق والدمار .

تحريف بنى اسرائيل للكتاب :

كنا نظنه تحريفا فى بعض الاحكام كالرجم فى الزنا واباحة الربا مع غير اليهود .. الخ . أو فى بعض الاخبار كانكار البشارة بالنبى صلى الله عليه وسلم .. الخ ، وما ظننا أنهم ينسفون الحق نسفا وهم يكتبون الكتاب بايديهم ليقولوا هذا من عند الله .

لقد محقوا فيه العقائد والاخلاق والقيم وسائر ما جاء به رسل الله .

الله : فيه ليس رب العالمين الرحمن الرحيم ولكنه إله اسرائيل وحدهم وهو وثن كبعض آلهة الاغريق يحقد ويحسد ويجبن ويجهل ويتهور ويندم ... الـخ صفات التافهين من البشر .

واليوم الآخر : لا وجود له فى الكتــاب فجنتهم التى يوعــدون هــى أرض فلسطين (احفظ وصاياى لكى تطول ايامك على الارض التى وعـد الرب أباك ابراهيم واسحق .. الخ . وأطع أباك وأمك لكى تطول أيامك على الارض) .

والنار : التى يخوفون حرمانهم من أرض فلسطين (ان لـم تحفظ وصاياى يكون أنك تطرد من الارض التى وعد الرب آباءك ... الخ .

الانبياء : جعلوهم فى هذا الكتاب ــ عصابات سلب ونهب وقتل وتدمير وخيانة وغدر وكذب ونصب من ابراهيم وأسحق ويعقوب الى موسى وداود وسليمان ومن وراءهم .

الاخــلاق : حسبك أن أحد أعضاء مجلس العموم البريطانى فى صيف عام ٦٧ طالب حكومته بمنع تدريس هذا الكتاب للتلاميذ ، لأنه يفسد أخلاقهم واقرأه فســتجد أنه ما من جريمة من جرائم الزنا وهتك العرض أو القتل والابادة أو الاحتيال والنصب الا وهى منسوبة لنبى أو طائفة من رسل الله لهداية خلقه .

القيم : لا تجد فى هذا الكتاب قيمة للشرف أو الانسانية أو الكرم أو العفة أو المروءة أو الترفع والنجدة وانما تجد كل خسة وصغار ولؤم وما يثبت القــاعدة المشهورة (الغاية تبرر الواسطة) .

فالى هذا الكتاب يرجع كل ما يموج به العالم اليوم من انحلال وتفسخ والحاد ومذاهب هدامة . فمصدرها والقائمون عليها هم اليهود أمثال دركايم وفرويد وماركس .. الخ . ولعلنا أن يكون لنا حديث عن ذلك بعد إن شاء الله .

كتاب الارض

أن أوجز واصدق ما يوصف به هذا الكتاب الذى كتبــه اليهــود بأيديهم وزعموا أنه التوراة التى أنزلت من عند الله أنه كتاب الارض .

انه انشىء لتبييت أمرين ١ ــ ملكية اليهود لارض الميعاد (فلسطين وماحولها)

٢ ــ وليقرر أنهم شعب الله المختار ، ولذلك تجد هذين الأمرين همــا القاســم المشترك الأعظم الذى تدور حوله أسفار التوراة جميعا وخذ مثلا :

سفر التكوين يظنه القارىء لاول وهلة أنه تكوين الخليقة والحقيقة أنــه

تكوين اسرائيل شعبا وارضا ثلاثون صفحة تتحدث عن خلق السموات والارض وآدم الى نوح الى ابراهيم ومائة وخمسون صفحة تتحدث عن ابراهيم واسحق ويعقوب وعن الرؤى والاحلام فظهور الله لكل منهم يقول له لك ولنسلك أعطى هذه الارض ... وتتحدث عن يوسف الى أن قال لاخوته (أنا أموت ولكن الله سيفتقدكم ويصعدكم من هذه الارض الى الارض التى خلق لابراهيم واسـحق ويعقوب ....

كتاب كله عن الارض لاثبات ملكيتها وعن القبيلة لاثبات تفوقها ومع ذلك لا توصف أمة بأقبح مما جاء فيه عنها ولا تجد تفوقهـا الا فى الـكفر والبغى والانانية والغدر والمتاجرة بالعرض ولا تمر فيه بحكمة أو كلمة تدلك على اللـه أو تقربك منه أو تذكرك بالآخرة .

من اجل ذلك لم يكن عجيبا أن يقضى الله فى بنى اسرائيل بسـبب تحريفهم بل مسخهم لهذا الكتاب أنهم سيفسدون فى الارض مرتين كل واحـدة منهما كالكفرة الصلعاء يستحقون عليها السحق والابادة فتلك نتيجـة طبيعية منتظرة .

مرتين

وقد نص الله سبحانه على المرتين من بين أفسادهم الموصول الـذى لا ينحصر ولا يحد لأن الافساد فيهما عام الضرر عظيم الخطر يراد به إطفاء نور الله وتدمير اخلاق البشر حتى يتمكن من السيادة على العالم شـعب اسرائيل المختـــار .

وقد ذكر المفسرون أن المرتين وقعتـا فى المـاضى وإن اختلفـوا فى تعيين زمنهما وأسبابهما والمسلطين عليهم فيهما .

ومن أعجاز القرآن العظيم أنك لا تشـاء أن تقول إن الآية تعنى مرتين تقعان فى تاريخ الاسلام ومع المسلمين الا طاوعك الاسلوب والدليل .

وأيا ما كان فقد قال الله عز وجل بعد تقرير عقابهما فى المـرة الثانية (وإن عدتم عدنا) والذى يعنينا أن نقرره هنـا أن لهما مرتين يفسـدان فيهما مع المسلمين هما استئناف أو عـودة مشابهـة لما كان لهم من افسادتين قديمتين .

الافســـادة الاولى

قال تعالى ((فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا)) .

وهذه تعنى بالنسبة لنا الدور الذى قاموا به للقضاء على الاسلام ونبيه والمسلمين فقد حاولوا أن يطفئوا نوره بحملات التشكيك الظالم يتواصون فيما بينهم ((آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهـار واكفروا آخره لعلهم يرجعون)) ، ((ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا)) ، ((ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها)) ذلك بالقول .

وأما بالفعل فقد حاولوا أن يغتالوا النبى صلى الله عليه وسلم فى بنى النضير وكانوا عيونا للمشركين وكهفا للمنافقين وكانوا وراء كل غارة مجنونة وحرب شنت على الاسلام والمسلمين .

وقد سلط الله عليهم النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين وهم أحق من وصف بأنهم عباد الله أشداء على الكفار رحماء بينهم .

فاجلوا بنى قينقاع وبنى النضير وقتلوا مقاتلة قريظة واجلى عمر بقية اليهود عن الجزيرة ولم يكلف تأديبهم المسلمين أكثر من أن جاسوا خلال الديار وكان وعدا من الله باذلال اليهود واعزاز المسلمين محققا ومفعولا .

قيام اسرائيل

قال تعالى ((ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا . ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها)) .

هذا هو الدور الذى نحن فيه مع اسرائيل .

بعد مدة من الزمن أربعة عشر قرنا أشار اليها سبحانه بالعطف بـ (ثم) التى تفيد التراخى فى الزمن رد الله سبحانه لاسرائيل الكرة علينا نحن المسلمين عقوبة لنا ..

لأننا فرطنا فى الامانة وتخلينا عن منصب الامامة وخلفت منا خلوف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وغدوا فتنة للناس وأسوأ صورة للاسلام والمسلمين فرد الله لهم الكرة علينا تأديبا لنا ، فقد جد القوم وهزلنا وعملوا وقعدنا وتجمعوا وتفرقنا وبذلوا وقبضنا وشجعوا وجبنا وأملوا ويئسنا وغيروا ما بأنفسهم وغيرنا فكانت النتيجة ما رأينا .

ولا يقولن أحد إن اليهود شر منا فان ما عندهم من فساد نحن لهم فيه تبع وربما لا تجد فرقا كبيرا اذا كنت فى تل ابيب أو بعض العواصم فى البلاد التى تحسب اسلامية أما ما عندهم من تجمع وتعاون وتعاضد وتراحم واحترام الآدمية الانسان فلا يزال بيننا وبينه أمد بعيد حتى نبلغه فما زال المسلمون والعرب أشداء بعضهم على بعض أذلاء جبناء أمام عدوهم .

ومع ذلك فقد قال عمر رضى الله عنه رب قوم سلط عليهم من هم شر منهم كما سلط على بنى اسرائيل قديما عباد الوثن . فكذلك سلط الله اليهود علينا ورد لهم الكرة لما كفرنا نعمته وبدلنا دينه وعطلنا حدوده ورضينا أن نكون أتباعا وأذيالا نجرى وراء عصبيات وشعارات ابتدعها اليهود واشياعهم ليدمروا قوتنا ويظهروا فى الارض الفساد .

وقد ذكر الله سبحانه أنه أمدهم فى هذه الكرة بثلاثة أشياء ما مر فى تاريخهم مثلها مما يعتبر معجزة للقرآن الكريم ، أموال : من تبرعات ومعونات وتعويضات واتاوات .. الخ . بجميع أنواع العملات السهلة والصعبة والمعدات العسكرية والمدنية .. الخ .

بنين : مهاجرين ومجندين ينتخبون انتخابا ويراضون على القوة والفتوة ويؤخذون بالخشونة والجد حتى يكونوا بناة دولة وحماة أمة اذا وطىء أحدهم أرض اسرائيل حلقوا شعره ونضوا عنه ثياب الهيبز وهيئة المخنثين التى ابتدعوها لافساد العالم وأخذ مكانه فى الجيش والعمل . أكثر نفيرا : أى ناصرا . اذا غضبوا أو استغاثوا نفر لهم المشرق الملحد والمغرب المسيحى المنافق فقد يختلف العالم بكتلتيه الشيوعية والرأسمالية على كل شىء ، فاذا كانت القضية (اسرائيل)، زال الخلاف واتحدت الكلمة على المحاماة عن اسرائيل .

والسبب فى ذلك يرجع الى أمرين :

الاول : أنهم مخترعو الشيوعية وسدنتها لتحطيم الاديان وتدمير الانسان ولتكون فى خدمتهم .

الثانى : أنهم صانعو المسيحية الحديثة فقد استطاعوا أن يلصقوا كتابهم الذى يدور حول اثبات امتيازهم وملكيتهم لفلسطين والذى لا وجود فيه لحقيقة الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ولا لأحكامه وآدابه ، استطاعوا أن يلصقوه بالاناجيل الاربعة فى كتاب واحد سموه الكتاب المقدس ودعموه بالخرائط التى تعين حدود دولتهم فلذلك يؤمن بهذه الدولة ألف مليون من المسيحيين يؤيدونها عن عقيدة مزورة عليهم وهم لا يعلمون .

فرصة وامتحان

وقامت اسرائيل لا عن صلاحية ذاتية لأهلها تؤهلهم للسيادة أو البقاء فان كتابهم هذا الذى كتبوه بأيديهم يثبت عدم استحقاقهم وأهليتهم وانما مكن الله لهم لفساد فى عدوهم وتفريط يعاقب عليه .

جاء فى سفر التثنية أصح ٩ (اسمع يا اسرائيل .. (٦) ليس لأجل برك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك أرضهم بل لأجل أثم أولئك الشعوب يطردهم الرب من أمامك (٧) فاعلم انه ليس لأجل برك يعطيك الرب إلهك هذه الارض الجيدة لتمتلكها لأنك شعب صلب الرقبة)) .

ومعذلك فقد جعل الله هذه الردة والكرة امتحانا لهم وفرصة لاثبات صلاحيتهم وبقائهم ونذيرا اذا بقوا على فسادهم واساءتهم فقال تعالى ((إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها)) .

نهاية اسرائيل

والله تعالى يعلم أن بنى اسرائيل لن ينتهوا عن افسادهم ولن يصلحوا ولن يتوبوا فان أمرهم منذ البداية قائم على غرور واستعلاء جنس وعصبية ، لا يؤمنون بانسانية ولا مساواة ولا يقبلون ما دون التسلط على العالم واستغلال الشعوب واستعباد البشر .

ولا يمكن أن يتحقق لهم ذلك الا بتدمير الاخلاق وإشاعة الفحشاء والقضاء على الأديان وجميع القيم الانسانية وذلك ما تواصى به حكماء صهيون فى

بروتوكولاتهم وتلمودهم وما تعرض التوراة نماذجه التى يشقى العالم بها ، وقد بدأ ذلك يظهر فى شيوع الالحاد والانحلال والتفسخ فى نظام الأسرة واخلاق الفرد وفى هذا السعار الجنسى الذى أطلقوه وغذوه والذى يقرؤه الناس فى الصحيفة والقصة والاعلان ويسمعونه فى الاذاعة ، ويشاهدونه فى التلفزيون والشارع والسينما وفى كل زمان ومكان وما بمثلٍ هذا تقوم حضارة أو تدوم أو تستحق أمة البقاء .

لقد جعلوا رسالتهم تدمير العالم وإفساده بالشهوات وأنـواع الاثـــارات الجنسية والعصبية والقومية حتى يسلس لهم قياده ويسيروه بخطام ولجام وكأن قد . فلذلك لم يذكر الله أنهم سيفسدون فى المرة الثانية ولانوع افسادهم فذلك مفروغ منه ومعلوم ولكن ذكر ما سيصيبهم فيها بسبب هذا الافساد .

قال تعالى ((فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كمـا دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا . عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا))

والمعنى اذا جاء موعد المرة الثانية لافسادكم وهو واقع حتما لا محالـة بعثنا عليكم عبادنا الذين رددنا لكم الكرة عليهم ليروكم المســاءة والذلـة فـى وجوهكم وليدخلوا المسجد فيعيدوا اليه حرمته وكرامته كما فعلوا ذلك أول مرة بعدما هتكتم حرمته ولوثتموه واحرقتموه وليتبرواويكسروا ما غلبوا عليـه مما شدتموه بغيا وعدوا وعندئذ عسى ربكم أن يرحمكم فان ما ارتكبتموه وما أفسدتم لا يؤهلكم لرحمة ولا يدع لكم فى قلب عاطفة أو شفقة ، ثم يهددهم سبحانه بمثل هذا المصير الأليم فى الدنيا إن عادوا وبجهنم تحيط بهم فى الآخرة مع الكافرين والآية تقرر أن هذا الدور فى الصراع بيننا وبين اليهود يتميز بأمور :

الاول ـ سرعة وقوعه ويدل عليها العطف بالفـاء فى قوله (فاذا) فـانها تفيد الترتيب مع التعقيب .

الثانى ـ حتمية وقوعه ويدل عليها اذا فى قوله فاذا جاء ... فانها تدل على تحقق الوقوع .

الثالث ـ ضراوته ففيه مساءة وجوههم وتكسير جهودهم وبلوغهم درجة لا أمـل معها الا (عسى ربكم أن يرحمكم) .

الرابع ـ تدمير اسرائيل ونهايتها بدخول عاصمتها واستعادة المسجد من يدهـا وانهم مهما حاولوا بعد فالنتيجة معلومة والعاقبة محتومة (وان عدتم عدنا) .

وهذا الذى قررته الآية هو ما قرره الحديث الصحيح

فقد روى مسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه قال ((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبىء اليهودى وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر يامسلم يا عبد اللـه

هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله)) .. ومعنى هذا بتعبيرنا أنهم سيبلغون درجة من الافساد والتبغض الى الخلق والسوء بحيث يكرههم طوب الارض ويقاتلهم ويعين عليهم المسلمين .

وما قررته الآية والحديث تقرره البداهة وسنن الفطرة وقوانين الوجود فما كان الله ليسلط شعبا لا خلاق له يحترف الافساد والسوء ويحتقر كل من سواه ولا يعترف له بحرمة ويقولون ليس علينا فى الأميين (أى غير اليهود) ، سبيل أى حرج أو إثم وانما أموال من عداهم ودماؤهم وأعراضهم حلال لهم .

ان مثل هذا الشعب الصلف المغرور (صلب الرقبة) كما تصفه التوراة وأولاد الأفاعي كما يصفهم الانجيل لا يستحق السيادة ولكن الابادة وانما مكن الله له فينا لأننا تخلينا عن ديننا وأخلاقنا وتاريخنا وقيادتنا واتبعناه فى كل ما ابتدع من نظريات تمزق شملنا وتوهن قوتنا وتذهب بقيمنا وتاريخنا ولغتنا وديننا ومقومات وجودنا فولانا الله ما تولينا . وما بيننا وبين أن نسوء وجهه ونزيل دولته ونكسر رقبته الصلبة الا أن نضع عنا كل ما تكبلنا به من اغلال الشهوات والفسوق والغفلة ، ونسيان الله والدار والآخرة ، والعودة الى الله وكتابه لا نتخذ غير الله وليا ولا غير كتابه حكما .

هدى وبشرى

وقد ساق الله فى أعقاب هذه الآيات التى تتحدث عن اسرائيل من بدايتها الى نهايتها هذه الآية التى تهدى الحيارى وتأخذ بيد العاثرين .

((ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين)) وقد بث الله فى هذه السورة بعد أسباب هذه الهداية ورأسها الايمان بالله وتوحيده وعدم الاشراك به والايمان بلقائه وحسابه وثوابه وعقابه فانه قوة وعصمة لمن أيقن به ((ومن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا .)) .

وقد اجتهد اليهود أن يقيدوا العالم بالشهوات ويلقوا عليهم ظلام الغفلات حتى يحجبوا عن الله ويخلدوا الى الارض ويستحبوا الحياة الدنيا على الاخرة وذلك سر الهزيمة تلو الهزيمة لا نذكر الله ولا نرجو ما عنده والله تعالى يقول : ((يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون)) .

اننا بحاجة الى تعميق اليقين بالآخرة فى قلوبنا فانه والله لا ينزعنا من حضيض الذل والضعف وجاذبية الارض غيره وقد بث الله فى السورة من دلائله وآثاره ما فيه حياة وغناء .

كذلك بث الله فى هذه السورة البشرى للمؤمنين تصريحا وتلويحا بايحاءات واشارات يعنينا منها ما ختمت به السورة من قوله تعالى لبنى اسرائيل ((فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا . وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا . وقرآن فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا . قل آمنوا به أولا تؤمنوا — إن الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا)) .

ونحن نقول (سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا) .

والحمد لله رب العالمين (وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين).

الارتباط الروحي بالقدس أقوى من كل التحديات

للدكتور : وهبة الرحيلى

تمر الأمة الإسلامية والعربية فى التاريخ المعاصر بمرحلة من أدق المراحل واخطرها لتنوع أشكال العدوان الظاهرة والمبطنة عليها ، ولاذابة مفاهيمها عن الحياة والكون والانسان ، وركوعها بالتالى أمام غطرسة الأقوياء ، وارتمائها فى أحضان ذوى المذاهب العالمية اليمينية أو اليسارية .

فهل تجتاز الأمة ذلك الامتحان العسير ، فتظهر قدرتها الذاتية على البقاء الحر الكريم ، والثبات فى وجه العدو ، والصمود فى مواجهة التحديات ، وتبديد قوى الشر والكفر والالحاد التى تكالبت واتفقت فيما بينها سرا أو جهرا على تقويض مصالح المسلمين والعرب ، وإسدال ستار كثيف داكن يظلل تحته الضعف والتخلف ، ويزرع فى أرضه مجموعة من التناقضات الصارخة ، سواء من الناحيتين المادية والمعنوية ، الحضارية والفكرية ، الواقعية والأخلاقية ، بل والدينية المذهبية .

فالعدوان الحالى مثلا على المسلمين والعرب المتمثل فى وجود اسرائيل وحروبها المتعاقبة لا يقتصر على سلب الأراضى والممتلكات والمقدسات ، وإنما يرمى الى خلق أزمات حادة ووضع عقد مستعصية ، وإقامة تناقضات عجيبة فى الوسط الاسلامى بالذات ، نشاهد آثارها القريبة والبعيدة آنا فآنا ، جيلا بعد

جيل . ويشمل التأثير مختلف أنماط الحياة ، وأجواء الفكر والمشاعر ، والقيم والأخلاق ، والسياسة والاقتصاد ، والفرد والجماعة ، بل والدين الذى يؤمن به الإنسان حقيقة مسلمة . .

ودليلى على ما أقول ما هو معروف من مخططات إسرائيل فى حروبها « الآخذة بمبدأ الهجوم المفاجىء لجعل الهزة الناتجة عن الضربة الصاعقة عنيفة وعميقة فى أبعادها وآثارها فى المجالات العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية » ويعتمد مبدأ المفاجأة بشكل خاص فى المجالين الاستراتيجى والتكتيكى والنفير وتعبئة الاحتياط . لذا يبدو الخطر كبيرا فى الانتصارات الحربية التى يحققها الصهاينة بالتعاون مع الدول الاستعمارية ذات المطامع والمصالح الاقتصادية والاستراتيجية فى البلدان العربية ، وامتدادا لتاريخ الحروب الصليبية ، وإذكاء للروح والأحقاد الصليبية التى أثارتها الدعاية الصهيونية فى أوربا ضد العرب ، والتى أبرزتها الوثيقة التى أقرها الفاتيكان عن العلاقات الكاثوليكية اليهودية الرامية الى ازالة العداء التاريخى بين أتباع الديانتين ، والمذكور فيها أن على الكاثوليك أن يعترفوا بالمعنى الدينى لدولة اسرائيل بالنسبة الى اليهود ، وأن يفهموا ويحترموا صلة اليهود بتلك الارض . وقد توج كل ذلك بزيارة البابا بولص السادس فلسطين عام ١٩٦٤ .

ومن المعروف أن قيام الدولة اليهودية فى فلسطين كان على اساس دينى يربط يهود العالم بأساطير الكتاب المقدس المليئة غطرسة وتجبرا وخداعا ومكرا ونفاقا وحقدا دفينا على البشرية . كافة ، وما تزال الدعاية الدينية باقامة هيكل وملك داود وسليمان تلعب دورا كبيرا فى تشجيع اليهود على الهجرة الى فلسطين ، واعادة الدولة اليهودية فى أرض الميعاد ، مع ما فى ذلك من الاختراع والكذب والزور .

وفى مقابل هذا أيضا تحاول الصهيونية العالمية إقامة حاجز منيع بين الاسلام وسياسة العرب ، وعزل الشعب عن حكامه ، وزعزعة القوى والمفاهيم الإسلامية ، والتشكيك فى قدراتنا ، وهز البنية الاجتماعية القائمة فى بلادنا ، وتركيز الغزو على أخلاقنا وقيمنا وأسرتنا المسلمة ، ودورنا الحضارى باستغلال أوجه التخلف الحالية فى الزراعة والصناعة والتقدم العلمى التقنى ، وبقصد إبعاد الاسلام جملة عن مسرح الأحداث السائدة فى المنطقة ، لأنه الرباط المحكم الذى يوحد مشاعر الأمة ، وعندئذ تظل قوة العرب مجزأة ، وروابطهم مفككة .

لكن المسلمين — بالرغم من وجود أقليات غير مسلمة فى بلادهم فى الماضى — استطاعوا مقاومة تحدى جموع الأعداء السافر والتخلص من مخاطر الحشود الجرارة للروم والفرس والتتر والمغول والصليبيين ، وذلك بانتصارات عسكرية متعاقبة حاسمة . ولا سبيل الآن أمام أمتنا إلا بتحقيق انتصار عسكرى مماثل على الصهاينة واعوانهم المستعمرين والمخادعين والمنافقين الذين يصادقون ولا يصدقون وقت الأزمات والملمات الحادة . .

وطريق النصر له مقومات عامة ثلاثة : أولها : الاستمساك بالحق المشروع . وثانيها : الاعتماد على القوة . وثالثها : اختيار القيادة الناجحة الصالحة .

منطق الحق :

لا ريب بأن المسلمين والعرب الذين استوطنوا فلسطين ثلاثة عشر قرنا



هم أصحاب الحق الشرعيون لها ، فهم ملاكها الأصليون ، وأشرف الناس برعاية مقدساتها ، ولهم الأحقية الدينية بالبقاء فيها ، وإن تسلط عليها الصهاينة اغتصابا وظلما وزورا وخداعا ، طال الأمد أم قصر ؛ لأن رابطة المسلمين بالقدس وتوابعها رابطة خالدة لا تعصف بها أعاصير الدهر .

فارتباط المسلمين بالأراضى المحتلة ذو جذور وطيدة فى إيمانهم ويكون جزءا أصيلا من عقيدتهم ، وليست القدس مسرى رسول الاسلام وأولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين إلا رمزا راسيا للارتباط الكلي بجميع أجزاء فلسطين ، فلا يقتصر الأمر على المسجد الأقصى والصخرة المشرفة وتوابعهما ، كما لا يقتصر تعبير « المسجد الحرام » على الكعبة المشرفة ، وإنما يشمل حرم مكة كله ، بل والحجاز وجزيرة العرب للأحاديث الدالة على ضرورة إخراج اليهود والنصارى منها .

يرشد لذلك التأصيل لحق المسلمين هذا قول الله تبارك وتعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير » .

وقد سوى الرسول صلى الله عليه وسلم بين المساجد الثلاث فى حكم أهمية الصلاة فيها ، وقصدها بالذات للعبادة فى أرجائها ، ووجوب وفاء نذر

من نذر الصلاة فيها خلافا لكل مساجد الدنيا فى المشارق والمغارب ، ولا يتحقق ذلك إلا بتطهير الأراضى المجاورة للقدس التى هى عاصمــة فلسطين كلهــا ، لأن أداء العبادة فى المسجد الأقصى مرهون بتوفير الأمان والسلام والاستقرار فى ربوع فلسطين كلها ذات البقعة الضيقة جدا بالنسبة لبلاد العالم ، قال رسول صلى الله عليه وسلم .. فيما صح فى كتب السنة النبوية : البخارى ومسلم وأحمد فى مسنده ، وأبى داود والترمذى والنسائى والبيهقى وابن ماجــه ـــ « لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدى هــذا ، والمسجد الأقصى » . وذكر ابن عساكر عن زهير بن محمد بلاغا : « إن الله تعالى بارك ما بين العريش والفرات وخص فلسطين بالتقديس » قال السيوطى: ضعيف .

وكان حادث الإسراء والمعراج لرسول الله صلى الله عليه وسلم أروع حدث إسلامى ربطت فيه القدس وتوابعها بكل أجزاء العالم الإسلامى ، كارتباط أعضاء الجسد بالقلب والروح الواحدة ، فلا تقديس ولا خلود لشعائر الاسلام إن انفصل جزء منها عن بقية أجزاء وأحداث الإسلام الكبرى . روى الامام أحمد فى مسنده عن أبى أمامة الباهلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق ، لعدوهم قاهرين ، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله عز وجل وهم كذلك ، قالوا : يا رسول الله ، وأين هم ؟ قال : ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس » وقال عطاء : « لا تقــوم الساعة حتى يسوق الله عز وجل خيار عباده الى بيت المقدس وإلى الأرض المقدسة ، فيسكنهم اياها » .

فالآيات القرآنية والأحاديث النبوية تشد المسلمين الى الاستمساك بحقهم المشروع فى البقاء فى فلسطين دينا وشرعا وبالفتح العمرى الخالد وبالوجود الشعبى الأصيل .

وبهذا يظهر ضرورة الاعتماد على عناصر الايمان الاسلامى ومقوماته فى تحرير الأراضى المحتلة ، حتى تتجلى معانى القداسة وتراق الدماء العــزيزة رخيصة فى سبيلها ، وتتعاقب التضحيات الكبرى والبطولات الصادقة من أجل حرمات الأقصى وتوابعه أرض النبوات الطاهرة ، قال عليه الصلاة والسلام : « من مات فى بيت المقدس فكأنما مات فى السماء » « من أراد أن ينظر الى بقعة من بقع الجنةفلينظرالى بيت المقدس » « البيت المقدس بنته الأنبياء وسكنتــه الأنبياء ، وما فيه موضع شبر إلا وقد صلى فيه نبى أوقام فيه ملك » .

فهل اليهود قتلة الأنبياء وحفدة القردة والخنازير وأبناء الأفاعى أحــق برعاية مقدسات فلسطين ؟! إن أملا كبيرا بالله أن يتجدد فينا ببشارة الله تعالى فى الآيات التى نزلت فى يهود بنى قينقاع : « قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد . قد كان لكم آية فى فئتين التقتا : فئة تقاتل فى سبيل الله ، وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين ، والله يؤيد بنصره من يشاء ، إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار » وأن يتجدد جلاء اليهود عن فلسطين كما أجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود بنى النضير عن المدينة ، وأتم الخليفة العادل عمر بن الخطاب إجلاء اليهود عن جزيرة العرب : « ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ، ولهم فى الآخرة عذاب النار » وأن تتحقق الغلبة كما غلب يهود بنى قريظة الذين قال الله فيهم : « إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون . الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة ، وهم لا يتقون ، فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون » .

ولكن ــ كما يبدو فى قرآن الله ــ إن أول شروط النصر فى المعركة هو الايمان الذى حدده الاسلام ، ليكون خوض الحرب فى سبيل إعلاء كلمة الله ، فقد بشر الله المسلمين المجاهدين بالنصر بقوله : « ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون » « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » « إن ينصركم الله فلا غالب لكم » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ، فيقتلهم المسلمون ، حتى يختبىء اليهودى وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر أو الشجر : يا مسلم ، يا عبد الله ، هذا يهودى خلفى ، فتعال فاقتله » .

ولا بد أن يأتى يوم يذوب فيه التحالف بين دولة اسرائيل والولايات المتحدة وأذيالها ، فتتخلى الدولة الكبرى عن إمداد حليفتها ماديا وعسكريا ، كما تخلت عن الصين الوطنية « فرموزا » ، لأن الارتباط المصلحى يتلاشى بتبدل وجه المصلحة ، والمصالح موقوتة دائما ، وكما حدث فى تغير سياسة فرنسا تجاه العرب ، ويبقى الحق أخيرا لأصحابه الشرعيين ، الذين يستغلون الظروف المناسبة لمواصلة الكفاح وتحطيم جبروت الطغاة ، وقمع عدوان الظالمين وتبديد أطماع المتسلطين ، وإجلاء الغاصبين .

منطق القوة :

لقد أثبت التاريخ القديم والحديث أن الحق المجرد الأعزل عن حمايته بالقوة والسلاح ضائع مهضوم ، فلا بد للحق من أن يسيج بدرع حصينة من القوة والبأس وصراحة الرجال وقعقعة السلاح . والقوة وحدها هى سبيل استرداد الحقوق المسلوبة ، والبلاد المحتلة . وهذا اللون من المنطق أو اللغة هو ما يفهم مستعمرو اليوم ، فلا سماع لكلمة الضعيف ، ولا معنى لصراخ الذليل ، ويفعل القوى ما يشاء ، سواء فى الشرق أو الغرب كما فعلت الهند بالباكستان قريبا ، وكما تصرفت روسيا مع المجر وتشيكوسلوفيا منذ سنوات معدودات .

لذا كانت قوة الصهاينة هى سبيل ردع العرب ، و « كلب الحراسة » لمصالح المستعمرين . وكان الجيش الاسرائيلى مدربا على أرفع المستويات الحربية ، ومجهزا بأحدث الأسلحة الخطيرة الفعالة برا وبحرا وجوا ، مما يعد جزءا أساسيا فى تسليح قوى الحلف الأطلسى وأمريكا بالذات . ومن المعروف أن القوة اليهودية قوة هدامة عظيمة خافتها الامبراطوريات القديمة ، فأرادت القضاء عليها ، وهى الآن مصدر قلق وخوف لتهديد وجود الدول العربية ، وإرهاب جيرانها الأقارب والأباعد على حد سواء ، حتى صارت تتحدى قرارات الأمم المتحدة ، وتهزأ بتهديدات بعض الدول الكبرى ما عدا أمريكا .

أما التعلق بالحلول السلمية لمشكلة فلسطين واللاجئين والأجزاء المحتلة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ فهو تعلق بسراب خادع وتمسك بأوهام وخيوط واهية ، إذ أننا ينبغى ألا ننسى تاريخ القضية الفلسطينية وأن نعرف بوعى وجلاء أسلوب الدول الكبرى بعد حرب ١٩٤٨ باتخاذ وسائل الالهاء والتخدير للشعور والعواطف العربية : لجنة تغدو ، وأخرى تروح ، ووسيط يقدم وآخر يعود ، وتقارير ترفع ، وقرارات جماعية زئبقية تتخذ ، وكل ذلك ليس سوى اللهو والعبث والمماطلة والتسويف حتى يمر الزمن الذى يكفى وحده حجة بيد العدو لقبول مزاعمه والرضا بمطالبه ، وهضم مطامعه التوسعية الرهيبة جرعة جرعة وغصة بعد غصة .

ومع ذلك نعود الى استجداء رحمة الآخرين واستغاثة الكافرين واستنجاد

لوثة الضمير العالمى أو الرأى العام العالمى ، ومحاولة تعبئته سياسيا مع أن مثل هذا الضمير لا يتحرك ولن يتحرك يوما ما ، وذلك الرأى العام العالمى ليس قنبلة توجه الى المعتدين ، كما قال الصهاينة أنفسهم . ما دامت القضيـــــة لصـــالح المسلمين أو العرب فى مفهوم الدول الأخرى .

إذن فأين المفر وأين الملجأ والملاذ ؟

الجواب فى قوله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قـــوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم .... » « وجاهدوا فى الله حق جهاده » ، فالجهاد قمة المبادىء الاسلاميـــة وذروه سنام الاسلام . والافادة من الطاقات والامكانات المتوافرة لدينا كفيـــل بتحقيق النصر باذن الله إن صحت النية وصدقت العزيمة وحسن الاعتماد على الله تعالى لا على احد سواه ، فمن القضايا البدهية المعروفة تاريخيا أن أعداء الأمة الاسلامية فى مختلف الحروب التى خاضها المسلمون معهم كـــانت قوتهم تزيد عن قوة المسلمين أضعافا مضاعفة ، لأن الكافر يعتمد القـــوة الماديـــة وحدها ، وأما المسلم الصادق الايمان فيعتمد أولا قوة العقيدة وحسن الصلـــة بالله ، فهى التى تعوضه عن الكثير من قوة السلاح ، وبذلـــك انتصر المسلمون : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين » « ولقد نصركم الله ببدر وانتم أذلة ، فاتقوا الله لعلكم تشكرون » فبالاعتماد على قوة الايمان كانت انتصارات المسلمين مضرب الأمثال .

ومن عدل الله ورحمته الا يخجل أحدا اتكل عليه ، وصدق العهد معه ، وان نفد السلاح ، وقل المال ، واستنفدت الطاقات : « لقد تاب الله عـــلى النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعـــوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيـــغ قلوب فريق منهم .. »

وكم من يأس قتل جيشا ، وكم من تثبيط همة هزم دولا ، وكم من عاطفة هائجة غير منظمة أودت بالألوف : « ولا تيأسوا من روح الله ، إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » « حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا ... »

ولا حاجة لذكر عشرات الآيات والأحاديث النبوية التى تحض المسلمين على الجهاد ، واعتباره فرض عين إن هوجم بلد إسلامى ، فذلك كله معروف عـــلى المنابر وفى الصحف والمجـــلات الاسلامية والمؤتمرات العامـــة .

القيادة الصالحـــة الأمينة :

من أهم صفات القائد المؤمن أن يتجاوب مع مشاعر المؤمنين المتدفقة أمانة وإخلاصا وغيرة على أراضيهم وممتلكاتهم ومقدساتهم المغتصبة . لتخليصهم من مساوىء الهزائم التى لحقت بهم نتيجة وقوعهم فريسة التضليل والمكر والخديعة والمؤامرة والخيانة والتجسس الخطير والثقة بدجل مردة الكفر والنفاق ، وأن يكون منظاره للمعركة من وجهة الحق الذاتى الخالد لا من جهة الارتباط بأى منزع عالمى آخر يحول صاحبه المعركة وجهته ويكيفها وفق هواه .

وعلى القائد المسلم أن يكون هو وجيشه ملىء الثقة بالنفس والاعتماد على الذات ، حتى تتحقق حرية الحركة والتقدم السريع الذى تتطلبه ظروف المعركة ، إذ ما من شك أن تقدم وسائل الحرب وتعقد آلات القتال الحديثة يفرض مثل هذا العمل الذاتى ، فضلا عن ظروف المجتمع الدولى الحاضر .

ومن أهم صفات القائد والجيش المسلم حسن الايمان بالله تعالى ، كما المحنا سابقا ، والايمان بأهمية الجهاد الحق المخلص لا لأطماع ذاتية أو أمجاد شخصية ، أو مصالح خاصة ، وانما أن يكون فى سبيل إعلاء كلمة الله ، وتحقيق مجد الأمة ورفع شأنها وفرض هيبتها وسلطانها واحترام كلمتها فى العالمين . فهذا ما كان من سيرة قادة المسلمين الذين سطروا صفحات خالدات على ممر الدهر فى معارك بدر واليرموك والقادسية وعين جالوت وحطين على يد على وعمر وأبى بكر وعثمان وخالد وطلحة والزبير والمثنى بن حارثة وأسامة وسعد والقعقاع بن عمرو ومحمد بن القاسم وموسى بن نصير ونور الدين وصلاح الدين وأمثالهم الغر الميامين .

ويمكن تلخيص الأسس التى يمكن الاعتماد عليها لإيقاف المد الاستعمارى والخطر الصهيونى وتحدى مشاعر المسلمين وتحطيم أغلال الظالمين بما يأتى :

١ ــ تنشئة الجيل تنشئة عسكرية صارمة حازمة تبعده عن الميوعة واللهو والتشتت والضياع ، وتعيد بناء الفرد والمجتمع على الأسس الاسلامية الصحيحة ..

٢ ــ حماية النشىء من الأفكار الدخيلة السامة التى تقوض القيم والدين والأخلاق ، وتذيب شخصية الأمة .

٣ ــ تعبئة كل طاقات الأمة المادية والمعنوية .

٤ ــ العمل على بث الوعى الايمانى الدينى فى صفوف المجاهدين والجيوش المناضلة ، والحث على التمسك بمبادىء الاسلام وفضائله والاعتبار بأحداث التاريخ الاسلامى المشرف ..

٥ ــ الحفاظ على وحدة الأمة فى الداخل والخارج وتوحيد جبهات القتال وحشد كل الطاقات العسكرية والاقتصادية من أجل معركة المصير الواحدة ، على أساس حازم مخلص مجرد من كل غاية نفعية ذاتية ..

فان تخلف امرؤ أو تقاعس عن القيام بواجبه فى سبيل المعركة لانقاذ مسرى رسول الاسلام والمقدسات الاسلامية وما جاورها ، فهو خائن لله ولرسوله وأمته ووطنه ، ومتحلل من شرعة الاسلام التى لا تقر هذا الواقع الصهيونى الأثيم فى بلاد المغرب . وكل من ساهم بحق فى سبيل الجهاد مع العدو فهو فى مرتبة الشهداء والصديقين الابرار وفى سجلات خلود الأمة إلى يوم الأبد ، والله من وراء القصد .

في ذكرى الاسراء والمعراج الشريفين

متى اللقاء يا قدس ؟

محمد يوزن

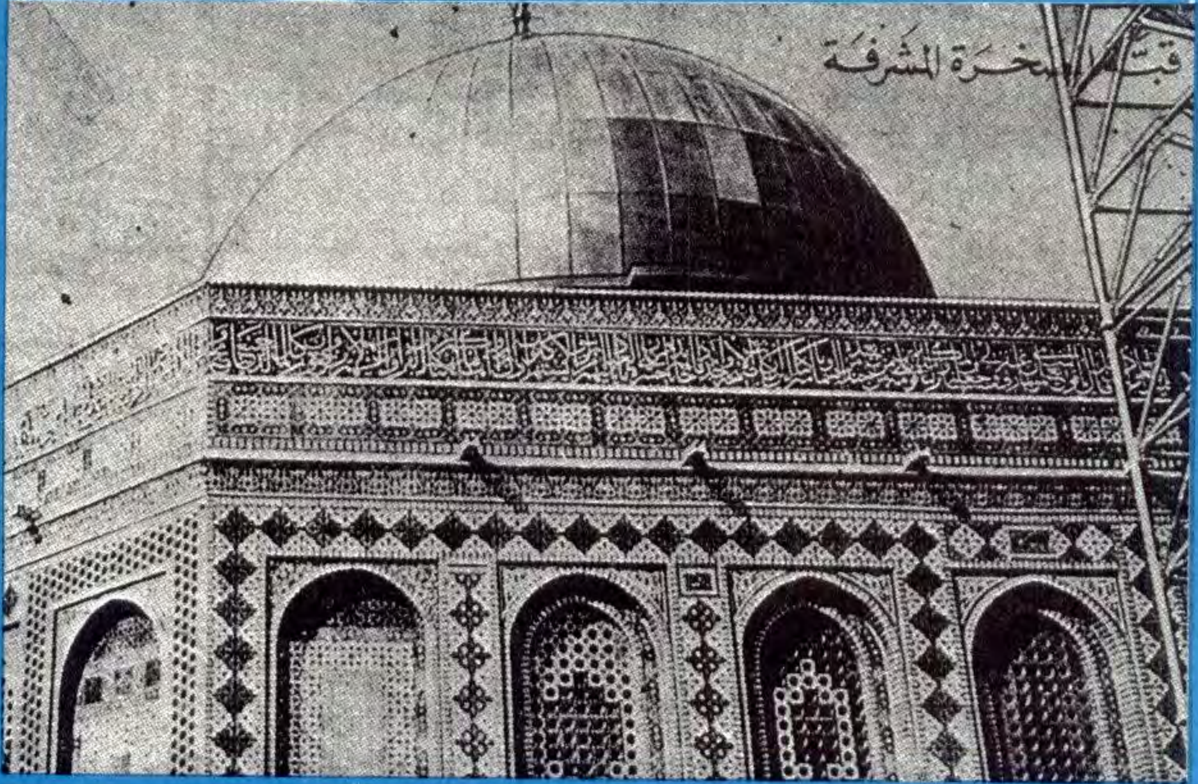
سنوات خمس عجاف من الخير والشر ، حوافل مخصبات بما يملأ صميم الافئدة بالغيظ .. خمس مررن واحسرتاه ، منذ الحادث الجلل فى القدس .. السواد يجلل كل شىء .. الخطب اكبر من كل وصف . كل عزاء يبدو سخفا فى سخف ، كل اعتذار يبدو اقبح من الذنب ، كل كلام يقال أو يكتب فهو توبيخ لقائله .. كل افتخار فهو كذب ، وكل معتز بعيش فهو مغرور .

الحقيقة الاكبر من كل شىء هى ان المسلمين .. بقايا المسلمين يعبرون الدروب حزانى منكسى الرءوس فى القدس ..

الوجيعة التى تتلظى بها الضلوع على قدر ايمانها بالله وبذاتها ان منبر الاقصى قد حرق .

المصيبة المجلجلة هى أن اليهود يقتحمون المسجد على الناس بأزياء خليعة ، ونظرات متغطرسة ، وألسنة شتامة ، وافعال مذلة ..

وهيهات فى مهب هذه اللفح الحارق من اعصار هذه الفتنة ان ينمو فينا احساس برضا ، او اعتزاز بوجود ، او طمانينة الى امل ..



للاستاذ : أحمد العنانى

وجودنا كله — على قدر ما يكون وجود الناس متمثلا فى عقائدهم وتاريخهم ، وآثارهم ، ومعطيات حضارتهم — كله وجود معلق فى الفضاء ، بلا صلة تربطه بالواقع ، ما دامت الايام فالشهور تشكل سنوات الذل من اسار الاقصى الحزين .



الف الف رحمة على روحك يا صلاح الدين
فلولا ما حقق الله على يديك الطهورين
وما أنجز الايمان بجهادك المبرور
لانعقدت غيوم اليأس من أقصى فلك الرؤية الى أقصاه

ولحرمنا حتى مجرد التخيل بأن القدس صائرة الى غير ما انتهى اليه حالها من هوان .

ولكن صلاح الدين كان حقيقة تنزلت بها رحمة الله معجزة بالغة فى ظروف أقسى من ظروفنا الآن مهما بدت كالحة رهيبة .

والذين يقرأون التاريخ جيدا ، يرون أحوالا أعجب من أحوالنا الراهنة قبل انبثاق الفجر عن محيا صلاح الدين .

صحيح ان الشهيد نور الدين كان اول من وجد بعمله المستميت قاعدة للامل بالعودة الى القدس ، وانه صنع المنبر للاقصى سلفا قبل أن

يسعف الاحوال برؤيةالطريق واضحة الى القدس ، ولكنه لولا عناية الله متمثلة فى صلاح الدين بالذات ما كان لأمل ان يتحقق ولا لرجاء أن يثمر .

ليست اخبار تفرقنا الآن بأسوأ مما كان فى عهد نور الدين ،
ولا الانانية الجبانة المهزوزة بأبشع كثيرا مما كانت

أما العدو فكان فعلا عدوا رهيبا يستند الى فيض متكاثر من اغلظ عناصر الدنيا شراسة وبربية ، ومن اشد من عرفت الدنيا تعصبا وجهلا ، ومن افدحها تعطشا للدماء والمغامرات والغنائم ..

وكان اليهود بمكان بارز من الامر كله ، يتاجرون بتحريك تلك المطامع والعصبيات والهستيريا المجنونة ، ويقفون فى البندقية وشمالى ايطاليا بموقع متوسط ملائم لتكديس الارباح وتضخيم الثروات بلا حساب .

لكن صلاح الدين كان تعبيرا أعدته العناية الالهية ، ليكون صادقا مؤثرا يترجم مشاعر الم متضاغط ، وحسرات دامية فى قلوب المسلمين .. كان يحمل سر جبروت القيادة المسلمة المؤهلة للنصر .

وذلك السر يتلخص فى كلمة واحدة ، ايثار الآخرة واحتقار الدنيا .. كان صلاح الدين رد الفعل لآلاف التجارب الفاشلة فى حب الدنيا فانه يأتى زمان على المتهاونين فى عقيدتهم وكرامتهم يدركون فيه أن شرف الذات الملطخة بالعار لا يسد فراغه مال ولا ملك ولا شهوات ولا سلام خادع مزخرف بعطايا الهوى الدنىء .



اني لا اكتب لاقول اننى أحتقر مادة الحياة ..

ولكنى اقول ان تكديس الامكانات بغير الركون الى روح تحركها هو عملية عبث فارغ من المضمون .

ان هناك حدودا لحاجتنا الى التكنولوجيا المتقدمة ، ومعطيات العلم المبدع ، وتخطيطات الاقتصاد المستنير ، ومسرحيات الدعاية الذكية

هذه كلها وسواها تجدى فقط حين توجد القيادة الصالحة لتحريكها .. ومثل هذه القيادة تقوم فقط على دعوة الثأر الحق ، وشرف الرسالة الصادقة ونكران الذات المطلق ، والبحث عن رضوان الله ..

وباختصار ، اننا نحتاج رجلا كصلاح الدين ..

وحتى تاريخه لما يظهر ذلك الرجل .



نحن الآن ربما كنا بدانا الدخول فى مرحلة اليأس من منطق الذل ..

كل ما صنعته الانانية الغدارة من أوهام الشهوات بدأ ينهار ..

كل التعلات التى تدرع بهـــــا النفوس الحالمة بالامجاد الرخيصـــة صارت تتكشف عن حقيقة شـــوهاء كالحة ، عن صحراء قفر يعوى بهـــا الســـأم الرخيص الفـــارغ من كل محتوى ..

ولقد يصح أن نزعم بأن الحيـــاة أصبحت عند جميعنا عبئا مبهظا لا يستحق الاهتمام ..

نحن الآن كهشيم يتشـــهى عود ثقاب ..

نريد قلبا يؤجج فكرا مســـــتنيرا مدركا بايمان كالطود الاشــــم بأن المطلوب هو البحث عن الموت .

ونحن كمسلمين مهما زال عنا من حقائق حقائق الاســـلام لا نحسن أن نرضى بالموت ســـــبيلا الا وهو فى سبيل الله ..



لا أعيد القصة القدسية المــكررة عن الاسراء والمعراج .

ولا اقول القدس جميلة ورائعـــة ولازمة لروح وجودنا لزوم الهـــواء والماء .

ولا اذكر بالتربة القدسية المجبولة بدماء الاجيال بعد الاجيال .

ولا انتحب على انســـام الروابى الحسان التى باركها الله .

ولكنى ارى خلل الظلام بوادر نور يطلع من دورة الافلاك .

احس فتحة اليأس الاسود توشك ان تلد درة ماس مصنوعة من آلام الضغوط الهائلة والمعاناة المكتملة .

الا بورك الالم ، وبوركت المعاناة

وبوركت الجـــــراح يا قدس اذا اعادت لنا صواب النظر الصـــائب نحو رضوان الله .

فنحن لا لقاء لنا يا قدس حتى نصافح بحرارة صـــــادقة يد الموت الذى تســـتوجبه على المظلومين فى الارض دعوة الله .

نحن فى انتظار اليد النظيفة التى تحول حزمة من شعاع القرآن نارا تأتى على هشـــيم أخبائنا ، وتهيىء المسرح لمثل اليوم العزيز .

يوم الجمعة الحسناء الســـابع والعشرين من رجب .

يوم الاسراء الذى عاد فيه شعار الهلال وارتفع على قمة الصــــخرة القدسية الشماء ..



المركز الاسلامي والثقافي في بلجيكا

دروس القرآن

محمد مؤذن

المركز الاسلامى والثقافى فى بروكسل منظمة عالمية اسـلامية احدثت وفق النظـام البلجيكى لـتنضم فى روح من الاخوية شمل جميع المسلمين فى بلجيكا ، ويديرها مجلس عـام يتألف من رؤساء البعثات الاسلامية المعتمدين فى بلجيكا ، ولدى السوق الأوربية المشتركـة ومن نواب عن الجالية المسلمة ، وهى تهدف الى :

تدعيم الحياة الروحية للمسلمين المقيمين فى بلجيكا ولاسرهم وتمكينهم من معرفتهم بالاسلام ، ومن اتباع تعاليمه .

انارة الرأى العام البلجيكى ، بفلسفة الاسلام وثقافته وتزويده بوثائق عـن البلـدان الاسلامية وشعوبها والعمل على تحسين العلاقات الودية بين بلجيكا ، والعالم الاسلامى .

البقاء فوق كل اعتبار جنسى ، اواقليمى ، وعدم التدخل فى المجالات ذات الطابـع السياسى ، او العقائدى .

انشاء مساجد وصيانتها لتقام فيها الصلوات ، والحفـلات الاسلامية ، وانشاء مقبرة للمسلمين المقيمين فى بلجيكا وصيانتها .

فتح مدارس لابناء المسلمين ليتمكنوا من دراسة القرآن ولغته ، والتعاليم الاسلامية .

العمل على تحسين المشاريع الاجتماعية ، والخيرية ، وذلك بالاتصال بالسلطات المحلية وبكل المجموعات التى تتبع نفس الهدف الانسانى .

تكون مركزا للبحوث الاسلامية .

تنظيم محاضرات ، ودورات دراسية ، ومؤتمرات ، تتناول مختلف المواضيع التى تهم الاسلام والمسلمين وتحدد علاقاتهم بالانظمة الاخرى ، وتعمل على نشر التفكير الاسلامى وفلسفته . (الجريدة الرسمية البلجيكية)

— ١٩٦٨/٦/٢٠ —

والتربية الاسلاميّة

يقوم المركز الاسلامى والثقافى فى بلجيكا بوجوب الحفاظ على اسلامية ابناء الجالية المغتربة الذين يناهز عددهم العشرة آلاف ، وذلك بغرس العقيدة الاسلامية فى نفوسهم وتعليمهم القرآن ومبادىء الدين ، وبالعمل على انقاذهم مما يحيط بهم فى ديار غربتهم من الانحراف ، والضلال، والفساد، وايمانا من ادارة المركز بهذه المهمة الجليلة سعت منذ تاسيس المركز الى ايجاد فصول فى المركز ، وفى فروعه ، تعطى فيها دروس القرآن ، والتربية الاسلامية كما سعت الى ادخال التربية الاسلامية ضمن التعليم بالمدارس البلجيكية ، وقد اثمرت هذه المساعى — بفضل الله — بعض النتائج الطيبة التى نستعرضها فيما يلى :

اولا : دروس القرآن بالمدارس البلدية

يوجب نظام التعليم البلجيكى على جميع التلاميذ فى المرحلتين الابتدائية والثانوية ، أن يتلقوا دروسا فى الدين الذى يختاره لهم اولياؤهم من بين الاديان المعترف بها فى الدستور البلجيكى ، لظروف تاريخية ، فقد قام المركز بمساع حثيثة ومتوالية لدى الحكومة البلجيكية ، ولدى السلطة المحلية ، بادخال دروس التربية الاسلامية فى المدارس التى يؤمها عدد وافر من ابناء المسلمين كخطوة اولى ريثما يتم الاعتراف القانونى بالاسلام ، وقد كان لهذه المساعى نتائج مشجعة ظهرت :

١) فى تقديم لائحة الى مجلس النواب تدعو الى ادخال دروس التربية الاسلامية ضمن مواد الدراسة فى المدارس البلجيكية .

٢) فى صدور وعد من المسئولين عن التعليم البلجيكى لوفد المركز الذى قابلهم فى ٧٠/٦/١١ يتضمن موافقتهم المبدئية لهذا المقترح والعمل على ادخاله حيز التطبيق بعد مصادقة مجلس النواب والحكومة عليه .

٣) فى موافقة بعض المناطق فى بروكسل وأعضاء مجالسها المحلية على اقرار التعليم الاسلامى فى المدارس البلدية التابعة لها . وعلى اعطاء منح مالية للمعلمين الذين ينتدبهم المركز للقيام بالتعليم الاسلامى بصفة مؤقتة حتى يتم اعتراف الدولة البلجيكية بالدين الاسلامى .

وفعلا ، فمنذ السنة المدرسية ٦٩ / ٧٠ م ، ادخلت دروس التربية الاسلامية باربعة مدارس بمنطقة ايكسال (بروكسل ١٠٥٠) .

وقد استوعبت هذه الدروس ما يقارب ثمانمائة طفل مسلم ، يقوم باعطائها على نفقة هذه البلديات ثمانية معلمين منتدبين من قبل المركز

مهمات المربين الاسلاميين فى بلجيكا:

١) تعليم النشء المسلم القرآن والدين .

ان ظروف الدراسة والمعيشة الصعبة والاستثنائية للمسلمين ، المغتربين وابنائهم فى بلجيكا ، ليتطلب من المربين المنتدبين لتدريس القرآن والدين أن يبذلوا مجهودات كبيرة داخل المدرسة وخارجها — ليتمكنوا من احتضان الابناء الذين اودعوا امانة عندهم ومن رعايتهم حق الرعاية ، وان يحرصوا على تكوينهم تكوينا اسلاميا ، وعلى مساعدتهم للتغلب على المشاكل الدراسية ، والاجتماعية التى تحدث لهم فى المدرسة أو فى الاسرة .

٢) التعريف بالاسلام .

ان طبيعة عمل هؤلاء كمربين اسلاميين فى مدارس تغلب عليها النزعة المسيحية ، لتستوجب عليهم أن يكونوا ممثلين للاسلام — قولا ، وعملا ، وسلوكا — لدى تلاميذهم وزملائهم فى المدارس ولدى من يتصلون بهم فى الخارج ان يعرفوهم بالاسلام ، وتعاليمه احسن تعريف ، ويردوا بالتى هى احسن على كل الشبهات والضلالات ، والاباطيل التى تنسب الى الاسلام جهالة أو بهتانا .

٣) التعاون مع المركز فى خدمة الاسلام والمسلمين :

ان ضعف جهاز المركز ، وقلة العاملين فى الادارة والدعوة ،لتقتضى من هؤلاء المربين أن يتطوعوا فى بعض اوقات فراغهم وحسب طاقاتهم وامكانياتهم لمساعدة ادارة المركز على الاضطلاع بمهماتها المختلفة فى خدمة المسلمين وفى الدعوة الاسلامية ، ببلجيكا .

شروط انتداب المربين :

نظرا للمهمات العظيمة الملقاة على عاتق المربين ، وللمسؤوليات الجليلة التى يتحملونها فى اداء واجباتهم ، فان مكتب المركز بالاتفاق مع السلطة البلجيكية المختصة — وضع الشروط التالية اللازم توفرها فى المرشحين الراغبين فى التعليم :

١) الحصول على شهادة نهاية التعليم الثانوى (الباكلوريا أو ما يعادلها)

٢) حذق اللسانين الفرنسى والعربى (الدروس تلقى باللغتين الفرنسية والعربية).،

٣) حسن المعرفة بتعاليم الاسلام .

٤) حسن السلوك ، والالتزام بآداب الاسلام واحكامه .

وانما ارتأى المركز وجوب توفر

هذه الشروط فى المربى الاسلامى ، وذلك تجنبا للاخفاق فى نتائج الدروس بتكليف غير ذوى الاهلية بهذه المسؤوليات الخطيرة كما فيه خير ضمان لنجاح المركز فى انجاز اهدافه السامية من العمل على تنشئة الابناء على التربية الاسلامية ، والاخلاق ، القرآنية وحمايتهم من الانحراف ، والضلال ومن اعلاء شان الاسلام وحسن التعريف به ، وبالمساعدة على نشر تعاليمه بهذه الديار .

انتداب المعلمين للسنة المدرسية ٧١ / ٧٢ :

نظرا لفقدان المعلمين من ذوى الكفاءات ، التى تؤهلهم للقيام بالتدريس الاسلامى فى بلجيكا ، ولضرورة انتدابهم من البلدان الاسلامية ، فقد وجه المركز فى شهر يوليو ٧٠ ، الى الحكومات الاسلامية طالبا بارسال معلمين اكفاء .

وقام مدير المركز فى شهر مايو ١٩٧١ م ، بالاتصال بالسفارات الاسلامية ، وبتذكيرهم بطلب المركز ، كما وجه فى الغرض نفسه رسائل الى الوزراء المختصين فى الحكومات الاسلامية .

استجابة الحكومة التونسية لدعوة المركز :

وكانت نتيجة هذه المساعى أن استجابة الحكومة التونسية لهذه الرغبة فى شهر أكتوبر ١٩٧١ م ، فبعثت معلمين أثنين رسميين من ذوى اللسانين (الفرنسى والعربى) مع منح كل منهما راتبه الذى كان يتقاضاه بتونس بالاضافة الى المنحة التى تسلمها لهما البلديات البلجيكية ، فسنت الحكومة التونسية بذلك سنة حسنة نرجو أن تتسع فى قابل الايام وان تعقبها تلبية بقية الحكومات الاسلامية لنداء المركز ، سواء بايفاد المعلمين الاكفاء المستوفين الشروط بنفس الطريقة التى سلكتها تونس (بالابقاء على مرتباتهم) او بارسال مساعدات مالية يستعين بها المركز لانتداب المربين الاكفاء وللانفاق على تسيير التعليم الاسلامى ببلجيكا .

برامج الدروس والاشراف على تطبيقه :

نظرا لتكليف الامام المدير من قبل مكتب المركز ، وادارة التعليم بالبلديات البلجيكية بتنظيم دروس التعليم الاسلامى والاشراف على تنفيذها فقد اعد بتعاون مع بعض السادة المعلمين برنامجا مفصلا لدروس التربية الاسلامية مقسما على كامل السنوات ، ووزعه على جميع المعلمين ، كما نظم اجتماعات بمقر المركز ، تمت فيها دراسة هذاالبرنامج واختيار الاساليب التربوية التى يحسن توخيها فى التدريس ، ومن ناحية أخرى ، يقوم الامام المدير باداء زيارات تفتيشية للمعلمين فى فصولهم قصد السهر على حسن سير الدروس ، ومساعدة القائمين بالتعليم على اعطاء خير النتائج .

ثانيا : دروس القرآن بفصول المركز الاسلامى :

انشاء ادارة المركز فى مقره ، وفى فرعى ، واندرليكت ، (وهى مناطق آهلة بالسكان المسلمين انشأت فصولا يؤمها أكثر من مائتى تلميذ تتراوح اعمارهم مابين السابعة والوابعة عشرة ، وفيها يتلقون دروسا منتظمة فى القرآن والدين والعربية .

البقية ص ٩٧

الدفاع عن حق المسلمين في مدينة القدس

للدكتور : محمد عبد الرءوف ــ واشنطن

عقدت اللجنة الفرعية للشئون الخارجية الخاصة بشئون الشرق الاوسط بالكونجرس (البرلمان) الامريكى جلسة خاصة فى ٢٨ من شهر يوليو من العام الماضى ١٩٧١ لمناقشة وجهات النظر للأديان الثلاثة : اليهودية والمسيحية والاسلامية بشأن مشكلة مدينة القدس ومستقبلها .

وقد دعى لبيان وجهة النظر اليهودية الحاخام ((مارك تانينباوم)) مدير قسم العلاقات الدينية باللجنة اليهودية الامريكية ذات النفوذ الواسع بأمريكا ، وهو متحدث صهيونى متعصب ، وقد دعا الى بقاء المدينة ((موحدة)) تحت الحكم الاسرائيلى .

أمام الكونجرس الأمريكي

كما دعى كل من الدكتور (جيمز كريتسنيك) استاذ التاريخ واللغات الشرقية بجامعـة انديانا وعميد المعهد العالى للدراسات اللاهوتية بالجامعة المذكورة ، والسيد الأب ((يوسف ريان)) الاستاذ بمركز الدراسات الاجتماعية فى كامبردج بولاديـة ((ماساتشوسيت)) حينئذ ووكيل دار الحكمـة ببغداد سابقا والمعروف بميوله المؤيدة للقضايـا العربية ـ لبيان وجهة النظر المسيحية ، وقد أيدا فكرة تدويل مدينة القدس وحضا حكومة الولايات المتحدة على أن تتخذ موقفا عادلا تجـاه القضية الفلسطينية .

ودعى صاحب هذا المقال لبيان وجهـة النظر الاسلامية وقد حض على وجوب عودة المدينـة للحكم الاسلامى .

وجهت الينا الدعوة فى النصف الأخير من شهر يوليو على أن تعقد الجلسة فى ظهر الأربعاء ٢٨ من الشهر المذكور ، وعلى أن يقدم كل منا مذكرة من خمسين صورة تحتوي على وجهات نظره الى سكرتيرية اللجنة قبل موعد الجلسة بثلاثة أيام .

وقد عقد الاجتماع فى الوقت المحدد فى جلسة علنية باحدى القاعات الكبرى بمبنى الكونجرس برئاسة رئيس اللجنة وعضو الكونجرس عن ولاية « أنديانا » واسمه : السيد/لى ه . هاميلتون . وبعد كلمة ترحيب من سيادته لخص كل منا ما ورد بمذكرته ، بدأ الحاخام اليهودى وتلاه الممثلان المسيحيان وقد تقدما بمذكرة مشتركة ثم تلا ذلك تلخيص لوجهة نظرى . وقد اتبع فى ذلك الترتيب التاريخى لظهور الأديان الثلاثة . .

وعقب ذلك بدأت المناقشة التى استمرت لمدة ثلاث ساعات وجهت فيها الينا الأسئلة من جانب أعضاء اللجنة ، وقد جمعت هذه المذكرات الثلاثة ونص المناقشة التى تلتها ، ومعها بعض خطابات بعث بها بعض المعنيين الى اللجنة ، فى كتاب طبعته حكومة الولايات المتحدة .



ولقد تفضل السيد الاستاذ رئيس تحرير مجلة « الوعى الاسلامى » ودعانى للاشتراك فى عدد شهر رجب الخاص بذكرى الاسراء والمعراج . وحيث أن الاسراء كان الى مدينة القدس . ومنها بدأت رحلة المعراج ، فقد عن لى أن أوافى القراء بترجمة عربية لنص المذكرة التى تقدمت بها الى اللجنة المذكورة ، متبوعة بترجمة لبعض الأسئلة التى وجهها الى بعض أعضاء اللجنة والاجابة عليها . وفيما يلى ترجمة المذكرة مع قليل من التصرف :

أيها السادة :

إنه ليسعدنى أن تهيأ لى الفرصة لاتحدث فى هذا الاجتماع الجليل وأناقش موضوعا له خطورته العالمية ، أعنى مشكلة مدينة القدس ووضعها ومستقبلها ، وسأحاول أن أشرح فى حديثى أهمية هذه المدينة العريقة للمسلمين وأناقش وجهة النظر فى مستقبل هذه المدينة البالغة الاهمية للأديان الثلاثة . .

حرمة الممتلكات الاسلامية وقدسية التراث الاسلامى

ان أهمية مدينة القدس لنا معشر المسلمين نابعة من الحقائق التالية :

أولا : حرمة الممتلكات الاسلامية ، فان شريعة الاسلام تجعل للملكية المسلم نوعا من الحرمة والقداسة ، وتفرض على المالك الدفاع عن ملكه اذا حاول أحد الاعتداء عليه ، أما ما يعتبر وقفا لصالح المسلمين بصفة عامة كعقار بنى عليه مسجد للعبادة فان حرمته وقداسته أعظم وأعلى درجة من حرمة الملك الشخصى وواجب الدفاع عنه فرض محتم على المسلمين ، وأى عدوان على حرمة أى مكان من الأماكن المقدسة يثير عاطفة المسلم ويجرح شعوره .

واذا كان الاسلام يؤكد حرمة الممتلكات الاسلامية فانه فى نفس الوقت يحض على عدم انتهاك حرمة أماكن العبادة الخاصة بغير المسلمين ، كما يحرم

العدوان على ممتلكاتهم بغير حق . ومن أفضل المواقف التى تدل على مراعاة المسلمين لحرمة الأماكن المقدسة لدى غيرهم ما يحكى عن سيدنا عمر بن الخطاب الخليفة الثانى وفاتح القدس الذى آثر أن يؤدى شعيرة الصلاة خارج الكنيسة عندما وجب وقتها وهو بداخلها ، وكان قد دعى لأدائها حيث كان هو فاعتذر بأنه يخشى أن تدعى الاجيال القادمة حقا فى الكنيسة اذا أدى خليفتهم صلاته بداخلها ..

حرمــة المدينــة المقدسة

ثانيا : ان حرمة مدينة القدس وقدسيتها لا يعادلهـا الا قدسية مكـة المكرمة التى بها بيت الله الحرام والمدينة المنورة التى هاجر اليها النبى عليه الصلاة وأزكى السلام ، وتنبع حرمة بيت المقدس التى لا حد لها من المكانة الخاصة التى تتميز بها هذه المدينة فى تاريخ الاسلام وعقيدته .

إننا معشر المسلمين نؤمن بالأنبياء السابقين ونحبهم ونحترمهم ، نؤمن بابراهيم واسحق كما نؤمن باسماعيل وموسى وعيسى . فهم رسل اللــه وأحباؤه ، دعوا الى الايمان به الى عبادته وحده كما دعا الى ذلــك نبينـا محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم ، وان دين الاسلام جاء ليحدد العقيدة الصحيحة التى جاء بها هؤلاء الرسل من قبل ، كما رد الى كثير منهم اعتبارهم وأعلن طهارتهم وشرف شخصيتهم بعد أن دنستها الادعاءات التى وردت فى النصوص الدينية القديمة المحرفة ، فداود وسليمان لا يعتبران فى الاسلام ملكين فحسب معرضين لارتكاب مالا يليق برجل عادى ، بل هما كذلك من خيرة الانبياء والرسل والمعصومين من الدنايا وعظيم الزلل .

ومن مظاهر حرمة الامم السابقين لدى المسلمين أن كتابهم الكريم يقص فى أسلوب بليغ جميل يثير العطف على بنى اسرائيل ما لقى هــؤلاء مــن الاضطهاد وصنوف العذاب على يد فرعون وقومه ، ويروى كيف خلصهم الله تعالى بقيادة سيدنا موسى عليه السلام ، كما يقص القرآن مولد السيدة مريم وتعبدها فى المحراب وكيف طهرها الله واصطفاها على نساء العالمين ، ثم كيف حملت بعيسى عليه السلام كما يروى قصة مولده ورسالته وما ظهر على يده من معجزات ، ثم كيف اضطهد فوفقه الله وخلصه من يد الآثمين .

وان كثيرا من المسلمين ليؤثرون أن يسموا بناتهم باسم « مريم » كمـا أن كثيرا منهم يسمى أبناءه بأسماء بنى اسرائيل كاسحق ويعقــوب ويوسف وهرون وداود وسليمان وموسى وعيسى .

ونظرا لهذه العــلاقات المقدسة المباركة التى تربط المســلمين بهؤلاء الرسل الكرام الذين عاشوا وتعبدوا ووعظوا واضطهدوا فى سبيل الله على أرض مدينة القدس فان هذه المدينة وتربتها وحجارتها اكتسبت من الحرمــة والقداسة لدى المسلمين درجة ذات أعماق بعيدة فى نفوسهم ، وخاصة تلك المنطقة من المدينة التى تسمى « الحرم الشريف » الذى باركه الله تعالى .

محمد صلى الله عليه وسلم وبيت المقدس

ثالثا : ولقد كان الاسراء بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس قبيل هجرته الى المدينة بمثابة خاتم ربانى ربط المــاضى بالحاضر

وبارك هذه الصلة المقدسة وأكدها ، ووصل بين التراث الابراهيمى ورسالة خاتم النبيين ، لقد أكدت تجربة الاسراء والمعراج مفهوم الاخوة فى العقيدة مع الأديان السابقة ، وكان من مظاهر ذلك أنه لما فرضت الصلوات الخمس جعلت مدينة القدس قبلة للمسلمين فى صلاتهم ، واذا كانت القبلة قد تغيرت فيا بعد وجعلت البيت الحرام بمكة فقد احتفظت مدينة القدس بقيمتها التاريخية كقبلـــة الاسلام الأولى .

القــدس شعيرة من شعــائر المسلمين

رابعا : ومنذ الفتح الاسلامى لمدينة « أورشليم » (القدس) فانهـــا أصبحت محط أنظار المسلمين ، واتجهت آمالهم لزيارتها والتعبد فيها كشعيرة عظيمة من الشعائر الاسلامية ، وأكد ذلك ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله : « لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد ، مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى » بل ان زيارة بيت المقدس كانت قد أصبحت عادة لدى بعض المسلمين يؤدونها بعــد الفراغ مـــن اداء فريضـــة الحـــج بالاراضى الحجازية ، وكانت فريضة الحج لديهم لا تكمل الا بأداء هذه الشعيرة ، ولا غرو فان المسلم حين يزور بيت المقدس ويرى مشاهدها لترجـــع ذاكرته الى البركات التى تجلت لابراهيم عليه السلام ، والأرض المقدسة التى كـــان يرجو موسى أن يدخلها وحرض قومه على دخولها فجبنوا وابوا ، والى عصر المدينة الذهبى أيام داود وسليمان عليهما السلام ، والى عهد مريم وزكريا والمحراب ومولد عيسى ومعجزاته وكفاحه ، يذكر خطوات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبراقه ليلة أسرى به الى بيت المقدس وحشد للترحيب به سبعة من الانبياء والمرسلين . .

القدس مثابة لأهل التقوى من المسلمين

خامسا : ونظرا لما ورد من فضل المدينة وفضل العبادة بها فانهـــا أصبحت على مدى العصور الاســـلامية مأوى للصـــالحين والعلمـــاء ممن آثروا الحياة بها ولقاء ربهم على أرضها ومواراة رفاتهم فى بطن ترابها ، كان من بين هؤلاء عدد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما كان من بينهم عدد من أجلة العلماء وخيرة الكتاب ، ومن اشهر من أقام بهذه المدينة الخالدة أبو حامد محمد الغزالى الذى عاش فى القرن السادس الهجرى وقضى بها ردحا من الزمن ولقى بها تجاربه الروحانية المثيرة ، وكتب بها بعضا من اشهر مؤلفاته وأعظمها أثرا على التفكير الاسلامى منذ عصره ، لذلك أنشأ كثير من ذوى الثراء من المسلمين على مدى الاجيال المؤسسات الخيرية بالمدينـــة وجعلوها وقفا ثابتا للتيسير على الوافدين الى المدينة المقدسة بغرض الدراسة أو النسك ، وفى الحقيقة أن تراب هذه المدينة ليختلط بدماء الآلاف من الشهداء المسلمين كما يختلط برفات من لا حصر لعددهم من العلماء والأولياء وأهل الخير من المسلمين !!

وان إقبال المسلمين على المدينة المقدسة وغيرتهم عليها لم يعن حرجا أو خطرا على أهل الكتاب بها أو عدوانا على حرماتهم أو حرمة دور عبادتهم بحال ، فما زال المسيحيون ينعمون بحياة رغدة بها ولم تنقطع وفود الحجيج مـــن المسيحيين اليها دون حرج أو عراقيل ، كما سمح لليهود لأول مرة بالعودة

الى المدينة بعد ابادتهم منها وحظر زيارتهم لها لمـدة تقرب من ستة قرون قبل الفتح الاسلامى ..



الحل الشرعى لمشكلة القدس القائمة

واننى لأعتقد فى ثقة واخلاص أن الحل الشرعى لمشكلـة القـدس ، وهو الحل العملى الوحيد ، هو اعادتها لصفتها الاسلامية كاملة وللحـكم الاسلامى غير منقوص ، أعلن ذلك وأثبته بناء على الحقائق التالية :

الاسلام يخدم سائر الأديان السماوية

أولا : يعترف المسلمون باليهودية والمسيحية كدينين لهما أصلهما الصحيح ولا يؤمن اليهود ولا المسيحيون بالاسلام ، بل يزعم كثير منهم أن الاسـلام مشتق منهما ومفروض عليهما .

يعترف الاسلام الذى ظهر على يد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم منذ أربعة عشر قرنا مضت بشرعية الاديان السماوية السابقة كلها ، ويحمل أتباعه على التسامح مع أتباع ما بقى من هذه الاديان وحقن دمائهم واحترام حقوقهم ولقد كان ظهور الاسلام تجديدا للدين الذى بعث به الأنبياء السابقون وتصحيحا للتحريفات التى أدخلت عليه . كما كان كل رسول يأتى ليجدد العقيدة الالهية السليمة التى جاء بها الأنبياء من قبله ويزيل عنها ما ألم بها من تحريفات انسانية ولايسوغ القول بأن المسيحية مشتقة من اليهودية ولا أن الاسلام مشتق من كليهما كما يزعم ذلك المغرضون ومن لا دراية له بمفهوم النبوة ومفهوم الوحى الالهى . ولم يكن الانبياء والمرسلون عليهم السلام فلاسفة يبتكرون عقيدتهم أو ينقلونها عمن سبقهم ، بل كان يوحى اليهم برسـالاتهم مؤيدين بالآيـات والمعجزات ..

ولما كان الاسلام يرعى حرمة اليهودية والمسيحية أكثر مما قد يرعـى أحدهما للاسلام ، كان للاسلام دونهما حق شرعى واضح فى الائتمان على حرمتهما وحرمة معابدهما وحقوق أتباعهما .

الاسلام وأهل الكتاب

ثانيا : وبالاضافة الى اعتراف الاسلام بشرعية كل من اليهودية والمسيحية فانه يشرف اتباعهما ويصفهم بأنهم (أهل الكتاب) تمييزا لهم عن (الأميين) من الوثنيين ، وينص القرآن الكريم على أن من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحا ، فلهم ـ كالمسلمين ـ « أجرهم عند ربهم **ولا خوف عليهم ولا** هم يحزنون » ، كما يحض الاسلام على معاملتهم بالحسنى وعلى حقن دمائهم واحترام أموالهم ودور عبادتهم .

وبهذه المناسبة نشير الى الاهانة التى كان يعامل بها عمدا موضوع الهيكل قبل الفتح الاسلامى نكاية فى اليهود وكيدا لهم ، فقد كانت تلقى فيه القمامات والاقذار ، ولكن كان أول عمل قام به الفاتح الاسلامى عمر بن الخطـاب بعد

أن أبرم معاهدة الصلح مع بطريق المدينة هو أن استفسر عن مكان الهيكل حتى تعرف عليه كما وصفه له حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم ، فأمر بازالة ما عليه من أكوام القاذورات ، واشترك بيده هو ومن معه فى ازالتها . ثم أمر باقامة سور حول المكان المقدس ومنع اهانته بحال من الاحوال ، وبعد قليل شيدت حوله المساجد وأقيمت فوقه قبة الصخرة الخالدة التى تعتبر من أعظم الآثار الاسلامية .

أين ذلك مما نسمع من هدم المساجد وأوقاف المسلمين وتسويتها دون مبالاة ، وما حدث من اهانة للمسجد الاقصى وما يحدث ببيوت عبادة المسلمين مما يجرح مشاعرهم ويتنافى مع تقاليدهم ؟ فأى الفريقين أولى بالولاية على تراث الاديان الثلاثة بالمدينة ؟

الوجود العربى بالمدينة المقدسة

ثالثا : أن الوجود العربى بالقدس وبفلسطين كلها قديم وخالد وغير منقطع . لا كالوجود اليهودى الذى يزعم الصهيونيون زورا أنه كان كذلك ليبرروا بذلك حقا تاريخيا لهم فى البلاد ، فقبل أن يصل العبرانيون الى أرض فلسطين كانت تلك البلاد معمورة بقبائل الكنعانيين واليبوسيين وكلها مشتقة من أصل عربى هاجر من قلب الجزيرة ، بل كان مؤسس مدينة القدس أحد ملوك اليبوسيين وذلك قبل أن يفتتحها اليهود بآلاف السنين ليقيموا بها سلطانهم أيام داود وسليمان عليهما السلام ، على أن مجد اليهود بالمدينة لم يكن طويل الأمد بل أبيد بالمرة كما محيت كل آثارهم بها قبل الفتح الاسلامى بما يقرب من ستة قرون . ولذلك فليس صحيحا ما يقال من ان الوجود العربى بدأ بالفتح الاسلامى فى القرن السابع الميلادى ، وكلنا نعلم أن كل هذه المنطقة بما فيها فلسطين كانت تحت حكم قبيلة عربية وقت الفتح الاسلامى ، أعنى دولة الغساسنة ، ولقد كان اليهود — كما ذكرنا من قبل — محرومين من حق دخول المدينة المقدسة قرونا قبل الفتح الاسلامى ، وحرص البطريق « سوفونيوس » فى الاتفاق الذى أبرمه مع الخليفة عمر بن الخطاب على أن ينص على استمرار هذا الحظر ، ولكن المسلمين فيما بعد ، نظرا لما جبلوا عليه من عدالة ومعاملة انسانية ، رفعوا هذا الحظر وتساهلوا مع اليهود الراغبين فى زيارة المدينة أو فى الاقامة بها .

ومن هذا يتضح أنه لعدد من الاف السنين وقبل مجىء العبرانيين لم يكن هناك وجود يهودى بفلسطين أو لأصولهم ، بينما كان العنصر العربى يغمر البلاد ، كما محى الوجود اليهودى من المدينة المقدسة بعد أن ازدهروا بها ، قرونا قبل الفتح الاسلامى . .

وأما شأن ما يسمى بجدار المبكى فهو فى نظرى أسطورة حديثة العهد نماها الصهيونيون كى يتخذوا منها قاعدة دينية عاطفية ليجمعوا قلوب اليهود حولها من أجل أهدافهم السياسية وغير الانسانية ، ولو كان لجدار المبكى أصل عريق فى اليهودية لما خلت دائرة المعارف اليهودية الصادرة فى بداية هذا القرن من مقال خاص عنه بينما برز ذلك فى الطبعات التالية بعد أن اكتسبت أهمية بالغة على يد الصهيونيين ، ومع ذلك فان هيئة عالمية محايدة كونتها عصبة الامم أيام الانتداب البريطانى وليس بين أعضائها مسلم ، قررت فى ١٩٣٠ بعد إجراء بحوث طويلة وتحقيقات

وسعة أن ما يسمى بحائط المبكى وقف اسلامى محض وجزء لا يتجزأ من الحرم الشريف وكذلك الرصيف المجاور له والواقع بينه وبين مساكن المغاربة التى هى وقف اسلامى أيضا : ومن المؤسف أنه بدون مراعاة لحرمة هذه الاوقاف طرد منها سكانها فى لحظات عقب الحرب فى ١٩٦٧ وهدمت فورا لافساح الميدان حول المبكى !

وبما أن الوجود العربى بالمدينة المقدسة أقدم وأعرق وأدوم فحق العرب التاريخى فيها وفى فلسطين كلها أثبت وأقوى.وأعرق مما يدعيه غيرهم ..

احترام المسلمين للأماكن المقدسة

رابعا : وان احترامنا معشر المسلمين لحرمة اليهود والمسيحيين ومعابدهم أمر لا ندعيه كوسيلة من وسائل الرعاية للتمويه على العالم كما يفعل خصومنا بل هو أمر عميق فى نفوسنا ومشتق من تعاليم ديننا ، وان ماضينا والأحداث التاريخية لتبرهن على صحة دعوانا ، فلقد ذكرنا من قبل كيف ازدهرت المسيحية بالمدينة المقدسة فى ظل الاسلام وكيف رفع الحظر على دخول اليهود والاقامة بها ، كانت هذه المعاملة الكريمة التى اتصلت قرونا ودهورا فى عصور عرفت بالتعصب والاضطهاد الدينيين خارج الوطن الاسلامى ، ولقد أقيم بالمدينة فى عصر هارون الرشيد أروقة واستراحات لاقامة الحجاج المسيحيين ، كما أذن للراهبات بالقيام على خدمة الكنائس والمعابد بها ، ولقد ظلت سدانة كنيسة القيامة بالمدينة المقدسة بين عائلة اسلامية طوال القرون حتى الاحتلال الاسرائيلى الغاشم ، وبالرغم من وحشية الصليبيين وذبحهم الآلاف من المسلمين واليهود بالمدينة عندما احتلوها أثناء الحروب المعروفة باسمهم فان الاسلام لم ينتقم منهم بعد أن استرد سلطانه عليها وطهر المدينة منهم ، بل إن القائد الراشد صلاح الدين سمح بدخول المدينة للحجاج من جيوش العدو بينما كانت الحرب لا تزال سجالا ! وفى عام ١٤٧٣ وكانت فلسطين بما فيها مدينة القدس تحت سلطان مصر قايتباى ، اكتشف المسلمون أن اليهود شيدوا سرا معبدا لهم بالمدينة ، فاعتدى عليه بعضهم ، فلما سمع بذلك السلطان أنزل العقاب بالمعتدين وأعاد بناء المعبد وأعطى اليهود بذلك لأول مرة حقا « رسميا » فى تشييد معابدهم بالمدينة منذ أبيدوا من المدينة على يد طيطس فى العام الميلادى الأول .

قارن هذه الصفحة الناصعة من أعماق الاسلام المجيدة بما أصاب المسلمين فى الارض المقدسة على يد إخوانهم من « أهل الكتاب » . لقد سجل التاريخ صفحات مخزية للصليبيين الذين نقضوا العهود وسفكوا دماء عشرات الآلاف عندما احتلوا البلاد دون رحمة أو هوادة ، وارتكبوا فى اضطهادهم من المخازى ما يندى له الجبين ! ثم ماذا صنع اليهود منذ احتلوا مدينة القدس القديمة العزيزة عام ١٩٦٧ ؟ رفعوا أعلامهم فوق مآذننا وسطوح مساجدنا ، ودمروا العديد من بيوت الله وأوقافنا الشرعية ، وأقاموا صلاتهم على أرض المسجد الأقصى أول القبلتين وثالث الحرمين ! ويسروا لمن شب النار فى المسجد عمدا من عملائهم وصدعوا جدرانه بالحفريات التى يجرونها تحتها بلا هوادة رغم احتجاجات المسلمين الصارخة ، وطردوا السكان من ديارهم

— مسلمين ومسيحيين — بشتى وسائل الضغط والتعسف « ليهودوا » المدينة ويشيدوا حول الأماكن المقدسة حلقة كبيرة من المساكن ليقطن بها المجلوبين من اليهود من خارج البلاد . لا يبالون بغضب الرأى العالمى ولا بنداءات هيئة الأمم المتحدة !

وبالرغم من كل هذه الأعمال المثيرة فاننا لم نسمع عن عمل من أعمال الانتقام كالاعتداء على بيعة يهودية فى بلد عربى كمصر . أو عدوان على جالية يهودية انتقاما من أعمال اسرائيل الاجرامية ضد اخواننا العرب فى فلسطين وانتهاكهم حرمة المسجد الأقصى وغيره من المساجد واهانة لأضرحة الصحابة والاولياء وانتهاك حرمة المقابر الاسلامية . ورغم هذا فان أبواق الصهيونية التى لا تستحى ولا تخمد تقلب الباطل حقا وتحول الحق باطلا فتسمى أى اجراء يتخذ كنتيجة حتمية لأعمال الصهيونية الرهيبة بغير ما ينبغى أن يسمى به وتصفه على غير حقيقته فاذا حجز على أحد عملائهم أحتياطا لأمن الدولة مثلا جسم ذلك وسمى اضطهادا دينيا ضد اليهود . واذا هاجر يهودى من بلد عربى اختيارا كما يهاجر غيره زعم أن هذا طرد أجبارى من البلاد . أما أعمالهم الوحشية فيختلقون لها أسماء وأوصافا لا تجدر بها . كما يسمون أعمال الاجرام التى سبقت قيام اسرائيل « حرب الاستقلال » ويسمون اغتصابهم للجزء الشرقى من المدينة « توحيدا » لمدينة القدس وضما لشملها !

ومن هذا يتضح أن المسلمين — وصفحاتهم التاريخية مجيدة ناصعة — أجدر بالولاية على المدينة المقدسة .

ولا يسوغ اغتصاب حق مكتسب لم يسأ استعماله

خامسا : ومنذ استولى العرب على القدس عام ٦٣٧ م فانهم لم يسيئوا استعمال سلطانهم ، وكان العنصر العربى المسلم هو العنصر الغالب بين السكان لقرون مديدة . فاكتسب العرب بذلك حقا لم يثبت التاريخ أنهم أساءوا استعماله ، والحق المكتسب على مدى القرون دون أن يساء استعماله لا يجوز اغتصابه ، ولذلك لا يسوغ الخلاف على وجوب إعادة الحكم الاسلامى على البلاد ، والزعم بأن فلسطين لم تكن يوما ما وحدة سياسية وحدها مستقلة ذات سيادة — مما يتشدق به الصهيونيون ، لا يبرر اغتصاب هذا الحق بحال ، فان فلسطين كانت على مدى العصور جزءا من الامبراطورية الاسلامية الكبرى ذات السيادة ، ولا يهم اذا كان مقر الخليفة أو السلطان المدينة المنورة أو الكوفة أو دمشق أو القاهرة أو بغداد أو استانبول ، وكان سكان فلسطين يتساوون فى الحقوق المدنية كلها مع سائر المواطنين فى الدولة الكبرى من الخلافة أو السلطنة الاسلامية . .

« التعايش الاسلامى »

سادسا : وقد أثبت التاريخ كذلك أن المسلمين — أكثر من غيرهم — أمة تتعايش مع غيرهم فى ظل العدالة والمساواة ، وخاصة عندما يكون السلطان والدولة بأيديهم ، وإننا لنعلم أنه تحت الحكم الاسلامى يسر لغير

المسلمين من مواطنى الدولة الاسلامية الفرص الكاملة للوصول الى المناصب التى خولتها لهم مؤهلاتهم ومنحوا الحرية الكاملة فى مزاولة أعمالهم ومهنهم ، دون ضغوط أو عراقيل فى طريقهم ، ولقد شغل الكثير من أهل الكتاب — يهودا ومسيحيين — مناصب مسئولة فى شتى عصور الخلافة ، وازدهرت الكتابة الدينية ودراسة اللاهوت بينهم ، ولقد بلغ الانتاج اليهودى فى مجال الدراسات الدينية والفلسفية أوجه على يد علماء وفلاسفة شغلوا مناصب مرموقة فى بلاط خلفاء المسلمين وملوكهم من أمثال موسى بن ميمون ، وأثمن التراث اليهودى كتب بلغة القرآن الكريم ، ولا يكن المسلمون حقدا أو بغضاء لغيرهم ، ولا ينسبون لانفسهم فضلا ذاتيا أثروا به على غيرهم فلا يزعمون أنهم شعب الله المختار وانما يعتقدون أن أفضل الناس أتقاهم ، وليس صحيحا ولا عدلا أن يتهم العرب أو المسلمون بأنهم أعداء للسامية بالمعنى الذى اختلقه الصهيونيون وجعلوه سلاحا مسموما رهيبا يرمون به من يجرؤ على نقد أعمالهم ، وكثير من العرب من ذرية أسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام .

ومن يثبت التاريخ أنه يتعايش مع الناس على أساس المساواة والعدالة دون ظلم أو تعسف أولى بالولاية والائتمان على الأماكن المقدسة من سواه .

ميثاق الأمم المتحدة واعلان حقوق الانسان

سابعا : وان فرض أى سلطان غير سلطان المسلمين على الارض المقدسة ليعتبر أنتهاكا لحق تقرير المصير المنصوص عليه فى ميثاق هيئة الأمم المتحدة واعلان حقوق الانسان ، ومن المعروف أن العرب كانوا الغالبية العظمى لسكان فلسطين والمدينة المقدسة حتى اغتصبها الصهيونيون ، وكان كبير السلطة فى المدينة المقدسة عربيا مسلما .



أيها السادة :

واننى فى ختام حديثى — اذ أكرر شكرى وتقديرى لمنحى هذه الفرصة لأشرح لسيادتكم بعض الحقائق الناصعة الواضحة عن مشكلة بيت المقدس التى أصبحت بسبب موقف الصهيونيين العنيد حالة تنذر بالخطر الجسيم — لأرجو الله تعالى مخلصا أن يوفق ذوى النوايا الطيبة أن يتعاونوا على إعادة الحق الى نصابه على اساس العدل والانسانية كى تتجنب البشرية ما ينذر به الوضع الحالى من خطر نزاع دينى لا يعلم مدى آثاره الا الله تعالى .

وفيما يلى نموذج للأسئلة التى وجهت أثناء المناقشة من بعض أعضاء اللجنة ، وكلهم أعضاء فى الكونجرس ، ومنها يظهر للقارىء تعصب هؤلاء رغم أن المفروض فيهم غير ذلك :

السيد/ليستر ل. وولف : لقد ذكر الدكتور عبد الرءوف والأب ريان

انهما لا يعتبران الاحتلال العسكرى سببا شرعيا يبرر حكم الدولة الغالبة . فكيف يبرران حكم الأردن للقدس الشرقية منذ عام ١٩٤٨ الى ١٩٦٧ ؟ ألم يكن ذلك نتيجة احتلال عسكرى من قبل قــوات الملك عبد الله ؟

السيد رئيس اللجنة : تفضل يا دكتور عبد الرءوف . .

الدكتور عبد الرءوف : اننى لا أعتبر حكم الأردن للقدس الشرقية منذ عام ١٩٤٨ احتلالا أو اغتصابا عسكريا ، فانه بجلاء حكومة الانتداب البريطانى عن فلسطين كليا فى ١٥ مايو ١٩٤٨ وتخليها عن سكانها وعن سكان مدينــة القدس فى وقت كانت تتحفز فيه العصابات اليهودية الوحشـــية لشــعب فلسطين الأعــزل حدث فراغ ادارى وعسكرى تام فانتهزت اسرائيل الفرصة وشنت هجوما عنيفا على المدينة القديمة تريد احتلالها بالقوة فصدتها قــوات الملك عبد الله ، وبدلا من أن تترك حكومة الاردن المدينة المقدسة دون دولــة تحميها وتدير أمورها فتغتصبها اسرائيل فقد تولت حكومـــة الاردن الاسلامية العربية ادارة المدينة الاسلامية العربية ريثما يحين الوقت لاجراء انتخــاب يعبر فيه الأهالى عن رغبتهم .

السيد/وولف : وهكذا احتلت الأردن المدينة القديمة عسكريا ؟

الدكتور عبد الرءوف : أتسمى هذا احتلالا عسكريا يا سيد وولف ؟

السيد /وولف : الذى أريد أن أقوله لك هو أن الوضع الحالى من حيث الحكم الاسرائيلى للجزء الشرقى من المدينة هو نفس الوضع عندما كانت تحت حكم الاردن ، فكل منهما نتج عن احتلال عسكرى ، فان قرار هيئـــة الأمم تقسيم فلسطين لم يعط الاردن الجزء الشرقى من المدينـــة ، أليس هــذا صحيحا ؟

الدكتور عبد الرءوف : وهل أعطى قرار التقسيم اسرائيل الجزء الآخر من المدينة الــذى اغتصبته ؟

السيد/وولف : اننى لا أناقش ذلك مطلقا ، ولكننى أتحدث بشـــأن احتلال الجزء الشرقى من المدينة .

الدكتور عبد الرءوف : ينبغى أن يعتبر ذلــك فى سياق القرائن العامة المتصلة بالموضوع . لا أن يناقش كمسألة فرعية معزولة عما يقارنها مــن خلفية المشكلة الفلسطينية كلها وما صاحب قيام اسرائيل من خراب ودمــار وعدوان .

السيد /وولف : إننا نتحدث الآن بشأن مدينـــة القدس وحدهـــا وعن موضوع احتلال عسكرى ، اننى — مثلكم — لا أوافق على احتلال عسكرى لمنطقة أو لأخرى ، ولكن يجب أن نأخذ فى الاعتبار جميع العناصر المتعلقــة بالموضوع ، واحد هــذه العناصر هو أن حكومة الاردن لم تعط المدينة القديمة فى مشروع التقسيم ، ولكنها احتلته عسكريا ، هذا هو السؤال الذى أرجو الاجابــة عليه . .

الدكتور عبد الرءوف : يا سيد وولف ، ينبغى ان نأخذ فى الاعتبــار أن سكان المدينة رحبوا بالحكم الأردنى العربى الاسلامى وقبلــوه عــن رغبــة ورضى . .

السيد/وولف : وبعبارة أخرى انك لم تحتج على الاحتلال الاردنى للجزء الشرقى من المدينة فى ذاك الوقت ، ولكنك تحتج الآن علــــى الاحتــلال الاسرائيلى ؟

الدكتور عبد الرءوف : اننى لا أحتج على الحكم الأردنى لأنه كان برضى الاهالى ولان الاردنيين جزء من الشعب العربى الكبير ، فحكمهم للمدينة لم يكن احتلالا أجنبيا فى الحقيقة . بل أشركوا فى الحكم على ما أعتقد سكان المدينة ، ولم يعان السكان تحت الحكم الأردنى طرفا مما يعانونه فى الظروف الحاضرة من سفك الدماء والطرد والتشريد واغتصاب الممتلكات وانتهاك حرمة الشعائر الدينية ..

السيد/جوناذن ب . بنجهام :

لقد قمت بزيارة لاسرائيل فى هذا العام وشاهدت الكثير مما يجرى هناك ولمست أن الحالة هناك آمنة الى حد كبير ، ولم أشهد بوليسا أو جنودا اسرائيلية فى الأماكن التى زرتها مثل رام الله وبيت لحم ، ولقد تحدثت لعدد من كبار الجاليات المسيحية هناك فوجدتهم — وان لم يكونوا فى صالح الحكم الاسرائيلى — لا يشكون من عمل من أعمال التعسف التى تزعمها بعض هيئات الأمم المتحدة ولا يعانون أى نوع من الضغوط أو التعصب أو الاضطهاد .

الدكتور عبد الرءوف : السيد الرئيس : أرجو الاذن بتوجيه سؤال للسيد العضو المحترم ..

رئيس الجلسة : لا يسمح بتوجيه أسئلة الى أعضاء اللجنة لأن المفروض أن نسمع منكم وأن توجه لكم الأسئلة ، ولكنك يمكنك التعليق على أى شىء يقال .

الدكتور عبد الرءوف : يقول السيد العضو المحترم إنه خرج من زيارته لاسرائيل هذا العام بانطباعات طيبة ، فيزعم أن الأمن مستتب والأوضاع مستقرة وأن الرضا والارتياح ملموسان بين الجاليات المسيحية هناك ، واننى لأتساءل : أكانت زيارته قصيرة خرج منها بانطباعات عاجلة كان يمكن أن تتغير لو أنها طالت مدة كافية ؟ وهل ذهب كمواطن عادى يلتقى بمن يصادفه ، أم أنه ذهب كزائر كبير من أعضاء الكونجرس الامريكى يرافقه مندوب من الحكومة الاسرائيلية يرتب حركاته ومقابلاته ؟ أما تساؤله عن الملك حسين وقوله لو أنه أصاخ لنداء اسرائيل بتجنب الحرب عند قيامها بين مصر واسرائيل فى يونيو ١٩٦٧ لبقى الوضع القديم على ما كان عليه فلست أرى ذلك ، فان نصيحة اسرائيل للملك اذا صحت فانما كانت مكيدة عسكرية تبغى اسرائيل من ورائها التفرغ للقضاء على الجيش المصرى فاذا حققت ذلك اتجهت بدورها الى الملك حسين وجيشه للقضاء عليهما .

السيد/سيمون ب . هالبيرن :

أود الآن أن أوجه سؤالا للدكتور عبد الرءوف ، لقد ذكرت من الأسباب التى بنيت عليها رأيك فى وجوب عودة المدينة المقدسة للادارة العربية أن الدين الاسلامى قد أبدى تسامحا عظيما حيال الدينيين المسيحى واليهودى وأماكنهما المقدسة ، فهل يمكنك أن تبرر رفض حكومة الأردن طلبى تأشيرة عام ١٩٦٠ لزيارة المبكى **مع اننى عضو الكونجرس الامريكى ؟** وكان ذلك الرفض بسبب دينى (اليهودية) ، لقد كان ذلك أمرا مخزيا ، وانه ليتعارض مع زعمك أن الحكم الاسلامى كان متسامحا .

الدكتور عبد الرءوف : لقد ذكر فى هذه الجلسة ، انه لم يسمح لليهود بزيارة أماكنهم المقدسة فى القدس خلال التسعة عشر عاما من الحكم الأردنى

للمدينة بل قيل إنه لم يسمح حتى للمسلمين داخل اسرائيل بزيارتها أثنـاء هذه الحقبة ، وذكر أن الحظر كان شاملا لجميع اليهود ، وذكرتم سيادتكم أنكم منعتم بسبب دينكم .

وأود أن أقرر فى بداية الأمر أننى هنا لابين وجهة نظرى فى وضع المدينة المقدسة ومستقبلها كمسلم ، لا لأدافع عن اجـراء اتخذته حكومة عربية أو اسلامية معاصرة ، ومع ذلك فان من الضرورى ألا نناقش جزئية منعزلة عن قرائنها وخلفيتها ، وخلفية هذا الاجراء المذكور هو أن الاردن واسرائيل كانتا فى حالة حرب ..

السيد/هالبيرن : فى حالة حرب مع اسرائيل عام ١٩٦٠ ؟

الدكتور عبد الرءوف : نعم ، فى حالة حرب مع اسرائيل التى اغتصبت البلاد وشتتت العباد وسفكت الدماء واستباحت الأعراض وسلبت الأموال وواصلت العدوان وشن الغارات على مدن الاردن وقراها رغم الهدنة العسكرية التى كانت قائمة ، وللدولة الاسلامية أن تتخذ من القوانين والاجراءات الزمنية ما تراه ضروريا لحمايتها وسلامة أمنها وإبعاد المشتبه فيهم والمحتمل أن يقوموا بأعمال جاسوسية لغير صالحها ايا كان دين هؤلاء أو تبعيتهم ، وأننى لأذكر أن لجنة التوفيق التى كانت كونتها هيئة الأمم المتحدة بعد قيام اسرائيل كانت أوصت بأن يسمح لمن شاء من المواطنين الأردنيين بزيارة أماكنهم المقدسة الواقعة تحت حكم اسرائيل وأن يسمح للاسرائيليين بزيارة أماكنهم المقدسة الواقعة تحت حكم الأردن . فقبلت حكومة الأردن هذه التوصية أول الأمر ولكن رفضتها اسرائيل فرفضتها الأردن كمعاملة بالمثل : واذا لم يسمح لاسرائيلى بزيارة القدس تحت الحكم الاردنى فهل سمح لمن شاء من الأردنيين بزيارة أماكنهم المقدسة داخل اسرائيل ؟ وليس صحيحا أنه كان هناك خطر عام على جميع اليهود فان لى من أصدقائى اليهود من ذكر أنه زار المبكى تحت الحكم الاردنى ولا يفوتنى أن أكرر أن الحكم الاسلامى هو الذى رفع الحظر على عودة اليهود الى المدينة المقدسة ومنحهم حق الاقامة بها وحرية العبادة فيها ، فأين هذا من مساءات اسرائيل واهانتها للمقدسات الاسلامية الواقعة تحت أدارتها ؟

السيد/هالبيرن : وانك تنادى الآن بعودة هذه الأماكن للحكم العربى (الاسلامى) ، هذا هو خلاصة موقفك ؟

الدكتور عبد الرءوف : طبعـا .

السيد/هالبيرن : وكيف تضمن عـدم تكرار ما حدث قبل الاحتلال الاسرائيلى (يشير الى ما يزعمه الصهيونيون ويبالغون فيه من منع اليهود من الوصول الى المبكى وتدمير المقبرة اليهودية والعدوان على البيع اليهودية بالمدينة القديمة) ، وكيف يمكنك أن تمنع تكرار مثل ذلك ؟ وكيف تضمن لنا أن ادارة الأماكن المقدسة سوف تكون متسامحة عادلة ؟

الدكتور عبد الرءوف : اذا ردت الحقوق المغتصبة الى أهلها واتفق الجميع فى اخلاص على التعايش على أساس المساواة والعدل فساد الأمن والسلام والعدالة فانه ليرجى أن تتلاشى عواطف الكراهية تدريجيا وتنسى المساءات ، وتذهب الشكوك والمخاوف وتصبح الأمور عادية آمنة ، وفى هذا أكبر ضمان للتسامح الدينى المرغوب فيه .

اوقات التعليم

مدة السنة الدراسية :

مساءى الاربعاء والسبت : من الساعة الثانية الى الخامسة . وصباحى الاحد والسبت : من الساعة التاسعة الى الزوال .

ويقوم بالتعليم فيها باشراف مدير المركز وبعض الاخوة من المعلمين ، والطلبة مقابل منحة متواضعة ، وانهم بقيامهم بهذا العمل الجليل لفائدة الاطفال المسلمين ليستحقون من مجلس المركز ومن الجالية وافر الشكر وحسن التقدير .

هذا وقد تمكن المركز من اعداد هذين الفرعين وتهيئة فصول الدراسة فيهما بفضل المنحة الهامة التى تكرمت باعطائها دولة الكويت لتشجيع نشر التعليم الاسلامى واللغة العربية ببلجيكا بمناسبة الزيارة التى قام بها معالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية للمركز فى مايو ١٩٧٠ م،

وان أمل المسلمين وطيد فى أن تواصل دولة الكويت امداد المركز بهذه المنحة سنويا ليستطيع المركز متابعة القيام بهذه الدروس ، وفتح فصول اخرى فى مناطق بروكسل وفى بعض المدن البلجيكية .

كما ان امله لعظيم فى ان تستجيب كافة الحكومات الاسلامية ، ومنظمتا رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة . والهيئة العامة للدعوة بالجمهورية العربية الليبية لنداء المركز بمنحه المساعدات المالية التى اذا ما توفرت فان فى الامكان بالتعاون مع الحكومة البلجيكية احداث مدرسة عربية اسلامية كبيرة تحتضن معظم ابناء المسلمين فى هذه البلاد ، وتقوم على تثقيفهم ثقافة علمية وتنشئهم نشاة اسلامية صادقة .

وان ادارة المركز ، اذ تعرب عن تفاؤلها بحسن مستقبل التعليم الاسلامى بهذه البلاد وبتحقيقه للاغراض السامية المعلقة عليه ، ليدعو الله الكريم أن يمدها بعون منه بخدمة الاسلام والمسلمين ، ويوفقها الى الخير والرشاد ، ويسدد خطى الجميع انه ولى التوفيق والسداد .





زهرة في باقة

للأستاذ : محمد الخضرى عبد الحميد

« قد يحمل الصمت — فى حين ما — معنى واحدا محدودا .. لكنه فى أحيان ربما يحمل معان غير محدودة بحدود .. فما هو — يا ترى — سر ذلك الصمت المحير ، الذى يلف بسكونه غير الطبيعى : كوخ تلك المرأة الوحيدة ، الغريبة الأطوار ، « أم منصور » ؟

صمت ، وهدوء ، ودعة .. صبر وسكوت لا يستشف من ورائهما شىء .. وانصراف تام إلى شواغل العيش ، ذلك حسبما توحى به ظواهر الحال .. فهل تلك هى الحقيقة وليس وراءها شىء آخر ؟! .. ما ما هية ذلك كله ؟ .. ذلك الهدوء الراكد ، أهو هدوء المذعن المستسلم ؟ .. وتلك الدعة .. أدعة هى ، أم تراها تأملات المتربص ، المتوفز ؟ .. والسكون ، أيكون سكون ما قبل هوج الأعاصير والعواصف ؟!

ولكن .. أية عواصف يا ترى ، وأية أعاصير .. يمكن أن تجىء من وراء أرملة بائسة ، منكودة الحظ .. قتل زوجها ، وفقدت هناءها واستقرارها ، إلا ما يروق لها هى أن تسميه : الايمان ، والأمل ؟؟ .. لا ! .. لا شىء من كل ذلك .. إنما هى الأوهام وحسب .. وإنما هى هواجس المكدودين وليس غير ... ولا ضير فى قليل من راحة عابرة ... فلن يكون — بعد — كبير خطر » !

* * * *

فى عباب مثل هاته الخواطر .. غرق حتى القاع ذلك الضابط العصبى الغريب .. إستغرقته تماما همومه وهواجسه ، حتى أنه لم يفطن إلى أنه يردد أسئلته تلك بهمس عال ، واضح ومسموع .. يسمعه جنوده

المرهقون . الملتفون حوله وقد زاغت أعينهم ، وشحبت وجوههم . وارتعشت من فوق أسنان تصطك طول الوقت شفاههم .. وشـــــق عليهم ــ من فــرط الاجهاد والانهاك ــ أن يعلقوا بشيء من (كـــلام) على ما يرون من الحـــال التي وصلوا إليها كلهم ، وضابطهم على راسهم ! .. لم يقووا على أن يشاركوا بأية مشاعر ضابطهم السارح الذاهل ، فيما راح يهرف بهمن ترديد كلمات تتناثر بدون وعى من فيه ، تتبعثر فرادى لا رابط بينها .. ومن أسئلة حيرى متلاحقة ، تنفلت منه إلى غير ما غاية معينة .. سؤال تلو سؤال ، بغير مجـــرد تفكير فى انتظار لأى جواب !!

كانت تلك « الدورية » على حال من الذعر والقلق واضطراب الأعصاب . تفوق طاقة احتمال أفرادها .. فهناك فى قلب المدينة من خلفهم : ينتظرهم هياج وصراخ (رؤساء) لهم ، لا يكفون ــ اذ يلقونهم فى كل أوبة ــ عــن تقريعهــم وتعييرهم بأنهم إنما يخرجون لا إلى الكر والرصد والايقـــاع كما يحتم ذلـــك واجبهم .. وانما ، فحسب ، إلى حيث ينتجعون مسلكا سهلاً يضمن لهم سلامتهم .. أو الى حيث يلتمسون ، قدر الامكان ، فرارا آمنا ونشيطا ، يتوســـلون بـــه إلى الحفاظ على (نفيس !) دمائهم !!

وعلى كثب من أولاء .. هناك على حافة متطرفة من تلك المدينة الفلسطينية الحزينة ، التى عاث فيها المحتلون الاسرائيليون فسادا وإبادة وتدميرا ... كان يربض ذلك الكوخ النائى العتيق . كالعهد به منذ حلت الكارثة بكل المدينـــة .. صامتا ، ساكنا ، غارقا فى ظلامه ، تخيم عليه غصون شجيرات الليـــون . ويلفه ذلك الهدوء المقبض . والسكون الثقيل الموحش ..

.. وكما اعتادت « أم منصور » لتتغلب على أرقها وشجنها .. تخـــرج فى الأمسيات وفى هدأة الليل من كوخهـــا .. تنساب من هنا إلى هناك كالطيف . وحدها .. فى راحة يدها حبات الحنطة .. وتحت ذراعها أعواد من العشـــب الأخضر .. وبغير أدنى صوت يند عن خطوها .. تسير من الكوخ حتى تصل إلى مكانها الأثير خلفه .. فتقتعد الرمال أمـــام باب السقيفة العريضة .. وهناك يحلو لها أن تخلـــد فى سهوم الى ذكرياتها فتبدأ بأن تلقى الحبوب الى دجاجها ، وتضع كومة العشب أمام شاتها .. ثم تضطجع الى جدار الســـقيفة التى تأوى الشاة والدجاجات كل ليلة تحت سقفها .. وتروح ترنو إلى الأفق المعتم الداكن . ساهمة الطرف ، ملتاعة الفـــؤاد .. تتنهد ما بين كل هنيهة وأخرى فى الم عظيم ، وبأسى ضار لا ينضب له معين .. لكنها لا تلبث أن تتململ فى شيء من إباء عنيد ، كأنما هى لا يروق لها ذلك الاستسلام للأحزان والآلام .. فتأخذ . بعد ، فى استعادة البصر الشارد فى أسداف الظلمة الكابية أمامها .. لتطـــرق باسمة ، مطلقة العنان لفكرها إلى مسار جديد آخر .. تستعيد عليه بنشــــوة وعلى مهل : كلمات (منصور) ولدها ! .. هل كانت : كلمات ؟! .. فماذا إذن تكون الأهازيج وعيـــون القريض ؟! :

ــ « ما أشهاه كان حديثا ! .. ما أعذبه وما أرقه ذلك الكـــلام البليغ . الحار . البديع .. لله درك يا منصور . يا بنى الشجاع الحبيب .. ما أحلى

همس الجياش ، ونحن وحدنا فى ظلمة الكوخ ، والرياح الثائرة من خارجنا تصفع بشدة وتلطم فى عنف كل ما يعترض طريقها من عوائق .. تزف إلـى بسعادة ضافية تلك البشرى السارة الرائعة .. بشرى قبولـك : زهـرة جديدة ، ريانة ندية ، فى (باقة الموت الباسل) مع (زملاء الغد الأخضر المورق)، على نحو مايحلولـك أن تسمى تلـك الأشياء الكبيرة الشاهقة ، بهذه التسميات الشاعرية الرقيقة .. خلب لبى حديثك الهامس الرائق يا منصور .. شوقنى إطراؤك الساحر ووصفك الآسر الخلاب لأولئك (الفرسان الذين يمتطـون الليل) إلى أن أراهم ، وأراهم بأسرع ما أستطيع .. وددت لى الأثر أن تأخذنى إليهم وعلى الفور .. أولئك الذين ــ كما قلت لى فى آخر مرة كنا فيها معاـ نذروا أن لن تنام العيون إلا النومة الواحدة الأخيرة ، حينما تتوسد الجبـاه الشم الشوامخ : ثرى من رمـل وصخر ، ترطبه ينابيـع من زكى دمائهم » .

ذلك كان دأبها .. وتلك ــ فيما خلا من ليال ــ كانت حالها ...

لكن منصورا بعد أن طالت غيبته عنها ، وبعد أن حان موعـد (اللقـاء الكبير) الـذى حدثها عنه كثيرا .. وبعد أن جزعت ، وانخلـع فؤادهـا ، وتساءلت فى وحدتها ، فيما بينها وبين نفسها : ماذا حدث ؟! .. أين زهرتى الناضرة ، بل أين هى (الباقة) وماذا آل إليه أمرها ؟! .. هل سقطت الزهرة الغضة البكر ، فسحقتها الأقـدام الغليظـة الشرسة ، التى لا تنى تجوس كل المسالك والدروب ، تتشمم رائحة أية زهور ، لتسحقها إن هى استطاعت ، و .. وهى ها هنا لم تدر بعد ؟! .. بعد هذا وبعد أن بح صوتهـا فى محاولات يائسة مكرورة ، لتبرئة نفسها أمام عسس المحتلين .. وفى تصيد الأدلة وحشدها ثم تقديمها تباعـا ، لتؤكد لأولئك الذئاب المسعـورة بأنها لا تأوى فدائيين عندها ، وأيضا فى (تبريرات) لا تنتهى بين يدى ذلـك الضابط الصفيق اللحـوح ، لكثرة تغيب ابنها عنها ، حتى لقد هددها فى (دوريته) الأخيرة بالذبح الحقيقى ، الذى حاق من قبل بزوجها .

.. بعد ذلك كله .. عـاد ، الليلة ، منصور ..

. . . .

منصـور ــ حقـا ــ عـاد ..

❋ ❋ ❋ ❋

.. كانت فى خلوتها الأسيانة المعتادة ، مضطجعة إلى الجدار أمام السقفية وراء كوخها ، وقد سبحت مع نجاواها حتى غفت عيناها .. وحبات الحنطـة تساقط عفوا من راحتى يدها فى مناقير الدجاج حولها .. حينما اهتزت شجيرات الليمون من فوقها .. فهبت ناهضة مذعورة ، وقبضتها على خنجـر مـرهف النصلين تخفيه تحت ثيابها ، وتدخره للذود عن عرضها وحياتها .. ولكن .. لقد كادت الفرحة المباغتة العارمـة تطيح بها بعيدا ، وهى ترى قبالتها (منصور) ولدها ! .. كادت تنسى نفسها وموقفها ، فهمت بأن تزغرد ابتهـاجا ، لولا أن أسرع الفتى يسند مدفعه جانبا ، وينخرط على عجل إلى أمه العزيزة الشجاعة ، يعانقها بذراع ، وبالثانية يمنع زغرودة الفرحة أن تنطلق (الآن) وقبل موعدها ، من فمها ! .. وعلى الفور قال لها وعيناه تتألقان بالبريق الذى تعهده فيهما ، كلمـا بلغت نشوته أوجها :

ــ « أماه .. صبرا قليلا يا أمـــاه .. ستزغردين كثيرا ، عما قليل .. وإلا فكيف تظنين ماذا ستكون الخاتمة ؟ .. لن يسود الباطل قط ، والحق آخر الأمر لا بد منتصر ، و .. ماذا أقول يا أماه .. أذكرى يا أمي [illegible]ـول الله عز وجل .. (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا) وصدق الله العظيم ، وما هم رفقـــاء الباقة الرائعة الفواحة الأريج كلهم لديك ، هنا ، الآن .. فمن هنا ستكـــون اليوم نقطة الانطلاق .. والليلـــة : موعد اللقاء الذى كنت حدثتك عنه طويلا .. إنه اللقاء الذى سيهز الباطل الخائر من كل الأركان .. لقاء حافل ستتحـــــدث بذكـــره الركبان » ..

ولدهشتها ، وقبل أن تستطيع أن تعقب على حديثه النشوان بحـــرف ، رأت على الأثر أكثر من عشرين شابا فى نضرة الورود .. باقـــة من زهـــور مونقة حقا .. كانوا كلهم مدججين بأسلحتهم الرهيبة الحديثة ، والخوذات فوق رءوسهم ، ينبثقون لا تدرى من أين ، ويثبون بغير أصوات كسرب من نسور لم تبدأ فى التحليق إلى آفاقها بعد .. ثم يمرقون صوب السقيفة .. ينسربون تباعا الى داخلها ، وعيونهم تلمع وسط الظـــلام بوميض ساطع شديد النفاذ .. و .. وارتبكت الأم .. وحارت فيما ينبغى عليها أن تسهم به من رعاية وصون ، لهذه الوديعة النفيسة الغالية ..

ذلـــك كلـــه كـــان ، منـــذ قليـــل ..



... فما هـــذا الـــذى تسمـــع ؟؟!!

كان قد نعب فى الأفق صوت منكر ، كريه ، تستطيع أذناها أن تميزاه من بين كل أنكر الأصوات .. علا من الجانب الآخر : صوت ذلـــك الضابط السليط يدعوها بصلافة وقحة لأن تفتح الباب !

هرعت إليه .. وبطلاقة باهرة جسور لا تدرى مأتاها .. انشأت تعيد من جديد مأثور توسلاتها وتبريراتها... راحت تؤكد له أن لا أحد بالطبـــع عندهـــا .. وأن وحيدها الصغير الغرير ، يسعى كدأبه وراء القوت ، ومن ثم فان الكوخ خال ، وليفتش بنفسه إن شاء ذلك ! ..

لكن الهائج المرتعد .. يعود صارخا ، ملوحا بانفعال وبطول ذراعـــه فى الهواء ، مهددا ، منذرا إياها بالذبح العاجل الـــذى حاق [illegible]ديه ــ بزوجها .. مصمما على رأيه الذى جاء مقتنعا به ، وهو أنه [illegible] لوافة الأخيرة لـــ (دوريته) أصوات همهمات ، عليها أن تعطى [illegible] .. !

أخذت المرأة الباسلة تناقش وتدافع ، تبرهن و [illegible] .. [illegible]ات وصمود ــ أذهلاها هى نفسها ! ــ مضت ، كما لو كانت تحفظ [illegible] ظهر قلب كل ما ينبغى أن يقال ، تدلل للضابط اللاهث على صدقها ، وعلى بعده [illegible] عن كل مظانه وريبه .. مؤكدة بحرارة أن من الخير له أن يدعها وشأنها ، وأن يثق بأنه مخطىء تماما إذ يشك فى حرف واحد مما سمع من أقوالها .. فلقد يكون الـــذى سمعته أذناه : قرقرات الدجاج ، أو ثغاء الشاة ، ولا شىء سوى ذلك و .. فعلت حالـــة (سيادته !) النفسية فعلها ، فاعتقد أنها قد تكون همهمات بشرية !!

لكن الرجل الذى بلغ به الغيظ القاتل مبلغه .. انقض عليهـــا كالمخبول

المثاث يركل ويصفع ، ثم يصرخ بأعلى صوته ليأمرها : أمـــرا .. أن تستديــر بوجهها أماما ، ليحتمى وجنوده وراء ظهرها ، حتى يمكن أن يروا بأنفســـهم ماذا ــ بالضبط ــ هناك !

وامتثلت المسكينة اضطرارا لما أراد ، علّه أن يكتفى بذلـــك ، فينصرف من الكوخ رأسا ، الى حيث جاء من الخلاء !

لكنه لما لم يلق أحدا فى الكوخ .. عاد إلى الركل والصفع ، ولسانه ليس بأقل من يديه (بسالة !) فى السباب والشتم .. ثم دق الارض بكعبى حذائه معـــولا :

ــ « خذينا ، أيتها الكلبة العقور ، إلى هناك » !!

ــ هناك .. أين ؟؟؟

ــ إلى السقيفـــة !!

كادت الارملة التعسة تخر متهاوية بطولها إلى الارض ..

« السقيفة ؟! .. كيف ؟! .. كيف وفى داخلها هنـــاك اغلى عدة ، وأعــز عتاد ؟؟ » .

حاولت عبثا أن تصرفه عن فكرته تلك الخاطئة .. انشأت تكرر القول بأن لا شىء على الاطلاق فيها ، ما عدا الشاة والدجاجات .. الا انه يزداد إصرارا ، ويعود ممعنا فى مزيد من قبح فى الرد ، باللفظ وبالحركة كليهمـــا ..

لكنهم قبل أن يصلوا ــ على ذلك النحو ــ إلى هناك ، وكاهل « أم منصور » محنى بحدة ليتقى فى غير ما جدوى سيل الصفعات والركلات الذى لا ينتهى ، ومن خلفها الضابط المنفعل بطابوره الصغير من ورائه .. علت فجـــأة قرقرة الدجاج .. وكان (منصور) قد قفز فوق سطح السقيفة من عل ، ثم انفلت مارقا وحده بسرعة بعيدا .. صائحا أن لا أحد فى المكان سواه ، وانه كان فى خلـــوة يتدرب على سلاحه ، وأن عليهم أن يتبعوه إن كانوا ــ بحق ــ رجالا .. !

* * * *

تدفقوا يجرون خلفه ، وطلقات النار تنهال من بنادقهم فى إثره . وكلماته العالية تشق دمدمة الرصاصات وتعلو على صفيرها ، لتصل إلى أذنى أمه :

ــ « أمـــاه ... الباقــــة » .

وعندئذ .. برز الفتية المسلحون من مكمنهم .. صقورا متأهبة ، وأسودا متوفزة .. ومال أحدهم يؤكد للمرأة أنها أمهم جميعا ، وأم باقتهم وكل الباقات الأخريات .. وأن منصورا هو هو الذى قرر هـــذا ، وأراده مختارا .. هو الذى قال : « فلتذهب زهرة .. من أجل أن تزدهر كل زهرات الباقة » .. وقـــال الآخرون للأم قبل أن يمرقوا إلى الاتجاه الآخر المضاد :

ــ « انظرى يا أمـــاه الينا الآن .. واسمعى أصداء بأسنا » .

* * * *

.. وبينما الأم فى حيرتها لا تدرى ماذا تفعل ولا ماذا تقـــول ، وهـــى موزعة الوجدان بين (الابن) وبين (الأبنـــاء) .. كان الفتية المدججون ينطلقون فى جوف الليل .. خفافا كالصواعق .. صاعدين إلى لقاء آخر فى قلب المدينة الحزينة .. لقاء هائـــل ، بـــدا عليهم أنهم يعرفون متطلباته جيدا ..

الفتاوى

اسير الحرب

السؤال :

هل يجوز شرعا تعذيب الأسير الذى يقع فى أيدينا من الاعداء ؟

الاجابة :

عامل الاسلام الاسرى معاملة انسانية كريمـــة . فدعا الى اكرامهم والاحسان اليهم واثنى على المسلمين الذين عاملوا الاسرى معاملة رحيمة قــال تعالى (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا انما نطعمكم لوجــه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) .

وروى أبو موسى الاشعرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قــال (فكوا العانى ــ الاسير ـــ وأجيبوا الداعى واطعموا الجائع وعودوا المريض) .

وحدث ان ثمامه بن أثال وقع أسيرا فى أيدى المسلمين فجاءوا به الــى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ــ احسنوا اساره . وقال : اجمعوا ما عندكم من الطعام فابعثوا به اليه . كان للرسول ناقة حلــوب . فكان الصحابة يقدمون لبنها صباحا ومساء لهذا الاسير . .

الاسلام ليس شرطا فى اقامة الحد

السؤال :

اذا شرب الخمر رجل غير مسلم يقيم فى بلد من بلاد المسلمين فهل يقام عليه حد شرب الخمر ؟

الاجابة :

لايشترط الاسلام فى اقامة الحد فالكتابيون من اليهود والنصارى الذين يتجنسون بجنسية الدولة المسلمة . ويعيشون معهم مواطنين او يقيمون اقامة مؤقتة بعقد أقامة . مثل الاجانب هؤلاء يقام عليهم الحد اذا شربوا الخمر فى دار الاسلام . لان لهم مالنا وعليهم ما علينا . ولان الخمر محرمــة فى دينهم ولآثارها السيئة فى الحياة العامة والخاصة هذا هو مذهب جمهور الفقهاء وهو الحــق الذى لا ينبغى العدول عنه .

وللاحناف رأى مخالف لهذا الرأى يقضى بتركهم وعدم اقامة الحد عليهم .

الزنـــديـــق

السؤال :

من هو الزنديق وما حكمه فى الاسلام ؟

الاجابة :

من لم يؤمن بالاسلام لا ظاهرا ولا باطنا فهو الكافر ، ومـــن آمـــن بلسانه وقلبه على الكفر فهو المنافق ، ومن اعترف بالاسلام ظاهرا وباطنا لكنـــه يفسر بعض ما ثبت من الدين ضرورة بخـــلاف ما فسره الصحابـــة والتابعون واجمعت عليه الأمة فهو الزنديق ..

فالذى يعترف بان القرآن حق وان ما فيه من ذكر الجنة والنار حق ، ولكنه يفسر الجنة بأنها عبارة عن الابتهاج والسرور ويفسر النار بأنها عبارة عن الآلام والأكدار وليس فى الخارج جنة ولا نار فهو الزنديق .

والشرع كما نصب القتل جزاء للارتداد عن الاسلام ليكون مزجرة للمرتدين ودفاعا عن الدين فكذلك نصب القتل جزاء للزنادقة ليكون زجرا لهم .

الحـــــد يكفر الذنـــب

السؤال :

اذا اقيم الحد على القاتل فاعدم ، فهل يعتبر هذا الاعدام مكفرا للذنب ؟

الاجابة :

يرى اكثر العلماء أن الحدود اذا اقيمت كـــانت مكفرة لما اقترف مـــن الآثام ، لما روى البخارى ومسلم عن عبادة بن الصامت قال ــ كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس فقال ــ (تبايعونى على أن لا تشركوا باللـــه شيئا ، ولا تزنوا ، ولا تسرقوا ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق فمن وفى منكم فأجره على الله ومن اصاب شيئا من ذلك فعوقب به فهو كفارة لـــه قال الفقهاء ــ ما عدا الشرك ــ ومن اصاب شيئا من ذلك فستره الله عليـــه فأمره الى اللهان شاء عفا عنه وان شاء عذبه) ..

الزوجـــــة الثـــانيـــة

السؤال :

هل يجوز شرعا للزوجة او وليها ان يشترط على الزوج عند عقد القران الا يتزوج عليها ؟

الاجابة :

من حق المراة او وليها أن يشترط الا يتزوج الرجل عليها ، فلو شرطت الزوجة فى عقد الزواج على زوجها الا يتزوج عليها صح الشرط ولزم ، وكـــان لها حق فسخ الزواج اذا لم يف لها بالشرط ، والى هذا ذهب الامام احمد ورجحه ابن تيمية .

بريد الوعي الإسلامي

السـنة

اعداد : عبد الحميد رياض

بعض المسلمين عندما يسمع الاحتجاج بحديث من احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم يتوقف ، ويطلب الاستدلال بآية من القرآن الكريم ، فما رايكم فى هذا ، وهل السنة الصحيحة لا تعتبر مصدرا من مصادر التشريع ... ؟

حسن الطاروطى : ج٠م٠ع

لا شك أن السنة هى المصدر الثانى للتشريع بعد القرآن . والسـنة هى قول النبى صلى الله عليه وسلم أو فعله ، أو تقريره (اى سكوته) وعدم انكاره للقول الذى يسمعه ، أو العمل الذى يراه أو يعلم به ، وقد تحدث القرآن عن السنة ، وأوجب علينا الالتزام بها والاقتداء بالرسول والانقياد لحكمه قال تعالى: « **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** » وقال تعالى : « **لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا** » وقال تعالى : « **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما** » **وقال تعالى : « فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر »** والمراد بالرد الى الله (القرآن الكريم) وبالرد للرسول (السنة المطهرة) ، والايمان بأن السنة هى المصدر الثانى للتشريع أصل من أصول الدين ، والعمل بها واجب كالعمل بالقرآن الكريم تماما ، لا ينكر ذلك الا من ضل الطريق وحاد عن الحق ، والحديث الذى روى بطريق النقل الصحيح المقيد بشروط الصحة ، وتضمن حكما شرعيا حجة يجب التمسك به ، والعمل بما ورد فيه من إيجاب ، أو ندب ، أو تحريم ، أو تحليل أو إباحة .

وللسنة أثرها الواضح فى التشريع ومصداق ذلك قول الله تعالى « **وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم** » والذكر هو القرآن المنزل من عند اللـه بلفظه ومعناه ، والسنة هى التى وضحت المبادىء التى جاء بها القرآن ، وبينت كيف كان عمل الرسول وأصحابه بهذه المبادىء .

وللسنة استقلالها فى بعض التشريعات والأحكام ، كما يدل على ذلك قول الله تعالى « **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** » وقولـه تعالى « **ويعلمهم الكتاب والحكمة** » والكتاب هو القرآن والحكمة هى السنة المحمدية . وقوله صلى الله عليه وسلم « يوشك رجل منكم متكئا على أريكته يحدث بحديث عنى فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه الا .. وان ما حرم رسول الله مثل الذى حرم الله الا وانى قد أوتيت الكتاب ومثله معه » وهذا الحديث يدل دلالة واضحة أن الرسول أوتى الوحى الظاهرى وهو القرآن ، وأوتى الوحىَ الباطنى وهو السنة «**وما ينطق عن**

الهوى . **إن هو الا وحى يوحى »** والادعاء بأن العمل لا يكون الا مستندا الى نص من القرآن دون ما حاجة الى السنة يكون بعدا عن الجادة ، وتنكبا للطريق ، وقد اهتم المسلمون على مر العصور بالسنة وأولوها عناية خاصة لأنهم عرفوا أنها قبلتهم بعد القرآن فشرحوها ، ولم يدعوا جانبا من جوانبها الا جاءوا فيه بأقصى ما تحتمله طاقة البشر ، وخلصوها من كل دخيل ومكذوب واستخرجوا منها أشرف المقاصد وأنبل الغايات ، ووهبوا حياتهم ، ووفروا جهودهم لخدمتها ، فكانوا خير سلف لخير خلف منيرين بهديها الطريق فكانت وما زالت رائدا للمسلمين فى سلوكهم ، ومرجعا فى فتاويهم ، وأصلا من الأصول الهامة فى طريقة عباداتهم وطاعتهم لله ، فمن ذا الذى لا يستضىء بنورها ، ولا يمتلىء قلبه بتعظيم شأنها .

شهر رجب الحرام

رسالة من الأخ محمد الصديق من صنعاء يسأل فيها عن شهر رجب، وهل هو من الاشهر الحرم ، وما هى الاشهر الحرم . . . ؟

سمى العرب شهر رجب بهذا الاسم ، لأنهم كانوا يعظمونه فى الجاهلية ، ولا يقاتلون فيه وهو من رجبت الشىء : هبته ، ورجبته : عظمته ، ويسمى الأصم لأن الحروب ترفع فيه فلا يسمع للسلاح فيه قعقعة ، ويسمى كذلك الأصب لأن الرحمة تصب فيه صبا .

وقد بقى لشهر رجب هذه المكانة فى الاسلام ، وعظم شأنه ، وبقى ضمن الأشهر الحرم المذكورة فى قول الله تعالى «**إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم »** وقد ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم الأشهر الحرم فى بعض خطبه فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال « **خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع بمنى فى أوسط أيام التشريق فقال : يا أيها الناس ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم أولهن رجب مضر الذى بين جمادى وشعبان وذو القعدة وذو الحجة والمحرم »** .

وهذه الأشهر الأربعة كانت موضع تقدير الناس فى الجاهلية والاسلام وكان المسلمون لا يحملون السلاح فيها إلا اذا اعتدى عليهم ، ثم نسخ ذلك بفعل الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد حاصر الطائف وغزا هوازن فى غزوة حنين فى شوال « وذى العقدة » وهو من الاشهر الحرم . سنة ثمان من الهجرة ، وقد درج السلف الصالح على تعظيم شهر رجب لما فيه من تكريم الله لرسوله برحلة الاسراء والمعراج ، فقد أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس ، ثم عرج به الى السماء حيث فرضت عليه وعلى أمته الصلوات الخمس فى اليوم والليلة ، وكانت أعظم ما فرض من العبادات وأسماها ، والشعيرة الوحيدة التى دعى الرسول إلى السماء لتلقى أمر الله بفرضيتها . .

وانك لتجد بعد هذا أن هذه الأشهر ، سميت بالأشهر الحرم لتحريم القتال فيها فى الجاهلية وفى فترة من صدر الاسلام إذ لازمتها حرمة القتال ، حتى كان الحكم بنسخ حكم هذه الحرمة .

بأقلام القراء

ســـــلامة العقيدة

من كلمة للأستاذ سعد الدين الجيزاوى

لقد شاعت بين المسلمين أخيرا كلمات وعبارات مثل : قسمته ، ومكتوب عليه ، وماذا بيده ؟ ، لو ربنا أراد ، ولما ربنا يريد ، وهكذا وراحوا يرددونهـا فى كثير من المناسبات سواء منها ما تنطبق عليه ومالا تنطبق .

وهنا موضع الخلط وهنا موضع الخطورة أيضا ، وهنا المزلق الذى تنحدر منه شخصية المسلم اذا لم يقدر مسئوليته أمام ضميره .

ان الأفعال التى تصدر من الانسان نوعان : نوع منها لا دخل له فيـه ولا اختيار ، ولا يستطيع تعديله ، وتنطبق عليه العبارات السابقة وما شـابهها ، وذلك مثل :

تحديد العمر ، وعدد الذرية ونوعها ، وأين يموت الانسان ، ومـاذا سيصيبه من غنى أو فقر أو كوارث لم تكن فى حسابه ، وان خوطب بشىء فى مثل هذه الامور فانما هو من قبيل الاخذ بالاسباب .

والمقياس الذى تضبط به تلك الافعال هو انها ليس فى فعلها ثواب ولا فى تركها عقاب لأنها خارجة عن ارادة الانسان ، وينطبق عليها الحديث « وأن تؤمن بالقدر خيره وشره » والمراد والله اعلم ما كان مقدرا فى علم الله دون أن يكون للمرء دخل فيه لأن الله تعالى قد اختص بذلك لأمور هو أعلم بها لا ندركها نحن .

والنوع الاخر هو ما يبدر من الانسان بناء على تفكير واختيار وذلك كقيامه الفرائض الدينية والتكليفات الاجتماعية وبعده عن المنهيات الشرعية وعـن أذى الناس .

ومقياس ذلك : ان هذا النوع ينطبق على كل ما ورد فيه ثواب وعقاب . فاذا ما قصر فى واجب ثم قال « قسمتى » فهو مخطىء واذا ما شرب الخمر أو ارتشى أو خان وطنه ثم قال « مكتوب على » فهو مخطىء كذلك .

والا فما معنى التكليف واعتبار العقل الانسانى ؟ ثم ما فائدة الرسل ومـا قيمة تعاليمهم اذا تساوت الافعال جميعها ؟ ؟

من المؤسف جدا أن هذه الفكرة ــ فكرة احالة كل نقص فى أفعال الانسان على القضاء والقدر ــ شائعة بين كثير من المتعلمين .

ولا شك أن المرء ما دام قد فقد قيمة المسئولية أمام ضميره وظن أن كل ما يرتكب من آثام إنما هو مسطر ومكتوب عليه ــ لا شك أنه يصبح منحـلا لا يتورع وتنعكس شخصيته من انسان كريم الى شيطان رجيم .

ولعل هناك لبسا على البعض فى فهم مدلول « مكتوب عليه » . وتفسير هذه العبارة يحتاج الى التفريق بين علمنا نحن المخلوقات وبين علم الله تعالى

فنحن نعلم الاشياء بعد حدوثها أو تصورها فى عقولنا . ولم يتكشف لنا علم ما سيكون فى المستقبل .

أما علم الله تعالى فهو عام شامل ينكشف له ما سيكون الى ما شاء سبحانه وتعالى . فهو يعلم أن فلانا الطفل سيعيش كذا سنة وستكون له من الذرية كذا وسيتزوج فلانة وقد تكون فلانة هذه لم تخلق وهكذا .

فهل تعلم شيئا من هذا ؟ اللهم لا .

وهكذا : علم الله قبل أن يظهر فلان فى الوجود بأن فلانا هذا سيولد يوم كذا فى سنة كذا وأنه سيؤمر بكذا وينهى عن كذا ثم يعلم الله تعالى (وهذا ما يهمنا هنا) أن فلانا هذا سيطيع أو يخالف وسيكون بناء على هذه الطاعة أو المعصية (التي اختارها بمحض اختياره الذى وهبه الله) شقيا أو سعيدا .

وبناء على هذا العلم السابق تكتب صحيفة الانسان فلا تغيير ولا تبديل جفت الاقلام وطويت الصحف .

ويتضح من هذا أن سبق أفعال الانسان فى علم الله وكشفها له تعالى ليس معناه أن الله أجبر الانسان ، والا ما ورد قوله تعالى « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » ، وقوله تعالى « افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون » ، وتعالى الله العلى الكبير عن أن يجبر شخصا على فعل شيء ثم يعاقبه فى الآخرة على فعله .

ومن المؤلم ايضا ان السادة العلماء يهربون دائما من توضيح هذه النقطة وهى فيما أرى أساس العقيدة الصحيحة وهى واضحة لا تحتاج الا الى لباقة وبعد عن التعرض للمصطلحات العلمية .

فعسى أن يفطن الوعاظ وائمة المساجد الى ما فى أعمال شرح تلك العقيدة ورد المسلمين الى جادة الصواب ومصارحتهم بحقيقة القدر لعلهم يفطنون الى ما فى ذلك من خطورة اثرت على شخصيتنا وجعلتنا نخلط بين الحرام والحلال وما عليه عقاب وما ليس فيه اثم أو مخالفة .

هدانا الله جميعا ووفقنا الى ما فيه رضاه أنه سميع مجيب .

رسالة الدين

من كلمة الاستاذ على سعيد على

ان الدين يوحد بين المقياس الفطرى للعمل والحياة ، وهو حب الذات واشباع رغباتها وملذاتها ، وبين المقياس الذى ينبغى أن يقوم للعمل والحياة وهو المقياس الخلقى الذى يضع الصالح العام موضع الاعتبار . فبدون المقياس الخلقى يصبح عمل الخير أسطورة مجردة . واننا لنقع فى خطأ فادح عندما نجرد الانسان من هذا المقياس ، فنربطه بمفهوم مادى ، ثم نأمل منه أن يضحى بمصالحه الشخصية فى سبيل الغير . اذ انه سيصبح — فى هذه الحالة — وقد رسخ فى ذهنه ، بأن لا قيم فى الحياة الا القيم المادية الخالصة ، وان ليس له الا هذه الحياة المحدودة والتى لا يعرف لها سوى اللذة والمتعة المادية . ولعل هذه الحقيقة هى السبب فى ما أصاب ويصيب الماديين من فشل ذريع فى اقامة مفاهيم اخلاقية لا ترتكز على الفكرة الالهية .



قالت صحف العالم

العظمة المحمدية

عن مجلة جوهر الاسلام التونسية :

لم تتوفر عناصر العظمة والقوة والخلود لامة من امم المعمورة نظير ما توفرت للأمة الاسلامية ، فهى الأمة الوحيدة التى تستمد مقوماتها الذاتية من تخطيط سماوى حكيم « **لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه** » وهى الأمة التى يحق لها من غير ادعاء أن تلقب نفسها بأمة التوحيد . لأن جميع المعتنقين لهذا الدين الحنيف مطالبون بمجرد دخولهم فيه أن يوجهوا أعمالهم كلها الى الواحد الاحد سبحانه وتعالى لايشركون به شيئا . وعلى هذا الأساس أصبح كل عمل يقوم به المسلم قابلا لأن تخلع عليه خلع العبادة والقربى اذا ما تمخض لغاياته النبيلة الشريفة وتوجه به أصحابه لوجه الفرد الصمد .

ولقد أكد القرآن الكريم والسنة النبوية الطاهرة هذه المعانى فى غير ما مناسبة لكى لا يبقى فى قلوب المؤمنين بهذا الدين منفذ تنفذ منه الوثنية القذرة ، ويتسرب منه الشرك ظاهرا أو خفيا — وما تأكيد الله ورسوله على تجريد محمد صلى الله عليه وسلم من كل ما سوى البشرية والرسالة « **قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا** » ما تأكيدهما على ذلك الا من اسباب وقاية هذه الامة من التردى فى مهاوى تأليه غير الاله الحق — ذلك الاله الذى لا يتسامح مع مخلوق يختلس لنفسه صفتى العظمة والكبرياء — (**العظمة ردائى والكبرياء ازارى فمن شاركنى فيهما قصمته ...**) .

النفس اللــــوامة

عن مجلة دعوة الحق المغربية :

اذا رأيت اخوانك المنتسبين مثلك الى الاسلام وقت صلاة الجمعة يهرعون الى المسجد لأداء الصلاة .. والتسابق الى الصفوف الاولى .. والامعان فى الدعاء والاستغفار ... والتماس الرضا والرضوان من الرحيم الرحمن ... ولا ينتحل مسوغا فى التخلف عن حضور تلك الساعة ، التى اشرقت أنوارها ،

وفاح أريجها وعم فضلها فخشـــعت عندهــا القلــوب ، واطرقت الرؤوس ، وتسابقت اليها الجماعات .. لاداء الفريضة واقامة الشريعة ، وارضاء النفس اللوامـــــة .

والنفس اللوامة — ان كنت لا تعرفها — هى ما نقصده بكلمـــة — الضمير والفرق بينهما أن الأول تعبير قرآنى والثانى تعبير انسانى ...

فالتعبير القرآنى ، أحاط بأبعاد الكلمـــة ، وخصائصهـــــا . أما التعبير الانسانى فهو تعبير تنكب المقاصد ، واستهدف المظاهر ... ولا شك أن نعمـــة النفس اللوامة التى يملكها قوم زكت نفوسهم ، هى التى ترسم الخط الفاصـــل بين انسان وانسان ومجتمع ومجتمع آخر .. وقد قامت العبادات فى الاســـلام من صلاة فى وقتها ، وصوم فى شهره وحج فى ايامه ، وزكاة بشروطها ، على أساس تربية النفس اللوامة ، فى الصغار والكبار والرجـــال ، والنســـــاء ، والاغنياء ، والفقراء ...

فاذا كانت هذه النفس اللوامة قد رباها الاسلام فى نفوسنا بمزاولة العبادات فانه طالبنا باستعمالها فى المعاملات على اختلاف أنواعها ، وتباين أهدافهـــا ، ومقاصدها ، وتلك احـــدى ثمار التماسك الذى نعرفه فى مقاصـــد الشريعـــة ومكارمها بين شؤون الدنيا والدين .

فامانة الموظف ، وعفة الاجير ، وشهامة الفتى ، وطهارة الفتاة ، لا يحققها ولا يرعاها الا تـــلك النفس اللـــوامة ، التى تحـــول بين هـــؤلاء وبين الانزلاق والانحراف والتردى فى حمأة الدنس ... والغواية ... والضلال ...

ولعل اكبر مصيبة اصيب بها المجتمع البشرى على اختلاف ملله ونحله ، هى مصيبة انعدام النفس اللوامة بين الناس . فغدا كل شىء يحتاج الى حماية الحديد والنار ... وشرطة السر والعلن ... حتى صارت الحياة — فى بعض مظاهرها وكأنها جحيم لا يطاق .

فواجب المدرسة المسلمة ، والمجتمع المسلم ، والاسرة المسلمة ، هو أولا وقبل كل شىء ، غرس فضيلة النفس اللوامة ، فى الصغار والكبار ، ليتعـــود المسلمون فى جميع المعاملات والأفعال ان يكونوا تحت تأثير الخلق النبيـــل ، المنبعث من عفة النفس اللوامة ، وأمانتها وشهامتها ... لا تحت تأثير أمر قاهر أو عرض زائل أو مصلحة مؤقتة ... أو رقيب يعمى أو يتعامى ....

وانه لرصيد عظيم الشأن واسع الامكانيات . ذلك الرصيد الذى تملكـــه الأمة فى نفس لوامة ، فى صـــدور بناتهـــــا ، وخاصتهـــــا ، وعامتهـــــا ، واغنيائها وفقرائها ....

وانها لخسارة عظمى ، وطامة كبرى أن ينضب معينها ، فتنعدم الثقة وتعم الحيرة ، ويتطلب الانسان الحماية من الانسان بكل ما يمكن وما لا يمكن ..... وكان الاجدر بهما ان يوفرا على أنفسهما عناء ذلك بالوقوف عند الحد الذى يقف عنده اولئك الذين أنعم الله عليهم بنعمة النفس اللوامة ....

أخبار العالم الإسلامي

اعداد فهمى الامام

الكويت : برأس الاستاذ راشد عبد الله الفرحان ، وزير الاوقاف والشئون الاسلامية وفد الكويت لحضور المؤتمر السابع لمجمع البحوث الاسلامية .. الذى سيعقد فى القاهرة فى سبتمبر المقبل ..

● أدلى سعادة رئيس مجلس الوزراء بالنيابة ووزير الداخلية والدفاع بتصريح جاء فيه : هناك تعاون عسكرى بيننا وبين القاهرة ، وسيظل هذا التعاون قائما ، والكويت أعلنت أكثر من مرة أنها لن تبخل لا بالمال ولا بالسلاح من أجل المعركة .

● رفع فضيلة مدير ادارة شئون المساجد تقريرا للمسئولين عن أحوال المسلمين فى الفلبين عقب عودته من هناك ..

● تقوم الوزارة بدراسة مستفيضة لأحوال المسلمين فى العالم تمهيدا لاصـــدار كتاب يكون مرجعا للمعنيين بهذه الدراسات .

● تقيم وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية احتفالها السنوى المعتاد بمناسبة الاسراء والمعراج بمسجد السوق الكبير عقب صلاة العشاء ليلة السابع والعشرين من هذا الشهر .

● فرغت اللجنـــة المكلفة باعــــداد كتاب « الفريد فى فن التجويد » من اعداده وقامت الوزارة بطبعه طباعة فاخرة ليوزع على طلبة دار القرآن الكريم فى العام الدراسى القادم .

● صدر قرار من وزارة التربية بتوزيع (١٤٥) منحة دراسية على عدد من الدول العربيـــة والدول الصديقة فى آسيا وأفريقيا .

القـــاهرة : تدرس وزارة الأوقاف وشئون الأزهر تخطيطا جديدا يقضى بانشاء فروع لجامعة الازهر فى جميع محافظات جمهورية مصر العربية .. وتعميم معاهد تعليم الفتيات المسلمات ، واقامة مساكن تستوعب الطالبات المغتربات فى عاصمة كل محافظة .

● أوصى رئيس البعثة المصرية الليبية الى الفلبين ـ فى تقرير عن أحوال المسلمين هناك ـ بضرورة تعزيز الأمن فى مناطق المسلمين ، والسماح بعودة المسلمين الذين تركوا أراضيهم ، وتقديم المساعدات الغذائية والطبية العاجلة لآلاف اللاجئين فى مناطق تجمعهم .

السعودية : اغتنمت جماعة تحفيظ القرآن الكريم بمكة المكرمة العطلة الصـــيفية لطلاب المدارس ، وخصصت مدرسين لتدريس القرآن الـــكريم للراغبين منهم .. وقد أقبل عدد كبير من الطلاب على الدراسة .

● تبنى المجلس الفرعي لأوقاف جدة فكرة التدريس في ستة عشر مســجدا .. وقد نظمت لجنة احياء رسالة المسجد جدولين .. كل منهما يضم ثمانية مساجد .

● تلقت وكالة الانباء الاسلامية منحة ملكية مقدارها (٤٠) ألف دولار لتسيير أعمالها الى حين انعقاد مؤتمر الجمعية العمومية للوكالة فى كوالالمبور .

ليبيا : أنشأت ليبيا صندوقا لجمع التبرعات لمساعدة المسلمين فى أوغندا .

أبو ظبى : سيقام مركز اسلامى كبير فى (أبو ظبى) خلال العام الحالى على مساحة (١٥) ألف متر مربع ، وسيستوعب المركز (٦٠٠) طالب ، ويضم مكتبة .

تنزانيا : افتتح فى تنزانيا مركز اسلامى تابع للأزهر ، يقوم بنشر الاسلام فى شرق أفريقيا .

ماليزيا : ستنشأ كلية اسلامية فى الجامعة الوطنية بكوالالمبور ، وبذلك تحقق الجهود الرامية الى توطيد الاسلام فى المجال الأكاديمى هدفا عظيما من أهدافها .

اخبـــــــار متفرقة

● تلقينا من مؤتمر العالم الاسلامى بكراتشى مذكرة يناشد فيها المسلمين اتخاذ موقف موحد لحمل الحكومة الهندية على الرجوع عن الاجراءات التى اتخذتها ضد جامعة عليكره .

● يقوم اتحاد النساء المسلمات فى بريطانيا بحملة لجمع التبرعات لانشاء ملجأ ومدرســة لأيتام وأطفال المسلمين المحتاجين للعناية والرعاية فى جو اسلامى .

● افتتح فى أندونيسيا مركز اسلامى تشرف عليه هيئة البحوث الاسلامية .

● تبرأ الرئيس الفلبينى من دماء الضحايا المسلمين أمام البعثة العربية التى تــزور (مانيلا) للوقوف على حقيقة الموقف بعد المعارك التى وقعت بين المسمين والمسيحيين هناك .

● أرسلت جمعية الطلبة المسلمين فى (دبلن) بجمهورية (أيرلندا) مبلغ (١٠٨) جنيهات استرلينية الى الفلبين ، مساعدة للمسلمين هناك .. ومعبرة بذلك عن استنكارها للمذابح البشعة التى تدبر ضدهم .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	رجب ١٣٩٢ هـ	أغسطس ١٩٧٢ م	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي: فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي: فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
الجمعة	١	١١	٣٧ ٣	١٣ ٥	٥٣ ١١	٢٩ ٣	٣٣ ٦	٥٧ ٧	٤ ٩	٤٠ ١	٢٠ ٥	٥٧ ٨	٢٤ ١
السبت	٢	١٢	٣٨	١٤	٥٣	٢٩	٣٢	٥٦	٦	٤٢	٢١	٥٧	٢٤
الاحد	٣	١٣	٣٨	١٤	٥٣	٢٩	٣١	٥٥	٧	٤٣	٢٢	٥٨	٢٤
الاثنين	٤	١٤	٣٩	١٥	٥٣	٢٩	٣٠	٥٤	٩	٤٥	٢٣	٥٩	٢٤
الثلاثاء	٥	١٥	٤٠	١٥	٥٢	٢٨	٢٩	٥٣	١١	٤٦	٢٣	٥٩	٢٤
الاربعاء	٦	١٦	٤١	١٦	٥٢	٢٨	٢٨	٥١	١٣	٤٨	٢٤	٠٠ ٩	٢٣
الخميس	٧	١٧	٤١	١٦	٥٢	٢٨	٢٧	٥٠	١٤	٤٩	٢٥	١	٢٣
الجمعة	٨	١٨	٤٢	١٧	٥٢	٢٧	٢٦	٤٩	١٦	٥١	٢٦	١	٢٣
السبت	٩	١٩	٤٣	١٧	٥١	٢٧	٢٥	٤٨	١٨	٥٢	٢٦	٢	٢٣
الاحد	١٠	٢٠	٤٤	١٨	٥١	٢٧	٢٤	٤٦	٢٠	٥٤	٢٧	٣	٢٢
الاثنين	١١	٢١	٤٥	١٩	٥١	٢٧	٢٣	٤٥	٢٢	٥٦	٢٨	٤	٢٢
الثلاثاء	١٢	٢٢	٤٦	١٩	٥١	٢٦	٢٢	٤٤	٢٤	٥٧	٢٩	٤	٢٢
الاربعاء	١٣	٢٣	٤٧	٢٠	٥١	٢٦	٢١	٤٣	٢٦	٥٩	٣٠	٥	٢٢
الخميس	١٤	٢٤	٤٨	٢٠	٥٠	٢٦	٢٠	٤١	٢٨	٠٠ ١١	٣٠	٦	٢١
الجمعة	١٥	٢٥	٤٩	٢١	٥٠	٢٥	١٩	٤٠	٣٠	٢	٣١	٦	٢١
السبت	١٦	٢٦	٤٩	٢١	٥٠	٢٥	١٨	٣٩	٣٢	٤	٣٢	٧	٢١
الاحد	١٧	٢٧	٥٠	٢٢	٤٩	٢٤	١٦	٣٧	٣٤	٦	٣٢	٨	٢١
الاثنين	١٨	٢٨	٥١	٢٢	٤٩	٢٤	١٥	٣٦	٣٥	٧	٣٣	٨	٢١
الثلاثاء	١٩	٢٩	٥١	٢٣	٤٩	٢٣	١٤	٣٥	٣٧	٩	٣٥	٩	٢١
الاربعاء	٢٠	٣٠	٥٢	٢٣	٤٨	٢٣	١٣	٣٤	٣٩	١٠	٣٥	١٠	٢١
الخميس	٢١	٣١	٥٣	٢٤	٤٨	٢٢	١٢	٣٢	٤١	١٢	٣٦	١٠	٢٠
الجمعة	٢٢	سبتمبر	٥٣	٢٤	٤٨	٢٢	١١	٣١	٤٢	١٣	٣٧	١١	٢٠
السبت	٢٣	٢	٥٤	٢٥	٤٨	٢٢	١٠	٣٠	٤٤	١٥	٣٨	١٢	٢٠
الاحد	٢٤	٣	٥٤	٢٥	٤٧	٢١	٩	٢٩	٤٥	١٦	٣٨	١٢	٢٠
الاثنين	٢٥	٤	٥٥	٢٦	٤٧	٢١	٨	٢٨	٤٧	١٨	٣٩	١٣	٢٠
الثلاثاء	٢٦	٥	٥٦	٢٦	٤٧	٢٠	٧	٢٧	٤٩	١٩	٤٠	١٤	٢٠
الاربعاء	٢٧	٦	٥٧	٢٧	٤٧	٢٠	٦	٢٥	٥١	٢١	٤١	١٤	١٩
الخميس	٢٨	٧	٥٧	٢٨	٤٦	١٩	٤	٢٣	٥٣	٢٣	٤٢	١٥	١٩
الجمعة	٢٩	٨	٥٨	٢٨	٤٦	١٩	٣	٢٢	٥٥	٢٥	٤٣	١٥	١٩

« الى راغبى الاشــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار ــ ٧ شارع الصحافــة .

جــدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب ٢٠٤٣ .

الرياض : مكتبة مكــة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعــة ضياء .

عــدن : وكالة الأهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

المكــلا : مكتبــة الشعب ــ ص.ب ٢٨ .

مســقط : المكتبــة الحديثة ــ السيد يوسف فاضل .

صنعــاء : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

دمشــق : الشركة العامة للمطبوعات ــ ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ــ ص.ب ٢٤٧٣

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية ــ ص.ب ٦٧ .

عمــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات ــ ص.ب ٢١٥ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى ــ ص.ب ١٣٢ .

بنغــازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص.ب ٢٨٠ .

تــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ كورنيش المزرعة .

دبــى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ السيد غازى بساط .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ ص.ب ١٧١٩

الدوحــة : سالم الانصارى ــ الدوحة / قطر .

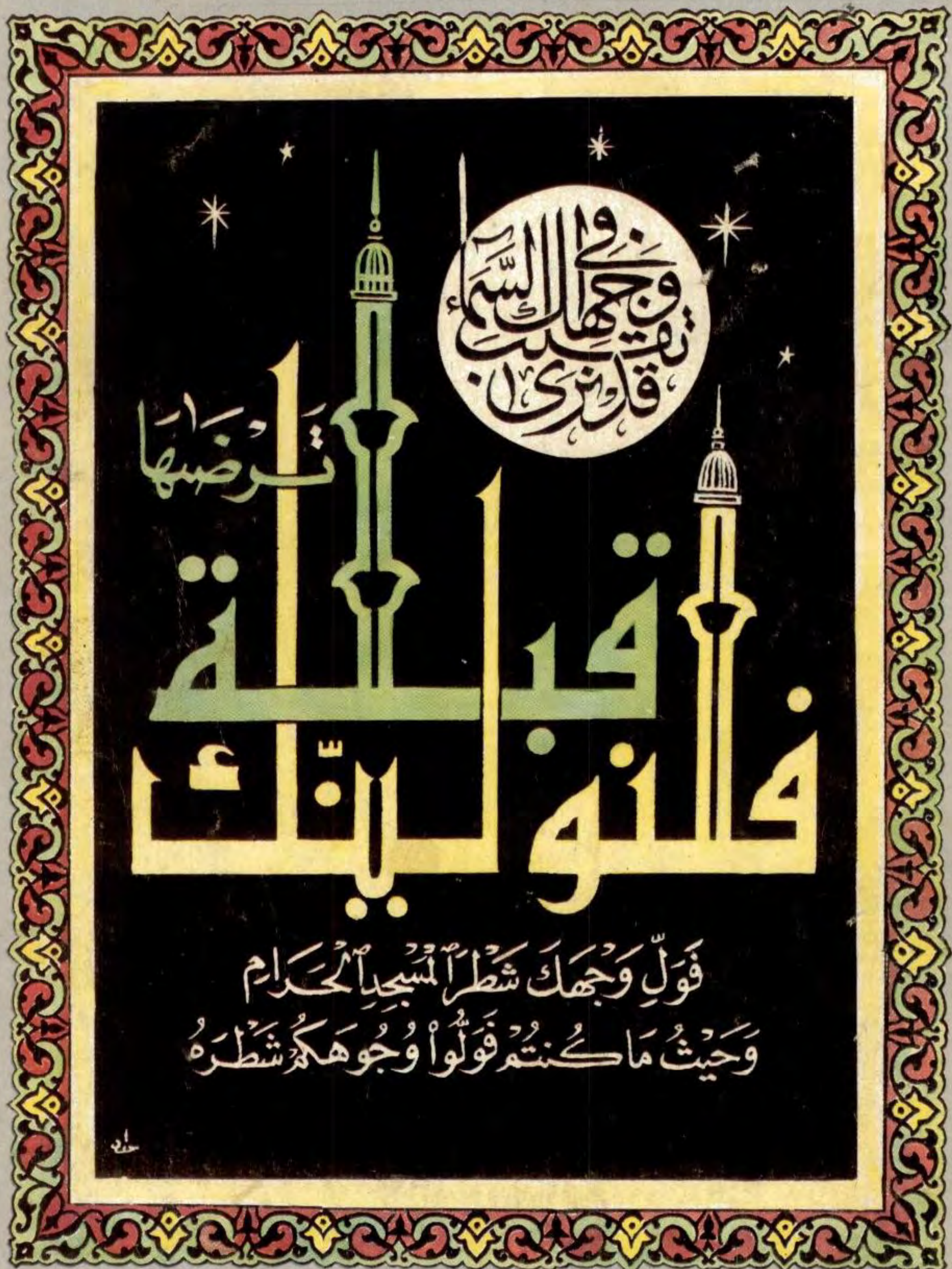
ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد


مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية





مسجد بادشاسی بلاهور باکستان



قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره .

(صدق الله العظيم)

الغلاف بخط محمد سعد الحداد

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة الثامنة

العدد الثانى والتسعون

غرة شعبان ١٣٩٢ هـ

١١ سبتمبر (أيلول) ١٩٧٢ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربى	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(او ما يعادلهما بالاسترلينى)
اما الافراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص.ب ١٣ هاتف : ٤٢٢٠٨٨ ـ كويت

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث الشهر

الحَسْمُ ... وَالحُسَامُ

في اللغـــة :

الحسم : من معانيه في اللغة القطع . ومنه قول الحق تبارك وتعالى فيما حاق بعاد قوم هود من العذاب لعتوهم وجبروتهم وتمردهم على الله ورسالته : « وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية . سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما » والحسوم القاطعة المستمرة في القطع . أى أنها حسمتهم وأفنتهم ، فلم تبق منهم أحدا . ومما يذكر انه لم يرد في القرآن الكريم من هذه المادة الا هذا اللفظ .

والحسام : السيف القاطع ، ومنه قول ابى حراش الهذلي :

ولولا نحن أرهقـــه صهيب   حسام الحد ندرو با خشيبا

ومما يجرى على الألسنة من هذه المادة جريانـــا عربيا صحيحا : حـــرب حاسمة ، ولحظة حاسمة وموقف حاسم ، ورأى حاسم :

والحرب الحاسمة هي الفاصلة التي يتقرر فيها مصير المتحاربين . نصر كاسح لفريق ، وهزيمة منكرة للفريق الآخر لا تقوم له من بعدها قائمة . .

واللحظة الحاسمة : هي التي تمر بالانسان في انتظار أمر هام يقع فيهـــا ويكون له تأثير كبير في حياته كاللحظة التي ينتظر فيها الطالب نتيجة اختبـــاره

واللحظة التى يترقب فيها المتهم النطق بالحكم له أو عليه .. والموقف الحاسم هو الذى يتخذه الانسان تجاه أمر معين .. ويمضى فى طريق تنفيذه دون تردد ولا توقف ، ولا مبالاة بما يجره عليه من تضحيات ومغارم ، وما سيتحمله فى سبيله من جهد ومشقة . ثقة منه بأنه لا بديل عنه فى تحقيق الهدف وبلوغ الغاية .. ويقدم الموقف الحاسم رأى قاطع فى مجال تعدد الآراء وتضارب الحلول وتأرجح العقول بين الاقدام والاحجام مثلا والتريث والسرعة واليمين واليسار والصراحة والمجاملة والوضوح والالتواء .

وليس الحسم عجلة تورث ندامة ، ولا اندفاعا أعمى يقود الى التهلكة بل الحسم بكل معانيه وكافة صوره يحتاج الى العقل الناضج الذى لا يطيش ولا يتأثر بالاهواء .. والى الدراسة العميقة التى تحيط بالأمر من كل جوانبه .. والى الخبرة الواسعة التى تصقلها التجارب والأحداث .. والى المشورة الأمينة التى تستند الى الصدق والاخلاص ، ولا تعرف المجاملة والنفاق .. والى انتهاز الفرص التى لا تدرك الا باليقظة والمبادرة وسرعة البت والتنفيذ .

والحسم يقابله التردد ، وفى متاهات التردد ودروبه الملتوية وشعابه المظلمة تضيع معالم الطريق ، وتبعد رؤية الهدف ، وتكثر التخمينات والحدسيات ويتولد من الوهم أوهام ، ويتمخض الفرض عن فروض ، ويتفرع عن الاحتمال احتمالات ، ويبعد القريب ، ويعظم الصغير ، ويتراءى السراب ماء وعود الثقاب بركانا والذبابة طائرة ، والتردد لا يحل مشكلة ، ولا يفصل فى أمر ، ولا يؤدى الى نجاح قضية صغرت أو كبرت . خصت أو عمت ، والمتردد يغرق فى شبر ماء ويضل الطريق وسط الأضواء الكاشفة والعلامات الهادية ، والتاجر المتردد لا يربح لأنه يبالغ فى احتمال الخسارة ، والخائف المتردد لا يأمن لانه يتوهم ان الخطر يحيط به من كل مكان ، والمسئول المتردد لا يحل عقدة ، ولا يبرم أمرا ولا يقطع برأى ، والقائد المتردد يحارب ولا يحارب ، ويغزى ولا يغزو ويعرض نفسه وجيشه للفتك والابادة ، والتردد مزرعة خصبة للمساومات والتنازلات عن الحقوق ، وهو يحل العزم ويوهن الارادة ويبدد القوى .

يقول الأستاذ احمد أمين : اكره ما اكره التردد . يقدم الرجل رجلا ويؤخر أخرى ، ويقدم ثم يحجم ،ويحجم ثم يقدم ، وتفوت بذلك الفرص وتتعقد الأمور، وكثير من الناجحين فى الحياة انما نجحوا لبتهم لا لترددهم. .وكان العرب يمدحون الفتى بسرعة البت وقوة الحزم ويقول قائلهم :

اذا هم ألقى بين عينيه عزمه ... ونكب عن ذكر العواقب جانبا

ويحمل على التردد الهرب من المسئولية فان العمل تصحبه المسئولية دائما ،فهو يفضل الا يعمل حتى لا يسأل ، وهذا عين ما تقع فيه حكومات

الشرق — تتردد حتى لا تسأل ، وتسير على الطريقة المتبعة حتى لا تسأ لدائما عن السوابق حتى تأمن الخطأ ، ولذلك قل عندها التجديد ، وعندى أن البت مع الخطأ خير من التردد مع الصواب .

والحسم يلازمه أمهات الفضائل : الحزم والعزم والارادة القوية والثقة والثبات وقوة العقيدة والنصر والنجاح فى الحياة .

والتردد يلازمه أمهات الرذائل : الجبن والضعف ، وفقدان الثقة بالنفس والشك ووهن العزيمة والارادة والهزيمة والاخفاق فى الحياة .

العقيدة والحسم :

وألزم ما يكون الحسم فى مجال العقيدة ، فهى لا تقبل المساومة ، ولا الالتقاء فى منتصف الطريق ، ولا موضع للمجاملة على حسابها ، والانتقاص منها ، وصاحب العقيدة لا يتخلى عن شىء منها لأن الصغير منها كالكبير ، بل ليس فى العقيدة صغير وكبير . انها حقيقة واحدة متكاملة الاجزاء . لا يطيع فيها صاحبها أحدا ، ولا يتخلى عن شىء منها أبدا ، واهل الباطل على استعداد للتخلى عن كثير من عقيدتهم وقد حسم القرآن الكريم الأمر فى المساومات التى حاول بها كفار مكة أن يزحزحوا رسول الله عن عقيدته ، أو يصرفوه عن المضى فى تبليغ رسالة ربه .

لقد ساوم مشركو مكة رسول الله ، وأرادوا على عادة المساومين أن يلتقوا معه فى منتصف الطريق ، وطلبوا منه أن يداهنهم ويلاينهم بعدم تسفيه عبادتهم وسب آلهتهم ليعايشوه ويتابعوه فى بعض ما جاء به ، وأغروه بالمال والجاه وبالملك ، ولكن الرسول كان حاسما فى موقفه من دينه لا يداهن فيه ولا يلين وهو من هو الين الناس خلقا واحسنهم عشرة ، فاما الدين فهو الدين وأما العقيدة فهى العقيدة ، ونزل القرآن الكريم يحذر الرسول من مساومة المشركين ويفضح حقيقة أمرهم قال تعالى : « ودوا لو تدهن فيدهنون » .

ويروى ابن اسحاق فيقول « اعترض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالكعبة — الأسود بن المطلب بن أسد والوليد بن المغيرة وامية بن خلف والعاص بن وائل السهمى ، وكانوا ذوى أسنان فى قومهم ، فقالوا : يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد ، وتعبد ما نعبد ، فنشترك نحن وأنت فى الأمر ، فان كان الذى تعبد خيرا مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه ، وان كان ما نعبد خيرا مما تعبد كنت قد أخذت حظك منه،فقطع الله هذه المحاولة ، وافسد المساومة ، وفصل بين عقيدة وعقيدة ، وأنزل : « قل يا أيها الكافرون . لا اعبد ما تعبدون . ولا انتم عابدون ما أعبد . ولا أنا عابد ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولى دين » .

نزلت هذه السورة بهذا الجزم ، وبهذا التوكيد وبهذا التكرار لتنهى كل قول وتقطع كل مساومة .

مواقف حاسمة :

ويذكر التاريخ الاسلامي من مواقف عمر بن الخطاب الحاسمة موقفا فريدا وقفه عمر لتوه ولحظته ولولاه لعصفت ريح الخلاف بالأمة الاسلامية في اشد أوقاتها وأحرج الظروف التي مرت بها ، فبعد لحوق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى ووقوع الفرقة بين المهاجرين والأنصار فيمن يستخلف بعده رأى عمر في هذه اللحظات السريعة المليئة بالمفاجآت ان التردد يوسع الشقة وان التمهل مهلكة فاتخذ في نفسه قرارا فاصلا ووقف موقفا حاسما رأى أن أبا بكر وحده من بين أجلاء الصحابة هو الذي يجب أن يستخلف ويبايع دون ابطاء فقد اجتمع له شرائط السن والسبق في الاسلام وصحبة النبي في الغار وكان اول امير للحج في حياة الرسول وهو الوحيد الذي اختير لامامة المسلمين في الصلاة اثناء مرض النبي — فوقف عمر دون تردد ولا ابطاء في سقيفة بني ساعدة على ملأ المسلمين من المهاجرين والأنصار وتقدم الى أبي بكر وبايعه ، وقال له انت افضل مني ، فقال ابو بكر وأنت اقوى مني ، فقال عمر ان قوتي لك مع فضلك ، فكان هذا أفضل الخطاب ، وتتابع الناس بعد ذلك على بيعة أبي بكر فكان حسم عمر ويقظته وقوة ارادته أسرع من الفتنة واقطع لدابر الفرقة وسببا لجمع كلمة المسلمين .

وتتوالى الأحداث في مطلع خلافة الصديق ، فيواجهها رضي الله عنه بالحسم والعزم . . يمضي بعث أسامة بن زيد ، ويضرب بتحذير المحذرين عرض الحائط ويقول : والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله ولو ان الطير تخطفتنا والسباع من حول المدينة ، ولو ان الكلاب جرت بأرجل امهات المؤمنين لأجهزن جيش أسامة . . وتنبت فتنة الردة ويغضب الصديق غضبته ، ويقابل الفتنة من بدايتها الى نهايتها بما يتطلبه الموقف من اليقظة والسرعة وقوة البت والتنفيذ ويقول « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا لقاتلتهم عليه » ولولا حسم أبي بكر لتغير وجه التاريخ قال أبو رجاء البصري : دخلت المدينة فرأيت الناس مجتمعين ، ورأيت رجلا يقبل رأس رجل ، ويقول له : انا فداؤك ولولاك لهلكنا ، قلت : من هذان . قالوا عمر يقبل رأس أبي بكر في قتال اهل الردة اذ منعوا الزكاة حتى اتوا بها صاغرين .

ان النجاح في القضايا المصيرية يتوقف على الحسم والسرعة والمبادرة ؛ فليس يكسب المعركة القائد الذي لا يقدم الا اذا كان واثقا من نصره ، مائة في المائة وليس يكسب المعركة القائد الذي لا يريد أن يضحي بشيء من جنوده ؛ والعربي المجرب عبر عن هذا بمثله السائر « من مأمنه يؤتى الحذر » ، والله جل شأنه يقول لرسوله الكريم : « فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين » .

مدير ادارة الدعوة والارشاد
رضوان البيلي

١

فكرة الخير والشر

للدكتور/محمد محمود قاسم

لقد عالج المفكرون الاسلاميون فكرة الخير والشر بصور مختلفة ، وربطوا بينها وبين القضاء والقدر ومشيئة الله المطلقة . والخلاف فى هذه المسائل بين اكبر طائفتين من علماء المسلمين ونعنى بهما المعتزلة والاشعرية اشهر من أن يشار اليه . وقد سبق ان عرضنا لهذا الخلاف فى دراسات سابقة (١) ، مما يعفينا من تكرار انفسنا ، اذ من الافضل ان نعرض وجهة نظر جديدة ربما كانت اكثر خصوبة على المستويين الفلسفى والدينى . ونعنى بذلك وجهة نظر محيى الدين بن عربى الذى خصص لهذه المســالة جانبا كبيرا من عنايته وتفكيره . ونسارع الى القول بانه عالج موضوع الخير والشر من الناحيتين الميتافيزيقية والدينية وما يترتب على ذلك بالنسبة الى كل من السلوك الانسانى فى الحياة ومسألة الثواب والعقاب .

وقد يبدو . فى النظرة الاولى . أن هنـــاك تفاوتا فى تفكيره فى هـــذين المستويين . لكن يجب أن نقرر أن النظرة الموضوعية كشفت لنا عن أن فكرة واحدة تسرى فى كل ما كتبه فى هذا الموضوع . ويمكن تلخيص هذه الفكرة فى أنه كان يؤمن بأن أعمال الله كلها خير . وأن الشر لا يظهر فى العالم الا بسبب

تركيب الكائنات واستعدادها لقبول هذا الخير الالهى بدرجات متفاوتة ، بـــل هو أمر عارض بسبب وجود هذا العالم مما يوحى الى ابن عربى أن الخير هو الاصل ، وان رحمة الله ستعم الجميع فى نهاية الامر ، اشقياء كانوا أم سعداء وسنرى أن هذه الفكرة التى يعرضها هنا فكرة ملحة لديه ، وربما يرجع الحاحها عليه الى انه كان من هؤلاء الذين يسلكون ، فى أرشاد الآخرين ، مسلك الترغيب، انهما منهجان مختلفان . ونعتقد أن لكل منهج منهما أنصاره ، نظرا لاختـــلاف طبائع الناس وأمزجتهم ، وعاظا كانوا أم موعوظين . أما من جانبنا فانا نفضل أن نعرض وجهة نظر ابن عربى بأمانة وموضوعية تاركين لغيرنا الحكم له او عليـــــه .

* * * * *

النظرة الميتافيزيقية :

ان هذا المتصوف يقرر لنا أن المحققين من العلمـــاء المتقدمين والمتأخرين يقولون بأن الوجود هو الخير المحض ، وأن العدم هو الشر المحض . وأن تلك حقيقة لم يدركها بعض الناس بسبب ما يكتنفها من غموض . ثم يقص علينا أن بعض سفراء الحق ، ويعنى به خاطرا من خواطره قال له : ان الخير فى الوجود وان الشر فى العدم ، وكان ذلك ، كما يقول هو ، فى حديث طويل علم منه أن الله له الوجود المطلق من غير تقييد . فهو اذن الخير المحض الذى لا شر فيه وان هذا الوجود المطلق يقابله العدم المطلق ، وهو الشر المحض الذى لا خير فيه . لكن لما كان العدم المطلق لا وجود له ، فليس هناك شر محض . (٢) لكن هناك نوعا آخر من العدم وهو ما يطلق عليه ابن عربى العدم الاضافى أو النسبى ويريد به كائنات هذا العالم عندما كانت مجرد ممكنات فى العلم الالهى ، قبل أن تخرج الى حيز الوجود . وانما سماها بالعدم الاضافى لان الوجـــود الذى تكتسبه ، فيما بعد ، ليس أصيلا فيها . بل هو وجود عارض أو معار ، فهى تخرج من عالم الغيب الى عالم الشهادة ، ثم تعود الى العالم الذى يسميه أيضا بخزائن الجود الالهى . فاذا نحن سلمنا بوجود هذا العدم النسبى أو الاضافى أمكن أن نسلم بوجود الشر النسبى فى كائنات هذا العالم عندما أكتست بحلة الوجود . لكنه شر عارض وليس أصيلا فيها على نحو ما سنفصل القول فى ذلك

وانما كان الله هو الخير المحض فى نظر ابن عربى لان الله قد وصـــف نفسه بأنه نور السموات والارض . فهو الخير المحض والوجود المحض لأن « الوجود نور والعدم ظلمة فالشر عدم » (٣) ، ومن ثم يجب أن يوصف العالم الذى خرج الى نور الوجود بأنه خير ، ولو عرض فيه ما يوهم وجود الشر . واذا كان الله قد أعطى الوجود للعالم فليس من الممكن أن يحتوى هذا العالم على شر أصيل فيه ، بل أنه ما ظهر عن الله الا بصورة ما هو الامر عليه ، وما فى الاصل شر ، لكن اذا قلنـــا بوجـــود هـــذا الشر العارض فى الكـــــون فالـــى من ننسبه ؟ أننسبه الى العالم أم ننسبه الى الله ؟ إنه لا يمكن أن ننسبه الى الوجود المحض . كذلك لا يمكن أن ننسبه الى العالم ، ما دام فى قبضة الله ، وهو الخير المحض التام (٤) . فلم يبق الا أن ننسبه الى طبيعة الكائنات الممكنة التى وإن خرجت الى الوجود ، فلا بد أن يدركها العدم الذى يترقبها . فبقدر ما تنطوى عليه من عنصر العدم ينسب الشر اليها . أما الوجود الدائم فهو خير كله . لكن ما دامت

هذه الكائنات موجودة بالفعل فان الشر الذى تنطوى عليه ليس الا شرا عارضا « ونحن فى الخير ، وان مرضنا فانا نصح . فان الاصل جابر ، وهو النور » (٥).

واذا كان الامر كذلك ، فيمكن القول ، تبعا لوجهة نظر ابن عربى ، بان هذا العالم الذى خلق من أجل الخير ، لا من اجل الشر ، قد خلق لتحقيق السعادة فاذا وقع الشر لبعض الكائنات فقد وقع بحكم العرض ولحكمة الهية « لان الخير المحض الذى لا شر فيه ، وهو وجود الحق الذى أعطى الوجود للعالم ، لايصدر عنه الا المناسب وهو الخير خاصة . فلهذا كان للعالم الخير بالذات » غير انه من الواجب أن نفرق دائما بين الله والعالم . ذلك أن الله غنى عن العالم ، والعالم مفتقر اليه دائما فى وجوده ، أن الله يوجد لذاته فهو الوجود المحض فكيف للعالم الذى يقبل الوجود والعدم أن يكون فى مرتبة خالقه ؟ والشىء الذى يقبل الوجود والعدم هو الشىء الممكن وهو الذى يعرض له أن يظهر فيه الشر لان امكانه لا يحول بينه وبين العدم . فبهذا القدر ظهر الشر فى العالم . فما ظهر الا من جهة الممكن لا من جانب الحق (٦) . فالخير كله من الله ، اما ما يبدو فى مظهر الشر فهو من جانب المخلوق .

اننا نصف الاشياء عادة لانها لا تتلاءم مع اهوائنا أو مصالحنا الخاصة ، فنجعل انفسنا مقياسا لتحديد طبيعة الخير والشر فيها . أما فى حقيقة الامر فان للعالم خيره الذاتى . وهنا نجد ابن عربى يعلل فكرته هذه على ضوء ما جاء فى القرآن من الاستدلال على وجود الله بوجود العالم . فان الدليل ، وهو العالم ، يكتسب صفة الخير من المدلول عليه ، أى من الله . ولما كان الدليل يشرف بشرف المدلول ، والعالم دليل على وجود الله ، فالعالم شريف كله . فلا يحتقر شىء منه ولا يستهان به . هذا اذا اخذنا من جهة النظر الفكرى . وهو فى القرآن « أفلا ينظرون الى السماء كيف رفعت ، والى الجبال كيف نصبت . . . » وكقوله « أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والارض » وقوله « ان فى خلق السموات والارض . . الآية » وكقوله « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق » وأمثال هذه الآيات . وأما عند أهل الكشف والوجود فكل جزء فى العالم أوجده الله لابد أن يكون مستندا الى حقيقة الهية . فمن حقره أو استهان به حقره خالقه واستهان به . . . . وكل ما فى الوجود فانه حكمة أوجدها الله ، لانها صنعة حكيم فلا يظهر الا ما ينبغى كما ينبغى . فمن عمى عن حكمة الاشياء فقد جهل ذلك الشىء . ومن جهل كون ذلك الامر حكمة فقد جهل الحكيم الواضع له ، ولا شىء أقبح من الجهل (٧) وقد يعترض بعضهم فيقول لابن عربى : انك تصف كل شىء يوجد فى العالم بانه خير وحسن ، ثم نراك تحكم بقبح الجهل ، والجهل كأى شىء آخر لا بد أن يستند الى حقيقة الهية ، ويجيب ابن عربى : ان الجهل ليس شيئا وجوديا ، وانما هو مجرد علاقة أو نسبة : فالجهل انما هو عبارة عن عدم العلم لا غير . فليس بأمر وجودى . والعدم هو الشر . والشر قبيح لنفسه حيثما فرضته ولهذا ورد فى الحديث الصحيح : والخير كله بيديك والشر ليس اليك . فما نسب الشر اليه . فلو كان الشر امرا وجوديا لكان ايجاده الى الله ، اذ لا فاعل الا الله . فالوجود كله خير ، لانه عن الخير المحض وهو الله تعالى . أما العالم فليس وجودا على الحقيقة لانه مفتقر الى الله دائما ، ولذلك نرى ابن عربى يصفه أحيانا بانه ظل الوجود المحض .

اذن ليس الشر الذى قد يعرض للمخلوقات شرا فى ذاته من حيث ان الله اوجده ، ولكنه يبدو شرا فى نظر المخلوق الذى يجد انه لا يناسبه « فمن حيث وجود عينه هو الى الله ، ومن حيث كونه شرا ليس الى الله » فالمؤمن هو الذى ينفى ما نفاه الرسول عن ربه عندما قال : والشر ليس اليك . (٨) واذن لا ينسب الى الله الشر المحض ، وهو العدم المطلق ، كما لا ينسب اليه الشر العارض أو المقيد بالكائنات التى يحتوى عليها العالم . فان ذلك كله ينبغى الا يضاف الى الله ادبا وحقيقة . (٩) ومن ادب الانبياء أنهم ينسبون كل خلق حسن منهم الى الله ، وينسبون كل سوء الى أنفسهم . « فهم يطلبون طريقا لا يشاركهم فيها من ليس من جنسهم ولا مقامهم . فلا يزاحمون أحدا فى شىء مما يتحققون به فى نفوسهم . . . من الأخلاق الالهية ، فيكونون مع تحققهم بمعانيها وانطباق أحكامها على ظواهرهم ، من الرحمة بالعباد والتلطف بهم والاحسان اليهم ، والتوكل على الله . . . ويظهرون فى العالم أن جميع ما يجرى عليهم ان ذلك فعل الله ، لا فعلهم ، وبيد الله لا بيديهم . . . فيبرءون من أفعالهم الحسنة غاية التبرى . وينسبون ما يعد شرا الى أنفسهم لا الى الله ، كما فعل الخضر عندما نسب خرق السفينة الى نفسه لا الى ربه » (١٠) .

ويصف ابن عربى هذه المسألة — ويريد بها نسبة الخير الى الله ونسبة الشر الى المخلوق — بأنها من أغمض المسائل الالهية . لقد اعتمد اهل التفكير النظرى ، من أشاعرة ومعتزلة ، فى تحديد وجهة نظرهم فيها ، على ما هداهم اليه دليلهم النظرى . أما أصحاب الكشف الصوفى فهم الذين يقول عنهم : انه قد غلب عليهم فهم مقاصد الشرع فتابعوه « وذلك بركة الورع والاحترام الذى احترموا به الجانب الالهى ، حقيقة لا مجازا » ولذا فان أدبهم مع الله ، الذى ورثوه عن الانبياء ، هو الذى أرشدهم الى فهم حقيقة ما جاء فى الكتب السماوية على السنة الرسل مما لا تستقل العقول بادراكه وما تستقل ، لكن أخذوه عن الله لا عن نظرهم ، وهم أهل الورع الذين جعلوا شعارهم قول الرسول : دع ما يريبك الى ما لا يريبك ، وقوله : استفت قلبك ولو أفتاك المفتون ، فاحالهم على قلوبهم « ففى القلوب عصمة الهية لا يشعر بها الا أهل المراقبة » (١١) .

ويفسر لنا هذا المتصوف كيف فهم مقصد الشرع فى هذه المسألة الغامضة عند حديثه عن أدب الرسول الذى كان يحمد الله على السراء والضراء ، فيقول فى هذا الموطن ان الرسول كان بشرا ، وكان يحس بالالم الحسى والنفسى ، كما كان يحس باللذات الحسية والمعنوية ، لكنه كان يحمد الله على كل حال . ذلك أن ما يعرض فى العالم من أحوال وشئون لا يؤثر تأثيرا واحدا فى البشر ، بل يختلف باختلاف قبولهم له . فان ما يتضرر به أحدهم قد يكون نفعا لغيره . فالعلة اذن فى الاشخاص . ذلك أن الامر الاتى من الله واحد العين لا انقسام فيه ، فينقسم أمره فينا ويتعدد . إنه لا يصدر عن الخير الا الخير ، والخير وجود كله والشر عدم كله . أما ما نعده نحن شرا فليس له ، فى رأى ابن عربى ، حقيقة موضوعية ، وليس قولنا انه شر الا حكما من جانبنا ، والاحكام امور نسبية تختلف باختلاف الاشخاص . فما فى الوجود الا الخير وان تنوعت صوره فظهر فى بعض الاحيان لبعض الناس فى مظهر الشر (١٢) ولو كان للشر وجود حقيقى لكان بيد الحق فان بيده ملكوت كل شىء وهو خالق كل شىء (١٣) واذن

فما من امر يعرض فى هذا العالم الا وأمكن أن يكون مصدر لذة أو الم بالنسبة الى الناس . لكن يجب ان يحمد المرء خالقه ، على كل حال ، سواء أصابه الخير ام اصاب غيره بدلا منه . فمن وجد خيرا حمد الله حمد السراء ، ومن وجد سوءا حمد الله حمد الضراء . وهذا افضل من الضجر والسخط ، بل هذا نوع من الفضل الالهى على من الهمه الله ان يحمده على الضراء أيضا ، فيزيده الله فضلا بأن يزيل الضراء عنه « وهذا معنى دقيق مندرج فى الحمد لله على كل حال انه مساو لحمد السراء » .. وهذا من جوامع الكلم التى اوتيها رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٤) ثم يوضح لنا ابن عربى هذا المعنى الدقيق ، فيقول:إن الضراء التى يقابلها العبد بالحمد تنطوى ، دون ريب ، على شىء من السراء ، ولولا ذلك لما كان الحمد فى حالة الضراء ثناء على الله وهو من الخير « والحمد ثناء بلا شك فى نفس الامر . فما فى العالم ضر لا يكون مشوبا برحمة » .

• • • • •

لكن كيف عرض للعالم أن توجد فيه ضروب من الشر ، دون أن تنسب هذه الشرور الى الخالق ؟ ان مصدر هذا الشر العارض فى العالم يرجع الى طريقة تركيبه . فاذا كان العالم الالهى أو عالم الامر خيرا محضا لا شر فيه . فان عالم الخلق هو عالم الاشياء التى تتركب من عناصر مختلفة ومتنافرة . فضروب التركيب بين هذه العناصر هى التى تؤدى الى ظهور الشر (١٥) . ولهذا السبب سألت الملائكة ربها كيف يخلق فى الارض خليفة يكون سببا فى سفك الدماء وفى الفساد ، نظرا لأنه مؤلف من عناصر متنافرة « والتنافر نزاع ، والنزاع يؤدى الى الفساد » غير ان الله قضى بأن يخلق آدم لأن ما سيترتب على خلقه من شر يدخل فى نطاق ما قررته الحكمة الالهية من صلاح العالم بوجوده ، اذ يوجد خير كثير فى خلق الانسان الى جانب ما يترتب على وجوده من شرور (١٦) فالخير فيه من روح الله الذى يجب الاعتصام به من شرور عالم الخلق . والشرور كلها تنسب الى عالم الخلق . أما الخير فينسب كله الى عالم الامر . فالارادة السابقة لله تريد تحقيق الخير . وهناك إرادات لاحقة سمحت بوجود الشر العارض القليل الى جانب الخير الاصيل الكثير حتى يصلح هذا العالم . وهذه الارادات اللاحقة تنسق مع ما قدره الله من تركيب الكائنات من عناصر متنافرة (١٧) فالله قد أعطى الوجود للكائنات أولا « وهو الخير الخالص ثم لم يزل يعطى ما يستحقه الوجود مما به قوامه وصلاحه ، كان ما كان . . . فما ثم الا الخير سواء سر ام اساء ، وهذا السرور أو النعيم هو المطلوب . لكنه قد لا يتحقق الا بعد الاساءة لما يقتضيه مزاج التركيب » .

فالشر اذن وليد طبيعة الممكنات التى يجود عليها الله بعطائه ، لكنه شر عارض فى الوجود « وكل عارض زائل » وقد سمى الله نفسه باسم المعطى والنافع والضار لكن عطاءه كله نفع . ومع ذلك فان بعض الكائنات قد تتضرر بسبب هذا الجود أو العطاء الالهى « فيتضرر به ولا يعلم ما فيه من النفع الالهى فيسميه ضارا « وهو يجهل أن ذلك لايرجع الى طبيعة العطاء الالهى بل يرجع الى طبيعة تركيب من يتقبل هذا العطاء . وهذا أمر تشهد به التجربة فان بعض الاشياء التى تعود بالنفع على بعض الامزجة قد تكون ضارة لأمزجة أخرى فالممكنات هى التى تحدد بسبب تركيبها طبيعة الخير والشر . أما عطاء الله فكله خير « فما ثم من الله

الا الخير المحض كله . فمن اتساع رحمته أنها وسعت الضرر . . . فالضرر فـي الرحمة ما هو ضرر ، وانما هو خير » فالنعيم أو الشقاء انما يرجع اذن الى طبيعة الكائن الذى يتقبل العطاء الالهى أو يرفضه . مثال ذلك أن الحر والبرد ما جـاء كلاهما الا لتحقيق مصالح العالم . فهما ضروريان للنبات الذى يحتاج اليه البشر . ومع ذلك فانا نجد من يتأذى من البرد أو من الحر . ولكنه لو راجع نفسه لعلم أن ما يتضرر منه شرط فى تحقيق ما يعود عليه بالنفع (١٨) . فالانسان هو الذى يرى الخير فيما يوافقه ويرى الشر فيما لا يوافقه ، فى حين أن افعال الله كلها خيـر « بالريح كان النصر والدمار . فاختلفت الآثار ، والعين واحدة صالحة فاسدة ، تطفى السراج وتشعل النار ، والهبوب واحد من عين واحدة » .

. . . . .

لكن قد يتساءل المرء : ولماذا اختلفت طبائع الكائنات فى هذا العالم ممـا يؤدى الى ظهور الشر أو النقص فيه ؟ وله أن يقول ايضا : اذا كان العالم خيرا فى ذاته وليس الشر فيه الا ظاهرة عارضة أفلم يكن من الخير الا يحتوى على هـذا الشر العارض ؟ واذا لم يكن بد من الشر أفلم يكن من الخير الا يخلق هذا العالم اطلاقا ؟ وتلك هى الحجة التى يعتمد عليها أهل الالحاد عادة ، اذ يرون أن العالم ملىء بالشرور . ولو كان هناك اله خير لجرد هذا العالم من الشـر حتى تتحقـق السعادة للبشر جميعا . ويجيب محيى الدين بن عربى هنا بأن ما يراه الناس مـن سعادة أو شقاء ومن عافية أو بلاء انما هو من تأثير الاسماء الالهية فى العالم . فالله له أسماؤه العديدة التى لا يمكن أن تكون راكدة أو معطلة فهو « يسمى بالمبلى والمعذب والمنعم » وكل انسان فى هذا العالم يقبل تأثير هذه الاسماء المتضادة . فمن الجائز أن يكون شقيا أو سعيدا ، وهذا المزيج من الشقاء والسعادة أو من العافية والبلاء من سر القضاء والقدر الذى فيه صلاح العالم (١٩) . « فالعالم كله ممكن ، قابل لأحد الحكمين أعنى الضدين » من سعادة أو شقاء . لكن هذا لا يمنع ايضا ، حسب قواعد المنطق ، من أن ينتفى عنه احد الضدين فى الحياة الأخـرى فتعم السعادة والرحمة جميع البشر . وسنرى تفصيل رأى ابن عربى فى هـذه المسألة فيما بعد .

ويبقى بعد ذلك ان اخراج الكائنات من حالة الامكان أو حالة العدم النسبـى أو الاضافى انما هو من صميم الخير ، اذ تخرج من شر العدم الى الوجود وهـو خير محض لا شر فيه . وانما يعرض هذا الشر لتلك الكائنات بسبب العدم الذى يترقبها فى نهاية الطريق . ذلك انها لا توجد فى العالم الا الى اجل مسمى . وذلك هو ما تكشف عنه التجربة الانسانية بحسب الواقع . فان المرء اذا فكر فى نفسه وكان سويا فلا بد له من أن يشعر بنعمة الوجود . لكن هذا النعيم ليس خالصا لأنه يشعر فى أعماق نفسه أنه كائن عابر ، وانه لم يكن شيئا قبل وجوده الحالى . ولما كان الموت ينتظره فى نهاية طريقه فانه يشعر بالالم والضيق . ان هذا الشر الذى قد ينغص عليه حياته هو أن يدرك أنه كائن عابر فى هذه الحياة .

ومع ذلك فكثير من الناس ينسون الموت فلا يشعرون بهذا الضيق فى أثناء الحياة حتى يفاجئهم الموت ، مما يقوم دليلا واقعيا على أن الوجود فى مختلف مستوياته

سواء كان وجودا سعيدا أم شقيا ، هو من صميم الخير . كذلك تشهد التجربة العادية أن أكثر الناس يفضلون الحياة بما فيها من شرور وكوارث على المـوت ، وما أظن أن شاعرا متبرما بالحياة ، ومتشائما فيها تشاؤم أبى العلاء المعرى لم يشعر بضرب من النعيم والسعادة عندما أفاض فى ذم هذه الحياة والتنكر لها . وان مجرد الحرص على الحياة دليل على ان المرء سعيد بها رغـم لعناتـه التى يصبها عليها . فهو سعيد ما دام هذا الوجود يصحبه ، وهو لا يتألم أو يشقى أو يشعر الا اذا فكر فى العدم الذى سبق هذا الوجود (٢٠) والله لم يخرج العالم بأسره من العدم الذى هو شر الا الى الخير الذى أراده له. وليس هذا الخير سوى الوجود . ويمكن القول بأن العالم قد وجد من أجل الخير أصلا . أما اذا عرض له الشر فذلك راجع الى طبيعته ككائن ممكن . وكل ممكن له وجهان : وجه الـى الحق ووجه الى غير الحق ، فله وجه الى الحق من حيث هو موجود ، ووجه الى غير الحق من حيث يلحقه العدم (٢١) .

واذا ضاق بعض الناس بوجود ضروب من الشر أو النقص فى العالم فان ابن عربى سعيد بوجود هذا النقص لأنه يراه ضروريا لكمال العالم .

وانى لأهوى النقص من أجل من أهوى — لأن به كان الكمـال لمن يـدرى
وما جاء بالنقصـان الا مخافـة — من العين مثل البـدر فى آخر الشهر
وما نقص البدر الـذى تبصرونـه — ولكنـه بـدر لمـن غاص بالفكر
يـراه تمامـا كاملا فى ضيائـه — على أكمل الحالات فى البطن والظهر
فلو لم يكن فى الـكون نقص محقق — لكان الوجود الحق ينقص فى القـدر
فبـى كان للحق الوجـود كمالـه — مع النقص فانظر ما تضمنه شـعرى
غزال من الفردوس جـاء منقبـا — من أجلى، وما يخفى على الله ما يجرى
فقلت له أهـلا وسهـلا ومرحبـا — بمن،وحياة الحب،ضمه صدرى (٢٢)

ان العالم هو صنعة الرحمن . وكل ما يوجده الرحمن أو يصدر عنه لا بد من أن يحتوى على الرحمة . واذا انطوى بعض هذا العالم على ألوان من البـلاء أو القصص فذلك لرحمة فيه . ومن الضرورى أن يتجرع المرء هذه الغصص كمـا يتجرع الدواء النافع مع كراهيته له . فالدواء كريه ، لكن فيه رحمة لمن يتناوله . فباطنه فيه الرحمة ومن قبله العذاب (٢٣) . فما من باب يفتح من عند الله الا كان من أبواب الرحمة . وهناك نوعان من الرحمة : احداهما خالصة لا أثر للألم فيها . أما الأخرى فباطنة لأنها تحتوى على ألم عارض ثم تبـدو خالصـة آخر الأمر . « فالآلام عوارض واللذات ثوابت . وكل شىء وله حكمته لأن الله عزيز حكيم يضع الأمور مواضعها وينزلها منازلها (٢٤) » .

ان الأحوال التى تطرأ على العالم يمكن أن توصف بأنها صلاح أو فسـاد له . « ولكن فى نفس الأمر لا يصح أن يعرض للعالم فساد ولا صلاح فيه . فانه يكون خلاف ما أريد له وجوده . وأما صلاح لا فساد فيه فهو الواقع المراد لصانع العالم . فانه لذلك خلق العالم » . .

لو لــــم يكــن فى الوجــود نقص | لــزال عــن رتبــة الكمـــــــال
لكنــــــه ناقص فابــــــــدى | كمالـــــــه فيــه ذو الجـــلال
فكــل صنــــع مـــن كل خلـــــق | لـم يخلـــه اللــه مـــن جمــــال

ان بعض الناس يؤكدون أن العالم يحتوى على ضروب من النقص الحقيقية وانه ليس افضل عالم ممكن . ولو لم يوجد أمثال هؤلاء الذين يصدرون مثل هذا الحكم لكان الوجود ناقصا . فمن كمال العالم ان يوجد فيه هؤلاء الذين يصفونـــه بالنقص والاضطراب .



---

(١) انظر كتابنا دراسات فى الفلسفة الاسلامية الطبعة الثالثة دار المعارف ، ومناهج الادلة فى عقائد الملة الانجلو المصرية ١٩٦٩ ، وابن رشد وفلسفته الدينية ١٩٦٩ .

(٢) الفتوحــات المكيــة مجلــد ١ ص ٤٦ و ٤٧ ، ٦٥٦/١ .

(٣) فتوحــات ٤٨٦/٢ .

(٤) فتوحــات ٣١٥/٣ .

(٥) فتوحــات ٤٨٦/٢ .

(٦) فتوحــات ٣٨٩/٣ .

(٧) فتوحــات ٢٥٨/٣ .

(٨) فتوحــات الباب ٤١٣ .

(٩) فتوحــات ٤٢٠/١ .

(١٠) فتوحــات ١ /٢٤٥ .

(١١) فتوحــات ٢٤٦/١ .

(١٢) فتوحــات ٣٧٢/٣ .

(١٣) فتوحــات ٣٦٩/٣ .

(١٤) فتوحــات الباب ٤٦٨ .

(١٥) توجد هذه الفكرة عند « ليبنتس » .

(١٦) يرى « ليبنتس » أن جميع الشرور فى العالم تدخل فى الخطة الالهية الخيرة لخلق العالم .

(١٧) فتوحــات ٥٧٥/٢ . وتوجد هذه الفكرة ايضا عند ليبنتس .

(١٨) فتوحــات ٢٥٧/٣ .

(١٩) فتوحــات ٣٦٣/١ .

(٢٠) فتوحــات ٢٠٨/٣ .

(٢١) فتوحــات ٣٧٧/٣ .

(٢٢) فتوحــات ٣٦٠/٢ .

(٢٣) فتوحــات ٥٦٤/٢ — ٥٦٥ .

(٢٤) فتوحــات ٢٠٧/٢ .

طريق الإيمان

للاستاذ : امين شنار

نظرة في الواقع :

تعالوا نتصور جماعه من الناس وجدوا انفسهم في بيت لا يعرفون كيف دخلوه ، ولا من أين جاءوا اليه ، ولا ماذا يريدون منه ، ولا ماذا يراد بهم فيه ، بل هم لا يذكرون شيئا من حياتهم قبله . نحن ، إذا ، أمام حالة من حالات فقد الذاكرة المطلق . ماذا ترى يكون من أمرهم هناك .. ؟

انهم يملكون الحواس التي تمكنهم من اكتشاف البيت ، ومعرفة ما فيه وما يحيط به ، ويملكون العقل الذي يستطيع ان يفسر ما تنقله اليه الحواس فيخطىء أو يصيب ، بما له من خاصية التفكير المقيد المحدود ، وفيهم جوعات تلح عليهم بطلب الاشباع ..

لكن ذاكرتهم المعطلة تظل جاثمة عليهم كالكابوس ، من نحن ؟ ولماذا نحن هنا ؟ والى اين .. ؟

منهم من يلقي بنفسه — ابتداء — في ضجيج جوعاته ، ويسخر حواسه وعقله لاشباع هذه الجوعات ، فيتوارى بذلك عن السؤال ولو خداعا والى حين ..

ومنهم من يحاول بحواسه الظاهرة أن يتصدى للجواب ، فلا يخرج عما تمنحه اياه تلك الحواس مما تملك ان تقرر لاول وهلة : « أنا هنا لانني موجود هنا . مخلوق هنا . وعلي أن أتدبر شؤوني ، وأحيا » . وعندما يكتشف انه في مواجهة السؤال ما يزال ، يتشاغل عنه أيضا ، بالعيش .

ومنهم من يمده عقله بفكر هو نتاج حواسه الظاهرة التي طمس عليها ظلام الذاكرة ، فيسلمه هذا الفكر من دوار الى دوار ، يهدهد فيه

السؤال . ثم يخلص به فى خداع للنفس ، إلى أن السؤال ذاته وهم أو ترف ، فيصرخ مكابرا : ان هذا البيت ، هو عالمى الاول والاخير !

لكن الذاكرة المعطلة تظــل هى الكابوس ..

— ● —

وفى البيت تنشأ علاقات ، وتتعدد تجارب . وترتطم الرؤوس كلهـــا بالجدران المسدودة فتستيقظ ، شيئا فشيئا ، حواس خبيئـــة تلح فى السؤال : من أين ؟ والى اين ؟ .. ويكتشف القوم غربتهم عن المكان ، ويكتشف كل منهم غربته عن صاحبه .. فلكل عالمه الخاص . وسؤاله الخاص ، وموته الخاص . نعم .. فهم . كما جاءوا الى هذا البيت ، فيما يعرفون ، دون اختيار منهم ، يموتون ، كذلك دون اختيار . واحدا بعد واحد . يحمل كل سره الكبير .

وفى مثل انبجــاس المـــاء من الصخر ، فى مثل اشراقة فجر بعد ليل دامس ، تلوح لواحد منهم ، استيقظت حواسه الخبيئة ، ملامح مضيئة من الذاكرة المطموســة . تتخايل خجلى مثل بقع من النــور تهتز وراء شباك مغلق غارق فى الضباب .. والملامح لا تبين ، لكنها تغمـــغم : ((**انت جئت من مكان معين ، وفى أعماقك آثاره ، نقّب عنها تجــدها . وانت ذاهب الى مكان معين ، وفى اعماقك علاماته ، حدّق فيهـــا ترها . وحواســـك وطاقاتك محشودة كلها لرحلة مقررة، وانت هنا فى مهمة معينة ، ولغاية معينة ، وليس هذا البيت الذى انت فيه الا محطة على الطريق !**)) .

ويبوح هذا الواحد لرفاق الطريق بما يرى . فيفكرون : لماذا هو رأى ما لم يروا ؟ ثم .. ماذا يريد ؟ هل كل ما يفعـــلونه فى البيت وهم والحقيقة غير ذاك ؟ هل يبدأون من جديد بعد عناء تاريخ طويل ؟ وكل ما أقاموه من علاقات .. هل يهدمونه ؟ وأية علاقات جديدة يقيمون ، لتكون جسرا بين عالمين من خيال يراهما هذا الدعىّ وحده دون سواه ؟؟

ويكذبونه .. ويمضون فى تجاربهم بين الجدران : جدران المـــكان ، وجدران الزمان ، وجدران العقل ، وجدران الحواس . واذا مات منهم أحد فالى ظلمة مطبقة يمضى ؟ أما كان يعيش ، كذلك ، فى ظلمـــة مطبقة ؟ ليس ، ثمت ، الا الظلام ! ليكن ! فهو ظلام استساغته الحواس وقد عاشت عمرا طويلا .. !

وصاحب (النبوءة) ماذا يفعل ؟ ان الحقيقة لتلوح له فعلا ، ولكن ضبابية من وراء زجاج غائم ثقيل . ذاكرته تصحو رويدا رويدا ، توقظها حواسه الخبيئة ، ولكن مثقلة بنعاس فظيع ، يهدد بالاســـتغراق فى نوم آخر طويل . فهل تراه يعود ، ومعه (النبوءة) الى القطيع ؟ أم تـــراه يعيش ، وحــــده ، فى غربة عن الجميع .. ؟

وفى كل واحد منهم ، يلوح ، بين الحين والحين ، من ظلمات الذاكرة ، ضياء ، يجعل لعيشه معنى ، لو هو أدركه بجلاء ، ليعرف الصلة بين أمس وغد ، لكنهم جميعا يتفقون بصمت ، على الصمت ، كى يستمر عيشـــهم المريح بلا وزر ينقض الظهر ، ولا تبعات جسام ، وعلى المهمة الكبيرة التى تلوح لهم خيـــوطها فى غبش الليل ، السلام .. !

لكن أحلامهم ما تنفك تلون لهـــم أشياء وأشياء ، كأنما هى تســـخر منهم ، وتجسد لهم هذا التيهالذى فيه يعيشون .. ويرفضـــونها ! .. وموتهم اليومى يترصدهم ويومىء الى غد لهم مجهول .. أيرفضـــونه ؟ أيهزمونه ؟ وكيف ؟ بانهماك فى العيش

ينسى الانسان نفسه ومبتدأه ومنتهاه .. ؟؟

وينقسمون ، بعد طول مطاف ، فريقين : واحدا يعيش فى جماعية طاغية ، ترى استمرار الحياة للجماعة ، ولا تريد أن ترى موت الافراد .. وترى علاقات الانسان بالاشياء ، ولا تريد أن ترى علاقته بذاته وبحياته وبموته . والآخر يترك لأفراده العاديين البسطاء أن يذهبوا فى متاهات الفكر والعيش كما يشاءون ، ويتسلط عليهم بالقوة المادية التى يمثلها فيه أفراد أقوياء يذلون القطيع اللاهى باشباع جوعاته الوحشية تحت عناوين شتى ، ويستهوونه كل يوم بجديد ، يضمن لهم السيطرة والسيادة .

وبين الفريقين فريق ثالث ، تائه ، غامض التركيب ، غير محدد المعالم ، تختلط خيوط النور فى ذاكرة افراده بخيوط الظلام ، فهم لا يقوون على أن يعيشوا النور الذى يكتنزون ، لأن الظلام فيهم أقوى ، وعجلة الحياة تسوقهم وراء الاقوياء الآخرين ، وغربتهم تطحنهم : غربتهم عن أنفسهم ، وغربتهم عن البيت ، فلا يستطيعون أن يكونوا شيئا أى شىء ، لا فى أنفسهم ولا فى البيت . ولا يملكون الا الصراخ ، كلما عربدت فيهم مأساتهم : انهم وحدهم يعرفون .. ! لكنه صراخ عاجز مسكين اشبه بالهذيان .

ويظل البيت كله نهبا ممزقا للعزلة والشك ، يتعلل بالعبث ، ويرتطم بالجدران ، فى دهاليز اليأس ، فى هروب يتجدد ، مع كل مساء ، بين انياب الذاكرة المطموسة المعطلة ..

ولكن .. الى متى .. ؟

الطريق الى الحقيقة :

ضربنا هذا مثلا للانسان المعاصر ، فى عالمه المعاصر ..

هذا الانسان الذى يعيش كما لو كان هو كل شىء ، وكما لو كانت حياته هذه ، فى دنياه هذه ، هى أول المطاف ، وهى خاتمة المطاف .

هذا الانسان الذى يدوخه فى ظلمات نفسه سؤاله العتيق عما قبل ، وعما بعد ، ولكنه فى زحمة الايام ، وتحت وطأة الهموم ، يعتبر هذا السؤال نفسه ضربا من الترف ، أو من الهذيان ..

فمن لهذا الضائع يزيح الغشاوة عن عينيه ؟ من له يحطم الاقفال عن قلبه ؟ من له يزيح الصدأ المتراكم عن روحه ؟ من له يجلو ذاكرته المطموسة ، ويفجر منها ينابيع الاشراق : تروى عقله ، وتهدى حواسه ، وتفرش له طريقه نورا يتخطى به الموت ، على بصيرة ، الى الخلود .. ؟

ما العقبة الحقيقية فى وجه ذلك كله ؟ : هل هى الحواس ؟ أم العقل ؟

بل ما السبيل الى ذلك كله : الحواس ؟ أم العقل ؟ أم طاقة معطلة فى الانسان ، هى فوق الحواس ، وفوق العقل .. ؟



الحواس ؟ ماذا تقول الحواس ؟ هل تراها تتذكر لو سئلت :

ـ « فلينظر الانسان مم خلق ؟ » « الم نخلقكم من ماء مهين . فجعلناه فى قرار مكين . الى قدر معلوم ؟ » « فلينظر الانسان الى طعامه » « الم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة ؟ » « الم تر أن الله سخر لكم ما فى الارض ، والفلك تجرى فى البحر بأمره ، ويمسك السماء أن تقع على الأرض الا باذنه ؟ » .

العقل ؟ ماذا لو دعى العقل الى النظر بطريقة تفكيره العلمية المعاصرة ، الى كل ما فى الارض ثم

الى ما فى السماء . هل تراه يتذكر ؟
— « أفلا ينظرون الى الإبل كيف خلقت ؟ والى السماء كيف رفعت ؟ والى الجبال كيف نصبت ؟ والى الأرض كيف سطحت ؟ » « أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض ؟ » « أفلم ينظروا الى السماء فوقهم ؟ » « قل أنظروا ماذا فى السموات والارض ؟ » « قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ! » « ان استطعتم ان تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا ! » .

واذا بدأ العقل النظر ، مستنفرا طاقاته كلها : ما ادخر فيه ، وما اكتسبه ، ثم اذا وضع نتائج تفكيره العلمى موضع البحث العقلى المجرد : الا يصل — بالضرورة — الى أن الانسان والكون والحياة مخلوقة كلها لخالق خلقها ونظمها ؟ ان النداء يأتيه ، يلاحق تفكيره ، يقرر له نتائج بحثه سلفا ، لعله يتذكر :

— « أفرأيتم ما تمنون ؟ أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ؟ » .

« يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث » .

« أم خلقوا من غير شىء ؟ أم هم الخالقون ؟ » .

« وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب ، صنع الله الذى اتقن كل شىء » .

« وما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت » . « وانبتنا فيها من كل شىء موزون » .

« ومن كل شىء خلقنا زوجين » .

« انا كل شىء خلقناه بقدر » .

« وأرسلنا الرياح لواقح » « لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم » .

« أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما ؟ » .

« ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له » .

« ان الله فالق الحب والنوى » .

ويصل العقل بعد طول مطاف . بما تهديه اليه الحواس ، وما يقوده اليه البحث ، الى الحق الذى يضمحل بجانبه الشك ، ثم يزول الانكار :

— « أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ؟ » .

« أفمن يخلق كمن لا يخلق ؟ افلا تذكرون ؟ » .

« قال : ربنا الذى اعطى كل شىء خلقه ثم هدى » .

« لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » .

« أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم ؟ » .

« أفى الله شك فاطر السموات والارض ؟ » .

« ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شىء فاعبدوه » .

« ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله » .

لكن المطلوب ، لكى تشرق الذاكرة المظلمة ، ليس مجرد الاعتراف بأن للكون والانسان والحياة خالقا .. فذلك ما تؤدى اليه ضرورة العقل ، وما تشهد به الحواس بداهة ، وما تقر به الفطرة دون معاناة .. وقد يظل الانسان — رغم هذا الاعتراف — سجين ذاكرته المظلمة .. ان المطلوب هو حسن ادراك الصلة بهذا الخالق ، وعبادته ، واتخاذه إلها واحدا صمدا ، والاقرار بألوهيته فى الفكر وفى العمل ومع الانفاس ، والاذعان له فى كل أمر ، فالانسان — أراد أم لم يرد — مسوق الى خالقه كما بدأ منه . والخلق ما كان عبثا ، انما هو لأمر عظيم حقا :

— « يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه » .

« وما خلقنا السماء والأرض

وما بينهما باطلا » .

« أفغير دين الله يبغـــون وله اسلم من فى السموات والارض »

« وهو الذى خلق الســـموات والأرض بالحق » .

« أولم يروا أن الله الذى خلــق السموات والارض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى » .

« ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة » .

« الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم » .

« أفحسبتم انما خلقناكم عبثـــا وانكم الينا لا ترجعون ؟ » .

الا أن العقل مقيد بحواســـه . محدود من حيث فكره ، فهو يصـــل بفكره وحواسه الى التسليم بوجود الخالق عز وجل ، لكنه لا يصل بهما الى توحيد هذا الخالق . والايمـــان بألوهيته . والاقرار بحاكميته المطلقة .. ان الوصول الى هذه (الحقيقة)، والتصديق الجازم بها ، والعمـــل بمقتضـــاها . تتولاه قوة مودعة فى الانسان ، هى فوق العقـــل وفوق الحواس : تلك قوة الروح المتوارية وراء طين الجسد . الحبيسة وراء حجب الحواس ، المقيدة بقيود العقل .. انها ، لكى تتفجر ينبوعا نورانيا لمحتاجة الى يد الرحمن ، سبحانه ، تكشف عنها الغشاوة ، وتهديها الى صراطه المستقيم ، وذلك لا يتأتى الا بالصلة المستمرة به عز وجل ،بالتوجه اليه ، بذكره ، وعبادته ، والتماس الهداية منه ، وطلب المدد من توفيقه، فهو ، سبحانه ، المصدر ، واليـــه المعاد ، هو الخلاق على الدوام ، وهو الوهاب على الاستمرار ، وهو نور السموات والارض . ان اطلاق الروح من عقالها الترابى ليس بالامر اليسير ، فما هو بنتاج احكام عقلية جامدة باردة تتأرجح قناعاتها حسب مقاييس الحواس ، ولا هو بشهادة حواس مقيدة عاجزة يصيبها الكلال والملال . انما هو نشدان دائم حميم لصلة العبد بخالقه العظيم . حتـــى يفىء العبد الى حقيقته فيلزمهـــا : يتذكر نشأته الاولى بشـــفافية لا تعوقها الجدران . وبصيرة لا تقيدها الحواس ، ويصحب تلك النشأة على هدى وامتلاء . فتفضى به الى معاد هو مؤمن به فموقن اليقين كله . اذ الاسلام بلا ايمان لا يقبل . والايمان بلا احسان يمنحه التصديق الجازم لا يصل مقام اليقين :

ــ « كلا لو تعلمون علم اليقين . لترون الجحيم . ثم لترونهـــا عين اليقين » .

« يدبر الامر يفصل الآيات . لعلكم بلقاء ربكم توقنون » .

« .. ويؤتون الزكـــاة . وهم بالآخرة هم يوقنون » .

« فاصبر ان وعد الله حق . ولا يستخفنك الذين لا يوقنون » .

« وجعلنا منهم ائمة يهدون بأمرنا لما صبروا، وكانوا بآياتنا يوقنون » .

« هذا بصائر للناس ، وهدى ، ورحمة ، لقوم يوقنون » .

« ربنا ابصرنا وسمعنا فأرجعنا نعمل صالحا ، انا موقنون » .

« وفى الأرض آيات للموقنين »

« .. ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين » .

« وكذلك نرى ابراهيـــم ملكوت الســـموات والأرض وليكـــون من الموقنين » .

وبديهى أن (يقين الموت) الذى يشـــترك فيه الجميع : مؤمنين وكافرين ، لا يغنى عن يقين الحياة شيئا . واذا كانت الآخرة منزل عين اليقين للجميع ، فان الدنيا ينبغى أن تكون منزل (علم اليقين) للمؤمنين ، وقد تكون منزل (عين اليقـــين) لخواصهم أيضا .

فالايمان ، اذا ، برزخ بين الاسلام

والاحسان ، والاسلام هو مظهر الايمان على الجوارح ، ولا يتحقق كاملا الا فى مجتمع اسلامى عندما يدخل الناس فى دين الله افواجا ، اى يتخذون الرب الها واحدا احدا يدينون بدينه ويطبقون شريعته . وحقيقة الايمان فى الباطن — فى القلب وفى الروح — هى الاحسان : ان تعبد الله كأنك تراه ، وان تعلم على وجه اليقين انك ان لم تكن تراه فانه يراك . فلا إسلام بغير ايمان . « قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم » ، واسلام هؤلاء هو دخولهم بالشهادتين فى دين الله ، اى فى ظل شريعته ، ليس غير . اما اولئك المصدقون الذين كانوا فى مكة قبل الفتح ، اى قبل ان يستظلوا بشريعة الاسلام ، فقد سماهم تعالى مؤمنين لا مسلمين ، فى قوله الكريم : « ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم .. » ولا إيمان بغير احسان « وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون » فلا اسلام بغير احسان :

— « بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه » .

« ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن ؟ » .

« ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى » .

العروة الوثقى :

والعروة الوثقى هى حسن ادراك المؤمن لصلته بالله ، بتذكر الميثاق الذى ارتبطت به الروح ، وبالتزامه ، وبالرجوع اليه باستمرار ، حتى يغدو هذا الميثاق تنبها طبيعيا ينتظم العقل والجوارح جميعا :

« واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ، واشهدهم على انفسهم : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى . شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين . او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم ، افتهلكنا بما فعل المبطلون ؟ . وكذلك نفصل الآيات ، ولعلهم يرجعون » .

ذلك هو الميثاق :يشهد بهالناموس الذى فطر عليه الانسان ، انه مودع فى كل خلية ، ومستقر فى الروح : اقرارا بربوبية الاله الواحد ، قبل الرسل الذين توجهوا — رحمة من الله بالعباد — الى الحواس والى العقل والى الروح . الميثاق الذى يرجع اليه من استيقظت روحه من سباتها فى سجن الطين ، رجعة الى الفطرة والعهد مع الله ، تستنفر فى الانسان قوى بصيرته ، فتنتفض فى قلبه وفى جوارحه وفى كل كيانه حقيقة التوحيد . بعد ان شهدت حواسه ، واقر عقله بحقيقة الربوبية والخلق . واذا كان الايمان بوجود الخالق فطريا ، غريزيا ، تؤدى اليه، بالضرورة ، الحواس والعقول بمختلف طرائق تفكيرها ، فان الايمان بتوحيد هذا الخالق ، والوهيته ، وتحكيمه فى كل صغيرة وكبيرة من شؤون الحياة — وما ثم صغيرة على وجه التحقيق — هذا الايمان هو موضع التخيير ، وهو ثمرة المجاهدة، وهو مناط الحساب . هو امانة الاختيار المحاسب المسؤول ، التى لم تحملها السموات والارض والجبال، فهى مسيرة مقرة بالربوبية لخالق فى كل نواميسها ، لا تتخلف عنها :

— « انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها ، واشفقن منها ، وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا . ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ، ويتوب الله

على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما » .
والنفاق والشرك عرضان يتلبسان الايمان وحقيقة التوحيد ، فيفسدانهما ، لذلك كانا سبب العذاب ، فيما خير فيه الانسان باعتقاده وعمله ، فاختاره :
ــ « لا اكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله ، فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، والله سميع عليم » .

سلّم الهداية :

وما مهمة الرسل الاولى الا ان يفتحوا مغاليق الحس ، ويكسروا اقفال العقل ، لكى يرتد الروح الانسانى الى وعيه ، فيرى ، ويتذكر :
ــ « واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا » .
« سنقرئك فلا تنسى » .
« قد افلح من تزكى . وذكر اسم ربه فصلى » .
« اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » .
« كلا انها تذكرة . فمن شاء ذكره » .
« أو لا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا ؟ » .
« ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا ، فاذا هم مبصرون » .
« مالكم من دونه من ولى ولا شفيع ، افلا تتذكرون ؟ » .
« وليعلموا انما هو اله واحد ، وليتذكر أولو الالباب » .

« ذلكم الله ربكم فاعبدوه . افلا تتذكرون ؟ » .
أن الايمان بوجود الخالق ، هو الخطوة الاولى نحو توحيد الخالق بالالوهية ، وعبادته ، وعدم الاشراك به أو النفاق فيه فى كل عمل ، وجارحة ، ومع الانفاس ، فكيف السبيل ، اذن ، الى التوحيد الخالص ؟

انه هداية من الله عز وجل ، تضىء الروح اذا سلك بها صاحبها طريق الهدى ، واخذ بأسبابه . وان الله عز وجل ليخاطب خلقه فى كل طرفة عين ، واصغاءة سمع ، وخفقة قلب ، وخطوة قدم . وانهم ليتلقون فيض هدايته فيها جميعا اذا كانت أرواحهم هناك . أرواحهم التى لا تصفو الا بالذكر ، ولا تتألق الا بالعبادة . وهى عندما تصفو وتتألق تتهيأ لتلقى المدد الالهى . والروح عندما تضىء بنور من عند الله ، تمد العقل ، فتفتح فيه عين الفهم ، وتريه بهذه العين عالم الغيب وعالم الشهادة ، وتمد الحواس فتفجر اعماقها ، فتتحرك بالله وحده :
ــ « أفرأيت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله افلا تتذكرون » .
« الذين كانت اعينهم فى غطاء عن ذكرى » .
« وما يتذكر الا من ينيب » .
والله عز وجل ، يخاطب خلقه بآيات الوجود ، وبآيات الشهود ، بالكائنات وبالتجارب ، بالقبض وبالبسط ، بالابتلاء والاجتباء ، بالرحمة والعذاب ، فاذا كانت أرواحهم مستيقظة سمعت ، فوعت، فتذكرت ، فرجعت ، وانابت :
ــ « ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ، ونقص من الثمرات ،

لعلهم يذكرون » .
« أولا يرون انهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون ؟ » .
« واذكروا اذ جعلكم خلفاء » .
« وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين » .
« ولقد صرفناه فيهم ليذكروا » .
« ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد » .
والقلب هنا هو البصيرة ومستودع الهداية ومتلقى الفيض الالهى ، وليس العقل ، اذ لكل مكلف عقل ، وليس لكل مكلف قلب الا « لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا » .
والذكر طريق الصلة الدائمة بالله ، وجسر الهداية منه ، ليس مجرد حركة لسان ، ولا مجرد تسليم عقل ، ولا مجرد دلالة فكر ، انما هو — قبل ذلك ، ومعه ، وبعده — توجه بالروح وبالقلب وبالجوارح وبقوى النفس كلها الى الله :
— « الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم » .
« واذكر ربك كثيرا ، وسبح بالعشى والإبكار » .
« واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا » .
« يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا » .
« انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ، ويصدكم عن ذكر الله » .
هذا الذكر هو سبيل الطمأنينة ، وسلم الهداية ، أعده الله لعباده الأبرار :
— « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب » .
« ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله » .
« ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين » .
« ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا » .
« ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا » .
« فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا » .
« ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا ، واتبع هواه » .
« فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا » .

هكذا يعود الغائب :

عندما تلتقى الحواس والعقل والفكر ، فى ظلال الروح ، على الايمان ، هذا الايمان ، بالله عز وجل ، يصبح الانسان عبدا لله ، ويحشد طاقاته كلها طواعية واختيارا وقناعة وامتلاء فى سبيل الله : فالعقل يقرر لصاحبه الفكر الذى ارتضاه الله لعبده المؤمن : فكر الاسلام عقيدة وشريعة ، ويكون فهم الشريعة والعمل بها ضرورة لا يتم للفرد بغيرها ايمان ولا احسان ، ولا تتم للمجتمع بسواها حاكمية الله ، وسعادة العباد . والعقل يقرر لصاحبه المؤمن الفكر المؤمن الذى يجعله مستخلفا حقا فى الارض يعمرها ويعيشها ويرتقى بها مدركا صلته بخالقه وخالقها باستمرار ، متصورا غاية العمل والاستخلاف ، مبصرا من وراء الحجب مبدأ الأمر ومعاده ، فهو بين يديه وفى عينيه وفى سمعه قريب منه جد قريب . والحواس تصبح مسخرة لله ، ترى به ، وتسمع به ، وتسعى به ، حتى تلقاه . وتظل الروح الحارس اليقظ ، والتنبه الطبيعى الذى يوقظ الحواس اذا نامت ، ويقوّم الجوارح اذا زلت ، ويوجه الفكر اذا ضل ، ويؤجج نار العزيمة اذا خبت ، ويتلقى

امطار التوفيق اذا همت . ويقـــود رحلة الحياة الى خلود مقيم ، فى جنات ونعيم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما يروى عن ربه عز وجل : « أنا عند ظن عبدى بى . وأنا معه حين يذكرنى . ان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى . وان ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ هم خير منهم ، وان تقرب منى شبرا تقربت اليه ذراعا . وان تقرب الىّ ذراعا تقربت منـــه باعا ، وان أتانى يمشى ، أتيتـــه هرولة . . » .

وقال عليه وآله الصلاة والسلام : « لو تكون قلوبكم كما تكون عنـــد الذكر ، لصافحتكم الملائكة حتى تسلم عليكم فى الطرق » .

وجاء فى الحديث القـــدسى : « ما تقرب الىّ عبدى بشىء أحب الى مما افترضت عليه . وما يزال عبدى يتقرب الى بالنـــوافل حتى احبه ، فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به . ويده التى يبطش بها . ورجله التى يمشى بها ، وان سألنى لأعطينه . وان استعاذ بى لأعيذنه » .

وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحارس بن مالك : « كيف أصبحت ؟ » .

قال : « أصبحت مؤمنا حقا » .

فقال : « لكل حق حقيقة . فما حقيقة ايمانك ؟ » . قال : « أسهرت ليلى . واظمأت نهارى ، حتى كأنى انظر الى عرش ربى بارزا . وكأنى أنظر الى أهل الجنة يتزاورون فيها . وأصغى الى أهل النار يتضاغون فيها » . . فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : « مؤمن نوّر الله قلبه ، لقد عرفت فالزم » . ثم قال عليـــــه السلام : « من سرّه أن يرى رجلا شرح الله صدره للايمان . فلينظر الى هذا » .

هؤلاء . هم الذين على ايديهـــم ستتم عودة الغائب . بهم ســـتكون عودة الغريب . طوبى لهم : فى ايمانهم يلقى الله اقباسا من ضيائه . وبفكرهم المستضىء بنور الله يؤوب العصر الى رشاده ، ويسترد ذاكرته المضيّعة . بعزماتهم التى تستمد من الله جذوتها وتوفيقها يستأنف الاسلام مسيرته : عقيدة ومنهاج فكر وشريعة حياة . فلقد أظل زمانه .

« يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه . فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ، أذلّة على المؤمنين، أعزّة على الكافرين ، يجاهدون فى سبيل الله ، ولا يخافون لومة لائم . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله واسع عليم » .



القــرآن
وعلم الفلك

حول القرآن الكريم والعلم

للدكتور محمد جمال الدين الفندى

١ ــ شاءت رحمة اللهبخلقه أن يسلك أعجب الطرق وأروعها لتنفيذ أرادته فى كل شىء ، وهى طــرق أبعد ما تكون عن معرفة الافراد العاديين . وليس فى وسعنا الا أن ندرس ونقدر ونؤمن . ومن هنا جاءت مزايا العلم، وتجلت آيات الخالق فى عصر العلم .
٢ ــ استمد القرآن الكريم حكمــه وأمثاله من الكون فكان من الطبيعى أن يلتقى العلم الذى يبصرنا بأسرار هذا الكون مع القرآن الذى يحدثنا عن بدائعه وآياته .

تعريف العلم :

العلم يعنى تلمس الحقــائق فى عالم الحس ، ومن ثم اســتنباط قوانين سليمة عامة التطبيق . وهو يشمل العلوم الاساسية : الطبيعة التى تتناول دراسة الكون وما فيه من مادة وطاقة ، وعلوم الحيــاة التى تتوافر على دراسة الاحيــاء وسلوكها . وهناك أيضــا العلوم التطبيقية التى تتضمن مسائل عملية عديدة قوامها استخدام واستغــلال ما أودع فى الكون من طاقات وثروات لفائدة البشر . وفى هذا العصروصل الانسان الى مرتبة مرموقة من العلم حين سخر الطاقة الذرية وهى سر أفران الطبيعة ممثلة فى الشموس والنجــوم ، واستخدم المحــرك الصاروخى فحصل به على السرعات الفلكية التى تسبح بها اجــرام السماء .

وأساس العلم الاختبار والقياس باستخدام الحواس ، ثم معالجــة

نتائج ذلك الاختبار الحسى بالقوى العقلية . أما عالم ما وراء الحس فلا دخل للعلم به . اللهم الا ما يمكن اخضاعه منه الى مستوى الحس بواسطة آلات ومعدات تتأثر بما هو غير محسوس مباشرة . مثل الالواح الحساسة التى تستجيب لتأثيرات الاشعة فوق البنفسجية التى لاتدركها الاعين ، ومثل الابرة المغناطيسية أو (البوصلة) التى تستخدم فى التعرف على اتجاهات خطوط القوى المغناطيسية فى اى مجال مغناطيسى .

وليس منا من ينكر تلك الالهامات المفاجئة أو ذلك الايحاء الخفى الذى يقبل الينا أحيانا من عالم ما تسميه عالم الارواح أو عالم ما وراء المادة ، وفكرته أعمق من عالم ما وراء الحس ، اذ لا تستجيب له حتى اجهزتنا ومعداتنا . ولكن تستقبل قلوبنا الواعية اشاراته الموجهة الينا . ولعل خير من يحدثنا من بعض تلك الالهامات الصادقة العلماء والمستكشفون والفلاسفة ، ثم المؤمنون المتصلون .

والدين هو الذى حدثنا عن عالم ما وراء المادة ، وأكد الايمان (بالخالق) مصدر هذا الكون ومرجعه . ويمدنا الدين كذلك بطاقات روحية عظمى لا تعرف الهزيمة . والايمان شعور طبيعى أو فطرى لانه ميثاق الخلق: « واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين » . والدين الى جانب هذا كله حصيلة أسمى الاخلاق وارفع المعاملات بين الافراد والجماعات . وتشترك أسس المعرفة الدينية مع أسس العلم فى :

١ — شمول النظام فى الكون . ولكن المعرفة الدينية بخلاف العلم تعتبر هذا النظام شاملا كذلك للناس ومعترك حياتهم .

٢ — ضرورة التثبت وعدم الاعتماد على مجرد التخمين . فالايمان يجب أن يتم عن بينة . لان كل ما فى الكون آيات تنطق بوجود الخالق المدبر ، ورسالات السماء فيها من الآيات ما يحمل العقل على التصديق بها والتسليم لها . وفى مثل هذه المعانى يقول القرآن الكريم :

وفى سورة فصلت (٥٣) : « بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون » .

فى سورة يونس (٣٦) : « وما يتبع أكثرهم الا ظنا إن الظن لا يغنى من الحق شيئا ان الله عليم بما يفعلون » .

وفى سورة العنكبوت (٤٩) . « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » ويشترك العلم والدين معا فى ضرورة التمسك بالمنهج ، وفى الامانة والمثابرة ، والتواضع الى غير ذلك من مكارم الاخلاق ، ولكن الهدف يختلف فان العلم يقف عند حد تقرير (الحقائق) ، أما الدين فيستمر حتى يصل الى الغاية . هذا كما أن المعرفة الدينية لا تعتمد على مجرد العقل ، بل ان من مصادرها الاحساس الروحى ، أو الشعور بالقلب . وعلى أية حال فهناك من الامور الدينية ما قد لا يعيه العقل مثل الارواح والملائكة والجن ، ولكن يدرك ذلك القلب بالاحساس الصادق

.. والمؤمنون هم وحـــدهم الذين يستطيعون الافاضة فى الحـــديث حول هذا الموضوع .

ولقد نجم عن تعرف الناس على بعض معالم عالم ما وراء المادة عن طريق الدين ان راحت طائفة منهم تجرى محاولات الاتصال بمن فى ذلك العالم بطريقة يسمونها (تحضـــير الارواح) . ونحـــن لا نستطيع أن نطلق على تلك المحاولات اســـم

(التجارب) لاختلافها فى جوهرهـــا عن المألوف فى التجارب العلمية ولعدم امكان تعميم اجرائها . وقـــد فهم خطأ أن بعض جامعات الغرب تدأقرت دراسات (علم الارواح) . ولـــكن الحقيقة أن ما وافقت عليه هـــو دراسات (علم النفس) على غرار ما هو قائم فى بعض جامعاتنا .

واغلب الظن اذا سلمنا ببعض تلك الاتصالات ثم محصناها نجـــدها انما تتم مع عالم غير عادى حدثتنا عنه الاديان يسمى عالم الجن . فقد جاء مثلا فى سورة الجن (٦) :

« وانه كان رجـــال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهـــم رهقـــا » .

وثمة ناحية اخرى فحواها اننـــا للأسف الشديد نجد فى تراثنـــــا الاسلامى خلطا بين عالمى المادة وما وراء المادة ، اذ افترض فريق مـــن السلف أن الملائكة تسيطر على كل ما فى الكون حتى الظواهر الطبيعية، بدلا من القوانين والنظم الثابتة التى فرضها الخالق وراح يكشف عنهـــا العلم تباعا . فهذا ملاك البحر مثلا يضع ابهامه فى اقصى بحر الصين فيفور له الماء ويكون المد . ثم يرفع ابهامه فيطلب الماء موضعه ويكون الجزر . وبطبيعة الحال لا يعتبر مثل هذا الخلط والوهم من الدين فى شىء. فقد جعل الله لكل شىء سببا .

فلسفة علمية :

نتبين اذا أن العلم وقف حتى الآن عند حد الكشف عن العـــلاقات الثابتة بين الاشياء ، واستغـــلال ما فى الكون من طاقات ، اما الدين فيذهب الى أبعد من ذلك ، اذ يبحث فى الغاية من خلق الاشياء والانسان، وربطها بالخالق .

ولهذا لا بد من أن نعنى بدراســـة العلوم دراسة واعية بحيث تصل الى الاسباب ، ولا تقتصر على مجـــرد تقرير الحقيقة ، وسنضرب لذلك مثلا بدراسة الماء .

وهنا قد يدعى البعض أنـــــه لا يمكن ربط العلوم بأية غاية أخرى تخرجها عن جوهرها . ولضـــمان سلامة المنهج العلمى يمكن ان تمتد الدراسات والبحوث العلميـــة الى دراسات وبحوث أخرى (فلسفية) ، تجمع شتات المعارف . وتوجد بينها رابطة متينة متماسكة توضح الغاية وتبين المقصد بطريقة تبقى على جوهر العلم وعلى قدرات الانسان الروحية. وعلى هذا النحو نجد ان من واجبنا تحديد أسس فلسفية علمية تـــدعم الدين وتقوم الاخلاق ، وتعيد الثقة الى النفوس وتوفر لها الطمأنينة . وان من يريد أن يعرف مدى انتشار القلق والاباحية فى الخارج حيـــث طغت المعرفة العقلية وحدها على كل شىء عليه ان يلقى نظـــــرة الى

ما تفننوا فيه من ألــــوان المهدئات والمنومات والخمور .. و ..

وبديهى أن أول اسس تلك الفلسفة هو الايمان بالله . والتصـــــديق برسالاته . فتلك هى نقطة الانطلاق التى تمدنا بأكبر القوى الدافعة الى الخير والسعادة والرداعة عن الشر والشــقاء .

وعلينا بعد ذلك أن نضع اطارا نحدد داخله موضوع العــــــلوم وفلسفتها . لئلا تصبح عقولنا سجينة الانتاج العلمى كما حدث فى الخارج. حيث طغت الكشوف العلميةبمظهرها الخلاب على تفكير النـــاس ونسيت عقولهم نقطة البــداية التى انطلقت منها . وهى الايمان بالله الذى خلق العقل وجعله قادرا على التأمــــل والكشف . ويقودنا ذلك الى وجوب ايجاد دراسات وقراءات أو مطالعات شاملة تجمع بين الدين والعـــلم بلغة العصر ، من غير تعقيـــدات فقهية . فى مراحل التعليم المختلفة. وتحملنا الفلسفة العلمية على الاتجاه دائما نحو الغاية السامية التى من أجلها كان هذا الوجود وقام هــذا النظام ، ولا يقودنا الى ذلك بطريقة ترتاح لها النفس ويقتنع بها العقــل سوى الدين الذى ينادى بأن كل ذلك من مظاهر الألوهية ، ولهذا نقول : (الفلسفة فوق العلم ، والدين فوق الفلسفة) .

ولكن كلما اتسعت آفاق معــرفتنا العلمية ، كلما زادت حصيلتنابالقواعد والنظم التى يسير عليها الكون فتضيق ساحة المجهول ، ونجد أنه لا مناص من التسليم بوجود المبدع الخالق . وهكذا يؤيد العلم الدين ويؤازره .

ولما كان هذا هو الوضع الطبيعى للعلم بالنسبة الى الدين . نجد قديما أنه عندما ضل البشر على الارض بجهلهم كان لزاما أن يكلم الله الناس على ألسنة الرسل من آن الى آخر. وهكذا فعل .

فلما صار عصر العلم على الابواب نزلت آخر رسالات السماء الى أهل الارض ممثلة فى القرآن الكريمالذى يخاطب العقول الراجحة والقــلوب المتفتحة . ويقنع بالحجة الدامغــة والمنطق العلمى السليم .

ولهذا أيضا نقول ان القــــرآن معجزة خالدة ، ولا يمكن ان تخــلد معجزة على الارض الا اذا كــانت على هيئة كتاب لا يقف اعجازه عن عصر معين ، ولا يحد بثقـــــافة بالذات .

الخالق القدير :

وليس وجود الله عند الكثيرين ، أمثال ارسطو ، مسألة غيبية يختلف فيها بين الاثبات والنفى ، ولـــكن حقيقة عقلية على غرار المسلمات أو البديهيات التى نعرفها . ويرى فريق من المؤمنين أن الله يشـــهد على الاشياء وليست الاشـــياء هى التى تشهد عليه ، لان العقـــل والوعى لا يستقيمان الا على الايمان بالله . وهذا الايمان هو خير ما تفسر بــه الخليقة . وعلى الرغم من ذلـــك سوف نسوق هنـــا ملخص بعض البراهين الرياضية على وجود الله .

فالذى لا جدال فيه أن الكون يمر الآن بمرحلة من النظام المحكم . اذ

يخضع كل ما فيه لقوانين ثابتة لا تتغير . ونحن اذا سلمنا جدلا بامكان حدوث هذا النظام وتوفره ولو مرة واحدة بالصدفة ، لا يستطيع حساب الاحتمال الرياضى ان يعتبر استمرار هذا النظام ضربا من ضروب الصدفة ، ولكن بتدبير خالق قدير .

ومن العبث أن نقول إن الكون جاء هكذا من تلقاء نفسه ، فذلك قول مردود ، ومن اللازم أن يوجد له خالق مدبر ، ولكن علينا ان نسبغ على الخالق صفات تخالف صفات المخلوق فنقول مثلا ان من المسلمات أن يكون الخالق أزليا موجودا بذاته منذ القدم وهو فى ذلك يخالف الحوادث ، ويختلف عن الاشياء فى صفاتها ، أو « ليس كمثله شىء » .

والبراهين العلمية على وجود الله كثيرة ، اذ انه يتجلى فى كل ركن من أركان هذا الوجود بما صنع وما أبدع ، ولكن لا يملك الجاحد أو الكافر أى دليل يسوقه لنا على عدم وجود الله تعالى سوى اننا لا نراه رأى العين . وهنا يحق لنا مرة أخرى أن نتساءل قائلين : هل نحن نرى بأعيننا كل ما يحيط بنا من عوالم حتى ما يقع منها وراء الحس؟ كلا بطبيعة الحال . ولكن على الرغم من ذلك نقول ان الله تعالى يمكن أن يرى بالقلب الذى يتسع وحده لجلال قدره وعظم شأنه سبحانه وتعالى ، الا أن لهذه المشاهدة القلبية النورانية شروط من درجات الايمان الكامل وطهارة النفس يجب أن تتوفر فى المشاهد ، تماما كما تكون لمقابلة العظماء والإمراء من الناس شروط تملى واحتياطات تتخذ رغم ما بين الحالتين من فروق عظمى بطبيعة الحال .

درس من الماء :

ليس منا من لا يعرف ان الماء يكون أكبر نسبة على الاطلاق فى بناء الاجسام الحية . ومن الحقائق المعروفة ان الماء يغطى نحو اربعة أخماس سطح الارض ، كما أنه فى حدود درجات الحرارة التى تتوفر على الارض ، (أقلها ٧٠ درجة تحت الصفر فى أواسط سيبيريا فى الشتاء واعلاها ٥٥ درجة حول خط الاستواء الحرارى فى الصيف) ، يأخذ دون غيره من المواد صورا ثلاثة هى : الصلابة والسيولة ، وصورة الغاز أو البخار . ومن خواص الماء الطبيعية أن له أكبر حرارة نوعية على الاطلاق ، بمعنى انه عامل ملطف للجو لا يستجيب بسهولة للتسخين أو التبريد . أما بخار الماء فهو أخف من الهواء ولهذا يصعد فى الجو ليكون السحب ثم المطر الذى هو مصدر الماء العذب على الارض . وبالاضافة الى كل هذا نجد أن الماء الصلب أو الثلج أخف من الماء السائل ويطفو فوق سطحه ، مخالفا بذلك القاعدة العامة التى تقول ان الانكماش بالتبريد يتطلب أن تكون المادة فى حالة الصلابة أكبر كثافة منها فى حالة السيولة .

والحق أن لكل صفة من هذه الصفات كلها صلة وثيقة بالحياة على الارض وبقائها يانعة مزدهرة . وهى ان دلت على شىء فانما تدل على منتهى التدبير والاحكام من لدن خالق عظيم .

فكمية الماء فى الارض لم تكن جزافا وانما بقدر معلوم لحفظ التوازن الحرارى فيها وفى جوها على مر السنين ، أو على حد تعبيرنا الهندسى

(جعلها مكيفة داخل حدود معينة) . فلولا اتساع رقعة الماء لسادت على الارض فروق عظمى من درجـــات الحرارة تفنى معها الحياة . كمـــا هو الحال على القمر القريب منا مثلا .. وعلماء البحار وحـــدهم الذين يصفون لنا مهمة البحار والمحيطات والتيارات البحرية العظمى فى توزيع الحرارة المكتسبة من الشمس توزيعا عادلا بين ارجاء الارض المختلفة .

ونظرا لان الثلج يطفو على سطح البحر فهو عندما يتدفق من المناطق القطبية ويندفع الى المحيطات على هيئة جبال الثلج الهائمة يذوب على التدريج تحت تأثير الاشعاع الشمسى المباشر ، بدلا من أن يغوص فى القاع المظلم البارد ويظل على حاله ، وبذلك تتراكم الثلوج تدريجيا على مر السنين حتى يتم تجمد بحار الارض ومحيطاتها وعندها تفنى الحياة فى البحر ، كما يقل البخر أو ينعدم فيشح المطـــر وتفنى الحياة على اليابسة كذلك .

فأى تدبير أروع من تدبير هـــذا الذى صنع الماء وأسبغ عليـــه تلك الصفات ، مصداقا لقـــول الله فى سورة الانبياء (٣٠) : « وجعلنا من الماء كل شىء حى ؟ » انها ولا شك كلمة الله الذى يقول فى ســـورة النحل (٤٠) :

« انما قولنا لشىء اذا اردناه أن نقول له كن فيكون » .

مقياس العلم :

وربما يبدو خطيرا ، كما يظـــن البعض ولست منهم ، اقحام الدين فى العلم ، اذ قد يظهـــر الدين فى موقف ضعيف لا يحسد عليه عندمـــا تقاس الحقائق العلمية الواردة فيـــه بنفس مقياس العلم الحديث وبالمعنى الكامل لتلك الكلمة . فان المتعـــلم الذى أعطى لنفسه فرصة التفكـــير الحر والانطلاق الذهنى قد يجد ما فهم عن الدين قاصرا فى هـــذا المجال . بينما هو يشعر بقوة العلم . ولنفس هذا السبب ولاسباب أخرى عمدت بعض الشعوب الى فصل العلم عن الدين بحجة أنها بذلك تتيح لنفسها فرصة الانطلاق والتقدم . ولكن هذا لايمكن ان ينطبق على القرآن وتعاليمه تلك التى فجرت أعرق حضارات أمم الارض وأكثرها عدالة وازدهر بهـــا العلم وأينع ، بل لقـــد كانت أولى الآيات على الاطلاق طلبا للعلم والتعليم حين نزل قوله تعـــالى فى ســـورة العلق :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق .خلق الانسان من علق .اقرأ وربك الاكرم. الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » .

والحق يقال ، ان الذى نزل القرآن كمعجزة خالدة يخاطب أهـــل هـــذا العصر بلغتهم ، أعنى لغـــة العلم ، ولكن لزم فى نفس الوقت أن تحتفظ بجوهر الرسالة ، فلا يجعل منهـــا مرجعا علميا على النحو الذى نعرفه، وانما يتخذ من الحقائق العلميـــة أساسا للوصول اليه والتعرف عليه.

وعلى هذا النحو نجـــد أن فى القرآن كثيرا من الآيات التى تكشف الحقائق العلمية ، بل وتسبق ركب العلم فى فروعه المختلفة . ففى مجال علوم الفضاء مثلا يمكن أن نقف عند العديد من الآيات مثل قوله تعـــالى فى سورة الرحمن (٣٤ ، ٣٥) :

« يا معشر الجـــن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطـــار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان .فبأى آلاءربكما تكذبان. يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران » .

أشار الى سلطان العـــلم الذى استخدمه الانسان فى هــذا العصر ليسبح فى الفضاء ويفلت من قبضة جذب الارض ، وكذلك الى أهــوال الفضاء ممثلة فى النار التى لا دخان لها أو الاشعة الكونية التى ترسلها الشمس ولا تستقيم معها الحياة . مثل قوله تعالى فى سور الجن (٨) :

« وانا لمسنا السماء فوجدناهــا ملئت حرسا شديدا وشهبا » .

أشار الى الشـــهب التى تعترض سبيل سفن الفضاء . ومثل قـــوله تعالى فى سورة الحديد (٤) :

« يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم » .

أى أن الله تعالى ليس له مكان معين ، فلا تتوقع رؤيته بالسبح فى الفضاء ، كما يظن البعض إمـــا عن جهل أو سوء نية . ومثل قوله تعالى فى سورة النحل (٤٩) :

« ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من دابة والملائكة وهـــم لا يستكبرون » .

اشارة الى وجود احياء تدب على بعض الكواكب الاخرى التى يعج بها الكون ضمن مجموعات الشـــموس الاخرى . ومثل قوله تعالى فى سورة الانبيـــاء (٤) « قال ربى يعلم القول فى السماء والارض وهو الســـميع العليم » .

اشارة الى أن العقل البشرى ليس وحده فى هذا الوجود ، لان الكلام هو الحد الفاصل بين الكائن الذى يعقل والكائن الذى لا يعقل ، أو هو وليد الفكر والعقل ، ومثل قوله تعالى فى سورة الشورى (٢٩) :

« ومن آياته خلق الســـموات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذ يشاء قدير » .

وقد يكون هـــذا الجمع بسفن الفضاء ، أو بواسطة اللاسلكى على متن أمواج الاثير ، كما يحاول العلماء فى سورة الحجر (١٤) :

« ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون » .

اشارة الى أن السبح فى الفضاء يكون فى مسارات منحنية أو متعرجة .. ولقد أطلق القرآن على اسفار الفضاء كلها اسم (المعراج) ، ولا يعرف الفضاء الكونى كما نعلم الخط المستقيم ، ومثل قوله تعالى فى سورة المؤمنين (٧١) :

« ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن » .

اشـــارة الى أن الخـــير والشر يوجدان أيضا على غير الارض ، وهو أمر طبيعى ، فالهوى يلازم نشـــوء العقل الذى يميز بين الخير والشر ويفرق بين الخبيث والطيب .

نظرية

بين الشريعة الإسلامية

للاستاذ محمود مهدى الاستانبولى

تشغل قضية إعدام قاتل العمد علماء القانون والاجتماع ، نظرا لخطورتها وقد انقسموا الى فريقين متنازعين : فريق يقول باعدامه ، وفريق يقول بمنع هذا الإعدام .

وقد تركوا البشرية فى حيرة واضطراب ، لأنهم هم أنفسهم فـــى حـــيرة واضطراب ، لأن البشرية اعجز من أن يضعوا القوانين ، وإنما يضعها خالقهم ، كما وضع القوانين المادية الطبيعية . وسيبقى البشر فى شقاء من مخالفة القوانين الإلهية كما هم يشقون اذا تركوا القوانين الطبيعية ، فلا بد لهم من الخضوع لهـــا حتى يتسنى لهم البقاء والرقى .

وقد أدلى كل من هذين الفريقين بحجج وادلة نذكرها فيما يلى ثم نعقبهـــا بحكم الشريعة الاسلامية فى هذا الموضوع الخطير .

انصار نظرية الغاء الإعدام

ان الذين يقولون بعدم الشرعية يحتجون بأن ليس من حق الهيئة الاجتماعية أن تزهق روح إنسان وهبه الله الحياة ولله وحده الحق أن يأخذها . واحتجـــوا ايضا بأن عقوبة الاعدام هى عقوبة خطرة لأن الضرر الذى ينتج عنها غير ممكن تلافيه اذا ما نفذت فى المحكوم عليه ثم بعد ذلك ثبت خطأ القاضى وظهرت براءته كما حدث فعلا فى كثير من القضايا ، فمن يسترد عندئذ حياة البرىء .

الإعدام

والقوانين الوضعية

لا سيما وان قناعة القضاة هى نسبية واختلاف الرأى بين قضاة الدرجات المختلفة شائع بكثرة . وقالوا أيضا بأن هذه العقوبة جائرة ولا تتناسب مع الجريمة مهما كانت فظيعة . فضلا عن انها بشعة تشمئز منها النفوس . وقالوا كذلك بأنها لا فائدة جذرية لها لأن وجودها فى التشريع لم يردع المجرمين عن ارتكاب الجرائم ، ويستدلون على ذلك بأن نسبة الجرائم المعاقب عليها بالإعدام لم تقل فى البلاد التى لا تزال قوانينها تقر عقوبة الإعدام ولم تزد نسبة هذه الجرائم فى البلاد التى ألغتها .

ويقول اصحاب هذه النظرية إن المجرم مريض ومن واجب المجتمع ان يداويه حتى يشفى تماما لا ان ينتقم منه .

وقد عبر عن هذا الاتجاه صاحب هذه النظرية الدكتور (BALL) فى كتابه فيزيولوجية الدماغ وهو استاذ فى باريس فى اوائل القرن التاسع عشر بقوله : « إن الميل السريع الى السرقة ثمرة فعالية زائدة لعاطفة حب التملك القوية » .

انصار نظرية تنفيذ الاعدام

أما القائلون بشرعية هذه العقوبة فيجيبون عن هذه الحجج بقولهم :

١ — إن من حق الهيئة الاجتماعية فرض هذه العقوبة لأنه اذا كان المجتمع لم

يعط حق الحياة فهو لم يعط حق الحرية لأحد فكيف يجاز له سجن الناس ومنعهم من الحرية ، فضلا عن أن الانسان له حق الحياة كما له حق الحرية . فالاعتراض إذن على شرعية الإعدام يفضى الى الاعتراض على شرعية كل العقوبات التى تمنح الحرية مع الاعتراف بأن الحياة هى أثمن من الحرية .

٢ ــ اذا كانت عقوبة الاعدام هى خطرة فى حال خطأ القاضى فعقوبة الحبس فى هذه الحالة هى جائرة أيضا وتؤثر فى صحة الفرد وفى حياته بصورة لا يمكن معها تلافى الضرر .

٣ ــ اذا كانت عقوبة الإعدام لم تخفف من الإجرام لدى كبار المجرمين فهى ولا شك خففت كثيرا من عدد المجرمين وهؤلاء هم كثر .

٤ ــ إن الاعتراض القائم على عدم تناسب هذه العقوبة مع الجريمة يصح ايضا بشان كل عقوبة لأن تحقيق التناسب التام بين العقوبة والجريمة أمر غير مستطاع فتقدير الانسان للأمور نسبى دائما .

٥ ــ إن خوف المجرمين من عقوبة الإعدام هو رادع لهم وله أثره .

٦ ــ إن بلاء العقوبات الطويلة المدة أخطر وأوقع من عقوبة الموت على قصر عذابها ومن الطرافة أن نذكر أن النظرية الأولى تمثل نظرية ما يسمى بالانجيل والنظرية الثانية تمثل ما يسمى بالتوراة مما سنرى تفصيله .

وقد رأينا فى كل من هاتين النظريتين السابقتين محاسن ومساوىء ذكرها انصارهما وخصومهما فلا داعى لإعادتهما .

هذا ــ وأن النظرية القائلة بالغاء الإعدام علاوة على مساوئها التى ذكرتها حين الكلام على النظرية الاسلامية فانها خاطئة من نواح أخرى .

الاولى ــ انها قد تؤدى الى زيادة عدد الجرائم فان نظام إصلاح المجرمين لا يرضى ذوى القتيل ، فيثأرون له مما قد يؤدى الى زيادة عدد الجرائم .

الثانية ــ أن هذه النظرية تميل الى المدرسة الإيطالية القائلة بأن الجريمة هى نتاج طبيعى محض ، وانه ليس ثمة موضع للتحدث عن حرية مزعومة ننسبها للمجرم ، وقد دعا (لمبروزو) الذى يتزعم هذه المدرسة الى دراسة السمات الخلقية (الجسمية) والنفسية المميزة للمجرمين . (١)

وهذه النظرية جبرية رهيبة تدعو الى عدم معاقبة المجرم بالكلية . قال (لمبروزو) : « المجرم ولد مجرما » . ولا يخفى ما فى ذلك من خطر على المجتمع وتهديد لسلامة أفراده ، وقد راح انصار هذه المدرسة يطالبون بتكييف العقوبة مع الطبيعة النفسية (السيكولوجية) للمجرم وكل ذلك لتمييع القضية وإعفائه من العقوبة . وهى مخالفة لجميع الشرائع الإلهية والأنظمة الوضعية .

وقد جاء العالم الانكليزى (كورنغ) فقام بدراسة حوالى ثلاثة آلاف سجين من نزلاء السجون بانجلترا خلال ثمان سنوات متواليات وخلص من هذه الدراسة الى انه ليس ثمة طراز جسمى خاص يميز المجرم ، بدليل أن النتائج الاحصائية للأقيسة التى أجريت على المجرمين أظهرتنا على أن الفارق بين الأقيسة الجمجمية لدى كل من طلبة كمبردج أو اكسفورد لا يختلف عن الفارق الموجود بين المجرمين وغيرهم من سواد الناس (٢) .

ومهما كان من شأن هذه النظرية ، فان الاسلام لا يهمل الحالة النفسية للمجرم ، فان كان مصابا بالجنون أو اضطراب الغدد الصماء وغيرها من الأمراض النفسية التى تفقد المجرم عقله وارادته وشخصيته فانه يعفى من العقوبة ولكنه يحجر عليه حتى يشفى كما يراعى التشريع الاسلامى فى ظروف المجرم وملابسات

جريمته . فلا يعاقب السارق اذا كان جائعا مضطرا ولم تؤمن لــه الدولة سبيل العمل ، او اجاعه رب عمله ، فيعاقب الاسلام المسبب فى هذه الحال .

ولا شك أن هذه النظرية تقول بإلغاء الإعدام والاستعاضة عنه بســجون كالمستشفيات حتى يشفى فيما اذا كان مصابا بالجنون أو غيره مما يفقد عقلــه وإرادته .

وإننى أبعثها صرخة مدوية : إن السجون قد افلست فى العالم عــلاوة على ما سببته من إيجاد المجرمين المحترفين الذين يتعلمون دروس الجريمة من زملائهم فى السجن . ومما يؤسف له أن أنصار السجون لم يفكروا مطلقا بزوجة السجين وأولاده الذين سيشردون غالبا بسبب اعتقال وليهم .

حقا إن قضية السجن قضية شائكة جدا ، ربما كنت أول من اسميته (قصر الضيافة) يكلف الأمة النفقات الباهظة سواء فى إطعام الســجناء وســواء فى حراستهم وسواء فى إيوائهم .

ولا يخفى أن هناك كثيرا من النفوس التى تألف مثل هذه الحياة التى هى اشبه بخلوات الصوفية ينعم بها السجناء كمــا ينعم الصوفيــة ، ولا شــك أن السجون تمتاز على هذه الخلوات بكونها مشتركة ومضيئة ولا تســبب الجنون والانحراف .

والغريب من أمر السجن أنه اذا نظم ونفذت الاجراءات التحسنية اصبح مكانا مرغوبا فيه وقصرا للضيافة حقا مما يشجع المجرمين على ارتكاب الجرائم .

واذا أهمل كان مصدرا لانتشار الأوبئة والأمراض والمفاسد الخلقية بجميع انواعها ، وفى الحقيقة فإن السجون كثيرا ما كانت تزيد المجرمين صلابة ، فلــم يكونوا يخرجون من السجن إلا لكى يعاودوا ارتكاب جرائمهم ، مدفوعين الى ذلك برغبة حادة فى الثأر من المجتمع ، هذا الى أن اختلاط صغار المجرمين بغيرهم من المجرمين الخطرين كثيرا ما كان يجعل من « السجن نفسه » مدرسة لتلقى فنــون الإجرام . فلم يكن المجرم الصغير يغادر السجن إلا وقد أصبح مجرما محترفــا يجيد من أساليب الجريمة ما لم يكن له به عهد ، قبل أن تطأ قدماه أرض السجن .

ومن جهة أخرى فان الأساليب السائدة فى معاملة المجرمين قلما تنجح فى ردع المجرمين والقضاء على أسباب الجرائم ، بل هى قد تدفع بهم نحو الانفجــار والتمرد والإمعان فى تحدى القانون .

وقد ثبت بالفعل أن السجن عاجز عن توليد مشــاعر الحب والتعــاطف والصبر والطمأنينة النفسية والرغبة فى العمل واستعادة مكانة الــذات . وهى المشاعر الضرورية لإعادة التكيف الى نفس المجرم .

وفضلا عن ذلك ، فإننا حينمانترك المجرم نهبا لذكريات المــاضى ، دون أن ننجح فى شغل باله بالأفكار السليمة والمبادىء القويمة ، فإننا نزيد من اختــلال توازنه النفسى بدلا من أن نعيد الى شخصيتــه تنظيمها النفسى وتوافقهــا الاجتماعى ، وهذا ما حدا بالكثيرين الى القول بفشل الأنظمــة القديمة للعقوبة (أى أنظمة السجون) نظرا لأنها لم تكن تهتم جديا بإعادة المجرمين الى حظيرة القانون ، والعمل على تقويم شخصياتهم حتى يتمكنوا من العودة الى الحيــاة الاجتماعية العادية فى ظل احترام العادات والتقاليد والقانون ...

إن أغلب المجتمعات لا زالت تميز الخارجين من السجن عن غيرهم من سواد الناس ، فلا يكون من شأن هذا التمييز نفسه سوى أن يتسبب فى عجز السجناء عن العودة الى حياة التكيف مع الجماعة والتعامل مع غيرهم من المواطنيــن ،

حتى ولو صحت عزيمتهم على العدول نهائيا عن حياة الجريمة ، ولا شك انه حينما يشعر المجرم بأن المجتمع ليس على استعداد لتقبله او ان ماضيه يقف حائلا بينه وبين الاندماج فى الجماعة من جديد ، فانه قد يندفع الى مواصلة سلوكه الإجرامى بدلا من ان يعمد الى أخذ نفسه بالمعايير الجماعية . ولما كانت مواصلة حياةالاجرام هى ايسر على المجرم من السعى الجاهد فى سبيل اكتساب عـــادات توافقيـــة جديدة فان عددا غير قليل من المجرمين لا يكاد يجد صعوبة فى معاودة الانتمـــاء الى جماعات المجرمين المحترفين التى داب على الاختلاف اليها .

لهذا كله نرى الشريعة الاسلامية لا تلجأ الى السجن إلا فى حالات نـــادرة وقتية كضمان سلامة التحقيق او إنذار المجرم بالتشهير به ، فقد وضعت لـــكل جريمة عقوبتها الزاجرة ، بحسب نوع العمل الذى اقترفه المجرم ، « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصـــاص فمن تصدق به فهو كفـــارة له ومن لم يحكم بمـــا انزل الله فأولئك هم الظالمون » المائدة/٤٥ .

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يؤتى ببعض المفسدين ويربطهم بإحدى سوارى المسجد امام الناس . فحبذا لو تعمم هذه العقوبة فى بعض جرائم التعذير فيربط المخالفون فى اعمدة الكهرباء فى بعض الشوارع أمام انـــظار الناس فان ساعات من هذه العملية تعدل شهرا أو شهورا فى السجون المعروفة ويكون فيها المخالف عبرة بليغة ورهيبة لمن يعتبر ، وهى لا تكلف الأمة شيئا يذكر .

والغريب أن بعض أدعياء القانون يحملون على هذا المبدأ أو مثله قطع يد السارق بانه قاس ، دون أن يوجدوا ما يقوم مقامه ، وقد افلست جميع حلولهم وسببوا انتشار الجرائم فى العالم بصورة واسعة ومرعبة حتى بات الانســـان لا يأمن على حياته وعلى أولاده من القتل والخطف ، وعلى أمواله من السلب والنهب فى أرقى عواصم العالم كالولايات المتحدة مثلا .

وقد طبق هذا القانون الالهى فى المملكة العربية الســـعوديـــة فى العصر الحديث فأعطى النتائج ونشر الأمن والسلام مما يحسدها عليه أرقى وأعظم دول العالم . وقد نسى هؤلاء الأدعياء المغرورون أن العقوبات الاسلامية تحمى حتى المجرم نفسه فلا يتجاسر على ارتكاب جريمته لشدتها ، قال تعـــالى : « ولـــكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب » .

وقديما استطاع التشريع الاسلامى محو الجريمة أو الإقلال منها لدرجـــة الندرة ، ومن اهم ما ينبغى الإشارة اليه أن هذه العقوبات ليست إسلامية فقط ، بل قد سبقتها اليها شريعة التوراة وهى شريعة اليهود والنصـــارى حتى يومنـــا هذا .

وقد ساعد على تحقيق هذا السلام ما كان يتحلى به المسلم من عقيدة عظيمة جعلت من المجرم يأتى ويعترف بجريمته مهما كانت قسوتها ، لينجو من عذاب الله يوم القيامة .

بينما اليوم قد عجزت الدول عن اكتشـــاف الجرائم على الـــرغم من رقى الوسائل الحديثة حتى راحت تستعين بالكلاب (البوليسية) . . .

نظرية الشـــريعة الاســـلامية

لقد اشتملت هذه النظرية على محاسن كل من النظريتين وخلت من مساوئهما

فى تنسيق عجيب وحل نفسانى (سيكولوجى) دقيق . وهــذه مزية التشــريع الاسلامى العظيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من عزيز حميد . « فمن اتبع هداى فلا يضــل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا » . طه ١٢٣ و ١٢٤ .

وهذه النظرية تتلخص فى أن قاتل العمد يقتل قــال تعــالى : « ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ، ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فــلا يسرف فى القتل إنه كان منصورا » . الاسراء ٣٣ .

والاسلام دين الحياة ودين السلام ، فقتل النفس عنده كبيرة تلى الشــرك بالله، فالله واهب الحياة ، وليس لأحد غيرالله أن يسلبها إلا بإذنه وفى الحدود التى يرسمها . وكل نفس هى حرم لا يمس ، وحرام إلا بالحق . وهذا الحق الذى يبيح قتل النفس محدد لا غموض فيه ، وليس متروكا للرأى ولا متأثرا بالهوى . وقد جاء فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله الا بإحدى ثــلاث : النفس بالنفس ، والزانى المحصن ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » .

فأما الاولى فهى القصاص العادل الذى إن قتل نفسا فقــد ضمن الحيــاة لنفوس « ولكم فى القصاص حياة » . حياة يكف يد الذين يهمون بالاعتداء على الأنفس والقصاص ينتظرهم فيردعهم قبل الإقدام على الفعلة النكراء . وحياة بكف يد أصحاب الدم أن تثور نفوسهم فيثأروا ولا يقفون عند القاتل بل يمضون فى الثأر ويتبادلون القتل فلا يقف هذا الفريق وذاك حتى تسيل دماء ودماء . وحياة يأمن كل فرد على شخصه واطمئنانه الى عدالة القصاص فينطلق آمنا يعمل وينتج فاذا الأمة كلها فى حياة .

وأما الثانية فهى دفع للفساد القاتل فى انتشار الفاحشة ، وهى لون من القتل على النحو الذى بيناه .

وأما الثالثة فهى دفع للفساد الروحى الذى يشيع الفوضى فى الجماعة ، ويهدد أمنها ونظامها الذى اختاره الله لها ، ويسلمها الى الفرقة القاتلة . والتارك لدينه المفارق للجماعة إنما يقتل لأنه اختار الاسلام لم يجبر عليه ، ودخــل فى جســم الجماعة المسلمة واطلع على أسرارها ، فخروجه بعد ذلك عليها فيه تهديد لها . ولو بقى خارجها ما أكرهه أحد على الاسلام بل لتكفل الاسلام بحمايته إن كان من أهل الكتاب ، وبإجارته وابلاغه مأمنه إن كان من المشركين وليس بعد ذلك سماحة للمخالفين فى العقيدة .

« ولا تقتلوا النس التى حرم الله إلا بالحق ، ومن قتل مظلوما فقد جعلنــا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل إنه كان منصورا » .

تلك الأسباب الثلاثة هى المبيحة للقتل ، فمن قتل مظلوما بغير واحد من تلك الأسباب فقد جعل الله لوليه ــ وهو أقرب عاصب اليه ــ سلطانا على القاتل ، إن شاء قتله وإن شاء عفا على الدية وان شاء عفا عنه بلا دية فهو صاحب الأمر فى التصرف فى القاتل ، لأن دمه له .

وفى مقابل هذا السلطان الكبير ينهاه الاسلام عــن الاســراف فى القتل إستغلالا لهذا السلطان الذى منحه اياه . والإسراف فى القتل يكون بتجاوز القاتل الى سواه ممن لا ذنب لهم، كما يقع فى الثأر الجاهلى الذى يؤخذ فيهالآباء والاخوة والأبناء والأقارب بغير ذنب إلا أنهم من أسرة القاتل ، ويكون الإسراف كذلك بالتمثيل بالقاتل ، والولى المسلط على دمه بلا مثلة ، فالله يكره المثلة والرسول قــد نهى عنه .

«فلا يسرف فى القتل إنه كان منصورا »، يقضى له الله ، يؤيده الشرع . وينصره الحاكم . فليكن عادلا فى قصاصه ، وكل السلطات تناصره وتأخذ له بحقه (٢) . وفى تولية صاحب الدم على القصاص من القاتل ، وتجنيد سلطان الشرع وسلطان الحاكم لنصرته تلبية للفطرة البشرية وتهدئة للغليان الذى تستشعره نفس الولى الغليان الذى قد يجرفه ويدفعه الى الضرب يمينا وشمالا فى حمى الغضب والانفعال على غير هدى . فاما حين يحس أن الله قد ولاه على دم القاتل ، وأن الحاكم مجند لنصرته على القصاص ، فان ثائرته تهدأ ونفسه تسكن عند حد القصاص العادل الهادىء (٣) .

غير أن حكم قتل القاتل ليس مطلقا ، فان فى القرآن العظيم آية أخرى سنراها بعد قليل تقول بتنازل ذوى القتيل عن حق القتل ، ولهم أخذ الدية أو التنازل عنها وليس لأحد غيرهم العفو عنه فهم وحدهم اصحاب الحق الشرعى والطبيعى فى القاتل وهم وحدهم المفجوعون به . وفى هذه الحال يكون المقدم على القتل فى حالة ذعر دائم وخوف رهيب من مطالبتهم بقتله من السلطة الحاكمة وقبوله العفو والدية مشكوك فيه ، وربما كان بعيدا ، فكم من الناس لم يقبلوا بالتنازل عن حقهم واصروا على طلب الإعدام ، فأعدم القاتل .

إلا أن هناك احتمالا قد يكون ضعيفا وقد يكون قويا بأن تهب الهيئة الاجتماعية ، اذا كان القاتل ليس من أصحاب السوابق ، وكان من ذوى الفضل والعلم الذين يخسر المجتمع اذا فقدوا الحياة ، فتسارع هذه الهيئة للتوسط ورجاء ذوى القتيل للعفو عنه سواء بأخذ الدية أو بدونها حسب رغبتهم الخاصة .

والأمل قد يكون قويا بقبول شفاعتهم فينجو القاتل من الإعدام ، وينجو المجتمع من فقده ، وقد يكون هذا الأمل ضعيفا فيقتل ويذهب ضحية جريمته .

والقضية فى هذه الحال تأخذ وضعا دقيقا وحساسا يكون فيها المقدم على القتل فى وضع رهيب يسيطر عليه الخوف كما صوره القرآن العظيم فى آية « ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل إنه كان منصورا » (٤) .

تفصيل الحكم الاسلامى

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى . الحر بالحر ، والعبد بالعبد ، والأنثى بالأنثى (٥) ، فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف واداء إليه باحسان . ذلك تخفيف من ربكم ورحمة . فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم . ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون » .

النداء للذين آمنوا بهذه الصفة التى تقتضى التلقى من الله ، الذى آمنوا به فى تشريع القصاص . وهو يناديهم لينبئنهم أن الله فرض عليهم شريعة القصاص فى القتلى ، بالتفصيل الذى جاء فى الآية الأولى . وفى الآية الثانية يبين حكمة هذه الشريعة ، ويوقظ فيهم التعقل والتدبر لهذه الحكمة . كما يستجيش فى قلوبهم شعور التقوى ، وهو صمام الأمن فى مجال القتلى والقصاص « فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان » .

وهذا العفو يكون بقبول الدية من اولياء الدم بدلا من قتل الجانى ، ومتى قبل ولى الدم هذا ورضيه ، فيجب اذن أن يطلبه بالمعروف والرضى والمودة ، ويجب على القاتل أو وليه أن يؤديه باحسان واجمال واكمال ، تحقيقا لصفاء

القلوب . وشفاء لجراح النفوس ، وتقوية لأواصر الأخوة بين البقية الأحياء .

وقد امتن الله على الذين آمنوا بشريعة الدية هذه بما فيها من تخفيف ورحمة « ذلك تخفيف من ربكم ورحمة » .

ولم يكن هذا التشريع مباحا لبنى اسرائيل فى التوراة ، إنما شرع للأمة المسلمة استبقاء للأرواح عند التراضى والصفاء . « فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم » . وفوق العذاب الذى يتوعده به فى الآخرة . . . يتعين قتله ، ولا تقبل منه الدية ، لأن الاعتداء بعد التراضى والقبول ، نكث للعهد ، وإهدار للتراضى ، وإثارة للشحناء بعد صفاء القلوب . ومتى قبل ولى الدم الدية فلا يجوز له أن يعود فينتقم ويعتدى .

ومن ثم ندرك سعة آفاق الاسلام ، وبصره بحوافز النفس البشرية عند التشريع لها ، ومعرفته بما فطرت عليه من النوازع . . إن الغضب للدم فطرة وطبيعة . فالاسلام يلبيها بتقرير شريعة القصاص ، فالعدل الجازم هو الذى يكسر شر النفوس ، ويذهب حنق الصدور ، ويردع الجانى كذلك عن التمادى . ولكن الاسلام فى الوقت ذاته يحبب فى العفو ، ويفتح له الطريق ، ويرسم له الحدود ، فتكون الدعوة اليه بعد تقرير القصاص دعوة الى التسامى فى حدود التطوع ، لا فرضا يكبت فطرة الانسان ويحملها ما لا تطيق .

ثم يكمل سياق الحديث عن فريضة القصاص بما يكشف عن حكمتها العميقة وأهدافها الأخيرة « ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون » .

إنه ليس الانتقام ، وليس ارواء الأحقاد . إنما هو أجل من ذلك وأعلى إنه للحياة ، وفى سبيل الحياة ، بل هو فى ذاته حياة . . . ثم إنه للتعقل والتدبر فى حكمة الفريضة ، ولاستحياء القلوب واستجاشتها لتقوى الله .

والحياة التى فى القصاص تنبثق من كف الجناة عن الاعتداء ساعة الابتداء ، فالذى يوقن أنه يدفع حياته ثمنا لحياة من يقتل . . جدير به أن يتروى ويفكر ويتردد ، كما تنبثق من شفاء صدور اولياء الدم عند وقوع القتل بالفعل . شفائها من الحقد والرغبة فى الثأر . الثأر الذى لم يكن يقف عند حد فى القبائل العربية حتى لتدوم معاركه المتقطعة أربعين عاما كما فى حرب البسوس المعروفة عندهم . وكما نرى نحن فى واقع حياتنا اليوم ، حيث تسيل الحياة على مذابح الأحقاد العائلية جيلا بعد جيل ، ولا تكف عن المسيل . وفى القصاص حياة على معناها الأشمل الأعم ، فاعتداء على حياة فرد اعتداء على الحياة كلها ، واعتداء على كل إنسان حى يشترك مع القتيل فى سمة الحياة ، فاذا كف القصاص الجانى عن إزهاق حياة واحدة ، فقد كفه عن الاعتداء على الحياة كلها ، وكان فى هذا الكف حياة . . . حياة مطلقة ، لا حياة فرد ، ولا حياة أسرة ، ولا حياة جماعة . . بل حياة . . .

ثم — وهو الأهم والعامل المؤثر الأول فى حفظ الحياة — استجاشة شعور التدبر لحكمة الله ، ولتقواه (لعلكم تتقون) .

هذا هو الرباط الذى يعقل النفوس عن الاعتداء ، الاعتداء بالقتل ابتداء والاعتداء فى الثأر أخيرا . . التقوى . . . حساسية القلب وشعوره بالخوف من الله ، وتحرجه من غضبه وتطلبه لرضاه .

إنه بغير هذا الرباط لا تقوم شريعة ، ولا يفلح قانون، ولا يتحرج متحرج، ولا تكفى التنظيمات الخاوية من الروح والحساسية والخوف والطمع فى قوة أكبر من قوة الإنسان .

وهذا ما يفسر لنا ندرة عدد الجرائم التى أقيمت فيها الحدود على عهد النبى

صلى الله عليه وسلم ، وعهد الخلفاء ، ومعظمها كان مصحوبا باعتراف الجانى نفسه طائعا مختارا . . . لقد كانت هناك التقوى ، كانت هى الحارس اليقظ فى داخل الضمائر وفى حنايا القلوب ، تكفها عن مواضع الحدود . . . الى جانب الشريعة النيرة البصيرة بخفايا الفطر ومكنونات القلوب . . . وكان هناك ذلك التكامل بين التنظيمات والشرائع من ناحية والتوجيهات والعبادات من ناحية أخرى ، تتعاون جميعها على إنشاء مجتمع سليم التصور سليم الشعور ، نظيف الحركة نظيف السلوك ، لأنها تقيم محكمتها الاولى فى داخل الضمير . (٦)

أما بعد . . . .

فانى تحدثت فيما سبق عن حكم من أحكام الاسلام ، وهو الاعدام ، وكيف أنه فى القمة من الحق والعدل والرحمة ، وقد اشتمل على مزايا نظرية الاعدام ونظرية الغائه ، وخلا من محاذيرهما بصورة رائعة .

فهل يشجعنا هذا المثال من الوف الأمثلة على دراسة الشريعة الاسلامية والعمل بها من أجل تحقيق العدالة والحق والسلام ، تلك الشريعة التى شهد بعظمتها كبار اساطين الشرق والغرب فى القانون من مسلمين وغيرهم مما يضيق المجال عن التحدث عنه .

إننا نستصرخ الضمائر الحية ، راجين أن يتناول هذا البحث بالدراسة والعناية والاهتمام ، واننا لا ندرى كيف نسوغ لأنفسنا ترك تراثنا التشريعى الضخم ، والتهافت على القوانين الغربية المهلهلة التى من شانها أن تضيع شخصيتنا العربية وتطبعنا بطبائع الغربيين فنعتنق اخلاقهم الاباحية ، ونجعلهم سادة لنا ، ونصبح خداما لهم ، مثلنا فى ذلك هنود امريكا الذين اعتنقوا عقيدة القوم وقبلوا قوانينهم فلم ينفعهم ذلك شيئا ، وانما هددهم بالفناء وعرضهم للخطر .

ان قبولنا تحكيم التشريع الإسلامى علاوة على كونه يحفظ كياننا ويصون قوميتنا ، يجعلنا أئمة لخمسمائة مليون مسلم ، وهم حلفاء طبيعيون لنا وأصدقاء صادقون يفرحون لفرحنا ويألمون لألمنا ، باستثناء بعض حكوماتهم الدائرة فى فلك الاستعمار . ولكن الحكومات لا تدوم وقد رأينا مصارعها ، انما البقاء للشعوب . وهذه الشعوب تشارك العرب بعواطفهم وتقر لهم بالزعامة ، وترى مصيرها مرتبطا بمصيرهم .

خطب الحكيم محمد إقبال فى أعضاء المؤتمر الاسلامى المنعقد فى القدس عام ١٣٥٠ (١٩٣١) فقال : « إن الاسلام مهدد بخطرين مصدرهما الغرب : أولهما الالحاد ، وثانيهما الاستعمار ، وان مستقبل المسلمين فى العالم رهن بمستقبل العرب ، ومستقبل العرب رهن بوحدة العرب ، فاذا تمت وحدة العرب علا شأن المسلمين فى كل أنحاء الارض » .

إن القومية العربية متعطشة اليوم الى تحقيق العدالة بين شعوبها ، وخاصة العدالة الاجتماعية فهى حريصة على ما يكفل بقاءها عزيزة ويجعلها تساهم فى تأسيس الحضارة .

الا أن بعض من يتظاهر بالاخلاص لهذه القومية ، يغرينا بالارتماء فى أحضان النزعات المتخلفة من أجل تحقيق هذه العدالة .

ما القول اذا كان هنالك نظام ، لا يدعنا ذيلا فى القافلة ، قافلة المعسكرات المتطاحنة ، انما يمنحنا مع العدالة (على اختلاف صورها) كرامة دولية عزيزة فى الخارج ، ويرد لنا اعتبارنا فى المجتمع الدولى .

ما القول اذا كان هنالك نظام يحل مشكلاتنا الداخلية وفى الوقت ذاته لا

يدعنا نقف ابدا من المائدة الانسانية وقفة المستجدى الذليل ، بل وقفة المساهم فى هذه المائدة المعطى ما عنده ، وما عنده ليس بقليل .

إننا لنعجب كيف يمكن الانسان ان ينأى بنفسه عن موقف الكرامة الى موقف الذلة وعن دور المعطى الى دور المستجدى ، وعن مركز القيادة الى موقف التبعة وهو قادر على الاختيار ، لو قاوم فى ضميره شعور الاضطرار .

إن لدينا ما نعطيه ، ولسنا من المفلسين بحيث يتصور الكثيرون ، أو بحيث تصورنا لأنفسنا المعسكرات الأجنبية .

ان لدينا ما نعطيه ولسنا من الافلاس بحيث يتصور الكثيرون ، أو بحيث يصورنا لأنفسنا الأجانب المستعمرون على اختلاف مشاربهم ، انما يصوروننا هكذا لغاية فى أنفسهم ، ليحل التخاذل فى نفوسنا محل الثقة ، واليأس محل التطلع ، ولنسقط فرائس ذليلة مستغفلة ، فى هذا الفخ أو ذاك ، ان لدينا ما نعطيه، ولكن فى حاجة لأن نؤمن بأنفسنا ، ففى هذا الايمان حياة ، وفى هذا الايمان نجاة .

اذا اتضح أن الاسلام يملك أن يحل لنا مشكلاتنا الأساسية ، ويمنحنا عدالة شاملة ، ويردنا الى عدل فى الحكم، وعدل فى المنزل ، وعدل فى الفرص، وعدل فى الجزاء فانه يكون بلا شك أقدر على العمل فى بلادنا من كل مذهب آخر ، نحاول استعارته عن طريق التقليد ، أو عن طريقة المشاركة فى الحضارة الانسانية بالاستجداء .

أجل — اذا اتضح هذا كله — فالاسلام أقدر على العمل معنا هنا فى الداخل، ولن نحتاج الى استجلابه من وراء الحدود ، كما نستجلب الثياب المستعملة الجاهزة فتجىء فضفاضة ، أو خانقة ، « وقد تجىء وفيها السل » لأنها لم تصنع على أعيننا ولم تفصل على قدنا ، ولم تنبع من آلامنا وآمالنا .

والاسلام — يا قوم — صاحب لنا صديق، صاحبناه ألفا وأربعمائة عام تقريبا، له فى الجوانح هزة، وفى المشاعر ذكرى، وفى الضمائر أصداء، وليس بالغريب على ارواحنا ومشاعرنا وعاداتنا وتقاليدنا غربة المذاهب الاخرى التى نحمد منها اشياء ونكره منها أشياء ، ونألف منها اتجاها وننكر عليها اتجاها وتتوزع مشاعرنا ازاءها على أية حال توزيعا لا يضمن معه توحيد الجبهة فى طلب عدالة قوية كما نضمن توحدها اذا نحن هتفنا الى العدالة باسم الاسلام .

أن الذين يريدون تنحية الاسلام عن معركة العدالة على انواعها ليخوضوها تحت راية أخرى ، انما يخونون أنفسهم ان كانوا مخلصين فى دعوى العدالة أو يخونون قضية الجماهير ، جهلا بقيمة القوة الكبرى التى يزودهم الاسلام بها ، أو عداوة مريبة لهذه القوة العظيمة ، أو احتقارا لأنفسهم وكفرا بقيمتهم ، ورضاء كرضاء العبيد بفتات الموائد ووقفة الاذناب . . .

اننا نفهم جيدا أن ينصب المستعمرون والمستغلون والطغاة للاسلام لينحوه عن معركة الحكم ، لأنه يحارب استعمارهم واستغلالهم وظلمهم بقوة ، أما أن ينصب للاسلام دعاة العدالة ورجال القضاء فذلك أمر غير مفهوم عندنا ، فان وراءه لخبثا ومؤامرة يجب أن يفطن اليها الابرياء والمخلصون الذين يريدون العدالة لذاتها ، ويكافحون للجماهير وحدها ، ويتجردون لهذه الغاية النبيلة بلا رياء ولا التواء ، ولا خيانة .

ان ارتباطنا بعجلة قوانين الغرب جريمة فى حق العدالة ، وهدر لشرفنا العربى ، فهى تجعل عقوبة من يزنى بأمه أو ابنته أو شقيقته أقل — بكثير — من عقوبة من يسرق متاعا بسيطا .

ان ارتباطنا بعجلة قوانين الغرب جريمة قومية ، فهو طالما داس كرامتنا

وحاول استرقاقنا وعرضنا للذبح والتشريد . فهل يليق اتباعه بدلا من أن نثير عليه روح اللعنة والانتقام .

ان ارتباطنا بقوانين الغرب استهانة بحق الاسلام وتهاون بأوامر الله سبحانه الذى شاءت حكمته أن تحكم قوانينه الانسانية البشر ، كما حكمت قوانين الطبيعةالكون . وقد تم للبشر الافادة من الطبيعة بخضوعهم لهذه القوانين، فما بالهم تمردوا على القوانين الاخرى حتى حرموا الافادة من عدلها وخيرها وسلامها

لقد وصف هذا الاله العظيم من يهجر قوانين الاسلام بالكفر والفسق والظلم فقال : « ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون » .

« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » .

« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » .

وهل أكفر وأفسق وأظلم ممن يترك النظم الالهية التى أثبتت التطبيق . ثم أثبت رجال القوانين عظمتها — ثم يروح ويرتمى فى أحضان القوانين الغربية الوضعية التى زادتنا فسادا وفوضى كما زادته خرابا وانهيارا .

اذكروا يوم كان اجدادكم العرب قبل اربعة عشر قرنا يتخطفهم الاستعمار الرومانى والفارسى من كل مكان ويستذلهم . فجاء التشريع الاسلامى العربى فأنقذهم ورفع لهم راية الحرية وقادهم الى أعلى ذرا المجد .

اذكروا اجدادكم العرب الذين كانوا يهيمون فى الضلالة وقد انقسموا الى قبائل يذبح بعضها بعضا ، مما كان يهددهم بالفناء ، فسارع الاسلام — بأسرع من البرق — فأصلحهم ووحد بينهم وجعل منهم خير أمة أخرجت للناس .

اذكروا سرطان اليهود الذى كان يسرى فى جسم القبائل العربية والحجاز مهددا اياها بالفقر والمرض حتى جاء الاسلام فاستأصل شأفتهم وأجلاهم عن الجزيرة العربية ، اذكروا أن هذه الأمة العربية لا يصلح آخرها الا بما صلح به اولها ، وان قوة العقيدة الصحيحة ليس مثلها قوة .

وان هذا التشريع الاسلامى الذى أنشأ مدنية دمشق وبغداد والأندلس (وهى سبب المدنية الغربية) لن يعجز عن مدنية العصر الحديث الصحيحة .

اذكروا أن جامعة اكسفورد الانجليزية قد أنشأت كرسيا لمحاربة التشريع الاسلامى وابعاد القومية العربية عن هذا النظام الديناميكى ليسهل استعمارها فهل يجوز أن نعمل كما يعمل المستعمرون .. ؟

اذكروا انكم حملة رسالة العروبة المؤمنة ، وان العالم اليوم على فوهة بركان ، فقد عرضته المدنية المادية الحديثة ومذاهبها الهوجاء الالحادية الى الفناء باعتراف مفكرى الغرب . سارعوا لحمل الشعلة وانقاذ قافلة الانسانية الضالة .

---

(١) راجع كتاب « الجريمة والمجتمع » للدكتور زكريا ابراهيم ص ١٥ — ١٦ .

(٢) المصدر السابق ص ١٧ — ١٨ .

(٣) عقوبة الاعدام للاستاذ : المحامى مصطفى ذوق ص ٣ — ٤ .

(٤) فى ظلال القرآن تاليف سيد قطب ص ٣١ و ٣٢ المجلد الخامس .

(٥) هذا الحكم منسوخ بآية (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس .. الآية) .

(٦) قال ابن عباس : مما كتب على من كان قبلكم ، فانه كان فى بنى اسرائيل القصاص ، ولم تكن فيهم الدية .. الحديث أخرجه البخارى والنسائى . والمسيحية كانت تقول بالعفو مطلقا !

(٧) فى ظلال القرآن تاليف سيد قطب ص ٦٨ — ٧٢ الجزء الثانى — المجلد الأول .

دور جامعة الأزهر في الطب

احتفالا بالعيد الالفى للازهر دعت كلية الجراحين الملكية بدبلن ـ اشهر وأقدم كلية جراحين فى العالم ـ الدكتور فؤاد الحفناوى استاذ ورئيس قسم أمراض النساء بكلية طب الأزهر . ليكون ضيف الشرف فى الاجتماع السادس لذكرى روبرت آدمز منشىء الكلية ـ وقد ألقى الدكتور الحفناوى فى الاحتفال محاضرة عن دور الازهر فى تعليم الطب أمام حوالى ٥٠٠ طبيب من كبار جراحى العالم ، قال فيها : ان انشاء كلية طب فى الازهر ، فى العصر الحديث لم يكن بدعة أو أمرا دخيلا على الازهر ـ فمنذ انشائه أيام الفاطميين كانت تلقى فيه بجانب العلوم الدينية دراسات عن النظام الاكاديمى فى الطب والرياضة والفلك .

□ ويذكر التاريخ أن اثنين ممن توليا منصب شيخ الأزهر وهو أعلى منصب فى الجامعة الاسلامية ، كانت لهما مؤلفات فى الطب ، أولهما الشيخ حسن العطار الذى الف عدة رسائل فى الطب والتشريح وكتابا فى الصيدلة ردا على تذكرة داود .

أما العالم الثانى فهو الشيخ أحمد عبد المنعم الدمنهورى الذى ترك مؤلفات طبية متعددة يذكر المؤرخون منها كتابه المسمى « القول الصريح فى علم التشريح » .

□ ويذكر التاريخ أيضا أن احد أعلام الازهر وهو الشيخ عبد اللطيف البغدادى الذى أعلن فى أيامه خطأ وصف قول جالينوس لفك الانسان الاسفل من أنه مكون من عظمتين ـ وقد أجرى عالم الازهر دراسة احصائية وقام بتشريح لحوالى ٢٠٠٠ جمجمة لموتى وأثبت أن فك الانسان الاسفل يتكون من عظمة واحدة . وعالم الازهر بهذا المنهج العلمى يعطينا مثلا للدقة والامانة العلمية حين أعلن فى ثقة اكتشافه وحدة عظمة الفك الاسفل .

□ كما وأن هناك عالم الازهر الكبير فى عصر الحاكم بأمر الله وهو الحسن بن الهيثم الذى قرر لاول مرة أن الابصار يرجع الى أن اشعة الجسم المرئى تنتقل الى العين وعارض بذلك نظرية بطليموس المبنية على أن العين هى التى ينبعث منها أشعة الابصار .. وقد أخذ عنه علماء أوروبا نظرياته فى البصريات وتشريح العين وكيفية تكوين الصور على شبكية العين ـ وظلت هى المرجع المعتمد فى أوروبا حتى القرن السادس عشر .

□ وفى العصر الحديث حين أراد محمد على القيام بنهضة صحية للعناية بالجيش استدعى كلوت بك من فرنسا الذى أوصى بانشاء مدرسة للطب فى أبو زعبل كان نواة الدارسين فيها ١٠٠ طالب ازهرى سافر منهم بعد خمس سنوات الى باريس ١٢ خريجا وحصلوا منها على شهادات التخصص وعادوا بعد ذلك ليعملوا كنواة لاعضاء هيئة تدريس مصرية صميمة ـ ثم كانوا أول أعمدة انشاء مدرسة طب فى مصر وهى مدرسة طب قصر العينى .

اننا نطالب والازهر قد بلغ من العمر الف سنة أن يكون الاحتفال به مساويا لما قدمه لمصر وللعالم الاسلامى من خدمات ـ بل أن يكون الاحتفال به بداية لدفعة جديدة كجامعة اسلامية شاملة وخصوصا الكليات العملية التى أنشئت حديثا وتحتاج لدعم كبير مثل الطب والهندسة والزراعة حتى تستطيع كليات الازهر العملية أن تتخطى الصعوبات التى تواجهها وتخرج للعالم الاسلامى العلماء المتخصصين فى أحدث تطورات العلم فى عصرنا .

السنة ومنزلتها من القرآن..

للدكتور عبد الله شحاته

السنة هى المصدر الثانى من مصادر التشريع الاسلامى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا كتاب الله وسنتى » .

وتطلق السنة على الطريقة والمنهج ، ومن ذلك لفظ الحديث الشريف : « من سن فى الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينتقص من أجورهم شىء ، ومن سن فى الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينتقص من أوزارهم » . رواه مسلم وأحمد والترمذى والنسائى .

كما تطلق على الطبيعة والناموس الكونى وعلى حكم الله سبحانه وتدبيره ومنه قوله تعالى : (سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا) الاحزاب : ٦٢ .

والسنة فى اصطلاح المحدثين تطلق على ما اثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم من اقوال أو افعال أو تقرير أو سيرة أو خلق أو شمائل أو أخبار ، وقد يستعمل اسم الحديث أو الخبر أو الاثر حيث يستعمل اسم السنة (١) وبذلك يكون الحديث والاثر مرادفا للسنة بالمعنى العام . قال العلماء :

« أما أصل علم الحديث والسنة فهو أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله ونومه ويقظته وحركاته وسكونه وقيامه وجوده واجتهاده وعبادته وسيرته وسراياه ومغازيه ومزاحه وجده وخطبه واكله وشربه ومشيه وسكوته وملاطفته أهله وتأديبه فرسه وكتبه الى المسلمين والمشركين وعهوده ومواثيقه والحاظه

وأنفاسه وصفاته مما رواه عنه من الصحابة أربعة آلاف رجل وامرأة صحبوه نيفا وعشرين سنة بمكة قبل الهجرة ثم بالمدينة بعد الهجرة ، سوى ما حفظوا عنه من أحكام الشريعة وما سألوه عن العبادات والحلال والحرام وتحاكموا اليه فيه ، وقد أدى ذلك من الصحابة الى التابعين فمن بعدهم الى عصر التدوين (٢) » .

•• •• ••

تـــدوين الســنة

كان عمر بن عبد العزيز أول من أمر بتدوين السنة خوفا عليها من الضياع . وأكد هذا الامر أبو جعفر المنصور فانتدب لذلك ابن شهاب الزهرى وكان سابق الحلبة ، الا أن عمله انما كان تدوينا مجردا من غير تبويب ولا ترتيب . وأمـــا الجمع مرتبا على الأبواب فوقع فى نصف القرن الثانى الهجرى ، وكان ممن قام بذلك ابن جريج بمكة ، ومالك وابن اسحاق بالمدينة ، وهشيم بواسط ومعمـر باليمن وابن المبارك بخراسان ، والربيع بن صبيح وسعيد بن أبى عروبة وحماد بن سلمة بالبصرة وسفيان الثورى بالكوفة والأوزاعى بالشام ، وجرير بن عبـــد الحميد بالرى (٣) .

موطـأ مالـك

عاش الامام مالك بالمدينة المنورة وهى دار الهجرة والمركز الاسلامى الذى انتقل نور الاسلام منه الى سائر الامصار ، وفى صحيح البخارى : « ان الايمان ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها » . أى أن الايمان يحتمى بالمدينــة ويتحصن بهـــا من أذى المشركين كما تحتمى الحية بجحرها ممن يريد قتلها .

وقد ولــد الامام مالك بالمدينة سنة ٩٤ هـ وتوفى بها سنة ١٧٩ عن ٨٥ سنة بعد أن ألف كتابه الموطأ ، ولعله الكتاب الوحيد الذى وصلنا بالرواية الصحيحة من تأليف هذا العصر ، ولذلك نتخذه نموذجا للطريقة التى دون بها علم الحديث فى أول الأمـــر .

والموطأ وان لم يكن فى الواقع كتاب حديث مجرد لانه يحتوى على كثير من الفقه والاستنباط وأقوال السلف ومذاهب الصحابة .

الا أنه فيما اشتمل عليه من الحديث يعطينا فكرة صادقة عن الجهد الذى بذله الامام مالك فى تحرى الاحاديث الصحيحة ، وعدم الرواية الا عن الاعــلام الاثبات الثقات ، فقد قيل أنه لما ألفه أولا كان يشتمل على نحو عشرة آلاف حديث ولم يزل ينتقى منه ويختار حتى لم يبق منه الا نحو ألف حديث وهذه النسبة وهى واحد من عشرة أو قل عشرة منمائة ، هى التى عمل عليها تقريبا جل المؤلفين فى الحديث بعد ذلك ، لا سيما أئمة الصحيح .

ورتب الامام مالك كتابه الموطأ على الابواب والمسائل ، فهو يخرج الحديث الشاهد فى أول الباب أو فى أثنائه ثم يخلل الباب بالآثار والاقوال الثابتة عن الصحابة وأئمة السلف فى الموضوع ، ويأتى بباب اسمه الجامع يروى فيـــه متفرقات من الباب لا تصلح أن تفرد بترجمة ، وقد ختم الكتاب كذلك بباب واسع ســـماه الجامع ، وضمنه أحاديث فى السنن والاخلاق وآداب الســـلوك ونحـــو ذلك .

ويقال أنه أول من ابتكر هذا الصنيع فى التأليف ، أى جمع المســـائل المتفرقة فى باب اسمه الجامع ، وعلى ما نرى فان طريقة الامام مالك فى تأليفه للموطأ برغم قدم الزمن هى من أحسن الطرق التى الفت عليها كتب الســـنة فيما بعد واتبعها معظم المحدثين الى المائة الثالثة .

وفى القرن الثالث الهجرى نشطت حركة جمع الحديث نشاطا كبيرا وتناولت مختلف وجوه العمل لتأليفه وتبويبه وتخليصه من الزيف والعلة ، فألف البخارى جامعه الذى هو أول كتاب ألف فى الصحيح ، وكذا مسلم صاحب ثانى الصحيحين ، وألف بقية أصحاب كتب السنة كتبهم ، وهى التى تلقاها المسلمون بالقبول . ويقول السيوطى : ان الحديث اذا أخرجه أحد هؤلاء المؤلفين الستة فليروه الانسان مطمئنا اليه (٤) .

وكان التأليف فى هذا العصر على أوضاع مختلفة ، منها ما بقى محافظا على وضعه الاول الذى كان أكثر العمل عليه عند بدء التأليف ، وهو جمع أحاديث كل راو على حده ، وان اختلفت موضوعاتها ، وهذا ما يسمى بالمسند ، وهو المنهج الذى أتبعه الامام أحمد بن حنبل فى كتابه العظيم المسمى بمسند الامام أحمد ، ومنها ما ألف على الابواب والمسائل وهى طريقة الامام مالك فى الموطأ . ومنه ما يكون عاما شاملا لاحاديث العبادات والاحكام والحكم والتواريخ والرقائق وغير ذلك وهو المسمى بالجامع ، ومنه الجامع الصحيح للامام البخارى وغيره ، ومنه ما يقتصر على السنن والاحكام كسنن أبى داود ، ومنه ما يخص موضوعا بعينه أو مسألة واحدة فقط كشعب الايمان للبيهقى والقراءة فى الصلاة للبخارى الى غير ذلك .

« واشتهر صحيح البخارى وصحيح مسلم وكتب السنن الاربعة بالكتب الستة ولكل من أصحابها ميزة يعرف بها . فمن أراد التفقه فعليه بصحيح البخارى ، ومن أراد قلة التعليقات فعليه بصحيح مسلم ، ومن رغب فى زيادة معلوماته فى فن التحديث فعليه بجامع الترمذى ، ومن قصد الى حصر أحاديث الاحكام فبغيته لدى أبى داود فى سننه ، ومن كان يعنيه حسن التبويب فى الفقه فابن ماجة يلبى رغبته ، فأما النسائى فقد توافرت له هذه المزايا (٥) » .

وأحب أن أسجل هنا ظاهرة تشترك فيها جميع الكتب التى ألفت فى السنة . وهذه الظاهرة هى حرص جميع المؤلفين برغم اختلاف مناهجهم على الا يسجلوا فى كتبهم حديثا الا ومعه اسناده الذى تلقوه به مسلسلا متصل الحلقات الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وانما نسجل هذه الظاهرة هنا لانها أسهمت بنصيب كبير فى حفظ السنة النبوية وأعانت على التمييز بين الصحيح والحسن والضعيف وهيأت للمتخرجين من الدارسين ما هيأته للمتقدمين ، من دراسة دقيقة للسنة ، ومن نقد منصف أمين لما لم يصح منها (٦) .

•• •• ••

الاسناد وأثره فى حفظ الحديث

حرص المحدثون أن يصحبوا كل حديث بسنده الذى روى به وبذلوا جهودا فى هذا الصدد لا يوجد لها نظير عند غير المسلمين ومن ثم قيل ان الاسناد من خصائص هذه الامة أى تتبع رواة الحديث واحدا فواحدا والبحث عن حالهم من الحفظ والضبط والعدالة الى النبى صلى الله عليه وسلم .

شهادة انصاف

وقد أبدى المنصفون من المستشرقين اعجابهم بالجهد الكبير الذى بذله المسلمون لحفظ الاحاديث النبوية وتمييز صحيحها من ضعيفها ، قال المستشرق جوينبول Guynball كاتب مادة الحديث فى دائرة المعارف الاسلامية : « لا يعد الحديث صحيحا فى نظر المسلمين الا اذا تتابعت سلسلة الاسناد من غير انقطاع ، وكانت تتألف من أفراد يوثق برواياتهم ، وتحقيق الاسناد جعل علماء المسلمين يقتلون الامر بحثا ، ولم يكتفوا بتحقيق أسماء الرجال وأحوالهم

لمعرفة الوقت الذى عاشوا فيه وأحوال معاشهم ، ومكان وجودهم ، ومن منهم كان على معرفة شخصية بالآخر ، بل فحصوا أيضا عن قيمة المحدث صدقا وكذبا وعن مقدار تحريه للدقة والامانة فى نقل المتون ليحكموا أى الرواة كان ثقة فى روايته » (٧) .

•• •• ••

ونوه الاستاذ آدم متز ، فى كتابه الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، بالدور العظيم الذى قام به علماء الحديث فى تدوين السنة النبوية وخدمتها فقال : « وقد أعتنى نقاد الحديث منذ أول الامر بمعرفة رجال الحديث وضبط أسمائهم والحكم عليهم بأنهم ثقات أو ضعفاء ، ثم نظروا فى الاساس الذى ينبنى عليه هذا الحكم أعنى الصفات التى يجب توفرها فى المحدث الثقة ، وهو ما يعرف بالجرح والتعديل ، وقد أدت بهم حاجتهم الى السند المتصل أن يتجاوزوا البحث فى حياة الرواة والحكم عليهم الى عمل تاريخ كامل لهم ، وهكذا وجدت تواريخ القرن الثالث الهجرى مثل تاريخ البخارى وطبقات ابن سعد .. الخ » (٨) .

منزلة السنة من القرآن

لم يكن للاحكام فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم مصدر سوى القرآن والسنة ففى القرآن الاصول العامة للاحكام الشرعية دون التعرض الى تفصيلها جميعها ، والتفريع عليها .

وحكمة ذلك أن يحقق القرآن الكريم النهضة الانسانية الشاملة ، والرقى الاجتماعي والفكرى ، وينشر العدالة والسعادة فى كل زمن ، ويبقى صالحا لكل أمة مهما كانت بيئتها واعرافها ، فتجد فيه ما يكفل حاجتها التشريعية فى سبيل النهوض والتقدم والى جانب هذه الاصول فى القرآن الكريم نجد العقائد والعبادات وقصص الامم الغابرة ، والآداب العامة والاخلاق . « وقد جاءت السنة فى الجملة موافقة للقرآن الكريم تفسر مبهمه وتفصل مجمله ، وتقيد مطلقه ، وتخصص عامه ، وتشرح أحكامه وأهدافه كما جاءت بأحكام لم ينص عليها القرآن الكريم تتمشى مع قواعده وتحقق أهدافه وغاياته ، فكانت السنة تطبيقا عمليا لما جاء به القرآن العظيم ، تطبيقا يتخذ مظاهر مختلفة ، فحينا يكون عملا صادرا عن الرسول صلى الله عليه وسلم وحينا آخر يكون قولا يقوله فى مناسبة ، وحينا ثالثا يكون تصرفا أو قولا من أصحابه فيرى العمل أو يسمع القول ثم يقر هذا وذاك ، فلا يعترض عليه ولا ينكره ، بل يسكت عنه أو يستحسنه فيكون هذا منه تقريرا » (٩) .

•• •• ••

امثلة من بيان السنة للقرآن

أمر القرآن بالايمان بالله وحث عليه وذكر فضله وثوابه ، ثم جاءت السنة فوضحت هذا الايمان وبينت حدوده بقوله صلى الله عليه وسلم : « الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره وحلوه ومره » (١٠) .

وكذلك الاسلام والاحسان ، وأركان الاسلام ، فالصلاة وهى عماد الدين وأولى فرائضه أوجبها القرآن مجملة بقوله تعالى : (واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) البقرة : ٤٣ .

ولم يرد فى القرآن بيان عدد الصلوات ولا كيفيتها فجاءت السنة فبينت عدد الصلوات والركعات وكيفيتها وشروطها واصلاح ما يقع فيها من الخلل ،

ووضحت أوقاتها وكيفية العمل فى فوائتها .

ولم يذكر فى القرآن ذلك الا مجملا ، ولكن السنة بينت ذلك تفصيلا فقال صلى الله عليه وسلم : «صلوا كما رأيتمونى أصلى» (١١) .

وروى لنا الصحابة كيفية صلاته عليه الصلاة والسلام والاوقات التى صلى فيها وما يتعلق بالصلاة ، وما هو واجب منها وما ليس بواجب .

والزكاة اشار القرآن الى وجوبها بقوله تعالى : (والذين فى أموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم) المعارج : ٢٤ ، ٢٥ .

وبينت السنة الاصناف التى تجب فيها الزكاة وهى الاموال السائلة وعروض التجارة والركاز وهو ما استخرج من باطن الارض والزرع والثمار ، وزكاة الماشية كالابل والبقر والغنم . وبينت تفاصيل الزكاة وما يتعلق بها .

وكذلك الصوم أوجب الله علينا صوم شهر رمضان وبينت السنة احكام الصيام تفصيلا بفعله صلى الله عليه وسلم فوضحت أركان الصيام وفرائضه وسننه وآدابه وعقاب تاركه والكفارة لمن أفسد صيامه الى غير ذلك

والحج أوجبه القرآن على من استطاع ، يقول سبحانه : (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) .

وبينت السنة كيفية الاحرام وممنوعاته وحدود عرفه والوقوف فيه وكيفية السعى والطواف وعدد الاشواط الى غير ذلك ، وقد اجمله عليه السلام بقوله : « خذوا عنى مناسككم » وبينت الاحاديث النبوية التى رواها الصحابة الذين عاينوا حجة الوداع تفاصيل حجه صلى الله عليه وسلم .

فهذه بعض الاحكام مما يتعلق بالقواعد الخمس فقط ، استفيدت من السنة وان ذكرت اصولها فى القرآن ، فلا جرم أن السنة قولية كانت أو فعلية عليها مناط التشريع بعد القرآن ، فى العبادات والمعاملات . وخلاصة القول أن السنة مع القرآن على ثلاثة وجوه :

الأول : ما كان موافقا للكتاب مؤيدا له ومؤكدا ما جاء فيه كأحاديث الامر بالصلاة والزكاة وتحريم الربا ونحوها .

الثانى : ما كان مبينا ومفسرا لما جاء فى القرآن فبينت السنة المراد منه كبيان كيفية الصلاة وعدد ركعاتها وأوقاتها .

الثالث : ما سن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ليس فيه نص من القرآن ، كما فى زكاة الفطر وصلاة الوتر من أحكام العبادات وكما فى الحكم بالشاهد واليمين وميراث الجدة من أحكام المعاملات . وقد قال الله عز وجل فيما هو من هذا القبيل : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) الحشر :٧

•• •• ••

وجوب العمل بالسنة

ختم الله عز وجل الرسالات السماوية برسالة الاسلام ، فبعث محمدا صلى الله عليه وسلم هاديا وانزل اليه القرآن الكريم ، المعجزة الكبرى والحجة العظمى ، وامره بتبليغه وبيانه .

فالقرآن الكريم هو اساس الشريعة لانه كلام الله تعالى المعجز المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم بواسطة الملك جبريل الامين المتواتر لفظه جملة وتفصيلا المتعبد بتلاوته المكتوب فى المصاحف .

وكل ما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم — سوى القرآن الكريم — من بيان لاحكام الشريعة وتفصيل لما فى الكتاب الكريم وتدليق له هو الحديث

النبوى أو السنة ، وهى بوحى من الله تعالى ، أو باجتهاد من الرسول صلى الله عليه وسلم الا أن الرسول لا يقر على اجتهاد خطأ وعلى هذا فمرد السنة الى الوحى ، فالقرآن الكريم هو الوحى المتلو المتعبد بتلاوته والسنة وحى غير متلو لا يتعبد بتلاوتها (١٢) .

وقد أرشدت أصول الدين الى وجوب العمل بالسنة ودل على ذلك الكتاب والسنة والاجماع .

•• •• ••

أما الكتاب فقوله تعالى : (وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحى يوحى) النجم : ٣ ، ٤ .

وقوله سبحانه : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) الحشر : ٧ .

وقوله عز وجل : (من يطع الرسول فقد أطاع الله) النساء : ٨٠ .

وقوله تعالى : (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون) النحل : ٤٤ .

فالرسول مبين للكتاب وشارح له ومطبق لاحكامه واهدافه فهو القرآن المتحرك ولذلك قالت عائشة وقد سئلت عن خلق النبى صلى الله عليه وسلم : كان خلقه القرآن .

وقد أمرنا القرآن بطاعة الرسول فقال سبحانه : (يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) النساء : ٥٩ .

أدلة حجية السنة من الحديث :

قال صلى الله عليه وسلم : « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا ألفين أحدكم متكئا على اريكة يأتيه الامر من أمرى مما أمرت به أو نهيت عنه . فيقول : لا أدرى ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه » (١٣) .

وفى الحديث : « تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتى ، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض » (١٤) .

الاجماع :

اجتمعت الامة الاسلامية على وجوب العمل بالسنة ، ونقلها الخلف عن السلف جيلا بعد جيل ، ورجعوا اليها فى أمور دينهم ، وعملوا بما فيها وتمسكوا بها وحافظوا عليها ، استجابة لله عز وجل وتأسيا برسوله صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم) .

روى أبو نضرة عن الصحابى الجليل عمران بن حصين : أن رجلا أتاه فسأله عن شىء فحدثه ، فقال الرجل : حدثوا عن كتاب الله عز وجل ولا تحدثوا عن غيره ، فقال : انك أمرؤأحمق .. اتجد فى كتاب الله صلاة الظهر اربعا لا يجهر فيها ، وعد الصلوات ، وعد الزكاة ونحوها ، ثم قال : أتجد هذا مفسرا فى كتاب الله ؟ كتاب الله أحكم ذلك والسنة تفسير ذلك (١٥) .

•• •• ••

وقد نهج الصحابة والتابعون وأتباعهم والمسلمون من بعدهم على المحافظة على السنة والعمل بها واجلالها .

قال رجل للتابعى الجليل مطرف بن عبد الله بن الشخير : لا تحدثونا الا بالقرآن فقال مطرف : « والله مانريد بالقرآن بدلا ، ولكن نريد من هو أعلم بالقرآن منا ، وهو الرسول صلى الله عليه وسلم الذى بين الكتاب الكريم وطبق تعاليمه ، وشرح مقاصده وغاياته ، وفصل أحكامه بسنته الطاهرة ، التى كانت ولا تزال قدوة المسلمين وسبيلهم ولذلك تمسكوا بها تمسكهم بالقرآن الكريم ، وحافظوا عليها محافظتهم عليه (١٦) .

•• •• ••

ان عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم انه استطاع أن يجمع العرب وان يوحد كلمتهم وأن ينشر روح الحياة فى أمتهم حتى صاروا خير أمة أخرجت للناس ، فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وحملوا رسالة الله الى المشارق والمغارب وجاءهم نصر الله والفتح .

وان هذا القبس والهدى فيه الصلاح والفلاح لأمتنا ولن يصلح آخر الامة الا بما صلح به أولها ، وصدق الله العظيم : (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) الاحزاب : ٢١ .

---

(١) على الخفيف : مكانة السنة ، فصلة من كتاب المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر ، ص ٣٤ .

(٢) عبد الله كانون ، الحديث وقيمته العلمية ، فصلة من كتاب المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر ص ٦٨ ، والمدخل الى علم الحديث للحاكم النيسابورى ص ١٢ من طبعة لندن ، ومحمد عجاج الخطيب ، أصول الحديث ص ٢٥ طبعة لبنان (دار الفكر) .

(٣) تدريب الراوى للسيوطى ص ٢٤ .

(٤) تدريب الراوى ص ٥٥ .

(٥) د. مصطفى زيد : دراسات فى السنة ، ص ٩ .

(٦) د. مصطفى زيد : دراسات فى السنة ، ص ١٠ .

(٧) دائرة المعارف الاسلامية الترجمة العربية المجلد ٧ ص ٣٣٥ .

(٨) الحضارة الاسلامية لآدم ميتز ، الترجمة العربية لمحمد عبد الهادى أبو ريدة ، ٣١٩/٤ .

(٩) د. محمد عجاج الخطيب : أصول الحديث ص ٤٧ . وعلى الخفيف : مكانة السنة ، فصلة من كتاب المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر ص ٣٩ وما بعدها ، وعلى حسب الله : أصول التشريع الاسلامى ص ٣٤ وما بعدها .

(١٠) البخارى : ١٢/١ .

(١١) البخارى : ٨٥/١ .

(١٢) د. محمد عجاج الخطيب : أصول الحديث ٣٤ .

(١٣) رواه الامام الشافعى فى الرسالة ص ٨٩ فقرة (٢٩٥) .

(١٤) الفتح الكبير : ٢٧/٢ .

(١٥) جامع بيان العلم وفضله : ١٩١/٢ .

(١٦) جامع بيان العلم وفضله : ١٩١/٢ ، د. محمد عجاج الخطيب : السنة قبل التدوين ص ٨٠ — ٩١ .

واجبنا نحو الإسلام

واجبنا ان ننشر مبادئه المثالية،ومثله العالية ، بجميع اللغات الأجنبية ، ونوزعها بالمجان ، أوبارخص الأثمان ، حتى يشعر العالم كله بالإسلام على حقيقته ، وتزول الخرافات والأباطيل التى نشرها المتعصبون المبشرون المحترفون عن الإسلام ، وهو منها برىء .

هذه هى الوسيلة لنشر الإسلام بين الأوروبيين والأمريكيين ، والآسيويين والأفريقيين ، لأنهم لا يعلمون شيئا عن كنه الإسلام وحقيقته ، إلا ما يذكر من الافتراءات والأكاذيب ، لتضليل العقول فى الكتب المؤلفة للتبشير . والتبشير حرفة يأكل منها المبشر عيشه ، ووسيلة بها يجد رزقه .

ولو ترك الإنسان بفطرته الطبيعية ، ولم يتدخل أحد من الآباء والأمهات فى جعله يهوديا أو نصرانيا لاتخذ الإسلام دينا لو نال نصيبه من الثقافة العامة ، ثم وجد من يفهمه الإسلام ، وآراءه ، وأركانه ، وروحه ، ومبادئه وأخلاقه ، وقواعده فالإسلام حقا دين الفطرة الإنسانية، والعقل المنطقى ، يصلح لكل بيئة ، ويناسب الحضرى والبدوى والبدائى، وكل شعب من الشعوب ، وكل عصر من العصور .

واجبنا أن ندعو إلى الاسلام ، بإخلاص فى الدعوة ، وعقيدة فى القلب ، وصفاء فى السريرة ، ابتغاء مرضاة الله ، حتى تخرج الدعوة من اللسان ، أو تدون بالقلم، فتسمع أو تقرأ ، فتصل إلى القلوب، وتؤثر فى النفوس ، لأنها خالصة لوجه الله الحق جل جلاله .

لماذا انتشر الإسلام بسرعة ؟

لقد انتشر الإسلام بسرعة فى أقل من قرن بين الصين من الشرق ، والمحيط الأطلسى من الغرب ، لأنه دين الفطرة ، والطبيعة الإنسانية ، دين المستقبل ، دين سهل يقبله العقل والمنطق ، ويتصل بقلوب الناس ، ويصل إلى الأفئدة ، يدعو إلى التمسك بالفضائل ، والبعد عن الرذائل ، ويأمر بالخير ، وينهى عن الشر .

انتشر الإسلام بسرعة لأنه دين يحق الحق ، ويبطل الباطل ، ويصلح لكل زمان ومكان ، ويناسب كل بيئة وإنسان ، يحدد الحقوق ، ويسوى بين جميع الطبقات ، فى احترام النفس والدين ، والعرض والمال .

انتشر الإسلام بسرعة لأنه دين اليسر والتسامح ، دين الإيثار والإنسانية ، دين الإخاء والحرية ، دين المساواة بين الفقراء والأغنياء ، دين العطف والشفقة والرحمة ، دين العدالة المطلقة ، دين يسهل فهمه ، ويطمئن إليه كل إنسان ، ويدعو إلى الدنيا والآخرة .

ويرجع انتشار الإسلام بسرعة إلى ما اتصف به الرسول الكريم من إيمان بما يدعو إليه ، وثقة تامة بتأييد الله ، واجتهاد فى نشر دعوته ، وثبات

عظيم ، وصبر لا نهاية له على ما كان يلاقيه من أذى أقرب الناس إليه ، وهم أهله وعشيرته ، الذين تحدوه وعاندوه ، وحرضوا القوم عليه ، لكنه قام بالدعوة إلى الاسلام وحده صابرا ، وقومه ما بين

مستهزىء به ، وغافل عنه ، ومستعد عليه ، واستمر يقارعهم بالحجة ، ويناهضهم بالدليل ، ويأخذهم بالنصيحة ، ويسكتهم بالمنطق ، ويزعجهم بالزجر ، واخيرا سفه احلامهم وعقولهم ، وضلل آباءهم ، وسخر من آلهتهم واوثانهم واصنامهم ، وانذرهم عذابا اليما .

وثابر على ذلك صباح مساء ، حتى اخذتهم العزة بالإثم ، واجمعوا أمرهم بينهم على قتله ، ليستريحوا منه ، لولا ما كان من حماية عمه أبى طالب إياه . وقد استمر فى الدعوة إلى الحق حتى انتصر عليهم جميعا بالحجج القوية ، والإيمان الراسخ ، والخلق الكامل ، والأمانة المطلقة ، والإخلاص النادر ، والصبر الجميل .

بهذه الأخلاق العظيمة نجح محمد صلى الله عليه وسلم فى نشر دين الله ، وإعلان أحكامه ، ووحد بين العرب ، بعد ان كانوا شيعا واحزابا ، وتحققت الوحدة العربية ، واجتمعت الكلمة الإسلامية فى جزيرة العرب ، وانتشرت الوحدة الدينية بين العرب ، بطريقة لم يعهد لها نظير فى ماضيهم .

واصبح العرب فى زمن قصير امة تدين بالتوحيد ، وصارت الأمة العربية دولة الزمان ، ذات الأساس المتين .

وبانتشار الإسلام تغيرت عقائد وعادات وتقاليد . وشرع الإسلام للناس قوانين وأحكاما تتفق مع العقل المنظم ، والمنطق السليم وجاء بحكم وآداب خشعت لها قلوب المفكرين ، ودهشت منها عقولهم ، وانصرفت وراءها هممهم ، وحث

على التعليم والإرشاد . وقرر قواعد العدالة والإنصاف ، والحرية الدينية. والمساواة بين الفقراء والأغنياء . والبيض والسود والصفر .

كل هذا أورق واينع . وازهر واثمر فى ربع قرن ، ثم كان له فى الأمة الإسلامية وحياتها المجيدة شأن عظيم .

فرسول الله صلى الله عليه وسلم أنشأ أمة عظيمة ، متآلفة متعاونة ، من قبائل عربية كانت متباغضة متطاحنة ، وأعد الأمة الإسلامية إعدادا كاملا : لتتبوأ مكانها بين الأمم المجيدة . فكان له منها دولة إسلامية عظيمة قوية عنت لها من بعده وجوه القياصرة والأكاسرة . وصار أبناؤها يرون بحق انهم أهل لأن يسودوا العالم ، ويقودوا الأمم ، وينشروا العدل والسلام على الأرض. وصارت فى أقل من قرن تخفق راياتها على البلاد المتمدنة ، الممتدة من جدار الصين شرقا إلى المحيط الأطلسى غربا . ولم تبلغ دولة من دول العالم ما بلغته الدولة الإسلامية فى انتصاراتها ، وفتوحاتها ، مع قلة المسلمين فى البدء ، وقلة استعدادهم ، وكثرة الأعداء ، وقوة أسلحتهم .

« وما النصر إلا من عند الله » .
« إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

بلغ محمد دين التوحيد ، فاكتسح إفريقية من القاهرة إلى مراكش وجنوب أوروبة ، واكتسح نصف آسيا من القدس الشريف إلى بغداد، إلى طهران ، إلى الهند ، ووصل الى قرطبة وغرناطة ، وانتصر الحق علي الباطل . وانتشر نور الإسلام على ظلام الكفر والوثنية .

ولا عجب . فهو دين يدعو إلى توحيد الله . وينبذ الأوثان . ويدعو إلى الأخلاق الكريمة . والصفات النبيلة ، والآداب الكاملة ، والتمسك بالفضيلة . واجتناب الرذيلة .

دين زين أسبانيا ومصر والقسطنطينية وفلسطين والهند بعمارته الرشيقة الجميلة . من قصر الحمراء إلى التاج محل .

ولو اتبع المسلمون دينهم . واستمسكوا بأصوله وقواعده لظلت راياتهم تخفق إلى اليوم على ملكهم الواسع الأطراف .

وما دام الله تعالى قد تكفل بحفظ كتابه المجيد ، وما دام الله يأبى إلا أن يتم نوره ، ويظهر دينه على الدين كله ، فإن أهل القرآن الكريم بعد انصرافهم عن كتابهم ودينهم ، سيقبلون على القرآن ، وعلى الإسلام فيقبل عليهم الزمان ، وتعود الدولة إليهم ، وعد الله لا يخلف الله وعده .

الإسلام انتشر بمبادئه الإنسانية وآرائه المنطقية :

وإننا نرى أن الإسلام قد انتشر بمبادئه المثالية فى إفريقية وآسيا وأوروبة ، انتشر بمبادئه السامية لا بقوة السيف . انتشر بآرائه المنطقية التى تتفق مع العقل والمنطق ، وكل زمان ومكان ، وتتفق مع الحضارة والمدنية . انتشر بمبادئه التى تلائم الطباع والنفوس البشرية ، وتتفق

مع الإنسانية . فقد قضى على الرذائل . وابطل عبادة الأصنام . وحرّم اكل لحوم الإنسان . ونشر بين العالم كله العزة والإيثار . والكرم والإحسان . والعفو عند المقدرة والصدقة على الفقراء والمساكين .

وبهذه المبادىء الإنسانية انتشر الإسلام . ودخل الناس فى دين الله افواجا ، وأتم الله نعمته على الرسول الكامل . ونصره نصرا عزيزا .

لماذا تأخر المسلمون ؟

إهمال الناحية الروحية والتفكير فى الناحية المادية وحدها :

إن من ينظر إلى هذا العالم فى القرن العشرين يجد أنه قد نسى الناحية الروحية ، والقيم الروحية ، والمبادىء الخلقية من الوفاء والمروءة ، والأمانة والرحمة . نسى حياة الفضيلة ، واتجه بعقله وعمله إلى الحياة المادية ، حياة الغدر والخيانة ، والقتل والقسوة ، فعاش فى حرب ونزاع وقتال ، وشاهد آثار الحرب الأولى (١٩١٤ — ١٩١٨) وآثار الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ — ١٩٤٥) فى النصف الأول من القرن العشرين ، ولو اتجه العالم إلى روح الإسلام ، روح الجمع والتوسط بين الحياة الروحية والحياة المادية لتجنب تلك الحروب التى قاسى الغالب والمغلوب ويلاتها ، وقاست الإنسانية فظائعها .

إن الاستعمار هو السبب فيما حدث من حروب وويلات ، وإن المطامع الاستعمارية الغربية هى التى هددت وتهدد السلام العالمى بالتدمير والخراب . ذلك الاستعمار الغربى الذى كان سببا فى تخلف الشرق والشرقيين . عشرات من السنين . فهؤلاء المستعمرون لصوص يدخلون البلاد الآمنة تجارا فى الظاهر . ومستغلين وقراصنة فى الواقع . فقد دخلوا لينهبوا ما فيها من خيرات وغنائم ومواد أولية . وليبيعوا منتجاتهم ومصنوعاتهم فيها . ويجردوها من انواع الأسلحة والذخائر . وينشروا فيها الجهل والفقر والمرض . ويشجعوا الفساد الخلقى والمخدرات حتى تضعف . ولا تستطيع أن تدافع عن نفسها . فالاستعمار سبب التخلف فى البلاد الإسلامية . ولو اتحد المسلمون فى العالم ، وتعاونوا على البر والتقوى. ما استطاع المستعمرون الذين يمتصون دماء الشعوب ، ويتجرون بالحروب — أن يدخلوا البلاد الإسلامية أو يسيطروا عليها فى يوم من الأيام . ولو اتحد العرب ما استطاعت انجلترا أن تشرد أكثر من مليون من العرب . وتطردهم من وطنهم . لتخلق وطنا ليهود العالم . يسمى إسرائيل .

المسلمون لم يتأخروا اليوم بسبب دينهم :

إن المسلمين اليوم لم يتأخروا بسبب دينهم ، ولكنهم تأخروا لأنهم لم يحافظوا على دينهم ، فتدخل الاستعمار فى شئونهم ، وسيطر على بلادهم زمنا ليس بالقصير . وقد شهد العلماء والمؤرخون بفضل المسلمين الأول وعلمائهم ، وأدبائهم ،

وفلاسفتهم ، وحكمائهم ، وأطبائهم ، وقـــادتهم .

وقد كانوا يقودون العالم حينما كانوا محافظين على دينهم ، وأخلاقهم الإسلامية ، كالصدق ، والوفـــاء بالوعد ، والأمـــانة فى المعاملة ، والإحسان إلى الفقراء ، والدفاع عن الحق ، والعدالة فى الحكم ، والعمل لكسب الرزق ، وصلة الرحم ، وبر الوالدين ، والتمسك بما أمر الله ، واجتناب ما نهى عنه . فلما تغـير سلوكهم ، وخالفوا المبادىء الإسلامية ضعفوا بعد أن كانوا أقوياء ، وتأخروا بعد أن كانوا قـادة العالم . وإن الأمم الناهضة اليوم نهضت وتقدمت لأنهـا تتخلق بالأخلاق الإسلامية ، ولو انها لا تدين بالإسلام .

احمد شوقى يصـف الأسباب التى اخرت المسلمين :

ادعوك عن قومى الضعاف لأزمة(١)
فى مثلها يلقى عليـك رجـــاء
أدرى رســول الله أن نفوســهم
ركبت هواها (٢) والقلوب هواء (٣)
متفككون فمـــا تضـم نفوســهم
ثقة ، ولا جمـع القلوب صـــفاء
رقـدوا وغرهمو نعيـم باطـــل
ونعيم قـــوم فى القيـود بـلاء
ظلموا شريعتــك التى نلنا بهـــا
ما لم ينـل فى (رومـــة) الفقهـاء
مشت الحضارة فى سناها(٤) واهتدى
فى الدين والدنيا بها الســعداء

« إن الله لا يغـير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »

إن الانسان يولد مستعدا للخير والشر ، ويرث عن ابيه وأجداده وأمـه وجداته الصـفات الجسمية والعقلية ، أما الصفات الخلقيـــة فتكتسب بالتربية والتثقيف والقــدوة والتهذيب . وقد نادى الإســلام بالمساواة ، وندد بالتفـــرقة بسبب العنصر ، أو الجنس ، أو اللون ، أو اللغة ، عملا بقول الخالق العادل : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، » وقول الرسول الكامل : « لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى والعافية . » أى العمل الصالح ، ومحبة السلام .

وإذا قرأنا التاريخ ، وبحثنـــا أسباب تقدم الإمم ، وأسباب سقوطها وجدنا أن الأسباب روحية وخلقية . فإذا ســـار الشعب فى الطريق المستقيم ، ونبذ عوامل الفســـاد والضلال ، وتمســـك بالفضيلة ، وتجنب الرذيلة سما ونهض وارتفع، وكان له اثر كبير فى العلوم والآداب والحضارة والمدنية ، ولكن إذا انغمس فى سبل الرذيلة ، وابتعـــد عن الفضيلة ، وارتكب الجرائم ، وسار فى طرق الشرور والآثام ، وعاش عيشـــة الترف والإسراف والأثـــرة وحب النفس ، وتجاهـــل المبادىء المثالية فى الأخلاق — فثق كل الثقة بأن هذا الشعب سيسقط وسيتأخـــر وسيرجع إلى الوراء . وقد صدق العليم الخبير بشـــئون العالمين فى قـــوله :

« إن الله لا يغير ما بقـــوم حتى يغيروا ما بأنفسهم (٥) » .

فالله لا يسلبهم نعمته إلا إذا تغيروا من الطاعة إلى المعصية .

وقوله : « كدأب (٦) آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله ، فأخذهم الله بذنوبهم ، إن الله قوى شديد العقاب . ذلك بأن الله لم يك

« البقيـــة ص ٦٣ »

أصول العلاقات الدولية في الإسلام



للدكتور محمد الدسوقي

١) يختلف الاسلام عن غيره من الاديان السماوية بانه دعوة عالمية ورسالة للبشرية كافة بعث بها محمد صلى الله عليه وسلم ليخرج الناس من الظلمات الى النور ، ويهديهم الى صراط مستقيم .

وعالمية الاسلام تبدو واضحة لمن يدرس هذا الدين دراسة واعية منصفة ففضلا عن الآيات والأحاديث التى تتحدث عن ان الاسلام جاء للناس جميعا ، وان معجزته الخالدة ختم الله بها الكتب المنزلة ، وان محمدا صلى الله عليه وسلم آخر الرسل والانبياء ، فان تعاليم هذا الدين القويم تبرز فى جلاء انه رسالة الهدى والخير الى البشرية كلها الى ان يرث الله الأرض ومن عليها .

لقد اعتبر الاسلام الناس امة واحدة لا يتفاضلون بالوانهم واجناسهم واحسابهم ، ولكن بالتقوى والعمل الصالح ، وبين انهم سواسية يتمتعون بحقوقهم المشروعة دون تمييز بين فرد وآخر ، واعلن ان اساس العلاقة بين الناس على تباين السنتهم وتباعد ديارهم المحبة والتآلف والتعارف والتعاون على الخير والبر : « يايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير » (١) .

٢) وهذه المبادىء التى قررت المساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات تعد ثورة ضد العصبية والجنسية والقبلية ، كما تعد اول صيحة عامة فى تاريخ العالم تنادى بالاخاء والمحبة وتدعو الى احترام العدالة والفضيلة ، حتى يعيش الجميع حياة طيبة تليق بالانسان الذى كرمه الله وجعله خليفة له فى ارضه .

واذا كان الاسلام قد قرر مبدا المساواة والوحدة بين الناس ، وقضى بهذا على مزاعم العنصرية والطائفية ، فانه من جهة اخرى قرر مبدا التوحيد ، ذلك المبدا الذى حرر الانسان من كل سلطان غير سلطان الله ، فشعر بعزته وكرامته ، ولم يعد آلة يحركها الطغاة ، فقد اصبحت له شخصيته المستقلة التى ترعى واجبها قبل ان تسعى وراء حقها ، ومن ثم كان للفرد فى المجتمع الاسلامى مكانته ورسالته ، وكان حجر الزاوية فى بناء هذا المجتمع ، وقد فطن الى هذا علماء القانون حين ذهبوا فى الوثيقة العالمية لحقوق الانسان فى سنة ١٩٥٠ الى ان الفرد هو دعامة الدولة ، وقد سبقهم الاسلام فى اعلان هذه الفكرة باكثر من ثلاثة عشر قرنا (٢) .

والاسلام فى تعاليمه لم يقف عند حد هذه المبادىء الرائعة ، كما لم يقف عند فرض العبادات ، بل وضع ايضا القواعد والأصول التى تنظم ضروب النشاط الانسانى كله ، وتحمى الحقوق وتمنع الفساد ، لأنها جاءت للناس جميعا ، خاطبت الفطرة الانسانية وقدرت العقل البشرى ارفع تقدير ، ولهذا كله جاءت تعاليم هذا الدين العالمى صالحة لكل زمان وكل مكان . (٣)

٣) ولإيمان المسلمين الأوائل الصادق بعالمية هذا الدين وما يجب عليهم من الجهاد نحو تبليغ رسالته الى الناس قاطبة — حملوا ارواحهم على اكفهم وانساحوا فى الارض لا يخشون الا الله ، ولا يكرهون احدا على الايمان لأنه لا اكراه فى الدين .

وفتح الله على المسلمين بلادا كثيرة ، وانتشر الاسلام فى فترة وجيزة فى بقعة شاسعة من العالم . ونجم عن هذا الفتح العظيم وانتشار الاسلام السريع مشكلات مختلفة بين المسلمين وغيرهم ، وكانت هذه المشكلات — وما زالت — تختلف نوعا وكما باختلاف الزمان ، ولكن اصول معالجتها كما قررها الاسلام لا تختلف ولا تتعارض .

٤) ويجدر قبل الحديث عن هذه الاصول الاشارة الى ما تواضع عليه الفقهاء من تقسيم الديار ثلاثة اقسام : (٤)

دار الاسلام ، ودار العهد ، ودار الحرب ، وهذا التقسيم هو بحكم الواقع لا بحكم الشرع ، لأن الاسلام لم يقيد الدولة الاسلامية بحدود جغرافية او مكانية (٥) ، فهو دعوة عالمية ، ولكن تطبيق أحكامه مرتبط بسلطان المسلمين ، فكلما اتسعت دار الاسلام اتسع نطاق تطبيق أحكام هذا الدين ، ومن ثم اقتضت الظروف أن يكون الاسلام اقليميا حتى تعم دار الاسلام العالم باسره (٦) . وليس فى هذا التقسيم دلالة على أن الاصل فى العلاقة بين المسلمين وغيرهم هو الحرب ، ولا أن الاسلام انتشر بحد السيف كما يزعم كثير من المستعمرين ومن سلك سبيلهم من الباحثين .

٥) والذى لا خلاف عليه بين الفقهاء أن الدار التى تحكم بسلطان المسلمين وهم حماتها واهل المنعة فيها هى دار الاسلام وان دار العهد هى دار غير المسلمين الذين ارتبطوا مع المسلمين بعهد (٧) .

وأما تعريف دار الحرب فقد اختلف فيه الفقهاء على رايين : احدهما : ان دار الحرب هى الدار التى لا يكون فيها السلطان للحاكم المسلم ولا تنفذ فيها احكام الاسلام ، وليس بين المسلمين وأهلها عهد ، وهذا راى ابى يوسف ومحمد وجمهور الفقهاء .

والرأى الثانى يذهب الى أن كون السلطان لغير المسلمين لا يجعل الدار دار حرب ، بل لا بد من تحقق شروط ثلاثة مجتمعة لتصير الدار دار حرب .. وهذه الشروط هى :

أولا : ظهور الاحكام غير الاسلامية .

ثانيا : أن يكون الاقليم متاخما للديار الاسلامية بحيث يتوقع منه الاعتداء على دار الاسلام (٨) .

ثالثا : ألا يأمن المسلم ولا الذمى فيها بحكم الاسلام ، بل يأمن فيها بعهد يعقده.

وهذا راى ابى حنيفة والزيدية وبعض الفقهاء .

قال الكاسانى : لا خلاف بين أصحابنا فى أن دار الكفر تصير دار إسلام بظهور أحكام الاسلام فيها ، واختلفوا فى دار الاسلام انها بماذا تصير دار الكفر ، قال أبو حنيفة انها لا تصير دار الكفر الا بثلاثة شرائط : احدهما : ظهور احكام الكفر فيها ، والثانى أن تكون متاخمة لدار الاسلام ، والثالث : الا يبقى فيها مسلم ولاذمى آمنا بالأمان الأول وهو امان المسلمين .

وقال أبو يوسف ومحمد : أنها تصير دار الكفر بظهور أحكام الكفر فيها (٩).
ويرى بعض المعاصرين (١٠) أن رأى الامام ابى حنيفة أرجح من رأى الصاحبين وجمهور الفقهاء ، لانه ناط الحكم على الدار بانها دار حرب بزوال امن المسلمين فيها ، ويتوقع الاعتداء عليهم منها ، وهذا يوافق الاصل في فكرة الحروب الاسلامية وانها لدفع الاعتداء ، وحماية الضعفاء ، ونشر الامن والسلام .

٦) وقد أومات آنفا الى ان الاصل في العلاقة بين المسلمين وغيرهم هو السلم ، وان الحروب ليست غاية في ذاتها ، فعالمية الاسلام كما أسلفت قامت على اسس وطيدة من المساواة والتعاون والتآلف والعدالة وحماية الفضيلة بين الناس جميعا ، وهذه الاسس تفرض أن تكون العلاقات الانسانية طابعها المودة والتكافل والاخاء ، وتدل على أن الحرب لا تكون مشروعة الا لحماية الأمة من الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون .
وعلاقة المسلمين بغيرهم في وقت السلم وان تلاقت عند أصول كلية عامة الا أنها تختلف اختلافات جزئية ، نظرا لاختلاف أحوال غير المسلمين مع المسلمين فغير المسلمين اما أن يكونوا أهل ذمة او مستأمنين ، واما أن يكونوا أصحاب عهد أو لا تربطهم بالمسلمين رابطة ما .

وما دام أهل الذمة رعية اسلامية أو جزءا من المجتمع الاسلامي يتمتعون فيه بكل الحقوق التي يتمتع بها المسلمون من الرعاية والحماية والانصاف والمودة مع ضمان الحرية الدينية لهم (١١) ، وذلك في مقابل ضريبة مالية يسيرة تعرف بالجزية تجب على الرجال القادرين دون النساء والاطفال — فانهم لهذا خارجون عن نطاق المعاملات الدولية بمفهومها الخاص والعام .
٧) والمستامنون هم الذين يدخلون البلاد الاسلامية على غير نية الاقامة المستمرة فيها ، ويسمح لهم بذلك لمدة معلومة يجوز تجديدها ، فالقاعدة هي عدم الاقامة الدائمة والا تحول المستأمن الى ذمي وأصبح رعية اسلامية (١٢) .
والاسلام وهو دين العدل والحرية والسلام عامل المستأمن الوافد على دياره معاملة كريمة انسانية لا تعرفها القوانين الوضعية ، فهو مادام محافظا على عقد الامان أو شروط الاذن بالاقامة المحدودة في ديار الاسلام له الحرية الكاملة في التنقل ومباشرة نشاطه الذى وفد من اجله كالتجارة أو الدراسة أو السياحة ، وهو آمن على نفسه وماله ولو كان ينتمي لدولة نشب القتال بينها وبين المسلمين .

ومعنى هذا ان المستأمن الذى يفد الى ديار الاسلام ليس بلازم أن يكون من دولة بينها وبين المسلمين عهد وميثاق ، فقد يكون من دولة لا تربطها بالمسلمين رابطة ما ، أو بينها وبين المسلمين حالة حرب ، وهو ما دام قد اذن له بدخول ديارنا فقد أصبح في حماية المسلمين مدة امانته ، وعليهم أن يوفروا له هذه الحماية ولو تعرضوا بسبب ذلك لخوض غمار الحرب ، فلو قال المشركون للمسلمين ادفعوه (اى المستأمن) الينا والا قاتلناكم وليس بالمسلمين عليهم قوة فليس ينبغي للمسلمين أن يفعلوا ذلك لانه غدر بأمانه (١٣) .
ويذهب جمهور الفقهاء الى أكثر من هذا فيرون أن مال المستأمن الذى اكتسبه في دار الاسلام يبقى على ملكه ولا تزول عنه ملكيته ولو عاد الى دار الحرب وقاتل المسلمين (١٤) .

٨) ويتمتع المستامن مع هذا بحريته الدينية ، كاملة ، ولكنه يخضع لاحكام الشريعة الاسلامية فيما يتعلق بالمعاملات المالية سواء أجرت هذه المعاملات بينه وبين مسلم أم بينه وبين ذمى أو مستأمن مثله .

وأما فيما يتعلق بالحدود فقد اختلف فيه الفقهاء ، فيرى بعضهم اقامة جميع الحدود عليه ، ويذهب الامام أبو حنيفة الى أنه لا يقام عليه من الحدود الا ما فيه حق العباد (١٥) ، وهو رأى الامام محمد أيضا (١٦) ، وذلك لأنا ندبنا الى معاملته معاملة تحمله على الدخول فى دارنا ليرى محاسن الاسلام فيسلم ، وهو بالأمان التزم حقوق العباد ، لأن دخوله لقضاء حاجته وهى تحصل بذلك ، فالتزم أن ينصفهم كما ينصف ، وان لا يؤذى أحدا كما لا يؤذى .

وأما حقوق الله فلاتلزمهلانه لم يلتزمها ، ألا ترى أنه لم تضرب عليه الجزية ولم يمنع من رجوعه الى دار الحرب (١٧) .

والرأى الذى أخذ به جمهور الفقهاء هو عدم التفريق بين حقوق الله وحقوق العباد ، وان المستأمن يخضع لاحكام الشريعة فى جميع الحدود ، وهذا الراى أكثر اتساقا مع المبادىء الاسلامية، لأنه يتفق مع ما ينبغى أن تكون عليه أمور الدولة من منع الفساد ، وكمال السيادة على كل من يقيم فى ربوعها (١٨) .
٩) وقد تحدث الامام محمد بن الحسن الشيبانى المتوفى سنة ١٨٩ هـ والذى يعد مؤسس القانون الدولى فى العالم كله — عن دار العهد أو الموادعة (١٩) ، ويعد أول فقيهتحدث عن هـــذه الدار ، فمن سبقه من الفقهاء والذين كتبوا فـــى السير كانوا يتحدثون عن دار الاسلام ودار الحرب فقط ، وكانت العهود تبرم أما بين المسلمين وأهل الذمة الخاضعين لهم ، أو بينهم وبين الحربيين والمستأمنين ، ولكن الامام محمدا (٢٠) تحدث عن دار لا تخضع فى الحكم للمسلمين فاهلها اذن ليسوا باهل ذمة ، ثم هم قد دخلوا مع المسلمين فى عهد موادعة ومســالمة ، فخرجوا بهذا عن أن يكونوا حربيين .

ويرى هذا الامام ان الموادعة غير جائزة الا فى حالة ضعف المسلمين فان كان بهم قوة فهى ليست جائزة وقد بنى محمد الموادعة (٢١) على صلح الحديبية ، فهذا الصلح كان موادعة موقوتة بين النبى صلى الله عليه وسلم ومشركى مكة .

١٠) ومهما تكن الظروف التى تدفع بالمسلمين الى موادعـــة غيرهم ، فـــان العلاقة بينهم وبين اهل دار الموادعة تقوم على احترام العهود المكتوبة وغير المكتوبة الى اقصى حد ، وعدم الغدر والخيانة مطلقا ، والتعاون المتبادل فى كـــل شىء الا فيما يكون سببا لتقوية غير المسلمين من السلاح ونحوه فان على المسلمين الا يمكنوا غيرهم موادعين أو حربيين من الحصول على ما يزيدهم قوة وبأسا (٢٢)

ويفصل الامام محمد فى دقة ما يجب على المسلمين من رعاية العهد والتحرز عن الغدر مع الموادعين ما تحسن الاشارة الى طرف منه فى شىء من الاجمال ، لما له من دلالة على سمو النظرة الاسلامية فى معاملة غير المسلمين ، وأيضـــا على التفكير الانسانى الذى سبق به محمد فقهاء القانون الدولى حتى فى العصر الحديث .

١١) يرى هذا الامام أن الموادعين اذا شرطوا فى اصل الموادعـــة أنهم ان

غدروا فقتلوا رهن المسلمين فدماء رهنهم لنا حلال ، ثم قتلوا هم رهننا ، فان دماء رهنهم لا يحل لنا (٢٣) .

ومع أن قوله تعالى « وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به » (٢٤) قد يبيح قتل رهن الموادعين اذا قتلوا رهننا يذهب محمد الى أن رهن الموادعين أصبحوا بدخولهم دارنا ذمة ، لهم حرمة المسلمين فى حقن الدماء الا بحق ، وهم لم يقتلوا بأنفسهم احدا من رهننا وعلى الحاكم المسلم ان ينتصف لهؤلاء المظلومين ممن اعتدوا عليهم . وكما لا يجوز قتل الرهن فى هذه الحالة لا تجوز الاساءة الى الرسل فى كل الحالات ، فهم فى حماية المسلمين الى ان يعودوا الى بلادهم ، وان كان هناك خلاف بين الفقهاء حول مدى خضوع الرسل الى الاحكام الاسلامية فى مجال العقوبات لكنهم يتفقون حول خضوعهم لأحكام المعاملات الاسلامية (٢٥)

وما دامت الموادعة جائزة فى حالة ضعف المسلمين دون قوتهم ، فانهم ان آنسوا من أنفسهم القوة ، وبدا لهم نقض العهد فكيف يتم هذا النقض بينهم وبين الموادعين ، وهو نقض ليست الغاية منه الرغبة فى الحرب لذاتها ، ولا السعى وراء مغنم مادى ولكن لأداء الرسالة المقدسة التى ناطها الله بهم ..

يقول الامام محمد : ولو بدا للامام بعد الموادعة أن القتال خير فبعث الى ملكهم ينبذ اليه فقد صار ذلك نقضا . ثم يستطرد فيقول : ولكن لا ينبغى للمسلمين أن يغيروا عليهم وعلى اطراف مملكتهم حتى يمضى من الوقت مقدار ما يبعث الملك الى ذلك الموضع من ينذرهم ، لأنا نعلم أن ملكهم بعدما وصل الخبر اليه لا يتمكن من ايصال ذلك الى اطراف مملكته الا بمدة فلا يتم النبذ فى حقهم حتى تمضى تلك المدة .

وبعد مضى المدة لاباس بالاغارة عليهم وان لم يعلم المسلمون ان الخبر اتاهم لأنه ليس على المسلمين اعلامهم ، ولكن ان علم المسلمون يقينا ان القوم لم يأتهم خبر فالمستحب لهم أن لا يغيروا عليهم حتى يعلموهم ، لأن هذه شبيهة بالخديعة ، وكما يحق على المسلمين التحرز عن الخديعة يحق عليهم التحرز عما يشبه الخديعة (٢٦) .

فهل عرفت القوانين الدولية الوضعية مثل هذه المبادىء السامية وهل يراعى انسان المدنية المعاصرة فى حروبه المدمرة شيئا منها ، أو انه يفخر بإبادة الضعفاء والأبرياء ، واخذ الآمنين على غرة خديعة ومكرا ؟ .

فاذا كان نقض العهد من قبل الاعداء فلا بأس على المسلمين ان يغيروا على اطرافهم وان علموا ان الخبر لم يصل اليهم ، ويستدرك الامام محمد قائلا : ومع هذا فان احاط العلم لأهل ناحية من المسلمين بان ذلك الخبر لم يصل الى اهل ناحيتهم فليس ينبغى ان يقاتلوهم حتى ينبذوا اليهم ، وهذا على سبيل الاستحسان (٢٧) .

ذروة فى التفكير الانسانى الخالص الذى يستمد منابعه من الايمان الصحيح والخلق الكامل والورع الصادق والضمير الحى ، والعدالة الرحيمة ، والأخوة الانسانية الكريمة ، ما احوج البشرية اليوم اليه — فانها على ما حققت فى مجال العلم والحضارة — فقيرة أشد الفقر الى هذا اللون من التفكير الذى يعيد اليها انسانيتها وامنها واستقرارها .

١٢) وأما غير الموادعين الذين ليست بينهم وبين المسلمين حرب فعلية ولا تربطهم بالمسلمين رابطة ما ، فانهم ماداموا لا يؤذون المسلمين ولا يحرضون على

ايذائهم ، فان العلاقة التى تربط المسلمين بهم تقوم على نفس الاسس التى تقوم عليها العلاقة بين المسلمين والموادعين من الاحسان اليهم والبر بهم وتبادل المنافع معهم الا فيما يكسبهم قوة ومنعة ، واذا اردنا السير اليهم لتبليغهم دعوة الاسلام فلا بد من اعلامهم وعدم الاعتداء عليهم أو الغدر بهم واخذهم على غرة (٢٨) .

(للبحث صـــلة)

---

(١) الآية : ١٣ فى سورة الحجرات .

(٢) أنظر الاسلام والعلاقات الدولية للدكتور مصطفى الحفناوى (مجلة المسلمون ـــ العـــدد ٣ من السنة الثالثة ص ٢٦٨) .

(٣) راجع العلاقات الدولية فى الاسلام للشيخ محمد أبو زهرة ص ١٩ وما بعدها .

(٤) أنظر نظرية الحرب فى الاسلام للشيخ محمد أبو زهرة ص ٣٠ ، ويضيف بعض الفقهاء دارا رابعة ، وهى دار البغى ، يكون الامر فيها للبغاة ، وهم كما عرفهم الزيلعى : الخارجون على الامام الحق بغير الحق . راجع تبيين الحقائق جـ ٣ ص ٢٩٣) .

(٥) أنظر الاسلام والعلاقات الدولية ، للدكتور مصطفى الحفناوى .

(٦) أنظر من الفقه الجنائى المقارن ، للمستشار أحمد موافى ، ص ٩٠ .

(٧) نظرية الحرب فى الاسلام ص ٣٠ ، والعلاقات الدولية فى الاسلام ، ص : ٥٣ .

(٨) ان اشتراط المتاخمة لتوقع الاعتداء أصبح فى عصرنا غير ذى موضوع ، فقد تطورت أسلحة الحروب ولم يعد القتال فى حاجة الى متاخمة (وانظر المصدر السابق ص ٥٤) وجاء فى تفسير المنار ان دار الحرب بلاد غير المسلمين وان لم يحاربوا ، وكانت القاعدة أن كل من لم يعاهدنا على السلم يعد محاربا (تفسير المنار جـ٦ ص ٤٠٩) .

(٩) انظر بدائع الصنائع جـ٧ ص ١٣٠ .

(١٠) أنظر العلاقات الدولية فى الاسلام ص : ٥٤ .

(١١) انظر : فى حقوق أهل الذمة فى الاسلام الخراج للامام أبى يوسف ، ص : ١٤٣ وما بعدها ، وارشاد الامـــة الى أحكام الحكم بين أهل الذمة للشيخ محمد بخيت المطيعى .

(١٢) انظر العلاقات الدولية فى الاسلام ص ٦٨ .

(١٣) شرح السير الكبير جـ ٣ ص ٢٠٠ .

(١٤) العلاقات الدولية فى الاسلام ٦٨ ، وانظر المغنى لابن قدامة الحنبلى جـ١ ص ٤٣٧ .

(١٥) شرح السير الكبير جـ٤ ص ١٠٨ .

(١٦) انظر الاصل ورقة ٩٥ والمبسوط جـ٩ ص ٥٥ .

(١٧) انظر تبيين الحقائق جـ٣ ص ١٨٢ .

(١٨) العلاقات الدولية فى الاسلام ، ص : ٧١ .

(١٩) أنظر شرح السير الصغير ، المبسوط جـ ١٠ ص ٨٥ ، وباب الموادعة فى شرح السير الكبير جـ٤ ص١ وما بعدها .

(٢٠) أنظر العلاقات الدولية ، ص : ٥٦ .

(٢١) شرح السير الكبير جـ٤ ص ٦١ .

(٢٢) أنظر شرح السير الكبير جـ٣ ص ٧٥ ، ١٧٧ ، ٢٧٦ .

(٢٣) شرح السير جـ٤ ص ٤٣ .

(٢٤) الآية : ١٢٦ فى سورة النحل .

(٢٥) أنظر : العلاقات الدولية فى الاسلام ، ص : ٧٢ .

(٢٦) شرح السير الكبير جـ٤ ص ٧ .

(٢٧) شرح السير الكبير ، جـ٤ ص ٨ .

(٢٨) المصدر السابق جـ٣ ص ١٠٩ ، و جـ٤ ص ق١ ، ٢٣ .

مغيرا نعمة انعمها على قــوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وأن الله سميع عليم (٧) » .

أى ان حال هؤلاء فى الكفــــر واستحقاق العذاب كحال آل فرعون والذين من قبلهم ، كفروا بآيات الله ، فعاقبهم الله على ما ارتكبوا مــن الذنوب . وإن ذلك التعذيب للكفرة بسبب أن الله لم يك مغيراً نعمــة انعمها على قوم ، مبدلا لها بالنقمة حتى يغيروا ما بأنفسهم ، كتبديل كفار مكة إطعامهم من جوع ، وأمنهم من خوف ــ بالكفر ، والصد عن سبيل الله ، وقتال المؤمنين .

وقوله :« وضرب الله مثلا قرية (٨) كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقهـــا رغدا (٩) مــن كل مــكان فكفــرت بأنعم الله ، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون (١٠) » .

والمعنى أن الله ضرب مثلا لكل قوم انعم الله عليهم بكثير من النعم فأبطرتهم وكفروا بالله ، فانتقم منهم بأهل مكة، فقد كانوا آمنين لا يغير عليهم أحد ، يأتيهم رزقهم واسعا من كل مكان ، فكفروا بأنعم الله ، وكذبوا النبى ، فأذاقهم الله صنوف البلاء ، وجعلهم فى جوع وقحط سبع سنين ، بسبب ما كانوا يقومون به من إيذاء الرسول وأصحابه .

فبالعقيدة والايمـــان ، والخـــلق المثـــالى ، والتضحية فى ســـبيل المصلحة العامة تنهض الأمم وتسمو . وبالتـــرف والنعيم واتبـــاع الشهوات والملـــذات ، وضعف الـــروح ، وفســـاد الأخلاق ، وانتشـــار حب الذات بين الأفراد تتأخر الأمم وتعود الى الوراء ، فتستعبد ، ويحتلهـــا غيرها من الأمم القوية بروحهـــا وإيثارها وإيمانها وعملها وتقواها .

ومما يؤسف له أن الروح المادى قد سيطر على العالم كله ، لا على العالم الإسلامى وحده . ولكى يسود العالم الإسلامى يجب أن يفكر فى الناحية الروحية كما يفكر فى الناحية المادية ، ويعمل لآخرته كما يعمـــل لدنياه ، ويترك حياة الترف والنعيم والملاذ والشهوات ، ويفكر فى المصلحة العامة لا فى مصلحته وحدها ،ويجعل حياة الرسول والخلفاء الراشـــدين قدوة له فى حياته .

---

(١) الأزمة : الشدة والقحط .
(٢) اتبعت ميول نفسها .
(٣) لا تفكر بعقولها .
(٤) السنا : الضوء .
(٥) سورة الرعد : ١١
(٦) وأصل الدأب : الدوام ، ثم غلـــب استعماله فى الحال والشأن والعادة .
(٧) سورة الانفال : ٥٢ ــ ٥٣ .
(٨) هى مكة ، والمراد أهلها .
(٩) رغدا : واسعا .
(١٠) سورة النحل : ١١٢ .

البعث الروحاني والجسماني بين الفلاسفة والغزالي

محمد مؤذن

(١) تقـــديم :

قد لا اكون مبالغا فى القول اذا ذهبت الى ان هذه المشكلة من اكثـــر المشكلات صعوبـــة واهمية فى تاريخ الفـــكر الفلسفى الاسلامى ..

ويرجع ذلك فيما نرى الى اسباب عدة اهمها كثرة الآراء التى تتضارب فيما بينها تضاربا شديدا بحيث يعسر الوصول الى الحق وسط هـــذا الاختــــلاط والتضارب والاختلاف بمعنى ان من يحاول دراسة هذه المشكلة سيجد لزاما عليه بحثها من خلال زوايا وابعاد متقاربة تارة ومتباعدة تارة اخرى ، حتى يستطيع تحديد موقفه ازاء هذه الآراء التى تدور حولها ..

ولكننا سنحاول من جانبنا بيان اهم معالم هذه المشكلة مختارين موقفين متعارضين لنرى كيف يدور الحوار بين اصحاب هذين الموقفين بغية الوصول الى الحقيقة ، معلنين باديء ذى بدء اننا سنلتزم بالعرض الموضوعى ، تاركين النقد الذاتى لمناسبة اخرى .

ولكى نتوصل الى تحديد معالم هذه المشكلة الكبرى ، نجد انه يجدر بنا بيان الآراء والاتجاهات حول هذه المشكلة ، وهى التى يمكن حصرها فى خمسة ، لا يهمنا منها فى هذه المقالة الا اتجاهين فقط هما اتجاه الفلاسفة الالهيين من جهة واتجاه الغزالى من جهة اخرى . بعد ذلك ندرس وجهة نظر المؤيدين للبعث الجسمانى والروحانى وادلتهم التى استندوا اليهـــا ، ثم آراء المؤيدين للبعث الروحانى فقط دون البعث الجسمانى . فاذا فرغنا من ذلك عرضنا لرد الغزالى وهو الذى اعتقد بالبعث الروحانى والجسمانى ، على موقف الفلاسفة الالهيين على وجه العمـــوم والذين ايدوا البعث الروحانى فقط .

(٢) الاتجاهات والآراء حـــول هـــذه المشكلـــة :

قلنا منذ قليل ان الاتجاهات حول هذه المشكلة يمكن حصرها فى خمسة (١) : الاتجاه الاول هو قول بعض أهل الجدل بأن الثابت هو المعاد الجسمانى



للدكتور محمد عـــاطف العــراقى

فقط . وأن المعاد ليس الا لهـذا البدن . فهم اذن قد ذهبوا الى نفى وجـود النفس الناطقة المجردة . واستدلـوا على رأيهم بالقول بأن البدن وحده هـو الحيوان ، وهو الانسان بحياة وانسانية خلقتا فيه ، وهما عرضان ، والموت هو عدمهما فيه وضد لهما . وفى النشأة الثانية يخلق فى هـذا البدن حياة انسانية بعد تفتت هذا الجسم ، ويصير ذلك الانسان بعينه حيا .

الاتجاه الثانى هو القائـل بثبوت المعاد الروحى فقط . وهذا ما ذهب اليه اكثر الفلاسفة الالهيين الذين رأوا أن الانسان بالحقيقة هو النفس الناطقة المجردة وأن البدن آلـة لهذه النفس تستعمله وتتصرف فيه لاستكمال جوهرها . فالنفس الناطقة لا تقبل الفناء أى العدم بعد وجـودها ؛ لأنها بسيطة . وهى موجودة بالفعل .

الاتجاه الثالث هو القائل بثبوت المعادين الروحانى والجسمانى معا . وهو قول سائر المسلمين وقول الغزالى ايضا . كما سنرى بعد قليل . والقائلون بهذا النوع من المعاد يجعلون الحياة بوجود النفس للبدن والموت بمفارقـة النفس للبدن . ويردون فى النشأة الثانية . النفس فى البدن بعينه الذى كانت فيه . فالنفس اذا ردت للبدن كان للمثاب والمعـاقب جميعا ثواب وعقاب بحسب البدن والنفس جميعا ، فكان للمثاب لـذات بدنية من المحسوسات ولذات نفسية من السرور . فهم قد قالـوا : دل العقل على أن سعادة الأرواح بمعرفة الله تعالى ومحبته ؛ وأن سعادة الاجسام فى إدراك المحسوسات . والجمـع بين هاتين السعادتين فى هذه الحياة غير ممكن ؛ لأن الانسان مع استغراقه فى تجـلى انوار عالم الغيب . لا يمكنه الالتفات الى شىء من اللذات الجسمانية . ومـع استغراقه فى استيفاء هذه اللـذات لا يمكنه أن يلتفت إلى اللذات الروحانيـة . وانما تعذر هذا الجمع لكون الأرواح البشرية ضعيفة فى هـذا العالم . فاذا فارقت بالموت ــ واستمدت من عالم القدس والطهارة قويت وكملت . فاذا أعيدت الى الابدان مرة ثانية كانت قوية قادرة على الجمع بين الأمرين ، ولا شبهة فى أن هذه الحالة هى الغاية القصوى من مراتب السعادات (٣) . .

هذا هو الاتجاه الثالث ، أما الاتجاه الرابع فيتمثل فى قول قدماء الفلاسفة

الطبيعيين الذين ذهبوا الى عدم ثبوت شيء من المعـــاد الجسماني والروحاني . فالنفس عندهم هي المزاج . واذا مات الانسان فقد عدمت النفس ، واعــادة المعدوم محال .

والاتجاه الخامس والأخير ، نستطيع أن نقول عنه انه يمثل الاتجاه ــ الذي يعبر عن موقف الشك . أي التوقف عن الادلاء برأي من الآراء التي سبق ذكرها ، والقطع به . وقد ذهب الى ذلك جالينوس في قوله : لم يتبين لي أن النفس هل هي المزاج فتنعــدم عند الموت ويستحيل إعادتها ، أو هي جوهر باق بعد فساد البدن فيمكن ــ المعــاد . .

(٣) البعث الجسماني وادلــة الشرع والعقــل :

وقد عبرت الكثرة الغالبــة من الباحثين في هــذا المجــال والمؤيديــن للبعث الجسماني عن ضرورة الجمــع بين المعاد الجسماني والاعتراف بصدق آيات القرآن . . دليل هذا قــول الرازي مثلا : اعلم أن الجمع بين انكار المعاد الجسماني ، وبين الاقرار بأن القرآن حق ، متعذر . لأن من خاض في عــلم التفسير ، علم أن ورود هذه المسألة في القرآن لا يقبل التأويل (٣) .

ونود أن نشير من جانبنا الــى أن القائلين بالبعث الجسماني يستندون اساسا الى فكرة الامكان . وهذا الامكان يقــوم في النهاية على ادلة الشرع . وهم يستدلون بعدة أدلــة :

منها أن عودة ذلك البدن في نفسه ممكن ، لان اعــادة المعــدوم إما أن تكون ممكنة أو لا تكون ممكنة . فان كانت ممكنة ، فالمقصود حاصل ، وان لم تكن ممكنة ، فان الدليل العقلي قد دل على أن الاجسام تقبل العدم ، ولم يــدل على أنها تعدم لا محالة . فلما ثبت بالنقل المتواتر من دين الانبياء أن القــول بحشر الاجساد حق ، وثبت أن الاجسام لو عــدمت امتنع اعادتهــا ، كان ذلــك دليلا قاطعا على أن الله لا يعدم الأجساد بل يبقيها بأعيانها . واذا كانت باقيــة بأعيانها ، فهي قابلة للحياة والعقل والقدرة . وحينئذ يصح القول بأن عودة ذلك البدن بعينه ممكنــة (٤) . .

ومنها أن الله لما كان عالمــا بجميع الجزئيات ، فانه قادر على تمييز اجــزاء بــدن هذا الانسان عن أجزاء بدن الانسان الآخر (٥) . .

ومنها أن الله قادر على كل الممكنات ، وعودة ذلك البدن في نفسه يدخل ضمن فكرة الامكان ، فالعــودة ممكنة . (٦) . .

واذا تساءلنا عن الآيات القرآنية التي يستدل بها القائلـــون بالبعث الجسماني على آرائهم هذه التي تقوم على فكرة الامكان ــ كما قلنا ــ ، وجدنا أن هناك الكثير من هذه الآيات التي نجدهم قد استدلوا بها في معرض دفاعهم عن آرائهم منها : « قال من يحيي العظام وهي رميم . قل يحييها الذي أنشأها أول مرة » (٧) ففي هذا استدلال بالابتداء على الاعادة . ومنها : « ما خلكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة » (٨) . ومنها : « أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم » (٩) . وهذا هو المعول عليه في الحجــاج حــول جــواز اعادة الخلق ، لأن الله حكم على الشيء بحكم مثله ، وجعل سبيل النظير ومجراه مجرى نظيره (١٠) . .

ومن هذا كله يتوصلون إلى ضرورة ثبوت المعاد الجسماني ، وانه أمــر معلوم بالضرورة ، لأن القــول دل عليه في آيات كثيرة . واذا قيل إنه ممكن ،

فسبب ذلك أن المــراد من الاعادة جمع الاجزاء المتفرقة ، وذلــك جــائز بالضرورة (١١) .

واذا كان هذا يعد بالضرورة أساسا طريقا شرعيا لأنه يستنــد ــ كما رأينا ــ على نصوص الآيات القرآنيــة ، فانهم لم يكتفوا بذلك . بل ذهبوا إلى أن هناك طريقا عقليــا لاثبات أقوالهم . وإذا تعمقنا فى مفهوم هذا الطريق الذى يلجأون اليه ، استطعنا أن نقول ان هذا الطريق يتمثل فى وجهين :

أ ــ نرى فى الدنيا مطيعا وعاصيا ومحسنا ومسيئا . ونرى أن المطيع يموت من غير ثــواب يصل إليه فى الدنيا ، والعاصى يموت من غير عقاب يصل إليه فى الدنيا . فان لم يكن حشر ونشر يصل فيه الثواب الى المحسن ، والعقاب الى المسىء ، لكانت هذه الحياة الدينية عبثا (١٢) . فاذا كان الله قد وعــد بالثواب وتوعد بالعقاب ، فيجب القول بعــود الناس ليحصل الوفاء بوعــده ووعيده (١٣) . .

ب ــ خلق الله الخلق إما للراحة وإما للتعب والألم ولا للراحة ولا للتعب . وليس من الجائز أن يقال انه خلقهم للتعب والألم ، لأن هــذا لا يليق بالمحسن . وغير جائز أن يقال خلقهم لا للراحة ولا للتعب والألم ، لأنهم حال كونهم معــدومين كان هذا المعنى حاصلا . فدل على أنه تعالى خلقهم للراحة (١٤) . .

هذه الراحة ــ فيما يقول فخر الدين الرازى ــ اما أن تكــون فى هذا العالم أو عالم آخر . ولا يجوز القول بأنها فى هذا العالم ، لأن ما يظنه الانسان لــذة فى هذا العالم ليس بلــذة ، بل هو دفع للألم . واذا افترضنا أن فى هــذا العالم لذة جسمانية ، فانها قليلة . وما يغلب هو الألم أو دفع الألم . يقول الرازى أيضا مؤيدا فكرته : « فليس من الحكمة القــاء الحيوان فى بحر الآلام والمكروهات لأجل أن يعود اليه ذرة من اللذات . فلما ثبت أن الحيوان انما خــلق لأجل اللذة والراحــة ، وثبت أن ذلك المقصود غير حاصل فى هــذا العالم ، وجب القطع بوجود عالم آخر بعد هذا العالم يحصل فيه هذا المقصود ، وهو الدار الآخــرة (١٥) . .

(٤) ابن سينا وموقف الفــلاسفة :

هذا عن موقف بعض المتكلمين الــذين لم يروا أى مانع فى الجمع بين المعاد الجسمانى والمعاد الروحانى . أما الفلاسفة فيعترضون على ما يذهب اليه القائلون بهذا النوع من المعاد .

واذا كنا لا نستطيع فى حدود النطاق المرسوم لهذه المقالة ، أن نستعرض حجج كل فيلسوف من فلاسفة الاسلام ، فاننا سنقتصر على بيان موقف ابن سينا، لشهرة هــذا الفيلسوف أولا ، ولأنه الفيلسوف الــذى ركز عليه الغــزالى هجومه ثانيا .

يذهب ابن سينا الى القول بأن الانسان ليس انسانا بمادته ، بل بصورته الموجودة فى مادته وتكــون الافعال الانسانية صادرة عنه لوجود صورته فى مادة . فاذا بطلت صورته عن مادته ، وعادت مادته ترابا أو شيئا آخــر من العناصر ، فقد بطل ذلك الانسان بعينه (١٦) . فاذا خلقنا فى هــذه المــادة بعينهــا صورة انسانية جديدة ، حدث عنها انسان آخر لا ذلــك الانسان .

يقول ابن سينا : « ان الموجود فى هذا الثانى من الأول مادته لا صورته .

ولم يكن هوما هو ، ولا محمودا ولا مذموما ، ولا مستحقا لعقاب أو ثواب بمادته بل بصورته ، وبأنه انسان لا بأنه تراب ، فيتبين أن الانسان المثاب والمعاقب ليس ذلك الانسان المحسن والمسيىء بعينه ، بل انسان آخر مشارك له فى مادته التى كانت له . وهكذا يؤدى هذا النوع من البعث — أى البعث الجسمانى — إلى اثابة غير المحسن وعقاب غير المسىء » (١٧) . .

وهؤلاء الفلاسفة ومنهم ابن سينا يذهبون الى أن الشريعة قد لجأت الى ضرب الأمثلة المحسوسة فى هذا المجال . ومرد ذلك أنها ضرورية بالنسبة للجمهور . يقول ابن سينا « فالشريعة أفضل قصدها الجزء العملى فى جنسه . . فانه اذا لم يمثل لهم — أى الجمهور — الثواب والعقاب الحقيقى البعيد عن الأفهام ، بما يظهر لهم ، لم يرغبوا ولم يرهبوا . وما لم يبعث أبدانهم لم يترشحوا للأمرين . فوجب فى حكم السياسة الشرعية ،تقرير أمر المعاد والحساب والثواب والعقاب على هذه الوجوه . . . فاضطر واضعو الشرائع فى الترغيب فى الثواب والترهيب بالعقاب الى القول بأن السعادة الأخروية باللذة الحسية والشقاوة الأخروية بالألم الحسى » (١٨) . .

بيد أن العقل — فيما يرى ابن سينا — لا يمكنه الوقوف عند حدود المحسوسات ، بل لا بد له من الصعود الى البرهان ، طالما أن هناك من السعادة والشقاء ما هو مدرك بالعقل والقياس البرهانى . وهى السعادة والشقاء التى للأنفس . يقول ابن سينا ملخصا وموضحا ذلك كله ومعبرا عن موقف الفلاسفة الالهيين على وجه العموم : « فالمعاد هو منقول من الشرع ، ولا سبيل إلى اثباته إلا عن طريق الشريعة وتصديق خبر النبوة ، وهو الذى للبدن عند البعث ، وخيرات البدن وشروره معلومة لا تحتاج الى أن تعلم ، وقد بسطت الشريعة الحقة التى أتانا بها نبينا (صلى الله عليه وسلم) حال السعادة والشقاء التى بحسب البدن . ومنه ما هو مدرك بالعقل والقياس البرهانى وقد صدقته النبوة ، وهو السعادة والشقاء الثابتان بالقياس اللتان للأنفس ، وان كانت الأوهام فينا تقصر عن تصورهما الآن » (١٩) . .

كما يذهب ابن سينا إلى أن الحكماء الالهيين رغبتهم فى إصابة السعادة الروحية أعظم من رغبتهم فى إصابة السعادة البدنية . وعلى هذا الأساس فسر الفلاسفة المعاد على أساس أنه سعادة للنفس أو شقاء لها . فالنفس بعد الموت اما شقية واما سعيدة ، وهذا هو المعاد .

(٥) نقد الغزالى للفلاسفة وتكفيره لهم :

لعلنا عرفنا الآن كيف يدور الحوار بين المعترفين بالبعث الجسمانى من جانب والفلاسفة من جانب آخر . أما الغزالى فقد ذهب إلى نقد الفلاسفة فى قولهم بأن النفس الانسانية جوهر روحانى قائم بنفسه لا يتحيز ، وليس بجسم ولا منطبع فى جسم ، ولا هو متصل بالبدن ولا هو منفصل عنه ، وأن النفوس الانسانية يستحيل عليها العدم بعد وجودها ، وأنها سرمدية لا يتصور فناؤها . .

فهو يقول (٢٠) : إن من المسائل التى خالف فيها الفلاسفة كافة المسلمين قولهم : ان الأجساد لا تحشر ، وانما المثاب والمعاقب هى الأرواح المجردة . والمثوبات والعقوبات روحانية لا جسمانية . وقد صدقوا فى إثبات الروحانية فانها كائنة أيضا . ولكنهم كذبوا فى انكار الجسمانية ، وكفروا بالشريعة فيما

نطقوا به . اذ أن الحشر والنشر ورد بهما الشرع — وهو حق ، والتصديق بهما واجب ، لأنه فى العقل ممكن ، ومعناه الاعادة بعد الافنـــاء ، وذلك مقدور الله تعالى كابتداء الانشاء ، والاعادة ابتداء ثان فهو ممكن كالابتداء الأول .

هذا ما يقوله الغزالى فى نقد الفلاسفة ذاهبا الى تكفيرهم . ولكن يجب أن نأخذ فى اعتبارنا أن الغزالى يفرق بين درجات الانكار . أى التفرقة بين انكار المعاد أصلا ، وبين أثبات المعاد على نحو عقلى مع نفى الآلام واللذات الحسية الجسمانية كما رأينا عند الفلاسفة كابن سينا . فالانكار الأول يراه الغزالى زندقة مطلقة ، أما الاثبـــات بالنـــوع الثانى فيراه الغزالى زندقة مفيدة . يقول الغزالى : أما الزندقة المطلقة فهى أن تنكر أصل المعاد عقليا وحسيا وتنكـــــر الصانع للعالم أصلا ورأسا . وأما اثبات المعاد بنوع عقلى مع نفى الآلام واللذات الحسية ، واثبات الصانع مع نفى علمه بتفاصيل العلوم ، فهى زندقة مفيدة بنوع اعتراف بصدق الانبياء وظاهر ظنى ..

ومن هنا ذهب الغزالى الى أنه من الضرورى ابطال انكـــار الفلاســـفة لبعث الأجساد ورد الأرواح الى الابدان ووجود النار الجسمانية ووجود الجنة والحـــور العين وسائر ما وعد به الناس ، وقولهم ان ذلك أمثلة ضربت لعـــوام الخلق لتفهيم ثواب وعقـــاب روحانيين هما أعلى رتبة من الجسمانيين .

واذا أردنا أن نستوضح رأى الغزالى فى هـــذه النقطـــة الأخيرة ، فلا بد أن نرجع الى كيفية تبرير الفلاسفة لآرائهم . ان الفلاسفة يقولون بأن اللذات العقلية أشرف من اللذات الجسمانية لسببين يعرضهما الغزالى أيضا :

أولهما : أن حال الملائكة أشرف من حال السباع والخنازير والبهائم . وليست لها اللذات الجسمية كالجماع والأكل والشرب ، وانما لها لذة الشعور بكمالها وجمالها الذى خصت به أنفسها فى اطلاعها على حقائق الأشياء وقربها من الله فى الصفـــات .

ثانيهما : أن الانسان قد يؤثـــر اللذات العقلية على الجسمية . وبهـــــذا تكـــون اللذات العقلية الأخروية أفضل من اللذات الجسمية والدنيوية .

ولكن الغزالى ، وان كان لا ينكـــر أن فى الآخرة أنواعا من اللذات أعظم من المحسوسات ولا ينكر بقاء النفس عند مفارقة البدن ، الا أنه — وهو رجـــل الدين — ينكر ذلك بالشرع ويتساءل عن المانع من تحقق الجمع بين السعادتين ، الروحية والجسمية وكذا الشقاوة . انه يرى أن اللذات المحسوسة الموجودة فى الجنان من أكل وشرب ونكاح يجب التصديق بها لامكانها .

واذا اعترض معترض ، وهو يقصد الفلاسفة ، بأن ما ورد فى الشرع إنما هو أمثال ضربت — لتقريب الفكرة الى الخلق وكذلك ما ورد من آيات التشبيه ، وأخباره ، إنما هى أمثال لتفهيم الخلق ، وأن الصفات الالهية مقدسة عما يتخيله عـــوام الناس ، فان الغزالى يرد قائلا : إنهما يفترقان من وجهين :

الأول : الألفاظ الواردة فى التشبيه تحتمل التأويل على عادة العرب فى الاستعارة . أما ما ورد فى وصف الجنة والنار فانه بلغ مبلغا لا يحتمل التأويل .

الثانى : أدلة العقول دلت على استحالة المكان والجهة والصورة وغير ذلك ، فوجب التأويل بأدلـــة العقول . أما ما وعد الله به من أمـــور الآخـــرة فليس محالا فى قدرة اللـــه ، فيجب اجـــراؤه على ظاهر الكلام ، بل على فحواه الذى هو صريح به ..

ويتابع الغزالى مناقشته للفلاسفة وهو فى معرض الرد عليهم ونقد آرائهم

فى هذا المجـال . فيرى أن للفلاسفة مسلكان فيما يختص باستحالة بعث الأجسام . وينقسم المسلك الأول وهو تقدير العود إلى البدن إلى ثلاثة أقسام .

فاما أن يقال . إن الانسان عبارة عن البدن . والحياة التى فيه هى عرض قائم به . كما ذهب الى ذلك بعض المتكلمين ، وأما النفس الذى هو قائم بنفسه ومدبر للجسم ، فلا وجود لها . ومعنى الموت انقطاع الحيـاة . ومعنى المعـاد اعادة الله البدن الـذى أنعـدم واعـادة الحياة التى انعـدمت .

واما أن يقال : ان النفس موجودة وتبقى بعد الموت ، ولكن يرد البدن الأول بجميع تلـك الأجـزاء بعينهـا ..

واما أن يقال : ترد النفس الى بدن . سواء كان من تلك الأجزاء بعينها أو من غيرهـا ويكون العائد ذلك الانسان من حيث أن النفس تلك النفس . فأما المادة فلا التفات اليها ، اذ الانسان ليس انسانا بها . أى بالمـادة بل بالنفس ..

وهذه الأقسام الثلاثة كلها باطلـة فى رأى الفلاسفة . فالأول ظاهـر البطـلان . لأنه مهما انعدمت الحياة والبدن . فان استئناف خلقهما ايجاد لمثل ما كـان لا يعنى ما كـان ..

والقسم الثانى محال ، اذ أن بدن الميت يستحيل ترابا أو تأكله الديـدان والطيور ويستحيل رمادا وبخـارا وهواء ..

والقسم الثالث محال عند الفلاسفة من وجهين . محال لأن المـواد القابلة للكـون والفساد محصورة فى مقعر فلك القمر لا يمكن عليها مزيد . وهى متناهية والأنفس المفارقة للابدان غير متناهية فلا تفى بها . ومحال لأن التراب لا يقبل تدبير النفس ما بقى تـرابا ، بل لا بد أن تمتزج العناصر امتزاجا يضـاهى امتزاج المنطقة ولا يكون انسانا الا اذا انقسمت أعضاء بدنه الى اللحم والعظام والأخـلاط ..

هذا هو القسم الثالث الذى يراه الفلاسفة محالا من وجهين . أما الغزالى فيؤيده مخالفا بذلك هؤلاء الفلاسفة فهو يقول ان الآيات القرآنية وما ورد من الأخبار عن عذاب القبر وغير ذلـك قد دل على البعث والنشور بعده ، وهو بعث البدن . وذلك ممكن بردها — أى النفس — الى أى بدن كان ، سواء كان من مادة البدن الأول أو من غيره أو من مادة استؤنف خلقها . فانه هو بنفسه لا ببدنه اذ تتبدل عليه أجزاء البدن من الصغر الى الكبر بالهزال والسمن وتبدل الغذاء ، وهو ذلك الانسان بعينه فهذا مقدور للـه ..

وهكذا يرد الغزالى على المسلك الأول من مسالك الفلاسفة بوجوهـه الثلاثة . واذا كنا لا نستطيع أن نذكر هنا مختلف وجوه رده على هؤلاء الفلاسفة فاننا نشير على القراء بالرجوع الى أوسع كتبه التى تعرضت لهذه المسألة ، مسألة الرد على الفلاسفة ، ونعنى به كتاب تهافت الفلاسفة . ونكتفى بأن نقول إن بقية ردوده على المسلك الأول لا تخرج كثيرا عما سبق أن ذكرناه . معتمدين على فكرة الامكان من جهة ، وعلى صريح آيات القرآن من جهـة أخرى .

بقى أمامنا لاتمام موضوع هـذه المقالة ، نقطة أخيرة هى المسلك الثانى للفلاسفة ورد الغزالى عليه . الفلاسفة — فيما يحكى الغزالى عنهم — يرون أنه ليس فى المقدور أن يقلب الحديد ثوبا منسوجا بحيث تنعم به الأجسام ، الا بأن تتحلل أجزاء الحديد بأسـباب تسـتولى على الحديد فتحلله الى أبسـط العناصر ثم تجتمع العناصر وتـدار فى أطـوار الخلقـة الى أن تكتسـب

صورة القطن ثم صورة الغزل وهكذا الى آخر المراحل . وعلى هذا القيــاس ينظر الفلاسفة الى الانسان المبعوث المحشور . فلو كان بدن من حجر أو ياقوت أو در أو تراب محض ، لم يكن انسانا . بل لا يتصور أن يكــون انسانا الا ان يكون متشكلا بالشكل المخصوص مركبا من العظام والعروق واللحم والغضاريف. وعلى هذا لا يمكن أن يتجدد بدن انسان لترد النفس اليه إلا بهذه الأمور .

هذا ما يذهب اليه الفلاسفة . ونود أن نشير الى أن مرد ذهابهم الى هذا القول هو ايمانهم بالتلازم الضرورى بين الأسباب ومسبباتها ومحاولتهم رد كل شىء الى أسبابه التى تدرك بالعقل .

بيد أن الغزالى يذهب الى تفنيد رأيهم الذى ذكرناه آنفا وينكره ونستطيع أن نقول ان هذا التفنيد من جانبه يقوم على دحضه للتلازم الضرورى بين الأسباب ومسبباتها . دليل هذا أنه يرى أن الترقى فى هذه الأطوار يحصل بمجرد القدرة من غير واسطة أو بسبب من الأسباب إن هذا كله ممكن عنده ، أى عند الغزالى . ولعل القراء يعرفون موقفه من السببية أى بحثه للعلاقة بين الاسباب ومسبباتها وكيف أنه انتهى الى نقد موقف الفلاسفة الذين يؤمنون بالتلازم والارتباط الضرورى بين الأسباب ومسبباتها . وهو هنا يفعل نفس الشىء . فهو يرى أنه ليس من الضرورى الاعتقاد بتلازم الأسباب . ويقول إن فى خزانة المقدورات عجائب وغرائب لم يطلع عليها ، ينكرها من يظن أن لا وجود إلا لما شاهده كما ينكر السحر والمعجزات والكرامات ، وهى ثابتة بالاتفاق ، بأسباب غريبة لا يطلع عليها .

بل يحاول الغزالى أن يقيم أسبابا جديدة ووجودا آخر غير ما نعهده . فهو يقول :

(فليس يتفكر المنكر للبعث أنه من أين عرف انحصار أسباب الوجود فيما شاهده ، ولم يبعد أن يكون فى إحياء الأبدان منهاج غير ما شاهده . وقد ورد فى بعض الاخبار أنه يغمر الارض فى وقت البعث مطر قطراته تشبه النطف وتختلط بالتراب . فأى بعد فى أن يكون فى الأسباب الالهية أمر يشبه ذلك ، ونحن لا نطلع عليه ، ويقتضى ذلك انبعاث الاجساد واستعدادهـــا لقبول النفوس المحشورة . (تهافت الفلاسفة ص ٢٨٩) ..

ولا جدال فى أن محاولة الغزالى هذه تقوم ــ كما سبق أن قلنا منذ قليل ــ على فكرة الجواز والامكان ونفى الضرورة المسببية طالما أنه يتصور قدرة الله مطلقة غير مقيدة بالنظام الضرورى الثابت كما يتصور هذه القدرة الالهية بأنها التى تستطيع فعل أى شىء سواء فى حياتنا الدنيوية أو فى حياتنا فى العالم الأخـــروى ..

إنها محاولة عميقة من جانب الغزالى ، ومجهود كبير قام به فى هذا المجال ولسنا هنا ــ كما قلنا ــ فى معرض مناقشته فيما انتهى اليه بل بيان الأسس التى تقوم عليها آراؤه وهذا هو ما يهم المشتغلين بالفكر الفلسفى الاسلامى . أما عن تطور محاولته هذه ومصيرها وأثرها وتأثيرهـــا فيمن جاء بعد من فلاسفة ومفكرين حتى أيامنا الحاضرة ، فان هذا جانب آخر نرجو أن يكون موضوعـــا لمقالـــة أخرى ..

نموذج من دعاة الصدر الأول

الحسن البصري

محمد موزون

للشيخ محمد الصادق عرجون

ولد أبو سعيد الحسن بن يسار البصرى سنة احدى وثلاثين للهجرة ، وهى مبتدأ المرحلة التى انتقل فيها زمام الدولة الاسلامية من عدل الخلافة الراشدة الى جور الملك العضوض ، كما أخبر بذلك النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه أصحاب السنن من قول النبى صلى الله عليه وسلم « الخلافة بعدى ثلاثون ، ثم تكون ملكا عضوضا » .

وفى هذا الحديث اشارة الى ما وقع من الفتن التى اجتاحت المجتمع الاسلامى ، وفرقت كلمة المسلمين فى ظل هذا الملك العضوض فلم تجتمع بعد ذلك ..

كان يسار أبو الحسن البصرى من سبى نيسان ، ثم صارمولى لزيد بن ثابت الانصارى رضى الله عنه ، وكانت أم الحسن (خيرة) جارية لأم المؤمنين السيدة الجليلة أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم .

ففى بيت النبوة نشأ الحسن مع أمه فى ظل أب عاش فى كنف رجل من أفضل وأعلم الانصار ، وفى هذا الجو الروحانى شب الحسن وترعرع ، حتى كان شابا أريبا ، يسمع ويرى ، فيعلم ويعقل ، وهو لماح الذكاء ، مصقول الفطرة ، مشرق الروح ، نير العقل ، طاهر القلب ، يرى آثار النبوة تتراءى أمام عينيه ، فتنطبع فى نفسه خلقا كريما ، وتتمثل فى حركاته عملا وسلوكا ، ويسمع من الأجلاء ما يروى من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وصف حاله وعيشه ، وسمته ، وأدبه ، وأخلاقه فى بيته ومع سائر أصحابه ، فيحفظ ما يسمع ، ويتأمل فى معانى ما يسمع ، ويتفقه فى حقائقها ، ويحيلها فى نفسه صورا حية ، ويجعل من شرائعها عملا واقعا فى حياته ، فيعمل بما علم ، ويتعمق فيما عقل منها .

فنشأة الحسن منذ مهده نشأة أدب رفيع ، وتهذيب عليم ، ودين محكم ، وهدى مستقيم وخلق عظيم .

استقبل الحسن رحمه الله فى طليعة حياته ألوانا من الفتن القاسية التى ألمت بالعالم الاسلامى ، وفى مقدمتها الفتنة العثمانية ، وهى تشتعل لهبا مدمرا ، أحرق أمن المجتمع وقضى على سلامه ، وأذاب طمأنينته واستقراره ، ودفعه الى الفوضى والاضطراب دفعا أسلمه الى فرقة قصمت ظهره ، فلم تستقم له قناة بعدها ، ولم تجتمع له كلمة ، فرقة تنادى بها الشيطان فخب فيها وأوضع ، وتواثب المنافقون الى أتونها يزكون أواره ، وتسارع الى تنورها أخابث اليهود ، من بقايا الغثاء الانسانى الذين تستروا بالتظاهر بالاسلام ، ليكيدوا للاسلام ، ووثب الى صدرها الطامحون الطامعون من شباب لم تستنر أرواحهم بأنوار النبوة ولم تشرب قلوبهم حب الايمان ، ولم تخالط بشاشته أفئدتهم ، وهم فتية استبعدتهم الدنيا بزخارفها ، فجعلوا سلطانها أكبر همهم ، وأعظم غاياتهم ، وأجل مقاصدهم ، استهدفوا من حياتهم هذا السلطان الدنيوى ، فخاضوا للوصول اليه الدماء ، واقتحموا فى سبيله جماجم الأبرياء ، أولئك الذين أضلهم الله ، وأضل بهم ، فعاثوا فى أرض السلام والاسلام فسادا فكانوا من الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى حياتهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

رأى أبو سعيد الحسن بن يسار البصرى كل هذا فأرمض نفسه ، وألبسه ثوبا من الحزن الكظيم لم يخلعه حتى مضى لسبيله الى الله تعالى .

فهو قد شهد الخليفة الراشد ذا النورين عثمان بن عفان فى محنته ، محنة الاسلام كله ، ورأى صبره على جهد البلاء ، ومصابرته لحاملى لواء الفتنة ، وسمع عثمان يخطب الناس ويحدثهم ، فروى عنه ما سمع ، وكان له يوم قتل عثمان رضى الله عنه خمس عشرة سنة ، وهى سن تبدأ فيها فورة الشباب وقوته ، وتطلعه الى آفاق الآمال البعيدة ، وهى سن تبدأ فيها مقومات الشخصية تتمايز عناصرها ، وتأخذ الى الحياة سمتها الذى تعيش به فيها ، وهى سن يبدأ فيها العقل تصحيح موازين الأمور ، وتبدأ فيها القوى الفكرية متحفزة لالتقاط صور الحقائق والمعانى فى هذه الحياة .

فى هذه السن المبكرة روى الحسن عن عديد من الصحابة ، كان من أجلهم عثمان رضى الله عنه ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس ، وعمران بن

حصين ، وسمرة بن جندب ، وعمرو بن تغلب ، ورأى الحسن ــ كما يقول أبو نعيم فى الحلية على لسان الحسن ــ سبعين بدريا ، صفوة الانسانية ، رآهم فى سمتهم وسلوكهم ، وشاهد عن عيان زهدهم فى الدنيــــا ، وعزوفهم عن زخارفها ، وعرف عن قرب شجاعتهم فى الحق ، وعلمهم وتعبدهم ، وايثارهم لله على من سواه ، فتخلق بأخلاقهم ، والتزم فى حياته سمتهم ، وسلك طريقهم ، حتى بلغ فى التابعين ذروة الفضل ، واقتعد سنام المكارم فى الاسلام ، وكان يدعى (سيد التابعين) ، يعظمه العلماء ، ويجله الأمراء ، ويهابه الولاة ، تخشى كلمته ، ويحترم رأيه ، ويقدر علمه وفضله كبار الصـــحابة الذين أدركهم ، وتلمذ لهم ، فكان أنس بن مالك رضى الله عنه اذا سئل قال لسائله : اســـأل مولانا الحسن ، فيقال له : ياأبا حمزة نسألك فتقول : اسألوا مولانا الحسن ، فيقول أنس رضى الله عنه تقديرا لعلم الحسن وفضله ، وثقة فى نقله ورأيه : ان الحسن سمع وسمعنا ، وحفظ ونسينا .

وفى تقدير فضل الحسن يقول على بن زيد : لو أن الحسن أدرك الصحابة وهو رجل لاحتاجوا الى رأيه . وكان عامر الشعبى يظهر اكباره واجلاله للحسن بمظاهر من الاكبار والاجلال لا يصنعها مع أحد غيره ، فقال له ابنه مرة : يا أبت انى أراك تفعل بهذا الشيخ من الاكبار ما لم أرك تفعله مع أحد قط ، فقــال الشعبى : يا بنى أدركت سبعين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم أر أحدا أشبه بهم من هذا الشيخ .

كان الحسن رحمه الله أفصح أهل عصره وأخطبهم ، اذا تكلم أبان عن مقاصده أبلغ ابانة ، واذا خطب قال من يسمعه : لو وضع له منبر فى عكاظ ما استمع الناس معه لقس بن ساعده ، ولا لأكثم بن صيفى ، واذا وعظ وجفت القلوب ، وذرفت العيون ، لم ينازعه براعة البيان وروعة الفصاحة فى عصره سوى طاغية عصره أخيشف ثقيف الحجاج الثقفى ، قيل لأبى عمرو بن العلاء سيد القراء ، وامام اللغة : من أخطب الناس ؟ فقال : الحجاج بن يوسف ، وصاحب العمامة السوداء بين أخصاص البصرة ، يعنى الحسن ، وكان الحسن يتعمم بعمامة سوداء ، اقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم ــ كما جاء فى بعض روايات تعممه ووصف عمامته ، روى مسلم عن عمرو بن حريث قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وعليه عمامة سوداء ، قد أرخى طرفيها بين كتفيه ، وفى حديث جابر بن عبد الله عند مسلم قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وعليه عمامة سوداء .

وكان الحسن رحمه الله أحرص الناس على التأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم فى أخلاقه وأحواله ، يترسم ذلك فيما يراه من حياة أصحابه الذين رأوه وأطالوا عشرته وتخلقو بأخلاقه .

ومن لطائف ما يذكر أن العلماء والرواة الذين ترجموا للحسن قالوا : إن سبب براعته الفائقة فى الفصاحة وروعة البيان ، أن أمه (خيرة) كانت ــ كما ذكرنا ــ جارية للسيدة أم المؤمنين ، أمسلمة زوج النبى صلى الله عليه وســــلم ، فأرسلتها سيدتها أم المؤمنين فى حاجة لها ، وكان الحسن اذ ذاك طفلا رضيعا فى مهده ، فبكى بكاء شديدا ، حرك فى قلب أم المؤمنين رقة ورحمة ، فأخذته ووضعته فى حجرها لتسكته ، وألقمته ثديها ، فدر عليه فشرب منه ، فمن تلك الرضعة التى شرب من أم المؤمنين كانت فصاحته وبراعته البيانية .

ولباب ما يشير اليه الرواة فى هذه القصة أن الحسن رحمه الله أدركته

نفحة من نفحات النبوة التى نهد فى كنفها ، وامتزجت بجسمه قطرة أو قطرات من غيثها فى لبن أم المؤمنين رضى الله عنها .

وقد نشأ الحسن رحمه الله مهذب النفس ، حكيم اللسان ، عليم القلب ، حصيف العقل ، زكى الفؤاد ، مرهف الحس ، تقيا نقيا ، ورعا زاهدا فى الدنيا وزخارفها ، ينأى عنها ، ولا يزاحم أهلها فى تطلبها ، قوالا بالحق فى شجاعة لا تتهور ، عزوفا عن المظاهر ، عيابا للدنيا والمتكالبين عليها ، لا يصفها الا بما يضعها تحت أقدام المتقين ، مشغولا عنها بالآخرة ، يخاف فتنتهـــا ، ويخشى غرورها وسطوتها ، يحذر نفسه من شرورها ، اذا خلى بنفسه وعظها وخوفها بأس الله وبطشه ، واذا كان مع الناس كان فيهم من شدة حزنه وخوفه من عذاب الله ، حتى كأن النار لم تخلق الا له .

روى أن الشعبى قال لحميد ، وهم بمكة : انى أحب أن تخلى لى الحسن ، فنقل حميد رغبة الشعبى الى الحسن ، وكان حميد مع الحسن فى بيت واحد ، فأجاب الحسن رغبة الشعبى ، وقال لحميد : اذا شاء ، فجاء الشـــعبى الى البيت وحميد واقف على الباب ، فقال للشعبى : أدخل عليه ، فانه فى البيت وحده ، قال الشعبى : ان أحب الى أن تدخل معى ، قال حميد : فدخلنا ، فاذا الحسن واقف قبـالة القبلة ، وهو يقول مخاطبا نفســه : يا ابن آدم لم تكن فكونت ، وسألت فأعطيت ، وسئلت فمنعت ، فبئس ما صـنعت ، ثم يذهب ويجىء وهو يردد هذه الكلمات ، ولم يشعر بوجود الشعبى وحميد ، ولم يلتفت اليهما ، فقال الشعبى لحميد : يا هذا انصرف بنا ، فان هذا الشيخ فى غير ما نحن فيه .

كان الامام أبو جعفر محمد بن الحسن بن على بن الحسين ، اذا ذكر عنده الحسن قال : الذى يشبه كلامه كلام الانبياء .. ؟

ويصف خالد بن صفوان — وكان منطيقا وصافا — الحسن ، وقد سأله عنه مسلمة بن عبد الملك فقال له : يا خالد أخبرنى عن حسن أهل البصرة ؟ قال خالد بن صفوان : أصلح الله الأمير ، أخبرك عنه بعلم ، أنا جاره الى جنبه ، وجليسه فى مجلسه ، وأعلم من قبلى به ، هو أشبه الناس سريرة بعلانية ، وأشبههم قولا بفعل ، ان قعد على أمر قام به ، وان قام على أمر قعد عليه ، وان أمر بأمر كان أعمل الناس به ، وان نهى عن شىء كان أترك الناس له ، رأيته مستغنيا عن الناس ، ورأيت الناس محتاجين اليه .

قال مسلمة بن عبد الملك : حسبك يا خالد !! كيف يضل قوم هذا فيهم ؟

يقول الرواة والاخباريون من أهل الصدق والثقة : عاش الحسن ما عاش فلم ير ضاحكا ، لا يراه الناس الا حزينا ، وما كان أحد أطول حزنا منه ، وكان يقول : يحق لمن يعلم أن الموت مورده ، وأن الساعة موعده ، وأن القيام بين يدى الله مشهده أن يطول حزنه .

وكان رحمه الله يقول وهو يتمثل أحوال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياتهم التى عاشها وشهدها : نضحك ولا ندرى لعل الله قد اطلع على بعض أعمالنا فقال : لا أقبل منكم شيئا ، ويحك يا ابن آدم !! هل لك بمحاربة الله طاقة ؟ انه من عصى الله فقد حاربه . ولقد أدركت ســـبعين بدريا أكثر لباسهم الصوف ، ولو رأيتموهم لقلتم مجانين ، ولو رأوا خيـــاركم لقالوا : ما لهؤلاء من خلاق ، ولو رأوا شراركم لقالوا : ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب ، ولقد رأيت أقواما كانت الدنيا أهون على أحدهم من التراب تحت قدميه ، ولقد رأيت أقواما يمسى أحدهم وما يجد عنده الا قوتا ، فيقول : لا أجعل هذا كله فى

بطنى ، لأجعلن بعضه لله عز وجل ، فيتصدق ببعضه ، وان كان هو أحوج ممن يتصدق به عليه .

قيل للحسن رحمه الله مرة : صف لنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبكى ، ثم قال : ظهرت منهم علامات الخير فى السيماء والسمت ، والهدى والصدق ، وخشونة ملابسهم بالاقتصاد ، وممشاهم بالتواضع ، ومنطقهم بالعمل ، ومطعمهم ومشربهم بالطيب من الرزق ، وخضوعهم بالطاعة لربهم تعالى ، واستقادتهم للحق فيما أحبوا وكرهوا ، واعطائهم الحق من أنفسهم ، ظمئت هواجرهم ، ونحلت أجسامهم ، واستخفوا بسخط المخلوقين طلبا لرضا الخالق ، لم يفرطوا فى غضب ، ولم يحيفوا فى جور ، ولم يجاوزوا حكم الله تعالى فى القرآن ، شغلوا الألسن بالذكر ، بذلوا دماءهم لله حين استنصرهم ، وبذلوا أموالهم حين استقرضهم ، حسنت أخلاقهم ، وهانت مؤنتهم ، وكفاهم اليسير من دنياهم لآخرتهم .

كان الحسن رحمه الله لا يدنو من الأمراء والولاة ، ولا يأتى أبوابهم ، وكان هؤلاء الأمراء والولاة يستنصحونه لما يعلمون من تجافيه عن الدنيا واخلاصه دينه لله تعالى .

وقد كانت بينه وبين عمر بن عبد العزيز مودة ومكاتبات ومراسلات ، تفيض نصحا ، واخلاصا وارشادا ، فقد كتب الحسن الى عمر لما استخلف : أما بعد فان الدنيا دار مخيفة ، انما أهبط آدم من الجنة اليها عقوبة ، واعلم أن صرعتها ليست كالصرعة ، من أكرمها يهن ، ولها فى كل حين قتيل ، فكن منها يا أمير المؤمنين كالمداوى جرحه ، يصبر على شدة الدواء خيفة طول البلاء . والسلام .

يرسم الحسن صورة حية لاخلاق المؤمن يلتقط معالمها من أخلاق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول : ان من أخلاق المؤمن قوة فى دين ، وايمانا فى يقين ، وحلما فى علم وعلما فى حلم ، وتحملا فى فاقة ، وقصدا فى غنى ، وانصافا فى استقامة ، لا يحيف على من يبغض ، ولا يأثم فى مساعدة من يحب ، لا يهمز ولا يلمز ، ولا يلهو ولا يلعب ، ولا يتبع ما ليس له ، ولا يجحد الحق الذى عليه ، ولا يتجاوز فى العذر ، ولا يشمت بفجيعة غيره ، قوله شفاء ، وصبره تقى ، وسكوته فكرة ، ونظره عبرة ، يخالط العلماء ليتعلم ، ان أحسن استبشر ، وان أساء استغفر ، وان عتب استعتب ، وان سفه عليه حلم ، وان ظلم صبر ، وقور فى الملا ، شكور فى الخلا ، قانع برزقه ، حامد فى الرخاء ، صابر على البلاء ، ان جلس مع الغافلين كتب من الذاكرين .

هكذا كان المسلمون من سلفكم الصالح ، وانما غير بكم غيرتم « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

كان عزوف الحسن عن الدنيا ، واعراضه عن المظاهر من أقوى أخلاقه التى جعلته لا يبالى بكلمة الحق فى وجه من يدعوه دينه أن يجابهه بها ، مهما كانت مرارتها ، ومهما كانت مكانة من يقولها له ، ومهما كانت النتائج التى تترتب عليها .

أرسل اليه عمر بن هبيرة لما ولى العراق من قبل يزيد بن عبد الملك ، وأرسل الى الشعبى معه ، وأمر لهما ببيت يعد لراحتهما ، فنزلا فيه ، وأقاما شهرا ، ثم جاءهما ابن هبيرة يتوكأ على عصا ، فسلم عليهما معظما لهما ، ثم قال لهما : ان أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك ينفذ الى كتبا أعرف أن فى إنفاذها الهلكة ، فان أطعته عصيت الله ، وان عصيته أطعت الله عز وجل ، فهل تريا لى فى متابعته فرجا .. ؟

فقال الحسن للشعبى : يا أبا عمرو أجب الأمير ، فتكلم الشعبى فانحط فى حبل ابن هبيرة ، فقال ابن هبيرة : ما تقول أنت يا أبا سعيد .. ؟

فقال الحسن : أيها الامير ، قد قال الشعبى ما سمعت ، فقال ابن هبيرة : ما تقول أنت يا أبا سعيد ؟ فقال الحسن : أقول : يا عمر بن هبيرة ، يوشك أن ينزل بك ملك من ملائكة الله تعـــــالى ، فظ غليظ ، لا يعصى الله ما أمره ، فيخرجك من سعة قصرك الى ضـــــيق قبرك ، يا عمر بن هبيرة ، ان تتق الله يعصمك من يزيد بن عبد الملك ، ولا يعصمك يزيد بن عبد الملك من الله عز وجل ، يا عمر بن هبيرة ، لا تأمن من أن ينظر الله اليك على أقبح ما تعمل فى طاعة يزيد بن عبد الملك نظرة مقت ، فيغلق بها باب المغفرة دونك ، يا عمر بن هبيرة ، لقد أدركت ناسا من صدر هذه الأمة كانوا والله على الدنيا وهى مقبلة أشد ادبارا من اقبالكم عليها وهى مدبرة ، يا عمر بن هبيرة ، انى أخوفك مقاما خوفكه الله « ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد » يا عمر بن هبيرة ، ان تك مع الله تعالى فى طاعته كفاك بائقة يزيد بن عبد الملك ، وان تك مع يزيد بن عبد الملك على معاصى الله وكلك الله اليه .

فبكى عمر بن هبيرة ، وقام عنهما بعبرته ، فلما كان الغد أرسل اليهما باذنهما وجوائزهما وكثر منه ما كان للحسن ، وكان فى جائزته للشعبى بعض الاقتار ، فخرج الشعبى الى المسجد فقال : يا أيها الناس من استطاع منكم أن يؤثر الله تعالى على خلقه فليفعل ، فوالذى نفسى بيده ما علم الحسن منـــه شيئا فجهلته ، ولكنى أردت وجه ابن هبيرة فأقصانى الله منه . ثم قال الشعبى : سفسفنا فسفسف لنا .

وكان الحسن من ألزم الناس للمسجد ، يدرس ، ويعلم ، ويعظ ، واذا سئل فى درسه أجاب بما يعلم أنه الحق ، وكان منافقو السياسة يتتبعونه فى دروسه ، ويدفعون اليه بالسائلين ، يسألونه فى الفتنة ، ورأيه فيها ، وللحسن رأى فى ذلك وقف عنده ، فلم يك مع الثائرين بالسلاح فى وجه الولاة الظالمة ، ولم يك مع هؤلاء الولاة يبرر ظلمهم ويدافع عنهم خشية سطوتهم ، ولكنه اعتزل السياسة ، وشغل بالعلم ، فاذا جاءته السياسة تمشى على ألسنة المنافقين جبهها بكلمة الحق ، لا يبالى على من وقعت ، ولا من أصابت .

سأله رجل على مسمع من جماعة أهل الشام ، وهم حضـــــائن الدولة المروانية ، فقال : يا أبا سعيد ، ما تقول فى الفتن ، مثل فتنة يزيد بن المهلب وابن الاشعث ، وكانا ممن خرج بالسلاح على المروانيين ، فقال الحسن فى صراحة الحق الذى يعتقده : لا تكن مع هؤلاء ولا مع هؤلاء ، فقال الرجل : ولا مع أمير المؤمنين يا أبا سعيد .. ؟

وهذا القائل لعله أراد احراج الحسن ، أو كان مدسوسا عليه ، فغضب الحسن لهذا النفاق السياسى ، ثم حرك يده حركات تعجبية ، تشعر القـــائل والسامعين أن الحسن أدرك الهدف الخبيث الذى يرمى اليه هذا القائل ، ثم قال : ولا مع أمير المؤمنين يا أبا سعيد ؟ نعم ، ولا مع أمير المؤمنين .

وكان الحسن رحمه الله لا يرى الخروج والثورة على الولاة والامراء الظالمة الذين استقر لهم الحكم فى الدولة ، ويقول : انما هم نقمة ، فلا تقابلوا نقمة الله بالسيف ، وكان يوصى بالصبر حتى تنفرج الغمة .

ولم يكن الحسن بعيدا عن بطش الحجاج ، ولكن الله تعالى حفظه منه ،

فلم تلحقه يده ، يقول الامام أيوب السختيانى : ان الحجاج أراد قتل الحسن ، وعزم عليه مرارا ، فعصمه الله منه ، ويقول ميمون بن مهران : بعث الحجاج مرة الى الحسن وقد هم أن يبطش به ، فلما قام الحسن بين يدى الحجاج ، قال له : يا حجاج كم بينك وبين آدم من أب ؟ قال : كثير ، قال : فأين هم ؟ قال : ماتوا ، ثم نكس الحجاج رأسه ، وخرج الحسن لم يمسسه منه سوء .

وقد تولى الحسن القضاء حسبة ، لم يأخذ عليه أجرا ، ولكنه لم يلبث فيه طويلا ، لأنه رأى أن منصب القضاء يحتاج الى تفرغ يبعده عن جمهور الشعب ، وكان المجتمع الاسلامى فى ذلك الوقت أحوج الى سماع صوت الحسن فى دروسه ومواعظه وتوجيهاته منه الى أحكامه القضائية ، لأن مكانه فى القضاء لا يعدم من يقوم فيه مقامه ، ولكن مكانه فى حلقات الدرس والتوجيه والارشاد لا يسد فيه مسده أحد .

ولما اعتزل القضاء ألح على عصريه وقرينه الألمعى ، ذى الفراسة الصادقة اياس بن معاوية أن يتولى القضاء خلفا عنه ، لأنه — فى رأى الحسن — أصلح من يكون له علما وذكاء وفضلا .

وتفرغ الحسن للدراسة ، يدرس الحديث والسنة رواية ودراية ، وكان كثير المراسيل ، يرويها لثقته وثقة الناس به ، فاذا ســـئل عمن روى ذلك أجاب .

ذكر ابن سعد فى الطبقات أن الحسن قال فى مجلسه : كان موسى نبى الله صلى الله عليه وسلم لا يغتسل الا مستترا ، فقال له عبد الله بن بريدة : يا أبا سعيد ، ممن سمعت هذا ؟ فقال : سمعته من أبى هريرة .

والمحدثون ونقدة الرجال لم يجعلوا مراسيل الحسن فى ميزان مع مراسيل سعيد بن المسيب ورجحوا عليها مراسيل سعيد .

وكان الحسن قواما بتفسير القرآن الكريم رواية عن الصحابة ، ودراية مستنبطة برأيه وعلمه وفهمه ، يروى عنه أبو جعفر الطبرى وسائر المفسرين القدامى ، ممن اقتصروا على تفسير القرآن بالمنقول .

ومما روى عنه من تفسير الفهم والدراية تفسيره لآيات خواتيم ســورة الفرقان التى تصف عباد الرحمن ، قال : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا » والهون فى كلام العرب اللين والسكينة والوقار « واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » حلماء لا يجهلون ، وان جهل عليهم حلموا ، يصاحبون عباد الله نهارهم بما يسمعون ، ثم ذكر ليلهم خير ليل فقال « والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما » ينتصبون لله على أقدامهم ، ويفترشون وجوههم سجدا لربهم ، تجرى دموعهم على خدودهم فرقا من ربهم ، لأمر ما سهروا ليلهم ، ولأمر ما خشعوا نهارهم « والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما » .

وكل شىء يصيب ابن آدم ثم يزول عنه فليس بغرام ، انما الغرام اللازم له ما دامت السموات والارض ، صدق القوم والله الذى لا اله الا هو ، فعملوا، وأنتم تتمنون ، فاياكم وهذه الأمانى رحمكم الله ، فان الله لم يعط عبدا بأمنيته خيرا فى الدنيا والآخرة .

وكان عصر الحسن رحمه الله مستنبتا لبذور الفرق الاسلامية ، التى بدأت جذورها فى أرض الاســلام تنفلق عن أغصــان التفرق فى بعض نواحى العقيدة ، وفى كثير من مسائل الفروع ، فقد ظهر أوائل الشيعة بعقيدتهم فى الامامة ، وربطوها بالايمان ، وظهرت معهم طلائع الخوارج بمقالاتهم التى كفروا

بها سائر طوائف المسلمين ، وقد أشجوا الدولة بحروبهم ، وكانوا شجا فى حلق الخلافة العلوية ، حتى انتهت بقتلهم أمير المؤمنين عليا بن أبى طالب رضى الله عنه ، ثم تحولوا الى حروب مدمرة مع الأمويين .

وكان الحسن رحمه الله على علم بمقالات هؤلاء وهؤلاء ، ولكنه لم يكن يعرض لها بجدل الا اذا سئل فانه يجيب بحجته وعلمه الذى ينبثق من الكتاب والسنة . .

وقد جرى فى مجلسه الكلام عن مرتكب الكبيرة ، هل هو مؤمن أو غير مؤمن ، فقرر الحسن أنه مؤمن فاسق ، غير مخلد فى النار ، وابتدر لمخالفته تلميذه واصل بن عطاء ، وقرر أن مرتكب الكبيرة فى منزلة بين منزلتى الايمان والكفر ، فلا هو مؤمن ، ولا هو كافر ، وهو مخلد فى النار ، وهذه المقالة فى حقيقتها عين مقالة الخوارج الذين قالوا بكفر مرتكب الكبيرة والاختلاف بين المقالتين لفظى ، لأن الخلود فى النار لا يكون جزاء الا على الكفر ، ولكن واصلا جبن عن اطلاق لفظ الكفر كما أطلقه الخوارج ، واعتزل واصل حلقة استاذه ، وعقد لنفسه حلقة ، وتبعه عمرو بن عبيد وآخرون ، فقال الحسن : اعتزلنا واصل ، ومن ثم جاء اسم المعتزلة على أصحاب واصل ومن نحا نحوهم .

دخل رجل المسجد على حلقة الحسن ، فقال له : « يا امام الدين لقد ظهرت فى زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر ، والكبيرة عندهم كفر ، يخرج به من الملة ، وهم وعيدية الخوارج ، وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر ، والكبيرة عندهم لا تضر مع الايمان ، بل العمل على مذهبهم ليس ركنا من الايمان ، ولا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، وهم مرجئة الأمة ، فكيف تحكم لنا فى ذلك اعتقادا » فتفكر الحسن فى الامر ، وابتدر واصل الجواب قبله فقال : أنا لا أقول ان صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ، ولا كافر مطلق ، بل هو فى منزلة بين المنزلتين ، ولا مؤمن ولا كافر .

ويرى بعض الباحثين من القدامى أن مذهب الحسن كان معروفا مشهورا ، وانما أسرع واصل باجابته على سؤال السائل وهو غير موجه اليه ليرد على مذهب الحسن ، ويقرر له مذهبا فى المسألة .

ولقد كان لمكانة الحسن العلمية ومقامه فى الأمة أثر بعيد المدى فى ادعاء الفرق له ، وانتمائهم اليه ، فالشيعة يحسبونه من أئمتهم ، والمعتزلة يعتدون به أشد الاعتداد ، وينظمونه فى سلكهم ، والخوارج لا يتورعون عن ضمه الى صفوفهم ، والصوفية ينتهون بأسانيدهم اليه ، وأهل السنة والحديث يعدونه رأسهم .

واذا كانت هذه صورة موجزة لهذه الشخصية العظيمة فى الاسلام . فحسبها أنها رسمت خطوطها العريضة فى اطار الحقائق التاريخية التى توضح أن الحسن البصرى كان أكبر شخصية معبرة عن حياة عصره ، وأعظم داعية من دعاة الاسلام بعد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

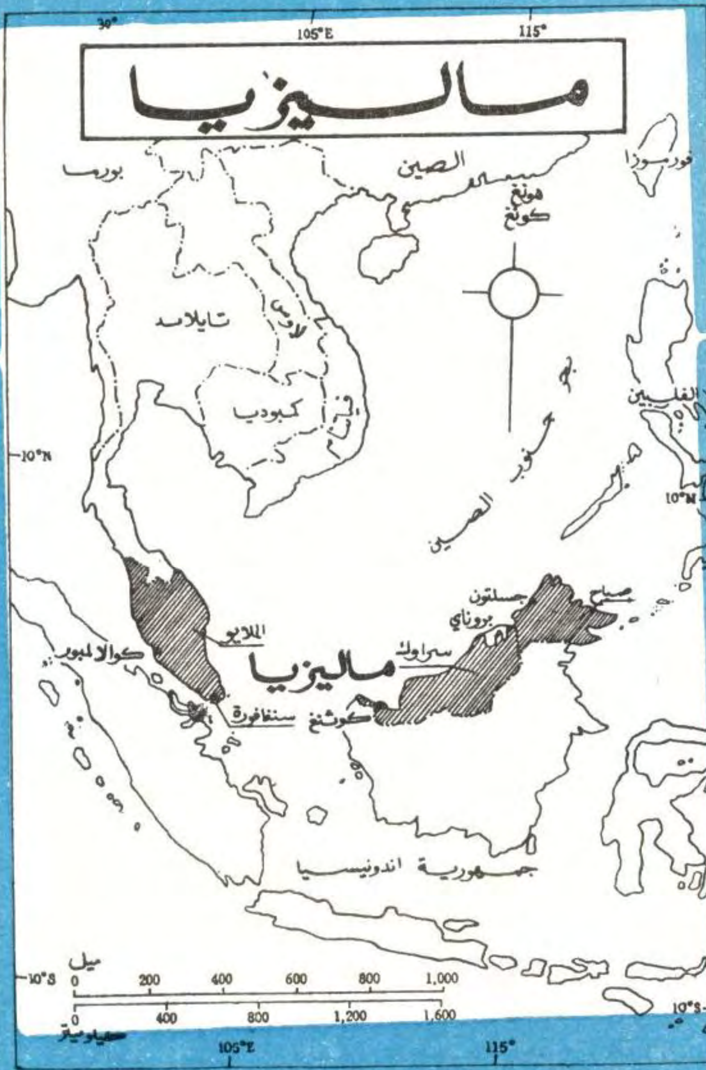
أضواء على التصوف في

ماليزيا

- **المتصوفون العرب الحضارمة هم الذين نشروا الاسلام مع غيرهم فى شبه جزيرة الملايو .**
- **كان سلطان ((ملقا)) الذى أعتنق الاسلام متصوفا زاهدا دعا للاسلام بقوة وشجاعـــة**
- **حمزة فنصورى فى الملايو يشبه ((ابن العربى المتصوف))**

من المهم قبل الحديث عن الصوفية فى ماليزيا أن نعطى فكرة للقارىء عن ماليزيا . هذا البلد المجاهد المسلم والذى يلعب دورا فعالا فى الحركة الاسلامية فى جنوب شرق آسيا .

الموقع الجغرافى : تقع ماليزيا فى الجنوب الشرقى لآسيا . وهى تتكون من **ماليزيا الغربية** والتى كانت تعرف فيما قبل **((بشبه جزيرة الملايو))** بولاياتها الاحدى عشرة وهى **ولايات كلانتان وترانجانو وبرليس وقدح** فى أقصى الشـــمال ثم **بهانج** فى الشرق (الساحل الشرقى لشبه الجزيرة) **وملاكا وسلانجور ونجرى سمبلان وجوهدر فى الساحل الغربى وجزيرة بنانج** والتى أخـــذ اسمها من اسم شجرة الاريقة وهو من الفصيلة النخلية .



للدكتور : جمال حماد

ثم ماليزيا الشرقية وتتكون من ولاية صباح وسراواك فى جزيرة بورنيو اما بقيـــة جزيرة بورنيو فهى تتبع أندونيسيا ما عدا « بروناى » وهى محميـــة بريطانية تقع بين ولاية صباح وسراواك ــ وحاكمها سلطان مسلم ــ وسكانها مسلمون وتدفق أخيرا البترول فى أرضها .

يفصـــل ماليزيا الغربية عن ماليزيا الشرقية بحر الصين الجنوبى ــ وهى تقع قريبا من خط الاستواء ، وتتوسط الموقع بين الهند والصين .

يحدها شمالا بلاد السيام (أو تايلاند) ويحدها جنوبا جمهورية أندونيسيا . وتشترك مع جزيرة سومطرة (فى مضيق ملقا) والذى ينتوى السيد تون عبد الرزاق رئيس وزراء ماليزيا بالاشتراك مع سوهارتو رئيس جمهـــــــورية أندونيسيا فى جعله مضيقا كهيئة قنـــاة السويس بمصر ، وسيحقق ذلك الى جانب المكاسب المادية وهى كبيرة ــ سيحقق وزنا سياسيا جديدا لدولتـــين مسلمتين يضاف الى وزنهما السياسى .

الســـكان : يبلغ عدد سكان ماليزيا تقريبا ١٠ مليون نسمة منهم ٥ مليون



« الصورة أثناء زيارة الملك فيصل لماليزيا فى يونيو سنة ١٩٧٠ وفى استقباله اليانج دى براتون أجونج السلطان عبد الحليم معظم شاه ملك ماليزيا .

ملاوى مسلم وهم أصل سكان البلاد (وكلهم مسلمون ويرجع اسلامهم الى القرن الثانى عشر والثالث عشر والرابع عشر ميلادى ولو انه يصعب التحديد) . ويوجد كذلك ٣ مليون صينى ومليون هندى وباكستانى — وعدة آلاف من أجناس أخرى .

ويعتقد أن الجنس الملاوى وهم أقدم جنس وطئت قدماه أرض الملايو — يقال انه قدم من منطقة يقال لها اليونان فى الصين

وبعضهم هاجر من أندونيسيا من جزيرة سومطرة وسيليبس والمذهب السائد هنا هو المذهب الشافعى .

نظام الحكم : نظام الحكم هنا ديموقراطى — على القمة ملك دستورى يقال له (اليانج دى برتوان أجونج) أى حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم وهو يختار من بين السلاطين للولايات المختلفة كل خمس سنوات .

ويصدر الملك قراراته عن طريق توصيات مجلس الوزراء والبرلمان . ورئيس مجلس الوزراء لا بد أن يكون ماليزى الجنسية وعضوا بمجلس الامة .

الاحزاب : هناك أحزاب سياسية كثيرة أهمها :

١ — الحزب الائتلافى Alliance Party وهو حزب الاغلبية الحاكم ويتكون من ثلاثة أحزاب هى الحزب الوطنى الاتحادى الملاوى U.H.N.O. والحزب الصينى الماليزى M.C.A. والحزب الهندى الماليزى M.I.C. ورئيس الحزب هو السيد تون عبد الرزاق رئيس مجلس الوزراء الحالى .

٢ — الحزب الملاوى الاسلامى Pan Malayan Islamic ورئيسه هو السيد داتو محمد عصرى وسكرتير الحزب هو السيد ابو بكر حمزة وهذا الحزب يحكم ولاية كلانتان . وله اعضاء فى المجالس النيابية المختلفة للولايات — وكذلك له اعضاء فى مجلس الامة الفدرالى الذى (يقولون عنه ديوان الرعية Dewan Ra'ayat



صورة لاحتفال المولد النبوى الشريف فى ولاية جوهور بهارو احدى ولايات ماليزيا وهم يستمعون لخطاب ولى العهد تنكو ماخوتا جوهور ــ وفى انتظار الاشتراك فى المظاهرة الاسلامية السنوية والتى تطوف شوارع العاصمة .

---

٣ ــ **ثم هناك حزب المثقفين** Gerakan Party وهو الحــزب الحاكم فى جزيرة بنانج .

٤ ــ حزب التقدم الشعبى Peoples Prosresive Party

٥ ــ حزب العمل Labour Party

٦ ــ الحزب الوطنى **Panty Negar**

وهناك أحزاب أخرى فى شبه جزيرة الملايو وصباح وسراواك .

الاقتصــــاد : مع أن المسلمين يكونون ٥١ ٪ من السكان الا ان نســبة الاقتصاد ورأس المال الذى بأيديهم لا يتعدى ٥ ٪ ، ٩٥ ٪ من الاقتصــــاد بيــد الصــــينيين . .

وكان لا بد من حل لهذه المعادلة الصعبة تركزت فى اتجاهات كثيرة منها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر :

أولا : تكونت مجالس اقتصادية اسلامية تبحث بالتفصــيل والاحصائيات كيف يدفعون بالملاويين المسلمين الى ميدان الاقتصاد والتجارة . ومحاولة توضيح النظام الاقتصادى الاسلامى لجمهرة المسلمين . وحل ما يصادفهم من مشاكل فى هذا الشأن . ويشترك فى هذه المجالس أساتذة الجامعة والاقتصاديــــون المسلمون . مع متابعة تامة ودقيقة لوضع المجتمع وبنيانه الاقتصادى ومــكان الملاويين فيـــه .

ثانيا : عملت الحكومة على تشجيع المعدمين من الملاويين بالســكنى فى مستعمرات هيئة الاصلاح الزراعى ــ التى تعطيهم قطعة أرض وتمدهم بالخبرة الزراعية وتبنى لهم مساكن ومدارس وغيرها .

ثالثا : أنشأت مجلسا يقدم منحا لاصحاب البلد الاصليين وهــم الملاويون يقال له مجلس « مــارا » (مجلس الثقة الشعبى) Maglis Amara Ra'ayat



فى نهاية الاحتفالات يقفون جميعا ويرفعون أيديهم ضارعين الى الله بالدعاء « الصورة فى سرمبان ويتوسطهم رئيس وزراء سرمبان رائد منصور بن عثمان » .

ومهمته تقديم منح دراسية فى الجامعة والمدارس فى الداخل والخارج للملاويين المسلمين . وغير ذلك كثير لا مجال لتفصيله فى هذا البحث .

ننتقل بعد ذلك الى موضوعنا الرئيسى وهو (التصوف فى ماليزيا)

وليست هناك دراسة عميقة مستفيضة ـ ولكن بين يدينا كتاب الفه السيد (نجيب العطاس) وأصدره معهد أبحاث الدراسات الملاوية الاجتماعية بسنغافورة . والسيد نجيب العطاس هو أحد الحضارمة العرب الذين وفد أجدادهم هنا فى هذه المنطقة وغيرها ينشرون دين الله الخالد ويدعون الى كلمة التوحيد ويعمل حاليا أستاذا بقسم الدراسات الملاوية بكلية الآداب جامعة الملايو بكوالامبور واسم الكتاب Some Aspects of Sufism as under stood and Prac tised among the Malays.

أما كتابه الذى يقع فى ١٠٦ صفحة من القطع المتوسط فقد قسم المؤلف فيه الحديث الى ثلاثة أقسام رئيسية :

القسم الاول : مدخل الى الصوفية

القسم الثانى : الصوفية كما يفهمها الملاويون

القسم الثالث : كيف يمارس الملاويون الصوفية

والحقيقة بأن المؤلف قد بذل جهدا فى هذا البحث الشيق ـ وبدأ الكتاب بالآية الكريمة مترجما معانيها الى اللغة الانجليزية وهى : « الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى . . »



صورة لافتتاح مسجد فى احدى قرى سرمبان احدى ولايات ماليزيا .

ويبدأ السيد نجيب العطاس بتعريف كلمة الصوفى ويقول : ان هناك أقوالا كثيرة عن سبب وأصل التسمية فمنهم من يرجعها الى (الصوف) ـ وبعضهم يقول ان أصلها من الكلمة اليونانية (صوفيا) بمعنى الحكمة ـ وغيرهم ينسبها الى الصفاء أى السمو بالروح والنقاء .. ويذكر المؤلف أن التصوف من الناحية التاريخية بدأ (بأهل الصفة) وهم من المسلمين الاوائل الذين كانوا يكثرون من الجلوس والتعبد فى أحد جوانب المسجد النبوى الشريف بصفة مستمرة ومنهم سلمان الفارسى .

ويعرج المؤلف بعد ذلك الى حسن البصرى وابراهيم بن أدهم ثم رابعة العدوية شهيدة العشق الالهى والتى كانت تعلم الناس كيف يحبون الله لا طمعا فى جنته ولا خوفا من عذابه وناره ولكن عشقا وفناء فى ذاته الواحد الأحد الفرد الصمد .

ثم تحدث المؤلف عن نظرية (المعرفة والإلهام) ثم المقامات التى يسلكها المريدون حتى يصلون الى معرفة الله . أو مرحلة الكشف والالهام والانفتاح على عالم الروح الربانى واشراقاته الحلوة ـ ويقول ان لمعرفة الله لذة لا تدانيها أى لذة مادية على هذه الارض مهما عظمت .. فاللذة الروحية هى قمة اللذات ..

ثم تحدث عن وحدة الوجود التى قال بها (ابن العربى) وغيره من المتصوفين والتى عارض فيها بعد ذلك كثير من الفلاسفة المسلمين فى القديم والحديث .



مبنى سكرتارية الحكومة بماليزيا ويلاحظ الفن المعمارى الاسلامى .

« ينتقل المؤلف بعد ذلك الى الصوفية كما يفهمها الملاويون » :

لم يستطع المؤلف أن يعطى تاريخا ثابتا للتصــوف ونشأته فى ماليزيا (شبه جزيرة الملايو قديما) ولكنه ذكر أن التصــوف اقترن بدخول الاسلام الى هــذه المنطقة ــ ويجزم بأن الصوفيين العرب وغيرهم هم الذين نشروا الاســلام فى الملايو ــ وتحمسوا لجذب كثير من الناس إلى رحــاب عقيدته . وقد تم انتشــار الصوفية وتركزت أسسها على أرض صلبة عام ١٤٨٨ م .

مع اعتنــاق ســلطان (ملاقا) أو (ملاكا) (١) للاسلام والذى يروى التاريخ عنه أنه كان متصــوفا زاهــدا وأن امبراطورية ملاكا ، عاشت فى ظله عصرا ذهبيــا .

وما بين القرن الخامس عشر والسادس عشر وجدت (الصوفية) كمنهج طريقها الى الساحل الشرقى من شبه جزيرة الملايو والى سومطرة ، بل لقــد ظهــر أقطــاب متصــوفون مثــل **« حمزة فنصورى »** فى القرن السادس عشر فى شمال سومطرة وكان يتبع الطريقة القادرية ــ وكان له أتبــاع ومريدون كثــيرون . .

والمؤلف معجب جــدا (بحمزة فنصورى) ويعتبره شبيها (بابن العربى وهو وان لم يكن يرقى الى مستوى ابن العربى فى المنهج والتفكير والكتابة ــ لكنه بالنسبة لعصره ووسطه والجو الذى عاش فيه واتباعه والطريقة التى كان يدعو بها ــ يشبه ابن العربى وقد ألف أشعارا صوفية كثيرة .

ونبغ أيضا فى الحقل الصوفى « (١٦٠٧ ــ ١٦٣٦) فى عهد الســلطان



مبنى البرلمان فى كوالالمبـــور « ديوان الرعية » .

« ماخوتا علم » المتصوف المعروف باسم « شمس الدين السومطرانى » نسبة الى سومطرة وكان الله فى عرفه هو « القدرة المحركة العظمى للكون والحيـــــاة وهو الأول والآخر والظاهر والباطن ولا تأخذه سنة ولا نوم » .

وفى سنة ٦٣٧ ميلادية ظهر المتصـــوف القطب الكبير الشيخ نور الدين محمد بن على بن حسن بن محمد حامد الرانيرى القرشى الشافعى وقد الف نور الدين كثيرا من الكتب وفنـــد بعضا من أقوال شمس الدين وحمزة فنصورى وله كتاب باسم « حجة الصديق لدفع الزنديق » وآخر باسم «التبيان فى معرفة الديان»

الطرق الصوفية فى ماليزيا : ما بين القرن الثانى عشر والسادس عشر كان يوجد بالملايو أربع عشرة طريقة أهمها القادرية والشهروردية والشستية والشاذلية والبدوية والدسوقية والصادقية والنقشبندية والخلوتية .

وكان لكل طريقة اتباع كثيرون . يدعون للاسلام ويعرفون المسلمين بأمور دينهم ويوضحون لهم الغامض . ونكتفى بهذا القدر فى هذا العدد .

---

(١) « ملاكا » أو « ملاقا » هى احدى ولايات اتحاد ماليزيا ويرجع تسميتها بذلك الى أنهـــا مكان التقـــاء العـــرب والملاويين لاول مرة — وهى مشتقة من كلمة « ملتقى » العربية .

مائدة القارئ

فن الحرب

يقسم فن الحرب الى أربعة اقسام :

١ ــ **تنظيم الجيوش** . ويراد به تجميع واستغلال جميع الوسائل الضرورية للحرب على أحسن وجه ، ومن ذلك توزيع الرجال على مختلف الوحدات ، ودراسة الامكانيات المادية والاسلحة والذخيرة ووسائل النقل والخدمات الصحية .

٢ ــ **الاستراتيجية** ، وهى اعداد خطة المعركة وقيادة الجيش فى المواقف الحاسمة والتعرف على المواقف التى يجب ان يتركز فيها المجهود الرئيسى خلال المعركة ، والمفاجأة هى اهم عناصر الاستراتيجية .

٣ ــ **التكتيك** وهو فن القتال واستخدام عناصر الجيش فى الاراضى والمواقع الملائمة وتنفيذ التحركات التى تمليها (الاستراتيجية) .

٤ ــ **الامدادات والتموين** ، وهى فن تقدير كل ما يمكن ان يحتاج اليه الجيش لتسهيل عملية القتال مثل المواصلات والاسكان والغذاء والملابس والمهمات والتموين بالمواد والذخيرة .

استمرار اليقظة

كثير من الناس يقومون بأعمال تحول بينهم وبين الذهاب الى فراشهم كل ليلة مثل الطيارين وسائقى القطارات والاطباء ورجال الاطفاء والشرطة ، وليظلوا يقظين يتناولون كميات من الشاى والقهوة ، وتحتوى هذه المشروبات على كميات من (الكافايين) وهذا الدواء يبطل مفعوله فى الوقت الذى يصبح فيه النوم ضرورة لا غنى عنه .

الظلم العظيم

عن ابن المسيب ــ أن عمر ابن الخطاب قرأ (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون) فلما قراها فزع فأتى أبى بن كعب فقال ــ يا أبا المنذر آية من كتاب الله . من يسلم ؟ فقال ــ ما هى فقراها عليه . . فاينا لا يظلم نفسه ؟

فقال ــ غفر الله لك ، اما سمعت الله تعالى ذكره يقول ــ « ان الشرك لظلم عظيم » انما هو ولم يلبسوا ايمانهم بشرك .

جـــــزر الكــويت

حول الكويت عدة جزر ، أكبرها جزيرة (بوبيان) لا يسكنها أحد وتقع في الشمال الشرقي من الخليج العربي ، وشمال بوبيان جــــزيره صغيرة اسمها (وربه) وفي مدخل جون الكويت جزيرة (فيلكا) وهي جزيرة قديمة آهلة بالسكان ، وبجوارها جزيرة (مسكان) وجزيرة (عوهـــه) وتقابل الساحل الجنوبي نفسه جزر صغيرة غير مأهولة وهي (كبر) و (قارورة) وأم (المرادم) وفي داخل الجون نفسه أكثر من جــــزيرة فبقرب ساحل الشويخ (الجزيرة الصغيرة) وقرب رأس عشيرج جزيرة (أم النمل) .

مـــن الاعـــلام

علي بن محمد بن حبيب . ابو الحسن الماوردي ، أقضى قضاة عصره ، من العلمــــاء الباحثين ، أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة . جعل (أقضى القضاة) في أيام القائم بأمــر الله العباسي ، وكان له المكانة الرفيعة عند الخلفاء . مـــات ببغداد سنة ٤٥٠هـ ونسبته الى بيع ماء الورد . ومن كتبـــه (أعلام النبوة) و (الاحكام السلطانية) و (ادب الدنيــا والدين) .

فــراغ عقلي

حكى أقضى القضاة الماوردي قال ــ كنت جالسا في مجلس مقبلا على تدريس اصــــحابي فدخل علينا شيخ قد ناهــــز الثمانين فقال لي ــ قدقصدتك في مسألة اخترتك لها ، فقلت ــ وما هي ؟ قال ــ اخبرني عن نجم آدم ونجم ابليس ما هما ؟

فبدر جماعة من الحاضرين بالانكار عليه والاستخفاف به ، فكففتهم عنه ، وقلت ــ هــذا لا يقتنع مما ظهر من حاله الا بجواب مثله ، وقلت لــه ــ يا هذا ان نجوم الناس لاتعرف الا بمعرفة موالدهم ، فان ظفرت بمن يعرف ذلك فاسأله ، فقال ــ جزاك الله خيرا ، وانصرف مسرورا .

الجهـــــاد

قال محمد بن ابراهيم : أملى علي عبد الله بن المبارك حين ودعته للجهاد هذه الابيات وارسلها معي الى الفضيل بن عياض :

يا عابد الحرمين لو ابصرتنــا	لعلمت انك في العبادة تلعــب
من كان يخضب خده بدموعــه	فنحورنا بدمائنا تتخضـــب
او كان يتعب خيله في باطــل	فخيولنا يوم الصبيحـــة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنــا	وهج السنابك والغبار الاطيب
ولقد اتانا من مقــال نبيــا	قول صحيح صــادق لا يكــذب
لا يستوي غبــار اهل الله في	انف أمرئ ودخان نار لا يكذب
هذا كتاب الله ينطق بيننــا	ليس الشـــهيد بميت لا يكــذب

الزي الاسلامي للمرأة ومزاياه



يقول الله سبحانه وتعالى :
« يا ايها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما » .

يامر الله نبيه الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ان يامر نساءه وبناته ونساء المؤمنين عامة إذا خرجن لحاجتهن أن يغطين اجسامهن ورءوسهن وجيوبهن ـ وهى فتحة الصدر من الثوب ـ بجلباب كاس فيميزهن هذا الزى ويجعلهن فى مامن من معابثة الفساق او ممن فى قلوبهم مرض فلا يتعرضون لهن باذى او ريبة .

ارتداء الملابس القصيرة وأخطاره

للدكتور فاروق محمود ساهل

والزى الاسلامى للمرأة هو أن تلبس ما يستر جسدها جميعه بملابس واسعة غير ضيقة ولا شفافة حتى لا تظهر ثنيات الجسم وتفاصيله مع السماح لها بكشف الوجه واليدين حتى الرسغين ..

ولا يخفى ما يبلغه مجتمع من العفة والطهارة إذا خرجت فيه النساء لقضاء حاجتهن حيث سمح لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال لعائشة رضى الله عنها « إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن » على أن يكن محتشمات الملبس .

ولقد عزى كثير من المصلحين والباحثين فساد كثير من شباب العصر إلى تعمد المرأة الخروج كاشفة أجزاء من عورتها ظلت تزيد وتزيد فلم يبق إلا القليل المستور من جسدها . وانبرى هدامون عديدون يفسرون ظاهرة كشف المرأة لعورتها وربطوها بنفسية المرأة وحبها للظهور والتبرج وعرض أجزاء من جسدها ثم استمتاعها بما يقع على سمعها من كلمات الغزل والاطراء من العابثين والفاسقين .. ووجدت المرأة من يقوم على تشجيعها بعدم ستر عورتها بجهاز ضخم منظم يشتمل على مصممين للأزياء الحديثة ودور للملبوسات الخليعة ومجلات ومسابقات وعروض وأفانين ، وكلها تخضع لتمويل واشراف اليهود طبقا لما ورد فى بروتوكولاتهم من افساد العباد وملء أوقاتهم بالفارغ من القول وجذب انتباههم بالتافه من العمل باسم التطور والرقى والمدنية و « آخر خطوط الموضة » ليظلوا بعيدين عن أمورهم الهامة ومشاكلهم الملحة ، فضلا عن امتصاص الاموال الطائلة .

والغريب أن تكاليف الثياب القصيرة أغلى بكثير من تكاليف الثياب المحتشمة البسيطة . . ولكن **« إن الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله ، فسينفقونها »**



١ ــ سرطان الميلانوما الخبيث فى القدم (عن سيبا CIBA بسويسرا)

ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبــون ، والذين كفروا إلى جهنم يحشرون » .
وصدق الله العظيم .. ثم تكون عليهم حسرة ..
فبالإضافة الى مجتمع يسيطر عليه الفساد والانحلال حين تتخلى المرأة عن ثياب العفة والنظافة ، ومايخسره هذا المجتمع نتيجة سلوك نســائه ثم شبابه ، بالاضافــة إلى ذلك فان الاحصائيات الحالية تشير إلى انتشار مرض السرطان الخبيث فى الاجزاء العارية من اجساد الفتيات اللائى يلبسن الملابس القصيرة ..
وقبل أن أذكر تفاصيل ذلك أود أن أقدم له بأن الله جلت قــدرته خلقنا وهو أعلم بخلقه وامرنا باتباع امور تجلب لنا النفع ونهــانا عــن اشياء تجر علينا الخراب والعذاب ، وفوق نفعها أو ضررها لنا فهى اختبار لمدى طاعتنا لله سبحانه وتعالى .. قد لا يبدو لنا من الوهلة الاولى مدى النفع أو الضرر من أمر إلهى ولــكن المؤمن الحق يؤمن به ويتبعــه دون جدل أو نقاش ، وبمرور السنين أو

الدهور تتجلى الحكمة الإلهية فيما أمرنا باتباعه أو اجتنابه ، ذلك هو الايمان بالغيب « **الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون** » . « **ليعلم الله من يخافه بالغيب** » فالمعروف أن العقل يعتمد على الحواس التى هى محدودة مقيدة ومالا تدركه الحواس لايدركه العقل . وليس معنى ذلك أن نلغى نعمة العقل والتفكير فلم نؤمر بذلك بل على النقيض أمرنا بالتدبر والتفكر واستعمال عقلنا فى غير ما شطط أو ضلال، ونلزم العقل الأصول والقواعد خشية التردي فى الهاوية (كما يحدث الآن للحضارات الاجنبية فى أوربا وأمريكا وآسيا) .

« ومع ذلك كله تجد فينا من لا يصيخون السمع إلى صوت الدين، وهم يلحدون فى آيات الله فيميلون بها عن وجهها حينا ، ويجادلون فيها أشد الجدال حينا آخر . ولكنهم يخضعون لهذه المزاعم الداعرة ويرونها فوق النقاش والمراء . هؤلاء قوم لا تقوم عندهم الحجة بالقرآن، ولكنها تقوم بهذه الظنون والاوهام فإذا عارضتهم بالثابت من قول الله سبحانه وتعالى — وهم يزعمون انهم مسلمون — لووا رءوسهم وقالوا : نحدثك فى العلم فتحدثنا فى الدين ؟ كأن هذه الاوهام أثبت عندهم من القرآن » وعلى كل فسنحدثهم بالعلم لعل فيه عبرة لهم وهداية ، فلقد نشر فى المجلة الطبية البريطانية(١) أن السرطان الخبيث (الميلانوما الخبيثة .

(Malignant Melanoma) والذى كان من أندر أنواع السرطان أصبح الآن فى تزايد وأن عدد الاصابات فى الفتيات فى مقتبل العمر يتضاعف حاليا حيث يصبن به فى أرجلهن وأن السبب الرئيسى لشيوع هذا السرطان الخبيث هو انتشار الازياء القصيرة التى تعرض جسد النساء لاشعة الشمس فترات طويلة على مر السنة ، ولا تفيد الجوارب الشفافة أو « النايلون » فى الوقاية منه ، وناشدت المجلة أطباء الاوبئة أن يشاركوا فى جمع المعلومات عن هذا المرض وكأنه يقترب من كونه وباء . .

« **وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب أليم** » .

ولقد حل العذاب الأليم — أو جزء منه — فى صورة السرطان الخبيث بل أخبث أنواع السرطان . وهذا المرض ينتج من تعرض الجسم لاشعة الشمس واشعة فوق البنفسجية فترات طويلة وهو ماتوفره الملابس القصيرة فى الحياة العادية أو أزياء البحر على الشواطىء ويصيب كافة الاجناس بنسب متفاوتة ويظهر أولا كبقعة صغيرة سوداء وقد تكون متناهية الصغر غالبا فى القدم او الساق (واحيانا بالعين) ثم يبدأ بالانتشار فى كل مكان واتجاه بينما هو يزيد وينمو فى مكان ظهوره الاول ، فيهاجم العقد الليمفاوية بأعلى الفخذ ويغزو الدم ويستقر فى الكبد ويدمرها وقد يستقر فى كافة الاعضاء ومنها العظام والاحشاء بما فيها الكليتان ولربما يعقب غزو الكليتين البول الاسود نتيجة لتهتك الكلى بالسرطان الخبيث الغازى . . وقد ينتقل للجنين فى بطن أمه . .

ولنا أن نتصور حالة إنسان مصاب بكل هذا يتمنى الموت فيه خلاصا من الآلام والدمار . .

ولا يمهل هذا المرض صاحبه طويلا ولا يمثل العلاج بالجراحة فرصة للنجاة كباقى أنواع السرطان الخبيث . .

علما بأن هذا السرطان الخبيث لا يستجيب إطلاقا للعلاج بجلسات الاشعة . .



٢ ـ السرطان الخبيث فى ساق مريض (عن سيبا CIBA بسويسرا)

وبعد . فعلى الرغم من ان التدخين يسبب سرطان الرئة وسرطان المثانة وامراض القلب والتهاب الشعيبات الهوائية المزمن (٢) إلا أن نسبة المدخنين ثابتة بل لربما فى تزايد واقصى ما فعلته الجهات الصحية فى أوربا ان اجبرت شركات الدخان أن تكتب عبارة « التدخين قد يضر بالصحة ! » وذلك على كل علبة من الدخان . .

وعلى الرغم من أن أمراض الخمر كثيرة جدا وقاتلة فأقصى ما فعلته الجهات الصحية المسئولة فى بعض البلدان أن حذرت الناشئة من تعاطيها . .

وعلى الرغم من أن أمراض الزنا (الامراض السرية) أبادت ملايين الناس رجالا ونساء عبر السنين إلا أن الزنا منتشر . .

وعليه فلا نتوقع أن يبدأ المسئولون فى نصح الفتيات بعدم ارتداء الملابس القصيرة إلا بعد أن تسقط الضحايا منهن بالآلاف .. ضحايا للاستغلال والمصالح الخاصة والكسب الحرام على حساب أرواح



٢ ــ قطاع بالكبد وقد غزاها السرطان الخبيث(الاسود)(من كلية الجراحين الملكية بلندن)

البشر . .

فإلى فتياتنا ولمن يشجعهن على التخلى عن زيهن الاسلامى محاكاة وتقليدا ها قد تبين لنا أن التقليد ضار بل يؤدى للهلاك فى الدنيا وفى الآخرة . . فسواء من الناحية المادية فالأثمان باهظة ومرتفعة . . أم من الناحية الاجتماعية تفكك وميوعة وضلال . .

أم من الناحية الصحية فالعذاب البدنى والموت المحقق . . ولعذاب الأخرة أشد وأبقى . .

« تلك حدود الله ، ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعصى الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين » .

وعلى فتياتنا المسلمات أن يفوتن الفرصة على دعاة الفساد وأن يتمسكن بتعاليم دينهن الحنيف يكسبن رضاء الله ويسلمن دنيا وينجين آخرة .

---

(١) المجلة الطبية البريطانية B.M.J. ١٩٧٢/١/١٥ م ص ١٣٠ .

(٢) المجلة الطبية البريطانية B.M.J. ١٩٧٢/٣/٢٥ ص ٧٦٣


حوار مع
إبليس
د ...

للاستاذ محمد لبيب البوهى

عدت الى دارى حزين النفس كئيب الفؤاد .. لقد كنت فى جولة حــدث خلالها ما أشاع فى نهــار النفس السواد .. لاشىء قد عاد يدخل السرور الى القلب .. فما السرور الحق غير أفراح الروح .. ولن تســعد الروح الا بما هو من طبيعتها .. ولكن كل شىء فى تلك الجولة كان يثير الاشمئزاز .. شباب على جنبات الطرق أكثر ما يشغلهم إرسال البصر فى محاسن الغاديات .. وسباب بين متعاركين لغير ما سبب جــاد .. وجلوس على المقــاهى بلا هــدف .. وتفاهات تبدو فى أشياء كثيرة .

عدت الى دارى وصدفت عن طعام العشاء .. حتى الصلاة تراخيت عنها وقلت فى نفسى : سأنهض قبيل الفجر وأصليها .. وآويت الى فراشى ورحت أتقلب ذات اليمين وذات الشمال .. واذا بى أجده بعد هنيهــة قائما أمامى .. ولقد كنت من قبل اظنه يأتى وله قرون سوداء ملتوية كقرون الكباش .. وفى وجه أسود كالفحم .. ولكن شيئا من هذا لم يحدث .. لــقد جاء على صورة أحــد هؤلاء الذين لقيتهم فى الجولة المحزنة .. لقد كان يبدو وسيما .. أو بمعنى أكثر دقــة يضع على وجهه هذا القناع .. كما يكون الغطاء المعطر الانيق على شىء عفن كريه ، ولكن أمره لم يخف على نفسى .. لقد عرفته على الفور .. وهممت من فراشى لأنهره مشيرا الى الباب ليذهب .. والى النافذة ليخرج منها ، والى الجدار لينفذ من مسامه الصماء .. فانه يستطيع ذلك فى سهولة ويسر .. ولكنه ظل ثابتا .. وأشعل سيجارة .. وراح يدخن ثم قال : أنت الذى دعوتنى بصورة ما .. ذلك أنه يبــدو أنك تريد أن تدخل معى فى حوار .

قلت فى غيظ : ان القحة تبلغ بك دائما حدا لا يطاق .. والا فبأى حق تفرض نفسك هكذا أيهــا الرجيم على الناس ..!؟

ج : قال فى هدوء وهو ينفث دخان سيجارته ، فيتلوى الدخان فى أفق الحجرة كأنه الافاعى : إننى لا أفرض نفسى على أحد .. إننى فقط عندما أدعى ألبى النداء .. إنهم دائما يلقون اللوم على .. وينسون أنفسهم ، إننى لست أكثر من تاجر أعرض بضاعة .

س : ولكنك خبيث غاش تخفى بضاعتك العفنة المسممة فى أغلفــة مزينة .. وليس ذلك بمستغرب منك فانك أنت الذى ابتدعت الخداع .

ج : يا عزيزى .. إننى لا أعرض بضاعة واحدة .. وليست هذه البضائع جاهزة عندى .. إننى أهيئها لساعتها وأقدمها وفق مواصفاتهم .. إننى لســت أكثر من مساعد لهم .. إنك تظن اننى أغشهم فأقدم البضاعــة فى لفائف تخفى حقيقتها .. إنهم يتفاخرون بما قد يحاول آخرون أن يخفوه .. إنها درجــات يا سيدى كما ترى .. عندى بضاعة للريفى الساذج .. وأخرى لسادات المدن .. حتى العلماء .. إن منهم كثيرين من زبائنى .

س : .. العلماء ..!! أى صنف من العلماء ؟

ﺟ : جميع أصنافهم حتى الـــذين يتصدون للـــوعظ .. اننى أســـجد لهم واسميهم بكبار العباقرة .. وأنهم قد أوتوا ما لم يؤت غيرهم من البلاغة ، فمنهم من يشمخ حينئذ بأنفه تيها وعجبا .. وبذلك تذهب تركات عملهم فى غياهب تيه الاعجاب ، وتتحول كلمات الوعظ على السنة هذا الصنف الى كلمات جوفاء لها رنين الصلصال ، إنه يحلو لى أن أتعامل مع هذا الصنف .. ان إثارة روح الاعجاب بالنفس هى بعض بضاعتى .. وإننى كما اغرى الاغنياء بطلب المزيد من الغنى حتى يشغلوا بالزائل .. فانه يطيب لى أيضا أن أغرى الزهـــاد بطلب المزيد من الفقر .

س : يبدو انك تهذى فيما أرى .. وإلا فما معنى أن تغرى الاغنياء بالمزيد من الغنى ، وتغرى الزهاد بالمزيد من الفقر ..!؟

ﺟ : قال ضاحكا : إنك تريد أن تنفذ الى أعماق بعض أسرار مهنتى .. لا بأس سوف أكشف لك الغطاء عن بعضهـــا ، لاننى أريد أن أنفـــذ الى قلبك بطريقتى الخاصة .. إننى اغرى الاغنياء بطلب المزيد من الغنى حتى يصبح طلب المال فى حد ذاته هدفا لهم ، واغريهم بالحرص عليه وحراسته .. فتضيع أيام الحياة فى هذا العبث ، ولن يجدوا بعد ذلك فى الطرف الآخر غير الهباء .. إنهم لن يقدموا بين أيديهم شيئا يجدونه هناك .. أما الزهاد فاننى أحاول أن اغريهم بالمزيد من الفقـــر .. حتى ينصرفوا عن الدنيا انصرافا تاما .. فينالها منهم أعداؤهم الذين يسعون ويعملون .. إن من بضاعتى دعوة الناس الى التطرف .. أعنى بعض الناس .. إننى أدعو كثيرا من الشباب ليتشبهوا بالنساء .. وانحنى أمـــام الكثيرات من النساء فى تواضع ومودة مشيرا عليهن أن يتشبهن بالرجال .. إن الامـــور حينئذ تختلط .. وتفقد القيم موازينها .. إنهم سوف يجدون فى هذا الانحراف لذائذ شتى .. إننى كما ترى خبير فى تلوين الحياة التى يشتهونها .. كى ادخل السرور الى قلوبهم .. تستطيع أن تسمينى فنانا من نوع خاص .. ولا بأس أن تدعونى كما تريد بصانع اللـــذات .

س : قلت غاضبا : يمكنك أن تخدع غيرى .. ذلك لاننى قد خبرت بضاعتك .. إنك تذهب باللذة العظمى فى سبيل نشوة حسية عابرة .. الا ترى أنك حين تدعو شابا للنظر الى محاسن امرأة تصرفه عما وعد به من لذة الروح ؟ أعنى أن اللذة العابرة للبصر تمحق اللـــذة الكامنة فى أعماق البصيرة .. وأن الذى يطلق لسانه فى الغير ، ويجد نشوة ما فى لهو الحديث سرعان ما يزحف الران على قلبه ..!؟

ﺟ : قال الخبيث فى هدوء وقد نهض وراح يذرع حجرتى طولا وعرضا بغير إذن منى : اعلم ذلك .. إنهم يدفعون الثمن راضين .. ارجو الا تنسى اننى تاجر أعرض الوانا شتى ، وانهم يتزاحمون على ابواب متجرى .. إن متاجرى تحسن عرض ما لديها وانا واسع الثراء .. لقد جنيت منهم — أعنى من عملائى — ارباحا طائلة ، لقد تعاملت على مدار أجيال العصور مع أكثر عظماء التاريخ .. إن لى ذكريات كثيرة مع قابيل .. وقوم نـــوح .. وعاد وثمود .. وإخـــوة يوسف .. و .. و ..

س : قلت فى مزيد من الغيظ وكأننى أبغى أن أصده عن هذا الاسترسال فى التفاخر : نعم .. نعم .. نعم اعلم ذلك عنك ، واعلم انك صديق وزميل لتيمورلنك .. وهولاكو .. ونابليون .. وكثير من امثال هؤلاء .. وكثير من القياصرة ..

ويبدو انني ادخلت السرور الى قلبه بهذا الاطراء ، ولكنه ما لبث بعد هنيهة أن عبث وتجهم وجهه حتى ازداد تفحما وقال : ولكن هناك أمر قد يخفى عليك وعلى الآخرين . . إن هؤلاء العظماء الذين تدعوهم أصدقاء لى وزمـــلاء هم بعض أسباب تعاستى . . إن أعمالهم أعنى جرائمهم تنسب الى . . وبذلك يزيدون من حجم مسئوليتى . . ويثقل بهم ميزان حسابى .

فأظهرت الشماتة به ، وقد رأيته حزينا على خلاف ما كنت أتوقع فقلت : إن كل واحد من هؤلاء كان يضع فى كل ساعة واحدة من ســاعات حياته فى ميزانك من اثقال الجرائم ما قد لا يستطيع ان يفعل مليون من عامة الناس . . إننى أعلم ذلك عن يقين . . وإننى لسعيد لانه لم يعد لك كما ترى عملاء من هذا الصـــنف .

جـ : فانفجر الرجيم ضاحكا واشار الى الجدار ، فبرزت شاشة بيضـــاء كأنها شاشة (السينما) ، واندفع صوت نفاثات تنطلق فى الجو . . وصـــياح صبية تحصدهم المناجل . . وامهات يولولن . . ثم رجل فى اقصى الغرب سعيد بهذه المناظر ويصدر الاوامر بالمزيد منها ، ثم قال إبليس : لا يخلو عصر من كبار عملائى . . هذا احدهم كما ترى ، إنه يريد أن ينجح فى انتخابات بلاده فى أقصى الغرب . . على حساب ملايين من البشر الذين يسفك دماءهم فى اقصى الشرق . . إنه يريد أن يصبح رئيسا فحسب على جثث كل أهل الارض . . وعلى كل حال فإننى أنا وحدى الذى أجنى الثمار فى النهاية . . لان هؤلاء يعبرون أيامهم مجرد عبـــور .

س : قلت : وما نوع علاقتك بهم — هل تظهر لهم المودة والوفاء ؟ . .

جـ : فعاد يقول : لقد رايتنى منذ لحظات حزينا كاسف البال . . ذلك ان كل جريمة من جرائم هؤلاء تبعدنى عن طريق الرحمة خطوات . . إن الواحد من هؤلاء ما ان يتم ما آمره به حتى يصيبنى منه ما يشبه الإعصار الذى يهـــوى بى بعيدا بعيدا عن منبع النور .

س : قلت وانا امسك برأسى من الدوار : إننى لا افهمك ايهـــا الرجيم اللئيم . . كيف تحزن حين تجد نفسك بين اعوانك هؤلاء سيدا مطاعا !؟
جـ : قال وقد بدت بعض الدموع تترقرق فى مآقيه : الا ترى أن الاجـــرب قـــد يلتذ حين يحك جلده حتى يدميه !؟ الا ترى انه لو امتنع هؤلاء عن طاعتى لخفت جرائمى . . ولأمكن أن أتصور بزوغ بعض الأمل فى أفق حياتى . . إننى أوسوس لهم ولغيرهم ، وبودى لو عصونى ، كالسكير الذى يكره الخمر ، ولكنه قد أصبح مدمنا لا يستطيع من أسرها فكاكا . . ومن اجل ذلك فإنه يطيب لى دائمـــا أن أرى عملائى وهم يتجرعون هول ما قدمت أيديهم .

س : قلت : تعنى انك تفرح بما يصيبهم يوم يقدمون حسابهم للسماء . . !؟

جـ : قال : لا . . إننى اترك للسماء حسابها الذى تراه يـــوم الدينونة . . أما أنا . . هنا على الارض . . فإنه ما من آثم اتبعنى إلا حرصت على الانتقام منه قبل ان يموت . . إننى قد أرفعه وهو ســـاه غافل حتى القى به من حالق الى المهاوى السحيقة . . ويطيب لى ان ارسل ضحكات الشماتة أمام ابصارهم. فى لحظاتهم الاخيرة . . استحضر فى ذهنك من تعرف من العصاة ابتداء من

شارب الخمر .. إلى مدمن الأفيون .. الى عباد الغوانى .. الى كبار عباقرة الإجـرام التاريخى .. إننى انا وحدى الذى آخذ بأيديهم فى أول الامر الى حيث يشتهون .. ولكن لا أحد ينتهى بنهاية طيبة على الإطلاق ــ إما الفضيحة .. وإما العــار .. أو السجن .. أو المرض ، أو عذاب النفس ، أو الانتقام من أعراض ذويهم ــ إنهم كما يضعون أحجار أوزارهم فى ميزانى أنتقم منهم قبــل أن يموتوا ــ وهذا بخلاف ما ينتظرهم هناك .

وعــلا صــوت إبليس مجلجلا قويا ، غاضبا ثائرا هادرا كالموج ، وهــو يصيح : ولكنهم لا يرجعون .. إن الملايين منهم يبحثون عنى ويسيرون خلفى عن طواعية .. إنك لن تستطيع أن تنبئنى بإنسان وقع بين يدى ثم نجــــا من مخالبى .. تذكر ما أصاب فرعون .. وهامان .. وقارون .. وقتلة الانبياء .. وعظماء التتــار .. إن نفس المصير ينتظر عما قريب مشعلى النار فى فيتنــام وأرض النبوات ..

س : قلت : يبدو أنك تريد فى بعض الاحيان أن تكون واعظا .. !؟

ج : فقال وقد استرد من جديد تمام هيئته الشيطانية وتفحم وجهه وصاح : إننى لا أعظ أحدا .. إنما أذكر لك فحسب سنة من سنن الحياة .. انه قــدر مكتوب يجب أن القاه وأن يلقاه معى كل من تبعنى .

س : علمت ما تنزله بأولئك الذين يضاعفون من حجم آثامك .. إنك بعد أن تمد لهم فى خيط اللذات تعود فتنتقم منهم بصور شتى .. حتى إن التاريخ ليعى بحق المصائر الكئيبة التى انتهى اليها كل ظالم أو جبار ، ولكن ما شــأنك مع مئات الملايين من أولئك الذين يرتكبون كل يوم الآثام العادية ، أعنى تلــك الرذائل التى قد لا تتعدى محيط أصحابها ؟

ج : قال فى هدوء خبيث : إننى لست ظالما بالقــدر الذى تتصور .. إن السهم ترتد بقدر قوة شدك لها .. هؤلاء يصيبهم جزاء من جنس ما عملوا .. ان السكير يفسح الطريق لولده ليقتدى به .. وكذلك الكذوب .. وتارك الصلاة .. هناك أسر بأسرها قد تعيش فى مثل هذا التيه باسم تقليد ولى أمرها .. أو باسم العادة التى فرضت سلطانها على هذه الأسرة .. الا النــــادر ، أو ما تتغلب فيه إرادة قوية لحكمة من عند الله .. إن العربيد الذى يطيب له أن ينتهك الاعراض .. ترتد قوسه فتمزق عرضه فى أحد أفراد أسرته من قــريب أو من بعيد .. إن الآثام كالامراض لها ميكروبات تنقل نفس العدوى .. أعنى نفس جرثومة المرض .. إن العربيد قد لا يشاهد بنفسه صورة أعماله وهى تتكرر فى إحدى زوايا الاسرة .. ذلك انه كما قد يبالغ فى إخفاء أمره .. فإن ما يقع قد يظل أيضا فى طور الخفــاء .. هذا بالطبع ما لم تحــدث تــــوبة صـــادقة .

س : قلت : وبمناسبة التوبة .. لعلك تبدو شديد الاسف حين تجـــد آثما يتــوب .. ويرجع عن طريقك .. فيتناقص بذلك عدد عملائك .. ؟ إننى أتصورك حينئذ وأنت تعض أناملك من الغيظ .

ج : قال الرجيم : قد لا تستطيع أن تصدقنى اذا أجبتك بأننى شــــديد التقدير والاحترام لأولئك الذين أعجز عن الوصول اليهم ــ هنــــاك على سبيل المثال فتى حاولت معه .. وأخذ يصدنى وحاولت .. وحاولت .. وبذلت له كل

صنوف الإغـــراء .. ولكنه كان دائما يكتشف مكانى .. ويرى صورتى البشعة خلف كل عمل مزين .. لقد استطاعت إرادته أن تصرع إرادتى .. وفى النهاية تررت الابتعاد عنه .. وأصبحت بعد ذلك كلما قابلته فى طريق أنحنى له تحية وإعـــزازا .. وأشعر أننى إزاء رجل بحق ، والآخرون أطفال مهما تقـــدمت بهم السن .

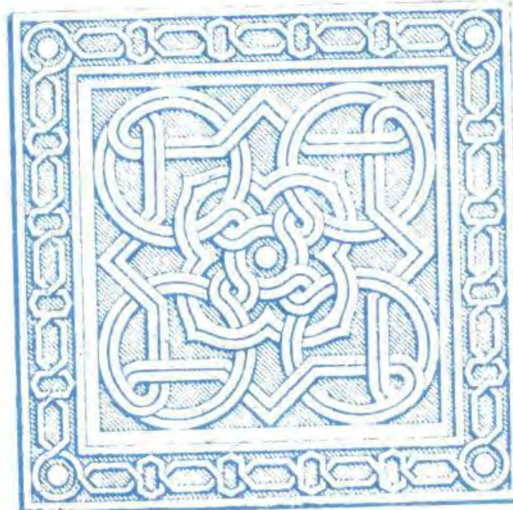
.. .. ..

اخذت اتعجب مما اسمع من حديث هذا اللعين .. وانا فى حـــيرة بين تصديق كلامه وتكذيبه .. إنه يستطيع أن يضع على وجهه من الأقنعـــــة ما يشاء .. حتى يبدو وكأنه الواعظ الصادق .. لقد كان يتحدث احيانا بصوت خافت هادىء مرتب .. واذا أمعنت النظر والفكر وجدت هذا الحديث ينقلب رويدا رويدا الى ما يشبه فحيح الأفاعى ثم يعود صوته مرة أخرى فيجلجل كالعاصفة الهـــوجاء .. فأهز رأسى وأعود الى الشك فى كل ما يقول .. أو على الاقل فى الاهداف التى يرمى اليها .

وقـــد كنت أود أن يمتـــد بيننا الحوار لأعرف طرائقه فى أسلوب معاملاته. واكشف عن كثير من طرائق حياته .. غير أن الجدار الذى خلفى قد انشق .. وبدا من جوفه صوت كالرعد يدعوه .. وكأنه قرأ ما يجول فى ذهنى فقـــال : ســـوف تسعد الآن بمفارقتى اياك .. إننى مدعو لانتخابات الرئاسة عند أولئك الذين يظنون أن أقدار الشعوب قد صارت فى قبضة أيديهم .. سوف أعشش فى رأس كبيرهم .. لأحشـــو هذا الرأس بخفافيش الأفكار السوداء التى حشوت بها رؤوس أمثاله من قبل .

وبسط الرجيم عباءته فبدا كخفاش أسود كبير يملأ بجناحيه الفضـــاء ثم انطلق .. وما زلت أتابعه حتى بدا فى الأفق وكأنه قد أصبح نقطة صـــغيرة ســـوداء .

ونفضت رأسى كأننى أصحو من نعاس .. راغبا فى استكمال الحـــوار بصورة أخرى فى وقت قريب .





مكتبة المجلة

اعداد الاستاذ عبد الستار فيض

سلاسل المناظرة الاسلامية النصرانية
بين شيخ وقسيس

كتاب يقع فى (٤٠٠) صفحة .. وضعه الأستاذ عبد الله العلمى .. إظهارا لحقائق خفيت على النصارى وتقريبا بين الأديان السماوية .. ودفاعا عن العقيدة التى تقر بها جميع الأديان .. وهى وحدانية الله وتنزيها للسيد المسيح عما ينسب إليه .

وقد جعل المؤلف كتابه هذا على شكل مناظرات وحوار بين شيخ وقسيس ... وقد قام باعداد الكتاب وتنقيحه وتحضيره للطباعة نجل المؤلف الدكتور عبد الحليم العلمى .

والكتاب مقسم الى احدى عشرة سلسلة .. متضمنة جميعها الابحاث التى دار الحوار فيها بين الشيخ والقسيس ...

مؤتمر
تفسير سورة يوسف عليه السلام

كتاب يقع فى جزءين كبيرين ... من تأليف الأستاذ عبد الله العلمى ... والكتاب يوضح طبائع اليهود والنصرانية الموروثة من آبائهم ... ويرد على مفتريات دعاة التبشير على الدين الاسلامى الحنيف .. ويدعو الى البحث الحر .. ونبذ التقليد الأعمى ... وقد تضمن الكتاب بحثا مستفيضا عن عقيدة التوحيد فى التوراة والانجيل .. كل ذلك فى ظلال تفسير سورة يوسف ..

والكتاب يعتبر مرجعا هاما للعلماء والخطباء والوعاظ والمرشدين .... ولا يستغنى عنه طالب علم .

وقد قدم الكتاب واشرف على إعداده وتبويبه نجل المؤلف الدكتور عبد الحليم العلمى .

والجزء الأول ينتهى بصفحة (٦٧٢) .. والثانى ينتهى فى صفحة (١٤٨٠) وهو من مطبوعات دار الفكر ببيروت .

سمط اللونى

الجزء الأول من كتاب يحمل بين صفحاته أجوبة لأسئلة كثيرة متنوعة اجاب عنها مؤلفه فضيلة الشيخ عبد الله النورى مستمدا إجاباته من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وتدور هذه الأسئلة حول العديد من المواضيع منها ما يتعلق بكتاب الله وتاريخ الرسل والرسالة ومنها ما يتعلق بالروح والمغيبات والمعتقدات كما يحتوى الكتاب أيضا أجوبة على استفسارات عن العادات والبدع والخرافات ومشكلات المجتمع وشئون المرأة وغير ذلك .

والكتاب يقع فى (٤٢٨) صفحة ومن طبع دار الهنا للطباعة بالقاهرة .

الفتاوى

اموال الدولة

السؤال :

ما حكم المتستر على من يسرق من أموال الدولة .. ؟

الاجابة :

لا تجوز السرقة من أموال الدولة ، والسارق ان كان من الموظفين المكلفين برعاية هذه الاموال كان ذنبه أكبر لأنه من الخائنين ، والخيانة لا تحل مطلقا ، وعلى من علم به أن يرفع أمره للمسئولين كي يصون أموال الدولة وينال السارق جزاء الخائنين ..

والتستر عليه يعتبر فى الاسلام مشاركة فى المعصية يستحق به الساتر العقاب كما يستحقه السارق،روى أبو داود عن سمرة بن جندب قال : أما بعد فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من يكتم غالا فانه مثله » والغلول هو السرقة من المغنم قبل قسمته ومثله تماما الاموال العامة .

التمريض

السؤال :

قرأت فى بعض كتب الفقه انه يجوز للمرأة الاجنبية خدمة الرجل ومشاهدة عورته حال المرض ، فما مدى هذا القول من الصحة .. ؟

الاجابة :

يقول المحقق الشيخ محمد الحامد الحموى إن هذا النقل ان صح بتجويز تمريض المرأة الرجل الاجنبى منها ورؤيتها عورته حال المرض فهو محمول على حال الضرورة القصوى حيث لا يوجد رجل له معرفة بالطب والدواء ، ومعلوم أن الضرورات تبيح المحظورات ، وانها تقدر بقدرها ، فلا يجوز للمرأة الممرضة حيث تعينت للمداواة اطلاق البصر فيما وراء موضع العلة ، بل يجب أن يكون نظرها بتحفظ دقيق وبقصد المعالجة ..

وهذا الذى نقل ان صح — مقيد بهذا القيد الدينى — وقد ذكر الفقهاء أن الطبيب الرجل له مداواة المرأة المريضة حيث لا توجد امرأة تقوم على علاجها ، قالوا : وينظر الى موضع العلة فقط ، ويغض بصره ما أمكنه الغض وبذا يلتقى نظر فقهائنا مع ما نقله السائل .

المصـــحف

السؤال :

هل يجوز شرعا بيع المصحف وشراؤه .. ؟

الاجابة :

اتفق الفقهاء على جواز شراء المصحف ، واختلفوا فى بيعه ، فأباحه الأئمة الثلاثة ، وحرمته الحنابلة ، وقال احمد : لا أعلم فى بيع المصحف رخصة .

بيع المضطر

السؤال :

لنا جار مدين واضطر لبيع بعض اثاث داره لتسديد ما عليه من الدين ، ولما عرضت الأشياء المطلوب بيعها قدر ثمنها باقل من الواقع ، فهل يجــوز لى شرعا شراء بعض هذا الاثاث بالثمن المقدر مع علمى بانه اقل من قيمته الحقيقية ؟

الاجابة :

المطلوب فى هذه الحالة شرعا أن يعان المضطر أو يقرض حتى يفرج كربته والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « من فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة » .

واذا لم تجد النفس بالعون أو القرض فالأفضل والأورع أن تشـــتريه بقيمته الحقيقية ، وليس هناك ما يمنعك وفى هذا أيضا عون لأخيك وتيسير عليه ، فاذا اشتريته بالقيمة المقدرة مع أنها أقل من القيمة الحقيقية صح البيع مع الكراهة لما فيه من شائبة الاستغلال .

العربون

السؤال :

أشتريت سيارة من صديق لى ودفعت له جزءا من الثمن او ما يســـمى بالعربون ثم عدلت عن شراء السيارة ، وطالبت صديقى برد المقدم الذى دفعته له ، فهل يحل له شرعا اخذ هذا المبلغ .. ؟

الاجابة :

أجاز الامام أحمد بيع العربون لما رواه نافع بن عبد الحارث أنه اشترى لعمر دار السجن من صفوان بن أمية بأربعة آلاف درهم ، فان رضى عمر كان البيع نافذا وان لم يرض فلصفوان أربعمائة درهم .

شبكة الصياد

السؤال :

يحدث أن يشترى احد الناس من صياد السمك قبل ان يلقى بشباكه ما يقع فى هذه الشباك من السمك بمبلغ من المال ، وقد تخرج الشبكة وليس فيها شىء وقد تخرج وفيها قليل من السمك وقد تخرج وفيها الكثير ، فهل هذا البيع حرام أم حلال .. ؟

الاجابة :

هذا البيع يسمى بيع الغرر ، وهو بيع المجهول وهو قريب من القمار ، وقد نهى الشارع عنه ، ومنع منه .

الجهر بالبسملة

السؤال :

ما حكم الجهر بالبسملة فى الصـــلاة عند قراءة الفاتحة ، وغيرها من السور .. ؟

الاجابة :

اختلف العلماء فى ذلك ، فبعضهم استحب الجهر بها ، وبعضهم كره ذلك واحب الاسرار بها وهذا هو الأرجح والأفضل لما ثبت فى الحديث الصحيح عن انس ــ رضى الله عنه ــ قال :

كان النبى صلى الله عليه وسلم ، وابو بكر ، وعمر لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم ، وجاء فى معناه عدة أحاديث وورد فى بعض الأحاديث ما يدل على استحباب الجهر بها ولكنها أحاديث ضعيفة ، ولا نعلم فى الجهر بالبسملة حديثا صحيحا صريحا يدل على ذلك ، ولكن الأمر فى ذلك واسع وســـــهل ولا ينبغى فيه النزاع ، واذا جهر الامام فى بعض الاحيان بالبسملة ليعلم المأمومون انه يقرؤها فلا بأس ، ولكن الأفضل أن يكون الغالب الاسرار بها عملا بالأحاديث الصحيحة .

ميراث المفقــود

السؤال :

توفيت امراة عن زوج واختين شقيقتين واخ شـــــقيق مفقود ، وتركت (١١٢٠) دينارا فكيف تقسم هذه التركة .. ؟

الاجابة :

تقسم هذه التركة على تقديرين :

١ ــ الورثة على فرض حياة المفقود زوج واختان شقيقتان وأخ شقيق .

الزوج يستحق ٥٦٠ دينارا ، وكل أخت تستحق ١٤٠ دينـــارا ، والأخ المفقود لو كان حيا يستحق ٢٨٠ دينارا .

٢ ــ الورثة على فرض وفاة المفقود زوج واختان شقيقتان .

الزوج يستحق ٤٨٠ دينارا ، وكل أخت تستحق ٣٢٠ دينارا ، فى حالة وفاة المفقود .

وبالمقارنة بين أنصباء الورثة نجد أن نصيب الزوج ٥٦٠ دينارا فى حال حياة المفقود ، و ٤٨٠ دينارا فى حال وفاته ، فيأخذ اقلهما وهو ٤٨٠ دينارا ، وأن نصيب كل أخت ٣٢٠ دينارا حال وفاة المفقود ، بينما نصيب كل منهما ١٤٠ دينارا حال حياته ، فتأخذ كل منهما النصيب الأقل وهو ١٤٠ دينارا .

ونحجز للمفقود نصيبه على فرض حياته وهو ٢٨٠ دينارا مضـــــافا اليه الفرق بين نصيب الزوج حال حياة المفقود ونصيبه حال وفاته ، ومقداره ٨٠ دينارا ، فيكون مقدار المحجوز ٣٦٠ دينارا .

فاذا ظهر المفقود حيا أخذ نصيبه واخذ الزوج فرق نصيبه ، أما الأختان فلا شىء لهما ، لأنهما قد أخذا ميراثهما على فرض حياته .

واذا ظهر المفقود ميتا رد المحجوز كله الى الأختين ، ليكمل لكل منهما نصيبها حال وفاة المفقود ، فتأخذ كل منهما ١٨٠ دينارا ، وقد اخذت قبـــل ذلك ١٤٠ دينارا ، فيكون مجموع ما أخذت كل أخت ٣٢٠ دينارا .

بريد الوعي الإسلامي

اعداد : عبد الحميد رياض

حضارات الكويت القديمة

هل ظهرت فى الكويت حضارات قديمة .. ؟

محمد على ـ البصرة

تدلنا الآثار التى كشفت عنها البعثة الأثرية الدانمركية فى جزيرة فيلكا على أن منطقة الكويت وما حولها كانت عامرة فى الأزمنة القديمة باسكان ، وأن طرق التجارة البحرية كانت تمر بسواحلها وخاصة بجزيرة فيلكا التى اتخذها سكانها الأقدمون مركزا لتزويد المراكب المارة بها بالماء والطعام منذ أكثر من خمسة آلاف سنة ..

وهذا واضح من الأختام المستديرة التى عثر عليها فى تل سعد ..

ويرجع تاريخها الى سنة ٣٥٠٠ (ق. م) ، وهى تختلف عن أختام العراق الاسطوانية ، وأختام الهند المربعة ، وتدلنا على أن حضارة هذه المنطقة ذات طابع خاص بالرغم من تأثرها بحضارة بابل وآشور وبلاد اليونان .

ويظهر أثر بابل فى بعض الآثار كالأختام والكتابة المسمارية ، كما أن البعثة الدانمركية وجدت آثارا يونانية فى موقعين يرجع تاريخهما الى القرن الرابع قبل الميلاد ، ووجدت فى احداهما قوالب لتماثيل صغيرة منها رأس الاسكندر وآلهة الجمال (افروديت) وآلهة النصر وغيرهما ، ووجدت فى الموقع الآخر النقوش والأعمدة المختلفة من الطراز اليونانى ، وفى موقع ثالث وجدت فى عام ١٩٣٧ قطعة من الحجر نقشت فيها كتابة يونانية واضحة .

فهذه الآثار تؤيد الروايات التاريخية المدونة فى كتب المؤرخين القديمة التى تصف لنا عودة أسطول الاسكندر من الهند الى العراق سنة ٣٢٥ (ق. م) عن طريق الخليج العربى وعزم الاسكندر على فتح بلدانه للسيطرة على سواحله ، وتشييد الموانىء والمدن فيه . **(عن الكتاب السنوى لوزارة الاعلام)**

تحـويل القبلة

لماذا تحول المسلمون الى الكعبة بعد صلاتهم الى بيت المقدس ، وما هو دور اليهود فى هذه الفترة .. ؟

سيف الدين عمر ـ الأردن

... ...

يروى السدى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان اذا صلى نحو بيت المقدس رفع رأسه الى السماء ينظر ما يؤمر به وكان يحب أن يصلى الى

قبل الكعبة فأنزل الله سبحانه : ((**قد نرى تقلب وجهك فى السماء**)) . .

وفى رواية أبى اسحاق عن البراء قال . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا . وقد كان صلى الله عليه وسلم يحب أن يوجه نحو الكعبة . فنزلت الآية آمرة بالتوجه للكعبة . .

وكان حب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن تكون الكعبة هى القبلة للمسلمين هو سرور اليهود لاستقبال المسلمين بيت المقدس ، وإشاعتهم بين الناس فضل دينهم على كل دين . .

ثم كشف الله عن المسلمين ما هم من ضيق وجاء أمره لرسوله أن يحول وجهه شطر المسجد الحرام وكان الأمر فى المدينة — والمعروف أن أغلب سكانها فى هذه الفترة من اليهود — ونزل قول الله واضحا جليا يعلن بقوة فى صورة تكشف عن مدى الجهد الذى كان يعانيه الرسول لوقاية أمته من الفتنة ، مبعدا عنها القلق ومعيدا اليها الرضى والثقة ((**قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين أوتو الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون**)) .

وصلى الناس الى البيت الحرام الذى هو أول بيت وضع للناس للعبادة منذ أن رفع ابراهيم واسماعيل قواعده على تقوى من الله ورضوان .

ولقد ظهر حرص اليهود — فى وقت مبكر من بزوغ فجر الدعوة المحمدية — على أن يخلقوا جوا من البلبلة فى نفوس المسلمين والمحيطين بمكان الدعوة ، حتى يصرفوهم عن هديها الواضح ، كى لا يقتنع الناس بما للاسلام من ميزات وبما له من سلطان على النفوس ، فيحولون دون دخول من فتح الله قلوبهم له ، وكان هذا الحرص عن سبق اصرار وعداء كامن فى نفوسهم الحاقدة على الاسلام ونبيه وأتباعه ، لذلك اتخذوا توجه المسلمين فى صلاتهم لبيت المقدس ورقة رابحة — فى زعمهم — يحركونها حسب أهوائهم ووفق رغباتهم الحانقة على الاسلام والمسلمين ، فعندما أمر الله رسوله أن يصلى الى الكعبة ثارت نفوسهم الخبيثة ، اذ كيف يرضون أن يكون للمسلمين قبلة يجتمعون عليها ، قبلة تربطهم برباط الايمان الذى به تتوحد مشاعرهم مع الاختلاف فى الجنس واللسان واللون .

لا يرغبون أن تكون لهم قبلة واحدة يتجه اليها المسلمون لتحقيق منهج واحد ينبثق منه هدف واحد هو عبادة اله واحد تحت راية واحدة هى راية خاتم الرسل النبى العربى ، ما كان حرصهم هذا عن جهل أو عن عفوية وانما كان عن عناد وتماد فى التضليل والله سبحانه يقول : ((**وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون**)) .

هذا هو المنطلق الذى منه ينطلقون وعلى أساسه يخططون ، ويقيمون الامور وفقه ، لا يقتنعون بدليل مع علمهم بصدقه ، وصدق من أتى به ولا يذعنون للحق الذى جاء به الرسول مع أنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، ولكنه الكفر والعناد والجحود : ((**ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما اتبعوا قبلتك**)) كيد لا يفتر فى المواجهة وفى الخفاء ، وقد كان ذلك مسلكهم قبل أن تحول القبلة ، ولازمهم فى كل فترات حياتهم ، حتى كان ما كان من أمرهم اليوم ، قتل وتشريد للأبرياء ، تحت ستار الدين ، لا يردهم منطق ولا أخلاق ، ولكن الذى يردهم ويجعل كيدهم فى نحرهم هو الاعتصام بديننا ومنهج نبينا ففيه قوتنا وعزتنا .

باقلام القراء

رسالة من كندا

للاستاذ احمد صبرى برغش :

تعودنا أن نشاهد الكثيـر من البرامج التى تسخر من العرب وتهزأ بهم على شاشة التلفزيـون فى كل أنحاء القارة الامريكية ــ خاصة بعد حرب الأيام الستة ..

واذا كان العرب قد تخاذلـوا وتقاعدوا سياسيا وعسكريا وأصبحوا مثالا للتندر والتفكه بين أمم العالم .. فمن العار أيضا أن يتركوا دينهـم وعقيدتهم تعرض على غير المسلمين مشوهة ومحرفة .. كما حدث منـذ بضعة أشهر أن عرض على شاشـة التلفزيون فيلم من انتاج محطة الـCBC وهى أكبر محطة صهيونية فـى القارة كلها والفيلـم اسمه : مكـة المدينة المحرمة ــ وتم تصويره فـى الأراضى المقدسـة ــ والفيلـم فى ظاهره يعرض مراسم الحج ــ ولكنه يخفى بين طياته سموما أراد بهـا المصور أن يظهر المسلمين على انهم شعـوب بدائية همجيـة ، وخرج المشاهد غير المسلم بذلك الانطبـاع وأن الكعبة الشريفة هى رب المسلمين وإليها يتوجهون بصلاتهم وعبادتهم ــ ومنذ أسبوعين دأبت نفس الشركـة على الاعلان عن سلسلة بعنـوان الاسلام ستعرض قريبا ــ ويتكـرر الاعلان بحيث جعل المشاهد يترقب ويترقب .

حتى بدأ عرض الحلقة الأولى ..

فيلم ملون أنيق التصوير بدأ برجـل بدوى حافى القدميـن يجمـع قطع حجارة فى الصحراء ويرصها الـى جوار بعضها حتى جعل منها مربعـا كبيرا . ثم وقف بين الحجارة وبـدأ يصلى . وبالطبع فهم المشاهدون أن الرجل يصلى لتلك الأحجار . ولـم يعلق المصور على ذلـك المشـهد أو يوضح لماذا وضع تلك الأحجار أمامه قبل أن يتوجه للصلاة ــ وبعدها انتقل المصور الى اماكن العبادة للمسلمين فمر بكل ما يشرف سريعا ، وركـز تركيزا على كل عورة ، كيف يرقص الشيعة فى ايران والعـراق ومـر بالكويت والسعودية والقاهرة ولكـن لم يظهر من تلك البلاد إلا ما يجب أن يستر ..

لم يظهر من العراق الا مكـان صغير أجتمع فيـه رجـال يرتدون السواد ويبكون وينـدبون ولم يقـل شيئا ليوضح ذلك ، ومن كل القاهرة لم نر سوى سطح مسجد يسير عليه المصور وترافقه فتاة مصريـة تدرس فى الجامعة . هكذا قيـل ، وتشرح كيف بنى المسجد ومن بناه ولا شىء آخر . وفجأة تقفز المصور الى بلـد آخر من بلاد المسلمين وهو باكستان، ولم يجد المصور هناك سوى جماعة تجلس فى حلقة كبيرة يتوسطهم رجل اشعث أغبر شعره يتدلى على كتفيه

وبين أصابعه قطع نحاسية يدقهـا ببعضهـا والآخرون يطبلون لـه ويزمرون وهو يتلـوى ذات اليمين واليسار فى حركات مضحكة مخبولة وقيل إن هـذا بعض مـن طقـوس المسلمين فى باكستان . ثم قفز الى تونس ومنها خرج عدة رجال فـى يدهم دفوف يدقون عليها ورؤوسهم تعلو وتهبط وكان بهم مس من الجنون وهذه أيضا طقوس إسلامية .

بقيت كلمة أخيرة ، أنا واسرتى المسلمون العرب الوحيدون فى هذه المدينة فى الغرب الكندى ، لنا أسرة صديقة غير مسلمة ، منذ تعرفنـا عليهم وهم يدرسون ديانتنـا لما لفت أنظارهم من تقاليدنا ، الصوم والصلاة وعدم التعرى والابتذال ويشهد الله أنى شعرت أنهم كانوا فى طريقهـم الى الاسلام ، حتى كانت تلك الحلقات الراقصة المبتذلة فصدمتهم ومن يومها وكل مناقشاتنا تـدور حول الرقص فى الديانة الاسلامية ، والاسلام من كل ذلك برىء — ولقد بلغت واللـه يشهد .

وقفة مع العلم والإيمان

من كلمة للأستاذ محمد سيد احمـد المسير نقتطف ما يلى :

الحق الذى لا مرية فيـه هو أن النهوض بالانسان ومجتمعه يجب أن يتسم بالواقعية والمثاليـة ، بحيـث تكون هناك موازنة دقيقة بين رغبات العقل ونزعـات النفس ومقومـات الجسد ، أو بمعنى آخر الموازنة بين المادة والروح . . فتلك طبيعة الانسان فهو مادة وروح ، وغذاء المادة فيما قدر الله فى الأرض من أقوات ومـا سخر من كائنات ، وغذاء الروح فيما أنزل من وحى وما شرع من هدى . . ومتى اجتمع الغذاء المادى والروحى استقامت الحياة على عـودها . . . فيعرف الانسان منهج عبادته ربه ، وسبيل تهذيبه نفسـه ، وطريـق معاملته الناس حوله ، ويـداب فى امتلاك ناصية الكون وكشف أسراره ونواميسه تحقيقا لحسن الخلافـة فى الأرض . .

غير أن هناك شبه أسطورة تقول ان الدين والعلم نقيضان .

فالايمان ليس عقيدة وكفى به هو منطق لأنه نهاية شـوط العقـل ، والمحدود لا يحيط بغيـر المحـدود ، والكون بأجزائـه وجزئياتـه ينطق بالحقيقة الكبرى .

وحيث كانت رسالة الاسـلام خاتمة لمطاف الرسـالات الإلهيـة ، وعامة لجميع الأزمنة والأمكنة فهـى قد ارتـكزت على العقـل والتفكيـر العلمى إذ هو خصيصة النوع البشرى وهو الذى يصحبـه دائمـا أيا كان موقعه .

ولهذا أرسى القرآن قواعد البحث وأصول التفكير كما يلى :

حرر العقل من رواسب التقليـد وعادات البيئة .

ونعى على اتباع الظن والهوى .

وأرشـد الى العنايـة بحواس الانسان استخداما لها فيما خلقـت لـه .

وأمر بالبحث فى ملكوت السموات والأرض .

لفت النظر الى قوانين الاجتمـاع وسنة الله فيما سلف من الأمم وأكد استمرارها ولن تجـد لسنة اللـه تبديلا .

وحرصا على هذه الأصول قـرر القرآن عقائـد الإيمان كلها مدعمـة بالحجة والبرهان وليس به قضية بلا دليل أو دعوى بلا بينة حتى فى باب الأدب الخلقى فقال : « ادفـع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينـك وبينـه عداوة كأنه ولى حميم » .

وكان الشعار الذى رفعه القرآن فى جداله دائما هو :

(قل هاتوا برهانكم) .



الدعـــوة الى الاسلام

نشرت مجلة دعوة الحق المغربية كلمة تحت هذا العنوان تقول فيها :

إن الدعوة وحدها لا تكفى ، ما دام المسلمون بواقــع حالهم ضــدا على الاسلام ، فإنهم اذا ادعوا أنه دين التوحيد ، كذبهم ما يتعلقون بــه مــن احجار واشجار ورسم ، ناقضين بذلك عقد التوحيد ، مشركين مع الله غيره ، غيــر مخالفين لعباد الأصنام إلا بالادعاء ، واذا قالوا بأن عباداته تهذب النفــوس ، وتزكى الأرواح ، وتنعكس آثارها على السلوك والأخلاق ، لم يصدق قولهم مع تفشى الرذائل فى المجتمعات الاسلامية على ما هو مشاهــد ، واذا وصفــوا شريعته بأنها أسمى الشرائع ، وانها تحقق العدالة الاجتماعية على اكمل وجه ، وتصون حقوق الأفراد والجماعات بقوانين لا تطال فى العدل والإنصاف ، لــم يطابق الوصف ما يتخبط فيه المسلمون من فقرومرض وجهل وظلم ، واذا تحدثوا بأنه دين العزة والكرامة والوحدة والقوة والمنعة ، كان حاضر المسلمين وما هــم عليه من ذلة وهوان وفرقة واختلاف وخضوع للحكم الأجنبى ، لا يتوافق ومــا يتحدثون بــه .

والخلاصة أن المسلمين بتنكرهم لدينهم ، وعدم تمسكهم بتعاليمه ، يحولون بينه وبين الناس ، ويقفون فى وجه الدعوة اليه فلا تؤتى إلا قليلا من النتيجة ، ولذلك قال الشيخ محمد عبده رحمة الله عليه ــ إن الاسلام محجوب بالمسلمين . ولعلهم بحالهم هذه قد صاروا ممن تشملهم الآية الكريمة التى تقول (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله) فأنى توجهت بنظرك تجد حجابــا كثيفا مسدولا على محاسن الاسلام من انحراف المسلمين .

والمسلمون بذلك يعرقلون الدعوة ، ويتحملون إثما كبيرا فى الصد عــن سبيل الله . . فلقد جاء فى حديث المعراج أن النبى صلى الله عليه وسلم اتى على خشبة فى الطريق لا يمر بها ثوب إلا شقته ، ولا شىء إلا خرقته ــ وذلك فيما رأى من آيات الله ليلة المعراج ــ فقال ــ ما هذا يا جبريل ؟ قــال هذا مثل اقــوام يقعدون على الطريق فيقطعونه ، ثم تلا « **ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله** » وبالعكس لو كان المسلمون على هدى من ربهم واقامة لما جاء به نبيهم ، وتمثل لقيم الاسلام العليا ، وعمل برسالته الخالدة لكان كل واحد منهم داعيا الى الله ومبشرا بكلمته الحق ومستحقا للثواب الجزيل الذى جعله اللــه للدعاة الهداة ، على ما جاء فى الحديث الصحيح (**لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس**) .

ولسنا نقلل من فائدة الدعوة او نصرف الداعين عن مهمتهم المقدسة ، وإنما نريد ان يكون للدعوة مفعولها وتأثيرها العظيم فى الدلالة على الله والتبشــير بدينه ، وذلك باستقامة المسلمين على الطريقة وإعطاء المثل الصالح من انفسهم

على هداية الاسلام . وبالأحرى نريد أن ندعو المسلمين أولا الى الاسلام والتمسك بعروته الوثقى ، ثم نتوجه بعد ذلك الى دعوة غير المسلمين . فإن النتيجة حينئذ ستكون أعظم من كل تقدير . وكما كانت فى البدء عند ظهور الإسلام .

البهائيـــــة

نشرت مجلة جوهر الاسلام التونسية كلمة تحت هذا العنوان نقتطف منها ما يلى : ــ

عقيدتهـــم

١ ــ إن للوحى تأويلات سامية . ومفاهيم خفية لا يجليها إلا ربها (الباب) أو البهاء . . وما يعلم تأويله إلا الله . . أى الباب أو البهاء .

٢ ــ ادعى البهاء المهدوية ، ثم الرسالة ، وأنه نزل عليه كاتب الأقـدس الذى نسخ جميع ما تقدمه من الكتب السماوية . ثم ادعى الألوهية وأمر بعبادة البشر .

٣ ــ القول بموت عيسى صلبا . وعدم عودته بنفسه . وانما تحل روحه فى غيره . والغير هنا رئيس المذهب الباب ثم البهاء .

٤ ــ إنكار معجزات الأنبيـاء والبعث والحشر والوعد والوعيد والجنـة والنار ، ولهذا ارتكبوا تأويل النصوص الدالة عليها بما يتنافى مع اللغة والدين .

٥ ــ نسخ جميع الأديان ورسوم عبادتها والحـدود الواردة فيها لعـدم صلاحيتها للعالم فى عصر التقدم ، ولهذا جاء البهاء بدينه الجديد للأحمر والأسود وقد ورد فى أحكامه :

أن الصلاة تسع ركعات فى البكور والزوال والآصال . وقد بطلت صـلاة الجماعة ، والقبلة عكا والحج اليها للرجال دون النساء ، وتحريـم الحجـاب وإباحة السفور والاختلاط ، وجعـل الحدود عقوبات مادية ، وغيـر ذلك من مفترياتهم وكذبهم .

٦ ــ الصلاة تسع ركعات تؤدى على ثلاث مرات يوميا كل صلاة ثـلاث ركعات ، حين الزوال ، فى البكور ، فى الآصال .

٧ ــ قبلتهم (عكا) حيث قبر بهاء الله .

٨ ــ الصوم من الشروق الى الغروب ، ولا قضاء على من لم يؤد الصوم .

٩ــ الحج الى أحد المزارات الثلاثة :

١ ــ الدار التى ولد بها البهاء بشيراز .

٢ ــ الدار التى أقام بها البهاء بالعراق .

٣ ــ عكا حيث يرقد بها البهاء .

١٠ ــ يتزوج البهائى من غير البهائية ، وتتزوج البهائية غير البهائى .

١١ ــ سن الرشد ١٥ عاما للذكر والأنثى .

١٢ ــ تتساوى الأنثى مع الذكر فى الميراث .

قال تعالى :

(ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شىء ومن قال سأنزل مثل ما انزل الله ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون) .

اعـــداد : فهمى الامام

الـــــكويت : تم توزيع جوائز سمو نائب الأمير وولى العهد المعظم على المتوفقين فى حفظ القرآن الكريم من الطلاب فى الأندية الصيفية .

● قال الشيخ صباح الاحمد وزيـــر الخارجية فى خطابـــه أمام مؤتمـــر وزراء خارجية دول عدم الانحياز والذى عقد فى مدينة (جورج تاون) ـ قال : إن منطقتنا تتعرض لأبشع انواع الظلم منذ انشئت إسرائيل وفـــق المخطط الصهيونى ، وعلى حساب شعب فلسطين الذى طرد من وطنه .

● صرح سعادة الاســـتاذ راشد عبد الله الفرحـــان وزير الأوقاف والشئون الاسلامية عقب عودته من زيارته الرسمية لســـورية بأنه بحث مع المسئولين هناك موضوع عقد مؤتمر لوزراء الاوقاف العرب ، وأنه سيستكمل هذا البحث أثناء حضوره مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية الذى ســـيعقد فى القاهرة خلال هذا الشهر . .

● تم توزيع جوائز سمو نائب الأمين وولى العهد المعظم على المتفوقين فى حفظ القرآن الكريم من الطلاب فى الأندية الصيفية .

● اقامت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية حفلها السنوى المعتـــاد بمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج بمسجد السوق الكبير .

● صادف يوم ٢١ اغسطس الذكرى الرابعة للجريمة النكراء ـ إحراق المسجد الأقصى المبارك ـ وقد قدمت برامج خاصة من الإذاعة والتلفزيون بهذه الذكرى الأليمة .

● قرر مجلس الوزراء التبرع بعشرة آلاف دينار مساهمة فى نشـــاط اتحـــاد الطلبة المسلمين فى كندا والولايات المتحدة .

● كما قرر مجلس الوزراء إعفـــاء المواطنين الليبيين من الإجـــراءات اللازمة لدخولهم الكويت .

● طلب مجلس الوزراء من بلدية الكويت تخصيص موقع لإنشاء مسجد فى ميناء سعود واعتماد المبلغ اللازم لإنشائه .

● اشتركت الوزارة بمجموعة من كتب التراث الاسلامى التى اصدرتها بجانب مجموعة من الكتب الاسلامية بلغات مختلفة فى معرض الكتاب الاسلامى الذى تقيمه دار الفتوى فى لبنان .

القاهـــرة : اتخذت خطوات ايجابية على طريق الوحدة الشاملة بين جمهورية مصـــر العربية والجمهورية العربية الليبية . . وستعلن الوحدة رسميا بين البلدين فى سبتمبر من العـــام القادم ان شاء الله .

● أجرى وزير الشئون الدينية الاندونيسى مباحثات مفيدة مع الدكتور عبد الحليم محمود وزير الأوقاف وشئون الأزهر تناولت وضع الطلبة الأندونيسيين الذين يدرسون بمصر ، ومساهمة وزارة الأوقاف فى إمداد المركز الإسلامى الذى سينشأ فى (جـــاكرتا) بالكتب الدينية .

● اقترح الأمين العام لجامعة الدول العربية عقد مؤتمر عربى فى وقت قريب لإقرار خطة عمل عربى مشترك لتحرير الأراضى العربية .

السـعودية : تبرع جلالة الملك فيصل بمبلغ (١١٥) الف جنيه استرلينى لبنـاء مركز إسلامى فى كمبـالا بأوغندا .

● تبرعت المملكة العربية السعودية بخمسة آلاف جنيه استرلينى مساهمة منها فى بناء جامع الازهر بمدينة (سوث سـيلدز) البريطانية .

● قررت وزارة المعارف إنشاء مركز ثقافى فى صنعاء تدعيما للروابط بين المملكة والجمهورية العربية اليمنية .

● صادقت خمس دول إسلامية حتى الآن على ميثاق المؤتمر الإسلامى . صرحت بذلك مصادر الأمانة العامة الإسلامية لوكالة الأنباء الإسـلامية الدوليـة .

المغـرب : شرح الجنـرال (ساليبادا بانـداتون) ـ العضو البرلمانـى الفلبينى ورئيس الجمعية الاسلامية الفلبينية ـ حقيقة وضع المسـلمين فى الفلبين لكبار المسئولين فى المغرب ..

ليبيـا : وقعت أوغنـدا مع ليبيـا اتفاقات للمعونة والتجارة تبلغ قيمتهـا (١٥) مليون جنيه استرلينى .

السـودان : أعلن الرئيس السودانى أنه على استعداد لاعـادة الاسلحـة التى زودت (بعض الدول) بها السودان بنصف ثمنها ، لأن هذه الاسـلحة رديئة ..

البحـرين : تم توقيع اتفاق بين البحرين والصندوق الكويتى للتنمية الاقتصادية العربية يقضى بإقراض البحرين مبلغ (٧٫٣٠٠٫٠٠٠) دينار كويتى .

دمشـق : أقام سفير دولة الكويت فى دمشق حفل عشاء تكريما لوزير الأوقاف الكويتى وقد حضر الحفل عدد من الوزراء ومفتى الجمهورية ومحافظ دمشق .

لبنـان : افتتح سماحة مفتى الجمهورية اللبنانية جامع حمانا .. حيث أدى فيه خطبة الجمعة وأم الناس فى الصلاة .. وقد أقيم احتفال برعايته لإنشـاء جامع ومدرسة بساقية الجنزير فى جامع بعلشمية .

اخبـار متفـرقة

● **ماليزيا** : تعقد فى ماليزيا فى الشهر القادم (أكتوبر) المنافسة الدولية لحفظ القرآن الكريم وقد اشترك فيها متنافسون من ٢٦ دولة .

● افتتح تون عبد الرزاق رئيس وزراء ماليزيا مؤتمر وكالة الانبـاء الإسـلامية العالمية بكلمة تحدث فيها عن أهداف الوكالة وغاياتها وتنظيماتها .. وكان مما قال : إن مهمتها لن تقتصر على تعبئة الرأى العام فى البلاد الإسلامية بل إنها ستقيم جسرا بين هذه البلاد ، وتنشىء جـوا افضل من التفاهم بين الأمم الاسلامية وغير الاسلامية ، والمساعدة على دفع عجلة التطـور فى مجتمعاتهـا .

● **باكستان** : تقرر أن تكون اللغة العربية مادة اجبـارية فى مدارس المقاطعة الشمالية الغربية ـ بباكستان . صرح بذلك الوزير المركزى للحكومة الباكستانية .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	شعبان	سبتمبر	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي						المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
السبت	١	٩	٣ ٥٩	٥ ٢٩	١١ ٤٦	٣ ١٨	٦ ٢	٧ ٢١	٩ ٥٧	١١ ٢٧	٥ ٤٤	٩ ١٦	١ ١٩
الاحد	٢	١٠	٤ ..	٢٩	٤٥	١٨	١	٢٠	٥٩	٢٨	٤٤	١٧	١٩
الاثنين	٣	١١	١	٣٠	٤٥	١٧	..	١٩	١	٣٠	٤٥	١٧	١٩
الثلاثاء	٤	١٢	١	٣٠	٤٥	١٦	٥ ٥٨	١٧	٣	٣٢	٤٦	١٨	١٩
الاربعاء	٥	١٣	٢	٣١	٤٤	١٥	٥٧	١٦	٥	٣٤	٤٧	١٨	١٩
الخميس	٦	١٤	٣	٣١	٤٤	١٥	٥٦	١٤	٧	٣٥	٤٨	١٩	١٨
الجمعة	٧	١٥	٤	٣٢	٤٤	١٤	٥٥	١٣	٩	٣٧	٤٩	١٩	١٨
السبت	٨	١٦	٤	٣٢	٤٣	١٣	٥٣	١١	١١	٣٩	٥٠	٢٠	١٨
الاحد	٩	١٧	٥	٣٣	٤٣	١٣	٥٢	١٠	١٣	٤١	٥١	٢١	١٨
الاثنين	١٠	١٨	٦	٣٤	٤٣	١٢	٥١	٩	١٥	٤٣	٥٢	٢١	١٨
الثلاثاء	١١	١٩	٦	٣٤	٤٢	١١	٥٠	٨	١٧	٤٥	٥٣	٢٢	١٨
الاربعاء	١٢	٢٠	٧	٣٥	٤٢	١٠	٤٨	٦	١٩	٤٧	٥٤	٢٢	١٨
الخميس	١٣	٢١	٧	٣٥	٤٢	١٠	٤٧	٥	٢٠	٤٨	٥٤	٢٣	١٨
الجمعة	١٤	٢٢	٨	٣٦	٤١	٩	٤٦	٤	٢٢	٥٠	٥٥	٢٣	١٨
السبت	١٥	٢٣	٨	٣٦	٤١	٩	٤٥	٣	٢٣	٥١	٥٦	٢٤	١٨
الاحد	١٦	٢٤	٩	٣٧	٤١	٨	٤٤	٢	٢٥	٥٣	٥٧	٢٤	١٨
الاثنين	١٧	٢٥	٩	٣٧	٤٠	٧	٤٢	..	٢٧	٥٥	٥٨	٢٥	١٨
الثلاثاء	١٨	٢٦	١٠	٣٨	٤٠	٦	٤١	٦ ٥٩	٢٩	٥٧	٥٩	٢٥	١٨
الاربعاء	١٩	٢٧	١١	٣٨	٤٠	٥	٤٠	٥٨	٣١	٥٩	٦ ..	٢٦	١٨
الخميس	٢٠	٢٨	١١	٣٩	٣٩	٤	٣٨	٥٦	٣٣	١٢ ١	١	٢٦	١٨
الجمعة	٢١	٢٩	١٢	٤٠	٣٩	٤	٣٧	٥٥	٣٥	٣	٢	٢٧	١٨
السبت	٢٢	٣٠	١٢	٤٠	٣٨	٣	٣٦	٥٤	٣٦	٤	٢	٢٧	١٨
الاحد	٢٣	اكتوبر	١٣	٤١	٣٨	٢	٣٥	٥٣	٣٨	٦	٣	٢٧	١٨
الاثنين	٢٤	٢	١٣	٤١	٣٨	١	٣٤	٥٢	٣٩	٧	٤	٢٨	١٨
الثلاثاء	٢٥	٣	١٤	٤٢	٣٧	..	٣٢	٥٠	٤١	٩	٥	٢٨	١٨
الاربعاء	٢٦	٤	١٤	٤٢	٣٧	..	٣١	٤٩	٤٣	١١	٦	٢٩	١٨
الخميس	٢٧	٥	١٥	٤٣	٣٧	٢ ٥٩	٣٠	٤٨	٤٥	١٣	٧	٢٩	١٨
الجمعة	٢٨	٦	١٦	٤٤	٣٦	٥٨	٢٩	٤٧	٤٧	١٥	٨	٢٩	١٨
السبت	٢٩	٧	١٦	٤٤	٣٦	٥٨	٢٨	٤٦	٤٩	١٧	٩	٣٠	١٨

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار ــ ٧ شارع الصحافــة .

جــدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب ٢٠٤٣ .

الرياض : مكتبة مكــة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعــة ضياء .

عــدن : وكالة الأهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

المكــلا : مكتبــة الشعب ــ ص.ب ٢٨ .

مســقط : المكتبــة الحديثة ــ السيد يوسف فاضل .

صنعــاء : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

دمشــق : الشركة العامة للمطبوعات ــ ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ــ ص.ب ٢٤٧٣

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية ــ ص.ب ٦٧ .

عمــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات ــ ص.ب ٢١٥ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى ــ ص.ب ١٣٢ .

بنغــازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص.ب ٢٨٠ .

تــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ كورنيش المزرعة .

دبــى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ السيد غازى بساط .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ ص.ب ١٧١٩

الدوحــة : سالم الانصارى ــ الدوحة / قطر .

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

الوعي الإسلامي

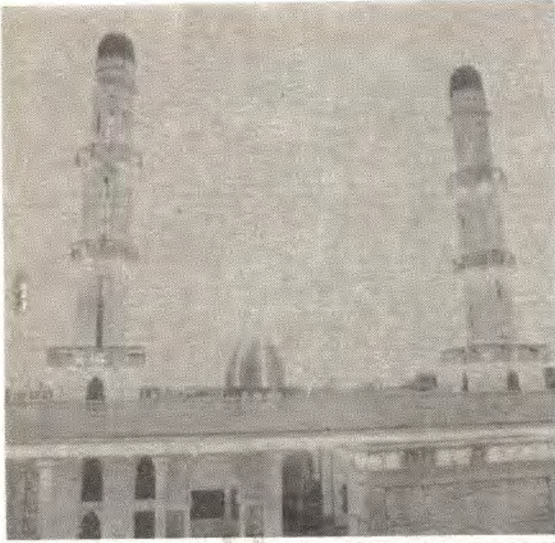
اسلامية ثقافية شهرية

السنة الثامنة ـ العدد ٩٣ ـ غرة رمضان ١٣٩٢ هـ ـ ٨ أكتوبر (تشرين ١) ١٩٧٢ م





مسجد أبو بكر الصديق بالشامية ـــ الكويت



جامع عبد الله العثمان احد مساجد الكويت الفخمة الجامعة .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة الثامنة

العدد الثالث والتسعون

غرة رمضان ١٣٩٢ هـ

١٠ أكتوبر (تشرين ١) ١٩٧٢ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربي	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

في الكويت ١ دينار
في الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)
اما الافراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
ص.ب١٣ هاتف : ٤٢٢٠٨٨ـ كويت

نعم يا

مشكلتنا أخلاقيّة وليسَت فكريَّة

قلت ذلك منـــذ حين فى بعض ما كتبت ، فاستعظمه بعض الناس ، وحسبوا اننى انتقص بذلك من قيمة الفكر والعلم ، واننى أدعو الناس الى اخلاق عارية عن كسوة الوعى والبصيرة والفكر .. !

وليس الامر كما قد حسبوا ، وانما هو كما نقول للفقير المختص بعلوم التجارة والاقتصاد ، والباحث عبثا فى اختصاصه النظرى المجرد عن ثروة مالية تغنيه :

ان مشكلتك الحاجة الى راس مال تجارى تكتسب به ، وليست الخبرة الاقتصادية التى تتحدث عنها .

فما من عاقل الا ويعلم من ذلك ، بأن الاختصاص العلمى مهما كانت ضرورته وبلغت اهميته ، فانه لايمكن ان يحقق وحده ثمراته المرجوة .. وانما يجب أن تتوفر بعد الخبرة والعلم قوة التنفيذ والعمل ، فمهما فقدت هذه القوة كانت المشكلة مشكلة طاقة معدومة لا مشكلة بحث وعلم متوفرين . وعنـــدما تنعكس الحال تنعكس المشكلة تبعا لها .

ليس فى مجتمعنا ازمة ثقافة ولا فكر

وفرق كبير بين أن نقول : نقص فى الثقافة والفكر ، ونقول :ازمة فى الثقافة والفكر .

اما النقص فحاصل ، ولا شـــك فيه . ولم نصل من الثقافة والفكـر ــ كما وكيفا ــ الى درجة التمـــام والكمال بعد .. وأما الأزمـــة فالذى اجزم به أن المسلمين اليوم لا يعانون من أزمة فى الثقافة او الفكر الاسلامى



للدكتور : محمد سعيد رمضان البوطى

بمعنى أن شيئا من مصائبهم الاسلامية التى تحل بهم اليوم ليس ثمرة نقص فى احد هذين الأمرين . وليكن واضحا اننى انما أقصد الجانب الاسلامى فى كل من أمر الثقافة أو العلم والفكر .

ان المؤسسات والمؤلفات والنشرات التى ترعى شؤون الثقافة الاسلامية فى اكثر البلاد الاسلامية عامة وفى البلاد العربية خاصة اكثر وأقوى منها فى أى وقت مضى ، وما من شاب مسلم قد ارتضى لنفسه الاسلام دينا الا وله اليوم من هذه الثقافة الاسلامية نصيب .

والكتب الفكرية التى تتفنن فى وصف الامراض المستعصية فى جسم العالم الاسلامى ، ثم تتفنن فى وصف الدواء وكشفه وبيان منهجية السبيل الى استعماله وتحطيم مكائد دعاة الغزو الفكرى ـ هذه الكتب تغمر أسواقنا العربية كما لا يغمرها أى نوع آخر من الكتب الفكرية الاخرى، والناس يقبلون عليها اقبالا عجيبا دفع بالكثير من التجار الى أن يقصروا تجارتهم على هذا الصنف وحده مهما كانت عقائدهم واتجاهاتهم الشخصية

ولقد رأينا كيف تحولت جبهات كثير من المكتبات التجارية العامة الى معرض للكتب الاسلامية المختلفة!

ومع ذلك ، فان الخط البيانى لواقعنا وسلوكنا الاسلامى ، يسير معاكسا لهذا الخط الفكرى والثقافى الذى يمضى صعدا ! .. وانها لحقيقة ملموسة ما أظن أن أحدا من الناس يمارى فيها .

وعى فكرى سليم وسلوك تائه معوج

اننا قد نلمس مزيدا من الوعى الاسلامى فى مجتمعاتنا الاسلامية ، ولكنا نلمس معه مزيدا من التحلل والبعد عن السلوك الاسلامى فى هذه المجتمعات ذاتها . وقد نلمس مزيدا من النضج فى القدرة على اكتشاف مكائد الغزو الفكرى وخططه العدوانية ، وفى عرض وسائل التغلب على ذلك كله ، ولكنا لا نلمس معه الا مزيدا من الضعف والتخاذل أمام هذه المكائد الرهيبة ذاتها . وقد نلمس مزيدا من العمق فى العلوم الاسلامية المتعلقة بأصول الاعتقاد أو المتعلقة بالفروع الفقهية والتشريعية ولكنا نفاجأ معه بمزيد من الشبهات الفكرية والشذوذات الفقهية ومظاهر التحريف والتبديل فى أحكام الاسلام وشرعه !

وما من ريب أن هذه الظــاهرة تعتبر مشكلة .. !

ولكن مشكلة اى شىء هى ؟

هل هى مشكلة نقص فى الدراية والعلم ؟ لا .. ولا اظن أن أحــدا من المنصفين يستطيع أن يحيل (لا) هذه الى نعم .

اننا اذا أمعنا النظر ، رأينا ان معظم مآسينا التى نضج منها انمــا ينبع من داخل بنياننا الفكرى والعلمى ذاته ، بل بحماية ورقابة منه .. !

وعلى سبيل التمثيل اقول : ان تسويغ نسبة معينة من الفــــائدة الربوية ، لم يفرض نفسه فى مجال النقاش والبحث العلمى الا بحماية من العلم والفكر الاسلامى ! ..

وان تذويب كثير من الاحكـــــام الشرعية على وقود القاعدة المعروفة: « تتبدل الاحكام بتبدل الازمان » لم يتم الا باشراف من منهجية النظـــر والبحث الاسلامى ! ..

وان التشجيع الذى لاقته اباحية التعرى والاختلاط بين الجنسين ، لم ينهض الا على ديباجة من التأويلات والفتاوى الشرعية .. !

وان التلاعب الذى تم ويتم بأحكام الشريعة الاسلامية ، طمعا بحظوة أو تجنبا لمكروه ، لم ينجح الا من وراء ستار او ضمن غلاف من الدراية الاسلامية ذاتها ! ..

وما اكثر ما ظهر فى جسم الامة الاسلامية من صدوع ، وما اكثر ما ظهر فى كيان الجماعات الاسلامية من شقاق وخصومة ، بل تهـــارج وعداء ، لا بفعل جرثومة أجنبيـــة وفدت اليها من الخارج ، بل بسبب انحرافات سلوكية ظهرت بينها من الداخل . وما كان الانحراف لينمو ويشتد ، لولا احتماؤه بحيثيات وأفكار اسلامية فى الظاهر .. !

اذا هى ليست مشكلة نقص فى الدراية أو الفكر أو العلم . فمشكلة أى شىء تكون ؟ ! ..

أزمـــة خلق اسلامى

انها ، كما قلنا ، مشكلة أزمة فى الاخلاق . ولا نقصد بالاخلاق المعنى الفلسفى الموهوم لهذه الكلمة ، بـــل نقصد بها استيقاظ معنى الرقـــابة الالهية فى القلب .

ان علوم الدنيا كلها لا تفيــــــد صاحبها شيئا ، اذا لم يستشعر قلبه — فى تعظيم وخشية — رقابة قيوم السموات والارض عليه . وما هذه العـــلوم التى نتعلمها والافكار التى ندرسها والمناهج التى نبدعهــــا او ننظمها ، بدون تحقيق هذا الاساس ، الا كمفاتيح لابواب مغلقة لم تجد من يستعملها على وجهها ، فبقيت الابواب موصدة ، وبقيت المفــــاتيح أدوات للعبث .

ولو كانت العلوم والابحاث الفكرية وحدها حلا لمشكلة الفضيلة والسلوك اذا لبطل ان تكون هـــذه الدنيا دار ابتلاء كمـــا قد قضى الله ، اذ كان الناس يجدون أنفسهم مسوقين الى اتباع الصراط الالهى الحق بمجـــــرد أن يعلموا بعقولهم دلائل هـــــــذا الصراط ومعالمه وحدوده ، واذا لمـــا اختلف الناس بعد علم ، ولما بغوا بعد معرفة وفكر . كيف وقد قال الله تعالى فى حق من لم يغنهم العلم بالحق أى غناء :

(.. فما اختلفوا الا من بعــــد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) ، أجل . ان العلم وحده لا يغنى ! ..

عملية التعلم اضطرارية ، والسلوك أمـــــر اختيارى

ان العلم — بعد استكمال اسبابه

وومسائله — عملية اضطرارية لاخيره للعاقل فيها . أما السلوك فيظل عملية ارادية مهما تهيأت من حوله دلائل الحق واسباب الوضوح .

وتقوم بين الارادة الانسانية وكثير من نماذج السلوك الاسلامى عقبات متعبة ليس من السهل اقتحامها ، لا يمكن ان ترى شيئا منها أمام عملية التعلم والادراك .

وهذه العقبات فى جملتها لا تعدو أن تكون ركونا الى زينة الارض ، بكل ما تفور به من اسباب الشهوات والاهواء . وهى التى عبر الله عز وجل عنها بقوله :

(يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض) .

وهى فى تفصيلها تتشعب الى فروع مختلفة كثيرة ، كحب الرئاسة والمنصب ، والانحياز الى العصبة او العصبية ، والرغبة فى بلوغ شهوة من شهوات البطن أو الفرج او الشهرة بين الناس ، والتأثر بعوامل الحسد والحقد والاضغان . وتلك هى فى مجموعها مادة الامتحان الالهى للانسان فى هذه الحياة .

وللعلم ضمن هذه المهيجات العاتية الخطيرة أثر واحد لا يتجاوزه ، هو الدلالة المجردة .. ! وهيهات أن تتغلب الدلالة وحدها على آفات هذه العوامل الهائجة العاتية .

سلطان النفس اقوى فى ايحائه من سلطان العقل

بل انك اذا تأملت ، وجدت أن ٦٠ ٪ من عوامل النظر والفكر يتمثل فى عوامل نفسية مجردة ، كدوافع العصبية وردود الفعل والانصياع لرغائب النفس . أما العامل العقلى الحر فلا يتجاوز ٤٠ ٪ فمعظم أحكام الناس وآرائهم الفكرية تأتى بسائق من هذه العوامل النفسية واشباهها أكثر من أن تأتى بسائق من النظر العقلى المجرد .

ولا يستثنى من هذه القاعدة الا من اقتحم العقبة وكسر الطوق النفسى الذى يأسر الفكر والعقل ضمن سجن من رغائبها وايحاءاتها ، فانطلق متحررا من كل سلطان الا سلطان العقل الكامل المجرد . وهم الذين رباهم الاسلام فى ظل من مراقبة الله تعالى والاستشعار بأنه عز وجل يحصى عليهم كل صغيرة وكبيرة ، ثم يحاسبهم عليها فى يوم آت لا ريب فيه ، وقليل ما هم ! ..

اذكر ان مسؤولا كبيرا ناقش صاحب احدى الجرائد اليومية الكبرى حول ما تدأب عليه جريدته من نشر الصور العارية . فكان المسوغ الوحيد لذلك فى نظر صاحب الجريدة انها تحرز بذلك مزيدا من الكسب والانتشار ! .. أى أن مجرد رغبة نفسية فى المنافسة على كمية البيع او كمية الربح والمال ، كان منطلقا عقليا وعلميا كافيا لتسويغ هذه الخطيئة والسير فى سبيلها ! ..

واعلم مجلات تنشر من الآراء والافكار المتنوعة كل ما يتوفر له أنصار فى المجتمع ودعاة ! .. فهى لا تبالى أن تجمع من ذلك كله ضغثا يمتزج فيه الحق والباطل والشبهات المتنوعة التى تتردد بين هذا وذاك ، لمسوغ واحد فقط ، ألا وهو أن يتوفر لها مع كل طائفة من الناس أو مذهب من المذاهب وجه مضىء ، فيزداد بذلك انتشارها وتتصاعد بين الناس أرقامها ! ..

فأى قيمة تبقى لمنبر ، انما أقيم لبث حقائق العلم والحياة ، وتصعيد الناس الى مستوى سلوكى وخلقى أفضل — اذا كان مسوقا بما فيه بيد الرغائب النفسية التى ليس بينها وبين حقائق الفكر ومقتضيات العلم أى نسب موصول ؟! ..

اخطر من الجهل بالشيء علم استرقته رغائب النفس

وليس الجهل هو الخطر الاكبر في حياة الناس ، كما قد يتوهم البعض . وانما الخطر الاكبر ان يسقى فيهم نبات العلم والفكر بماء الشهوات والآفات النفسية المختلفة . فيتلون كل ذلك بلون هذه الآفات ويتشبع من وحيها ، حيث يتحول السعي المقدس للبحث عن الحقيقة الى أحط ما يعتبر قاسما مشتركا بين الانسان وسائر الحيوانات الاخرى .

أرأيت الى العقل الذي يهدي الانسان الى حقائق الاشياء ؟ انه — كما يقول الامام الغزالي — نور يقذفه الله في شعور الانسان فيضيء له سبيل الحق ويكشف له عن كوامن العلم والنظر . فأي جريمة أسمج واخطر في حياة الانسان من أن يعمد الى هذا النور الالهي الطاهر ، فيجعل منه مطية ذلولا لحيوانيته وغرائزه المطلقة ؟!

والعلم في ذاته أقدس حقيقة في الوجود . ولكنه يفقد قداسته كلها وينقلب وبالا على صاحبه والآخرين ، عندما يحمل أثقالا من شهوات النفس وأهوائها . .

ورب ناس رفعهم الله بالعلم درجات ولكنهم لما أخلدوا به الى شهوات الارض واستخدموه لخدمة النفس والهوى ، انزلهم الله تعالى الى دركات من الحطة والشقاء الانساني المهين . . !

وانظر في تصوير ذلك الى قوله عز وجل :

(واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث . .))

ومثل هؤلاء الناس لا يغنيهم أي غناء ان تناقشهم أو تردهم الى منطق الحق والعلم ، فان كلا من الحق والعلم في حياتهم ليس الا سيفا مصلتا بيد شهواتهم وأمانيهم النفسية وما أيسر على العالم — اذا حكم هواه فيما يعلم — ان ينطق علمه بمكنون هواه وان يجعل منه اصدق شاهد أمين له .

ذلك أن نصوص القواعد والاحكام الشرعية ، مثل النصوص القانونية . كلاهما قابل للتحوير والتأويل والحاق القيود والشروط المبتدعة . وكما ان المحامي لا يعجزه شيء عن أن يحور النصوص القانونية ويؤولها لصالح موكله طمعا في مال يناله منه ، فكذلك لا يعجز الفقيه شيء عن ان يؤول ما شاء من النصوص الشرعية ويذيله بالقيود والشروط الوهمية ابتغاء عرض من الدنيا قليل .

الحل هو ايقاظ الرقابة الالهية في القلب

وليس من حل لهذه المشكلة الا ان يوقظ المرء مشاعر رقابة الله تعالى في قلبه . فان الانسان اذا آمن بالله عز وجل ، وأيقن بأن الله تعالى رقيب عليه ، يعلم خائنة عينه وما قد تخفيه نفسه ، وان كل ذلك يقيد في سجل ، وانه ينشر أمامه يوم القيامة مع صوت يناديه :

(هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون)

وان الله محاسبه على كل ذلك في محكمة لا نقض فيها ولا استئناف ولا ينفع معها شاهد زور ولا ملكة تحريف ولا تأويل ، وانه سيستقبل من حياته يوما ثقيلا ، ينسى

تحت وطأته طعم الشـــهوات التى اسكرته وساعات لذائذه التى ادبـر عنها ، وانه مخلد بعد ذلك اما فى نار ابدا او فى جنة ابدا :

اقول : اذا عاش المؤمن فى دنياه يستشعر هذه الحقيقة ويتمثلها — وذلك هو شأن كل مؤمن فان علومه وافكاره كلها تتحرر عن ســلطان نفسه ، وينطلق العقل صاعدا يبحث عن حقائق الوجود فى حرية مطلقــة مجاوزا الواحدة اثر الاخرى حتى يقف عند حقيقة الحقائق كلها وسر الوجود كله .

وليس للنفس من سبيل اذ ذاك ، الا أن تسعى جاهدة للحاق بالعقل فى رحلته القدسية هذه . فلأيا بلأى، تتجرد من غوائلها وترتفع فوق آفاتها وتنكسر خاضعة تحت سلطان العقل وقانونه . وذلك هو مجمل وظيفـة الاسلام فى حياة الانسان .

وما يمنع المسلم ، ايا كان ، من أن يكون هــذا شأنه فى الحياة ، الا انه ينسى انه مسلم ، ويســتمر ناسيا ذلك ، حتى تتخطفه الاهــواء وتنسج عناكب الشهوات من حــوله خيوطها ، فتنمسخ فيه طاقة العلم وقدسية العقل ، وينتكس وجــوده الذى خلق متجها الى السماء واذا هو قد انحط هابطا الى الارض .

ويسير الرجل هكذا منكس العقل والوجود ، يفهم الحقائق منكســة ، ويرى أشياءها معكوسة : يزهــد فيما ينبغى ان يحرص عليه ، ويتعلق بما يجب أن يزهد فيه ، ويحســب مائة حساب لما يبصره عنــد أرنبــة أنفه ولا يحسب حسابا واحدا لمــا هو لاقيه عند موته .

حتى اذا وافاه الاجل ، انقلبت مرآته فجأة لتبصره الامــور على حقيقتها ولتريه الدنيا كمــا هى فى ذاتها ، وامتلأ سمعه بمعنى قــوله تعــالى :

(لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد)

وتصحو مشاعر الرقابة الالهيــة اذ ذاك فى النفس ، ولكنها مشاعر لا تنبع اذ ذاك الا بنيران الندم ، وما كان الندم ليغنى عن صاحبه شيئا .

* * *

وبعد فحاشا لأعداء الاســلام أن يتهيأ لديهم من الجرأة ما يقتحمون به الى الاسلام بأى مكروه . فللاســلام فى افئدتهم رهبة تصــدهم عن ان ينالوه بأى أذى مباشر .

ولكن من عادتهم انهم يتلمســون بين المسلمين من كانت هذه حاله : مسلم ولكنه نسى اسلامه ، يعـلم الحق ولكنه لا يبالى ان يدفع علمه فى طريق ما تتمناه عليه نفسه .

يتلمسون من هؤلاء واحدا اثــر آخر ، حتى اذا تهيأ لهم جند من هؤلاء الناس ، اتخذوا منهم جسرا الى كيان الامة الاسلامية وجوهر هذا الدين الحنيف ، فوقهم يصــولون وعلى ظهورهم يرتعون ، وبواسطتهــم يفسدون ويدمرون .

* * *

سقطت قطعة فأس ذات يوم بين اشجار بستان ، فذعرت الاشجار لهذا العدو المداهم ، وداخلها الرعب والهلع ، ولكن شجرة عظيمة قــد اتت عليها السنون ، نادت فيهــا قائلة : لا يهولنكم الامر ، فــلو ان قطعة الحديد هذه ظلت ملقاة فيمــا بينكم مئة عام لم يكن لها ان تــؤذى واحدة منكم ، الا أن يتبرع جذع منكم فيجعل من نفسه مقبضا لهــذه الفأس ..

من هدي السنة

التكافل الإسلامي

للدكتور علي عبد المنعم عبد الحميد

> عن البراء بن عازب رضى اللهعنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من منحمنيحة لبن(١) او ورق(٢) او هدى زقاقا(٣) كان له مثل عتق رقبة » .
>
> (رواه احمد وابن حبان والترمذى)

١ — فى هذه الحياة الدنيا لا يستطيع امرؤ ان يحيا بعيدا عن الآخرين ، منزويا فى عقر داره او منحازا الى جبل او مغارة ، بل لا بد من التلاقى والتواصل على أوسع نطاق ، وفى قوة تعاون وتساند ، حتى تمضى الحياة الي الافضل وتستمر فى الصعود الى قمة الكمال الممكن ادراكه ، والمستطاع الوصول اليه ، وهذا يقتضى شعور كل انسان بحاجة اخيه شعورا كاملا ، والعمل على سد الثغرات التى تنزلق منها البشرية الى هاوية الفرقة والتنافر، والاسلام حريص كل الحرص على أن يتلاقى الناس فى ظل المحبة والإخاء مهما بعدت بهم الدار ، ومهما شط بهم المزار ، لهذا نلحظ كثيرا فى توجيهات سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم التأكيد على ما يوصل الى العيش الرغيد ، والسير الحميد ، والتماسك والتآلف ، ومن بين وصايا سيدنا رسول اله صلى الله عليه وسلم تلك المقولة الكريمة التى تحث على بذل المعروف ، ونشر التعاون ، وتدل عليه فى صورة سهلة الإدراك، يسيرة المأخذ ، فقد اشار هذا الكلم الطيب الى صنفين من اصناف البر والتعاون ، الأول منهما : هو المعونة بالمال — والمال عدل النفس .. والثانى منهما : هو المعونة بالمقال ، ورب كلمة طيبة رفعت من شان ، ودافعت عن حق ، واكدت المحبة ،

وأبادت البغضاء ، وقد أوضـح الحديث الشريف انه يلزم القـادر إسعاف العاجز ، وعلى الغنى بذل ما يستطيع للأخذ بيد الفقير ، كما انه على العالم ان يفقه الجاهل ، وعلى كل ذى فضـل ان يعطى من فضل ما عنده لذى الحاجة العـاجز عن إدراك ما ادرك ، والمقعد عن الوصول الى ما وصل اليه ، وتلك خلال الاسلام وفضائله .

وقد نص سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسـلم على ما ورد فى الحديث الشريف موضع البحث من قبيل ذكر الامثلة الخاصة التى تدل المتامل فيها على نظائرها من مطلوبات الاعمال والاقوال، وتلك طريقة كريمة سهلة يشير فيها المرشد الى ما يراه اقرب الى افهام الناس ، وايسر على ادراكهم ، لمثوله متكررا امام اعينهم، حتى اصبح مالوفا لهم ، كما ان فى ذلك ايقاظا لأفكار الدارسين الاذكياء وتوجيها لهم الى مزيد من التدبر والفهم والادراك ، ليقيسوا الأشباه علـى النظائر مما يمت اليها بصلة من غاية او نهاية ، وهذا مما يثقف العقول ، ويحملـها على التصرف فى الامور تصرفا حسنا مسـتندا الى البرهان والاستنتاج المستقيم ، وهذا ما يفسر لنا دائما السر الكامن وراء اقتصاره صلى الله عليه وسـلم على بعض الاشياء ، وسكوته عن البعض الآخر لما فى ذلك من فائدة للعـالمين والمتعلمين .



٢ ــ فى تدبر هذا الحديث الشريف وتطبيقه عمليا تيسير الامور على من تعسرت عليه ، وتفريج الكروب عمن نزلت به ، ومد يد التراحم للأخـذ بناصر من احاطت بهم أسوار الضيق والعوز ، وبذل البر عامة لإغاثة كل ملهوف محتاج الى العون فى شتى صوره وأشكاله ، ولقد فقه سلفنا الصـالح كل ذلك ، وادركه ادراكا كاملا من توجيهات سيدنا رسـول الله صلى الله عليه وسلم فاستقاموا على العمل النافذ المفيد ، وحرصوا عليه ، وتواصوا بالصبر والمرحمة ، وكان من نتاج ذلك ان يسارع الى الأخذ بناصر الضعيف ، وان ييسر على المعسر ، ويبادر الى سد حاجته، فلم يتركوا مسلما يتردى فى هاوية الآلام ابدا الا وجدوا له من آلامه شفاء ، ومن كربه فرجا ، ومن ضيقه مخرجا ، ورأوا ــ رحمهم الله ــ ان ما يصيب احدهم يصيب المجموع ، فما يشعر به الفرد المسلم من خير او شر تسرىٰ عدوى شـعوره الى الآخرين من اخوانه فيفرحون لفرحه ويساؤون لإساءته ، وصدق فيهم قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى» . كما رواه البخارىوغيره قريبا من لفظه ومتحدا فى معناه ، فالمؤمن الحق هو الذى تتمكن فى قلبه اخوة الاسلام فتثمر التواصل والتعاطف والتلاقى دائمـا فى رحاب الله وتحت راية سـيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا يمكن أن يتم ايمان المؤمنين الا اذا صاروا حقا كالجسـد الواحد اذا مرض منه عضو اشترك معه سائر الاعضاء فى الألم ، فالعين تسـهر والقلب يتالم ، والمعدة تضـطرب ، والفكر يرتبك، فكان الجسم كالشجرة اذا اهتز غصن من اغصانها اهتـز

سائرها ، وهذا توضـــيح لبعض ما ورد فى الذكر الحكيم كقول ربنـــا تبارك وتعالى : « والذينتبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شـح نفســـه فاولئك هم المفلحون » ، وهكذا فى الصورة الاســـلامية الصحيحة يصبح المسلمون بنعمـة الله إخوانا متكافلين متعاضـدين ، يلجأ ضعيفهم الى قويهم ، ويكـفل غنيهم فقيرهم ، وبهذا يسعدون ، ويتم الله عليهم نعمته ، ويفلحون فى كل مقاصدهم .

—

٣ ـ تسلطت على العالمالاسلامى انواع من الجهالة بالاسلام لم يتفق عقلاؤهم على مصادرها ، ولم يعلموا تماما مواردها ، فقال قائلهم : من الاستعمار اتتنا ، وصاح آخر : من غلبة الكفار على اوديتنا ، وتحكمهم فى مقدراتنـــا ، ونتج من جهالتهم انفكاك وحدتهم ، وتفرق كلمتهم ، وانطفاء نورهم ، وتمزقهم ايدى سبا وتبدلت طباعهم فلم يعودوا يشعرون بشعور واحد ، ولا ينضوون تحت لواء واحد ، ولا يدركون كل الادراك ما ينفعهـم متميزا عما يضـرهم ، وخلطوا عملا صالحا وآخر سـيئا فاصبحوا احدوثة العالم ، ونفـاية الانسانية ، وحثالة الوجود ، وضلوا طريقهم الســوى تائهين فى بيداء الجهل ، ولبثوا كذلك حقبا متطاولة ، حتى قرعت بابهم القوارع بشدة ، وصاحت بهم حادثات الأيام ، صيحة ازعجتهم عن مســتقرهم ، وباعدت بين البعض واوطانهم ، فانتبهـــوا مذعورين ، وتشتتوا فى مســالك مختلفـــة كقطيـــع فاجاته الذئاب العاوية ، فلم يدر أى مسلك ينجيه، ولم يجد من ياخذ بيده او يهديه ، وهنا يصيح بى صـــاحبى لا تترك الآلام تقود القلم ، ولا تدع اليـأس يسجل الماساة ، فقد لاح فجر واضاء نجم ، وما بعد الليل الا النهار ، فان مع العسر يسرا ، إن مع العـسر يسرا ، وإن حادى العيس فى البيداء لن يضل ، ومع نور القرآن وهدى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتتراءى امامى اضواء تعلو وتهبط هنا وهناك فى اودية مختلفة، وادعو الله ان تزداد قوة ولمعانا حتى تبدد حوالك الظلام التى احاطت بها، واخذت علينـــا طريقنا ردحا من الزمان .

ويناديني صوت من بعيد يحملنى على لى العنان والالتفـــات اليه ، والاستماع الى مصدره ، فردد فى اذنى أصداء الحرية المعناه اللاهثة ، يفك قيودها من عرك الحياة وعاركها، واصطلى الحوادث وذاق ســمها ، وعرف ضيق السجن يوما وتنسـم الحرية يوما ، فاخذ يمســح بيده الكريمة جبــاه الحريات المحمومة ، ويصف لها الدواء ، ويتابع العلاج ، ويلاقى للأسف الشديد الأمرين فى سبيل ذلك ، ولكن الله معه ومؤيده،

وبدأ الحيارى يتنفسون الصعداء ، واعتقد أنه ستنعكس افكاره واعماله على أمم اسلامية كثيرة ، وسيتابعه آخرون فى نفس الطريق أن عاجلا وإن آجلا ، فالرجل مخلص محنك وقيادته حكيمة موفقة ، والمعوقون سيختفون بفضل الله وعونه ، وتعود الى الوطن الاسلامى سعادته وامنه ، وانى لأسال الله القوى القادر ان يعطى هذا القائد قوة من عنده اعطاها للمخلصين من قادة الاسلام الغابرين ، ويفسح له فى طريق الخير ، ويحميه من تسلطات الشياطين ، وإن الشياطين ليس لهم سلطان على عباد الله المخلصين ،

وصاحبنا من أشد الناس إخلاصا فيما ارى لله ، وللحق ، وللوطن ، ومولانا القوى القادر العالم بخفيات الأمور يقول للخائن الخاسر : « ان عبادى ليس لك عليهم سلطان » ، وحين تعم الحريات ويتنفس المخلصون الصعداء تكثر منائح الخير ، ويعم التعاون والتساند المخلص لله وحده، وتسود الوطن الاسلامى المحبة والإخاء ، ويصبح اهله يدا واحدة على عدوهم الكاشح الجاثم على أنفاسه ، فيورده موارد الهلاك ، ويستعيد قوته ومجده فان مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا .



---

(١) معنى منيحة اللبن : هو أن تعطى غيرك ناقتك ، أو شاتك أو بقرتك لياخذ لبنها احتلابا ، ثم يردها عليك .

(٢) والمراد بمنيحة الورق : هى دراهم مصكوكة من الفضة يقرضها المرء لغيره ، ويدخل فى ذلك كل قرض حسن « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة » .

(٣) والمقصود من هداية الزقاق : هو أن يدل الانسان غيره على الطريق الذى يوصله الى غايته فيسلكه ، وخاصة اذا كان السائل غريبا لا يدرى أين الطريق .. !

رمضان

بين تقاليد الماضي وهزائم الحاضر

للشيخ محمد الغزالى

للجسد الانسانى وقوده الذى يحيا به ويتحرك ، ويستحيل حرمان هذا الجسد من مصادر وجوده ونمائه وتنقله هنا وهنالك !.

التجويع التام يقتله ، والحرمان من عناصر رئيسية يثير الاعتلال فى كيانه ، ويفرض عليه الذبول واللغوب ...

ولم يجىء فى شرع الله تكليف من هذا النوع المحرج ، بل جاء فى السنة استعاذة النبى عليه الصلاة والسلام من هذا البلاء « أعوذ بك من الكفر والفقر وأعوذ بك من عذاب القبر لا إله إلا انت » ...

لكن الواجدين من الناس عندما يطعمون لا يكتفون بتناول الغذاء المطلوب لأبدانهم ، بل يلتهمون مقادير اكبر .. كل على قدر نهمته وطاقته !!

ونحن نفتن فى تزويد انفسنا بأزيد من حاجتها ، والرغبات تمتد مع التلبية المستمرة ، وتألف ما اعتادت ، وتطلبه إن فاتها ..!!

وهذا الجسد العجيب قادر على اكتناز ما يفرض عليه إما بدانة مفرطة ، أو قبولا لما يشحن به ، ثم عملا سوريا فيه ، ثم خلاصا معفنا منه !! وهو الخاسر فى هذا الجهد الضائع ، والحياة العاقلة من حوله تقول : لو كان هذا نصيب معدة فارغة لكان خيرا له ولها ، ولكان أسعد وأرشد ، وقديما قيل ..

والنفس طامعة اذا أطعمتها
وإذا ترد الى قليل تقنع !!

لعل فريضة الصيام تذكرنا بهذه الحقيقة النفيسة التائهة ، لكن هناك شيئا آخر يجىء رمضان ليذكرنا به ، نحن العرب والمسلمين فى اقطار الارض كلها .

نعم ، اذا كانت شهية بعض الناس مفتوحة للمزيد من ملذات الدنيا فما احرى المنهزمين بأن تنكمش أيديهم وتغص حلوقهم ، واذا كان اهل الاديان كلها يمرحون ويهشون فما احرى بنى الاسلام بالصيام عن فنون المتع والوان السرور .

ذلك أن المرحلة التى يمرون بها لا تتحمل من ذلك قليلا ولا كثيرا ...

فى أعقاب المتاعب التى تصيب الأمم ، وتنتظم آلامها الأفراد والجماعات ، يحدث تغير شامل فى السلوك القومى

العام . ويزهد الصغار والكبار في فنون من المتع كانوا من قبل يألفونها، وانواع من المرح طالما ابتهجوا أيام السلام بها .

وهذه عادة عربية قديمة ، كان اسلافنا الأوائل اذا نال منهم عدو أو حل بهم مكروه ، هجروا تقاليد السرف والترف ، وصدوا عن أسباب اللهو والمجون ، وما يسمح احدهم لنفسه بسرور غامر ، وضحك عال الا اذا نال ثأره أو استرد مافقده ، أو أوقع بخصمه مثل ما نزل به ، فاذا تم له ما يبغى قال وهو مستريح :

فساغ لى الشراب وكنت قبلا
أكاد أغص بالماء الفرات

وقد نزل أبو سفيان ، وجمهور أهل مكة على هذه العادة بعد هزيمتهم فى معركة بدر ، فحلف أبو سفيان أن يحرم نفسه شتى الملذات حتى يدرك ثأره من محمد ...

واتسق هذا المعنى فى تقاليد البطولة التى شاعت بعد بين المسلمين ، فيقول شاعرهم :

قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم
عن النساء ولو باتت بأطهار !!

والمعنى انه فى ساعات الجد لا ينبغى الاكتراث بما عداه ، وفى أيام الكفاح يجب على الامم ان تقتصد اقتصادا شديدا فى مظاهر الفرح والتسلية ..

وما دام أبناؤنا واخوتنا فى الجبهة وما دامت قطع من أرضنا تحت أقدام العدو ، وما دام جحد حقوقنا ظاهرا فى أسلوب التبجح الذى نستمع الى نبراته فما مكان الراحة والهدوء عند مجىء الراحة والهدوء ؟

وما مكان التوسع فى الانفاق والبذل فى المرفهات عند عشاق البعثرة والترفيه ؟

لقد آن الأوان ليراجع العرب والمسلمون سلوكهم الخاص والعام ، فيحذفوا من أساليب معايشهم وأفراحهم واحزانهم الكثير مما لايتفق مع أيام الحرب وليعلموا أن جمل الكفاح طويل ، وانهم بازاء عدو ماكر غادر تختبىء وراءه كل قوى العدوان فى الارض ، وأن هدف المعركة الاتيان على تاريخهم ورسالتهم وحاضرهم ومستقبلهم ، فكيف مع هذه النيات الهائلة نستخف بالامر ؟

أو نأذن لمشاعر الدعة والهزل أن تخامر القلوب ...؟

ان الأثر النفسى العظيم لفريضة الصيام هو تدريب المؤمن على ضبط نفسه ، وإحكام أمره ، وتقييد شهواته ، فهو اذ يترك بعض الاعمال المباحة يتمرن على ترك جميع الاعمال المحظورة ، أو التى تفرض ظروف المروءة ، واعباء الكفاح أن يتركها ، وقديما قال رجل عزيز صلب ..

يقولون : هذا مورد!! قلت: قد ارى
ولكن نفس الحر تحتمل الظما ..!!

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب طاقة كبيرة على الحياة ، مهما تباينت ظروفها ، واختلف عليها العسر واليسر ، والانكسار والانتصار ولقد علم أصحابه أن الاستسلام للشهوات المادية ، والحرص على نمط معين من الملذات ، سقوط بالهمة وخور فى العزيمة ، واسترخاء مع الشيطان .

قال عليه الصلاة والسلام يصف المجتمعات المعتلة « ان القوم لما شبعت بطونهم سمنت أبدانهم ، فضعفت قلوبهم وجمحت شهواتهم » وقال : « انما أخشى عليكم شهوات الغى فى بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى » .

وقال : « ان شرار أمتى الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه أجسادهم » وقال — يصف عشاق الليونة والرخاوة والمظاهر الجوفاء — « تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد القطيفة ، تعس عبد الخميصة » والقطيفة والخميصة انواع من الاقمشة الملبوسة

والمفروشة تمتاز بالفخامة والنعومة . يحرص عليها طلاب الراحة وعبيد المثل الدنيا لا المثل العليا .

ويظهر أن بعض المسلمين لا يستفيدون من صيامهم هذه الآثار النفسية والاجتماعية التي تعين على خلق شعوب مجاهدة تتحمل متاعب الحصار الاقتصادي والعسكري . وأنهم حريصون في جوانب كثيرة من حياتهم على تقاليد اليسار والسعة ، والتشبث بما ألفوه أيام السلام والسلامة ..!

وما نفكر في تحريم مباح ، ولا في زجر الناس عن طيبات أحلت لهم . ولكنا نفكر في مواجهة العدو المتربص وضرورة وعى الأساس الأوحد للقائه ، وهو أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ... عندما أعلن غاندى المقاطعة السلبية، وحمل شعبه على الرضا بخيوط المغزل الهندى ، وهجر الانتاج الرائع لمصانع انجلترا ونسيجها الرقيق الجيد كان ذلك « الصيام » بداية التحرر ونهاية الاستعمار . ولذلك يقول الشاعر العربى رشيد سليم الخورى

لقد صام هندي' فدوّخ دولة
فهل ضار علجاً صوم مليون مسلم

انني ألفت انظار قومي الى أننا أمام جهاد شاق المراحل ، ثقيل التكاليف ، وأن النجاح فيه يتطلب من الآن نظرة عابسة ، ورفضا لصنوف المباهج !!

ترى هل استطيع أن أقترح إلغاء أفراح الاعياد ؟ والاكتفاء بشمائرها الدينية الرصينة وحسب ؟

إن ولع العرب الشديد باللهو واللعب منته بهم بتة الى التلاشى . ودلالته واضحة على موت القلوب ، وقبول الدنايا ، وعشق الدنيا وكراهية الموت ..

إن عبادة الحياة ، وتكريس القوة والوقت لها وحدها ، علة قديمة بين الناس وهي العلة التي أرخصت القيم الرفيعة ، وألهبت الغرائز الوضيعة ، وصرفت القصد عن الله ، وعلقت الهمة بالحاضر القريب ، ونسيت ما عداه !!

في المجتمعات التي فتكت بها هذه العلة يقول جل شأنه : « إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا » ويقول : « فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا . ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى » .

ومظاهر هذه العلة معروفة في انتهاب اللذات من غير شبع ، والبحث عنها دون اكتراث بحل أو حرمة ، واعتبار الوجود الارضي هو الإطار الأوحد للحس والادراك .

فان فات فليس عنه عوض ، وان اقبل فيجب التفاني فيه وارتشافه حتى الثمالة ! انه لا شيء بعده يرتقب !!

واحسب انه في هؤلاء يقول جل شأنه وهو يذيقهم عقابه ـــ « ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون . ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين » .

والمدنية الحديثة قد ضاعفت لأبنائها الفرص لعبادة الحياة والعب" منها دون ارتواء ، وذلك ان الشهوة تغرى بالشهوة كما أشرنا آنفا ، والرغبات الانسانية قد يضر بها القرب ، ولا يزيدها الظفر الا إشتعالا ، على نحو ما قال الشاعر .

أعانقها والنفس ـــ بعد ـــ مشوقة
اليها ، وهل بعد العناق تدانى ؟
والثم فاها كى تزول حرارتى
فيشتد ما ألقى من الهيمان !

والاديان في أوربا وأمريكا عجزت عجزا تاما عن علاج هذا السعار ، لقصورها الذاتى أولا ، ولاشتغالها

مع ذلك بمحاربة الاسلام بدل أن تتعاون معه على فعل شيء ما يحفظ على الانسانية مستقبلها المتداعى .. والغريب أن المسلمين نافسوا غيرهم فى التهاوى على هذه المتع والتشبع منها جهد المستطاع .

قد تقول : وما الغرابة فى ذلك ؟ اليسوا بشرا كالبشر ؟

واجيب: اننى لا أنكر على المسلمين — خاصة — أن يشاركوا الاوروبيين والامريكيين فى الوان المتاع التى اخترعوها .

اننى قد افهم أن يعود رواد الفضاء من رحلة مضنية ليلتمسوا بعض النزه البريئة أو المريبة فى ليل أو نهار .

اما الذين يتمكعون بين دورهم واجران القمح والارز ، أو الذين يتركون خيامهم على مدى سهم فى مراعيهم الساذجة ، أو الذين يركبون سياراتهم ليجلسوا فى الدواوين محسودين لا مجهودين ... أو .. أو .. فما لهؤلاء والبحث عن الملذات المخترعة فى الشرق أو الغرب ؟؟

إن بعض الناس يذهب الى العواصم العالمية المرموقة ثم يعود ليتحدث عن لياليها الصاخبة !!

فهلا تحدث عن أيامها الجادّة ، وعن العرق المتصبب من أجساد الكادحين الصغار والكبار على سواء ؟؟

إن المهندس هناك قد يغير وجهه وملبسه كله طول النهار ثم ينطلق بعد ذلك ليستجم وفق ما يفهم ويعتاد .

ويوجد عندنا من يقلده فى الانطلاق الاخير ، ولا يتأسى به قيد أنملة فى الكفاح الذى سبقه !!

اى بلاء أصاب العرب والمسلمين حتى عموا عما يجب أن يرى ، وحملقوا عيونهم فيما يجب أن تغضّ عنه ، وتسترخى بازائه ؟

انهم لو فقهوا سر الصيام ، وسر الحياة العفيفة المبنية عليه لكان لهم موقف آخر ..

بل لو أنهم ادركوا ما كانوا عليه ، وما صاروا اليه ، وما تبيته القوى المتربصة بهم ، لكان لهم قبل الصيام صيام ، وقبل القيام سهر يطير معه المنام !!

من سنين طوال ورمضان يستقبله العرب والمسلوب بطريقة رتيبة . روايات اقلها جاد وأكثرها هازل تعرضها الاذاعات المسموعة والمرئية .. اغان بعضها دينى (!) والآخر لا دين له تشنف الآذان . فكاهات تخلق الاجواء الضاحكة ، وتسلى الجماهير التائهة . مواعظ تقليدية ممجوجة يفر اغلب الناس من سماعها أو كتابات اسلامية فى موضوعات مختارة عن عمد لتغدير الفكر وتفتير الهمم .

صور جميلة أو دميمة للمساجد والآثار الاسلامية .. احتفال باهتة جرى رسمها واخراجها بحيث تنعدم فيها الروح ويضعف التأثير .

إن أعداء الاسلام لا يطلبون من امة الاسلام أن تفعل بنفسها أكثر من ذلك !

لما مات أبو امرىء القيس الخليع الضليل قال هذا الشاعر يصف ما سيفعل : اليوم خمر وغدا أمر ! لقد جعل لسكره حدا ينتهى عنده ، إنه اليوم وحسب !

ومات امرؤ القيس وهو يجاهد لاستعادة مجده ، ويقول لصاحبه يسليه عن هموم الكفاح ومشقات الضرب فى الارض .

فقلت له : لا تبك عينك ، انما نحاول ملكا ، أو نموت فنعذرا !!

لكن جمهرة كبيرة من شباب العرب لا يزالون يقولون : اليوم خمر وغدا خمر .. فمتى الصحو ؟

الا يستحق المسجد الاقصى وقفة تدبر واستعبار ، يتلاوم فيها المفرطون ، ثم يغضبون للّه غضبة تمحو العار ، وتدرك الثار ..؟؟

الشخصية

للشيخ عبد الحميد السائح

بعد ان اعد الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم الشخصية الاسلامية في الفرد المسلم ، في مكة المكرمة وفي اوائل عهده بالمدينة المنورة ، بتثبيت الايمان ، في النفوس المهياة والقلوب الصافية ، على ارض صلبة ، تجابه التحديات ، وتتحمل الهزات ، دون ان تلين لها قناة ، ولو ادى الامر الى التضحية بكل مرتخص وغال ، اتجه الرسول صلوات الله وسلامه عليه الى ان يبنى الشخصية الاسلامية الجماعية ، وان يبرز الاسلام في الجماعة ، وكان من مقومات هذه الشخصية واركانها صوم رمضان المبارك ، وما احاط بهذا الصوم ، من تلاوة القرآن الكريم ، وقيام رمضان ، وسمات الجود والاحسان .

وكان صلى الله عليه وسلم ، يلقى جبريل عليه السلام في رمضان كل ليلة حتى ينسلخ ، يعرض النبى عليه القرآن (١) ، فكان ذلك للمسلمين سنة مرعية ، وطريقا محببة ، يقضى الصائمون فترة من اوقاتهم في تلاوة القرآن الكريم ، يتدبرون آياته ويأخذون العبرة من قصصه واحداثه .

ويقومون ليالى رمضان حرصا على رضا الله ، واسوة بقول الرسول الكريم : « من قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » (٢) .

ويتصفون بسمات الجود والاحسان ، اقتداء بالرسول عليه الصلاة والسلام ، الذى كان اجود الناس بالخير ، وكان اجود ما يكون في رمضان (٣) .

ويتسابقون لتادية الزكوات ، ويتنافسون في زيادة المبرات والخيرات ، وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : اى الصدقة افضل ؟ فقال : « صدقة في رمضان » (٤) .

وقال ايضا : « من فطر صائما كان له مثل اجره ، غير انه لا ينقص من اجر الصائم شيئا » (٥) .

فكانت خصال الجماعة الاسلامية في هذا الشهر المبارك :

١ ــ امتناع عن تناول المفطرات والمشتهيات
٢ ــ تلاوة القرآن الكريم
٣ ــ قيام رمضان
٤ ــ تسابق في البذل والاحسان
٥ ــ التزام بآداب الاسلام

تلاحظ هذا كله في الجماعات الاسلامية ، سواء كنت في ظل حكومة

الإسلاميّة

في شهر رمضان المبارك

اسلامية ، او بين فئات الاقليات الاسلامية فى أى حكم اجنبى ، حيثما ذهبت واينما اتجهت .

• • • • • •

ثورة الجماعة على من يثلم شخصيتها

ومن اجل هذا تثور الجماعة الاسلامية ، حينما ينقض شعارها ، او تثلم شخصيتها ، من اولئك الذين يخرجون على الجماعة ، ويتحللون من خصائصها ، لان فى ذلك هدما لكيانها ، وقضاء على شخصيتها .

ومن هذا المنطلق تنقم الجماعة على الخنافس والهبيين وامثالهم ، الذين ينساقون وراء الاخرين ، فى مظاهر مخزية ، او شعارات زائفة ، لا تلبث ان ينجلى سخفها وتفاهتها .

• • • • • •

الجماعة الاسلامية حريصة على الاحتفاظ بشخصيتها

ان الجماعة الاسلامية حريصة على الاحتفاظ بشخصيتها ، لا احتفاظ المتزمتين ، ولا التزام الحرفيين ، ولا تقعر المتفيقهين ، ولا تطاول المتشدقين ، وانما احتفاظ المدركين الواعين ، والتزام المؤمنين المتقين ، الذين يردون عن الاسلام العاديات ، ويجردونه من البدع والخرافات ، وينقذونه بتضحياتهم فى الشدائد والأزمات ، ويعيدونه كما كان ينبوعا لكل خير ، ومصدرا لكل مكرمة .

ففى صلاته تهذيب ينهى عن الفحشاء والمنكر ، وفى صيامه انصراف الى اعالى الامور واحاسنها، ورفعة بالنفس الانسانية عن الدنايا والسفاسف ، وترفع عن المادة المطغية المفسدة ، الى الروحانية المصلحة المهذبة ، حتى يلتحق ركب الجماعة الاسلامية فى هذا الشهر المبارك ، بركب الملائكة الاخيار ، والنساك الابرار الاطهار ، الذين يتجردون لعمل الخير وخير العمل ، ويتمثلون فى مسراهم وممارستهم بقول الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم : « خير الناس انفعهم للناس » (٦) .

وقوله : « الصيام جنة ، فلا يرفث ولا يجهل ، وان امرؤ قاتله او شاتمه فليقل انى صائم » (٧) .

• • • • • •

الجهاد فى رمضان

واذا كان فى رمضان تبرز الشخصية الاسلامية فى الصيام وتلاوة القرآن ، وممارسة الجود

والاحسان ، فان فى رمضان تبرز الشخصية الاسلامية أيضا فى الجهاد فى سبيل الله ، كما وقع فى غزوة بدر الكبرى ، للحفاظ على الدعوة الاسلامية ، وتفتيت كل العقبات فى سبيلها ، وتذليل كل الصعاب من طريقها ، حتى تصبح الدعوة طليقة فى جداولها ، منسابة فى طرائقها ، تغزو القلوب بنورها ، وتستقر فى النفوس ثابتة فى جذورها ، تحوطها قوة المؤمنين ، وإعداد المجاهدين ، وصبر المرابطين ، ولا يخيفها قوة للعدو مهما كانت عظيمة ، ولا يمنعها من الاقدام والجهاد أعداد للعدو مهما كانت وفيرة ، لأن للايمان قوة لا تبارى ، وللروحانيات المستندة للإعداد هيمنة لا تجارى .

* * * * * *

الفتح الاعظم فى رمضان

واذا برزت الشخصية الاسلامية فى رمضان بغزوة بدر الكبرى ، وما نفحت من معان سامية ، وما أعطت من دروس للمسلمين ، أبد الدهر ، فى الثبات والصبر والايمان ، فان الشخصية الاسلامية الجماعية برزت فى رمضان ، بالفتح الاعظم والنصر الاكبر يوم قاد الرسول جحافل المسلمين نحو مكة ، لتحطيم الاصنام الحجرية والبشرية ، والقضاء على بقايا العصبية القبلية والعشائرية ، ولرفع منارة التوحيد ، واعلان العدالة فى اسمى صورها والتضحية فى اكمل مظاهرها ، وقد اعلنها رسول الله مدوية : « وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » (٨) .

وتتجلى حينئذ عظمة الشخصية الاسلامية متمثلة بخلق نبى الاسلام ، عقب النصر المؤزر على اهل مكة الذين اخرجوه وقاوموه ، حين قال لهم : ما تظنون انى فاعل بكم ؟ قالوا خيرا ، اخ كريم وابن أخ كريم ، فقال : اذهبوا فانتم الطلقاء . هذا وذاك غاية السمو الانسانى والرحمة الشاملة والخلق الرفيع .

وبعد

فان رمضان لم يكن شهر الانقطاع والاسترخاء ، ولا شهر الاستسلام والاستخذاء ، فانه رغم ما فيه من صيام وقيام وجود واحسان ، فان فيه تلاوة القرآن ، الذى يقضى على المسلمين بان يكونوا سادة اعزة ، « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » (٩) . ويقضى على المسلمين بأن ياخذوا حذرهم ويتأملوا فى مصيرهم : « يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا » (١٠) ويستلزم ممارسة ما تهدف اليه الآيات الكريمات .

« يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم . واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين » (١١) .

* * * * * *

ايها المؤمنون الصائمون :

شهر رمضان اختص الله به عباده المؤمنين ،ليظهروا شخصيتهمويبرزوا خصائصهم ، ويحرصوا على مميزاتهم ، فى ايمان المتقين وصفاء الابرار العاملين ، وثبات المرابطين والمجاهدين ، الذين لا يقبلون هوانا ومذلة ، ولا تخاذلا واستكانة ، ويعلمون أن رضا الله فى الحرص على تعاليم الله ، والعمل على اعزاز دين الله ، والحفاظ على مقدسات

الاسلام ، ويصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب .

وان العبادات لا تقصد لاشكالها وصورها ، وانما تقصد لما تهدف اليه من تهذيب نفسى وصفاء روحى ، وقد قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه « ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم ، ولكن انما ينظر الى قلوبكم واعمالكم » (١٢) . وقال ايضا : « من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة فى ان يدع طعامه وشرابه » (١٣) . وقال ايضا : « كم من صائم ليس له من صومه الا الظمأ ، وكم من قائم ليس له من قيامه الا السهر » (١٤) .

فاين انتم ايها الصائمون من تحقيق ما هدف اليه تشريع الصيام ، ودياركم المقدسة مستباحة ، وقدسكم واقصاكم ومقدساتكم تئن من الاسر والتشويه والحفر ،والنساء والاطفال والشيوخ تستغيث ولا مغيث ، وتستصرخ ولا مجيب ، وفى موقعة عمورية ، تعرضت امرأة واحدة للانتهاك والاذى ، فاستغاثت بامير المؤمنين ، من مسافات شاسعة ، فما كان منه الا ان جرد جيشه ، وعمل على اغاثتها ، فكان ذلك اعزازا للاسلام ، ورفعا لراية الايمان ، وحرصا على القيم والمقدسات ان تدنس أو تمس بالاذى .

قال تعالى : « وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان » (١٥) .؟

ايها المؤمنون :

ما بالكم قد غفلتم عن واجباتكم ، واعرضتم عن حماية دياركم ومقدساتكم ، واضعفتم صلاتكم بالله واستكنتم الى الراحة ومتع الدنيا وشهواتها ؟ .

فهل يكون هذا الشهر العظيم مباركا باحيائكم معانى الاسلام فى نفوسكم وجماعتكم ، وابراز شخصيتكم واعمار قلوبكم بالايمان والاتساء بخير ولد عدنان ؟

وهل يكون هذا الشهر العظيم مناسبة لتحريك الهمم والشعور بالمسؤولية الملقاة على عاتق الفرد والجماعة فى جمع شتات المسلمين ليدفعوا عن هذا الدين العظيم ما احاط به من الشرور والفتن ويعملوا على انقاذ وطن الاسلام ومقدسات الاسلام وشرف الاسلام ، من المؤامرات التى تحاك خيوطها فى ظلمة الليل ووضح النهار ؟ .

* * * * * *

ايها المسلمون الصائمون :

اذا لم تتحركوا دفاعا عن مقدساتكم ومبادئكم الاسلامية ، فهبوا جميعا للدفاع عن وجودكم وكرامتكم ، ومصادر رزقكم ، واعتبروا هذا الشهر شهر الجهاد بانواعه واقسامه ، عسى أن يشملنا الله برحمته ، ويحوطنا بعنايته ، وينقذنا مما الم بنا من نكبات وويلات، ويتقبل منا ما نقدم من صوم وقيام ، وبذل واحسان ، وعمل الخير فى كل ميدان ، وحينئذ نرجو ان نكون من الفائزين .

---

١ ــ البخارى
٢ ــ البخارى
٣ ــ البخارى
٤ ــ البخارى
٥ ــ البخارى
٦ ــ الطبرانى باسناد جيد
٧ ــ البخارى
٨ ــ آية ٨١ ــ الاسراء
٩ ــ آية ٨ ــ المنافقون
١٠ ــ آية ٧١ ــ النساء
١١ ــ آية ١٠ ــ ١٣ ، الصف
١٢ ــ مسلم
١٣ ــ البخارى
١٤ ــ الدارمى باسناد جيد
١٥ ــ آية ٧٥ ــ النساء

رمضان..

للدكتور وهبه الزحيلى

لقد ثبت لى بالتجربة والبرهان القاطع ان النظرة الى الحيـاة من زاوية واحدة ولفترة محدودة ، واهمال التخطيط الشامل وعدم الاعتبار العام بالماضى ، وترك العمل الكلى للمستقبل ، هو آفة تخلف المسلمين وضعضعة وجودهم فى الوقت الحاضر ، مع ان الاسلام وبقية الأديان الحقة هى ادل شىء للانسان على اهمية التخطيط فى الحياة كلها ـ حياة الفرد والجماعة ، حياة الدنيا والآخرة ، لوجود عقيدة البعث والحساب والمسئولية فيها ..

وان اغلب ما نشاهد من وقائع التعثر والاضطراب والفشل والخيبة فى مشاريع الانسان مرجعه النظرة الجزئية للواقع ، والاهتمام بشؤون العيش المؤقت ، وعدم التدبر والتقدير لمستقبل الأيام الحوالك .

لذا كان لزاما على كل مسلم أن ينظر الى الحياة نظرة شاملة لأن حيـاة الانسان كل لا يتجزأ ، ووسائل اسعاد الحياة ومن أخصها الدين كل لا يتجزأ ايضا .. ومن الضرورى أن تتلاحم الجهود المادية لاكتساب سبل المعيشة مع نواميس الأخلاق والفضائل ومتطلبات الدين الخالد والاعتبار بما فى عالم الآخرة من أهوال ومسئوليات عديدة .

واذا توفرت مثل هذه النظرة الكلية الى الانسان والكون والحياة وعالم الشهادة والغيب ، توفر بالتأكيد شطر الجهد الانسانى ، وهانت الحياة ، وزالت العقد المستعصية لدى الكثيرين ، وتبددت كل المشاكل الشخصية والاجتماعية ، واستؤصلت الأمراض العصبية ، واتصلت آفاق السعادة ، وتعاقبت سحب الخير على الإدرار ، ودام العطاء الالهى الذى لا ينضب بحره ولا تفنى مدخراته ، مع تهيئة اسبابه ووسائله .

وهكذا الأمر بالنسبة لرمضان بين الشهور ، وبما فيه من تكاليف شخصية واجتماعية بين فرائض الاسلام ، فرمضان سيد الشهور ، ولكنه لا ينقطع عن بقية اجزاء العام ، بل الحياة كلها ، والصوم لا ينفصل عن سائر مطالب الاسلام ، وان كان ذا دلالة موجهة نحو الخـير ، أو هو فى الواقع جامع لكل معـانى الاسلام .

فمن فضائل رمضان انه محرك للهمم ، مثير للبواعث الانسانية الشريفة ، شاحذ للعزائم نحو الطاعة بدليل ما نلاحظ من كثرة وفود المصلين الى المساجد ، والاقبال على مدارسة القرآن ، وحضـور مجالس العلم ، والتطوع بالقربات البدنية والمالية ، وسخاء النفس وسماحة اليد وبسط الوجه ونحو ذلك مما للصوم من تأثير فى اثارة المشاعر الخيرة والعواطف الصادقة والأحاسيس النبيلة ، وتذكير الانسان بواجبات مختلفة ، بسبب حرمان النفس طيبات الحياة وملاذ المعيشة واهواء النفس ، فهذا الحرمان المادى من الطعام والشراب والمتع المباحة يرشد الى معان عميقة ، اذ أن « المحسوس يدل على المعقول » كمـا يقول المناطقة .

منطلق وتجسيد لكل معاني الاسلام

الا ان ازمة تحصل وعقدة نقص تبرز بعد انتهاء صوم رمضـــان ، فتقع مشـــكلة خطيرة تتجلى فى التخلى عن مكاسب رمضان ومعطياته ، واهمـــال الواجبات الدينية ، والتقصير فى اداء كثير من تكاليف الاسلام الضرورية ، مع ان الدواعى قائمة ، والحاجة متوفرة ، والثمرة لا تحلو تماما اذا تعجل الانسان قطافها ، وقطعها عن اكمال نضجها ، واعطاء فوائدها المرجوة فى مســـيرة الزمن الطويلة ، وان الله تعالى يحب ان يعبد فى رمضان وفى غير رمضان ، وهو حى باق دائم يراقب تصرفات عبـــاده فى كل زمان ومكان ، حتى تؤدى رسالة الله فى الخلق من دون قطيعة أو هجران او سام ، ولكى تحصل المصالح للانسان على وجه اتم ، قال عليه السلام : « حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات » ، ولقد أعد الله تعالى للطائعين اطاعة كاملة فى الجنة ما لا عين رات ، ولا اذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، قال شيخ الاسلام عز الدين ابن عبد السلام « فسبحان من لا تنفعه طاعة الطائعين ، ولا تضره معصـــية العاصين ، وانما نفع الطاعات لأربابها ، وسوء المخالفات لأصحابها ، والقلوب معادن الخواطر والكفر والايمـــان ، والعزوم والارادات ، والبغض والحب ، والطواعية والاباء ، والمعارف والأقوال ، وكذلك استحسان الحسن ، واستقباح القبيح ، وكذلك الظنون الصادقة والكاذبة » .

فبالصيام يتزود الصائم المؤمن من الحصانات المانعة عن محارم الله ، والتزام حدود الله واحكام شرعه زادا كافيا ينفعه فى بقية السنة كلها ، فترغب نفسه فى الطاعة ، وتعرض عن المعصية ، لذا قال تعالى : « وان تصـــوموا خير لكم ان كنتم تعلمـــون » وعلل سبحانه الأمر بفرضية الصـــيام بقـــوله : « لعلكم تتقون » قال فى تفسير المنار : هذا تعليل لكتابة الصيام ببيان فائدته الكبرى وحكمته العليا ، وهو انه يعد نفس الصائم لتقوى الله تعـــالى بترك شهواته الطبيعية المباحة الميســـورة امتثالا لأمره ، واحتســـابا للأجر عنـــده ، فتتربى بذلك ارادته على ملكة ترك الشهوات المحرمة والصبر عنها ، فيكون اجتنابها أيسر عليه ، وتقوى على النهوض بالطاعات والمصالح والاصـــطبار عليها ، فيكون الثبات عليهـــا اهون عليه ، ولذلك قال صلى الله عليه وســـلم « الصيام نصف الصبر » ــ رواه ابن ماجه . وقال الشيخ محمد عبده : ان معنى (لعل) الاعداد والتهيئة .

فغاية الصوم اذاً اعداد نفوس الصائمين لتقوى الله تعالى طيلة العام والعمر كله بتكرر وجوده سنويا ، وتحصين النفس بخشية الله عز وجل فى السر والعلن ، وهذا يعود باطيب الثمرات اليانعة على النفس الانســـانية وحدها ، واما مشرع الصوم فهو غنى عن العالمين ، ولا تعود العبادة عليه باى مردود نفعى كما ابنا .

ويمكن ان تنحل عقدة النقص والتقصير فى القيام بواجب الصوم وبقية فرائض الاسلام بادراك الهدف العام من الدين ، وبتمثل معانى رمضان التى ترمز لكل معانى الاسلام ، وبتقدير سماحة الاسلام ويسر احكامه وتجـــاوزه

المشاق التي يتضرر بها الانسان .
أما الدين فليس غلا أو قيدا مضروبا على الأعناق او الأيدى ، وانما هو قانون منظم لعلاقات الناس الاجتماعية ، وواسطة فعالة لتقويم الطباع وتهذيب النفوس ، وتطهيرها من أدران النقائص والرذائل والشذوذات ، وحثها على التحلي بالآداب العالية والخلال الحسنة ، بل هو الوسـيلة الناجعة لتأمين مصالح الدنيا والآخرة ، وفض المنازعات والخصومات الناشبة بأعدل المبادىء ، وأحق الأحكام ، لأنه صراط الله المستقيم ومنهجه القويم ، من تمسك به فاز ، ومن انحرف عنه خسر الدنيا والآخرة .
وأما أن الصوم يرمز لمحتوى الاسلام كله ، فلأن في شهره المبارك نزل القرآن العظيم الذى يسعد البشرية جمعاء ، ولأن فيه ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر ، كما أنه شـهر الخير والتوبة والرحمة والمغفرة وزيادة الأجر والثواب ، وشهر الايمان والاحسان ، فيه تفتح ابواب الجنان ، وتغلق ابواب الجحيم ، وتصفد الشياطين ، أخرج البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا جاء رمضان فتّحت أبواب الجنة ، وغلّقت أبواب النار ، وصفدت الشياطين » ، وفي حديث سـلمان عند ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والبيهقى قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم من شعبان قال : « يايها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك .. وهو شهر أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار .. » الحديث .
ومن أبرز صفات صوم رمضان واخطرها انه جهاد صامت متروك لنفس الصائم لا رقيب عليه فيه الا الله تعالى ، وسر بين العبد وربه ، لا يطلع عليه احد غيره سبحانه ، مما يشحن النفس بطاقة داخلية قوية جدا من مراقبة الله تعالى والاعداد لتقوى الله التي تنفع المرء طيلة العام ، كما أشرنا . لذا كان الثواب عليه مفتوح الباب بقدر رحمة الله وقبوله ، روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال الله عز وجل : « كل عمل ابن آدم له الا الصوم ، فانه لى ، وأنا أجزى به ، والصيام جنّة ــ اى وقاية من المعاصي ــ » الحديث . وفي حديث لأبى أمامة عند النسائي وغيره قال : « أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ، مرنى بأمر ينفعنى الله به ؟ قال : عليك بالصيام ، فانه لا مثل له » . فالصـيام اذاً أقوم طريق لتقوية الارادة ، وكبح جماح الأهواء والشهوات ، وضبط النفس ، وتعود الصبر ، قال عليه السلام في حديث سلمان السابق : « وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة » . وهذه المقومات تبرز أهم صفة في العبادة وهى الاخلاص الذى لا يشوبه الرياء ، وقصد وجه الله تعالى بالذات .
وكذلك كان شهر الصوم لدى أسلافنا العظام شهر الجهاد المسلح ضد الظلم والطغيان ، ففيه وقعت اكبر حوادث الاسلام الفاصلة مع الأعداء ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان غزوتين : يوم بدر والفتح ، فأفطرنا فيهما » . ففي رمضان حدثت معركة بدر الكبرى التي فرقت بين الحق والباطل في السنة الثانية من الهجرة ، وحدث فتح مكة المكرمة الذى علا فيه مجد الاسلام وأفلت فيه نجوم الشرك في الجزيرة في السنة الثامنة من الهجرة ، كما حدثت فيه معارك حربية أخرى حاسمة مثل موقعة عين جالوت التي قضت على أطمـاع التتر والمغول ، وخلصت العرب من شر مستطير سنة ٦٥٨ هـ .
وتتجلى صفة الاعداد والتهيئة في رمضان للعام والعمر كله انه يقوى الصحة ويخلص الجسد من كل عوامل الضعف الطبيعية ، روى الطبرانى في

الأوسط من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اغزوا تغنموا ، وصوموا تصحوا ، وسافروا تستغنوا » .

ومن اعداد الصيام للأمة وثمراته الاجتماعية تحقيق المساواة فعلا بين جميع الناس اغنيائهم وفقرائهم ، وتوحيد مشاعرهم ، واحساسهم بالرباط الأخوى الخالد فيما بين المؤمنين ، وتعود النظام فى المعيشة ، وضرورة الاشتراك فى السراء والضراء ، مما يفهم ان القوة مع الاتحاد والتعاون ، وان النصر حليف الصبر ، وان العزة والكرامة اساسهما التضحية والايثار والرحمة والمحبة ، وان غلبة الحق الاسلامى واندحار الباطل وتطهير المقدسات الاسلامية من رجس اليهود الأوغاد مرهون بالتزام طاعة الله ، واحترام حدوده ، واجتناب نواهيه ، والتخلق باخلاق الصائمين الحقيقيين التى من اخصها حفظ اللسان وغض البصر وتجنب الزور والبعد عن الخصومات والشحناء التى تضعف الأمة وتفرق الجماعات ، روى أحمد والبخارى واصحاب السنن الا النسائى مرفوعا من حديث أبى هريرة : « من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة فى ان يدع طعامه وشرابه من اجلى » اى من أجل الله تعالى ، وروى النسائى وابن ماجه : « كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش » .

وفى الجملة ان للصوم فوائد كثيرة صحية واخلاقية واجتماعية ودينية معروفة يهمنا منها ما اشرنا اليه مما فيه صفة الاعداد والرمزية لمعانى الاسلام المنوه عنها بوصف رمضان بصفة (الخير) الجامعة لمقومات الاسلام : « لو يعلم العباد ما فى رمضان — اى من الخير — لتمنت أمتى أن تكون السنة كلها رمضان » . ويحسم الرسول صلى الله عليه وسلم موقف الناس من رمضان فيقول : « عرى الاسلام وقواعد الدين ثلاثة ، عليهن أسس الاسلام ، من ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم : شهادة ان لا اله الا الله ، والصلاة المكتوبة ، وصوم رمضان » رواه أبو يعلى باسناد حسن .

فالصوم اذاً حد فاصل بين الايمان والكفر ، وعندها يدرك المقصرون المسلمون مدى الخطر الأعظم الذى يصيبهم بالتهاون فى اداء الصيام الذى تنطلق منه أو تتجسد فى عبادته اهداف الاسلام وغاياته الكبرى لترسيخ دعائم الحق والمحبة والخير والتسامح والجهاد والتضحية ، واقامة صرح الايمان الذى هو مجمع الفضائل ، وقوام الضمائر ، وعماد الحياة السوية ، وتبديد معالم الكفر الذى هو وكر الاضطرابات والفوضى ، ومنشأ الانحراف ، وسبب الحيرة واليأس والقلق والشقاء ..

واما ما قد يتذرع به المقصرون من وجدان المشقة فى الصيام ، فهو عذر مرفوض ، لأن دين الله واحكامه كلها يسر لا عسر ، وسهلة لا صعبة على من صحت عزيمته وصدقت نيته ، وحزم أمره ، وما قد يوجد من مشقة لاسيما وقت الحر ، فهو امر محتمل يقينا ككل ضروريات الحياة وكل الأعمال المعتادة التى لا تخلو من مشقة مالوفة تطيقها النفوس وتتحملها الأجساد ، ومثلها لا اثر له فى اسقاط العبادات والطاعات ولا فى تخفيفها ، لأنها لو اثرت لفلتت مصالح العبادات والطاعات فى جميع الأوقات ، او فى غالب الأوقات ، ولفات ما رتب عليها من المثوبات الباقيات ما دامت الارض والسموات ، على حد قول العز بن عبد السلام .

فالمصلحة كلها فى اتباع شرعة الله ، والخير كله فى التزام اوامر الله ، والرباط الجامع بين الانسانية ومثلها العليا فى هدى الاسلام الذى يمثل هداية السماء وارادة الخير للبشرية فى صورته الأخيرة التى استوعبت خير ما فى الأديان السابقة ، وانهت ما سوى ذلك مما لم يعد ملائما لتطور المدنية والحياة ، قال سبحانه : « فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى » .

ابتهالات

للأستاذ العوضى الوكيل

اليـــك الهى يرجع الأمر كلـــه — اليك متاب القلب قد شـــابه الندم
رب هب لـــى من نور ذاتك نورا — واجل عنى الظـــلام والديجـــورا
واذا ما بلــــــوتنى فاعنـــــى — ســــاعة الخطب كى اكون صبورا
واذا ما اصــــــابنى فيض نعمى — فاعنى لـــــكى اكون شـــــكورا
واعنى على التـــــامل فى الـــكون — لأدرى الجـــلى والمســــــتورا
أى عـــذر لمن تأمل فى الـــــكو — ن وامسى بمـــن براه كفـــــورا
بك أســــــــتعين ، ولا معيــــ — ـــن ســـــواك فى الخطب الملم
بك تســــــتضىء مشـــــاعرى — فى كل ليـــــــــل مدلهـــم
اســـــماؤك الحســــنى تنيـــ — ـــر جوانب الصـــــبح الأحم
فاذا دعوتك ضـــــــــــارعا — وجعلت هذا الشــــــأن همى
الفيت نورك مرشـــــــــــدى — وهداى فى صـــــحوى ونومى
واذا عزمت فباســــــــمك الر — حمن اشـــــــحذ كل عزمى
واذا رميت اصــــــــــبت — انى عن نداك الســـــمع ارمى

يا خالـــــق الأكـــــوان نـــور ك وحــــــده بدرى ونجـــــمى
يا واهـــــــــب الأرزاق رز قك وحده ســــيفى وســــــهمى
اذا طغى الليـــــل واعيــــــاك الصـــــــــــباح وابتعــــد
فأنت والنجــــم البعـــــــيد مضـــــــنيان من ســـــهد
تغـــــــالبان لوعة ، وتشــــــــــكوان من كبــــــــد
فقـــــل : هو الله أحـــــــد وقل : هو الله الصـــــــمد
ســــــــبحانه لا والـــــــد لـــــه ولا لـــــه ولـــــــد
اذا التــــــــوى بك الطــــــــــريق او اضـــــــلك الأمل
ولم تجـــــد فى النـــــــــــــاس من يعين فى الخطب الجـــــلل
وأدبر الصـــــــــــــديق عنـــــــك فى البـــــــلاء واعتزل
فقـــــل : هو الله احـــــــد وقل : هو الله الصـــــــــمد
ســــــــبحانه لا والـــــــد لـــــه ولا لـــــه ولـــــــد
أعنى على نجـــواك يا بارىء النسم ويا مبدع الكون العجيب من العدم
ويا رازق الأطيـــــار فى وكنـــاتها ويا ناظم الأفلاك من بين ما نظـــم
ويا ملهم الطير المغنى غنـــــــاءه يســـــــبح للرحمن ان طار او جثم
ويا مجرى المـــــاء الفرات جداولا ويا مالىء البحر المحيط الذى التطم
عليك حســـــابى يوم لا شىء نافع سوى عمل يســـمو لوجهك من امم
اليـــك ايابى ، يوم تجزى بجنـــــة وتجزى بنـــــار من اناب ومن ظلم

حول تمحيص التاريخ

للدكتور احمد الشرباصي

إن للتاريخ حرمة يجب أن تصان وترعى ، لأن التاريخ صورة الماضي أمام الحاضر ، فإذا لم تكن روايته دقيقة أمينة ، تبدلت المعالم ، وتشوهت الحقائق ، وجارت احكام المعاصرين على السابقين . وتزداد حرمة التاريخ جلالا ومكانة ، إذا كان يتعلق برجال ننظر إليهم بعين الاجلال والاكبار ، مثل صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، لأن هؤلاء كانوا النماذج العملية الحية لتطبيق تلك الدعوة الاسلامية الكريمة . بمعتقداتها ومبادئها وتعاليمها .

ومن واجب اهل الغيرة على الاسلام وتاريخ رجاله أن يسارعوا إلى التصحيح والتمحيص ، كلما راوا خطأ في التاريخ الاسلامي ، أو تحريفا لاحداثه ووقائعه ، أو خلطا بين أخبار اعلامه وأبطاله ، وهذا فيما أعتقد فرض كفاية على ابناء الاسلام ، إن قام به البعض سقطت التبعة عن الباقين ، وإن لم يتحقق ذلك اشترك الجميع في التبعة والإثم .

اقول هذا لأنني تناولت المجلد الرابع من « دائرة المعارف » التي تصدر في بيروت باشراف الاستاذ فؤاد أفرام البستاني ، وقد وجدت في الصفحة الرابعة والسبعين بعد المائة من هذا المجلد ترجمة تحت عنوان : « أبو أمامة الباهلي » . وقد جاء تحت هذا العنوان ما يلي بالنص :

« أبو أمامة صدى بن عجلان بن وهب الباهلي الصحابي ، من مشهوري الصحابة ، روى له خمسون حديثا ، روى عنه عدة من العلماء . قيل : وكان ممن بايع تحت الشجرة ، وشهد احدا ، وصفين مع علي . سكن مصر ، ثم حمص ، وبها توفي سنة ٨١ هـ (٧٠٠) وقيل سنة ٨٦ . قيل : هو آخر من توفي من الصحابة بالشام . وذكر الهروي قبره في كفر نفد من قرى حمص ، وقال : « والصحيح أن قبره بالبقيع ، وهو أول من دفن به ، وقيل عثمان بن مظعون أول من دفن به ، والله اعلم » ا هـ .

ومع أن الواجب في دوائر المعارف أن تكون دقيقة المعلومات ، لانها من المراجع الأمهات ، ويشترك في كتابة موادها عشرات من العلماء أصحاب

المكانة والشهرة ، تلاحظ أن الترجمة المكتوبة قليلة ضئيلة ، وفيها أكثر من خطأ ، وهي فوق هذا خلطت بين ترجمتين لاثنين من أعلام الصحابة ، أولهما أبو أمامة صدى بن عجلان دفين الشام ، والآخر أبو أمامة أسعد بن زرارة الأنصاري دفين البقيع ، وبين الاثنين ما يقرب من ثمانين عاما في الوفاة ، فأسعد بن زرارة قد توفي في العام الأول للهجرة ، وصدى بن عجلان توفي في سنة إحدى وثمانين ، أو ست وثمانين للهجرة .

وذكرت الترجمة أن صدى بن عجلان روى له خمسون حديثا ، مع أن النووي في « تهذيب الأسماء واللغات » أنه روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائتا حديث وخمسون حديثا (١) .

وقالت الترجمة : « روى عنه عدة من العلماء » وكلمة « العلماء » هنا غير دقيقة ، والصواب أن يقال : « روى عنه جماعة من التابعين » كما ذكر ابن عبد البر في « الاستيعاب » (٢) .

وقالت الترجمة : « قيل : وكان محمد بايع تحت الشجرة » . والتعبير بكلمة « قيل » يضعف الخبر ، مع أن ابن حجر قد قرره وذكر سنده وحديثه في « الإصابة » (٣) .

ومن حقنا أن نتساءل : ماسر اقتصار الدائرة على الترجمة لأبي أمامة صدى بن عجلان وترك غيره ممن عرفهم التاريخ الاسلامي بلقب « أبو أمامة » ومنهم :

١ — أبو أمامة أسعد بن زرارة الأنصاري البخاري المتوفى في شوال على رأس تسعة أشهر من السنة الأولى للهجرة .

٢ — أبو أمامة إياس بن ثعلبة الحارثي الصحابي .

٣ — أبو أمامة أسعد بن سهل بن حنيف ، التابعي المتوفى سنة مائة للهجرة .

٤ — أبو أمامة التيمي التابعي ، الكوفي ، الثقة .

٥ — أبو أمامة الأنصاري ، الذي رآه الرسول في المسجد ، وعلمه الدعاء المتعلق بقضاء الدين .



وما دامت « دائرة المعارف » قد خلطت بين ترجمتي « أسعد بن زرارة » و « صدى بن عجلان » فمن الخير أن نميز بينهما ، عن طريق الترجمة القاصرة لكل منهما ، على أن نبدأ بأسعد بن زرارة لأنه أسبق في الوفاة .

أسعد بن زرارة : هو أول من أقام الجمعة بالمدينة ، الصحابي الجليل أبو أمامة أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن النجار الأنصاري ، وأمه هي سعاد بنت رافع بن معاوية ، ويقال انها تسمى « الفريعة » (٤) .

وكان يقال له : أسعد الخير ، وهو أحد الشجعان الأشراف في الجاهلية والاسلام . ويروى انه أول من أسلم من أهل المدينة ، فقد خرج إلى مكة قبل

---

(١) تهذيب الاسماء واللغات ، ج ٢ ص ١٧٦ طبعة المنيرية .

(٢) الاستيعاب على الاصابة ، ج ٢ ص ١٩١ .

(٣) الاصابة في تمييز الصحابة ج ٢ ص ١٧٥ .

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد ، ج ٣ ص ١٣٨ — القسم الثاني .

الهجرة ، ومعه ذكوان بن عبد قيس ، ليتفاخرا ويتنافرا ، فلما بلغـا مكة سمعا بأمر النبى عليه الصلاة والسلام ، فأتياه فعرض عليهما الاسلام ، وقرأ عليهما مما نزل من القرآن ، فأسلما ونسـيا المفاخرة والمنافرة ، وعاد ابو أمامة مع صاحبه إلى (المدينة) ، فكانا أول من قدم إليها بالاسلام »(١) . ويقول عمارة ابن غزية : « اسعد بن زرارة أول من أسلم من أهل المدينة »(٢) .

ولم يكتف ابو امامة بأن الله قد هداه سواء السبيل ، بل اراد ان يزداد من الخير ، فشارك فى جذب غيره إلى الاسلام ، فكان أحـد الستة الذين بايعوا الرسول بيعة العقبة الاولى(٣) ، وكان أحد الاثنى عشر رجلا الذين بايعوا النبى بيعة العقبة الثانية(٤) . وكان أحد السبعين رجلا الذين بايعوا بيعـة العقبة الثالثة(٥) .

وحينما بعث النبى صلى الله عليه وسلم اول مبعوث له الى المدينة ، وهو مصعب بن عمير ، انزله أبو أمامة فى بيته ضيفا عليه ، واخذ يطوف معه على اهل المدينة يمينا وشمالا ، يعرضان عليهم الاسلام ، ويحدثانهم عن الله تبارك وتعالى ، وظل مصعب فى بيت ابى أمامة حتى لم تبق دار من دور الأنصار — تقريبا الا وفيها رجال مسلمون ونساء مسلمات(٦) .

والحادث البارز فى سيرة اسعد بن زرارة هو أنه كان اول من اقام صلاة الجمعة فى المدينة ، فى موضع يقال له « نقيع الخضمات » وهـو من أودية المدينة ، على عشرين فرسخا منها ، وكان ذلك قبيل الهجرة ، ويروى أن أبا أمامة اجتمع مع طلائع المسلمين فى المدينة فقالوا : إن لليهود يوما يجتمعـون فيه ، هو يوم السبت ، وللنصارى يوم مثل ذلك ، وهو يوم الاحد ، فتعالوا فلنجتمع ، ونجعل لنا يوما نذكر الله فيه ونستذكر . فصلى بهم اسعد بن زرارة صلاة الجمعة ، وكانوا أربعين رجلا(٧) ، ولعل الرسول صلى الله عليه وسلم بعث إلى أبى أمامة فأرشده إلى ذلك قبيل الهجرة(٨) .

ورضوان الله تبارك وتعالى على الصحابى الجليل كعب بن مالك ، فقد كان كلما خرج إلى صلاة الجمعة يترحم على اسعد بن زرارة ، ويدعو له كلمـا

---

(١) أسد الغابة ، ج ١ ص ٩٤ طبعة التعاون .
(٢) الطبقات ، ج ٣ ص ١٣٩ — القسم الثانى .
(٣) السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٢ ص ١٧٧ و ١٧٨ ، وأسد الغـابة ج ١ ص ٩٥ .. وتاريخ الطبرى ج ٢ ص ٣٥٤ .
(٤) تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٣٥٥ .
(٥) أسد الغـابة ج ١ ص ٩٥ .
(٦) تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٣٥٧ و ٣٥٩ .
(٧) كتاب « يسألونك فى الدين والحياة » ص ٦٧ و ٦٨ .
(٨) أنظر التحفة اللطيفة للسخاوى ج ١ ص ٢٨٩ . والطبقات ج ٣ ص ١٣٩ — القسم الثانى .

سمع الأذان ، وقد سأله ولده عبد الرحمن عن ذلك فأخبره بأن سر ذلك هو أن أسعد كان أول من أقام الجمعة فى المدينة(١) .

ويشـــاء الحكيم العليم أن لا تطول حياة أسعد بن زرارة بعد الهجرة ، فلم تمض إلا شهور حتى أصيب بمرض « الذبحة » أو « الشوكة » ، وحـــاول الرسول أن يعالجه ، ولكن قضـــاء الله نافذ ، وفوق تقديرنا لله تقــــدير ، ففى شهر شوال من السنة الأولى للهجرة ، وعلى حين كان المسلمون يعملون بجـد واجتهاد فى إقامة مسجد الرسول بالمدينة ، لحق أبو أمامة أسعد بن زرارة بربه عـــز وجـــل ، واقبل الرسول عليه فغسله وكفنه وصلى عليه ، فكـــان أول من صلى عليه النبى ، ودفنه فى مقبرة « البقيع » ، فكان أول من دفن فيها كما يروى الأنصار(٢) .

وكان أبو أمامة قد أوصى ببناته إلى الرسول ، فجعلهم بين عياله ، يدرن فى بيوت نسائه ، وجاءت قبيلة بنى النجار إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام تقول له : يا رسول الله ، إن أسعد بن زرارة كان نقيبنا ، وكان منا حيث قــد علمت ، فاجعل منا رجلا مكانه ، يقيم من أمرنا ما كان يقيمه .

فقال لهم : أنتم أخوالى ، وأنا منكم ، وأنا نقيبكم(٣) .

فكان هذا منه تكريما لأسعد بن زرارة ، حيث يخلفه خير الناس رسول الله على قبيلة بنى النجار .



هذا بعض القول عن أبى أمامة أسعد بن زرارة رضى الله عنه .

فماذا عن أبى أمامة صُدَىّ بن عجلان رضى الله عنه ؟ .

هو الصحابى المشهور أبو أمامة صُدَىّ بن عجلان بن وهب بن والية بن رياح بن الحارث بن معن بن مالك الباهلى السهمى ، وسهم بطن من باهلة ، وباهلة هم بنو مالك بن أعصر ، نسبوا إلى أمهم باهلة(٤) . يقول عنه النووى إنه من مشهورى الصحابة ، وروى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائتا حديث وخمسون حديثا ، روى له البخارى منها خمسة ، ومسلم ثلاثة . وروى عنه رجـــاء بن حيوة ، وخالد بن معدان ، ومحمد بن زياد ، وسليمان بن حبيب ، وسليم بن عامر ، وشرحبيل بن مسلم ، وشداد أبو عمار ، وأبو سلام ممطور الحبشى ، والقاسم أبو عبد الرحمن الدمشقى ، وسالم بن أبى الجعد ، وأبو ادريس الخولانى وغيرهم(٥) .

وروى أبو أمامة صُدَىّ بن عجلان قال : لما نزل قول الله تعالى : « لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ... » قلت : يا رسول الله ،

---

(١) أنظر السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٢ ص ١٨١ .

(٢) يروى المهاجرون أن أول من دفن فيها هو عثمان بن مظعون . الطبقات ١٤١/٣ القسم الثانى .

(٣) تاريخ الطبرى ، ج ٢ ص ٣٩٨ .

(٤) العقد الفريد ، ج ٣ ص ٣٠٠ طبعة التجارية .

(٥) تهذيب الأسماء واللغات ، ج ٢ ص ١٧٦ .

أنا ممن بايعك تحت الشجرة . فأجابه الرسول قائلا : أنت منى ، وأنا منك (١).

وتروى السيرة أن النبى صلوات الله وسلامه عليه أرسل كتيبة لتجاهد فى سبيل الله عــز وجــل ، وكان فيها أبو أمامة صدى بن عجلان ، فذهــب إلى رسول الله وقال : يا رسول الله ، ادع الله لى بالشهادة . فقال الرسول : اللهم سلمهم وغنمهم ! (٢)

من يدرى ، لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لأبى أمامة مــع رفاقه هذا الدعاء ، ليبقى هذا العمر الطويل المبارك المحشود بالسعى والعمل والنضال ، فإن التاريخ يحدثنا بأن صدى بن عجلان قد عاش ما يقارب المائة ، أو يزيد عليها ، وصلوات الله وسلامه على نبيــه القائل : « خيركم من طال عمره وحسن عمله » .

وقد شهد أبو أمامة الباهلى معركة « اليرموك » المشهورة ، مع عبادة بن الصامت (٣) . وكذلك وجهه يزيد بن أبى سفيان إلى أرض فلسطين — ردها الله على العرب والمسلمين — فقام أبو أمامة صُدَىٌ بن عجلان بذلك (٤) .

ومما يدل على مكانة صدى أن سليمان بن حبيب المحاربى قال : دخلت مســجد حمص ، فإذا مكحول وابن أبى زكرياء جالسان ، فقال مكحول : لو قمنا إلى أبى أمامة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأدينا من حقه ، وســمعنا منه . فقمنا جميعا ، حتى أتيناه ، فسلمنا عليه ، فرد السلام ، ثم قال : إن دخولكم على رحمة ، وحجة عليكم ، ولم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم من شىء أشــد خوفا على هذه الأمة من الكذب والعصبية ، ألا وإياكم والكذب والعصبية ، ألا وإنه أمرنا أن نبلغكم ذلك عنه ، ألا وقد فعلنا ، فأبلغوا عنــا ما بلغناكم (٥) .

ومن الأحاديث التى رواها أبو أمامة صدى بن عجلان ما رواه فضــال بن جبيرة — أو فضل بن جبير — قال : سمعت أبا أمامة الباهلى يقول : ســمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اكفلوا لى بست أكفل لكم بالجنة : إذا حدث أحدكم فلا يكذب ، وإذا أوتمن فلا يخن ، واذا وعد فلا يخلف ، غضوا أبصاركم ، وكفوا أيديكم ، واحفظوا فروجكم » (٦) .

ومن الاحاديث التى رواها صدى أيضا قول رسول الله عليه الصــلاة والسلام : « لا يعذب الله قلبــا وعى القرآن » والمعنى — كما يذكر ابن الاثير فى النهاية — أى عقله ايمانا به وعملا بهديه وأمره ، وأما من حفظ ألفاظ القرآن

---

(١) الاصابة فى تمييز الصحابة ، ج ٢ ص ١٧٥ .
(٢) المرجــع الســابق ، ص ١٦٧ .
(٣) تاريخ الطبرى ، ج ٣ ص ٤٠١ . وانظر تفاصيل الحديث عن معركة اليرموك فى كتاب « فدائيون فى تاريخ الاسلام ، ص ٢٥٩ — ٢٦٧ .
(٤) تاريخ الطبرى ، ج ٣ ص ٤٠٦ .
(٥) أســد الغــابة ، المجلد الثالث ، ص ١٦ طبعة دار الشعب .
(٦) المرجــع الســابق ، المجلد السادس ، ص ١٧ .

وضيع حدوده والعمل به ، فإنه لا يكون واعيا له كما أراد الحديث الشريف(١) .

وقد سكن صدى فى مصر حينا من الزمن ، ثم انتقل منها فسكن مدينة حمص من بلاد الشام ، وهناك فى الشام انتشر علمه ، وتلقى عنه أهل الشام مروياته فى الحديث ، وذاعت بينهم ، ولذلك يقول صاحب « أسد الغابة » فى ترجمته : « وكان من المكثرين فى الحديث ، وأكثر حديثه عند الشاميين »(٢) .

وكان أبو أمامة صدى بن عجلان من أنصار الامام على رضى الله عنه وكرم الله وجهه ، وكان أبو أمامة فى جانب الامام على فى موقعة صفين التى وقعت أحداثها الدامية سنة ست وثلاثين للهجرة .

وطالت حياة صدى وامتد عمره ، حتى جاوز المئة بست سنوات ، وروى الذهبى مؤرخ الاسلام عن صدى أنه قال : « كنت يوم حجة الوداع ابن ثلاثين سنة » . فيكون عمره مائة وست سنين(٣) .

وفى رواية أخرى أنه مات وعمره إحدى وتسعون سنة(٤) .

وكما اختلفوا فى عمره اختلفوا فى سنة وفاته ، فروى أنه مات سنة إحدى وثمانين ، وهذه رواية « أسد الغابة » ، وروى أنه مات سنة خمس وثمانين وتلك رواية « العبر » ، وروى أنه مات سنة ستة وثمانين ، وقد جاء هذا فى « أسد الغابة » وغيره ، وروى أنه مات سنة سبع وثمانين ، وتلك رواية « البداية والنهاية » لابن كثير(٥) .

وقد رووا أنه كان آخر من توفى بالشام من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنهم اختلفوا فى هذا أيضا ، ولذلك يقول صاحب « أسد الغابة » عنه : « وهو آخر من مات بالشام من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى قول بعضهم » ، وإنما قال هذا لأن هناك رواية أخرى تقول إن آخر من مات من صحابة رسول الله فى الشام هو عبد الله بن بسر — أو بشر — رضوان الله على الجميع(٦) .

ودفن أبو أمامة صدى بن عجلان الباهلى فى قرية « كفر نقد » وهى من قرى حمص فى بلاد الشام ، رضوان الله تبارك وتعالى عليه .

---

(١) النهاية فى غريب الحديث والاثر ، ج ٥ ص ٢٠٨ طبعة الحلبى .
(٢) أسد الغابة ، المجلد السادس ، ص ١٦ طبعة دار الشعب .
(٣) العبر فى أخبار من غبر ، ج ١ ص ١٠١ طبعة الكويت .
(٤) الاستيعاب على الاصابة ، ج ٢ ص ١٩١ .
(٥) أنظر أسد الغابة ، المجلد الثالث ، ص ١٦ ، والعبر ، ج ١ ص ١٠١ . والبداية والنهاية ج ٩ ص ٧٣ طبعة السعادة .
(٦) الاستيعاب على هامش الاصابة ، ج ٢ ص ١٩١ .

الحركة الإسلامية في أمريكا الشمالية

ماضيها وحاضرها والضرورة الماسة

اولا : مقدمة عن أمريكا وسكانها :

أمريكا بلاد واسعة شاسعة ، غنية بمعادنها وخصوبة أرضها وسائر موارد الثروة بها ، وتسمى بالعالم الجديد لأن العالم القديم لم يعرفها الا منذ وصل اليها (كرستوفر كولومبوس) فى عام ١٤٩٢ « العام الذى طرد فيه المسلمون من اسبانيا بالأسف طردا نهائيا » ، ثم تبع ذلك رحلات عديدة أدت الى التأكد من أن ما اكتشفه كولومبوس ومن تلاه لم يكن الساحل الغربى لشبه القارة الهندية كما كانوا يظنون أول الأمر ، بل كان الساحل الشرقى لقارتين أخريين ، أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية .

وقد اقبل المغامرون من بلاد غرب أوروبا على الهجرة الى العالم الجديد تدريجيا ونشأ عن ذلك قيام دول عديدة فى العالم الجديد ، اهمها الولايات المتحدة وكندا فى أمريكا الشمالية ، ويبلغ سكان الولايات المتحدة ٢٠٥ مليون نسمة ، وسكان كندا ٢١ مليونا ، وعاصمة الولايات المتحدة مدينة (واشنطون) ولكن بها مدنا كثيرة يبلغ عدد سكان كل منها الملايين مثل مدينة نيويورك وشيكاغو وفيلادلفيا ولوس أنجلس وسان فرانسيسكو وديترويت وكليفلاند ومنيسوتا وهيوستون ، أما كندا فعاصمتها (أتوا) وبها كذلك مدن كبرى مثل تورونتو ولندن ووينذرز بولاية (أونتاريو) .

ولقد كانت الحياة لأفواج المهاجرين الأولين شاقة للغاية ، حيث تعرضوا لمختلف الأجواء والعواصف الثلجية وأمواج الحرارة والطبيعة القاسية المريرة دون أن يكون لديهم فى ذلك الوقت المبكر من الوسائل العلمية ما يخفف من حدة الطبيعة وغوائلها ، فتعرضوا للأمراض الفتاكة ، ولقى الكثير حتفهم ، ولكنهم

للدكتور محمد عبد الرؤوف

لانشاء مدرسة لرعاية الناشئة الاسلامية

كانوا مكافحين مغامرين فنتج عن جهودهم وكفاحهم المرير تدريجيا التقدم العلمى والاكتشافات المختلفة التى خففت على السكان الكثير من قســـوة الطبيعة ، وجعلت من المدن الامريكية ومنازلها وطرقها وسياراتها وقاطرتها وطائراتهـــا وما زود به كل من هذه الوسائل من عوامل الراحة والتخفيف والتيسير ما جعل الحياة بأمريكا نموذجا للحياة الطيبة الكادحة الناجحة .

المهاجرون الأولون لأمريكا

كانت أفواج المهاجرين الاولى وافدة من بلاد غرب أوروبا كما ذكرنا من قبل . وقد قدموا بتجاربهم وتقاليدهم وحضارتهم وثقـــافتهم وأديانهم ، فكانت المسيحية على مختلف مللها هى الدين الغالب على البـــلاد ، فبنيت الـــكنائس وشيدت الكاتدرائيات .

ولكن هؤلاء المهاجرين الأولين الذين استقروا بأمريكا لمسوا الحاجة الى اليد العاملة لتساعدهم فى فلاحة الأرض فجلبوا الملايين من بلاد غرب افريقيا واسترقوهم واستخدموهم كالأنعام وقطعوا الصلة بين أجيالهم وماضى اسلافهم ، وكانت معاملة الرجل الأبيض لهؤلاء الملونين الافريقيين بأمريكا أقسى معـــاملة للعبودية فى التاريخ ، مما نجد أثره اليوم فى كراهية الزنوج الامريكيين للعنصر الاوروبى الأبيض ومبالغة بعض زعمائهم فى تمجيد العنصر الأسود واحتقار من سواه ، وبهذه المناسبة نذكر أن الزنوج لا يحبون أن يطلق عليهم هذا الاسم ويؤثرون تسمية أنفسهم (الافريقيين الامريكيين) .

وبالاضافة الى العنصر الاوروبى الابيض الغالب بين الامريكيين والعنصر

الزنجى الاسود ، فقد هاجرت طوائف أخرى الى البلاد . جاء بعضها من أمريكا الجنوبية ممن قدم من قبل من شبه جزيرة ايبيريا (البرتغال وأسبانيا) ، كما قدمت أفواج من الصينيين واليابانيين وأفواج من بلاد شرق أوروبا ، ومن أهم هؤلاء اليهود الذين جاءوا أفواجا وكونوا لأنفسهم تجمعات محلية فى مختلف المدن الصناعية الكبرى وأسسوا معابدهم وعملوا على تنمية ثرواتهم واعداد ناشئتهم وتوحيد صفوفهم حتى أصبح اليهود أقوى عنصر فى سكان الولايات المتحدة اقتصاديا واعلاميا وسياسيا .

وعلى حسب الاحصائيات الاخيرة يتكون سكان الولايات المتحدة كما يلى :

أوربيون :	١٧١٫٦	مليونا
زنوج :	٢٣	مليونا
يهود :	٦	مليون
صينيون ويابانيون :	٣/٤	مليون
هنود حمر :	١/٢	مليون

أما العرب فقد بدأت هجرتهم الى الولايات المتحدة فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر ، وقد طاب المقام لكثير منهم وغلب عليهم العنصر المسيحى بصفة خاصة ، وبالرغم مما يقال أن تعدادهم يبلغ المليون حاليا فليس لهم نفوذ واضح فى البلاد .

الهجرة الاسلامية

ثانيا :

وقد يتساءل : أين المسلمون اذن من هؤلاء .. ؟ ومتى وكيف حضروا الى هذه البلاد .. ؟

المرحلة الاولى : « العقد الأول والثانى من القرن الحالى » :

لم يبادر المسلمون الى الهجرة الى أمريكا قبل بداية القرن الحالى ، ويظهر أن ما أسبغ الله عليهم من بركات فى بلاد الاسلام ، ثم بعد أمريكا الشاسع عن بلادهم وأنه لا يتيسر للمسلم أن يعيش عيشة اسلامية كاملة بين أهلها من غير المسلمين قد صرفهم عن الهجرة أول الأمر . ولكن بعد أن تيسرت وسائل السفر باختراع السفن التجارية عابرة المحيطات بدأ أفراد قلة من المسلمين فى السنوات الاولى من القرن الحالى يفدون فرادى الى شوطىء أمريكا . وقد تفرق هؤلاء الأفراد فى البلاد ، ولم يعرف بعضهم الآخر فى أكثر الاحيان ، واشتغلوا بالارتزاق فى الغالب عن طريق التجارة المتواضعة المتجولة ، فكانوا يحملون بضائعهم ويمرون بها على المنازل ليعرضوها على سكانها . وكانوا ينتقلون من بلد الى آخر ويلاقون فى ذلك الارهاق والشدائد . وقد ذاب أكثر هؤلاء فى المجتمع الامريكى ، ولقى الكثير حتفه وَوُورى دون أن يدرى عنه أحد من اخوانه المسلمين الذين لم يكن لهم وحدة تجمعهم ولا مسجد يأويهم ولا عالم يرشدهم . والقليل منهم من حرص على دوام الاتصال ببلده وتزوج من ذويه . وبعض هؤلاء أمد الله فى عمرهم وكافأهم على كفاحهم فغدوا من أصحاب الثروات الطائلة وأسسوا عائلات اسلامية كريمة . ولكن عدد هؤلاء من المسلمين قليل ويعد على أصابع اليد الواحدة .

المرحلة الثانية : « العقد الثالث والرابع من القرن العشرين » :

ثم حدث بعد الحرب العظمى الاولى أن سطع اسم أمريكا وازدادت سمعتها وكثر تبادل المصالح بينها وبين العالم الخارجى ومن بين ذلك بلاد العالم الاسلامى ، وعرف الناس عنها الحرية والعدالة وكثرت أبواب الرزق للمغامرين الكادحين ، فأغرى ذلك الكثير بالهجرة من شتى بلاد العالم الاسلامى ، كما حدا بالكثير من ضحايا الانقلاب الشيوعى فى روسيا من المسلمين الى الهجرة كذلك الى هذه البلاد ، وبعبارة أخرى بدأت الهجرة الاسلامية الى أمريكا تزداد بشكل محسوس فى العقد الثالث والعقد الرابع من القرن الحالى ، وساعد على ذلك تحسن وسائل السفر البحرية والجوية ، فتكونت بذلك جاليات عدة عربية وتركية وغيرهما فى عدد من البلاد التجارية والصناعية الكبيرة .

وفى أثناء الفترة المذكورة بدأ الاسلام يكسب أتباعا من بين السكان الامريكيين أنفسهم ، أما نتيجة الاتصال بالجاليات الاسلامية المهاجرة — ولكن كان هذا نادرا — وأما نتيجة جهود أفراد محليين وخاصة من بين الزنوج الذين وجدوا فى اعتناق الاسلام رجوعا الى دين آبائهم الذين جلبوا رغم أنفهم الى هذه البلاد واستعبدوا وتنصروا غير دارين عن دين أسلافهم وماضيهم ، قد سافر بعض هؤلاء قصدا أو وجد أثناء الحرب ببعض البلاد الاسلامية مثل المغرب وعاش بها فترة ، ثم عاد لينادى باعتناق الاسلام ، ولكن كان ادراك هؤلاء للاسلام سطحيا ، وكان حماسهم للدين مخلوطا بعواطف عنصرية وسياسية ، لذلك انحرف بعضهم فى اتجاهاته ، بل ادعى بعضهم النبوة لنفسه وخلط وزاد .

نشاة الجمعيات والهيئات الاسلامية فى هذه المرحلة

ونتيجة لزيادة عدد المسلمين فى العقدين الثالث والرابع من القرن الحالى عن طريق الهجرة وعن طريق اعتناق الاسلام وخاصة بين التجمعات الملونة قام عدد من الجمعيات الاسلامية ، اتخذت فى الواقع أشكالا وطنية بين المهاجرين ، وغلب عليها الخلط والانحراف بين الملونين المحليين ، فقامت جمعيات من العناصر التركية المختلفة المهاجرة من روسيا وبلاد أوروبا كان أهم نشاطها احياء الأعياد والمناسبات الوطنية والحفاظ على التقاليد القومية بين الناشئة ، وقامت جمعية الشباب العربى التى كانت ذات حساسية للحركات القومية وخاصة فى سوريا وبلاد شمال أفريقيا فكانت تؤيدها بشتى الوسائل ، كما قام عدد من النوادى بين المهاجرين كنادى الملايو وأندونيسيا فى نيويورك ، وكان هؤلاء على العموم يحيون بخاصة عيد الفطر وعيد الأضحى ، وكانت مناسبة العيد هى أهم عامل مشترك فى نشاطهم .

أما بين الزنوج فقد قامت جماعة اسلامية برئاسة (درو على) الذى زعم أنه من أصل عربى مراكشى بعد أن عاد من مراكش ، وأسس ما سماه (المعبد العلمى المراكشى) ولكنه خلط وأتى بكتاب صغير وسماه (القرآن) ، وبوفاته فى عام ١٩٣٠ تفرق أتباعه واعتنق الكثير منهم دين الاسلام الصحيح ، ولم يبق منهم على مبادئه حتى الآن الا نفر قليل ، كما قام بين الزنوج أيضا فى أعقاب تلاشى حركة (درو على) حركة أخرى تزعمها ولا يزال يتزعمها حتى الآن السيد (اليجة بول) الذى سمى نفسه (اليجة محمد) وزعم أنه نبى وأن الله أسود (أستغفر الله) وأن الرجل الأسود هو أصل العالم وأفضله ، وهو الله وخلق الله (هكذا !) فعمر الرجل الأسود ملايين السنين أما الرجل الابيض فقد خلقه رجل أسود شرير يسمى (يعقوب) قام بتجارب انسانية نتج عنها الرجل

القوقازى الأبيض الذى انتزع السلطان من الرجل الأسود وساده واستعبده ولكن الى حين . وقد حان الوقت لبعث الرجل الأسود على الارض واستعادة مجده . فالرجل الابيض مخلوق بيد رجل أسود لا بيد الله (هكذا !) وعمره ستة آلاف سنة فقط . (والبعث) عنده معناه اعادة مجد الرجل الأسود على الارض . وينكر أن يكون هناك بعث بالمعنى الذى نعرفه ويزعم أن الله نزل عليه عام ١٩٣٠ فى صورة رجل يسمى (فرد محمد) وعلمه الرسالة لمدة ٣ سنوات و ٤ أشهر وأنه هو سيد المرسلين وخاتمهم وأن رسالته استجابة لدعوة ابراهيم واسماعيل الواردة فى القرآن الكريم : « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم (زنوج أمريكا) يتلو عليهم آياتك ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » وأى ضلال وخسران أشد وأعظم مما كان عليه زنوج أمريكا ؟

يسمى السيد (اليجة محمد) جماعته (أمة الاسلام) ويسميها الناس هنا (المسلمين السود) . ويؤدى ذلك الى خلط كبير فى تفهم حقيقة الاسلام . ولكن من افضل ما حققته هذه الحركة أنها انتشلت عددا كبيرا من المجرمين وخريجى السجون ومدمنى المخدرات وأصلحتهم ، فهى تحرم بشدة تعاطى المخدرات والدخان والخمور ، كما تشدد على الطهارة والعفة وتلزم النساء بارتداء ملابس بيضاء طويلة تغطى الرأس والبدن كله الى الارض . وتعمل على اصلاح أتباعها ماديا وقد مضى على تأسيسها حاليا أربعون عاما ، وتعتبر أكبر واقوى حركة تستظل تحت اسم الاسلام فى أمريكا ..

والى جانب هذه الحركات الانحرافية بين الزنوج الذين نزعوا الى الاسلام كحركة تحريرية نجد غير قليل منهم ينزعون الى اتباع العقيدة الاسلامية السليمة والأخذ بتعاليمه الصحيحة والمواظبة على مراسيم العبادة من صلاة وصيام وزكاة وحج ، وقامت لهم جمعيات نشأ بينهم زعامات وأسست لهم مؤسسات . وكان من بينهم اعداد مخلصون فى خدمة الله ودينه ، حريصون على الاستفادة والاستزادة والاسترشاد ، وكان من بينهم من خلط الى ذلك نوعا من التعصب ضد المهاجرين وخاصة من ينافسهم فى الزعامة الدينية ، ومن صفات بعضهم العنجهية والغرور والسفه فى بعض الاحيان .

المرحلة الثالثة : « العقدان الخامس والسادس من القرن العشرين » :

كان هذا هو الوضع عند قيام الحرب العظمى الاخيرة ، وكان من آثار هذه الحرب اختلاط أمريكا بالعالم الخارجى على نطاق أوسع وصحب ذلك تحسن كبير فى وسائل السفر وتقدم وسائل الاعلام مما أدى الى زيادة كبيرة فى أفواج المهاجرين من شتى البلاد الاسلامية كما ازداد عدد السفارات الاسلامية لدى الحكومة الامريكية باستقلال الكثير من بلاد العالم الاسلامى . كما اتسع تبادل المنافع بين الحكومة والشركات الامريكية من جانب ، والبلاد والشعوب الاسلامية من جانب آخر ، ثم كانت الانقلابات الشيوعية فى كثير من بلاد شرق أوروبا مما أدى الى مزيد من الهجرة الاسلامية الى أمريكا من هذه البلاد .. كل هذا زاد فى عدد المسلمين المهاجرين كما زاد فى عدد المسلمين المحليين ويسر الى حد ما وجود المؤلفات الاسلامية الانجليزية فبدأ عدد الذين يعتنقون الاسلام يزداد ، ولكن سرعان ما قوى الشعور بقصور واضح ، فلم تكن هناك قيادة اسلامية رشيدة ، ولم تكن المؤلفات الاسلامية تفى بالمطلوب ، ولم يكن هناك بيت من بيوت الله يقصده المسلمون لأداء الشعائر وعقد الاجتماعات على الوجه المألوف ..

ادى ازدياد عدد المسلمين الى الشعور بهذا النقص وعظم احساسهم به خاصة عند الأزمات كالوفاة ، والمناسبات الخاصة كالزواج ، فأين من يستطيع القيام بمراسيم الجنازة .. ؟ وأين المسجد الذى يؤوى اليه .. ؟ وأين المقبرة الاسلامية ليدفن بها .. ؟ وأين المرشد العالم المؤهل ليعقد قران الشبان والشابات من المسلمين .. ؟

قيام المراكز الاسلامية أثناء هذه المرحلة

وقد قوى هذا الشعور بصفة خاصة لدى المهاجرين فى شتى المدن الصناعية والتجارية الكبرى فأدى الى الرغبة فى انشاء مؤسسات اسلامية تكون المهمة الاولى لها انشاء مسجد يؤوى المسلمين فى صلاتهم واجتماعاتهم ويعين له امام أو مدير من العلماء ذوى المؤهلات المعتمدة المعروفة ، وأسست جمعيات سمت نفسها فى الغالب (جمعية المسجد بمدينة كذا) ، حدث ذلك بصفة خاصة فى مدينتى نيويورك ، وواشنطون ، وتألفت كل جمعية من عدد من زعماء المسلمين المحليين من شتى الجنسيات ، وعملت كل منها على جمع التبرعات من بين المسلمين المحليين ومن الخارج اذا استطاعوا ، وأصبحت فكرة بناء مسجد حلما وهدفا لكل جمعية ، وكان أنجح هذه الجمعيات جمعية مدينة واشنطون بفضل ضم جهود السفراء المسلمين الى جهود الزعماء المحليين ، واثمر نشاطهم عن بناء مسجد ومركز اسلامى جميل للغاية فى مدينة واشنطون ، كما توجت جهود المسلمين فى نيويورك بشراء منزل صغير خصصت احدى قاعاته للصلاة ، كما قام مسجد بمدينة ديترويت ، ثم ظفرت بعض المؤسسات كالمركز الاسلامى فى واشنطون باعارة مدير من خيرة العلماء يشرف على أعمال المركز الادارية والدينية ، وأهم نشاط هذه المراكز الاسلامية ما يلى :

أ) جمع شتات الجالية الاسلامية فى المنطقة .
ب) توجيههم وتوعيتهم دينيا .
جـ) تيسير مكان للصلاة وخاصة لصلاة الجمعة واجتماعات أيام الآحاد وفى المناسبات .
د) تنظيم دروس دينية مناسبة للأطفال المسلمين أثناء عطلة الاسبوع .
هـ) تكوين فئة من المتطوعين لتجهيز الموتى من المسلمين .
و) العمل على توفير مقبرة خاصة لدفن المسلمين .
ز) الاجابة على الأسئلة التى ترد من شتى الجهات عن الاسلام وحضارته .
حـ) القاء المحاضرات عن الاسلام بدار المركز وخارجه .
ط) عقد قران المسلمين والفصل فى قضاياهم عند الاختلاف .

ولكن هل نجحت المراكز الاسلامية فى اداء رسالتها .. ؟ سنحاول معالجة ذلك فيما يلى :

المرحلة الرابعة : « العقد الاخير من القرن الحالى » :

أهم مظاهر هذه المرحلة ما يلى :

اولا : كثر عدد المهاجرين الى أمريكا وكذا عدد القادمين اليها من البلاد الاسلامية بصفة مؤقتة لغرض او لآخر كالعمل بالمؤسسات الدولية والسفارات والقنصليات الاسلامية والمكاتب التجارية ، أو للدراسة بجامعات أمريكا

ومعاهدها . وقد ازداد عدد المهاجرين بصفة خاصة من فلسطين عند قيام اسرائيل ، كما ازداد عدد القادمين من مصر بعد حرب عام ١٩٦٧ .

ثانيا : كثرت نسبة من يعتنق الاسلام من المحليين بصفة خاصة محسوسة واشتدت رغبة الكثير من القراءة عن الاسلام ومبادئه وتعاليمه ، وذلك بفضل مجهود بعض العاملين بالمراكز الاسلامية من جانب ، وبسبب كثرة الاحتكاك بين القادمين من المسلمين وجيرانهم من جانب آخر ، وبفضل رغبة الكثير من الملونين فى اعتناق الاسلام الذى يرون فيه رجوعا الى حضارتهم الاصلية .

ويقدر عدد المسلمين حاليا بأمريكا الشمالية بربع مليون نسمة ، ولكن لم يتم الى الآن للأسف عمل احصائية معتمدة عنهم ، لذا يدعى بعضهم أن عددهم أكثر من هذا بكثير ويزعم بعضهم أنه دون ذلك .

ثالثا : قوى الشعور بالحاجة الى ضم الجهود والعمل على مستوى الدولة ، لا على مستوى المدينة أو الولاية فقط ، فان نشاط المراكز الاسلامية — ما عدا المركز الاسلامى بواشنطن — يقتصر على العمل فى حدود المنطقة التى توجد بها غالبا ، وكان قد قام اتحاد بين الجمعيات والهيئات الاسلامية عام ١٩٥٢ ليضم جميع الجمعيات والمؤسسات الاسلامية بالولايات المتحدة وكندا ، فقوى نشاطه فى العقد الاخير ، كما قام فى عام ١٩٦٣ اتحاد جمعيات الطلاب المسلمين بالولايات المتحدة وكندا .

رابعا : كثر عدد الجمعيات الاسلامية بسبب وجود عائلات اسلامية بينهم الأطباء والمهندسون وذوو المهن المختلفة بكثير من المدن الصغيرة والكبيرة ، فكلما وجد عدد من العائلات أنشأوا جمعية اسلامية وتطلعوا لبناء مسجد وشرعوا فى جمع التبرعات من شتى النواحى ، بل قد تجد فى المدينة الواحدة أكثر من جماعة اسلامية واحدة ، وقد يعكس ذلك مظهرا غير طيب ، أو قد يعنى تنافسا على الزعامة أو ميلا الى العنصرية ، ولكن لا بأس ، فمهما كان الهدف واحدا ولم تكن هناك خصومات فلا بأس بهذا التعدد اذ قد ييسر اقامة الشعائر فى أكثر من مكان واحد .



وهنا يتكرر السؤال : الى أى حد نجحت هذه الجمعيات والمؤسسات والمراكز الاسلامية فى أداء رسالتها .. ؟

وقبل أن نجيب على هذا السؤال نود أن نوضح ما هو الوضع الحقيقى لهذه المؤسسات ، فأكثرها موجود على الورق ، ويجتمع أعضاء الجمعية فى بيت أحدهم ، وليس للجمعيات فى كثير من الاحيان مقر معين أو مكاتب ثابتة أو موظفون متفرغون مسؤولون ، لذلك نجد أن نجاح أى من هذه المؤسسات متوقف على نجاحها فى بناء مكان أو شراء منزل يكون مقرا لها ولنشاطها وتعيين موظفين ثابتين بها ، وأهم هذه المؤسسات التى نجحت فى هذا السبيل فاستطاعت أن تؤدى أكثر الخدمات على الاطلاق المركز الاسلامى فى واشنطون ، ثم يليه عدد من المراكز كذلك ، كبعض المؤسسات فى ديترويت وفى نيويورك وفى لوس أنجلس وفى سان فرانسيسكو ، كما أن لاتحاد الطلاب المسلمين نشاطا ملموسا ناجحا الى حد كبير بفضل عدد من المخلصين المضحين من الطلاب .

وأهم ما تحققه هذه المراكز والمؤسسات الاسلامية ، وعلى رأسها المركز الاسلامى فى واشنطون ، ما يلى :

أولا : طبع المصحف الشريف ومعه ترجمة وتعليقات مفيدة باللغة الانجليزية وتوزيعه .

ثانيا : طبع بعض الرسائل المفيدة فى موضوعات اسلامية مختلفة وتوزيعها بالمجان .

ثالثا : تيسير بعض الكتب الاسلامية الاخرى المفيدة وبيعها تيسيرا للقارىء واستفادة مالية للمركز .

رابعا : توعية الألوف من الزائرين بفضل الاسلام وصلاحية مبادئه .

خامسا : الأخذ بيد الراغبين فى اعتناق الاسلام وتلقينهم الشهادة وتسجيل أسمائهم ومساعدتهم بكل الوسائل الممكنة .

سادسا : اعانة المسلمين على المحافظة على الشعائر واحياء المواسم الدينية واصدار تقويم سنوى به التواريخ الاسلامية ومواقيت الصلاة اليومية .

سابعا : أداء المحاضرات فى شتى الموضوعات الاسلامية وما له صلة بها فى أى مكان فى طول البلاد وعرضها .

ثامنا : عقد الزواج بين المسلمين .

تاسعا : العمل على فض المنازعات والصلح بين العائلات الاسلامية .

عاشرا : تنظيم دراسة اسلامية للاطفال المسلمين وتيسير كتب مبسطة تتناسب مع مستواهم .

حادى عشر : مواساة المنكوبين والاشراف على تجهيز الموتى ودفنهم بالمقبرة الاسلامية .

ثانى عشر : الرد على ما يثار ضد الاسلام من شبه واتهامات .

« ولا ننسى أن نشير فى هذه المناسبة بفضل تعاون الحكومات الاسلامية وبعض أعضاء الجالية الاسلامية من أهل الخير » .

لكننى أحذر القارىء من المبادرة الى التفاؤل ، فلا يزال هناك نقص كبير وأخطار عظيمة تهدد مستقبل الاسلام والمسلمين ، ولا أود أن أطيل على القارىء فأتحدث عن المشاكل والمصاعب الكثيرة التى تعتورنا وتضع العراقيل أمامنا ، ولكننى سأقتصر على شرح مشكلتين جوهريتين ، وأرجو القارىء الكريم أن يضم جهوده الى جهودنا ويتعاون معنا من أجل وجه الله فى التغلب عليهما ، وهذا فى الواقع ما أهدف اليه من كتابة هذا المقال وتوجيه هذا النداء .

المشكلة الاولى : هى مستقبل الناشئة الاسلامية التى تتعرض للسموم المغرضة والأهواء الالحادية ومساوىء البيئة البعيدة عن الاجواء الاسلامية .

سيصدم القارىء ــ كما صدمت ــ اذا سمع أننى كثيرا ما ألقى شبابا من أب مسلم أو أبوين مسلمين يذكرون فى جراة وصراحة أنهم من اتباع ملة أو أخرى من الملل المسيحية أو انهم لا يلقون بالا للدين ولا يهمهم أمره ، وكل ما يعرفون أن أباهم مثلا كان مسلما ، وكثيرا ما أتعرف على مسلم مسن رق قلبه ويأسف

فؤاده وينقطع كبده لان ابنه او ابنته يتبع او تتبع دينا آخر . كل ذلك سببه اما عمل الأم غير المسلمة أو اهمال الوالدين اللذين شغلهما ويشغلهما الدولار والسعى وراء الرزق ، أما مدرسة العطلة الاسبوعية التى يعقدها بعض المراكز الاسلامية فانها لا تجدى الا قليلا ولا تسد الا فراغا يسيرا . ان من يواظب على الحضور للمدرسة نسبة ضئيلة جدا من أولاد المسلمين نظرا لبعد المسافات . ثم وقت الدراسة بها ساعة أو ساعتان أسبوعيا . وأكثر من يقوم بالتدريس فيها من غير الضليعين فى الدين ، ثم ان الطالب لايمارس غالبا فى بيته ما يتعلمه فى مدرسة المركز مرة كل أسبوع . وعلى هذا فان الآلاف من الناشئة الاسلامية ضائع ان لم يتداركهم الله تعالى وتتضافر جهود المسلمين لانقاذهم .

أما **المشكلة الثانية** : فهى أن وقت مدير المركز وجهده محدود ولا يتيسر له مجال الاطلاع على كل ما ينشر أو يعرض أو ما يقال عن الاسلام كل يوم . ويعلم القارىء أن الآلاف من المدن هنا تصدر صحفا محلية الى جانب الصحف الكبرى . بل قد يوجد بالمدينة عدد من الصحف والمجلات . وينشر يوميا عدد من الكتب قد يرد ذكر الاسلام فى كثير من صفحاتها ، كما أن لكل منطقة محطات اذاعية وقنوات تلفزيونية ، كما أن كثيرا من الافلام التى تعرض على شاشة المسرح أو على شاشة التلفزيون تتعرض للاسلام والمسلمين . وهكذا يتغذى الملايين من الناشئة والشباب والكبار مما يكتب وما يسمع وما يشاهد كل يوم . وفيه سموم وعدوان على الاسلام والعرب والمسلمين . فمن أين لامام مرهق بأعمال ادارية ودينية واجتماعية يوميا أن يدرى عن كل ما يقال .. ؟ وكيف يتأتى له بجهده الضئيل المحدود أن يصل وحده الى هؤلاء الملايين من ضحايا الكيد للاسلام والمسلمين .. ؟

أيسوغ أن يسكت المسلمون فى شتى الاقطار عن ذلك ويتراخوا ويتركوا المجال مفتوحا على مصراعيه لعدو الدين اللئيم ومعه مقوماته وعدته وصحفه وخبثه .. ؟ أيليق بنا أن نصم آذانا ويعكف كل منا على صالحه ويلقى الحبل على الغارب .. ؟ اننا مسؤولون أمام الله وأمام ضميرنا وأمام الأجيال ، الا قد بلغت . اللهم فاشهد .. !

ولكن ما هو الحل الذى اقترحه لمواجهة هذه التحديات .. ؟

أولا : يجب فورا وبدون تمهل ، العمل على **انشاء مدرسة اسلامية داخلية كاملة** تزود الطالب بالدراسات الابتدائية والثانوية كلها بحيث تكون معتمدة من جانب السلطات التربوية الامريكية ، ويضاف الى برامجها الدراسات الاسلامية ولغات المسلمين من عربية وفارسية وتركية وملاوية وأردية لمن يشاء من الطلاب . على أن تنشأ المدرسة على مساحة واسعة فى ريف قريب من احدى المدن الهامة كمدينة واشنطون بحيث يتيسر بناء مساكن للطلاب والطالبات بها ومساكن للأساتذة والمدرسين من ذوى المؤهلات المعتبرة ، بالاضافة الى الفصول الدراسية وقاعات المحاضرات والمعامل ومساحات كافية للنشاط الرياضى للطلاب ، كما يجب أن تزود بمكتبة مناسبة .

بذلك يتيسر لأولياء الأمور الذين تفصل بينهم المئات والآلاف من الاميال من احضار أولادهم للمدرسة الاسلامية للاقامة بها أثناء الفصول الدراسية فى جو دراسى اسلامى ، على أن تنظم برامج الدراسة بحيث تتلاءم مع مواعيد الصلاة اليومية التى يجب أن ينشأ الطلاب على المواظبة على أدائها مع

أساتذتهم . ويمرن الطلاب على مراعاة الشعائر الاسلامية ، وتنظم لهم برامج ثقافية فى أوقات الفراغ يشترك فيها ممثلون من مختلف الدول الاسلامية لتصل الطلاب ببلاد الاسلام وتقاليدها ، وبذلك ينشأ هؤلاء الطلاب فى جو اسلامى طيب ويرجى أن تبرز من بينهم قيادة اسلامية رشيدة بأمريكا نأمل أن يكتب الله على يدها صالح الاسلام والمسلمين فى شتى الأقطار .

أيعز على أمة الاسلام أن تنشىء مدرسة اسلامية على الوجه المذكور مهما تكلفت من ملايين الدولارات .. ؟ وهل يعلم القارىء أنه الى جانب المدارس الحكومية بأمريكا توجد مدارس خاصة لجميع الملل المسيحية واليهودية .. ؟ ومدارس خاصة للجاليات الصينية .. ؟ واليابانية .. ؟ والبورتوريكو .. ؟ كما أن جماعة السيد اليجة محمد الوارد ذكره أول المقال أسست مدارس خاصة فى كل فرع من فروعها لتعلم فيها مبادئه .. ؟

أما عن معالجة المشكلة الاخرى وهى ، ما يدعى ضد الاسلام ويرمى به المسلمون صباح مساء ، ففى رأيى أن من الضرورى **انشاء معهد للبحوث الاسلامية** يكون مقره مدينة نيويورك نظرا لزعامتها فى مجالات الصحافة والفن والنشر . ويزود المعهد بعدد من العلماء المخلصين الضليعين فى اللغة . على أن يزود هؤلاء بسكرتيرية شاملة وبكل ما يلزم من الأدوات ، وتكون مهمتهم متابعة ما ينشر وما يقال وما يعرض ، ثم تسجيل هذا كله وتبويبه وتحليله ورده الى أصوله ، ثم التعاون مع مؤسسات البحوث الاسلامية فى العواصم الاسلامية كالقاهرة وكراتشى ومكة المكرمة فى معالجة هذه الاتهامات وصدها . والعمل على تزويد القارىء والسامع والشاهد فى الغرب بالمعلومات الصحيحة عن الاسلام والمسلمين .



« نداء الى العالم الاسلامى » : وأن الضرورة الملحة الاولى والتى أهدف اليها من كتابة هذا هو **المبادرة للعمل على انشاء المدرسة الاسلامية** على الوجه الذى شرحته ..

لذلك أوجه نداء حارا متواضعا الى السادة ملوك البلاد الاسلامية ورؤسائها والى السادة أهل الخير من ذوى الثراء ، والى كل من تحدثه نفسه أن يدخر لنفسه عند الله خيرا بالاسهام فى مشروع من أجل المشروعات الاسلامية ، راجيا أن يتفضلوا فيبادروا بارسال ما تجود به نفوسهم الكريمة أو ما يزمعون التبرع به من نسبة التكاليف فور اتمام التصميمات الكاملة للمشروع وتقديرها ، على أن ترسل هذه الرسائل باسم المركز الاسلامى بمدينة واشنطون بالعنوان الموجود أعلى الصفحة الاولى .

وسوف تعرض نتيجة هذا النداء ان شاء الله على السادة السفراء المسلمين وأعضاء مجلس الأمناء المشرف على المركز الاسلامى بواشنطون لتكوين لجنة مركزية عليا يضم اليها الأساتذة التربيون والمهندسون فى أمريكا لاعداد مشروع كامل للمدرسة وتخطيطه وتقدير تكاليفه ، ثم الاشراف على تنفيذه بطريقة تضمن ايرادا ثابتا للانفاق على المدرسة بعد انشائها لضمان قيامها برسالتها على الوجه المرغوب .

أيها القارىء الكريم

أرجو أن تحمل هذا النداء الى كل من تأمل فيه الخير والمعروف . والداعى الى الخير كفاعله ، « والله يحب المحسنين » .

شهر رمضان

محمد مؤذن

وفتح مكة ..

للدكتور : محمد سلام مدكور

ان شهر رمضان بين شهور السنة يوحى الى كل نفس مؤمنة بذكريات مجيدة عزيزة على النفوس .. ذكريات مليئة بمعانى الكفاح والصبر والعزم والتصميم ، ذكريات مليئة بمعانى جهاد النفس والجهاد فى سبيل الله ومقاومة البغى والعدوان فى كل صوره .. من مقاومة الشيطان ، ومن مقاومة العادات التى تتحكم فى الانسان ، ومن مقاومة أعداء الله فى كل مكان .. وقد شاءت حكمة الله سبحانه أن يجعل من شهر رمضان فى صدر الدولة الاسلامية شهر جهاد وكفاح وعمل دائب شاق ليبعد عن الأذهان أن الصوم يستلزم الراحة والكسل والاستكانة .. ففى شهر رمضان كتب الله النصر للمسلمين على أعدائهم فى عدة مواقع : منها أول موقعة حربية بينهم وبين المشركين ببدر ، ومنها كان أول نصر أعز الله به شأن المسلمين وجعل لهم كيانا سياسيا داخل المدينة وخارجها .. ومنها فتح مكة واستسلامها للمسلمين .. وقد آثرت أن أقدم لقرائى حديثا عن فتح مكة ليروا ما فيها من عظات وعبر ومن تخطيط حربى يدل على عبقرية ، وتدبير للأمور يدل على حكمة وبعد نظر .

كلنا يعرف أن محمد بن عبد الله صلوات الله عليه ولد بمكة ونشأ فيها ، وأنها بلد آبائه وأجداده ، كما نعرف أن سفارته عن ربه واختياره لتبليغ دعوة الاسلام ونزول الوحي عليه فى أول أمره كان بمكة ، وأنه صلوات الله عليه كان يتعبد بغار حراء بمكة بعيدا عن الناس وعن مظاهر الحياة . فهى من أجل هذا كله دون شك عزيزة على نفسه قريبة من قلبه فضلا عن أن بها بيت الله الحرام .

وكلنا يعرف أن قريشا عادته وقاومته وحاربته بكل الوسائل لما صدع لأمر ربه وأخذ يدعو الناس الى الاسلام واستجاب لدعوته لفيف من الناس ومن أهل مكة .. وكلنا يعرف أن قريشا لما آذت الرسول والمسلمين فى مكة أيقن عليه الصلاة والسلام أنه سوف لا يتمكن من اظهار كلمة الله وتبليغها للناس وهو بين هؤلاء القوم وهم على هذا العناد ، وأيقن أنه لا بد لحماية الدعوة من وجود قوة ومنعة لأن الحق والحرية يعيشان فى ظل النظام والقوة ، وأن نفاذ الأحكام لا يتأتى بدون سلطة ، ومن هنا كان التلازم فى الاسلام بين الدعوة الى الدين وقيام الدولة .. وكلنا يعرف أن الرسول عليه الصلاة والسلام اتخذ يثرب مقاما له وللمسلمين ، وجعلها نواة لتكوين دولة الاسلام فكانت مبدأ الوجود الدولى للمسلمين .

ومن الواضح البين أن دولة الاسلام لم تكن متطلعة الى سفك الدماء بالقتال والغزو ، وانما يدفعها اليه الدفاع عن نفسها وحماية الدعوة . فالرسول حتى بعد تكوين الدولة بيثرب ظل يدعو قومه بالحسنى ، وما كان القتال الا تطورا طبيعيا اقتضته الظروف التى أحيط بها المسلمون من أعدائهم ، ومع هذا فان الاذن لهم بالقتال كان مشروطا بعدم العدوان . اقرأ معى قول الله تعالى « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » وانظر قول الرسول صلى الله عليه وسلم لجنده وصحابته : « لا تمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية » وما جاء فى القرآن من آيات يفيد ظاهرها عموم القتال فان أسبابها تدل على تخصيصها بحالات رد العدوان ، ومع هذا فان الله يقول : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » .

وقد أشرنا الى أن أول صدام بين المسلمين فى المدينة وبين قريش هو معركة بدر وانها كانت فى شهر رمضان وفيها يقول الله سبحانه « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة » . ثم كانت غزوة أحد التى مثلت فيها قريش بأسرى المسلمين وقتلاهم ، ثم غزوة الخندق ثم كان عهد الحديبية الذى تعاهد فيه الطرفان على وقف القتال بضع سنوات ، وأنه لا جناح على أية قبيلة فى أن تحالف أحد الفريقين . وحالفت خزاعة الرسول فعلا ، وحالفت بنو بكر قريشا ، وكان بين هاتين القبيلتين عداء قديم . ثم كانت غزوة (مؤتة) التى كانت تجاه الشام بين المسلمين وجيوش الروم بسبب قتل الروم المبشرين بالاسلام من أفراد المسلمين . وانتهت هذه الغزوة بانسحاب المسلمين من القتال لقلة عَددهم وعُددهم .

فرحت قريش لذلك واتخذت من انسحاب المسلمين هزيمة منكرة ، وتصوروا أن المسلمين لن تقوم لهم بعد ذلك قائمة ووجدوا أن هذه أنسب فرصة لنقض ما بينهم وبين المسلمين من عهد بوقف القتال . فحركت قريش بنى بكر التى دخلت فى حلفها ، يساندها نفر من شباب قريش للاغارة على « خزاعة » التى قلنا انها دخلت فى حلف الرسول ، فباغتوهم وقاتلوهم فقتلوا منهم نحو عشرين أو اكثر وفر منهم الباقون أمام المطاردة حتى دخلوا مكة . فشكوا لقريش نقض العهد ، واستصرخ عمرو بن سالم الخزاعى بالرسول فى المدينة قائلا للرسول عليه السلام :

إن قريشاً أخلفوك الموعِدا ونقضوا ميثاقك المؤكَّدا

فعجب الرسول من نقض قريش للعهد ، وأحس منها بنية الغدر ، وأنها تقصد من وراء ذلك جس نبض قوته بعد الانسحاب من « مؤتة » وأثر ذلك فى الروح المعنوية لجنود المسلمين . فرأى الرسول عليه الصلاة والسلام بثاقب نظره وبنور إيمانه أن خير رد على هذا الصنيع هو أن يباغتهم ويفتح مكـة نفسها التى تتوق اليها نفسه والتى هى معقل قريش ، وفى الحق إن نفسه قد تاقت من زمن بعيد أن تكون الكعبة فى ولاية المسلمين وحمايتهم . غير أن أمله أن تدخل مكة فى الاسلام طوعا ودون إراقة دماء .

كانت هذه مجردأفكارمرت بخاطر الرسول صلى الله عليه وسلم لما علم بما حدث . وقد عجب من صنيع قريش وسخر من تفكيرها وتدبيرها ولكنه لم يقل من ذلك شيئا وإنما قال : نصرت يا عمرو بن سالم . وفى رواية قـام يجر رداءه ويقول : « لا نصرت إن لم أنصركم بما أنصر به نفسى » .



وأما قريش فقد أحست بعد بخطل صنيعها وخطورة نتائجه . وخاصة أن الدعوة الاسلامية انتشرت فى شبه الجزيرة ، كما عرفت قريش أن انسـحاب المسلمين فى موقعة « مؤتة » بقيادة خالد بن الوليد لم يكن نتيجة ضعف واستخذاء وإنما كان مهارة وحنكـة من خالد أملاه عليه عدم التناسب بين القوتين . وندمت قريش على صنيعها أو هكذا تظاهرت . ورأوا أن يرسلوا مندوبا عنهم ليلقى الرسول . ويبلغه تمسكهم بعهد الحديبية ، ورغبتهم فى الابقاء على وقف القتال المدة المحددة بل ومد أجله إن أمكن ، وتخيروا لهذه المهمة أبا سفيان بن الحارث صهر الرسول صلى الله عليه وسلم ووالد زوجته أم حبيبة .

وفى طريقه الى المدينة التقى بنفرمن خزاعة ممن وفـدوا على الرسول يستصرخونه ، وأحس منهم (برغم اخفائهم وتكتمهم) أنهم كانـوا يستصرخون بالرسول . ففضل أن يذهب أولا الى بنته « أم حبيبة » علّه يتعرف منها حقيقة الامــر .

ذهب اليها فلاقته بما ينبغى أن تلقى الفتاة أباها . ولما هم بالجلوس علـى فراش الرسول ، سارعت فطوت الفراش الطاهر خشية أن يتنجس بجلوس مشرك عليه . هكذا اعتقدت وهكذا غلبت العقيدة على الولاء وما يتطلبه عامل البنوة . غضب أبو سفيان من صنيع ابنته ، ولم ينتظر من ورائهـا ما يفيده ويكشف له النوايا . فتركها وذهب الى الرسول نفسه وهو يعلم نبله وكرم خلقه لكنه لم يلق منه جوابا فذهبالى أبى بكر ليستعين به . فلم يجبه . فذهب الـى عمر فسخر منه ، فذهبالىعلىوزوجته السيدة فاطمة فلم يحققا بغيته برغم حسن اللقاء . فقفل راجعا وقد امتلأت نفسه بأن فى الامر شيئا .



أما الرسول صلوات الله عليه فقد استدعى المسـلمين وأمرهم باعداد أنفسهم للقتال مناصرة لحلفائه الذين استصرخوه ، وان كان ما زالت أمنيته أن يدخل مكـة دون قتال ودون سفك دماء . دعا المسلمين لاعداد أنفسهم ونفسه مطمئنة الى نصر الله له ، واصبحت أمنيته فى دخول مكة وإخضاعها لحكمـه وولائها له أملا قريب المنال فلا يبعد أن يتم الله عليه نعمته فيدخلها دون سفك دماء

ودعا ربه قائـلا : « اللهمخذعلى أسماعهم وأبصارهم فلا يـرون الا بغتة ولا يسمعون منا الا فلتة » .

ولما بدأ جيش المسلمين يستعد للتحرك أرسل حاطب بن أبى بلتعة خطابا الى قريش بمكة مع امرأة استأجرها لذلك يخبرهم فيه بأن الرسول قادم اليهم فـى جيش عظيم يسير كالسيل لا قبل لكم به فانظـروا لانفسكم . وانطلقت المرأة بالخطاب وقد أخفته فى ضفائرها وسلكت مسالك غير مطروقـة ، ولما أحس الرسول بذلك أرسل فى إثرهـا على بن أبى طالب والزبير . فأحضرا منهـا الخطاب . ولما عاتب الرسول حاطبا ــ وهو من شاركه فى غزوة بدر ــ قال : يا رسول الله أما والله إنى لمؤمن بالله ورسوله ما غيرت ولا بدلت ولكنى ليس لى فى القوم أهل ولا عشيرة ،وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل فأحببت أن تكون لى عليهم يد . فغضب عمر منفعلة حاطب ، ولكن الرسول غفر له ونزل فى ذلك قول الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء » .

تحرك الجيش بقيادة الرسول صلىالله عليه وسلم وكان ذلك فى الحادى عشر من رمضان للسنة الثامنة من الهجرة الموافق يناير سنة ٦٣٠ . واستخلف الرسول على المدينة أحد أصحابه « كلثوم بن الحصين الغفارى » وكان قـوام الجيش نحو عشرة آلاف مقاتـل مجهزين ومدججين ، ولما وصل الجيش الـى (الجحفة) منطقة لا تبعد عن مكة كثيرا لقيهم العباس بن عبد المطلب عم الرسول بأهله وعياله وانضموا الى جيش المسلمين وأظهروا إسلامهم ، كما لقيهم بعد ذلك أبو سفيان بن الحارث الهاشمى ومعه ابنه جعفر ، وعبد الله بن أبى أمية المخزومى . وقد خرجوا من مكة خوفا من مباغتة الرسول لها . وطلب أبو سفيان ابن الحارث ومن معه أن يؤذن لهم فى لقاء الرسول ، وألحوا فى طلبهم حتى رق لهم قلب الرسول وأذن لهم فىلقائه . وبعد حديث لم يطل أنشد أبو سفيان هـذا قصيدة أعلن فيها اسلامه ومن معه ، واعتذاره عما سبق أن بدر منه من إيـذاء للمسلمين بمكة مقاومـة للدعوة .

وأما العباس عم النبى وقد أصبح فى صفوف المسلمين ورأى ما هم فيه من قوة ومنعة . وأن مكة لا قبل لها بهم ، وبدا عليه الخوف والقلق على بلده وأهله ، وهو الذى تركهم منذ أيام قلائل . فقد سأل الرسول صلى الله عليه وسلم : ماذا أنت صانع لو طلبت قريش منكالامان ؟.

هنا تحركت فى نفس الرسولامنيتهالعزيزة فى أن يفتح مكة دون قتال ، ورأى بريقا من الامل فى تحقيقها فأجاب عمه بما أزال الخوف من نفسه على قومه واتخذه سفيرا الى قريش لينبئها خبر قدوم محمد بجيشه علها تستسلم فيدخل مكـة دون قتال ولا إراقةدماء وليس هذا على الله بعزيز وأعطاه الرسول بغلته البيضاء لتكون علامة تحميه من تعرض أحد من جند المسلمين ولتكون دليلا لقريش على صدق وفادته .

سـار العباس تجاه مكـة فلقى فى طريقه نفرا من قريش على رأسهم أبو سفيان بن حرب وقد خرجوا ليستطلعوا قوة جيش محمد ، فأخبرهم العباس بما وراءه وقال : إن محمدا جاء فى جيش لا قبل لقريش به ، وإن مكة اذا دخلهـا محمد عنوة سيصيبها ما يصيبها . واستحسن العباس أن يأخذ معه أبا سفيان ابن حرب ويرجع به الى الرسول صلى الله عليه وسلم ليقف بنفسه على مدى قوة المسلمين ، ويطلب منه الامان له ولاهل مكـة .

رحب أبو سفيان بن حرب بهذهالفكرة وركب خلف العباس على بغلـة الرسول بعد أن رد من معه الى مكة ، وسار به العباس بين جيوش المسلمين

وقد أشعلوا نيرانهم ، فكلما مرا على جماعة منهم ورأوا البغلة عرفوها وعرفوا من عليها وتركوها تمر بمن عليها ، ولما مرا بنار عمر بن الخطاب ، وتعرف على أبى سفيان أدرك أن العباس يريد أن يجيره فأسرع الى خيمة الرسول وطلب اليه أن يأذن له فيضرب عنق أبى سفيان ، فقال العباس وكان قد أدرك عمر عند الرسول : إنى أجرته يا رسول الله . فقال الرسول وكان الوقت ليلا : اذهب به فى رحلك فاذا أصبحت فائتنى به .

وفى الصباح حضرا ودارت مناقشة أسلم بعدها أبو سفيان ونطق بالشهادتين ، وباسلامه نسى النبى والمسلمون معه كل ما أصابهم منه من أذى ، لأن الاسلام يجب كل ما قبله ، ولأن هدف المسلمين الهداية والسلام ، وهكذا كان يفعل الاسلام فى نفوس المسلمين يطهرها من كل غل وحقد ، ويخليها من الضغائن والاحقاد .



ما زالت هناك فكرة فى ذهن العباس يريد أن يحققها ، وهى أن تنجو مكة مما يصيبها من خراب ودمار لو فتحت عنوة ، وأراد أن يعزز أبا سفيان وهو ذو نفوذ فى عشيرته ، وكان رأسا من رءوس المشركين . فقال العباس للرسول صلى الله عليه وسلم : إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا . وسرعان ما أدرك الرسول صلوات الله عليه ما يهدف إليه عمه العباس ، وصادف ذلك هوى فى نفسه ورغبة أكيدة كم تمنى أن تتحقق . فقال : « نعم من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن » .

وسواء قلنا إن ما حدث من العباس كان نتيجة تفكيره استقلالا ، أم كان نتيجة تدبير الرسول شخصيا دون أن يعلم أحد ، وسواء أكان لقاء العباس مع أبى سفيان وليد الصدفة أم نتيجة تخطيط فان ما فعله الرسول يدل على مقدرة حربية فائقة وحسن تدبير ومهارة فى الفنون العسكرية والوصول الى النصر من أقرب الطرق وأسلمها من غير خسائر فى الارواح والاموال .

أذن الرسول لأبى سفيان بن حرب أن يسبقه الى قريش ليخبرهم الامر واستعرض أمامه الجيش ليعرف مدى قوته فيخبرهم عن مشاهدة . فانطلق أبو سفيان الى قومه يصيح فيهم يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن . فبهت القوم من هول المفاجأة واستسلموا وحاول كل منهم أن ينجو بنفسه فيغلق عليه بابه أو يعدو الى المسجد .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه الاثناء تحرك بجيشه ووصل الى مشارف مكة وشاهد استسلامها فسجد لله شاكرا له منّته وعظيم فضله عليه . ولكنه مع هذا أخذ الحيطة ففرق جيشه أربع فرق ، وأصدر أمره اليها جميعها ألا تقاتل الا اذا اضطرت احدى الفرق الى القتال ، وجعل الزبير بن العوام على الجناح الايسر من الجيش وأمره أن يدخل مكة من شمالها ، وجعل خالد بن الوليد على الجناح الايمن وأمره أن يدخل مكة من أسفلها ، وجعل سعد ابن عبادة على أهل المدينة ليدخلوا مكة من جانبها الغربى . غير أن الرسول عليه السلام لما علم أن سعد بن عبادةقال : اليوم يوم الملحمة ، وأحس أنه متأهب للقتال أمر أن يجعل الراية فى يد قيس ابنه لضخامته وهدوئه . كما جعل صلوات الله

عليه أبا عبيدة بن الجراح على المهاجرين . وسار الرسول وإياهم ليدخلوا مكة من أعلاها . فدخلوها يوم عشرين من رمضان دون أى مقاومة الا ما كان من جيش خالد بن الوليد وقد اندفع الى مكة من أسفلها فتصدى له من شهروا عليه السلاح ورموه بالنبال فاضطر الى قتالهم حتى هزمهم وقتل منهم نيفا وعشرين وفر الباقون الى الدور ، ومنهم من فر الى أعالى الجبال وتبعهم المسلمون مما جعل أبو سفيان ينادى فيهم « يا معشر قريش علام تقتلون أنفسكم . من دخل دارى فهو آمن ومن وضع السلاح فهو آمن » . وانتهت المعركة بهذا دون أن يقتل أحد من المسلمين الا رجلين ضلا الطريق . وبعد أن اطمأن الرسول صلى الله عليه وسلم لخالد قال له معاتبا : قاتلت وقد نهيتك عن القتال ؟! فقال : هم بدءونا بالقتال وقد كففت يدى ما استطعت . فقال رسول الله : قضاء الله خير .

روى البخارى فى صحيحه أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل مكة واضعا رأسه الشريف على راحلته القصواء تواضعا لله وهو يقول : « اللهم إن العيش عيش الآخرة » . دون أن يفتنه النصر أو يزهو به .

وفى مكة عرضوا عليه صلوات الله عليه أن يذهب الى بيته ليستريح فيه فرفض واستراح فترة بالقرب من مقبرة عمه أبى طالب وزوجته خديجة ، ثم خرج الى الكعبة فطاف بها وخطب فى الناس قائلا :ـ

« يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : خيرا . أخ كريم وابن أخ كريم . قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء » ثم أمر فطهرت الكعبة مما حولها من الاصنام، ثم أذن بلال من فوقها للصلاة ، وصلى الرسول وصلى المسلمون ؛ ثم تسابقت قريش الى الاسلام .

وفى غداة يوم الفتح خطب فى الناس قائلا : « يا أيها الناس إن الله حرم مكة الى يوم القيامة لا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دما أو يعضد فيها شجرا . لم تحلل لأحد كان قبلى ولا تحل لأحد يكون بعدى ، ولم تحلل لى إلا هذه الساعة غضبا على أهلها . ثم رجعت كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد منكم الغائب » .

ولم يطل مقام الرسول صلوات الله عليه بمكة أكثر من خمسة عشر يوما يبصر فيها الناس بأمر دينهم ، ويدعوهم الى الحق والطريق المستقيم ، وينظم فيها شئونها . وخشى الأنصار أن يبقى الرسول بمكة فهى مسقط رأسه والتى قضى بها أغلب عمره ، وفيها بدأ الوحى ، وبها قبر زوجته خديجة وعمه أبى طالب وقد شاهدوا حنينه الى قبرهما . ولما أحس الرسول عليه السلام بما فى نفوسهم وقلقهم ومخاوفهم ألا يقيم بينهم فى يثرب قال : « معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم » . ورحل معهم الى يثرب .

وبمناسبة فتح مكة جاء يقول الله تعالى « اذا جاء نصر الله والفتح . ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا . فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا » وصدق الله العظيم وبر عبده الامين بوعده فسبح بحمده حقا وصدقا واستغفر له ولقومه وأخبرهم أن الله هو الرحمن الرحيم .

وقد روى عن ابن عباس أن نزول هذه السورة كان دلالة على دنو أجل الرسول عليه السلام قال البخارى حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا أبو عوانه عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : « كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد فى نفسه فقال : لم يدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه ممن قد علمتم . فدعاهم ذات يوم فأدخلنى معهم فما رأيت أنه دعانى فيهم يومئذ الا ليريهم فقال : ما تقولون فى قول الله عز وجل « إذا جاء نصر الله

والفتح . . » فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا . وسكت بعضهم فلم يقل شيئا فقال لى : أكذلك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت : لا . فقال : ما تقول ؟ فقلت : هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له . قال : إذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا «فقال عمر : لا أعلم منها إلا ما تقول » .

وروى البيهقى باسناده عن ابن عباس قال : لما نزلت « إذا جاء نصر الله والفتح . . . » دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة وقال : إنه قد نعيت إلىّ نفسى » فبكت ثم ضحكت وقالت : أخبرنى أنه نعيت اليه نفسه فبكيت ثم قال : اصبرى فانك أول أهلى لحوقا بى » فضحكت .

فهذه السورة — على هذا — كما تحمل البشرى لرسول الله بنصر الله والفتح ، وكما توجهه الى الاستغفار والتسبيح والحمد فانها تكشف عن دنو أجله وقرب انتهاء مهمته فى الحياة الدنيا .

ويقول ابن كثير فى تفسيره إن المراد بالفتح هنا فتح مكة قــولا واحدا . وهكذا كان محمد صلوات الله عليه فى موقف النصر والفتح الذى جعله ربه علامة له . انحنى لله شاكرا على ظهر دابته ودخل مكة التى آذته وأخرجته ، وهو على هذه الصورة نسى فرحـــة النصر وانحنى انحناءة الشكر وسبّح وحمـــد واستغفر .

أخى القارىء:

أنظر معى الى توفيق الله سبحانه الى رسوله المصطفى وتأييده إياه . خرج من مكة مطاردا ، وتمنى أن يدخلها دون قتال ، وأن تكون كلمة الله فيها هى العليا فتحقق له ذلك ، ودخلها خاشعا خاضعا شاكرا لله نعمته وفضله . فلم يحس فى نفسه بصورة من صور الانتقام ، ولم تدفعه فرحة النصر الى التجبر والتكبر والطغيان ، ولم يمكنه هذا بدافع من التسامح الاسلامى وقوة الايمـــان الروحى من أن ينتقم لنفسه ممن نكلوا بـــه وحاربوه وآذوه ، ولم يقدم أحد من جنوده على شىء من ذلك مع منَ فيهم ممن عذّبوا من قريش وأوذوا شر إيذاء ، ولم ينسه الحنين الى بلده ومسقط رأسه الوفاء للأنصار الذين عاونوه وقت الشدة ، وفتحوا له وللمسلمين قلوبهم ودورهم ، ونزلوا لهم عن طيب خـــاطر عن بعض أموالهم ومتاعهم من الحياة الدنيا لرفاقه والمهاجرين معه .

الله أكبر أيها المسلم فهذا أثر النصر فى نفوس الصديقين . الله أكبر أيها المسلم فهذا الاثر الروحى فى نفوس المؤمنين تطهير من كل حقد وشر ، وارتفاع بالنفوس الى المعانى السامية والقيم الخلقية العالية والتفانى فى سبيل تحقيق الهــدف والمبدأ . وحدة الغاية والهدف . إلـــه واحد لا تعبد البشرية سواه وتدين له بالعبودية والطاعة ، ووحدة الصف ، والتعاون الكامل فى بناء مجتمع صالح طاهر أساسه الخلق والدين امتثالا لقول الله تعالى « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » .

فلنتخذ من هذه المواقف درساوعبرة ، وليكن لنا من رسولنا وسلفنا القدوة الصالحة التى نحتذى حذوها فى الدين والخلق . ولنتذكر دائما أن أساس دعوة الاسلام التكوين الخلقى السليم والتعاون الكامل بين الافراد على البر والتقوى . نسأل الله سبحانه أن يوفقنا لتذوق معانى هذا الدين الكريم ، والعمل بتعاليمه وإرشاداته والسير فى الحياة على نهجه .

كيف يستعيد المسلمون مجدهم القديم؟

لكـــاتب كبير

إن الايمان بالله وحده هو الـذى يجمع عشرات الالوف من المسلمين ، على اختلاف لغـاتهم ، وجنسياتهم والوانهم لاداء فريضة الحج ، وزيارة المصطفى صلى الله عليه وسلم كل عام ، وهو الذى وحد بينهم ، وجعلهم إخوة فى الايمان إرضاء لله ، وجمعهم فى المسجد الحرام .

إن المسلمين الاول كانوا يؤمنون بالله إيمانا قويا ، ويثقون بالله ثقة لا نهاية لها ، ولا يخافون إلا الله ، ولا يخشون فى الحق لومة لائم . وكانوا يضحون بأنفسهم وأموالهم وأولادهم فى سبيل الله ، وابتغاء مرضاته ، ولذلـك كان النصر حليفهم ، وقـد نصرهم الله على أعدائهم ، وفتحوا العالم ، ونشروا الاسلام فى مـده قصيرة لا تذكر .

لقـد كان المسـلمون فى علمهم وأخلاقهم وانسانيتهم ، ووحدتهم ، وتضامنهم وتعاونهم ، وايمانهم بالقدرة الالهية ، والعظمة الربانية ــ خـير امة أخرجت للناس .

كان المســلمون فى العصـور الاسلامية الاولى متحـدين اتحـادا قويا ، يفكـرون فى اخوانهم فـى مشارق الارض ومغاربها ، ويحبون لهم ما يحبون لانفسهم ، ويستهينون بالموت ، ويطلبون الاستشهـاد ، ويقولون : احرص على الموت توهب لك الحياة . ويعملون بقوله صلى الله عليه وسلم : « المؤمن للمؤمن كالبنيان

يشد بعضه بعضا » . فانتصروا ، وهابهم العالم كله ، وقادوا العالم فى العدالة والحـــرية ، والاخـــاء والمساواة ، والحضارة والمدنية . ولكن أين المسلمون اليوم ؟ وأيـــن الامـــة الاسلامية العظيمة ؟ وأيــن الاخـــوة المحمديـــة ؟ وأين الوحـــدة الاسلامية ؟ وأين الرابطة القوية التى كانت تربط المسلمين بعضهم ببعض فى عصور العظمة الاسلامية ؟

إن المسلمين اليوم — مع الاسف الشديد — فى عزلة وتخاذل ، وتنازع واختلاف ، وعداء أحيانا ، لانهم الآن محبون لانفسهم ، ولا يفكرون الا فى أنفسهم ، ولا يعيشون الا لانفسهم ، ولا يحيون الا لانفسهم ، ولا يفكرون فى غيرهم من المسلمين ، ولا يعبدون الا المال والمركز والجاه والسلطان ، وأصحـــاب المال والمركز والجـــاه والسلطان .

فهل نعجب اذا صاروا ضعفاء بعد أن كانوا أقوياء ، وأذلاء بعد أن كانوا أعزاء ، ومتأخرين بعد أن كانـــوا يقـــودون العـــالم فيما مضى مـــن الزمان ؟

ولن يستعيد المسلمـــون مجدهم القديم ، وعصرهم الـــذهبى الا اذا آمنوا بالله إيمانا صادقا ، واتحدت كلمتهم ، وتعاونت قلوبهم وأرواحهم ، وقضوا على الفساد الخلقى ، واعطوا السائلين والمحرومين حقوقهم ، وأحب كل مسلم أخاه كمـــا يحب نفسه ، وكونوا وحدة اسلامية قوية شاملـــة للعالم الاسلامى كله ، بعيدة عـــن الاستعمار كل البعد ، ونبذوا الاهواء والاغراض ، والمنافع الخاصة التى يجرون وراءها ، ويفكرون فيها .

إذا استطعنا أن نصل الى تحقيق الـــروح الاسلامى الحـــق ، وآمنا بالعظمـــة الالهية ، ونظمنا حياتنـــا الاسلامية ، وكونا وحدتنا القويـــة — أمكننا أن نستعيد مجدنا التليد ، وقوتنا السالفة . ولن تستطيع أى أمة أن تقف أمام الامـــة الاسلامية المتحدة . المؤمنة باللـــه . وعظمته وحده لا شريك له . لن تستطيع أى قوة فى العالم أن تستهين بالمسلمين . أو تتحكم فيهم . أو تسيطر عليهم اذا اتحدوا وفكروا فى الموت أكثر مـــن تفكيـــرهم فى الحيـــاة كأجدادهم السابقين .

لكى يستعيد المسلمون مجدهم فى صدر الاسلام يجب أن ينشروا التعليم فى بلادهم . حتى لا يبقى فيها أمى واحد . ويعملوا على رفع مستوى معيشة الفقراء باعطائهم حقوقهم التى فرضها الله لهم . حتى لايكون هناك سائل أو محـــروم بين المســـلمين ، ويتخلصوا من الفقر ، ويعنوا بالتربية الدينية الخلقية المثالية ، حتى تقضى عـــلى الأثـــرة ، وحب النفس ، والفساد الخلقى ، ويهتموا بالناحية الصحية حتى يجد كل مريض وسائل العلاج ميسرة أمامه ، ويعنوا بالتربية الجسمية عنايتهم بالتربية العقليـــة والروحية والوجدانية والعملية .

وبهذا كله نقضى على الجهـــل والفقر والمرض وفساد الخلق . وهى المشـــكلات الاجتماعية التى خلّفهـــا الاستعمار وراءه قبل أن يرحل مـــن البلاد الاسلامية التى احتلها عشرات السنين . وامتص خيراتها ، وخلّف لها الجهل والفقر والمرض والفساد .

إن الاســـلام قد منح الانسان حقوقا . مثل الحريـــة الشخصية ، وحرية العقيدة ، وحق المساواة ، وحق التعلم ، وحق الحياة ، وحق الاخوة . وكما منحه كثيرا من الحقوق فرض عليه كثيرا من الواجبات الدينية التى تتعلق بالـــدين ، والواجبات الانسانية التى تتصل بالحياة . وأمر بالعدل والاحسان وبر ذوى القربى ، والصدق والامانـــة والوفاء ، ونهى

عن الظلم والغدر وحرمان الفقير، والعقوق والكذب والخيانة والسرقة والقتل والزنى :

« إن الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى . يعظكم لعلكم تذكرون » (١) .

ومن العيوب المنتشرة بيننا اننا نفكر فيما لنا من حقوق ، ونسعى لاخذ هذه الحقوق . ولكننا لا نؤدى ما علينا من واجبات . فنحن نأخذ ولا نعطى ، ولا نشعر بالواجب ، ولا نفكر فى ادائه . ولا نحاسب أنفسنا على ما قمنا به من عمل . ويجب أن نرضى الله فى السر والعلانية . وقد خاطب الله رسوله بقوله :

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » . يجب ان نعمل الخير ونفكر فى الخير دائما ، ونقوم بما علينا من واجبات لله وللوطن وللاسرة والجيران ، والانسانية .

فلكى يستعيد المسلمون مجدهم الماضى ، وعظمتهم السالفة ، يجب أن يتمسكوا بروح الاسلام ، ومبادئه المثالية وأخلاقه الكريمة ، ويعودوا الى ايمانهم القوى بالله ، ويكونوا يدا واحدة . ووحدة قوية متماسكة متعاونة . ضد المستعمرين والمحتلين، ويتركوا المظاهر الكاذبة ، ويدافعوا عن بلادهم ، متحدين بقلوبهم وأعمالهم ، ويبتعدوا عن الخلاف والنزاع والشقاق ، والرياء والملق والنفاق ، والجرى وراء الحكم والجاه والسلطان . عندئذ سينتصرون على الاعداء المغتصبين . ولن يستطيع الاستعمار أن يقف فى سبيلهم ، مهما تكن عدده وأسلحته . وسيكون النصر حليفهم ، كما كان حليفا لاجدادهم من المؤمنين السابقين الاولين .

الاستعمار هو السبب فى اضعاف المسلمين :

إن الاستعمار قد مزق البلاد الاسلامية . حتى يسهل عليه احتلالها، ويتخذها مناطق نفوذ له . واسواقا تجارية لمصنوعاته . ويتحكم فى أهلها بما نال من سيطرة وامتيازات . ويسلب ما فيها من خيرات . بجشع وشراهة . وينهب ما فيها من الآثار .

ولهذا كان الاستعمار السبب الاول فى اضعاف المسلمين . والتفرقة بينهم ، بعد أن كانوا أمة واحدة تتمتع بالحرية . وتسود العالم .

والحمد لله قد تخلص المسلمون فى معظم البلاد الاسلامية من القراصنة . وعصابة اللصوص المستعمرين ، ومظالمهم واعتداءاتهم ، وطغيانهم ، وصاروا أحرارا فى بلادهم ، مستقلين فى حياتهم ، يعملون لاعادة مجدهم السالف ، وقوتهم السابقة ، ليكونوا خير أمة ، كما كان آباؤهم وأجدادهم فى صدر الاسلام .

الشيخ محمد عبده والاسلام :

قال المرحوم الامام الشيخ محمد عبده (٢) :

« ابتدأ هذا الدين بالدعوة كغيره من الاديان . ولقى من أعداء أنفسهم أشد ما يلقى حق من باطل ، أوذى الداعى صلى الله عليه وسلم بضروب الايذاء ، وأقيم فى وجهه ما كان يصعب تذليله من عقبات ، لولا عناية الله ، وعذب المستجيبون له ، وحرموا الرزق ، وطردوا من الدار ، وسفكت منهم دماء غزيرة ، غير أن تلك الدماء كانت عيون العزائم تنفجر من صخور الصبر ، يثبت الله بمشهدها المستيقنين ، ويقذف بها الرعب فى أنفس المرتابين ، فكانت

تسيل لمنظرها نفوس أهل الريب . وهى ذوب ما فسد من طباعهم . فتجرى فى مناحرهم جرى الدم الفاسد من المفصود على أيدى الاطباء الحاذقين :

« ليميز الله الخبيث من الطيب . ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه(٣) جميعا فيجعله فى جهنم أولئك هم الخاسرون (٤) .

« تألبت الملل المختلفة ممن كان يسكن جزيرة العرب وما جاورها على الاسلام . ليحصدوا نبتته . ويخنقوا دعوته . فما زال يدافع عن نفسه دفاع الضعيف للاقوياء . والفقير للاغنياء . ولا ناصر له الا أنه الحق بين الاباطيل . والرشد فى ظلمات الاضاليل . حتى ظفر بالعزة . وتعزز بالمنعة » .

« ضم الاسلام سكان القفار العربية الى وحدة لم يعرفها تاريخهم . ولم يعهد لها نظير فى ماضيهم . وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد أبلغ رسالته بأمر ربه الى من جاور البلاد العربية من ملوك الفرس والرومان . فهزءوا وامتنعوا . وناصبوه وقومه الشر . وأخافوا السابلة . وضيقوا على المتاجر . فغزاهم بنفسه . وبعث اليهم البعوث فى حياته . وجرى على سنته الائمة من صحابته . طلبا للامن . وإبلاغا للدعوة . فاندفعوا فى ضعفهم وفقرهم يحملون الحق على أيديهم . وانهالوا به على تلك الامم فى قوتها ومنعتها . وكثرة عددها . واستكمال أهبتها وعددها . فظفروا منها بما هو معلوم . وكانوا متى وضعت الحرب أوزارها . واستقر السلطان للفاتح عطفوا على المغلوبين بالرفق واللين . وأباحوا لهم البقاء على أديانهم . وإقامة شعائرهم آمنين مطمئنين . ونشروا حمايتهم عليهم يمنعونهم بما يمنعون منه أهلهم وأموالهم . وفرضوا عليهم كفاء ذلك جزءا قليلا من مكاسبهم على شرائط معينة . . » .

« ولم يعهد فى تاريخ فتوح الاسلام أن كان له دعاة معروفون لهم وظيفة ممتازة . يأخذون على أنفسهم العمل على نشره . ويقفون مساعيهم على بث عقائده بين غير المسلمين . بل كان المسلمون يكتفون بمخالطة من عداهم . ومحاسنتهم فى المعاملة . وشهد العالم بأسره أن الاسلام كان يعد مجاملة المغلوبين فضلا وإحسانا عندما كان يعدها الاوروبيون ضعة وضعفا » .

« رفع الاسلام ما ثقل من الاتاوات (٥) . ورد الاموال المسلوبة الى أربابها . وانتزع الحقوق من مغتصبيها . ووضع المساواة فى الحق عند التقاضى بين المسلم وغير المسلم . بلغ أمر المسلمين فيما بعد لا يقبل اسلام من دخل فيه الا بين يدى قاض شرعى . باقرار من المسلم الجديد أنه أسلم بلا إكراه ولا رغبة فى دنيا » .

« ووصل الامر فى عهد بعض الخلفاء الامويين أن كره عمالهم دخول الناس فى دين الاسلام . لما رأوا أنه ينقص من مبالغ الجزية . وكان فى حال أولئك العمال صد عن سبيل الدين لا محالة . ولذلك أمر عمر بن عبد العزيز بتعزيز مثل أولئك العمال (٦) » . وأجاب عامله بمصر حينما شكا اليه ذلك : « إن محمدا صلى الله عليه وسلم بعث هاديا . ولم يبعث جابيا » .

ونحن نقول : هذا ما كان من أمر المسلمين فى معاملتهم لمن أظلوهم بسيوفهم . لم يفعلوا شيئا سوى أنهم حملوا الى أولئك الاقوام كتاب الله وشريعته . والقوا بذلك بين أيديهم . وتركوا الخيار لهم . فى القبول وعدمه . ولم يقوموا بينهم بدعوة . ولم يستعملوا لإكراههم عليه شيئا من

القوة . وما كان من الجزية لم يكن مما يثقل أداؤه على من ضربت عليه . فما الذى اقبل بأهل الاديان المختلفة على الاسلام . واقنعهم أنه الحق دون ما كان لديهم حتى دخلوا فيه أفواجا . وبذلوا فى خدمته ما لم يبذله العرب أنفسهم !.

لقد دخل أهل الاديان المختلفة فى دين الله أفواجا لانهم أحسوا أنه دين الطبيعة والفطرة . دين العقل والمنطق . دين الرأى الحر . والتفكير السليم . دين الرحمة والشفقة . دين الانسانية والنبل . دين الفضيلة والكمال . دين قضى على الرذائل الخلقية . والنقائص البشرية ، دين الحرية (والديمقراطية) . دين الدنيا والآخرة . دين يدرك معنى الحياة ، ويعنى بالجسم كما يعنى بالروح ، دين يدعو الى الاخلاص فى السر والعلانية . وصفاء النية والسريرة ، دين ألغى الامتيازات بين الطبقات ، ورفع العبيد الى منزلة الاشراف ، وسوى بين الاغنياء والفقراء . ونادى باحترام الشرف والعرض وحقوق الجار . دين يسهل على كل انسان فهم أحكامه وأسراره . ومعرفة الحكمة فى كل تشريع من تشريعاته ، دين العدالة المطلقة ، وقف بجانب المظلوم ليأخذ له حقه من الظالم . مهما يكن مركز ذلك الظالم وسلطته . دين أخذ للفقراء حقوقهم من الاثرياء . دين أجاز لامرأة مصرية فقيرة غير مسلمة أن ترفض بيع بيتها الصغير بأى ثمن لحاكم مصر وهو عمرو بن العاص ، مع أنه لم يفكر فى شرائه لنفسه ، بل أراد أن يشتريه ليوسع به ناحية من المسجد ، فرفضت بيعه . مع أن ابن العاص عرض عليها أضعاف ثمنه . وشكته الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فأمر ابن العاص برد البيت الى صاحبته ، ولامه على ما فعل . دين سمح ليهودى بالوقوف ضد على ابن أبى طالب — كرم الله وجهه — أمام القاضى المسلم ، فكان حكمه بينهما مثلا عاليا للعدالة والنزاهة والمساواة .

لهذه المثل السامية دخل الناس فى دين الله أفواجا . وصاروا من أكبر أنصاره ، وأنار الله قلوبهم . فاعتنقوا الاسلام برغبة قوية ، وعقيدة روحية . ووازع نفسى ، لا سيف من ورائهم يخيفهم ، ولا مبشر أمامهم يكرههم على اعتناقه .

---

١) **سورة النحل : ٩٠**

٢) ارجع الى كتابه : (الاسلام والرد على **منتقديه) ص ١١٦ .**

٣) يجمعه .

٤) سورة الانفال : ٣٧ .

٥) الاتاوة : الخراج ، والضريبة ، والرشوة

٦) الحكام .

لماذا يحمل

أصول العلاقات الدولية.. في الإسلام

١) إن الاسلام دين سلام ومودة واخوة بين الناس جميعا ، من آمن به ومن لم يؤمن فلماذا أباح الحرب ، وحض على الجهاد . واعد للشهداء فى سبيله الأجر الجزيل والنعيم المقيم ؟

إن الحرب فى الاسلام ليست أصلا من اصوله ، وهو يرفض كل ألوان الاكراه فى الايمان بـه . لان العقيدة الصحيحة أساسها الاقتناع الصادق القائم على الوجدان والبرهان . ولا يتسنى لاية قوة فى الارض أن تفرض على انسان عقيدة يأباها قلبه وينفر منها عقله ، فما هى الغاية إذن من الحروب الاسلامية ؟

إن الاسلام كما اشرت غير مرة دين عالمى جاء للناس كافة وقد بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الدين الى العرب ، وتوفى عليه السلام بعد أن ترك قومه على المحجة البيضاء ، وأصبح على هؤلاء العرب الذين اختار الله منهم خاتم رسله أن يحملوا هذا الدين الى غيرهم من الامم ، فالشرائع لا تلزم الا بعد السماع كما يقول الامام محمد (١) ، ومن هنا كان غير العرب اذا لم تصل اليهم دعوة الاسلام لا حجة عليهم . وانما تقع الحجة على الذين بلغهم هذا الدين ثم قصروا فى تبليغه الى سواهم .

٢) فمن أجل تبليغ هذا الدين الى الناس فى كل زمان ومكان وحماية الدعوة اليه فرض الجهاد . وكان ماضيا الى يوم القيامة ، انه جهاد من أجل حماية

المسلمون والسلاح

للدكتور : محمد الدسوقي

التبليغ فحسب ، فمن شاء بعد ذلك فليؤمن ومن شاء فليكفر . فقد اكدت حوادث التاريخ أن الطغاة لا يتركون الناس أحرارا فيما يدينون به ويسمعون له . وفى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم المثل الحى على ذلك فهو عليه السلام قد دعا قومه الى عبادة الله وحده وتـــرك عبادة الاصنام فآذوه واضطهدوه . وعذبوا من صدقه واتبعه ثم أخرجوه وأصحابه من مكة .

إن مشركى مكـــة أرادوا الحجر على القلوب والعقول . وأبوا أن يدعوا للناس الحرية فى التفكير والاختيار ، فهم بهذا يحمون مبدأ الاكراه فى الدين . فلو ترك هؤلاء الكفار وشأنهم لطغا الباطل على الحق ولطمس النور الظلام (٢) فكان الاذن بالقتال واتخاذ القوة لدفع هذا الظلم الذى تعرض له المؤمنون ، لانهم قالوا ربنا الله : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله . ولولا دفع اللـــه الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع صلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا » (٣) .

فغاية الحرب فى الاسلام تنحصرفى تحرير الناس من الطغاة فلا يكون فى الارض سلطان غير سلطان الحق تبارك وتعالى ، وبذلك لا تكون فتنة ويكون الدين كله للـــه .

٣) ولأن غاية الحرب الاسلامية هى تحقيق الحرية الدينية لطف الاسلام

من حدتها . وجعل لها قانونا عادلا ونظاما محكما . وأكبر ما يسجل له من أمرها انه لم يشرعها لنيل المغانم . وفرض المغارم . ولكنه جعلها وسيلة عند الضرورة لنشر كلمة الله بين الامم (٤) .

وأول ما يجب على المسلمين اذاساروا الى غيرهم أن لا يبدأوهم بالحرب أو الاعتداء لانهم لم يسعوا رغبة فى القتال لذاته فهم أصحاب دعوة . وليس عليهم الا البلاغ . ومن هنا كان واجبا أن يسبق الحرب أمران اذا ووفق على أحدهما فلا قتال :

الامر الاول : البدء بالدعاء الى الاسلام . وجاء فى شرح السير الصغير (٥) أن هذا الدعاء قد يكون موجها لقوم لم تبلغهم الدعوة . فيجب إعلامهم حتى يكونوا على بينة من أمرهم . وقد يكون موجها لقوم بلغتهم الدعوة . ودعاؤهم مرة ثانية أمر مطلوب لانه كما جاء فى هذا الشرح : جد ومبالغة فى الانذار بما ينفع . وهذا يؤكد الرغبة فى إيثار السلم على الحرب . فى تبليغ دعوة الاسلام فاذا استجاب هؤلاء طوعا واختيارا لما دعاهم اليه المسلمون فهم اخواننا لهم ما لنا وعليهم ما علينا وإن أبوا ولم يستجيبوا فان على المسلمين أن يدعوهم الى الامر الثانى وهو أن يدخلوا مع المسلمين فى عهد وميثاق . ويصبحوا أهل ذمة لا يتعرض لهم فى عقائدهم الدينية ويتمتعون بكل حقوق الحماية والرعاية فى مقابل ضريبة مالية يسيرة لا تجب على غير القادرين منهم . وذلك لهدف واحد وهو أن يأمن المسلمون هؤلاء . فلا يظاهروا غير المسلمين على المسلمين . فان أبوا أن يدخلوا مع المسلمين فى عهد وميثاق . فقد جاهروا بهذا الرفض بالعداء . وأمعنوا فى الضلال وكان قتالهم فى هذه الحالة لتحرير الناس من التسلط والقهر .

وجاء فى شرح السير الكبير(٦) : ان الكفر وان كان من أعظم الجنايات فهو بين العبد وربه جل وعلا . وجزاء مثل هذه الجناية يؤخر الى دار الجزاء فأما ما عجل فى الدنيا — وهو قتال الكفار — فهو مشروع لمنفعة تعود الى العباد .

ومؤدى هذا النص يؤكد الحقيقة التى أشرت اليها وهى أن القتال فى الاسلام ليس للاكراه فى الدين . ولكن لتحقيق مصالح العباد بانقاذهم من الطغاة المستبدين حتى يكون الطريق أمام دعوة الله خاليا من الاشواك والعقبات يسلكه من شاء ويعرض عنه من أبى .

٤) وما دام القتال لدفع فتنة الكفر وشر الكفار . فانه لا يجوز قتال الا هؤلاء الذين يمثلون الفتنة ويمكنون للشر بالفعل أو بالقول . ولهذا لا ينبغى قتل النساء والولدان والمجانين (٧) وان حملوا السلاح والذين لا يخالطون الناس وترهبوا فى الأديرة . وكذلك الشيوخ الفانون لقوله تعالى : وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم . وهؤلاء لا يقاتلون (٨) . فاذا شارك احد من هؤلاء برأيه أو فعله فى الحرب . فقد أصبح مقاتلا ، يجوز قتاله وقتله فيما عدا المعتوه فان على المسلمين اخذه ومنعه من مشاركته فى الحرب (٩) .

وكما جاء النهى عن قتل غير المحاربين جاء النهى أيضا عن الغدر والمثلة وحمل الرءوس وقطع الاشجار وتخريب الديار وذبح المواشى الا لضرورة إطعام الجند (١٠) .

٥) واذا وضعت الحرب أوزارها فلا يقتل أسير . ولا يذفف على جريح ولا يتبع فار . ولا يتعرض لأحد من أهل دار الحرب بالعنت بل يعاملون جميعا معاملة انسانية لا تعرف الاذلال وامتهان كرامة الانسان . وانما تعرف الرحمة والعدل والانصاف .

وأهل دار الحرب يعاملون أيضا قبل أن يكون بينهم وبين المسلمين علاقة من

ذمة أو موادعـــة معاملة انسانية ، فالتجارة مثلا بيننا وبينهم لا تتوقف . وعلى المسلمين أن يحذروا فقط من أن يحملوا لدار الحرب ما يزيد من قوة أهلهـــا وبأسهم . فقد جاء فى شرح السير الكبير : والاولى للمسلم أن يحترز عن اكتساب سبب القوة لهم الا أنه لا بأس بذلك فى الطعام والثياب ونحو ذلك لما روى أن ثمامة بن أثال الحنفى أسلم فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فقطع الميرة عن اهل مكـــة فكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يأذن له فى حمل الطعام اليهم . فأذن فى ذلك ، وأهل مكة يومئذ كانوا حربا لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فعرفنا أنه لا بأس بذلك (١١) .

٦) وبهذا يتضح أن الحروب فى الاسلام ضرورة . وانها تخضع لقانـــون العدل واحترام آدمية الانسان وليست سبيلا لاستغلال الشعوب ونهب ثرواتها . وهى فى جوهرها تحقق السلم الدائم بين الناس . لانها تنقذهم من تجار الحروب والطغاة الذين يكرهونهم على ما لا يبتغون .

ويتضح ايضا أن أصل العلاقة بين المسلمين وغيرهم السلم . وان نظـــرة الاسلام الى غير المسلمين لا تعرف العداء والتعصب والكبرياء . وانما تقوم على التسامح والتعاون والاخاء وعلى احترام العهود والوفاء بها مهما تكن الظروف والاسباب . وصدق الله العظيم : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين . ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين . انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » (١٢) .

فهاتان الآيتان تلخصان الدستور الاسلامى فى العلاقات الدولية . وهو دستور يقوم على السلم ويؤثر المودة على العداوة حتى مع من عادوه ما ضمن كفهم عن الاعتداء استحياء للمودة الانسانية وتوثيقـــا للروابط البشرية . فقبل الآيتين قوله تعالـــى : « عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم » .

٧) وخلاصة القول ان العلاقات الدولية فى الاسلام تقوم على ما يلى :

أولا : المساواة بين الناس ، فهم جميعا أمة واحدة . لا طائفية ولا عنصرية بينها . ولا مفاضلة بالالوان والاجناس والاوطان ولكن بخشية الله ومراقبته « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وأما قواعد القانون الدولى فى صورته الراهنة ــ على الرغم من تطور الفكر القانونى وتطلعه نحو أفق رحب من الانسانية والعالمية ــ فانها لا تستجيب لمبادىء المساواة بين مختلف الـــدول من غير تمييز بين أديانهـــا وأجناسهـــا وألوانها .

ويلاحظ أن انقسام العالم انقساما سياسيا خطيرا بين المذاهب الشيوعية والرأسمالية والحيادية قد ساعد من جديد على ظهور الطائفية فى نطاق القانون الدولى . وبدأت ظواهر هذه الطائفية فى التكتلات الدولية الحديثة (١٣) .

ثانيا : السلم أصل العلاقة بين الناس .

ويتفرع على تقرير مبدأ المساواة والوحدة قيام العلاقة بين الناس علـــى المحبة والمودة والسلام والوئام ، لان معنى المساواة يفقـــد قيمته اذا لم يبلغ كل أسباب الحروب من الاستغلال والاحتلال .

واذا كان الاسلام قد قرر أن أصل العلاقة بين الناس السلم . فان هـــذا لا يتعارض مع اذنه بالحرب وحضه على الجهاد ، لان الحرب التى أباحها فـــى

جوهرها حماية للسلم وتمكين له في الارض ولهذا وضع لها القوانين التي تجعلها رحمة وخيرا .

واذا كان القانون الدولي قد انتهى أخيرا الى نبذ الحرب في فض المنازعات الدولية فان هذا جاء نتيجة للدمار المروع الذي تعرضت له البشرية في الحرب العالمية الثانية . ومع هذا لا يلقى ما انتهى اليه هذا القانون من الدول التقدير والاحترام . وما زالت الحرب القانون الذي يلجأ اليه في المشكلات الدولية . وما زالت القاعدة التي تعيش عليها الغابة وهي : القوة تخلق الحق وتحميه وتضع حدا لكل نزاع — هي المعول عليها في فض كل الخلافات بين الامم بالرغم من وجود المنظمة الدولية وجمعيتها العامة وما تصدره من قرارات .

ثالثا : ترتبط أصول العلاقات الدولية الاسلامية بالعقيدة ارتباطا وثيقا فهي جزء منها لا يكمل الايمان الا بها . ومن هنا تلقى من الدولة والافراد في المجتمع الاسلامي كل الاحترام والاقتناع الذاتي بها .

أما القوانين الوضعية — ومنها القانون الدولي — فانها مبتوتة الصلة بعقائد الافراد والدول . ولا تلقى الاحترام غالبا بدافع ذاتي ويزداد الامر بالنسبة للقانون الدولي انه غير ملزم في رأي بعض فقهائه . (١٤) وانه لا يحول بين الدول وأطماعها السياسية والاقتصادية . وهي أطماع لا يردعها غير القوة الحربية . وليس عدوان ١٩٥٦ على بلادنا وأيضا عدوان ١٩٦٧ . وما يجري في الهند الصينية وفي المستعمرات الافريقية الا دليلا ملموسا على أن القانون الدولي لا يلقى — مع قصوره — الاحترام والصدق في الاخذ بقواعده .

رابعا : العدالة :

يحرم الاسلام الظلم بجميع أشكاله . ويأمر بالعدل مع الاصدقاء والاعداء في كل الحالات « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى » (١٥) .

واذا كان من العدالة أن نرد الاعتداء بمثله « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله » . فان الاسلام كما تنص الآية الكريمة لا يجعل رد الاعتداء بمثله أمرا مطلقا . بل يقرن به تقوى الله . ومن هنا يكون العدل في الاسلام عدلا انسانيا رحيما لا يعرف التشفي . ولا يمتهن الكرامة والفضيلة ولا ينزل الى مستوى الهمجية والوحشية . ولو كان غيرنا قد هبط الى هذا المستوى . ومن أجل ذلك كان الاسلام دين القوة . قوة الايمان والابدان والسلاح حتى نحمي دائما العدالة والفضيلة .

ومن أروع ما يروى عن عدالة المسلمين مع أعدائهم في الحروب أن قتيبة ابن مسلم الباهلي القائد الفاتح دخل سمرقند من غير أن يخير أهلها بين الاسلام أو العهد أو الحرب . فأرسل أهل سمرقند الى عمر بن عبد العزيز والى أمر المسلمين يشكون اليه أن قتيبة لم يخيرهم ولو خيرهم لاختاروا . فأرسل خامس الراشدين الى القاضي وقال له : اذا جاءك كتابي هذا فأجلس قتيبة والمحاربين وسلهم . فان تبين صدق شكوى أهل سمرقند . فأمر جيش المسلمين بأن يترك البلاد . وحقق القاضي القضية وتبين له أن قتيبة لم يخيرهم ذلك التخيير . فأصدر أمرا بأن يترك جيش المسلمين سمرقند . وأن يخير أهلها بين الاسلام أو العهد أو الحرب . وخرج جيش المسلمين من سمرقند . وقبل أهلها بعد ذلك العهد . ومنهم من دخل في الاسلام (١٦) .

أليس هذا هو العدل الكامل الرائع . قاضي المسلمين ينصف أهل الحرب من قائد جيش المسلمين . ثم يأمر هذا الجيش بترك المدينة التي دخلها دون

ان يخير القائد أهلها فهو بهذا قد ظلمهم . والاسلام شريعـة العـدل فى السلم والحـرب . .

فهل يمكن أن يحدث هـذا اليوم فى عصر الحضـارة والمدنية والقوانين الدولية ؟

خامسا : احترام العهود والوفاء بها :

للعهود والمواثيق فى الاسلام حرمة مقدسة يجب الوقوف عند حدها . وعدم التفريط فيها . والنصوص فى ذلك كثيرة يمكن الاجتزاء منها بقولـه تعالى : « واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم . ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها . وقد جعلتم الله عليكم كفيلا . ان الله يعلم ما تفعلون . ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ان تكون أمة هى أربى من أمة » (١٧) .

فهذا النص الكريم يحتم الوفاء بالعهـد وعدم نقضه . ويحذر من الخديعة والدخل فى المواثيق . ويشبه الذين يعقدون العهد ثم ينقضونه بالحمقاء التى تغزل غزلا محكما وبعد ذلك تنقضه . وفى هذا اشارة الى أن نقض العهد لا يفعلـه الا الحمقى (١٨) . ويشير النص أيضا الى أن الرغبة فى زيادة الارض أو القوة لا يصلح أن يكون شىء من هذا سببا لنقض العهد . فالعدالة الاسلامية لا تجعل مصلحة الدولة سبيلا لنقض العهد ما دامت شروطه مصونة من الاعـداء . ولذلك يحذر القرآن الكريم من نقض العهد حين يستنصر المسلمون اخوانهم المسلمين ليجاهدوا معهم فى الدين . فان عليهم أن يحترمـوا ما بينهم وبين غيرهم مـن مواثيق : « وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق » (١٩) .

ولم تكن هذه المبادىء القويمة فى رعاية العهود مثلا نظرية بل كانت سلوكا واقعيا فى حياة المسلمين وفى صلاتهم الدولية . ومن ذلك ما جاء عن حذيفة بن اليمان قال : ما منعنى أن أشهد بدرا الا اننى خرجت انا وأبو الحسيل فأخذنا كفار قريش . فقالوا : انكم تريدون محمدا . فقلنا : ما نريده وما نريد الا المدينة . فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننطلق الى المدينة ولا نقاتل معه . فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه الخبر فقال : « انصرفا : نفى بعهودهم . ونستعين الله عليهم » .

وقال أبو رافع مولى رسول الله : بعثتنى قريش الى النبى . فلما رأيت النبى وقع فى قلبى الاسلام . فقلت : يا رسول الله لا أرجع اليهم . قال :« انى لا أخيس العهد ولا أحبس البرد . ولكن ارجع اليهم . فان كان فى قلبك الذى فيه الآن فارجـع » (٢٠) .

هذا هو موقف الاسلام من رعاية العهود والوفاء بها . ولكن الامر بالنسبة للعرف الدولى يختلف كل الاختلاف فالمعاهدات لدى هذا العرف وسيلة القـوى ينال بها من الضعيف . وهى لا تعدو أن تكون قصاصة ورق يمكن نكثها قبل أن يجف مدادها . ففى مطلع القرن الحالى اتفقت بعض الـدول على حياد بلجيكا . وأرادت ألمانيا أن تمر بجيوشها مـن الاراضى البلجيكية حتى تحارب فرنسا . ورفضت بلجيكا ذلك . واحتجت انجلترا على تصرف ألمانيا وأنذرتها بالحرب اذا لم تعدل عن خرق حياد بلجيكا وقال المستشار الالمانى فى رده على انجلترا : ان من الهـول ما تنويه حكومة جلالة الملك البريطانى . ومما يعز على أن أتصور جلالته قابلا دخول حرب مراعاة لقصاصة ورق يسمونها معاهـدة واتفاقا على حياد أرض » (٢١) .

فالمعاهدات قصاصات ورق لا قيمة لها اذا تعارضت مع مصلحة الدولة .

والمصلحه هنا تشمل الغزو للاحتلال . وهذا يؤكد أن قواعد القانون الدولى — وهى تحض على المحافظة على المعاهدات — مدونة الصلة بضمائر الافراد والجماعات .

٨) وبعد فهذه فى إجمال اصول العلاقات الدوليه فى الاسلام كما بينها كتاب الله وسنة رسوله . وتحدث عنها فقهاؤه وفى مقدمتهم الامام محمد بن الحسن الشيبانى . وهى اصول لحمتها وسداها السلام والوئام والرحمة والعدالة وحماية الفضيلة . وهى وحدها صمام الامن للبشرية جمعاء . ومهما أبدع الفكر الانسانى من قوانين ونظم فلن يبلغ شأو تلك الاصول « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون »(٢٢) .

---

١) شرح السير الكبير جـ٤ ص ٢٩١ .
٢) نظم الحرب فى الاسلام لجمال الدين عياد . ص : ٢١ .
٣) الآية : ٣٩ ، ٤٠ فى سورة الحج .
٤) مهمة الدين الاسلامى فى العالم بحث للمرحوم الاستاذ / محمد فريد وجدى ، منشور فى مجلة نور الاسلام سنة ١٣٥٢ ص : ٣٧١ .
٥) أنظر المبسوط جـ١٠ ص ٦ .
٦) جـ٣ ص ١٨٢ .
٧) المصدر السابق : ص ١٩٧ .
٨) شرح السير الكبير جـ٣ ص ١٨١ ، ١٩١ .
٩) المصدر السابق ص ١٩٤ ، ١٩٧ .
١٠) شرح السير الكبير جـ١ ص ٤٤ . د. صلاح الدين المنجد .
١١) شرح السير الكبير جـ٣ ص ١٧٧ — ١٧٨ . ط : الهند .
١٢) الآيتان رقم ٨ ، ٩ فى سورة الممتحنة ، ومن المفسرين من يرى أن الآيتين نسختهما آية « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » وقيل انهما خاصتان بحلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بينه وبينهم عهد فلم ينقضه ، وقال أكثر أهل التأويل : هى محكمة ، وهو الصحيح . (انظر احكام القرآن للجصاص ٤٣٦/٣ وتفسير القرطبى جـ ١٨ ، ص ٥٩ والنسخ فى القرآن الكريم لأستاذنا الدكتور مصطفى زيد ص : ٥٥٢ ط : أولى) .
١٣) القانون الدولى فى وقت السلم للدكتور حامد سلطان ، صفحة : ٤٢ .
١٤) آثار الحرب فى الاسلام ، الدكتور وهبه الزحيلى ، ص ١٠ .
١٥) الآية : ٨ فى سورة المائـدة .
١٦) أنظر أسبوع الفقه الاسلامى الثالث ، ص : ٢٠٠ .
١٧) الآيتان ٩١ ، ٩٢ فى سورة النحل .
١٨) أسبوع الفقه الاسلامى الثالث ، ص : ١٩٩ .
١٩) الآية ٧٢ فى سورة الانفال .
٢٠) انظر مجلة المسلمون شوال سنة ١٣٧٢ جـ ص : ٢٣ .
٢١) أنظر نظم الحرب فى الاسلام للاستاذ جمال الدين عياد ص ٢٧ .
٢٢) الآية : ١٣٨ فى سورة البقرة .

الامام مالك بن أنس

للأستاذ أحمد محمد مصطفى السفارينى

لا تزال الامة بخير ما دام فيها يكمن الأحساس بالرغبة فى حياة كريمة رائدة ، وما د مت تشعر بأن لديها شيئا ثمينا تقدمه إلى الانسانية ، وتحرص على إلزام الناس به ، أملا منها فى أن يعيش العالم حياة طيبة .. شرط أن تكون التضحية فى سبيل ذلك كله طريقا واضحا ومفروضا .

والأمة قبل أن تكون ذات نظرة بعيدة فى تسنم مركز الصدارة فى الحياة .. عليها أن تستكمل مقومات الأمة الكبرى .. أى أن تكون ذات مبدأ شامل عن الحياة الدنيا .. وكلما كانت نظرة هذا المبدأ صحيحة وعقيدته صادقة تكون فرص نجاحها فى هذا المضمار أكبر وأوسع .

إلا أن الحياة المبدئية لأية أمة نوع من الجدية الصارمة ، والالتزام المطلق بأفكار ومفاهيم ذلك المبدأ .. وهذا يعنى أن تكون أحكام المبدأ وثقافته هى المتحكمة فى شئون المجتمع .

والأمة الاسلامية أمة مبدؤها الاسلام بعقيدته وأحكامه ومفاهيمه وثقافته ، وعلى هدى من الاوامر والنواهى التى يتضمنها تقيم الأمة الاسلامية نظام حياتها ، وتضبط تصرفاتها .

الاجتهاد والطريقة التى عينها الاسلام ونص على اتباعها فى التعرف إلى أحكام الشريعة الاسلامية هى الاجتهاد فالاجتهاد ، هو : « بذل الوسع فى استنباط الحكم الشرعى من أدلته التفصيلية » .

والمجتهدون هم الذين يتولون هذه المهمة .. ويقومون بها على الوجه الشرعى بعد تحقق الشروط المطلوب توفرها فى المجتهد ، من توفر على دراسة النصوص الشرعية ، ومعرفة تامة بأوضاعها متنا وسندا ، وناسخا ومنسوخا ، ومحكما ومتشابها .. هذا إلى جانب الاحاطة بعلوم اللغة العربية لأنها أداة الاجتهاد ، ولأن النصوص الشرعية انما كتبت بها .

وضرورة الاجتهاد للمسلمين فى كل مكان وزمان انما تنبع من حاجتهم إلى معرفة خطاب الله لهم فيما يعترضهم من مشاكل وقضايا وأمور مستجدة .. وما أكثرها .

لذلك رأينا تاريخ المسلمين مزحوما بالفقهاء والمجتهـدين الذين قصروا حياتهم ونشاطاتهم على تتبع القضايا والمسائل التى تجد على المسلمين لاستنباط الأحكام الشرعية لهـا .

وفى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم كان المسلمون يفزعون إليه حينما يحزبهم أمر يسألونه فيجيبهم ، فلم يكونوا بحاجة إلى اجتهاد .. ومع هـذا فقد كان المسلمون حينمـا يجدون أنفسهم بحاجة الى الأجتهاد يحاولون فهم النص على الأوجه التى يحتملها لغة وتعليلا . واقرهم على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

مالك بن أنس :

ومن أوائل الذين دونت اجتهاداتهم لتصبح مذهبا متكاملا الأمام الكبير مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامر بن عمرو بن غيمان بن خثيل بن عمرو بن الحـارث .

اختلفت الرواة فى تحديد سنة ميلاده ، واتفقت كلها على انه ولـد فى المدينة المنـورة أو بالقرب منها فى مكان يسمى « ذو المروة » . ولعل أظهر الأقـوال فى ميلاده أنه ولد سنة ٩٣ هجرية . وكان مولده فى عهد الخليفـة الأمـوى الوليد بن عبد الملك .

ولم يكن قد مضى على تمكن الاسلام قرن واحد أمتد فيه سلطانه هـذا الامتداد الشاسع حتى كاد يعم العالم المعروف . ودخل فى المجتمع الاسلامى اخلاط كثيرة صاغها الاسلام صياغة جديدة ، وجعلها أمـة واحـدة .. مما أحدث حالات كثيرة احتاجت الى البحث والتنقيب بواسطة الاجتهاد عن حكم شرعى لهـا .. وقد مهـد هذا الطريق إلى النابغين ذوى المواهب ليصبحوا هم المجتهدين بعد الدراسة والتثقف وممارسة التفقه بالدين عقيدة واحكـاما ونصوصا . فكان صاحبنا ثانى أصحاب المذاهب الاربعة المشهورة مولدا إذ كان قـد سبقه إلى الحياة الأمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت الذى ولـد سـنة ٨٠ للهجرة .

نشـأته :

نشأ مالك بن أنس فى بيت فقير ، فأبوه كان مقعدا يتكسب عيشه من ممارسة صناعة النبال ومات مبكرا ومالك لا يزال صبيا يافعا ، فعـاش فى كنف أمـه توجهه وتشير عليه ، وكان لها الفضل الأكبر فى اتخاذه سـبيله لطلب العلم ، بعد أن كاد تزيغ به قدمه إلى الغنـاء ..

فقد روى أن ملكا أراد ان يشتغل بالغناء فى أول أمره ، فنصحته أمـه بترك ذلك وتعلم الفقه ، فانتصح .

واعتبرت هذه النصيحة نقطة تحول ، والمنعطف الايجابى فى حياة الامام مالك بن أنس .. اذ أنه انقطع إلى علماء الفقه انقطاعا يكاد يكـون تاما .. إلى حـد أنه نقض سقف بيته فباع خشبه لسد نفقاته فى طلب العلم .

وعلى الرغم من أن البالغين كانوا يأخذون راتبا من المال من بيت مـال المسلمين .. فان مالكا ظل يعيش فى حالة من التضييق فى نفقتـه حتى فتح الله عليـه .

مالك وطلب العلم :

وبمشورة من أمه أيضـــا اختار مالك أول ما اختار شيخا له هو ربيعة ابن أبى عبد الرحمن فروخ المعروف بربيعة الرأى ، واحد مستشارى عمر بن عبد العزيز الخليفة العادل . فاطاعها ولزم ربيعة .. وتتلمذ أيضا على نافـــع مولى عبد الله بن عمر ، والامام جعفر بن محمد الباقر ، ومحمد مسلم الزهرى، وعبد الرحمن بن ذكوان ، ومحمد بن المنكدر ، وعبد الله بن دينار .. إلى جانب كثيرين آخرين من فقهاء التابعين ..

وطالب العلم الذى يعيش فى هذا الجو ينهل الثقافة ممن حملها واشربت فى قلبه محظوظ ولا شك ولا بد أن يتكشف عن موهبته قدرة هائلة يتقدم بهـــا الصفوف ويـــؤم الناس .

وهكذا كان فان الامام مالك ما لبث أن استساغ طلب العلم وهضم ثقافته هضما جيدا ادى به إلى ان يجلس للفتيا وأن يتبوأ كرسى الامامة والعلم ، فيصبح فقيها عالما صاحب مذهب .

فقــه الامام مالك :

لا يهمنا كثيرا البحث عن دقائق حياة فقيهنا الكبير بقدر ما يهمنا التعمق فى طريقته التى عالج بها مهمته التى اضطلع بها وهى البحث الفقهى واستنباط الحكم الشرعى ، وممارسة الاجتهاد .. إذ أننا بحاجة ماسة إلى فهم طبيعـــة الاجتهاد باعتباره سبيلنا الوحيد للخروج من هذه الفوضى التشريعية التى نعانى منهـــا ..

وقـــد أثرت الأجـــواء التى أحاطت بالامام مالك على الخطوط العريضة التى انتهجها فى فقهه واجتهاده ، فهو قد عاش فى المدينة المنـــورة مأوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومهبط الوحى ، وفيها كان يلتقى بالتابعين الذين أخذوا عن صحابة رسول الله مشافهة ، وورثوا فضلهم وتقاهم ، مما جعـــل لهم فى نفسه مكانة عظيمة .

وهو بطبيعة الحال يدرك أن الاسلام نصوص من عند الله سبحانه وتعالى: قرآن وسنة .

اصـــول فقهيـــة :

والقرآن الكريم عند مالك مقدم على غيره فما جاء به فهو الحـــق الذى لا يحاد عنه أبدا .. يستعين على فهمه بآياته يفسر بعضها بعضا ، وبالحديث النبـــوى الشريف بعض آيات القرآن .

واعتنى مالك **بالحـــديث** عناية كبيرة فانه كان واعيا حافظا ، يدقق فى رواية الحـــديث ، ولا يأخذه إلا ممن جمع الوعى مع الحفظ والفهم مع التقوى . وكان اذا شك فى أمر تركه كما قال عنه الشافعى رضى الله عنه .

وهو يقول فى هذا الشأن : « كتبت بيدى مائة الف حديث » وقـــال : « ان هذا العلم دين ، فانظروا عمن تأخذونه لقد أدركت سبعين ممن يقـــول : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند هذه الأساطين . واشار إلى أعمدة المسجد ــ فما أخذت عنهم شيئا ، وان أحدهم لو ائتمن على بيت مال لكان أمينا . الا أنهم لم يكونوا اهـــلا لهذا الشأن » .

وبحكم وجوده فى المدينة المنــورة ، وقرب مقامه من الرسول صلى الله عليه وسلم فان مهابته للحديث كانت على درجة كبيرة . وتقديره لآثار الرسول كان لها مكانة ضخمة فى نفس الامام مالك .

ويعتبر مالك **فتوى الصحابة** حكما شرعيا يؤخذ به لأن الصحابة رضوان الله عليهم هم أقرب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن هاجر ونصر ، وتلقى مشافهة عنه .

أما تفسير مفهوم **الاجماع** عند مالك فهو ما اجتمع عليه أهل الفقه والعلم .

وإلى جانب ذلك فمالك يعتمد على **عمل اهل المدينة** ويتخذه مصـــــدرا تشريعيا أو أصـــلا من أصـــول الفقه .. أى يعتبر عمل الصحابة دليـــــلا شرعيـــا ..

وهناك **القيــاس** وهو الحاق أمر بأمر لعلة جامعة بينهما ، وفى اعتبار مالك أن القياس دليل شرعى على الاحكام يعطيها الصفة الشرعية .. واخذه معتـــبر .

واضـــاف مالك إلى هذه المصادر التشريعية مصادر أربعة أخرى ظنها أصولا وليست بذاك كالاستحسان ، والعرف ، وســد الذرائع ، والمصالح المرسلة .. وهو لا يلجأ إلى هذه الأصول إلا بعد أن يعييه البحث فى الكتــاب والسنة والاجماع وعمل الصحابى والقياس ، وعمل أهل المدينة .. ومع هذا فهو يتحرز عن الأخذ بالمصالح المرسلة ويضع لها شروطا أن لا تتنافى المصلحة مع أصـــل من أصول الاسلام ، ولا مع دليل قطعى من أدلته .

وان تكون المصلحة مقبولة عند ذوى العقول .

وان يرتفع بها الحرج لقوله تعالى : « وما جعل عليكم فى الدين مـــن حـــرج » .

صلة مالك بالحكام :

كانت القاعدة التى يتبناها مالك فى تعامله مع الحكام وفى دعـــوة الآخرين للتعامل معهم واضحة تمام الوضوح وهى :

« أن العلم اشرف من أن يرتمى على أعتاب الحكام ، وينبغى أن يستعمل لتصحيح اعوجاجهم ، وقد أوقعت هذه التصرفات تجاه الحـــكام الامام مالك فى مآزق حتى أنه جلد فى المدينة زمن أبى جعفر المنصور بسبب فتواه التى اعتمد فيها على الحديث الشريف « ليس على المكره طلاق » والتى فسرت عن طريق القياس على الايمان التى يقسمها الناس عندما يبايعون الخليفة . ولكن مكانة مالك أجبرت المنصور على الامر بالعفو عنه .

وطلب المنصور مالك أن يحضر اليه فرفض .. فلما حج المنصور عــرج عليه فى المدينة فقابله وواســـاه ثم رغب إليه أن يجمع فقهـــه فى كتاب ليصبح مذهب الدولة كلها .. ولكن مالك ماطل فى ذلك ولم ينته من تدوين كتـــابه الموطأ إلا فى سنة تسع وخمسين والف اى بعد احد عشر عامـــا من تكليف المنصور إياه ، فمات المنصور قبل أن يتم الكتاب .

وهنـــا يبين مالك مسألتين هامتين وهما مسألة التقليد ، ومســألة التبنى .

فمسألة التقليد يدخل فيها موضوع الاجتماع والاتباع .. وفيها لا يجوز

الحجر على الاجتهاد ولا فرض المسائل على الناس بالقصر لان لكل مجتهـــد نصيب من الحق توصل اليه باجتهاده . وأما مسألة التبنى فانها مسألة تتعلق بالحاكم وهل يجوز له أن يأخذ براى واحد ويجبر الناس على تطبيقه .. وهنا لا يرضى مالك أن يكون هذا التبنى عاما شـــاملا لكل أحكام الفقه . لذلك فقد رفض مالك إجبار الناس على ما فى موطئه من أحكام عندما عـــاود سؤاله إلى ذلك هارون الرشيد .

الموطـــــا :

وكتاب الموطـــأ الذى دونه مالك هو كتاب فقه يجمع احاديث الرسول وعمل أهل المدينة وأقوال الصحابة أدلة على احكامه الفقهية .

فهو يقول : « اما اكثر ما فى الكتاب فرأى لعمرى ما هو براى ، ولكن ســـماع من غير واحد من أهل العلم والفضل والأئمة المهتدى بهم الذين اخذت عنهم . وهم الذين كانوا يتقون الله تعالى ، فكثر على فقلت رايى ، اذ كان رايهم رأى الصحابة الذين ادركوهم عليه ، وادركتهم انا على ذلك ، فهذا وراثـــة توارثوها قرنا عن قرون إلى زماننا ، وما كان رايا فهو رأى جماعة ممن تقدم من الأئمة .

وما كان فيه الأمر المجتمع عليه فهو ما اجتمع عليه من قول أهل الفقـــه والعلم لم يختلفوا فيه ، وما قلت : الامر عندنا ، فهو ما عمل الناس به عندنا ، وجرت به الأحكام وعرفه العام والخاص وكذلك ما قلت فيه : ببلدنا ، وما قلت فيه : بعض اهلها ، فهو شىء أستحسنه من قول العلماء .

واما ما لم اسمعه منهم ، فاجتهدت ونظرت على مذهب من لقيته ، حتى وقع ذلك موقع الحق او قريبا منه ، حتى لا يخرج عن مذهب أهل المدينة وارثهم . وان لم اسمع ذلك بعينه فنسبت الراى إلى بعد الاجتهاد مع السنة .. وما مضى عليه عمل أهل العلم المقتدى بهم ، والأمر المعمول به عندنا منذ لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم والأئمة الراشدين مع من لقيت ، فذلك رأيهم ما خرجت الى غيره » .

وهذه المقدمة توضح الطريق الذى اتبعه مالك فى فقهه واجتهاده ويمكن تلخيصها بأنها اعتماد على النصوص من الكتاب والسنة واقوال الصـــحابة والآثار من عمل أهل المدينة ، ثم الاجتهاد اى بذل الوسع فى استنباط الحكم الشرعى فى المسائل المستجدة التى لم يجد لها حكما .

وهى الطريق الواضح المبسوط لكل مجتهد بعد تقعيد القواعد الاصولية لفقهـــه .

وفـــاة مالك :

مرض مالك اثنين وعشرين يوما وكانت وفاته بالمدينة فى يوم الرابـــع عشر من ربيع الاول سنة ١٩٩ هجرية .

ودفن بمقبرة البقيع رضى الله عنه .

من غرائب المحاكمات



في التاريخ

بقلم : الاستاذ محمود مهدى استانبولى

نشرت مجلة المختار (ريدرزدايجست) فى احد أعدادها مقـالا بعنوان ((داروين فى قفص الاتهام)) بقلم (جون سوكبس) ذكر فيه قصة محاكمته ، لأنه قال : ان أصل الانســـان قرد .. كما يزعم داروين فى نظريته : ((النشـــوء والارتقاء)) التى تخالف ما جاء فى التوراة والانجيل .

وقد أصدر القاضى حكمه عليه بطرده من التعليم وتغريمه (١٠٠) مئة دولار مع المصاريف ، بناء على طلب هيئة المحلفين ، وكان عددهم اثنى عشر ، ثلاثة منهم لم يسبق لهم ان قرأوا اى كتاب سوى الانجيل ، واعترف واحد بانه لا يعرف القــراءة !

فما أجهل وأسخف نظام المحلفين البالى ، الذى لا يعرف الحق كحق ، انما يعرفه حسب صداه فى الراى العام مهما كان هذا الراى جاهلا وظالما .

وإلى القارىء وصف طريف لهذه المحاكمة الغريبة :

سرت دمدمة بين أفراد الجمهــور ، وأنا أتخذ مكانى فى قاعـــة المحكمة المزدحمة ببلدة ((دايتون)) الصغيرة بولاية تنيسى فى ذلك اليوم الشديد القيظ من

ايام يوليو ١٩٢٥ . وقد جلس الى جوارى امام منضدة الدفاع المحامى الأول عن كلارنس دارو أشهر محامى الجنـايات ، بينما جلس فى مواجهتنا نجم الادعاء وليام جننجز بريان الخطيب الذى اشتهر بزلاقة لسانه وهو يحرك فى وهن مروحة من سعف النخيـل .. وقد رشح الحـزب الديموقراطى بريان ثلاث مرات فى انتخابات الرئاسة ، وهو زعيم حركة ((الأصولية)) التى تدعو للتمسك بحرفية الكتاب المقدس ، والتى كانت السبب فى تقديمى للمحاكمة ..

كنت قبل ذلك ببضعة أسابيع مدرسا ثانوياً مغموراً فى بلدة جبلية صغيرة ، وهأنذا الآن أشترك فى محاكمة تذاع أنباؤها فى أنحاء العالم ، وقد جلس فى قاعة المحكمة استعدادا للشهادة فى صالحى ١٢ من مشاهير الأساتذة والعلماء وفى مقدمتهم البروفسور كيرت لى ماثر الأستاذ بجامعة هارفارد .. وكان هناك أكثر من مائة مخبر من مخبرى الصحف ومندوبى الاذاعة ، الذين جاءوا لأول مرة فى التاريخ لإذاعة إحدى المحاكمات التى تجرى امام هيئة من المحلفين ..

● ● ●

لقد أحاطت هذه القضية برأسى بعد وصولى الى بلدة « دايتون » بقليل ، لتدريس العلوم وتدريب فريق الكرة فى المدرسة الثانوية .. وكان هناك صـدام بين أنصار « الأصـولية » من أهالى البلدة ، وأنصـار النظريات الحـديثة ، فالأصوليون يتمسكون بالتفسير الحرفى للنصوص الدينية ، بينما يقبل الآخرون نظرية النشوء والارتقاء التى نادى بها عالم الأحياء البريطانى (تشارلس داروين) فى القرن التاسع عشر ، والتى تتلخص فى أن كل الحياة الحيوانيـة ، بما فيها القردة والانسان ، قد نشأت عن سلف مشترك .

وكان مذهب (الأصولية) قويا فى ولاية تنيس ، وقد أصـدر المجلس التشريعى للولاية أخيرا قانونا يحرم تدريس أية نظرية تنكر قصة الخلق كما وردت فى الانجيل ، وكان القانون الجديد يهدف بصفة خاصة الى تحريم نظرية داروين عن التطـور ، وقد اعتاد مهندس يدعى جورج رابلين أن يجلس فى « صيدليـة روبنسون » كل يوم حيث يجادل لفيفاً من أهل البلدة مهاجماً القانون .. وفى خلال مناقشة من هذه المناقشات قال رابلين انه ليس هناك مدرس يستطيع أن يدرس علم الأحياء ، دون أن يشرح نظرية النشوء والارتقاء ... ولما كنت مدرساً لعلم الاحياء ، فقد بعثوا فى طلبى لمعرفة رأيى ..

وجئت لأقول لهم رابلين على حق .. وعندئذ قال الصيدلى روبنسون :

ـــ اذاً فأنت تخرق القانون !

قلت :

ـــ وكذلك يفعل كل مدرس آخر .. فقد ورد شرح نظرية التطور فى كتاب هانتر عن علم الأحياء ، وهو الكتاب الذى ندرّسه للطلبة .

واقترح المهندس أن نحمل الأمر الى القضاء لنختبر مدى ما فيه من شرعية وعندما تلقيت قرار الاتهام فى ٧ مايو ، لم يكن هناك من يتوقع أن تصـبح قضيتى من أشهر المحاكمات التى دارت فى تاريخ الولايات المتحدة .. فقد أعلن « اتحاد الحريات المدنية » فى أمريكا أنه سينقل قضيتى الى المحكمـة الأمريكية العليا إذا دعا الحال ليقرر ما اذا كان للمدرس أن يذكر الحقيقة دون أن يلقـوا به فى السجن ، ثم تطوع بريان لمساعدة الولاية فى اثبات اتهامى، وعلى الفور عرض المحامى الكبير كلارنس دارو خدماته للدفاع عنى . والطريف أننى لم أكن أعرف دارو قبل ذلك .

وفى الوقت الذى بدات فيه المحاكمة يوم ١٠ يوليو ١٩٢٥ ، كانت بلدتنا التى لا يزيد عدد سكانها على ١٥٠٠ نسمة قد اصبحت اشبه (بالسيرك) ..

فقد امتلأت المبانى على طول الشارع الرئيسى بالاعلام والرايات ، وازدحمت الشوارع التى تحيط بمبنى المحكمة العتيق بمنصات مؤقتة لبيع السجق والكتب الدينية والبطيخ ، واقام بعض رجال الدين الانجيليين خياما للوعظ .

وبالإضافة الى دارو الداهية الذى يبلغ الثامنة والستين ، كان الدفاع عنى يتكون من المحامى الوسيم الساحر « راولى فيلد بالون » و « أرثر جارفيلد هايز » الهادىء المتبحر فى القانون .. وفى هذه المحاكمة التى يلعب فيها الدّين دوراً رئيسيا كان دارو يمثل الالحاد .. ومالون يمثل الكاثوليكية .. اما هايز فهو يهودى ، وجاء ابى من ولاية كنتكى ليكون الى جوارى خلال المحاكمة .

ودعا القاضى رولستون احد القسس المحليين ليفتتح الجلسة بالصلاة .. ثم بدات المحاكمة بإحضار المحلفين ، وقد ذكر ثلاثة من المحلفين الاثنى عشر انه لم يسبق لهم أن قرأوا اى كتاب سوى الانجيل ، واعترف واحد بأنه لا يعرف القراءة !

وبعد المناقشات الأولية على الشكليات القانونية ، نهض دارو ليلقى كلمته .. فقال :

ــ يقول صديقى المدعى العام ان (جون سكوبس) يعرف لماذا يمثل أمامنا اليوم ..

وأنا أعرف ايضا لماذا هو هنا .. انه هنا لأن الجهل والتعصب قد تحالفا معا وهو تحالف بالغ القوة ..

وجلس بريان يقرض بأسنانه أطراف مروحته المصنوعة من سعف النخيل ، بينما سار دارو ببطء فى ارجاء القاعة التى تتلظى من حرارة الجو ..

واستطرد يقول :

ــ انكم تحاكمون اليوم احد مدرسى المدارس العامة ، وغدا الخاصة .. وبعد ذلك محررى الكتب والصحف والمجلات .. وبعد فترة قليلة تطلقون الانسان على الانسان ، والدين ضد الدين .. حتى نسير القهقرى .. الى القرن السادس عشر المجيد ، الذى كان المتعصبون فيه يشعلون حزم الحطب ليحرقوا الرجال الذين يجرؤون على ادخال اى ذكاء أو تنوير أو ثقافة الى العقل البشرى .

وعندما أنهى دارو خطابه . همست سيدة بصوت مرتفع : هذا الكافر الملعون !

وفى اليوم التالى بدأت النيابة فى استدعاء شهود الإثبات ، فشهد اثنان من تلاميذى ، وهما ينظران إلىّ ، وعلى شفتيهما بسمة الخجل ، بأننى كنت أدرس لهما نظرية النشوء والارتقاء ..

ثم اضافا قائلين : ان هذه التجربة لم تسمم افكارهما !

وبعد أن انتهت الشهادة ، نهض بريان ليلقى كلمته على المحلفين ..

فقال : المسألة بسيطة ، فالمسيحى يؤمن بأن الانسان جاء من اعلى .. واصحاب نظرية التطور يؤمنون بأنه جاء من اسفل .. وهنا ضحك الجمهور مما شجع بريان على مواصلة حملته.، وكان يمسك فى يده كتابا لعلم الأحياء ، ويصيح ضد العلماء الذين جاؤوا الى البلدة ليشهدوا فى صالح الدفاع ..

وعندما انتهى بريان من كلمته الحماسية وقد برز فكه وتألقت عيناه صفق الحاضرون بشدة ..

وعلى الرغم من ذلك ، فقد بدا بوضوح أن أيام الحماسة البالغة التى كان بريان يكتسح فيها مؤتمر الحزب الديمقراطى اكتساح النار الهشيم قد ولت .. واحس الجمهور أن بطله لم يحرق الكفرة بأنفاسه الملتهبة كما كان يجب أن يفعل .

ونهض راولى مالون ليرد فقال :

إن مستر بريان ليس الوحيد الذى له الحق فى التحدث عن الانجيل ، بل هناك أشخاص آخرون فى هذه البلاد وهبوا حياتهم كلها لله والدين ، أما بريان فقد وهب اغلب حياته وحماسته للسياسة .

ورشف بريان بعض الماء بينما كان صوت مالون يزداد ارتفاعا وهو يدعو لحرية الثقافة ، واتهم بريان بأنه يدعو لصراع حتى الموت بين العلم والدين .

وعندما انتهى مالون ، ساد الصمت فى انحاء القاعة لحظة ، ثم انفجرت فجأة عاصفة مدوية من التصفيق ، فاقت ما لقيه بريان .. ووجدت نفسى أربت على ظهر مالون الذى كان العرق يبلل سترته .. ولكن على الرغم من أن مالون قد كسب جولة الخطابة ، فان القاضى رولستون رفض أن يسمح للعلماء بالشـــهادة لصالح الدفاع .

وبعد أن تأجلت الجلسة ، امتلأت شوارع البلدة بالغرباء .. كان الباعة يصيحون على سلعهم فى كل ركن ، وكان هناك ٢٢ من عمال التلغرافات يرسلون كل يوم ١٦٥ الف كلمة عن المحاكمة .

وبسبب الحرارة الشديدة والخوف من انهيار سقف مبنى المحكمة القـــديمة تحت ثقل الحشود المزدحمـــة ، فقد تقرر استئناف المحاكمة فى الخـــارج تحت الأشجار العالية . وبلغت المحاكمة ذروتها عندما تمسكت النيابة بوجوب تفسير الكتاب المقدس حرفيا وفقا لنص القانون المعـــادى لنظرية داروين ، وعندئذ كشف المحامى دارو عن ورقته الرابحة . بدعوة بريان نفسه للشهادة لصـــالح الدفـــاع !

ونظر القاضى اليه فى ذهول ..

وعندئذ قال دارو :

ـ اننا ندعوه بصفته خبيرا فى الانجيل .. وسمعته كخبير فى النصوص المقدسة ، معروفة فى انحاء العالم !

وساورت الشكوك بريان ، حيال دعوة دارو الداهية .. ولكنه لم يستطع أن يرفض هذا التحدى ، فقد ظل بضع سنوات يحاضر ويكتب عن الكتاب المقدس ويشن حملة عنيفة على نظرية داروين فى انحـــاء الولاية حتى قبل أن يصـــدر القانون الذى يحرم تدريسها ..

وتلا دارو نصاً من سفر التكوين يقول : « والمساء والصباح كانا اليـــوم الأول » .

ثم سأل بريان عما اذا كان يعتقـــد أن الشمس قد خلقت فى اليوم الرابع فقال بريان أنه يعتقد ذلك .

وعاد دارو يسأله :

ـ وكيف يتسنى أن يكون هناك صبح ومساء بلا شمس ..؟!!

فمسح بريان صلعته اللامعة فى صمت .. وسرت قهقهة بين الحضور حتى الأتقياء منهم ، بينما اخذ دارو يحكم وثاق الطوق الذى يطوق به عنق بريان .. فسأله عما اذا كان يعتقد حرفياً فى قصة حواء . فأجاب بريان بالإيجـــاب .. فقال دارو :

— وهل تعتقد أن الله عاقب الحية بأن حكم على كل الحيات بعدئذ أن تزحف على بطونها الى الأبد (١) .

— أجل .. اننى أؤمن بذلك ..

— حسنا .. هل تعرف كيف كانت الحية .. تسير قبل ذلك .. ؟

وعندئذ انفجر الجمهور ضاحكا . واحمر وجه بريان وارتفع صوته فى حشرجة ، واهتزت المروحة فى يده . ودق القاضى مطرقته لإسكات الجمهور ، ثم أجل المحاكمة لليوم التالى ..

ووقف بريان المخذول وحده .

وفى ظهر اليوم التالى طلب القاضى الى المحلفين أن يصدروا قرارهم ، فاختلوا فى أحد أركان حديقة المحكمة ، وظلوا يتبادلون الهمس تسع دقائق ، ثم صدر حكمهم بأننى مذنب ..!

وأصدر القاضى رولستون حكمه بتغريمى ١٠٠ دولار مع المصاريف ..

وقد وصف ورادلى فيلد مالون هذا الحكم بأنه (هزيمة منتصرة) واشارت بعض صحف الجنوب — التى لا تزال مخلصة لبطلها المخذول بريان — الى الحكم باعتباره انتصارا له ، ولكن بريان كان حزينا مجهدا . فمات بعد يومين من صدور الحكم فى بلدة دايتون !

وعرض علىّ أن اعود لوظيفتى كمدرس ، ولكننى رفضت ، فقد حصل بعض الأساتذة الذين جاؤوا للشهادة فى صالحى على منحة لى من جامعة شيكاغو ، لأتمكن من متابعة دراسة العلوم . وأصبحت فيما بعد خبيرا جيولوجياً لإحدى شركات البترول فى لويزيانا وأمريكا الجنوبية .

ومنذ فترة قصيرة ، عدت الى « دايتون » لأول مرة منذ محاكمتى التى تمت منذ ٣٥ عاما .. وبدت البلدة الصغيرة فى نظرى كما كانت تقريبا . فيما عدا جامعة « وليام بريان » التى اقيمت فوق قمة تل يطل على الوادى .

وكانت هناك بعض تغيرات أخرى أيضا . فمذهب التطور أصبح يدرس فى ولاية تنيسى بالرغم من أن القانون الذى أداننى لا يزال قائما واجتاحت العاصفة الخطابية التى نفخها كلارنس دارو ورادلى مالون كل المدارس والجمعيات التشريعية فى انحاء أمريكا ، وكأنها الريح المنعشة التى تجلب فى أعقابها جوا جديدا من الحرية الثقافية والعلمية تنمو على مر السنين(٢) .

● ● ●

وهكذا انهزم بريان محامى الادعاء معنوياً أمام الجماهير نتيجة دفاع دارو محامى الدفاع وانهزمت بانهزامه التوراة التى اتضح انها تناقض العلم والتجربة والمشاهدة مناقضة لا تدع مجالا للشك !

وقد سرت موجة الإلحاد فى الغرب بسبب ذلك ما دام ان الدين يخالف العلم

والحق ان دارو كان خبيثاً فى دفاعه ، كما كا نبريان مفملا فى ادعائه ، فقد كان يكفيه أن يطالب بعقوبة المعلم لتدريسه نظرية لا تزال قيد التجربة ، وقد رفضها كثير من العلماء وأثبتوا مناقضتها للعلم ، ويعتبر الأسئلة السابقة لدارو عما جاء فى التوراة ، خروجاً عن الموضوع ، وتهريباً من الجريمة .

ولكن شاءت الأقدار الإلهيــة أن يتضح ما فى التوراة من مخالفات للحقيقة العلمية والمشاهدة الحسية نتيجة تحريفها كما اعترف بذلك كثير من المؤرخين الغربيين أنفسهم ..

وقد أصدرت مجلة (لايف) العالمية عددا خاصا باسم (الكتاب المقدس) نقتطف منه ما يلى على قاعدة من فمك أدينك .

تقول هذه المجلة :
هذا الكتاب الذى نحن بصدده أوسع الكتب انتشاراً .. ولكنه مع ذلك كتاب إنسان !! ان مؤلفيه يحملون أسماء ذائعة الصيت .. ولكن أغلب كلمـاته كتبها أشخاص آخرون لا يعرف أحد من هم !! ولا يمكن معرفتهم فى يوم من الأيام لقد ظل الوحى الإلهى الى الانسان ينتقل من الأب الى الابن ألف سنة تقريبا بعد (ابراهيم) من غير أن يكتب ! وبعد ذلك فقط بدأ اليهود فى تدوينه ! وكان ذلك قبل ألف سنة أخرى جديدة. وقد استلزم الأمر أن تعاد كتابة لفائفهم .ة مرات . وأن تنقل وتنسخ . مما أوجد فرصا أخرى جديدة لا تحصى لتغييرات لا عد لها ، وبعضها مقصود !!
والبعض الآخر غير مقصود . ولما بدأت المسيحية تنتشر بسرعة ، ازدادت الحاجة الى عمل نسخ جديدة ، لا سيما (العهد الجديد) وأخذ كثير من المؤمنين يصنعون نسخا لأنفسـهم ، أو كان أحدهم يقرأ بصـوت مرتفع فى (النسخ) بينما كان يتلقى عنه ما يقرب من اثنى عشر ناسخا ، وهذا ما مهـد الطريق لاخطاء أكثر وأكثر !!
لذلك فإنه لا يوجد اليوم أى نص (أصلى) لأى جزء من هذا الكتاب !! وربما حوى (العهد الجديد) تغييرات أكثر وأبلغ من (العهد القديم) !! هـ ..
ونورد فيما يلى مثالا من تحريف التوراة على مر السنين من أصل مئات الأمثلة ما جاء فى ترجمة سفر التكوين المطبوعة سنة ١٨١١ « هكذا سمى ابراهيم اسم الموضع مكان يرجم الله زائره » .
وفى ترجمته المطبوعة سنة ١٨٤٤ وردت هذه الفقرة هكذا « دعا ابراهيم اسم ذلك المكان : الرب يرى » .
وفى سفر التكوين فى النسخ المتداولة اليوم .
« فدعا ابراهيم اسم ذلك المكان : يهوه يراه » .
أنظر الاصحاح الثانى والعشرين الفقرة الرابعة عشرة منه .
ومن أعظم الأدلة على تحريف التوراة ما جاء فيها من انحرافات أخـلاقية فى حق الأنبياء المعصومين الذين أرسلوا لهداية البشر وتهذيبهم والى القارىء بعض الأمثلة على ذلك ..
أولا : النبى لوط زنا بابنتيه (سفر التكوين الاصحاح ١٩ الفقرة ٣٠) .
ثانيا : أحد أولاد يعقوب يزنى بسرية أبيه (سفر التكوين : ٣٥ : ٢٢) .
ثالثا : النبى يهوذا بن يعقوب يزنى بكنته (سفر التكوين : ٣٨ — ٦) .
رابعا : داود يزنى بامرأة قائده أوريا (سفر صموئيل الثانى : ١١ — ٢) .
خامسا : أحد أولاد داود يزنى بأخته (صموئيل : ٢ — ١٣) .
سادسا : النبى سليمان يعبد الأصنام (سفر الملوك الأول : ١١) .
سابعا : تغزل هذا النبى بالنساء تغزلا فاحشا ويهيم بهن كأحـد العشاق الفساق (نشيد الأنشاد) .
ولم يكتف محرفو التوراة بنسبة الزنا الى الانبياء ، بل راحوا ينسبونه الى الله نفســه ! « تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا » راجع ســفر حزقيال (الاصحاح الثالث والعشرون) .



نعود بعد هذا الاستطراد الى نظرية داروين التى صالت وجالت فى القرن الماضى ، وكانت سببا فى الحاد الكثيرين وارتمائهم فى أحضان الشهوات البهيمية

بعد ما زعمت أن أصل الانسان حيوان ، وقد تبع ذلك انكار الإله والبعث ..

نعود لهذه النظرية لنثبت انهيارها وضلالها وجهل واضعها ، باعتراف كبار أنصارها وأشدهم تحمسا لها .

قال جوليان هكسلى معلناً بكل صراحة تفرد الانسان واستقلاله عن جميع الحيوانات .

« وبعد نظرية داروين لم يعد الانسان مستطيعا تجنب اعتبار نفسه حيوانا ولكنه بدأ يرى نفســـه حيواناً غريباً جداً . وفى حالات كثيرة لا مثيل له . ولا يزال تحليل تفرد الانسان من الناحية البيولوجية غير تام »(٣) .

وإذن فالانسان متفرد فى كيانه البيولوجى ذاته .. الذى ظن فيه داروين المشابهة الكاملة للحيوان ، وبنى عليه تفسيره الحيوانى للانسان !

ويسرد هكســـلى الواناً من هـــذا التفرد البيـــولوجى . من بينها انه فى الحيوانات كلها ترتبط العضـــلات بالمخ بنوعين من الأعصاب ، أحدهـــا يتصل بالعضـــلات القابضة ، والثانى يتصل بالعضـــلات الباسطة ، ولا يصدر مخ الحيوان إلا نوعاً واحداً من الاشارات فى اللحظة الواحدة . فإما إشارة للعضلات القابضة ، وإما إشارة للعضلات الباسطة ، فالكلب اما أن يهرش واما أن يجرى فى اللحظة الواحدة ، ولا يستطيع أن يهرش ويجرى معاً فى ذات الوقت . أما الانسان ، فهو ــ وحده فى هذه الخلائق كلها ــ الذى يستطيع أن يقوم بأعمـــال متعارضة فى آن واحد ، لأن مخه يستطيع أن ينسق بين الاعمال المتعارضة(٤) !

ويتحدث هكسلى عن « خواص » الانسان البيولوجية فيقول :

« وأولى خواص الانسان الفذة وأعظمها وضـــوحاً ، تدرته على التفكير التصويرى ، واذا كنت تفضل استخدام عبارات موضوعية ، فقل : استخدامه الكلام الواضح .

« ولقد كان لهذه الخاصية الاساسية فى الانســـان نتائج كثيرة ، وكان اهمها نمو التقاليد المتزايدة .. »

« ومن أهم نتائج تزايد التقاليد ــ أو إذا شئت ــ من أهم مظاهره الحقيقية ما يقوم به الانسان من تحسين فيما لديه من عدد وآلات ..

« وإن التقاليد والعدد لهى الخواص التى هيأت للانسان مركز السيادة بين الكائنات الحية . وهذه السيادة البيولوجية فى الوقت الحاضر خاصية اخرى من خواص الانسان الفذة .

ولم يتكاثر الانسان فحسب ، بل تطور ، ومدّ نفوذه ، وزاد من تنوع سبله

« وهكذا يضع علم الحياة الانسان فى مركز مماثل لما أنعم به عليه كسيد المخلوقات ، كما تقول الأديان .

« ولقد أدى الكلام والتقاليد والعدد الى كثير من خواص الانسان الاخرى ، التى لا مثيل لها بين المخلوقات الأخرى ، ومعظمها واضح معروف .. ولذلك أرى عدم التعرض لها حتى أنتهى من التحدث عن الخواص غير المعروفة كثيراً ، لأن الجنس البشرى ــ كنوع ــ فريد فى صفاته البيولوجية الخالصة . ولم تلق تلك الصفات من العناية ما تستحق ، سواء من وجهة نظر علم الحيوان ، أو من

وجهة نظر علم الاجتماع .

« ... وأخيرا فإن الانسان لا مثيل له بين الحيوانات الراقية فى طريقة تطوره » .

ويقول هكسلى أيضا فى موضع آخر :

« ... وهذه الخواص التى امتاز بها الانسان ، والتى يمكن تسميتها « نفسية » أكثر منها « بيولوجية » تنشأ من خاصية أو أكثر من الخواص الثلاث الآتية:

« الأولى » قدرته على التفكير الخاص والعام .

« الثانية » التوحيد النسبى لعملياته العقلية ، بعكس انفصام العقل والسلوك عند الحيوان .

« الثالثة » وجودات الوحدات الاجتماعية مثل القبيلة والأمة والحزب والجماعة الدينية ، وتمسك كل منها بتقاليدها وثقافتها .

« وهناك نتائج ثانوية كثيرة لتطور العقل من مرحلة ما قبل الانسان الى مرحلة الانسان (٥) ، وهى بلا شك فريدة من الناحية البيولوجية . ولنذكر منها العلوم الرياضية البحتة والمواهب الموسيقية ، والتقدير والابداع الفنيين ، والدين ، والحب المثالى ..

« ولكن لا يكفى هنا أن نحصى بعض أوجه النشاط ، ففى الحقيقة أن معظم أوجه النشاط الانسانى وخواصه ، نتائج ثانوية لخواصه الأصلية . وكذلك فهى فذة من الناحية البيولوجية !!.. وقد يكون لتفرد الانسان نتائج ثانوية أخرى لم تستغل بعد ... »

« وبذلك يكون الانسان فريدا فى أحواله أكثر مما نظن الآن »(٦) .

وقال العالم الأمريكى : « ا. كريسى موريسون » فى كتابه :
" Man does not alons " الذى ترجمه الى العربية الأستاذ محمود صالح الفلكى بعنوان « العلم يدعو الى الايمان » .

« ان القائلين بنظرية التطور (النشوء والارتقاء) لم يكونوا يعلمون شيئا عن وحدات الوراثة » (الجينات) !! ص ١٤٥ .

« لقد رأينا أن « الجينات » متفق على كونها تنظيمات أصغر من الميكروسكوبية للذرات فى خلايا الوراثة بجميع الكائنات الحية ، وهى تحفظ التصميم ، وكل السلف ، والخواص التى لكل شىء حى . وهى تتحكم تفصيلا فى الجذر والجذع والورق والزهر والثمر لكل نبات ، تماما كما تقرر الشكل والشعر والأجنحة لكل حيوان بما فيه الانسان » (ص ١٤٧) .

« .. ويلاحظ أن جميع الكائنات الحية ، منفصل بعضها عن بعض بهوات كثيفة لا يمكن عبورها !! حتى ان الحيوانات المتقاربة ينفصل بعضها عن بعض كذلك » .

« والانسان حيوان من رتبة الطليعة ، وتكوينه يشبه فصائل « السيميا »

(الاورانجتان والغوريلا والشمبانزى) ولكن هذا الشبه الهيكلى ليس بالضرورة برهانا على أننا من نسل أسلاف سينمائية (من القرود) أو أن تلك القرود هى ذرية منحطة للانسان ، ولا يمكن أحد أن يزعم أن سمك القد (Cod) قد تطور من سمك الحساس وإن يكن كلاهما يسكن المياه نفسها ، ويأكل الطعام نفسه ، ولهما عظام تكاد تكون متشابهة .. » (ص ١٤٢) .

« إن ارتقاء الانسان الحيوانى الى درجة كائن مفكر شاعر بوجوده هـو خطوة أعظم من أن تتم عن طريق للتطور المادى ، ودون قصد ابتداعى » .

« وإذا قبلت واقعية القصد ، فان الانسان بوصفه هذا قد يكون جهازاً ، ولكن ما الذى يدير هذا الجهاز ؟ لأنه بدون أن يدار ، لا فائدة منه ، والعلم لا يعلل من يتولى إدارته ، وكذلك لا يزعم أنه مادى ! »

« لقد بلغنا من التقدم درجة تكفى لأن نوقن بأن الله قد منح الانسان قبساً من نوره ، ولا يزال الانسان فى طور طفولته من جهة الخلق ، وقد بدأ يشـعر بوجود ما يسـميه « بالروح » وهو يرقى فى بطء ليدرك هـذه الهيئة بغريزته بأنها خالدة » . ؟

هذا ـــ ومن أهم ما ينبغى الاشارة اليه أن دارون لم يكن ملحداً ـــ كمـا يقولون(٧) ـــ بما أدت نظريته الى انتشار الالحاد بين الناس . وقد كان من أهم غاياته رد المخلوقات الكبيرة الى الحيوانات الصغيرة البسيطة بظنـه ، ليعلل طريقة وجود الحياة على الأرض لانقاذ العلم من الوقوف عاجزاً عن إيجاد تعليل صحيح لها .

وقد كان مخطئاً خطأ فاحشاً فيما ذهب اليه من ظنه ببساطة هذه المخلوقات التى زعمها بدائية نشأت فى الطبيعة أول ما نشأت ثم تطورت منها الحيوانات الأخـرى .

يقول « رسل تشارلز إرنست » أستاذ الأحياء والنبات بجامعة فرنكفورت بألمانيـا :

« لقد وضعت نظريات عديدة لكى تفسر نشأة الحياة من عالم الجمادات ، فذهب بعض الباحثين إلى أن الحياة قد نشأت من البروتوجين ، أو من الفيروس ، أو من تجمع بعض الجزئيات البروتينيةالكبيرة ، وقد يخيل الى بعض الناس أن هذه النظريات قد سدت الفجوة التى تفصل بين عالم الأحياء ، وعالم الجمادات . ولكن الواقع الذى ينبغى أن نسلم به هو أن جميع الجهود التى بذلت للحصول على المادة الحية من غير الحية قد باءت بفشل وخذلان ذريعين . ومع ذلك فإن من ينكر وجود الله لا يستطيع أن يقيم الدليل المباشر للعالم المتطلع ، على أن مجرد تجمع الذرات والجزئيات عن طريق المصادفة ، يمكن أن يؤدى الى ظهور الحياة وصيانتها وتوجيهها بالصورة التى شاهدناها فى الخـلايا الحية . وللشخص مطلق الحرية فى أن يقبل هذا التفسير لنشأة الحياة ! فهذا شأنه وحده ! ولكنه إذ يفعل ذلك إنما يسلم بأمر أشد اعجازاً وصعوبة على العقل من الاعتقـاد بوجود الله ، الذى خلق الأشياء ودبرها .

« إننى أعتقد أن كل خلية من الخلايا الحية قد بلغت من التعقد درجة يصعب علينا فهمها وأن ملايين الملايين من الخلايا الحية الموجودة على سطح الأرض

نشهد بقدرة الله شهادة تقوم على الفكر والمنطق . ولذلك فاننى أؤمن بوجود الله ايمانا راسخا »(٨) .

وهكذا انهارت نظرية دارون وانهار معها الالحاد الذى نجم بسببها ، وثبت أن الانسان جاء من الأعلى لا من الأسفل . .

ومما يؤسف له ويحز فى النفس أن هذه النظرية الهدامة التى أثبت العلم فشلها وضلالها فى الغرب والفت المجلدات فى البرهنة على بطلانها ، لا تزال تدرس فى كثير من معاهدنا وجامعاتنا كأعظم حقيقة علمية ، مما يدل على أن هناك مخططات مرسومة لافساد النشء الاسلامى والقائه فى هوة الالحاد ، ليعمل هدماً فى كيان أمته ويتهالك على الشهوات والموبقات ما دامت حياته ــ كما تقول النظريات الإلحادية ــ صائرة الى الفناء والاضمحلال ، وما دام ليس هناك مثل عليا مقدسة ، فكل شىء فى تطور ، حتى الأخــلاق فما هو فضيلة اليــوم رذيلة غدا . .

وهكذا يعمل الأعداء على هدم معاقل المقاومة فى الأمة الاسلامية .

جاء فى « بروتوكولات زعماء صهيون » :

« إن دارون ليس يهوديا ، ولكننــا استطعنا كيف نستخدم نظريتــه لهدم الأخلاق وانحراف الشباب غير اليهودى ، ليفسح لنا المجال لحكم العالم . . »
فهل من معتبر . .

---

(١) ونص الفقرة فى الاصحاح الثالث من سفر التكوين : « .. على بطنك تسعين ، وترابا تاكلين كل أيام حياتك » وترى هل تتغذى الحيــة بالتراب ؟! أرجو جواب المشاهدة العلم والتجربة !!
(٢) المجلد ٣٨ العدد ٧ الصادر فى نيسان (ابريل) ١٩٦٥ .
(٣) جوليان هكسلى ــ الانسان فى العالم الحديث ــ ص ٣ .
(٤) المصدر السابق ص : ٢٧ ــ ٢٩ .
(٥) هذا رأى هكسلى الخاص وقد نقضه بنفسه مرارا .
(٦) من كتاب « الانسان فى العالم الحديث » ترجمة الاستاذ حسن خطاب .. مقتطفات متفرقة .
(٧) المصدر السابق مقتطفات من ص ٣ ــ ص ٦ .
(٨) مقال « الخلايا الحية تؤدى رسالتها » فى كتاب « الله يتجلى فى عصر العلم » .

فضل الجهاد

إن الجهاد فى سبيل الله من افضل القربات، ومن اعظم الطاعات ، بل هو افضل ما تقرب به المتقربون وتنافس فيه المتنافسون بعد الفرائض ، وما ذاك إلا لما يترتب عليــه من نصر المؤمنين وإعــلاء كلمة الدين ، وقمـــع الكافرين والمنافقين وتسهيل انتشار الدعوة الاسلامية بين العالمين ، واخراج العباد من الظلمات إلى النور ونشر محاسن الاسلام واحكامه العادلة بين الخلق أجمعين ، وغير ذلك من المصالح الكثيرة والعواقب الحميدة للمسلمين ، وقد ورد فى فضله وفضل المجاهدين من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ما يحفز الهمم العالية ، ويحرك كوامن النفوس الى المشاركة فى هذا السبيل ، والصدق فى جهــاد اعداء رب العالمين وهو فرض كفاية على المسلمين إذا قام به من يكفى سقط عن الباقين ، وقد يكون فى بعض الأحيان من الفرائض العينية التى لا يجــوز للمسلم التخلف عنها الا بعذر شرعى كما لو استنفره الامام او حصر بلــده العدو او كان حاضرا بين الصفين والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة معلومة ، وممــا ورد فى فضل الجهاد والمجاهدين من الكتاب المبين قوله تعالى : (انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ، لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم أنهم لكاذبون ، عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الــذين صدقوا وتعلم الكاذبين ، لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين . إنما يستأذنك الــذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فــى ريبهم يترددون) ..

ففى هذه الآيات الكريمات يامر الله عباده المؤمنين ان ينفروا إلى الجهاد خفافا وثقــالا اى شيبا وشبانا وأن يجاهدوا بأموالهم وانفسهم فى سبيل الله ، ويخبرهم عز وجل أن ذلك خير لهم فى الدنيا والآخرة ، ثم يبين سبحانه حــال المنافقين وتثاقلهم عن الجهاد وسوء نيتهم ، وأن ذلك هلاك لهم بقوله عز وجل :

والمجاهدين

للشيخ عبد العزيز بن باز

« لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لا تبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة » الآية ، ثم يعاتب نبيه .. صلى الله عليه وسلم ـ عتابا لطيفا على إذنه لمن طلب التخلف عن الجهاد بقوله سبحانه : « عفا الله عنك لم أذنت لهم » ، ويبين عز وجل أن في عدم الاذن لهم تبين الصادقين وفضيحة الكاذبين ، ثم يذكر عز وجل أن المؤمن بالله واليوم الآخر لا يستأذن في ترك الجهاد بغير عذر شرعي لأن إيمانه الصادق بالله واليوم الآخر يمنعه من ذلك ، ويحفزه إلى المبادرة الى الجهاد والنفير مع اهله ، ثم يذكر سبحانه أن الذي يستأذن في ترك الجهاد هو عادم الايمان بالله واليوم الآخر المرتاب فيما جاء به الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفي ذلك اعظم حث وابلغ تحريض على الجهاد في سبيل الله ، والتنفير من التخلف عنه ، وقال تعالى في فضل المجاهدين : « إن الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » ..

ففي هذه الآية الكريمة الترغيب العظيم في الجهاد في سبيل الله عز وجل وبيان أن المؤمن قد باع نفسه وماله لله عز وجل ، وأنه سبحانه قد تقبل هذا البيع وجعل ثمن اهله الجنة وانهم يقاتلون في سبيله فيقتلون ويقتلون ، ثم ذكر سبحانه انه وعدهم بذلك في اشرف كتبه واعظمها التوراة والانجيل والقرآن ، ثم بين سبحانه انه لا احد اوفى بعهده من الله ليطمئن المؤمنون الى وعد ربهم ويبذلوا السلعة التي اشتراها منهم وهي نفوسهم واموالهم في سبيله سبحانه عن إخلاص وصدق وطيب نفس حتى يستوفوا اجرهم كاملا في الدنيا والآخرة ، ثم يأمر سبحانه المؤمنين ان يستبشروا بهذا البيع لما فيه من الفوز العظيم والعاقبة الحميدة والنصر للحق والتأييد لأهله وجهاد الكفار والمنافقين وإذلالهم ونصر اوليائه عليهم وافساح الطريق لانتشار الدعوة الاسلامية في ارجاء المعمورة ، وقال عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة

تنجيكم من عذاب أليم • تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون • يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنـــات عدن ذلك الفوز العظيم • وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين » ..

ففى هذه الآيات الكريمات الدلالة من ربنا عز وجل على أن الايمان بالله ورسوله والجهاد فى سبيله هما التجارة العظيمة المنجية من العـــذاب الأليم يوم القيامـــة ، ففى ذلك أعظم ترغيب وأكمـــل تشويق إلى الايمان والجهاد ، ومن المعلوم أن الايمان بالله ورسوله يتضمن توحيد الله وإخلاص العبادة لـــه سبحانه ، كما يتضمن أداء الفرائض وترك المحارم ، ويدخل فى ذلـــك الجهـــاد فى سبيل الله لكونه من أعظم الشعائر الاسلامية ومن أهم الفرائض ، ولكنـــه سبحانه خصه بالذكر لعظم شأنه ، وللترغيب فيه لما يترتب عليه من المصالح العظيمة والعواقب الحميدة التى سبق بيان الكثير منها ، ثم ذكـــر سبحانه ما وعد الله به المؤمنين المجاهدين من المغفرة والمساكن الطيبة فى دار الكرامـــة ليعظم شوقهم إلى الجهاد ، وتشتد رغبتهم فيه ، وليسابقـــوا إليه ويسارعـــوا فى مشاركة القائمين به ، ثم أخبر سبحانه أن من ثواب المجاهدين شيئا معجلا يحبونه وهو النصر على الأعداء والفتح القريب على المؤمنين ، وفى ذلك غايـــة التشويق والترغيب ..

والآيات فى فضل الجهاد والترغيب فيه وبيان فضل المجاهدين كثيرة جدا ، وفيما ذكر سبحانه فى هذه الآيات التى سلف ذكرها ما يكفى ويشفى ويحفـــز الهم ويحرك النفوس إلى تلـــك المطالب العالية والمنازل الرفيعة والفوائد الجليلة والعواقب الحميدة ، والله المستعان ..

أما الأحاديث الواردة فى فضل الجهاد والمجاهدين ، والتحذير من تركـــه والاعراض عنه فهى أكثر من أن تحصر ، وأشهر من أن تذكر ، ولكن نذكـــر منها طرفا يسيرا ليعلم المجاهد الصادق شيئا مما قاله نبيه ورسوله الـــكريم عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم فى فضل الجهاد ومنزلة أهله ، ففى الصحيحين عن سهل بن سعد ــ رضى الله عنه ــ قال قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها ، والروحة يروحها العبد فى سبيـــل الله ، أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها » ، وعن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « مثل المجاهد فى سبيل الله ــ والله أعلم بمن يجاهد فى سبيله ــ كمثل الصائم القائم ، وتوكل الله للمجاهد فى سبيله إن توفاه أن يدخلـــه الجنة او يرجعه سالما مع أجر أو غنيمة) خرجه مسلم فى صحيحه ، وفى لفظ لـــه : « تضمن الله لمن خـــــرج فى سبيله لا يخرجه إلا جهاد فى سبيلى وإيمان بى وتصديق برسلى فهو علي ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الـــذى خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة » ، وعن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال قال رسول الله ــ صلى الله عليـــه وسلم ــ : « ما من مكلوم يكلم فى سبيل الله إلا جاء يوم القيامـــة وكلمه يدمى اللون لون الـــدم والريح ريح المسك » متفق عليه ، وعن أنس ــ رضى اللـــه عنه ــ أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : « جاهدوا المشركين بأموالـــكم

وأنفسكم وألسنتكم)) رواه أحمد والنسائي وصححه الحاكم ، وفي الصحيحين عن النبي — صلى الله عليه وسلم أنه سئل أي العمل أفضل ، قال : ((إيمان بالله ورسوله)) قيل ثم ماذا ، قال : ((الجهاد في سبيل الله)) قيل ثم ماذا ، قال : ((حج مبرور)) متفق على صحته ، وعن أبي عبس بن جبر الأنصاري — رضي الله عنه — قال قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : (ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار) رواه البخاري في صحيحه ، وفيه أيضا عن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : (إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض) ، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : (من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه به مات على شعبة من نفاق) ، وعن ابن عمر — رضي الله عنهما — قال سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : (إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه شيء حتى ترجعوا إلى دينكم) رواه أحمد وأبو داود وصححه ابن القطان ، وقال الحافظ في البلوغ رجاله ثقات ، والأحاديث في فضل الجهاد والمجاهدين وبيان ما أعد الله للمجاهدين الصادقين من المنازل العالية ، والثواب الجزيل ، وفي الترهيب من ترك الجهاد والاعراض عنه كثيرة جداً ، وفي الحديثين الآخيرين ، وما جاء في معناهما الدلالة على أن الاعراض عن الجهاد وعدم تحديث النفس به من شعب النفاق ، وأن التشاغل عنه بالتجارة والزراعة والمعاملات الربوية من أسباب ذل المسلمين وتسليط الأعداء عليهم كما هو الواقع ، وأن ذلك الذل لا ينزع عنهم حتى يرجعوا إلى دينهم بالاستقامة على أمر الله والجهاد في سبيله ، فنسأل الله أن يمن على المسلمين جميعا بالرجوع إلى دينه وان يصلح قادتهم ويصلح لهم البطانة ويجمع كلمتهم على الحق ويوفقهم جميعا للفقه في الدين والجهاد في سبيل رب العالمين حتى يعزهم ويرفع عنهم الذل ، ويكتب لهم النصر على أعدائه وأعدائهم إنه ولي ذلك والقادر عليه ..

المقصود من الجهاد :

الجهاد جهادان ، جهاد طلب ، وجهاد دفاع ، والمقصود منهما جميعا هو تبليغ دين الله ودعوة الناس إليه واخراجهم من الظلمات إلى النور ، وإعلاء دين الله في أرضه وأن يكون الدين كله لله وحده كما قال عز وجل في كتابه الكريم من سورة البقرة : ((وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله)) ، وقال في سورة الأنفال : ((وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله)) ، وقال عز وجل في سورة التوبة : ((فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم)) ، والآيات في هذا المعنى كثيرة وقال النبي — صلى الله عليه وسلم — : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الاسلام وحسابهم على الله عز

وجل) متفق على صحته من حديث ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ ، وفى الصحيحين عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله) ، وفى صحيح مسلم عنه أيضا ـ رضى الله عنه ـ قال قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويؤمنوا بى وبما جئت به) ، وفى صحيح مسلم أيضا عن طارق الأشجعى ـ رضى الله عنه ـ قال قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (من وحد الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل) ، والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة ، وفى هذه الآيات والأحاديث الدلالة الظاهرة على وجوب جهاد الكفار والمشركين وقتالهم بعد البلاغ والدعوة الى الاسلام ، وإصرارهم على الكفر حتى يعبدوا الله وحده ويؤمنوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم ويتبعوا ما جاء به ، وأنه لا تحرم دماؤهم وأموالهم إلا بذلك وهى تعم جهاد الطلب ، وجهاد الدفاع ، ولا يستثنى من ذلك إلا من التزم بالجزية بشروطها إذا كان من أهلها عملا يقول الله عز وجل : (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) ، وثبت عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه أخذ الجزية من مجوس هجر ، فهؤلاء الأصناف الثلاثة من الكفار وهم اليهود والنصارى والمجوس ثبت بالنص أخذ الجزية منهم فالواجب أن يجاهدوا ويقاتلوا مع القدرة حتى يدخلوا فى الاسلام أو يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، أما غيرهم فالواجب قتالهم حتى يسلموا فى أحد قولى العلماء لأن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قاتل العرب حتى دخلوا فى دين الله أفواجا ، ولم يطلب منهم الجزية ، ولو كان أخذها منهم جائزا تحقن دماؤهم وأموالهم لبينه لهم ، ولو وقع ذلك لنقل وذهب بعض أهل العلم إلى جواز أخذها من جميع الكفار لحديث بريدة المشهور فى ذلك المخرج فى صحيح مسلم ، والكلام فى هذه المسألة وتحرير الخلاف فيها وبيان الأدلة مبسوط فى كتب أهل العلم من أراده وجده ، ويستثنى من الكفار فى القتال النساء والصبيان والشيخ الهرم ونحوهم ممن ليس من أهل القتال ما لم يشاركوا فيه فان شاركوا فيه أو ساعدوا عليه بالراى والمكيدة قوتلوا كما هو معلوم من الأدلة الشرعية ، وقد كان الجهاد فى الاسلام على أطوار ثلاثة ، الطور الأول : الاذن للمسلمين فى ذلك من غير الزام لهم به كما فى قوله سبحانه : (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير) ، الطور الثانى : الأمر بقتال من قاتل المسلمين والكف عمن كف عنهم ، وفى هذا النوع نزل قوله تعالى : (لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى) الآية ، وقوله تعالى : (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) ، وقوله تعالى : (وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) فى قول جماعة من أهل العلم وقوله تعالى فى سورة النساء : (ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله فان تولو فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا ، إلا الذين يصلون

إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاؤكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) والآية بعدها ، الطور الثالث : جهاد المشركين مطلقا وغزوهم فى بلادهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ليعم الخير أهل الارض وتتسع رقعة الاسلام ويزول من طريق الدعوة دعاة الكفر والالحاد وينعم العباد بحكم الشريعة العادل ، وتعاليمها السمحة وليخرجوا بهذا الدين القويم من ضيق الدنيا إلى سعة الاسلام ، ومن عبادة الخلق الى عبادة الخالق سبحانه ، ومن ظلم الجبابرة إلى عدل الشريعة واحكامها الرشيدة ، وهذا هو الذى استقر عليه أمر الاسلام وتوفى عليه نبينا محمد ــ عليه الصلاة والسلام ــ وأنزل الله فيه قوله عز وجل فى سورة براءة وهى من آخر ما نزل : ((فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم)) الآية ، وقوله سبحانه : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) والأحاديث السابقة كلها تدل على هذا القول وتشهد له بالصحة ، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن الطور الثانى وهو القتال لمن قاتل المسلمين والكف عمن كف عنهم قد نسخ لأنه كان فى حال ضعف المسلمين فلما قواهم الله وكثر عددهم وعدتهم أمرهم بقتال من قاتلهم ، ومن لم يقاتلهم حتى يكون الدين لله وحده أو يؤدوا الجزية إن كانوا من أهلها ، وذهب آخرون من أهل العلم إلى أن الطور الثانى لم ينسخ بل هو باق يعمل به عند الحاجة إليه ، فاذا قوى المسلمون واستطاعوا بدء عدوهم بالقتال والجهاد فى سبيل الله فعلوا ذلك عملا بآية التوبة وما جاء فى معناها ، اما إذا لم يستطيعوا ذلك فانهم يقاتلون من قاتلهم وتعدى عليهم ، ويكفون عمن كف عنهم عملا بآية النساء وما ورد فى معناها ، وهذا القول اصح واولى من القول بالنسخ وهو اختيار شيخ الاسلام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ وبهذا يعلم كل من له أدنى بصيرة أن قول من قال من كتاب العصر وغيرهم أن الجهاد شرع للدفاع فقط قول غير صحيح والأدلة التى ذكرنا وغيرها تخالفه ، وإنما الصواب هو ما ذكرنا من التفصيل كما قرر ذلك أهل العلم والتحقيق ، ومن تأمل سيرة النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وسيرة أصحابه ــ رضى الله عنهم ــ فى جهاد المشركين اتضح له ما ذكرنا وعرف مطابقة ذلك لما أسلفنا من الآيات والأحاديث .

وجوب الاعداد للأعداء :

وقد أمر الله سبحانه عباده المؤمنين ان يعدوا للكفار ما استطاعوا من القوة وأن يأخذوا حذرهم كما فى قوله عز وجل : (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) وقوله سبحانه : (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم) وذلك يدل على وجوب العناية بالأسباب والحذر من مكائد الأعداء ويدخل فى ذلك جميع انواع الاعداد المتعلقة بالأسلحة والأبدان ، كما يدخل فى ذلك اعداد جميع الوسائل المعنوية والحسية وتدريب المجاهدين على أنواع الأسلحة وكيفية استعمالها وتوجيههم الى كل ما يعينهم على جهاد عدوهم والسلامة من مكائده فى الكر والفر والأرض والجو والبحر وفى سائر الأحوال لأن الله سبحانه أطلق الأمر بالاعداد وأخذ

الحذر ولم يذكر نوعا دون نوع ولا حالا دون حال وما ذاك إلا لأن الأوقات تختلف والأسلحة تتنوع ، والعدو يقل ويكثر ويضعف ويقـوى والجهـاد قد يكـون ابتداء وقد يكون دفاعا ، فلهذه الأمور وغيرها أطلق الله سبحانه الأمر بالاعداد وأخذ الحذر ليجتهد قادة المسلمين وأعيانهم ومفكروهم فى إعداد ما يستطيعون من القوة لقتال أعدائهم وما يرونه من المكيدة فى ذلك ، وقد صح عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : (الحرب خدعة) ومعناه : أن الخصم قد يدرك من خصمه بالمكر والخديعة فى الحرب مالا يدركه بالقوة والعدد وذلـك مجرب معروف ، وقد وقع فى يوم الأحزاب من الخديعة للمشركين واليهـود والكيد لهم على يد نعيم بن مسعود — رضى الله عنه — باذن النبى — صلى الله عليه وسلم — ما كان من أسباب خذلان الكافرين وتفريق شملهم واختلاف كلمتهم ، وإعزاز المسلمين ونصرهم عليهم وذلك من فضل الله ونصره لأوليائه ومكره لهم كما قال عز وجل : (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) ، ومما تقدم يتضح لذوى البصائر أن الواجب امتثال أمر الله والاعداد لأعدائه وبذل الجهود فى الحيطة والحذر ، واستعمال كلما أمكن من الأسباب المباحة الحسية والمعنويـة مع الاخلاص لله والاعتماد عليه والاستقامة على دينه ، وسؤاله المدد والنصر ، فهو سبحانه وتعالى الناصر لأوليائه والمعين لهم اذا أدوا حقه ، ونفذوا أمـره وصدقوا فى جهادهم وقصدوا بذلك إعلاء كلمته واظهار دينه ، وقد وعدهم الله بذلك فى كتابه الكريم وأعلمهم أن النصر من عنده ليثقوا به ويعتمدوا عليه مـع القيام بجميع الأسباب قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) ، وقال سبحانه : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » ، وقال عز وجل : (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ، الـذين إن مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتـوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) ، وقال عز وجل : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحـات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الـذين من قبلهم وليمكـنن لهم دينهم الـذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا) الآية وقال تعالى : (وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط) وقال سبحانه : (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف مـن الملائكة مردفين . وما جعلهالله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم) ، وقد سبق فى هذا المعنى آية سورة الصف وهى قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا هلأدلكم على تجارة تنجيكم منعذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جناتعدن ذلك الفوز العظيم . وأخرى تحبونها نصر منالله وفتح قريب وبشر المؤمنين) ، والآيات فى هذا المعنى كثيرة ، ولما قام سلفنا الصالح بما امرهم الله به ورسوله وصبروا وصدقوا فى جهاد عدوهم نصرهم الله وأيدهم وجعل لهم العاقبة مع قلة عددهم وعدتهم وكثرة أعدائهم كما قال عز وجل : (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) ، وقال عز وجل : (إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الـذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنـون) ، ولما غير المسلمون وتفرقوا ولم يستقيموا على تعاليم ربهم وآثر

أكثرهم أهواءهم أصابهم من الذل والهوان وتسليط الأعداء ما لا يخفى على أحد ، وما ذاك إلا بسبب الذنوب والمعاصي ، والتفرق والاختلاف وظهور الشرك والبدع والمنكرات في غالب البلاد ، وعدم تحكيم أكثرهم الشريعة كما قال الله سبحانه : ((وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير)) ، وقال تعالى : (ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) ، وقال عز وجل : (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) ، ولما حصل من الرماة ما حصل يوم أحد من النزاع والاختلاف والاخلال بالثغر الذي أمرهم النبي — صلى الله عليه وسلم — بلزومه جرى بسبب ذلك على المسلمين من القتل ، والجراح والهزيمة ما هو معلوم ، ولما استنكر المسلمون ذلك أنزل الله قوله تعالى : (أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير) ولو أن أحدا يسلم من شر المعاصي وعواقبها الوخيمة لسلم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأصحابه الكرام يوم أحد وهم خير أهل الارض ويقاتلون في سبيل الله ومع ذلك جرى عليهم ما جرى بسبب معصية الرماة التي كانت عن تأويل لا عن قصد للمخالفة لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — والتهاون بأمره ، ولكنهم لما رأوا هزيمة المشركين ظنوا أن الأمر قد انتهى وأن الحراسة لم يبق لها حاجة وكان الواجب عليهم أن يلزموا الموقف حتى يأذن لهم النبي — صلى الله عليه وسلم — بتركه ، ولكن الله سبحانه قد قدر ما قدر وقضى ما قضى لحكمة بالغة وأسرار عظيمة ، ومصالح كثيرة قد بينها في كتابه سبحانه وعرفها المؤمنون وكان ذلك من الدلائل على صدق رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأنه رسول الله حقا ، وأنه بشر يصيبه ما يصيب البشر من الجراح والآلام ونحو ذلك ، وليس بإله يعبد وليس مالكا للنصر ، بل النصر بيد الله سبحانه ينزله على من يشاء ، ولا سبيل إلى إستعادة المسلمين مجدهم السالف واستحقاقهم النصر على عدوهم إلا بالرجوع إلى دينهم والاستقامة عليه وموالاة من والاه ، ومعاداة من عاداه ، وتحكيمه في أمورهم كلها ، واتحاد كلمتهم على الحق وتعاونهم على البر والتقوى كما قال الامام مالك بن أنس — رحمة الله عليه — : (لن يصلح آخر هذه الأمة الا ما أصلح أولها) ، وهذا هو قول جميع أهل العلم والله سبحانه إنما أصلح أول هذه الأمة باتباع شرعه والاعتصام بحبله والصدق في ذلك والتعاون عليه ، ولاصلاح آخرها إلا بهذا الأمر العظيم ، فنسأل الله أن يوفق المسلمين للفقه في دينهم وأن يجمعهم على الهدى وأن يوحد صفوفهم وكلمتهم على الحق وأن يمن عليهم بالاعتصام بكتابه وسنة نبيه — عليه الصلاة والسلام — وتحكيم شريعته والتحاكم إليها ، والاجتماع على ذلك والتعاون عليه إنه جواد كريم ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .



مائدة القارئ

الموعظة الحسنة :

كتب الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز الى الحسن . اجمع لى أمر الدنيا وصف لى أمر الآخـــرة فكتب اليه ــ انما الدنيا حلم والآخـــرة يقظـــة ، من حاسب نفســـه ربح ، ومن غفل عنها خسر ، ومن نظر فى العواقب نجا ، ومن أطاع هواه ضل ، ومن حلم غنم ، ومن خاف سلم ومن اعتبر أبصر ، ومن أبصر فهم ، ومن فهم علم ، ومن علم عمل ، فاذا زللت فارجـــع ، واذا ندمت فأقلع واذا جهلت فاســـأل ، واذا غضبت فامسك ، واعلم أن أفضل الأعمال ما أكرهت النفوس عليه .

النمام مخـــذول :

جاء رجل الى الخليفة العـــادل عمر بن عبد العزيز فذكر عنده وشاية فى رجل ، فقال : إن شئت حققنا هذا الأمر الذى تقول فيه ، ونظرنا فيما نسبته اليه ، فان كنت كاذبا ، فأنت من أهل هذه الآية (ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) وان كنت صادقا فأنت من أهل هـــذه الآية (هماز مشـــاء بنميم) وان شئت عفونا عنك .

فقال الرجل النمام : العفو يا أمير المؤمنين ، ولا أعود اليه أبدا .

نائب الامام :

كان المدنى فى الصف وراء الإمام فقطع الإمام الصلاة لحـــدث ، وقام المدنى ليؤمهم ، فوقف طويلا فلما أعيا الناس سبحوا له ، وهو لا يتحرك ، فنحوه وقدموا غيره ، وبعد الصلاة عاتبوه ، فقال :

ــ ظننت الإمام يقول لى : احفظ مكانى حتى أجىء .



يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون .

الاعرابى والحجـــاج

كان الحجاج يؤدى فريضة الحج ثم جاء وقت الغذاء فقال لحاجبه :

ــ انظر من يأكل معى .

فخرج الحاجب من الخيمة والتقى باعرابى نائم فأيقظه وعاد به الـــى الحجاج الذى قال له :

ــ اغسل يديك وكل معى ايهــا الاعرابى .

فرد عليه قائلا : لقد دعانى من هو خير منك فأجبته .

فقال الحجاج غاضبا : ومن هذا الذى دعاك ؟

قال : الله تعالى دعانى للصوم فصمت .

قال : فى هذا اليوم الحار ؟

قال : نعم صمت ليوم أشد منه حرارة .

قال : فافطر اليوم وصم غدا .

قال : وتضمن لى البقاء الى الغد ؟

قال : ليس ذلك فى قدرتى .

قال : فكيف تطلب منى عاجلا فى يدى لتعطينى آجلا لا تقدر عليه وتركه وانصرف .

البخيل وأولاده :

قال رجـــل من البخـــلاء لأولاده : اشتروا لى لحمـــا فاشتروه فأمـــر بطبخه ، فلما استوى أكله جميعـــه حتى لم يبق فى يده الا العظم وعيون أولاده ترمقه فقال : ما أعطى أحـــدا منكم هذا العظم حتى يحسن وصف أكله فقال الأكبر : أمشمشه يا أبت وأمصه حتى لا أدع للذر فيه شـــيئا فقال :

لست بصاحبه ، فقال الأوسط : الوكه يا أبت وألحسه حتى لا يدرى احد لعام هو أم لعامين . فقـــال : لست بصاحبه . فقال الأصغر : يا أبت أمصه ثم أدقه وأسفه سفا قال : أنت صاحبه وهـــو لك ، زادك الله معرفة وحزما ..



الشـاهد الآخر :

قدم رجل رجلا الى بعض القضاةفادعى عليه بثلاثين دينارا ، واقام شـاهدا واحدا فقال القاضى : ادفعله خمســـة عشر دينارا الى أن يقيم الشـاهد الآخر .

رمضان ..

والقرآن .. وليلة القرآن ..

— ١ —

الزمن فى نظر الإسلام ، حقيقة واقعة .. يعيش فيه الوجود ، وتتحرك الموجودات فى آناته ولحظاته ، كما تتحرك الأجنّة فى أرحام أمهاتها ..

فالزمن فى حساب الإسلام وتقديره ، هو الرحم التى تتخلّق فيها الأحداث ، والبوتقة التى تنضج فيها الكائنات ، وتتحرك فى محيطها من المولد إلى الممات.

ففى كل لحظة من لحظات الزمن ، وفى كل آنة من آناته ، يخلع الوجود قديما ، ويلبس جديدا ، حيث لا يكون الوجود فى أية لحظة على الصورة التى كان عليها فى اللحظة السابقة ، أو التى سيكون عليها فى اللحظة التالية ، وهذا بعض ما يشير إليه قوله تعالى : « كلّ يوم هو فى شأن » ..

والإنسان — فى هذا الكوكب الأرضى ، هو الكائن الذى يشعر بالزمن ، ويدرك آثاره ، ويلحظ حركة مسيره ، وأنها حركة تتجه إلى الأمام دائما ، دون أن تتوقف لحظة ! وإن كان ذلك الشعور على اختلاف كبير بين الناس ، إذ بينما يكون فى الناس من لا تمر به ساعة من ليل أو نهار ، إلا ويشهد فيها آثار الزمن فى نفسه ، وفى الحياة من حوله ، على حين يكون فى الناس من لا يكاد يشعر حتى باختلاف الليل والنهار عليه ، فيقطع العمر غافلا لاهيا ، لا يجد الحياة إلا لونا واحدا ، ولا يرى فيها أو فى نفسه شيئا يختلف فيه يومه عن أمسه !

وقد كان من تدبير الإسلام هنا أن عمل بشريعته وأحكامه على إيقاظ الشعور بالزمن فى كيان المؤمنين ، بحيث تقوم نظرتهم إليه على أساس قوى من الاحترام له ، والحرص على الإفادة من كل نفس يتنفسه الانسان فيه ..

ومن هذا التدبير الحكيم أن ربط الإسلام ما تعبد الله به المسلمين من

للاستاذ : عبد الكريم الخطيب

وأمة القرآن ..

صلاة ، وصيام ، وحج ، وزكاة ، بمواقيت محددة من الزمن تؤدى فيه ، ولا تقبل فى غيره ..

فللصلوات الخمس كل يوم ، وقت محدد لكل صلاة ، وللصوم المفروض ، وقت محدد معلوم ، هو شهر رمضان ، وللحج وقته المعلوم ، الذى يبدأ من شوال وينتهى فى اليوم العاشر من ذى الحجة ، كما يقول سبحانه وتعالى : « الحج أشهر معلومات » .. وللزكاة وقت محدد لكل نوع منها ، فزكاة النقدين وما يلحق بهما ، تكون على رأس الحول عن ملك نصاب الزكاة فيهما ، وزكاة الزرع تكون عند حصاده ، وجنى ثماره ، كما يقول : « وآتوا حقه يوم حصَاده »

واكثر من هذا ، فانه إظهارا لقيمة الزمن ، ولفتا لآثاره العظيمة فى بناء الحياة الإنسانية للإنسان ــ أقسم الله سبحانه وتعالى بمقاطع محددة من الزمن ، وبأجزاء معلومة منه ، لتكون معالم للإنسان فى مسيرته مع الحياة ، يشخص بوجوده كله اليها ، ويهيىء نفسه لاستقبالها ، والتزود من الخير المحمول بين يديها .. فأقسم الحق سبحانه وتعالى بالليل والنهار : « والليل إذا يغشى . والنهار إذا تجلّى » .. وأقسم جلّ شأنه بالفجر ، والصبح ، والضحى ، والعصر .. « والفجر . وليال عشر » .. « والليل إذا عسعس ، والصبح إذا تنفس » .. « والضحى . والليل إذا سجى » .. « والعصر .. إن الإنسان لفى خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر » .. وذكر سبحانه فى مقام التكريم والتنويه يوم الجمعة ، لم يذكر فى القرآن بالاسم يوما غيره ، فقال تعالى : « يأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع » .. وبمثل هذا جاء ذكر شهر رمضان من بين شهور العام ، لم يذكر شهر غيره ، فقال سبحانه : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه » .

— ٢ —

ونخلص من هذا الى القول بأن تلك الأوقات من مقاطع الزمن وأجزائه . التي جاء ذكرها في القرآن الكريم . في معرض القسم أو في غيره — هذه الأوقات لها فضلها على غيرها من مقاطع الزمن وأجزائه .. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من خلقه . كما يقول سبحانه : « يخلق ما يشاء ويختار » .. وكما فضل الله تعالى بعض الناس على بعض ، فاصطفى منهم الرسل والأنبياء ، والصديقين ، والأولياء ، فقد فضل سبحانه بعض الأوقات على بعض ، واصطفى من أيامها ، ولياليها ، وشهورها ما شاء سبحانه وتعالى منها ..

— ٣ —

وشهر رمضان ، هو الشهر الذى تؤدّى فيه فريضة الصوم ، امتثالا لقوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا كُتِب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون .. أياما معدودات » .. ثم بيّن سبحانه وقت هذه الأيام المعدودات ، وعدّدها ، فقال سبحانه : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهدمنكم الشهر فليصمه » .. ففي قوله تعالى : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » تنويه بهذا الشهر ، ورفع لقدره ، إذ كان الظرف الزمنى الذى نزل فيه القرآن ، بما يحمل الى العالمين من هدى ، وما يسوق اليهم من فضل الله ورحمته .. وفي قوله تعالى : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » تعقيب على هذا البيان الذى كشف عن قدر هذا الشهر وفضله ، فكان الأمر بأداء فريضة الصيام فيه تنويها آخر بفضله من جهة ، وتنويها بفريضة الصيام من جهة أخرى ، بجعل هذا الشهر المبارك ظرفا لها ، حيث تعظم فيه آثار الصوم ، ويتضاعف خيره ..

وهنا حقيقة ، أو ظاهرة ، ينبغى أن ننتبه اليها ، وهى أن أكثر ما يلتفت اليه كثير من الصائمين ، هو هذا الحرمان من الطعام والشراب ، والإمساك عن شهوتى البطن والفرج ، من الفجر الى غروب الشمس ، وقليل هم أولئك الذين ينظرون فى رمضان إلى ما وراء الطعام والشراب ، منعا أو أخذا ، ولهذا فإنه يسبق رمضان ويتخلل أيامه ما نشهده من هذا الإقبال الشديد على مواد الطعام التى يستجلبها الصائمون ، ويستكثرون منها . وخاصة ما كان من تلك المواد التى يستغنى عنها الناس أو أكثر الناس عادة فى غير رمضان ، فإن هذه المأكولات التى تعرف بمأكولات رمضان تكاد تكون فى نظر كثير من الصائمين . بل وغير الصائمين . كأنها جزء من فريضة الصيام ، وحتى لكأن الصوم لا يكمل ولا يُقبل إلا بها ، الأمر الذى يحملهم على حمل ما لا تتسع له قدرتهم المالية فيعانون فى سبيل ذلك ما يعانون ، من جهد ومشقة ، من أجل الحصول على أشياء رمضان !!

والصوم ، وإن كان فى ظاهره ، هو حرمان الجسد من شهوتى البطن والفرج ساعات محددة من الزمن كل يوم من أيام رمضان ، فإن هذا الحرمان ليس غاية فى ذاته ، وإنما هو وسيلة الى غاية أو غايات تتصل بالجانب الروحى والنفسى من الإنسان أكثر من اتصالها بالجسد ، وذلك لا يكون إلا إذا كان الصائم على شعور دائم بأن هذا الحرمان الواقع على الجسد هو امتثال لأمر

الله ، وانه جهـــاد فى سبيل الله ، وحـــرب على أهواء النفس ووســـاوس الشيطان .. وهنا يشعر الصائم بأنه قائم فى ميدان الجهاد فعلا ، وأن ايـــة عَضّة للجوع أو العطش ، ليست إلا كلْما يكلمه الصائم ، فى سبيل الله ، فيحتملها صابرا ، راضيا مغتبطا ، كما يحمل المجاهد المقاتل جراحاته فى صبر ، ورضى ، وغبطة ، عندئذ يجـــد الصائم نفسه وقد تهيأ لاحتمـــال كل حرمان ، وتجاوز كل شهوة تعرض له على طريق صومه .. وبذلك يكون الصائم صائما حقا ، له أجر الصوم كاملا ، سواء شق عليه الصوم أو لم يشق ، تماما كالمجاهد يخرج غازيا فى سبيل الله ، ثم يعود سالما غانما ، وقد وقع أجره على الله .

هذا وجه من وجوه الصوم ، لا يكاد يلتفت إليه كثير من الصائمين الذين يحضرون دائرة الصوم فى حدود الجسد ومطالبه ، وفى حرمانه من شهواته ساعات محدودة كل يوم ، حتى إذا دنت ساعة الإفطار أخذ الصائم يضع بين يديه ما أعدّ من ألوان الطعام لإفطاره ، والتى قضى نهاره مفكرا فيها مشغولا بها ، فإذا جاء وقت الافطار أقبل على الطعام فى نَهَم وإسراف ، يتنقل من لون الى لون ، حتى تمتلىء معدته ، وتختنق أنفاسه !.

ليس الصوم فى حقيقته حربا تدور رحاها بين الصـــائم وبين شـــهواته الجسدية ، وانما هو فى صميمه حرب على شهوات كثيرة مُندسّة فى كيـــان الانسان ، كشهوة العدوان على الناس ، وشهوة الغيبة والنميمة ،وشـــهوة الغفـــلة عن الضـــمير لتقضى النفس حاجاتهـــا من التقصير فى الواجب ، أو الاستخفاف بأداء حقوق الله ، وحقوق عباد الله .. فهذه الشهوات وما إليها هى التى جاءت رسالات السماء لمحاربتها ، وكسر شوكتها .

فالعبادات ، من صلاة ، وزكاة ، وصوم ، وحج ، هى الدواء السماوى لهذه الأدوار التى تسكن فى كيان الانسان ، والتى من شأنها أن تفسد فطرته إن لم يتداوا بهذا الدواء ، ويجرى فى تعاطيه على الحدود التى رسمها الله ..

والصوم اذا أداه الصائم على وجهه المطلوب ، هو أظهر العبادات وأكثرها فعالية فى عـــلاج الروح عن طـــريق الجسد ، وأخذه بالحرمان المـــادى من شهواته ، حالا بعد حال ..

إن صوم رمضان هو فرصة المسلم التى تتاح له بلقاء هذا الشهر كل عام ، حيث يلقاه فيها بآلامه وهمومه ، وذنوبه ، وبما أصابه فى طريق الحياة من جراح ، ليستشفى من آلامه وعلله ، وليجـــد برد السكينة وثلج العافية فى نفسه ، وليخرج من هذا الشهر المبارك وقد برىء من كل داء ، وعوفى من كل هم وحزن .. وان أخسر الصائمين صفقة ، وأكثرهم غبنا من أقبل عليه رمضان ثم لم يهيىء نفسه لاستقباله على نية الاستشفاء لنفسه فيه ، وطلب العافيـــة من نفحات أيامه وبركات لياليه ، ثم إن أخسر الخاسرين ، واغبن المغبونين من خرج من رمضان ولم تزدد شعلة الايمـــان فى قلبه توهجـــا ، ولم يتزود من التقوى بزاد يدنيه من الخير ، ويباعد بينه وبين المنكر والإثم .

ويلتقى المسلمون فى شهر رمضان بثلاثة معالم من عالم الحق ، اختصهم الله تعالى بها ، ووسمهم بسماتها ، وآتاهم بها من فضله ما لم يؤت احـــد من العالمين .. وتلك المعالم هى : القرآن ، وليلة القرآن ، وأمة القرآن .. التقت ثلاثتها فى رمضان لقاء على قدر ، فكان من ثمرها هذا الخير الذى تعيش فى ظله الانسانية كلها ، والذى تَنْدى منه قلوبها بمشاعر الرحمة ، والمودة ، والاحسان ، سواء فى هذا من كانَ من المسلمين ، أم كان جيرة للمسلمين ..

فشهر رمضان هو شهر القرآن . حيث ابتدأ نزوله فيه ، واشرقت شمسه على الوجود فى ليلة من لياليه .. ومن هنا كان لقاؤنا بالقرآن الكريم فى شهر رمضان يختلف كثيرا أو قليلا عن لقائنا به فى غير رمضان .. وذلك لأن شهر رمضان ، هو موسم القرآن ، وهو الظرف المبارك من الزمن الذى اختاره الله تعالى ، ليكون محملا لكلماته الى رسول الاسلام ، والى أمة الاسلام .. ولا شك أن اتصال المسلم بالقرآن فى هذا الظرف المبارك ، يضفى على من يتلو القرآن أو يستمع اليه كثيرا من نفحات هذا الشهر وبركاته ،ويمد بصيرته بالسنا الوضاء من الأنوار العلوية ، التى تكشف له من أسرار القرآن وعجائبه ما تتمثل له منه المعجزات القاهرة المتحدية ، التى يرى فيها مصداق قوله تعالى : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » ..

ومن جهة أخرى ، فان لقاء المسلم بالقرآن فى رمضان إنما يكون فى حال الصوم ، الذى تتكسر فيه شهوة الجسد ، وتتخلص فيه الروح من كثير من قيود المادة المضروبة عليها من الجسد .. وهذا لا شك انسب الأحوال ، وأعدلها ، وأقر بها بالانسان الى آيات الله وكلماته .. فالقرآن الكريم روح من روح الله تعالى ، كما يقول جل شأنه للنبى الكريم — صلوات الله وسلامه عليه — : « وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ، ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا ، وانك لتهدى الى صراط مستقيم » .. فأقرب الناس الى القرآن وأشكلهم به ، من خف ميزان جسده ، وثقل ميزان روحه ، فيقترب بهذا من عالم الروح ، عالم القرآن الكريم ، ومتنزل آيات الله وكلماته ..

لهذا كان شهر رمضان موسم القرآن ، ومرد المسلمين جميعا اليه ، حتى أولئك الذين لا يكادون يتصلون بالقرآن ، أو يتصلون به لماما فى غير رمضان ، فإذا جاء رمضان تزاحموا على هذا المورد العذب المبارك ، ونهلوا منه ليرووا ظمأ جعلوا موعد إروائه رمضان .. وهذا لا شك شعور حسن وسنة محمودة ، يتدارك بها كثير من المسلمين ما فاتهم من الاتصال بكتاب الله ومدارسته طوال العام ، كما أن كثيرا من المسلمين الذين يجعلون موعد لقائهم بالقرآن فى شهر رمضان ، تتوثق الصلة بينهم وبين كتاب الله ، بعد هذا اللقاء فى هذا الظرف المبارك ، فتتصل لقاءاتهم بالقرآن فى رمضان ، وفى غير رمضان ..

ونود أن نقف هنا قليلا مع الذين يتصلون بكتاب الله ، تلاوة أو استماعا ، فى رمضان وفى غير رمضان لنقول : ان تلاوة القرآن الكريم ، أو الاستماع اليه هو ذكر ، وصلاة ، ودعاء ، وإنه لن يحرم أحد من المسلمين حظه من نفحات آيات الله ، ورحماتها ، وبركاتها ، تاليا أو مستمعا .. ثم إنه ليس لتلاوة القرآن أو الاستماع اليه — فى غير الصلاة المكتوبة — وقت معين ، أو قدر محدد ، فأى وقت من ليل أو نهار ، هو وقت تلاوة واستماع ، وأى قدر من القرآن هو مجز فى التلاوة أو الاستماع ، لأن ذلك من النوافل التى ترك للمؤمنين إيتائها فى أى وقت يشاء ، وعلى أى قدر يريد ، وله من الجزاء الحسن عند الله على قدر ما يعطى من نفسه ، وعقله ، وقلبه ، ووقته لآيات الله .. وهذا ما يشير اليه قوله تعالى : « فاقرءوا ما تيسر من القرآن » وقوله سبحانه : « ولقد يسرنا القرآن للذكر ، فهل من مدكر ؟ » ومن تيسير القرآن للذكر ، رفع كل قيد يحول بين أى مؤمن بالله ، وبين الاتصال بكتاب الله ،

تاليا ، او مستمعا ، او دارسا .. فكتاب الله هو ميراث المسلمين جميعا ، ولن يحرم أحد حظه من هذا الميراث ، اذا هو طلبه ،وحرص على الافادة منه ، وانه على قدر ما تكون عليه صلة المسلم بالقرآن ، وعلى قدر توسله إليه ، بما يقربه منه ، ويدنيه اليه ، يكون حظه من هذا الميراث المبارك العظيم .

فالقرآن الكريم ، لا يُقبل إلا على من يقبل عليه ، ولا يمنح خيره وبركته ، إلا لمن يعرف قدره ، ويطرق بابه فى أدب ، وولاء ، وخشوع .!

وليس المقصود من الاتصال بالقرآن الكريم ، مجرد الإلمام به ، وقطع المسافة بين فاتحته وخاتمته ، فى أقل زمن ممكن ، فتلك سبيل غير سبيل من يريد اجابة دعوة الله تعالى الى لقاء كتابه ، اذ يقول سبحانه لنبيه الكريم : « كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته ، وليتذكر أولوا الألباب .

فالذى يقرأ القرآن ، أو يستمع اليه ، فى غير تدبر وتذكر ، ليس بقارىء للقرآن وإن قرأ ، وليس بمستمع للقرآن وإن سمع ، لأنه ليس من الذين وصفهم الله تعالى بقوله : « الله نزّل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ، ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده . » ..

ونحن المسلمين فى عصرنا هذا نستمع كثيرا الى آيات الله تتلى علينا ، حتى لا يكاد بيت من بيوت المسلمين لا تتردد فى جنباته ، فى الصباح وفى المساء وفيما بين الصباح والمساء — أصوات المقرئين منقولة الى كل بيت فيه مذياع ، أو الى جيران أى بيت فيه مذياع ..

فنحن من هذه الوجهة أكثر من أسلافنا سماعا للقرآن ، لما يسر الله تعالى لنا من وسائل الاتصال به ، بقصد ، أو بغير قصد .. ولكن الذى لا شك فيه ، هو أن حظنا من عطائه المبارك ، ومن أضواء هديه ، ونفحات رحمته ، أقل بكثير من حظ أولئك الذين كانوا يستمعون الى آية أو بضع آيات ، فيكون لهم منها ، ومنها وحدها ، زاد حياة ، ودستور عمل ، ومنهج سلوك ، لأنهم استمعوا الى ما استمعوا اليه من كلام الله ، بآذان صاغية ، وجوارح ساكنة ، وقلوب خاشعة ، فوقعت منها كلمات الله موقع الغيث من الأرض الجديبة ، فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج كريم .. يقول الله تعالى ، فيما يؤدب به أهل القرآن ، فى مجلس القرآن : « وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون » .. فالرجاء فى رحمة الله ، المستمطرة من آيات الله ، رهن بالاستماع والانصات لما يتلى من كلمات الله ، حيث تسكن الجوارح ، وتخشع المشاعر ، وتتهيأ العقول والقلوب للتهدى الى مواقع العبرة والعظة من آيات الله ، فيكون منها الدواء لكل ما فى كيان المسلم من داء .. يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى معنى قوله تعالى : « يؤتى الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحمكة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب » — يقول : « إن الحكمة هى القرآن »

ويفسر ابن عباس معنى قول الرسول الكريم : « إن الحكمة هى القرآن » فيقول : « أى فهم القرآن ، لأن القرآن يقرؤه البر والفاجر .. »

والا فليعلم أولئك الذين يفتحون المذياع على تلاوة القرآن ، ثم يدعون صوت المقرىء يملأ جنبات البيت ، وهم يحسبون أنهم بهذا قد ملأوا البيت من نفحات آيات الله ، ونشروا على انفسهم وعلى أهليهم الخير والبركة منها ، دون أن يجلسوا همّ واهلوهم مجلس القرآن ، ودون أن يحسنوا الاستماع الى آيات الله ، وتدبرها ، والوقوف عند كل زاجرة وواعظة منها — الا فليعلم هؤلاء أنهم

بخسوا القرآن حقه . وظلموا أنفسهم وأهليهم بما فاتهم من حظ عظيم كان دانيا منهم ، من نفحات القرآن وبركاته ، لو أنهم عرفوا للقرآن الكريم قدره .. وإنه لخير « لأولئك الذين يتخذون من القرآن الكريم « بخورا » يطلقونه من المذياع أن يحولوا مؤشره الى غير القرآن ، فذلك — على ما به — أصون لمقام القرآن الكريم ، وأحفظ لجلاله ، وعظمته ..

— ٥ —

وفى رمضان ليلة القدر ، التى كانت مفتتح نزول القرآن الكريم ، ومبدأ اصطفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لحمل رسالة الله الى عباد الله .. وهى ليلة من ليالى رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، وفيها يقول الله تعالى : « إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين ، فيها يفرق كل أمر حكيم » ويقول جلّ شأنه : « إنا أنزلناه فى ليلة القدر ، وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر ،تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ، سلام هى حتى مطلع الفجر » .

ومعنى ليلة القدر ، أنها الليلة التى قدّر الله تعالى فيها عوالم الوجود كلها ، خلقا وأمرا ، بحكمته ، وعدله ، وعلمه ، وقدرته ، ورحمته ، فأعطى فيها كل شيء خلقه ، ثم هدى ..

فليلة القدر ، هى الليلة التى كانت الوعاء الزمنى لتجليات الله سبحانه وتعالى على هذا الوجود ، ثم كانت الوعاء الزمنى لنزول القرآن الكريم من السماء الى الأرض ، ففتح الله تعالى به قلوبا غلفا ، وأعينا عميا ، وآذانا صما .

ولهذا فان ليلة القدر تنزل من عقول المسلمين وقلوبهم منزل الإعزاز والإكرام .. إنها ليلة العمر ، التى تهفو إليها النفوس ، وتحتشد لها الآمال ،

وأمر نحب أن نشير اليه فيما يتصل بليلة القدر ، التى نرصد مطالعها فى رمضان — وهو أن الذين ينتظرون ليلة القدر فى رمضان من كل عام ، ويتوقعون أن تطرق عليهم الباب فى أية لحظة من لحظات لياليه ، وأن تستجيب لكل ما يطلبون من مال ، وجاه ، وسلطان ، وصحة ، وشباب ، الى غير ذلك مما يتمثل لكثير من الناس ، مما تحمل ليلة القدر الى الموعودين بلقائها — هؤلاء الذين حساب ليلة القدر عندهم هو هذا الحساب ، هم أبعد الناس عن ليلة القدر ، لأنهم يسيرون فى طريق ، وليلة القدر تسير فى طريق .. انها ليلة العاملين ، الذين يصومون رمضان ، فيمسكون السنتهم عن الفحش والسوء ، ويفطرون على الحلال الطيب مما كسبت أيديهم .. فاذا كان الليل قطعوه ترتيلا لآيات الله ، وتدبرا لكلماته ، وقبسا من نور كتابه ، وقطفا من ثماره .. فمن فعل هذا كان خليقا بأن يتحلى بحلل ضافية من أنوار تلك الليلة المباركة ، وأن يسامر ملائكة الرحمن التى تتنزل بما يملأ ما بين الارض والسماء من نفحات الله ورحماته .. انها ليلة القرآن ، وليلة أهل القرآن .. ليلة الارواح المنتشية بذكر الله ، لا ليلة الاجسام المتخمة المثقلة بالطعام والشراب : « سلام هى حتى مطلع الفجر » .. فلا تلتقى الا بأهل السلامة والسلام ، ولا تصافح الا أهل النور والصفاء ..

هذا ، وليلة القدر وان لم يحدد وقتها ، الا أن المقطوع به ، هو أنها ليلة من ليالى رمضان ، فمن طلبها فليطلبها فى رمضان ، صائما نهاره ، قائما ليله .. ومن فترت همته فليطلبها فى العشر الأواخر من رمضان ، حيث أشار الى ذلك الرسول الكريم بقوله : « التمسوها فى العشر الأواخر من رمضان » .. ومن

ضعف عن ذلك فليقم لها الليالى الفردية من تلك الليالى العشر ، حيث تظاهرت الاخبار بأنها واحدة من تلك الليالى ، فمن عجز عن هذا فليقم لها ليلة السابع والعشرين ، حيث وردت آثار وشواهد كثيرة بأنها ليلة السابع والعشرين .. فمن ذلك ما يروى عن ابن عباس ، وقد سئل عنها ، فقال : « انى أراها ــ أى أظنها ــ ليلة السابع والعشرين » فقيل له : أعندك من خبر بهذا ؟ فقال : « لا ، ولكن نظرت فوجدت أن الله تعالى خلق الانسان فى سبعة أطوار ، فقال تعالى : « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم انشأناه خلقا آخر .. فتبارك الله أحسن الخالقين » .. كذلك جعل الله رزق الانسان ومعاشه فى سبع ، فقال سبحانه : « فلينظر الانسان الى طعامه أنا صببنا الماء صبا ، ثم شققنا الارض شقا ، فأنبتنا فيها حبا ، وعنبا ، وقضبا ، وزيتونا ، ونخلا ، وحدائق غلبا ، وفاكهة ، وأبا .. متاعا لكم ولأنعامكم » ثم نظرت فرأيت أن الله تعالى خلق سبع سماوات ، وسبع أرضين ، وسبعة أيام ، فكانت الليلة السابعة من الليالى العشر من أواخر رمضان هى أولى الليالى أن تكون ليلة القدر » ..

ومن جهة أخرى ، فقد استظهر بعضهم أن ليلة القدر هى ليلة السابع والعشرين ، بأن عد كلمات السورة ــ سورة القدر ــ فوجدها ثلاثين كلمة ، بعدد أيام الشهر ، ثم وجد كلمة (هى) التى تشير الى ليلة القدر تقع متممة العدد السابع والعشرين من كلمات السورة .

- ٦ -

وفى رمضان ، كان ميلاد أمة الاسلام ، وكان القرآن الكريم هو اليد الصناع لها ، والروح السارية فى كيانها ، وصبغة الله التى صبغها بها ، فكانت كما نوه بها الحق سبحانه وتعلى فى كتابه الكريم بقوله جل ذكره : « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » ..

ففى قوله تعالى : « كنتم » بلفظ الماضى ، ما يشير الى هذا الوصف الذى وصف الله تعالى به هذه الأمة ، بأنها « خير أمة أخرجت للناس » ــ ليس محدودا بزمن من أزمان هذه الأمة ، ولا مقصورا على جيل من أجيالها ، أو بحال من أحوالها ، وانما هو وصف عام مطلق يشمل الأمة الاسلامية كلها ، فى جميع أزمانها ، وأجيالها ، وأحوالها ، من عهد النبوة الى أن يرث الله تعالى الارض ومن عليها ، وأن أمة الاسلام فى أسوأ أحوالها ، وفى أنزل منازلها ، هى على هذا الوصف ، وأنها خير أمة ، بما فى كيانها من قوى الحق ، والخير ، وان بدا فى ظاهر الأمر أن أمما كثيرة اليوم أقوى منها قوة ، وأكثر أموالا ، ومتاعا .. اذ أن ما يقوم عليه بناء الأمة الاسلامية من حق وخير ، لا تنال منه الأيام ، وأنها لا بدأن تجد وجودها يوما ، وأن ينفخ فيها الحق من روحه ، فتصحو صحوة مشرقة تبهر أنظار العالمين .. أما ما يقوم عليه بناء تلك الأمم الظاهرة الغالبة اليوم ، فهو قائم على شفا جرف هار ، لا يلبث أن يتصدع ويهوى الى القاع ، وان علا وطاول السماء .. « كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض » .

وفى التعبير القرآنى : « أخرجت » تنويه آخر بشأن هذه الأمة ، وأنها هى المولود الكامل الذى تمخضت عنه الانسانية ، ولن تلد مثله أبد الدهر ، وفى هذا يقول الرسول الكريم : « الخير فىّ وفى أمتى الى يوم القيامة » .

وفى قوله سبحانه : « أخرجت للناس » تنويه ثالث بتلك الأمة ، وأنها لم تخرج من الناس ، ولكنها أخرجت للناس ، حتى لكأنها بهذا من معدن غير معدن الناس ، ومن عالم غير عالم الناس ، وحتى لكأنها قد جاءتهم من عالم الغيب ، وطلعت عليهم من أفق بعيد ،وأخرجت لهم من حيث لا يتوقعون .. فمن صحراء مجدبة قفر ، ومن مجتمع أمى غارق فى جهالة الجاهلية ، لا يكاد يمسك من حظوظ الناس بشىء ــ تخرج هذه الأمة ، فتقود ركب الانسانية الى مواقع الخير والاحسان ، وترد بها موارد العلم والمعرفة ، وتسوسها سياسة العدل ، والرحمة ، وتقيم فى كل أفق من آفاق الأرض معالم الامن والحرية والسلام ..

فلتذكر الأمة الاسلامية دائما أنها خير أمة أخرجت للناس ، ولتذكر دائما أن هذه الخيرية انما بفضل من الله تعالى عليها بأن كانت هى المتلقية للقرآن الكريم ، الذى هو روح من روح الله، يبعث الحياة حيث نزل ، ويحيى الموات حيث حل ..

فالأمة الاسلامية ، هى أمة القرآن ، اليه يرد أصلها ، وبه يعرف نسبها ، ومنه نسجت وتنسج ما لبست أو تلبس من حلل العزة ، والكرامة ، والسيادة .

وانه لن يمسك على هذه الأمة وجودها فى هذا المقام الكريم الا رعايتها للقرآن ، وتمسكها بالعمل به ، واجتماعها على الحياة فى ظله ..

ان القرآن الكريم هو مائدة الله السماوية الممدودة لأمة القرآن ، مائدة يتغذى منها العقل والروح ، فتتخلق من هذا الغذاء ملكات علوية ، ووجدانات ربانية ، بها يسمو الانسان ويعلو ، وبها ينتصر على الضعف الانسانى ، وعلى النزعات الحيوانية المندسة فى كيانه .. وهذا ما يشير اليه الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى قوله : « القرآن مأدبة الله ، فتعلموا من مأدبته » .. ولم يقل الرسول الكريم : فكلوا من مأدبته .. لأن القرآن الكريم مأدبة علم ، وحكمة ، وأدب ، وخلق ، وليس مأدبة معدات ، ولا طعام بطون .. !

فانظر كيف رفع الله قدر هذه الأمة ، وأعلى شأنها ، وكيف جعل غذاءها السماوى الذى أنزله عليها ، غذاء يتصل بالقلب ، والعقل ، والروح ، ولم يجعله طعاما للبطون ، كما أنزل الله تعالى على بنى اسرائيل ما أنزل من المن والسلوى ، فأكلوا حتى اتخموا وبشموا ، وحتى عافوا هذا الطعام السماوى ، وقالوا لموسى : « ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها » .. وفى هذا ما فيه من فضل الله على الأمة الاسلامية ، ومن احسانها اليها ، فكانت خير أمة أخرجت للناس ، آمرة بالمعروف ، ناهية عن المنكر مؤمنة بالله ..

وانه لكى تلبس الأمة الاسلامية هذا الفضل الذى اختصها الله تعالى به ، وتتحلى بهذا الاحسان الذى أحسن سبحانه به اليها ، ولكى تكون على الوصف الذى وصفها الله تعالى به فى قوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون

بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » — ثم لكى تولد فى الحياة ميلادا جديدا يرى فيها المجتمع الانسانى ما رأى فى يومها الأول — لكى تحقق الأمة الاسلامية هذا كله أو بعضه ، ينبغى أن تعود الى كتاب الله ، وأن تصحبه على ما صحبه عليه الأسلاف ، دستورا عاملا فى الحياة ، وحارسا قائما على ظاهر الانسان وباطنه جميعا ، وحكما مطاعا ينزل على حكمه الحاكمون والمحكومون ، ويلتزم حدوده الأقوياء والضعفاء يوم يكون هذا ، تعرف الأمة الاسلامية طعم الحياة ، فتسعد ، ويسعد الناس جميعا معها ..



وهذا رمضـــــان قد أظلتنا أيامه ، وهذه ليلة القدر تنتظرنا على طريق رمضان ، وهذا كتاب الله بين أيدينا كما أنزله الله تعالى على رسوله ، لم تبدل منه كلمة ، ولم ينخرم منه حرف ..

فيا أمة الاسلام ..

ويا خير أمة اخرجت للناس ..

هذا هو القرآن ..

فكونى أمة القرآن .. تلاوة ، وتدبرا ، وتذكرا ، وعملا ..

وهذا شهر رمضان ..

فكونى أمة شهر رمضان .. صياما ، وقياما ، واستقامة ، واحسانا ..

وهذه ليلة القدر ..

فكونى أمة ليلة القدر .. صفاء روح ، وطهارة نفس ..

انك ان تفعلى ثبَّتَ الله خَطْوَك على الحق ، وألبســـك ثوب العزة والمجد ، واقامك على الصفة التى نزل بها القرآن فى وصفك والتنويه بك ، وجعلك شهادة حية ، مشرقة الجبين ، عالية الصوت لما يرتل المرتلون ، ويسمع السامعون من كلمات الله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ..

انها مسئولية كل مسلم عن نفسه ، وعن أمته ، وعن كتاب الله ، لا تبرأ منها ذمة أى المسلم حتى يكون أقرب ما يكون الى القرآن الكريم ، بحيث يأمر ويأتمر بما أمر به القرآن من معروف ، وبحيث ينهى وينتهى عما نهى عنه القرآن من منكر ، والله سبحانه وتعالى يقول فيما أنعم به علينا بالقرآن ، وبما لهذه النعمة من حق يجب أن يؤدى : « وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » .

قصــة ..

رأيت في بدر

للاستاذ : محمد الخضري عبد الحميد

ــ كيف حــال الوليــد ؟
ــ على حاله ، ما يــزال .
ــ كلنا رأينا في (بدر) ما قد رأى .. فما خطبه ، وما حقيقة شأنه ؟

همسات جانبية تتردد .. تتهامس بها الشفاه على الآذان ، في توجس ، وبخفوت .. تزداد انتشارا بين أحياء مكة ودروبها .. لا شيء يسمح بأن تتردد مثل تلــك الهمسات ، ويتسع انتشارها . هناك ما هو أشمل . ما هو أعم ، وأهم ، وأخطر . هناك (بلاء) واحد أكبر يجتاح القوم ويعصف بهم ، فيخصونه وحده دون سواه ، بكل الاحتفال والاهتمام .. هو وحسب ــ ذلك الرزء الشامل العام ــ الذي فيه يجهرون بالقول وبالفعل جميعــا .

انتهت (بدر) ، ولكن لتبدأ في أعقابها آلام وهموم الكفار .. إنهم يتعجبون لنتائجها ، ويمعنون الأنظار في دلالات عبرها وصورها . تنعقد المجالس تباعــا .. تحتــدم المناقشات باطراد ، فتعلوا الأصوات ، ويكثر التلويح المنفعل بقبضات الأيــدي في الهواء . تتضارب الآراء ، وتتناطح المؤاخذات والاتهامات .. وخلال ذلــك كله تهتز القامات ، ويشتد دق الأقدام بعنف على الرمال ، ثم .. ثم ينفرط العقد ، وتتباعد عن بعضها البعض : أشباح كاسفة ، مهيضة ، ولا لون يغلب على ملامح الوجوه ، الكالحة المربدة ، وما يدور في وسطها من مقل محتقنة ، ومحاجر زائغة ، إلا لون واحد .. لون الــدم !!

لكن وجها واحدا كان شأنه يختلف . وجه فتى قسيم ، ظل يلوح هادئا ، وضيئا .. لا تعكس أساريره الوديعة ، الذاهلــة الحزينة ، شيئا من أصداء ما يقال حوله ، وما يثار عن كثب منه ..

كان يهيم سارحا في عالم آخر ، مغاير تماما .. إذ ماذا يعني (الوليد) ، شقيق خالد وعمارة ابني الوليد بن المغيرة ، إذا كان المكر السيء حاق بأهلــه ، والدائرة دارت على قومه ، فانتهى بهم الأمر إلى هزيمة ساحقة مريرة ، على أيدي المعسكر الاسلامي في ساحــة (بدر ؟.. بل ماذا يعنيــه من الأمر كله الآن ،

وهو الذى يكابد فى الأعماق : ما يجل ويسمو على كل ما يدور إلى جواره على السطح ، من هموم ، وأحزان ؟

* * *

كان (الوليد) فى طليعة الذين خاضوا بدرا ، قبالة جيش (محمد) .

مثلما ذهب اقرانه ذهب .. وكما قاتل بنو قومه قاتل ، ما وسعه القتال .. فلم تغن عنه قوته فى النزال ، وبأسه فى الكر والطعان شيئا .. فكان أن سقط آخر الأمر أسيرا ، وفك إساره بالفدية .. ثم عاد فى النهاية ليجد نفسه ـ لا يدرى كيف ! ـ أسيرا من نوع آخر ! .. صار أسيرا للذهول ، والدهشة ، وشدة الحيرة ، بعد أن رأى بأم عينيه ، وعن كثب ، ما رأى !

ولم يرق معظم القوم فى مكة ، ما طرأ على (الوليد) من تغير .. صار سلوكه يتسم باللامبالاة بهم ، بل وبالجرأة والاستهانة بما هم غارقون فيه إلى الأذقان من ذل ، ويأس ، وكرب عظيم .. فاتفقت كلمتهم على أن يقيدوا حركته ، وأن يحصروا خطره .. فجعلوه أسيرا بينهم ، محتجزا فى عزلة اضطرارية تحت مرمى ابصارهم ..

وهكذا عاد الأسير الذى استخلص ـ بالفدية ـ حريته من المعسكر المنتصر المتسامح .. أسيرا بحق ، مفقود الحرية بشكل كامل ، وأين ؟؟ .. فى بلده ، بين آله وصحبه وكل قومه !!

لكن كلمة الحق ـ فى رأيه ـ يجب أن تقال .. ولكى تقال ، يجب أن يهيأ لها الجو المناسب .. والاطار اللائق ..

.. ويغوص (الوليد) أكثر ، ليصل إلى كنه ما يصطخب من احاسيس ومشاعر ، فى أعماقه المواره .. يسائل نفسه ، معايشا من جديد تلك الصور والرؤى .. « ماذا رأيت فى بدر ، يا وليد ؟ » .. وتسرح خواطره ، فى وحدته، وراء المشاهد الجليلة .. « محمد .. الرجل الشامخ .. القائد العظيم ... يحارب لمبدأ .. يذود عن حمى عقيدة ليس كمثلها عقيدة .. إنه النبى الذى يتنزل عليه القرآن .. ويزوره من لدن العزيز الحكيم : جبريل ، رسول السماء .. ويمضى (محمد) مزودا بتأييد ربه : ينشر على العالمين رسالة يالها من رسالة .. الاسلام .. اقوى واسمى الديانات .. ومن اجل كل ذاك البهاء والجلال ، يلتف حوله الصفوة الأخيار ، وأولو البأس الشديد . ومن الطبيعى جدا أن يحف كل أولاء الأجلاء البررة ، بذلك الرجل الشجاع الباسل الكريم ... رأيتهم كلهم ـ فى بدر ـ يتسابقون فى نصرته .. يتزاحمون على بذل الأرواح رخيصة هينة ، فى سبيل أن يبقى هو بعيدا عن كل اذى ، وتبقى رسالته ، وراية معسكره . رأيتهم فى ساحة (بدر) يتفانون فى تعضيده ، ومؤازرته ، وسحق كل من يعترض طريق النور الذى يحمل لواءه .. انتصاره إذن ـ ولا محالة ـ أمر منطقى .. أما : بنو جلدته ، ممن ناوأوه وأنكروا دعوته ، فمن المعقول جدا أن تكون هزيمتهم النكراء شيئا حتميا !.. أولئك الكفرة الفجرة ، الذين تعج بهم الدروب والطرقات ها هنا حولى .. لا شىء مطلقا مما يضىء يوجد فى أعماق أى منهم .. ومن ثم فالذى يدفعهم إلى قتاله ، ومحاولة صد تياره ، والحد من انتشار الدعوة التى جاء بها ، ليس إلا التعصب الأعمى ، والتشبث الغرير الأخرق بالضلالة والاثم .. مكابرة ـ فقط ـ وعنادا » ! ..

ويمضي (الوليـــد) ــ فى وحدته المؤنسة الكابية ــ متفكــرا ، يحـــاور ذاته .. مسائلا نفسه : (بم ــ يا ترى ــ يتقول الناس فى شأنه ، ويرجفون) ؟!

* * *

حقا ! . اولئك الذين لا يفقهون .. ماذا ــ يا ترى ــ يقولون ؟! .. اتراهم يتندرون بظمئه المجهول ، ويتفكهون ؟ .. أم هم الآن يتهمونه ــ كما اتهموا اخاه (عمارة) من قبل ــ بالخبال ، ومنتهى الجنون ؟!

ولكن .. هل يستوى الذين يعلمون .. فينكرون .. ويتعامون ، ويتصاممون .. بالذين سمعوا ــ مباشرة ــ بالآذان ، ورأوا بانفسهم رأى العيون ؟ !

هل هو بمستطيع الآن ، حتى لو اراد ، أن ينسى مشاهد وصور يوم الكر ، والفر ، والكرب ، والذهول ؟ .. بل ، وهل تستطيع كل أمـــواه الآبار والجداول ان تروى الآن غلته .. وان تنجيه من عذابات ظما عجيب غريب ، يحرق الفـــؤاد حرقا ؟ !

* * *

كيف يمكن لــ (الوليـــد) ــ بعد ــ ان ينسى محيا ذلك الليث الهـــادر الصوال ، ذا الريشة الكبيرة على صدره ، يهش بذؤابة مهنده البتار ، اعناق كل من كان يدفعهم لهيب العطش القاتـــل نحو : ماء بدر ؟ !

((هيه)) ! .. ويتنهد الفتى متأمـــلا ، سابحـــا فى بحـــران عجب ذاهل وإعجاب .. إنه كان (حمزة بن عبد المطلب) وكفى ! .. اجل ، حمزة ، وانه للرجل الذى ــ على حد قولهم هنا ــ ((ذلك الذى فعل بنا الأفاعيل)) ! .. فكيف لا يعلو ويسود معسكر من بين رجاله المقاتلين مثل ذاك الرجل ؟ . و .. حارب (الوليـــد) كما ارادوا له أن يحارب .. جاهـــد ، ما وسعه الجهد .. ولكن ما الجدوى ، وما فى الأعماق شيء مما يضيء ؟ .. إن أولئك الـــذين يحاربون فى معسكر (محمد) .. كانت ثمة طاقات علوية هائلة تشحنهم ، وينابيع من الضوء الغامر الفياض تتفجر فى اعماقهم ، فهم لا يرتضون إلا النصر المؤزر ختاما لمعاركهم . راح (الوليد) يستعيد صورا ، ويعايش من جديد : العديد من المشاهد والرؤى .. ((بلال ، وهو يحمل على امية بن خلف ، الذى كان يسومه الخسف والعذاب ، لا يدعه حتى يرديه صريعا ، وهو يكبر ويهلل ، ويهتف : ((راس الكفر أمية بن خلف ، لا نجوت إن نجا)) ! .. ((أبو جهل ذلك الطاغية الشرس ، يتهافت جدثا مثخنا بالطعنات النافذات على يد معاذ بن عمرو بن الجموح ، احـــد مقاتـــلى المسلمين الأشداء)) .. ((ابن سعيد بن العاص ، يخر مجندلا بضربة قاسية من الزبير بن العـــوام)) ..

ويتذكر ما قيل وردده الألسن واكدته الروايات ، ويكرر نص كلمـــات رجل من بنى غفار ، قال فيها .. ((اقبلت انا وابن عم لى ، حتى اصعدنا فـــى جبل يشرف بنا على بدر ،ونحن مشركان ، ننتظر الوقعة على من تكون الدبرة ، فننهب مع من ينهب .. فبينا نحن فى الجبل ، إذ دنت منا سحابة فسمعنا فيها حمحمة الخيل ، فسمعت قائلا يقول : ((اقدم حيزوم . فأما ابن عمى فانكشف قناع قلبه ، فمات مكانه ، وأما انا فكدت أهلك ، ثم تماسكت)) .. أو ذلك الرجل الآخر الذى

قال .. « إنى لأتبع رجلا من المشركين يوم بـــدر لأضربه ، إذ وقع راسه قبل أن يصل اليه سيفى ، فعرفت أنه قد قتله غيرى » .. إذن فالأمر كذلك حقا ، ليس أدل على ذلك أيضا من : تعقيب لرجل جليل هو (ابن عباس) ، أدلى به تعليقا على أحداث المعركة الكبرى .. « كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضاء قـــد أرسلوها على ظهورهم » ..

ويمضى الوليد مناجيا نفسه .. « إنى رأيت بعينى فى بدر .. الابن الذى ملأ نور السلام فؤاده ، يحمل على أبيه الذى لا يزال على الشرك ، ولأن الأب الـــذى أعمى الكفر بصره وبصيرته .. تصدى لابنه الـــذى آمن واهتدى وأخذ يذود عن معسكر الهدى مع رجال الاسلام ببسالة تنخلع لهولها القلوب ... وحاول الأب المتعصب للجهل فى تطاول تعس أن يحول بين ولده وبين صفـــوف أهله الذين لا زالوا مشركين .. فكان على الابن : أن يضع واجب العقيـــدة ، فوق أية دوافع من بنوة أو قربى » .. ويعود الفتى الظامىء الحائر الى التساؤل للمرة الواحدة بعد الألف .. « أى قوة خارقة هذه ، التى يمنحها هذا الـــدين الأسمى ، لمن نهل من مورده حتى أرتوى ؟؟ .. وكيف لى أن أمحو من مخيلتى هذه اللقطة الحية ، التى لا تبهت مطلقا ولا تبلى ؟ .. أو لم أر بعينى هاتين ، كيف أن عليا بن أبى طالب ، يجندل بحسم رهيب بعض بنى عمه ؟ لأن العقيدة والمبدأ عنده كما تعـــلم عن دينه ، وتلقى عن نبيه ، أقوى وأعلى منزلة من كل وشيجـــــة ، وأبقى ؟ » و .. و ..

وتجتاح الفتى فى نهاية كل تلك الخواطر والفكر : قوة خارقة خفية ، لا يدرى ــ فى وحدته المؤسية ــ مأتاها .. كل ما يدريه أن الكلمة التى ينبغى أن تقال فى حينها وأوانها ، نضجت ، وآن لها أن تنطلق إلى آفاقها ..

ويهب (الوليد) من فوره ، فيعمل يديه فى الرتاج الموصد عليه باحكام من الخارج .. وإذا الحديد السميك العصى : يلين ويضعف تحت شديد عزمه وبأسه .. وهكذا يفلح ــ أخيرا ــ فى فتح الباب المغلق ..

ويذهب إلى عتبة الدار التى أسروه فيها ، خشية أن يستفحل خطر ما دأب على ترديده من كلمات وآراء لا تتفق البتة ورأيهم فى (محمد) ، وكنه هذا الدين الذى طلع به عليهم (محمد) .

تنسم الهواء قليـــلا .. ثم عـــاد يسائل نفسه ، ويشاورها ويناظرها ، كما اعتاد فى الآونة العصيبة الأخيرة أن يفعـــل ..

ــ « ها قد تحررت من قيود الأسر .. الآن فقط استطيع ان اعلن ما يجيش فى سريرتى غير هياب ، وعلى رءوس الأشهاد . الا ما أجمل أن يكـــون ذلـــك عاجـــلا .. وعاليا » .

ولم يضيع وقتا ، فانفجر بملء فيه صائحـــا :

ــ يا قوم .. اسمعـــوا كلمتى .. لى كلمة يا قـــوم ، هاكم هى .. فاصغوا إلى .. !!



هرع كثيرون إليه ، انطلقوا صوبه جماعات ، دهشين ، مأخوذين .. يتعجبون ــ قبل أى شىء آخر ــ لكل ذاك البشر الطافح على أسارير وجهه ..

عيناه اللتان كانتا زائغتين ، شبه مطفأتين .. ما بالهما الآن : شع منهما بريـــق ساطع جديد ؟!.. أين الأسى ، وأين المرارة ، وأين أمائر الظمأ الشديد ، وعلائم الهم والغم والذهول العميق ؟ ! .. لم يعـــد يسطع على المحيا المتهلل سعادة وبهجة : إلا الفرحة الغامرة ، والنشوة الهائلـــة الطاغية ! .. ماذا جـــرى .. هكذا في طرفة عين لـــ (الوليد) !؟ . حاول البعض ــ عبثا ــ أن يعيـــدوه ثانية ، إلى حيث كان ! .. سأله آخرون : ما خطبه ؟ . ماذا يريد ؟ .. وما هي (الكلمة) التي عن له ــ الآن وحسب ــ أن يقولها ؟! . استبـــق بعـــض ثالث كلمة الفتى قبل أن تقال .. فأسرعوا يصيحـــون ، ساخرين هازئين :

ــ نعرف ما بك ، ونعرف سلفا كلمتك . كل ما رأيته في بدر وسمعته .. رأيناه ــ يا فتى ــ وسمعناه مثلك .. الواجب يقتضيك يا هذا أن تفعل مثلنا .. نحن ننكر كل شيء ، حتى ولو كـــان الحق الصراح .. لا نريـــد أن نعترف لـــ (محمد) وجنده بشيء ولو يسير ، من كل ذاك الفضل والمجد الذي قد علمت .. أما عن الظمأ الدائم ، الذي تشكو حرقته .. فلقد أودعنا حجرتك كل ما يكفـــي من ماء .. أفلم ترتو بعد ؟!

أنى لمثل هؤلاء أن يفقهوا .. ؟ !

أنى لتلك القلوب الصلدة الصماء ، أن تحس وتدرك ؟! .. إنها لـــو استطاعت الحس والادراك ، لفاءت إلى الموئل السامي .. ويجيب الوليـــد باسمـــا :

ــ لا . لم أرتو بعد . لكني أعرف كيف ومتى وأين أستطيع أن أرتوي ، ارتواء لا ظمأ بعده ! .. يا قوم .. تعلمون متى وكيف يقول الانسان الحر كلمته .. أنني الآن ، كما ترون ، حر ... ولن تستطيع قوة في هـــذا العالم أن تسلبني بعد اليوم حريتي .. سأقول كلمتي حرة مدوية . يا هؤلاء .. لقد أيقنت أنني في رحاب الرجل الكبير القائـــد : سأجد طمأنينتي وسكينتي ، والـــري الهنيء لظمأ روحي وفؤادي .. لم أشأ أن أقول الكلمة وأنا أسير عنـــده في المدينة ، ضمن أسرى بدر .. فما كنت إذ ذاك حرا ، ومن ثم فما كانت كلمتي لتكون (كلمة أحرار) لو أنها قيلت حينئذ .. يا قـــوم : إني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا هو عبد الله ورسوله .. والآن : افعلوا ما بدا لكم !!

من مكة ، إلى المدينة .. سار (الوليد) ، يضرب بدأب جاد ، وبعزم شديد طروب .. أنشأ قدما يضرب وحيدا في القفار والآجام .. مثخنا بالجـــراح ، موهونا ، لكثرة ما تلقى فور إلقاء (بيانه) الخطير ، من ضربات وركـــلات ، إذ لم تستطع كل قواهم المضادة الضارية ــ مجتمعة ــ أن تثنيه عن عزمه ، أو تحيد به ولو قليلا عن الشروع في تحقيق هدفه .. كان قد حدد الطريق إلى بلـــوغ أمنيته ، بعد أن كان عرف أين يكون موطن الري وموئل السكينة .. وبعد أن وثق من تخير (التوقيت) الأمثـــل ، الذي ينبغي فيه أن تنطلق ــ من عقالها ــ كلمته .

انطلق الوليد سعيدا .. يخب ماشيا في عرض الخلاء الفسيح عـــلى قدميه .. ليقول هناك (كلمة) لم يرد أن يقولها في البدء وهو أسير ، محتجز لدى المعسكر المنتصر ، حتى لا يكون ثمة احتمال لظن بأن الأسر أوهن من شجاعته أوفت في عضده ..

وبين يدي (محمد) ، ناشر الاسلام وحامل لوائه ، أعلن الفتى الشجـــاع مع إسلامه : مطلق الولاء ..



مكتبة المجلة

إعداد : الأستاذ عبد الستار محمد فيض

قبسات من السنة

فى هذه الفترة التى يحتاج فيها المسلم الى الزاد الروحى الذى يضىء له مسالك الحياة ويهديه الى أخلاق الحق والخير فى عالم يعوزه الحق والخير ، فى هذه الفترة أصدر الشيخ أحمد البسيونى المراقب العام للوعظ بالأزهر ، وهو داعية من خيرة الدعاة الى الاسلام ، كتابه (قبسات من السنة) .

وفى هذا الكتاب اقتبس المؤلف من السنة المطهرة كثيرا من الأحاديث الصحيحة ، ووقف لها بالشرح والتحليل ، واستنباط الآداب والأخلاق فى أسلوب سهل وعرض دقيق .

والكتاب (٣١٨) صفحة من القطع الكبير نشرته جماعة النشر بهيئة علماء الوعظ بالأزهر .

العوامل التى تنحر فى الكيان الاسلامى

نفثات مؤمنة ، ومشاعر صادقة ، ودراسات هادفة على صفحات هذا الكتاب تعكس ما يجيش فى نفوس المؤمنين العاملين لخدمة دينهم وعقيدتهم ، وتبرز الآمال العريضة ، والأهداف الكبرى لتحقيق ومضة من نور الايمان المنبثق من الكعبة .

وعلى صعيد رحلة النور والايمان والأخوة والتقوى التقى مجموعة من كبار الكتاب المسلمين الأستاذ عمر الحكيم ، الدكتور مصطفى عبد الواحد ، الدكتور عبد الصبور مرزوق ، الدكتور عبد الحميد الهاشمى ، الأستاذ محمد المبارك ، الدكتور محمد أمين المصرى ، مولانا كوثر نيازى ، الأستاذ انعام الله خان ، معالى حسن التهامى فى هذا الكتاب ليعرضوا للقارىء كل ما يتعلق بأمور العالم الاسلامى ...

جهود مباركة بذلها هؤلاء الأساتذة فى طريق الخير والحق والصلاح ، وجهود أخرى بذلتها وزارة الحج والأوقاف بالمملكة العربية السعودية فى طبع هذا الكتاب الذى قدم له معالى السيد حسن كتبى وزير الحج والأوقاف .

والكتاب يقع فى ٢٣٠ صفحة ، ومن طبع دار الأصفهانى وشركاته بجدة — المملكة العربية السعودية .

استراتيجية العالم الاســلامى

لقد واصلت وزارة الحج والأوقاف بالمملكة العربية الســعودية التقدم فى ميدان دعوة التضامن الاسلامى . فعقدت ندوات ثقافية . وعهدت الــى بعض الأساتذة المتخصصين فى العلوم أن يحاضروا فيها فى اجتماعات ضمت مجموعة من كبار الحجاج ومثقفيهم وأصحاب الرأى فيهم . وقد جمعت هذه المحاضرات فى كتاب قدم الى العالم الاسلامى تحت عنوان ((**استراتيجية العالم الاسلامى**)) ويعتبر هذا الكتاب بمثابة الخطوة الأولى فى طريق الاصلاح العام الشامل الذى نتمنى أن يسلكه المسلمون جميعا مبتدئين برحلة الاخــاء والتعاون على البــر والتقوى . وشهود المنافع .

والكتاب يقع فى ٢٠٠ صفحة . ومن طبع مطبعة دار الكتب فى بيروت .

شــفاء الســقام فى زيارة خير الأنــــام

تأليف الإمام الفقيه على بن عبد الكافى تقى الدين السبكى — والكتاب من التراث العربى القديم طبعته لجنة التراث العربى ص.ب ٦٢٨٣ بيروت . ومرتب على عشرة أبواب الأول فى الأحاديث الواردة فى الزيارة . والثانى فى الأحاديث الدالة على ذلك . وان لم يكن فيها لفظ الزيارة . والثالث فيما ورد فى السفــر اليها . والرابع فى نصوص العلماء على استحبابها . والخامس فى تقرير كونها قربة . والسادس فى كون السفر اليها قربة . والسابع فى دفع شبه الخصــم وتتبع كلماته . والثامن فى التوسل والاستغاثة . والتاسع فى حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . والعاشر فى الشفاعة .

وتضمن الكتاب الرد على من زعم أن أحاديث الزيارة كلها موضوعة . وأن السفر اليها بدعة غير مشروعة .

والكتاب يقع فى ٢٥٠ صفحة .

شعر الدعوة الاسلامية فى عهد النبوة والخلفاء الراشدين

الكتاب الثانى من سلسلة البحوث التى تطبعها الرئاسة العامة والمعاهد العلمية بالمملكة العربية السعودية وهو من جمع وتحقيق وشرح الأستاذ عبــد الله حامد الحامد . والكتاب يبحث فى شعر الدولة الاسلامية الــذى اتقــدت شعلته منذ فجر الاسلام الى يومنا الحاضر وأدى رسالته خلال أربعة عشر قرنا فى تصوير مشاعر القلوب المؤمنة وإرواء عواطف النفوس المتدينــة والهــاب حماسة الجماهير المسلمة وتعبئتها لرد عادية أعداء الاسلام وقد راعى المــؤلف عند جمع هذا الشعر أن تبدو فيه الروح الاسلامية واضحة بينة وحذف ما يخرج عن خط الاسلام وصنف هذا الشعر المجموع فى عشرة أبواب : الدخــول فــى الاسلام . التوحيد . الجهاد . الهجاء . المديح . الرثاء . السياسة . الأخلاق . المواعظ . شعر منوع .

وقد أقبل المؤلف على عمله هذا بصدق وبذل له من نفسه بســخاء ولبس له ثوب الباحث الذى يقدر المسئولية .

والكتاب يقع فى (٦٠٠) صفحة وهو من مطبوعات كلية اللغة العربيــة بالرياض .

الفتاوى

الحيض

السؤال :

العريف محمد رضا من الجمهورية العراقية يسال : هل يحرم الطعام من يدى امرأة فى فترة الحيض ؟

الاجابـــة :

الاسلام دين سمح لا يعسر على الناس ، ولا يضيق عليهم معايشهم ، بل يقدر الامور بقدرها دون تجاوز ، فالحيض لا يحيل المرأة — وهى المخلوق الآدمى الداخل فى تكريم الله سبحانه — الى شىء نجس أو رجس يتحتم اجتنابه وعـــدم مخالطته ، بل يبيح لنا الاسلام معاشرة زوجاتنا خلال فترة الحيض والاستمتاع بمخالطتهن الا النكاح ، وجميل ما دار بين رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ، وبين السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، قال لها رسول الله « ناولينى الخمرة من المسجد — والخمرة ما يوضع ليسجد عليه المصلى أو (السجادة) — فقالت : انى حائض فقال : ان حيضتك ليست فى يدك » رواه مسلم ولعل المراد بالمسجد مسجد بيته الذى كان يتنقل فيه .

وروى البخارى فى صحيحه عن ميمونة أم المؤمنين رضى الله عنها ، أنها كانت تكون حائضا لا تصلى وهى مفترشة حيال مصلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يصلى على خمرته اذا سجد أصابنى بعض ثوبه .

وعلى هذا يا أخ محمد فلا حرج فى أن يؤكل الطعام من يدى امرأة ، وهى فى فترة الحيض ، بل لو صلى رجل الى جوار زوجته الحائض ولمستها ثيابـــه فصلاته صحيحة .

الجهــاد

السؤال :

الاخ ع. ع. يسال عن حكم الجهاد ، وهل هو دائما مفروض على كل أحد ؟

الاجابـــة :

الجهاد بمعنى بذل الجهد فى سبيل اعلاء كلمة التوحيد ، وصيانة أحكـــام القرآن المجيد ، وحماية مقدسات الاسلام فريضة لازمة الى يوم القيامة ، ويكون بالحجة : فقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم به منذ كان بمكة وقال تعالى : « فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا » . وأما أن يكون بالقتال ، وقد أذن للمؤمنين فيه أولا ولم يفرض عليهم بقوله سبحانه : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا » ، ثم فرض عليهم القتال بعد ذلك لمن قاتلهم بقوله جل وعلا : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم » ، ثم فرض عليهم قتال المشركين كافـــة بقوله عز جاهه : « وقاتلوا المشركين كافة » .

وهكذا كان محرما ثم مأذونا به ثم مأمورا به لمن بدأهم ثم مأمورا به لجميع المشركين . والجهاد اما فرض عين على أحد القولين أو فرض كفاية على المشهور . والتحقيق أن جنس الجهاد فرض عين : اما بالقلب واما باللسان ، واما بالمال ، واما باليد . فعلى كل مسلم أن يجاهد بنوع من هذه الانواع . اما الجهاد بالنفس ففرض كفاية وأما الجهاد بالمال فمثله لان الامر بالجهاد به وبالنفس في القرآن سواء كما قال عز من قائل : « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله » وعلق النجاة من النار به ومغفرة الذنب ودخول الجنة فقال : « يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم » .

روى أحمد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حرس من وراء المسلمين في سبيل الله متطوعا لا يأخذه سلطان لم ير النار بعينيه الا تحلة القسم » .

وفي الترمذي عنه : « ليس شيء أحب الى الله من قطرتين أو اثرين : قطرة دمعة من خشية الله وقطرة دم تراق في سبيل الله . وأما الاثران : فأثر في سبيل الله وأثر في فريضة من فرائض الله » .

وكان يستحب للرجل منهم أن يقاتل تحت راية قوم . وربما يستأجر الرجل من ماله من يخرج في الجهاد . ويسمون ذلك الجعائل وفيها قال النبي صلى الله عليه وسلم : « للغازي أجره وللجاعل أجره وأجر الغازي » .

التنفل قبل صلاة العصر

السؤال :

السيد ع. س من منطقة الفيحاء بالكويت يسأل عن المراد من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « رحم الله رجلا صلى قبل العصر أربعا » فهل هذه الصلاة تجوز قبل الاذان أم بعد الاذان ؟

الاجابـة :

الى السيد السائل نقول : ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة ترغب المسلمين في صلاة النافلة قبل صلاة العصر المفروضة لكن بعض الروايات تنص على التطوع بركعتين وبعضها يرغبنا في أربع ركعات . روى النسائي عن أم حبيبة — أم المؤمنين — رضي الله تعالى عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من صلى في يوم وليلة اثنتى عشرة ركعة بني له بيت في الجنة . أربعا قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين قبل العصر وركعتين بعد المغرب وركعتين قبل صلاة الفجر » .

ومن حديث علي رضي الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي قبل العصر أربع ركعات .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص عند الطبراني مرفوعا بلفظ « من صلى أربع ركعات قبل العصر لم تمسه النار » .

وروى الطبراني عن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من صلى أربع ركعات قبل العصر حرم الله بدنه على النار » .

لكن الرواية التي أوردها السائل قريبة مما رواه أحمد عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رحم الله امرءا صلى قبل العصر أربعا » .

وعلى كل فهذه النافلة وقتها بعد أذان العصر وقبل صلاة الفريضة .

بريد الوعي الإسلامي

اعداد : عبد الحميد رياض

دار القــرآن الكريم

قرأت عن افتتاح دار للقرآن الكريم :
وأود ان اعرف ما هو الهـــدف من إنشائهــا ، وساعات الدراسة فيهــا ، والمعلومات التى يحصل عليها الطالب ، والشروط اللازمة لقبول الطالب ؟
احمد المرزوق ــ الكويت

. . . . . .

من المعلوم أن الهدف من إنشاء دار للقرآن الكريم هو الحفاظ على دستور هذه الأمـــة ، ومكمن عزتها ، وموطن الرجاء فى صلاحها . فلقد جمع اللـــه بالقرآن القلوب ، وقوى به العزائم ، فانعقدت به أواصر ود لا تهن ، وتماسكت به روابط أخوة لا تلين ، وهو كتاب الله الذى لا يأتيه الباطـــل من بين يديه ولا من خلفـــه .

فحرى بالمسلمين ان يحرصوا عليه فى كل عصر ، وأن يصونوه من التحريف والتبديل ، ولا يتركوه هدفا سهلا أمام الحريصين على تشويه حقائقه .

ولقد جاء هـــذا المشروع امتدادا طبيعيا وتنفيذا صادقا لوعد الله : « إنا نحن نزلنا الـــذكر وإنا له لحافظون » ولن يخلف الله وعده ، فهو دائما سبحانه يوجد المناخ المناسب فى الوقت المناسب فوق أرض طيبة ، وذلك ليظل القرآن النور الهادى سواء السبيل ، والمنبع الصـــافى للعـــالمين فى مأمن من تلاعب الأهـــواء بـــه .

ثم يسرت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالـــكويت اتمامـــه فى العام الماضى ، وهيئته ليكون موافقا لما جبل عليه المسلمون فى كل العصور من الاقبال على حفظ القرآن الكريم ، وحرصهم الشـــديد على معرفة تفسيره ، والالما بأحكام تجويده .

والدراسة فيه صباحية ومسائية كل فترة ثلاث حصص يحفظ فيها الرجال المقرر من القرآن ، ويفقهون ما استطاعوا تفسيره ، ويتلقون تجويده فيحسنون تلاوتـــه .

والشروط لا تعدو معرفة الكتابة والقراءة التى تمكنهم من حسن المطالعة والمتابعـــة ، ولتكون معينهم على الحفظ ، وإتقان معرفة أحكام تلاوته ، وتنفيذ ذلك بفهم يمكن الحفـــظ فى صدورهم .

الخمـــر

والدى يشرب الخمر ، ويأمرنى بإعداد مائـــدة الشراب ، وإحضاره لـــه كل ليلة .

وإنى اطلب منكم أن توجهوا لـــه كلمة تشرحون فيها مضار الخمر عليـــه حتى يعود الى صوابه .

وهل على جناح أو ذنب يعاقبنى الله عليه لاعدادى مائدة شرابه ؟

ع . س

. . . . . .

عندما حرم الاسلام الخمر واعتبرها من الكبائر . وسن لشاربها حدا يكون زاجرا لـــه ولغيره . وإنما كان يهدف الى الحفاظ على المجتمع المسلم من التمزق الأخلاقى . والانهيار الجسمانى . والضياع المالى للأفراد .

والشارع الحكيم يعلم ما يصلح المجتمع ، وما يحفظ عليه كيانه ، وما يحميه من اللذات المهلكـــة لقواه . المقوضة لأخلاقه . لأن سلامة الأخلاق جانب مـــن الجوانب الهامة التى بها يصلح الانسان للقيام باعباء الخلافة الأرضية على احسن الوجوه واكملها كما أراده الله أن يكون : « ولقد كرمنا بنى آدم » وعلى هـــذا الخمر تنافى كل المكرمـــات . فهى صد للذين آمنوا عن ذكر الله ، وعن الصلاة ، وايقـــاع للعداوة والبغضاء فى صفوف المسلمين ، لأنها تفقد الانسان وعيه ، وتنسيه واجباته . وتهيج فيـــه النزوات الشريرة ، وتحرمه يقظـــة الضمير والحس . واليقظـــة التى أرادها الاسلام للمسلم عامل إيجابى فى حماية ماله . وصيانة عرضه . ووعـــاء نظيف يقيه التلف الجسمانى .

والغيبة التى يعيشها الانسان المخمور إنما هى هروب من واقعه ساعة سكره ، وجنوح به الى التصورات التى يحياها ، وفقدان للمعانى الانسانية فيه .

فالخمر تثير فى الانسان النشوة المحمومة الهابطة به الى الحيوانية . فلا يرى الحقائق التى يواجهها بعين بصيرة ، وإنما يزيغ عنها ويعيش مع احـــلام لا تمت للواقع بصـــلة .

وإن قول الله تعالى فيصل عدل : « يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقـــع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون » .

وفى رواية لابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها وآكل ثمنها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه » .

والذى نرجوه من الوالد الا يضع نفســه موضع التهم من أبنائه فيشوه بذلك الصورة الجميلة التى يرجوها الولد فى ابيه ، فهو حاديه الى اقوم سبيل ، واسمى منهج على طريق النور ، وكيف لا والوالد هو المدرسة الأولى للحياة التى يخوض على أساسها ابنه معتركها ، فكيف يتسنى للوالد أن يجر ابنه للهاوية ويقوض فيه دعائم الأخلاق ، ويهيئه للخوض فى غمار الرذيلـــة ؟!

أنصحك بالابتعاد عن موطن الشراب ، وبـــذل كل الوسائل الممكنة للحيلولة دون إدمانه الشراب ، وكذلك وقاية نفسك من المشاركة فى هذا الاثم ، فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

بأقلام القراء

فى التربيـــة

للأستاذ / عبد الرحمن احمد شادى

رأيت كثيرا من الآباء والأمهات يتفانون فى خدمة أولادهم ، ويكفونهم قضاء مصالح الأسرة الكبيرة منها والصغيرة ، الجليل منها والدقيق .. وما يحتاج الى المشقة وما يتم بمجهود يسير ، حتى بعد أن يشبوا عن الطوق ، ويستطيعـوا خدمة أنفسهم ...

فاذا زاد العدد ، وثقل الحمل ، وكبر الأولاد ، كان من الصعب تكليفهـم بشىء لم يتعودوه ، ولم يألفوه منذ نعومة أظافرهم ، فيشتكى الآباء والأمهات من البرود والجمود والجحود الذى يصادفهم من أبنائهم مر الشكوى ، وأنهم لا يعينونهم حتى فى خدمة أنفسهم ، وفى قضاء مصالح الأسرة ، ونسبوا ذلك الى العقوق والاهمال ، وفساد الزمن ، وقلة البركة ، وأثر الطعام الحرام وتذاكروا ما كانوا يفعلونه مع آبائهم ومعلميهم ، حتى ولو كانوا قساة ، فالطراز الشائع فى عصرهم الطاعة والاحترام لا يشذ عنه الا القليل ، وكانوا على حق فى هذه الشكوى الا انها جاءت بعد فوات الأوان ، وضياع فرصة التعود والتعلم فى الصغر ، وهو كالنقش على الحجر فيما يذكر المثل كان الفضول الغريزى وحب الاستطلاع فى الطفل يتدخل فى بداية الأمر ، فيحاول أن يقلد أبويه فيكفه الوالد أو الأم عن هذا التقليد بحجة أنه صغير لا يعرف شيئا ، ولا يتقن العمل الذى يؤديه الأب أو الأم ، ويصرفه الى اللهو واللعب ، ثم يتكرر هذا الموقف كل مرة حتى بعد أن يكبر الطفل ، ويصبح من السهل تعليمه ، ويكون من المناظر المألوفة بعد ذلك أن يعمل الأبوان فى مصالح الأسرة والأبناء لا يعرفون شيئا كأن الامـر لا يعنيهم لانهم شبوا على عدم التدخل فى أعمال الكبار ، وعدم المبالاة بمصالح الأسرة ، وكان من الخير للأبوين أن ينمى كل منهما فى دائرة عمله هذا الاهتمام فى الطفل ، فيكلفه بشىء يسير من العمل ، ويلفت نظره بلين ورفق الى الأخطاء والعيوب حتى يبتعد عنها بالتدريج ، وبعد كثرة التكرار ، ولا بد أن يأتى عليه يوم يؤدى فيه العمل المطلوب كما يؤديه الكبار ، ثم يتدرج الأبوان معه بعد ذلك الى ما هو أعظم وهذه الاعمال تبدأ بخدمة نفسه وارتـداء ملابسه ، وتنظيف الأيدى والأوانى والمنزل والملابس وترتيب الفراش واحضار الطعام ، ومساعدة الأب فى عمله الذى يكتسب منه رزقه ان كان مما تمكن فيه المساعدة كالزراعة والتجارة وبعض الحرف والصناعات .

ولا بد من توزيع الأعمال على الأولاد بحيث يقوم كل فرد بنصيبه ، ولـو ادى الأمر الى نظام المناوبة لكى يشعروا بالعدل والمساواة ، وينشأوا على حب العمل ، وتحمل المسئولية ، وتقدير الدأب والنشـاط والاجتهاد ، والبعد عـن الفراغ والاهمال والفوضى والترف .

وما دام الطفل قد بلغ سن التمييز والفهم فلا بد أن يعوده أبوه على الصلاة لتصبح الصلة بينه وبين الله حقا مقررا ، وعادة متبعة ، ومن الخطأ أن ينهى الطفل عن الصلاة أصلا اذا ارتكب بعض الأخطاء فى فترة التعليم ، فكثير من المصلين ينهرون الأطفال ، ويطردونهم شر طردة اذا ارتكبوا بعض الأخطاء حتى يخشوا دخول المسجد مرة ثانية خوفا من قسوة الكبار عليهم ، وهم يأتون الى المسجد بقلب سليم ، ورغبة صادقة ، والنفوس الغضة البضة أولى بالرفق واللين والحكمة والموعظة الحسنة ، وتأليف القلوب من الكبار ..

ومن هذا تعويدهم على الصيام أيضا ، والتهاون فى الصغر يؤدى الى أوخم العواقب فى المستقبل لأن معظم النار من مستصغر الشرر ، ومن الواجب على الأهل أيضا الاشراف على سير الطفل فى المدرسة ومساعدته على أداء واجبه أولا بأول ، حتى تتكون عنده العادة والاهتمام بالعلوم فى المدرسة ، فيسير مع أبناء جيله ، ولا يتخلف عنهم ، فقد يكون عدد التلاميذ فى الفصل فوق طاقة المدرس ، وعند كثير من الآباء والأمهات الفراغ الطويل الذى يقضونه فى النوادى والحفلات والمسامرات والمقاهى ، وعندهم من العلم على الأقل ما يمكنهم من رعاية أبنائهم فى المرحلة الاولى من التعليم وهى أساس البناء ، ولكنهم يشتغلون بما لا يفيد ، ويلقون عبء الأولاد فوق المدرسة وحدها ، ويظلون نائمين وغارقين فى العسل سنوات الى أن يكتشفوا بعد فوات الأوان ، أن الطفل لم يتقدم فى مدرسته وأن أول امتحان جدى رسب فيه الطفل ، وأن أبناءهم من الرعية التى سيسألون عنها ورد فى الحديث ..

عن ابن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالإمام راع ومسئول عن رعيته والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته) الحديث متفق عليه وهو مشهور .. وفى بعض كتب السنة (أليس من الخير للآباء والأمهات الاستفادة من الفرص الطيبة التى تتاح لهم قبل فوات الأوان اذ لا فائدة بعد ذلك من شكوى العقوق والاهمال والفساد والبكاء على اللبن المراق ، والحسرة على الأيام الخالية) .

ليلة القدر

من قصيدة للأستاذ / أمجد عبد الحميد البكرى ــ جامعة بغداد :

يا خير أيام السنين ضحاها — يا خير انسام الربيع صباها
يا ليلة فيها الملائك نزلت — واختارها الرحمن دون سواها
يا صاحبى لو قمتها ــ لو مرة ــ — لرأيت أعظم ساعة تحياها
ولهمت فى أنسامها وعبيرها — ورأيت حلو نجومها وسماها
لو مرة عفت المنام بجوفها — وسقيت روحك ماءها وحياها
لرأيت فى الوحى الكريم وآية — للروح كل رجائها ومناها
ولذقت فيها للصلاة حلاوة — وعرفت سر محبتى إياها
لو تبت للرحمن واستغفرته — وتلوت بعض الآى فى ذكراها
لرأيت أنى صادق فى وصفها — واذن ستهواها كما أهواها



قالت صحف العالم

اعداد : فهمى الامام

موقفنا من صراع العصر

الدين الاسلامى ليس دين فرد .. وليس مجرد شعارات ولا طقوس .. ولكنه دين أمة .. لا بــد أن يتمثل فى واقع .. ويظهر فى السلوك والمعاملات .. لا قيمة فيه للشعارات اذا كانت فارغة لا تحقق غاياتها .. ولا قيمة للطقوس الدينية اذا كانت جــوفاء من روح العبادة ومغزاها ، ولا بد لكى نكون مسلمين حقا .. أن نحاول تغيير كل باطل بالحسنى .. وأن نقــرع الحجة بالحجة .. وكلمة الله ــ أبــدا ــ هى العليا .. والآن فما موقفنا مــن هــذا الصراع الدائر فى هذا العصر ؟! نشرت مجلة « الهدى الاسلامى » الليبية مقــالا حول هذا الموضوع نقتطف منه ما يلى :

.. .. ..

« إن الذين يتصورون إمكانية الانتساب الى عقيدة ما ، دون التقيد بحدودها وبالتزاماتها ــ هؤلاء ، لا يحترمون العقل ولا يقرون للمنطق بقيمة ، وما جدوى أن ينتسب المرء الى منظمة مثلا ــ ويكتفى بحمل بطاقة العضوية دون ان يكون له جهد فى نشاطها او تأثر بأهدافها ؟ ..

ان الانقياد الكامل ، والالتزام التام بعقيدة الاسلام لا يكون بمجرد الانتساب اللفظى أو الجغرافى بل بالعمل والتأثر والتأثير .. .

وماذا يفيد الاسلام منى إذا انا اكتفيت بذات نفسى ، وانعزلت عن الناس، وعن مجالات النشاط ، فلا أعطى للآخرين من جهدى وفهمى » !

إننى فى هذه الحالة كالمشلول الأخرس فى القافلة لا فائدة منه .. وويل للقافلة . عندما يتكاثرفيهاالمشلولون الخرس !!

إننا جميعا نعانى هذا القصور ، فى أنفسنا وفى حياتنا .. نعانيــــه فى أنفسنا : فى صورة انسلاخ عن معانى الاسلام الحية ، وعن تأثيراته الفعلية ، فلا نكاد نقوى على مغالبة الأهواء فى نفوسنا ، ولا فى توجيه أعمالنا نحو الخير الذى حدده ، ونحو النور الذى أضـــاء به معالم الطريق ..

ونعانيه فى حياتنا ، انفصاما هائلا بين الواقع الذى نعيشـــه . وبين النظام الخالد الذى يجب أن يحكم هذا الواقع ويسيره .

لا بد من استقامة الخطين .. ولا بد من إقامة الدليل على هذه الاستقامة ، والا تعطلت المسيرة ، وانعدم الأثر ، واضمحلت الفكرة ، وانقطعت صلة الجيل بماضـــيه ..

وهذه هى الغاية .. غاية أعداء هذه الأمة ، من صـــــهيونية موتورة ، وصليبية حاقدة ..

فهم يولون فكرة الفصل بين ماضى هذه الأمة وحاضرها ، كل جهودهم : يولونها بالحرب المباشرة بيننا وبينهم ، وبالحرب الخفية عن طريق التلاميــذ والعمــلاء .

ولقد أعطتهم طول التجربة وحنكة الممارسة قدرة على اصطياد الاتباع والعبيد .. حتى توصلوا الى إشعال نار الفرقة والخلاف بين الأمة الواحدة. ومزقوا أرضها الكبيرة الواسعة الى أقطار صغيرة فقيرة .. وحكموها من خلال أسماء نعرفها .. وتلك غاية فى الهوان والمذلة ..

وكأنما التاريخ يريد أن يعيد نفسه ، يوم أن كانت أمتنا ممزقة هنا وهناك ، يتأثر هذا الجزء بالفرس ، ويتأثر هذا الجزء بالرومان ، تماما أليست هذه الصورة ، متشابهة مع الواقع اليوم ؟!

وكما أنقذ الله أمتنا فى ذلك التاريخ من تبعية الفرس والروم ، يمكن اليوم أن ينقذنا من تبعية خلفاء الفرس والروم !! ولكن بماذا ؟! بنفس الطريقة .. وبنفس الأسلوب .. بنفس الرسالة .. وبنفس الدين !!

الإصلاح بإحسان ..

أمتنا الاسلامية اليوم فى أمس الحاجة الى من يأخذ بيدها لينقذها من مهاوى الانقسام والتردى فى متاهات المبادىء الهدامة ، وتعدد الآراء والمذاهب .

فى حاجة الى من يجدد لها شبابها .. فيبعث فيها سيرة الاوائل .. الذين ساروا على الطريق السوى .. طريق الايمان .. ودعوا الى الله باحسان .. فكانوا خير أمة أخرجت للناس .. يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .. أمتنا الاسلامية فى حاجة الى الاصلاح « الاصلاح باحسان » .. وتحت هذا العنوان نشرت مجلة « دعوة الحق » المغربية مقالا قيما نقتطف منه ما يلى :

لقد جابهت أمتنا الاسلامية بوسائلها المادية والمعنوية ما نجابه نحن اليوم، من كيد الكائدين ، وجحود الجاحدين .. ! فخاضت بإيمان ، وعزم ، وأمل معركة الحياة فى العلم ،والفكر ، والسياسة ، والحضارة . وكتبت سجلها بحروف من نور فى كل هذه الميادين ..!

— فلماذا كان ذلك بالأمس .. ؟

— ويكون هذا فى اليوم .. ؟

إن السبب يكمن فى أن أولئك نهجوا منهاج الصلاح والإصلاح بالإحسان ! وفهموا كل شىء يحيط بهم فهما شموليا مترابط الحلقات .. وعلموا أن عنجهية القوى تنبت حقد الضعيف .. !

ورعونة الغنى تنبت حسد الفقير .. !

واستهتار المسرف ينبت مكر المحروم .. !

فكان هدفهم أن يحسنوا التصرف ، ويفرضوا لا فرض القانون الملزم .. ! ومتى نبت فى مجتمع ما ، ضمير حى مؤمن رأيت الناس : حاكمهم ومحكومهم وخاصتهم وعامتهم يتسابقون الى الاصلاح ، وتقاسم السراء والضراء، وأداء الواجب الذى تفرضه الشريعة الطبيعية . ولم يحل ذلك بينهم وبين التمتع بالطيبات وجنى الثمرات على اختلاف الحالات والمستويات .. ! لأن حسن التصرف هو الحد الفاصل بين الشىء ونقيضه . والحالة وضدها .. !

وعلى هذا الأساس كان المنهاج الاسلامى وما يزال حبل النجاة لإصلاح حالة المسلمين ، وإعادة الثقة الى نفوسهم ، والإيمان الى ضمائرهم ، وصدق رب العزة سبحانه فى قوله :

« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين » .

أخبار العالم الإسلامي

اعداد : الدكتور عبد المعطي بيومي

الـكويت : مثل الكويت فى مؤتمر علماء المسلمين الذى انعقد بالقاهره فى الشهر الماضى السيد الأستاذ راشد الفرحان وزير الأوقاف والشئون الاسلامية .

● قام وزير الاوقـاف والشئون الاسـلامية بزيارة الى السودان عقب حضوره مؤتمر علماء المسلمين الذى انعقد بالقاهرة فى الشهر الماضى وقد اجرى الوزير مباحثات مع وزير الشئون الدينية فى السودان .

● تسلمت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ثمانية مساجـد فى مناطق مختلفة من الكويت .

● تبرعت الكويت بمبلغ ١٠٠ الف جنيه لبناء المركز الاسلامى فى الخرطوم .

● وضعت الكويت ١٥ منحة تحت تصرف دول الخليـج لتأهيل عدد مـن رعاياها فى مجال المواصلات اللاسلكية .

● ستساهم الكويت مع الأمم المتحدة ببناء معهد لعلوم البحار يكون مقره مدينة الاسكندرية فى مصر .

مصر : أكد الرئيس أنور السادات انه سيعمل على تربية الشباب على قيم الاسلام وأنه سيعمل على اقامة المجتمع الاسلامى .

● اتخذ مؤتمر علماء المسلمين الذى انعقد فى القاهرة فى الشهر الماضى عدة قرارات وتوصيات .

● أهدى الرئيس انور السادات طنين من الادوية الى المسلمين فى الفلبين لعلاج جرحاهم من جراء الاضطهادات التى يلاقونها فى بلادهم .

● قرر الدكتور عبد الحليم محمود وزير الاوقاف وشئون الازهر فتح جميع المساجد أمام النساء لاداء الصلاة خلف صفوف الرجال بعد أن كان ذلك محظورا عليهن .

● وزعت الجوائز على المتفوقين من المتسابقين فى حفظ القرآن الكريـم اثناء العطلة الصيفية الماضية .

السعودية : اعتمد مبلغ ١٤٫٥ مليون ريال للمشاريع الجديدة فى مكة كما اعتمد مبلغ ١٫٢ مليون ريال لانارة مشعر منى و ٦ ملايين لمشاريع أخرى .

● تقوم لجنة من المهندسين بدراسة انشاء بعض الطرق التى تربط مشاعر الحج وتيسر القيام بالمناسك .

الأردن : قرر مجلس الاوقاف الاردنى تخصيص مبلغ سنوى للانفاق على أربـع بعثات دراسية لطلاب اتراك سيدرسون فى كلية الشريعة بالجامعة الاردنية .

● ثارت الاضطرابات فى الشهر الماضى بين العرب سكان مدينة الخليل وبين اليهود المتعصبين الذين جلبتهم اسرائيل بسبب عمل هؤلاء اليهود على هدم

الحرم الابراهيمي واقامة كنيس يهودي مكانه .

● طلبت منظمة التحرير الفلسطينية في مذكرة رفعتها الى الجامعة العربية ٦ ملايين جنيه لأسر الشهداء والمعتقلين .

● بلغ عدد الفلسطينيين ٣٫٦٠٠٫٠٠٠ نسمة (احصائية صادرة عن مكتب الاحصاء في القدس المحتلة) .

سوريا : صرح الرئيس السوري حافظ الأسد بان (الدستور السوري لا ينص على أن دين الدولة هو الاسلام) ولكن هذا لا يمنع من أن الشعب العربي السوري مؤمن ايمانا عميقا بدينه وقيمه الروحية .

لبنان : قامت القوات الاسرائيلية ببث الارهاب والرعب والتدمير في قرى جنوب لبنان وقد استعملت اسرائيل في عدوانها ٦٠ طائرة و ٥آلاف جندي و ٢٥٠ دبابة ومدرعة .

ليبيا : اتخذ الرئيسان معمر القذافي وأنور السادات عدة قرارات وخطوات لتكوين القيادة السياسية الموحدة في سبيل الوحدة الاندماجية بين مصر وليبيا .

● بعث الرئيس القذافي برقية الى الرئيس اللبناني ابان العدوان الاسرائيلي على جنوب لبنان يسأله عما اذا كان مستعدا لاستقبال قوات ليبية تقف استعدادا لمشاركة لبنان في رد العدوان .

● هاجم الرئيس القذافي الاتحاد السوفياتي بأنه يقف في صف واحد مع الاستعمار والصهيونية .

● بلغ عدد المتطوعين العرب مع الثورة الفلسطينية والذين يتدربون في ليبيا ثمانية آلاف متطوع .

المغرب : قرر الملك الحسن انشاء دار على نمط دار الحديث الحسنية تسمى دار القرآن الحسنية تقوم بشأن الدراسات القرآنية والاسلامية المنبثقة من القرآن الكريم .

اليمن : تبذل جامعة الدول العربية مساعيها لتكوين لجنة تحكيم ومصالحة بين اليمن الشمالية والجنوبية .

باكستان : رفض مجيب الرحمن اجراء اى حوار مع الرئيس الباكستاني ذو الفقار على بوتو قبل أن تعترف باكستان بما يسمى دولة بنجلاديش في باكستان الشرقية .

اوغندا : اعتدت تانزانيا على حدود أوغندا في الشهر الماضي وقد أعلنت القوات الاوغندية انها قتلت ثلاثة من الجنود الاسرائيليين المرتزقة كانوا يعملون في جيش تانزانيا .

● أكد الرئيس الليبي معمر القذافي للرئيس عيدى أمين أن سلاح الطيران الليبي على أهبة العمل تحت تصرف الرئيس الاوغندي .

● بعث الرئيس عيدى أمين برقية الى أمين الامم المتحدة دعا فيها الى أن يرحل الاسرائيليون من فلسطين ليستقروا في بريطانيا باعتبارها التي بادرت الى بعث الدولة الصهيونية وأكد الرئيس أمين أن عملية ميونيخ عملية انتحارية اتاها اشخاص فقدوا وطنهم ضد اسرائيليين اغتصبوا هذا الوطن وكانوا يعيشون في الخارج .

« الى راغبى الاشــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار ــ ٧ شارع الصحافــة .

جــدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب ٢٠٤٣ .

الرياض : مكتبة مكــة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعــة ضياء .

عــدن : وكالة الأهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

المكــلا : مكتبــة الشعب ــ ص.ب ٢٨ .

مســقط : المكتبــة الحديثة ــ السيد يوسف فاضل .

صنعــاء : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

دمشــق : الشركة العامة للمطبوعات ــ ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ــ ص.ب ٢٤٧٣

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية ــ ص.ب ٦٧ .

عمــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات ــ ص.ب ٢١٥ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى ــ ص.ب ١٣٢ .

بنغــازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص.ب ٢٨٠ .

تــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ كورنيش المزرعة .

دبــى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ السيد غازى بساط .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ ص.ب ١٧١٩

الدوحــة : سالم الانصارى ــ الدوحة / قطر .

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الثامنة ـ العدد ٩٤ ـ شوال ١٣٩٢ هـ ـ ٦ نوفمبر ١٩٧٢ م





استقبل حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم بقصر السيف العامر جموع المهنئين من المواطنين بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك . ويبدو في الصورة سموه يصافح رئيس مجلس الامة خالد صالح الغنيم .



مسجد غازى خسرو بك وبجواره
تبدو أسوار بعض القلاع الأثريـــة
« تراجيفو ــ يوغسلافيا »

صالح أحمد

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة الثامنة
العدد ٩٤

غرة شوال ١٣٩٢ هـ
٦ نوفمبر ١٩٧٢ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربى	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
أما الأفراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
ص.ب١٣ هاتف : ٤٢٢٠٨٨ــ كويت

الدّعوة
إلى العمَل القيادى العَربى المخلص

افتتح سمو نائب الامير المعظم وولى العهد الشيـخ جابر الاحمـد الصباح دور الانعقاد الثالث لمجلس الأمة فى السـابع عشر من شـهر رمضان ١٣٩٢ هـ ، وفيما يلى النطق السامى الذى تفضل به سموه .

« بسم الله الرحمن الرحيم »

بعونه تعالى وتأييده نفتتح دور الانعقاد الثالث للفصل التشريعى الثالث لمجلسكم الموقر .

حضرات الاخوان :

يعز علينا ونحن نحتفل بافتتـاح هذه الـدورة الا يكـون حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم بيننا ليرأس هـذا الحفـل وليباركه بنفسه . اننا نتطلع الى عودة سموه الى أرض الوطن عاجـلا بموفور الصحة والعافية مشمولا بعناية الله ورعايتـه ليباشر مهامـه الجسام .

حضرات الاخوان :

لقد اخترنا الديمقراطية وارتضيناها فكانت لنا نعم المنهـاج والسبيل ، وما نخشاه اليوم هو أن تتعرض هذه الديمقراطيـة لخطر الانتكاسة بسبب من يعمل على استغلالها سواء لمكاسبه الشخصية أو لهدم القيم الروحية والاخلاقية واشاعة الفوضى والتفرقة بيننا . فعلينا جميعا أن نقضى على كل الاسبـاب التى تعمل على تشويه هـذه الديمقراطية أو استغلالها من أى مصدر كانت .

لقد أفاء الله علينا بثروة يسرت لنـا سبل الحياة الحرة الكريمة ، وجعلنا منها لأنفسنا ولغيرنا عونا وسندا ، ولكن علينا أن لا ننسى حق



سمو نائب الأمير وولى العهد الشيخ جابر الاحمد الجابر يستمع الى رئيس مجلس الأمة وهو يلقى كلمة ترحيبية بسموه فى حفل افتتاح دور الانعقاد العادى الثالث للفصل التشريعى الثالث لمجلس الأمة .

أجيالنا القادمة من هذه الثروة فيجب ألا تستحوذ الانانية على نفوسنا ونعب منها بمختلف الوسائل ونترك أجيالنا القادمة تعيش فى ظلام يكتنفها من كل جانب .

حضرات الاخوان :

أن التطور الكبير الذى تمر به بلادنا يدعونا الى المزيد من اليقظة فى أعمالنا سواء من ناحية الغايات أو الاساليب وأن الضمان الحقيقى لاستمرار هذا التطور هو ترسيخ التعاون والتآخى فلنفكر بروية وعمق قبل اتخاذ أى قرار أو سن أى تشريع ، وليكن تصورنا الوطنى ملازما لكافة أعمالنا واضعين مصلحة الوطن فوق كل اعتبار .

حضرات الاخوان :

ان التحديات التى تواجهها أمتنا العربية تفرض علينا أن نرتفع الى مستوى الاحداث وأن نتخذ الوسائل الكفيلة بالرد عليها ، وهذا يتطلب من القادة العرب عملا مخلصا جماعيا جادا لمجابهة العدو ومن يسانده حتى تتخذ أمتنا العربية مكانها اللائق فى المحيط العالمى .

سدد الله خطانا جميعا وألهمنا طريق الصواب ووفقنا لما فيه خير وطننا وأمتنا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فى الخطاب الأميرى

○ القضية الفلسطينية
○ نشر الدّعوة الإسلامية

القى سعادة الشيخ سعد العبد الله الصباح رئيس مجلس الوزراء بالنيابة ووزير الداخلية والدفاع الخطاب الأميرى فى حفل افتتاح دور الانعقاد الثالث للفصل التشريعى الثالث لمجلس الأمة . وقد استهل الخطاب بالحديث عن الاحتلال الصهيونى وموقف الكويت من القضية الفلسطينية وتناول سياسة الدولة على الصعيد الداخلى والخارجى .

وفيما يلى بعض فقرات منه تتصل بالقضية الفلسطينية ، وجهود وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية فى نشر الدعوة .

حضرات الاعضاء المحترمين

رغم مرور أكثر من خمس سنوات على عدوان عام ١٩٦٧ ، فان الاحتلال الصهيونى للارض العربية لا يزال قائما يتحدى كل ما تملكه الامة العربية من امكانيات وقدرات لم تستطع أن تأخذ مكانها بعد فى معركة التحرير ولا يزال العدو الصهيونى مستمرا فى تنفيذ مخططاته الاستيطانية التوسعية فى المناطق المحتلة بكل الوسائل مستهدفا وضع العالم كله أمام أمر واقع يفرضه بالقوة ومرور الزمن ، وهو يواصل بين الفينة والاخرى اعتداءاته على البلدان العربية متماديا فى غيه واستهتاره بكل القيم والمبادىء الدولية ، يشجعه على ذلك مايناله من مساندة ودعم بغير حدود من الولايات المتحدة الامريكية وغيرها ، وما يراه من تفكك الجبهة من حوله وما يستتبعه ذلك من انعدام الخطة وفقدان التنسيق بين أطراف هذه الجبهة . ولقد نبهت الكويت باستمرار الى خطورة هذه الاوضاع والى ضرورة العمل على حشد الطاقات العربية ضمن خطة موحدة ، محددة الوسائل والالتزامات ، تستهدف تحرير الارض المحتلة واستعادة الحقوق الكاملة للشعب الفلسطينى . وأبدت دائما استعدادها الكامل للاسهام بكل ما يترتب عليها من متطلبات فى هذا الصدد . واذ ترحب الكويت باجتماع لجنة وزراء الخارجية والدفاع المزمع عقده فى الكويت فى الشهر القادم فانها ترجو أن تكون نتائج هذا الاجتماع خطوة على الطريق الصحيح .

ولقد أكدت الكويت موقفها الواضح من قضية فلسطين فى كافة اتصالاتها الدولية وحذرت من الآثار الخطيرة التى ستترتب على التجاهل المستمر للحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى .



رئيس مجلس الوزراء بالنيابة ووزير الداخلية والدفاع الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح يلقى الخطاب الاميرى فى حفل افتتاح دور الانعقاد العادى الثالث للفصل التشريعى الثالث لمجلس الامة .

وقد أوضحت الكويت فى مناسبات عدة أن القضاء على ما يسمى بالارهاب لا يمكن أن يتم بالتصدى لمظاهره السطحية ، وانما بالمعالجة الجادة للمشكلات الاساسية التى أدت اليه والعمل على التوصل الى حل جذرى .

* * *

ثم تحدث الخطاب عن نشر الدعوة الاسلامية فقال :

ويتصل بالاعلام ما توليه الحكومة من اهتمام بالغ على نشر الدعوة الاسلامية الكريمة فى مختلف الانحاء والارجاء ، وتبصير المسلمين بشؤون دينهم الحنيف ومبادىء شريعتهم الغراء . وفى سبيل تحقيق هذا الغرض السامى حرصت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية على التعاون مع الجهات القائمة بنشر الدعوة بين شعوب قارتى آسيا وأفريقيا والبلاد الأخرى كما عملت على توثيق الروابط وتقوية الصلات مع المنظمات والمؤسسات والجاليات الاسلامية فى شتى انحاء العالم ، فقدمت لها المعونات المالية وأمدتها بما يزيد عن مائتى ألف نسخة من القرآن الكريم وكتب التفسير والاحاديث والفقه وغيرها بلغات متعددة . والاقبال مستمر على دار القرآن الكريم ، كما يقوم صندوق المعونة الطبية بواجبه الانسانى وقد وضعت الوزارة فى تقديرها أهمية الاعمال المنوط أمر القيام بها الى الأئمة والوعاظ فحرصت على حسن اختيارهم وزودت المساجد بمكتبات فرعية . وعملا على راحة المصلين تم تكييف اثنين وخمسين مسجدا كما تم انشاء سبعة عشر مسجدا فى مناطق مختلفة بالاضافة الى ثلاثة عشر مسجدا على وشك الانجاز فى غضون هذا العام .

المسلمون في العالم

رأس معالى الاستاذ راشد عبد الله الفرحان وزير الاوقاف والشئــون الاسلامية وفد الكويت فى مؤتمر علماء المسلمين السابع الذى عقده مجمــع البحوث الاسلامية فى القاهرة وقد القى معاليه فى المؤتمر الكلمة التالية :

يقول الله تعالى (انما المؤمنــون اخوة) ، (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) .. ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى سائر الجسد بالحمى والسهر » .. .. ولا احكــم ولا ابلغ من هذا التعبير فى مجــــال الاتحاد والمؤازرة والتناصر ، ولم يكن المسلمون فى أى وقت بحاجة الــى النصرة والتعاون والاخاء مثل وقتنـــا الحاضر ، وظروفنا الصعبة التى تمر بها امتنا .. ولا شـــــهد العـــرب والمسلمون يوما مذلة ومهانة مثــل ضياع بيت المقدس وحرق المسجــد الاقصى عـــلى أيـــدى اليهــود والصهيونيين .

ولعل هذا الألم العميق والجــرح الذى لم يندمل بعد ، قد اثر فى قلب كل مسلم وحرك ضمير كل حـــى .. ونحن لا نشك بأن كل مؤمن قد آلمــه ذلك الحدث الجلل فبكت العيـــون وحزنت الأنفس ، واستولت الحيرة والدهشة مـــلايين البشر من بنــى الانسان .. ولكن ليس عند هذا الحد يكتفى الاسلام من أتباعه ، بل رســم لهم طريقا تسلك وعملا يقدم ، والا لما انتصرت جيوش المسلمين مع قلــــة عددها وكثرة عدوها على أكبر دولتين فى العالم هما : دولة الفرس والروم اللتان كانتا تتقاسمان العالـــم .. (غلبت الروم . فى أدنى الارض .وهم من بعد غلبهم سيغلبون . فى بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعـــد ويومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) .

وهزم جيش صلاح الدين جحافل الصليبيين فى فلسطين وغيرها مــن بلاد المسلمين .

ايها السادة :

لسنا فى مجال التحدث عن الماضى



ولكن واقعنا اليوم يتطلب منا الا ننسى بأن لدينا قوة كبيرة وسلاحا مؤثرا قويا لم يستعمل بعد فى معركتنا مع الاعداء ، هذا السلاح هو تلك الاعداد الهائلة من ملايين المسلمين فى العالم الذين يقطنون جميع القارات الخمس ، وفى أرضهم تقع ثروات العالم ، وفى أيديهم يمكن التحكم بمصير الامم ، ولكن هذه القوة الكبيرة قد سادها التفرق والتفكك وغلب عليها الضعف وخيل الى أهلها بل صور لهم الاعداء أنها أمة يجب أن تكون تابعة لغيرها مغلوبة على أمرها .

● وبالنظر الى الملل والمذاهب الأخرى .. نجد أن الشيوعية التى لا تعترف بالاديان ولا مبدأ الايمان ، قد جمعت حولها الناس ، وقامت بثورة بلشفية اجتماعية وصناعية وأسست دولة ضمت العديد من الشعوب والقوميات ومختلف الألسن، وبأسلوبها ونظامها ــ بما فيه من صالح أو طالح ــ صارت تستقطب الكثير من البشر وتستهوى نفرا من شعبنا (١) ...

ولم تفتر الشيوعية عن الدعوة والاعلان لافكارها ومبادئها سواء بعقد المؤتمرات أو الاتصالات مستعملة شتى الوسائل وأنواع المغريات .. وهدفها هو السيطرة العالمية لمبدأ الشيوعية وهدفها الاول : هو العالم الاسلامى .

● أما الصهيونية العالمية فانها نشأت من بضعة من الاقتصاديين اليهود فى أوروبا وأمريكا استطاعوا استقطاب عدد من شذاذ اليهود وتنظيمهم وتجميعهم وعقد مؤتمرهم فى مدينة بال بسويسرا .. وخرج بقرارات تنص على :

١) استعمار فلسطين بالعمال الزراعيين والصناعيين اليهود .

٢) تنظيم الصهيونية العالمية وربطها بمنظمات محلية ودولية تتلاءم مع القوانين فى كل دولة .

٣) تقوية الشعور والوعى اليهودى وتغذيته .

وبعد هذا المؤتمر اصبح للصهيونية منظماتها الفعالة .. وقال (هيرتزل) أحد زعماء اليهود : « على المرء أن يستخدم جميع الوسائل لتحقيق الغاية » .

وفى عام ١٩١٧ دخلت بريطانيا فلسطين لتساعد العرب على التخلص من الحكم العثمانى التركى وكان فيها سبعمائة الف عربى يملكون

٥ر٩٧٪ من مجموع الارض ، وخمسون الف يهودى فقط لا يملكون أكثر من ٥ر٢٪ من الارض . . وفى هذا الوقت صدر وعد بلفور وزير خارجية بريطانيا لليهود باعطائهم فلسطين وطنا لهم — وبريطانيا كانت تدير فلسطين لتساعده على التطور والاستقلال ، وانهالت المساعدات من دول الكفر والاستعمار على اليهود ضد المسلمين ، لم تترك بريطانيا فلسطين الا بعد أن سلمت جميع مقدرات البلاد الى اليهود ، واعترفت بهم الامم المتحدة على أساس تقسيم البلاد ورفض العرب ، فكانت فرصة لهم للتوسع ثم كان عدوانهم على مصر عام ١٩٥٦ وعدوانهم ١٩٦٧ .

● والصهيونية اليوم بأساليبها ودعايتها وتنظيمها تؤثر على دول كبرى مثل أمريكا وبريطانيا والمانيا ، وغيرها ، وتعمل منظمات الباطنية والماسونية لمصلحة اليهود .

ودخل اليهود فى الشيوعية والمسيحية والبوذية وسخروا أغراضها لصالحهم . . واليهود ليس هدفهم فلسطين فقط بل هم يسعون الى افريقيا وها هم قد تغلغلوا فيها وسخروا بعض زعمائها لمآربهم .

ما المعسكر الراسمالى — وابرزه أمريكا وبريطانيا وفرنسا — بعد أن استعمر المناطق الاسلامية والعربية ، وامتص خيراتها وخرج منها بعد أن واجه المقاومة خلف فيها مشكلات وقضايا (٢) معقدة ليشغل بها المجتمع الاسلامى عن التحرك والنهضة ، بينما سار هذا المعسكر نحو العلم والتصنيع وبناء المجتمع لينعم بالهدوء والاستقرار ، فقام بين أوروبا وأمريكا تحالف عسكرى وسياسى ، وفى أوروبا قامت السوق المشتركة وفى جنوب أمريكا منظمة أمريكا اللاتينية .

وبفضل خيرات الارض العربية والاسلامية فى آسيا وافريقيا ، تعمل المصانع الغربية ، وبأموالنا تشترى وتسوق منتجات الغرب ، ومع ذلك فان هذه الدول تساعد أعداءنا لتبقينا ضعفاء أذلاء حتى يتم لها الاستمرار فى سياستها فى التسلط على خيراتنا واعاقة وحدتنا ونهضتنا . . واقامة الدولة الاسلامية الكبرى .

ايها السادة :

هكذا يفكر أعداء العروبة والاسلام سواء من كان منهم فى الشرق أو الغرب وهكذا يريدون ، فالكل منهم يتظاهر بالسماحة والصداقة والسلام .

وأما التبشير ودعمه من قبل هذا المعسكر ضد الاسلام والمسلمين فأفعاله واضحة فى جنوب السودان ونايجريا مع انفصال بيافرا — وأندونيسيا والفلبين وروديسيا وجنوب افريقيا والحبشة واريتريا وزنجبار وغيرها .

ايها السادة :

واذا ما جئنا ندرس حالة المسلمين فانهم يعيشون فى القارات الخمس ، وفى جميع أقطار العالم ، وقد سئلت مرة عن عدد المسلمين فى العالم فأجبت بأنى لا أستطيع أن أعطى رقما معينا للنفوس ، ولكن أستطيع القول بأنهم يشكلون ثلث دول العالم ، وهذا ما تؤيده الارقام داخل منظمة الأمم المتحدة (٣) . أما اذا ذهبنا نعد الدول التى ما زالت تحت نير الاستعمار ككشميروفلسطين وأريتريا والصومال والصحراء المغربية ودول أخرى فاننا سوف نصل الى رقم أعلى من ذلك ، وهذا الرقم للدول التى يسكنها أغلبية مسلمة أما الدول التى يتراوح عدد المسلمين فيها من ٣٠٪ الى ٤٥٪ من مجموع السكان فهى خمس عشرة دولة (١٥) ما عدا الاتحاد السوفيتى الذى يبلغ عدد المسلمين فيه أكثر من ٤٠ مليونا والهند (٧٠)

سبعين مليونا وفى كل من : يوغسلافيا٣ ملايين ، وتايلند٣ ملايين وبورما ٣ ملايين والفلبين ٤ ملايين .

ومع هذا العدد الضخم للدول الاسلامية فى الأمم المتحدة وخارجها فان مواقف حكوماتها مختلفة ومتناقضة ، فلم تناقش مرة واحدة قضية تهم هذه الشعوب ويتخذ فيها قرار لصالح المسلمين وكأن هذه الحكومات لا تمثل هذه الشعوب (٤) .. يحرق المسجد الأقصى ، وتشن الحرب على باكستان ، ويذبح المسلمون فى الفلبين وأنجولا وأريتريا .

العقيدة الاسلامية

ان العقيدة الاسلامية لدى المسلمين قوة روحية دافعة مكملة للقوة المادية « المؤمن القوى خير واحب من المؤمن الضعيف » .

(لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه) .

وعقيدتنا الاسلامية تجعل الانسان المؤمن يجب أن يسير أعماله حسب أوامر الله ونواهيه ، وأن يجعل الاسلام مقياس حياته .

وفى مقام عمل الخير والمساعدة فان الاسلام يضاعف الأجر والثواب (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم)

وفى الجهاد فى سبيل الله والقتال دفاعا عن الاوطان يفوز المسلم بالحسنيين إما الشهادة أو النصر ثوابا فى الدنيا وثوابا فى الآخرة .

أيها السادة :

ان هذه القوة الكبيرة من المسلمين التى تملك هذه المقدرات لا يمكن أن تشق طريقها وتنهض بين هذه القوى المادية الا بالتنظيم والتخطيط والصدق فى العمل .

وانى أتقدم الى المؤتمر الموقر بالاقتراحات التالية :

١) وضع دراسة شاملة للهيئات والمؤتمرات والمراكز التى تعنى بالشئون الاسلامية .

٢) العمل على انشاء مؤتمر دائم يمثل جميع المسلمين فى العالم وتكون له لجنة تنفيذية ومجلس اعلى ولجان دائمة تعمل على مدار السنة .

٣) العمل على التنسيق بين الهيئات الرسمية والشعبية التى تعمل لعقد المؤتمرات مثل مجمع البحوث الاسلامية . المؤتمر الاسلامى بجدة . الجامعة العربية . المراكز الاسلامية المجلس الاعلى . الرابطة الاسلامية بمكة .

والملاحظ أن هناك جهودا تبذل من أجل ...

أ ـ التنسيق بين المدارس والمراكز الاسلامية المنتشرة فى العالم .

ب ـ التنسيق فى تلقى الطلاب وتوزيعهم .

حـ ـ التنسيق فى ارسال الدعاة للخارج ودعمهم .

٤) تنظيم كيفية جمع الاموال ومساعدة المراكز الاسلامية .

٥) دعم المسلمين والاقليات ثقافيا وسياسيا .

---

(١) فسيطرت على دول شرق أوروبا ، ودول من آسيا ، وطوعوا الاحزاب الشيوعية فى العالم العربى والاسلامى تعمل لصالحهم ولو كان ذلك ضد مصالح شعوبهم .

(٢) قضية فلسطين ، الطائفية فى لبنان ، الاكراد فى العراق ، روديسيا جنوب افريقيا ، الصومال الفرنسى ، ايريان فى اندونيسيا ، كشمير ، اتحاد الامارات ، قضية مسقط وظفار زنجبار ، اوغندا ، أريتريا والحبشة ، الجزائر وتونس والمغرب والصحراء .

(٣) الأمم المتحدة ١٣٢ ـ الدول الاسلامية نحو (٤٠) .

(٤) المعسكر الغربى يتحرك ويثور عندما يسمع بمقتل جندى اسرائيلى او اختطاف طائرة ولكن لا يتأثر لاحتلال بلاد واخراج اهلها منها وتشريدهم بلا ذنب جنوه .



الهدي النبوي في العبادة

للدكتور على عبد المنعم عبد الحميد

روى البخارى بسنده المتصل عن رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم قال : حدثنا أبو نعيم قال : حدثنا مسعر عن زياد قال : سمعت المغيرة رضى الله عنه يقول : ان كان النبى صلى الله عليه وسلم ليقوم أو ليصلى حتى ترم قدماه أو ساقاه ، فيقال له ، فيقول : افلا اكون عبدا شكورا ؟.

١ ـ نعم الله تعالى التى تفضل بها على عباده أجل من أن ينالها عد ، وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، ومن أجل تلك العطايا والمنن ، اصطفاء الله تبارك وتعالى لواحد من عباده ليحمل رسالته الى خلقه مبلغا وهاديا ، بشيرا ونذيرا ، وفى مقدمة من عرفت الدنيا من الرسل عليهم الصلاة والسلام سيدنا رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم ، صنعه على عينه ، وشمله بعنايته فى كل مراحل حياته ، وآتاه من كل فضيلة وكمال ما لم يؤت أحدا من العالميـن ، انقذ به أمة أمية من الضياع ، وصيرها بهدايته مثلا نادرا فى السمو والتجافى عن ما يشين الانسان كانسان ، وحملها حملا على المضى قدما فى السبق الى كـل مكرمة فى كل ميدان ، فأخرج منها القائد العبقرى ، والعالم اللوذعى ، والسياسى المدره ، والمفتن فى كل ما يخدم هذا الوجود ، ويرقى به ، ويسعده ، وينمى الخير فى أوديته ، وفاتح العقول الجبارة القادرة على الدرس والتنقيب على مخبآت هذا الكون وخفاياه ، وواضعى أصول العلوم فى كل فن ، فيا لها من فعال لا ضريب لها ولا مقارب ، منذ أن شب الانسان عن الطوق ، واخذ طريقه دارجا على البسيطة ، عابرا فى دروبها ، باحثا عن اسرارها ، فما يهول الباحث ما يراه فى كل معقل فى عصرنا من آثار اتباع سيدنا رسول الله السائرين على نهجه ، المقتدين به ، الذين اتخذوه اسوة حسنة ، فتفانوا ليخلدوا ، وشمخوا على الزمان ليطأطىء لهم هامه ويسجل باعجاب آثارهم ، فقد كانوا حلقة ذهبية وصلت الماضى بزمان وجودهم ، وتركته يشع لمن بعدهم ، ولو أن أبناءهم تقمصوا هممهم لما غلب أمتهم غالب ، ولا قهرها متسلط ، ولكان السبق كل السبق لهم ولهم وحدهم ، وكأنى بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين يغرق فى العبادة ، وحين يداوم بشدة علـى الصلاة ، وحين يديم التهجد وقيام الليل ، وحين يتجافى جنبه عن مضجعـه ، وعندما يقف بين يدى بارئه حتى تتورم قدماه ، انما يضرب الأمثال لقومه علـى نوع من الزلفى الى الله يفتح مغلقات الوجود ، ويسمو بالفكر ، ويربط هـذا الانسان بخالقـه ، يخلصه من علائق المادة المميتة القاتلة ليصله بوثاق الـروح

بقيوم السموات والارض ، الذى يخرج الخبء فى السموات والارض ، ويفيض من مكنون علمه على من يشاء من عباده ، سبحانه لا اله الا هو رب العرش العظيم ، من طرق بابه أدخله رحابه ، ومن ولج الى ملكوته استطلع ما لم يحط غيره بعلمه ، ومن ارتفع عن ماديته غمره نور المعرفة التى لا حدود لها ، ومن اعرف بالله وما عنده من رسوله المصطفى ، وحبيبه المجتبى ، ومن أولى بشكره وادامة عبادته من سيد انبيائه ، وواسطة عقد رسله ، ولهذا لما قيل له : لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ؟ فيجيب عليه وعلى آله افضل صلاة وأزكى سلام : (افلا اكون عبدا شكورا) .

٢ ــ أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقوم الليل الا قليلا ، كما ورد فى أول سورة المزمل ، وذلك لأن قيام الليل اشد مواطأة وموافقة بين القلب واللسان ، واجمع للخاطر فى قراءة القرآن وتفهمه ، وهذا لا يتيسر بالنهار وقت السعى على المعاش ، وانتشار الصخب واللجب فيه ، « ان ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا » .. وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يمل من العبادة وان أضر ذلك ببدنه ، قالت عائشة رضى الله عنها : « كان صلى الله عليه وسلم يقوم حتى تتفطر قدماه » ومع هذا فقد كان يشفق على اصحابه أن يملوا ، ويحاول أن يحملهم على الأخذ من العبادة بما يستطيعون ، وأن يداوموا على فعل القليل ، ويبين لهم أن القليل الدائم خير من الكثير المنقطع ، فقد حدث البخارى عن اشعث قال : « سمعت أبى ، قال : سمعت مسروقا قال : سألت عائشة رضى الله عنها : اى العمل كان احب الى النبى صلى الله عليه وسلم ؟ قالت الدائم ، قلت : متى كان يقوم ؟ قالت : يقوم اذا سمع الصارخ » ، ووقع فى مسند الطيالسى فى هذا الحديث : « الصارخ : الديك » والصرخة ، الصيحة الشديدة ، وجرت العادة أن يصيح الديك عند منتصف الليل غالبا ، وهو غير الذى يصيح عند اقتراب الفجر ، وروى البخارى أيضا أن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أخبر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له : « احب الصلاة الى الله صلاة داود عليه السلام ، وأحب الصيام الى الله صيام داود ، كان ينام نصف الليل ، ويقوم ثلثه ، وينام سدسه ، ويصوم يوما ويفطر يوما » ، قال واحد من شراح الحديث الأسبقين رضى الله عنهم : « .. وإنما كان ذلك أرفق لأن النوم بعد القيام يريح البدن ويذهب ضرر السهر وذبول الجسم ، بخلاف السهر الى الصباح ، وفيه من المصلحة أيضا استقبال صلاة الصبح بنشاط ، وانه اقرب الى عدم الرياء لأن من نام سدس الليل الاخير أصبح ظاهر اللون سليم القوى ، فهو اقرب الى أن يخفى عمله الماضى على من يراه » وحكى عن قوم آخرين : (أن معنى قوله : « أحب الصلاة » هو بالنسبة الى من حاله مثل حال المخاطب بذلك ، وهو من يشق عليه قيام اكثر الليل ، وعمدة هذا القائل اقتضاء القاعدة زيادة الاجر بسبب زيادة العمل ، والافضل أن نجرى على ما دل عليه اللفظ والله أعلم) .

٣ ــ وهنا يورد صاحبى سؤالا لا يصح بحال أن يورد فى جانب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، وان جاز ايراده فى حق العباد غير الرسل ، والسؤال هل يدخل الرياء فعل الرسل ؟ والجواب : ان هذا محال لأن رسل الله هم المعلمون والموجهون والمشرعون ، وكل اعمالهم قلت أو جلت يجب علينا متابعتها ومحاكاتها ، فلا يمكن بحال أن يقال ان فى اعمالهم عليهم الصلاة والسلام أى نوع من الرياء ، والرياء آفة اجتماعية ممقوتة نهى عنها

سيدنا رسول الله وذمها القرآن ، ولكى يبين القول فيها نورد معناها اللغوى ، فقد جاء فى لسان العرب لابن منظور المصرى ما نصه : « وراءيت الرجل مراءاة ورياء : أريته أنى خلاف ما أنا عليه . وفى التنزيل (بطرا ورئاء الناس) وفيه : (الذين هم يراءون) يعنى المنافقين ، أى اذا صلى المؤمنون صلوا معهم يراءونهم أنهم على ما هم عليه ، وفلان مراء ، وقوم مراءون ، والاسم الرياء . يقال فعل ذلك رياء وسمعة ، وتقول من الرياء يسترای فلان ، كما تقول يستحمق ويستعقل عن أبى عمرو .. الخ » (١) .

والرياء بكل هذه المعانى محال أن يدخل أعمال الرسل والانبياء . وهو معتبر شرعا من الآفات المقوتة حتى فى العبادات ، سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : يا رسول الله فيم النجاة ؟ فقال : الا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس . وفى الحديث الذى رواه مسلم قال أبو هريرة راويا عن رسول الله فى المقتول فى سبيل الله ، والمتصدق بماله ، والقارىء بكتاب الله ان الله عز وجل يقول لكل واحد منهم : كذبت بل أردت أن يقال فلان شجاع ، كذبت بل أردت أن يقال فلان جواد ، كذبت بل أردت أن يقال فلان قارىء . فأفاد هذا القول الشريف أنهم لم يثابوا ، وان رياءهم هو الذى أحبط أعمالهم ، وقال ابن عمر رضى الله عنهما ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من راءى راءى الله به ، ومن سمع سمع الله به » . حديث متفق عليه ، واخرج أحمد والبيهقى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال الرياء ، يقول الله عز وجل يوم القيامة اذا جازى العباد بأعمالهم : اذهبوا الى الذين كنتم تراءون فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء ؟ »

وقال سيدنا على كرم الله وجهه : « للمرائى ثلاث علامات ، يكسل اذا كان وحده ، وينشط اذا كان فى الناس ، و يزيد فى العمل اذا اثنى عليه » .

فالرياء ممقوت يذهب بفائدة العمل بل ويبطله ، وهو مسلك من مسالك النفاق الذى عابه القرآن الكريم ، وذم المتصفين به ، وأعد لهم أشد العذاب يوم القيامة ، قال تعالى : « ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له نصيرا » الآيتان ١٤٢ ، ١٤٣ من سورة النساء ، ثم يقول تبارك وتعالى فى الآية ١٤٥ من نفس السورة : « ان المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا) وفى قوله تعالى : (يراءون الناس) قال المفسرون : يراءون بفعالهم أى يبتغون بذلك أن يراهم المؤمنون فيعدوهم منهم (ولا يذكرون الله الا قليلا) أى لا يصلون الا قليلا ، فاذا لم يرهم أحد لم يصلوا ، واذا كانوا مع الناس راءوهم وصلوا معهم ، وهم مضطربون مائلون تارة الى المؤمنين ، وتارة الى الكافرين ، لا يخلصون لأحد الفريقين لانهم طلاب منافع ، ولا يدرون لمن تكون الغلبة والعاقبة ، فمتى ظهرت الغلبة لأحدهما ادعوا أنهم معه .. فالواجب اخلاص العمل لله واخفاؤه متى أمكن ذلك ، فقد روى الطبرانى والحاكم باسناد صحيح أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه دخل المسجد فرأى معاذ بن جبل رضى الله عنه يبكى عند قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : ما يبكيك ؟ فقال : سمعت رسول الله صلى الله

(١) ص ١٠٩٤ من الجزء الاول . طبع بيروت .

عليه وعلى آله وسلم يقول : « ان اليسير من الرياء شرك ، وان الله يحب الأتقياء الأخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا ، وان حضروا لم يعرفوا ، قلوبهم مصابيح الهدى ، ينجون من كل غبراء مظلمة » وأن يطلب به (أى بالعمل) رضوان الله وخير ما عنده لا الغلبة والتسلط على الناس وقهرهم ، قال تعالى : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين » ، وجاء فى الصحاح أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ان الله أوحى الى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد » وخوف الله وترك مراءاة الناس يجتث الكبر من النفوس ، ويجعل العمل مؤتيا ثماره كاملة حين يستهين الانسان بما عمل ، ويعده هينا فى جنب نعم الله تبارك وتعالى ، مبتعدا عن التكبر والتعالى على عباد الله ، وبذلك يقترب من رضوان مولاه ، ويبتعد عن ما يغضبه ويسخطه ، والله سبحانه لا يحب كل متكبر جبار .

روى مسلم وأبو داود أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر، فقال رجل : ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة . فقال صلى الله عليه وسلم : ان الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس » .

والخلاصة من كل ما سبق :

١ ــ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان حريصا على العبادة فى جميع أشكالها قياما بواجب شكر الله (أفلا أكون عبدا شكورا) .

٢ ــ أن أعمال الرسل والأنبياء الظاهرة والباطنة لا يمكن أن يداخلها الرياء ولا النفاق ، وانما هى خطوط واضحة يجب ترسمها فى كل مسالك الحياة ، اذ هم صفوة الخلق والمبلغون لما أوحى اليهم من قيوم السموات والأرض .

٣ ــ أن الرياء نوع من النفاق المهلك وقد أعد الله للمنافقين عذابا أليما .

٤ ــ يجب اخلاص العمل من العباد لله تعالى وحده ، والابتعاد به عن التسلط على خلق الله ، والتجافى عن الغرور والكبرياء حتى يكون عملا مقبولا ، له ثوابه العظيم بالدار الآخرة ، وان الدار الآخرة لهى الحيوان .

٥ ــ أن كل عمل لا يقصد به وجه الله فهو غير مقبول عند الله وان بدا كذلك فى الدنيا ، ودليل ذلك قصة الثلاثة الذين وردت فعالهم فى حديث رسول الله الذى أوردناه فى صلب الشرح (المجاهد المرائى ، والباذل المرائى ، وقارىء القرآن المرائى) فكل أولئك حبطت أعمالهم فلا يقام لهم يوم القيامة وزن .

نسأل الله جلت قدرته وتباركت أسماؤه أن يجعل أعمالنا دائمة خالصة لوجهه الكريم ، وأن يمحصها لما يرضيه ، وما يبلغنا خير الدار الآخرة ، انه سبحانه نعم المستعان .

إعجاز القرآن الكريم

الدكتور محمد حسين الذهبى

معنى الاعجاز ـ القرآن معجزة النبى الكبرى ـ القرآن بين تكذيب العرب له وتحديهم به ـ جوانب الاعجاز فى القرآن الكريم .

معنى الإعجاز :

تطلق كلمة الاعجاز فى اللغة ، ويراد بها اثبات العجز وإظهاره .

وإعجاز القرآن الكريم معناه : اثبات عجز العرب وغيرهم عن الاتيان بمثله ، فيظهر بذلك صدق النبى عليه الصلاة والسلام فى دعواه الرسالة ، وأن القرآن ليس من كلامه ، ولا هو فى مقدور أحد ، وانما هو كلام الله عز وجل .

القرآن معجزة النبى الكبرى :

والقرآن معجزة النبى الكبرى وهو يتميز عن سائر معجزات الانبياء بأمور :

١) انه يحتوى على أصول الدعوة المحمدية ، وما يكتنفها من هداية وارشاد ، وذلك أبلغ فى الدلالة على النبوة ، لان ما احتواه من ذلك لا يمكن أن يكتسب بالتعلم ، وانما هو بوحى من الله ، ومن هنا كان القرآن كافيا ، ومغنيا عن كل ما طلبه المتعنتون من معجزات تحديا له عليه الصلاة والسلام ، وفى ذلك يقول الله تعالى: « أولم يكفهم أنا نزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ؟ » .

٢) أن القراء معجزة العقل : لانه

يخاطب العقل دائما ولا يجمد عند الحس كمعجزات الانبياء السابقين ، ولقد نوه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بذلك فى حديث له فقال : « ما من نبى من الانبياء الا أعطى ما مثله آمن عليه البشر ، وانما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله الى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا » .

٣) أن القرآن الكريم معجزة خالدة باقية على مدى الدهر ، ضرورة أنه معجزة الدين الخالد ، فهو شاهد أبدا بصدق محمد عليه الصلاة والسلام : أما معجزات الأنبياء السابقين فقد كانت تنتهى بانتهاء وقت وقوعها ثم لا يبقى لها أثر بعد ذلك الا فى نفس من شهدها .

القرآن بين تكذيب العرب له وتحديهم بـه :

ولقد أيد الله سبحانه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بمعجزة القرآن من أول يوم بعثه رسولا للعالمين ، ولكن قومه كذبوه وزعموا ان ما يتلوه عليهم من القرآن ليس من عند الله ، وقالوا عنه :

« أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا » (١) فأوحى الله الى نبيه بقوله : « انزله الذى يعلم السر فى السموات والارض » (٢) وقوله : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون » (٣) .

وقالوا : « انما يعلمه بشر » (٤) فرد الله عليهم بقوله : « ولقد نعلم انهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين » (٥) .

وقالوا : « شاعر نتربص به ريب المنون » (٦) فرد عليهم بقوله : « وما علمناه الشعر وما ينبغى له ان هو الا ذكر وقرآن مبين » (٧) .

قالوا عنه هذا وأكثر ، ورد الله عليهم بما ذكرنا وأكثر مما يبطل زعمهم ، ولكنهم تمادوا فى غيهم واستمروا فى تكذيبهم وعنادهم فلم يكن بعد ذلك الا أن يلقمهم حجرا يسد أفواههم حتى لا ينبسوا بفرية ، ويدمغ عنادهم حتى لا يقوى على أن يتصدى للحق أو يعترض طريقه .

لم يبق الا ان يتحداهم الله ويتحدى الانس والجن جميعا ان يأتوا بمثل القرآن ما دام القرآن فى زعمهم من صنع البشر — محمد أو غيره — وليس من عند الله عز وجل .

ولقد جرى ذلك التحدى على تدرج ملحوظ :

تحداهم أولا ان يأتوا بمثل القرآن فقال :

« قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » (٨) . فما كان منهم الا العجز التام .

ثم تنزل معهم فى التحدى ، فقال آمرا لنبيه صلى الله عليه وسلم وقد رموه بالافتراء على الله فى نسبة القرآن اليه : « قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين » (٩) فعجزوا كل العجز عن ذلك أيضا .

ثم نزل الى ادنى من ذلك فقال : « قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين » (١٠) . وقال : « وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين . فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » (١١) فما استطاعوا معارضة ذلك القدر القليل .

ثم نزل الى أدنى درجات التحدى فقال : « فليأتوا بحديث مثله ان كانوا

صادقين » (١٢) فعجزوا عن أن يأتوا بحديث مماثل له . . . أى حديث كان ، طال أم قصر ، ولزمهم العجز عن معارضته هم ومن وراءهم الى يوم القيامة .

ولم يكن عجزهم هذا ناشئا عن كون القرآن غريبا عليهم فى لغته ، بل كان من جنس كلامهم وبلغتهم التى يتكلمون بها ، ولم يكن عدم معارضتهم له ناتجا عن عدم اهتمامهم بالمعارضة او عدم اكتراثهم بالتحدى ، فقد أثار القرآن اهتمامهم بالمعارضة ، وبعث فيهم الرغبة الملحة فى قبول التحدى ، والعمل على حطمه ، والخروج من المأزق الذى وضعهم فيه ، بما كان منه من تسفيه أحلامهم بنحو قوله عنهم : « إن هم الا كالأنعام بل هم أضل» (١٣) وتحقير آلهتهم بنحو قوله : « ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب » (١٤) ومع ذلك الاستفزاز فقد وقفوا عاجزين أمام هذا التحدى ، ولم نجد لهم معارضة يمكن أن تجارى أو تدانى القرآن فى أسلوبه ونظمه ، أو فى أى جانب من جوانب اعجازه التى سنذكرها ، وما ترويه لنا بعض كتب الادب أو غيرها من محاولات لمعارضة القرآن لم تخرج — فى الواقع — عن كونها محاولات سخيفة ، وليس فيها من براعة النظم ، ولا من دقة المعنى شىء مطلقا ، وانما هى هذيان كهذيان المحموم ، عار من كل شىء الا من ركاكة النظم وفساد المعنى .

جوانب الاعجاز فى القرآن الكريم :

وجوانب الاعجاز فى القرآن الكريم متعددة وهى :

(١) فصاحة كلماته .

(٢) براعة نظمه وجزالة اسلوبه .

(٣) بلاغته فى الدلالة على معانيه .

وهذه الثلاثة يمكن أن نجمعها تحت عنوان واحد هو (الاعجاز البيانى) .

ولا شك أن القرآن الكريم قد تميز عن كل ما عداه من كلام الهى وغير الهى بأسلوب فريد ، بلغ الغاية فى جزالته وبلاغته ، ولو جئنا بأبلغ عبارة نطق بها العرب ووضعناها بجانب عبارة فى موضوعها جاء بها القرآن الكريم ، لوجدنا بين العبارتين فرقا بلاغيا كبيرا ، فأبلغ عباراتهم فى القصاص « القتل انفى للقتل » وعبارة القرآن الكريم فى هذا الباب « ولكم فى القصاص حياة يا أولى الالباب » وقد تناول علماء البلاغة كلتا العبارتين بالتحليل البلاغى وبينوا — بما لا يقبل الشك — أن عبارة القرآن فوق العبارة المأثورة عن العرب بمراتب كثيرة .

وبلغاء العرب — بسليقتهم — يدركون هذا التفوق البيانى للقرآن الكريم حتى أن أحدهم — وهو الوليد ابن المغيرة — يسمع القرآن من محمد صلى الله عليه وسلم ، فيبهره أسلوبه وبلاغته ، ويعجب به أيما اعجاب ويشيع ذلك عنه ، فيأتى اليه أبو جهل ويطلب منه أن يقول فى القرآن قولا يبلغ قومه انه منكر له ، فيجيب الوليد بقولته المشهورة : « وماذا أقول ؟ فوالله ما فيكم أحد أعلم بالشعر : لابرجزه ولا بقصيده منى ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذى يقول شيئا من هذا ، ووالله إن لقوله لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته » .

ولا نطيل بالكلام عن بلاغة القرآن فذلك موضوع واسع تولاه بالبحث والبيان كثير من العلماء ، ولهم فى ذلك مؤلفات كثيرة ومشهورة .

(٤) اشتماله على حوادث وقعت فى الازمان الغابرة ولم يكن للنبى

صلى الله عليه وسلم علم بها : لا عن معلم ، ولا عن كتاب ، ولا عن أى طريق أخرى غير القرآن ، كقصة موسى وغيره من الأنبياء وفى هذا يقول الله سبحانه مخاطبا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بعدما قص عليه من خبر موسى وقومه « وما كنت بجانب الغربى إذ قضينا الى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين . ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر ، وما كنت ثاويا فى أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين . وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون » .

(٥) اشتماله على أمور غيبية وحوادث مستقبلة أخبر بها وتحقق وقوعها فيما بعد كقوله تعالى : « الم . غلبت الروم . فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون . فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » .

(٦) اشتماله على التشريعات الروحية والادبية والاجتماعية والسياسية والمالية التى كان — ولا زال — لها اكبر الاثر فى اصلاح المجتمع الانسانى واستقراره ، لبلوغها مرتبة الكمال التشريعى ، ولخلوها من كل الثغرات التى تشتمل عليها القوانين الوضعية ، وقد ذكرنا عند الكلام عن جوانب الهداية القرآنية كثيرا من التشريعات التى جاء بها القرآن ، والتى نظمت علاقة الانسان بربه وبأخيه الانسان .

(٧) اشتماله على كثير من العلوم والمعارف التى كشف عنها العلم فيما بعد ، ولا زال يكشف عنها الى اليوم ، وسوف يظل يكشف عنها على مدى الدهر والى الأبد .

ولا نريد أن نستقصى كل ما حواه القرآن تصريحا أو تلميحا من علوم كونية ، وانما نكتفى بثلاثة أمثلة نذكرها كشواهد على الاعجاز العلمى للقرآن الكريم :

المثال الأول :

قوله تعالى فى الآية (٣٠) من سورة الأنبياء : « أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما » فقد فسرها عبد الله بن عباس على ضوء ما وصل اليه العلم فى زمانه تفسيرا تحتمله الآية فقال :

« كانت السماء رتقاء لا تمطر ، والارض رتقاء لا تنبت ، ففتق هذه بالنبات ، وتلك بالمطر » .

وفسرها علماء العصر الحديث على ضوء ما توصلوا اليه من العلم فقالوا :

« قرر الكتاب الكريم أن الارض كانت جزءا من الشمس ، وأن حادثا كونيا جذب قطعة من الشمس وفصلها عنها ، وان هذه القطعة — بعد أن مرت عليها اطوار — تكسرت وصارت قطعا ، كل قطعة منها صارت سيارا من السيارات ، وهذه السيارات طافت حول الشمس وبقيت فى قبضة جذبتها ، والارض واحدة من هذه السيارات فهى بنت الشمس ، والشمس هى المركز لكل هذه السيارات » (١٥) .

ولا نكاد نجد تعارضا بين الفهمين ، والآية تحتملهما وتتسع لهما وذلك — بلا شك — وجه من وجوه الاعجاز للقرآن الكريم .

المثال الثانى :

قوله تعالى فى الآيتين (٣) و(٤) من سورة يونس «هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا» وقوله فى الآية(٦١) من سورة الفرقان « تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا » أليس فى هاتين الآيتين دلالة صريحة على ما توصل اليه العلم الحديث من أن الشمس

كوكب مضيء وانها كالسراج نوره من ذاته وأن القمر كوكب معتم نوره مستمد من غيره ؟ وهل يستطيع محمد — عليه الصلاة والسلام — وهو النبى الأمى ، والعلم بالأكوان والأفلاك ما زال فى مدرج الطفولة — أن يقرر هذه الحقيقة من تلقاء نفسه ؟ كلا انه من علم الله العليم الخبير ... أودعه فى القرآن فكان من وجوه اعجازه .

المثال الثالث :

قوله تعالى فى الآيتين (٣) و (٤) من سورة القيامة « أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه ؟ بلى قادرين على أن نسوى بنانه » يقرأ العربى هذه الآية فى عصر نزول القرآن فيفهم منها أنها تدل على أن الله قادر على أن يعيد الانسان عند البعث بشرا سويا بكل أعضاء جسمه وعلى صورتها الاولى حتى ما دق خلقه من هذه الاعضاء وهو البنان .

ونقرؤها اليوم على ضوء العلم فنراها تنطوى على ما توصل اليه العلماء من أن (بصمات) انامل اليد لا تتشابه عند بنى الانسان فكل فرد له بصمات يتميز بها عن غيره وممكن أن تكشف عن شخصيته ، واعادة هذه البصمات المختلفة المتمايزة عند الحياة الثانية على ما كانت عليه لكل فرد عند الحياة الاولى شىء لا يعظم على الله سبحانه ، ولا شك أن انطواء الآية على هذه الحقيقة العلمية التى لم يكشف عنها العلم الا حديثا ضرب من ضروب الاعجاز العلمى للقرآن الكريم .

(٨) سلامة القرآن من الاختلاف والتناقض ولا شك أن هذا جانب من جوانب اعجاز القرآن الكريم فالكتاب حافل بالقضايا العقلية والتشريعات الفقهية والحقائق العلمية والتاريخ والقصص ، والأمثال ، والاخبار عن وقائع ماضية وحاضرة ومستقبلة ، وهو فى ذلك كله صادق لا يرقى اليه كذب ، مصيب لا يعتريه خطأ ، واضح لا يشوبه لبس ، متناسق لا يعترض نسقه تناقض أو تعارض ، مؤتلف غير مختلف .

ولا يكاد يتم ذلك بحال من الاحوال لكتاب جمع الكثير من الوان المعرفة وضروب الهداية والارشاد ، وضم الكثير من القصص والاخبار ووزعها وكررها فى مواضع شتى على نحو من الايجاز تارة ومن الاطناب أخرى ، مع تفاوت وتغاير وتفنن فى التعبير يجعل القارىء مشدودا دائما الى قراءته وسماعه دون سآمة أو ملل أو إحساس بنبوة ولا يكاد يتم ذلك بحال من الاحوال الا للقرآن الكريم : لأنه كلام الله الذى لا يضل ولا ينسى ، وصدق الله العظيم حيث يقول :« ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » (١٦) .

هذه هى جوانب الاعجاز للقرآن الكريم ، أو هى أهم جوانبه .

ولقد نرى بعض العلماء يذهبون الى أن اعجاز القرآن لا يرجع الى أى من هذه الوجوه المذكورة وانما يرجع الى الصرفة ، ومعنى ذلك — على حد قولهم — أن القرآن الكريم كان فى متناول العرب أن يأتوا بمثله ولكن الله صرفهم عن معارضته فصاروا بذلك عاجزين عنها ، وهذا قول باطل، لأنه يلزم عليه :

١) أن يكون القرآن فى مستوى كلام البشر ، وهذا مخالف للواقع ، وأرباب البلاغة من المشركين أنفسهم قد اعترفوا بأنه فى أعلى درجات البلاغة التى لا يتطاول اليها أحد منهم، وفى وصف الوليد بن المغيرة للقرآن — وقد ذكرناه آنفا — ما يشهد بذلك والفضل ما شهدت به الأعداء .

٢) أن يكون المعجز فى الحقيقة هو الله وليس القرآن ، مع أن آيات التحدى تكاد تكون صريحة فى أن

الاعجاز راجع الى القرآن ذاته ، وعلى ذلك انعقد الاجماع .

٣) أن الانس والجن — بصرفهم عن المعارضة بحيث أصبحوا عاجزين عنها — صاروا بمنزلة الموتى ، وحينئذ لا يكون للتحدى معنى ولا فائدة .

ولقد نرى — أيضا — بعض العلماء يقصرون إعجاز القرآن على جانب واحد من جوانب الاعجاز المذكورة ، وهذا — اذا أخذ على ظاهره — خطأ بين اذ أن كل ما ذكرناه من جوانب الاعجاز متحقق فى القرآن الكريم .

والظن بهؤلاء الذين قصروا إعجاز القرآن على جانب من الجوانب التى ذكرناها : أنهم لم يقصدوا بذلك أن القرآن ليس فيه من جوانب الاعجاز الا هذا الجانب فقط ، وانما قصدهم: أن هذا الجانب الذى اقتصروا عليه يحقق الاعجاز للقرآن الكريم ، وهذا لا يمنع من وجود جوانب أخرى تحقق نفس الشىء وبانضمام بعضها الى بعض يكون الاعجاز أتم وأقوى .

بقيت حقيقة يجب أن نعلمها ، وهى :

أن اعجاز القرآن من ناحية فصاحة كلماته ، وبراعة نظمه ، وجزالة أسلوبه ، وبلاغته فى الدلالة على معانيه أمر متحقق فى كل سورة بل وفى كل آية تفيد فائدة تامة أما ما وراء ذلك من جوانب الاعجاز كاشتماله على أمور غيبية مستقبلة وقعت بعد كما أخبر عنها ، واشتماله على التشريعات الحكيمة ، وانطوائه على حقائق علمية لا يزال العلم الحديث يكشف عنها ، فهذا لا يتحقق فى كل آية ولا فى كل سورة وانما يتحقق فى القرآن جملة ، ومن هنا حقق العلماء أن التحدى بأقصر سورة منه أو ما يعادلها أو بأى حديث مثله مهما قصر كان للعرب أولا ، لأنهم أرباب اللسان ، وفرسان البيان ، فان عجزوا هم عن معارضته فغيرهم أعجز ، والتحدى بهذا القدر من القرآن راجع الى فصاحة كلماته وبراعة نظمه ، وجزالة أسلوبه وبلاغته ، وهو ما عبرنا عنه بالجانب البيانى ، وهذا كله متحقق — كما قلنا — فى القدر المتحدى به أيا كان .

اما غير ذلك من جوانب الاعجاز التى تتحقق فى القرآن ككل ولا تتحقق فى كل أبعاضه ، فذلك يدركه كل انسان عربيا كان أم غير عربى ، وهم جميعا متحدون بالقرآن جملة ومن كل هذه الجوانب بقوله سبحانه : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » (١٧) .

---

(١) فى الآية ٥ من سورة الفرقان .
(٢) فى الآية ٦ من سورة الفرقان .
(٣) الآية ٤٨ من سورة العنكبوت .
(٤) فى الآية ١٠٣ من سورة النحل .
(٥) فى الآية ١٠٣ من سورة النحل .
(٦) فى الآية ٣٠ من سورة الطور .
(٧) فى الآية ٦٩ من سورة يس
(٨) الآية ٨٨ من سورة الاسراء .
(٩) فى الآية ١٣ من سورة هود .
(١٠) فى الآية ٣٨ من سورة يونس .
(١١) الآيتان ٢٣ و ٢٤ من سورة البقرة .
(١٢) الآية ٣٤ من سورة الطور .
(١٣) من الآية ٤٤ من سورة الفرقان .
(١٤) من الآية ٧٣ من سورة الحج .
(١٥) انظر التفسير والمفسرون جـ٣ صـ ٢٧٠
(١٦) فى الآية ٨٢ من سورة النساء .
(١٧) الآية ٨٨ من سورة الاسراء .



الكاتبون في الدين

اللواء الركن محمود شيت خطاب

كنت ولا أزال وسأبقى اعتقد أن الكتابة فى الدين والتكلم فى الدين سلاح ذو حدين : اذا أحسن الكاتب أو المتكلم رفع من شأن الدين وجعل الناس يقبلون على قراءة ما يكتبه الكاتبون وسماع ما يقوله المتكلمون بلهفة وشوق ، واذا أساء الكاتب أو المتكلم حط من شأن الدين وجعل الناس ينفرون من الدين ويعرضون عن قراءة ما يكتبه الكاتبون فيه وسماع ما يقوله المتكلمون عنه .

وفى هذه الكلمة الموجزة ، سأقتصر على الحديث عن : الكاتبين فى الدين ، وفى الكلمة القادمة بإذن الله سأقتصر على الحديث عن : المتكلمين فى الدين .

وقد كان من واجبى أن أبدى رأيى صريحا واضحا فى الكاتبين فى الدين والمتكلمين فيه فى أول رمضان ، بمناسبة تخصيص الصحف بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك صفحة من صفحاتها للقضايا الدينية ، وهذا عمل مشكور بدون شك ، فكان من واجب الكاتبين فى الدين أن يستغلوا هذه الفرصة الى أبعد الحدود ، لابراز مزايا الدين الحنيف ، وتعميق آثاره فى النفوس والعقول معا .

ولكننى كنت خارج القاهرة فى الايام الاولى من رمضان ، لذلك تأخرت عن كتابة هذه الكلمة . وربما كان الخير فى هذا التأخير ، لاننى اطلعت على ما كتب فى الصفحات الدينية ، فوجدت أكثر ما كتب دون المستوى المطلوب . . . ولا أزيد .

قد يكتب كاتب فى الجغرافية او التاريخ أو الكيمياء أو الفيزياء أو فى العلوم الاخرى ، وهو لا يؤمن بهذه العلوم من قريب أو بعيد ، ومع ذلك قد يفيد القارىء بما يكتب .

ولكن الذى يكتب فى الدين ، لا بد له من الايمان المطلق بعظمة الدين ، وأن يعمل بتعاليمه نصا وروحا ، حتى يستطيع أن يفيد قارئه ويؤثر فيه .

والكاتب الذى لا يؤمن ايمانا مطلقا بعظمة الدين واهميته للناس منهجا للحياة وسبيلا الى الدار الآخرة ، لا يمكن أن يفيد قارئه بما يكتب ولا يؤثر فيه .

ومن العجيب أن القارىء يستطيع

أن يكتشف بسهولة بعد قراءة بضعة سطور مما يكتبه الكاتبون فى الدين ، هل الكاتب يؤمن حقا بما يقول ، أو يكتب ما يكتب ارتزاقا ، أو طلبا للشهرة والسمعة ، أو تظاهرا ورياء .

فاذا وجد القارىء حرارة الايمان فى السطور وبين السطور ، مضى فى قراءته واستفاد منها ، والا ترك القراءة غير آسف ، حرصا على وقته من الضياع ، وحرصا على الدين من التشويه .

وقد دأب كثير من القراء فى بلاد المسلمين على قراءة المقالات والكتب والمجلات الدينية .

ولكن هؤلاء القراء على كثرتهم وعلى اختلاف بلادهم وجنسياتهم ، يكادون يجمعون على قراءة ما يكتبه الكتاب المؤمنون حقا بالدين وعظمته ، والمطبقون عملا ما يكتبونه على أنفسهم قبل أن يطالبوا غيرهم بتطبيقه عمليا على أنفسهم .

وقد رأيت صدفة جماعة من الازهريين يقلبون صفحات مجلة اسلامية ، ولكنهم اعادوا المجلة الى صاحب المكتبة لانهم لم يجدوا مقالا لكاتبهم الذى يثقون بدينه واستقامته .

وما رأيته فى القاهرة ، رأيته فى مكة المكرمة وفى المدينة المنورة وفى بغداد ودمشق وطرابلس .

ان الحاسة السادسة التى لا تخطىء فى القراء ، هى التى تدلهم على الكاتب المؤمن الحق ، الذى يصوغ مايكتبه بأعصابه قبل أن يصوغه بقلمه .

ونصيحتى للكاتب الذى يكتب فى الدين من أجل الارتزاق أو الشهرة ، أن يكتب فى مجالات أخرى غير الدين لانه سيخفق حتما فى مقالاته وأبحاثه الدينية ، وقد يكتب له النجاح فى مقالاته وأبحاثه فى مجالات أخرى .

وأقصد بأنه سيخفق ، فى امكانه تكوين مدرسة من قرائه يؤمنون ايمانا عميقا بالدين .

فلست أجهل أن قسما من الكتاب الذين كتبوا فى الدين ، وكانت حياتهم سلوكا وأفكارا تناقض تعاليم الدين الحنيف ، قد نجحوا فيما كتبوه من مقالات وكتب نجاحا نسبيا ، نظرا لشهرتهم السابقة ولقوة أسلوبهم الكتابى وذكائهم ، ولكن مقالاتهم وكتبهم لم تستطع غرس الايمان العميق بالدين فى أحد ، كما لم يستطيعوا تكوين مدرسة من القراء تهتدى بهدى آرائهم الدينية وتتلقف اقوالهم وتذيعها بين الناس . وربما استطاعوا تكوين جماعة من الادباء الذين يكتبون فى الدين ويرتزقون بما يكتبون ، وهؤلاء أدباء دينيون — ان صح التعبير ، وليسوا كتابا مؤمنين بالدين .

ان الهدف الحيوى للكاتبين فى الدين ، هو غرس الايمان العميق فى الانفس والعقول ، لا المتاجرة بالدين والتظاهر به والارتزاق منه .

وقد كان السلف الصالح يعتبر العلوم الدينية (عبادة) ، لذلك بارك الله فى مؤلفاتهم وأبقاها نبراسا للمؤمنين .

وخلف من بعدهم خلف يعتبرون العلوم الدينية (تجارة) ، لذلك ذهبت مؤلفاتهم صرخة فى واد ، وماتت فى مهدها وأصحابها أحياء .

ولكن القول بأن الكاتب فى الدين يجب أن يتحلى بمزية الايمان المطلق بعظمة الدين وأن يعمل بتعاليمه نصا وروحا ، لا يغنى عن كل قول .

فالواقع أن الكاتب فى الدين يجب أن يتحلى بمزايا أخرى ، ولو أن المزية السالفة هى الاساس الذى لا يكون الكاتب فى الدين بدونها كاتبا نافعا وداعية موفقا .

يجب أن يكون الكاتب فى الدين عالما بالمبادىء الدينية متخصصا بفرع

من فروعها كالفقــه أو الحديث أو التفسير أو القضايا العســكرية من الناحية الدينية .. الخ ... وأن يكون قادرا على وضع أفكاره فى صــيغ كتابية سهلــة الفهم مقبولة الاسلوب بعيدة عن الاخطاء اللغوية والبيانية .

وأن يكون قادرا على الدخول فــى موضوعه مباشرة ، دون مقدمــات لا لزوم لها بغير اطناب ممل ، يبدد المعانى ويشتت الافكار ويضيع الوقت سدى .

واذا استطاع الكاتب فى الــدين أن يبرز فكرته فى سطور ، فذلــك أفضل من ابرازها فى صفحات ..

وصفحة واحدة مركزة ، أفضل من خمس صفحات مطولة . وابلغ الكتاب وأكثرهم تمكنا من موضوعه وأعرفهم بهدفه المباشر مما يكتب ، هو اقلهم كلاما وأوجزهم كتابة .

وكثير من القراء لا يطيقون قراءة الكتب الضخمة والمقــالات المطولة ، وأكثرهم يفضــل الكتب الصــغيرة والمقالات المختصرة .

فاذا أراد الكاتب فى الدين أن يفيد قــراءه بمــا يكتب ، فليختصر ما استطاع الى ذلك سبيلا ، وليملأ ما يكتبه بالمعلومات بدون حشو لا مسوغ له ، فان ذلك سيضاعف من عــدد قرائه ويزيد فى فائدتهم .

ويجب أن يكون حريصا على ابراز الدروس والعبر الدينية التى تناسب الظروف الراهنــة للشعب والوطن وللعقائد السائدة فى تلك الظروف .

فاذا كانت البلاد والامة فى ظروف حربية كالظــروف التى تمر بالامــة العربية وهى تدافع عن حقوقهــا المشروعة ضد العــدوان الاسرائيلى التوسعى الاستيطانى ، فلا بد من أن يكتب الكاتبون فى الدين بحــوثا ودراسات لها علاقة بالجهاد .

وهناك بحوث لها أعظم الفائدة ، تستثير الهمم وتشــحذ النفوس ، يمكن استنباطها من تعاليم الــدين الحنيف . وعلى سبيل المثال لا الحصر يمكن الكتابة فى : الجهاد بالانفس ، الجهاد بالمال ، كيف يمكــن اخراج الجهاد من نطاق الفتاوى الى نطاق التطبيق العملى ، الاسلام والحــرب النفسية ، التولى يــوم الزحف ، الشهيد فى الاسلام ، الحرب الشاملة فى الاسلام ، عقاب المتخلفين فــى الاسلام ، الكتمان فى الاسلام ، ارادة القتال فى الجهاد ، بطولات اسلامية، قادة الفتح الاسلامى ، واجب رجال الدين فى الحرب ... الخ ...

كمــا أن الشباب وهم يعانــون صراعا فكريا لا هوادة فيه ، محتاجون الى دراسات عن الفــكر الاسلامى الاصيل ، وكيف يعالج هــذا الفكــر القضايا الاقتصاديــة والسياســية والاجتماعية والفكرية والعسكريــة المعاصرة .

ان العقيدة لا تقــاوم الا بعقيدة أفضل منها ، وفى الاسلام مزايا لو أبرزها الكاتبون فى الدين كما ينبغى ، لاستطاعوا مصارعــة الغزو الفكرى والانتصار عليه .

ولست أكتم ما يجول فى خاطرى حين اقرأ بعض المقالات الدينية التى كتبت فى الصحف بمناسبة حلــول رمضان المبارك ، فكل مرة اقــول لنفسى : « تــرى ! أيعيش هــؤلاء الكتاب فى الدنيا ، أم هم يعيشون فى الآخرة » ، اذ لا علاقة بــين ما يكتبون وبــين ظروف الامــة والوطن !

وعلى الكاتبين فــى الــدين أن يبتعدوا عن الكلام المعاد ، وأن يفكروا فى المبتكر الجديد ، وأن يجودوا ما يكتبونه بالدراسة العميقة المستفيضة والتفكير العميق الصادق ، لكى يفيدوا ويستفيدوا .

وعليهم أن يفكروا بالهدف ممــا يكتبون ، ويتوخوا هــذا الهدف ولا

يحيدون عنه أبدا .

أما أن يكتب قسم منهم مقالات أو بحوثا (مرنة) ، لا هدف لها ولا غاية ، تصلح للتهانى والتعازى فى آن واحد ، وتصلح للمدح والقدح فى وقت واحد .. مقالات وبحوث عامة ، لا تضر عدوا ولا تفيد صديقا ، يخيل اليك حين تقراها أن رائحة (الجنيهات) التى تقاضاها الكاتب مكافأة عن كتابتها ـ تفوح منها أكثر مما يفوح العلم والارشاد والتوجيه ، فان ما يكتب فى مثل هذا الحال كارثة من كوارث الفكر ومصيبة من مصائب الدهر .

وهو بدون أدنى شك يضر بالدين ويجعل الناس لا يقبلون على قراءة ما يكتب فيه وينشر عنه .

وعلى الكاتبين فى الدين الا يقتصروا على الناحية السلبية فيما يكتبون ، بل عليهم أن يهتموا بالناحية الايجابية أيضا .

واقصد بذلك ، أن كثيرا منهم يقتصر على ذكر الحقائق المجردة ، دون أن يبدى رأيه صريحا واضحا قاطعا فى الحلول العملية أو فى التطبيق العملى .

فالذين يكتبون فى الجهاد بالمال مثلا ، يجب الا يقتصروا على ذكر الآيات والاحاديث الواردة فى ذلك وامثلة مما فعل السلف الصالح ، بالرغم من أن ذكر كل ذلك ضرورى للغاية ومهم جدا .

بل عليهم أن يبدوا رأيهم فى كيفية تطبيق الجهاد بالمال عمليا فى مثل هذه الايام : هل تتولى الدولة ذلك وكيف ، أم هل تتولى الدولة ولجان من الشعب وضع الجهاد بالمال فى نطاق التطبيق العملى ، وكيف يتم ذلك ؟

هل من المفيد انشاء صناديق الجهاد ، وكيف السبيل الى ذلك ؟

أريد من الكاتبين فى الدين ، أن يتحدثوا عن (المقدمات) وهى الحقائق الدينية المستمدة من القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف وآراء الائمة وأعمال السلف الصالح كما سجلها التاريخ الاسلامى العظيم .

ولكن هذه (المقدمات) المجردة لا تكفى ، لانها تذكر الناحية السلبية فقط ، اذ يجب أن تقرر النتائج بعد المقدمات ، وهذه النتائج هى : كيف يمكن تطبيق الناحية السلبية الواردة فى المقدمات على الظروف الراهنة لتكون أعمالا ايجابية فى مجال التطبيق العملى .

ان (المقدمات) لا تكفى بدون نتائج ، والنظريات السلبية ناقصة بدون اقتراح طريقة للتنفيذ الايجابى فى مجال التطبيق العملى ووضع الخطة اللازمة للتنفيذ .

ان الكتابة فى الدين تحتاج الى الاخلاص للدين ، وتطبيق تعاليمه نصا وروحا ، والعلم الراسخ بالدين واللغة ، والصبر الجميل على الدراسة والتفكير العميق لتحديد الهدف واقتناص الجديد ، وابراز الدروس والعبر بالنسبة للظروف الراهنة ، وعدم الاكتفاء بالسلبية بل ابراز الايجابية .

وكل هذا يحتاج الى التفكير العميق والسهر الطويل والصبر الجميل والاخلاص النادر والعمل الدائب والتنظيم الدقيق .

لذلك كان الكاتبون فى الدين قليلين فى كل زمان ومكان ، اذا أدخلنا فى اعتبارنا أن هؤلاء الكاتبين أصحاب مدارس للدعوة وقادة طلاب دعاة ، وراجون ما عند الله من أجر لا ما عند الناس من مال .

يريدون وجه الحق ، والحق أحق أن يتبع . يقولون الحق ويغضبون له ، ولا يغضبون من الحق ولا يخشون فيه لومة لائم .

وفى تطبيق هذه المقاييس على الذين يكتبون فى الدين اليوم ، فكم يبقى منهم فى قوائم الحساب ؟!

شركات التأمين

من وجهة نظر الشريعة الإسلامية

للدكتور عبد الرحمن تاج

أعمال شركات التأمين نوعان :
الأول : تأمين على الحياة .
الثانى : تأمين على الاموال .

والتأمين فى كلا النوعين مقتضاه ضمان السلامة . ولكن ذلك ليس معناه منع المخاطر والحيلولة دون أسباب التلف والهلاك ، فانه ليس فى مقدور أحد أن يصد طارق الموت اذا حل ، أو يمنع النوازل السماوية اذا عرضت ، فيكون من أكبر العبث وأعظم الحماقة أن تضمن السلامة فى شىء من ذلك أو يقبل هذا الضمان ممن يزعمه .

ان ضمان السلامة فى مثل هذه الحالات ليس الا ضربا من المراهنات ، على معنى أن شركة التأمين تتفق مع من يتعاقد معها عقد تأمين على الحياة أو المال على أنه ان وقع عطب أو تلف أو هلال للشخص أو للشىء المؤمن عليه كان عليها تعويض تلك الخسارة بدفع ما التزمت دفعه من المال .

● من البحوث المقدمة لمؤتمر علماء المسلمين السابع الذى عقده مجمع البحوث الاسلامية فى القاهرة .

وصورة التأمين على الحياة أن يعقد شخص مع الشركة عقدا على مقدار معين من المال لمدة محدودة من الزمن ، كخمسة آلاف جنيه لمدة عشرين سنة ، يلتزم الشخص — بهذا العقد — للشركة دفع ذلك المقدار على أقساط شهرية مثلا ، وتلتزم الشركة له دفع هذا المال كله ان تمت له السلامة الى نهاية المدة المحددة ، تدفع له هذ المـال مع أرباحه الربوية أو من غير أرباح على حسب الشرط المتفق عليه ، وكذلك تلتزم دفع المال كله لورثته أو لمن يعينه خلفا له فى هذا المال اذا مات فى أثناء المدة ، ولو لم يدفع من مال التأمين الا قسطا واحدا . ويلحق بالتأمين على الحياة التأمين ضد اصابة جزء من أجزاء الجسم .

أما التأمين على الاموال فصورته أن يعقد شخص مع الشركة عقدا تضمن له به سلامة داره ، أو سيارته ، أو أثاث منزله ، أو بضاعته التى فى متجره ، أو التى يريد نقلها من جهة الى أخرى فى البر أو البحر أو ما الى ذلك من مختلف الاموال ، ويلتزم صاحب المال المؤمن عليه أن يدفع للشركة ضريبة معينة من المال كل سنة أو كل شهر على حسب الشرط .

ويختلف مقدار هذه الضريبة على حسب المـال المؤمن عليه الذى يتفق الطرفان على مقدار قيمته .

وهذه الضريبة لا يستردها صاحب المال على كل حال ، وانما تكون خالصة لشركة التأمين على خلاف الحكم فى أقساط التأمين على الحياة ، ثم تلتزم الشركة لصاحب المال المؤمن عليه بأن تدفع له قيمة هذا المال كلها اذا هلك أو تلف بحرق أو غرق أو غير ذلك ما دام عقد التأمين قائما ، ولو لم يدفع صاحب المال من الضريبة الا دفعة واحدة .

الحكم الشرعى فى نوعى التأمين

لم يؤثر عن المتقدمين من علماء الاسلام كلام فى موضوع التـأمين على الحياة أو على الاموال ، فلم يعرف لهم فيه قول بالحـل أو الحرمة ، لأن هذا الضرب من التعامل لم يكن معروفا فى زمنهم فى المحيط الاسـلامى ولا فى المحيطات القريبة منه . لكنه — فى ظل قواعد الشريعة ومبادئها وعلى ضوء ما استنبطه العلماء المجتهدون من مصادرها من قيود وشروط — يمكن أن يوقف على حكم التأمين بنوعيه ، من وجهة نظر الشريعة الاسلامية ، بعد أن تعرف أوضاع هذا التأمين وآثاره القانونية ، وشروطه وقيوده العرفية التى تسـير عليها شركات التأمين ، وبعد أن يوزن ذلك كله بموازين الشريعة ، فى نصوصها التفصيلية ، وعموماتها الكلية ، وما استقاه الأئمة المجتهدون من مصادر الفقه الاسلامى من ضوابط وقوانين ، فان ذلك اذا أخذ على وجهه الصحيح ، وفهم فهما جيدا عميقا مستوعبا ، أمكن أن يستخرج منه حكم التأمين ، وكذلك حكم غير التأمين من كل ما يعرض فى الحياة من شئون لم يكن للفقهاء السابقين عهد بها من قبل .

وعلى هذا الاساس نقول : ان عقود التأمين على الصورة التى قدمناها — ليس لها مسوغ من الوجهة الشرعية الاسلامية ، حتى فى الحـالة التى لا يشترط فيها على الشركة — فى عقد التأمين على الحياة — دفع فوائد ربوية مع أصل مبلغ التأمين المتفق عليه لصاحب العقد على فرض بقائه حيا الى نهاية المدة المعينة ، فان العقد ذاته فاسد مشتمل على شروط فاسدة ، وعلى طريقة

يستباح بها اكل أموال الناس بالباطل . ومثل ذلك يقال فى حكم التأمين على الاموال كما سيأتى بيان ذلك بالتفصيل .

هذا وقد أورد ابن عابدين — فى حاشيته على الدر المختار(١) — بحثا فيما استخرج به حكم الشريعة فى التأمين على الاموال ، لأنه هو الذى كثر السؤال عنه فى زمنه معبرا عنه باسم (السوكرة) وقد قال فى صورتها : « انه جرت العادة أن التجار اذا استأجروا مركبا من حربى يدفعون له أجرته ويدفعون أيضا مالا معلوما لرجل حربى مقيم فى بلاده ، يسمى ذلك المال (سوكرة) على أنه مهما هلك من المال الذى فى المركب بحرق أو غرق أو نهب أو غيره فذلك الرجل ضامن له بمقابلة ما يأخذه منهم وله وكيل عنه مستأمن فى دارنا يقيم فى بلاد السواحل الاسلامية باذن السلطان يقبض من التجار مال السوكرة ، واذا هلك من مالهم فى البحر شىء يؤدى ذلك المستأمن للتجار بدله تماما » .

قال ابن عابدين : « والذى يظهر لى أنه لا يحل للتاجر أخذ بدل الهالك من ماله ، لأن هذا التزام ما لا يلزم » .

أى أن ما لا يلزم شرعا لا يصح التزامه ولا الالزام به ، فلا يحل لمسلم أخذه ، ولا يجوز التعاقد عليه ، فان العقد حينئذ يكون فاسدا .

واذا كان هذا هو حكم عقد التأمين الذى يجرى بين مسلم ومستأمن . من حيث أن المستأمن قد التزم أحكام الاسلام فى التعامل مدة بقائه فى دار الاسلام ، وانه لذلك قد صارت أمواله كأموال الذميين فلا يجوز أخذ شىء من ماله بغدر أو بعقد فاسد — اذا كان الامر كذلك بين المسلم والمستأمن فأولى أن يكون العقد (عقد التأمين) فاسدا ولا يحل أن يؤخذ به شىء من المال اذا جرى بين مسلم وذمى ، أو بين مسلم ومسلم .

وخلاصة القول أن المسلم ممنوع من الغدر ومن الاستيلاء على مال أحد بغير حق ، سواء أكان مسلما أم ذميا أم مستأمنا . ولا يحل له أن يعقد فى دار الاسلام مع أحد من الذميين أو المستأمنين الا ما يحل أن يعقده مع المسلمين .

هذا — وان وضع مسألة التأمين على الاموال على الصورة التى عرضها (ابن عابدين) واضح منه أن عنصر المستأمنين قام وسيطا بين التاجر المسلم والحربى الذى هو الطرف الآخر فى عقد التأمين . وقد علم أنه لا يجوز للمسلم مباشرة عقد فاسد فى دار الاسلام مع أحد من المستأمنين ولا يحل له أن يأخذ بهذا العقد شيئا من مال حربى أو مستأمن . فاذا لم يكن فى المسألة ذلك العنصر الوسيط المستأمن ، وأجرى عقد التأمين فى دار الاسلام بين المسلم والحربى مباشرة بطريق المراسلة ، أو أجرى بينهما فى دار الحرب بعد دخول المسلم مستأمنا فى تلك الدار أو أجرى بين الحربى وبين حربى آخر شريك للتاجر المسلم فماذا يكون الحكم من حيث صفة العقد ، ومن حيث استيلاء المسلم به على مال التأمين من الحربى . . ؟

و (الجواب) أنه فى دار الاسلام لا يحل للمسلم أن يعقد عقدا فاسدا مطلقا كما قدمنا . . وعلى هذا اذا عقدالمسلم عقد التأمين وهو فى بلد الاسلام بطريق المراسلة مع الحربى فلا يحل له أن يأخذ مال التأمين ولو كان القبض قد حصل فى بلاد الحرب لأنه انما يأخذه بناء على عقد فاسد وقع فى بلد الاسلام .

واذا كان العقد قد أجرى فى دار الحرب بين الحربى والتاجر المسلم الذى دخل تلك الديار مستأمنا فان هذا العقد لا يأخذ أحكام الاسلام هنالك ، لأن دار الحرب ليست دار أحكام . فاذا تم قبض المال هنالك أيضا جاز للمسلم أخذه

لأنه يكون أخذ مال لحربى برضاه . وأخذ مال الحربى برضاه جائز بكل حال ، وبكل وجه وسبيل ، حتى من طريق الربا والقمار ، ما دام ليس فى ذلك غدر فان الغدر ممنوع على كل حال .

أما اذا اتفق على أن يكون القبض فى بلد الاسلام بعد تمام العقد فى بلد الحرب فان تم القبض بتراض من غير خصومة جاز للمسلم اخذ المال ، كما جاز ذلك فى بلد الحرب .. وان كان هناك تناكر وخصومة فلا يسع القاضى المسلم أن يحكم بذلك المال الذى لم يكن التزامه الا لعقد فاسد .

ومن هذا يعلم أيضا حكم المسألة اذا كان للتاجر المسلم شريك فى التجارة حربى هو الذى اجرى عقد التأمين مع حربى آخر وقبض منه مال التأمين بعد هلاك التجارة وبعث به الى شريكه المسلم فانه يحل له أخذه ، لانه مال حربى أخذ برضاه بناء على عقد أجرى فى دار الحرب وتم فيه القبض هنالك .



مما تقدم يعلم أن الأصل فى الحكم بفساد عقد التأمين وعدم جواز اخذ المال الذى يدفع تعويضا عن الهالك أو التالف هو أن الشركة التى يطلب منها أن تدفع التعويض لا دخل لها ولا تسبب من قبلها فى ذلك التلف أو الهلاك ، ولم يكن منها غدر ولا تغرير بالشخص المتعاقد معها فى نفس أو مال ، فيكون الزامها بمال التعويض اكلا لاموال الناس بالباطل ، وذلك منهى عنه أشـــد النهى ..

(قد يقال) ان عقود التأمين تجرى دائما مع شركات مساهمة يمكن أن تعتبر شركات تعاونية على الخير والبر ، يتعاون أصحاب الاســهم فيها على تعويض الخسارة — التى تلحق أحدهم فى نفسه أو ماله — مما يدفعونه من أقساط شهرية أو سنوية ، تجمع وتستثمر لينفق منها فى مثل هذا الغرض .. وحينئذ تكون هذه الشركات شبيهة شبها قويا بجمعيات البر التعاونية التى يتكون صندوقها من اكتتابات شهرية مثلا لينفق منها على المحتاجين من أعضاء الجمعية بسبب توقف عن الكسب ، أو بسبب المرض أو غيره من الطوارىء التى يحتاج فيها الى المعونة .

والجواب عن هذا أنه لا يمكن قياس شركات التأمين على جمعيات البر التعاونية ، ولا يكفى لتصحيح هذا القياس أن يكون فى كلا الطرفين اكتتاب من الاعضاء المشتركين فى المنشأة بجزء من المال لينفق من المجموع على النحـو المذكور ، فان الامر فى جمعيات البر التعاونية لا يخرج عن نطاق التبرع المحض من جميع المكتتبين ، والانفاق من المال المجموع فى الوجوه المخصوصة هو تبرع أيضا مبنى على تبرعات أعضاء الجمعية بتلك الاقساط ، فليس هنـــاك الزام بواجب ولا التزام بحق يصح أن يكون محلا للتقاضى والخصومة والحكم به من حاكم يحكم بالشريعة الاسلامية . وليس الامر كذلك فى التعويض الذى تدفعه شركة التأمين لمن يصاب فى نفسه أو ماله فان عقد التأمين يوجب له بحـكم القانون حقا على الشركة يستطيع أن يقاضيها عليه ، ويطلب — من أجله — الحكم عليها بجميع ما التزمت به ، تعويضا عن الخسارة التى لحقته ، وذلك الزام بشىء لا يلزم شرعا .

قد يقال أيضا : اذا كان التأمين غير جائز شرعا للمعنى الذى بين هنا وهو أن فيه التزاما والزاما بشىء لا يلزم شرعا ، وفيه أيضا اســتباحة لأكل أموال

الناس بالباطل ، فكيف يتفق ذلك مع ما اشتهر عن المرحوم الشـــيخ (محمد عبده) من انه أجاز عقد التأمين على الحياة مع اشتماله على ذلك المعنى عينه : « التزام لما لا يلزم شرعا وأكل للاموال بالباطل » . . ؟

نعم ، قد اشتهر عن الشيخ محمد عبده (رحمه الله) أنه قد أفتى فى موضوع التأمين على الحياة فتوى أصدرها حينما كان مفتيا للديار المصرية ، ولم يعقب عليها احد من العلماء ولا من غيرهم ممن تعنيهم شئون الاسلام(٢) .

وقبل الجواب عن ذلك يحسن أن نورد نص الســـؤال الذى تقدم به المستفتى الى دار الافتاء ونتبعه بنص الفتوى التى أصدرها الشـــيخ (محمد عبده) ثم ننظر فى هذه الفتوى ومبلغ ما تدل عليه وما يمكن أن يتمسك به من منطوقها أو مفهومها ، لتقر الامور فى نصابها ، وليهدأ بال الناس ويطمئنوا الى أحكام الشريعة وما ينبغى أن يقال فى موضوع التأمين على الحياة أو على الاموال .

وهذا هو نص ما ورد فى صوغ السؤال :

« سأل جناب المسيو هور روسل ، فى رجل يريد أن يتعـــاقد مع جماعة (شركة) مثلا على أن يدفع له مالا من ماله الخاص على اقساط معينة ليعملوا فيها بالتجارة واشترط عليهم أنه اذا قام بما ذكر وانتهى آن الاتفاق المعين بانتهاء الاقساط المعينة ، وكانوا قد عملوا فى ذلك المال وكان حيا فيأخذ ما يكون له من المال مع ما يخصه من الارباح ،واذامات فى اثناء تلك المدة فيكون لورثته أو لمن له حق الولاية فى ماله أن يأخذوا المبلغ تعلق مورثهم مع الارباح ، فهل مثل هذا التعاقد الذى يكون مفيدا لاربابه بما ينتجه لهم من الربح جائز شرعا . . ؟ نرجو التكرم بالافادة » . .

وقد أجاب الشيخ محمد عبده عن ذلك بما يلى وهو نص الفتوى المشهورة :

« لو صدر مثل هذا التعاقد بين ذلك الرجل وهؤلاء الجماعة على الصفة المذكورة كان ذلك جائزا شرعا ويجوز لذلك الرجل بعد انتهاء الاقساط والعمل فى المال وحصول الربح أن يأخذ لو كان حيا ما يكون له من المال مع ما خصه فى الربح وكذا يجوز لمن يوجد بعد موته من ورثته أو من له ولاية التصرف فى ماله بعد موته أن يأخذ ما يكون له من المال مع ما أنتجه من الربح والله أعلم »(٣) .

هذه هى الفتوى التى اشتهرت عن الشيخ محمد عبده فى موضـــــوع التأمين والتى كان يستخدمها أصحاب المصالح فى الترويج لشركات التأمين وهى التى يستند اليها من يستشكل عليه الحكم بفساد عقود التأمين من وجهة الشريعة الاسلامية وأن أخذ مال التأمين من قبيل أكل أموال الناس بالباطل .

والمطلع على السؤال وعلى جوابه لا يرى فيهما شيئا يتعلق بموضـــوع التأمين على الحياة أو على الاموال ولا يجد فى السؤال ولا فى جوابه اثرا للاركان الاساسية التى يشتمل عليها كل عقد من عقود التأمين والتى بسببها يكون الحكم على تلك العقود بالفساد .

ان هذا السؤال لا ينطبق الا على نوع من الشركات الشرعية التى يكون المال فيها من جانب والعمل فيه بطرق الاستثمار التجارية او الصناعية من جانب آخر ، وهو ما يسمى فى عرف الفقهاء (بالمضاربة) كما يسمى بالقراض .

لم يعرض السؤال للعناصر الجوهرية فى عقود التأمين ، مثل اشتراط أن تدفع شركة التأمين جميع المال المؤمن به ولو كان عشرات آلاف أو مئات آلاف

الجنيهات اذا حصل هلاك أو عطب لصاحب التأمين ولو لم يدفع من الاقساط المنجمة على عدة سنوات الا قسطا واحدا ، فان هذا الشرط هو صلب المخاطرة والمقامرة ،، وهو الذى يلتزم به ما لا يلزم شرعا ويستباح به من المال ما ليس بحق ، وتؤكل به أموال الناس بالباطل .

ليس فى سؤال المستر (هور روسل) الذى تقدم به الى دار الافتاء تعرض لمثل هذا الشرط الذى يفسد به التعاقد ، ولم يعرض السؤال أيضا لنوع الربح الذى ينتج من استثمار المال ولا لطريقة هذا الاستثمار(٤) . والمفتى لا يسعه الا أن يجيب عما يعرض عليه من سؤال وليس عليه ذنب ولا تبعة اذا كانت فتواه تستخدم فى غير ما وضعت له الا اذا أعلم بذلك بعد وتوعه فلم ينكره أو كان يعلم من قبل أن فتواه الصريحة فى تجويز شركة المضاربة والقراض مثلا ستتخذ ذريعة للترويج لشركات التأمين .

واجب على المفتى فى مثل هذه الحالة الثانية أن يسد طريق الفساد على من يريده ، فيبين فى نص فتواه الحكم الشرعي — وان لم يكن مسئولا عنه — فى الموضوع الذى يظن استخدام فتواه فيه ، كموضوع التأمين .

قد يقال : ان أبوابا كثيرة فى الفقه الاسلامى — مثل أبواب الوديعة والاجارة والكفالة قد اشتملت على مسائل وصور عقود قرر الفقهاء الحكم بصحتها ، وبأنه يجب فيها ضمان ما يتلف أو يهلك من مال لأحد المتعاقدين على الآخر وهذه المسائل والعقود يمكن أن تقاس عليها مسألة التأمين على الاموال فيحكم فيها بصحة العقد ووجوب ضمان المال المؤمن عليه لصاحبه فى حالة التلف أو الهلاك .

ففى باب الوديعة قال الفقهاء : « انه اذا أودع شخص عند آخر وديعة وجعل له أجرا على حفظها فان المودع المشروط له الاجر يضمن هذه الوديعة اذا هلكت . فينبغى أن تكون مسألة التأمين على الاموال كذلك ، فان ما يدفعه صاحب البضاعة مثلا من مال لشركة التأمين يعتبر بمنزلة الاجرة على حفظ هذه البضاعة ، كأجرة المودع على حفظ الوديعة . فاذا هلكت البضاعة كلها أو بعضها كان على شركة التأمين ضمان ذلك » .

وفى باب الاجارة قال الفقهاء — فى الاجير المشترك ، وهو الذى لا يقصر نفسه على العمل — لشخص بعينه كالخباز والطحان والكواء والخياط — انه مسؤول عن سلامة ما فى يده من مال للمستأجر فاذا تلف شىء منه كان عليه ضمانه . وعلى هذا يمكن اجراء هذا الحكم فى مسألة التأمين على الاموال فتكون شركة التأمين بمنزلة الاجير المشترك الذى يضمن المال لصاحبه اذا تلف أو هلك .

وفى باب الكفالة قال الفقهاء أيضا : « انه اذا كان رجل معه مال يريد الانتقال به من بلد الى بلد آخر وهو يخشى اللصوص وقطاع الطريق ولا يدرى أى الطرق المأمون وأيها المخوفة فأشار عليه رجل بسلوك طريق معين وقال له : « اسلك هذا الطريق فانه طريق مأمون ، ولو أخذ مالك فيه فأنا ضامن له ، فانه يجب عليه ضمان ذلك المال اذا أخذ من صاحبه فى ذلك الطريق » .

فهذه مسألة يمكن أن تكون من المسائل أو أقرب المسائل التى ينبغى أن تحمل عليها مسألة التأمين على الاموال التى يراد نقلها بالبر أو البحر أو التى يؤمن عليها فى المتاجر أو المصانع أو المنازل خشية الحرائق أو السرقات أو ما شابه ذلك .

هذه هى المسائل التى يمكن ان يتعلق بها من يريد اباحة عقود التأمين على الاموال ممن يأخذون الامور أخذا ظاهريا من غير بحث ولا تمحيص .

لكن هذه المسائل جميعها لا يصح التمسك بشيء منها لاباحة التأمين اذا أخذت على أصولها وفهم فهما جيدا ما قاله العلماء فيها .

وذلك أن مسألة الوديعة على الصورة التى قدمناها ــ وهى ما تــكون بأجر على الحفظ ــ لا يثبت فيها ضمان المال بالتلف أو الهلاك فى كل حال . انما ذلك فى الاحوال التى يمكن فيها الاحتراز عن أسباب الهلاك او التلف . فأما اذا كان السبب مما لا يمكن الاحتراز عنه كالموت والغرق فلا يجب فيهــا ضمان على المودع . واذا لا يفيد شيئا حمل عقود التأمين على هذه الوديعة ، فان مقتضى عقود التأمين وجوب ضمان المال فى كل حال وبكل سبب من أسباب الهلاك ، من غير فرق بين ما يمكن الاحتراز منه وما لا يمكن . بل ان الغالب فى هذه العقود أنها مقتضية للضمانفى الاحوال التى لا يمكن فيها الاحتراز من أسباب الهلاك ، كما هو معروف .

على أنه لا يمكن اعتبار المال المؤمن عليه وديعة عند شركة التأمين ولا يمكن اعتبار هذه الشركة أجيرة على حفظه حتى يصح قياس مســألة التأمين على مسألة الوديعة ، فان المال المؤمن عليه ليس فى يد الشركة ولا تعلق للشركة به ، فليست المتاجر والمخازن والمصانع التى فيها المال المؤمن عليه أماكن لشركات التأمين ، وليست البضائع المنقولة فى البحر محمولة فى مراكب هذه الشركات ، فلا علاقة لهذه الشركات بالمال المؤمن عليه بحال من الاحوال ، واذا لا يكون هناك وجه شرعى لايجاب الضمان عليها فى حالات العطب أو الهلاك ، فانها ليست جهة مودعة عندها الاموال ، ولا أجيرة على حفظها .

ثم اذا كانت شركة التأمين هى صاحبة المراكب التى تنقل عليها البضائع فى البحر مثلا فانه يمكن اعتبارها أجيرة على النقل وعلى الحفظ من قبيل الاجير المشترك الذى تقرر فى الفقه الاسلامى حكمه ، وهو انه لا يجب الضمان عليه فى حالات التلف أو الهلاك اذا كان سبب ذلك مما لا يمكن الاحتراز عنه . . وليس كذلك الحال فى عقود التأمين كما علمنا .

بقى الكلام فى المسألة الاخيرة التى قلنا إنها اقرب المسائل التى قد يتعلق بها من يريد اباحة التأمين على الاموال ، وهى مسألة الكفالة وضمان سلامة الطريق ، والحكم الذى قرره الفقهاء فيها هو أن من أشار على صاحب مال بسلوك طريق معين ملتزما ضمان المال اذا هلك من صاحبه فى ذلك الطريق لا يجب عليه ضمان شيء الا اذا كان صاحب المال لا يعلم حقا ما فى الطريق من خطر وكان المرشد لسلوكه ذلك الطريق يعلم جيدا ما فيه من معاطب ومخاوف فانه اذا كان الامر كذلك كان المرشد للطريق غاشا غارا صاحب المال ، فيغرم ما ضاع منه ، أما اذا كان المرشد لا يعلم ما فى الطريق من خطر ، بــل كان يعتقد أمنه وأنــه ليس فيه ما يخاف ويحذر فليس عليه ضمان شيء . وكذلك اذا كان المرشد يعلم بخطر الطريق وكان صاحب المال يعلم ذلك أيضا فانه لا ضمان على المرشد ، لأن صاحب المال فى هذه الحالة يكون هو الذى عرض ماله للضياع ، فانه ليس أحد أحرص على المال ولا أحفظ له من صاحبه ، فارشاد المرشد فى هذه الحالة لم يأت بشيء جديد ولم يحصل شيئا كان غير حاصل ، فلا يكون موجبا لضمان .

(وبعد) فان استقصاء قواعد الشريعة وأحكامها وما بنيت عليه هذه القواعد والاحكام من نصوص خاصة وعمومات شاملة يثبت أنه لا يجب على أحد ضمان مال لغيره بالمثل أو بالقيمة الا اذا كان قد استولى على هذا المال بغير حق أو اضاعة على صاحبه ، أو افسد عليه الانتفاع به بطريق المباشرة أو التسبب ، ولا شيء من ذلك بمتحقق في شركة التأمين التي يقضي التعاقد معها أنها تضمن لصاحب المال ما يهلك أو يتلف أو يضيع بغرق أو حرق أو بفعل اللصوص وقطاع الطريق أو ما الى ذلك ، سواء أكان ذلك مما يمكن الاحتراز عنه أم لا .. وتضمين الاموال بهذه الصورة شيء لا تعرفه الشريعة الاسلامية العادلة التي لا تقر الغبن والحيف ولا تبيح أكل أموال الناس بغير الحق .

شركات التأمين لا علاقة لها مطلقا بالاموال المؤمن عليها ، وكل عملها انها تكون من أقساط التأمين — التي تجمعها من المتعاقدين معها أصحاب تلك الاموال — رأس مال كبير توجهه للاسترباح في قروض وغير قروض ثم تدفع من أرباحه العظيمة ما يجب عليها قانونا من تعويضات عن الخسائر التي لحقت الاموال المؤمن عليها . وليس للشركة دخل في أسباب هذه الخسارة لا بالمباشرة ولا بالتسبب فمطالبتها بتعويض الخسارة ليس لها وجه شرعي ، كما أن الاقساط التي تجمعها من أصحاب الاموال بمقتضى عقد التأمين ليس لها وجه شرعي أيضا .. فهذه اشتراطات والتزامات فاسدة ، والعقد اذا اشتمل على شرط فاسد كان فاسدا .

ان شركات التأمين هي شركات استرباح بارعة ، رأس مالها في أغلب الامر هو ما تجمعه من أقساط من أصحاب عقود التأمين ، تستغل هذه الاموال وتستثمرها ، والارباح التي تستفيدها منها أعظم بالضرورة مما تخسره في حالات التعويض لمن تلحقهم خسارات في الاموال المؤمن عليها . وذلك أن أعمال شركات التأمين مبنية على دراسات دقيقة واحصاءات شاملة لوسائل النقل في البر والبحر وحالات السلامة وحالات العطب في الظروف العادية وأوقات السلم والامن . هذه الدراسات والاحصاءات تثبت أن مرات العطب والتلف قليلة جدا ، بل هي نادرة بالنسبة لمرات السلامة ، فلا يضير شركات التأمين أن تعوض من كسبها الواسع عن خسارة هذه الحالات النادرة ، ثم يكون لها الباقي ربحا خالصا .

هذا شيء واضح ومعهود في شركات التأمين على الاموال . ومثله يقال في شركات التأمين على الحياة مهما اختلفت الاساليب وتنوعت الطرائق والشروط .

وخلاصة القول أن تعاقد شركات التأمين على الارواح أو الاموال لا يمكن أن يدخل في باب صحيح من أبواب المعاملات الشرعية .. وغاية ما يمكن تصويره به أنه من قبيل النوع الثالث الذي أشرنا اليه وهو ضمان أمن الطريق فيكون ضمانا لسلامة الانفس والاموال ، وقد قلنا في ذلك النوع الثالث : « انه لا يثبت فيه الضمان شرعا الا اذا كان هناك تغرير من هذا الضامن بأن كان يعلم ما في الطريق من مخاوف ومعاطب ، وكان صاحب المال الذي يسلك به الطريق — بناء على ذلك الارشاد — لا يعلم أصلا بهذه المخاوف والمعاطب . فضامن

السلامة حينئذ يجب تضمينه المال الهالك ، بسبب التغرير الذى كان منه لا بسبب آخر ، والتغرير منتف فى موضوع عقود التأمين .

(وبعد) فهذه أوضاع شركات التأمين .. والقوانين الوضعية قد أباحت طرق الكسب التى تجرى على مثل هذه الاوضاع ما دام يتفق عليها المتعاقدان ، والاتفاق شريعة المتعاقدين فى نظر هذه القوانين ..

لكن الشريعة الاسلامية لها أوضاعها وأحكامها الخاصة .. وقد قيدت انواع المعاملات بين الناس بشروط لا يسوغ الاخلال بها ، أو الاتفاق على خلافها .

واذا كانت القوانين الوضعية لا تقر أى اتفاق أو تعاقد بين اثنين اذا كان مخالفا للنظام العام ، فأحكام الشريعة الاسلامية المقصود بها التعامل بين الناس جميعا يجب ملاحظة أنها من النظام العام الذى لا يجوز الاخلال به أو الاتفاق على خلافه .. والله أعلم ..



---

(١) حاشية « رد المحتار على الدر المختار » فى « فصل استئمان الكافر » من باب المستأمن (الجزء الثالث ص ٣٤٥ — ٣٤٦) .

وابن عابدين هو من علماء القرن الثالث عشر الهجرى أى أنه لم يكن من المتقدمين الذين قررنا انه لم يؤثر عنه كلام فى موضوع التامين .

(٢) بالرجوع الى السجلات الرسمية لدار الافتاء يعلم أن هذه الفتوى صدرت فى شهر صفر من سنة ١٣٢١ بناء على طلب من يدعى الخواجة (هور روسل) ويعلم أيضا أن شخصا آخر له مصلحة من وراء هذه الفتوى تقدم الى دار الافتاء يطلب صورة منها ، وانه أجيب الى طلبه من غير توقف ، وكان ذلك فى شهر ذى القعدة من سنة ١٣٤٧ (مايو سنة ١٩٢٩) على عهد مفتى الديار المصرية المرحوم الشيخ عبد المجيد سليم .

(٣) وقد حررت صورة من هذه الفتوى باذن من مفتى الديار المصرية المرحوم الشيخ عبد المجيد سليم واعطيت للخواجة (جورج فوشيه) وكيل شركة التامين على الحياة (لاجنفواز) بناء على طلبه .

(٤) نعم لم يعرض السؤال لنوع الربح ولم يبين هل هو جزء نسبى من الارباح الحاصلة من عمل الشركة ، كعشرة أو خمسة فى المائة مثلا من هذه الارباح أو جزء نسبى من المال المدفوع للشركة لتعمل فيه ، كان يشترط لصاحب المال من الارباح ما يساوى عشرة فى المائة مثلا من المال الذى دفعه للشركة ، وفرق كبير بين الامرين هو الفرق بين الحلال والحرام .

هذا ولا شك أن الجارى فى عقود التامين هو النوع الثانى الذى يكون فيه الربح المشروط جزءا نسبيا من رأس المال المدفوع للشركة وهو المحرم باجماع المسلمين . لكن السؤال قد أخفى هذه الحقيقة الواقعة ليلقى بذلك الابهام ستارا على النقط المحرمة التى توجب فساد العقد شرعا .



أهداف مجتمع الاسلام

للدكتور : مصطفى عبد الواحد

لتجمع الناس بعضهم مع بعض مقاصد يحصل بعضها بالضرورة ، ويتحقق باقيها بالارادة والمعاناة ..

فقد كانت نزعة التجمع الانسانى صادرة عن الشعور بالحاجة الى تضافر الجهد على تحقيق المطالب الضرورية التى لا يقدر عليها الانسان منفردا ، من أمر معاشه وقوامه ..

وهذا الضرب من الاجتماع ــ كما يقول ابن خــلدون ــ « ضرورى للنوع الانسانى ، والا لم يكمل وجودهم وما أراده الله من اعتمار العالم بهم واستخلافه اياهم (١) ..

فهل للاسلام من هدف فريد حين يقيم مجتمعه ويبنى صرحه على أساس من العقيدة ويشيد دعائمه على وحيها .. ؟

أو : ما الغايات الفذة التى يبتغيها الاسلام من تحقيق منهجه الاجتمــاعى وصبغ المجتمع بصبغته ؟



يمكن القول إن الاسلام فى بنائه لمجتمعه يهدف الى اقامة الحياة المتوازنة

التى تتجلى فيها خصائص النظرة وتتسق مع دور الانسان فى الحياه .

والأنظمة الاجتماعية تختلف باختلاف فلسفاتها وأسسها الفكرية . كما تختلف باختلاف أهدافها وغاياتها القريبة والبعيدة ، والاسلام يقيم مجتمعه على أساس نظرته الى الانسان وادراكه لرسالته وخصائصه .

انه يرى فى الانسان كائنا متميزا ، يجمع الى طاقاته المادية التى تقتضيه الالتفات اليها واجابة ندائها ، طاقات روحية تدفعه الى غايات سامية ذات صدى بعيد فى كيانه .

إنه ليس حيوانا يصغى إلى صوت غرائزه فحسب ، عاكفا على اشباع رغائبها وتحقيق مطالبها ، كما انه ليس ملكا يتسامى عن المادة وينطلق من آصارها ..

ولهذا فان كيان الانسان الحق لا بد أن يقوم على رعاية كلا الجانبين والوفاء بحاجاته المادية والمعنوية ..

فلا بد للمجتمع المسلم أن يبرز الأهداف الروحية وأن يوليها من الرعاية والاهتمام ما يولى الأهداف المادية التى تعد ضرورة للانسان ..

وهو بهذا مجتمع متميز فى منهجه عن المناهج الاجتماعية قديمها وحديثها ، فلا يقصر نظره على مطالب المادة ، ولا يسعى نحو رفاهية العيش فحسب ، ولكنه يقرن ذلك ، بل يؤثر عليه ، أن يمكن الانسان من عبادة خالقه وأن يرشده فى مسلكه فى الحياة ، وأن يصحح اتجاهه فى دنياه ويحول بينه وبين الغواية والشقاء ..



والآية التى تحوى شعار المجتمع الاسلامى وتوجز اهدافه هى قول الله سبحانه :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله (٢) » ..

فنلمح فى أنوارها الغايات التى يبتغيها الاسلام من مجتمعه والأهداف التى يوجه اليها أبناءه ..

انها تعلمنا أن المجتمع المسلم ليس مجتمع كلأ يتجمع أفراده على مثل ما يتجمع عليه الحيوان ، وليس مجتمعا قصير النظر يلتفت الى أحد جوانب الانسان ثم يعشو عن أخطر الجوانب وأولاها بالاهتمام ، فيخطىء فى تقدير الانسان ويضل فى توجيهه ..

بل هو قبل كل شىء مجتمع مبادىء صالحة ، عليه أن يستمسك بها وغايات شاملة لكل جوانب الحياة الانسانية عليه أن يسعى نحوها .

فعليه أولا أن يحقق قيام الحياة الانسانية على الايمان بالله سبحانه والخضوع لارادته والنزول على حكمه وابتغاء رضوانه ، ثم يتجه بالبشرية الى أقوم ما يمكن أن يرقى إليه البشر ويسمو بها الى آفاق الحياة الكريمة المتوازنة .

ولذلك يحقق الخير ويدعو اليه ، وينأى عن الشر وينهى عنه ، ويقيم نظمه وبرامجه على أساس المبادىء الأخلاقية التى تصل بالفرد الى المستوى الذى يصلح له ..



ثم يسمو الاسلام بمجتمعه إلى الأفق الانسانى الشامل ، فيجعل عليه واجبا بعد أن ينجح فى اصلاح نفسه وتقويم بيئته ان يمد النظر إلى الآفاق المظلمة فى الأرض ، فى كل مجتمع يشقى بجهله ويتعثر فى سعيه ويضل فى اتجاهه فيرشد ويدعو ويبين ويصلح ، حتى يعم الخير فى الأرض ويسعد الانسان فى كل مكان .

وهذا ما يدعو اليه القرآن بقوله مخاطبا جماعة المؤمنين :

« يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون . وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ، ملة ابيكم ابراهيم ، هو سماكم المسلمين من قبل ، وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم ، فنعم المولى ونعم النصير » (٣) . .

وفى ذلك تبدو نظرة المجتمع المسلم الى خير الانسانية جميعا وسعيه الى إسعاد البشر ، لايقف عند حدود ضيقة ولا يبتغى نفعا قريبا ، فما دام فى الأرض جهل وانحراف ، وما دام فيها ظلم وفساد ، فان على المجتمع الاسلامى واجبا لا يسقط ، وعبئا لا يخف ولا يهون . ومن هنا يفترق المجتمع الاسلامى عن غيره من المجتمعات التى لا تلتزم بواجب انسانى ولا تتحمل رسالة منزهة عن الهوى والغرض ، من أجل نفع الانسان والأخذ بيده إلى الخير والرشاد .

بل تقتصر تلك المجتمعات على أهداف مادية محدودة لا تعدو تحقيق الرفاهية والمتاع لأبنائها أو بعض أبنائها ، على خلاف فى أنماط المجتمعات .



والمجتمع المسلم يهدف فى سعيه الأول إلى ان يحقق وجود الانسان ذى الفطرة الصحيحة ، وان يعينه على أن يحيا الحياة المتوازنة التى أرادها الله للانسان . فهو مجتمع يدرك حقيقة الانسان ويضع برامجه وفق ما يلائم فطرته ، ويمكنه من أن يؤدى واجبه ويحيا فى نطاق الأصيل .

والانسان فى كل زمان بحاجة الى ذلك المجتمع الذى يحول بينه وبين تدمير نفسه والتردى فى مهاوى الشقاء . فربما يبتهج الانسان حين يحيا فى بيئة تفتح له أبواب الشهوات ، أو تتيح له أن يصنع ما يشاء ، ولكنه لن يسعد بذلك أبدا ولن يستقيم .

إنه حقا بحاجة الى البيئة التى تضع له علامات فى طريقه ، تنذره بمواطن الخطر ، وتوصد أمامه سبل الهلاك . .

وذلك ما يصنعه المجتمع المسلم بالانسان . .

إنه يرسم له اطارا لا يتعداه ، يحرص فيه على اشباع ضروراته وتلبية نداء فطرته ، والارتقاء بالانسان الى الغايات التى ترشحه لها مواهبه وخصائصه

ثم يقوم حارسا على الانسان أن يطغى أو يحيد ، بوسائل مختلفة فيها العظة والاقناع ، وفيها كذلك الضوابط والحدود . . فلا يجد الانسان أمامه الا أن يسير فى الطريق المعبد ، دون أن تجره قدماه إلى المتاهات . .

« وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله (٤) » . .

وهذه الغاية ـــ من بناء الفرد الصالح ورعايته ـــ من أهم غايات المجتمع

الاسلامى التى يشير اليها القرآن الكريم ويوجه اليها انظـــار المسلمين فـــى كـــل زمـــان . .

يقول الله سبحانه :

« ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ، الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولـلـه عاقبـة الأمـــور (٥) » . .

وفى هذا إجمال لمقومات الفرد المسلم التى يجب ان تتضح فـــى صورة المجتمع كله ، من أداء لحق الله سبحانه متمثلا فى اقامة الصلاة ، وأداء لحـــق الانسان متمثلا فى ايتاء الزكاة ، ورعاية للأهداف الخلقية والاجتماعية متمثلا فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . .

والفرد لا يستطيع أن يتمثل ذلك كله فى غير المجتمع الاسلامى ، إذ يحال بينه وبين تلك المبادىء الصالحة ، وينساق وراء مجتمعه فى سعيه نحو الأهداف المادية حتى لا يتخلف أو ينقطع . .

فلم يكن بامكان المسلم فى مكة قبل الهجرة إلى المدينة ان يكون صورة لتلك المبادىء التى يريدها الله من عباده المؤمنين . ولهذا أشار القرآن الـــكريم الى أنه لا يطالب المسلمين بتحقيق تلك المبادىء إلا حين يظلهم لواء التمكين فى الأرض وتجمعهم ساحة المجتمع الذى يمثل مبادىء الاسلام . . « الذين إن مكناهم فى الأرض » . .

ومغزى ذلك أن الانسان فى المجتمع الاسلامى يكتسب قوة غير قوته حين يعيش وحيدا ذليلا ، فى مجتمع لا يؤمن بالحق ولا يعمل له ، وتتفتح أمامه سبل للعمل والجهاد ليست له حين يحيا على هامش الحياة لا يشارك ولا يتحمل . والمجتمع الاسلامى يحمل على كاهله أن يأخذ بيد كل فرد الى ما يحسن ، وأن يدفعه الى تزكية نفسه قدر ما يستطيع فهو « مجتمع الانسان » بأقصى ما تحمله تلك الكلمة من معان وايحاءات .

وتبدو بين غايات المجتمع المسلم غاية مضيئة لها قداستها فى كـــل جيل وقبيل ، تلك هى إقامة الحق ورعاية العدالة بين العالمين .

فما عرفت الدنيا مجتمعا يبتغى إقامة الحق منزها وتحقيق العدالـــة بين الكافة كالمجتمع المسلم .

لقد كان منطق القوة يسود مجتمعات الأرض ، فترعى العدالة لنفسهـــا وتنكرها على سواها ، وتحرص على حقوقها بينما تدوس حقوق الآخرين .

ولكن القرآن كان يرى فى قيام مجتمع يؤمن بالله ويحترم إرادته صيانة للعدالة فى الأرض وانصافا للخلائق أجمعين .

ولهذا كان الخطاب فى القرآن يتجه الى المؤمنين يذكرهم بتلـــك الغايـــة الجليلة المرجوة من مجتمعهم والتى لن يفلح فيها سواه . .

« يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله ان الله خبير بمـــا تعملـــون (٦) » . .

« إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكمـــوا بالعدل (٧) » . .

وكان الاتجاه الى تلك الغاية حاسما صارما ، لا حيدة عنه ولا هوادة فى الاستمساك به .

مما كان يجعل الوحى الالهى يرقب سعى المجتمع الاسلامى الوليد نحو تلك الغاية ويحمى خطواته اليها ..

فقد نزلت آيات من الكتاب الكريم فى حادثة هينة ، يحدث مثلها الكثير كل يوم فى أنحاء الارض ، وهى اتهام البرىء ومحاولة المذنب الافلات ، ولكن القرآن يرى فيها شائبة تحط من قدر العدالة ، وربما جعلت قيم الحق تهتز فى النفوس .

« انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما ، واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما ، ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما ، يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون مالا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا . ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا ، فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا ومن يكسب إثما فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما ، ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا » ..

فاذا علمت ان المتهم الذى نزلت تلك الآيات فى حرارتها وقوتها تدافع عنه وتبرىء ساحته ــ كان من اليهود وقد كانوا من ألد أعداء الجماعة الاسلامية اتضحت لك غاية جليلة من غايات المجتمع الاسلامى ، وهى رفع لواء العدالة فى عالم تسوده الأهواء وتنتشر فيه المظالم ..

وكان ذلك الهدف من بين أهداف المجتمع الاسلامى مقياسا صادقا لاستقامة السير وصواب الهدف فى كل أجيال ذلك المجتمع ..

فما دام الحق والعدل لواء يخفق فى ذلك المجتمع ، فهو على صواب ورشد ، وهو فى هدى ونور ..

أما اذا زاغ المجتمع عن الحق ولم يتحر العدالة فى بنيانه وفى سلوكه فهو حينئذ منحرف عن القصد جائر عن الطريق ..

وقد كان استمساك المجتمع الاسلامى بتلك الغاية فى العصور الأولى لمجتمع الاسلام يثير الاعجاب فى كل الانحاء ..

ويبدو ذلك جليا فى معاملة المسلمين لأهل الكتاب من اليهود والنصارى ممن كانوا يخالطونهم .

فقد كانت العدالة المنزهة تتضح فى كل تصرف بين المسلمين وبين غيرهم حتى فى المواقف التى قد يحمد فيها التشفى والانتقام ..

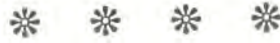
لما فتح المسلمون خيبر أقر رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود فيها على أن لهم الشطر من كل زرع ونخيل وشىء ..

وكان عبد الله بن رواحة يأتيهم كل عام فيخرجها عليهم ثم يضمنهم الشطر ، فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شدة خرصه وأرادوا أن يرشوه فقال : يا أعداء الله تطعمونى السحت ! والله جئتكم من عند أحب الناس الى : ولأنتم أبغض الى من عدتكم من القردة والخنازير ، ولا يحملنى بغضى اياكم وحبى اياه على أن لا أعدل عليكم !!

فقالوا : بهذا قامت السموات والارض (٨) !!

ان هذا الاحساس المرهف لم يكن أثر قانون أو دراسة اكتسبها المسلمون ، ولكنه فعل العقيدة الاسلامية وأثر فكرة الاسلام الاجتماعية التى تضع أمام المسلمين تصورا كاملا لغايات الاسلام وأهدافه . وتجعل إقامة العدل فى قمة الأهداف ..

وكم من شعوب بلغت درجات عالية من العلم والحضارة لكنهـا لم تتعلم كيف تمسك بميزان العدالة مع الناس جميعا ، فآمنت بحقوقها وأهدرت حقوق الآخـرين ..



أهـداف فـذة :

وحين نلقى نظرة تاريخية الى مختلف الاهداف والغايات التى ابتغتها شتى المجتمعات الانسانية قبل المجتمع الاسلامى وبعده ، يتضح لنا حقا أن المجتمع الاسلامى يمتاز عليها جميعا بخصائصه الشاملة ونظره المحيط ونزعته الانسانية المخلصة ..

كانت المجتمعات التى عرفها التاريخ قبل المجتمع الاسلامى شقية بائسة ، يسودها تحكم الفرد واستعلاؤه ، وتضلها نزواته وأهواؤه ، وتدلها مشيئتـه وارادته ..

كانت مجالا للصراع يلتهم فيه القوى الضعيف وتستعلن ضراوة الظلم ، وتذوى فيه مشاعر التراحم ويخفت صوت العدل ..

كانت الحروب تستعر من أجل هوى فرد ، وقودها الشعوب المنهكـة التى لا تملك أمرها ولا تبصر طريقها ..

وكانت الثروات وقفا على أولى البأس ، لا ترتبط بالعمل ولا ترتكن الـى الجهـد ..

وكان الناس فى تلك المجتمعات جماعات تتطاحن تهلكها رحى الحياة الدائرة، لا يملكون من العواطف والمشاعر والآمال ما يخففون به عن أنفسهم وطأة الحياة التى كانت تبدو لهم عبئا ثقيلا لا يقدر عليه الا أولو البأس القادرون على الصراع .

لا تجد فى تلك المجتمعات من وضع نصب عينيه المبادىء التى يصلح عليها أمر الانسان أو استهدف الغايات الانسانية الشاملة التى ينبغى أن يتجمـع عليها البشر . والتاريخ على ذلك شهيد ..

هؤلاء اليونان .. أقدم البشر عهدا بالفلسفة وأحفلهم بالحكمة والمعرفـة لم يستطيعوا أن يقيموا مجتمعا يحقق آمال الانسان أو يصل به إلى الطمأنينـة والسعادة ..

حقا .. لقد حاول فلاسفة اليونان ذلك وذهبوا يضعون للمجتمع ما يرون من الوسائل والغايات ، ولكن الخيال جنح بهم الى آفاق بعيدة ، ولم يكن بمقدورهم ادراك العناصر الكاملة التى تصـلح أن تكون واقعا كريما يحيـا فى ظلاله البشر ..

فقد تصوروا مدينة فاضلة تقوم على طبقات مختلفة ، وفرقوا بين البشر باعتبارات لا يد لهم فيها ، ولم يسلموا بمبدأ المساواة بين بنى الانسان ، بل رأوا فى الرق نظاما أمثل يصلح أمر المجتمع .. ونظروا الى المال نظرات قاصرة لا تصل بالمجتمع الى التكافل ، ولا تحل مشكلة الغنى والفقر .

وكفاهم أنهم لم يضعوا للحياة المنهج العملى الذى يتلاءم مع واقع الناس ويرعى مصالحهم ..

لذلك لم ينجح الفلاسفة فى بناء المجتمع اليونانى ، فلم يسعد ذلـك المجتمع

ولم يسعد غيره ، بل كانت الحروب المستعرة تستهلك المشاعر والموارد . وتلقى بالناس فى أتون مهين . .

أما الامبراطورية الرومانية فقد كانت مادية طاغية تتعبد للقوة وتمجد الغالب ولا تقيم للشعوب وزنا ، لم تحفل بالقيم الانسانية ولم يثبت فيها للأخلاق بناء . .

وقد استمرت قبضتها الظالمة على شعوب كثيرة ، لم تلق منها خيرا ولم تنج من جبروتها وبأسها ، ولم تسعد بالحياة فى ظلالها ، حتى أفل نجمها وتقلص ظلها بعد ضعف ووهن . .



وقد كانت الفترة التى سبقت ظهور الاسلام فترة مظلمة حقا فى تاريخ المجتمع الانسانى ، كانت تلك المجتمعات قد فقدت حق البقاء ولم يعد فى مقدور مجتمع منها هداية الانسان أو اسعاده . .

كانت المظالم والصراع والفوضى تنتاب شعوب الأرض . .

وكانت الدنيا أشبه بغابة واسعة يفترس فيها الأشداء من هم أقل منهم قوة .

وكانت صلة البشر بعضهم ببعض لا تعود الى حق أو عدل . .

والشعوب قد خفت صوتها فى مواجهة الطغاة ، لا تجد ملجأ ولا تهتدى لمنجى يقيها اليأس والهوان . .

حتى جاء الانسان ليبدأ فى كتاب الحياة صفحة جديدة ، وليقيم من الارض مجتمعا مثاليا يصدر عن ارادة الله وينقاد لحكمه . .

مجتمع فاضل حقا . . اذ يقوم على مبادىء صالحة وحقائق لا تتبدل ولا تختلف . . .

مجتمع « عادل » لانه يبتغى انصاف الانسان وحفظ حقوقه ، وتحطيم قبضة الجبابرة التى تمسك زمام الشعوب المستضعفة ولأنه يطبق شريعة الله التى حكم فيها بين عباده . . « ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون (٩) . .

مجتمع رحيم ، لأنه يبنى كيانه على أساس أخوة البشر وتكافل الأقوياء والضعفاء ، فلا يجمع بين قطعان متنافرة أو ذئاب متناحرة ، بل يستثير فى بنى الانسان أرق وأندى ما تشتمل عليه نفوسهم من مشاعر ، ويجعل من الغايات الروحية التى يلتقى عليها أفراده سياجا يجمع بين الناس برباط لا ينفصم : « وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم ، انه عزيز حكيم (١٠) » . .



مقارنة :

وحين نبحث عن غايات المجتمعات المعاصرة ندرك أيضا تفوق المجتمع الاسلامى عليها وامتيازه بالمزاوجة بين الروح والمادة ووضعه قيما عليه يحرص على تحقيقها . .

ان الحضارة الحديثة لا تجعل لمجتمعاتها غاية أكثر من بلوغ أفرادها

أقصى غاية المتاع واللذة ..

ولا تحفل بالمشاعر الانسانية والقيم التى ترتفع عن المادة وتستعلى على نطاقها .

وذلك قدر مشترك بين المجتمع الرأسمالى والمادى ، على اختلاف فى الوسائل والبرامج .

ففى الغرب يعيش الناس بلا أهداف ولا قيم ، حيث تتبدل الأخلاق وتتغير الموازين ، وتقفر النفوس من الخير وتشتد حدة الصراع ..

ورغم التقدم فى وسائل الحياة وأساليب المتاع ، فان مضمون الحياة نفسها أو الاحساس بقيمها فى هبوط واضطراب ..

ولم يستطع ذلك المجتمع رغم الغنى والرفاهية أن يقضى على الفقر ، ويأخذ بأيدى العاجزين أو يخفف عن الناس قسوة الصراع على موارد الحياة .. ذلك لأنه لا ينظر الى الحياة الانسانية النظرة الكاملة ولا يأخذ فى اعتباره حقيقة الانسان .. فهو فى طريقته يصادم الفطرة ويبدل الأصول الثابتة فى حياة الانسان .

ويدلنا على حالة ذلك المجتمع الغربى ما يسوده من أمراض نفسية وخلقية وما يشيع فيه من جريمة وفساد ..

أما المجتمع المادى فى أنحاء الأرض ، رغم ما يسوده من شعارات وما يغمره من حماسة فهو مجتمع شقى بائس !

فما معنى أن يصير الانسان — فى سعيه الى القوت — عبدا للآله ، سجينا فى قضبان من الرعب والعبودية للبشر ، الذين يوهمونه أنهم يحمونه من الاستغلال والظلم !!

ان الانسان فى المجتمع المادى ليس هو الانسان كما خلقه الله !

انه انسان شائه الفطرة ممسوخ التفكير ، فقد حريته وكيانه ، ورضى من حياته بلقمة العيش وعبادة البشر !!

ويكفى أن يقوم كيان ذلك المجتمع على تجاهل الحقيقة الكبرى فى حياة الانسان وهو أنه عبد للخالق العظيم الذى استخلفه فى هذه الارض واستعمره فيها .. وأن عمارة الانسان للأرض وتفوقه فى استثمار خيراتها ليست الا جزءا من عمله فى هذا الكون ، وليست هى الغاية الوحيدة من وجوده فى الحياة .



ان الخطة التى رسمها الاسلام لمجتمعه تتميز بسعيها نحو سعادة البشر جميعا ، فهى لم تصدر عن طبقة ولا فرد ، بل صدرت عن خالق البشر ولم تقم على تجارب قاصرة أو شعارات كاذبة ، بل قامت على مبادىء صادقة تطابق حقائق الأشياء ، وتتفق مع سنن الحياة ..

ولهذا فقد اتصف المجتمع المسلم بالاخلاص لحقوق الكافة والمساواة المنزهة بين طوائف الخلق وبالشمول فى النظر للحياة وتحديد أهدافها .. وبالغايات الروحية من وراء النشاط المادى ، وبمتانة الأواصر التى تربط بين الأفراد فى ذلك المجتمع ..

ولقد نجح المجتمع المسلم فيما فشل فيه سواه من قبل ومن بعد ..

لقد قامت فى الارض بواقعها المادى ومضايقها ومصاعبها أمة عرفت كيف

تحترم ارادة خالقها وتحيا وفق سننه الصادقة ، وكيف تعيش فى واقعها مرتبطة بقيمها صادرة من مثلها ، تخضع الحياة لما تؤمن به من مثل وما تبتغيـــه من غايـــات ..

ولا يعترضنا صوت ليقطع علينا السبيل فيقول :

اتعنى بذلك تلك الفترة القصيرة التى عاشها الرسول صلوات الله عليه — مع أصحابه فى المدينة ، أو خلافة أبى بكر وعمر ؟

وهل ننسى بعد ذلك ما نشب بين المسلمين من صراع على الحـــكم وما ساد مجتمعهم من مظالم فى الأموال والحقوق ، وما ارتفع فى مجتمعهم من عصبية ونعرة .. ؟ !!

والحق أن تلك الاخطاء ليست دليلا على فشل النظام الاسلامى أو صعوبة تطبيقه ولكنها أعراض تنتاب الجماعات وأدواء لا بد أن نضعها فى الحسبان ، وعلل انسانية لا بد أن ندبر لها الحلول ، فان الشر دائما يتعقب الخير ليغتاله ورياح الأهواء دائما تهب لتعصف بالمثل والمبادىء ، فى كل جيل وقبيل .

والاسلام قد وضع فى نظمه ما يكفل حراسة مجتمعه وما يحتم عـــلى الأمة أن تستيقظ للـــذود عن أهدافها وصيانة مثلها ، وان تقف بالمرصـــاد للذئاب المتربصة التى تغتال حقـــوق الأمة وتقتنص أمانيها ..



وليس يمكن لأحد أن ينكر أن المجتمع الاســـلامى قد بقى يؤدى مهمته ويسعى نحو غاياته ويصون مبادئه طيلة القرون الماضية ، بينما كـــان ما حوله من المجتمعات الاخرى يعبث فى الظلمات ويتخبط فى المتاهات ويصطـــلى بنيـــران الصراع ويعانى من وطأة المظالم .

ولا زال قائما فى كل بيئة يصح فيها الايمان وتصدق النيـــة لاتباع صراط اللـــه المستقيم ..

---

(١) مقدمـــة ابن خـــلدون ص ٣١ .
(١) سورة آل عمـــران .
(٣) سورة الحـــج ..
(٤) سورة الانعـــام ..
(٥) سورة الحـــج ..
(٦) سورة المـــائدة . .
(٧) سورة النساء ..
(٨) السيرة النبوية لابن كثيـــر ٣٧٨/٣ ..
(٩) سورة المـــائدة ..
(١٠) سورة الانفـــال ..

الفتوح الإسلاميّة

للدكتور : أحمد ابراهيم الشريف

اتجهت الفتوح العربيـــة الاسلامية أول ما اتجهت الى العـــراق والى الشام ، ومنهما امتدت شرقا وغربا حتى وصلت الى أواسط آسيا من ناحية ، وإلى شاطىء المحيط الأطلسى من ناحية أخرى . وكان لهذا الاتجاه دوافعه ، كما كان له تمهيد سبقه وأدى إليـــه .

وأهل العـــراق الأولون من الأشـــوريين ، وأهل الشـــام الاصليون من الفينيقيين . ولقد كانت الصحراء المترامية بينهما تحول فى العصور الأولى دون التقائهما وامتزاجهما ، فان اجتياز الصحراء غير محبب الى أهـــل الحضر ، وليس فيها من أسباب الحيـــاة ما يجذب اليها .

على أن هذه الصحراء التى لم تجذب اليها الأشوريين من أهل العراق ولا الفينيقيين من أهل الشام فى العصور القديمـــة ، قد استهوت العرب من أهل البادية ممن يرون الصحراء الطليقة الحرة سحرا ووحيا وحرية وجمالا ، ويرون الحضر قيدا وسجنا وإن تمتع أصحابه بغايات النعيم . ويذكر المؤرخون هجرة العرب من جنوب شبه الجزيرة العربية الى الشمال ، نتيجة للاضطرابات التى حلت باليمن فى الداخل لإلحاح الأحباش عليها بالغزو من الخـــارج ، واتخاذ الروم البحر الأحمر طريقا للتجارة ، الأمر الذى شـــغل الحكومات اليمنية عن الاهتمام بالشئون الداخلية ، كما أضعف مواردها الاقتصادية بعد تقلص التجارة التى كانت ترد من الشرق الهنـــدى ، فأهملت لذلك شـــئون الإرواء وتهدمت السدود التى كان أهمها سدود مأرب ، فتخربت الأراضى الزراعية وضاق الرزق على السكان . ويذكر المؤرخون أن هذه الهجرة بدأت فى القرن الميلادى الثانى . ومع التسليم بهذه الروايات التى يقول بها المؤرخون ، فلا ريب فى أن قبـــائل من العرب قد استقرت ببادية الشام وبادية العراق قرونا طـــويلة من قبل ، متخلفة عن القوافل التى كانت ترد العراق أو الشام للمتاجرة أو للغزو .

وقد أقام العرب الذين نزحوا الى العراق والى الشام على حدود الحضر

فى كل من الدولتين ، ولم يكن مقامهم على الحدود مما اضطرتهم اليه سياسة الدولة التى نزلوا بها ، وإنما جذبتهم البادية اليها فلم يستطيعوا مقاومة سحرها كما استهواهم الحضر ليكونوا على مقربة منه كى ينالوا رزقهم دون مشقة ؛ وذلك شأن البادية فى كل عصر . ومن العجب فى أمر البدوى أنه ، على تعلقه بالبادية وحبه إياها وانجذابه اليها كلما بعد عنها ، شديد الإعجاب بالحضر وما يحيط به من زروع ونضرة ، وما يبدو على أهله من نعمة ورفاهة عيش . وكان ذلك شأن القبائل العربية التى هاجرت الى العراق والى الشام ، على تفاوت بينها فى التعلق بالبادية والانجذاب الى الحضر . ومع أن أكثرها نعم بالحضر وترفه ، فلقد ظل حرصها جميعا على حياتها العربية شديدا ، كما ظلت العلاقات بينها وبين شبه الجزيرة العربية متصلة على مر القرون . ولم تلبث باديةالشام وبادية العراق حين استقرت فيهما القبائل العربية التى هاجرت اليها أن صارت كأنها قطعة من شبه الجزيرة العربية ، واستطاع الغساسنة ــ الذين كانوا أقوى القبائل فى بادية الشام ــ أن يقيموا لهم مملكة عرفت بمملكة بنى غسان على حدود الشام ، كما أقام اللخميون لهم مملكة فى الحيرة على شواطىء الفرات . ولقد كان دأب هؤلاء العرب يومئذ كدأب بنى وطنهم دائما ، يشاركون الأمة التى يقيمون على حدودها مصيرها ويشاطرونها آمالها . ومن ثم سلموا فى الشام بحكم الروم ، وفى العراق بحكم الفرس . وإنما كان ذلك منهم تسليما بالأمر الواقع أكثر مما كان إذعانا لغلب القوة ، ومن أجل ذلك كانت الأوضاع السياسية تتغير فى أمرهم تبعا لقوتهم وضعفهم ، وكان لهم أكثر الأمر استقلال ذاتى حرصوا عليه ودافعوا عنه .

كان السلطان فى العراق وفى الشام متداولا بين الامبراطوريتين الفارسية والرومية ، فكانت فارس تنتزع الشام من الروم أحيانا وتضمه الى العراق التابع لها ، وكان الروم يحاولون انتزاع العراق من فارس أحيانا ليضموه الى الشام التابع لهم . وكان العرب الذين نزحوا الى هذه الجهات ينضمون فى كثير من الأحيان الى جيش الفرس أو جيش الروم . وأدى ذلك الى أن فكرت الدولتان فى اتخاذ هؤلاء الذين نزلوا البادية الممتدة بينهما سدا يحول دون اعتداء احداهما على الأخرى ، ليبقى الشام خالصا للروم ويبقى العراق خالصا للفرس . على أن هذه القبائل العربية انحازت بحكم منازلها فى البادية الى أقرب حضر لها ، فانحاز المقيمون على حدود الشام الى الروم ، وانحاز المقيمون على حدود العراق الى الفرس ، مع احتفاظهم جميعا باستقلالهم الذاتى ، ومعيشتهم البدوية ، وحياتهم العربية الخالصة .

على أن احتفاظهم بهذه الخصائص لم يحل دون تأثرهم بحياة الحضر القريب منهم وسياسة الدولة التى يخضع لها هذا الحضر ، بل لقد تغلغل فى هذا الحضر من أنس منهم فى نفسه الكفاية لامتثال حياة الحضر والاضطلاع بأعبائها ، وبلغ من ذلك أن امتد سلطانه وعظم نفوذه .

فأما فى بادية العراق فقد استغل العرب الثورات التى ألمت ببلاد الفرس وتغلب زعماء الطوائف بها واستقلال كل بناحيته ، فدخلوا حوض الفرات وأنشأوا لهم على شاطئه مدينة الأنبار ، ثم أنشأوا الحيرة التى ما لبثت أن أصبحت عاصمة لمملكة عربية سيطرت على غرب الفرات بين الأنبار والحيرة ثم امتدت شمالا الى أن اتصلت ببادية الشام منذ سنة ٢١٥ م وعلا شأن مملكة الحيرة ، وقام ملوكها بدور كبير فى الصراع الذى احتدم بين الفرس والروم .

وفى الوقت الذى كان فيه اللخميون يسيطرون على غرب العراق ، كان أذينة بن السميذع على رأس عرب الشام يقف مترددا بين الفرس والروم فى الصراع الذى قام بين فيليب امبراطور الروم وسابور عاهل الفرس ، وحين مالت الكفة آخر الأمر الى جانب الفرس نهض بقوته العربية فتصدى لهم وهزم جيوشهم وطاردهم الى عاصمتهم المدائن ، وبذلك سمت مكانته عند الروم ، وصار صاحب القدح المعلى فى محاربة الفرس ، وبعد أذينة حكم أبناؤه ، وكان آخر من تولى من أسرته زوجته زنوبيا أو الزباء ، التى امتد سلطانها حتى ضمت إليها الشام كله ومصر ، واضطرت امبراطورية الروم لكى تهزمها الى أن تنهض اليها بكل قوتها ، وبانتهائها انتهى عهد بنى السميذع بالشام ، وخلفهم على عرب هذه الجهات الغسانيون من أبناء جفنة .

وحين ننظر الى الموقف فى منتصف القرن الثالث الميلادى ، نرى الأمر قد صار فى شرق الشام وغرب العراق الى العرب ، فهؤلاء الذين نزلوا البادية أول ما نزلوها قبائل مهاجرة قد صاروا الى حيث يعتد بهم الروم وتعتد بهم فارس ، وتحرص كلتا الدولتين على ولائهم لها ومناصرتهم إياها ، وتعترف كلتاهما لهم بالاستقلال الذاتى تقديرا لشجاعتهم وإقدامهم . ونستطيع أن نقول إن بلاد العرب امتدت من خليج العرب وخليج عدن جنوبا الى الموصل وأرمينية شمالا ، وإن تأثر عرب العراق وعرب الشام بحضارة الفرس وحضارة الروم أكثر مما تأثر بهما سواهم من سائر بقاع شبه الجزيرة .

من ذلك نرى أننا فى حل من أن نقول ان هؤلاء العرب فى العراق والشام كانوا الطلائع الأولى فى التمهيد للفتح العربى وللامبراطورية الاسلامية . وان كان ذلك لم يدر بخلد أحد فى ذلك الوقت بطبيعة الحال ، فلم يكن أحد يتصور بعث محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته ، وما أدى اليه ذلك من وحدة بلاد العرب ، ومن سمو الروح العربية الى حيث سمت . لكن مقام هؤلاء العرب بين الفرات وأودية الشام ، واحتفاظهم بخصائص حياتهم العربية ، واتصالهم بأهليهم وبمن يحيطون بهم فى شبه الجزيرة ، كل ذلك كان مقدمة لما تلاه بعد أربعة قرون من زحف عرب شبه الجزيرة إليهم محاربين ، لتحل الامبراطورية الاسلامية محل الامبراطوريتين الفارسية والرومية .

إذا كان عرب العراق قد اتصلوا بالفرس ، وعرب الشام اتصلوا بالروم ، وشاركوا فى الصراع الدائر بينهما كل فى ناحيته ، وتأثروا بحضارتهم بحكم الاتصال بين الطرفين ، فماذا كان موقف عرب العراق من دين الفرس ، وموقف عرب الشام من دين الروم ؟. أتأثرت قبائل العراق بالمجوسية الفارسية فأقبلت عليها ؟! وتأثرت قبائل الشام بوثنية الرومان ، ثم بالمسيحية بعد ذلك فأقبلت عليها ؟! أم أعرض هؤلاء وأولئك عن ديانة الطرفين جميعا ، واحتفظوا بوثنيتهم يعبدونها لتقربهم الى الله زلفى ؟

لقد وجد من عرب العراق من أجادوا الفارسية ، وفقهوا تيارات الفكر الفارسى فى الفن والأدب والدين ، وتبينوا تعاليم زردشت ومثنوية مانى وزندقة مزدك ، ولم يكن ذلك عجبا وقد أتاح لهم رغد العيش وترف الحياة أن يتثقفوا وأن تبلغ بهم ثقافتهم علم ذلك كله ، وعلم ما اتصل بهم من تفكير اليونان وفلسفتهم . وكان شأن عرب الشام كذلك فى اتصالهم بثقافة الروم وأدبهم ودينهم ، بل ربما بلغوا شأوا أبعد مما بلغه عرب الحيرة ، لأنهم كانوا أقرب اتصالا بالمدنية اليونانية والرومانية . لكن مع كل ذلك لم يأخذ عرب العراق

بمجوسية الفرس مع اتصالهم بهم وإعجابهم بحضارتهم ، ولم يأخذ عرب الشام بوثنية اليونان أو الرومان ولم يعبــدوا آلهتهم . فلما استقرت المســيحية فى الامبراطورية الرومية هوت إليها النفس العربية فى الشام والعراق جميعا .

لم يكن الدافع الى اعتناق المسيحية دافعا سياسيا ، فانه اذا جاز أن يقال ان ملوك الغساسنة تنصروا ليرضوا قياصرة الروم ، وان قبائل الشـــام تنصرت جريا على المثل القائل « الناس على دين ملوكهم » فان هذا القول ليس بجائز بالنسبة للقبائل العربية فى العراق ، فقد تنصر من قبائل العراق كثيرون كانوا يدينون لملك الحيرة الذى كان يحارب النصرانية حليفا للفرس . وإذن فلا بد من دافع آخر أدى بهذه القبائل لتدين بالنصرانيـــة ، وهذا الدافع متصـــل بالعقلية العربية وميولها الروحية .

والعقلية العربية بفطرتها بدوية مستقيمة ، تريد الحقيقة فى بساطة ، وتقصد إليها فى غير التواء ولا تعقيد . ومثنوية مانى وزندقة مزدك تستهوى من يعجبهم الحوار ويغريهم الجدل ، وكذلك الأمر فى فلسفة اليونان . ولا تميل العقلية العربية الى مثل هذا التعقيد الجدلى . لهذا هوت نفوس العرب الى المسيحية وأخذت بها واطمأنت اليها .

والمسيحية دين سماوى أقر الاسلام صفاءه الأول ، فلا عجب أن يكون أخذ العرب بها فى الشام والعراق من طلائع التمهيد للفتح العربى الاســلامى بعــد ذلك .

وفى نهاية القرن السادس الميلادى كانت مملكتا الحيرة وغسان قد بلغتا غاية مجدهما ، وأثبتتا فى الصراع الدائر يومئــذ قدرة عظيمة على النهــوض والتقدم ، الأمر الذى أثار شكوك الفرس والروم تجاههما على السواء ، على الرغم مما قدمتاه لكل من الطرفين من خدمات . فأما كسرى أبرويز ملك فارس فلم يرض عما بلغ النعمان بن المنذر من سلطان امتد حتى بلغ دجلة ، حيث بنى النعمان مدينة النعمانية على مقربة من المدائن عاصمة كسرى ، ولم يعجبه ما يرفل فيه من نعمة وما يضم بلاطه من فخامة ، فكاد للنعمان حتى حبسه ثم قتله ، ثم قضى على سلطان اللخميين جميعـــا . وتأثر العرب بمقتــل النعمان وحقدوا على كسرى ، وأغاروا على حدوده وتجاراته ، فلما جرد جيشا لتأديبهم التقوا به فهزموه شر هزيمة فى معركة ذى قار سنة ٦١٠م ، وقد وافق هـــذا العام مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد روى عنه أنه قال « هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم ونصرت عليهم بى » .

وأما الغساسنة فقد غير الروم سياستهم نحوهم ، ودبروا مؤامرة لقتل ملكهم المنذر بن الحارث ،، ولما فشلت المؤامرة احتال الروم حتى قبضوا عليــه ونفوه الى صقلية سنة ٥٨١م ، وكذلك فعلوا بابنه النعمان بن المنذر الغسانى ، وبذلك وقعت الفوضى على أثر ذلك فى بلاد الشام ، الأمر الذى مكن الفرس من الاستيلاء على الشام ، حتى عادت الروم اليه بعد ذلك فى عهد هرقل قبــل الفتح الاسلامى بسنوات قليلة .

وقد كان غدر الفرس بالحيرة وبعرب العراق ، وغدر الروم بالغساسنة ، وتذمر العرب فى كلتا الناحيتين ، من ممهدات الفتح العربى بعد ذلك بقليل .

وقبل أن ندخل فى تفاصيل الفتوح العربية يحسن أن نعرض لمعنى الفتح ومقومات الفتوح وظروفها :

تم على يد النبى صلى الله عليه وســلم توحيد الجزيرة العربيـــة من

الناحيتين الدينية والسياسية ، ثم تدعمت هذه الوحدة وثبتت أركانها على يد أبى بكر الصديق ، بعد قضائه على حركة التمرد التى قامت بها القبائل العربية وعرفت باسم « الردة » ، ولم يكد يمضى على وفاة النبى صلى الله عليه وسلم عام وبضعة أشهر حتى دخل العرب فى مرحلة جديدة هى مرحلة الفتوح .

ولفظ « الفتح » فى المفهوم الاسلامى معنـــاه النصر المؤيد بالعنـــاية الإلهيــة ، أو النصر الممنوح من لدن الله تعالى . ولا يشترط فى إطلاق لفظ « الفتح » على النصر أن توجد حرب ، ففى فتح مكة لم تقع حرب بمعنى الكلمة ، وقد اعتبر دخول مكة فتحا ، وابلغ من ذلك دلالة على ما نقول تسمية « صلح الحديبية » فتحا ، وتلك تسمية ثابتة ثباتا مطلقا بسورة الفتح « انا فتحنا لك فتحا مبينا » مع أن النبى فى هذا العام (٦هـ) قصد مكة معتمرا ، فمنعته قريش من دخولها ، وظل يلاينها حتى انتهى الأمر بصلح بين الطرفين هو « صـــلح الحديبية » .

فلفظ « الفتح » يطلق على كل عمل سياسى إيجابى من شأنه البنـــاء لا الهدم ، ومن شأنه كذلك أن يتوفر فيه الصالح العام . ونظن أن الكلمة إسلامية وانها لم تعرف بهذا المعنى من قبل . وإنما اختار الاسلام هذا اللفظ لأن الله وعد المسلمين اذا صدقوا الايمان وأخلصوا للدين ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا . فكل نصر يحرزه المسلمون إنما هو آت من الله ، وهو موافق لإرادته ولما كتبه « كتب الله لأغلبن أنا ورسلى » .

والفتوح ظاهرة من الظواهر التاريخية المطردة ، تحدث كلما توحد شعب كان مفككا ، أو كلمـــا نهض شعب وأصـــلح نفسه بنفســـه وأحس بكيانه . فالفتوح التى عرفت قديما هى فتوح الاسكندر التى جاءت عقب نهضة المقدونيين الحربية وتوحيد الإغريق ، وفتوح الرومان التى جاءت بعد أن بسطت الدولة المدينيــــــة التى هى رومــــــا ـــ ســـــلطانها على شـــبه الجزيرة الإيطالية ووحدت بذلك الشعب الرومانى ، وكذلك الحال فى فتوح المغول بعد أن وحدهم جنكيز خان . والفتوح النابليونية التى جاءت بعد أن قام الفرنسيون بالثورة الفرنسية وأصلحوا من حال أنفسهم .

وقد اعتاد المؤرخون أن يردوا مثل هذه الظاهرة ، اما الى حركات تقوم بها الشعوب تحت ضغط شعوب أخرى من ورائها ، فيدفع شعب شعبا حتى تصل قوة الاندفاع الى قلب العالم المتحضر . واما الى إحساس الشعـــوب المغيرة بقوميتها وبكيانها ، وبدخول العزة فى قلوب أبنائها ، بحيث يحملهم على الاعتقـــاد فى أفضليتهم على غيرهم ، وفى حقهم فى أن يحكمـــوا غيرهم من الشعوب . وينضـــاف الى هـــذين التفسيرين تفسير ثالث ، وهو أن مراكز الحضارة تنطوى دائما على قوة جذب كبيرة بالنسبة للشعوب الاقل حضارة ، فتتجه هذه الشعوب بغاراتها الى العالم المتحضر .

وخروج العرب من جزيرتهم الى المجال الخارجى ، واندفاعهم فى حركة الفتوح ، احدى هذه الظواهر التاريخية ، وينطبق عليها ، من وجهـــة التفسير العام لحركات التاريخ ، ما ينطبق على غيرها . فالعرب قد تم لهم من الوحدة الدينية والوحدة السياسية ما كان حدثا بالغ الأهمية فى تاريخهم ، فهم لم يألفوا هذه الوحدة فى تاريخهم الطويل ، فلما تحققت لهم الوحدة بقيام الدولـــــة الاسلامية ، وألف الاسلام بين قلوبهم ذهب التنافس الذى كانت تثــــيره

العصبية القبلية ، وانمحى تبعا لذلك الخلاف ، وحسن التعاون والتعاضد، شملتهم نهضة قومية أحسوا معها بأنهم أصبحوا خلقا جديدا ، وتكونت لديهم نزعة جديدة ، فأصبح العربى ينزع للدم العربى والأمـــة العربية والجنس العربى ويفخر به ، بعد أن كان ينزع من قبل الى عشيرته وبطنه وقبيلتـــه وحسب .

كل هذا ملأ العرب احساسا بالقومية وأدخل العزة على قلوبهم . وهم حين سمعوا قول الله تعالى « ان الدين عند الله الاسلام » « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » اعتقدوا بأفضليتهم ، وبأن لهم رسالة عليهم أن يؤدوها للعالم من حولهم .

ثم انه كان طبيعيا — اذا سرنا مع منطق التفسير العام — أن يتجـــه العرب حين خرجوا من جزيرتهم الى قلب العالم المتحضر ، ولم يكن يعقل أن يديروا ظهورهم الى العالم القديم المجيد ، ليدخلوا مجاهل أفريقيا أو يتجهوا الى الحبشة . وكان ما حدث من اصطدام العرب بالفرس والروم وما أدالوا منهم .ويفلسف المؤرخ الفيلسوف ابن خلدون هذا الموقف بقوله :« ان الصبغة الدينية تذهب بالتنافس والتحاسد الذى فى أهل العصبية ، وتفرد الوجهة الى الحق ، فاذا حصل لهم الاستبصار فى أمرهم لم يقف لهم شىء ، لان الوجهة واحدة ، والمطلوب متساو عندهم وهم مستميتون عليه . وأهل الدولة التى هم طالبوها — وان كانوا أضعافهم — فأغراضهم متباينة بالباطـــل ، وتخاذلهم لتقية الموت حاصل ، فلا يقاومونهم وان كانوا أكثر منهم ، بـــل يغلبون عليهم ، ويعاجلهم الفناء بما فيهم من الترف والذل . وهكذا كمـــا وقع للعرب صدر الاسلام فى الفتوحات » .

هذا من وجهة التفسير العام للحركة العربية ، باعتبارها ظاهرة تاريخية. ولكن لا بد من البحث عن الاسباب المباشرة التى دفعت العرب الى الالتحام بدولتى ذلك الزمان — الفرس والروم — فى وقت واحد . ثم لا بد من تفسير لما تحقق لهم من نصر كامل على هاتين الدولتين الكبيرتين .

وقد رد المؤرخون خروج العرب الى المجال الخارجى بعد ظهور الاسلام الى عدة أسباب : —

١ — بعض المؤرخين يرد ذلك الى جدب الجزيرة العربية ، ورغبة سكانها الذين ازدحمت بهم فى البحث لهم عن مخرج فى البلاد الغنية المجاورة لهم . ويرى هذا الفريق من المؤرخين أن توسع العرب ما هو الا واحدة مـــن سلسلة الهجرات التى حملت الساميين مرة أخرى الى بلاد الهلال الخصيب وما وراءه .

٢ — بينما يرد بعض آخر من المؤرخين خروج العرب الى العـــراق والشام الى أن الضرورة السياسية هى التى أملت على الخليفة الاول أبى بكر الصديق أن يدفع بالقبائل العربية للمجال الخارجى ، للقضاء عـــلى روح التمرد لدى هذه القبائل ، بعد أن قضى على حركة الردة ، فيشغلها بعمل خارجى ترضى فيه روح القتال الطبيعية لديها ، ثم ليكون الجهاد وسيلـــة الى جعل القبائل المتمردة ترضى بالاسلام وتحرص على مصلحته ، لما ينالها من وراء هذا الجهاد من غنائم كبيرة ..

٣ — بينما يرى فريق ثالث من المؤرخين أن الحماس الدينى هو الذى دفع العرب للاصطدام بجيرانهم لينشروا الاسلام بقوة السلاح .

ونحن نرفض هذه التعليلات كلها ، ونرى أن هؤلاء المؤرخين قد جانبهم التوفيق ، وأنهم جانبوا الحق ، اما لخطأ منهجى وقعوا فيه ، واما لغرض غير خليق بالعلماء وهو النيل من الاسلام بالباطل .

فأما أصحاب الرأى الاول ، فانهم قاسوا الحركة الاسلامية على ما مضى من تاريخ الجزيرة العربية . فهم قد رأوا الجزيرة العربية من قبل مركزا لهجرات تقوم بها القبائل نتيجة لاضطرابات داخلية أو عسر اقتصادى . لكن هذه الهجرات العربية لم تكن تدفعا قبليا وغزوا ، وانما كانت تحركات اطرادية بطيئة ، وكان قصاراها حين تصل الى العراق والشام أن تستقر على مشارف البادية . كما لم تكن وراءها دولة تدفع بها وتسوقها . ويختلف الامر عن ذلك فى حركة الفتوح العربية بعد الاسلام ، فلم تكن هذه الفتوح هجرة قبلية مدفوعة بظروف الاضطرابات الداخلية أو بالعسر الاقتصادى ، فان الجزيرة العربية لم تسدها وحدة ولم يستقر بها نظام يربط بين كل قبائلها من قبل كما سادها هذا النظام بعد توحد العرب بالاسلام ، ثم انها كانت فى أفضل ظروفها الاقتصادية ، نتيجة لسيطرتها على الطريق التجارى الآمن فى ذلك الوقت ، وقيامها بدور الوسيط بين الشرق والغرب لنقل التجارة العالمية ، الامر الذى أنعش اقتصادها ، وأدى الى قيام الاسواق الكبرى بها . تلك الاسواق التى جعلت الاقتصاد المحلى يسهم فى الاقتصاد العالمى من ناحية . ومن ناحية أخرى كانت مجالا لحل المنازعات القبلية وقيام التحالفات الكبرى بين القبائل العربية ، فضلا عن توحيد المفاهيم العربية .

هذا الى أن التحرك العربى كان وراءه دولة تقوم على تنظيمه ودفعه وحشد الطاقات المادية والمعنوية له . ولم يكن تحركا اطراديا بطيئا وانما كان غزوا سريعا قويا والتحاما عسكريا عنيفا .

واذا كان العرب قد حملوا معهم أبناءهم ونساءهم وأموالهم فى حركة الفتوح ، مما يعطى مشابهة بحركة الهجرة ، فان الجيش العربى كان مكونا من رجال القبائل ، والقبائل كانت تجرى على عاداتها فى حروبها من حمل الابناء والنساء والاموال معها فى حروبها . فالجيش العربى الذى كانت تحارب به الدولة لم يكن جيشا نظاميا كالجيوش التى تستخدمها دول الحضارة ، وانما كان جيشا تلقائيا قبليا . ولم تحدث الهجرة الا بعد نجاح الفتوح واقامة القواعد العربية ، وكان التهجير عملا رسميا تقوم به الدولة ، لا على أنه تهجير لذاته ، ولكن لان القبائل هى جيش الدولة ، والدولة تنقل فروع القبائل المتخلفة كأمداد لجيوش الدولة ، فتصبح من قوات الجيوش المرابطة فى الامصار .

وأما أصحاب الرأى الثانى ، فان رأيهم مردود بما حدث فعلا ، ذلك أن أبا بكر رضى الله عنه ، عند تسيير قواته الى العراق والشام ، منع القبائل المرتدة — وهى القبائل التى قامت بحركة التمرد على حكومة المدينة — من المشاركة فى الغزو ، واقتصر على من ثبت ولاؤه للدولة فى أثناء حركة التمرد . وكان هذا عقابا للمرتدين بحرمانهم من الحرب الى جانب المسلمين ، واشعارهم بالذل والخزى لوقوفهم ضد حركة التوحد العربى .

وأما الرد على أصحاب الرأى الثالث فهو كامن فى مجرى تاريخ الاسلام كله ، فالاسلام كمبدأ لم يفرض الدين بالاكراه « لا اكراه فى الدين » « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن » .

وتاريخ الاســلام شـاهد على تطبيق هذا المبدأ . لم يخالفه المسلمون مرة واحدة . فالنبى صلى الله عليه وسلم قبل يهود المدينة فى دولته . ووضع فى الصحيفة وهى دستور الدولة بندا صريحـا « لليهود دينهم وللمسلمين دينهم » وحين كاد اليهود للمسلمين واضطر النبى صلى الله عليه وسلم الى محاربتهم فى المدينة وفى خيبر . لم يكره احدا على اسلام ، ولم يقتل الا بنى قريظة نتيجة لارتكابهم جريمة الخيانة العظمى باتصالهم بالعدو ساعة الحرب وتعريضهم الدولة للسقوط فى غزوة الخندق . وقد اجتمع الى النبى فى المدينة وفود من الاديان الكبرى السماوية من اليهود والنصارى ، ناقشوا النبى وجادلوه . ولم يكن موقف النبى منهم الا كما عبر عنه القرآن الكريم « قل يأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون » . وقد صالح النبى صلى الله عليه وسلم نصارى نجران وأبقاهم على دينهم . وضمن لهم سلامة كنائسهم وبيعهم . وقد جاء فى كتابه الـذى كتبه لهم « . . لنجران وحاشيتها جوار الله . وذمة محمد النبى رسول الله . على انفسهم ، وملتهم ، وارضهم وأموالهم ، وغائبهم وشاهدهم ، وغيرهم وبعثهم وامثلتهم . لا يغير ما كانوا عليه . ولا يغير حق من حقوقهم وامثلتهم . لا يفتن أسقف عن أسقفيته ، ولا راهب عن رهبانيته ، ولا واقه (كاهن) من وقاهيته . على ما تحت ايديهم من قليل أو كثير . . . ولهم على ما فى هـذه الصحيفة جوار الله وذمة محمد النبى ابدا ، حتى يأتى أمر الله ، ما نصحوا واصلحوا فيما عليهم . غير مكفلين شيئا بظلم » .

وكذلك صالح النبى مـدن اليهود كلها : أيلة . وأذرح . وفدك . وتيماء . وكذلك صالح أكيدر صاحب دومة الجندل وكان نصرانيا . وقد ورد فى كتابه صلى الله عليه وسلم الى ملوك حمير بعد أن جاءته كتبهم تقـر باسلامهم « . . . وانه من أسلم من يهودى أو نصرانى فان له مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم (له مثل ما للمسلمين من الحقوق وعليه مثل ما عليهم من الزكاة) . ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فانه لا يفتن عنها ، وعليه الجزية . . » . وكذلك أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم الجزية من أهل « هجر » فى البحرين وكان منهم مجوس تابعون للفرس . بقوا على دينهم وأدوا الجزية .

وتاريخ الخلفاء الراشدين حافل بالمصالحات بين المسلمين وأهل الكتاب من اليهود والنصارى وكذلك من المجوس . وكتبهم الى قوادهم حافلـة بالتوجيهات التى تدعو الى الوفاء للناس بعهودهم ، وبحسن معاملتهم ، وبعدم التعرض لاحد لاكراهه على تغيير دينه . ولا يستطيع مؤرخ واحد مهما كانت نزعته أن يثبت حادثة واحدة اكره فيها احد خلفاء المسلمين أو عمالهم وولاتهم أحدا على الدخول فى الاسلام .

وهكذا يتبين لنا بصورة واضحة كيف جانب المؤرخين الصواب حين عللوا لحركة الفتوح الاسلامية . واذا كنا رفضنا آراءهم فمـا هو التعليل الصحيح ؟!

وخير وسيلة لمعرفة التعليل الصحيح هو أن نتتبع الحوادث نفسها ، نستعرضها لنخرج منها بالاسباب الحقيقية التى دفعت العرب للخروج مـن شبه الجزيرة الى المجال الخارجى ، ليغيروا خريطة العالم تغييرا تاما من جميع نواحيها . السياسية والاجتماعية والدينية .

اللغة العربية والدين الاسلامى

محمد مؤذن

أحاطا افريقيا بهالة

تمهيد : ـ

لقد كان للسلاح العربى أيام بيضاء ، ومعارك غراء ، نشرت راية العروبة والاسلام فى قارات العالم القديم الثلاث : آسيا وافريقيا وأوروبا .. وقد امتازت هذه القارات بعضها عن بعض فى التأثر بهذا الفتح . فأوروبا ناوأت الفتح العربى ، وأوقفته عند أطرافها الثلاثة : فى الشرق عند استنبول ، وفى الجنوب من سواحل ايطاليا ، وفى المغرب فى « سهل تور » غرب فرنسا .. ومحت أوروبا مدنية العرب التى أشادوها جنوب البرانيس فى الاندلس الخضراء بعد أن عمروها ثمانية قرون . فأوروبا أقل القارات محافظة على آثار الفتح العربى والحضارة العربية . ولم يبق لنا منها الا آثار الحمراء والزهراء ، وما كان لمدنية الاندلس من اثر فى عمارة أوروبا ونهضتها الحديثة . وفى آسيا بقيت جميع البلاد التى اخضعتها جيوش العرب محافظة على الاسلام ، وعلى صلتها ببلاد العرب مهد الاسلام ، ولكن البلاد التى الى شرق العراق وشمال الشام لم تصطبغ بالصبغة العربية ولم تتأهل فيها اللغة العربية أو القومية العربية . أما فى أفريقيا فقد حافظت البلاد التى كانت للفاتحين العرب على طابعها الاسلامى . واندمجت كذلك فى الوطن العربى والقومية العربية ، اذ هاجر اليها العرب أفواجا وقبائل كما هاجروا الى الشام والعراق ومصر التى هى جزء من افريقيا . وقد تقدم العرب فى هذه القارة الواسعة فى اتجاهين مختلفين وباسلوبين مختلفين . ففى الشمال ساروا غربا على محاذاة البحر الابيض المتوسط غزاة فاتحين أولا ، ثم بناة مرشدين ثانيا . وفى الشرق ساروا تجارا مبشرين على ساحل افريقيا الشرقى . وحملوا مع تجارتهم اللغة العربية والدين الاسلامى ، وتعاون الاسلوبان على احاطة افريقيا بهالة عربية اسلامية



عربية اسلامية

للاستاذ : لطفي ملحس

تطوقها من زنجبار على المحيط الهندى الى مراكش على المحيط الاطلسى . وصارت اعظم طرق للقوافل فى قلب افريقيا من مصوع الى تيمبكو ، وساحل المحيط .. تسير فى قلب بلاد عربية اسلامية ، وتغص بقوافل التجارة العربية ، وحجاج بيت الله الحرام من أقصى غرب افريقيا .

وان افريقيا التى تسمى بالقارة السوداء فان السكان فى أواسطها الى جنوب الصحراء الكبرى هم من الزنوج ، أما سكان الشمال حيث مصر وبرقة وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش فمن الحاميين ، وهم من الجنس الابيض لا الاسود . والصحراء تفصل بين الجنسين . وكان العرب المسلمون قد جمعوا بين الجنسين ، الابيض فى الشمال والأسود فى الجنوب بين الصحراء الكبرى ، فأصبحت بينهما وحدة دينية وتجارية .

الرومان فى افريقيا :

لما قهر الرومان الفنيقيين بعد حروب طويلة ومعارك طاحنة كان همهم انتزاع السيادة البحرية من قرطاجنة لا التوسع فى استعمار افريقيا . ولم يتجاوز الحكم الرومانى سواحل هذه القارة ، وبقى سكان البلاد الاصليون من البربر مناوئين للرومان والبيزنطيين ،لم يتأثروا بدينهم وثقافتهم . وهؤلاء البربر قوم رحل مفطورون على حب الحرية والشجاعة وبساطة العيش . فكان لتقارب مزاجهم من مزاج العرب وسيلة لامتزاج الشعبين . ونجح العرب فى اقل من قرن فى الوصول الى ما اخفقت روما فى الوصول اليه فى اكثر من تسعة قرون ، ولا يزال تمسك شمال افريقيا بالعروبة والاسلام شاهدا على ثبات البناء الذى أسسه عقبة بن نافع المزنى ، وحسان ابن نعمان الغسانى .

ولما استولى العرب على مصر ادركوا الخطر الذى يهددهم من وجود الامبراطورية البيزنطية الى الشرق فى برقة والى الشمال فى البحر الذى

كانت سيادته للروم. وكان في الجنوب دولة السنوسيين في السودان وهي مشايعة للبيزنطيين . ولهذا سارع عمرو بن العاص بعد فتح الاسكندرية الى ارسال حملة الى برقة . فوقفت هذه الحملة عند حدود طرابلس بعد أن أزالت سلطة الروم من شمال برقة حيث كانت « سرين » بلدا روميا في تجارته وثقافته . .

وعبد الله بن أبي السرح عامل الخليفة عثمان رضى الله عنه على مصر هو الذى وطد الحكم العربي في مصر . اذ انتزع بالتعاون مع معاوية أمير الشام آنذاك سيادة البحر من الروم . وقام بحملات جريئة في شمال افريقيا وعقد صلحا مع السنوسيين .

عقبة بن نافع :

أما فتح أفريقيا فيما بعد . فلم يبدأ الا بعد أن أسس عقبة بن نافع عامل معاوية مدينة القيروان في تونس قرب قرطاجنه وذلك سنة « ٦٧٠ هـ » أى بعد فتح مصر بثلاثين سنة . ومن هذه القاعدة الامامية تقدم العرب غربا . وبلغ عقبة أمواج المحيط الاطلسى . ولقى حتفه في حروبه مع البربر في الجزائر . ولا يزال قبره محجا للناس في تلك الربوع وكانت وفاته سنة « ٦٨٣ هـ » . . وبعد ذلك فقد ادرك العرب أن مناواة الروم والبربر في وقت واحد عدا عن كونه أمرا صعبا فانه ليس من حسن السياسة في شىء . لذلك فقد تفرغوا للروم أولا . ولم يهتموا باخضاع البربر الا بعد أن كسبوا سيادة البحر من الروم ثم طردوهم من حصونهم في قرطاجنه . . وقد فتح العرب قرطاجنه سنة « ٦٩٥ » ثم خسروها سنة « ٦٩٧ هـ » . وأعادوا فتحها ثانية سنة « ٦٩٨ هـ » . وفي هذه الاثناء كان الاسطول الرومى قد توارى من عرض البحر . أما الجيش العربى والأسطول العربى فقد وقفا على أبواب استانبول وكانت قبرص ورودس في أيدى العرب . وبذلك ختمت سيادة البيزنطيين على شمال افريقيا وشرق البحر المتوسط . وانحصر حكمهم في صقلية وجنوب ايطاليا بالاضافة الى الاناضول والبلقان . وقد انتزع العرب منهم فيما بعد صقلية . وانتزعوا مدينة بالرمو جنوب نابولى مدة من الزمن .

حسان بن النعمان :

بعد القضاء على سلطان الروم في افريقيا تفرغ حسان بن النعمان الغسانى للبربر . وكانوا قد تجمعوا حول امرأة مغامرة قوية اجتذبت قلوبهم بما لها من سلطان دينى . وعرفت عند العرب باسم « الكاهنة » وكانت هذه قد اعتصمت مع جموعها بالجبال . فرحل حسان بجيوشه اليها واشتبك معها في معركة كان النصر فيها حليف البربر . ودارت الدائرة على العرب . فانهزم حسان الى قابس وكتب الى الخليفة في دمشق وكان عبد الملك بن مروان . . وقال في رسالته : « ان أمم المغرب كلما بادت أمة منهم خلفتها أمم » . فورد عليه من الخليفة كتاب يأمره بالكف عن القتال والتراجع الى القيروان . فخلا الجو مدة خمس سنوات للكاهنة كانت خلالها سيدة افريقيا بلا منازع . وقد أعملت في البلاد طولا وعرضا يد التخريب والتهديم حتى يئس العرب من افريقيا . وكان بين الاسرى العرب الذين وقعوا في أيدى البربر « خالد بن يزيد » ويقال : إن خالدا استطاع أن يكاتب حسانا . ويطلعه على أحوال البربر ويستحثه بالسير الى ملاقاتهم . ولكن الكاهنة ارادت أن تخدع حسانا . فارسلت خالدا مع أولادها ليستأمنوا . وتقدمت بجندها للقتال . فقاتلها حسان . وهزم جنودها

وقتلها ، واستولى بعد ذلك على افريقيا كلها ، واستطاع ان يوطد الحكم العربي في جميع انحاء المغرب، وقد عامل البربر معاملة حسنة اذ ترك لهم استقلالهم الداخلي ، ولم يدخل في شؤونهم الخاصة ، وساوى بينهم وبين العرب . فاسترضى بذلك كبرياءهم ولم يجرح كرامتهم . ولقرب طباعهم من طباع العربي دخلوا في الاسلام وتزاوجوا مع العرب وتعاونوا معهم تعاون الشقيق للشقيق . .

مسلم بن عقبه :

بعد ان استتب الأمن في افريقيا كثرت هجرة العرب الى بلاد المغرب ، ولا سيما سكان المدينة بعد ما نزل بهم على يد مسلم بن عقبه قائد حملة يزيد بن معاوية ضد الحجازوفيها ابن الزبير . فقد التحق جميع من نجا من معركة « الحره » بجند افريقيا . وكثرت كذلك هجرة الخوارج وهم فئة متدينة ديمقراطية النزعة . وهؤلاء عملوا على نشر الدين بين قبائل البربر . . وقد اتمت سياسة عمر بن عبد العزيز رسالة الاسلام في افريقيا ، تلك السياسة التي كان سداها التسامح ولحمتها تشجيع اعتناق الاسلام بالمساواة بين المسلمين على اختلاف اجناسهم ، ولم يجد حسان مخضع افريقيا ثمرة جهاده العظيم في شمال افريقيا ، اذ كانت أعمال تلك البلاد تابعة الى مصر ، وكان والى مصر على ذلك العهد عبد العزيز بن مروان ، وكان موسى بن نصير مولى عبد العزيز قد تعرض لغضب الخليفة عبد الملك لاختلاسه اموالا من بيت المال في خراسان ، وشفع عبد العزيز لدى عنه المبالغ الناقصة ثم احضر موسى اخيه الخليفة لموسى مولاه ، ودفع هذا الى مصر وولاه على افريقيا بدلا من حسان مخضعها ، ويقال : إن عبد الملك اراد ان يعيد حسان الى اعماله فأبى هذا متأثرا . . أما موسى فهو الذي استغل القوة التي نتجت من تعاون العرب والبربر في شمال افريقيا ، فقام بحملة في اسبانيا ، تلك الحملة التي توجت بانتصار كان تاج الانتصارات العربية . .

افريقيا العربية :

لقد تم للعرب توطيد أقدامهم في شمال افريقيا في مدة (٧٢ سنة) . . فاجتاز عمرو بن العاص حدود فلسطين الى العريش في مصر سنة « ٦٣٩ هـ » ، واجتاز طارق بن زياد المضيق الذي سمي فيما بعد باسمه ، والفاصل بين اوروبا وافريقيا سنة « ٧١١ هـ » . وهذه الفترة ليست بالقليلة،وقد عمل على اطالتها الى هذا الحد نزاع القبائل العربية فيما بينها ، ولكن النتائج التي حصل عليها العرب اعظم من هذا الزمن الذي صرفوه في اخضاع افريقيا بمراحل . فقد تحولت الارض الواسعة ما بين البحر الاحمر والمحيط الاطلسي الى بلاد عربية دما ولحما ولسانا ودينا ، واصبح الساحل الجنوبي والشرقي ، ثم الغربي من البحر المتوسط عربيا خالصا ، اذ انتشرت راية العروبة حول هذا البحر في شكل الحرف نون (ن) . . طرفه الشرقي في اضنه ، والغربي في البرانيس بين اسبانيا وفرنسا . وكانت نقطة « ن » النصر هذا صقلية . . ورأينا فيما بعد كيف تم اكمال « النون » ، وكيف صار معجما بوضع النقطة في وسطه . . ولئن شهد التاريخ للبطولة العربية أياما غراء بصنع هذا (النون) فقد سجل في احضان نون العروبة حضارة ومآثر قد زخرت بها البلدان المكونة له من دمشق والقاهرة والقيروان الى قرطبة وبالرمو . . فنعم ما صنع الاجداد ونعم ما تركوا .

معاملة المسجونين في الإسلام

للاستاذ ابراهيم محمد الفحام

مقدمة :

يدعى الاجتماعيون الاوروبيون ان الدعوة الى تحسين معاملة المسجونين نشأت أول مرة فى انكلترا فى القرن الثامن عشر .

وقد قوبلت تلك الدعوة فى بدايتها بالسخرية والنفور ، فاستغرقت زمنا طويلا قبل ان تلقى فى الاوساط الرسمية من يستمع اليها ، ثم استغرقت زمنا اطول ، قبل ان تحظى فى تلك الاوساط بمن يستجيب لها .

وكانت المطالبة بحق المسجون المريض فى العلاج ، وحق السليم فى الغذاء والكساء المناسبين ، والمأوى الصحى ، تبدو غريبة حقا فى مجتمعات كانت تنظر الى المذنبين نظرتها الى الوحوش الكاسرة التى لا تستحق الرحمة ، ولا يجدى معها الاصلاح او الترويض . ولو انصف اولئك الادعياء لنسبوا تلك الدعوة لأصحابها الحقيقيين وهم الصحابة والتابعون ومن تبعهم من الخلفاء والأئمة ، ولأعادوها الى مصادرها الأولى وهى تعاليم الاسلام ومبادؤه .

فلو اننا تتبعنا نشأة السجون ، وأنظمة ادارتها ، ومعاملة نزلائها فى الدول الاسلامية الاولى ، لوجدنا ان المسلمين قد سبقوا غيرهم فى اقرار حق المسجونين فى المعاملة الانسانية الكريمة التى تكتفى بكف شرهم عن الناس مع علاج نفوسهم لا مجرد تعذيبهم والانتقام منهم .

السجن فى زمن النبى وخلفائه الراشدين : —

والراجح أن السجون لم تعرف فى زمن النبى ، ولافى زمن خليفته الاول أبى بكر الصديق فقد كان المقصود من الحبس تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسه حيث شاء ، سواء كان فى بيت أو مسجد ، أو كان بتوكيل نفس الغريم أو وكيله عليه ، أو ملازمته له . ولهذا سماه النبى أسيرا . ففى سنن أبى داود وابن ماجه عن الهرماس بن حبيب عن أبيه عن جده . قال : « أتيت النبى صلى الله عليه وسلم بغريم لى . فقال لى : الزمه . ثم قال لى : يا أخا بنى تميم ما تريد أن تفعل بأسيرك » . وفى رواية ابن ماجه « مر بى آخر النهار فقال : ما فعل أسيرك يا أخا بنى تميم » .

ونقل ابن الطلاع فى كتابه (أحكام رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن الآثار اختلفت هل سجن النبى وأبو بكر أحدا أم لا . فذكر بعضهم أنه لم يكن لهما سجن ولا سجنا أحداً . وذكر آخرون أن النبى سجن متهما بالمدينة فى تهمة دم وانه سجن آخر فى تهمة أخرى ساعة من نهار ، ثم خلى عن المتهم ، فثبت بذلك أن النبى سجن وأن لم يكن ذلك فى سجن متخذ لذلك .

ولما انتشرت الرعية فى زمن الخليفة الثانى عمر بن الخطاب ، ابتاع بمكة داراً من صفوان بن أمية بأربعة آلاف درهم ، وخصصها لهذا الغرض فكانت أول سجن فى الاسلام .

وقد ثبت عن عمر أنه سجن الحطيئة على الهجو ، وسجن عثمان صابى بن أبى الحرث ، وكان من لصوص بنى تميم وفتاكهم حتى مات فى السجن

وكان المسجونون يتولون الانفاق على أنفسهم من أموالهم ، أو ينفق عليهم من الصدقات التى كانوا يتقادون لجمعها من الناس . وظل الامر على ذلك حتى أبطل على ذلك ، وأمر بأن ينفق عليهم من بيت مال المسلمين ، وكان يقول فى ذلك « يحبس عنهم شرهم ، وينفق عليهم من بيت مالهم » .

السجن فى العصر الأموى :

واستمر العمل بذلك طوال العصر الأموى .

وقد ابتكر معاوية نظام مراقبة المشبوهين فى منازلهم ، فأمر باعداد سجل لقيد أسمائهم ، ثم عين زياد بن أبيه جعدا بن قيس لمراقبة نشاطهم . كما قيل ان معاوية كان أول من عين حراسا للسجون .

وكان الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز من أشفق الخلفاء على المسجونين وقد كتب الى عماله يقول (لا تدعن فى سجونكم أحدا من المسلمين فى وثاق) لا يستطيع أن يصلى قائما ، ولا تبيتن فى قيد الا رجلا مطالبا بدم ، واجروا عليهم من الصدقة ما يصلحهم » .

السجن فى العصر العباسى :

وفى العصر العباسى كان المسجونون يحبسون أحيانا فى دورهم أو فى دور بعض الاشخاص الموثوق بهم فلا يغادرونها الا باذن ، وقد أمر الرشيد بحبس بعض خصومه العلويين فى دار الفضل بن الربيع ، فكان يحسن معاملتهم ويقدم اليهم فى كل وجبة مائدة كمائدته .

وكانت للرشيد دور أخرى يتخذها سجنا لبعض الاشخاص واشهرها دار السندى بن شاهك . وكانت تلك الدور تتخذ لحبس الخصوم السياسيين . والمذنبين الذين يرجى صلاحهم .

وقد طلب الرشيد من القاضي أبي يوسف يعقوب بن ابراهيم صاحب الامام أبي حنيفة أن يحدد الأسس التي ينبغي أن تقوم عليها معاملة المسجونين ، فاعد له دستورا محكما، سبق به دعاة الاحسان الى المسجونين من الأوروبيين بنحو عشرة قرون .

الإنفاق على المسجونين :

وقد أوصى أبو يوسف بأن يجرى على المسجونين الفقراء من الصدقة ، أو من بيت المال وقال « وأحب الى أن يجرى من بيت المال على كل واحد منهم ما يقوته . فانه لا يحل ولا يسع الا ذلك » . .

ويبدو أن بعض الحكام قد أهمل الانفاق على المسجونين الفقراء قبل عهد الرشيد فقد أضاف أبو يوسف في نصيحته اليه « والأسير من أسرى المشركين لا بد أن يطعم ويحسن اليه حتى يحكم فيه ، فكيف برجل مسلم قد أخطأ أو أذنب يترك يموت جوعا . وانما حمله على ما صار اليه القضاء أو الجهل » . .

تغذية المسجونين : ــ

ثم حدد أبو يوسف وسائل الانفاق على تغذية المسجونين ، مع ضمان عدم تسرب ما تقرره الدولة لهم الى أيدى السجانين . فقال « فمر بالتقدير لهم ما يقوتهم فى طعامهم وأدمهم . وصير ذلك دراهم تجرى عليهم فى كل شهر ، بدفع ذلك اليهم ، فانك ان أجريت عليهم الخبز ذهب به ولاة السجن والقوام والجلاوزة ــ وهم الحراس أو الشرطة ــ وول ذلك رجلا من أهل الخير والصلاح يثبت أسماء من فى السجن ممن تجرى عليهم الصدقة ، وتكن الأسماء عنده . ويدفع ذلك اليهم شهرا بشهر ، ويقعد ويدعو باسم رجل رجل . ويدفع ذلك اليه فى يده فمن كان منهم أطلق وخلى سبيله رد ما يجرى عليه . ويكون للاجراء عشر دراهم فى الشهر لكل واحد وليس كل من فى السجن يحتاج الى أن يجرى عليه » . .

كسوة المسجونين : ــ

ثم نصح أن يمنح الكساء الى المسجونين مرتين فى السنة ، احداها فى الصيف والأخرى فى الشتاء فقال « وكسوتهم فى الشتاء قميص وكساء وفى الصيف قميص وازار ، ويجرى على النساء مثل ذلك . وكسوتهن فى الشتاء قميص ومقنعة وازار » .

تشغيل المسجونين : ــ

وكان تشغيل المسجونين معروفا فى ذلك الزمن . وكان يغلب الا يؤدوا تلك الاعمال لحساب الدولة . بل كان يسمح لهم بأدائها للارتزاق منها . أى لحسابهم .

وكان ذلك النظام متبعا على الأخص فى العصر الطولونى حيث كانت حياة نزلاء السجون تقترب من حياتهم العادية . وكان من أنواع السجن ، أن يؤمر المسجون بأن يلزم داره فلا يغادرها .

الرعايــة الصحية : ــ

وجاء فى (اخبار الحكماء) للقفطى انه كان يخصص أطباء لزيارة المرضى بالسجون ، وحمل الأدوية والاشربة اليهم .

وقد ذكر ابن أصيبعة فــى كتابه « طبقات الحكماء » نقلا عن ثابت بن سنان :

« اذكر وقد دفع الوزير على بن عيسى بن الجراح الى والدى سنان ابن ثابت أيام تقلده الدواوين من قبل المقتدر بالله ، وتدبير المملكة فى أيام وزارة حامد بن العباس فى سنة كثرت فيها الامراض جدا ، وكان والدى اذ ذاك يتقــــلد البيمارستانات ــ اى المستشفيات ــ ببغــداد وغيرهــا توقيعا يقول (فكرت مد الله فى عمرك فى أمر من الحبوس ، وانه لا يخلو مع كثرة عددهم وجفاء أماكنهــم أن تنالهم الامراض ، وهم معوقون عن التصرف فى منافعهم ، ولقاء مـــن يشاورونهم من الاطباء فيمــا يعرض لهم . فينبغى أن تفرد لهم أطبــــاء يدخلون اليهم فى كل يوم . وتحمــل اليهم الادوية والاشربة . ويطوفــون فى سائر الحبوس ويعالجون فيهــا المرضى ويزيحون عللهم فيما يحتاجون اليه من الادوية والاشربة . ويتقــدم بأن تقام لهم المزورات لمن يحتاج اليها منهم) ففعل والدى ذلك طوال أيامه .

دعوة جريئة فى ظلمــات عهــد المماليك : ــ

وعندما كانت تسوء حال السجون ويحرم نزلاؤها من المعاملة الرحيمة ، التى وضع أصولها الخلفاء والائمــة الاوائل ، كان ينبرى بعض العلمــاء للدفاع عنهم ، والاهابة بالحكــام أن يتقوا الله فيهم .

ومن العلماء الذين اقتدوا بالامام أبى يوسف فى الذود عن المسجونين العلامة تاج الدين عبـــد الوهاب السبكى المتوفى سنة ٧٧١ هجرية أى فى عصر المماليك الــذى تعددت فيه المظالم واكتظت السجون بالأبرياء ، فنصح القائمين بأمرها ــ فى كتابــه (معيد النعم ومبيد النقم) ــ أن يرفقوا بالمسجونين . ويخففوا عنهم عــذاب السجن ، والا يمنعوا عن مرضاهم ما قد يكون فيه علاجهم . كشم الرياحين وألا يمنعوهم من صلاة الجمعة ، الا اذا منعهم القاضى من ذلك .

والواقع أن السجن وان كـــان أسلم العقوبات فقد تأول بعضهم قوله تعالى : ــ

« الا أن يسجن أو عذاب أليم » أن السجن من العقوبات البليغة لأنــه سبحانه وتعالى قرنه مــع العــذاب الأليم . وقد عد يوسف عليه السلام الانطلاق من السجن احسانا فى قوله « وقد أحسن بى اذ أخرجنى مــن السجن » .

ومن اجل ذلك فقد حرص حكــام المسلمين الاول ، أن يتقوا الله فى نزلاء السجون وأن يخففوا عنهم آلامها قدر الامكان ، فسبقوا حكــام أوروبا مئات السنين ، فى مضمار الدعــوة الى تحسين أحوال المسجونين . وحق على كل منصف من مؤرخى هــــذه الدعوة أن يذكروا فضلهم ، وفضــل العلماء الذين كانت ترتفــع أصواتهم للدفاع عن أولئك البائسين الــذين حملهم على ما صاروا اليه ــ كمــا قال القاضى أبو يوسف ــ (القضاء أو الجهل) .



التوريق

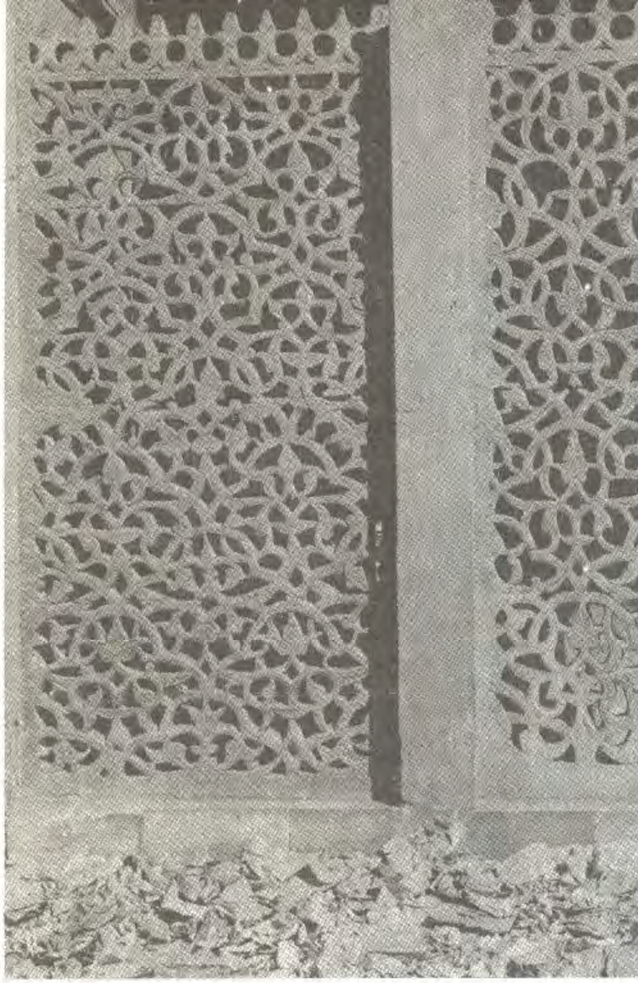
من روائع الفنون الإسلامية

للأستاذ : عبد المجيد وافى

كثيرا ما يصادف القارىء فى موضوعات الفن الاسلامى عبارات اصطلاحية ، يتبادلها المشتغلون بهذه الفنون — فيما بينهم — دون أن يتعرضوا لها بالبيان أو التوضيح . وذلك لوضوح معناها أو دواعى استعمالها فيما بينهم .

بينما يتابع تلك العبارات . غير قليل من القراء بشىء من الجهد ومحاولة تلبية المراد منها ، ولو انهم وصلوا مما يريدون الى بغيتهم بشىء من البسط والايضاح ، لكان فى ذلك لهم من المتعة الذهنية ، والتذوق الفنى ما يعوضهم تطلعهم ، ودأبهم وراء المعنى الذى حاولوا فهمه .

وكلمة التوريق — عبارة اصطلاحية من هذه العبارات — تداولها المشتغلون بالفنون الاسلامية ، من العرب والمسلمين ، وكذلك من المستعربين والمستشرقين بين أقصى بقعة شوهد عليها مثال من فنون الاسلام شرقا ، وأقصى مكان فى متاحف الغرب الاوروبى والامريكى ، التى عنيت باقتناء الامثلة العديدة ،



زخارف التوريق « مقدودة » فى الحجر الرملى بالخانقـاه الجاولية ـ عصر المماليـــك ـ بالقاهرة .. تمثل قدرة الفنان ودقة الحفـر المفرغ وروعة التشكيل .

بل المجموعات الواسعة من نمـاذج الفنون الاسلامية المختلفة ، مـــن أصغر التحف المعدنية أو العاجيـــة ، وقطع النسيج وشقف الاخـزاف ، والاوانى الزجاجية ، أو مصنوعـــات الذهب والفضة ، الى أكبر الاحجام من الامثلة المعمارية ، من حجـارة وعقود ـ أقواس البناء الحاملـــة للسقوف ـ ونوافذ الجص المشـبكة .. الخ .. الخ ..

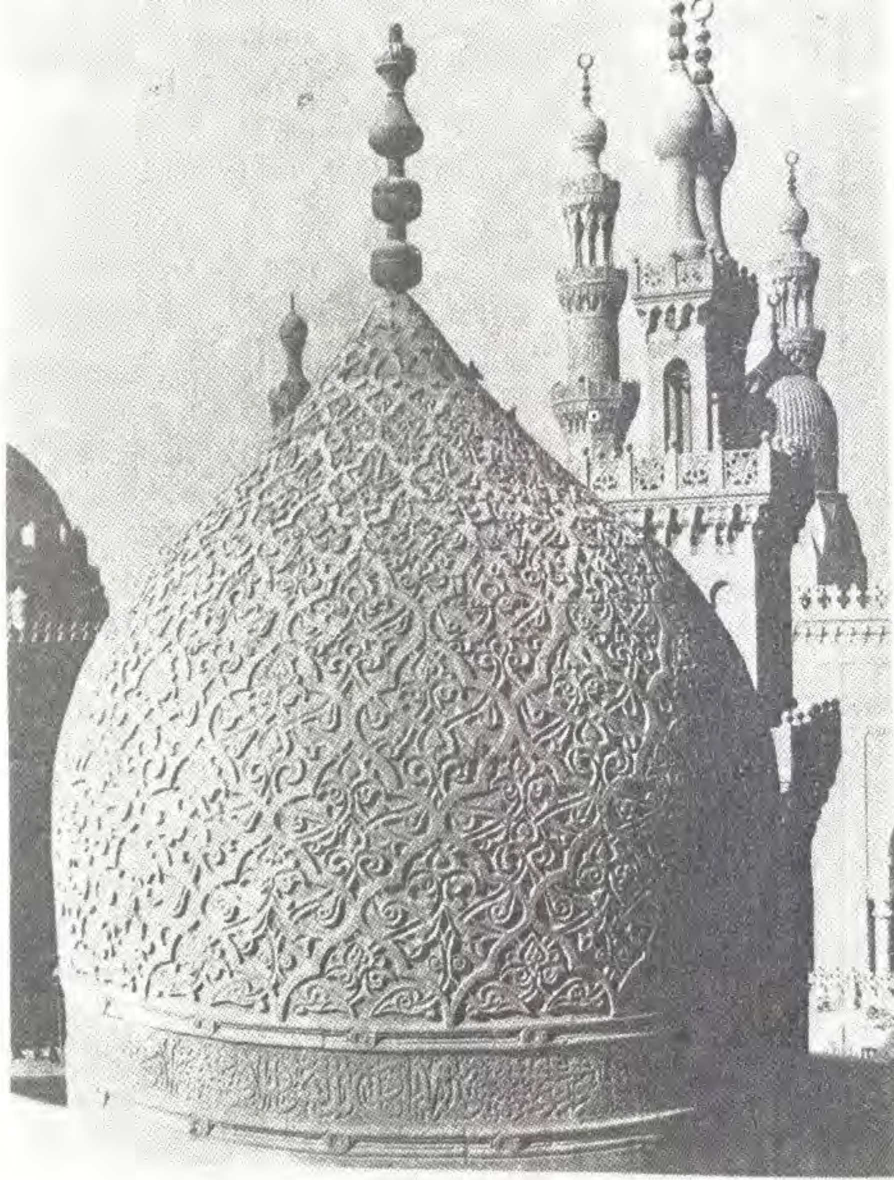
والتوريق ليس كما يبدو لاول وهلة فى تـدبر القـارىء ، هو استعمال الاوراق فى بعض صياغة أو احاطة شىء من هـذه الصناعات الفنية أو تلك .

بل التوريــق عنصر معين انتشر استعماله فى تشكيل وتنميق جميـع فروع الفن الاسلامى على الاطلاق ، وأجاد رسمه وتوزيعه واستعمـــال وحداته ، كل مشتغل بفرع من هـذه الفروع ، سواء أكان صانعا دقيقا ، يعمل فى مساحة محدودة كقلامـة ظفر ، أو راحة يد ، من المعـــدن المنقوش ، أو الورق المكتوب المزوق ، أم حجـارا أم رخاما أم نجـارا ، يتناولون الاعمـدة أو الواجهـــات المعمارية ، بالزخرفـة المدقوقـة أو المحفورة ، أو فى نوافذ الخشب أو المنابر أو الكراسى وما الى ذلك .

هذا العنصر هو الزخارف المشكلة من أوراق النبات المختلفة ، بأساليب متعددة من الافراد والمزاوجة، والتقابل والتقاطع والتعانق ، مع تحوير فى أشكال هـذه الاوراق ، قد يصل بها الى حد الاغراق فى التجريد بعدا عن الشكل الاصلى ، أو مقاربة بـــين حـركات الاوراق على فروعهـا أو أغصانها ، كما لو كانت طبيعية غضة نضرة فى حديقـة أو بستان ، يتمثل الفنانون فى ذلك كله أنواعـا مـن نباتات مختلفة ، تشغل بها مساحات من سطوح الزخارف والتشكيل ، أيا كان محلها فى جوانب الفن الاسلامى .

. . . . .

أما كيف وفدت هذه التوريقات ، أو دخلت ساحة الفنون الاسلامية ، فذلك حديثنا ، ممتدا الى عمق الجمال الفنى فى هذا التوريق ، وروعـــة توزيعاته ، التى بهرت نقـاد الفنون سابقين ومعاصريـن ، حتى صـار الاقتداء بها والاحتذاء لها مذهبا مـن مذاهب الفن المعاصر الحديث ، ينسب الى الفن الاســلامى أو العـربى ARBESGUS ، ويتهافت على اقتناء روائعه مفتونو الغربيين ، كما كان يفعل أجدادهم البنادقة والانجليز والفرنسيون ، فى رحاب النهضـة الاسلامية الكبرى .



التوريـــــو الدقيق مع حساب استدارة القبة وانسياب التشكيل الى القمة المدببة .
فى قبة قانى باى الرماح ـــ العصــــــر المملوكى بالقاهرة ـ نحت رملى .



ولقد كان انتشار الاسلام عقيـــدة وعملا فى القرن الهجـــرى الاول ، يزحف مسرعـــا ليغطى مساحـــــات شاسعة تدين بحضارات راســـخة الاقدام فى التطور الصناعى والتقـــدم الفنى ، فارس شرقا ـــ وأعماق الفن الفارسى رحيبة ـــ ، وبيزنطة شمالا وغربا ، فى سورية ومصر والشمال الافريقى ، وفنون بيزنطـــة ، كانت مستقلة بالتأثير فى سورية ، الا أنها كانت تتزاحم فى مصر مــــــع الفن المصرى ، قبطى وفرعونـــى ، وفى الشمال الافريقى ، مع بقايا الفنـــون الفينيقية والافريقية .

وماكان الاسلام وعقيدته فـــى أول اندفاعه ، الا فاتحـــا هاديا معلما ، منقـــذا من ظلمات الرق الى نـــور الحرية ، يمحو الاستغـــلال ويحطم الاغلال ، فلم يكن الفن الذاهب أو الفن القادم هدفا له ، الا ما كان من هذه الفنون يحمل صورة من صــــور التعبد لغير الله جل وعلا ، فان تحطيم مثل هـــذا الفن كان هدفا من أهداف الاسلام .

وحسبنا ما فعلــــه رســـول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله ، يوم الفتح من تحطيم الاصنام حول الكعبة ، ومحو ما كان بداخلها مـــن صور ، ثم ارساله البعوث لتحطيم أصنام القبائل فى البادية .

الا أن ماصادف المجتمع الاسلامى الناشىء ، فى البقاع المفتوحة مـــن

ميراث فني وحضاري ، تعوده أصحاب الارض قبل الفتح ، ثم لم يجدوا بأسا في أن يأخذوا بخط منه ، بعد اعتناق الدين الجديد ، ثم انتقال هذا الخط الذي أخذوا به معهم في بقاع الدولة الواسعة ، والى عواصمها ، المدينة المنورة ، أو الكوفة ، أو دمشق أو القيروان ، ذهابا وايابا : كل ذلك قد صبغ الحياة في الدولة الاسلامية ، ولما تمض المائة الاولى للهجرة — بلون من الترف الفني — محدود أول الامر ، ثم أخذ في الاتساع ، مع قيام الاسس الفنية العميقة ، التي انتسبت الى لون جديد من الحضارة ، وانطبعت بطابعه أصالة ، ودقة ، وعمقا ، ورقة ، وقد كانت في الاصل تنبع من منابع مختلفة .

ولعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قد خاف مثل هذه الانعكاسات الحضارية وتأثيرها على بساطة المجتمع المدني ، فنبه مؤكدا — عندما أعاد تعمير المسجد النبوي — وقال لمن كلفه بهذا العمل : لا تصفر ولا تحمر ، حتى لا تفتن الناس .

والمعروف أن عمر رضي الله تعالى عنه ، أعاد بناء المسجد بالحجارة والقصة « الجص » ، بدلا من اللبن ، وجعل عمده من الخشب بدلا من جذوع النخل ، وان لم يغير في التخطيط الذي استنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (١) .

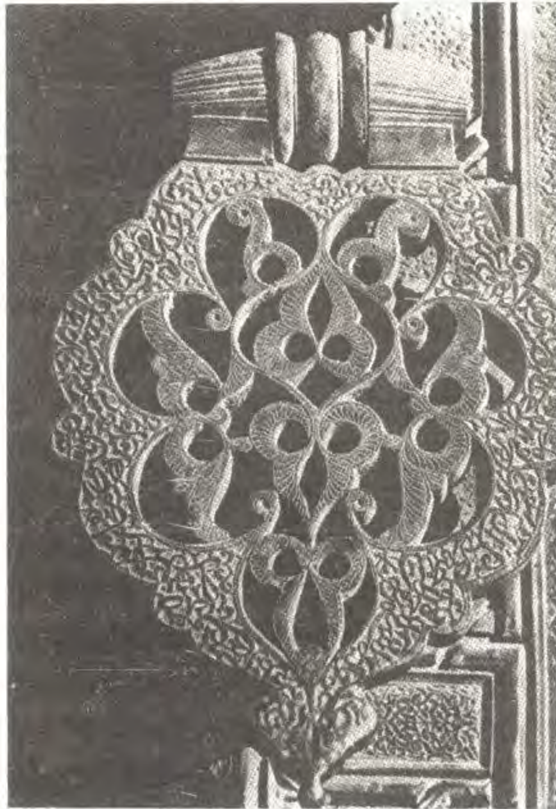
وما فعله عمر رضي الله تعالى عنه ، لم يلتزم به عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ، وكلاهما صاحب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، شهدا معه المواقع ، كما شهد بالجنة لكل منهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فعثمان رضي الله عنه ، قد كلف زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه — كاتب الوحي ، وهو الذي جمع القرآن على عهدي ابي بكر وعثمان رضي الله عنهما — بالاشراف على عمارة المسجد النبوي وتوسعته لما هم عثمان بذلك .

وقد أجمع الرواة على أن عمارة عثمان بن عفان ، باشراف زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنهما ، دخل فيها الحجارة المنقوشة والقصة ، في الجدران ، والعمد التي حلت محل عمد الخشب في حمل السقف ، وكذلك كان السقف من خشب الساج وقد زينه التذهيب (٢) .

وهكذا نرى التأثيرات الفنية قدمت بنفسها الى المدينة — المجتمع الاسلامي الاول — ولما ينقض عهد الخلفاء الراشدين .

وكان التوريق عنصرا من عناصر هذه التأثيرات الفنية الوافدة ، ضمن تأثيرات أخرى ، ولم يكن العمال القائمون بهذه التجديدات الا خبراء



التوريق في النحاس المصبوب بمطرقة باب المسجد الجامع باشبيلية ٦هـ ١٢م .

وتفاصيل التوريق كتابات قرآنية تشكل بدن الورقة الخارجية .



فى هذه الفنون زاولوها بالوراثة أو التعليم ، ذوى حس مرهف أعانهم على تعديل استعمالاتهم — بعد اعتناق الاسلام — للعناصر الفنية بما لا يخرج عن صريح العقيدة ومضمونها والتى ترفض تجسيم المعبودات ، وتهويل جو المعابد .

واذا كانت تشكيلات التوريق النباتى قد سبقت فى فنون ما قبل الفتح الاسلامى بصورة أو بأخرى ، الا أنها بشهادة غير المسلمين ، ودارسى تاريخ الفنون العربية والاسلامية (٢) قد اتخذت بعد انتشار الدعوة الاسلامية ، وبداية خطها الحضارى سمتا آخر ، أساسه التنويع ، والتتابع ، والتحوير .

لا شك أنها بدأت أول الامر قريبة من أشكالها فى الطبيعة ، اقتداء بالاساليب السابقة على التأقلم بالاسلام ، لكنها بدأت فى التغير عن أصولها ، مع احتفاظها بعنصر التعبير الجمالى ، والتحوير فى الشكل الاصلى وسيلة الوصول الى ذلك التعبير .

كما أنها بدأت أول الامر متماثلة ، ثم تنوعت ، وبدأت مفردة ثم تتابعت مستكملة بذلك أبعاد الاسلوب الثلاثة ، مشتركة حينا ، وينفرد التتابع بالتعبير أحيانا ، كما ينفرد التنويع أو التحوير .

وورقة النبات قد تستعمل وحدها ، أو مع ورقة لنبات آخر بالتبادل ، لتوقيع التوازن الموسيقى ، بالتفرع من خط واحد أو خطين متعانقين ، مستمرة فى شغل فراغ افريز محدود ، أو مساحة واسعة ، دون ملل لهذا التتابع أو التعانق أو التقاطع أو التقابل .



الحقيقة والتقليد .. أوراق النبات فى أرضها ، والتوريق محفور على تاج عمود عربى من خرائب الزهراء بجانب قرطبة ... والصورة تمثل قدرة الفنان العربى على الاقتباس من روعة صنع الله .

وكأنى بهذه التوريقات أصوات المسبحين مترنمين بأسماء الله الحسنى فى تبادل صوتى ، بين الخافت الهامس ، والقوى ذى الرنين ، والرفيع ذى الجرس المطرب ، والغليظ ذى التردد ، كلما ردد المسبحون متجاورين أو متقابلين ، متأملين فيما يرددون ، أغرقوا فى بحر التجرد ، المحفوف بمعانى السمو ، الذى كسته اياه أسماء العلى القدير ، تجرد عن المثال وتعالى بنفسه ، ومجدته الصفات ، فهو العلى القدير الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارىء المصور له الاسماء الحسنى ، يسبح له ما فى السموات والارض .

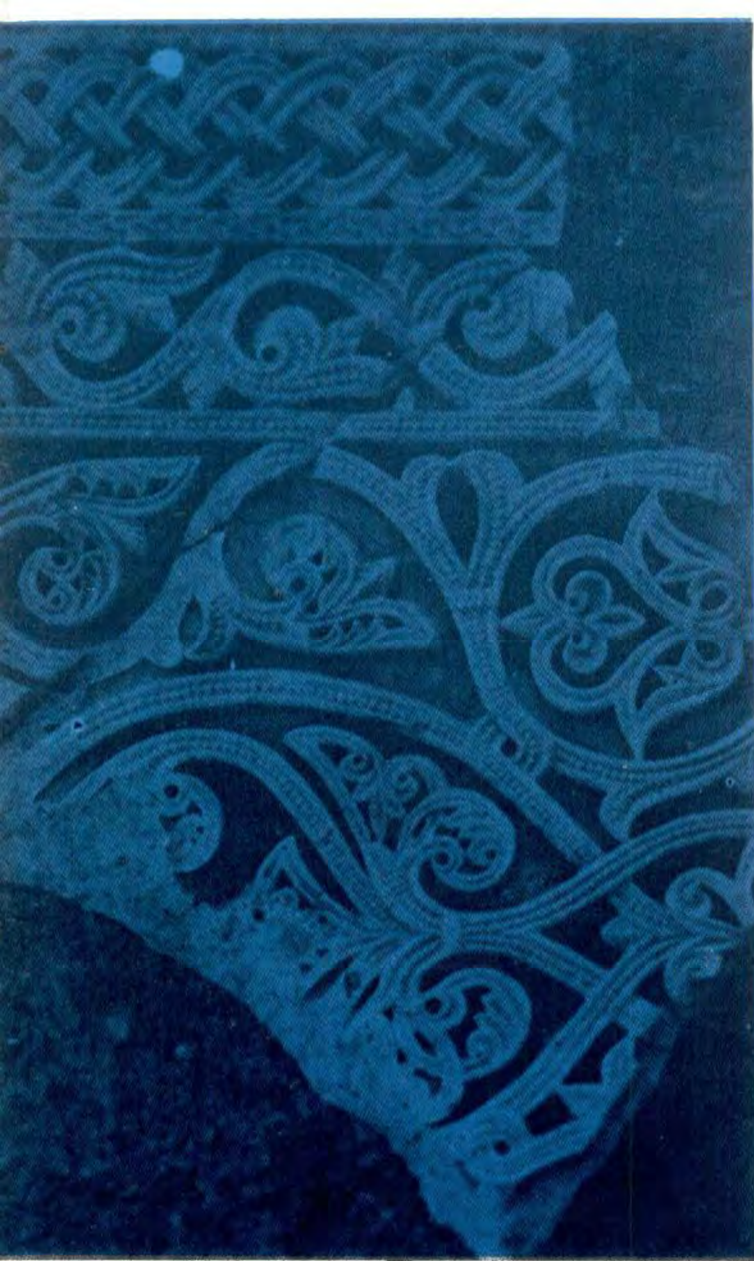
ولقد كانت ورقة العنب « مثلا » ذات الشعب الخمس ، عنصرا استعمله المصريون والسوريون قبل العصر الاسلامى ، فلما تطور المجتمع بعد الدعوة الاسلامية وصبغته حرية

المقيدة ، فى فطرة نابضة حية نابعة من فطرة الله ، ارتاحت يد الفنان فى تنسيقها عبر رسومه وتخطيطاته ، فخرجت عن جمودها وجفافها ، وخلعت رداءها التقليدى ، وكأنها ألقت فى مهب الريح ، فانفتحت مرة وانكمشت مرة أخرى ، وهشت أحيانا ، وانتقبت أخرى ، واعتدلت أو انحرفت أو انشقت أو انبسطت ، واستوت أطرافها أو تضرست ، وتشكلت أشكالا غريبة متنوعة حتى كادت أن تفقد خصائص مظهرها ، وأصبحت فى بعض أشكالها نسيجا من صنع الخيال ، كالخيوط المتصلة أو الخروم الملتصقة » (٤) .

ولم يكن هذا هو حظ ورقة العنب وحدها ، بل شاركتها غيره أوراق الصنوبر أو الكافور أو الصفصاف ، بسمتها المستطيل والطرف الرمحى المدبب ، بدأت أول الامر مستقيمة ، ثم التف طرفها فى انسياب حتى عاد ملامسا أصلها ثم تعانق معه أحيانا أو تقاطع ، مكونا أشكالا قلبية أو نجمية فى تناسق مطرد وتقابل منفرد .

تشكيلات بديعة ، بعدت أصلا وفرعا عن استعمالات الفنانين السابقين ، وغالى اللاحقون فى التنويع والتعدد بقصد التطريب فى الشكل ، مغالاة تنم عن سعة الخيال ، ورحابة الافق ، ممايتنقل الفنان من مرحلة الاغراق فى الحس ، الى السمو فى التأمل ، وبلوغ درجة عالية من التصوف الفكرى ، والتأمل فى عظيم صنعة الله بورقة من أوراق النبات ، تقود العبد فى تأمله الى عظمة الخالق وعظمة الملك فيغرق فى خضم الملكوت الواسع .

وذلك هو السمت الذى ميز الفن الاسلامى بصوفيته العميقة ، وبهر نقاد الفنون سابقين ومعاصرين ، وأفحم الحاقدين الذين وسموه بالنقل



أوراق العنب مع فروعها حفرا على المرمر الوردى من جوانب مدينة الزهراء بجوار قرطبة وتلاحظ دقة الحفر واختلاف المستويات وتفريغ الوريقات .

والتقليد ، فاعترفوا له بالانفراد والجدة والتنوع .

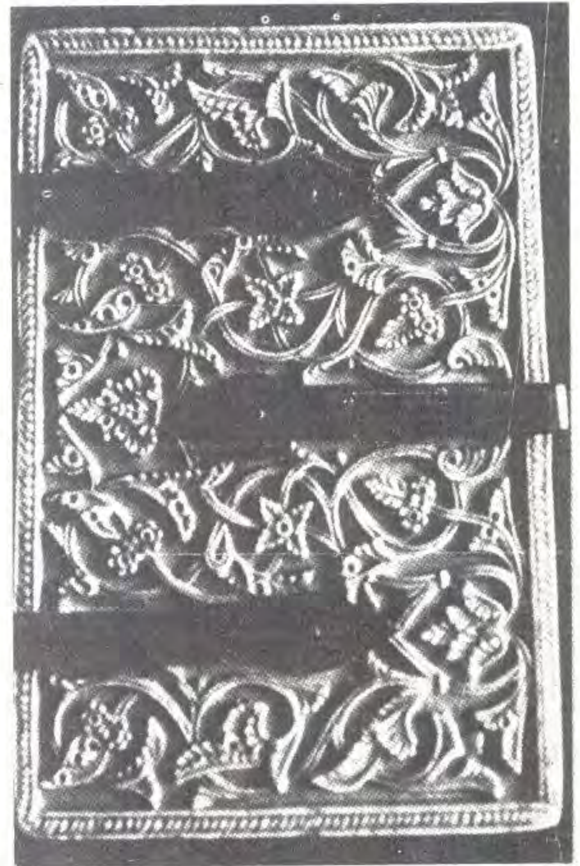
. . . . .

ولم تمض المائة الاولى من العصر الاسلامى ، حتى كان المسلمون آخذين بأسباب البحث فى كل تراث سابق للحضارة البشرية ، يعرضونه على عقيدتهم ، فما استقام معها أخذوا به ، وما تعارض عدلوا به الى السمت السوى والفكر المستقيم مع الفهم الاسلامى .



وبنفس الحس المرهف ، انتشرت أساليب التعامل الفنى من حدود السند الى شاطىء الاطلسى غربا ، ومن أرمينية شمالا الى المحيط الهندى أو البحر العربى جنوبا .

وساعد اتساع الدولة ، وحرية الانتقال بين ربوعها فى سرعة انتقال العلوم بين اقصاها وأقصاها ، كما ساعد على انتشار تقاليد الفنون وأساليبها ، وكان الحكام والولاة ووجوه البلاد يسعون الى استضافة عالم ، أو اقتناء مؤلف ظهر فى المشرق أو فى المغرب ، كما كانوا يسعى اليهم



التوريق فى الحفر على العاج من العصر الأموى بقرطبة ـ أسبانيا ـ ٤هـ ١م .

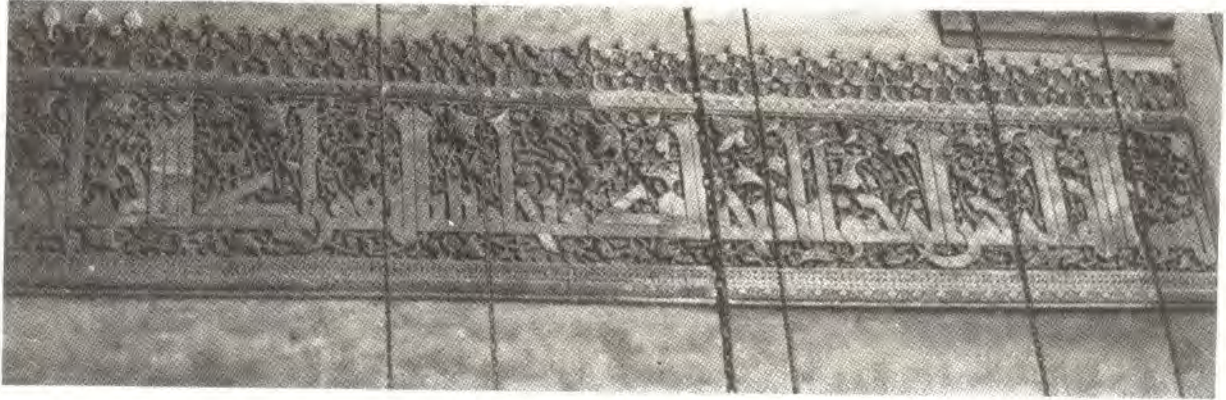
علبة مجوهرات لاحد قصور الخلافة .. وهناك زخارف متطابقة محفورة على المرمر بجوانب محراب المسجد الجامع بقرطبة .

بطرف الفنون وغرائبها ، او يسعون هم فى طلب صانع مبدع ليختصهم بروائعه ، وبدائع صنائعه ، كما كانت عوامل الهجرة سياسيا ساعدا فى انتقال فنانين بعينهم من قطر الى قطر ، مما نشط الاقتباس وانتقال الاساليب الفنية ، وذلك كهجرة الاسبان الربضيين أيام الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الاول ـ نهاية القرن الثانى الهجرى وبداية القرن الثالث ، وقد استقر بعضهم فى الاسكندرية يومئذ ، واستمر الباقون فى الهجرة الى جزيرة كريت .

وفرار بعض أفذاذ صناعة النحاس المكفت من الموصول فرارا من وجه التتار أيام المحنة المشهورة واستقرارهم بالقاهرة .

وقد تنوعت أساليب التوريق فى الشرق ، وابدع أهل المغرب الاسلامى فيما نقلوه عن أهل المشرق ، ولا يخطىء الناظر الى الوحدة التشكيلية أن ينسبها الى الفن الاسلامى، شرقية أو غربية ، وذلك نابع من حقيقة أساسية ، أن وحدة العقيدة كانت عاملا فى وحدة الثقافة ، وأساسا لوحدة الفنون ، وان كان على الباحث المتخصص أن يدرك الفرق الدقيق بين خصائص صناعة الفنان المشرقى أو المغربى ، وكثيرا ما حار القوم فى ذلك لشدة التقارب والتنافس بين أهل تلك الفنون .

وكانت تشكيلات التوريق أول أمرها فى سورية ومصر ، مستقلة بفراغها الذى تشغله دون تداخل من عناصر اخرى ، فيما يصنع الحفارون على الحجارة او الاخشاب ، كل يحاول أن يثبت ليونة مادة صناعته فى يده ، فابتكروا الحفر العميق أول الامر ، ثم ظهر الحفر المائل ، ثم لعبت مستويات الحفر فى يد الرخام أو النجار ، حتى قاربت ليونة الاوراق على فروعها واغصانها ، فى نهاية



طراز الكتابة بجامع ـ مدرسة ـ السلطان حسن بالقاهرة ..
« بسم الله الرحمن الرحيم . انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله .. الى آخر الايات
كوفي مملوكي انبسط علــى خلفية مـن التوريق الأندلسي .

العصر الفاطمي بمصر . وكذلك أيام الامويين بالاندلس العربي . بينما تناقلت أساليب التشكيل في شمال افريقية ، خصائص مصرية وسورية حينا . ثم اندلسية مرة أخرى .

وانتقلت عدوى التوريق الى الوراقين وأصحاب صناعة الكتب واستنساخها . وبدلا من ازميل الرخام واداة النجار في حفرهما ، قامت الفرشاة بتوزيع التوريق مسطحات ومساحات على صفحات الكتب . محيطة بالعناوين الرئيسية ، أو افاريز حول الكتابة في الصفحات . مدادها ماء الذهب واللازورد ، ورائع الالوان .

ثم يقلد هؤلاء وأولئك ، حفارو المعادن ، نقشا . وتلبيسا بالذهب والفضة على النحاس أحمره واصفره : فلا يقصرون عن اخوانهم ابداعا وتصنيفا ، في اباريق الماء أو الوضوء ، وشماعد الضوء وثرياته .

ولا يلبث الرخامون والحجارون والنجارون أن تصيبهم عدوى التلوين من مزخرفي الكتب فنرى الجدران والسقوف قد اكتست بالالوان والتذهيب بهاء على بهاء .

كل هذا وعنصر التوريق لا يكل عن التطور والتحور . بما يقتضيه المقام والمكان . حتى تجاورت أساليب الصناع . وتحاورت في مناظرات فنية على صعيد العمارات والمنشآت والتحف والطرائف .

ثم اتسع استعمال زخارف التوريق . حتى أصبحت تغطي مساحات واسعة ، من العمائر أو التحف . وتكفي نظرة الى باب معدني « نحاسي » من أبواب المدارس والمساجد في العصر المملوكي بمصر ، أو باب جامع قرطبة الاعظم أو جامع اشبيلية . في أقصى المغرب الاسلامي يومئذ ، لنرى مساحات التوريق الواسعة وقد تشابكت أغصانها وتقاطعت فروعها في ليونة عجيبة رغم صلابة المعدن .

وواجهات معمارية واسعة في آسيا الوسطى وما وراء النهر ، قد غطتها ترابيع الخزف اللامع ، يشغل سطوحها تشكيلات التوريق الملون تحت الدهان ، بالازرق أو الاخضر والاحمر والذهبي ، في تناسق بديع ، بل ان عناصر التوريق في مساحات كبيرة من الخزف الازرق في بعض المساجد الايرانية والمصرية ، جعلت الزوار والسائحين الباحثين عن هذه

[illegible] عن « المسجد الازرق » وذلك لانتشار مساجد بعينها بهذا الاسم في هذه البلاد أو تلك . ومسجد الشاه عباس بأصفهان « ١٦/١٥ م /٩/١٠ هـ » ومسجد آق سنقر « ابراهيم أغا مستحفظان » بالقاهرة والخزف الملون الازرق فيه من سنة ١٠٦٢هـ — ١٦٥٢م .

ومن الطرف البديعة بالمتحف الاسلامي بالقاهرة . باب مصفح بالنحاس . قوامه مساحات التوريق المتشابك الجميل . حاول الفنان اظهار براعته في انفراده بأسلوب جديد . تحولت فيه التوريقات المتشابكة بالاغصان الى حيوانات صغيرة وطيور في أوضاع مختلفة متفرعة من الاغصان كالاوراق والزهور . ذلك الباب باسم الامير سنقر الطويل من أمراء المماليك .

وهكذا صارت عناصر التوريق أساسا تشكيليا في توزيعات الفنون وتنوعاتها . وأصبح على كل فنان اتجه الى نوع من هذه الصنائع . أن يجيد التوريق أولا كمقدمة لتوقيعه على التحف والطرف بالآلات والوسائل المختلفة .

وكثيرا ما شاع توريق ابتكره مذهب وراق . فنقل عناصره رخام أو حجار أو نجار . ثم قلدهم خزاف أو صناع الشماعد وثريات الضوء من النحاس . صافيا أو مكفتا بالذهب والفضة .

واذا كانت رحلة التوريق تطول عبر القرون بين مشرق الاسلام ومغربه . فان أروع ما نراه من هذا التوريق سموا وتصوفا . توريقات الزخارف في قصور الحمراء . بغرناطة الاندلس . حيث برع فنان الزخارف الجصية في ان يشكل الاوراق في أسلوب فريد . جعل أبدان التوريقات نسيجا من اسم الله الاعظم . مسلسلا مقابلا بعاجل التسبيح وتسلسله في أعقاب الصلوات . على ألسن القائمين الذاكرين . فبينما انتقلت عيون الناظرين على الجدران وراء تسلسل التشكيل التوريقي . نابعت اسم الله رؤيته وتلاوة وتسبيحا . جمال اثاره اسم الله وزينته .

. . . . .

هذا كله عندما استقل التوريق بالتشكيل . لكن المعلمة التي بلغت حد الاعجاز . تتجلى في الجمع بين عنصر التوريق . والكتابة كوفية أو نسخية . ولست هنا بصدد الكلام عن الكتابة . كعنصر من عناصر التشكيل الفني في فنون الاسلام . فذلك موضوع آخر يشوق قارئه . كما يشوق صانعه أو صائغه . ولعلي أعود اليه بتفصيل مناسب ان شاء الله في عرض آخر .

وإنما حديثي . مستمر عن التوريق كمستوى من مستويات التشكيل الفني عندما تداخل مع الكتابة . وقد كان التوريق وحده يشكل المستوى الواحد او اكثر من المستوى في مزاولة الفنانين الاسلاميين . على تنوع خاماتهم والوان صنائعهم .

ولقد كان اختلاف المستوى اكثر وضوحا في صناعة الرخامين والنجارين . حيث يقد الفنان في الحجر أو الخشب سطوحا متتالية العمق من التشبيك والتوريق يعلو بعضها بعضا . منه في صناعة المذهب الوراق . الذى يتحتم عليه أن يمثل اختلاف الارتفاعات وتداخل التوريقات بتباين الالوان وتغاير الاصباغ .

أما عندما تتشابك التوريق مع حروف الكتابة أو عانقهما أو تفرع عنها ، دون أن يخل ذلك بأشكال الحروف ، ومعانى الكلمات ، آية كان ذلك المكتوب أو دعاء أو مديحا ، فذلك مما انفرد به الفن الاسلامى تمام الانفراد . ولقد برز جهد الفنانين فى ذلك ، من حيث مغايرة مستوى التلوين أو الحفر ، لاحداث التوازن والتوافق الموسيقى بين الكتابة وخلفياتها المورقة ، وكذلك تباين دقة الحفر فى الخلفيات ومسطحات الحروف عريضة أو دقيقة .

ولعل أبرز مثالين أسوقهما فى ختام الحديث عن هذا التزاوج بين الكتابات والتوريق ، مثالان ، أحدهما مملوكى : هو طراز سورة الفتح فى مسجد أو مدرسة السلطان حسن بالقاهرة ٧٦٤هـ — ١٣٦٣م .

والثانى أندلسى من العصر النصرى ، هو طراز من شعر ابن زمرك الوزير الغرناطى على جدران قاعات الحمراء — ٩/٨ هـ — ١٤/١٥م —

أما الاول فطوله ما يقرب من ٤٠ مترا بعرض ٥٠ سم تقريبا يطيف بإيوان القبلة مبتدئا من اليمين ومنتهيا باليسار ، قوامه آيات من سورة الفتح ، كتبت بخط كوفى مملوكى غير منقوط ، حروفه عريضة طويلة القوائم بسيطة التكوين ، فرشت على خلفية من التوريق الدائرى المتتابع فى لا نهائية مطلقة حتى ليظن المتتبع لتسلسله تحت الكتابة ، أنه بدأ مع الاستعاذة بالله والبسملة ، ولم ينته الا مع صدق الله العظيم .

واذا كانت الكتابة تكون السطح أو المستوى العالى ، وخلفها التوريق ، فانه يكون مستويين تحت الكتابة من التفريعات الدقيقة والتوريق الرشيق ، مع تعدد أشكال الاوراق وتنوعها صلبة أو مخرمة ، آية فى رقة التشكيل والتقابل والتقاطع والانثناء والانفراج .

وقد اشتهرت هذه الفترة من العصر المملوكى بهذا اللون من التوريق ، وخاصة العمائر التى أقيمت فى عصر المنصور قلاوون — ٦٨٣هـ ١٢٨٤م ، ثم ابنه الناصر محمد ، ثم السلطان حسن بن الناصر محمد بن قلاوون ، وكانت كلها عمائر فارهة ، حوت ألوانا من الفنون والصنائع البديعة ، واقتبست كثيرا من عناصر اشتهرت بها العمارة الاندلسية ، وأهم هذه العناصر ، طرازات الجص المشغول بالتوريق ، وطرازات الكتابة النسخية أو الكوفية ، ذات الخلفيات المورقة .

وهكذا نعود الى حرية حركة الفنون وعناصرها بين بلاد الاسلام .
أما المثال الثانى ، فلا تخلو قاعة من قاعات الحمراء منه ، قصائد قالها ابن زمرك الوزير الغرناطى ، فى مدح سلاطين بنى نصر بن الاحمر ، آخر من حكم فى الاندلس عامة ، وغرناطة خاصة من ملوك المسلمين .

والكتابة كلها من الخط النسخى المغربى على الوجه الاغلب ، ذى الحروف اللينة والقوائم المستطيلة السامقة ، قريب من النسخ المملوكى مع ليونة أكثر من صاحبه ، والخلفيات هنا أوراق مفصصاف تعانقت وانفردت ، وتزاوجت وانفرجت ، وانثنت حينا ثم اعتدلت ، فى تشكيل ذى مستويات ثلاث تحت مستوى الكتابة ، حفرت على الجص فى رقة ودقة رائعة ، وزاد من روعتها ما سبق أن ذكرته من تصوف الفنان ، حتى جعل التوريقات سطوحا مخرمة تخريما قوامه لفظ الجلالة — اسم الله

الأعظم — في سلسل وتتابع وانسياب يدل على تمكن فني مريد ، أبى الزمن أن يقربه بالفناء ، لاحتوائه اسم الله ، يسبح به ربه كل من رآه ، رغم مرور قرون أربعة أو تزيد ، ورغم هشاشة المادة التي شكلته وهي الجص ، ولا شك أن عوامل الصيانة من قوم أدركوا القيمة الفنية لهذه الروائع ، يجنون من ورائها الذهب السائل من أيدي سائحين ، يفسح تعدادهم ٣٠ مليونا .

هذا غير جامات الكتابة الكوفية ، بالعبارة المشهورة هناك « ولا غالب الا الله » و « الحمد لله على نعمة الاسلام » في تراكيب متشابكة ومضفرة تضفيرا رائعا خلفياتها بسط التوريق المحرم ، تسبح أوراقه باسم الله العظيم .

واذا كانت الخلافة العثمانية قد ورثت جزءا من الميراث الاسلامي عنوة أو اختيارا ، وبالتالي جمعت فنون المسلمين وفنانيهم ، فان التوريق ظل خلف كل جهد لفنان ، في كتاب من الجلدة الى الجلدة كما يقول المثل العامي ، أو أي نوع من أنواع المشغولات الفنية من نجارة وخزف ورخام وتطعيم وتكفيت وتلبيس .

وما زال قرة عين كل محب لفن ، قوامه التصوف والتسبيح لصاحب الكون رب الابداع من ورقة الشجرة أو الزهرة الى المجرات في كبد السماء (٥) .



---

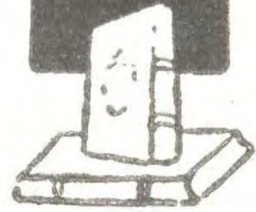
١) « مسالك الامصار » للعمري ج١ ص ١٢٥

٢) « وفاء الوفى » للسمهوري ج١ ص ٢٥٥ ، فتوح البلدان للبلاذري ص ٦ .
على سبيل المثال لا الحصر

٣) M. S. Dimand : A handbook of Mohammadan Art.
Metropolitan Museum of art. New-York P. 69.
Moorish Tpain by Enrique Sordo P. 139

٤) « المدخل الى مساجد القاهرة ومدارسها » للدكتور احمد فكري .

٥) ليس ذلك من سبيل التعبير الانشائي ، ولكنه اشارة الى عنصر آخر من فنون الاسلام هو الزخارف والتشكيلات الهندسية ذات التكوين النجمي ، التي عجز عن حصرها النقاد والمشتغلون بالفنون .



والموعد الله

تأليف : الأستاذ خالد محمد خالد
عرض وتحليل : الأستاذ محمد عبد الله السمان

ما إن فرغت من قراءة الكتاب الذى نشرته مكتبة الزهراء بالقاهرة كأحدث إنتاج للاستاذ خالد ، حتى تساءلت :

أين يقف الاستاذ خالد اليوم ؟ وإلى أين يتجه ؟

يمكننا أن نعتبر هذا الكتاب لونا جديدا للاستاذ خالد مع شىء من التحفظ ، فقد اتجه فى السنوات الأخيرة الى الدراسات التحليلية لبعض الشخصيات الاسلامية التى لها فى نفوس المسلمين إجلالها ، وفى قلوبهم مكانتها ، وفى أذهانهم قداستها : قدم لنا : انسانيات محمد — بين يدى عمر — وجاء أبو بكر — فى رحاب على — وداعا عثمان — أبناء الرسول فى كربلاء — معجزة الاسلام عمر بن عبد العزيز ، بالاضافة الى : معا على الطريق ، محمد والمسيح ، ثم رجال حول الرسول .

والكتاب الاخير « رجال حول الرسول » صدر فى خمسة أجزاء فى أحجام كتبه المعروفة ، وليست الدراسة فى هذا الكتاب ترجمات وافية عن النماذج التى اختارها من أصحاب رسول الله — صلوات الله وسلامه عليه ، وإنما هى دراسة تحليلية عن بعض جوانب العظمة فى أشخاصهم، وكتابه الاخير : « والموعد الله » الذى بين أيدينا ، هو أيضا دراسة تحليلية ، اختار لها نماذج من رجال التصوف فى مراحله الأولى والمتوسطة .

إذن فكتابه الجديد هذا لون جديد لانه — وحسب — قد اختار نماذجه من صنف جديد من الناس ، وهو فى نفس الوقت ليس لونا جديدا من حيث المنهج ، فهو دراسة تحليلية سبق له أن مارسها فى كتابه الذى أشرت اليه : « رجال حول الرسول » مع فارق شبه جوهرى ، هو أن الاستاذ خالد فى كتابه « رجال حول الرسول » كتب دراسة تحليلية

عن جوانب العظمة في النماذج التي اختارها . وهـذه الجوانب بمثابة مفاتيح لشخصياتهم . أما في كتابه الأخير « والموعد الله » فقد كتب دراسة تحليلية أيضا . لكن عن أحوال نماذجه التي اختارها . تكشف عن شفافية أرواحهم . وصفاء أذهانهم . ونقاء نفوسهم .. ثم خلاصة فلسفتهم في الحياة . وهي فلسفة تنم عن سلبية في حل ظروفها .

ممن هؤلاء ؟ يقول الأستاذ خالد في مقدمة كتابه :

« من المؤمنين رجال نعتهم الرسول عليه السلام بأنهم : « أهل الله وخاصته » أولئك الذين تبتلوا لله . وحملوا بايمانهم وفي قلوبهم نور القرآن الكريم . لم يلههم في طول الدنيا وعرضها شيء عن ذكر الله .. بل نذروا لله حياتهم . وأسلموا إليه وجودهم . واتخذوه وكيلا » .

وما يريد أن يقول المؤلف في هذا الكتاب ؟

يقول : إن هذا الكتاب . ليس تاريخا لهم . ولا تقديما لسيرهم . إنما هو محاولة لرؤية أفكارهم وفلسفتهم تجاه طائفة من القضايا التي يتعلق بها مصير الانسان وخلاصه .. ومن خلال الكلمات الفاتحة والمضيئة التي عبروا بها عن أنفسهم . وضمنوها فكرهم العميق والعريق . نحاول تحقيق الغرض الذي انعقد عليه عزم هذا الكتاب » .

أما هذا الغرض الذي انعقد عليه عزم الكتاب . فقد أوجزه المؤلف في عبارتين موجزتين ذيل بهما عنوان كتابه :

كيف يفكر أهل الله ؟ وفيم يتحدثون ؟

يرى المؤلف أننا أمام هذا الرعيل الكريم من أهل الله وخاصته . إنما نلتقي منهم وعنهم طرازا فريدا من التجربة الانسانية المفعمة بروعة المعاناة . وعظمة الوسيلة . وجلال الغاية . ومهما يكن الخلاف أو يطل الحوار حول منهجهم فهناك حقيقة تفرض نفسها على أولي الألباب الذين يسعهم دوما أن يعرفوا : تلك هي أن التجربة الروحية السلوكية التي شكلت حياة أولئك الأبرار . ليس لها من طراز سواها .. وأن حظها من الصدق حظ فريد .. وأنها كانت — وستظل — تحمل من الرؤى ما ليس للروح الانساني عنه غنى . وتحمل من الثراء العلوي مالا يبدد منه الشمس سواد » .

والاستاذ خالد يصور لنا أحوال أحبابه من أقوالهم . غير مستوعب كل أقوالهم . أو حتى جاء منها في هذا الكتاب بالكثير . وإن كان — كما يقول — تتبع الكثير الباهر من أقوالهم في مصادر شتى ، ثم راح يستلهم هذه الاقوال ما تنطوي عليه من فلسفة وأفكار . ثم ما تطرحه من قضايا واتجاهات .

وبالطبع لم يضع المؤلف في اعتباره البحث عن قيمة مصادره الشتى التي التقط منها بعض أقوال القوم . على الرغم من اعتباره هـذه الأقوال فلسفات وأفكارا . واتجاهات وقضايا . فاذا سايرنا المؤلف في اتجاهه . كان علينا أن نشير — في إيجاز — الى هذه القضايا التي رآها المؤلف مرجمة عن أفكار القوم وفلسفتهم . والتي كاد يحصرها في :

● الله هو الغاية : من أشواقهم إليه يبدأون .. وإلى مثولهم بين يديه ينتهون . فاذا كان سبحانه « الآخر » الذي يقطعون الاعمار وثبا في السفر الى رضوانه وجلاله . فهو أيضا .. « الأول » الذي يبدأون الرحلة

من دعوته ومشيئته وتوفيقه . ومن إرادته التي تقول للشيء : كن فيكون .. ومن حوله وقوته اللذين لولاهما ما قدر أحد على حركة أو على سكون .. أما متطلبات هذا الطريق فأولها أن يسقط المريد إرادته . فالشيخ الواسطي يقول : « أول مقام ينزله المريد . هو إرادة الحق باسقاط ارادته » ثم التجرد من النفس . فالتخلي عن النفس أمثل طريق لاستبقاء النفس وإعلائها . ثم الاشتغال بعيوب النفس عن عيوب الغير . ثم التواضع حتى لا يكاد المريد يرى لأعماله الصالحات مقاما .

● الوفاء لله : فأهمية العبادة عند القوم . أنها تمثل أوضح ملامح الإنسانية في الانسان « الوفاء » والذى لا وفاء له لربه . إنسان ضاعت انسانيته في زحمة الظلمات .

● العلم والمعرفة : فأهل الله لا يعبدون الله اعتباطا . ولا يمارسون العمل الصالح عن جهالة .. لا . بل إنهم ليقدسون المعرفة والعلم والحكمة . ويسعون إليها جميعا . بنفس القدر الذى يقدسون به العبادة والطاعة . لكن العلم عند أهل الله ليس مسألة تحصيل . بل محاولة لرؤية الحقيقة من داخلها . يؤكد القشيري ذلك بقوله : « هناك علم اليقين، وعين اليقين . وحق اليقين : فعلم اليقين لأرباب العقول . وعين اليقين لأصحاب العلوم . وحق اليقين لأصحاب المعارف » .

● الزهد والورع : هذه النعمة التي أفاء الله بها عليهم . تخصصوا فيها وعرفوا بها . فلقد كان موقفهم من مناعم الحياة . بل . ومن ضروراتها مثار العجب . والحديث الطويل من الذين عنوا بدراسة تاريخهم . ولقد بهروا بطريقة استغنائهم عنها . وزهدهم فيها .. ويسترسل المؤلف في هذه القضية فقد وجد مجالا فسيحا في مصادره من كلمات القوم وأحوالهم . ينقل إلينا قول أبي حازم : « ما مضى من الدنيا حلم .. وما بقى منها أماني » أما مسروق بن عبد الرحمن فقد أخذ ابن أخ له . وصعد به كومة عالية . كان الناس يتخذون منها ملقى لكناستهم وزبالتهم . ولما ارتقياها قال له : ها هي ذى دنياهم تحت أقدامنا : أكلوها فأفنوها، ولبسوها فأبلوها . وركبوها فأنضوها . سفكوا من أجلها دماءهم . واستحلوا فيها محارمهم . وقطعوا فيها أرحامهم » .. وأما مالك بن دينار . فلست أدرى أى لون ما فعله من ألوان الزهد ؟ فقد وقع حريق كبير بالبصرة ذات يوم . وعصف الهلع بالناس . لكن مالك بن دينار . أخذ بطرف ردائه ومشى في شوارعها لا يلوى على شيء وهو يقول : « هلك أصحاب الأثقال » ! .

● الجهاد : إن إحساس المؤلف بأن هذه القضية لم تكن لتشغل القوم جعله يقول : « ولقد كان الظن بهؤلاء الذين لاذوا بشعاف الجبال فرارا بأنفسهم من الفتن . أن يحصروا جهادهم في جهاد النفس .. لكن « أهل الله » وقد تحقق لهم « التكامل الديني » على أفضل نسق . لم يكن يفوتهم لله واجب » فهو يراهم نماذج كاملة بحق . فهم فوق أرض القتال أكثر المقاتلين غبطة بالموت واستبسالا فيه . كما يرى أن أفكارهم وكلماتهم عن هذه القضية أفكار وكلمات أبرار .. بلغوا الذروة في حسن الفهم عن الله . والفهم لدينه .

● الاعتزال لا العزلة : « أهل الله » لم يعرفوا العزلة ، لأنها موقف جانح يحمل صاحبه على الانسلاخ من الجماعة ، وإنما عرفوا — فقط — الاعتزال ، فهو نوع من المراجعة ، يراجع المرء بها نفسه ، والناس الذين يصحبهم ويعيش بينهم ، فبمراجعة نفسه يعتزل ما يقترف من خطيئة أو نفور عن الطاعة ، وبمراجعة الناس ، يعتزل منهم الفاسد ، وكل من لا يكون عونا له على العبادة والخير .

● وأخيرا : الموعد الله : كما بدأت مسيرتهم من الله ، ينتهي مسراهم ومعراجهم اليه سبحانه ، ويذكر المؤلف أنه لو أراد تلخيص حياتهم ومنهجهم في عبارة واحدة لكانت « التجرد لله » وهذا التجرد لله ، والفناء في جلاله ، هو عندهم « جوهر الحرية » لأنهما : — التجرد والفناء — يعنيان أن صاحبهما لم يعد رقيقا لشيء من أشياء الحياة وعلاقاتها ، وأنه قد صار كما يقولون : « فردا .. لفرد » .. هو ، والله .. فأي سيادة هذه ، وأي جلال !! إن هذا التجرد يعني عند « أهل الله » أن الشخصية الباطنة للمتجرد قد اتصلت بخطوط مباشرة مع الملأ الأعلى ، بعد أن حققت أعلى درجات الانتصار في حياة السريرة والضمير ، ويسوق المؤلف إلينا كلمات « بشر الحافي » : « من أراد أن يذوق طعم الحرية ، ويستريح من العبودية ، فليطهر السريرة بينه وبين الله تعالى » وهذا هو التجرد لدى المؤلف ، والذي هو بدوره الالتزام الأساسي للسائرين الى الله .. وهو ليس ترفا روحيا .. بل فريضة محكمة ، لأنه التعبير الصحيح عن توحيد الله .. بل إن المؤلف يذهب بالتجرد لدى القوم الى مدى آخر متجاوزا شبه المنطقي المقبول ، فلا يقف بالتجرد عند حدود تجريد النفس عن رؤية الأغيار كافة ، بل تجريد النفس من رؤية ذاتها حتى وهي في أبهى فضائلها ، حتى تصل الى حقيقة التوحيد ولبابه ، وآية ذلك التجرد ماثلة فيما يقول ابو عبد الله القرشي : « ألا يبقى لك منك شيء » وآيته كذلك ، تعرية كل قوى الحياة من طاقاتها المستعارة ، والرجوع بفاعلية الأسباب إلى مصدرها الحق سبحانه وتعالى .

ولست أدري كيف يهضم الإنسان ما استشهد به المؤلف من كلمات « ميمون بن مهران » :

« يقول أحدهم : اجلس في بيتك .. وأغلق عليك بابك ، وانظر هل يأتيك رزقك » ! نعم والله ، ليأتينه رزقه ، ولو أغلق عليه بابه ، وأرخى ستره ، إذا كان معه مثل يقين « مريم » و « ابراهيم » عليهما السلام » .

ولا كيف يستسيغ بعضا مما ورد في كتاب الاستاذ خالد من اتجاهات سلوكية للمتصوفة — أو بمعنى أدق — لكثير منهم ، وبخاصة فيما يتصل باضطهاد الحياة ، فاذا أردنا تطبيق ذلك على عهد أصحاب رسول الله — صلوات الله عليه ، خرجنا بإحدى نتيجتين لا ثالث لهما : إما أن يكون هؤلاء المتصوفة أكثر فهما لروح الشريعة ، وإما أن يكون الله قد خصهم بدرجة لم يخص بها أصحاب رسول الله في مجال الايمان والمعرفة .

لقد حاول الاستاذ خالد أن يضفي على القوم الصوفية قيما دون أن يراعي مدى مطابقتها لواقعية الاسلام تجاه الحياة ، وقد استطاع بلباقته أن يجنب كتابه كثيرا من الشطط الذي ساير سلوك عديد من القوم ، وهذا

الشطط غصت به نفس المصادر التى التقط منها الكلمات والسلوك معا ، ليس معنى هذا ان ننكر أقدار الرعيل الاول من الصوفية قبل أن تشوبها أفكار دخيلة وانطباعات ذاتية غريبة لا تقرها روح الشريعة ، وانما المقصود أن تكون دراستنا للتصوف سلوكا وأقوالا تتميز بشيء من التجرد ، فالاستاذ خالد حول سلوك القوم واقوالهم الى قضايا وفلسفات — لا أظن انها كانت تدور بخلد القوم ، أو تسيطر على أذهانهم .

تقول كتب القوم : إن ابراهيم بن ادهم — وهو من أعلامهم — عزم على أن يحج لله ماشيا ، وأن يصلى بين كل خطوتين ركعتين لله ، وقطع فى رحلته أربعين عاما من حياته ، كما تقول هذه الكتب أيضا : إن القلانسى تزوج ، وبقيت زوجه فى عصمته ثلاثين عاما ، ثم مات عنها وهى لا تزال بكرا .. لأن العبادة قد شغلته عنها .

وتذكر كتب القوم على لسان الحصرى : ان الصوفى عنده هو الذى لا تقله الارض ولا تظله السماء .. « وعلى لسان الشبلى من اصحاب الجنيد : ان التصوف ، هو العصمة عن رؤية الكون » وعلى لسان سهل التسترى : « ان الصوفى من يرى دمه هدرا ، وملكه مباحا » وعلى لسان ابى سهل الصعلوكى : « أن التصوف هو الإعراض عن الاعتراض » .

أما سلوك القوم كما ترويها كتبهم فلها العجب ، هذا الجنيد « سيد الطائفة » كما قيل ، يطلب التين ، ولم يكد يضع واحدة فى فمه حتى يلقيها ويأخذ فى البكاء ، فقد هتف به هاتف : أما تستحى .. تركته من أجلى ثم تعود اليه ؟! بل يروى عن الجنيد أنه كان يدخل كل يوم حانوته ، ويسبل الستر ، ويصلى أربعمائة ركعة .. ثم يعود الى بيته .. بل إن الجنيد كان يحقر عمله إزاء عمل السرى السقطى ، فيقول : « ما رأيت أعبد من « السرى » أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رؤى مضطجعا إلا فى علة الموت .. !

.. .. ..

وبعد — فقد كان الهدف من كتاب الاستاذ خالد أن يقدم نماذج من القوم طيبة ، ويبرز محامدها كما تصورها هو ، محاولا أن يؤكد منها اثنتين كانتا قلقتين فى تاريخ القوم ، هما الاشتغال بالعلم وبالجهاد ، ثم يدفع عن نماذجه شبهة العزلة عن الحياة ، والاستاذ خالد سار على مناهج الذين سبقوه الى الكتابة عن القوم ممن يحسنون الظن بهم ، وهؤلاء — كما يقول الاستاذ عبد الكريم الخطيب فى كتابه «نشأة التصوف» سمحت لهم طبيعة التصوف أن يضعوا من المناهج ، ويرسموا من الطرق ما يسمح به تفكيرهم ، وما تتسع له مداركهم ، وتسمو إليه اشواقهم ، لأن منهج التصوف منهج متصل بعالم الروح الذى لا تضبطه حدود » .

وعلى الرغم من أن المؤلف قد أمتعنا بجولة روحية على صفحات مؤلفه ، لكن يبقى للقارىء أن يتساءل : أهى مرحلة نفسية انتقالية وقد يتساءل قارىء آخر :

.. أين يقف الاستاذ خالد اليوم ؟ .. بل الى أين يسير ؟!

نصيحة ذهبية

إلى مفكري الغرب وزعمائه

للأستاذ محمود مهدى استانبولى

أيها الغربى ، أخى فى الإنسانية .

تحيات طيبة أبعث بها اليك من الشرق الجميل ، من بلاد العرب ، نبع النور والحكمة .

آملا أن تسمح لى ما دمت أخى فى الإنسانية — أن أقدم لك أعظم هدية ثمينة ، فيها سعادتك وسعادة قومك ، بل وسعادة البشرية جمعاء ، بل خلاصها من كل ما تعانيه من قلق واضطراب وفوضى .

اذكر — يا أخى فى الإنسانية — أن جزيرة العرب كانت تتخبط قبل أربعة عشر قرنا بالضلال ، والانحطاط ، والفساد ، والظلام ، فحدثت حادثة عظيمة استطاعت بسرعة عجيبة أن تجعل من العرب خير أمة أخرجت للناس ، فسمت بأخلاقهم ووحدت كلمتهم ، وجعلت منهم هداة مهديين انطلقت بهم فى ميادين العلم والمدنية ، فخرجوا الى العالم ينقذونه من ظلمات الوثنية ، والجهل .

فأسسوا أعظم حضارة عرفها التاريخ ، كانت سببا فى إنقاذ البشرية كلها من ظلمات الجهل ، والظلم ، بشهادة مؤرخى وعلماء الغرب المنصفين الذين راحوا يطلقون عليها اسم « المعجزة العربية » وهى ظاهرة تاريخية عجيبة تستحق الدراسة للإفادة منها ! . .

إن هذه الهدية هى : الاســـلام !

ولا شك أنه بلغك عن هذا الدين الأخبار الكثيرة ، ولكن أغلبها مشـــوه وكاذب : شـــوهه أناس لا يخافون الله ، قد ماتت ضمائرهم ، غايتهم تضليل الأبرياء ، لتبقى لهم امتيازاتهم ويتسنى لهم امتصاص أموال الناس بالباطل .

كتبت إلىّ بعض الجمعيات الإسلامية فى ديار الغرب ، تطلب منى ان اكتب لها رسالة فى بيان مزايا الاسلام وحاجة الغرب اليه ، تترجمها الى اللغـات الاجنبية وترسلها الى مفكرى الغرب وعلمائه وزعمائه فى مختلف المناسبات تدعوهم فيها للإسلام ، وذلك بنـاء على اقتراح لى ارسلته اليهـا .

واشترطت على الإيجاز فسارعت إلى تلبية الطلب ، وكتبت لهـا الرسالة التالية ، آملا أن يتبناها من يقدر على تنفيذها ، وتعديل ما يراه ضروريا ، والله سبحانه نسأل ان يتولانا بعنايته وتوفيقه .

إن هؤلاء الأشرار يحبون أن يبقى العالم فى شقائه ، فيسعون جهـدهم لتشويه حقيقة الاسلام ، ليظهروه بمظهر سيىء بمختلف وسائل الدعاية الكاذبة، لتنفير الناس منه ، وليبقوا فى ظلام دامس ، وشـقاء مستمر ، مثلهم فى ذلك مثل اللص يحاول — أول ما يحاول — إطفـاء المصباح لتسهل عليه السرقة !

إن هذا المصباح المضيء ، هو الاسلام الذى أضـاء نوره العالم قبـل أربعة عشر قرنا ، فهم يحجبون ضـياءه بمختلف الحيل والأساليب ، ويخوفون جماعاتهم حتى من قراءة صفحة عنه ، لأنهم يعلمون أن حقيقته وعظمته ستجذبهم إليـه فيدخلون فى دين الله أفواجـا .

ليست غايتى الدعاية للإسـلام ، إنما غايتى الأولى هدايتك الى طـريق الحق ، وإنقاذك من الضلال ، ومن الفراغ السحيق الذى تعانيه البشرية كلهـا بسبب النظم المادية التى تعكر حياتها ، وتهدد العالم بحرب هيدروجينية مدمرة نتيجة تركها للاسلام : شريعة الله !

وأهم ما ينبغى أن ألفت نظرك إليه أنك إذا دخلت الاسلام ، فلا تكـون قد تركت ديانة المسيح عليه الصلاة والسلام .

أبدا ! إن الاسلام امتداد للمسيحية الصحيحة ، وإتمام لها ، كمـا أن المسيحية إتمام لشريعة موسى عليه السلام ، هكذا أعلن المسيح عليه السلام فى قوله : « إننى ما جئت لأنقض الناموس ، بل جئت لأتمم » وقال النبى محمد صلى الله عليه وسلم : « إنمـا بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

قال لوزارون (القس ياسنت سابقا) معترفا بأن الإسلام هـو الدين

المسيحي محسنا ومحورا ، ونصح قومه الذين يلتمسون دينهم المفقود أن يستميلوا بالاسلام للعثور على ضالتهم المنشودة .

إنجيل يوحنـــا (١٤ ، ٢٤ ، ٢٥) ، إنجيل مرقس (١٢ ، ٢٨) ، إنجيل مرقس (١٣ ، ٣٢) إنجيل متى (٢٠ ، ٢٣) ، انجيل متى (١١ ، ١١) ، انجيل يوحنا (١٧ ، ٣) ، انجيل متى (٢١ ، ١١) ، انجيل يوحنا (٨ ، ٤) ، انجيل يوحنا (٦ ، ١٤) ، انجيل يوحنا (٥ ، ٨) .

أجل راجع هذه الفقرات وفي مقدمتها ما جاء في (انجيل مرقس ٢ ، ٣٣ حيث يقول المسيح : « الحق قلت : لأن الله واحد ، وليس سواه » !

نجد توحيد الإله الذي جاء به الإسلام واضحا في الأناجيل نفسها ــ كما هو واضح في التوراة ــ مما لا يدع مجالا للشك في أن الله سبحانه واحـــد لا شريك له ، الأحـــد الصمد ، الذي لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ، وأن المسيح عبده ورسوله .

وراجع الفقرات التالية أيضا من انجيل يوحنا ، ومثلها كثير في توراة يوحنا : ١٥-٢٦ ويوحنا : ١٦-١٢-١٣ ، يوحنا : ١٥-٢٣ ، يوحنا ١٦-١٨ .

أجل راجع هذه الفقرات وفي مقدمتها : « إن كنتم تحبونني ، فاحفظــوا وصاياي ، وأنا أطلب من الأب فيعطيكم فارقليط آخر ليثبت معكم إلى الأبد ــ أي خاتم الأنبياء ــ وروح الحق الذي لن يطيق العالم أن يقبله ؛ لأنه ليس يراه ولا يعرفه ، وأنتم تعرفونه ، لأنه مقيم عندكم وهو ثابت بينكم « لأنه مذكور في التوراة والانجيل والفارقليط »(٢) ، روح القدس الذي يرسله الأب باسمي هو يعلمكم كل شيء ، وهو يذكركم بكل ما قلته لكم . والآن قد قلت لكم قبل أن يكون حتى تؤمنوا ! » . أي تؤمنوا بالنبي محمد وتدخلوا في دينه (يوحنا : ١٤ ــ ١٥) وما بعدها . .

بشارات التوراة بمجيء الرسول محمد :

في التوراة عدد كثير من البشارات بمجيء الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، فعلى طالب الحقيقة مراجعتها في الإصحاح (١٨ ــ والفقرة ٢٠) من سفر التثنية ، والإصحاح (٣٢ : والفقرة ٢١) والإصحاح (١٧ والفقرة ٢٠) من سفر الاستثناء ، والإصحاح (٤٩ الفقرة العاشرة) من سفر التكوين ، والإصحاح (٤٢) من كتاب أشعيا ، والإصحاح الرابع والخمسين من كتاب أشعيا ، والباب الثاني من كتاب دانيال والفقرة ٣١ ، وجاء في أشعيا الاصحاح ٦٠ والفقرة ١ــ٧ أجل في التوراة بشارات كثيرة ، وفي مقدمتها ما جاء في الاصحاح الثالث والثلاثين قولـــه « جاء الرب من سيناء ، وأشرق لنــــا من ساعير ، وتـــلألأ من جبـــل فاران » وفي الترجمة العربية المطبوعة عام ١٨٤٤ بالاضافة الى ما ســـبق « ومعه الوف الأطهـــار » .

فمجيئه من سيناء إعطاؤه التوراة لموسى ، وإشراقه من ساعير إعطاؤه الإنجيل للمسيح . وتلألؤه من جبل فاران إنزاله القرآن على الرسول محمد .

ويمكن أن نستدل على أن فاران هي الحجاز بما جاء في التوراة على أن هاجر زوجه ابراهيم وأم اسماعيل سافر بها زوجها وأسكنها برية فاران ، ومما هو ثابت في التاريخ أن هذه الهجرة كانت الى الحجاز ، وقاموس الكتاب المقدس نفسه ، يفسر فاران : بالحجاز .

وقوله « ومعه الوف الأطهار » يقصد صحابة الرسول محمد الذين رباهم

فكانوا أمثال الطهر والأخلاق المثاليه والجيل المثالى العظيم .
لقد بشرت التوراة والانجيل بمجىء نبى بعد المسيح (عليه السلام) الذى ذكر قاعدة لتميز الرسول محمد عن الأنبياء الكذبة فقال : **« من ثمارهم تعرفونهم »** وهل أعظم من الآثار التى جاء بها النبى محمد من عند ربه ؟!
وفى مقدمتها : القرآن العظيم الذى لا يزال معجزته الخالدة على مر العصور، وقد تحدى الله سبحانه البشر أن يأتوا بمثله ، وأن يجدوا فيه عيبا أو مخالفة للبديهيات العلمية الثابتة بعد مرور أربعة عشر قرنا على نزوله ، ولم يقتصر الامر على ذلك ، فإن فى هذا القرآن عددا كثيرا من الآيات التى سبقت العلم ، مما لا يدع مجالا للشك انه من عند الله . بينما جاء فى كتب بعض الأديان الأخرى من المهازل والسخافات والمتناقضات للعلم الشىء الكثير !
هذا وفقرة « من ثمارهم تعرفونهم » التى وردت فى الإنجيل ، وقد مر ذكرها ، فإنها علاوة على إشارتها إلى ما سبق . فانها تدل أيضا على وعد السيد المسيح بمجىء الرسول محمد . وأن اليهود ، والنصارى . كانوا ينتظرون مجىء هذا النبى .
إن اليهود المعاصرين للمسيح كانوا منتظرين نبيا آخر مبشرا به . وكان هذا المبشر عندهم غير المسيح ، بدليل أنهم سألوا يوحنا قائلين : أأنت المسيح ؟ ولما أنكر سألوه أأنت إيليا ؟ ولما أنكر . سألوه : أأنت النبى المنتظر الذى أخبر به موسى . مما يدل على أن النبى محمدا كان منتظرا مثل المسيح وإيليا . ولكن لعن الله المحرفين والمضللين الذين يخفون الحقيقة !!
إنك تتأكد مما سبق أن السيد المسيح قد أخبر وبشر بمجىء الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بصورة صريحة لا تدع مجالا للشك ، وحض على اتباعه ، وسرعة الإيمان به ، والدخول فى دينه .
فما عليك إلا أن تؤمن به وتدخل فى دين الإسلام .
واذكر بهذه المناسبة أن الإسلام قد أشاد بعظمة المسيح ، ورفع من شأنه، وأمر المسلمين بالإيمان به ، وأثنى على أمه مريم الصديقة ، فى آيات .
إن البشرية اليوم بحاجة إلى الاسلام ، بعدما أفلست جميع تشريعاتها ومذاهبها .
إن الاسلام قادر على حل جميع مشكلات الغرب ، بل مشكلات العالم بأسلوب طبيعى ، وإنقاذه من القلق والفوضى والهلاك الذى يهدده ، بسبب مذاهبه المنحرفة ، التى سببت النزاع بين جماعاته ، ذلك النزاع الذى يوشك أن يتحول إلى حرب هيدروجينية تعرض العالم والحضارة إلى الفناء .
إن الاسلام يرسم للعالم طريق السعادة الحقيقية ، ويقدم له الحلول السريعة لمشكلاته كما اعترف بذلك كبار الساسة ، والعلماء ، والمؤرخين المنصفين فى الغرب والشرق .

القوانين الطبيعية والتشريع السماوى :

اذكر — يا أخى فى الانسانية — أن الله العظيم قد وضع فى هذا الكون لتنظيم العلاقة بين البشر والطبيعة قوانين مادية ، فلا بد للإنسان من الخضوع لها إذا أراد أن يستفيد من الطبيعة ، وإذا خالف هذه القوانين عرض حياته للشقاء والانحطاط .

واذكر إلى جانب ذلك أن الله — سبحانه — وضع ايضا قوانين تشريعيه لتنظيم العلاقة بين البشر بعضهم ببعض ، وهي ما سمى الدين — فلا بد للإنسان من الخضوع لها إذا أراد أن يعيش سعيدا راقيا فى حياته . وإذا خالف هـــذه التشريعات عرض حياته للشقاء والهلاك .

وما تعانيه البشرية اليوم من فوضى ، وانحلال ، وحـــروب ، وفساد ، ما هو الا نتيجة مخالفتها للتشريعات الإسلامية الإلهية ، واعتمادها على تشريعات وضعية كانت سببا فى شقائها ، فكما أن الإنسان لا يقدر أن يعدل قوانين الإله الطبيعية ، كذلك لا يستطيع أن يعدل قوانين الإله التشريعية التى انزلها عن طريق رسله إلى البشرية .

ويمكننا أن نقول أيضا : إن البشرية إذا كانت عاجزة عن وضع القـــوانين بينها وبين الطبيعة وقد وضعها الإله ، وفرض عليها اتباع هذه القوانين ، فهى عاجزة كذلك أن تضع القوانين التشريعية بين افرادها أنفسهم لاسباب وأسرار يطول الكلام عليها ، وقد وضعها الإله وفرض على هذه البشرية اتباعها . .

وقد جرب الفلاسفة ، والعلماء ، والساسة ، وضع مثل هذه القوانين قبل عهد أرسطو ، وأفلاطون ، الى عهدنا هذا ، ففشلوا جميعا ، بعدما عرضوا شعوبهم بسببها الى الفوضى والهلاك .

فهذا أفلاطون (٤٣٠ — ٣٤٨ ق.م) فى كتابه (الجمهورية) ، وهـــذا كنفوشوس (٥٥٠ — ٤٧٩ ق. م) فى كتـــابه (الحوار) ، وهذا الفـــارابى (٨٤٠ — ٩١٩) فى (آراء المدنية الفاضلة) ، وهذا توماس مور (١٤٧٨ — ١٥٣٥) فى كتابه (يوتوبيا) ، وهـــذه النازية ، والفاشـــــية ، والرأسماليـــة ، والديمقراطية ، والشيوعية كلها قد انهارت ، وتنهار ، تاركة وراءها أسوأ الآثار والجرائم ، بعد ما أنهكت البشرية فى حروب طاحنة خلال نصف قرن من الزمن .

ولله در شـــوقى فقد خاطب الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم فقال يشير إلى الاسلام :

داء الجماعة من أرسطاليس لم   يوصف له — حتى أتيت — دواء !

وكل ذلك من الأدلة الواضحة على حاجة البشرية الى الإسلام ، وانـــه لا بد لها من الدخول فيه ! جرب أن تقرأ عن الاسلام ، ولو صفحات قليلة من مصادر موثوقة ، حاول أن تطالع القرآن العظيم باللغة العربية إن كنت تحسنها ، أو من الترجمة الصادقة ، فإنه لا شك سيجذبك إليه لدراسته بتفصيل ، إذا خلعت عنك رداء التعصب الذميم ، والتقليد الأعمى ، والتربية الحاقدة ، التى تربيت عليها .

قبل أن اودعك ، فإنى استصرخ ضميرك أن تسارع الى دراسة الإسلام من مصادره الصحيحة : من القرآن ، وحديث الرسول محمد ، فإنه فى ذلـــك نجاتك ، ونجاة قومك ، ونجاة البشرية جميعا ، من القلـــــق ، والاضطراب ، والهلاك فى الدنيا ، وعذاب الله فى الآخرة .

واذكر أن مئـــات الغربيين المفكرين المنصفين من جميع الدول الاوروبيـــة والأمريكية دخلوا ويدخلون فى الإسلام واثنوا عليه ، وشهدوا بأن باستطاعته حل جميع مشكلات العرب بسرعة وانه — لا شك سيكون دين الغـــربيين فى

الوقت القريب . فما يمنعك أن تكون واحدا منهم فتنال سعادة الدنيا والآخرة .
واذكر في الختـام أننا قـد بلغناك دعوة الإسلام . فأصبحت مسؤولا أمام الله عن الإيمان به . كما دعـاك إلى ذلك السيد المسيح عليه السلام . ولا تنسى في هذه المناسبة أن الإسلام غير المسلمين اليوم . فهم لا يعطون صورة صحيحة عنه . وهو غير مسؤول عن تأخرهم وضعفهم وانحطاطهم . بعـد أن تركوا التمسك به بحق . بسبب إهمالهم وانجرافهم في دعاية المستعمرين والمبشرين ضـــده .

ولا تنسى أيضـا أن المسلمين لما تمسكوا بالإسلام تمسكا صحيحا وقويا . وحدهم بعـد فرقة . وقواهم بعد ضعف . ومدنهم بعد تأخر . وجعل منهم خير أمـة أخرجت للناس . ولما تركوه انهاروا وخذلوا . يشهد على ذلك التاريخ !
بعكس الحال في النصرانية بسبب تحريفها فإن الأوروبيين لما تمسـكوا بها قد تأخروا وعاشوا في العصور الوسطى المظلمة في الغرب . والمتلألئة الراقية في الشرق بسبب حكم الإسلام ومبادىء الإسلام .

إن العالم اليوم يعيش في جاهلية مدمرة . وفوضى رهيبة . كما كـان يعيش قبل بعثة الرسول محمد . وكلما تقدم الزمن . كلما فقد سعادته . وزاد في شقائه . وليس سوى الإسلام المنقذ والمخلص الوحيد .

زعـامة العـالم :

وبمناسبة الحديث عن الاسلام اذكر أن زعامة العالم في هذا الدين العظيم لن تكون للعرب خاصة ، إنما تكون لأكثر الناس صلاحا وإنتاجا وتطبيقا لمبـادىء الإسلام التي هي مبادىء الحق ، والقـوة ، والخير ، والسلام . والجمال .

ان أول ما ينادي به الإسـلام من أجل تحقيق السلام على الارض . وإثارة الضمير الإنساني . لنه يعلن في مناسبات كثيرة أن البشرية ترجع في أصلها إلى نسب واحد وأبوين مشتركين . وإذا حكمنا العقل نجد أن كل ضرر يلحـق بإحدى الجماعات البشرية ينتقل إلى الجماعات الأخرى بطريقة مباشرة ، أو غير مباشرة . مما يدعوهم إلى المحبة ، والوئام ، والسلام .

وهذا المفهوم إذا كان غريبا في القديم ، فإنه اليوم بعد اختراع وسـائل النقل السريعة العجيبة والاذاعة والتلفزيون والهاتف والبرق .. أصبح مقبـولا وضروريا ، فقد غدت الكرة الأرضية كوطن واحد ، أو بلد واحد ، وغدا سكانها كأسرة واحدة ، أو كشعب واحد ، فهل رأيت أسرة واعية أو شعبا مفكرا ينشـأ بين أفراده النزاع والخصام ؟

وبعد هذا النـداء يعلن الإسلام . أنه لا بد لهذه المجموعة الإنسـانية الواحدة من تشريع عظيم موحد ، يعلمها حقوقها وواجباتها كيلا تختلف ، ولا تتنازع فإنه ليس كاختلاف الناس في القوانين ، والمعارك ، سبب في النزاع ، والخصام .

موضع لهم نظاما راقيا ينطلق بهم في ميادين الرقي ، والفضيلة ، والسعادة ، والسلام ، فلا نزاع ، ولا ظلم ، ولا حرب ، ولا جحود ، ولا تأخر .

وليس هذا الكلام دعاية فارغة ، فقد طبق الإسلام منذ قرون سابقة ، فحقق جميع هذه الأهداف بشهادة المنصفين من الغربيين ، وأوجد مدنية دمشق ، وبغداد ، والأندلس ، فكانت سبب مدنية الغرب وإعجابه .

آه ! ما أحوج الغربيين اليوم الى الإسلام ليعلمهم الحياة السعيدة الراقية التي لم يذوقوها حتى الآن ، صحيح أنهم طاروا في السماء ، وغزوا القمر ، ولكنهم ويا للأسف — لم يعرفوا حتى كيف يعيشون على الأرض بسعادة وسلام ، فكانت هذه الاختراعات والاكتشافات سبب شقائهم ، وباتت تهددهم بالدمار والفناء .

اذكر على الدوام أن محمدا رسول الله كما وصف نفسه — رحمة مهداة من الله الى الإنسانية ، وقد بعثه ليخرج الناس :

١ — من عبادة المخلوق إلى عبادة الله وحده .
٢ — ومن ضيق الدنيا إلى سعتها .
٣ — ومن جور الأديان إلى عدالة الإسلام .
٤ — ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث .

واذكر في ختام هذه الرسالة ان البشرية اليوم منقسمة الى معسكرين متخاصمين ، ويوشك أن تقع حرب مدمرة بينهما بسبب اختلافهما في الفردية والجماعية ، في الراسمالية ، والشيوعية ، وفي الروحية ، والمادية ، ولا يمكن توحيد هذين المعسكرين والتوفيق بينهما إلا بالإسلام ، فهو وسط بين الراسمالية ، والشيوعية ، وبين الفردية ، والجماعية ، وبين الروحية ، والمادية .

تعال نصلي إلى الله تعالى ، وندعوه أن يجمع البشرية على دين واحد صحيح ، يوحد بينها ، ويحقق لها السعادة والرقي والسلام .

---

(١) راجع تاريخ الامام محمد عبده ٢/٤١٠ ، وأرجو بهذه المناسبه مراجعة المجلد ٣٨ العدد ٧ الصادر في ابريل نيسان ١٩٦٥ من مجلة لايف الامريكية حيث يثبت كبار العلماء الغربيين حدوث التحريف في التوراة والانجيل .

(٢) ترجمت هذه الكلمة الى اليونانية بلفظ (بيركلوطوس) أو باراكلوت فكانت بمعنى محمد واحمد ، كما هو واضح في الانجيل المطبوع اعوام ١٨٢١ و ١٨٣١ و ١٨٤٤ ثم حرفت ويا للاسف لاضاعة الحقيقة وترك البشرية في الضلال والفوضى .

أصول منهج الفكر الإسلامي

١

للدكتور : محمد عبد الستار نصار

● تختلف وجهات النظر فى تقويم منهج الفكر الإسلامى ، فبينما يذهب البعض الى تأكيد تبعيته للفكر الأجنبى ، وعلى الأخص الفكر اليونانى ، يذهب آخرون الى أصالته، وعدم تأثره بأى فكر دخيل ، وبين هؤلاء وأولئك فريق ثالث يرى أن الفكر الإسلامى — ككل فكر إنسانى — مدين فى منهجه لكثير من عناصر الفكر الأجنبى ، ولكن بعد أن ألبسها روحه، بحيث أصبحت متفقة مع البيئة الإسلامية .

● ولكل فريق من هؤلاء أدلته التى يعتمد عليها فى تأكيد ما يذهب إليه ، ونظرته الى نوعية من يمثلون الفكر ، أهم أصحاب الاتجاه المشائى الفلسفى أم أصحاب الاتجاه العقلى فى دراسة العقيدة — وعلى الأخص المعتزلة — أم أصحاب الاتجاه المحافظ من بقية المتكلمين والأصوليين ؟ .

● فالذين يرون أن الممثلين للفكر هم الفلاسفة ، يذهبون الى تأكيد فكرة التأثر ، بناء على كثرة العناصر المنبثة فى ثنايا الفكر الفلسفى الاسلامى ، من الفكر اليونانى وبعض عناصر الفكر الشرقى ، ثم لا يحاولون أن يتلمسوا للفكر الاسلامى أصولا نابعة من ذاته ، بل يرون أنه مدين فى شكله العام لمنهج الفكر اليونانى ، وعلى الأخص « منطق أرسطو » .

● ولقد دفع هؤلاء الى هذا الموقف أن هذا المنطق أصبح يحتل — بعد ترجمته — فى عقول كثير من المفكرين مكانا عليا ، كمنهج للتفكير السليم ، متى روعيت قواعده عصم الذهن عن الخطأ فى الفكر ، كما هو التعريف الغائى له ، لدى المعلم الأول نفسه . وما زالت تلك الفكرة تلقى القبول والاستحسان ، حتى فى الأوساط الفكرية الاسلامية ، التى تتسم بطابع

فى التفكير ، يختلف تمام الاختلاف عن طابع التفكير اليونانى ، الذى كان منطق أرسطو منهجه .

● ويبدو أن السبب الرئيسى فى تأكيد هذه الفكرة لدى هؤلاء ، أن طلائع المفكرين الاسلاميين ، من الفلاسفة على اختلاف مشاربهم الفلسفية ، لم يحاولوا أن يقفوا من هذا المنطق موقف الدارس المحص ، الذى يحاول أن يرأب صدعاً أو يضيف جديداً ، بل كانت جهودهم فى شرحه وتقريره وتبسيطه ، ولا يخفى أن ذلك كله ، فرع عن الايمان بقضاياه الأساسية .

● وإذا تجاوزنا المرحلة السابقة على ظهور « الفارابى » كفيلسوف له قيمته ، نجد أن ذلك الفيلسوف قد أشرب حب المنطق الأرسطى ، بحيث ملك عليه أقطار نفسه ، وأخذ بمجامع عقله ، ولعل أكبر شاهد على ذلك ، تلك العناية الفائقة التى لقيها كتاب « البرهان » (١) على يده ، فقد بلغت مؤلفاته وشروحه لهذا الكتاب نحو عشرة كتب ، كلها تدور حول تعميق موضوع « التحليلات الثانية » للمعلم الأول ، باعتبار أن هذا القسم من المنطق هو الغاية من العلم كله ، كما صرح أرسطو نفسه لأنه الطريق المؤدى الى اليقين .

● ولم يقف الفارابى عند هذا الحد ، بل حاول إيجاد نسب بين المنطق — كعلم أجنبى الوضع بغض النظر عن كونه من نتاج العقل العام — وبين البيئة الاسلامية ، فجمع — كما يقول ابن أبى أصيبعة — بعض أقاويل لرسول الله صلى الله عليه وسلم تجيز الاشتغال بالمنطق . وسواء صحت هذه المحاولة أو لم تصح ، فان الذى يعنينا أن هذه الفكرة لم تنشأ إلا كرد فعل لتيار مخالف ظهر فى محيط الفكر الاسلامى ، يرى أن الاشتغال بالمنطق مما يخالف ما جاء به ظاهر الشرع .

● وكأن الفارابى قد أراد بهذه المحاولة أن يسترضى الجماهير والعامة ، وهم فى نظر كل عاقل مكامن الخطر على كل جديد ، لأنهم لم يعرفوا فيقبلوا أو يرفضوا على أساس علمى مقبول .

● ولقد حمل ابن سينا — بعد الفارابى — راية المنطقية الأرسطية فى العالم الاسلامى ، وحذا حذو المعلم الأول فى كل شىء ، بل يكاد يردد ألفاظه وأمثلته ، وليس له من فضل إلا الشرح والاطناب ، وكأنه أراد بهذا المنهج أن ينزل بالمنطق الى مستوى أنصاف المثقفين ، وأن يجعله علما شعبيا إن صح هذا التعبير ، ولقد ظهر هذا بوضوح فى أغلب كتبه المنطقية ، بحيث يجد المطالع لكتب أرسطو المنطقية وكتب ابن سينا فى هذا العلم ، ذلك الفارق الشاسع بين الأسلوبين ، فبينما هو عند المعلم الأول جاف خال من كل تزويق وتنميق لا تساق فيه الأمثلة والشواهد إلا من خلال البيئة اليونانية ، نجده لدى ابن سينا أسلوباً رشيقاً قوياً ، تعلوه الطلاوة ، وتتخلله الأمثلة المستقاة من واقع البيئة الشرقية ، ثم الأمثلة الطبية بحكم اشتغاله بهذا العلم ، كفرع من فروع الفلسفة بمعناها العام .

● على أن تجربة ابن سينا فى إيجاد منطق مخالف فى جزئياته وكلياته لمنطق أرسطو ، تعتمد على تصورات مخالفة لتصورات المعلم الأول ، وهى التى أطلق عليها « منطق المشرقيين » هى أيضا تجربة لم تأت بنتائج إيجابية موضوعية ، وإنما هى فى نظرنا نتائج صورية ، على الرغم من تلك التلويحات التى صدر بها هذا الكتاب، والتى يقول فيها : « وبعد : فقد نزعت الهمة بنا الى أن نجمع كلاما فيما اختلف أهل الحديث فيه ، لا نلتفت فيه لفت عصبية وهوى أو عادة أو إلف ، ولا نبالى من مفارقة تظهر منا لما ألفه متعلمو كتب اليونانيين إلفا عن غفلة وقلة فهم ، ولما سمع منا فى كتب ألفناها للعاميين من المتفلسفة المشغوفين بالمشائين ، الظانين أن الله لم يهد الا إياهم ، ولم ينل رحمته سواهم » . ذلك لأن ابن سينا لم يخرج فى هذا الكتاب على ما ذكره فى كتبه المنطقية ، أو على الأقل فى قسم التصورات ، وهو الذى بين أيدينا من هذا الكتاب .

● ولقد أخذت صورة أثر منطق أرسطو على تفكير المسلمين شكلا آخر على يد حجة الاسلام الغزالى ، فبينما كان ذلك المنطق هو الأصل الذى اعتمد عليه المسلمون فى تفكيرهم لدى كل من الفارابى وابن سينا ، وأنه ليس للمسلمين بإزائه إلا الايمان الكامل بصدق قضاياه ، كأثر من نتاج فكر أرسطو المنظم ، يحاول الغزالى أن يعطى لهذا المنطق صورة اليقين المطلق ، ولكن يربطه بالعقل العام ، فيرى أن الحقيقة العقلية لا تختلف من بيئة الى أخرى ، من ثم كان ما بين المناطقة وبين نظار المسلمين من قبيل التوارد لا من قبيل التأثير والتأثر . ولم تكن المخالفة حينئذ « إلا فى الاصطلاحات والايرادات ، دون المعانى والمقاصد ، إذ غرضها تهذيب طرق الاستدلالات ، وذلك مما يشترك فيه النظار (٢) » .

● ولقد كانت هذه الفكرة أولى الخطوات فى موقف الغزالى من هذا العلم ، ذكرها فى كتابه « مقاصد الفلاسفة » الذى يعتبر تحريراً لمسائل العلم ، الذى ناقش فيه الفلاسفة ، فى كتابه « تهافت الفلاسفة » . وكان عليه بعد ذلك أن يبين رأيه فى هذا الكتاب بشكل أكثر وضوحاً واستيعاباً فقرر : « أن المنطقيات لا بد من إحكامها ، وهذا صحيح ، ولكن المنطق ليس مخصوصاً بهم ــ الفلاسفة ــ وإنما هو الأصل الذى نسميه فى فن « الكلام » كتاب « النظر » فغيروا الى المنطق تهويلا . وقد نسميه كتاب « الجدل » وقد نسميه « مدارك العقول » . فاذا سمع المتكايس المستضعف اسم المنطق ، ظن أنه فن غريب ، لا يعرفه المتكلمون ، ولا يطلع عليه إلا الفلاسفة (٣) » .

● وإذا كان هذا الموقف ينحو نحواً نظرياً ، فقد حاول الغزالى فى كتبه المنطقية التى جاءت بعد هذين الكتابين ــ المقاصد والتهافت ــ أن ينحو نحواً تطبيقيا . من ثم نرى كتاب « معيار العلم » يبدو فى شكل محاولة ممتازة نحو الموضوعية والتطبيق ، تظهر من خلالها المقابلة بين اصطلاحات المناطقة واصطلاحات نظار المسلمين فى كل من التصورات والتصديقات . ومن أجل عدم التلبيس ، يرى الغزالى أن المنهج الأصوب الذى يوصل الى

الحق فى قضايا العلم ، هو أن تسبق معرفة الاصطلاحات المنطقية ومقابلها لدى النظار ، قبل الحكم على قيمة ما عليه الفلاسفة ، ومعــرفة الحق من الباطل مما هم عليه . من ثم يرى أن « من لم يفهم الألفاظ فى آحاد المسائل فى الرد عليهم — فى كتاب التهافت — فينبغى أن يبتدىء أولا بحفظ كتــاب « معيــار العلم » الذى هــو الملقب بالمنطق عندهم » .

● ولقد أخذت محاولة التطبيق هذه شكلا أضيق ، ولكنه أكثر استيعابا من ناحية موازنة الاصطلاحات بين عــلم المنطق ومدارك العقــول لدى نظــار المسلمين ، فى كتاب صغير الحجم ، كبير الفائدة ، ونعنى به كتاب « محك النظر » ، فقد بيَّن فى هــذا الكتاب — على سبيل التفصيل — أن الخلاف بين العلمين لا يتجاوز اللفظ ، فمثلا : ما يسمى فى علم المنطق «الموضوع» و « المحمول » ، هو بعينه ما يســمى لدى الفقهاء والأصوليين بالمحكوم عليه والمحكوم به ، وما يسمى لدى علماء اللغة بالمسند اليه والمسند وما يسمى لدى المتكلمين بالموصوف والوصف . وكــذلك ما يسمى فى المنطــق باسم « القياس » هو ما يسمى عند نظــار المسلمين بطرق الاستدلال .

● وكان الغزالى قد أحس بعد ذلك كله ، أن هذه المحــاولات قد ترضى ذوى الثقافات الخاصة والعقليــات المستنيرة ، فى الوقت الذى يدعى فيه انصــاف المثقفين والعامة أن عــلم المنطق — كعلم أجنبى النشأة — ليس له أساس شرعى . ولقد تجلى هــذا الموقف بشــكل أكثر وضوحــا لدى أصحاب الاتجاه « المحافظ » فى نطاق الفكر الاسلامى ، من ثم نرى الغزالى يحــاول فى كتــابه « القســطاس المستقيم » إيجاد أساس شرعى لهذا العــلم ، وذلك باستخراج صــور الأقيسة المنطقية من القرآن الكريم ،

● وإذا كان القرآن الكريم ، لم يكن على صورة كتاب فنى فى أى علم من العلوم ، لأن له نظما خاصا ، يجعله فى مكانة وحده ، فان على الغزالى أن يستعمل مهارته العقلية فى تدعيــم فكرته ، وقد ساعدته « لغة القرآن » على ذلك ، عندما حــاول استخراج صور الأقيسة المختلفة من بعض آيات القرآن الكريم ، فاذا لم تكن الصورة الظــاهرة للقيــاس مكتمــلة ، فان الاضمار — فىشكل إيجاز أو حذف — اذ كان هو الذريعــة التى استعملها الغزالى فى هذا المقام ، حتى يأخــذ القياس صورته العقلية ، التى تعتمد على مقدمتين وحدود ثلاثة .

● ولقد أطلق الغزالى على الأقيسة اسم « المــوازين » ، « فالقيــاس الحملى » هو ميزان التعــادل ، و « القياس الشرطى المتصل » هــو ميزان التلازم ، و « القياس الشرطى المنفصــل » هــو ميزان التعاند . وميزان التعــادل يجىء فى ثلاثــة أشكال :

(١) أكبــر : وهو الشكل الأول من القياس الحملى .

(٢) أوسط : وهو الشكل الثانى من القياس الحملى .

(٣) أصغر : وهو الشكل الثالث من القياس الحملى .

● والميزان الأكبر هو ميزان الخليل — صلوات الله عليه — الذى استعمله مع « نمرود » عندما ادعى الألوهية . فقال ابراهيم عليه السلام — كما حكاه القرآن — : « ربى الذى يحيى ويميت (٤) » ومفهوم هذه الآية أن نمرود اللعين ، لا يقدر على ذلك حقيقة ، بحيث يستطيع التأثير بالإماتة والإحياء على نفس واحدة ، ولكنه فهم من قول ابراهيم عليه السلام أن عملية الإماتة فى حد ذاتها قد يفهم منها معنى مخالف ، وهى إحياء النطفة بالوقاع وإماتتها بالقتل ، ولقد سجل القرآن الكريم ذلك فى رده على ابراهيم بقوله : « أنا أحيى وأميت » . ولما أدرك ابراهيم عليه السلام أن ذلك يعسر فهم بطلانه ، عدل الى ما هو أوضح عنده فقال — كما حكى القرآن — : « إن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ، « فبهت الذى كفر » ولما كان القرآن الكريم مبناه على الايجاز والحذف ، فان كمال صورة هذا الميزان أن يقال : « كل من يقدر على الشمس فهو الإله — فهذا أصل ، يعنى مقدمة — وإلهى هو القادر على الاطلاع — وهذا أصل آخر ، يعنى مقدمة ثانية ، فلزم من مجموعهما أن الله هو الإله حقيقة . وكبرى هاتين المقدمتين معلومة بالوضع ، فهى ضرورية التصديق ، وصغراهما معلومة بالمشاهدة والعيان ، فهى ضرورية التصديق أيضا ، فيلزم من معرفتهما أن « نمرود » ليس هو القادر على تحريك الشمس ، ويعلم تبعا لهذا أنه ليس إلهاً ، وانما الإله هو الله تعالى .

● وأما الميزان الأوسط — الشكل الثانى — فقد جاء فى القرآن الكريم على لسان ابراهيم عليه السلام فى الشكل — حيث قال : « لا أحب الآفلين (٥) » ، وكمال صورة هذا الميزان أن القمر آفل ، والإله ليس بآفل ، فالقمر ليس بإله . والعلم بصدق هاتين المقدمتين ضرورى ، إذ أن أولاهما معلومة بالمشاهدة ، وثانيتهما معلومة بالضرورة ، وحقيقة هذا الميزان أن كل مثلين وصف أحدهما بوصف ، فسلب ذلك الوصف عن مقام النفى — كما هى طبيعة ذلك الآخر ، فهما متباينان ، وعلى هذا فحد هذا الشكل أن الذى ينفى عنه ما يثبت لغيره ، يكون مباينا لذلك الغير .

● وآخر اقسام ميزان التعادل هو الأصغر — الشكل الثالث — وصورته من القرآن الكريم جاءت فى قوله تعالى : « وما قدر الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله علىبشر من شيء ، قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس (٦) » . فقول الكفار — لعنهم الله — ما أنزل الله على بشر من شيء دعوى عامة ، وهى فى نفس الوقت غير صحيحة ، إذ أنه يلزم من ازدواج المقدمتين فى الآية السابقة ، وهما أن موسى عليه السلام بشر ، وأنه أنزل عليه كتاب ، قضية خاصة ، وهى أن بعض البشر أنزل عليه كتاب ، وبهذا تبطل دعوى العموم التى ذهبوا اليها حيث قالوا : ما أنزل الله على بشر من شيء ، وكون موسى عليه السلام بشرا أمر معلوم بالضرورة ، وكونه منزلا عليه كتاب معلوم باعترافهم ، إذ كانوا يخفون

بعضه ويظهرون البعض الآخر ، كما صوره القرآن بقوله : « تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا » وحد هذا الميزان أن كل وصفين اجتمعا على شيء واحد ، فبعض آحاد الوصفين لا بد أن يوصف بالآخر بالضرورة ، من ثم كانت نتيجة هذا الميزان جزئية دائما .

● وكما استخرج الغزالى صور الأقيسة الحملية من القرآن الكريم ، استخرج أيضا صورالأقيسة الشرطية بنوعيها : المتصلة والمنفصلة ، ولقد كان يهدف من وراء هذا الى تأكيد ما ذكره فى أول كتبه الفلسفية ، ونعنى به « مقاصد الفلاسفة » من أن الفلاسفة لا يخالفون أهل الحق من حيث المنهج إلا بالاصطلاح ، وأن القرآن الكريم — وهو الكتاب الوحيد الذى لم يحرف ، والذى ينزل عليه جميع الطوائف الاسلامية — قد اشتمل على صور الأقيسة المنطقية ، وبهذا كان لمنطق المسلمين أساس من كتابهم .

● وفوق هذا الهدف الذى كان يقصد به رد دعوى أصحاب الاتجاه المحافظ من الفقهاء والأصوليين والمتكلمين ، نلاحظ أن الغزالى فى هذا الكتاب — القسطاس المستقيم — يرفع من شأن المنطق — كمنهج أمكن استخراج صور استدلالاته من القرآن الكريم — باعتباره المنهج الوحيد الذى ينبغى أن يحتكم اليه جميع الطوائف ، فى مقابلة المناهج الخاصة ، التى يكون فى مقدمتها منهج « التعليمية » الذين لا يؤمنون الا بما يجيىء عن طريق الامام المعصوم .

● وقد صرح الغزالى بأن الذى حمله على ابتداع أسماء هذه الموازين هو ما جبل عليه الضعفاء — ومنهم التعليمية طبعا — من الاغترار بالظواهر ، بحيث لو سقى أحدهم عسلا فىقارورة حجام لم يطق تناوله لتصور الطبع عن المحجمة ، وضعف العقل عن أن يعرف أن العسل طاهر فى أى زجاجة كان . وهو بهذا التعليل يدفع التقليد ، ويطرح جنوح الطبع ، حتى تنزل الأحكام على حكم العقل . وينتهى الغزالى من هذا الموقف الى هذه النتيجة المحددة ، وهى أن المنطق وان كان علما يونانى النشأة ، إلا أنه علم يجب معرفته ، والاحتكام اليه كمنهج للتفكير ، لأنه يقوم على أساس عقلى ، وليست أحكام العقل خاصة بأمة دون أخرى ، وقد أراد باستخراج صور الأقيسة من القرآن الكريم أن يثبت أن هذا الكتاب يستعمل أنماط التفكير العقلى فى الاستدلال على صدق قضاياه ، ولعله بهذا قد أراد أن يطمئن للمتعصبين بالهم ، فلا يحكمون على المنطق هذا الحكم القاسى ، الذى يجافى قواعد التفكير الصحيح ، وهو حرمة ذلك العلم لكون واضعه رجلا من اليونان . فما أشبههم فى نظره بمن يحكمون على الحق بالرجال ، وهذا حكم بالعرض على الجوهر . أما الحكم الصحيح فهو الحكم على الرجال بالحق ، وهذا حكم بالجوهر على العرض .

● وقد انتهى الغزالى من رحلته مع المنطق الى بيان صلته بالدين ، وهذا الموقف أكثر صراحـة من كل المواقف السابقة،وقد بيَن ذلك فى كتابه«المنقذ من الضلال » ، الذى كشف فيه عن موقفه من علوم عصره ، مبنيا صلتها بالدين . أما المنطق على الخصوص فلا تعلق له بشيء من الدين نفيـاً أو إثباتاً ، شـأنه فى ذلـك شـأن الرياضـيات ، ويضرب لذلك مثـلا بقوله : فأى شيء يتعلق بالدين نفيـاً أو إثباتاً فى قـول المناطقـة : ان القضية الكلية الموجبة تنعكس جزئية، حتى يجحد وينكر ؟ (٧) . ثم يبين أن من ينكر هذه المسائل ، لم يحصل من إنكاره عند أهـل المنطق الا سـوء الاعتقاد فى عقله ، بل فى دينه ، اذا كان يزعـم أنه موقوف على هـذا الانكار .

● هذا هو الجـانب التطبيقى فى المنطق كما يرى الغزالى ، وشهادته هذه تعتبر تقويماً له من الناحيـة النظرية ، ولكن لما كان المنطق علمـاً معيارياً تطبيقياً ، فان الخطر إن وجد يكون من هذه الناحية . من ثم نرى الغزالى يحدد وجه الخطر فيما يأتى :

أولا : لقد وضع المناطقة للبرهان من الناحية النظرية شروطا يعلم أنها تورث اليقين ، لكنهم عند الانتهاء الى المقاصد الدينية ما أمكنهم الوفاء بها ، بل تساهلوا غاية التساهل .

ثانيا : ربما ينظر فى المنطق من يستحسنه ويراه واضحا ، فيظن أن ما ينقل عنهم من الكفريات مؤيدة بمثل تلك البراهين ، فيستعجل بالكفر قبل الانتهاء الى العلوم الإلهية (٨) .

● ومما لا شك فيه أن الغـزالى بهذا الموقف قد قلل من قيمـة المنطق العملية ، لأنه لما كانت قيمته فى كونه علماً تطبيقياً ، أو كما يسميه المنطقيون أنفسهم « فن المنطق » فانه بناء على بيان الغزالى لوجوه الخطر فيه من ناحية التطبيق ، يكون المنطق « كفن تطبيقى » قد تضـاءل ، وانزوى فى دائرة الصدق النظرى ، لا الصـدق الواقعى . وفى تقديرى أن الغزالى فى تقريره لهذه المسألة لم يخل من ذكاء ، لأن مفهوم ما ذهب اليه أن ما شاب المنطق من عدم الثقة ، لم يكن مرجعه الى العلم من حيث هو ، بل الى المناطقة أنفسهم ، ومعنى هذا أن المنطـق يحـوى فى ذاته وسـائل اصلاحه ، وذلك إذا روعيت الشروط التى وضعها المناطقة عند تطبيقه على المسائل الدينية .

● ومهما يكن من شيء فان الغزالى ما كان له أن يفعل فى هذا المقام أكثر من هذا . فلو صرح بأن المنطق فى نفسه غير صحيح لكان متناقضا مع نفسه أشد التناقض ، ولو صرح بأن القيمة العملية للمنطق تساوى قيمته النظرية ، بمعنى أنه المنهج الوحيـد لادراك الحق ، لكان أيضا متناقضا مع نفسه ، لأنه صرح بأن الوصـول الى الضروريات ليس مقصورا على الأدلة المحررة ، بل يمكن إدراك الحق بنور يقذفه الله فى القلب ، فمن ظن أن الكشف مقصور على الأدلة المحررة ، فقد ضيق رحمة الله الواسعة . وهنا يتبادل الوصول الى الحقيقة — من وجهة نظر الغزالى — منهجان : —
أحدهما : المنهج النظرى الاستدلالى ، إذا روعيت شروطه . وهذا عام لكل

الناس ، كما أنه عام فى كل العلوم .
ثانيهمـــا : المنهج العيانى الكشفى ، وليس هذا إلا لمن اجتباه الله ووفقه لسلوك هذا الطريق .

● ولقد صرح الغزالى فى آخر كتبه التى تحدث فيها عن المنطق ، ونعنى به كتـــاب « المســـتشفى من عـــلم الأصول » بأن المنطق مقدمة لكـــل العلوم ، وأن من لا يحيط به فلا ثقـــة بعلومه أصلا » . وهذا إن دل على شيء فانما يدل على أن الغزالى كمفكر دينى — لم يحاول أن يتخـــذ منهـــج المحافظين ، وهو التشكيك فى هـــذا العلم تارة ، أو الحكم عليه بالحرمة تارة أخرى ، ذلك لأن أهم ما يعتمد فى المعارك الفكرية ، أن يكون هنـــاك منهج متفق عليه ، حتى لا يكون هناك مجال للاتهام بالهوى والتحكم .

● ولعلنا بهذا نكون قد أوضحنـــا موقف الغزالى من أصل هذا العلم ، والفرق بينـــــه وبين موقف كـــل من الفارابى وابن سينا . ولعل القارىء الكـــريم يلاحظ أننا أطلنـــا كثيرا فى الكـــلام عن الغـــزالى ، وأننا قـــد استعرضنا موقفه من المنطق فى كـــل كتبه التى تحدث فيها عنه ، بنفس ترتيبها التاريخى ، وعذرنا فى ذلك أن فلاسفة الاســـلام المشائين — وعلى الأخص الفـــارابى وابن سينا — لم يحاولوا ربط المنطق بأصله الاسلامى كما فعل الغزالى ، واكتفوا باقراره كمدخل للعلوم . ويبـــدو أن تبعيتهم للمشائية اليونانية ، قد اضطرتهم الى مثل هذا الموقف . أما الغزالى فقـــد كان بحكم مركـــزه الدينى الكبير من ناحية ، وبحكم منازلته الفلاسفة فى معركة فكرية ، ينبغى أن يختبر فيها المنهج أولا ، ولأنه مع هذا وذاك كان المثل الحقيقى للفكر الاســـلامى فى المشرق فى عصره ، كل هذا هو الذى جعلنى أقف معه كثيرا ، بالنســـبة لسابقيه .

● وبهذا يتبين لنا أن الذين يقولون بتبعيته منهج الفكر الاسلامى للمنطق الأرسطى ، يعتمـــدون على ما ذهب الفلاسفة الخلص ، أمثال الفـــارابى وابن سينا ، وأما الذين يقـــولون ان لمنهـــج الفكر الاســـلامى أصـــالته ، فيعتمدون على محاولة الغزالى التى ذكرناها ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يعتمـــدون على موقف بعض اللغويين ، الذين حاولوا الوقوف فى وجه المنطق الأرسطى ، وكذا موقف بعض المتكلمين من الأشاعرة وغيرهم وأصـــحاب الفكـــر المحـــافظ مـــن السلفيين . .

---

(١) أنظر د. عبدالرحمن بدوى . مقدمة كتاب البرهان من منطق الشفاء لابن سينا .
(٢) مقاصد الفلاسفة ص ٤ .
(٣) تهافت الفلاسفة ص ٩٠ .
(٤) سورة البقرة ٢٥٨ .
(٥) سورة الانعام ٧٦ .
(٦) سورة الانعام ٩١ .
(٧) المنقذ من الضلال ص ١٠٤ .
(٨) المنقذ من الضلال ص ١٠٤ .

مؤتمر علماء المسلمين السابع

ماذا حدث في مؤتمر علماء المسلمين السابع بالقاهرة
لأول مرة مشاكل المسلمين في كل مكان وبصراحة

للأستاذ : صلاح عزام

عقد مجمع البحوث الاسلامية مؤتمره السابع بالقاهرة .. ورأس الاجتماعات .. وعلى مدى ٣٠ يوما .. وعلى فترتين فضيلة الامام الاكبر الدكتور محمد الفحام شيخ الجامع الازهر .

وبدأت الفترة الاولى من ٣٠ رجب — ٨ سبتمبر ولمدة أسبوع .. ثم عقدت الفترة الثانية من ٨ شعبان — ١٦ سبتمبر — الى آخر شهر شعبان .

ونوقشت خلال الجلسات قضايا هامة ومن ذلك :

● مشاكل المسلمين فى العالم .. وبصراحة لاول مرة .

● والفكر الاقتصادى الاسلامى وبالذات الاستثمارات والمصارف والفوائد ..

● و .. الحريات والحقوق فى الاسلام والدعوة الاسلامية .

* * *

وقد حضر افتتاح المؤتمر وفود من ٤٠ دولة بينهم ٥ وزراء و ٥ من رجال الافتاء و ٢ مديرى جامعة .



المنصة الرئيسية للمؤتمر .

وتحدث الامام الاكبر فى جلسة الافتتاح فقال نقدا موضوعيا للمؤتمرات السابقة وتوجيها للعلماء ، وتحديدا لمعالم خطوات المؤتمر فقال : « يا ورثة الانبياء .. ويا أعلام الهدى الموضوعات التى أحب أن أتدارسها مع حضراتكم فى هذه الدورة ما يأتى :

● يجب التصدى للذين يتصيدون المسلم البعيد عن الثقافة الاسلامية أو الواقع تحت ضغط الفقر والحرمان والفاقة .

● يجب التصدى للذين ينفثون سموم التفرقة بين المسلمين بضرب وحدتهم .

● يجب التصدى لمؤامرات المستعمرين وأذناب المستعمرين حماية ليومنا وغدنا وأعراضنا وأموالنا وأنفسنا .

● وعلينا أن نقيم حد السرقة بعد أن فشلت كل العقوبات التى تضمها القوانين الوضعية .

● ويجب علينا أن نبين للناس راى الاسلام فيما يجد وجد من المعاملات المصرفية كالتأمين بجميع أنواعه وكشهادات الاستثمار والادخار وغيرها ..) .

مشاكل المسلمين

وبدأ المؤتمر عمله .. بالاستماع الى مشاكل المسلمين فى العالم .

● بلغاريا ..

وكان أول المتحدثين الشيخ طاهر الزاوى مفتى ليبيا .. حيث نقل الى العلماء ما يحـــدث للمسلمين فى بلغاريا ، وعمليـــة ابادة المسلمين هناك ، واللقاء على كلمة الاسلام .. وانه علم بهذا مـــن بعض المسلمين فى بلغاريا عند زيارته ليوغسلافيا وقال الشـــيخ طاهر الـــزاوى إن الشيوعية فى المجر تلجأ الى أســـوأ السبل .. ومن هذا ..

● يطلب من المسلمين البلغـــار تغيير أسمائهم وهو من أصل عربى وتركى الى أسماء بلغارية ومسيحية.

● ويطلب منهم أيضا الانفصال عن الدين وتجريدهم منه .

● ويمنع قيد المســـلمين فـــى السجـــلات المدنية الا اذا تحـــولت أســـماؤهم الى أسماء بلغاريـــة مسيحية .

● وعـــــدم صرف السلع مـــن التعاونيات للمسلمات الا اذا غيـــرن أسماءهن .

● وعدم صرف أجـــور العمـــال المسلمين الا اذا تغيرت أسماؤهم .

وقال الشيخ الزاوى .. ان هذا الامـــر أصبح علنا ومنشورا فـــى الصحف وقدم ترجمة لما ينشر فـــى بعض المجلات البلغارية ..

و .. أن هـــذه المحنة التى يعانى منها مســـلمو المجـــر .. لو تحقق الهدف الشيوعى منها فسيكون الامر مشابها مع مسلمى الدول الاخرى ..

وقبرص ..

وفى جلسة أخرى .. عـــــرض الدكتور مصطفى رفعت مفتى قبرص على المؤتمر صورة دامية لما يعانيه المسلمـــون فى قبرص .. وللمذابح التى يشنها عليهم اليونان ومسيحيو قبرص .

و .. ان هذه الجرائم بدأت من ٢١ ديسمبر عام ١٩٦٣ ولم تتوقف ..

و .. أن ١٠٠ قرية تضم المسلمين هوجمت بواسطة عصابات مسلحة من القبارصة اليونان وأرغم ألـــوف من المسلمين القبارصة على تـــرك منازلهم وممتلكاتهم والهجـــرة خارج البلاد ..

و .. أن ١٠٣ مسجدا من بـــين ٢٧٤ مسجدا فى قبرص قد هوجمت وبلغت خسائرهـــا ٣٥ مليون جنيه استرلينى .

و .. أن ٣٨٪ من العـــــاملين المسلمين قد استبعدوا عن مناصبهم و .. أن الخسائر الكلية لمســـلمى قبـــرص بلغت ١٠٠٠ مليـــون جنيه استرلينى وطالب الـــدكتور مصطفى من العلماء اليقظة والعمل .

و .. الفلبين

وفى اليوم الرابع للمؤتمر ومـــع الصباح الباكر انفجرت مشكلة مذابح المسلمين فى الفلبين على أثر وصول برقية من مدير جامعة الفلبين ينعى للعالم الاسلامى عدوان خصوم وحرق الجامعة .

وجاء أحمد النتو ليعيد للاذهـــان مذابح مسلمى الفلبين ويطلب مـــن المسلمين أن يتحركوا .. وأن يتحدوا .. وأن يتعاونوا .. وذكر تفصـــيلا ما يحدث للمسلمين هناك .. وطالب العالم الاسلامى بأن يتخذ موقفـــا موحدا ضد خصوم الاسلام .. والا فان صاعقة من السماء ستحل بهم فى الوقت الذى سوف ينصر اللـــه عباده ويعلى كلمة دينه ونصرة عباده المخلصين .

ومسلمو أوربا

وتحدث عن أحوال مسلمى أوربا



الجلسة الاولى للمؤتمر وفى الصف الاول الأستاذ راشد الفرحان وزير الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت ود. عبد العزيز كامل . ود. حسن صبرى الخولى .

كل من الشيخ أبو بكر حمزة مدير مسجد باريس ، واسماعيل بالتيش أمين مكتبة الدولة بالنمسا ، والشيخ ضياء الدين خان مفتى روسيا .

● قال الشيخ أبو بكر حمزة .. ان الاسلام يجذب المثقفين فى فرنسا حتى أن بعض رجال الكنيسة يدخلون فى دين الله ..

و .. أن مسجد باريس يسجل سنويا اسلام ما بين ٥٠٠ — ٦٠٠ فرنسى مسيحى .

● وقال اسماعيل بالتيش .. أن الظاهرة التى يدهش لها الجميع فى النمسا .. هى أن العمال هناك يقبلون على الاسلام .

و .. أن المسلمين لايزالون يعانون من الاضطهاد فى كثير من بلاد أوربا حتى انه فى اسبانيا يحرم على المسلمين اتخاذ مساجد لهم .

و .. ان مسئولية مسلمى العالم العربى نحو اخوانهم فى أوربا تتحدد فى أمرين هامين أولهما .. وصول صحافة اسلامية مسموعة الى مسلمى العالم .. وثانيهما .. توفير المعلم والكتاب الاسلامى .

ومسلمو افريقيا وآسيا

وعن مسلمى أفريقيا وآسيا .. فقد تحدث عنهم وبالتفصيل الاستاذ

بــودرى هاشم ــ سيلان ــ فبين الفارق فى المعامــلات بين المسلمين والمسيحيين .. وكيف أن المسيحيين الاقلية فى الدول الاسلامية يحصلون على كل شىء وعلى قدم المساواة .. والعكس فى الدول المسيحية حيــث تظهر الفوارق فى المعامــلات وفى جميــع المجالات .. وضرب لذلك أمثلة منها :

● الوظائف .. حيث تحرم على المسلمين فى بعضها مهما كانت درجة المسلم العلمية .. ومهما كان تفوقــه على المسيحى .

● التعليم .. توجد عقبات أمــام المسلمين فى الالتحاق بالمدارس .. وان يسر بعضها فيطلب منه الخروج على دينه .. أو يحــرم عليه تعليم دينه .

● والسياسة .. غير مســموح لهم بالتمثيل السياسى .. بل يمثلهم مسيحيون .

● والعمل فى القطاعين العــــام والخاص .. ضيق أمام المسلمين .. وهناك مجالات مغلقــة تماما دونهم كالجيش والبوليس .

وكلمتان

وبعد ذلك كانــت هناك كلمتان هامتان فى مجــال مشاكل المسلمين الاولى قالها معالى الأستاذ راشــد الفرحان وزير الاوقاف الــكويتى .. فذكر موقف الاحزاب ذات العقائد من أحزابهم وموقف المسلمين من دينهم .. وشرح بالتفصيل امكانية المسلمين فى التصدى لخصوم دينهم .. ماديا .. ومعنويا وسياسيا .. لاننا ١/٣ سكان العالم .. وتحت يدنا ثروات هائلــة وبنسب كبرى ..

ثم عرض معاليــــه .. عــــدة اقتراحات منها ..

● وضع دراسة شاملة للهيئــات والمؤتمرات والمراكـــز التى تعنى بالشئون الاسلامية ووضــع خطــة مرسومة ومدعمة .

● و .. العمل على انشاء مؤتمر دائم يعمل على مدار السنة ويمثل فيه مندوبون منتخبون عن هذه المراكز .

و .. الكلمـــــة الثانية .. كانت للاستاذ صالح مسعود بويصير وزير الاعلام السابق الليبى ، استعرض فيها قضية فلسطين .. ودور الجهاد والنضال .. وحدد مواقف الرجال من المعركة .. وطالب المؤتمر بدراسة جادة لــ (واجبات العالم الاسلامى تجاه الصهيونية العالمية بعد استنفاد الجهود السلمية .

و .. اننا يجب أن نعلن فى صراحة .. بأن كل الحروب التى تشن ضد المسلمين .. انما هى حروب صليبية .. ثم قدم ١١ مقترحا منها :

● نشر تعليم اللغة العربية فــى كل البلاد الاسلامية .

● انشاء مكتب اعلامى للمجمع يقوم بنشر مطبوعاته وتوزيعها على الهيئات والجماعات والجامعات .

● اعطــاء أهمية لاوغندا التــى أصبحت معقلا من معاقــل الحرب ضد الاسلام والمسلمين .

● تغذيــة المنــاهج المدرســية بالقصص والتاريخ الاسلامى .

● تدريس الفكـــر الاسلامــى والحضارة الاسلامية فى المراحــل الجامعية .

الاقتصاد الاسلامى

وبعد ذلك جــاء دور الاقتصـــاد الاسلامـــى .. وتحدث فيه عدد من العلماء والاساتذة .. وكــان أهم البحوث .. بحثا الشيخ على الخفيف والشيخ يس سويلم طه .. فقد اتجه الشيخ على الخفيف الى أن ما يوضع من المال لدى بنك من البنوك فهــو



الشيخ حسنين مخلوف والأستاذ راشد الفرحان ود. عثمان خليل عثمان .

مالك لصاحبه وللدولة أن تقوم بعملية الاستثمار ولها كذلك الحق فى اعطاء الجوائز واستند فى آرائه على مذهب الامام مالك ثم قال وليس لهذا شبه بعقد قراض وهذا بالنسبة لشهادات استثمار ج .. أما شهادات استثمار أ ، ب فيلاحظ أن لهما شبها بعقد القراض ولكن ذلك لا يحظره وانما يحظره وجود نص من أمور الدين يمنعه ولم أجد ذلك ..

وأنهى الشيخ الخفيف رأيه الى أن عقد الاستثمار ليس فيه ربا ولا شبهة ربا قطعا فالربا لا يكون الا فى معاوضة أخذ فيها المال بقرض وهذا العقد لا غرر فيه اطلاقا .

● وأما الشيخ يس سويلم فقد رأى أن شهادات الاستثمار وودائع صناديق التوفير تقوم العلاقة فيها على وجهين الاول .. انها معاملة لم تكن موجودة فى عصر التشريع الاول .. ولا عبرة بكون الربح معلوما .. والحكم الشرعى يتعلق بأفعال العباد .. والثانى .. انها معاملة من قبيل القراض وانتهى الشيخ يس الى جواز أخذ أرباح شهادات الاستثمار وودائع صناديق الادخار شرعا سواء كانت قراضا أو من قبيل المسكوت عنه .

معارضة عنيفة

وبعد ذلك .. وعلى مدى ٣ جلسات قامت مناقشات حول هذه الآراء اشترك فيها عدد كبير من الاعضاء معارضين ومدللين بآراء الفقهاء .. وبالكتاب والسنة .. وانتهى الرأى .. الى عرض بحثى الشيخين **الخفيف وسويلم على اللجنة** لابداء رأيها فيهما قبل اعلانهما .

وعن الحريات

وعن الحريات فى الاسلام قدم الدكتور بدوى عبداللطيف مدير جامعة الازهر بحثا قيما توصل فيه .. بالدليل والرأى .. الى أن الاسلام

وقد اعطى للفرد حريته السياسية والفكرية والدينية فانه بذلك يكون خير نظام للكون .. لانه وضع نظاما العالم فى جميع المجالات .. وفى كل الظروف .

والدعوة الاسلامية

وعن الدعوة الاسلامية .. وما تعانيه وما تلاقيه .. ودور الاستعمار فى محاربتها بمعاونة التبشير كان أمام المؤتمر بحثان ..

● الاول للشيخ محمود صبحى أمين عام جمعية الدعوة الاسلامية بليبيا عرض فيه للكيان الاسلامى ومعناه — والدار فى الاسلام ووجوب حمايتها فى اطار الوحدة — والاسباب التى مهدت وتمهد فى تمكين الاستعمار من تمزق الكيان الاسلامى — ووسائل تسليح المسلم لمواجهة هذه الاخطار وانتهى الى ضرورة الاخذ بالآتى :

● اسلامية الدراسات والابحاث فى الجامعات والمناقشات التى تدور فى المؤتمرات .

● العمل على تماسك العالم الاسلامى ووحدته .

● المواجهة الصادقة للمبشرين والمستشرقين .

● اصدار سلسلة من الكتب والمقالات توضح مفاهيم الملل والنحل .

● حل المسائل الاجتماعية داخل المجتمع المسلم .

● المسيرة بهدى المعرفة والعلم .

● والبحث الثانى للاستاذ شعبان سالم درامى عن مواجهة الاخطار التى تعانى منها الدعوة الاسلامية .. فشرح دور الاستعمار والتبشير فى افريقيا وقدم ١٥ اقتراحا لمواجهة هذا الخطر منها :

● تعميم مراكز الثقافة الاسلامية

● العناية بالمؤلفات الاسلامية

● عقد المؤتمرات الاسلامية فى عواصم العالم الاسلامى .

● العناية بالدعاة .

● تدعيم المدارس الاسلامية فى افريقيا وآسيا .

قبل القرارات

هذه هى ملامح مؤتمر علماء المسلمين السابع بالقاهرة والظاهرة الجديدة فى اجتماعاته .. والتى حضرها عدد كبير من العلماء وأساتذة الجامعات .

و .. شىء آخر .. برز فى هذا المؤتمر .. هو شخصيات جديدة من العالم .

وبعد ذلك .. صدرت القرارات واهمها ..

● يؤكد المؤتمر ما سبق أن أعلنه فى دوراته السابقة من أن الجهاد أصبح فرضا عينيا على كل قادر من المسلمين لايجوز أن يتخلف عنه من ينتسب الى هذا الدين القويم .

● كما يوصى المؤتمر جميع الحكومات المحيطة بفلسطين بمضاعفة اعدادها لمقاومة العدوان .

● ويوصى الحكومات الاسلامية بمد العون المادى والادبى للعمل الفدائى .

● ويوصى الحكومات والشعوب والهيئات الاسلامية بالتوسع فى انشاء المراكز الثقافية فى المجتمعات التى تحتاج اليها لارشاد المسلمين ..

و .. التوسع فى المنح الدراسية لابناء المجتمعات الاسلامية .

و .. تطوير أساليب الدعوة .

و .. انشاء منصب ملحق اسلامى

و .. تعميم التربية الدينية بالمدارس .

و .. انشاء مراكز لتحفيظ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

● ويوصى المؤتمر الجامعات بالاهتمام بتدريس الاقتصاد الاسلامى وانشاء كراسى استاذية له .

● ويوصى المؤتمر القائمين على مشروع البنك الاسلامى بالاسراع بانشائه .

موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الإسلامية
(الجزء السادس)
تأليف الأستاذ الدكتور أحمد شلبى

يتبع هذا الجزء من الموسوعة تاريخ القارة الافريقية قبل أن يدخلها الاسلام .. ثم طرق ووسائل انتشار الاسلام بها ، والدول الإسلامية جنوب الصحراء الافريقية (مالى ، وصنغى ، والهوسا ، وبرنو وكانم) وغيرها ، قبل الاستعمار الأوربى . ثم الصراع بين الاسلام والاستعمار الأوربى وقضايا هذا الصراع وأساليبه .

وتتناول هذه الدراسات كذلك الدول الاسلامية جنوب الصحراء الافريقية بعد زوال الاستعمار ، وعديدا من الدراسات المتعلقة بافريقية الاسلامية ، كحضارة الاسلام فى هذه القارة ، ومستقبل الاسلام بها ، والمستقبل الذى ينتظر الدول الاسلامية الافريقية فى ظل الصراع العالمى .

ويطرح الكتاب قضية ((التاريخ الاسلامى)) من وجهة نظر جديدة تتمثل فى دراسة الدول الاسلامية غير العربية التى أهملت العناية بها من قبل كثير من دارسى التاريخ الاسلامى ، وهو مفيد لكل باحث فى التاريخ الاسلامى ، ويعتبر مرجعا للمهتمين بالدراسات الافريقية وحاضر الاسلام بافريقيا .

والكتاب يقع فى سبعمائة وأربعين صفحة من القطع الكبير ، وقد نشرته مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة .

دراسات فى مذاهب فلاسفة الشرق

تتمثل أهمية هذا الكتاب فى دراسة عديد من مذاهب فلاسفة المشرق العربى على ضوء منهج جديد يقوم على النقد والتحليل ويدعو اليه مؤلف الكتاب الدكتور محمد عاطف العراق لأول مرة فى تاريخ الدراسات الفلسفية العربية .

وبعد تصدير يكشف المؤلف فيه عن دعائم المنهج الجديد الذى يدعو الى اتباعه يحلل الكتاب مجموعة من آراء ابن سينا حول المعادن والنبات والحيوان والنفس والانسانية .

وأخيرا يبين المؤلف فى دراسته لآراء الغزالى حول العلم الالهى والخلود أن الغزالى كان أقرب الى المتكلمين الأشاعرة منه الى الفلاسفة .

فهذا الكتاب لا يقتصر على العرض الموضوعى لهذه المسائل بل يقدم محاولة ذاتية وتفسيرا جديدا القصد منهما احياء التراث العربى واعادة كتابة تاريخ الفلسفة عند العرب من جديد .

والكتاب يحتوى على (٢٧٠) صفحة ومن نشر دار المعارف بمصر — القاهرة .

نظرية الاسلام الاقتصاديـــة

كتاب من تاليف الأستاذ عبد الســـميع المصرى يبين فيـــه راى الاسلام فى الاقتصاد وفيما استجد من معاملات اقتصادية حديثة كما تحدث عن الضرائب فى الاسلام وخصص بابا للربا .. والكتاب فى موضوعه دراسة شاملة لتوجيهات الاسلام فى الناحية الاقتصادية وهى موضوع اختصه الاسلام بعناية كبيرة لأن المال كما يقال عصب الحياة .
يقع الكتاب فى (٢٤٦) صفحة ومن نشر مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة.

مذهب ابن عباس فى الربا

الكتاب الثانى من سلسلة كتب بناء الاقتصاد فى الاسلام من تاليف فضيلة الأستاذ الشيخ زيدان ابو المكارم والكتاب يبحث فى مسائل كثيرة منها مذاهب فقهاء السنة والشيعة فى الربا . والربا فى المستوى العالمى ، والتخطيط للقضاء على الربا ، والتعبئة لبدء عهد العدالة ، وتحريم الربا ، والكتاب يقع فى ١١٥ صفحة ، ويطلب من دار التراث ٢٢ شارع الجمهورية ــ بالقاهرة .

الديــن الحــق
فى الرد على كتاب (بيان الحــق)

ظهرت فى العالم العربى والاسلامى هذه الايام ظاهرة ملفتة للنظر وهـــى الهجوم على الاسلام أو الدعوة الى توهين العقيدة الاسلامية والغريب فى هذا الامر أن يقوم به مواطنون من داخل هذه الدول نفسها سواء أكانوا مسلمين أو غير مسلمين ينادون بدعاوى فجه وأمور مبتدعـــه وينقلونهـــا عـــن بعض المستشرقين والحاقدين على الاسلام ورسوله الاعظم صلى الله عليه وسلـــم بقصد اضعاف الاسلام والتشكيك فيه ومن الكتب التى ظهرت مؤخرا (بيـــان الحق) ادعى فيه مؤلفه أن القرآن الكريم اقتبس الكثير من الكتب السابقة وقـــد أورد الامثلة الكثيرة على هذا مما دفع الكاتب الاستاذ توفيق على وهبه من تأليف كتابه (الدين الحق) ردا واضحا بالادلة والبراهين على هذه المفتريات والاكاذيب بعد أن تحدث عن حرية الـــرأى فى الاسلام وكيف يصبـــح الرأى جريمـــة ثـــم عن القرآن والانجيل معرفا ومقارنا .
والكتاب يحتوى تقريبا على مائة صفحة وما زال تحت الطبع .

مـــع الأيـــــام

ديوان شعر للشاعر الأستاذ محمد عبد الرحمن عبد الحافظ يحتوى علـــى العديد من القصائد السياسية والقومية والعاطفية وخواطر خاصة بالشـــاعر استوحاها من خلال رحلاته عبر البلاد العربية بجانب قصائد المناسبات التاريخية والدينية والديوان يقع فى ١٢٠ صفحة من طبع مطبعة القاهرة الحديثة للطباعة ــ ٣ شارع الجد ــ بالفجالة القاهرة .

مائدة القارئ

حجاج بيت الله الحرام

بلغ مجموع الحجاج الذين وقفوا بعرفة فى العام الماضى (۱ر۰٤۲ر۰۲۷) حاجا منهم (۳٥۳ر٤۸۰) سعوديا و (٦۸۸ر٥٤۷) غير سعودى بين مقيم فى المملكة ووافدين من الخارج .

كل هذا .. العقل

سئل الأحنف بن قيس عن العقل فقال : رأس الأشياء . فيه قوامها . وبه تمامها . وهو سراج ما بطن . وملاك ما علن . وسائس الجد . وزينة كل أحد . لا تستقيم الحياة الا به . ولا تدور الأمور الا عليه .

رزق مضمون

تزوج مغن بنائحة فسمعها تقول : اللهم وسع لنا فى الرزق .

فقال لها : يا هذه انما الدنيا فرح وحزن وقد أخذنا بطرفى ذلك ، فان كان فرح دعونى ، وان كان حزن دعوك .

عندما يذهب الصدر ويبقى العجز

عاد أبو الحسين بن برهان رجلا مريضا فقال له : ما علتك ، قال : وجع الركبتين .

فقال : والله لقد قال جرير بيتا ذهب منى صدره وبقى عجزه وهو وليس لداء الركبتين طبيب .

فقال المريض : لا بشرك الله بالخير ، ليتك ذكرت صدره ونسيت عجزه .

من أحق بالسؤال ؟

وقف سائل أعمى على باب فقالوا يفتح الله عليك . فقال : كسرة ، فقالوا : ما نقدر عليها . فقال : قليلمن فول أو شعير . قالوا : لا نقدر عليه ، قال : فقليل من زيت أو لبن .قالوا ; لا نجده . قال : فشربة ماء . قالوا : وليس عندنا ماء . قال : فماجلوسكم هنا . قوموا فاسألوا فأنتم أحق منى بالسؤال .

اللذة الدائمة

اذا تعبت فى البر فان التعب يزول والبر يبقى .

واذا تلذذت فى الاثم فان اللــذة تزول والاثم يبقى .

تربيــة ..

ناولت اعرابية ولدها سيفا فرآه قصيرا فقال : « انه سيف قصير » فقالت : « تقدم خطوة فيطول » .

لا تشــاؤم

قيــل ان المنصــور بن ابى عامرالاندلسى كان اذا قصد غزاة عقــد لواءه بجــامع قرطبــة ولم يسر الىالغزاة الا من الجامع ، فاتفق أنه فى بعض حركاته للغزاة توجه الى الجامعلعقد اللواء فاجتمع عنده القضــاة والعلماء وأرباب الدولة ، فرفع حاملاللواء اللواء فصادف ثريا من ثريات الجامع فانكسرت على اللواء وتبــددالزيت فتطير الحــاضرون من ذلك ، وتغير وجه المنصور ، فقال رجل :ابشر يا أمير المؤمنين بغــزاة هينــة وغنيمة سارة ، فقــد بلغت أعلامكالثريا ، وسقاهــا الله من شجــرة مباركة زيتونة ، فاستحسن المنصورذلك ، واستبشر به ، وكانت الغزوة من ابرك الغزوات .

البخل فنــون

حكى عن بعض البخــلاء أنه حلف يوما على صــديقه واحضر له خبزا وجبنا وقال له : لا تستقل الجبن فان الرطل منه بثلاثة دراهم . فقــال له ضيفه : انا أجعــله بدرهم ونصف . قال : وكيف ذلك ؟ قال : آكل لقمــة بجبن ولقمة بلا جبن .

ان لم يكن عقل وأدب .. فصاعقة

قال ملك لوزيره ما خير ما يرزقه العبد .

قال عقــل يعيش به . قال فان عدمه . قال : أدب يستره . قال : فان عدمه .

قال : فصاعقة تحرقه وتريح منــه العباد والبلاد .

الفتاوى

فى الطـــلاق

السؤال

قال الزوج لزوجته ـ على الطلاق منك ما تدخلى بيتى شافعى ومالكى وأبو حنيفة وتكونى زى أمى وأختى ، فهل يقع الطلاق أم لا ..؟

* * * * * * * * *

الاجابـــة :

اللفظ المذكور هو يمين طلاق وفيه تعليق . ويمين الطلاق المعلق هو الذى يقصد به اثبات شىء أو نفيه أوالحث على فعل شىء أو تركـــه ، وفيه أقـــوال خمسة ذكرها ابن القيم فى كتابه (اغاثة اللهفان ص ٢٦٥ ـ ٢٦٧) وملخصها هو ـ

١ ـ انه لا ينعقد ولا يجب فيه شىء وعليه أكثر أهل الظاهر لان الطلاق عندهم لا يقبل التعليق كالنكاح وعليهمن أصحاب الشافعى أبو عبد الرحمن .

٢ ـ انه لغو وليس بشىء وصح ذلك عن طاووس وعكرمة .

٣ ـ لا يقع الطلاق المحلوف به ، ويلزمه كفارة يمين اذا حنث فيه ، وبـــه قال ابن عمر وابن عباس وغيرهما .

٤ ـ الفرق بين أن يحلف على فعل امرأته أو على فعل نفسه أو على فعل غير الزوجة ، فيقول لامرأته ، ان خرجت من الدار فأنت طالق فلا يقع عليه الطلاق بفعلها ذلك . وان حلف على نفسه أو غير امرأته وحنث لزمه الطلاق ، وبه قال أشهب من المالكية .

٥ ـ الفرق بين الحلف بصيغة الشرط والجزاء ، وبيـــن الحلف بصيغـــة الالتزام ، فالاول كقوله ان فعلت كذا فأنت طالق ، والثانى كقوله : الطلاق يلزمنى أو على الطلاق ان فعلت فلا يلزمه الطلاق فى هذا القسم ان حنث دون الاول ، وهذا أحد الوجوه الثلاثة لاصحاب الشافعى ، والمنقول عن أبى حنيفـــة .

ســـجدة التـــلاوة

السؤال :

عند استماع القرآن الكريم من الاذاعة يمر القارىء على آية سجدة ، فهل على المستمع أن يسجد سجدة التلاوة ..؟

* * * * * * * * *

الاجابـــة :

نعم . يسن لمستمع القرآن اذا سمع آية سجدة ، وكان متوضئا أن يسجد سواء كان استماعه من الاذاعة أم غيرها ، وهذا رأى الشافعية . وأما المالكية فعلى أنه لا سجود على المستمع الا اذا سجد القارىء ، وحيث أن القارىء لم يسجد فلا يسجد المستمع .

فى الـــــزواج

السؤال :

رجل طلق زوجته وقد أنجب منها بنتا ثم تزوجت هذه المرأة من آخر وأنجبت منه ولدا ، والرجل المطلق تزوج بأخرى ، وأنجب منها بنتا ، فهل يجوز لهذا الولد أن يتزوج بهذه البنت ..؟

. . . .

الاجابـــة :

حيث أن هذه البنت ليست أختا لهـــذا الولد من النسب أو من الرضاع ، فانه يحل زواجه بها .

فى الآذان

السؤال :

هل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم عقب الآذان صحيحة ، وما الدليل ؟

. . . .

الاجابـــة :

الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بعد الآذان سنة لقوله صلى الله عليه وسلم « اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على » الحديث ، والواجب أن لا يرفع المؤذن بها صوته لانها ليست جزءا من الآذان ، بل هى سنة من سننه بدليل قوله (فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على) اذ لو كانت من الآذان لاكتفى صلى الله عليه وسلم بقوله (فقولوا مثل ما يقول) .

فى الصـــــلاة

السؤال :

هل ختم الصلاة جهرا فى المسجد عقب الصلاة جائز ؟

. . . .

الاجابـــة :

ختم الصلاة من كمال الصلاة ، والواجب فيه أن يكون سرا حـــذرا مـــن التشويش على المصلى اذ التشويش عليه حرام ولو بالقراءة لقوله صلى الله عليه وسلم (ألا ان كلكم مناج ربه فلا يؤذين بعضكم بعضا ولا يجهر بعضكم على بعض بالقراءة) .

شهادات الاستثمار

السؤال :

ما رأى الشرع فى الشهادات التى لم تعلن عنها المصارف ، وهو أن المواطن يضع مبلغا من الجنيهات فان أصابته القرعة كسب وأن لم تصبه يسحب مالــه بالكامل ؟

. . . .

الاجابــة :

كل معاملة تخرج عما حدده الشارع حرام لا يسوغ الاقدام عليها ، والمتعامل مع البنك يدفع مبلغا من ماله نظير فائدة محددة ، ثم يحصل على شهادة منه فان أصابته القرعة أخذ ما حدده البنك من الجوائز المعلومة ، والا فلا ، وهذه المعاملة باطلة لانها كالقرض الذى جر نفعا للمقرض ، وهو ربا اذ لو لم يكن كذلك لما أقدم المتعامل مع البنك عليه ، فالذى حمله على الاقدام انما هو الربح المحدد المنتظر ، هذا من جهــة ، ومن جهــة أخرى ، فالجوائز التى يصرفها البنك لصاحب الحظ انما هى من باب المقامــرة .

فى الصــلاة

السؤال :

إمام يصلى بالناس من أول البقرة الى آخر جزء عم فى الصلاة الجهرية ، بحيث لا يطيل عليهم الصلاة ، ولم يجد من يتألم من هذه الصلاة ، فهل فى هــذه الصلاة مخالفة ؟

. . . .

الاجابــة :

ليس فيها مخالفة للسنة حيث أن المأمومين راضون بطول الصلاة بل فــى هذه الصلاة خير كثير ، اذ يقرأ فيها القرآن كله على مراحل ، وفى هذا ما فيه من كثرة الفوائد الدينية للامــام والمأموم .

قضاء الصــوم

السؤال :

لم أصم من البلوغ الى سن العشرين وعلى قضاء مافاتنى ، ولكنى الآن فى منتصف العمر ، وأجد مشقة لقضاء هذه المدة فماذا أفعل ؟

. . . .

الاجابــة :

اقض ما تستطيع وافد بالصدقة علــى ما لا تستطيع ، وتب الى اللــه ، واستغفره فانه غفار وذو رحمة واسعة .

بريد الوعي الإسلامي

اعـــداد : عبد الحميد رياض

ترتيب المصحـــف

لقد نزل القرآن الكريم على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة ثلاث وعشرين سنة ، شاملا كل النهج الاسلامى القويم ، آخذا بمبدأ التدرج فى تطبيق أحكامه ، وموافقا لكل الأحداث والمواقف التى عاشها النبى الكريم حسب تسلسل وقوعها .
فلماذا إذن لم تنسخ المصاحف حسب تسلسل نزول القرآن الكريم » ؟
أرجو أن أقرأ ردكم على صفحات مجلتنا الغراء (الوعى الاسلامى) .

محمد حسان ــ رمل الاسكندرية ــ مصر

هناك أمران هامان يجب الحديث عنهمـــا كل على حدة ، خصوصـــا وأن السؤال الوارد يحتملهما معا ، هما ترتيب آيات القرآن كله ، وترتيب سوره .

أما ترتيب آيات القرآن الكريم على هذا النمط الذى نراه فى المصاحف ، ونقرأه اليوم ، وقرأه سلفنا بهذا الترتيب الذى لم يتخلف طوال القرون الماضيـــة من تاريخنا الاسلامى ، فذلك ترتيب توقيفى من النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد انعقد إجماع الأمة عليه ولا مجال للرأى والاجتهاد فيه ، وذلك ثابت حيـــث أن جبريل عندما كان ينزل بالآية على النبى كان يرشده الى موضعها من الســـورة ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقرأها على أصحابه ، ثم يأمر كتاب الوحـــى بكتابتها فى مكانها من السورة المعينة ، ولقد ثبت بما لا يدع مجالا للشـــك أن الرسول صلى الله عليه وسلم قرأ القرآن مرارا بهذا الترتيب فى صلاته وعظاته وكان يعارض به جبريل كل عام مرة ، وفى العام الأخير من حياته صلى الله عليه وسلم عارضه مرتين ، وقد حفظ الصحابة القرآن مرتب الآيات ، وشاع ذلـــك وملأ كل البقاع ، ولم يرد أن أى صحابى ولا حتى الخلفاء الراشدين كان لهم رأى فى ترتيب أو تغيير أو تقديم آية على أخرى ، وعندما فكر الصحابة فى جمـــع المصحف فى خلافة سيدنا أبى بكر الصديق لم يتجاوز ذلـــك نقله من العســـب واللخاف فى صحف ثم كان النقل فى خلافة سيدنا عثمان من الصحف الى مصحف .

أخرج البخارى عن ابن الزبير قال : قلت لعثمان بن عفان : « الذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا » نسختها الآية الأخرى فلم تكتبها أو تدعها (والمعنى لماذا تكتبها « أو قال لماذا تتركها مكتوبة مع أنها منسوخة ») قال يا ابن أخى لا أغير شيئا من مكانه .

أما ترتيب السور فهناك أقوال ثلاثة فى هذا .

القول الأول : أنها بتوقيف من النبى صلى الله عليه وسلم شأنها فى ذلك شأن ترتيب الآيات ، وقد أجمع الصحابة على مصحف سيدنا عثمان ، وهو الترتيب الحالى للمصحف المتداول المقروء به فى كل البلاد الاسلامية ولم يخالفه أحد .

وأيد أبو بكر الأنبارى هذا الرأى بقوله « أنزل الله القرآن الـــى سمـــاء الدنيا ، ثم فرقه فى بضع وعشرين سنة فكانت السورة تنزل لأمر يحدث ، والآية جوابا لمستخبر ، ويقف جبريل النبى صلى الله عليه وسلم على موضع السورة والآيات والحروف ، فمن قدم سورة أو أخرها أفسد نظم القرآن » .

والقول الثانى : أن ترتيب السور على ما هو عليـــــه كان باجتهاد مـــن الصحابة ، ولم يكن بتوقيف من النبى صلى الله عليه وسلم ، وذلك مبنى على ما

روى من أن مصاحف الصحابة قبل أن يجمع سيدنا عثمان المسلمين على مصحف واحد ، كانت مختلفة الترتيب ، ولو كان ذلك الترتيب منقولا عن النبى صلى الله عليه وسلم لما ساغ لهم أن يختلفوا ، فقد كان مصحف أبـى بن كعب مبـدوءا « بالفاتحة » ، ثم « البقرة » ثم « النساء » ثم « آل عمران » ثـم « الأنعام » ، ومصحف ابن مسعود مبدوء « بالبقرة » ثـم « النسـاء » ثم « آل عمران » ، ومصحف على كان مرتبا حسب النزول فأوله « اقرأ » ثم « المدثر » ثم (ق) ثـم « المزمل » ثم « تبت » ثم « التكوير » وهكذا ..

والقول الثالث : ترتيب السور كان بعضه بتوقيف من النبى صلى الله عليه وسلم وبعضه الآخر باجتهاد الصحابة .

وقد وضح الآن أن المصحف بشكله الحالى سواء كان ترتيب سوره بتوقيف من النبى صلى الله عليه وسلم أو باجتهاد من الصحابة يجب أن يلاحظ أن هذا الترتيب واجب الاحترام والاتباع لإن اجماع الصحابة حجة ، ولأن مخالفة هـذا الاجماع تجر الى الفتنة ، ولا مجال للرأى والاجتهاد ، فعمل الصحابة وإجماعهم وإقرارهم مصحف سيدنا عثمان اعتراف منهم بأن ذلك عمل مشروع .

خطأ شائـع

وقد وردت للمجلة هذه الرسالة :

قرأت فى العدد الثامن والثمانين ربيع الآخر ١٣٩٢ هـ الموافق ١٤ أيار ٧٢ من مجلة (الوعى الاسلامى) الغراء مقالا بعنوان (لغة القرآن) وقد جاء فـى مقال الكاتب عبارة دقيقة استوقفتنى تستحق التعقيب والرد حيث انبهم المعنى لا بل انقلب الى معنى آخر .

يقول الأستاذ على الصفحة الخامسة عشرة من المجلة (وأعانها قبل كل ذلك وبعد كل ذلك وأكثر من ذلك نفوس العرب والمسلمين التى دب اليها الوهن ، وإبتليت بحب الدنيا ، واستبدلت الذى هو خير بالذى أدنى .. « ولـو قال ـ استبدلت الذى هو أدنى بالذى هو خير لاستقام المعنى الذى ذهب اليه ، ذلـك أن أفعال الاستبدال ، وما يصرف منها يحتاج معمولها الـى شيئين مستبـدل ومستبدل به أو الى مأخوذ ومتروك ، وفى أحدهما باء الجر ، وحكم هذه البـاء متى وجدت أنها لا تدخل إلا على متروك . وهذه القاعدة لدقتها ربما كبا فيهـا حذاق اللغة وعمالقتها وحاملو لوائها ، فهذا أمير البيان (شوقى) يتعثر فى بيت من الشعر ويقلب معناه رأسا على عقب حين يقول :

أنا من بدل بالكتب الصحابا — لم أجد لى وافيا الا الكتابـا

ولو أنه قال : **أنا من بدل بالصحب الكتابا — لم أجد لى وافيا الا الكتابا**

لاستقام المعنى وصح التعبير .

ودليلنا على هذه القاعدة الآيات القرآنية التالية ، والتى هى كل ما ورد فى القرآن الكريم من آيات الاستبدال مقرونا بالباء .

١ ــ « وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل » .. سورة سبـأ .
٢ ــ « لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج » . سورة الأحزاب .
٣ ــ وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب » .. سورة النساء .
٤ ــ « ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل » .. سورة البقرة .
٥ ــ « قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير » .. سورة البقرة .

إننى أستميح كاتب المقال عذرا لهذا التعقيب ، فما أردت من ذلك الا النفع والمصلحة العامة لا سيما وأن المقال يعالج مسألة تتعلق باللغة العربية التى هى لغة القرآن الكريم .

محمد خـلاد ــ عمان ــ الأردن

بأقلام القراء

إعـــداد : فهى الإمام

« الكفـــاءة »

جاءنى صديقى « السنغالى » منفعلا وقال :

أليس فى كتاب الله « إنما المؤمنون اخوة » ! ؟

قلت : بلى . .

قال : ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم « كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى » ؟!

قلت : بلى . .

قال : فلم هذه التفرقة العنصرية فى كتب الفقه . . ثم نهض وأخـــرج كتابا فى فقه المعاملات وأسمعنى أقوال العلماء فى مسألة « الكفاءة » وكان هنـــاك شبه اجماع على نقطة هى :

« الناس قسمان : عرب وعجم ، والعجمى ليس كفءا للعربية على أى حال والعرب قسمان : قرشيون وغيرهم ، والعربى من غير قريش ليس كفءا للقرشية على أى حـــال » .

قلت : هون على نفسك وسأضع أمامك بعض الحقائق :

أولا : الاسلام دين عالمى يتخطى حجب الزمان والمكان وشعاره :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وقال الرسول عليه الصلاة والسلام :

« ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من قاتل على عصبيـــة وليس منا من مات على عصبية » .

وإذا كانت الثورة الفرنسية قد وضعت فى المادة الأولى من إعلان حقـــوق الانسان : أن الناس ولدوا أحرارا متساوين فى الحقوق ، فتلك قولة إسلامية عمرية أعلنها الفاروق قبلها بعشرة قرون حين قال : متى استعبدتم الناس وقـــد ولدتهم أمهاتهم أحرارا . .

ثانيا : إن مناط الكرامة الشخصية فى الاسلام هو الدين ليس غير . . والقول بخلاف ذلك مصادمة للنص والواقع التاريخى . . فلقد كان أول مؤذن فى الاسلام عبدا أسود هو بلال الحبشى ، وقد أعتبر الرسول عليه الصلاة والسلام سلمان الفارسى من آل بيت النبوة . . وفى مقابلة ذلك فان القرآن يتلى على سمع الزمان الى أن يرث الله الارض ومن عليها بقوله :

« تبت يدا أبى لهب وتب . ما أغنى عنه ماله وما كسب . سيصلى نـارا ذات لهب . وامرأته حمالة الحطب . فى جيدها حبل من مسد » .

وابو لهب هذا قرشى من خير بطونها نسبا وهو عم الرسول .. !!

ثالثا : إن زيد بن حارثة وهو رقيق معتق قد زوجه الرسول بشريفة هى زينب بنت جحش .. ولهذا الزواج حكم منها :

أ ــ إبطال عادة التبنى عملا بعد بطلانها قولا فى آية « أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله .. » فلقد تزوجها الرسول بعد طلاقها من زيد « كيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا » .

ب ــ تحطيم عنصرية النسب واستعلاء العرق والاعلان العملى بأنه لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى .. .

حـ ــ القضاء على عادة جاهلية وهى أن الشريفة إذا تزوجت برقيق ثم طلقت لا يرغب فيها شريف آخر .. فلقد تزوجت زينب بعد طلاق زيد لها بأشرف خلق الله جميعا ..

رابعا : إن من مشاهير الصحابة بلالا الحبشى وصهيبا الرومى وسلمـان الفـارسى ..

وإن من خيار التابعين الحسن البصرى وسعيد بن المسيب ..

وإن أعلام الأئمة الذين خدموا العلم واللغة وحفظوا للأمة الاسلامية تراثها الخالد ــ أكثرهم من العجم مثل : أبى حنيفة النعمان ، والزمخشرى جار الله ، وسيبويه وابن فارس ، والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى ، والمعلم الثانى الفارابى ، والشيخ الرئيس ابن سينا وحجة الاسلام الغزالى .. الخ .

إن كل واحد من هؤلاء كفء وأى كفء لكل امرأة عربية أو قرشـية .. ولا ينكر فضلهم وشرفهم وعلو مكانتهم وسمو منزلتهم الا حاقد بغيض ..

ومن عجب أن ينسب مثل هذا القول إلى إمام مثل أبى حنيفة وهو أعجمى فهل كان يرى نفسه غير كفء لامرأة عربية ؟ !!

خامسا : بماذا نعلل ــ إذن ــ هذه الشروط التى وضعت لكفاءة الزواج ؟

وأقول على الفور :

إن موضوع الكفاءة فى الزواج هو موضوع عرفى ليس للاسلام فيه نصيب .. على معنى أن عرف الناس جرى بذلك وأن الأئمة رضوان الله عليهم قالوا به حفاظا على دوام العشرة بين الزوجين ومنعا للشقاق بينهما وحتى يكون ذلك أدعى للوفاق وتقارب الزوجين ..

ولا يمكن أن نفهم أن هذا شرع ندين الله عليه نأثم بتركه ونثاب بفعله بل الأمر كله متروك للرغبات النفسية للزوجين ولا يستطيع انسان ما أن يكـره آخر على الزواج من امرأة ينفر منها أو تنفر منه مهما كانت الظروف ومهمـا كانت الدوافع .. وهو ان فعل هذا ــ مدين شرعا وعرفا وقانونا .. فالحياة الزوجية لا تقوم على القسر وإنما هى مودة ورحمة ، وسكينة وطمأنينة .. فان وصلنا الى الحال التى وصفتها المرأة للرسول صلى الله عليه وسلم بقولها « إنى أكره الكفر

فى الاسلام » اى انها تبغض زوجها ولا تستطيع اداء حقوقه الزوجية التى شرعها الله ــ إن وصلنا الى تلك الحال ابتداء أو انتهاء فالأمر معروف ومحدد فى قوله تعالى :

« وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته » .

محمد سيد أحمد المسير

الشـــدائد تكون الأمم وتصنع الرجـــال

كتب الأستاذ كنعان ابراهيم الجميلي تحت هذا العنوان يقول : ــ

لقد كانت الأمة العربية منزوية فى جزيرتها غارقة فى ضلالها تسودها الفتن وتلعب بها الأهواء ذليلة لا شأن لها ولا سلطان ، يتكالب عليها الأعداء من الفرس والروم وغيرهم فأعزها الله بالدين الاسلامى على يد زعيم هذه الأمة محمد صلى الله عليه وسلم الذى وحد كلمتها على أساس من الايمان بالله والأخوة والمحبة فى سبيل الله . فاجتمـــع شملها وتوحدت كلمتها فتكونت منها قـــوة نشرت العدل والمساواة والطمأنينة نشرت تعاليم الاسلام والدعوة الى الحق والهداية فـــى جميع أرجاء الجزيرة العربية حيث كان من رجالاتها عمر بن الخطاب ، وعلى بن أبى طالب فى الشجاعة والحزم درجة لا تطاق وكان أبو بكر الصديق وعثمان بن عفان فى الكرم والتضحية وبذل المال ، وكان سلمان الفارسى وبلال الحبشى فى الصبر والثبات وقوة الايمان والارادة .

ولم تلبث هذه الامة طويلا حتى امتد سلطانها واتسع نفوذها فدخلت تحت سيادتها أمم وشعوب آمنت بالله واستجابت لدعوة الاسلام دعوة الحق والنور . واستمرت على هذه الحالة حتى انخفضت حرارة الايمان وضعف سلطانها فبدأ الضعف يتسرب الى كيانها حيث أخذت الاهواء والنزعات تعمل عملها،وبدأ الحقد والكراهية يدب بين صفوفها فتفرق أبناؤها وتقـــاتلوا بينهم حتى ابتـــلاهم الله بالحملات الصليبية على بلادهم حيث احتل الصليبيون اجزاء كبيرة من بلاد الشام ومنها بيت المقدس فلم تسكت هذه الامة على هذا البـــلاء ولم تستكن . ولكـــن جاهدت وناضلت رغم المصاعب والعقبات حتى استطاعت أن تحرر بلادها ،ومن ثم أعادت لنفسها العزة والكرامة على يد أبنائها المخلصين أمثال (صلاح الدين الأيوبى) . وليس العدوان الاسرائيلى الأخير الا موجة من الموجات العاتية التى استهدفت كيان هذه الأمة ووجودها ودينها . وكانت أمتنا تواجه الفتن والعدوان بايمان صادق ، ووحدة متماسكة ، وكانت تستفيد من الهزائم والنكسات كمـــا تستفيد من الغلب والانتصارات . فكانت تصحح أخطاءها وتعالج عيوبهـــا وتعد وتستعدلنيل النصر ولهزيمة المعتدين وسرعان ماتخرج من الشدائد والمحن كأقوى ما تكون ايمانا وصلابة بحقها . فقد كان أسلافنا يستفيدون من الشدائد والنكبات فكانوا (اذا انتصروا شكروا ، واذا انهزموا اتعظوا واعتبروا) .



قالت صحف العالم

ان الدين عند الله الاسلام

الاسلام هو دين الله الذى نزل من السماء ليصلح الارض ، ويربط العالم بعضه ببعض ، ويوثق العلاقة بين الخالق والمخلوق على أساس العقيدة الصافية ، والعبادة الهادية ، ويوثق العلاقة بين المخلوق والمخلوق على أساس العدالة الكاملة ، والرحمة الشاملة ، والمعاملة الكريمة والسياسة الرحيمة . هذا هو الاسلام فى اجمال ، وتوضيحا لذلك أقول والله المستعان :

عن مجلة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة :

دعانا الاسلام الى أن نؤمن بالله ايمانا صادقا ، ونوحده توحيدا خالصا ، وذكرنا بأن الله وحده هـو الذى خلقنا وسـوانا ، ومنحنا حواسنا وقوانا ، وأنعم علينا بنعمه التى لا تحصى ، وغمرنا بفضله ، وعمنا بكرمه ، وشملنا بلطفه ، ووسعنا بعلمه فهو يعلم ما نخفيه كما يعـلم ما نبذله . قال تعالى : « أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ، وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم ، والله يعلم ما تسرون وما تعلنون » .

ودعانا الى الايمان برسـل الله الذين اختارهم المولى ليكونوا دعاة له ، وهداة لخلقـه ، وقدوة لهم ، وحجة عليهم ، قال تعالى « الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس » وقال : « رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » .

ودعانا الى الايمان بالبعث والحساب والجزاء لتوفى كل نفس ما كسبت ، ويتلقى المحسن أجر احسانه ، ويأخذ المعتدى عقاب عدوانه فلا يتساوى بـار كريم ، ومجرم أثيم . قال تعالى « أفحسبتم انما خلقناكم عبثـا وأنكم الينـا لا ترجعون » . وقال تعالى « وما خلقنـا السـماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النـار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار » .

هـذه العقائد الثلاث التى دعا اليها الاسلام عقائد متماسكة متلازمة لها أثرها العميـق فى تهذيب الانسان واعلاء شأنه .

فعقيدة التوحيد تحمل فى طواياها الاعتراف بالكمال المفرد المطلق لبارى الكون وترفـع شـأن الانسان الى المستوى الذى يليق به فلا تهبط بعقله الى قبول عقائد خرافية ووثنيـة ولا تدفعه الى الذلة أمام مخلوق من المخلوقات صغر أم كبر ، عظم أم هـان وهذا هو السر فى قوله تعالى « ولله العـزة ولرسوله وللمؤمنين » .

وعقيدة التوحيد أيضـا تولد لدى المسلمين شـعورا واحدا بانهم جميعا عبيد لرب واحد لا يتفاضلون عنده الا بالتقوى والعمل الصالح . قال تعالى : « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وفى ظلال هذه العقيدة لا يتعالى أحد على أحد ويتنافس الناس جميعا فى أعمال البر ، وطرق أبواب الخـير والايمان برسل الله ، يحمل فى طواياه الايمان بحكمة الله ، فحكمتـه سبحانه تأبى أن يوجـد الانسان ويتركه سـدى ويدعه همـلا ، ويحاسبه ويعاقبه دون أن يقيم عليـه الحجـة .

الايمان برسل الله يقتضى الايمان بمـا جاءوا به وما جاءوا الا بالخير العميم ، والصراط المستقيم والنظام السليم الذى يضمن سعادة الفرد والمجتمع .

الايمان برسل الله يعمق الايمان بالله ، ويدعو الى تنزيه المولى عن العبث والظلم والسفه، ويضع أمام الناس مثلا بشرية ، عالية يحتذونها ويقتدون بها ، ويسيرون على منهاجها فى مراقبة الله ، والاحسان الى الناس دون انتظار أجر منهم .

والايمان باليوم الاخر وما فيه من بعث وحساب وجزاء من شانه أن يزكى نفس الانســان ويدفعه الى عمل الخيرات وترك المنكرات والبعد عن النقائص والشبهات .

هذه العقائد الثلاث من شانها أن تعين فى ايجاد الانسان الفاضل ، والمجتمع الفاضل ، والدولــة الفاضــلة .

وفروع الاسلام وشرائعه تهدف الى ما تهدف اليه أصوله ، وتعمل على تحقيق الغاية التى ترمى اليها عقائده فالصــلاة والصــيام والزكــاة والحــج وبقية ما أمر به الشارع تجمع بين حق الله وحق الانسان ، وفيها منافع للناس يشهدونها ويلمسون آثارها فى حياتهم ، الى جانب كونها عبادة لربهم وطاعة لخالقهم .

ومن ينظر فى شريعة الاسلام يجدها كافية وافية شافية ، جاءت بمــا فيه كمال الروح والبدن وصلاح الفرد والامة وهناءة العالم بأسره فاقامت البرهان على أن الاسلام دين انسانى عالمى واقعى نزل من الســماء ليحكم الارض وليملأها عدلا وسلاما ، ومحبة ووئاما ، ورخــاء ورفاهية ولان الاسلام دين واقعى التزم فى كل ما شرعه أن يلائم طاقة الانسان ، ويناسب مقدرته فلا يكلفه شططا ، ولا يرهقه عسرا ، ولا يطلب منه ما يحرجه أو يشق عليه قال تعالى : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » وقال « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » وقال « يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا » .

وتمشيا مع واقع الانسان ، وتقديرا لظروفه ، ومسايرة لطبيعته وخصائصه اهتم الاسلام بشئون دنيــاه كما اهتم بشئون أخراه ، فلم يفرض عليه أن يعتزل الناس ، وينقطع لعبادة الله ويهمل أمر نفسه ، ويغفل مطالبه الجسمية ، وغرائزه النفسية . كلا ، فقد سمح له بأن ينــال حظه من العاجلة ، ويستجيب لغرائزه ، ويسر له الطريق فى غير افراط ولا تفريط ، وهيأ له السبيل فى حدود الاعتدال والكمال .

وفى السنة النبوية ارشاد لنا بأن نتوجه الى الله بهذا الدعاء « اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى ، وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى وأصلح لى آخرتى التى فيها معادى واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير واجعل الموت راحــة لى من كل شر » أخرجــه مســلم عن أبى هريرة ٨ — ٨١ .

الوجـــــودية

عن مجلة التربية الاسلامية :

للدكتور محسن عبد الحميد
مدرس فى كلية الاداب ــ جامعة بغداد

ليست الوجودية نظرية فلسفية واضحة المعالم ، محددة الاتجاه ، شاملة لمسائل الكون والحياة . ولا هى حلول ايجابية ــ أو حتى سلبية ــ للمشاكل الكثيرة التى تجابه الانسان . وانما هى فى واقع الامر اتجا هات متعددة ، وافكار متباينة قلقة لم تختمر حتى فى اذهان فلاسفتها، والداعين اليها .

وللوجودية فى الوقت الحاضر مدرستان . احداهما مؤمنة ، والاخرى ملحدة . ومن أبرز رجال الوجودية المؤمنة الفيلسوف الالمانى الكاثوليكى المعاصر « كارل جاسبرز » . أما الفيلسوف الفرنسى « جان بول سارتر » فمن أبرز رجال الوجودية الملحدة . كما يعترف نفسه بذلك فى كتابه « الوجودية مذهب انسانى ».

والجدير بالذكر أن الوجودية الملحدة هى التى تتولى القيادة ، وهى المقصودة بمفهــوم الوجودية الحاضرة المتداولة على السنة المراهقين والمراهقات فى الغرب وفى الشرق أيضا . ذلك لان الوجودية المؤمنة تنحصر فى دائرة ضيقة ، لم يلتف حولها الا جمع من المفكرين المبعثرين هنــا وهنــاك .

ان الوجوديين يؤمنون ايمانا مطلقا بالوجود الانسانى ، ويتخذونه منطلقــا لكل تفكــير ، ويعتقدون ان النظريات الفلسفية التى سادت فى القرون الوسطى والحديثة لم تحل مشكلة الانسان ولم تعالج واقعه القلق الكئيب المضطرب . وبالتالى فان الانسان من حيث هو موجود لم يتسن له ان يحلم حتى بآماله فى ظل تلك الفلسفات . وان فرديته وتفكيره الشخصى ووجوده الحــر وغرائزه وعواطفه ، لم تجد الصدر الرحب من المثاليات أو المعالجات التى لا تتصل بأعمــاق الانسان النفسى .

الدكتور عبد المعطى بيومى

الكويت : ينتظر أن يعود قريبا حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم الى أرض الوطن موفور الصحة والعافية بعد أن استكمل الفحوصات الطبية فى مستشفى البحرية الاميريكية بواشنطن .

● افتتح نائب الأمير المعظم وولى العهد دور الانعقاد الثالث لمجلس الأمة.

● استقبل رئيس الوزراء بالنيابة ووزير الداخلية والدفاع الاستاذ عبد الرحمن الفارس وكيل الوزارة حيث قدم لسعادته مفتى ج. م. ع. والأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية بمناسبة زيارتهما للكويت .

● استضافت وزارة الاوقاف لموسمها الثقافى فى رمضان الدكتور محمد بيصار الامين العام لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر وصاحبى الفضيلة مفتى مصر ومفتى سوريا وعددا من القراء من مصر وسوريا ولبنان والعراق .

● أهاب وزير الاوقاف والشئون الاسلامية بجميع الحكومات الاسلامية الاسراع فى انشاء البنك الاسلامى الدولى .

● عقدت اللجنة الدائمة للمعونات الاسلامية الخارجية اجتماعها الرابع لعام ٧٢ م برئاسة سعادة وزير الاوقاف . واتخذت اللجنة توصيات بشأن عدد من طلبات المساعدة .

● تعاقدت وزارة الاوقاف مع عدد من علماء الازهر الشريف للعمل بالوزارة.

مصر : قرر الدكتور عبد الحليم محمود وزير الاوقاف صرف مبلغ ٤٠٠٠ جنيه مصرى لبعض المنشآت الدينية فى الاسكندرية .

● وزعت مصر على أعضاء الامم المتحدة سجلا مدعما بالصور والوثائق عن حوادث الارهاب التى ارتكبها الاسرائيليون منذ أيام الانتداب البريطانى على فلسطين .

● تواصل السلطات الوزارية فى مصر بحث تيسير الحج هذا العام بعد أن زاد عدد الذين أدوا العمرة فى رمضان بشكل ملحوظ .

السعودية : وافقت اللجنة المالية الدائمة للمؤتمر الاسلامى على مشروع ميزانية الامانة الاسلامية العامة لعام ١٩٧٣ .

● بلغ عدد الدول التى صادقت على ميثاق الامانة الاسلامية العامة ثمانى دول هى السعودية ، الاردن ، الصومال ، اليمن ، البحرين ، موريتانيا ، ماليزيا ، السودان .

● نقلت مجلة « اخبار العالم الاسلامى » السعودية تقريرا عن تأزم الاوضاع فى باكستان الشرقية اكثر مما كانت عليه قبل انفصالها عن باكستان .

الاردن : تواصل السلطات الاسرائيلية اجراءاتها لتغيير الوضع السكانى فى غزة والضفة الغربية للاردن فتنقل العائلات العربية من بيوتها وتحل الغرف التجارية العربية فى خطة تهويد شاملة .

● تقول بعض الانباء أن الاردن وافق على انشاء لجنة تتولى ترميم المسجد الاقصى .

ليبيا : قام وفد ليبى بجولة فى بعض الدول الافريقية تستهدف تدعيم الصلات وتنسيق المواقف فى القارة الافريقية .

● استقبلت ليبيا فى الشهر الماضى وفدا اسلاميا من اوغندا لاجراء مباحثات تستهدف التعاون بين البلدين خاصة فى المجالات الاسلامية فى افريقيا .

تونس : ناشد الرئيس التونسى الدول والحكومات العربية تجاوز خلافاتها والعمل على توحيد الجهود فى مواجهة العدوان الاسرائيلى الدائم على العرب .

الجزائر : تبرعت الجزائر بعشرة مستوصفات ومركزين طبيين اجتماعيين لجنوب لبنان الذى تعرض فى الشهرين الماضيين لغارات وحشية اسرائيلية .

السودان : سوف تتبرع السودان بمبلغ ٥٠ الف جنيه سودانى لبناء المركز الاسلامى الذى ترعاه السعودية وليبيا والكويت والسودان بهدف الثقافة الاسلامية فى افريقية .

اوغندا : قرر الرئيس عيدى أمين طرد الآسيويين الذين يحملون جنسيات افريقية لانهم يناورون فى الاستيلاء على ممتلكات الآسيويين المطرودين حاملى الجنسيات البريطانية .

الهند : سمحت الحكومة الهندية بزيادة عدد الحجاج المسلمين هذا العام حوالى خمسمائة حاج عن العام الماضى وسيوزع هذا العدد على الولايات الهندية حسب سكانها المسلمين .

● صرح الدكتور عبد الجليل فريد رئيس المجلس الاسلامى فى الولاية الشمالية انه سيواصل العمل من اجل معارضة التعديل الذى أجرته الحكومة الهندية على جامعة عليكرة الاسلامية .

● اعلنت وزارة الخارجية الباكستانية انها لا تمانع فى الاجتماع والتباحث مع اى زعيم من زعماء باكستان الشرقية .

ماليزيا : ستقدم ماليزيا قريبا الى السيد ياسر عرفات مبلغ ١١٧٠٠ جنيه استرلينى مساعدة لشعب فلسطين .

ــ اخبار متفرقة ــ

ولاية ميزورى الامريكية : اتخذ المؤتمر السنوى العاشر لاتحاد الطلبة المسلمين فى الولايات المتحدة الامريكية وكندا عدة قرارات وتوصيات بشأن الاقليات الاسلامية فى العالم والتنديد بعدوان اسرائيل على الارض العربية .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	شوال ١٣٩٢ هـ	نوفمبر ١٩٧٢ م	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي						المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
الاثنين	١	٦	٤ ٣٤	٦ ٤	١١ ٣١	٢ ٣٦	٤ ٥٨	٦ ١٨	١١ ٣٦	١ ٦	٦ ٣٣	٩ ٣٨	١ ٢٠
الثلاثاء	٢	٧	٣٤	٤	٣١	٣٥	٥٧	١٧	٣٧	٧	٣٤	٣٨	٢٠
الاربعاء	٣	٨	٣٥	٥	٣١	٣٤	٥٦	١٦	٣٩	٩	٣٥	٣٨	٢٠
الخميس	٤	٩	٣٥	٥	٣١	٣٤	٥٥	١٥	٤٠	١٠	٣٥	٣٩	٢٠
الجمعة	٥	١٠	٣٦	٦	٣١	٣٣	٥٥	١٥	٤١	١١	٣٦	٣٩	٢٠
السبت	٦	١١	٣٧	٧	٣١	٣٣	٥٤	١٤	٤٣	١٣	٣٧	٣٩	٢٠
الاحد	٧	١٢	٣٧	٨	٣١	٣٢	٥٣	١٤	٤٤	١٥	٣٨	٣٩	٢٠
الاثنين	٨	١٣	٣٨	٩	٣١	٣٢	٥٣	١٣	٤٥	١٦	٣٨	٣٩	٢١
الثلاثاء	٩	١٤	٣٨	١٠	٣١	٣٢	٥٢	١٣	٤٦	١٧	٣٩	٣٩	٢١
الاربعاء	١٠	١٥	٣٩	١٠	٣١	٣١	٥٢	١٣	٤٧	١٨	٣٩	٤٠	٢١
الخميس	١١	١٦	٤٠	١١	٣١	٣١	٥١	١٢	٤٩	٢٠	٤٠	٤٠	٢١
الجمعة	١٢	١٧	٤١	١٢	٣٢	٣١	٥١	١٢	٥٠	٢١	٤١	٤٠	٢١
السبت	١٣	١٨	٤٢	١٣	٣٢	٣٠	٥١	١٢	٥١	٢٢	٤١	٤٠	٢١
الاحد	١٤	١٩	٤٣	١٤	٣٢	٣٠	٥٠	١١	٥٣	٢٤	٤٢	٤٠	٢١
الاثنين	١٥	٢٠	٤٤	١٤	٣٣	٣٠	٥٠	١١	٥٤	٢٥	٤٣	٤٠	٢١
الثلاثاء	١٦	٢١	٤٥	١٥	٣٣	٣٠	٥٠	١١	٥٥	٢٦	٤٣	٤٠	٢٢
الاربعاء	١٧	٢٢	٤٥	١٦	٣٣	٣٠	٤٩	١١	٥٦	٢٨	٤٤	٤٠	٢٢
الخميس	١٨	٢٣	٤٦	١٧	٣٤	٣٠	٤٩	١١	٥٧	٢٩	٤٥	٤٠	٢٢
الجمعة	١٩	٢٤	٤٧	١٨	٣٤	٣٠	٤٩	١١	٥٨	٣٠	٤٥	٤١	٢٢
السبت	٢٠	٢٥	٤٨	١٩	٣٤	٣٠	٤٩	١١	٥٩	٣١	٤٦	٤١	٢٢
الاحد	٢١	٢٦	٤٨	٢٠	٣٥	٢٩	٤٨	١٠	١٢ ٠٠	٣٢	٤٦	٤١	٢٢
الاثنين	٢٢	٢٧	٤٩	٢١	٣٥	٢٩	٤٨	١٠	١	٣٣	٤٧	٤١	٢٢
الثلاثاء	٢٣	٢٨	٥٠	٢٢	٣٥	٢٩	٤٨	١٠	٢	٣٤	٤٧	٤١	٢٢
الاربعاء	٢٤	٢٩	٥١	٢٣	٣٦	٢٩	٤٨	١٠	٣	٣٥	٤٨	٤١	٢٢
الخميس	٢٥	٣٠	٥١	٢٣	٣٦	٢٩	٤٨	١٠	٣	٣٥	٤٨	٤١	٢٣
الجمعة	٢٦	ديسمبر	٥٢	٢٤	٣٦	٢٩	٤٨	١١	٤	٣٦	٤٨	٤١	٢٣
السبت	٢٧	٢	٥٣	٢٥	٣٧	٢٩	٤٨	١١	٥	٣٧	٤٩	٤١	٢٣
الاحد	٢٨	٣	٥٣	٢٦	٣٧	٢٩	٤٨	١١	٥	٣٨	٤٩	٤١	٢٣
الاثنين	٢٩	٤	٥٤	٢٦	٣٧	٢٩	٤٨	١١	٦	٣٨	٤٩	٤١	٢٣
الثلاثاء	٣٠	٥	٥٤	٢٧	٣٨	٢٩	٤٨	١١	٦	٣٩	٥٠	٤١	٢٣

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار ـــ ٧ شارع الصحافـــة .

جـــدة : الدار السعودية للنشر ـــ ص.ب ٢٠٤٣ .

الرياض : مكتبة مكـــة ـــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ـــ ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة ـــ ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعـــة ضياء .

عـــدن : وكالة الأهرام التجارية ـــ السيد محمد قائد محمد .

المكـــلا : مكتبـــة الشعب ـــ ص.ب ٢٨ .

مســـقط : المكتبـــة الحديثة ـــ السيد يوسف فاضل .

صنعـــاء : مكتبة المنار الاسلامية ـــ السيد عاصم ثابت .

دمشـــق : الشركة العامة للمطبوعات ـــ ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ـــ ص.ب ٢٤٧٣

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية ـــ ص.ب ٦٧ .

عمـــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات ـــ ص.ب ٢١٥ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى ـــ ص.ب ١٣٢ .

بنغـــازى : مكتبة الوحدة الوطنية ـــ ص.ب ٢٨٠ .

تـــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بـــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـــ كورنيش المزرعة .

دبـــى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر .

أبو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـــ السيد غازى بساط .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـــ ص.ب ١٧١٩

الدوحـــة : سالم الانصارى ـــ الدوحة / قطر .

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد ال

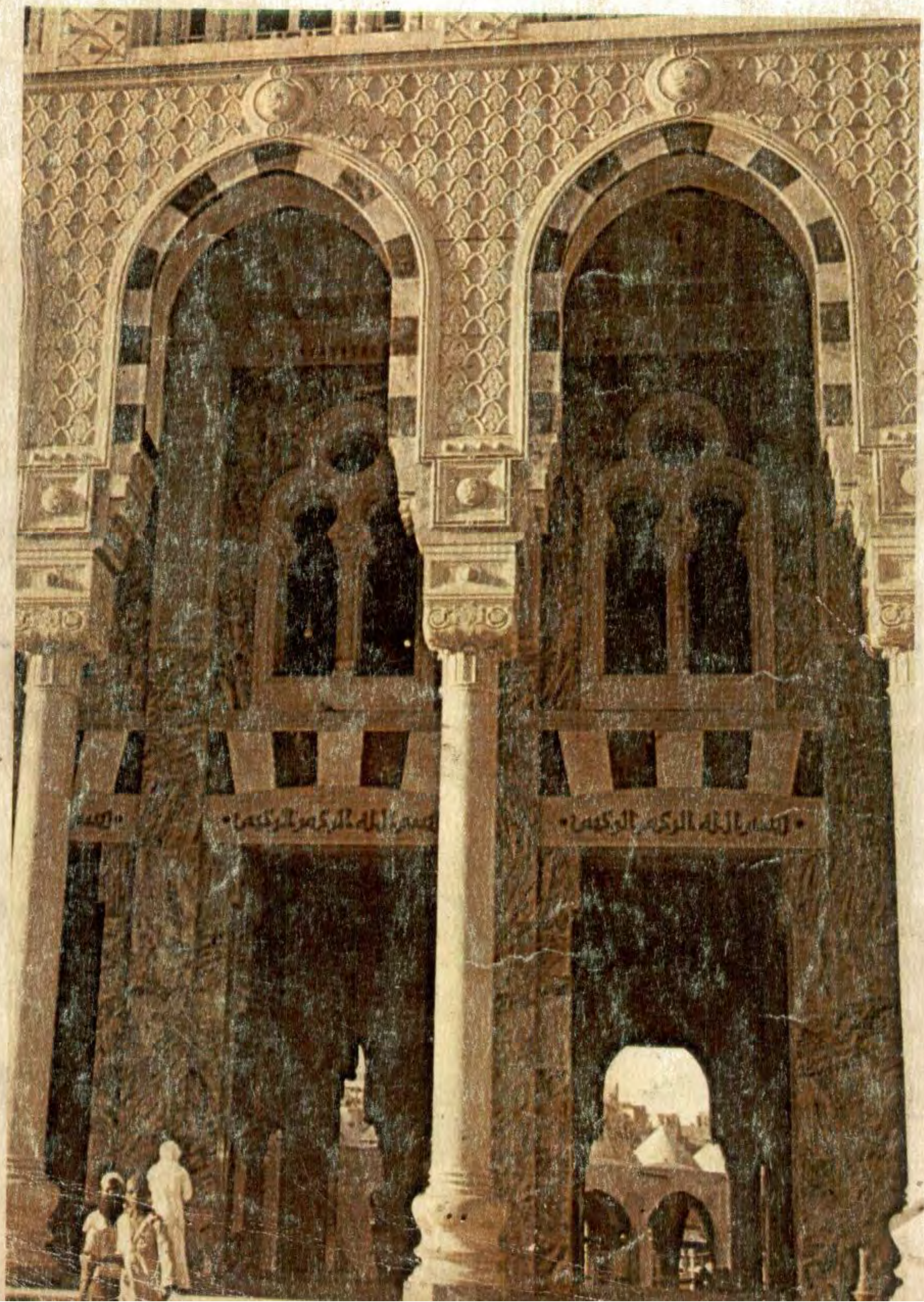
اقرأ في هذا العدد

ي هذا العدد رسالة الحج هدية

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

السنة الثامنة — العدد ٩٥ — غرة ذى القعدة ١٣٩٢ هـ — ٦ ديسمبر ١٩٧٢ م





سمو أمير البلاد المعظم الشيخ صباح السالم الصباح عند وصوله الى مطار الكويت الدولى قادما من الولايات المتحدة الامريكية ، ويرى سموه وسمو ولى العهد وعدد آخر من كبار المستقبلين فى أعقاب نزول سموه من الطائرة .



أحد أبواب الحرم المكى وقــــد اجتمعت فيه الى روعة الفن الاسلامى جــلال الروحانية .

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السـنة الثامنة

العـدد ٩٥

غرة ذى القعدة ١٣٩٢ هـ
٦ ديسـمبر ١٩٧٢ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمـن

الكـويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العـراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجـزائر	دينار وربع
المغـرب	درهم وربع
الخليج العربى	١ روبية
اليمن وعـدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكـويت ١ دينـار
فى الخـارج ٢ دينـاران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
أما الافـراد فيشـتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسـلات

مجلة الوعى الاسلامى — وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية .
ص.ب : ١٣ كـويت
هـاتف : ٤٢٨٩٣٤ — ٤٢٢٠٨٨

الأوضاع العربية ومسئولية الحكام العرب

أدلى سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الاحمد بتصريحات الى موفد صحيفة الاهرام القاهرية السيد زكريا نيل بمناسبة انعقاد لجنة وزراء الخارجية والدفاع العرب فى الكويت . وقد تساءل سموه فى بداية تصريحاته قائلا :

هل ينعقد هذا الاجتماع وينفض كما انفض غيره من الاجتماعات وتكون حصيلته الجمود ؟ الى أين نحن ذاهبون ؟ وهل انسدت فى وجوهنا كل وسائل الممارسات الايجابية لمجابهة عدوان اسرائيل وعندنا من القدرات والطاقات والوسائل ما نستطيع به أن نعمل وان نفرض وان نستخلص الحق العربى من مغتصبه ، ثم عاد سمو الشيخ جابر الاحمد فقال : من المسئول عن هذه الاوضاع التى أوشكت أن تؤثر فى الانسان العربى وتطفىء فيه كل حماس ؟

وفيما يلى النص الكامل لتصريح سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء :

نعم نستطيع أن نعمل ..

هكذا قال رئيس وزراء الكويت .. ولكن كيف ؟ الظروف الآن قد اختلفت ، والآن ماذا نطلب من مصر أكثر مما تتحمله من الاعباء اننا نؤيدها ونقف الى جانب رئيسها الرئيس أنور السادات ، ويكفى أن موقفه كان صريحا كل الصراحة أعلن على العرب أن المسئولية ليست مسئولية مصر وحدها ، ولكنها مسئولية الدول العربية كلها ، وان خطر اسرائيل قد تجاوز كل الحدود والحسابات ولذلك يجب أن تكون المجابهة جماعية ومحددة الالتزام .



سمو
ولى العهد ورئيس
مجلس الوزراء

ادن هل ترى أن قومية المعركة هى الاساس ؟

قال الشيخ جابر الاحمد : اننا نؤيد كل التأييد قومية المعركة ، نؤيدها فعلا والتزاما لا قولا وتصريحا بل اننى أرى أن كل من يخرج عن قومية المعركة أو يتنصل منها خائن لقضيته ووطنه ، ولقد سجلنا التزامنا لقومية المعركة كتابة فى رسالة الى الأخ العقيد معمر القذافى رئيس مجلس الثورة الليبية ، ونعتبر أن كل دولة عربية وكل طاقة عربية مهما كانت ضآلتها عليها واجب فى معركتنا مع عدونا ، ولكن سؤالى الآن الى أين نحن ذاهبون ، هل ستبقى الدول العربية على هذه الحالة ، وان ينحصر دورها فى أن تسجل على اسرائيل كل تحركاتها ، وتكتفى من المجابهة بذكر تفاصيل مسهبة عن كل عدوان تشنه على أراضينا ؟ ما الذى دهانا وما هى الحلقة المفقودة التى أدت الى وضعنا هذا ؟ هناك من يهمهم أن تبقى الاوضاع على ما هى عليه الآن بين العرب واسرائيل ، وفى مقدمة ذلك الدول الكبرى ، التى لها مصالح فى استمرار هذه الاوضاع واذن علينا أن نسقط من حسابنا هؤلاء الذين لا يريدون لنا الا ما يريدونه هم والذى يتفق مع مصالحهم الذاتية .

ثم قال الشيخ جابر الاحمد : من المخجل لنا ولسمعتنا العربية أن تضيع منا الوسائل وهى فى يدنا ، نعم ــ قالها بقوة ــ توجد امكانيات عربية وطاقــات عربية وأسلحــة عربية تستطيع أن تقوم بدورها بكل كفاءة فاذا كانت مصر الرابضة فى وجه العدوان وتجند مئات الالوف من شبابها تحت السلاح فى مجابهة العدو ولا يستطيــع طيرانها أن يصل الى مدى العمق فى داخل اسرائيل ردا على ما تقوم به من اعتداءات متواصلة على الاجواء العربية الى حــــد السيطرة عليها فان جماعية مجابهة العدو تفرض علينا أن يكون هناك تكامل فى قوتنا العسكرية هناك الاردن علــى حدود اسرائيل وهناك سوريا أيضا •

ومن هناك يمكن تعويض القصور فى الوصول الــى عمق اسرائيل •

نترك مقاعــد الحكم

اذن ما هى الوسائل ، والكل ينتقد ، ولا يستطيع أن يقدم حلا أو مقترحا ؟ •• قال الشيخ جابر الاحمد : نقطة واحدة هى الاساس ، الثقة بين العرب وهذا العنصر مفقود بيننا ولا توجد ثقة بين الدول العربية بعضها البعض وهذه هى مشكلتنا، التى أوصلتنا الى تلك الأوضاع المتدهورة كيف تتوافر الثقة فيما بيننا كانت هناك محاولات سابقة ولا تزال مستمرة لتوحيد الصف العربى ، وتصفية الجو وازالــــة الخلافات وقد تنجح هذه المحاولات ولكن من الذى يضمن ان يبقى للكلمة والاتفاق شرفه سواء كان مكتوبا أو غيــر مكتوب •

سؤال واحد نوجهه لأنفسنا : هــل نحن جديــرون بمسئولية الحكم وقيادة أمتنا الى النصر اذا كنــا جديرين بذلك فلا يهمنا ونحن نخوض معركة تحرير وشرف ومصير أن نظل على مكاتبنا أو فى مناصبنا يتحتم علينا أن ننــزل

على ارادة الشعب العربى • لنحـافظ على عنصر الحماس فيه ، وان نتحرك بأى عمل عربى جماعى له هدفـه المحدد الذى نصل اليه فى صراعنا مع عدونا أما أن نتجمد هكـذا فان مصير العرب كله مهدد بكارثة لا يستطيع أحد أن يحيط بحجمها •

المسئولية وتحديد المواقف

يقول الشيخ جابر الأحمد : اننا لا نريد أن نسبـق الحوادث قبل أن تتضح النتائج فى اجتماع الكويت ، ولكننا سنقف على حافة الهاوية ، اذا تكررت تجربة الاجتماعات السابقة ، والتعليمات صريحة ومحددة لوفد الـكويت فى هذا الاجتماع ، سنلتزم التزاما كاملا بتنفيذ ما نتفق عليه مع أشقائنا داخل خطة عربية ، وبدون أية تحفظات ، ولذلك فاننا نلح أن يكون هذا الاجتماع وما يتوصـل اليه علـى مستوى الاخطار ، وأن تحدد فيـه المواقف العربيـة والمسئولية بكل وضوح ، وانه فى سبيل الهدف القـومى ومستقبل الشعب العربى لا يهمنا سوى الاتفاق العـربى والوصول الى تخطيط محدد لهدف محدد فى أى تجمع عربى يكون فى الكويت أو فى خارج الكويت •• اننى أؤكد على ذلك حتى لا يتصور أحد أن مجرد انعقاد هذا الاجتماع فى الكويت سيكون دعاية للكويت وما قيمة أى دعاية لأى بلد عربى لا تزال تجثم على صدره الهزيمة والاحتلال •

ثم قال رئيس وزراء الكويت : يجب علينا جميعا أن نحذر من وقوع شىء هام فى مجال تحركنا السياسى ، وهو أن أصدقاءنا سينصرفون عن قضيتنا بعد أن وقفوا موقف التأييد لحقنا ثم طال بهم الانتظار ولم يجدوا من أصحاب الحق سوى الحيرة والتخاذل والجمـود ، فمتى نتحـرك وتغيير الظروف الدولية يفرض علينا أن نحسم صراعنا مع عدونا مهما كان حجم التضحيات •



الايمان والعمل

للدكتور : على عبد المنعم عبد الحميد

اخرج ابن ابى شيبة عن الحسن موقوفا :

« ليس الايمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل وان قوما ألهتهم امانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا : نحسن الظن بالله تعالى : وكذبوا لو احسنوا الظن لاحسنوا العمل » .

واخرج البخارى فى تاريخه عن انس مرفوعا :

« ليس الايمان بالتمنى ولا بالتحلى ولكن ما وقر فى القلب ، فاما علم القلب فالعلم النافع وعلم اللسان حجة على بنى آدم » .

الايمان هو التصديق بما علم من الدين بالضرورة تصديقا يستقر فى القلب ، وتظهر آثاره على الجوارح ، والذى يتصف بالايمان حقا يوقن بمعرفة الله تعالى ايقانا لا يقبل الشك ، فيتحلى بمكارم الأخلاق ، ويظهر أثر ذلك فى تهذيب النفس ، واستقامة العمل ، فلا يجديه نفعا ان يقول : إنى مؤمن وهو خبيث الخبء ، فاسد الطوية ، كريه الأداء ، والحديث الشريف يدعو الى العمل وينهى عن التواكل والاغترار بالأمانى الزائفة التى لا تحقق شيئا نافعا ، وكثيرا ما يهلك الانسان شيطانه حيث يخيل اليه السراب ماء وظل السحاب واقيا من حمارة القيظ فيدع الحقائق الواقعة الى وادى الأمانى الزائفة ، وتمضى الأيام دون ان يحصل على طلبته او يحقق رغبته ، والاسلام يعتمد فى توجيهاته السامية على العمل المثمر ، فمن زعم انه محسن الظن بالله فان شرع فى تحقيق الصلة الروحية القوية الدافعة الى الجد والمثابرة على فعل الخير كان احسان ظنه معينا له على الدوام والثبات وجنى اطيب الثمرات ، واما من تواكل ولاذ باسباب الخمول فان احسان ظنه بالله فى هذه الحالة خيال او خبال « بالمثناة التحتية فى الأولى والموحدة فى الثانية » .. ومظهر الايمان الجاد يتجلى فى اداء وصايا الله لعباده والبعد عن كل ما ينافيها ، وقد وضح القرآن الكريم تلك الوصايا وسردها احيانا مجتمعة واحيانا اخرى متفرقة ، كما وردت تلك الوصايا فى الكتب السماوية التى سبقت الكتاب العزيز ، اذ هى تجمع اصول ما حرم الله على عباده فى الأقوال والأعمال كما تشمل ما يقابلها من اصول الخير والفضائل ، وقد وردت متفرقة

فى كثير من سور القرآن الكريم فورد بعضها فى سورة البقرة وسورة النساء وسورة النحل ، كما ورد لبعضها تفصيل فى سورة الاسراء ، ولكنها جمعت كاملة فى سورة الانعام حيث قال الله تبارك وتعالى ((قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ، ان لا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا ، ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ذلك وصاكم به لعلكم تعقلون . ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا نكلف نفسا الا وسعها ، وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله اوفوا ذلك وصاكم به لعلكم تذكرون ، وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلك وصاكم به لعلكم تتقون)) .

هذه هى الوصايا العشر كما وردت فى سورة الأنعام ولكى يستطيع المسلمون الالمام بها وادراك مراميها التى تثبت أركان الخير فى الأرض وتنشر السلام وتحسن العقبى فى الآخرة نفسرها فى ايجاز ، ففى تفسيرها زيادة على ما سبق توضيح الطريق للسالك المؤمن الذى لم تغره الأمانى الكاذبة ، وانما تزود بالعمل بعد ان أدرك النتائج الطيبة لاحسان ظنه بالله فاحسن العمل فنقول والله ولى التوفيق .

((قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم)) أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول لعباد الله جميعا : اقبلوا على أبين لكم ما حرم ربكم عليكم فانه سبحانه هو الذى يحل ويحرم وأنا مبلغ عنه باذنه فاسمعوا عنى هذه الوصايا وتمسكوا بما جاء فيها :

الوصية الأولى : ((أن لا تشركوا بى شيئا)) نهى عن الاشراك بالله لأن الشرك هو الكفر وهو أشد المحرمات افساداً للعقل ، وهو طمس للفطرة السليمة ، فكل ما عدا الله سبحانه مخلوق لله وعبد له ((ان كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا)) فاعبدوه وحده بما شرعه على السنة رسله لا حسب أهوائكم ولا أهواء أحد من الخلق أمثالكم .

الوصية الثانية : ((وبالوالدين احسانا)) واحسنوا للوالدين احسانا كاملا تاما لا تدخروا فيه وسعا ولا تالوا فيه جهدا ، وهذا نهى عن الاساءة مهما صغرت ، وقد ورد فى سورة الاسراء قوله تعالى : ((ولا تقل لهما أف)) وفى سورة لقمان ((أن أشكر لى ولوالديك)) وروى البخارى ومسلم والترمذى والنسائى عن عبد الله بن مسعود قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم اى العمل افضل ؟ ((قال : الصلاة على وقتها ، قلت : ثم : أى ؟ قال : بر الوالدين . قلت : ثم أى ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله)) فقدم بر الوالدين على الجهاد فى سبيل الله الذى هو أكبر الحقوق العامة على الانسان ، لأن حقوق الوالدين على ولدهما اعظم وأجل عند الله من جميع حقوق الخلق عليه ، وعاطفة البنوة من اقوى غرائز الفطرة ، فمن قصر فى بر الوالدين والاحسان اليهما كان فاسد الفطرة مضيعا للحقوق جميعها فلا يرجى منه خير لأحد .

والوصية الثالثة : ((ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم واياهم)) فلا يجوز بحال ولا يحل ابدا أن تقتلوا اولادكم من الفقر الواقع بكم فعلا اى الفقر المتحقق الحاصل ، وفى آية أخرى وردت فى سورة الاسراء نهى عن قتل الأولاد خشية الفقر المتوقع اى غير الحاصل فعلا ، وانما يخاف حصوله لكثرة الأولاد قال تعالى : ((ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم)) وقدم هنا رزق الأولاد على رزق الآباء عكس آية الأنعام ، فلا يباح بأى حال الإقدام على هذا

الفعل الشائن لأن الله سبحانه هو الذى يرزق العباد ويضمن لهم ذلك فى صريح القرآن الكريم : « وفى السماء رزقكم وما توعدون ، فورب السماء والأرض إنه لحق مثلما انكم تنطقون » « وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها » ولكن يجب السعى والكسب والجد فى الحياة ليحصل الرزق ، ويتحقق ، فالسماء لا تمطر ذهبا ولا فضة . « فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » وحثت الآيات والأحاديث الشريفة على وجوب العمل لكسب القوت والحصول على ما يمكن الحصول عليه من العيش الحلال ، ولا يعترف الاسلام بالكسالى والاتكاليين ولا يقر أبدا السؤال فاليد العليا خير من اليد السفلى دائما ، وخيرات الأرض تكفى أهلها مهما تكاثروا فالذى خلق الأرض قدر فيها أقواتها وهو الحكيم العليم .

الوصية الرابعة : « ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن » وتطلق الفاحشة على ما ثبتت شدة قبحه عقلا وشرعا ، وما يرتكب الفاحشة ألا البعيد عن معرفة الله تعالى وعن المعقول ، والفواحش التى يقترفها الجاهلون منها : الزنا واللواط وقذف المحصنين والمحصنات ، وكثير من الناس من يرتكب بعض الفواحش معلنا بها ، ومنهم من يأتيها سرا بعيدا عن رقابة الناس ، اخرج ابن ابى حاتم عن ابى حازم انه سمع مولاه يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مسالة الناس من الفواحش » وعن عمر بن حصين فيما اخرجه ابن ابى حاتم أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ارايتم الزانى والسارق وشارب الخمر ، ما تقولون فيهم ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال : هن فواحش وفيهن عقوبة » وعن عكرمة قال : « ما ظهر منها ظلم الناس وما بطن الزنا والسرقة » لأن الناس يفعلونها فى الخفاء وروى البخارى ومسلم عن عبد الله بن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا احد اغير من الله ، من اجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن » وقال تعالى : « وذروا ظاهر الاثم وباطنه » وفى سورة الأعراف : « قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون » .

الوصية الخامسة : « ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق » نهى عن قتل النفس التى حرم الله قتلها بالاسلام أو بالعهد او بالاستئمان ، روى الترمذى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة . وان ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما » وفى قول الله تعالى : « الا بالحق » اشارة الى ما يباح به قتل النفس شرعا ففى الحديث الشريف : « لا يحل دم أمرىء مسلم الا بأمور ثلاثة : كفر بعد ايمان ، وزنا بعد إحصان ، وقتل نفس بغير حق « ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون » الاشارة الى الوصايا الخمس التى مرت وتليت فى الآية الكريمة ، والوصية معناها : ما يعهد الى الانسان عمله من خير او ما يطلب اليه تركه من شر مع اقتران ذلك بما يرجى له من أثر ، والمعنى : انما وصاكم الله بذلك لما فيه من الخير العميم والمنفعة المؤكدة ، وكل هذا مما تدركه العقول الناضجة ، وفى قوله تعالى : « لعلكم تعقلون » تعريض بأن ما هم عليه من الشرك وما بعده أشياء لا يقرها العقل السليم ، وليست فيها أدنى مصلحة ظاهرة للعاقل المفكر المتدبر ، فعسى أن تعقلوا ما فيه الفائدة وهو ما أرشدنا اليه رب العالمين ، فتسيروا على نهجه القويم ، وتسلكوا طريقه المستقيم .

الوصية السادسة : « ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ

أشده » اى ان مما يتلى عليكم من الوصايا التى وصاكم الله بها هو الا لا تقربوا مال اليتيم اذا كنتم ولاه امره او إذا تعاملتم معه الا بافضل ما يوصل اليه الخير من حفظ ماله وتنميته المحققة من وجوه الحلال ، وقوله تعالى « ولا تقربوا » أبلغ فى النهى من النهى عن الفعل نفسه لأن هذا التعبير الكريم يتضمن النهى عن الاسباب والوسائل التى تؤدى الى الفعل وتوقع فيه ، وبلوغ الاشد معناه : بلوغ سن الرشد والقوة ، وقال صاحب لسان العرب : « الأشد معناه مبلغ الرجل الحنكة والمعرفة » وأورد ابن منظور المصرى(١) عن الأزهرى أنه قال : « ورد الأشد فى كتاب الله تعالى فى ثلاثة معان يقرب اختلافها : فاما قوله فى قصة يوسف عليه السلام : ولما بلغ أشده : فمعناه الادراك والبلوغ وحينئذ راودته امراة العزيز عن نفسه ، وكذلك قوله تعالى : ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن حتى يبلغ أشده ، قال الزجاج : معناه احفظوا عليه ماله حتى يبلغ أشده فاذا بلغ أشده فادفعوا اليه ماله ، قال وبلوغه أشده أن يؤنس منه الرشد مع أن يكون بالغا ، وقال بعضهم حتى يبلغ ثمانى عشرة سنة ، قال أبو اسحق : لست أعرف ما وجه ذلك لأنه اذا ادرك قبل ثمانى عشرة سنة ، وقد أونس منه الرشد فطلب دفع ماله اليه وجب له ذلك ، قال الأزهرى ، وهذا صحيح وهو قول الشافعى وقول اكثر اهل العلم .. الخ واما قوله تعالى فى قصة موسى صلوات الله على نبينا وعليه : « ولما بلغ أشده واستوى » فانه قرن بلوغ الأشد بالاستواء وهو أن يجتمع أمره وقوته ويكتهل وينتهى شبابه ، واما قول الله تعالى فى سورة الأحقاف : « حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة » فهو أقصى بلوغ الأشد وعند تمامها بعث محمد صلى الله عليه وسلم نبيا وقد اجتمعت حنكته وتمام عقله فبلوغ الأشد محصور الأول محصور النهاية غير محصور ما بين ذلك ، وقد أشترط الشارع الحكيم لايتاء اليتامى اموالهم بلوغهم سن الحكم والرشد معا وظهور رشدهم فى المعاملات المالية بالاختبار والتجربة قال تعالى : « وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم » وهو خطاب للأولياء والأوصياء ، وميزان الرشد يبرز بكثرة التجارب والمران واحسان المعاملات المالية واجادة التصرف فى تغليب المال واستثماره .

الوصية السابعة : « وأوفوا الكيل والميزان بالقسط » امر باتمام الكيل فى حالتى الأخذ والعطاء ، وايفاء الميزان لأنفسكم فيما تشترون ، أو لغيركم فيما تبيعون ، وقد ذم الله سبحانه المطففين فى سورة سماها باسمهم وتوعدهم فيها بالعذاب الشديد على فعلهم فقال تبارك وتعالى : « ويل للمطففين . الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون . واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون » وأوضحت الآيات انهم بعيدون عن الايمان بيوم البعث والحساب « ألا يظن اولئك انهم مبعوثون . ليوم عظيم . يوم يقوم الناس لرب العالمين » ولما كانت اقامة القسط تاما امرا دقيقا جدا لا يمكن تحقيقه فى كل مكيل أو موزون تمام التحقيق قال سبحانه : « لا نكلف نفسا الا وسعها » اى انه تعالى لا يلزم انسانا الا ما يسعه فعله بدون مشقة ولا حرج ، فالمراد — : ان يضبط الكيل والميزان بحيث يعتقد أنه لم يظلم فيهما بزيادة أو نقص يعتد به شرعا وقد قص القرآن الكريم علينا ما كان من قوم سيدنا شعيب عليه السلام وبعدهم عن العدل فى ميزان أو كيل فحكى عن نبيهم قوله : « ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين » وروى الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحاب الكيل والميزان : « أنكم

ولنيم امرأ هلكت فيه الامم السالفه قبلكم » ويكفى فى شده الزجر عن التطفيف فى كيل او ميزان ان الله تبارك وتعالى سماه عتوا فى الارض وفسادا .

الوصية الثامنة : « واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى » أمر بالعدل فى الاقوال حين الشهادة أو القضاء ولو كان المشهود له أو عليه ، وكذلك المتقاضى عندكم قريبا قرابه لحم ودم او نفس وروح ، فالعدل فى الاقوال لازم وواجب كالعدل فى الافعال ، وقد وضح الله سبحانه ذلك فى سوره النساء حيث يقول تبارك وتعالى : « يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين إن يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وإن تلووا او تعرضوا فان الله كان بما تعلمون خبيرا » وتشدد الله فى ذلك اى فى العدل حين الشهادة والقضاء مهما كانت الصله بالمشهود له أو عليه ، وكذلك المتقاضى لأن العدل قوام الحياة حياة الأمم ، فلا يجوز ان تحكمنا الصلات فتحملنا على الظلم او الميل عن الصراط المستقيم ، ومن حاد او ظلم فالله سيحاسبه فهو جل وعلا يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور فلا تخفى عليه خافيـــة .

الوصية التاسعة : « وبعهد الله أوفوا » وهو ينتظم ما عهد الله تعالى الى خلقه على ألسنة أنبيائه ورسله ، وما يعاهد الناس بعضهم بعضا عليه مما يوافق الشرع ، وقد ورد لفظ العهد فى القرآن كثيرا مشيرا الى ذلك قال تعالى : « ولقد عهدنا الى آدم » وقال سبحانه : « ألم أعهد اليكم يا بنى آدم » وقال ايضـــا : « وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم » وقال : « أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم » وجعل الوفاء بالعهد من صفات المؤمنين فقال عز اسمه : « والموفون بعهدهم اذا عاهدوا » وقال : « والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » وعد الرسول صـــلى الله عليه وسلم نكث العهد من صفات المنافقين فقد روى البخارى عن عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منها كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : اذا حدّث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجر » نعوذ بالله من النفاق وأهله « ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون » أى أن ما سمعتموه مما تلوته عليكم هو ما وصاكم الله به فلعلكم تذكرون ما فيه من الصـــلاح لكم يحملكم ذلك على العمل به ويذكر بعضكم بعضـــــا وهذا من التواصى بالحق والتواصى بالصبر ، وعد الله تعالى التذكر للخير والعمل به من دلائل الانابة اليه والرجوع الى أوامره وخشيته وخوف عذابه قال سبحانه : « وما يتذكر الا من ينيب » وقال جل وعلا : « سيذكر من يخشى » .

الوصية العاشرة : « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » وهذا بيان لما يدعو اليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الدين والشرع القويم وانه سبيل الله الذى يوصل الى رضائه سبحانه كما يوصل الى نيل السعادة التامة فى الدنيا والآخرة ، والصراط المستقيم هو شرع الله ، أخرج أحمد والنسائى والحاكم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : « خط رسول الله خطا بيده » ثم قال : « هذا سبيل الله مستقيما » ثم خط خطوطا عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال : « وهذه السبل ليس فيها

سبيل الا عليه شيطان يدعو اليه)) ثم قرأ : ((وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)) . وروى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ((ولا تتبعوا السبل)) قوله : ((أمـــر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة ، وأخبرهم انه إنما أهلك من كان قبلهم . المراء والخصومات)) .. ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)) التقوى اسم لكل ما يتقى من الضرر العام والخاص مهمايكن نوعه فالأمر باتباع الصراط المستقيم والنهى عن سبيل الغى والضلال هو ما وصاكم به ربكم ليهيئكم للبعد عن كل ما يشقى ويردى فى الدنيا والآخرة ، وما يوصل الى السعادة التامة فيهما ، وقد وردت آثار كثيرة بشأن تلك الوصايا منها ماأخرجه الترمذى وآخرون عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : ((من سره أن ينظر الى وصايا محمد التى عليها خاتمه فليقرأ هؤلاء الآيات : ((قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم)) الى قوله تعالى : ((ذلكم وصاكم ربكم لعلكم تتقون)) .

والخلاصـــــة :

أن الايمان الصحيح ليس بالتمنى ، ولكن بالعمل وتنفيذ اوامر الله واتباع وصاياه كما وردت فى محكم كتابه وعلى لسان خير خلقه صلى الله عليه وآله وسلم ، والايمــان المستقر فى القلب لا بـــد وأن تبدو آثاره الطيبة على فعـــل الجوارح ، وأما قول اللسان دون عمل فهذا مما جاء فيه قول العـــلى الكبير : ((كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون)) وهو حجة على ابن آدم يوم القيـــامة ومما يؤيد ذلك قول الله تبارك وتعالى : ((ليس بأمانيكم ولا امانى أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا)) نعوذ بالله تعالى من قول بلا عمل ونسأله جلت قدرته أن يوفقنا لتنفيذ وصاياه والعمل بما أوحاه الى سيد المرسلين ان ربى سميع الدعاء .



حاشية : عن الحافظ ابن كثير فى كتابه (الباعث الحثيث الى معرفة علوم الحديث ص ٣٤ ، ٣٥)

الحديث الموقوف : مطلقـــه يختص بالصحابى ولا يستعمل فيمن دونه الا مقيدا وقد يكون اســـناده متصـــلا وغير متصل .

الحديث المرفوع : هو ما أضيف الى النبى صـــلى الله عليه وسلم قـــولا أو فعـــلا عنه سواء كان متصـــلا أم منقطعا أم مرسلا .

(١) الأشد بفتح الهمزة وضم الشين ــ لسان العرب ص ((٢٨٣)) جـ ٢ طبع دار لســـان العرب بيروت ــ لبنـــان .

القرآن..
وعلم الفلك
٢

للدكتور محمد جمال الدين الفندى

اصل الكون :

لا يعطينا العلم بكافة فروعه جوابا شافيا ولا معنى واضحا ترضى به العقول أو تطمئن اليه النفوس عن اصل الوجود ، كما أنه لا يتعرض قط لموضوع علة وجودنا وسبب مجيئنا ، وعما اذا كانت لنا رسالة خاصة على الارض . وما دام هناك وجود لنا ووجود لما حولنا فمن العبث أن ندعى أن العدم هو الاساس الطبيعى ، ولكن من المنطق أن نسلم بحقيقة (الموجود) الأزلى الذى هو علة كل شىء ، والذى شهد نشوء كل شىء . والذى يعطى هذا المعنى هو الدين ويشير القرآن الكريم الى ذلك فى عدة آيات مثل قوله تعالى فى سورة فصلت الآية (٥٣) : (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك انه على كل شىء شهيد) .

وهناك ثلاث طرق فقط عالج بها بعض العلماء اخيرا أصل الوجود . والحقيقة أن هناك طريقتين لا ثالث لهما ، وذلك نظرا لأن الطريقة الثالثة هى فى الواقع مجرد تحايل غير منطقى ، فحواه اننا قد نستطيع القول بأن الكون على حالته الراهنة انما نشأ عن سلسلة من حالات أخرى سابقة ، واننا نستطيع ترتيب الخطوات السابقة التى مر بها الكون فى تتابع منتظم حتى نصل الى مرحلة الصفر على غرار الصفر فى الاعداد . وتعتمد الطريقة العلمية الاولى على مجرد الحظ أو الصدفة ، وهى تقول انه قد يحدث بالصدفة أن يمر الكون عبر سلسلة من مراحل النشوء والتطور ، تماما كما يمر عقرب الساعة أمام أرقام الميناء . ويعنى ذلك وجود دورة من حالات التطور تتكرر على الدوام ، أى أنه ليس هناك ابتداء أو انتهاء ، وانما يتحرك الكون ليبدأ تطوره من حيث انتهى . ونحن حتى

اذا سلمنا بهذا جدلا فمن أين اتت مادة الاصل ؟ الحقيقة أن العلم انما يبدأ دائما من مرحلة معينة يفترض فيها وجود الاشياء من غير التعرض لأمر موجودها ومنظم خط سيرها وواضع طريقة تطورها ...

وتقرر الطريقة الثانية من غير اساس علمى قويم أو منطق سليم ان الكون كان هكذا على الدوام ، وسوف يظل على ما هو عليه الى الأبد ، بحيث لا يوجد ابتداء ولا معنى للانتهاء .

ومن اللازم أن نلاحظ أن هذه النظريات ، شأنها كشأن اية نظرية علمية اخرى ، تبدأ كما قلنا بفروض ، أو مسلمات تسمى احيانا بديهيات ، مثل التسليم بظهور مادة الأصل تلقائيا أو قيام النظم والقوانين الكونية الثابتة تلقائيا كذلك ، فاذا ما سلمنا بقيام نظام بالصدفة عبر الزمان الطويل فهل تستطيع الصدفة وحدها أن تقوم على تثبيت ذلك النظام عبر الزمان وتعميمه عبر المكان ؟ ! إن حساب الاحتمال الرياضى لا يعرف مثل هذا الكلام .

وقبل ان نعلق على هاتين النظريتين نؤكد بأن المألوف هو ان لكل شىء موجودا أوصانعا . فاذا قلنا إن للكون موجدا انما نساير الحقيقة المشاهدة ونسلم بداهة فى نفس الوقت بأن هذا الخالق الموجود تختلف صفاته عن صفات المخلوق، فاذا كان للكون موجود فليس للموجود موجد ... وهلمجرا نستطيع أن نتبين أن للموجود من الأسماء أو الصفات ما يجعلنا نسميه كما سمى نفسه فى القرآن : الاول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الخالق ، البارى ، المصور ، .. الوهاب ، الرزاق ..

وطبيعى أن هذا الحل العلمى الذى ينادى به الدين هو افضل وأسلم واصح من افتراض وجود مادة فى الاصل وقيام نظم لا خالق لها ولا مبدع على غير المألوف .

وان ابعاد الكون المرصود قد امتدت فى ظل الفلك الراديوى الى حدود نحو ٢٠ الف مليون سنة ضوئية ، وهذا الرقم هو مجرد كسر صغير بالنسبة الى الأبعاد التى يفترضها العلماء للكون الذى يستغرق تطوره فترة من الزمن سحيقة وتقدر بعشرات آلاف ملايين السنين بحيث تكاد تكون لا نهائية بالنسبة الى عمر الانسان وحضاراته على الارض . ولهذا تبذل الجهود المضنية من اجل التغلب على هاتين الحقيقتين الداخلتين فى صميم الدراسات الكونية بالأستعانة بالعلوم الأخرى ، حيث أن قوانين الطينية التى اكتشفت على الارض يجرى تطبيقها فى السموات ، كما أن النظم المختلفة لما نراه فى العلم المبنى على مسلمات يمكن أن تعطينا انواعا متباينة من الأكوان والقوانين التى تحكمها . ويمكن لعالم الرياضة البحتة ان يبنى كل نماذج الأكوان الممكنة معتمدا فى ذلك على مجموعات القوانين الطبيعية ، مثل الديناميكا الحرارية ، والنسبية العامة ، تماما كما يبنى عالم الهندسة كل انواع الهندسات الممكنة (هندسة اقليدس ، هندسة ريمان ...) كل ذلك بصرف النظر عن الهندسة الفعلية للفضاء الذى من حولنا .

وهكذا يصبح تشييد نماذج الأكوان فرعا من فروع الرياضة البحتة . أما مسألة التعرف على احد هذه النماذج والأستدلال على أنه كوننا بالذات فتلك

مسألة أخرى ليس من اليسير الخوض فيهـا أو التعرض لها هنا . ويتساءل العلماء قائلين : لماذا يوجد كون واحد فقط ؟ وهل هذا الانفراد مجرد صدفة أو هو ضرورة ؟ اننا ليس لدينا ما يثبت عمليا وعلميا وجود كون آخر غير هذا الذى نراه من حولنا . وقد امتدت أبعاده من عدة مئات آلاف السنين الضوئية الى عدة آلاف الملايين بتقدم آلاف الرصد الفلكى مصداقا لقوله تعالى فى سورة الذاريات الآية (٤٧) : « والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون » وربما يكون المعنى كذلك اننا موسرون (أى لدينا المزيد رغم اتساع الكون) . ان الكون يتمدد بالفعل ويزداد حجمه كما نادت بذلك النظرية النسبية . على أية حال الكون واحد فقط ، وهـو لا يمكن أن يكون لا نهائى الأبعاد كذلك ، والا لاشتعلت كل أركان السماء بالضوء ليلا ، ولما ظهرت تلك الاجزاء المظلمة بين النجوم ولامتلاء السماء كلها بالنجـوم المتناثرة الى مالانهاية فى أى اتجاه ، كما تصبح الجاذبية لانهائية القدر كـذلك ، وهو أمر غير مشاهد . ولهذا كان من اللازم افتراض أن شكل الفضـاءالكونى على أعظم مقياس له تماما كما يبدو لنا على اصغر مقاييسه على الارض ، أى أنه ينحنى على نفسه مصداقا لقوله تعالى فى سورة الملك الآية (٣) : « ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت » .

ووحدانية الكون دليل آخر على وحدانية الخالق كما أن شمول النظام وثبوته الذى جعل من الممكن استخدام العلم وتطبيقه ، هو فى حد ذاته خير برهان علمى قاطع على وحدانية الخالق جل وعلا . واننا لنجد نفس المعانى والنتائج عندمـا ننتقل الى عالم الحياة .

ان كلمة حياة من اصعب التعبيرات أو الكلمات تعريفا من الوجهة العلمية .بل لقد ذهب فريق من العلماء الى أن كلمة (حياة) غير قابلة للتعريف العلمى الدقيق الشامل للأسف الشديد . ولو اننا نظرنا الى كل صفة من صفات المادة الحية — مثل صفة الحركة ، أو التوالد ، أو التغذية أو النمو . . لوجدنا ان هناك حـالات تسمى فيها الاشياء (حية) ولكنها لا تتوفر لها معظم هذه الصفات . ومن أمثلـة ذلك بعض الطفيليات . وهناك حالات أخرى تسمى فيها الاشياء ميتة ومـع ذلك نجد لها بعض تلك الصفات ، مثل ظاهرة النمو فى البلورات .

وقد ورد فى بعض التعريفات الدقيقة الحديثة لبعض العلماء أن المادة (الحية) هى كل وحدة نظامية مميزة بثبات ديناميكى ، وقادرة على حفظ كيانها بنفسها ، وعلى امتصاص الطاقةمن اى نظام قائم حولها ، وعلى تثبيت بقائها بواسطة التوالد او الانقسام والموت . . كل ذلك بالاضافة الى أن الوقت الذى يمتاز به قيام تلك الوحدة (الحية) يجب أن يكون أطول من الوقت الذى يمكن أن تستغرقه اية عملية من العمليات المميزة لها . وعلى الرغم من هذا التعقيد الفنى فى تعريف (الحياة)هناك أشياء كونية عديدة يمكن أن تدخل بسهولة تحت طائل هذا التعريف ، ومن امثلة ذلك السدم والكواكب والسـحب . . فمن المعروف أن كل ما فى الكون من الوان المادة وانواعها المختلفة انما يتحرك أو يسـبح ، ابتداء من الذرات ومركباتها الى المجرات ووحدتها . وهى تمتص

الطاقات ، وقد تنقسم ، وتنمو .. فهل هى حية .. ؟ وليس منا من يجهل أن الكهارب التى تجرى من حول النوى داخل الذرات ، وأن الكواكب السيارة تسبح من حول الشموس فى المجرات ، وان هذه الأخيرة تنطلق عبر خضم الفضاء الفسيح بسرعات متزايدة الى مصير غير معلوم ، فهل هذه جميعها تتوفر لها صفات الحياة كلها أو بعضها .

ومما يزيد من حرج مركز هذا التعريف — أو اى تعريف آخر مماثل — وجود تلك المواد الدقيقة المعروفة التى تقف على الحدود الفاصلة بين ما قد نسميه (حيا) وما قد نسميه (ميتا) وتلك هى الفيروسات .

فالفيروسات عبارة عن مواد كيميائية — يمكن تحضير أغلبها فى المعمل — ولا يمكن أن توصف بالحياة حسب معناها المعروف ، اذ انها تمتاز بخواص التكوين الذاتى فى البيئة الملائمة ، وبالنمو والتكاثر ، ولكنها صغيرة جدا ، (اصغر من اى كائن حى عادى) . ويكاد تركيبها لا يمت بصلة للتركيب الاساسى للخلية الحية .

أما الجسم الحى الذى تتعدد فيه الاعضاء وتتباين ، فهو مرحلة متقدمة من تطور الوحدات (الحية) تتعاون فيها تلك الاعضاء على القيام بمظاهر (الحياة) المختلفة من تنفس وتناسل وحركة وتغذية .. ويظل الجسم حيا ما دامت تلك الاعضاء أو على الأقل الرئيسية منها ، تقوم بأداء وظائفها . هذا ملخص تعريف الحياة والجسم الحى . أما (الروح) فهى الجوهر الذى يمتاز بالوعى والارادة والفكر .. الى غير ذلك من الصفات التى دونها صفات المادة الحية التى تعمل آليا أو بالغريزة .. وتسكن الأرواح الاجسام الحية . والمعروف أنها تدخل جسم الجنين عندما يبلغ شهره الرابع ، وتظل تسكن الجسم الحى وتتدرج معه بالنمو على النحو المعروف ولا تهجره أو تغادره نهائيا الا اذا مات .

ومعنى ذلك ان الجسم الحى كالبيت الذى يسكنه الناس والروح هنا بمثابة السكان ، والجسد بمثابة الجدران . ويعالج علم الحياة « البيولوجى » كما يعالج علم الطب ، موضوع مقومات الحياة وتركيب الجسم ، وما يصيبه من علل وما قد يطرأ عليه من أمراض تؤدى الى الوفاة ، وكل تلك المجالات عبارة عن دراسات علمية تدخل فى نطاق العلم .

السموات :

كان من الطبيعى أن يشير القرآن الكريم فى سياق حديثه عن الكون — كتاب الله المنظور — الى المجرات النائية التى يعج بها الفضاء ، والتى تضم كل واحدة منها آلاف ملايين النجوم أو الشموس ، فقال مثلا فى سورة الواقعة الآيتان (٧٥) ، (٧٦) : « فلا أقسم بمواقع النجوم . وانه لقسم لو تعلمون عظيم » .

فمواقع النجوم شىء جدير بأن يقسم به الخالق ، وهى تكاد تفوق حدود الوصف والخيال ، كما أنها آخذة فى التزايد لأن المجرات تتباعد بسرعات رهيبة .

ومنذ سنوات ولد فرع جديد من فروع علم الفلك عرفنا بأجرام سماويه غامضة تسمى (أشباه النجوم) أو (الكوازار) ، وهى فى الواقع مجرات عظمى تبدو لعظم بعدها عنا كأنها نقط مضيئة وسط خضم الفضاء المترامى الاطراف مثل (كوازار ٣ ــ ك ٩) . ولكن الله تعالى يقول فى سورة يونس الآية (١٠١) : « قل انظروا ماذا فى السموات والارض » ويقول فى سورة الاعراف الآية (١٨٥) : « أولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض » وعلينا اذا بأمر من ديننا ان نرصد تلك العوالم النسائية التى تتكون منها السموات لندرك عظمة الخالق ونلمس قدرته التى لا حدود لها . .

وترسل ، أو فى معنى اصح ، ارسلت تلك العوالم طاقات موزعة بانتظام خلال الكون ، نتعرف عليها بفرع الفلك الجديد المسمى الفلك الراديوى .

اقطار السموات والارض :

يظن كثير من الناس خطأ ــ وقد كنت منهم ــ أن قول الله تعالى فى سورة الرحمن الآيات (٣٣ ــ ٣٥) : « يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان . فبأى آلاء ربكما تكذبان . يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران » من دلائل انطلاق الانسان عبر الفضاء ، ولكن الحقيقة عندما نفهم معنى أقطار تماما نجد أن المعنى اشارة واضحة للتعجيز كما هو ظاهر من الآية (٣٥) .

أما النفاذ من أقطار الارض فما من شك أن معناه اختراق الكرة الارضية عبر لبها المستعر والخروج من الجهة المقابلة . . وما من شك أن مجرد اختراق القشرة اليابسة للارض معناه انطلاق مواد الباطن على هيئة بركان مدمر . . أما اختراق أقطار السموات فبالمثل معناه عبور الشموس والنجوم وسائر ألوان الغبار الكونى وأحزمة الأشعة الكونية ومجاريها وهى أشد احراقا وفتكا من براكين الارض . . !!

أما الوصول الى القمر أو المريخ أو الزهرة فليس معناه النفاذ من أقطار السموات بحال من الأحوال ، وقد فهمنا امتداد الكون واتساع السموات وأن أقطارها تربو وتزيد على عدة آلاف ملايين السنين الضوئية . . !

ولكن فى آية أخرى يقول الله تعالى : « ومن آياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير » سورة الشورى الآية (٢٩) . وهى تشير الى وجود أحياء بين أرجاء السماء أما الجمع فقد يكون على متن أمواج الأثير .

الغلاف الهوائى اول السموات :

نحن وجميع من معنا من الكائنات التى على الارض كركاب سفينة فضاء سقفها هو الغلاف الهوائى . ولكن هذه السفينة تخدعنا كما خدعت آباءنا من

قبل ، لأنها تبدو لنا كأنها واقفة فى الفضاء أو ساكنة لا تتحرك ولا تدور ، بينما يتحـــرك كل شيء من حولها أو يدور بما فى ذلك القمر والشـــــمس والنجوم والشهب والمذنبات ونحوها .

أما الحقيقة الواقعة فهى أن أرضـــنا تلف هى وسقفها كالنحلة وتجرى كالقطار وتتمايل كالسفينة وتترنح وتهتز كالطـــائرة . وتنجم عن هذه الحركات كلها عدة ظواهر منها : تعاقب الليل والنهـــار ، وتتابع الفصول ، وتزحزح الاعتدالين ، ونحوها كما تتغير مقادير الطاقة الشمسية التى تصل الى كل بقعة من الارض فتزداد أو تتناقص وبذلك يتكون الهواء الساخن أو البارد وتختلف ضغوط الجو فيتحرك على هيئة دورة كبرى للرياح .

ولقد احتفظت الارض بفضل قوة جذبها الكبيرة وأمسكت بغلافها الجوى أو سقفها ولم تسمح له بالتسرب الى خضم الفضـــــاء المترامى الاطراف كما تسرب غلاف القمر الجوى حتى صار القمر جرما ميتا خاليا من الهواء والمـــاء وذلك لأن من خصائص الغازات كالهواء أنها تنتشر لتملأ الفراغ المعرض لها .

ولو أن مهندسا صمم سقف سفينة الفضاء لجعل لذلك الســـــقف فوائد محدودة أو آيات معدودة ولكن الذى صمم سقف الارض وحفظه جعل له من الفوائد أو الآيات ما يكاد لا يعد ولا يحصى فقال فى سورة الانبياء الآية (٣٢) : « وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتنا معرضون » .

الغلاف الجوى اذا هو جانب أول السمـــوات ونحن نعيش فى جـــانب من السماء الاولى . وهو عبارة عن خليط غازى عديم الطعم واللون والرائحة بالاضافة الى بخار الماء الذى يحمله الهواء لأن بخار الماء أخف أو أقل كثافة من الهواء الجاف . وهذه وحدها آية من آيات الخالق لأنها مكنت الهواء من حمل البخار الى أعالى الجو حيث يبرد ويتكاثف الى سحب ومطر ، هو مصدر المياه العذبة على الارض ..

وأهم الغـــازات التى يتركب منهـــا الهواء هى الأزوت أو النيتروجين ونسبته ٧٨٪ من حيث الحجم والاوكسجين ونســـبته ٢١٪ من حيث الحجم وغازات أخرى نادرة نسبتها ١٪ فقط .

ولنسبة الأزوت العالية التى فى الجو آية ملخصها أنها تجعل اطفـــاء الحرائق أمرا ممكنا .. فلو أن نسبة الاوكسجين هى التى كانت ٧٨٪ لما أمكن اطفاء أى حريق يشتعل مثل حريق الغابات .

كما ان الأزوت الجوى تكون منه عواصف الرعد والبرق أحماضا أزوتية تذوب فى ماء المطـــر ، وتخصب الارض ، وتجعلهـــا على التدريج صـــالحة للزراعة . وهكذا كان يتم اخصاب الارض بالطبيعة من قبل أن يعرف النـــاس السماد الصناعى .

والمطر يغسل الهواء وينقيه من الشوائب والأتربة والجراثيم — أنظر كيف نستمتع بالجو فى أعقاب المطر . وحتى فى الشـــتاء يحدث الدفء بعد نزول المطر لانطلاق الحرارة الكامنة من البخار الذى تحول الى مطر ، وهى الحرارة

التى اكتسبها ماء البحر فى الاصل من الشمس لكى يتحول الى بخــار يحمله الهواء ..

ومن أظهر فوائد الغلاف الجوى انه يحتوى على الاوكسيجين الــذى تستنشقه الكائنات الحية فيدخل مع هواء الشهيق ليجدد نقــاء الدم فيها ويكسبها القدرة على العمل .

وكلما ارتفعنا فى السماء كلما قلت مقادير الهواء وقل تبعا لذلك الاوكسيجين الجوى . فاذا كان الاوكسيجين الجوى عند السطح هو ٢٠٠ وحدة ضغط فانه يعتبر على ارتفاع ١٠ كيلو مترات ٤٠ وحدة فقط ، ويعتبر على ارتفاع ٢٠ كيلو مترا ١٠ وحدات فقط . وعلى بعد ٣٠ كيلو مترا وحدتين فقط . وهكذا أى ان الانسان يمكن أن يختنق تماما اذا ما ارتفع فوق ١٠ كيلو مترات ولم يكن محميا داخل غرفة مكيفة .

ويعبر القرآن الكريم عن هذه الحقائق كلها ــ أى الاوكسيجين الجوى وتناقصه بالارتفاع فوق سطح الارض بحيث تصبح مقادير الاوكسيجين التى تدخل الصدر غير كافية أو يضيق الصدر تبعا لذلك ــ فيقول تعالى فى سورة الأنعام الآية (١٢٥) : « .. ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصــعد فى السماء » .

ولو ان الكائنات الحية تركبت منذ القدم تستنشق الاوكسيجين الجــوى وتخرجه مع هواء الزفير على هيئة غاز ثانى أوكسيد الكربون الخانق من غير عملية عكسية لنفد الاوكسيجين الجوى بمضى الوقت واختنقت سائر المخلوقات على الارض .

ولكن الخالق القدير الذى اسكننا الارض جعل مملكة النبات تقوم بالعملية المضادة فى ضوء الشمس بما يعرف باسم التمثيل الكلوروفيلى . ومضمونه ان النباتات تأخذ ثانى أكسيد الكربون من الجو ، وفى ضوء الشمس تحللــــه الى أوكسيجين خالص يخرج الى الهواء من جديد والى كربون أو فحم تختزنه . هذا الكربون أو الفحم يستخدمه النبات فى بناء انسجته وعمل السكر والنشا والزيوت والخشب وغيرها ... وتلك ولا شك آية من آيات الخالق تتضمن قضية تنقيــــة الجو من ثانى أوكسيد الكربون أولا بأول واضافة الاوكسيجين الخالص اليه ثم صناعة المركبات العضوية النباتية التى هى أساس تغذية مملكة الحيوان بأسرها من الكربون المستخلص من ثانى أوكسيد الكربون الجوى . فلماذا يعرض الانسان عن التفكير فى هذه الحقائق ويعتبرها مجرد صدفة ! ان اغفال الحــواس هنا والاعراض عن تمجيد الخالق القدير معناه قتل الفكر الحر وقتل الضمير عــن عمد وهو أمر يستحق عليه الانسان العقاب .

والهواء كما قلنا يحمل بخار الماء . وعندما يصعد يبرد ولا يقوى على حمل هذا البخار فتتكاثف الابخرة الى نقط صغيرة من الماء أو بللورات الثلج تبعا لدرجة الحرارة السائدة .

وفى ذلك يقول الله تعالى فى سورة الروم الآية (٤٨) :

« الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا » .

ولكن ما الفرق بين السحابة التى تمطر والسحابة التى لا تمطر ؟ الامر بسيط ، ان السحابة التى تمطر يلزمها مدد مستمر من أبخرة المياه لكى تتكثف تلك الابخرة وتهطل على هيئة مطر أو برد أو ثلج .

وهذا المدد يتم بواسطة الرياح الصاعدة كذلك مصداقا لقوله تعالى فى سورة الحجر آية (٢٢) :

« وأرسلنا الرياح لواقع فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين » .

أى ان الرياح تلقح السحب وغيرها ببخار الماء لتجود بالماء العذب وان هذا الماء ليس مخزونا فى مكان معين ولكنه دورة مائية بين السماء والارض .

وقصة الماء العذب على سفينة الفضاء الكبرى وهى الارض معروفة لان أشعة الشمس تبخر بعض مياه البحار والمحيطات وتحولها الى أبخرة يحملها الهواء ويصعد بها فى السماء لتكون السحب والمطر الذى ينهمر لتعود الى البحر .

والمطر كما قلنا ينقى الهواء ويغسله من الشوائب والاتربة العالقة فيه ، وهو مصدر المياه العذبة التى هى أساس الحياة على الارض ، سواء كان ذلك الماء من الانهار أو الآبار أو العيون أو المطر المباشر .

ومن أهم آيات هواء الارض انه الوسط الذى يضىء بنور النهار . وعلى الرغم من ان امتداد الغلاف الجوى فوق سطح الارض هو نحو ألف كيلومتر ، الا ان الطبقة التى تضىء بضوء النهار هى قشرة رقيقة سمكها نحو ٢٠٠ كيلو متر فقط عندما تواجه الشمس . عندئذ يتناثر أو يتشتت ضوء الشمس فى تلك الطبقة الكثيفة نسبيا من الهواء . واكثر الوان الطيف التى تتناثر هو اللون الازرق ولذلك تكتسب تلك القشرة اللون الازرق وهى القشرة التى تحدد معالمها القبة السماوية الزرقاء .

فالقبة الزرقاء اذا مجرد ظاهرة ضوئية ومن نعم الله علينا أن جعل من صفات التناثر انتشار أشعة الضوء المتناثر فى كل الاتجاهات . وعلى هذا النحو يمكن ان تنار البيوت بفتحات ونوافذ لا تواجه الشمس مباشرة ، اذ يمكن أن يدخل منها الضوء المتناثر فى كل اتجاه .

واذا ما صعدنا فى صاروخ فوق تلك القشرة المنيرة نجد ان الدنيا تظلم من جديد وتظهر نجوم السماء ، كما تكون الشمس بادية وبارزة ولكن تخز أشعتها الاجسام وخز الابر من غير ان تنير الفضاء الكونى المظلم الشديد الاظلام . وكلما دارت الارض حول محورها انسلخت القشرة المنيرة من الغلاف المظلم مصداقا لقوله تعالى فى سورة يس الآية (٣٧) :

« وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون » .

ان النهار ينسلخ من الليل كما يسلخ جلد الشاة من جسدها .

ومن أعظم فوائد الغلاف الجوى انه يحمينا من أهوال الفضاء ممثلة فى الاشعة الكونية الفتاكة تارة ، ثم فى الشهب والنيازك المدمرة تارة أخرى ، كما يحمينا من درجات الحرارة المنخفضة التى يتميز بها الفضاء الكونى حيث تصل درجة الحرارة حدود ٢٧٠ درجة تحت نقطة الجليد . ومن أخطر الاشعة التى يقينا شرها سقف الارض الأشعة فوق البنفسجية التى ترسلها الشمس ، وهى أشعة محرقة ولا يسمح غلاف الارض الجوى بان يصل منها الى سطح الارض الا جزء صغير جدا يفيد فى حمامات الشمس ويعالج كثيرا من الامراض مثل البرد

والكساح ونحوها . وخير الاماكن التى تؤخذ فيها حمامات الشمس سواحل البحار وأعالى الجبال حيث تقل الاتربة الجوية التى تحول دون وصول الاشعة فوق البنفسجية . والمعروف ان حمامات الشمس تكسب البشرة ذلك اللون البرنزى الجميل .

ولقد عبّد الغلاف الجوى سطح الارض بعوامل التعرية وجعله صالحا للعيش فوقه والسير عليه ، فالرياح والثلوج وأمواج البحر كلها نحتت الصخور النارية القديمة وهذبتها وحولت أجزاء عظمى منها الى طمى وغرين ورمل ومواد كونت التربة الزراعية . وما من شك أن هذه أكبر آيات الغلاف الجوى أو سقف الارض أهمية بالنسبة للحياة على الارض .

وحتى الكائنات المائية مثل الاسماك وغيرها انما تستنشق أوكسيجين الجو المذاب فى الماء . مما يفسر لنا السر فى ضرورة تجديد ماء الاوانى والاحواض التى تحفظ فيها أسماك الزينة .

ان أكثر من ثلاثة آلاف بليون نسمة تعيش اليوم على الارض وهى تنعم بحماية سقفها وتستمتع بما يجود به من نعم بلا مقابل .

ان علم الارصاد الجوية يظهر لنا بجلاء كيف تعمل تيارات الهواء المختلفة الرأسية والأفقية وكيف تدأب دورة الرياح العامة على توزيع درجات الحرارة بالعدل والقسطاس بين أجزاء الارض المختلفة .

ان الهواء يحمل الحرارة من مناطق توفرها كالمداريات الى مناطق شحنها كالقطبين ، بينما تنقل تيارات الحمل بخار الماء وما فيه من حرارة كامنة اكتسبتها أسطح البحار من الشمس وتسير بها الى الجو العلوى ومناطق اثارة السحب لفائدة الانسان ونفعه . وليس علينا الا ان ندرس ونتمعن ونشكر :
« وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون » البقرة الآية (١٦٤) .

وانت اذا ما جلست بعد منتصف الليل تراقب السماء ترى أكداسا من الشهب تهوى من الجو العلوى وتحترق فيه قبل أن تصل الارض ، وهى تحترق بسبب الحرارات العالية التى تتولد بالاحتكاك مع الهواء عندما تتحرك الشهب فيه بسرعة فائقة مثل ٢٠ أو أكثر من الاميال فى الثانية .

وتكون أتربة تلك الشهب المحترقة ما يعرف باسم نوى التكاثف أو المراكز التى يتم عليها تجمع بخار الماء العالق فى الجو على هيئة نقط ماء وثلج داخل السحب ، ولقد شوهد ان السنين التى تدخل فيها الارض عبر الوفير من مجارى الشهب فى الفضاء يعقبها مطر وفير وهطول غزير يروى الارض ويشملها بالخير والبركة .

وما من شك اننى لن استطيع حصر آيات الغلاف الجوى أو سقف الارض المحفوظ ، فهو الى جانب ما ذكرنا باختصار ، فيه تسرى الاصوات وهو بذلك يجعل لحاسة السمع معنى ووظيفة ، وهو الذى يخصب أكثر النباتات ، وفيه يحلق الطير ، وهو الذى يستغل فى أشعال وقود الآلات والمحركات . والرياح هى التى تدفع السفن الشراعية عبر البحار وتجفف الملابس والعرق .. ويعمل البرق فى عواصف الرعد على تكوين أكاسيد الأزوت التى تذوب فى ماء المطر مكونة نوعا من السماد الطبيعى الذى أخصب الارض منذ القدم قبل أن يعرف الانسان مواد السماد أو يصنعها .

الإسلام والمشكلة الاقتصادية

للدكتور محمـد شـوقى الفنجرى

المشكلة الاقتصادية هي مشكلة الفقر ، وهى لا تتمثل كما يتصورها الاقتصاد التقليدى فى ظاهرة الجوع والحرمان ، وانما فى ظاهرة التفاوت الشديد فى توزيع الثروات والدخول .

ولقد أدرك الاسلام منذ البداية أهمية العامل المادى ، فلم يهون من أمره شأن المذاهب الروحية والمتصوفة ، ولم يغال فيه شأن المذاهب المادية والابيقورية وإنما وضعه حيث يجب أن يوضع عاملا مؤثرا ضمن عوامل أخرى .

وكان للاسلام مفهوم وتصور خاص للمشكلة الاقتصادية يختلف عن تصور الاقتصاد الرأسمالى ، والاقتصاد الاشتراكى ، وبالتالى إختلفت المواقف .
ونبين ما تقدم ، فى ثلاثة مطالب متتالية :

المطلـــب الأول

ماهية المشكلة الاقتصاديـــة

المشكلة الاقتصادية هى مشكلـــة الفقر

تتمثل أهم مظاهر الحياة وبالتالى أهم مشكلاتها فى سعى كل فرد أوكـــل جماعة فى توفير أسباب معيشتها ، وبالأخص اشباع حاجاتهـــا المادية وهى (متعددة) بينما مالديها من موارد وأموال (محدودة) .

فالمشكلة الاقتصادية هى أهم مشكلات الحيـــاة ، وهى بحســـب الرأى التقليدى السائد ، هى مشكلة تعدد الحاجات وندرة الموارد .

وبعبارة مبسطة ، أن المشكلة الاقتصادية هى مشكلة الفقر الذى لا يعدو كونه مظهرا من مظاهر زيادة الحاجات على الموارد .

مشكلة الفقر قديمة وان اشتدت وطأتها متأخرا

وهذه المشكلة وان كانت قديمة ، لازمت الانسانية منذ فجر التاريخ ، إلا أنها لم تشعر بوطأتها إلا تدريجيا ، بزيادة حاجات الانسان تبعا لدرجـــة تطوره وتقدمه . فالانسان الأول رغم قلة موارده لم يكن يشعر بوطأة الفقر ، نظرا لقلة حاجاته وتطلعاته .

فمسألة الفقر نسبية تختلف باختلاف الزمان والمكان . ولا شك أن أفقر فقير فى العصر الحاضر ، يعتبر غنيا بالنسبة الى انسان العصور القديمة . كما أن متوسط الحال فى مصر أو الهند ، يعتبر فقيرا بالنسبة لمتوسط الحال الامريكى أو الروسى .

وقد بلغت مشكلة الفقر ذروة حدتها متأخرا فى عصرنا الحالى ، وذلـــك بحكم سهولة إتصال الناس بعضهم ببعض وظهور الفوارق مع ازديـــاد الوعى الاجتماعى ، فالفلاح فى القرية ذات الاقتصاد المغلق ، لم يشعر بفقره إلا حين اتصاله بعالم المدينة . ومجتمع كاليمن قبل انفتاحه على العالم الخارجى لم يكن فى عزلته يشعر بفقره أو تخلفه الشديد .

حقيقـــة مشكلة الفقـــر

وإننا لا نعدو الحقيقة اذا قلنا أن مشكلة الفقر لا تتمثل فى الجوع والحرمان أو قلة الموارد . وإنما فى وجود التفاوت الشديد فى الثروة والدخول ، سواء بين الأفراد على مستوى المجتمع المحلى أو بين الدول على مستوى المجتمع العالمى .

فليس معنى الفقر هو العجز عن الاشباع البسيط للحاجات الأساسية ، وإنما هو عدم اللحاق فى المعيشة بالمستوى السائد فى المجتمع . والفقير فردا كان أو دولة هو من يعيش فى مستوى تفصله هوة سحيقة عن المستوى المعيشى السائد فى المجتمع المحلى أو العالمى .

ونخلص من ذلك أن المشكلة الاقتصادية ليست كما تصورها الرأى التقليدى السائد ، هى مشكلة الفقر أو تعدد الحاجات وندرة الموارد . وإنما هى مشكلة سوء توزيع الثروة والدخول . وبعبارة أخرى هى مشكلة الانسان وسوء تنظيمه الاقتصادى وهو الأمر الذى أدركه الاسلام منذ البداية على نحو ما سنبينه .

المطلب الثاني
العامل المادى وتفسير التاريخ
ليس للتاريخ مفتاح واحد

إذا كان الانسان ينشط لاشباع حاجاته ، فان هذه الحاجات ليست مادية (اقتصادية) فحسب ، بل له حاجات أخرى معنوية (دينية كانت أو ثقافية أو ترفيهية .. الخ) .

ولا شك أن إشباع الحاجات المادية ممثلة فى المأكل والملبس والمأوى هى الحاجات الاولى والأساسية . ومن ثم فهى المشكلة الأولى لكل فرد أو جماعة ، وهى الشغل الشاغل للمجتمعات المتخلفة (وهى كثيرة) والطبقات الدنيا فى كل مجتمع (وهى الاغلبية) .

لذلك فنحن من القائلين بأهمية العامل الاقتصادى ، وأنه محور الصراع بين الأفراد وبين الشعوب . الا أننا لا نسلم بأنه العامل الوحيد ، فليس للتاريخ مفتاح واحد كما يذهب البعض (١) .

الاسلام يعتد بالعامل المادى

ولقد أدرك الاسلام منذ البداية أهمية العامل المادى ، وأنه بدون الخبز لا يستطيع أن يحيا الانسان ، ولكنه أدرك أيضا وبنفس المستوى أنه ليس بالخبز وحده يحيا الانسان .

ومن ثم فقد جاء الاسلام وباعتباره خاتم الاديان ، لا يقتصر على مجرد العقيدة والهداية الروحية . وإنما جاء أيضا شريعة وتنظيما سياسيا واجتماعيا واقتصاديا للمجتمع . ذلك أنه لا يمكن أن تستقيم الحياة بدون عقيدة توجهها ، وشريعة تنظمها . بل لا يمكن أن تستقيم العقيدة وتنمو الاخلاق ، اذا لم يطمئن المرء فى حياته المعيشية . فالعقيدة والشريعة فى الاسلام يكمل كل منهما الآخر، ولا يقوم أحدهما دون الآخر ، ويمكن تصويرهما بساقى الانسان لا يستطيع أن يمشى على ساق دون الأخرى .

واذا كنا نتصور الاسلام فى بلد يلتزم بتعاليم الاسلام السياسية والاجتماعية والاقتصادية دون العقيدة ــ فانه أيضا لا يمكن أن نتصور الاسلام فى بلد يقوم أهله بالصلاة والصيام وسائر العبادات ، بينما يغفلون تعاليم الاسلام السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، والتى تكفل الشورى وتقرر المساواة وتضمن حد الكفاية لكل فرد ، فالتزام الشريعة ــ لا سيما تعاليمها الاقتصادية ــ هو الذى يساعد على صفاء العقيدة وعلى خلق المجتمع الاسلامى، مجتمع المتقين . بل أن غاية العقيدة والتعبد فى الاسلام هو سلامة السلوك الاجتماعى وشرعية النشاط الاقتصادى ، « فالدين المعاملة » . وإننا نعجب لهؤلاء الذين يركزون على العقيدة دون الشريعة ، أو هؤلاء الذين يبحون أصواتهم بالمواعظ الدينية والدعاوى الاخلاقية ، دون أن يشغلوا أنفسهم بتوفير أسبابها الموضوعية .

الاسلام يدفع بالعامل المادى الى الصدارة

اكثر من ذلك ، فقد جعل الاسلام العامل المادى فى القمة والصدارة ووضع المشكلة الاقتصادية ــ وذلك منذ البداية وقبل أن تتطور الاحداث وتفرض المشكلة

نفسها ـــ حيث يجب أن توضع فى الأساس وفى المقدمة . ومن قبيل ذلك :

(أ) أنه اعتبر المال زينة الحياة الدنيا وقوام المجتمع ، وانه نعم العون على تقوى الله ، وإن طلب المال الحلال فريضة وجهاد فى سبيل الله ، وان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها إلا الهم فى طلب العيش ، وإن من فقه الرجل أن يصلح معيشته ويتأنق فى حياته ، وان الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده (٢) .

(ب) أنه يساوى بين الفقر والكفر . ولم يستعذ الرسول من شىء بقدر استعاذته من الفقر ، فيقول عليه السلام « كاد الفقر أن يكون كفرا » ، ويقول « اللهم أنى أعوذ بك من الكفر والفقر » ، قال رجل أيعدلان ، قال : نعم .

(ج) إنه حين طالب الناس بالعبادة وذكر الله علله فى القرآن بقوله تعالى :

« فيلعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خـــوف » قريش ٣ و ٤ . فأساس العبادة فى الاســـــلام والسبيل اليها ، هو تأمين الناس فى حياتهم المعيشية ، حتى أن موسى عليه السلام حين دعا الله تعالى بقوله : « رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى » طه ٢٥ و ٢٦ ، قرنه بقوله : « كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا » ـــ طه ٣٣ و ٣٤ ، وهذا ما عبر عنه المفكر الاسلامى الجزائرى مالك بن نبى بقوله « كيف أصلى وأنا جائع » .

(د) أنه اعتبر مجرد ترك أحد افراد المجتمع ضـــائعا أو جائعا هو تكذيب للدين نفسه . فالله تعالى يقول « أرأيت الذى يكذب بالدين ، فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين » ـــ الماعون ١ ـــ ٣ . وجـــاء فى القرآن « ما سلككم فى سقر ، قالوا لم نك من المصلين ، ولم نك نطعم المســـكين » المدثر : ٤٣ و ٤٤ .

وقوله تعالى « وما أدراك ما العقبة ، فك رقبة ، أو اطعام فى يـــوم ذى مسبغة ، يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة » البلد : ١١ . وقد سئل الرسول ما هو الافضل فى الاسلام ؟فقال« اطعام الجائع ونجدة من تعرفه ومن لا تعرفه »

المطلب الثالث

تصور الاسلام للمشكلة الاقتصادية وموقفــه منها

تعرض الاسلام للمشكلة الاقتصادية

جاء الاسلام بمنهج كامل للحياة ، يهتم بالجانب المادى فى حياة البشر بقدر ما يعنى بالجانب الروحى ، ذلك لأن كلا من الجانبين يؤثر فى الآخر ويتأثر به . وصدق الله العظيم « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » ـــ المائدة : ٣ . وقوله تعالى : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » ـــ الانعام : ٣٨ (٣) .

لذلك كان من الطبيعى أن يتعرض الاسلام للمشكلة الاقتصادية متمثلة فى مشكلة الفقر .

تصور الاسلام للمشكلة الاقتصادية

ولم يعتبر الاسلام المشكلة الاقتصادية كما تصورها الكتاب الرأسماليون بأنها مشكلة قلة الموارد ، أى مردها الطبيعة ذاتها وعجزها عن تلبية الحاجات . ولا هى كما تصورها الكتاب الماركسيون ، بأنها مشكلة التناقض بين قوى الانتاج

وعلاقات التوزيع ، أى مردها أشكال الانتاج وعدم بلوغ التطور غايته بالتوفيق بين شكل الانتاج وعلاقات التوزيع وإنما رد هذه المشكلة الى الانسان نفســه وسوء تنظيمه الاقتصادى مما لا علاقة له بالطبيعة أو أشكال الانتاج . ويستفاد ذلك من الآيات الكريمة « الله الذى خلق السموات والأرض ، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره ، وسخر لكم الأنهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، ان الانسان لظلوم كفار » ــ ابراهيم ٣٢ ــ ٣٤ . وكما جاء فى الحديث « ما جاع فقير إلا بما متع غنى » (٤) .

موقف الاسلام من المشكلة الاقتصاديـــة

فالمشكلة الاقتصادية فى نظر الاسلام ليست نابعة من قلة الموارد الطبيعية مما قد يتعذر التغلب عليه . وليست نابعة من عدم بلوغ التطور غايته ، مما قد يستتبع اقرار المظالم الاجتماعية عبر المراحل التاريخية السابقة . وإنما تتجسد هذه المشكلة فى ظلم الانسان بسوء توزيع الثروة ، الى جانب كفرانه للنعمــة باهماله استثمار الطبيعة وموقفه السلبى منها أو عدم استغلاله جميع المصادر التى تفضل الله بها عليه استغلالا تاما .

عالج الاسلام كفران النعمة بما وضعه للانتاج والتداول من أحكام ، كمـا كفل محو الظلم بما وضعه للتوزيع والاستهلاك من تعاليم ، ونشير هنا بايجاز الى نص المفاهيم الاسلامية فى مجالى الانتاج والتوزيع .

الفرع الاول ــ من حيث الانتاج :

الانسان هو خليفةالله فى أرضـــه

جاء الاسلام منذ أربعة عشر قرنا معلنا أن الانسان هو خليفة الله فـــى أرضه : « إنى جاعل فى الارض خليفة » البقرة : ٣ . وانه تعـــالى سخر له ما فى السموات وما فى الارض « وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه » ــ الجاثية : ١٣ ، وذلك ليعمر الدنيا ويحييها وينعم بخيراتها ويسبح بحمده تعالى : « فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله واذكـــروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » ــ الجمعة : ١٠ .

العمل والانتـــاج عبادة فى الاسلام

وعلى أساس تصور أن الانسان خليفة الله فى أرضــــه ، جاءت تعاليــم الاسلام حاثة على العمل والانتاج فالله تعالى يقول : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » ، ويقول الرسول : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » بل ان العمل وزيادة الانتاج فى نظر الاسلام عبادة ، والفرد العامل قريب مــن الله ومثاب على عمله الصالح فى الدنيا والآخرة ، فالله تعالى يقول : « ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله » ــ الشورى : ٢٦ ، ويقول الرسول : «العمل عبادة » ويقول : « من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفورا

له يوم القيامة » ، وقبل الرسول يدا ورمت من كثرة العمل وقال : « هذه يد يحبها الله ورسوله » لذلك اعتبر الاسلام السعى على الرزق وخدمة المجتمع أفضل ضروب العبادة ، فقد ذكر للنبى رجل كثير العبادة فسأل من يقوم به : قالوا : أخوه ، قال : أخوه أعبد منه ، وقد أراد أحد الصحابة الخلوة والاعتكاف لذكر الله ، فقال له الرسول : « لا تفعل فان مقام أحدكم فى سبيل الله ــ أى فى سبيل المجتمع ــ أفضل من صلاته فى بيته سبعين عاما » . ويقول « لأن يمشى أحدكم مع أخيه فى قضاء حاجته أفضل من أن يعتكف فى مسجدى هذا شهرين »

ولقد حدد الرسول مفهوم الايمان بقوله : « ليس الايمان بالتمنى ، ولكن الايمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل » . ولخص سيدنا عمر بن الخطاب نظرة الاسلام الى العمل والانتاج بقوله : « والله لئن جاءت الاعاجم بالاعمال وجئنا بغير عمل ، فهم أولى بمحمد منا يوم القيامة » .

بعض تعاليم الاسلام فى ممارسة الانتاج

ولقد أوجب الاسلام إتقان العمل والانتاج ، واعتبر ذلك أمانة ومسئولية، فالله تعالى يقول : « ولتسئلن عما كنتم تعملون » ــ النحل : ٩٣ ، ويقول الرسول : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » ، وهذا يستوجب اتباع أدق وأحدث الاساليب العلمية فى الانتاج وصدق الله العظيم : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ــ الزمن : ٩ .

كما أوجب الاسلام تنوع الانتاج بحيث يشمل كافة الحاجات البشرية : ذلك أن القاعدة فى الاسلام أن كل مالا يتم الواجب الا به يصير واجبا ، وما لا يقوم به الأفراد من النشاط الاقتصادى كالصناعات الثقيلة والمرافق العامة يصبح شرعا « فرضا » على الدولة القيام به . وقد تكلم الاسلام عن الزراعة وضرورتها وقال الرسول : « ما من مسلم يغرس أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو بهيمة إلا كان له به صدقة » ولكن حين سئل الرسول : « أى الكسب أطيب » ، قال : « عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور »وفى ذلك اشارة الى الصناعة والتجارة والى أنهما أطيب الكسب وأهم أوجه النشاط الاقتصادى .

كذلك نهى الاسلام عن الانتاج الضار كانتاج الخمور : فيقول تعالى : « إنما الخمر والميسر والأنصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » المائدة : ٩٠ . ويقول الرسول : « لعن الله الخمر وشاربها وساقيها ، وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها ، وحاملها والمحمولة اليه » . كما نهى عن التعامل بالربا فيقول تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين ، فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » ــ البقرة : ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ويقول الرسول : « لعن الله آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهده » كما نهى عن احتكار السلع : فيقول الرسول : (من احتكر حكرة يريد أن يغلى بها على المسلمين فهو خاطىء) ، ويقول « الجالب مرزوق والمحتكر ملعون » ، ويقول : « الجالب فى سوقنا كالمجاهد فى سبيل الله ، والمحتكر فى سوقنا كالملحد فى كتاب الله » .

كما نهى الاسلام عن اكتناز المال وحبسه عن الانتاج فالله تعالى يقول : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم » ــ التوبة : ٣٤ ، ويقول الرسول : (من جمع دينارا أو تبرا أو فضة ولا ينفقه

فى سبيل الله ،فهوكنز يكوى به يوم القيامة) ومن ثم يقول الرسول : « اتجروا فى مال اليتيمحتى لا تاكله الزكاة » ، ويقول « ليس لمحتجز حق بعـد ثـلاث سنين » فتنزع الارض ولو كانت مواتا او بورا من مالكها اذا انقضت عليها ثلاث سنوات بدون استثمار .وهو ما دعا عمر بن الخطاب أن يقول لبلال وقد أعطاه الرسول أرض العقيق : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقطعك لتحجز عن الناس وانما أقطعك لتعمل ، فخذ ما قدرت على عمارته ورد الباقى » . بل لقد بلغ حرص الاسلام على الانتاجوتعمير الدنيا ، ان قال الرسول : « إذا قامت الساعة وفى يد احدكم فسيلة — اى نبتة — فاستطاع الا تقوم حتى يغرسها فليغرسها فله بذلك أجر » .

عوامل الانتاج فى الاسـلام

وقد اعتبر الاسلام من عوامل الانتاج ، عاملين هما :

(ا) العمل : ويشمل عمل العامل (وهو المجهود الذى يبذله الانسان لتحقيق المنفعة سواء كان يدويا كعمل الفلاح والعامل ، أو عقليا كعمل المدرس والطبيب والمحامى ... الخ) . كما يشمل عمل المنظم (وهو الذى يوجه العملية ... الانتاجية .. ويوائم بين عناصر الانتـاج المختلفة بما يحقق سـير الانتـاج ومضـاعفته) .

(ب) رأس المال ويشمل الطبيعة (أى الثروات التى ليس للانسان دخـل فى وجودها كالارض والماء والحيوان والمناجم ... الخ) . كما يشمل رأس المال بمعناه المعروف (أى الثروات الناتجة عن نطاق العمل والطبيعة ، والتى لا تصلح لاشباع حاجات الناس مباشرة وأنما تستخدم الانتاج موآد أخرى صالحة للاشباع المباشر ، ومن قبيل ذلك رؤوس الأموال السائلة كالنقـود ورؤوس الأمـوال العينية كالمبانى والآلات) .

ويستفاد ذلك من اجماع فقهاء المسلمين على توزيع الربح — وهو حصيلة الانتاج — بين العمل ورأس المال . ففى عقد المضاربة ويسمى أيضا بالمقارضة ، يقدم أحد الشركاء وهو رب المال أى المقارض (رأس المال) بينما يقدم الشريك الآخر وهو رب العمل أى المضارب (العمال) ... وقد سمى كذلك لأنه يضرب فى الارض ويسعى فيها قصدا الى المال وتنمية التجارة .

على أن يلاحظ أن رأس المال لا يعتبر فى الاسلام عنصرا من عناصر الانتاج الا اذا شارك عنصر العمل فى الانتاج متحملا غرمه . أما رأس المال بوحـده (سواء كان فى صورة رأس مال أو أرض) ، فلا يعتبر عنصرا من عنـاصر الانتاج . وهذا هو السببفىأن الاسلام لا يعترف بالفائدة كعائد لرأس المـال وحده (أى دون مشاركة فى الربح والخسارة) ، كما أنه على الرأى الذى نؤيده لا يعترف بالريع كعائد للارض وحدها (أى حالة التأجير دون — الزراعة) ويكون الأصل فيه أن الارض لمن يزرعها (٥) .

وتعتبر هذه المسألة من أهم المسائل التى يختلف فيها الاقتصاد الاسلامى ، عن كل من الاقتصاد الرأسمالى ، والاقتصاد الاشتراكى : —

— ففى الاقتصاد الرأسمالى عناصر الانتاج أربعة هى : العمـل وعائـدة الأجر ، والطبيعة وعائدها الريع ، ورأس المال وعائده الفائدة ، والمنظم وعائده الربح . ويتحدد ثمن أو قيمة كل عنصر من عناصر الانتاج سالفة الذكـر على أساس سعر السوق الذى تحدده قوى العرض والطلب .

ـــ أما فى الاقتصاد الاشتراكى فعنصر الانتاج الأساسى هو العمل سواء كان يدويا أم عقليا وعائده هو الأجر أو الراتب ، والذى تحدده السلطات حسب خطة التنمية الاقتصادية آخذة فى الاعتبار قوى العرض والطلب دون أن ــ تتقيد بهما تقيدا تاما . أما بقية عناصر الانتاج الأخرى كالطبيعة ورأس المال والمنظم ، فتظل موجودة وانما ينتقل عائدهـــا الى الدولـــة تتصرف فيها بحسب خطـــة التنميـــة (٦) .

أما فى الاقتصاد الاسلامى فعناصر الانتاج كما سبق أن قلنا هى العمـــل ورأس المال ، مع ملاحظة أن رأس المال بوحده لا يكون له عائد ، إلا إذا ساهـــم مع العمل ذى الغرم ،وحينئذ يكون له نصيب فى العائد (أيا كانت نسبته بحسب الاتفاق) فى صورة ربح لا فائدة .

الفرع الثانى : من حيث التوزيـــع

المال مال الله والبشر مستخلفون فيه :

جاء الاسلام ، منذ أربعة عشر قرنا ، معلنا أن كل ما فى يد البشر من مال هو ملك لله أصلا » ولله ما فى السموات ومافى الارض » ــ النجم : ٣١ ، وان البشر مستخلفون فيه (وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) ــ الحديد : ٧ ، وانه لا يجوز للبعض دون الآخر أن يستأثر بهذا المال (وآتوهم من مال الله الذى آتاكم) النـــور : ٣٣ .

فبحسب الاسلام حيازة المال ليست امتلاكا ، و إنما هى وديعة أو وظيفة ، ومن ثم يتصرف فيها بتعاليم الاسلام (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) . المؤمنون : ٨ .

لكل حاجته أولا .. ثم لكل تبعا لعمله :

وقد جاءت تعاليم الاسلام فى مجال التوزيع صريحة بأن لكل حاجتـــه أولا بقوله تعالى (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل) ــ الاسراء : ٢٦ ، وقوله تعالى (فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) ــ المعراج : ٢٤ ، وقوله تعالى (فى أموالهم حق للسائل والمحروم) ــ الذاريات : ١٩ ، وقول الرسول عليه الصلاة والسلام (من ترك كلاً ، فليأتنى فأنا مولاه) أى من ترك ذرية ضعيفة فليأتنى بصفتى الدولة فأنا مسئول عنه كفيل به ، وقوله (من ترك ضياعا فعلى ضياعه) .

وهذا الحق هو حق أبيه الذى يعلو فوق كل الحقوق ، وفى إنكاره أو إغفاله إنكار للدين نفسه لقوله تعالى (أرأيت الذى يكـــذب بالدين ، فذلك الـــذى يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين ــ الماعون / ــ ٣) .

وقول الرسول (ليس المؤمن الذى يشبع وجاره جائـــع الى جنبه وهـــو يعلم) ، وقوله (أيما أهل عرضة أصبح فيهم أمرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله ورسوله) ، وقوله (المسلمأخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه) . ويعلق على الحديث الأخير الامام ابن حزم فى كتابه المحلى فيقرر أن (من تركه يجوع ويعرى فقـــد أسلمه) ، ويضيف ابن حزم أنللجائع عند الضرورة أن يقاتل فى سبيل حقه فى الطعـــام الزائد عند غيره (فان قتل الجـــائع فعلى قاتله القصاص ، وإن قتل المانع فإلى لعنة الله) .

كما ان هذا الحق مقرر لكل مواطن فى المجتمع الاسلامى ، بغض النظر عن ديانته أو جنسيته ، ويروى أبو يوسف فى كتابه الخراج أن الخليفة عمر ابن الخطاب رأى شيخا يهوديا يتكفف الناس ، فسأله عن السبب فقال : الجزية والحاجة والسن ، فأمر عمر بطرح جزيته وأن يعال من بيت مال المسلمين ، وارسل الى خازن بيت المال (أنظر الى هذا وضربائه ، فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم) .

ولقد عبر الفقهاء القدامى عن هذا الحق باصطلاح حد الغنى أو حد الكفاية تمييزا له عن حد الكفاف ، بمعنى أن لكل انسان حاجاته الضرورية والتى تختلف باختلاف الزمان والمكان ، بحيث اذا عجز لسبب خارج عن ارادته أن يوفى لنفسه الحد اللائق للمعيشة ، فان نفقته تكون واجبة فى بيت مال المسلمين أى فى خزانة الدولة ..

وانه متى توافرت لكل فرد من أفراد المجتمع حاجاته الضرورية من مأكل وملبس ومسكن .. الخ مما يسميه رجال الفقه الاسلامى بحد الكفاية تمييزا له عن حد الكفاف ، فان التوزيع يكون بعد ذلك على أساس أن لكل تبعا لعمله . فالقرآن يقول (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) النساء / ٣٢ ، والحديث النبوى يقول (لا بأس بالغنى لمن أتقى) .

عمر بن الخطاب يلخص نظرية التوزيع فى الاسلام

وقد لخص الخليفة عمر بن الخطاب نظرية التوزيع فى الاسلام بقوله :

(ما من رجل الا وله فى هذا المال حق ، الرجل وحاجته .. والرجل وبلاؤه) ، وقوله (انى حريص على الا أدع حاجة الا سددتها ما اتسع بعضنا لبعض ، فاذا عجزنا تآسينا فى عيشنا حتى نستوى فى الكفاف) .

وفى أواخر أيام حياته حين بدأت تظهر طبقة معنى فى الغنى ، ولم تسعفه فى علاج الموقف ، قال كلمته المشهورة (لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأخذت فضول الاغنياء فرددتها على الفقراء) .

الاسلام لا يسمح بالغنى الا بعد كفالة حد الكفاية ، كما لا يسمح بالتفاوت الفاحش فى الثروة أو بالترف .

ومؤدى ما تقدم أن الاسلام لا يسمح بالغنى الا بعد توفر حد الكفاية لا الكفاف لكل مواطن . وبعبارة أخرى أنه لا يسمح بالغنى مع وجود الفقر ، وانما يبدأ الغنى والتفاوت فيه بعد ازالة الفقر والقضاء عليه نهائيا . ومن هنا فنحن مع القائلين أنه فى الظروف غير العادية حيث يعم الفقر وينتشر الحرمان ، لا يجوز لاحد أن يمتلك أكثر من حاجته . ويؤكد هذا قوله تعالى (يسألونك ماذا ينفقون قل العفو) ـ البقرة : ٢١٩ ، والعفو هنا هو كل ما زاد عن الحاجة . وقول الرسول عليه السلام : (اذا بات مؤمن جائعا فلا مال لاحد) (٧)) ، وقول الرسول : (ان الأشعريين اذا ارسلوا فى الغزو أو قل طعام عيالهم فى المدينة ، حملوا ما كان عندهم فى ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم فى اناء واحد بالسوية ، فهم منى وانا منهم) ، وقول الرسول فى سفر (من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن

كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له) ويضيف الرواه أن الرســـول ذكر من أصناف المال ما ذكرحتى رأينا أنه لا حق لاحد منا فى فضل .

كذلك فان الاسلام اذ يسمح بالغنى بعد ضمان حـــد الكفاية ، وذلك لكل تبعا لعمله ، الا انه لا يسمح بالتفاوت الفاحش فى الثروة كما لا يسمح بالترف . فالغنى والتفاوت فى الثروة والدخول ليس مطلقا فى الاسلام ، بل هو مقيـد بقيدين أساسين :

أولهما ــ الا يكون التفاوت فى الغنى كبيرا ، اذ من أكبر بواعث السخط والجرائم فى المجتمعات وتخلق الطبقية والصراع بينها ، التفاوت الفاحش وتركز الثروة فى يد فئة قليلة من الناس ، الامر الذى نهى عنه الاسلام بقوله تعـــالى (كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم) ــ الحشر : ٧ . وكشف عنـــــه تصرف الرسول بتوزيع فىء بنى النضير على المهـــاجرين واثنين فقط من الانصـــــار كانوا فقراء .

ثانيهما ــ الا يؤدى الغنى الى الترف لقوله تعالى (واتبع الذين ظلمـــوا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين) ــ هود : ١١٦ . وقد علمنا التاريخ أن الشعوب حين تبدأ حياة الترف والمغالاة ، فانه يكون ذلك ايذانا بغروب شمسها وأفـــول نجمها ، وصدق الله العظيم (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففســـقوا فيها ، فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) ــ الاسراء : ١٦ . وهو ما عبر عنه الرسول بقوله (فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم ، فتتنافسوها كما تنافسوها ، فتهلككم كمـــا أهلكتهم) ، وقد حلل ابن خلدون فى مقدمته مبدأ كراهية الاسلام لاسلوب الترف بأن من شأنه اشاعة السلبية والتكاسل ، وانه جرثومة القضاء على الحضارة .

• • •

لقد ادرك الاسلام منذ البداية ، ان مشكلة الفقر لن يحلها الاحسان ، ولن تتداركها الاجراءات الاصلاحية التى تستهدف تسكين الآلام أو تخفيف الحرمان ، بل لا بد من حل جذرى ، ومن هنا كانت نقطة البداية فى الاقتصاد الاسلامى ، بالاضافة الى الحث على اتقان العمل وزيادة الانتاج ورفعه الى مرتبة العبادة ، ما قرره من ضمان حد الكفاية واذابة الفوارق بين الافراد على نحو ما أشرنا اليه وسنعود الى ايضاحه .

---

١ ــ يذهب بعض المفكرين الى تفسير أحداث المجتمع بعامل واحد من العوامل المؤثرة فى حياة الانسان ، ويعتبرونه العامل الاساسى فى أحداث التاريخ .

وهم يختلفون فى بيان هذا العامل ــ فبينما يرى فريق منهم كبعض علماء الدين والاجتمـــاع أنه العامل الدينى أو الروحى ، يرى فريق آخر كبعض علماء الاقتصاد وخاصة الماركسيين منهم بأنه العامل الاقتصادى ، بينما يرى فريق ثالث كبعض علماء النفس وخاصة الغربيين منهم بأنـــــــه العامل الجنسى .. الخ والواقع أن كل عامل من هذه العوامل وغيرها له دوره ، وانما غلبـــة أحد هذه العوامل وسيادته على العوامل الاخرى مرده ظروف الزمان والمكان . ولا شك ان العامل الدينى كان العامل المؤثر فى العصور الوسطى ، كما أن العامل الاقتصادى هو العامل المؤثر فى العصور الحديثة ، كما أن هناكمجتمعات يلعب فيها العامل الجنسى دورا رئيسيا فى مجـــــرى أحداثهـــــا .

٢ ـ آيـــات :

ـ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ـ الكهف / ٤٦
ـ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما ـ النساء / ٥
ـ قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنـوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ـ الاعراف / ٣٢

أحـاديث :

ـ نعم العون على تقوى الله المال ويقول : « نعم المال الصالح للعبد الصالح »
ـ طلب كسب الحلال فريضة ويقول : طلب الحلال جهاد
ـ من فقه الرجل أن يصلح معيشته ويقول : ما عال من اقتصد
وكان عليه السلام يناجى ربه بقوله (اللهم أصلح لى دنياى التى فيها معاشى)
ـ ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الهم فى طلب العيش .
ـ خيركم من لم يترك آخرته لدنياه ولا دنياه لآخرته ولم يكن كلا على الناس .
ـ أتى أحدهم الرسول وعليه ثوب دون ، فقال له : « ألك مال » ، قال : نعم ، قال : « من أين » ، قال : اعطانيه الله عـز وجل ، فقال الرسـول : « آتاك الله مالا فلير أثـر نعمته عليك » .
ويقول : اذا أوسع الله عليكم فأوسعوا على انفسكم .
ـ وسئل الرسول ، ان الرجل يحب ان يكون ملبسه حسنا ونعله حسنا ، فهذا من الكبر؟ فقال عليه السلام : « ان الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطـر النعمة وغمط الناس » .
ـ كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا من غير مخيلة أو سرف ، فان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده .
ويقول : كلوا أطيب الطعام والبسوا أجمل الثياب وانتعلوا أحسن النعال وليمش الواحد منكم بين الناس وكانه شامة .
ويقول : كل ما شئت والبس ما شئت ، ما خطئتك اثنتان اسراف او بخيلة .

(٣) حين يقول القرآن « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » ، لا يعنى الاحاطة بكافة تفاصيل الحياة والمعرفة ، فليست تلك مهمته ، وانما يعنى أنه لم يفرط فى شىء مما هـو أساس فى تحـديد القيم التى توجه الانسان فى مختلف جوانبها ومراحل تطورها .

(٤) أنظر الاستاذ محمد باقر الصدر ، اقتصادنا ، الطبعة الثالثة بيروت سنة ١٩٦٩ ، دار الفكر ، ص ٣٠٧ ،٥٩٥ .

(٥) ـ انظر تفصيل ذلك لدى الدكتور ابراهيم توفيق الطحاوى فى الفصل الخـاص بفوائد عناصر الانتاج التى يقرها والتى لا يقرها الاسلام ص ١٧٣ ، ٢٢٥ من رسالة للدكتوراه (مساهمة فى دراسة الاقتصاد الاسلامىمذهبا ونظاما) والتى نوقشت بكلية التجارة جامعة الازهر فى ٢١ مارس سنة ١٩٧٢ .

(٦) انظر تفصيل ذلك لدى الدكتور صلاح الدين كامـل فى مؤلفه أسس علـم الاقتصاد الاشتراكى ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٦ ، ص ١٦١ وما بعدها .
وكذلك فى مؤلفه علم الاقتصاد ، دار النهضة العربية ، طبعة ١٩٦٩ ، ص ٣٢٠ وما بعدها .

(٧) يعلق الاستاذ الدكتور على البارودى على ذلك الحديث بقوله (انه ما دام فى المجتمع جـائع واحد أو عـار واحد ، فان حق الملكية لاى فرد من أفراد هذا المجتمع لا يمكن ان يكـون شرعيا ولا يجب احترامه ولا تجوز حمايته .. ومعنى ذلك أن هذا الجـائع الواحد يسقط شرعية سائر حقوق الملكية الى أن يشبع . أنظر كتابه دروس فى الاشتراكية العربية ، مكتبة المعـارف ١٩٦٦ ، ص ٩٦ .

لبيك..

الهنــــــــا ما أعــدلك — مليـــــــك كل من ملك
لبيــــك قد لبيت لـــك — لبيــك ان الحـــــمد لك
والملــك لا شريك لـــك — ما خاب عبد ســــــألك
أنت لــه حيث ســــــلك — لولاك يا رب هلـــــــك
لبيــك ان الحــــــمد لك — والمـــلك لا شريك لـــك
والليـــل لمـــا أن حلك — والســـــابحات فى الفلك
على مجــارى المنســـلك — كـــل نبى وملـــــــك
وكـــل من أهل لـــــك — ســــــبح أو لبى فلـــك

— ● —

يا مخطئـــا ما أغفـــلك — عجـــــل وبادر أجلـــك
اختـــم بخـــــير عملك — لبيـــك ان الحـــمد لك
والمــلك لا شريك لـــك — والحـــق والنعمـــة لك

للشاعر أبى نواس

تعليق ورد

حول مقال مولد محمد صلى الله عليه وسلم

جاءنا من الشيخ (أحمد محمد أبو زيتحار) عميد معهد القراءات الازهرى بدمنهور وعضو بعثة الازهر لتدريس علوم القرآن بالجامعة الاسلامية بأم درمان سابقا :

جاء فى العدد ٨٧ ربيع الأول ١٣٩٢ ابريل ١٩٧٢ ، فى المقال الذى كتبه الاستاذ عبد الكريم الخطيب تحت عنوان « مولد محمد صلى الله عليه وسلم » ص ٨٦ س ١٩ ، ٢٠ « ان اسم محمد لم يسم به أحد من آبائه وأجداده ولم يسم به عربى أو قرشى قبله » الى آخر ما ذكره الاستاذ فى مقاله ..

وهذا ليس بصحيح .. فقد ذكر علماء السير والتاريخ أن الاسم الكريم تسمى به أناس فى الجاهلية قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ، رجاء أن يكون المسمى واحدا منهم . وذلك أنه لما قرب زمان بعثته وبشر أهل الكتاب به وبقرب مبعثه ، سمى قوم أولادهم محمدا رجاء أن يكون هو النبى المبشر به . ومع اتفاق علماء السير والتاريخ على هذا فقد اختلفوا فى عدد من سمى بهذا الاسم قبل البعثة . فقيل ثلاثة . وقيل ستة . وقيل خمسة عشر . وقيل عشرون . والى القارىء الكريم ما نقل عنهم فى ذلك ..

ذكر السهيلى فى الروض الأنف أنهم ثلاثة — محمد بن مجاشع — ومحمد بن أحيحة — ومحمد بن حمران . والقاضى عياض فى كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى

حصرهم فى ستة لا سابع لهم كما قال . اتفق مع السهيلى فى الثلاثة المذكورين وزاد عليهم محمد بن مسلمة الأنصارى ومحمد بن البراء ومحمد بن خزاعى . وقد رد الحافظ ابن حجر فى فتح البارى على القاضى عياض حصرهم فى ستة كما رد على السهيلى ومن تبعه حصرهم فى ثلاثة .. وقد جمع الحافظ ابن حجر أسماء من تسمى بذلك الاسم فى جزء مفرد فبلغوا كما قال فى الفتح نحو العشرين مع تكرار فى البعض ووهم فى البعض الآخر . وخلاصتهم بعد حذف المكرر ومن فيه وهم خمسة عشر شخصا والى القارىء الكريم أسماؤهم مع بيان ضبطها وما ورد فى ذلك :

١ — محمد بن عدى بدال مهملة ابن ربيعة من سواءة — بضم السين — بوزن حدافة بن جشم — بضم الجيم وفتح الشين المعجمة — بن سعد . وسبب تسميته محمدا كما قال الحافظ فى الاصابة نقلا عن ابن شاهين من طريق العلاء عن خليفة بن عبدة قال سألت محمد بن عدى كيف سماك أبوك فى الجاهلية محمدا ؟ قال : أما انى سألت أبى عما سألتنى عنه فقال خرجت رابع أربعة من بنى تميم أنا احدهم وشعبان بن مجاشع ويزيد بن عمرو بن ربيعة وأسامة بن مالك ويزيد بن جفنة الغسانى بالشام فلما(١) وردنا الشام ونزلنا على غدير وعليه سمرات(٢) وقربه قائم الديرانى . فقلنا لو اغتسلنا من هذا الماء وادهنا ولبسنا ثيابنا ثم أتينا صاحبنا ففعلنا . فأشرف علينا الديرانى (٣) فقال ان هذه للغة قوم ما هى بلغة أهل هذا البلد ؛ فقلنا نحن قوم من مضر . قال من أى المضائر ؟ قال قلنا من خندف . فقال أما انه سيبعث منكم وشيكا نبى فسارعوا اليه وخذوا حظكم منه ترشدوا فانه خاتم النبيين . فقلنا ما اسمه ؟ قال (محمد) . فلما انصرفنا من عند ابن جفنة ولد لكل واحد منا غلام فسماه محمدا لذلك .

٢ — محمد بن أحيحة — بضم الهمزة وفتح الحاءين — بن الجلاح — بضم الجيم وفتح اللام — مخففة وهل أحيحة أبوه أم جده ؟ تردد فى هذا الحافظ ابن حجر فى الاصابة — وقال رأيت فى رجال الموطأ أن الأحيحة ابنا يسمى عقبة ولعقبة ابن يسمى محمدا — فهو على هذا محمد ابن عقبة بن أحيحة .

٣ — محمد بن أسامة بن مالك بن حبيب . وقد عده أبو نعيم فى الصحابة والصحيح أنه لا صحبة له لأنه مات قبل البعثة بدهر كما قاله الحافظ ابن حجر فى الاصابة . .

٤ — محمد بن البراء بن طريف — بفتح الطاء وكسر الراء — بن عتوارة البكرى — بضم العين وكسرها .

٥ — محمد بن الحرث بن حديج — بضم الحاء وفتح الدال .

٦ — محمد بن حرماز — بكسر الحاء وسكون الراء — وآخره زاى كما ضبطه الحافظ ابن حجر والعينى .

٧ — محمد بن حمران بن أبى حمران .

٨ — محمد بن خزاعى بن ذكوان السلمى مسمى محمدا طمعا فى النبوة ذكر الطبرى أن أبرهة الحبشى توَّجَهُ وأمره أن يغزو بنى كنانة فقتلوه .

---

(١) أى ثلاثتهم لان ابن جفنة كان بالشام .

(٢) سمرات جمع سمرة شجر الطلح .

(٣) الديرانى نسبة الى الدير على غير قياس والنسبة اليه الديرى كما هو معروف .

٩ — محمد بن خولة الهمـــوانى — بفتح الخاء وسكون الواو .

١٠ — محمد بن شـــــعبان بن مجاشع التميمى .

١١ — محمد بن اليحمد الأزدى واختلف فى ضبط اسم أبيه (اليحمد) فقيل بفتح الياء وسكون الحاء وضم الميم وقيل بضم الياء وسكون الحاء وكسر الميم ، وبهذا ضـبطه الامام النووى فى شرح مســلم وأبو على الغسانى فى كتابه تقييد المهمل وابن ماكولا . زاد ابن ماكولا أن أصحاب الحديث يضبطون كذلك لكنهم يضمون الميم .

١٢ — محمد بن يزيد بن عمرو بن ربيعة التميمى .

١٣ — محمد بن الأسيدى بضم الهمزة وفتح السين ، ذكر الاخيرين ابن‌سعد ولم ينسبهما بأكثر من ذلك .

١٤ — محمد الفقيمى — بضم الفاء وفتح القاف وسكون الياء .

١٥ — محمد بن عمرو بن مغفل — بضم الميم وسكون الغـــين وكسر الفاء .

هذا ولم يدرك الاسلام من هؤلاء الا محمد بن عدى وتقدمت قصـــــته وسبب تسميته محمدا، والا محمد بن البراء والا محمد بن مسلمة الانصارى .. وهذا الاخير ذكره القاضى عياض فمن سمى محمـــــدا فى الجـــاهلية والمتتبع لما كتبه الحافظ فى الأصابة يدرك أنه ولد قبل البعثـــــة باثنتين وعشرين سنة كما قال الواقدى فتكون ولادته بعد ميلاده صلى الله عليـــه وسلم بثمان عشرة ســـنة ولهذا لم يذكره الحافظ ابن حجر فيمن ســـمى بهذا الاسم .. وأيا ما كان الامر فهو بدرى من فضـــلاء الصــحابة وممن اعتزل الفتنة فلم يشـــــــهد الجمل ولا صفين وكان عمر رضى الله عنه يعده لكشف المعضلات . وأعطـــاه رسول الله صلى الله عليه وســـلم ســـــيفا وقال له قاتل به المشركين ما قاتلوا فاذا رأيت أمتى يضـــرب بعضهم بعضا فأت به أحدا فاضرب به حتى ينكسر ثم اجلس فى بيتك حتى تأتيك يد خاطئة أو منية قاضية .. ففعل . قال فى الأصابة ودخل عليه رجل من أهل الشام من أهل الاردن فى داره فقتله .

وصدقت نبوءة الرسول فى قتله بيد خاطئة واختلف أهل السير فى أول من تسمى بهذا الاسم الكريم . فقيل محمد بن أحيحة . وقيل محمد ابن شعبان بن مجاشـــع التميمى . وقيل محمد بن اليحمد الأزدى . وقد صان الله سبحانه الاسم الكريم أن يدعى أحد ممن تسمى به قبل مبعثه النبوة أو يدعيها انســـــان له وتلك مكرمة كرم الله بها محمدا صلى الله عليه وسلم .

. . . .

وقد ارسلنا هذه الرسالة للاستاذ عبد الكريم الخطيب فاجاب :

اطلعت على الرسالة التى بعث بها اليكم الاستاذ أحمـــد محمد أبو زيتحار ، تعليقا على مقالى المنشور بالعدد ٨٧ تحت عنوان : « مولد النبى محمد صلى‌الله عليه وسلم » .

وقد جاء فى تعقيب الاســـــتاذ أبو زيتحار على هـــذا المقال أنه ليس بصحيح ما قلته من « أن اسم محمد

لم يسم به أحد من آبائه وأجداده ، ولم يسم به عربى أو قرشى قبله » .
ومع أنى لم اقل هذه العبارة التى نسبها الاستاذ الى ، بل ان الذى قلته هو ما نصه حرفيا : « ولأول مرة تتحرك الشفاه فى قريش بكلمة (محمد) ولأول مرة يطرق اسماعها أن من ابنائها من يسمى (محمدا) » .

« ومع أن العرب قد استولدت فى لغتها من حروف هذا الاسم كلمات كثيرة كانت تدور فى محاوراتها ومساجلاتها وأشعارها ، كالحمد ، والمحمدة ، والمحامد ، والحامد ، والمحمود ، وغيرها فانها لم تتخذ اسم (محمد) علما تطلقه على غلمانها من احرار أو عبيد » .

وواضح من هذا ان العبارة التى نسبها الاستاذ الى فيها قطع وجزم بأن اسم (محمد) لم يسم به عربى أو قرشى قبل رسول الله ، على حين أن عبارتى ليس فيها هذا القطع بالنفى المطلق ، وانما هو نفى لا يمنع من احتمال وقوع بعض أفراد المنفى، ولكن على ندرة لا يعتد بها الى جانب الشائع المتداول من الاسماء ..

ــ اقول : مع هذا ، فانى اتجاوز عن هذا الفرق الدقيق بين عبارتى ، والعبارة التىنسبها الاستاذ أبوزيتحار الى ، واقبل أن تكون كلمته ترجمة صادقة لعبارتى .. فأقول : « ان اسم محمد لم يسم به احد من آبائه واجداده ، ولم يسمه به عربى أو قرشى قبله » !

فماذا فى هذا .. ؟

لقد خطّأ الاستاذ هذه المقولة ، وذكر أن علماء السير والتاريخ قالوا بأن الاسم الكريم قد تسمى به أناس فى الجاهلية قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ، وذلك انه لما قرب زمان مبعثه وبشر أهل الكتاب به وبقرب مبعثه ، سمى قوم أولادهم محمدا رجاء أن يكون هو النبى المبشر به .

ثم أتى الاستاذ على مقولات هؤلاء العلماء ، وما وقع من اختلاف بينهم فى عدد من تسموا بهذا الاسم ، فمن قائل : انهم ثلاثة ، وقائل : انهم ستة ، الى قائل : انهم عشرون !

وانى أوجز ردى على هذا التعقيب فيما يلى :

فأولا : هذه المقولات التى نقلها الاستاذ عن علماء السير والتاريخ حول من تسمى بمحمد قبل البعثة النبوية ، أو قبل المولد النبوى ــ هذه المقولات ، وكثير غيرها كانت بين يدى عند كتابة هذا المقال ، بل وكانت موضع دراسة خاصة فى كتابى الذى نشرته لى دار الفكر العربى بالقاهرة فى سنة ١٩٦٣ تحت عنوان : « النبى محمد ، انسان الانسانية ونبى الانبياء » .

وفى فصل من فصول هذا الكتاب تحت عنوان : « الاسم والمسمى » من صفحة ٢٤ الى صفحة ٤٤ ، ذكرت قول القاضى عياض فى كتابه (الشفا) ونصه : « أما (أحمد) الذى أتى فى الكتب ، وبشرت به الدنيا ، فمنع الله تعالى بحكمته أن يسمى به أحد غيره ، ولا يدعى به مدعو قبله ، حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب أو شك .. وكذلك اسم محمد أيضا ، لم يسم به أحد من العرب أو غيرهم الى أن شاع قبيل وجوده صلى الله عليه وسلم وميلاده أن نبيا سيبعث اسمه (محمد) فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم

بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو . و (الله أعلم حيث يجعل رسالته) ثم حمى سبحانه كل من تسمى به أن يدعى النبوة أو يدعيها أحد له ، أو يظهر عليه شيء يشكك أحدا فى أمره ، حتى تحققت السمتان — أى الاسمان — له صلى الله عليه وسلم » .

هذا ما قرره القاضى عياض فى هذه القضية ، فى شأن من تسموا بمحمد قبيل ميلاد النبى صلى الله عليه وسلم .. ومع أن القاضى عياض من أوثق وادق من كتب فى السيرة النبوية ، فقد رأيت رد مقولته هذه ، لما فيها من اضطراب وتناقض ..
حيث يقول ان الذى أتت به الكتب — السماوية — وبشرت به الدنيا ، اسمه (أحمد) ، ثم يقول بعد هذا : انه شاع قبيل وجوده صلى الله عليه وسلم وميلاده أن نبيا سيبعث اسمه (محمد) .. فمن أين جاء اسم محمد ، والذى فى الكتب السماوية أنه أحمد .. ؟ أليس فى هذا تناقض بين المقدمة والنتيجة .. ؟

وثانيا : لم أعول اذن على قول القاضى عياض ، ولا غيره من كتاب السير والتاريخ ، ممن قالوا بأن بعض العرب قد سموا أبناءهم باسم محمد قبيل مولد النبى ، الذى بشر به أهل الكتاب ، رجاء أن يكون أحد المسمين هو النبى المنتظر ..

نعم ، لم أعول على هذه المقولات ، وذلك لأمور :

منها : أن النبى المبشر به فى الكتب السماوية عند أهل الكتاب اسمه (أحمد) لا (محمد) وان كان الاسمان من مورد واحد ، يرادف أحدهما الآخر .. وهذا ما يشير اليه قوله تعالى على لسان السيد المسيح الى بنى اسرائيل : « واذ قال عيسى بن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » (٦ : الصف)
.. فلو أن العرب الجاهليين أخذوا بما بشر به أهل الكتاب — من اليهود والنصارى — عن النبى المرتقب ، ونازعتهم أنفسهم أن يرشحوا مواليدهم لهذه النبوة ، لتواردوا على اسم (أحمد) لا (محمد) !

ومنها : أن هذه الاسماء التى ذكرها علماء السير والتاريخ عمن تسموا باسم (محمد) فى الجاهلية — هى أسماء لنكرات ، لم يعرف لاسم ممن ذكر فى هذا المقام شأن فى الحياة الجاهلية ، فليس فى هؤلاء المحمدين شاعر ، أو فارس ، أو حكيم ، أو خطيب ، أو كاهن ، ممن بقى فى ذاكرة العرب بعض آثارهم وأخبارهم الى أن جاء الاسلام ، وبدأ عصر التدوين ..

والسؤال هنا : كيف يحتفظ التاريخ الجاهلى بهذه الاسماء النكرات لا لشيء الا لأن أصحابها تسموا باسم النبى قبل مولده .. ؟ وكيف عثر عليها علماء الآثار فى غبار الزمن الذى عفى على حياة العصر الجاهلى .. ؟

لقد ضاع كثير من معالم الجاهلية وآثارها ، وما بقى من تلك الحياة ، سواء فى الاشخاص ، أو الآثار التى خلفوها ، قليل قليل الى جانب هذا الكثير الذى ذهب فى رمال الصحراء ! فكيف — والحال كذلك — يحتفظ بهذه الاسماء . وانسابها ، وليس لأحد من أصحابها شأن يذكر به .. ؟

ذلك لا شك أثر من آثار الوضع

الذى عمل له أصحاب المنازع الفاسدة ، والأهواء المضللة ، والذى أعان عليه أمية العرب فى جاهليتهم، وعدم وجود تاريخ مقيد لآثارهم وأخبارهم ، ففتح ذلك أبوابا واسعة دخل منها ذوو النيات السيئة ، والطوايا الخبيثة ، فاستملوا من هذا الفراغ ما أملته عليهم أهواؤهم ، دون أن يعقب عليهم معقب ، أو يحاكمهم الى مرجع ثابت ، أحد !

ومنها : أن من اكرام الله تعالى لعبد من عباده المقربين أن يفرده سبحانه باسم لم يتسم به أحد قبله ، كما كان ذلك منه سبحانه وتعالى ليحيى عليه السلام ، اذ يقول سبحانه : « يا زكريا .. انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا » (٧ : مريم) .. فاذا كان ذلك ليحيى عليه السلام ، أفلا يكون مثله لمحمد صلى الله عليه وسلم ، خاتم النبيين ، وصفوة المرسلين ؟

ومنها : أن القرآن الكريم ذكر النبى ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ بالاسم (محمد) الذى سمى به يوم مولده ، والذى عرف به فى قومه ، ولم يذكره بالاسم الذى سماه تعالى به فى التوراة والانجيل ، وهو (أحمد) ..

فاذا كان سبحانه قد حمى اسم (أحمد) المبشر به قبل مُولده من أن يسمى به أحد قبله ، تشريفا وتكريما له ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ أفلا يكون من الاولى أن تقوم هذه الحماية على الاسم الكريم (محمد) الذى هو سمة (محمد) فى قومه ، والذى خاطبه به الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم ، حيث يقول سبحانه : « محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » (٢٩ : الفتح) . ويقول تبارك اسمه : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » (٤٠ : الاحزاب) ويقول جل وعلا : « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل » (١٤٤ : آل عمران) ؟

ومنها : أن أصحاب الاسماء التى ذكرها المؤرخون وكتاب السير لمن تسموا بمحمد ، ليس فيهم واحد من قريش ، أصحاب الرياسة الدينية على العرب ، وأهل البلد الحرام ، وسدنة البيت الحرام ، وأكثر العرب اتصالا واحتكاكا بأهل الكتاب ، فى تجارتهم الى الشام واليمن ــ فلو أنه كان قد وقع للعرب أن نبيا سيبعث فيهم ، اسمه (محمد) ــ أفما كان من منطق الواقع أن تكون قريش هى المتطلعة الى هذا الشرف ، فيشيع فى مواليدها اسم (محمد) وأن يكون فى كل بيت من بيوتها المتنافسة على الشرف والسيادة ، اكثر من اسم لمحمد ، لعل النبوة أن تصادف واحدا من أبنائها المسمين بهذا الاسم ؟ ثم لو كانت هذه النبوءة معروفة فى قريش ، أو واقعة موقع الجد منها ــ أفما كان الاولى عند عبد المطلب ــ جد النبى ــ الذى سمى حفيده بهذا الاسم أن يسمى به (حمزة) ابنه ، الذى كان مولده مقاربا لمولد النبى ؟

ومنها : هذا التاريخ الثابت لعصر النبوة ، وهذه الاسماء لرجالات هذا العصر من مسلمين ومشركين من قبائل العرب كلها ــ هل يذكر فى هذا العصر احد اسمه (محمد) غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

وبعد ، فان هذا الامر أوضح من أن يدل عليه ، أو يدافع عنه ، اذ يشهد له القرآن الكريم شهادة

قاطعة ، ثم يجيء من بعد القرآن . هذا التاريخ الثابت لعصر النبوة ، حيث يخلو خلوا تاما من صحابى او مشرك كان له اسم (محمد) ! فأين ذهب اصحاب هذه الاسماء من المحمدين الذين ذكرتهم كتب التاريخ ؟

واذا كان لنا من قول نقوله بعد هذا ، فهو عن هذه المرويات ، وتلك الاخبار التى دست على تراثنا الاسلامى والعربى ، فى كتب التفسير ، والحديث ، وفى كتب السير والاخبار ، والتى نزلت من قلوبنا وعقولنا منزل التقديس لكل كلمة فيها ، اما لجلال الموضوع الذى دست فيه ، واما لمكانة الشخصية التى دست عليها . الامر الذى عطل عقولنا عن النظر فيها ، فقبلناها على علاتها ، وأقمنا مفاهيمنا عليها ، وعاملناها معاملة الحقائق الثابتة التى تبنى عليها عقيدتنا ، وكان من ذلك أن وقع كثير منا فى هذه البلبلة التى نشأت أو تنشأ من هذا الانفصال والتناقض بين حكم العقل ، ومنزع الوجدان .. !

ان الامر يحتاج الى مراجعة لهذا التراث العظيم ، لتخليصه من تلك الشوائب التى ألقى بها فى عبابه الزخار أعداء الاسلام ، وخاصة اليهود الذين لم ينقطع كيدهم لدين الله من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليوم ، ولن ينقطع أبدا ، وقد نبه الله تعالى نبيه الكريم والمسلمين الى هذا الكيد ، المنبعث من عداوة مضمرة ، لا تنطفىء نارها ابد الدهر ، حيث يقول سبحانه فى كتابه الكريم : « واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم ، كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم ، هم العدو فاحذرهم ، قاتلهم الله انى يؤفكون » (٤ : المنافقون) .

واذا كان لنا من أمنية نتمناها على المجامع العلمية ، فى كل قطر من اقطار أمتنا الاسلامية والعربية ، فهى التصدى لهذا العمل العظيم قبل كل شىء ، وذلك بتنقية هذا الغثاء الكثير الذى يحمله تراثنا المجيد ، حتى تصفو موارده للواردين ، وتتكشف حقيقة جوهره الكريم لأعين الناظرين .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .



مائدة القارئ

ربنـــا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنـــا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشـــــكرون ..
(قرآن كريم)

عشر حسنات

قال ابن أبى ليلى أنى لأساير رجلا من وجوه أهل الشـــام اذ مر بحمال معه رمـــان فتناول منه رمانةوجعلها فى كمه فعجبت من ذلك ثم رجعت الى نفسى وكذبت بصرى حتى مـــر بسائل فقير فأخرجها فناوله اياهـــا فقلت له : رأيتك قد فعلت عجبا .

قال وما هو قلت : رأيتك أخذت رمانة من حمال وأعطيتها سائلا .. قال : أخذتها وكانت سيئة وأعطيتها فكانت عشر حسنات .

فضل أهـــل المدينة

أهـــل المدينة جيرة رســـول الله وعمـــــار مسجده وســــكان بلده والمرابطون فى حـــرمه متى استقاموا وصلحوا كانوا أعلى الناس قـــدرا ووجب احترامهم ولزمت محبتهم وقد حـــذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من ايذائهم فقال لا يكيد أهل المدينة أحد الا انماع كما ينماع الملح فى الماء ودعا لهم بالبركة فى أرزاقهم فقال اللهم بارك فى مكيالهم وبارك لهم فى صاعهم ومدهم .

أولادنـــــــا

غضب معاوية مرة على ابنـــه يزيد فأرسل الى الاحنف بن قيس ليسأله عن رأيه فى البنين فقال : ثمـــار قلوبنـــا وعمـــاد ظهورنا ونحن لهم أرض ذليلة وســـماء ظليلة فان طلبوا فاعطهم وان غضبوا فارضهم فانهم يمنحونك ودهمويحبونك جهدهمولا تكن عليهم ثقيلا فيمـــلوا حياتك ويحبوا وفاتك ..

فقال معاوية : لله أنت يا احنف لقد دخلت على وانى لمملوء غضبا على يزيد فسللته من قلبى ..

دعــاء البيت

اللهم أنت السلام ومنك الســلامحينا ربنا بالسلام اللهم زد هــذا البيت تعظيما وتكريما ومهابة ، وزدمن حجه واعتمره تكريما وتشريفـا وتعظيما وبــرا .

(حديث صحيح)

عــدد المسلمين

بلغ عدد المسلمين فى العــالم (٧٣٢٫٩٨٦٫٠٠٠) وذلك نتيجــة أحدث احصاء وينتظر أن تصــدر احدى الهيئات الاسلامية بحثا شاملا فى هذا الموضوع يتناول عــدد المسلمين وعدد الســكان الاجمالى واللغات الرسمية ونســبة المسلمين الى عدد السكان الاجمالى .

بــر وأدب

جــاء رجل من اشراف الناس الى بغداد فأراد أن يكتب الى أبيه كتابا يخبره بوصوله فلم يجد أحدا يعرفه فانحدر بالكتاب الى أبيه وقال : كرهت أن يبطىء عليك خبرى ولم أجد أحدا يجىء بالكتاب فجئت أنا به ثم دفعه اليــه .

زوجهــا

روى ان رجلا اصابت اخته فاحشة فأمرت الشفرة على ادراجها — حاولت الانتحار — فادركوها فداووها حتى برات ثم ان عمها انتقل باهله الى المدينة فقرات القرآن فنسكت حتى صارت من انسك نسائهم فخطبها بعض الناس من عمها وكان يكره ان يغش الخاطب كما كان يكره أن يفشى على ابنة اخيه ..

فاتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فذكر له ، فقال عمر — لـو افشيت لعاقبتك ، اذا اتاك رجل صالح ترضاه فزوجها ..

جحــا

جحا اسم لا ينصرف لانه معدول من جاح مثل عمر من عامر يقال جحا يجحو جحوا اذا رمى ويقال حيا الله جحوتك أى وجهك .

طلحة الطلحات

هو طلحة بن عبيد الله التيمى من الصحابة ومن المهاجرين الاولين ومن العشرة المسمين للجنة ويكنى أبــا محمد ويقال له طلحة الخير وطلحــة الفياض رضى الله عنه .

مجمع البحوث الإسلامية بين الأمل والواقع

للاستاذ يحيى هاشم حسن فرغل

لا شك أن مجمع البحوث الاسلامية مظهر من مظاهر الحركة الاسلامية المعاصرة ، واذا كان من اللازم لتفهم حركة تاريخية معينة أو مظهر من مظاهرها أن نحاول التعرف على جذورها التى تضرب فى أعماق الماضى البعيد أو القريب ، فانه يكفينا فى هذا المقام أن نشير الى جذور هذا « المجمع » التى تمتد الى حلقات العلم التى انعقدت فى أرجاء المجتمع الاسلامى منذ ظهور الدعوة الاسلامية .

ولسنا هنا فى مقام الافاضة فى بيان تطور مظاهر هذه الحلقات العلمية على مدى أربعة عشر قرنا ، أو بيان أوجه العلاقة بينها وبين المجتمع ، أو بينها وبين الدولة ، أو بينها وبين الحضارة بوجه عام ، ولكنه يكفينا أن نلمح العلاقة الاضطرادية التى قامت بين تقدم المجتمع أو الدولة أو الحضارة الاسلامية ، وبين تقدم مراكز العلم والثقافة فى ظل هذه الحضارة ، حيث يقوم بين الطرفين ترابط عضوى وثيق .

وعلى هذا الاساس يمكننا أن نلاحظ حركة الجزر التى أصابت الحضارة الاسلامية إثر النزيف الطويل الذى كان من نتائج الحروب الصليبية — برغم ما أحرزه المسلمون فيها من انتصار نهائى — ثم ما أصاب كيان هذه الحضارة من خمول وتمزق إثر الغزو الاستعمارى الحديث ، وكان لنا — تبعا لهذه الملاحظات — أن نلاحظ ما صاحب ذلك كله من مظاهر القصور فى الحركة الفكرية الاسلامية بوجه عام .

واذا كانت حركة الجزر التى اشرنا اليها قد وصلت الى غايتها بوصول الاستعمار الاوربى الى عنفوانه فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، ودخول هذا الاستعمار فى طور جديد ينذر ببدء زواله ، فانه من الملاحظ أيضا أن ذلك كان مصحوبا ببدء حركة اسلامية تحاول بعث العملاق الاسلامى من سباته ، وتضميد جراحاته ، ودفعه الى حيث يحتل مكانه اللائق به فى موكب التاريخ .

ولقد تمثلت إرهاصات هذه الحركة فى فكر الأفغانى ودعوته الى الجامعة الاسلامية ، كما تمثلت فى كتابات الكواكبى وأحلامه فى « أم القرى » ، وفى فلسفة محمد عبده وخططه فى التربية الاسلامية ، لكنها لم تتعد هذا النحو من التحرك النظرى ، وظلت فى إسار الدعوة والحلم ، الى أن ظهر مجمع البحوث الاسلامية فى النصف الثانى من القرن العشرين ، كنواة للتجمع الاسلامى المنشود ، وكتجسيد حى للخطوة الاولى على الطريق .

واذا كانت التربة التى ظهر فيها مجمع البحوث الاسلامية هى تربة الأزهر بما له من ماض عريق يمتد الى أكثر من ألف عام حافلة بالعمل من أجل إثراء الفكر الاسلامى وربط الشعوب الاسلامية برباط وثيق يعلو على تيارات السياسة واهتزازاتها فانه يلزمنا أن نشير الى أن المجمع لم يكن هو التجربة الاولى للازهر فى هذا المجال ، ولقد كانت له تجربة قريبة العهد ، تمثلت فى « هيئة كبار العلماء » التى حل محلها المجمع ، وكانت شبيهة بالمجمع فى كونها الهيئة العلمية التى تتركز فيها قمة النشاط العلمى للازهر ، وإن زاد عليها المجمع فى اختصاصاته ، وطبيعة تكوينه ، وخطة نشاطه .

ولا يفوتنا ــ لكى نستكمل صورة البيئة الفكرية التى نشأ فيها المجمع ــ أن نعرب عن الرأى القائل بأن ظهور هذا المجمع إنما كان انحيازا لوجهة نظر ترى أنه ينبغى أن يسبق ظهور الدولة الاسلامية ، أو الجامعة الاسلامية على وجه من الوجوه بظهور دراسات واسعة وأبحاث عميقة ، تشمل جميع أوجه الحياة الاسلامية ، وتسبر أغوارها ، وتقدم المستقبل المأمول لها فى صورة الممكن ، وترد على أعداء « النمط الاسلامى للحياة » الذين يدعون استحالته فى الحياة المعاصرة ... وذلك ضد وجهة نظر مقابلة رأت أن نقطة الانطلاق فى بناء الحياة الاسلامية لا تتركز فى إجراء هذه الابحاث والدراسات النظرية بقدر ما تتركز فى التغيير العملى للمسار المنحرف الذى وقعت الحياة الاسلامية أسيرة له منذ وقت بعيد ، وبقدر ما تتركز فى التأثير على السلطة ، أو الاستحواذ عليها ، واستخدامها لمصلحة هذا التغيير .

وعلى ضوء هذه الفكرة الاساسية كان الطابع الغالب لمجمع البحوث الاسلامية ــ وكما يتبين من اسمه ــ هو توجيه الهمة نحو إجراء البحوث والدراسات النظرية .

ومن هنا جاء فى قانون إنشائه الصادر عن مجلس الامة للجمهورية العربية المتحدة ــ إبان الوحدة بين مصر وسوريا ــ فى عام ١٩٦١ م ما يأتى :

« مجمع البحوث الاسلامية هو الهيئة العليا للبحوث الاسلامية ، وتقوم بالدراسة فى كل ما يتصل بهذه البحوث ، وتعمل على تجديد الثقافة الاسلامية ، وتجريدها من الفضول والشوائب ، وآثار التعصب السياسى والمذهبى ، وتجليتها فى جوهرها الاصيل الخالص ، وتوسيع نطاق العلم بها لكل مستوى ، وفى كل بيئة ، وبيان الرأى فيما يجد من مشكلات مذهبية ، أو اجتماعية تتعلق بالعقيدة ، وحمل تبعة الدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وتعاون جامعة الازهر فى توجيه الدراسات الاسلامية العليا لدرجتى التخصص والعالمية والاشراف عليها والمشاركة فى امتحاناتها . »

ومن هذا المنطلق استهل مجمع البحوث الاسلامية نشاطه بعقد مؤتمراته التى بدأت فى عام ١٩٦٤ ، وقدم فيها مجموعة ضخمة من البحوث التى تناولت أوجه الفكر الاسلامى ، ومختلف نواحى الحياة الاسلامية ، وكان من واجبه أن يركز فيها على ما يمكن أن تقدمه هذه البحوث من دليل ، ليس فحسب على

ضرورة بعث « النمط الاسلامى للحياة » بل على إمكان هذا البعث أيضا .

وحرص المجمع على إصدار بحوثه تلك ـــ باللغتين العربية والانجليزية ـــ فى مجلدات ، يضم كل منها مجموعة البحوث التى القيت فى مؤتمر من مؤتمراته التى تعقد سنويا تقريبا ، وبلغت ستة مؤتمرات حتى تاريخ كتابة هذه السطور ، ـــ وربما يكون المؤتمر السابع قد تم انعقاده عند نشرها ـــ واشتملت على دراسات فى : أصول التشريع ، والاجتهاد ، وتحديد الملكية ، والموارد المالية فى الاسلام ، والمعاملات المصرفية ، والتأمينات ، والزكاة ، والصدقة ، واستثمار الاموال فى الاسلام ، والاقتصاد الاسلامى وعلاقته بأنواع الاقتصاد المعاصر ، وكفاية الشريعة فى تثبيت التعامل واستقراره ، ونظرة الاسلام الى العقوبات ، والعلاقات الدولية ، ومكانة المرأة فى الاسلام ، وتنظيم الاسرة ، وتحديد النسل ، وتحديد أوائل الشهور العربية ، وعوامل انتشا رالاسلام ، وواجب المسلمين نحو القضية الفلسطينية والاحتلال الاسرائيلى، وموقف اليهود من الاسلام والمسلمين ، والدعوة الى الجهاد فى سبيل الله .

كما تناولت هذه البحوث : العقيدة الاسلامية ، ودلائل إثباتها بين النصيين والعقليين ،

والقرآن والتربية الاسلامية ، والقرآن وتجديد المجتمع .

وتربية الشباب على مبادىء الاسلام .

وشخصية المسلم ،

وفلسفة الحرية ،

وموقف الاسلام من الرق ، ومقومات الحضارة الاسلامية واثرها فى رقى البشريـــة .

والاسلام والعلم ، وتفسير القرآن فى ضوء المكتشفات العلمية الحديثة .

ووظيفـــة المسجد فى المجتمع المعاصر .

ووسائل المحافظة على القرآن الكريم ، ومنزلة السنة النبوية .

وحقوق الانسان فى الاسلام .

وإنه ليتبين من هـــذه الاشارة العاجلة الى الموضوعات التى عالجتهـا مؤتمرات مجمع البحوث الاسلامية فى الفترة من عام ١٩٦٤ ـــ ١٩٧١ انها تمتد على أفق واسع من جهات البحث فى الفكر الاسلامى ، واذا كانت هذه البحوث أو بعضها ـــ فى رأى البعض ـــ لا يرتفع فوق مستوى النقد ـــ سواء كان ذلك من ناحية أولويات البحث ، أم من ناحية العمق فيه ـــ فلقد كان العذر واضحـا متمثلا فى العجلة التى اضطر اليها المجمع إزاء الالحاح الذى لم يكن لـــه أن يتجاهله ، والذى تمثل فى مطالبة الرأى العام له بأن يقدم إنتاجه العلمى إثر إنشائه مباشرة ، الامر الذى لا يتفق مع الترتيب السليم الذى ينبغى الاخذ بـــه فى مجال البحث فى هذه الهيئة العلمية وأمثالها ، والذى يقضى بأن تمـــر البحوث فى أطوار : من العرض على الأروقـــة ، ثم الصعود بها الى اللجان الاساسية ، ثم الى مجلس المجمع الذى يضم أعضاءه والذى ينعقـــد مرة كل شهر ، ثم ينتهى بها الامر بعد ذلك الى أن تصب فى مؤتمر المجمع الذى ينعقد مرة كل عام ، لتنبثق عنها القرارات والتوصيات وقد استكملت عودها ، ونالت حظها من المناقشة والتدقيق والتمحيص وتبادل أوجه النظر .

واذا كانت ظروف المجمع فى سنواته الاولى اقتضته أن يسلك غير هـــذا السبيل ، فلقد كان ذلك ضروريا من الوجهة العملية ليتعرف المجمع ـــ من واقع

مناقشاته وبحوثه التى طرحها فى مؤتمراته الاولى — على الخطة العلمية التى ينبغى عليه أن يضعها ، وأن يشغل بها قاعدته من الأروقة واللجان ، ومن ثم كان المسلك الذى اضطر اليه هو المدخل الواقعى الى العمل المنظم الذى اشرنا اليه سابقا .

وعلى هذا الاساس يمكننا أن ننبه إلى أن المجمع لم يكن غافلا عن هذا الاسلوب المنظم للعمل ، وكان حريصا على الانتقال اليه فور تمكنه منه ، كما كان حريصا على استغلال ظروف سنواته الاولى واستخدامها من أجل وضع خطة علمية مرحلية منبثقة من واقع المناقشات والتوصيات التى أثمرتها مؤتمراته الاولى ، وقد تمكن المجمع من وضع هذه الخطة ، وكلف أروقته ولجانه بالعمل فى إنجازها ، لتكون بعد ذلك محل الدراسة فى مجلسه الشهرى ، ثم فى مؤتمره السنوى .

وبذلك فان المجمع لا يكون قد تغلب على ظروف نشأته وما صاحبها من تعجل ، ووضع قدمه على الطريق الصحيح فحسب ، وإنما يكون قد اكتسب من واقع هذه الظروف ميزة أن تكون خطته العملية المطروحة أمام الأروقة الفرعية واللجان الاساسية منبثقة عن مؤتمره ، فضلا عن أن تصب فيه .

وقد وزع المجمع خطته على لجان متكونة من أعضائه ، يتفرع عن كل منها عدد من الاروقة أو اللجان الفرعية التى تتكون من الباحثين والخبراء الذين يستعين بهم المجمع من غير الاعضاء وهذه اللجان الاساسية تتصدى لمختلف فروع البحث : فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، والبحوث الفقهية ، والتعريف بالاسلام ، وإحياء التراث الاسلامى ، والحضارة والبيئات والمجتمعات الاسلامية ، والعقيدة والفلسفة .

كما تكونت لجان ذات مهام معينة او مؤقتة ، كلجنة وضع التفسير الوسيط ، ولجنة الرد على السلسلة التى تهاجم الاسلام باسم « دروس قرآنية » و « فى سبيل حوار اسلامى مسيحى » ، ولجنة وضع دائرة المعارف الاسلامية .

وقد جاء فى خطة اللجان الاساسية مجموعة من الموضوعات الرئيسية الهامة التى لا شك أنها تشغل بال المسلمين وقادتهم ، فضلا عن أن الوصول فيها — أو فى بعضها — الى حل أو نتيجة من شأنه أن يساعد المجتمعات الاسلامية فى التعرف على طريق المستقبل .

ومن أهم هذه الموضوعات التى نود أن نضعها تحت نظر القارىء :

وضع تعليق علمى بأقلام الثقات المتخصصين على ما يكون فى كتب التفسير من إسرائيليات لبيان وجه الحق فى موضوعها .

وضع قاموس موسوعى للقرآن الكريم .

الكتابة فى القراءات وجمع القرآن ودحض ما يدور حول ذلك من دراسات منحرفة وشبهات .

وضع موسوعة مفهرسة للسنة النبوية .

جمع الاحاديث التى يظن أن ظاهرها غير مراد ، والعمل على تحقيقها وشرحها .

وضع خطة عامة للدعوة الاسلامية فى العصر الحاضر تلتزم بها مؤسسات الدعوة ، وتقوم على أساس دراسة وسائل وخطط التبشير المضاد للاسلام ، ودراسة العوامل التى ساعدت على انتشار الاسلام تاريخيا ، ودراسة البيئات الثقافية فى العصر الحاضر من حيث استعدادها للتجاوب مع الدعوة الاسلامية .

وضع دراسة تصنيفية وتقويمية للتراث الاسلامى ووضع أولويات فى

عملية إحياء هذا التراث ، واعتماد قوائم لهــذه الاولويات فى مختلف أنــواع المعارف والفنون الاسلامية .

دراسة أنواع التعامل الحديث ، فى التأمينات ، والمعامــلات المصرفية ، وأنواع الاستثمار .

تقنين الشريعــة الاسلامية .

دراسة البيئات الاسلامية المعاصرة من نواحيها المختلفــة : الاحصائية والثقافية ، والسياسية ، والاقتصادية .

دراسة المقومات الثابتة والمتطورة للحضارة الاسلامية .

دراسة التحديات والانحرافات الفلسفية والعقيدية التى يواجهها الاسلام فى العصر الحاضر ، ومواجهتها بالتفنيد والرد .

دراسة العلاقة بين الاسلام والعلم ، وبين الاسلام والعقل .

ودراسة دور التصوف الايجابى فى اعادة بناء المجتمع الاسلامى .

دراسة قضايا علم النفس والاجتماع والتربية المعــاصرة ذات الصــلة بالنواحى الاخلاقية والدينية .

هذه هى الخطة العلمية التى وضعها المجمع ووكل الى أروقته ولجانــه العمل على تنفيذها .

وهنا نود أن نبين أن التجربة دلت على أن المجمع محتاج الى أن يعيد النظر فى ظروف عمله التى تحيط بانجاز خطته .

فهو من ناحية عليه أن يهيىء لاعضائه الاصليين ظروفا أنسب لبذل الجهد ، والعمل المثمر .

وفى هذا الشأن فان المجمع وقع فى خطأ التصور بأن المكافأة الرمزية التى يقدمها لاعضائه تمكنهم من التفرغ ، أو تقديم الوقت اللازم لتنفيذ هذه الخطة أو الاشراف عليها . واذا كانت رمزية هذه المكافأة قد أوحت — أو هى من شأنها أن توحى — برمزية العضوية ، فانمن الثابت أن الاعضاء لم يقفوا عند هــذا الحد ، بل قدموا من جهدهم وخبرتهم ما يجعل الثناء والشكر العميقين دينا فى عنق الامة الاسلامية واجب الاداء لهم . الا أن المطلوب بمقتضى الخطة الموضوعة هو أكثر من ذلك بكثير وكثير جدا ، الامــر الذى يقتضى — كما قدمنا — إعادة النظر فى توفير الظــروف المناسبة ، وهى فى الامكان .

ومن ناحية أخرى فإن على المجمع أن يوفر نظاما للعمل يكفل قيــام علاقة وثيقة مرنة — فى نفس الوقت — بين أعضائه الأصليين وبين الخبراء والباحثين الذين يستعين بهم فى أروقته ولجانه الفرعية لتنفيذ خطته العلمية .

وعلى هذا الأساس فإنه يمكن استبدال النظام القائم الذى يقضى بأن تعرض الأعمال العلمية على مستويات العمل بكل تفصيلاتها : فى الأروقة أولا ، ثم فى اللجان الأساسية ، ثم فى المجلس ، ثم فى المؤتمر . . يمكن استبدال هــذا النظام بنظام آخر شبيه بنظام البحث العلمى فى الجامعات ، بمعنى أن تقوم كل لجنة من لجان المجمع بتوزيع أجزاء خطتها على أعضائها ليقــوم كل منهم باقتراح الخبراء والباحثين اللازمين لتنفيذ جزء الخطة الذى يخصه ، والإشراف على تنفيذه ، على أن يقدم إلى اللجنة مجتمعة خطة مفصلة لتنفيذ هذا الجزء قبل العمل فيه ، وذلك لنظره وإقراره من اللجنة مجتمعة . وعليه بعد ذلك أن يشرف على تنفيذ هذه الخطة التى يتولى تنفيذها الخبراء والباحثون، ثم يقدم إلى لجنته مجتمعة تقريرا علميا مفصلا عما تم إنجازه مصحوبا بالرأى فيــه . ثم يرفع الأمر بعد ذلك فى تقرير مفصل إلى مجلس المجمع . واذا كان

للأمـــر خطورته التى يقدرها المجلس فله أن يأمر برفع تقرير عنه إلى مؤتمـــر المجمــــع .

وبذلك يتحقق الاتصال بين المستويات المختلفة فى المجمع ، كما يتحقق لهذا الاتصال المرونة اللازمة ، وتحدد فيه المسئوليات ، ويبتعد به عن المناقشات التى تتـــوه فى التفصيلات ، ولا تعرف كيف تنتهى .

ومن ناحية ثالثة فإن علىَ المجمع أن يهيىء الظروف المناسبـــة التى تكفـــل لأعضائه الأصليين من خارج جمهورية مصر العربية المشاركة الفعلية فى تقديم خبرتهم وجهودهم ونشاطهم من أجل تنفيذ خطته العلمية ، بدلا من الاقتصار — كما هو الوضع الحاضر — على تقديم البحوث التى يلقيها بعضهم فى المؤتمرات الســـــنوية .

وفى هـــذا السبيل يمكن تكليف هؤلاء الأعضاء بالاشراف على إنجــــاز أجـــزاء من هذه الخطة ، فى بلادهم ، وإتاحة الفرصة لهم للاستعانة بمن يقترحون من الخبراء والباحثين الذين يوجدون فى بلادهم ، الأمر الذى يحقق للمجمع نطـــاقا أوســـع فى اختيار معاونيه ، والحصول على الخبرات المتنوعة .

ولقد كان من المسائل الرئيسية المطروحة للبحث فى أروقة المجمع ولجانه التى دلت على حاجة المجمع الى الاستعانة بالخبرات المتنوعة على نطـــــاق العالم الاسلامى ، مسألة تقنين الشريعة الاسلامية ، ومسألة وضــــع موسوعة مفهرسة للحديث النبوى ، ومسألة إجراء دراسات ميدانية عن البيئات الاسلامية المعــــاصرة .

ففى موضوع تقنين الشريعة الاسلامية ، ظهرت الحاجة إلى الاستعانة بفقهـــاء المذاهب الاسلامية التى لا وجود لها فى نطاق جمهورية مصر العربية، والتى يوجد الكثير من فقهائها فى أنحاء العالم الاسلامى .

وفى موضوع الموسوعة المفهرســـة للسنة النبوية ظهرت الحاجة أيضا إلى الاستعانة بكبار علماء الحديث الذين يشار إليهم فى بعض البلاد الاسلامية إلى جانب اخوانهم من علماء مصر .

وفى موضوع الدراسات الميدانية عن البيئات الاسلامية المعـــاصرة ، ظهرت الحاجة إلى علماء متخصصين ينتمون إلى تلك البيئات المختلفة .

وإذا كان المجمع فى هذه الموضوعات لم يتقدم بعد الكثير من ثمرة عمله فإننى أعتقد أن السبب فى ذلك يرجع إلى أنه يخطو نحوها بخطوات ثابتـــة متأنية ، لا تفسدها العجلة التى من شأنها أن تفسد العمل فى مثل هـــــذه المشروعات العلمية الجليلة .

وإنه لمن الثابت أن الدراسات التمهيدية التى تسبق البـــدء الفعلى فى إنجـــاز مثل هـــذه المشروعات ينبغى أن تنـــال حظها الواجب من الدقة وتبادل وجهـــات النظـــر ، الأمر الذى تستحق من أجله كل وقت يبذل ، بشرط موالاة العمل ومواصلة الجهد ، وذلك لضمان البداية الصحيحة ، وتجنب مـــزالق الطريق والتواءاته المختلفة .

وفى هذا الصدد فإننا نرجو أن يأتى الوقت الذى تظهر فيه للقراء هذه الدراســـات الأولية التمهيدية ، فهى فى حـــد ذاتها لا تقل أهمية وثراء عن المشروعات العلمية التى يقصد بها إليها ، وأخص بالذكر هنـــا ما دار من بحوث ودراســـات حول خطة العمل فى تقنين الشريعة الاسلامية ، ولعلها أن تظهر فى مقدمة ما يطبع من هذا التقنين .

وإذا كان هذا شأن المجمع فى بحوثه التى يطرحها فى مؤتمراته ، أو فى بحوثه التى يشغل بها أروقته ولجانه ، فإنه من الملاحظ أن هذه البحوث كانت وسيلة المجمع إلى تقديم مجموعة من القرارات والتوصيات شملت شتى جوانب الحياة الاسلامية المعاصرة .

فقد تناولت هذه القرارات والتوصيات : القضايا السياسية ، والتشريع الاسلامى ، والدعوة الاسلامية ، والتربية الاسلامية وتوثيق الـــروابط بين الشعوب الاسلامية . ومواجهة التيارات المضادة للاسلام ، وإحيـاء التراث الاسلامى . والمشكلات التى تواجه المجتمع الاسلامى المعاصر ، واللغـــة العربية ، والقرآن الكريم ، والسنة النبوية ، والاسلام والعلم ، والاســلام والحضارة ، والتوجيه الاسلامى العــام . وإنه لمن الملاحظ أن اصدار المجمع لهذه القرارات والتوصيات كانت تحكمه عدة اعتبارات :

فهو من ناحية ، وبحكم كونه مجمعا إسلاميا مقيدا بأصول مقـــررة فى الدين الاسلامى : تختلف طبيعة القرارات الصادرة عنه عن طبيعة القـــرارات التى يمكن أن تصدر عن مجمع آخر من المجامع التى عرفها التاريخ فى غير الأمة الاسلامية ، ذلك أنه ليس من شأنه — ولا من حقه — أن يصدر قرارات مبتورة تعبر عن إرادته المطلقة ، وإنما ينبغى أن يكون واضحا فى قراراته ما ترتكن إليه من أصول الشريعة الاسلامية ، ومن هنا كانت بحوث المؤتمر خلفيـــة لازمة لشرح قراراته ، وبيان حق المجمع فى إصدارها .

وهو من ناحية أخرى — وبحكم كونه مجمعا إسلاميا مرتبطا بجبهـــة عريضة من الشعوب الاسلامية والدول الاسلامية — كان عليـــه لا أن يصـــدر قراراته وتوصياته بحسب حاجة هذه الشعوب المختلفة فحسب ، بـــل كان عليه فضلا عن ذلك أن يراعى أن تكون مفهومة لدى هذه الشعوب فى ضـــوء ظروفها الخاصة ، وأن يمتنع عن إصدار القرارات والتوصيات التى تعبر عن جهـــة بعينها ويمكن أن تؤول تأويلا لا يتفق مع الهدف الأساسى فى خـــدمة الفكر الاسلامى النقى الخالص .

ومن ناحية ثالثة فقـــد كان عليه أن يقتصد فى إصـــــدار القرارات والتوصيات التى لا يحتمل أن تجد طريقها إلى التنفيذ فى وقت قريب ، وليس هناك حاجة ملحـــة إلى اعلانها ، وأن ينتظر بها إلى وقتها المناسب ، ليحتفظ لقراراته وتوصياته — بوجه عـــام — بالقدر الكافى من الهيبة والاحترام ، وليوفر لهـــا — فى وقتها الملائم — القدر الكافى من الحيوية والفعالية .

والى هـــذا الحد فقد تبين لنـــا أن المجمع لم يكـــن ليعمل على مستوى بيئة محدودة من الرقعة الفسيحة التى تشغلها المجتمعات الاسلامية المتنوعة ، ولقد كان ذلك ملاحظـــا فى وظيفته كما كان ملاحظا فى تكوين أعضائه .

وفى هـــذا الصدد نصت المادة السادسة عشرة من قانون إنشائه على ما يأتى : « يتألف مجمع البحوث الاسلامية من خمسين عضوا من كبـــار علمـــاء الاسلام ، يمثلون جميع المذاهب الاسلامية ، ويكون من بينهم عـــدد لا يزيد على العشرين من غير مواطنى الجمهورية العربية المتحدة . »

وإذا كان عدد أعضاء المجمع من خارج جمهورية مصر العربية لا يزال إلى

وقتنـــا هذا أقل من المستوى المطلوب ، فان المجمـــع حـــاول أن يسد النقص فى هذا المجال بحرصه على أن يدعو إلى مؤتمره السنوى عددا لا يقـــل عن خمسين من غير أعضائه من كبار علماء المسلمين وقادتهم من مختلف الدول والمجتمعات والبيئات الاسلامية .

إلا أنه من الملاحظ أن هذا النوع من العلاج لا يحقق المستوى المطلوب فى العضوية ، وإذا كان العدد المحدود لعضوية المجمع كما جاء فى المادة السابقة لا يسمح بتحقيق التنوع الذى يقتضيه تغطية مختلف البيئات الاسلامية على تشعبها وتنوعها فى النواحى الثقافية والاقتصادية والجغرافية والســـكانية والمذهبية فإنه من المؤكد أن قانون المجمع يسمح بتغطية هذا التنوع بتعيين عدد من الأعضاء غير محدود ، وذلك بتطبيق المادة السادسة والعشرين التى لم تطبق بعد ، والتى تنص على أن « يختار مؤتمر المجمع ... أعضاء مراسلين من مواطنى الجمهورية العربية المتحدة أو من غيرهم ، ممن يرى الاستعانة بهم فى تحقيق أغراضه ... » وبذلك تنمو عضوية المجمع ، إلى الحـــد الذى يسهل له القيـــام بمهمته على الأفق الواسع للأمة الاسلامية .

وفى سبيل تأكيد عالمية المجمع فإنه لا يزال أمامه أن يضع أسلوبا مناسبا للتعاون بينه وبين الهيئات الاسلامية المماثلة أو الشبيهة به فى بعض البلاد الاسلامية ، فى المملكة العربية السعودية ، أو فى الجمهورية العربية الليبية ، على ســـبيل المثال ، وذلك من أجل تحقيق التناسق والتكامل بين العـــاملين فى مجال مشترك ، ولأهداف مشتركة ، ولعل الظروف تسمح بدراسة هـــذا الموضوع فى المؤتمر القادم للمجمع .

وأخيرا فإن الأمانى الضخمة المعقودة على مجمع البحوث الاســـلامية ، والتى تماثل فى حجمها حجم الأمانى المعقودة على قيـــام الدولة الاســـلامية الحديثة لا ينبغى أن تتحول فى ثقلها إلى صـــخرة شـــاهقة نقصم بها ظهر الوليد الجديد ، ولا أن تتحول فى حرارتها إلى لهب حـــارق نقطع به على السالكين الطريق ، وإنما ينبغى أن تكون الزاد والضوء ، نحفز به على العمل ، وننير به الأمـــل ، وعلى الذين يدركون بحق ضخامة المسئولية التى تصدى لها المجمع ، أن يدركوا أنه لم يسبق لجماعة علمية فى التاريخ الاسلامى أن تعرضت لمثل مسئوليته ، فقد كانت تلك الجماعات على صلة القرب بين الأمل والواقع ، بين الفكر والعمل ، بين الحق والقوة ، بين العلم والإيمان ، أما مجمعنا الوليد فإنه لتدمى أقدامه لبعد الشقة بين تلك الأطراف جميعا ، وإنه ليستحق منـــا أن نحوطه بكل الرعاية ، وبكل المحبة ، وبكل الإخلاص ، وأن ننتصر له بتثبيت أقدامه على طريق الله .

وبالله التوفيق .

من المعارك الخالدة في تاريخ الاسلام :

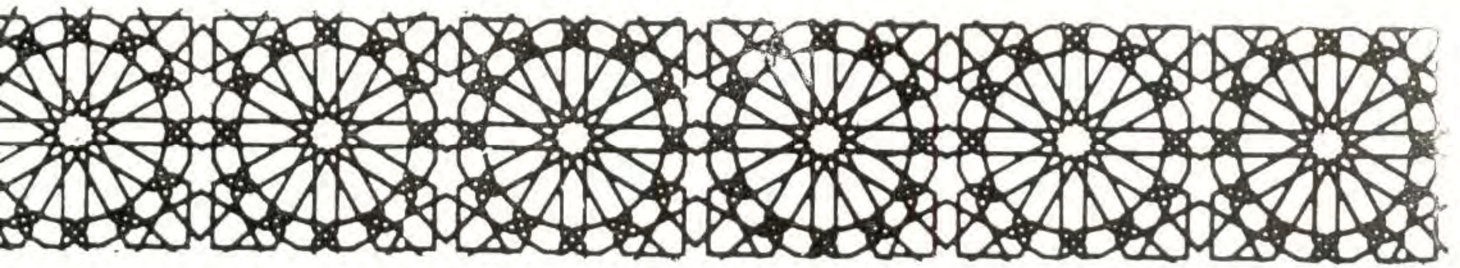
موقعة المنصورة

محمد مؤذن

فى عام ٦٤٥ هـ توفى السلطان الكامل بـ (دمشق) ، وتولى عرش (مصر) من بعده ابنه الملك العادل ، غير أنه لم يستقر فى الحكم أكثر من سنتين ، بسبب اسرافه فى اللهو والتبذير ، مما حمل الامراء على خلعه ، وتوليه أخيه الصالح نجم الدين ، وكان أول ما فعله عقب توليه الحكم هو اعادة الامن الى البلاد ، وانتشار الطمأنينة والاستقرار ، وقام بأعباء الحكم وتدبير شئون الدولة على الوجه الأكمل .

وكان الجيش الاسلامى فى عهده يضم فرسان المماليك ضمن صفوفه ، الذين أكثر نجم الدين من شرائهم حتى وصل عددهم الى اثنى عشر ألف مملوك ، فبنى لهم الثكنات فى (جزيرة الروضة) ، وأطلق عليهم اسم (المماليك البحرية) وصارت مهارتهم فى الفروسية وفنون الحرب ، وشجاعتهم فى القتال مضرب الامثال .

الموقعة التى فشلت بسببها الحملة الصليبية السابعة وتم فيها أسر ملك فرنسا فى دار ابن لقمان



للأستاذ : محمد رجاء حنفى عبد المتجلى

وقد اضطر الصالح نجم الدين للسفر الى بلاد (الشام) فى عام ٦٤٧ هـ لقمع بعض الاضطرابات التى حدثت هناك ، وبينما هو فى (دمشق) جاءته الاخبار تترى عن حملة صليبية متأهبة للابحار الى « مصر » ، وعلى الرغم من شدة المرض الذى كان قد ألم به فقد قرر العودة الى « مصر » سريعا وفى الحال ، ليدافع عن بلاده ، ويدرأ عنها شر الغاصب المعتدى ، وحمله رجاله فى محفة حتى وصلوا به الى بلدة « أشموم طناح » ، التى جعلها معسكره الرئيسى .

ولم يكد نجم الدين يصل الى بلاده حتى انهمك فى اعداد وسائل الدفاع ونسى ما به من مرض ، ولما كانت « دمياط » معرضة لهجوم الحملة المنتظرة ، فقد جعل كل همه فى تقوية حصونها ، وأخذ يوفر فى مخازنها أكبر قدر مستطاع من الاسلحة والمؤن للصمود فى وجه الاعداء اذا ما حاولوا حصارها ، ثم بعث

بالامير فخر الدين على رأس قوة من الجيش لوقاية « دمياط » فى حالة حدوث الغزو المنتظر ، فعبر النيل بقواته ونزل على الضفة الاخرى غرب « دمياط » .

وأخذت « مصر » تستعد بكل قوتها وطاقتها لاستقبال الحملة ، فى الوقت الذى كانت فيه هذه الحملة يتم تجمعها واحتشادها فى ميناء (مرسيليا) بـ (فرنسا) ، تحت قيادة الملك لويس التاسع ملك (فرنسا) ، وكان لويس قد أصيب بمرض خطير ، فنذر أثناء مرضه أن يقوم بحملة صليبية ان شفى من مرضه ، وعندما تم شفاؤه أقسم أن يوفى بنذره .

ولما كانت « مصر » فى ذلك الوقت لم تزل مركز المقاومة فى وجه الصليبيين فى الشرق الاسلامى ، وقاعدة كل هجوم موجه اليهم ، فقد عزم لويس التاسع وصمم على غزوها ، والقضاء على قواتها ، حتى يكسر شوكتها التى كانت دائما تؤلم جنوبهم ، وتقض مضاجعهم ، ولا تذيقهم طعم الهدوء وراحة البال .

وتحركت الحملة مبحرة من ميناء (مرسيليا) متخذة طريقها صوب « مصر » ، بعد استعدادات دامت ثلاث سنوات كاملة ، وعرجت وهى فى طريقها على جزيرة (قبرص) حيث قضى الصليبيون فيها ثمانية أشهر ، حصلوا خلالها على المزيد من المساعدات ومواد التموين ، الى جانب المساعدات البشرية التى حصل عليها لويس التاسع من ملك (قبرص) وغيره من زعماء الصليبيين الذين وفدوا عليه من « عكا » ولعله تراءى للويس التاسع أنه بحملته هذه سوف يغسل عار الهزيمة التى لحقت بالحملات السابقة ، خصوصا حملة « جان دى بريين » ، والفرسان الذين سحقهم صلاح الدين الايوبى وخلفاؤه .

وقد عقد لويس التاسع مجلسا عسكريا ضم الامراء وكبار قواد الجند ، لأخذ الرأى فى اتجاه الحملة ، والى أين سيكون ، واستقر رأى المجتمعين على مهاجمة « دمياط » .

وأبحرت الحملة من ميناء « ليماسول » فى (قبرص) متجهة صوب السواحل المصرية ، فى عدد يبلغ ٢٨٠٠ فارس ، عدا المشاة والبحارة ، و ١٨٠٠ سفينة (١) أقلعت بالحملة من (قبرص) ، ووصلت الحملة الى مصب النيل قرب « دمياط » ولم يجد الصليبيون أية صعوبة أو مشقة فى النزول الى الماء الضحل قرب الشاطىء بفرسانهم ومشاتهم .

ولم يحاول لويس التاسع أن يستفيد من الاخطاء التى وقعت فيها حملة (جان دى بريين) ملك (القدس) فيقرر انزال قواته عند (دمياط) ليتبع بذلك نفس الطريق الذى سلكه سلفه ، بدون أن يتعظ بالهزيمة المرة التى لحقته ، والتى لم يكن قد مضى على انقضائها أكثر من ثلاثين سنة .

وما أن وطئت أقدام لويس التاسع أرض « مصر » حتى بدأ بحرب الاعصاب ، وأتبع أسلوبا أقرب ما يكون شبها بأسلوب « التتار » فى ذلك العصر ، فأرسل الى الصالح نجم الدين كتابا يفيض بالتحدى والوعيد ، ويدعوه فيه الى الاستسلام ، ويخبره بأن مسلمى الأندلس « يحملون الينا الهدايا ونحن نسوقهم سوق البقر ، ونقتل منهم الرجال ، ونرمل النساء ، ونستأسر البنات والصبيان ، ونخلى منهم الديار . فلو حلفت لى بكل الايمان ، ودخلت على القسوس والرهبان ، وحملت قدامى الشمع طاعة للصلبان ، ما ردنى ذلك عن الوصول اليك ، وقد عرفتك وحذرتك من عساكر قد حضرت فى طاعتى بملء السهل والجبل ، وعددهم كعدد الحصى ، وهم مرسلون اليك بأسياف القضاء » .

وقد وصلت هذه الرسالة الى الصالح نجم الدين وهو يعانى من آلام مرض الموت ، فاغتم واغرورقت عيناه بالدموع ، وكتب الرد الى لويس التاسع ينــدد بغروره ، ويذكره بما فعله المسلمون بالصليبيين : « فلو رأت عيناك أيها المغرور حد سيوفنا ، وعظم حروبنا ، وفتحنا منكم الحصون والسواحل ، وأخرابنا منكم ديار الاواخر والاوائل ، لكان منك أن تعض على أناملك من الندم » .

اول صدام :

وعقب نزول الصليبيين من سفنهم تقدموا جنوبا على الضفة الغربية للنيل، فاصطدموا بقوة الامير فخر الدين غرب « دمياط » ودارت معركة بين الفريقين على رمال الشاطىء ، اضطرت فيها خيول المسلمين الى خوض مياه البحــر ، ولكن الصليبيين تفوقوا فى تلك المعركة بكثرة عددهم ، ولم يكد الظلام يحل وينتشر سواده حتى رأى الامير فخر الدين نفسه مضطرا الى عبور النيل ومعه بقيــة رجاله الى الضفة الشرقية ، وانطلقوا مسرعين الى (أشموم طناح) ، وفى عجلة انطلاقهم نسوا أن يقطعوا الجسر الذى يربط « دمياط » بالضفة الغربية للنيل ، فانقض عليه الصليبيون واحتلوه ، فانفتح بذلك الطريق أمامهم الى « دمياط » .

ولم يلبث أن استولى الرعب على أهل « دمياط » حينما رأوا قوة الأميــر فخر الدين تترك مواقعها وتتخلى عن وقايتهم ، حتى ذعــروا ورعبوا فهجــروا مدينتهم الى (أشموم طناح) بعد أن أشعلوا النار فى سوق المدينة ، وعندما أطل الصباح بنوره وجد الصليبيون أبواب « دمياط » مفتوحة علــى مصراعيهــا ، فخشوا أن يكون فى الامر مكيدة وكمين نصبه المسلمون لهم ، فتمهلوا حتى تحققوا من خلوها ، فدخلوها بغير كلفة ولا مؤنة حصار ، واستولوا على ما فيها مــن الاسلحة والآلات الحربية ، والذخائر والامتعة ، والتموين والاموال ، وبذلــك سقطت « دمياط « فى أيدى الصليبيين بعد مناوشــــة بسيطة ، مع أنها قــد استعصت عليهم ثمانية عشر شهرا فى عهد الملك الكامل ، ولم تسقط وقتها الا تحت تأثير الجوع والاوبئة .

وما كادت أخبار سقوط مدينة « دمياط » فى أيدى الصليبيين تصل الــى أسماع نجم الدين المريض فى « أشموم طناح » حتى انتفض من الالم واشتــد حنقه ، وأمر باعدام خمسين أميرا ممن كانوا ضمن حامية « دمياط » جزاء تركهم لمواقعهم وتخليهم عن الدفاع عن المدينة ، واضطر ازاء هذا الموقف الحرج الــى الانسحاب بقواته الى « المنصورة » وشرع الجنود على الفور فى ترميم « دور المنصورة » وأبنيتها المعدة لسكنى الجنود ، وتقوية السور المحيط بها ، وخصوصا الجزء المطل منه على النيل ، ثم وفدت السفن الاسلامية تحمل المقاتلين من جميع أنحاء البلاد ، وامتلأت المدينة بالاسلحة والمعدات والسفن الحربية والمؤن .

ولكن القدر لم يمهل الصالح نجم الدين حتى يرى بعينيه ما تسفر عنه هذه الحملة الصليبية ، فوافاه أجله المحتوم فى ليلة النصف من شعبان ، وانطفأت بذلك شعلة حياة هذا السلطان الباسل الذى قاد قواته رغم شدة مرضه ، وظل صامدا فى كفاحه لا يكل ولا يهن حتى أرغمه الموت على التخلى عن مكانه .

ولا شك فى أن وفاة الصالح نجم الدين فى تلك الظروف الحرجة كانــت خسارة كبرى ، وذلك لعدم وجود من يحل محله بسرعة فى حكم البلاد ، وفــى مواجهة الخطر الناجم عن الغزو الصليبى .

وقد خشيت زوجته شجرة الدر من اذاعة خبر وفاته ، فحملت جثته في تابوت ودفنته سرا في قلعة الروضة ، ثم استدعت الامير فخر الدين ، والطواشي جمال الدين وكانا موضع ثقتها ، فأخبرتهما بوفاة السلطان وطلبت منهما كتمان الامر ، والاشراف على تدبير شئون الدولة، وارسال الفارس اقطاي كبير المماليك البحرية لاحضار ولي العهد المعظم « توران شاه » بسرعة من حصن « كيفا » الذي يقع على الضفة الغربية من نهر دجلة بالقرب من « ديار بكر » ، وفي نفس الوقت سارت الاستعدادات الخاصة بالدفاع سيرها الطبيعي ، واستمرت الرسائل والمراسيم تخرج بتوقيع السلطان المتوفي وكأنه على قيد الحياة .

ولم يظهر على الصليبيين في أول الأمر ما يدل على اعتزامهم القيام بعملية تقدم الى أبعد من « دمياط » فقد ظلوا ساكنين داخل المدينة مدة ستة أشهر لم يقوموا خلالها بأي شيء ، وانصرف جنودهم الى اللهو والمجون ، وبذلك أتيحت للمسلمين فرصة ذهبية لتعبئة قواتهم ، وتحسين مواقعهم الدفاعية ، واعداد الموانع ، ووضع العراقيل على طول طريق التقدم .

وعلى الرغم من أن شجرة الدر قد بذلت أقصى ما في استطاعتها ، وحاولت بكل جهدها وطاقتها أن تخفي خبر موت الصالح نجم الدين الا أن نبأ وفاته وصل الى مسامع الصليبيين فأفاقوا من خمولهم ، ودب النشاط والحماس بين صفوفهم ، ورأى لويس التاسع أن يسرع بالهجوم ليستفيد من الظروف السيئة التي أمست فيها البلاد ، وليتمكن من انزال ضربته قبل وصول الملك المعظم « توران شاه » فتحرك الجيش الصليبي من « دمياط » بعد أن اختار لويس التاسع للزحف على « القاهرة » طريق الدلتا ، وهو طريق كثير الترع والقنوات ، وسارت الى جانبهم بعض سفنهم في النيل تحمل المؤن ، وكل ما يحتاجون اليه ، ووصلوا الى مدينة « فارسكور » فاستولوا عليها واحتلوها ، ثم واصلوا منها زحفهم وتقدمهم حتى أصبحوا على مقربة من مدينة « المنصورة » وهناك اصطدمت قواتهم بأول مانع مائي ، وهو بحر (أشموم) الذي كانت ترابط على ضفته المقابلة لهم القوات الاسلامية .

المواجهـة :

وقف الجيش الاسلامي في مواجهة الجيش الصليبي ، واحتشدت قوات كل من الطرفين على ضفتي بحر (أشموم) وأخذ كل فريق يتأهب ويستعد لقتال ثابت طويل الأمد ، فحصنت المعسكرات بالاسوار والمتاريس ، وحفرت الخنادق ونصبت المجانيق وقاذفات الاحجار ، ولم يقتصر التأهب والاستعداد على الناحية البرية فقط ، بل ومن الناحية البحرية أيضا ، فاحتشدت سفن الاسطول الاسلامي في النيل أمام « المنصورة » ، ووقفت في مواجهتها سفن الاسطول الصليبي في الشمال .

وابتدأ القتال بين الطرفين ، واشتعلت نيران المعركة ، واشتد التراشق ليلا ونهارا عبر بحر « أشموم » ، حتى منيت القوتان بخسائر فادحة ، وعندما أدرك الصليبيون فداحة خسائرهم ، وأنهم لو استمروا على هذا الشكل من القتال الذي يطلق عليه في الحديث حرب الاستنزاف لكان في ذلك نهايتهم ، فعزموا وصمموا على عبور بحر « أشموم » بأي شكل مهما كلفهم ذلك من ثمن ، حتى يشتبكوا بالمسلمين وجها لوجه ، فبذلوا عدة محاولات مضنية لكي يتسنى

لهم بناء جسر كبير تعبر عليه قواتهم ، وهيأوا الحماية اللازمة للقائمين ببنائه ، فأقاموا عدة أبراج خشبية مرتفعة ، ووقف عليها رماة النبل وحملة القسى المهرة لصب وابل من القذائف على المعسكر الاسلامى ، ليمنعوا رماته من عرقلة عملية بناء الجسر ، ولكن المسلمين أثبتوا براعتهم ومهارتهم فى القتال ، ونجحوا نجاحا عظيما فى افساد كل محاولات الصليبيين فقد كانوا يحفرون حفرا واسعة عميقة فى ضفة النيل فى ناحيتهم ، فتمتلىء بالمياه المحجوزة من الجسر تلك الحفر ، فينشأ عن ذلك تيار سريع يتلف شاطىء النيل ، فينهار ما تم اقامته من الجسر .

ثم لم يلبث المسلمون أن فاجأوا الصليبيين باستخدام سلاح جديد رهيب ، أذهلهم وحطم أعصابهم وأضعف من معنوياتهم ، ففى احدى الليالى تذفوا معسكرهم من آلات قاذفة شعلات رهيبة من اللهب ، وكانت هذه الشعلات هى النار اليونانية المرعبة ، أروع آلات الهدم والدمار .

ويرجع اكتشاف هذه النار الى عهد الامبراطور قسطنطين امبراطور الدولة الرومانية الشرقية ، فى القرن السابع الميلادى ، وقد استخدمها الرومانيون منذ اكتشافها ، واستطاعوا بواسطتها صد هجمات العرب على « القسطنطينية » سنة ٤٨ هـ ، وارتد على أثر ذلك الجيش والاسطول اللذان سيرهما معاوية ابن أبى سفيان الخليفة الاموى لاقتحام أسوارها ، ثم حاول معاوية بعد ذلك تجديد محاولته فى عام ٥٨ هـ ، فأرسل أسطولا ضخما حاصر « القسطنطينية » سنتين ولكن النار اليونانية فتكت بالقوات الاسلامية ، وأوقعت فى صفوفها الخلل والاضطراب .

وقد نجح الرومانيون فى ابقاء سر هذا السلاح الخطير الرهيب فى طى الكتمان قرابة أربعمائة عام ، غير أن العرب اكتشفوا سره فى أواخر القرن الحادى عشر الميلادى ، فأصبح فى أيديهم سلاحا فاتكا أوقعوا به الرعب فى صفوف أعدائهم .

وينسب فضل اختراع هذه النار الى « كالينوس » البعلبكى ، الذى نقلها الى « القسطنطينية » ، وهى مزيج من الكبريت وبعض الصموغ والدهون ، يطلق من اسطوانة نحاسية على هيئة سائل مشتعل ، أو على هيئة كرات مشتعلة ، وكان تأثير هذه النار بالغ الأثر كبير الهول على معسكر الصليبيين عندما أخذ المسلمون يصبون عليها حممها .

وقد أدى رمى المسلمين لمعسكر الصليبيين بهذه النار الى تدمير الاسوار والابراج الخشبية التى أقامها الصليبيون على ضفة بحر « أشموم » ، وأصبح من المتعذر عليهم بناء أسوار وأبراج غيرها ، لأن كل محاولة حاولوها لاقامة أبراج جديدة كانت تقابل من المعسكر الاسلامى بوابل من صواعقه الجهنمية ، فلا تلبث أن ينتشر فيها اللهب ويحيلها رمادا .

وقد املأت المراجع التاريخية بأخبار أعمال البطولات الفردية والجماعية التى قام بها بعض المسلمين ، اذ كانوا يكونون من بينهم فرقا خاصة تقوم بعبور النيل الى الجانب الآخر الذى فيه الصليبيون ، ويتحيلون فى اختطافهم بكل وسيلة ، فيقتلون ويأسرون ويرجعون الى قواعدهم سالمين .

وعلى هذا النحو دب اليأس والوهن فى قلوب الصليبيين ، وفتر حماسهم وقل نشاطهم عقب اصابتهم بهذه الكوارث الساحقة ، وبعد أن باءت جميع محاولاتهم لعبور بحر « أشموم » بالفشل .

بداية النهاية :

وعندما رأى لويس التاسع أنه قد أصبح شبه محصور فى هذه المنطقة ، وأن أى أمل فى نجاح حملته هذه قد صارت نسبته ضئيلة للغاية ، وهو لا يستطيع عبور النيل الى « المنصورة » وقوات المسلمين أمامه على الضفة الأخرى للنيل تعرقل كل محاولة يقوم بها للعبور ، والاسطول الاسلامى ينقل جنودا جددا ، والمسلمون تكتمل استعداداتهم يوما بعد يوم ، ازاء كل هذا لم يجد لويس التاسع أمامه الا أن يعقد مجلسا عسكريا لتبادل الرأى والمشورة فيما يجب عليهم أن يفعلوه لانقاذ موقفهم الذى أصبح حرجا ، وعقد المجلس ، واستقر رأى المجتمعين على أن يعبر لويس التاسع واخوته الثلاثة ، والفرسان والخيالة الصليبية بحر « أشموم » عن طريق مخاضة تسمى مخاضة « سلمون » فى ثلاث وحدات كبرى .

وتأهب الصليبيون خلف المخاضة ، وأخذ فرسان المقدمة فى العبور ، ويتولى قيادتهم الكونت « روبرت دى ارتوا » شقيق لويس التاسع ، وقد فوجىء المسلمون مفاجأة كبيرة حينما ظهر فرسان الصليبيين على ضفتهم ، وما أن علم الامير فخر الدين بعبور الصليبيين حتى أسرع على الفور فى الاستعداد والتهيؤ لخوض المعركة الفاصلة ، فجمع رجاله ووقف فى وجه الصليبيين ، وقاتل بشجاعة نادرة ، غير أنه لم يلبث أن وقع فى كمين واستشهد على الاثر ، وكان استشهاده خسارة كبرى فى تلك الظروف ، اذ تفرق الجنود يمينا وشمالا ، وكادت الهزيمة الكلية تلحق بالمسلمين .

وعندما رأى الكونت « دى ارتوا » تفرق الجنود وتشتتهم ارتكب حماقة كبرى ، اذ لم يشأ أن ينتظر عبور بقية الجيش الصليبى تحت قيادة لويس التاسع طبقا للخطة الموضوعة ، وانما أراد أن يتعقب المسلمين الى مدينة (المنصورة) أملا فى احراز انتصار سريع عليهم ، والانفراد بالمجد والظفر ، ولم يستمع الى أوامر مليكه بعدم الاقدام على هذه الخطوة لما فيها من مخاطرة قد تكون وخيمة العواقب ونتائجها سيئة ، فواصل الاندفاع بقوته الصغيرة نحو « المنصورة » ، وتمكن من اقتحامها بعد قتال قصير مع حاميتها ، وبذا تورطت المقدمة فى التقدم الى مدى أبعد مما فى استطاعتها وقدرتها ، ووجدت نفسها داخل شوارع « المنصورة » فى عزلة تامة عن قوتها الاساسية التى كانت وقتئذ لا تزال آخذة فى العبور بالقدر الضئيل الذى تسمح به المخاضة الضيقة .

وفى نفس الوقت كان المسلمون قد وجدوا قائدا جديدا خلفا للامير فخر الدين الذى استشهد ، وهو القائد بيبرس البندقدارى ، الذى رأى أن هذه المقدمة ليست سوى طليعة لزحف صليبى عام يتطلب الاحتياط لدفعه قبل وقوعه ، فجمع فلول الجيش ، ثم دبر خطة بارعة للقضاء على مقدمة الصليبيين ، وهذه الخطة تدل على مدى ما كان يتمتع به بيبرس من مقدرة حربية فائقة ، ومهارة عسكرية نادرة ، فقد قسم قواته الى قسمين ، وبعث بالقسم الاول الى خارج « المنصورة » ليحول دون أدنى اتصال بين قوات الصليبيين الاساسية وبين مقدمتهم التى فى داخل المدينة ، بينما رتب القسم الثانى فى كمائن متعددة داخل (المنصورة) .

دخل الكونت (دى ارتوا) مدينة (المنصورة) ، وانتشر الفرسان الصليبيون فى الشوارع والأزقة والدروب والحارات ، بحثا عن الاسلاب

والثروات والمذابح البشرية ، ولم يكد الكونت (دى ارتوا) يصل بقوته الى المقر السلطانى يطلب التسليم حتى أصدر بيبرس أوامره بتنفيذ الحركة التطويقية المتفق عليها بينه وبين قواد الكمائن ، فانقضوا عليهم كالسيل الجارف ، فأبادوا فريقا منهم وطاردوا الباقين حتى حاصروهم فى الأزقة ، فلم يستطيعوا القتال وهم على ظهور جيادهم ، ولم يتمكنوا من استعمال سيوفهم لضيق المجال ، وأخذ أهالى (المنصورة) يقذفون الفرسان الصليبيين بالطوب والاحجار والرمال المحماة فى النار من أسطح المنازل وشرفاتها ، حتى أبيدت تلك القوة التى لم ينج من أفرادها سوى أربعة أو خمسة فقط ، وكان على رأس القتلى الكونت (دى ارتوا) نفسه ، الى جانب عدد كبير من الامراء الصليبيين .

وقد جزع لويس التاسع أشد الجزع لتلك الصدمة التى لم يكن يتوقعها ، بيد أنه تمالك نفسه وأمر باتمام العبور بأسرع وقت حتى يتدارك الموقف ، وعندما تم العبور تصدى لهم الجيش الاسلامى واستبسل الجنود بعد انتصارهم العظيم على مقدمة الجيش الصليبى ، وقام بيبرس وجنوده بهجوم شامل على المعسكر الصليبى ، وقاد لويس التاسع المعركة بنفسه وأظهر عزيمة جبارة وشجاعة قوية ، فنظم جيشه تنظيما دقيقا ، وثبت فى المعركة ، مما جعل المسلمين يضطرون الى الارتداد نحو (المنصورة) فى المساء .

وعلى الرغم من شجاعة لويس التاسع وثباته الا أن موقف الصليبيين أخذ يزداد سوءا بعد أن قلت المؤن ، وفقدوا نسبة كبيرة من فرسانهم ، وأصبح موقفهم حرجا للغاية من الوجهة التكتيكية ، ويضاف الى ذلك أن قواتهم التى أتمت العبور أصبحت مكشوفة الجناحين أمام القوات الاسلامية الرابضة أمامها ، والتى صار لديها التفوق الساحق فى العتاد والعدة والعدد .

وقد تفشت الامراض والحميات والأوبئة بين جنود الجيش الصليبى ، وعمت النكبة حتى صار لا يسمع بمعسكرهم سوى أنات الاحتضار أو صلوات الجناز ، وصارت الانظار لا تقع الا على وجوه صفراء يبدو الموت من أصحابها كقاب قوسين أو أدنى .

وفى هذا الوقت وصل السلطان (توران شاه) من حصن (كيفا) ووصل الى (المنصورة) ، حيث استقر بقصر السلطنة ، ووضعت شجرة الدر السلطة بين يديه ، ثم أعلنت رسميا وفاة الصالح نجم الدين ، فأدى وصوله الى ارتفاع الروح المعنوية عند المسلمين ، وعندئذ أدرك لويس التاسع أن الزحف على (القاهرة) قد أصبح من رابع المستحيلات ، وأن الدنيا قد ضاقت فى وجهه ، وأن ليس أمامه الا أن يأخذ رجاله ويرجع من حيث أتى ، ففكر فى العودة الى (دمياط) ولكنه خاف من حدوث كارثة حربية أثناء انسحابه اليها ، فعملية الانسحاب فى مثل هذا الموقف ليست سهلة ، ولن يتركهم المسلمون ينسحبون فى هدوء ، بل سيتعرضون لمطاردة قاسية من الجيش الاسلامى قد تودى به وبحملته ، ولذلك تردد فى الانسحاب ، وظل الصليبيون فى معسكرهم يراودهم الأمل بين الحين والآخر فى معاودة الهجوم على مدينة (المنصورة) .

الموقعة :

وضع المسلمون خطة محكمة للقضاء على الجيش الصليبى المترنح بعزله فى مكانه ، وقطع خطوط مواصلاته مع قاعدته فى (دمياط) التى كانت ترد منها الامدادات عن طريق نهر النيل محملة على ظهر السفن ، وقد نفذ المسلمون خطتهم بصنع عدة سفن نقلوها مفككة على ظهور الجمال الى بحر (المحلة)

شمال بحر (أشموم) ، وأنزلوها فيه وزودوها بالمقاتلين ، وانضمت الى بقية سفن الاسطول الاسلامى ، وعندما جاءت السفن الصليبية من (دمياط) الى بحر (المحلة) فى طريقها الى القوات الصليبية تحمل الامدادات والتموين فاجأتها سفن الاسطول الاسلامى بالخروج من مخابئها ، فأحاطت بها من كل جانب بحركة تطويقية بارعة ، واستولت السفن الاسلامية على اثنتين وخمسين سفينة قرب مكان يعرف باسم (مسجد النصر) ، وكانت هذه السفن محملة بالمؤن والاسلحة والذخائر ، وأسر المسلمون جميع من كانوا فوق السفن وعددهم حوالى ألف .

ولم يكف الاسطول الاسلامى عن شن هجماته على سفن التموين الصليبية القادمة من (دمياط) الا بعد نجاحه التام فى قطع هذا الطريق ، الذى كان يعد الطريق الوحيد لامداد الجيش الصليبى الذى يواجه (المنصورة) ، وتم بذلك عزله نهائيا عن قاعدته الاساسية فى (دمياط) وكان من أثر ذلك أن حلت بالجيش الصليبى مجاعة مروعة ، وغلت الاسعار غلاء فاحشا ، ولم يجد الصليبيون ما يسدون به رمقهم سوى أكل الاسماك النيلية ، والتغذى بجذور النباتات والحشائش ، ولما اشتد بهم الضنك فى النهاية ، لجأ لويس التاسع الى فتح باب المفاوضات مع المسلمين ، قبل أن يبدأ فى الانسحاب الذى أصبح أمرا لا مفر منه ، وبدأ مفاوضاته على أساس أن يترك الصليبيون (دمياط) وينسحبوا منها ، فى مقابل أن يأخذوا (بيت المقدس) وما أراد لويس التاسع بهذا العرض الذى قدمه الا أن يضرب عصفورين بحجر واحد فيسترد (بيت المقدس) فى الوقت الذى يشعر فيه بضعفه وعجزه عن الاحتفاظ بـ (دمياط) فى يده ، ثم يضمن بعد ذلك انسحابا سليما مأمونا له ولجيشه من (مصر) بدون أدنى ضرر أو تعرض لمطاردة المسلمين ، ولكن عرض لويس التاسع جاء متأخرا وبعد فوات الأوان ، ولو أنه كان قد تقدم بعرضه هذا قبل ذلك ببضعة أشهر لكان وجيها ، ولأمكن للمسلمين أن ينظروا فيه ، على أساس أن يكفلوا له انسحابا مأمونا بدون التفريط فى (بيت المقدس) أما الآن وبعد ما أسفرت عنه الظروف والاحداث ، وما وصل اليه الموقف بالنسبة للفريقين ، فان (توران شاه) لم يتردد ولو للحظة واحدة فى رفض عرض لويس التاسع رفضا باتا .

ولم يجد الصليبيون للانسحاب بديلا ، خصوصا وأنهم أيقنوا أن استمرارهم فى البقاء بمعسكرهم معناه القضاء التام عليهم ، وفناؤهم عن آخرهم .

وبدأ الصليبيون يتراجعون نحو (دمياط) بحذاء الضفة الشرقية لنهر النيل ، فى عملية لا نستطيع أن نطلق عليها انسحابا بالمعنى المفهوم فى الحروب ، وانما كانت عملية هروب الى (دمياط) على حد تعبير ابن واصل المؤرخ الذى عاصر هذه الاحداث ، وعبر الصليبيون بحر (أشموم) على الجسر الذى أقاموه ، بيد أنهم وهم فى عجلة من أمرهم ارتكبوا خطأ جسيما كلفهم ثمنا باهظا ، اذ وقعوا فى نفس الخطأ الذى وقع فيه الامير فخر الدين قبل ذلك ، فقد نسوا أن يقطعوا الجسر بعد أن أتموا عبورهم فوقه ، فأتاحوا بذلك للمسلمين فرصة كبرى ، فعبروا وراءهم يهاجمونهم من كل ناحية ومن كل اتجاه بلا هوادة أو استكانة ، وقد بذل حرس المؤخرة الصليبية جهودا جبارة فى سبيل وقاية انسحاب جيشهم المزق ، وصد هجمات المسلمين العنيفة ، وأخيرا تمكنت جموع الصليبيين المنهكة القوى من الوصول الى (شارمساح) بين (المنصورة) و (دمياط) بما يشبه المعجزات .

ولم تكد مقدمة الجيش الصليبى تصل الى (فارسكور) حتى غلب المرض على لويس التاسع ومعظم رجال جيشه ، فى الوقت الذى أحدق المسلمون بهم يتخطفونهم طول الليل قتلا وأسرا .

وعند (فارسكور) دارت معركة ضارية عنيفة بين المسلمين والصليبيين ، حلت على أثرها الهزيمة الساحقة بالصليبيين ، وقد قتل فى هذه المعركة حوالى ثلاثين ألف مقاتل .

أسر لويس التاسع :

وفى تلك الاثناء كان لويس التاسع لا يستطيع أن يتحرك من شدة ما به من مرض ، فالتجأ الى قرية تسمى (منية عبد الله) شـــمال (المنصـــورة) ، وبصحبته نحو خمسمائة من الامراء والنبلاء ، وحمل الملك الى بيت ريفى من بيوت تلك القرية الصغيرة حيث لحق به أخواه .

وعندما أحاط المسلمون بالقرية أدرك لويس التاسع أن المقاومة لن تجدى شيئا ، ولن تعود عليهم بالنفع ، بل قد تضره ضررا شديدا ، فسلم لويس التاسع ورفاقه أنفسهم بعد أن أمنهم المسلمون على أرواحهم ، وقد نقل لويس التاسع فى الحال الى (المنصورة) على احدى السفن ، حيث سجن فى دار فخر الدين ابن لقمان رئيس ديوان الانشاء ، وعهد الى الطواشى صبيح بحراسته ، كمـــا خصص له (توران شاه) من يقوم بخدمته ، ورتب له كل ما يحتاج اليه من مأكل ومشرب ، وبلغ عدد الاسرى أكثر من اثنى عشر ألف أسير .

وفى غمرة هذه الاحداث قتل (توران شاه) ، وتولت شجرة الدر مقاليد الحكم وأصبحت سلطانة على (مصر) ولعل أهم ما ترتب على مقتل (توران شاه) من تطور خطير فى الشرق الادنى هو سقوط الدولة الايوبية ، وقيـــام دولة المماليك البحرية فى حكم (مصر) و (الشام) .

ثم استأنف أمراء المماليك على الاثر مفاوضات الصلح التى كان قد بدأها (توران شاه) ، وبعد كثير من المحاورات نجح الفريقان فى عقد اتفاق يتلخص فى تسليم (دمياط) للمسلمين بكافة محتوياتها ، وعدم السماح للويس التاسع بالرحيل عن (مصر) الا بعد دفع فدية تبلغ أربعمائة ألف دينار ، اتفق على أن يدفع نصفها قبل أن يرحل عن (مصر) ويسدد الباقى عندما يصل الى (عكا) وضمانا لدفع بقية الفدية قرر المسلمون الاحتفاظ بجميع المرضى الذين يعالجون فى (دمياط) .

وعقب توقيع الاتفاق أخلى الصليبيون (دمياط) وركبوا السفن ، وسلم (جيوفرى دى سرجين) مفاتيح المدينة الى المسلمين ، فدخلها الجيش الاسلامى تتقدمه طبوله وأعلامه ، ورفع العلم فوق أعلى برج من أسوارها .

وبمجرد أن دفع لويس التاسع الفدية المتفق عليها أطلق سراحه وسراح أمراء جيشه وجميع جنوده الاسرى ، وبذلك اختتمت الحملة صفحة هجومها على (مصر) بهذه النهاية المؤلمة .

وقد دوت أنباء هذا النصر العظيم فى (القاهرة) وسائر البلاد المصرية ، فأقيمت الزينات ، وعمت الأفراح كل مكان ، وعادت قوات الجيش الظافرة الى (القاهرة) وتغنى الكتاب والشعراء فى جميع أنحاء العالم الاســـــلامى بهذا النصر المبين .

وسجل التـــاريخ فى سجلاته الخـــــالدة أن هزيمة لويس التاسع فى (المنصورة) كانت بداية قرب نهاية الصليبيين بالشرق الاسلامى فى العصور الوسطى . .

---

(١) هذه الاعداد مأخوذة من تقريرات (جوانفيل) مستشار لويس التاســع ومترجمه الذى رافقــه فى الحملة . .

التربية الجنسية

للدكتور

وجيه زين العابدين

عنى الاسلام بالطفل عناية بالغة فوضع الاسس العامة لتربيته ونشأته واعطاه من الرعاية والتكريم ما لم تصل اليه الانظمة الحديثة . . وما كانت التربية الجنسية — كما أصطلح عليها — جزءا منفصلا عن قواعد التربية العامة للطفل . .ولكن فى الاسلام توجيها خاصا للتربية الجنسية وضع القرآن الكريم والسنة المطهرة الخطوط العريضة له وددت الاشارة اليها لاطلاع المسلم واتباعها . .

ربما جاز أن أقول ان الاسلام قد أهتم بأمر الطفل قبل أن يولد بأعوام وذلك باختيار أم صالحة . . فقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم الرجل أن يختار له زوجة صالحة ذات خلق ودين تلك التى ستقوم بتربية الطفل فمن كانت منهن تقية سوف تقبل بتطبيق تعاليم الاسلام مما تعلم ومما تتعلم فكان المنبت الحسن والجو الصالح قبل أن يخلق الطفل ويولد . .

الطفل لغة الصغير وقد سماه القرآن الكريم طفلا منذ ولادته فى قوله عز وجل فى سورة المؤمن (هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا . . الآية) . . وتبقى التسمية حتى يبلغ الحلم كما جاء فى القرآن الكريم أيضا فى سورة النور قوله عز وجل (واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا . . الآية) . . وقد ذكر ابن القيم فى كتابه (تحفة المودود فى أحكام المولود) الكلمات العربية للطفل منذ ولادته حتى بلوغه فهو (وليد ورضيع وفطيم ودارج . . الخ)

وليس للوليد والرضيع أى توجيه فى التربية الجنسية ، على أن الاسلام



لِلطِّفل

قد نبه الى وجوب تسمية الطفل بالاسم الحسن حيث أمر النبى صلى الله عليه وسلم ، كما أنه غير بعض الاسماء القبيحة الى أخرى جميلة .. ولعل من الجائز أن أقول بهذا الصدد أن يمتنع المسلم عن تسمية الطفل باسم قد يثير الشهوة البهيمية الجنسية (١) ..

قلت ليس للرضيع عمل جنسى فيكون له توجيه وتربية فى العامين الاولين من عمره وما ذكره بعض علماء الطب والنفس كون الرضاعة عملا جنسيا لم يقبله العلم .. على أن للرضيع – كما يقول الاطباء – عملا قد يشبه أو يعتبر العادة السرية عند البالغين وهو عبث الذكر من الاطفال بعضوه ومد الانثى لساقيها بحالة تشنجية ولصق الفخذين ببعضهما والقيام ببعض الحركات ثم الاستلقاء والنوم أحيانا .. هذا العمل يتركه الرضيع بعدئذ فلا تلتفت اليه الام ولا تزجر طفلها فان فعلت قد يستمر الطفل ويجب عند ذاك عرضه على الطبيب ليرى الامر اذ قد يصف له علاجا .

فاذا بلغ الرضيع العامين يجب أن ينظر فى أمره فهل يبقى فى غرفة نوم أبويه أم يخرج أو يوضع بينه وبين والديه الحجاب .. هنا يضع الاسلام القاعدة العامة .. قال تبارك وتعالى فى سورة النور (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ، واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما أستأذن الذين من

قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم) .

قال القرطبى ان الذى يستأذن فى الاحوال الثلاثة هو الذى عقل معانى الكشفة .. فالآية الاولى تطلب ان لا يدخل الطفل المميز على أبويه أو أحد من أهله من غير استئذان فى أوقات ثلاثـة ، فترة النـوم من بعد صلاة العشاء حتى طلوع الفجر وكذلك وقت القيلولة ظهراحيث يغلب ان يكون الابوان قد نزعا ثيابهما أو تكون الام فى وضع لا يجوز أن يراها أى طفل مميز . لذلك يجب أن يخرج الطفل المميز من غرفة نوم أبويه أو يوضع حجاب بينه وبينهما .

ولم يذكر القرآن الكريم سن التمييز (٢) بل تركه لتقدير رب البيت الذى يقرر متى يمنع طفله بالنسبة الى ذكائه وظروفه ومن يحيط به ومقدار تعلمه واطلاعه لا سيما بالنسبة الى الاسئلة التى يوجهها على أن الطفل دون الثانية لا يميز ولذا جاز أن يبقى فى غرفة نوم والديه وجاز له أن يدخل على ابويه واهله فى أى وقت .. ولعل سن الرابعة هى المعدل .. وربما وجب ان يمنع طفلا فى الثالثة او قبلها او ربما جاز أن يسمح لطفل فى الخامسة ان كان قليل الذكاء وقد ارشدنا النبى صلى الله عليه وسلم فى حادث حين وصف أحد الناس من العبيد (من ملك اليمين) والذى يدخل تحت حكم هذه الآية الكريمة وصف هـذا المملوك امرأة أنها تقبل بأربع وتدبر بثمان فأمر صلى الله عليه وسلم أن يمنع من الدخول على النساء ..

فاذا بلغ هذا الطفل المميز وجب أن يجرى عليه حكم البالغ كما ذكرته الآية الثانية وهو الاستئذان فى كل وقت وكما نصت عليه الآية الكريمة من نفس سورة النور وهى قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأذنوا وتسلموا على أهلها) ..

ولعل من الجائز بهذا الصدد أن نفهم من الآية الكريمـة : تعيين موعد التقاء الزوجين (٣) والتعرى الجزئى للرجل والمرأة .. وكذلك يفهم من الآية الكريمة أن تكون المرأة فى وضع صحيح معقول ، فلا تكشف عن عورتها خارج هذه الاوقات لانهقد سمح للطفل المميز أن يدخل على أمه وأخته وقريبته فى غير هذه الاوقات، بدون استئذان .. فان كان شىء من اظهار عورة المرأة أو أى عمل بين الزوج وزوجه يجرى فى النهار فلا بد أن يتخذ الزوجان ما يحجب عنهما الطفل المميز ..

وكذلك مما علمنا القرآن الكريم من أدب فى تربية الطفل هو عدم اظهار زينة المرأة للطفل الذى يفهم ويعقل شيئا عن زينة المرأة وجمالها قال تعالى فى سورة النور (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى اخواتهن او نسائهن أو ما ملكت ايمانهن أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء .. الآية) .

وعلمنا نبينا الاكرم محمد صلى الله عليه وسلم أن لا نسمح لمن بلغ سبع سنوات من عمره أن ينام فى غرفة أخته أو اقاربه الا أن يكون

حاجز بينهما .. قال عليه الصلاة والسلام (مروا أولادكم بالصلاة لسبع سنين واضربوهم لعشر وفرقوا بينهم بالمضاجع) .

أخرجه أبو داود ..

هذه بعض القواعد فى تربية الطفل الجنسية ، كلها لايجاد محيط فاضل لا يثير فى الطفل كوامن الشهوة الجنسية ولا يطبع فى دماغه شيئا من الفاحشة قد تدفعه فى المستقبل الى ارتكاب الخطأ .. هذه التربية الوقائية هى التى يسير عليها الاسلام فى كل مجالات حياة الانسان .

تعليم الطفل

والعمل الايجابى الذى يقرره الدين فى تربية الطفل الجنسية هو تعليمه وارشاده ووضعه على الطريق المستقيم منذ نعومة أظفاره لتكون جذور الفضيلة عميقة فلا يضل فى المستقبل ، فاذا أصابه بعض الانحراف فسرعان ما ترجع به هذه الجذور الى الفضيلة .

يتعلم الطفل عمليا ما يرى من محيط أهله فاللباس محتشم .. فالطفل المميز لا يرى عورة ولا يسمع الا الكلام الطيب ، فاذا تعلم القراءة لا يجد فى بيته الرخيص من الادب أو قصص الفحش مما نجده فى معظم المجلات والكتب المخصصة للفساد ، ومقابل ذلك يوجه الاب المسلم طفله الى تعلم القرآن وحفظ بعض سوره وتعلم بعض الآيات التى تربى الاسرة مثل سورة الحجرات .. كل ذلك قبل دخوله المدارس لعلها تكون له بعض الحصن مما سيقرأ ويسمع ويصاحب .

ويسأل الطفل عن أمور الجنس فيجب أن يكون الجواب بالصدق مع استعمال المجاز والكناية والتلميح .. ولا يجوز الكذب على الطفل لان من خلق المؤمن الصدق الا ما أجاز له الشرع من كذب فى الحرب واصلاح ذات البين ولغو الزوج وزوجه .. ففى الحديث الصحيح أن امرأة قالت لطفل تعالى أعطيك فجاء النبى صلى الله عليه وسلم ونظر فى يدها فوجد فيها تمرة فقال (لو لم تكن هذه التمرة لكتبت عليك كذبة) اخرجه البخارى (٤) .

الصدق الصدق مع الطفل .. يسأل الطفل مثلا كيف وجدت فى هذه الدنيا فنقول بصورة مختصرة خرجت من بطن أمك .. ونوجهه حالا الى القرآن الكريم يأتى به فنشير الى آية من سورة النحل فيقرأ (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا) .. وقد يكتفى ، وقد يسأل بعد حين أو حالا وكيف نشأت فى بطن أمى .. فنقول له ان الله عز وجل هو خالق الانسان يجعله فى بطن أمه نطفة فيكبر ويكبر حتى يصير طفلا فيخرج .. ونوجهه الى القرآن الكريم أيضا ليقرأ أو نقرأ عليه ما ورد فيه بهذا المعنى فى سورة الحج مثلا أو المؤمنون أو المؤمن .. فان سأل وما علاقة أمى بأبى فنقول لا بد لخلق الطفل أن يجتمع رجل وامرأة فى زواج حسب شريعة الله .

وهكذا نجيب على أسئلة الطفل بالتلميح والاختصار وتوجيهه الى الدين ليرتبط فى ذهنه فيفهم الامور الجنسية عن طريق القرآن الكريم والحديث .

هذا أسلوب القرآن الكريم فى التعليم حيث وردت آيات كثيرة تشير الى الجماع بكلمات المباشرة

واللمس والتقرب .. كما أن أى اشارة الى قضية جنسية يذكر فيها الله تبارك وتعالى كلمة التقوى مباشرة لئلا يبتعد الذهن الى الشهوة البهيمية .. فمن هذه الآيات قوله عز وجل فى سورة البقرة (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم واتقو الله واعلموا انكم ملاقوه وبشر المؤمنين) وكذلك قوله عز وجل فى سورة النساء (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله) .. فبعد أن أشار الى أن من صفات المرأة الصالحة ان تحفظ زوجها فى غيبه وتكتم سر زوجها عقب بكلمة بما حفظ الله .

ويتعلم الطفل المسلم كثيرا من الامور الجنسية بصورة غير مباشرة حين يبدأ الصلاة فى السابعة اذ يتعلم الوضوء والاستنجاء ولعله يسأل بعض القضايا الجنسية مما تمهد له فلا يفاجأ بمرحلة البلوغ لا سيما عند الفتاة .

والاسرة المسلمة التى ترتبط بالقرآن والحديث سترى الخطوط العريضة للحياة السعيدة فاذا اعتنت بتربية اطفالها على أسس تعليم القرآن فلا خوف عليهم أبدا من أى مدرسة فاسدة وقد ثبت بدراسات كثيرة أن ما يتعلمه الطفل فيما بين العامين وسن الخامسة يبقى أصلا له فى علاقاته الاجتماعية حين يكبر ومهما انحرف ومهما ضل فسيعود الى ما تعلمه من أبويه المسلمين فى طفولته .. فلا زال الامر بيد الاسرة المسلمة ان أرادت أن ترى أولادها على هدى الله .



---

(١) أترك الامثلة لاجتهاد الاب المسلم ..وهذا رأيى الشخصى ولا يوافقنى عليه شيخى الذى درسنى بعض الدروس الدينية .

(٢) ولا أعرف فى السنة تحديدا لسن التمييز وما ورد فى الحديث الصحيح عن نوم ابن عباس فى منام خالته أم المؤمنين لا علاقة له بسن التمييز وبهذه الآية .

(٣) أشارت الى هذا الوقت الآية الكريمة من سورة البقرة قوله عز وجل (أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم .. الى قوله عز وجل فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض .. الآية) .

(٤) لو لم يكن فى الاسلام فى تربية الطفل سوى هذا الحديث الشريف لكدت اقول انه من أعظم تعاليم سيدى المصطفى وانه يكفى وحده فى وضع الاسس القويمة .. فليس الا الصدق صفة تبنى الثقة فاذا كانت الثقة بين الطفل ووالديه سهل الطريق لتوجيه الطفل ، وما رأيت فى خبرتى الطبية صفة تبعد الولد عن أبويه وتضع اساسا للتمرد على الاسرة وعصيان الابوين ، مثل صفة الكذب .

٢

فكرة الخير والشر

للدكتور / محمود محمد قاسم

عرضنا في مقال سابق لوجهة نظر محيى الدين بن عربي الميتافيزيقية في مسالة الخير والشر ، وهنا نكمل ما بدأنا ببيان وجهة نظره الدينية في هذه المسالة ورايه في تحديد موقف الانسان من الخير والشر وفي امله ان تعم الرحمة الالهية جميع الخلق ..

ب ــ النظــرة الدينيــة :

إذا كانت هناك ضروب من النقص في العالم ، وإذا كان كمال العالم يقتضي أن يوجد النقص فيه حتى تتحقق حكمة الله في الكون ، فمن الطبيعي أن توجد أشياء توصف بالحسن والخير ، وأخرى توصف بالقبح والشر . لكن هل في طاقة العقل أن يستقل بمعرفة وجه الحسن أو القبح ، أو الخير والشر في كل شيء ؟ وهنا نجد ابن عربي يميز بين نوعين من الحسن والقبح . فمنهما نوع يمكن معرفته عن طريق التفكير النظري الذي يحدد وجه الحسن أو وجه القبح في الأشياء بناء على معايير خاصة بالكمال أو النقص ، أو معايير نفعية . لكن هناك نوعا آخر « لا يدرك قبحه ولا حسنه إلا من جانب الحق الذي هو الشرع ... وهذا من [illegible]

سرف غرضه الى ما اراده له خالقه لاستراح ... » (١) ذلك لأن الله لا يريد للناس إلا اليسر ولا يريد بهم العسر . وهو يريد لهم الخير لا الشر ، وإن كان الكل من عند الله لأنه هو الذى اوجد العالم بما ينطوى عليه من كمال ومن نقص يراد به الخير ..

إن المثل الأعلى ، فى نظر ابن عربى ، هو أن يريد الإنسان ما يريده الله له ، فلا يضيق بنعمة الوجود وقد استدل لذلك بما روى عن أبى يزيد البسطامى من انه قيل له : ماذا تريد ؟ قال أريد الا اريد ، اى انه يريد ان يجعله الله مريدالما تقضى به الإرادة الالهية . إذن فمن المستحيل أن يكون المرء مجردا من الإرادة ، والا لما كان لطاعته التى يتقرب بها إلى خالقه معنى ، إذ لو لم تسبقها نية لما كانت طاعة . فمعنى ما قاله البسطامى هو أنه لم يطلب لنفسه شيئا سوى أن يتحـــرر من الأهواء النفسية التى لا تتسق مع الشريعة والتى لا تحظى برضى الله .

فالشرع إذن هو السراج الذى ينير الطريق . ومن لا يهتدى بنور الشرع شبيه برجل يسير فى الظلام دون سراج أو ضوء ، فى طريق كثيرة المهالـــك والأوحال والحفر . فلا بد له من نور يرى به أين يضع قدمه ، ويكشف له عما يجب ان يتجنبه من المخاطر [وليس له نور سوى نور الشرع الذى قال فيه تعالى : « نورا نهدى به من نشاء من عبادنا » وقال : « ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) وقال : (نور على نور)] : احدهما نور الشرع ، وثانيهما نور البصيرة ، اى نور القلب .ويرى ابن عربى أن نور الشرع « قد ظهر ظهور الشمس ، ولكن الأعمى لا يبصر ، وكذلك من أعمى الله بصيرته لم يدركه فلم يؤمن به ، ولو كان نور عين البصيرة موجودا » إذن فمن الضرورى أن يجتمع هذان النوران حتى يعم الضوء الطريق . كذلك يجب على السائر فى تلك الطريق المحفوفة بالمخاطر ان يحافظ على سراجه من أن تهب عليه ريح الأهواء والأغراض . « فهذا الشخص الماشى فى هذه الطريق ، إن لم يحفظ سراجه من الأهواء ان تطفئه بهبوبها ، وإلا هبت عليه رياح وزعازع فأطفأت سراجه ، وذهب بصره . وهو كل ريح يؤثر فى نور توحيده وإيمانه . فان هبت ريح لينة تميل لسان سراجه وتحيره ، حتى يتحير عليه الضوء فى مشاهدة الطريق ، فتلك الريح كمتابعة الهوى فى فروع الشريعة ، وهى المعاصى التى لا يكفرّ عنها الإنســـان ، ولا تقدح فى توحيده وإيمانه . فقد خلقنا لأمر عظيم . ولكن إذا اقتحمنا هذه الشدائد ، وقاسينا هذه المكاره ، حصلنا على أمر عظيم ، وهو سعادة الأبد التى لا شقاء فيها » (٢) .

ونلاحظ أن فكرة الجمع بين نور الشرع ونور البصيرة او العقل فكرة سبق إليها علماء الكلام من معتزلة وأشاعرة ، كما نجدها على نحو اكثر عمقا عند كل من الإمام الغزالى وابن رشد (٣) وترتكز هذه الفكرة عند هؤلاء جميعا على أن الله إنما يأمر بالخير ؛ وينهى عن الشر عناية بالانسان ، وتحقيقا لطبيعته على اكمل وجه . « ما أمرك الله إلا بما هو خير لك . وهو عند الله عظيم . وما نهاك الا عما تركه هو خير لك ، لعظيم حرمته عنده .. » (٤) ويوصى ابن عربى كل من يقبل نصحه بأن يتبع خاطر الخير لا خاطر الشر الذى يحاول ان يثنيه عن فعل الخير فيقول : « ولا تعرف الخير والشر إلا بتعريف الشرع . وإذا خطر لك خاطر يأمرك بفعل الشر فذلك لمسة الشيطان . فاذا أعقبه خاطر ينهاك عن فعل ذلك الشر فذلك لمسة الملك . وانت السفينة . إن انخرقت هلكت وهلك جميع من فيك . فعليك بعلم الشريعة . فانك لن تعلم حدود الله حتى تقوم بها » (٥) .

ثم إنا نراه يؤكد هذه الفكرة في مواطن عديدة فيقـول : « ان العـارف من عبد الله من حيث ما شرع ، لا من حيث ما عقل عن طريق النظر » ذلك لأن للهوى في العقل حكما خفيا لا يفطن إليه أصحاب التفكير النظرى ، وإن شعر به أهل الكشف من الصوفية (٦) ، بل يذهب إلى القول بأن العمل غير الصالح من نصيب الذين يفصلون القول في الخير والشر عن طريق تفكيرهم النظرى ، في حين ان أهل الكشف ، الذين يهتدون بما جاء به الشرع ، أكثر توفيقا في التفرقة بين الخير والشر « فما فصل بالاعلام الإلهى فهو كله عمل صالح ، وما فصـل بالنظر العقلى فمنه صالح وغير صالح بالنسبة إلى من يفصلـه لا غير . والكل عمل صالح بالنسبة الى الله تعالى ، كما نقول أن النقص في الوجود من كمال الوجود ، وان شئت قلت من كمال العالم إذ لو نقص النقص من العالم لكان ناقصا فافهم » ثم يخبرنا أنه ماكان ليذكر أن هناك فسادا في العالم لولا ان الخير الإلهى قد حذر من الفساد في الأرض ، ولولا أنه رأى اتفاق العقلاء ، بل الناس جميعا ، على القبول بوجـود الفساد في العالم . ولولا ذلك لما نطق بهذا الوصف أبدا . (٧) فقد أهتـدى بالكشف الصوفي إلى العلم بأن افعال الله كلها خير ، لكنها توصف من الناس بأنها خير أو شر حسب أهوائهم وحسب استعداداتهم لقبول آثـار الأفعال الإلهية .

وهنا ينبغي أن نتساءل لماذا حددت الشرائع كلا من الخير والشر ؟ ذلك لأن ظهور العقل في الإنسان هو الذى دفعه الى ان يدعي لنفسه أنه هو الـذى يختار أفعاله ، وانه يستطيع التفرقة بين الخير والشر . لذلك جاءت الشرائع تفـرق للعقـلاء بين الحسن والسيء . وكان من الطبيعى ايضـا ان يكون هناك جزاء للخير وللشر . غير ان رحمة الله سوف تشمل الجميع بعد أن يوفى أصحـاب الاعمال السيئة فترة العذاب التى كتبت عليهم بسبب خروجهم على ما قرره العقل والشرع معا (٨) .

ويكشف ابن عربى عن أبعاد فكرته هذه على نحو أكثر تفصيلا عندما يخبرنا بأن تكليف الناس باتباع الشرائع هو من المكر المحمود . ذلك أن العقل لما فرق بين الخير والشر جاء الشرع يقره على هذه التفرقة . فعندما تكلم عن المكر الإلهى بمناسبة قوله تعالى : (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) ، وقوله : (ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون) نجده يخبرنا بأن « من المكر الالهى ما يقصد به ضرر العبد ، ومنه ما لا يقصد به ضرر العبد . وانما يكون لحكمة أخرى يكون فيها سعادة العبد . فانه لولا المكر الخفي لما صح تكليفه ولا طلب جزاء . فانه من مكر الله المحمود في المكور به تكليف الله إياه بالأعمال والسمع والطاعة له فيما كلفه به . والأمر يعطى في نفسه ان الاعمال خلق الله في العبد ، وأن الله لا يكلف نفسه . وليس العامل إلا هو . وهذا قد شعر به بعض الناس (أصحاب مذهب وحدة الوجود) وأقاموا على العمل وثابروا عليه ، أعنى عمل الخيرات (٩) ، وهم هؤلاء الـذين يقول ابن عربى عنهم إنهم قد اطلعوا على سر القضاء والقدر ، ورأوا تحكمه في الخلق ، وشاهدوا ما قدر لهم من أعمال تصدر عنهم من حيث هي أفعال لله ، لا من حيث أنها توصف بالخير والشر . وهم يشاهدون ذلك ، على حد قوله ، في حضرة النور الخالص التي دعت علماء الكلام إلى القول بأن أفعال الله كلها حسنة ولا فاعل إلا الله ، دون أن يفطنوا إلى سر القضاء والقدر . لكن توجد مرتبـة تأتى بعد حضرة النور الخالص ، وهي التي يسميها حضرة السدفة وهي التي تجمع بين النور والظلمة ، وهي التي يظهر فيها التكليف الدين. فظهور العقل عند الإنسان

وفيها يتميز الخير من الشر . وتوجد آخر الأمر حضرة الظلمة وهي مرتبة الشرك والأفعال الموجبة للخلود فى النار . أما فيما يخص ابن عربى فيقول إن الله أقامه فى الحضرة الثانية ، وعصمه من أن يخرج على حدود الشرع « بل أقامنى الله فى حضرة السدفة وحفظنى وعصمنى فلى حكم حضرة النور (من حيث العلم) وأقامنى فى السدفة وهو عند القوم أتم من الاقامة فى حضرة النور . فهذا معنى قول بعضهم فى الفناء إنه فناء المعاصى » ، أى أنه ، وإن كان يسلم عن طريق الكشف ، أن الأفعال كلها تنسب إلى الله ، وأنها حسنة فى ذاتها ، إلا أنه رأى أن اتباع طريق الشرع فى التفرقة بين الخير والشر والطاعة والمعصية هو السلوك الأقوم والأكمل . ومن المؤكد بعد ذلك كله أن عمل الخيرات لا يلحق ضررا بالبشر لأنه يلائم طبيعتهم ، ويتسق مع نفوسهم التى صدرت من أصل طاهر لأنها من أمر الله .

وهكذا يمكن فهم ضرورة الحدود أو العقوبات التى حددتها الشريعة لمن خرج عن طريق الخير . فانها ليست شرا ، بل هى خير فى صورة الشر . إنها نوع من العقاب أو الجزاء الذى يعجل به الله للمذنبين فى أثناء هذه الحياة وكذلك الأمر فى المصائب والكوارث التى تحل بالأفراد أو الأمم . فقد قال تعالى : (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) « وكذلك ما ظهر من الفتن والخراب والحروب والطاعون » .. فهذا كله جزاء على أعمال قاموا بها . وهو جزاء معجل فى الدنيا « وقد يكفر عن الذنب بعض خطاياه فى الآخرة . أما إقامة حدود الشرع على السارقين أو الزناة فانها تهدف إلى تطهيرهم . فعقابهم ليس شرا ، بل هو نوع من الرحمة . ولهذا نهى الشرع عن الرأفة فى إقامة حد الزنا بقوله « ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » فاقامة هذه الحدود على العصاة، وعلى ملأ من الناس فى الدنيا تطهير لأصحابها قبل أن يفضحوا على رؤوس الأشهاد فى الأخرى .. فاقامة الحدود فى الدنيا أستر إذ يسقط عن صاحبها فى الآخرة بقدر ما أخذ منه فى الدنيا (١٠) . ومن واجب الوالى أن يحكم بما نص عليه الشرع ، حتى لا يكون مواليا للشر . أما إذا ترك مراعاة جانب الحق ، وحكم بالهوى ، فقد ضل . وبهذا المعنى يمكن أن يقال بأن مصائب الدهر وكوارثه هى الأخرى نوع من التطهير . وربما غادر بعض البشر هذه الحياة الدنيا « وما عليه خطيئة لكثرة ما يبتليه الله به » (١١) .

ولقد أمرنا الرسول أن نؤمن بالقدر خيره وشره فيجب الإيمان إذن بالشر أنه شر ، وبالخير أنه خير . والخير كله ينسب إلى الله ، لأنه هو الذى يعطى الخير بقضائه السابق . ولكن المخلوقات هى التى تفصل هذا القضاء بالقدر اللاحق الذى يرتبط بكائن معين فى زمن معين ، فيوصف بأنه خير أو شر « فخيريته ابقاؤه على الأصل ... ولهذا قال : والخير كله بيديك ، وما حكم به من الشر فمن القابل وهو قوله والشر ليس اليك (١٢) » ومعنى ذلك أن كل كائن له استعداد خاص كان يعلمه الله منذ الأزل . فاذا خرج هذا الكائن من عالم الإمكان الى عالم الوجود الفعلى تحققت استعداداته من قبوله للخير أو للشر . فليس علم الله هو السبب فى سعادته بالخير ، أو شقائه بالشر ، بل السبب هو الاستعداد الخاص بكل كائن فاذا قيل : ولماذا كان الاستعداد مختلفا لدى الكائنات ؟ أجاب ابن عربى بأن حكمة الله اقتضت أن يحتوى العالم على كائنات تختلف فى استعدادها لقبول الفضل الالهى ، حتى يتحقق لهذا العالم أكبر قدر ممكن من الكمال ، فليست ضروب النقص فى العالم إلا وسائل يراد بها تحقيق الخير .

غير أنه ينبغى الا يكون ذلك مبررا لأن ينسب المرء معاصيه إلى القضاء والقدر ، بل هناك قاعدة أخرى يجب اتباعها ، وهى أن يلزم المرء نفسه بفعل الخير . فاذا حدثته نفسه بفعل الشر فعليه أن يعقد عزمه على تركه ، إلا إذا غلبه القضاء السابق والقدر اللاحق . فاذا كان الله لم يقض عليه أن يفعل الشر الذى حدثته به نفسه كان امتناعه عنه حسنة تكتب له ، واذا حدث نفسه بفعل الخير وقام به كتب له عشر أمثاله ، أما إذا حال القضاء والقدر دونه فسوف يكتب له حسنة واحدة فى كل زمان حدثته نفسه بهذا الخير ، فى حين أنه إذا حدثته نفسه بسيئة فان الله يغفرها له ما لم يرتكبها . أما إذا قام بها فلن تكتب له الا بمثلها (١٣) .

جـ ــ موقف الانسان من الخير والشر :

إن الإنسان يتألف من روح وجسد . والروح طاهرة بحسب الأصل لأنها من عالم الأمر . ولذا لا توصف النفس بأنها شريرة فى أعماقها ، بل هى مطبوعة على حب الخير لأن الخير فيها أمر ذاتى . كذلك يمكن القول بأن الأجسام وقواها طاهرة هى الأخرى . فكيف أمكن إذن أن يوصف الانسان بأنه خيّر أو شرير ما دام العنصران اللذان يتألف منهما طاهرين بحسب الأصل ؟ ان طبيعة التركيب بين هذين العنصرين التى تحدد ، فى نظر ابن عربى ، طبيعة الانسان التى تكون أكثر ميلا الى الخير منها الى الشر أو بالعكس . فاتصال النفس بالجسم هو السبب فى الاتجاه نحو الطاعة أو المعصية . وعندئذ ندرك كيف يوجه المدح أو الذم إلى الانسان الذى يجمع بين الروح والجسد ، والذى يكون أهلا للثواب أو العقاب (١٤) . ويبدو هنا تأثر ابن عربى بأفلاطون ، الذى سبقه الى القول بأن اتصال النفس الانسانية بالجسم هو الذى أدى إلى نشأة النفس الحيوانية أو الشهوانية ، وهى سبب المعصية لأنها إما أن تكون مطيعة فتشبه الدابة الذلول وإما أن تكون جامحة « لقوة رأسها وتركيب مزاجها » .

ولما كان الدين هو عمل الخير ، ولما كانت النفس مهيأة له بطبيعتها فانها لا تقبل الشر إلا بالحاح من القرين الذى يوسوس إليها به ، وهو الشيطان ، ولذا قال الرسول : الخير عادة والشر لجاجة . إذن ليس الشر أصيلا فيها ، بل تكاد لا تقبله إلا مكرهة « فان النفس بالذات ما زالت خيرة لأن أباها الروح القدس الطاهر ، وطبعها الخير . وأمها هذه الصورة المسواه المعدلة من هذه الأخلاط(١٥) ويطلق ابن عربى اسم هذه الصورة على الجسم الذى خلقه الله فسواه فعدله . ولقد قبل الجسم هذه التسوية وهذا العدل ، وقبوله للعدل من الخير (١٦) .

وإذا كانت النفس طاهرة بحسب الأصل فليس الظلم من صفاتها لأنه شر ، بل النفس الكاملة التى تسمو على المستوى الحيوانى ، هى التى تشعر بالرحمة تجاه الخلق كلهم ودون تفرقة . فهى تدعو للآخرين أن ينالوا مثلما نالت هى من حب الخير . واذن فان كل ما ينقص من طهارة النفس انما هو « أمر عرضى ، عرض لها لما عندها من القبول فى جبلتها » والذى من شيمها انما هو القهر والظهور . ومن هنا دخل عليها ابليس بوسوسته . ولقد جهل القائل الذى قال :

والظلم من شيم النفوس فان ... تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم .

ومَا أنصف وما قال حقا . (١٧) فالظلم الذى نراه من بعض الناس لا يصدر

من طبيعتهم وانما يأتيهم من جانب الشيطان «وللانسان فيه مدافعة يجدها من نفسه» ولقد أمرنا بأن ننصر أخانا مظلوما أو ظالما . أما نصرته كمظلوم فهذا أمر توجبه المروءة . وأما نصرة الأخ الظالم فهو أن تنصره على من يوسوس له فى صدره بالشر . وتكون نصرته « بالكلام الذى تستحليه النفوس وتنقاد اليه ، فتعينه على رد ما وسوس اليه الشيطان من ذلك (١٨) » ومن ثم يمكن تفسير قوله تعالى : « فألهمها فجورها وتقواها » . بأن الله قد جعل فى طبيعة النفس استعدادا لقبول ما تلهمه من فجور أو تقوى ، وجعلها قادرة على التمييز بين هذين الاتجاهين ، فتختار الخير وتحاول أن تتجنب الشر . لكن من الذى يلهمها التقوى والفجور ؟ لا يجوز القول ، فى نظر ابن عربى ، بأن الله هو الذى يلهمها أحد الأمرين ، بل الأولى أن نفهم هذه الآية على ضوء ما قاله الرسول من « أن للملك فى الانسان لمة ، وللشيطان لمة » . فيكون الضمير فى ألهمها الملك فى التقوى ، وللشيطان فى الفجور ... وكل بقضاء الله وقدره ... ولا يصح أن يقال فى هذا الموضوع إن الله هو الملهم ، لما فى هذا من الجهل وسوء الأدب ، ولما فى ذلك من غلبة أحد الخاطرين ، والفجور أغلب من التقوى ، وأيضا لقوله تعالى: «ماأصابك من حسنة فمن الله وماأصابك من سيئة فمن نفسك» (١٩) أما سوء الأدب فهو نتيجة للجمع بين الله والشيطان فى ضمير واحد وهذا غاية سوء الأدب مع الله » اذن من الأولى أن ينسب الالهام بالفجور الى الشيطان . والالهام بالتقوى الى الملك « فمقابلة مخلوق بمخلوق أولى من مقابلة مخلوق بخالق » ..

ويبقى من المقرر ، بعد ذلك ، أن النفس خيرة بطبيعتها وبحسب أصلها ، وانها « ليست أمارة بالسوء من حيث ذاتها ، وانما ينسب اليها ذلك من حيث أنها قابلة لإلهام الشيطان بالفجور ولجهلها بالحكم المشروع . ويرى ابن عربى أن الإلهام بالشر أو بالخير لا يكون الا لدى أفراد الأمة التى بعث فيها أحد الرسل أما اذا وجدت أمة على الفطرة ، ولم يبعث فيها رسول فانها تسلك طريق الخير بفطرتها وتبعا لطهارة النفس الأصيلة فيها . فالواجب الذى تقتضيه طبيعة النفس والذى يوجبه الشرع ، مراعاة لهذه الطبيعة ، هو أن يتجه الانسان إلى الخير ، ولا يسلك طريق الشر متذرعا بأن الشيطان هو الذى يوسوس به اليه ، أو بأن ذلك كان بقضاء الله وقدره « فاجهد ألا تصدر منك صورة الا مخلقة فى غاية الكمال فى قول وعمل . ولا يغرنك كون النقص من كمال الوجود » (٢٠) . وقد زل جماعة من الناس فى هذا الموضوع عندما اعتقدوا أن المعاصى الارادية لدى الانسان سبب فى كمال العالم (٢١) . ويقول ابن عربى أنه لقى فى حياته هذا الصنف من الناس ، ثم يؤكد لنا أن سمة القبح فى العالم هى أن يوجد انسان يرضى لنفسه أن يهبط عن المرتبة التى أرادها له خالقه .

ومهما يكن من أمر ، فالاتجاه الى الخير هو الطابع الأصيل فى الإنسان ، وهو الذى يجب أن تكون له الغلبة . غير أن المرء قد يخطىء فى تحديد هذا الخير ، فيريد شيئا يظنه خيرا وهو شر فى حقيقة أمره . فنراه يدعو الله أو يسأله أن يحقق له غرضا ، دون أن يعلم أن الله لو حقق له ما سأل لأصابه الضرر « ولهذا ما كل مسئول فيه يقضيه الله لعبده ، وذلك رحمة به . فانه قد يسأل فيما لا خير فيه . فلو ضمن الاجابة فى ذلك لوقع ، ويكون فيه هلاكه فى دينه وآخرته ، وربما فى دنياه من حيث لا يشعر . فمن كرمه أنه ما ضمن الإجابة فيما يسأل فيه ، وإنما ضمن الاجابة فى الدعاء خاصة كما بيناه . وهذا غاية الكرم من السيد فى حق عبده » .

فللعبد اذن ان يدعو الله أن يوفقه للخير ، وليس له أن يحـــدد له ما ينبغى ان يحققه له من صنوف هذا الخير . وهناك شىء يدعو الى الحيرة ، فى نظـــر ابن عربى ، وهو اننا لا ندعو الله أن يحقق لنا الخير الا بتوفيق منه ، وإلا تبعـــا لاستعداد يوجد فينا لقبول هذا التوفيق . وهكذا نصبح أهلا لدعائه وأهـــــلا لاستجابته لدعائنا ، على أن نترك الله يستجيب لهذا الدعاء على النحو الذى يراه هو لا نحن « فهو اعلم بالمصالح منا . فانه تعالى لا ينظر لجهل الجاهل فيعامله بجهله . وإنما الشخص يسأل والحق يجيب . فان اقتضت المصلحة البطء أبطأ عنه الجواب . فان المؤمن لا يتهم جانب الحق ، وان اقتضت المصلحـــة السرعة اسرع فى الجواب ، وان اقتضت المصلحة الاجابة فيما عينه فى دعائه أعطاه ذلك سواء اسرع به أو أبطأ ، وان اقتضت المصلحة أن يعدل ما عينه الداعى إلى أمر آخر ، اعطاه الأمر الآخر لا ما عينه (٢٢) » . .

وليس معنى أن يرضى الانسان بالواقع الذى أراده الله له ، الا يضرع إليه لكى يزيح عنه ما قد يصيبه من بلاء ، لأن ذلك هو ما يسميه ابن عربى مقاومــــة القهر الالهى . « فانه ما آلمك وحكم عليك بخلاف غرضك . . إلا لتسأله رفع ذنبك عنك . . . فمن لم يشك الى الله ، مع الاحساس بالبلاء وعدم موافقة الغـــرض الالهى ، فقد قاوم القهر الالهى » انه من الادب مع الله أن يطلب المرء إليه أن يكشف عنه ما حل به من مصائب وبلاء « فالأدب كل الأدب فى الشكوى الى الله فى رفعه. لا إلى غيره (٢٣) وليس معنى الصبر على البلاء ، وهو كثير فى هذه الحيـــاة . الا يلجأ المرء الى الله حتى يرفعه عنه ، فان الرضا بالبلاء وحبس النفس عـــن الشكوى غاية الجهل بالله . وإذا كان الانسان يشكو عادة إلى اخوانه ممن قد لا يستطيعون له نفعا ، فلم لا يشكو الى الله ، وهو يعلم انه لا يقدر على رفع البلاء إلا من أنزله به (٢٤) وبهذا المعنى يمكن القول بأن الآلام التى يعانيها المرء ويسميها عذابا ليست شرا خالصا ، وذلك لأنها تذكره بربه فيرجع اليه مضطرا لا مختارا « فيستعذب عند ذلك الأمر الذى رده إلى الله ، وذكره به فأخرجه عن حكم غفلته من نسيانه فسماه عذابا » (٢٥) .

واذا كانت النفس مجبولة على الخير فليس للانسان أن يستأذن ربه فى فعل الخير . فان مثل هذا الاستئذان دليل على الفتور والتراخى ما دام الشرع قد حدد طريق الخير . وكيف يستأذن الانسان فى شىء يعلم أنه خيـــر : « فان استأذنت ربك فى خير تعلـــم أنه خير فانظر فان أجابـــك بالعمـــل فحسن ، وإن خيرك فقد مكر بك واستدرجك . وإن لم تقع منه اجابة فاعلم أن فى ايمانك ثلمة . فانك ما علمت أنه خير إلا من جهة الشارع ، والشارع الله . فلأى شىء تستأذن بعد العلم ؟ فجدد إيمانك بين يديه ، وقل لا إله إلا الله محمد رسول الله . آمنت بما عندك . واشرع فى العمل ولا تستأذن فى شىء قط . فان الله عليك رقيب . فهو يلهمك ما فيه مصالحك . وميزان الشرع ، الـــذى شرع لك ، بيدك لا تضعه من يدك ساعة واحدة ولا نفسا واحدا (٢٦) » . .

ولا ريب فى أن الاستئذان فى فعل الخير ينطوى على التردد ، وفيه رائحة من الشك ، بعد أن بين الشرع أسباب الخير وطرقه ، وأسباب الشقاء والشر وطرقه . وهناك معيار حاسم يفصل بين ما هو خير وما هو شر ، كما يقول ابن عربى : وهذا المعيار ميزان يجده المرء فى نفسه وهو الضمير . فاذا وجد المـــرء نفسه انه واثق من أن يريد خيرا ، وأن ظاهره أو سلوكه ليس مخالفا لما يشعر به

فى باطنه أو يوحى به إليه ضميره فذلك دليل على أنه يسير فى طريق الخير فعلا . أما إذا وجد أنه يسلك سبيل الخير بحسب الظاهر لكن يجد فى باطنه رائحة من الشك أو الاضطراب فيما يقوم به من عمل أو عبادة ، أو انقدح فى خاطره شك فى نتيجة هذا العمل أو العبادة فذلك لأنه مجرد من الإيمان ، ولأن قلبه فى ظلمة حالكة « هذا ميزانك فى نفسك وما يخطر لك فيها » . ولذا أخبر الرسول بما معناه أن بعض الناس يعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس ، لكن الله يعلم ما يخطر فى نفسه من شك يقدح فى ايمانه ، لانه ليس موقنا بجدوى ما يقوم به من عمل يراه الناس منه . وقد يعمل الرجل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس ، لكن باطنه بخلاف ظاهره لأنه يشعر فى أعماق نفسه أن عمله مخالف لما أمر الله به « فيبدو لله منه ما لا يبدو للناس » (٢٧) ..

ولذلك يوصى ابن عربى أن نبدأ بأن نحسن الظن بالناس ، والا تخدع بالظواهر فنصدر أحكاما سريعة قد تكون مخطئة . حقا يجب أن نميل إلى أهل الخير ، وأن نتجنب أهل الشر « وقد ورد فى الحديث الثابت أن الجليس الصالح كصاحب المسك ، إن لم يصبك منه أصابك من ريحه ، والجليس السوء كصاحب الكير ، ان لم يصبك من شرره أصابك من دخانه » فمن صاحب أهل الريب كان جديرا بأن يرتاب الناس فى أمره ، وذلك بسبب غلبة سوء الظن بالناس . ومع هذا فان ابن عربى يرى أن حسن الظن بالناس أفضل من سوء الظن بهم،فهو يقول « ان هناك فائدة انبهك عليها ، أغفلها الناس ، وهى تدعو الى حسن الظن بالناس ليكون محلك طاهرا من السوء . وذلك انك إذا رأيت من يعاشر الأشرار ، وهو خير عندك ، فلا تسىء الظن به لصحبته الأشرار ، بل حسّن الظن بالأشرار لصحبتهم ذلك الخيّر ، **واجعل المناسبة فى الخير لا فى الشر** . فان الله ما سأل أحدا قط يوم القيامة عن حسن الظن بالخلق ، ويسأل عن سوء الظن بالخلق ، ويكفيك هذا نصحا إن قبلت » (٢٨) ..

د ـــ الرحمة الشاملة :

ولما كان محيى الدين بن عربى يجعل المناسبة فى الخير لا فى الشر ، فقد حدد لنا موقفه فى مسألة هامة أخرى ، وهى مسألة الوعد والوعيد التى تعد أحد الأصول الخمسة فى مذهب المعتزلة ، وهى التى ترتبط بوجوب اثابة الصالحين وعقاب العاصين . فالوعد خاص بأفعال الخير ، والوعيد يتصل بأفعال الشر . أما فيما يتصل بالوعد فمما لا ريب فيه أن وعد الله حق . وأما فيما يتصل بالوعيد فقد اختلفت آراء علماء الاسلام فى ذلك من أشاعرة ومعتزلة(٢٩) . وليس لنا أن ندخل هنا فى تفصيل هذا الخلاف فان ذلك أمر يطول الحديث فيه . أما فيما يخص ابن عربى فهو يحذر من أن نخلف الوعد ، وأن نصح بأن نخلف الوعيد بالشر ، على الا نسميه خلفا للوعيد بل تجاوزا وعفوا ، والعفو خير . فقد وعد الله العافين من الناس بأن أجرهم على الله . ولقد ذهبت المعتزلة بصفة خاصة الى أن أوجبوا على الله الا يخلف وعيده بالعقاب . وهذا هو ما يأخذه عليهم ابن عربى ، فيرى أن « هذه شبهة المعتزلة ، وغاب عنها قوله تعالى : « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه » . فقد تواطأ العرب على أن التجاوز عن الوعيد أو الوعد بالشر يعد من مكارم الاخلاق فعاملهم الحق بما تواطأوا عليه ، فزلت هنا المعتزلة زلة عظيمة . أوقعها فى

ذلك استحالة الكذب على الله تعالى فى خبره . وما علمت ان مثل هذا لا يسمى كذبا فى العرف (أو اللغة) الذى نزل به الشرع .. وهذا من قصور بعض العقول ووقوفها فى كل موطن مع ادلتها (العقلية) ولا ينبغى لهـا ذلك » . فعليها أن تحاول فهم مقصد الشرع وأن تعرف طبيعة من يخاطبهم وبأى لسان يخاطبهم . ذلك أن العرب لا تعد خلف الوعيد كذبا بل تراه من كرم الاخلاق . فان بعض الأعراب يحدثنا عن كريم خلقه فيقول :

وإنى اذا أوعـدته أو وعـدته لمخلف ايعـادى ومنجز موعـدى

وعندئذ فاذا رحم الله العصاة الذين أوعدهم بالخلود فى النار فلا ينبغى ان يوصف الله بأنه قد أخلف فى وعيـده « بل ينبغى أن يقال إنه يعفو ويتجـاوز عن عبده »(٣٠) . اذن من الجائز ، فى نظر ابن عربى ، أن تعم الرحمة جميع الخلق بما فيهم أهل النار . وهو يعلل فكرة هذه الرحمة الشاملة بأنها تتسق تماما مع فكرته عن الوجود . ذلك لأن الوجود رحمة مطلقة فى الكون . والعذاب شىء يعرض لأمور تطرأ أو تعرض « فهو عارض لعارض ، والعوارض لا تتصف بالدوام .. فلهذا يضعف القول بتسرمد (تأبيد) العذاب ، فان الرحمة شملت آدم بجملته ، وكان حاملا لكل بنيه بالقوة فعمت الرحمة الجميع .. والله عند حسن ظن عبده به »(٣١) .

ويلاحظ أن هذا الرأى يبدو متعارضا مع ما جاء فى القرآن من خلود بعض المعذبين فى النار ابدا ، كما تتعارض فكرة نجاة أبناء آدم جميعهم ، بسبب عفو الله عن آدم ، مع مبدأ المسئولية الفردية الذى قرره الاسلام . لكن ابن عربى يحتج لرأيه هذا بنصوص دينية أخرى جاءت فى القرآن وفى الحديث . فقد علمنا أن رحمة الله قد سبقت غضبه . فاذا انتهى غضبه عاد الحكم للرحمة فى رأيه . كذلك نجده يقول إنه « ما ثم نص .. لا يتطرق اليه احتمال فى تسرمد العـذاب . .. فلم يبق الا الجواز وأنه رحمن الدنيا ورحمن الآخرة » فأهل العذاب سوف ينتهى أمرهم بأن يستعذبوا عذابهم كما يلتذ الاجرب بحك جلده .. ولا يبقى عليهم من العذاب الا الخوف من رجوع العذاب . فهذا القدر من العذاب الذى يسرمد عليهم ، وهو الخوف . وهو عقاب نفسى لا حسى . وقد يذهلون عنه فى أوقات . فنعيمهم الراحة من العذاب الحسى . فأهل النار حظهم من النعيم عدم وقوع العذاب ، وحظهم من العذاب توقعه » .

ولما أراد تفسير النصوص التى وردت بخلود أهل النار فيها الى الأبد ، قال : إنه ليس هناك نص صريح بأن أهل النار الذين لا يخرجون منها يبقون دائما فيها من أجل العذاب . وإذا كان حكم العذاب قد ارتفع عن أهل الجنـة فمن الجائز أن يرتفع عن أهل النار مع بقائهم فيها . فقد قال تعـالى : « وما هـم بخارجين من النار »لكنه قال أيضا أن رحمته سبقت غضبـه . غير اننا نجـده يقول فى مواطن أخرى (٣٢) أن مآل الاشقياء الى الراحة من النار وأنه لا يبقى فى جهنم سوى خزنتها .

وأخيرا يحتج ابن عربى لرأيه القائل بأن الرحمة ستعم الجميع بأن الله واسع العطاء ، وأنه قد بسط رحمته فوسعت كل شىء ، بمعنى أنه يرحم بها كل شىء ، ويزيل بها غضبه عن عباده « فانظر فهنـا سر عجيب فى قوله : «ورحمتى وسعت كل شىء» ، وقوله : «كل شىء هالك الا وجهه له الحكم» بانزال

شيء منزلته وجعله في مرتبته . . وقد قال عن نفسه ان بيده الخير ، وقال صلى الله عليه وسلم : « والخير كله بيديك والشر ليس اليك » (٣٣) كذلك يحتج لهذا الرأى الذي نعترف أنه قد يخدش شعور كثير من النـــــاس ، بأن مغفرة الله للمسيء من عباده هي امتنان من الله عليه . واذا كان عفو الانسان عن أخيه الذي أساء اليه ضربا من الكرم الـــذي وعد الله صاحبـــه بالاجر عليه ، فكيـــف يحجر المرء على ربه أن يعفو عن عباده المخطئين « فما نهى الله عباده عن شيء الا كان منه أبعد ، وما أمرهم بكريم خلق الا كان الحق به أحق » (٣٤) .

---

(١) فتوحـــات ١٨٧/٢ . (٢) فتوحـــات ٦٨٧/٢ — ٦٨٨ .

(٣) انظر كتابنا دراسات في الفلسفة الاسلامية — دار المعارف ط ٣ سنة ١٩٧٠ صفحات ٦٧ ، ٦٨ ، ١٧٠ — ١٧٢ ..

(٤) فتوحـــات ٤١٠/٤ .. (٥) فتوحـــات ٤٦٣/٤ ..

(٦) فتوحـــات ٤٠٩/٤ .. (٧) فتوحـــات ٤٥٩/٣ ..

(٨) فتوحـــات ٤١٣/٣ .

(٩) الفتوحـــات الباب ٦٠٥ : لكن ليس معنى ذلك انهم يخادعون الله ؟ وفي ذلك يقول ابن عربي « فما يخادع الله الا جاهل بالله غاية الجهل ، او عارف بالله غاية المعرفة التى لا يمكن أن يكون للمحدث اتم فيها . .» ثم يقول : ان الله وقد وصف نفسه بالمكر والاستدراج « ولذلك يتصف به أهل الله فيخادعون وينخدعون » .

(١٠) فتوحـــات ٣٠٤/٤ يعبر ليبنتس عن ذلك بان حكمة ايجاد افضل عالم ممكن اقتضت أن يوجد السعداء والاشقياء ..

(١١) فتوحـــات ٢٠٥/٤ . (١٢) الفتوحـــات الباب ٤١٣ ..

(١٣) فتوحـــات ٤٤٧/٤ .. (١٤) فتوحـــات ١٨٢/٣ .

(١٥) فتوحـــات ٢٦٣/٢ . ويشبه افلاطون النفس الغضبيـــة بالجواد المطيـــع ، والنفس الحيوانية بالجواد العصى — انظر اسطورة العربة في كتابنا في النفس والعقل لفلاسفة الاغريق والاسلام ط ٤ مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٠ .

(١٦) فتوحـــات ١٨٢/٢ .. (١٧) فتوحـــات ٣٨١/٣ ..

(١٨) المرجع السابق ونفس الصفحة . (١٩) فتوحـــات ١٦٨/١ ..

(٢٠) نفس المرجع ونفس الصفحة ..

(٢١) لم يفطن ليبنتس الى هذه التفرقة الدقيقة ..

(٢٢) فتوحـــات ٢٤٥/٤ .. (٢٣) فتوحـــات ٢٤٣/٤ ..

(٢٤) فتوحـــات ٥٦٤/٣ .. (٢٥) فتوحـــات ٢٠٧/٣ ..

(٢٦) فتوحـــات ٢٣٠/٣ .. (٢٧) فتوحـــات ٦٩/٤ — ٧٠ ..

(٢٨) فتوحـــات ٤٦٢/٤ ..

(٢٩) انظر كتابنا « مناهج الادلة ومقدمة في نقد مدارس علم الكلام » الطبعة الثالثة — الانجلو المصريـــة ١٩٦٩ ..

(٣٠) فتوحـــات ٤٦٧/٤ .. (٣١) فتوحـــات ٦٥٦/١ ..

(٣٢) انظر مقالنا في مجلة الاقلام : اخلاق ابن عربي من كتاباته ..

(٣٣) فتوحـــات ٣٢٤/٤ .. (٣٤) فتوحـــات ٣٢٢/٣ ..

---

* الوعي : العدل الالهي يقتضى اثابة المحسن ومعاقبة المسيء ، والنصوص القرآنية تؤكد خلود الكافرين في النار .



ملاحظة في التقليد الحضاري

د. عماد الدين خليل

يبدو واضحا أن أبناء الحضارة المهزومة يتبعون في نشاطهم الثقافي والعلمي تقليدا غير ذلك الذي يتبعه أبناء الحضارة الاصيلة المبدعة .. تقليداً ، لا يعود في جذوره الى المعطيات التجريبية والثقافية فحسب ، بل الى التجارب النفسية والاجتماعية والى مقدار الثقة والاعتزاز أو الشك ومركب النقص الذي يتميز بـه أبناء حضارة من الحضارات . وتبدو (نظريـة) دارون في (النشوء والارتقاء) خير مثال نضربه في هذا المجال . فبينما نجد أبناء الغرب من أنصار وتلامذة دارون أنفسهم يسعون للحصول على المزيد من اليقين العلمي ، والمزيد من (التطوير) و (الملاءمة) بين النظرية وبين الحقائق الجديدة التي تتمخض باستمرار .. ويعرض عنه الكثيرون ، وهم معتزون واثقون بوجهات نظرهم المخالفة ــ بشكل من الاشكال ــ للاصول الاولى .. نجد أبناء الشرق يغمضون أعينهم المصابة بالرمد إزاء البريق الوهّاج الذي انبثق اول مرة عن نظرية دارون رغم اعتراف صاحبها بخطورة فجواتها ، وظنيتها .. ويقولون كالدراويش ، الذين يهتزون حمداً وتسبيحا عند كل عبارة ــ ان ما قاله (الاستاذ) هو الحق المطلق ، واننا يجب أن نطوّع كل أفكارنا وثقافتنا وتجاربنا ومعطياتنا

الثقافية وفق تلك النظرية .. وحتى (تفسيرنا) للقرآن الكريم يجب أن توجه (في الطريق التي تلتقي في النهـــاية بما طرحه داروين !!

صحيح إنه لا توجد لدى الشرقيين الوسائل والظروف والقدرات التجريبية الكافية لاختبار صحة أو خطأ نظرية ما من نظريات (العلم) الغربي . وبالتالـــي فإننا لن نطلب منهم أبدا التصدي لفحصها ومعارضتها أو تأييدها (علميا) ، لأن جوابهم حينذاك معروف . ولكننا نريد فقط أن ننبههم الى ضرورة أن يكونوا أكثر (موضوعية) واخلاصا للنظرية ذاتها عن طريق ملاحظـــة وتتبـــع معطيات الغربيين أنفسهم — بما فيهم تلامذة ورفاق داروين — بصدد النظرية . وحينذاك سيعرفون أن ما كل نظرية تطرح هناك تغدو قانونا معمولا به ، أو قضية مسلّمة لا تقبل مناقشة ولا جدالا ، وانها لا بد وان تجتاز مئات الامتحانات والاختبارات والفحوص ، ويسقط عنها عشرات التخمينات والاستنتاجات (الظنية) كي يؤخذ بها أمرا مسلّما .. وربما أدى ذلك كله بالنظرية الى أن تتجـــه وفق مسارات معاكسة تماما للمنطلقات الاولى !! نريد منهم — فقط — الا يكونوا — كما يقول المثل — ملكيين أكثر من الملك !!

إن الفرق الاساسي بين أبناء حضارة حية متطورة مبدعة وبين اناس لا يملكون حضارة ، أو يحيون تقاليد حضارة في طريقها الى السقوط ، هو أن هؤلاء الاخيرين يأخذون بمبدأ التسليم المطلق بكل ما يطرحه العلم أو الثقافة ، دون أن يحاولوا فحص وتجريب مـــدى صحـــة أو خطأ هذه الطروح . أما الاولون فانهم لا يكفون ابدا عن الفحص والتساؤل والتجـــريب لأن جديتهم و (موضوعيتهم) تعلمهم حقيقة أن العلم لن يقف يوما عند عتبة سلم إلا ليتجاوزها الى عتبة أخرى ، وأن معطيات العلم كثيرا ما ينقض بعضها بعضا ، وينسخ بعضها بعضا . ومن ثم فان (الركود) عند درجة في السلم تعني أن (المحرك) الأساسي للصعود قد توقف ولن يكون بعد ذلك تطور أو تقدم بمفهومهما الصحيح العميـــق .. وهي ظاهرة سالبة ما مارستها حضارة من الحضارات الا وكان ذلك يعني انها فـــي طريقها الى نهايتها المحتمة ..

في مسرحية برنرد شو (أكثر صدقا من أن يكون صادقـــا) يقول أحد الأبطال : « أجل يا سيدي ، كون إسحق نيوتن .. قد تهاوى .. أمـــام نقـــد آينشتاين ، وقد كان كون نيوتن دعامة التصميم الذهني .. وكان في الوسع حساب كل شيء .. وكان كل شيء يحدث لانه يجب أن يحدث .. والآن ، الآن ماذا يبقى ؟ كل شيء هو وهم .. العالم الذي كان حسابه ممكنا صار صعبا على الحاسبين » . وفي بحث (العقل في منتهى حدود الاحتمال) لـــ (هـ . ج . ولز) ترد هذه العبارات « لقد جدّت على الحياة غرابة مفزعة . ان الحـــوادث التي حدثت حتى الآن تتميز بنوع من المعقولية والمنطقية ، تماما كما يضبط قانـــون الجاذبية الأجرام السماوية . أما الآن فيلوح أن ذلك التسلسل قد اختفى » !! (١)

ونحن هنا لن نطيل على القارىء بعرض مواقف الغربيين ، فلاسفة وعلماء ، إزاء الداروينية ، ولكننا نمر ببعضها مسرعين ، من خلال كتاب (سقوط الحضارة) حيث التحليل الذكي لهذه المواقف .

يقول كولن ولسن ، مؤلف الكتاب المذكور « ان ما فعله توينبي هو انه أدلى بحقيقة رئيسية ضد المادية ، اذ لا يعتمد الافراد فقـــط على الطاقـــة الابداعية

المطورة . وانما تعتمد الحضارات ايضا على تلك الطاقة . وهذا مضاد للماركسية تماما ، لأن الماركسية تقول : ان الحضارات تتطور وفقا للضغوط الاقتصادية ، وليست هنالك ارادة حرة . اما توينبي فانه يقول : ان الحضـــارات تزدهر أو تتدهور وفقا للطاقة الاخلاقية التي تتميز بها (الاقلية المبدعة) . ولهـــذا فان عبارة (الطاقة الاخلاقية) تكون عديمة المعنى اذا لم توجد هنالك ارادة حرة .

« ويجدر بنا ان نلاحظ أن ثورة توينبي ضد المادية تتبع نفس الخطوط التي تتبعها ثورة لامارك ضد دارون . ولقد كان تطور دارون ماديا فقط ، فاذا كانت الزرافات موجودة اليوم برقابها الطويلة فذلك لأن الزرافات التي كانت قصيرة الرقاب انقرضت لأنها لم تكن تستطيع ان تبلغ الأشجار العالية ، في حين أن الزرافات طويلة الرقاب تكاثـــرت وصارت تنتج زرافات أخرى برقاب أطول .

« ويسمى دارون هذا : (بقاء الأصلح) أو (الاصطفاء العرضي) ، وهو يعني بذلك أن تعيين نوع الزرافات التي تعتبر اكثر صلاحا كان أمرا عرضيا . أما لامارك فقد قال : ان للزرافات رقابا طويلة لانها كانت تريد أن تكون لها تلـــك الرقاب (!!) وانه حين قل الطعام على الأغصان المنخفضة من الأشجار ، بدأت الزرافات تحاول أن تبلغ الأغصان العالية وبذلك تكون قد (ارادت) أن تكون لها تلك الرقاب الطويلة .

« ويتضح لأي عاقل (!!) أن فكرة لامارك اصح من فكـــرة دارون ، لأن الانسان يستطيع أن يقوى عضلاته ، أو أيـــة قابلية أخرى . اذا كان بقاؤه يعتمد على ذلك . ان الظروف الصعبة لا تقتل الانسان ــ الامر الذي أوضحـــه دارون حين قال ان ذلك هو ما حدث للزرافات قصيرة الرقاب ــ وانما تمثل تلـــك الظروف تحديا يستجيب لـــه المرء ، وهذا هو التطور اللاماركي » (٢) .

اما برنارد شو فانه يقول ،في مقدمة مسرحيته (العودة الى ميتوشالح) . . « ان دارون اراد أن يجعل الحياة مجرد ميكانيكية حياتية . وان لامارك كان قد جاء بنظرية اقوى عن التطور قبل دارون . وقال لامارك ان الاجناس تتطور لانها تريد أن تتطور ، أما دارون فانه يقول انها تتطور اتوماتيكيا نظرا لتغيير ظروفها » . . ويقول في نفس المقدمة : « . . . لم يكن الناس قادرين على أن يفهموا . . لماذا كنت أخشى الدارونية الجديدة (٣) ، واعتبرها حماقة مفزعة ، وأهاجم دعاتها بعنف وحدة » . ثم يتحدث عن النتائج المفزعة التي تمخضت عنها المادية الدارونية في السياسة ــ وهو هنا يشير الى حرب ١٩١٤ ــ ويقـــول مثل توينبي ، أن الحضارات تسقط في اللحظـــة التي تكون فيها قوة الانسان اشد من قوة الدين « اي امل هناك اذن في أن تسير الانسانيـــة الى الافضل ؟ اذا كان الدارونيون الجدد والميكانيكيون لا يعتقدون أن هنالك شيئا من الامل ، لان التطور لا يحدث الا بصورة عرضية لا تدبير فيها ولا حكمة . .؟

بيد أن هذه العقيدة الشقية لا تثبط عزائم أولئك الذين يؤمنون بأن الدافع الذي ينجم عن التطور هو خلاق . وقد لاحظوا حقيقة شديدة البساطة ، وهي أن الارادة التي تصر على شيء تفعلهفي النهاية ، وهي تستطيع في لحظات معينة من التركيز الذي تبلغه لايمانها بالحاجة اليه ، أن تخلق وتنظم كيانا جديدا ، ولهذا فهؤلاء لا يعتبرون الجنس البشري لعبة لا ارادة لها » . وقد اشار وايزمان عالم الاحياء البارع الذي هبطت بـــه الدارونية الجديدة الى مستوى الحماقة ، الى أن الموت ليس حالة أبدية في الحياة وانما هو حادث عرضي يفيد للتجديد الدائم ، ولتجنب ازدحام الارض !! (٤) .

ويوضح برناردشو بعض الأمور بوضوح وتأكيد شديدين : كأهمية المسألة الدينية المتمثلة في النظام ، في الضبط الذاتي : « لما لم يكن في الداروينية مجال للارادة الحرة ، أو أيـــة ارادة أخرى ، فان الداروينية الجديدة تعتقد بأنه ليس هنالك ما يدعى الضبط الذاتي . ومع ذلك فان الضبط الذاتي هو الميزة الوحيـــدة لقيمة البقاء التي نجد ان اختيار الظروف يجب دائما أن يؤدي اليها في المـــدى البعيد . وقد يتم اختيار صفات غير منضبطـــة لتبقى وتتطور لفترات معينة في ظروف معينة . اذ لما كان النهمون هم الذين يكافحون أشد الكفاح من أجل الطعام والشراب ، فان جهودهم تطور قوتهم وبراعتهم في فترة قصيرة جدا ، بحيث ان أقصى ما في وسعهم أن يفعلوه لا يمكنهم من ان يأكلوا أكثر مما يستطيعون . ولكن أي تغيير في الظروف يأتيهم بمقدار كبير من الطعام يدمرهم . ونحن نرى هذا الأمر يحدث دائمـــا . اذ نرى فقيرا قـــويا صحيح البنية يصبح مليونير بالصدفة التي غالبا ما تحدث في التنافس التجاري . وسرعان ما يبدأ بحفر قبره بأسنانه . أما الانسان المنضبط ذاتيا فهو يظل على قيد الحياة في تغيرات الظروف لأنه يعد نفسه لها ، فلا يأكل أكثر من قابليته ولا أقل منها ، وانما يأكل بالقدر الذي ينفعه . فما هو الضبط الذاتي ؟ انه لا شيء سوى الحيوية المتطورة ، المتحكمة في الشهوات العادية والمنظمة لها . فاذا أغفلنا وجود هذا المفهوم السامـــي ، واذا فشلنا في فهم البدهية الواضحة من ان النوع هو الذي يميز من يستحق البقاء ، كما تفعل المادية الداروينية الجديدة باسم الاصطفاء الطبيعي ، فان هـــذا ليدل على حاجة علماء هذه الفكرة الى فهم موضوعهم نفسه ، كما انه يـــدل على عدم ملاحظتهم للقوى التي يتم بموجبها الاصطفاء الطبيعي » !! (٥) .



ان توينبي أو كولن ولسون أو برنارد شو أو أيا مـــن المفكرين الغربيين الذين تناولوا نظرية داروين بالنقد والتمحيص ، لو كان يعلم — يقينا — أن ما جاء به داروين هو الحق المطلق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفـــه ، لكان من السخف أن يتعرض لمناقشة (يقين) كهذا بعبارات تخمينية كهذه (أرى . . يرى . . ضرورة فهم موضوعهم نفسه . . يدل على عدم ملاحظتهم . . هبطت بـــه الى مستوى الحماقة . . جاء لامارك بنظرية أقوى . . ويتضح لأي عاقل . . الخ) ، لكنه يعلم — قطعا — أن رغبتـــه يبنى الاجزاء الكبرى مـــن نظريته على الظن والتخمين والترجيح كذلك !! فهي — من هذه الناحية — أشبه بنظرية فلســـفية يحق لكل باحث في حقول الفلسفة ان يأخذ منها ما يراه حقا ويدع ما يراه باطلا متهافتا ، ونحن رأينا ناقديه أنفسهم يقعون في خطأ الظن بأن للزرافة ارادة ذاتية في تطوير رقبتها من أجل ان تصل الى غذائها المعلق على الغصون العالية !!

ان معطيات داروين لم تقم جميعا على مسلمات علمية منبثقة عن عينات حياتية توفرت لديه في جميع مراحل بحثه . . بل ان هذه العينات لم تخدمه سوى في مساحات ضئيلة من مسيرته التجريبية وملاحظاته الاستقرائية ، أما المساحات الأوسع فقد غطاها بالظن والترجيح والتخمين . . ولذا فليس من المستحيل على أولئك المفكرين الواثقين بأنفسهم أن يناقشوا داروين ويحاسبوه على تخميناته وان يأخذوا من نظريته ويدعوا حسبما يملي عليهم تفكيرهم ومتابعتهم العلمية ونتائج الأبحاث والحفريات والكشوف الجديدة التي لا تقف عند حد الا لتتجاوزه الى آفاق أخرى . .

اننا اذا سايرنا وجهـــة نظر داروين فى حدوث طفرات فى تطور بعض الانواع فاننا لا بد وأن نجد أنفسنا أمام هذا السؤال : لماذا لا تخطىء هــذه (الطفرات) يوما ــ كما أو نوعا ــ فتؤدى الى ظهور (نوع) أو (أنواع)تسبب دمار الحياة على الارض ؟ الا يعنى هــذا انه ــ حتى على فرض الايمان المطلق بالطفرة ــ فان هناك قوة عاقلة تشرف على توجيهها لصالح الحياة ؟ أو على الاقل تمنح الانسان العاقل قدرة وذكاء على التحدى والمجابهـــة ؟ واذا كانت (الطبيعة) تهيىء لكل مخلوق وسائله الخاصة لحمـــاية نوعه من الانقراض ، فهل هذا يعنى انها تملك البصيرة الناقدة التى تمنعها من أن يكــون للانسان منشار كمنشار التماسيح ، فضلا عن عقله ؟ الا يمكن أن تقع فى الخطــأ ــ يوما ــ وتمنحـــه وسيلة مادية (زائـــدة) للدفاع عن نفسه ؟ ألا يعنى هـــذا أن (الطبيعـــة)فى‌تقسيمها المنطقى لوسائل الحماية على المخلوقات ، تفكـــر وتعقل ؟!

ان الله سبحانـــه ، وهو القدير الخلاق ، شاء أن تكون الارض ــ وقد هيأها اساسا لتوالد الحياة ونموها وحمايتها ــ مسرحا لعرض قدراته الخلاقة فى تشكيلة من المخلوقات البسيطـــة أو المعقدة ، ذات الاشـــكال والتراكيب المعجزة . . ونحن أمام فرضين لا يصطدم أى منهما بأى من الحقائق الدينية عامة والقرآنية على وجه الخصوص ، بل العكس يسايرها ويوضحها . . أحدهما خلق مباشر (مستقل) لحشد هائل من المخلوقات المتمايـــزة ، وهو لن يعجز الله سبحانه وهو الذى خلق الكون فى ستة أيام ، وأتاح للارض امكانية الحياة فوقها بشكل معجز خارق من بين ملايين السدم والنجوم .

وأما الاحتمال الآخر فهو اتاحة المجال للطبيعة والأسباب والسنن أن تعمل عملها ــ على مدى الأزمان الطويلة ــ فى تطوير الحياة على الارض ، فيما سماه دارون (الانتخاب الطبيعى) ، وذلك بتطوير المخلوقات (الحية) والتدرج بها من شكل الى شكل فى مواجهـــة تحديات البيئة . . وهو أمر يحدث ليس فقط على نطاق الحياة وانما على نطاق (التطورات الجيولوجية ، المناخية ، الكونية بصورة عامة حيث الاتساع المستمر كما يؤكد القرآن الكريم) . . الا أن تلـــك السنن والنواميس التى (تضبط) هذا التطور و (توجهه) لا يمكن بحال أن توجد من العدم لكى تمارس مهمتها العاقلة الدقيقة المعجزة هذه !!

ان قدرة الله سبحانه على‌خلق‌أنواع شتى من الموجودات بهذا التنوع ، توحى بأن هناك تدرجا فى الخلق من الاشكال البسيطـــة الى الاشكال العليا ، ونحن لا نستطيع التسليم المطلق بهذه الفكرة ، الا اننا يجب أن نلاحظ بأن اللــــه سبحانه ما دام قد هيأ أرضية للحياة على سطح الارض بمواصفاتها وتركيبهـــا المعروف فلا بد اذن أن يكون هناك قاسم مشـــترك أعظم فى طبيعـــة التكوين البيولوجى لسائر المخلوقات الأمر الذى يمكن أن نلمسه فى تكوين (الخلية) . . وهذا القاسم المشترك انما هو الدليل الذى لا ريب فيه على أن وحدة الخلق من وحدة الخالق . . ترى لو أن ظروفا ذات سمات ومواصفات أخرى للحياة قد هيأها الله سبحانه على سطح كوكب آخر ، الا ينتج عن هذا تكوين بيولوجـــى لمخلوقاتـــه يختلف ــ بشكل من الاشكال ــ عما فى الارض لكى يكون ملائما لظروف ذلك الكوكب ؟ . . من الذى يحدث هذه المواءمة الحيوية بين المخلوقات

جميعا وبين الأرضية التى تتحرك عليها وتحيا فوقها ؟ من الذى هيأ للأحياء جميعا — على سبيل المثال — قدرة حيوية على امتصاص الاكسجين أو الكاربون وتمثله ؟ الا يدفعنا هذا الى تخمين معـاكس لفرضية داروين وهو أن تشابـه الاوليات الحياتية لفصائل المخلوقات لم يجيء لانها تطورت عن بعضها وانما لانها بخلقها (المستقل) تشترك جميعا بتعامل واحد ازاء ظروف حياتية واحدة تفرض على الكائنات الارضية جميعا أن تأكل وتشرب وتتنفس وتنام ؟!!

و (مندل) ، عالم الحياة المشهور ، الا يقرر أن كل نوع — على الاقل فى الفترات الاخيرة من تاريخ الحياة وهى الفترات التى تخضع للفحص والتجريب وليس للظن والتخمين — يحتفظ بخصائصه ومميزاته الوراثية التى تحمى نفسها وفق قوانين غاية فى الدقة والاعجاز ؟؟ الا يتعارض فى هذا مع نظرية داروين التى تلغى الصفات والميزات ؟ ان فصائل القرود العليا وقفت — فيما يبدو — عند مرحلة من الادراك والقدرة على الابداع والتنفيذ لا يمكن مقارنتها — بأى حال — بمدركات الانسان (وهذا الفرق الاساسى هو ما أكد عليه هكسلى احد رواد نظرية النشوء والارتقاء) .. ولقد اثبت علم النفس أنه عن طريق (تجربة الخطأ والصواب) يمكن تعليم ، حتى القطط والكلاب ، على العـديد من الحـركات والمهارات التى تمارسها فصائل القرود .



لقد عجز داروين تماما عن تحديد مصدر الحياة الأولى على الأرض .. وقال — يوما — متحدثا عن مشاهداته لتركيب العين المعجز « كلما تذكرت مشاهدتى لتركيب العين هزتنى قشعريرة .. أنا لا اعتقد انه ليس هناك اله » !! .. وأعلن هكسلى بعده ، عن ضرورة اجراء تعديلات جوهرية على صلب النظرية .. وأما الفلاسفة والمفكرون الأوروبيون أمثال توينبى وبرناردشو فقد أبدوا تشككهم ازاء الكثير من تخمينات الداروينية ، خصوصا تلك التى تنفى حريـة الانسان وارادته الذاتية فى تطوير امكانياته على نطاق الحياة الخاصة والحضارات ..

أما نحن فهل سنظل اسرى حضارتنا الضائعة ، وقيمنا المشوهة ، ونغدو ملكيين أكثر من الملك ؟!




الأسرة الإنسانية

بين عوامل البناء ومعاول الفناء

للشيخ سعد المرصفى

● الانسان جسم وروح ، قلب وعقل ، عواطف وجوارح ، لا يسعد ولا يفلح ، ولا يرقى رقيا متزنا الا بعد أن يدرك كنه ذاته ، ويتعرف حقيقة نفسه ، ويتبين معالم الحياة الانسانية السعيدة التى لا تدرك الا فى ظل الموازنة بين متطلبات الجسد ومقتضيات الروح . وهذه الموازنة لا ولن توجد الا فى رحاب الدين الحنيف .

● ولطالما عانت الانسانية — فى القديم وفى الحديث على سواء — من المادية الطاغية ، التى مالت بالانسان عن تلك الموازنة ، فشقى الناس نتيجة البعد عن وحى السماء .

● [illegible]

● ومع أنها أفكار مادية أرضية ، فقد انتشرت بين الناس بتلك السرعة العجيبة . ودقت عليهم أبواب العقول بطريقة مثيرة حقا . تحمل فى طياتها غطرسة الانسان وكبرياءه .

● ولذا تعيش الانسانية — رغم تقدمها العلمى — بقلوب معلقة . ونفوس مضطربة ، لا أمن ، لا سلام ، لا هدوء . حروب هنا وحروب هناك . وقلق هنا وقلق هناك . لا فرق بين منطقة وأخرى . فالعالم كله يعيش المأساة . ويصطلى بنارها . رغم أنه وقع فى حربين عالميتين فى فترة وجيزة ، أزهقت فيها الأرواح ، وسفكت الدماء .

● [illegible]

جميع البلاد انهم سيحيون حياتهم فى أمن من الخوف والحاجة . ثم وقع ممثلو الدول المجتمعة فى واشنطن فى اليوم الاول من شهر يناير سنة ١٩٤٢م وسجلوا فيه تضامنهم للدفاع عن حقوق الانسان . وجاء فى الديباجة :

« نحن شعوب الامم المتحدة قد آلينا على أنفسنا أن ننقذ الاجيال المقبلة من ويلات الحروب التى فى خلال جيل واحد جلبت على الانسانية مرتين أحزانا يعجز عنها الوصف . وأن نؤكد من جديد ايماننا بالحقوق الاساسية للانسان ، وبكرامة الانسان وقدره ، وبما للرجال والنساء والامم كبيرها وصغيرها من حقوق متساوية . وأن نهيء الاحوال التى يمكن فى ظلالها تحقيق العدالة واحترام الالتزامات الناشئة عن المعاهدات » .. الى آخر ما ورد فى ديباجة ميثاق الامم المتحدة ...

● وبعد فترة وجيزة . طرد عرب فلسطين من وطنهم . وسرقت أملاكهم . واخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله . واحتلت اسرائيل أرض فلسطين بمساعدة ومشاركة الذين أبرموا هذا الميثاق .

وهنا نتساءل : ما الدافع لكل ذلك ؟!!!

وللاجابة على هذا السؤال لا بد لنا من أن نضع أيدينا على حقيقة الصهيونية أولا ، ثم على الاسباب التى دفعت هؤلاء الى هذا الموقف المخزى .

١ ــ خطر الصهيونية

يدرك العالم كله خطر الصهيونية . واليك ، على سبيل المثال ، ما قاله الرئيس الامريكى « فرانكلين » لشعب الولايات المتحدة :

أيها السادة : هنالك خطر عظيم يهدد الولايات الامريكية وذلك الخطر هو « اليهود » .

أيها السادة : حيثما استقر اليهود نجدهم يوهنون من عزيمة الشعب . ويزعزعون الخلق التجارى الشريف . انهم لا يندمجون بالشعب . لقد أقاموا حكومة داخل الحكومة . وحينما يجدون معارضة من أحد فانهم يعملون على خنق الامة ماليا كما حدث للبرتغال واسبانيا ... واذا لم يمنع اليهود من الهجرة بموجب الدستور ففى أقل من مائة سنة يتدفقون على هذه البلاد بأعداد ضخمة تجعلهم يحكموننا . ويدمروننا . ويغيرون شكل الحكومة التى ضحينا وبذلنا لاقامتها دماءنا وحياتنا واموالنا وحريتنا .. اذا لم يستثن اليهود من الهجرة الى الولايات المتحدة فانه لن يمضى أكثر من مائتى سنة ليصبح أبناؤنا عمالا فى الحقول الى الابد . فسوف يلعنكم أبناؤكم وأحفادكم فى قبوركم ... أن عقليتهم تختلف عنا حتى لو عاشوا بيننا عشرة أجيال . كما أن النمر لا يستطيع تغيير لونه ، فاليهود خطر على البلاد واذا دخلوها! فسوف يخربونها ويفسدونها » .

وكان هذا الخطاب بمناسبة الاحتفال بعيد الدستور فى سنة ١٧٨٩ م .

واليهود فى أمريكا يمثلون ٣٪ فقط من تعداد السكان . وهذه النسبة الضئيلة تتحكم فى ٣٠٪ من اقتصاد أمريكا ونفوذهم وتأثيرهم يمسك بعقل أمريكا . ويسيطر على جوانب الحياة الامريكية . وسر هذا كما يقول المفكر الاسلامى وحيد الدين خان انهم ادركوا أنه توجد امكانات عديدة تؤثر على جميع نواحى الحياة مثل التجارة والاعلام . ولذا تجدهم يملكون وكالات صحفية ، ومؤسسات كبرى . فى الوقت الذى تجدهم يهتمون الاهتمام البالغ بتنشئة الاجيال

اليهودية الجديدة فى كل مجـالات التخصص العصرى لدرجـة أن الامريكـى اذا أراد باحثا ممتازا أو مـديرا ممتازا فليس أمامـه الا اليهودى . وبذلك سيطر اليهود على جميع مجـالات الحياة حتى داخـل أمريكا . والآن هم يحاولون زيـادة عددهم عن طريق التبشير . مع انهم قوم ماجنون عابثون حتى بالمقدسات التى يدينون بها .

ازمة الضمير الصهيونى :

واليك هذه الصورة التى تبين لك أزمة الضمير الصهيونى ، نقلها الينا المرحوم الاستاذ الدكتور منصور رجب فى محاضراته فى فلسفة الاخلاق فى كلية أصول الدين . قال رحمه اللـه تعالى :ـ

ومن غريب ما رأيت فى أزمـة الضـمير أن بعض النـاس يوجههم ضميرهم السىء توجيهـا أقسى ما يمكن أن يكون فظاعة وغلظة . وليس وجه الغرابة فى شدته أو فى خطئه . ولا فى فظاعته وغلظته . وانما وجه الغرابة فى أن يوجههم ضميرهم هذا التوجيه الوحشى على انه دين .

« فى مكتبة سماحة السيد الحاج أمين الحسينى فى مصر الجديدة ، اطلعت على كتـاب « صراخ البرىء فى بوق الحرية والذبائح التلمودية » بقلم حبيب أفندى فارس .

فيه أن من فروض اليهود الدينية أن يعجنوا فطير الفصح بـدم البشر « غير يهودى » وهذا الفطير لا يعطى منه عادة الا للاتقياء من اليهود ..!!

والكتاب يروى حكايات كثيرة عن هذه الذبائح ...!!!

منها ذبيحـة اعتـرف فيها احد الذابحين بعد أن أمن على أن يكون « شاهد ملك » . وكان استجـواب الذابح يوم الجمعة ٢٥ فبراير سنة ١٨٤٠ بحضرة صاحب الدولة « شريف باشا » وقنصل دولة فرنسا ...

وهنا ننقل لك بعض فقرات من هذا المحضر ص ١٥٧ .

س : لماذا قتلتم ؟

ج : لقد قتلناه لاجل الحصول على دمه ، وبعـد أن وضعنا الـدم فى « قنانى » أرسلناه الى .... وكنا نصنع ذلك اعتقادا بأن الدم ضرورى لاتمام فروض دياناتنا ...

وفى ص ١٦٤ كان السؤال الآتى :

س : قلت بأنهم أخذوا الدم لاجل الفطير ، مع أن الـدم عند اليهودى محرم نجس ، فكيف هذا التناقض ، فسر لنا بوضوح ؟!!!

ج : بموجب التلمـود ، دمـان مقبولان . دم الفصح ، ودم الطهور . أهـ .

وقد سجلـت الذبائح التلموديـة الكثير من الصور التى اقترفت باسم الدين اليهودى .

وشاء اللـه سبحانـه أن ألمس بنفسى حقيقة الجبن والنذالة عنـد اليهود . ضرورة وجودى مع أحدهم ويدعى « أورى ليفن » وكان ذلك فى أوائـل الخمسينات فرأيت أزمـة الضمير . وفساد العقيدة . وكلاحة اليهودى شاهـدى عيان ... ولا استرسل مع الاحداث . فاليهـود طاعون خبيث أصـاب بعض أطراف جسد الامة الاسلاميـة . ولا سبيل الى اخراجه الا بانتفاضة قوية تعزله تماما عن مواطن الاصابة القاتلـة ، وتوقف شره ، وتقضى عليـه . فهم أصحاب باطل دائما ، والباطل يفور ثم يفور . والحق لا محالة منصور . ومثلهم دائما كما قال الله عز وجل « كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين » . ولذا تجد حزب الشيطان وجنده يقفـون بجانبهم . انظر الى العالم بمنظار الدين الحق تجد الذين لا يدينون بالاسلام قد [illegible]

كل منهم بدلوه فى فترة من الفترات ولاء لهــذا الشيطان ، وطمعا فــى القضاء على حزب الــرحمن . وهنا يجىء الحديث عن السبب الذى جعل هؤلاء يقفون هــذا الموقف المخزى . وهو العداء للحق بهــذه الصــورة المؤلمة .

٢ ــ العداء للحق واسبابه :

يشهد التاريخ قديما وحديثا علــى سواء بأن منشأ ذلك كله هو العصبية المادية التى لا تتسع للمعانى الروحية والحقد الاعمى على تلك الامة التى حملت مشعل الحضــارة واضاءت معالم الحياة ، وأرســت أصــول العدالة ، فكــانت صاحبة التــاريخ المشرق الــوضىء المضىء . ورفعت راية الاسلام عالية خفاقة فوق ربوع الدنيا كلها شرقا وغــربا وشــمالا وجنوبــا . لهذا كان العــداء بهذه الصورة . وكان الراى أن تنشأ اسرائيل انشاء فى جسد الامة التى كان يهابها العالم كله . لانها صانعة النصر . وحاملة لواء الحق . ورافعة رايــة الانسانية .

وقبل ذلك بفترة من الزمن كــان مؤتمر التقسيم الــذى قسم وجزأ اعضاء هذا الجسد القوى . ثم كان الاعداد لانشاء اسرائيل فى مؤتمرات بال فى سويسرا عام ١٨٩٧ .

وفى هذا الجو العالمى الذى تهيأت اسبابه من كل الوجوه ، حتى مــن ناحية المسلمين انفسهم ، كان التنفيذ على مراحل . وفى هذا يقول هرتزل الصهيونى فى كتابــه « الدولــة اليهودية » لو طلبت الــى تلخيص اعمال مؤتمر « بال » فانى اقول ، بل انادى على رءوس الاشهاد : انــى اسست اليهودية . وقد يثير هــذا القول عاصفة مــن الضحــك هنا وهناك . ولكن العالم بعــد خمسة اعوام . او بعد خمسين عاما سيرى من غير شك قيام الدولة اليهوديــة حسبما تمليه ارادة اليهود بأن تنشأ لهم دولة » ثم كان وعد بلفور . وبعده قرار التقسيم عام ١٩٤٧ . ثم كانت الاحداث التى تعيشها الامة كلهــا . وهى حاضر لا يغيب عن الاذهان .

٣ ــ الصراع بين الحق والباطل :

والآن ، وبعد أن وضح الصراع بهذه الصورة بين الحــق والباطل . وان اعداء الحق ارادوا تجزئة الامــة الواحدة وتقسيمها حتى يسهل القضاء عليها . ويتم لهم ما يريدون . علينا أن ندرك أن الوحدة دين . وأنها قوة وأن يد الله مع الجماعة . وأن نصر الله للمؤمنين وعد حق . « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » ، وأن ندرك أن العالم بين اتجاهين . **الاول** يميل الى السير فى طريق الغوايــة ، يقوده الشيطان الرجيم . يحاول جاهدا أن يقضى على اتباع الحق بكل الوسائل . وقضية فلســطين شاهــد عيان . **الثانى** يدعو الــى الالتزام بتعــاليم السماء . وما علــى الانسان الا أن يطرح ما طرأ من عــوج . وينبذ ما أدخل من تحريف . وأنى للانسان أن يميز وحده بين حق خالص . وحق خليط بزيف الذين حرفوا وبدلوا . كان اذن لا بد من الالتزام بكل ما جاء عن المعلم الصادق الامين . والعلم المكين المتين . أما المعلم الصادق الامين فهو حبيبنا محمد بن عبد الله صلوات الله وتسليماته عليه . وأما العلم المكين المتين فهو ما حواه القرآن الكريم من آيات وأحكام . وهذا هو السبيــل الوحيد الذى يجمع بين متطلبات الجسد ومقتضيات الروح فى الصورة المثلى . وهذا هو السبيل الوحيد الذى به يتحقق وعد الله بالنصر للمسلمين . والله لا يخلف الميعاد . « وعد الله الــذين

آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا » ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم . وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون . ويروى الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تقاتلون اليهود حتى يختبىء أحدهم وراء الحجر فيقول : يا عبد الله . هذا يهودى ورائى فاقتله » ومعنى ذلك أن الدائرة — لا محالة — دائرة عليهم . ولكن حين تتفتح القلوب على الايمان . ويجتمع المسلمون على مائدة القرآن . ويتأسون بالنبى محمد عليه السلام . رهبانا بالليل فرسانا بالنهار . ترى فى وجوههم نور الايمان . وفى نفوسهم طمأنينة اليقين .

٤ — محور القوة الغشوم وأزمة العالم :

وفى هذا المعترك المزدحم بالتيارات المتناقضة والاعاصير المهتاجة . ومحور القوة الغشوم (واشنطن — موسكو) والحضارة الزائفة . والمدنية الكاذبة . فقدت المبررات الروحية . وفقدت حتى تلك التى تسمى « المبررات الاجتماعية » و « المبررات الموضوعية » واذا أردنا معرفة حقيقة المبررات الموضوعية فاننا نذكر ما قاله المفكر الاسلامى مالك بن نبى فى محاضرة له بعنوان « دور المسلم » قال : « نذكر على سبيل المثال ما كان لهم من ثقة بكلمتى العلم والحضارة . فقد كانت هذه الثقة هى منطلق الافكار الاوروبية فى القرن التاسع عشر . وفى بداية القرن العشرين . خصوصا قبل الحرب العالمية الاولى ، والصلة بين هذين الجانبين واضحة . فحينما يفقد حياة ما أو مجتمع ما مبرراته لا بد أن يقوم بعمليات تعويض . يستبدل مبررات قديمة أو تقادمت . أو فقدت تأثيرها فى الحياة الاجتماعية كدوافع قوية للحياة الفكرية والعملية والعسكرية والاقتصادية . يعوضها بمبررات جديدة . فاذا لم تأت عملية التعويض كما ينتظر منها بالمبررات الجديدة ، فما يحدث عنده ؟ تحدث الازمة الخطيرة التى يعيشها العالم المتحضر اليوم . فالعالم المتحضر يبدو انه فشل فى عملية التعويض . سواء من الجانب الادبى كمحاولة الوجودية مثلا . أو من الجانب السياسى كمحاولة الرجوع لاصله الاوروبى بحثا عن منطلقات جديدة لافكاره ولنشاطاته الاقتصادية . فكأنما تقطعت انفاسه ولم تعد فى متداوله تلك الاشياء المتينة التى كان يرتكز عليها فى القرن الماضى وبداية هذا القرن . وعندها . فان من الطبيعى أن من لا يجد سندا فى مسيرته التاريخية أن يقع فى حيرة وتيه وقلق . وهذا ما يفسر لنا ما نراه اليوم من حيرة قائمة فعلا فى العقول والنفوس والارواح . فاذا ما اجتمعت هذه الاشياء فعلا فى نفس بشرية فعندها يمكن أن نتصور ما تولده من دوافع سلبية . فاذا ما فقد مجتمع ما مبرراته ولم يستطع تعويضها بالطرق المشروعة فى محاولات مبذولة ، عندها يعتريه القلق . ويعتريه التيه . وتعتريه الحيرة . فماذا يترتب على هذا من تصرفات ؟ يترتب عليها التصرفات التى نراها فى أوروبا وامريكا اليوم . يترتب على هذا مثلا : أن نجد البلد الذى حقق الضمانات الاجتماعية الى أقصى حد مثل السويد

يمير بشيء خطر . وهو أنه يتصدر رأس القائمة فى (احصائية الانتحار العالمية) فظاهرة الانتحار فى العالم يشكل فيها المكان الاول . البلد الاكثر تقدما نسبيا من حيث الضمانات الاجتماعية ... وهكذا . وهذا ان عنى شيئا فانما يعنى أن البطون اذا امتلأت لا تغنى النفوس ولا تشبعها. اذا شبعت البطون قد تبقى الارواح متعطشة . تبقى متعطلة . وحين لا تجد وجهة تتطلع اليها تفضل هذه الاستقالة من الحياة . هذا اذا ما يحدث ، وقد يحدث فى بلاد أخرى أكثر من هذا فى صورة ما . ويبدو أن هناك صور أخرى للاستقالة من الحياة . هى فى الحقيقة اشنع من الناحية الاخلاقية . ولا اقول من الناحية الدينية . فهى أشنع ، لان كل صور خيبة الامل تتجلى فيها مع شيء من العجز حتى عن القيام بهذه المحاولة لاعدام النفس . وذلك ان هذه المحاولة تتطلب شيئا من الشجاعة . ولأن الانسان فقد مروءته الى درجة الفشل حتى فى التخلص من الحياة بالطرق غير المشروعة . فانه يفر منها عن طريق الموبقات . عن طريق التدهور الاخلاقى ».. هذه ى الصورة التى نستطيع تقديمها فى طوط عريضة عن الحياة فى المجتمع المتحضر وعلى محور (واشنطن موسكو) .

• — الافلاس هو طريق البداية

ولعل الله سبحانه يريد شيئا من وراء هذا كله . كأنما هذا استدراج تسوق الاقدار فيه هذا العالم المتحضر الى طريق حيث تنتهى فيه أخطاؤه ويثبت فيه فشله . ليفسح المجال لتجربة أخرى جديدة عليه . لم يعرفها من قبل عمليا . ولكنها فى فطرته ووجدانه ، واحساسه

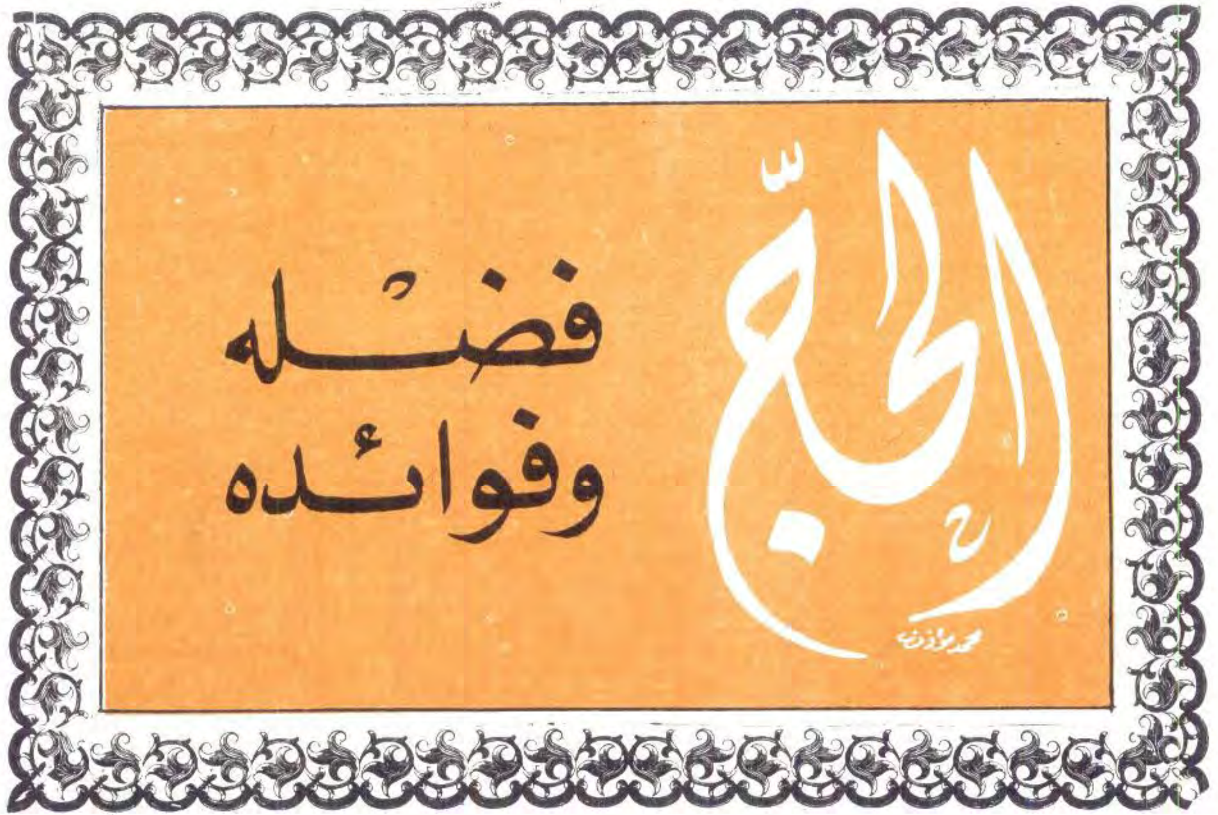
وشعوره . انها الحقيقة التى عرفها قبل أن يخلق هذا العالم كله . انها العهد بيننا وبين الله ربنا « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا : بلى . شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون . وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون) ، وانها الفطرة التى فطر الله الناس عليها « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

ولعل هذا الاستدراج الذى تسوق اليه الاقدار أشبه بالاستدراج الذى حدث بين الفرس والروم من قبل إبان بعثة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم . وهو ما عبرت عنه الآية الكريمة « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » وتلك الآية مكية . وكانت فى بدء الدعوة . وفى نقطة الصفر . وكانت الدعوة حينئذ فى مكة لا تتعداها . وماذا تصنع مكة — رغم أن المؤمنين كانوا قلة — إزاء العالم كله . بل إزاء المشركين فيها الذين لم يسلموا بعد .؟!!! ان الآية تتحدى بحيث لو كان أناس هذا القرن العشرين يعيشون تلك الظروف بعقلانيتهم الحالية . وطرق تفكيرهم الحديث وكفى لقالوا ان الآية تتحدى. انها تتحدى امبراطوريتين . بل وتتحدى حضارتين عميقتين كبيرتين . امبراطورية وحضارة الفرس من ناحية . وامبراطورية وحضارة بيزنطة والبحر المتوسط بمامته من ناحية أخرى . ولكن ماذا حدث ؟ حدث أن تهاوت الامبراطوريتان . وسقطت الحضارتان . وهيأ الله الاسباب لقيام دعوته وانتشار دينه . وهذا

واقع نعرفه جميعا . والآن . فان سير التاريخ البشرى يستدرج العالم الى فشل تحققت مقدماته . بل وتحقق الجزء الاكبر منه . ولكن فى يد من تكون عجلة القيادة حتى يقيم عوامل البناء بعد أن أصيبت الانسانية تلك الاصابات القاتلة بمعاول الفناء ؟

٦ ـ المؤمنون خلفاء الله فى ارضه

ولا مناص اذا ما أراد العالم لنفسه سعادة وهناءة الا أن تكون عجلة القيادة فى أيدى الذين يدينون بالدين الحق الذى ارتضاه الله سبحانه لعباده دينا . « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » « أن الدين عند الله الاسلام » « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » . وكانت هذه التسمية على لسان ابراهيم عليه السلام وأيدتها السماء . « وجاهدوا فى الارض جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس » . وهذا الدين انتظم كل الانبياء والمرسلين « فهذا نوح يقول « وأمرت أن أكون من المسلمين » وهذا دعاء ابراهيم واسماعيل عليهما السلام « ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك » وهذه وصية ابراهيم ويعقوب عليهما السلام « ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون » وهذا الوحى الى الحواريين « واذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون » وهذا هو ما دار بين عيسى عليه السلام والحواريين « فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأننا مسلمون » وهكذا انتظم الاسلام كل المرسلين فى رحابه . فليس بدعا اذن أن يكون المسلمون أولى بكل رسول من هؤلاء الذين ينتسبون زورا وبهتانا الى بعضهم وليس بدعا أيضا أن يكون المسلمون خلفاء الله فى ارضه . والحاملين للرسالة . والداعين الى الله . وعلينا أن نعتقد اعتقادا جازما يظهر اثره فى كل ما نقول ما يراه شاعر الاسلام محمد اقبال من أن المسلم لم يخلق ليندفع مع التيار . ويساير الركب البشرى حيث اتجه وسار . بل خلق ليوجه العالم والمجتمع والمدنية . ويفرض على البشرية اتجاهه . ويملى عليها ارادته . لانه صاحب الرسالة . وصاحب العلم اليقين . ولانه المسئول عن هذا العالم وسيره واتجاهه . فليس مقامه مقام التقليد والاتباع . ان مقامه مقام الامامة والقيادة . ومقام الارشاد والتوجيه . ومقام الآمر والناهى . واذا تنكر له الزمان . وعصاه المجتمع . وانحرف عن الجادة . لم يكن له أن يستسلم ويخضع . ويضع أوزاره . ويسالم الدهر . بل عليه أن يثور عليه . وينازله . ويظل فى صراع معه وعراك حتى يقضى الله أمره . ان الخضوع والاستكانة للاحوال القاسرة . والاوضاع القاهرة . والاعتذار بالقضاء والقدر من شأن الضعفاء والاقزام . أما المؤمن القوى فهو بنفسه قضاء الله الغالب . وقدره الذى لا يرد .



للشيخ عبد المحسن الحمد العباد

الحج عبادة من العبادات افترضها الله وجعلها احدى الدعامات الخمس التي يرتكز عليها الدين الاسلامي والتى بينها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله فى الحديث الصحيح : « بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا » .

وقد حج بالناس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السنة العاشرة من الهجرة حجته التى رسم لأمته فيها عمليا كيفية أداء هذه الفريضة وحث على تلقى ما يصدر منه من قول وفعل فقال صلى الله عليه وسلم : « خذوا عنى مناسككم فلعلى لا القاكم بعد عامى هذا » . فسميت حجته صلى الله عليه وسلم « حجة الوداع » .

وقد رغب صلى الله عليه وسلم أمته فى الحج وبين فضله وما أعد الله لمن حج وأحسن حجه من الثواب الجزيل فقال صلى الله عليه وسلم : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه » رواه البخارى ومسلم . وقال صلى الله عليه وسلم : « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » متفق عليه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ..

وفى الصحيحين أيضا عنه رضى الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى العمل افضل .. ؟ قال : ايمان بالله ورسوله .. قيل : ثم ماذا .. ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله . قيل : ثم ماذا .. ؟ قال : حج مبرور .

وفى صحيح مسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعمرو بن العاص رضى الله عنه عند اسلامه : « أما

علمت أن الاسلام يهدم ما كان قبله وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله » . وروى البخارى فى صحيحه عن عائشة رضى الله عنها انها قالت : يا رسول الله نرى الجهاد افضل العمل أفلا نجاهد .. ؟ قال : لا ولكن أفضل الجهاد حج مبرور .

ويتضح من هذه الاحاديث وغيرها فضل الحج وعظم الأجر الذى أعده الله للحجاج ويتضح أن هذا الثواب العظيم انما هو لمن كان حجه مبرورا . فما هو بر الحج الذى رتب الله عليه ذلك الثواب العظيم .. ؟

ان بر الحج أن يأتى المسلم بحجه على التمام والكمال خالصا لوجه الله وعلى وفق سنة رسوله صلى الله عليه وسلم .. وأن يحافظ فيه على امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه ، وامتثال الأوامر واجتناب النواهى لازم للمسلم دائما وأبدا . ولكنه يتأكد فى الازمنة والامكنة الفاضلة لأن الله خلق الخلق لعبادته وهى طاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه .. قال الله تعالى : « الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا .. » وقال تعالى : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » .

فيكون المسلم ملازما للطاعة وبعيدا عن المعصية حين حجه وقبله وبعده ليوافيه الأجل المحتوم وهو على حالة حسنة فتكون نهايته طيبة وعاقبته حميدة كما قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون » وقال تعالى : « واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » . وقال صلى الله عليه وسلم : « انما الاعمال بالخواتيم » .

ومن البر فى الحج أن يحرص أثناءه على التأمل فى أسراره وعبره والوقوف على ما فيه من فوائد عاجلة وآجلة وهى كثيرة اجملها الله تعالى فى قوله : « ليشهدوا منافع لهم » . وفيما يلى اشارة الى بعض هذه الفوائد والاسرار التى تضمنتها هذه الجملة من الآية :

أولا : ان صلة المسلم ببيت الله الحرام صلة وثيقة تنشأ هذه الصلة منذ بدء انتمائه لدين الاسلام وتستمر معه ما بقيت روحه فى جسده .. فالصبى الذى يولد فى الاسلام أول ما يطرق سمعه من فرائض الاسلام أركانه الخمسة التى أحدها حج بيت الله الحرام . والكافر اذا شهد شهادة الحق لله بالوحدانية ولنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة الشهادة التى كان بها من عداد المسلمين أول ما يوجه اليه من فرائض الاسلام بقية أركانه بعد الشهادتين وهى اقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام .

وأول أركان الاسلام بعد الشهادتين الصلوات الخمس التى افترضها الله على المسلمين فى كل يوم وليلة وجعل استقبال بيت الله الحرام شرطا من شروطها ، فصلة المسلم ببيت الله الحرام مستمرة فى كل يوم وليلة يستقبله مع القدرة فى كل صلاة يصليها فريضة كانت أو نافلة . كما يستقبله فى الدعاء .

وهذه الصلة الوثيقة التى حصل بها الارتباط بين قلب المسلم وبيت ربه بصفة مستمرة تدفع بالمسلم ولا بد الى الرغبة الملحة فى التوجه الى ذلك البيت العتيق ليتمتع بصره بالنظر اليه ولأداء الحج الذى افترضه الله على من استطاع السبيل اليه .

فالمسلم متى استطاع الحج بادر اليه اداء للفريضة ورغبة فى مشـــاهدة البيت الذى يســــتقبله فى جميع صلواته وليشهد المنافع التى نوه الله بشأنها فى قوله « ليشهدوا منافع لهم » .

فاذا وصل المســلم الى بيت ربه رأى بعينى رأسه أشرف بيت واقدس بقعـــة على وجه الارض (الكعبة المشرفة) ملتقى وجهات المسلمين فى صلاتهم فى مشارق الارض ومغاربها .. ورأى المسلمين مستديرين حول هذا البيت فى صلواتهم واصغر دائرة هى التى تلى الكعبة ثم التى تليهـــا وهــكذا حتى تــكون أكبر دائرة فى أطراف الارض ، فالمســـلمون فى صلواتهم مستقبلين بيت ربهم يشكلون نقاط محيطات لدوائر صغيرة وكبيرة مركزها جميعا الكعبة المشرفة ..

ثانيا : اذا يسر الله للمسلم التوجه الى بيت ربه ووصل الى الميقات الذى وقته رســـول الله صلى الله عليه وسلم للاحرام تجرد من ثيابه ولبس ازارا على نصفه الاسفل ورداء على نصفه الاعلى مما دون رأسه وفى هذه الهيئة من اللباس يســـتوى الحجـــاج لا فرق بين الغنى والفقير والرئيس والمرؤوس وتســاويهم فى ذلك يذكر بتساويهم فى لباس الأكفان بعد الموت .. فان الكل يجردون من ملابسهم ويلفون بلفائف لا فرق فيها بين الغنى والفقـــير . فاذا تجــرد الحـــاج من لباسه ولبس لباس الاحرام تذكر الموت الذى به تنتهى الحياة الدنيوية وتبتدىء الحيـــاة الاخروية فاســتعد لما بعده بالاعمال الصالحة والابتعاد عن المعاصى وهذا الاستعداد هو الزاد الذى لا بد منه فى سفره الى الآخرة وهو الزاد الذى نوه الله بذكره فى قوله : « وتزودوا فان خير الزاد التقوى » ولهذا لمـــا ســـأل رجل النبى صلى الله عليه وسلم قائلا : متى الســاعة .. ؟ قال صلى الله عليه وســـلم له : « وماذا أعددت لها .. ؟ » منبهـــا بذلك صلوات الله وسلامه عليه الى أن اهم شىء للمسلم أن يكون معنيا بما بعد الموت مستعدا له فى جميع احواله بفعل المأمورات واجتنــــاب المنهيات ..

ثالثا : اذا دخل المسلم فى النسك لبى بالتوحيد قائلا كما قال صلى الله عليه وسلم فى تلبيته : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » .. يقولها وهو مستشعر لما دلت عليه من إفراد الله بالعبادة وانه وحده الذى يخص بها دون ما سواه فكما أنه سبحانه وتعـــالى المتفرد بالخلق والايجاد فهو الذى يجب أن تفرد له العبادة دون غيره كائنا من كان ، وصرف شىء منها لغير الله هو أظلم الظلم وابطل البـــاطل . وهذه الكلمة يقولها المسلم اجابة لدعوة الله عباده لحج بيته الحرام . فيستشعر المسلم عظمة الداعى وعظم أهمية المدعو اليه فيســـعى فى الاتيان بما دعى اليه على الوجه الذى يرضى ربه تعالى مع استيقانه بأن المدار فى هذه العبادة وغيرها من العبـــادات على الاخلاص لله كمـــا دلت عليه كلمة التوحيد التى تضـــمنتها هذه التلبية وعلى المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما أرشد الى ذلك صلى الله عليه وسلم فى حجته حيث قال : « خذوا عنى مناسككم » .

رابعا : واذا وصل المســـلم الى الكعبة المشرفة شاهد عبادة الطواف حولها وهى عبادة لا تجوز فى الشريعة الاســـلامية الا فى هذا المكان وكل

طواف فى غير ذلك المكان انما هو من تشريع الشيطان ويدخل فاعله فى جملة من عناهم الله بقوله : « أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله » .

ويشاهد أيضا تقبيل الحجر الاسود واستلامه واستلام الركن اليمانى ولم تأت الشريعة بتقبيل أو استلام شىء من الاحجار والبنيان الا فى هذين الموضعين ، ولما قبل عمر بن الخطاب رضى الله عنه الحجر الاسود بين أنه فعل ذلك متبعا للرسول صلى الله عليه وسلم فى تقبيله اياه وقال : « ولولا أنى رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك » .

خامسا : ويشهد الحاج فى حجه اعظم تجمع اسلامى وذلك فى يوم عرفة ، فى عرفة اذ يقف الحجاج جميعا فيها ملبين مبتهلين الى الله يسألونه من خير الدنيا والآخرة .

وهذا الاجتماع الكبير يذكر المسلم بالموقف الاكبر يوم القيامة الذى يلتقى فيه الأولون والآخرون ينتظرون فصل القضاء ليصيروا الى منازلهم حسب أعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر . فيشفع لهم جميعا الى الله عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ليقضى بينهم فيشفعه الله . وذلك هو المقام المحمود الذى يحمده عليه الأولون والآخرون وهى الشفاعة العظمى التى يختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يشاركه فيها ملك مقرب ولا نبى مرسل .

وفى هذا التجمع الاسلامى الكبير فى عرفة وكذا فى بقية المشاعر يلتقى المسلمون فى مشارق الارض بالمسلمين فى مغاربها فيتعارفون ويتناصحون ويتعرف بعضهم على أحوال بعض فيتشاركون فى الافراح والمسرات كما يشارك بعضهم بعضا فى آلامه ويرشده الى ما ينبغى له فعله ويتعاونون جميعا على البر والتقوى كما أمرهم الله سبحانه بذلك . .

سادسا : ويشهد الحاج مظهرا عجيبا من مظاهر التعاون اذ يرى أرض منى كلها مغطاة بالخيام فلا يكاد يمضى يوم النفر الأول الا وقد عادت كما كانت تقريبا وذلك لقيام كل بما يخصه . فاذا قام كل مسلم بما يقدر عليه فى خدمة الاسلام وتعاونوا على ذلك فان المجهودات الفردية وان قلت تكون كثيرة بضم بعضها الى بعض . .

وهذه الفوائد القليلة التى اشرت اليها اشارة هى من جملة المنافع الكثيرة التى أجمل ذكرها فى قوله تعالى « ليشهدوا منافع لهم » . وان أعظم فائدة للمسلم بعد انهاء حجه أن يكون حجه مقبولا وأن يكون بعده خيرا منه قبله وأن يحدث ذلك تحولا فى سلوكه وأعماله فيتحول من السيىء الى الحسن ومن الحسن الى الاحسن . .

والله المسؤول أن يوفق المسلمين جميعا للفقه فى دينه والثبات عليه وأن يمكن لهم فى الارض وينصرهم على عدوه وعدوهم انه ولى ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه .



المناسك

وأماكن طرق الحج

للامام ابى اسحق الحربى — تحقيق : الشيخ حمد الجاسر
عرض وتحليل : عبد العزيز جادو

لقد كنت احسب — كما يحسب غيرى من قراء الضاد فى أرجاء العالم العربى كله — أن أستاذنا العلامة الشيخ حمد الجاسر عالم محقق فحسب . الى أن اكتشفت أن لهذا العالم الجليل مواهب عقلية نادرة تجعلنا نعده أيضا عالما من علماء الآثار ، وعلما شامخا من أعلامها المجيدين ، ورائدا من روادها القلائل . فهو — كما أرى — قد آلى على نفسه الا يدخر وسعا فى العمل بجد وأمانة وبكل حزم وثبات على الكشف عن المجهول والتنقيب فى المناطق الاثرية العلمية عن الآثار النفيسة المخبوءة فى أية بقعة من البقاع ، وفى أى ركن من أرجاء المعمورة . وهو اذ يمارس هذا العمل الشاق انما يمارسه بفطنة العالم ببواطنه وخوافيه ، وبقدرة المتمكن من نفسه ومن عمله، والمقتدر على مواجهة كل ما يحيط بهذا العمل من صعاب . ثم هو بعد ذلك له حاسة مميزة يندر أن تتوفر لسواه من العلماء فى استكشاف تلك الآثار الثمينة القمينة بالفخر والاعجاب مما لا يمكن أن تقع عليها من قبل الا عين بصيرة فاحصة كالتى ينماز بها استاذنا الكبير .

أما الآثار التى كشف لنا عنها شيخنا الجاسر حتى الآن فهى بالحق كنوز مليئة باللآلىء والدرر الغوالى . ثم هو — كما هى شيمته دائما — لا يستأثر بالكنز لنفسه ، ولكنه بعد أن تقع عليه عينه الفاحصة ، ويستقر بين يديه الماهرتين ، يأخذ فى تنفيذه وترتيبه وازالة ما قد يكون عالقا به من غواش . ويظل يتعهده بعنايته الفائقة الى أن يضع عليه لمساته الاخيرة ويغدو عملا منسقا كاملا فيضعه بين يدى مقدريه فى تواضع

جبل عليه . وكان ذلك عليه هينا لأنه اتخذ العلم عدته والبحث مطيته .

واليوم يقدم لنا عالمنا الأثرى كنزا ثمينا من الكنوز القديمة التى عثر عليها وحققها ، يرجع اثره الى أوائل القرن الثالث الهجرى . فهو للامام أبى اسحاق الحربى عن (المناسك) وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة .

والامام الحربى هذا هو العالم الجليل ابراهيم بن اسحق بن ابراهيم أبو اسحق الحربى ، (١٩٨ — ٢٨٥ هـ) ، من أعلام العلم والثقافة فى القرن الثالث الهجرى، كان جديرا بأن تدرس حياته دراسة وافية ، لعمق تأثيره فى كثير من جوانب الحياة ، فى ذلك العصر ، دينية كانت أو لغوية أو جغرافية . ولد ببغداد واتجه لطلب العلم فى سن مبكرة قبل العاشرة . ومعروف أن المرء فى ذلك العهد يبدأ أول ما يبدأ فى الدراسة بتعلم القراءة والكتابة ، حتى يبلغ درجة تمكنه من مجالسة علماء الحديث للاخذ عنهم . وفى الثامنة عشرة من عمره بلغ فى علم الحديث درجة لا يبلغها الا من تمكن فيه بعد طول دراسة ومواصلة .

وفضلا عن الصلة التى تربط بين الامام ابن حنبل وبين الامام الحربى من أنهما ينتميان فى الاصل الى بلدة واحدة هى (مرو) فان نشاط الحربى ، وعلو همته ، ورغبته فى تحصيل علم الحديث جعله يتصل بالامام أحمد بن حنبل بعد أن تلقى ذلك العلم على صغار الشيوخ ، فكان له ما أراد .

وقد لازم الحربى الامام ابن حنبل من الثالثة والعشرين الى الثالثة والاربعين فى طلب علم الحديث . . وعلى هذا يمكن القول بأن الحربى قد تأثر أبلغ الاثر فى أفكاره وآرائه بشيخه الامام ابن حنبل ، وهذا ما يجده الباحث واضحا فيما أثر للحربى من آراء وأفكار مما طفحت به مؤلفاته وخاصة ما يتعلق منها بالحديث . حتى لقد قيل فيه : « ما أخرجت بغداد بعد الامام احمد ابن حنبل مثل الامام الحربى » .

وكان أبرز جانب نراه فى حياة الحربى العلمية بعد الحديث ، هو اتجاهه الى اللغة العربية دراسة وتأليفا . ولهذا فاننا نرى من أبرز آثاره كتاب (غريب الحديث) ، وهو كتاب يدل على سعة اطلاع وطول معاناة بموضوعه ، ومحاولة ايجاد طريقة لتدوين المفردات اللغوية وجمعها .

ولقد سار فى كتابة اللغة متأثرا بطريقة المحدثين ، وكأنه اتخذ دراسة اللغة وسيلة لخدمة الحديث وما يتصل به .

وكانت أبرز سمة من سمات حياة الحربى الخاصة اعتزازه بكرامته ، وترفعه بها من أن تنال . انه يدرك أن العالم يجب أن يسمو بنفسه عن كل ما قد يمس جانب العلم ، أو يحط بقيمته . وكان رضى النفس كريمها ، بينما كان بعض علماء عصره يتخذون من العلم وسيلة لبعض متطلبات الحياة ، كان هو يترفع عن ذلك .

ومع عدم عناية الحربى بمظهره الخارجى من حيث اللباس الا أنه كان يحرص على أن يظهر بمظهر الكمال من حيث الصفات الفاضلة .

وكان يحب التباعد عن كل رجال الدولة ، مع شدة اقبال كثير من علماء عصره عليهم ، بل على تملقهم وحرصهم على نيل رضاهم ، وكان مع هذا على جانب كبير من التواضع .

ويدل اتجاهه فى التأليف الى نواح خاصة ، على نبله وكرم خلاله ، فهو يؤلف عن اكرام الضيف ، وعن ذم الغيبة ، وعن

الهدية والسنة فيها ، وعن الحمام (بتشديد الميم) وآدابه .

ولقد ضاعت جل مؤلفاته ، ولم يبق الا اليسير منها مما نجد ذكره مفرقا فيما وصل الينا من المؤلفات التى وصفها الخطيب بأنها كثيرة(١) ومنها :

١ ــ كتاب (اتباع الاموات) .
٢ ــ كتاب (الادب) .
٣ ــ كتاب (اكرام الضيف) .
٤ ــ كتاب (التفسير) .
٥ ــ كتاب (التيمم) .
٦ ــ كتاب (دلائل النبوة) .
٧ ــ الحمام وآدابه .
٨ ــ ذم الغيبة .
٩ ــ سجود القرآن .
١٠ ــ كتاب (السروى) .
١١ ــ كتاب (العلل) .
١٢ ــ غريب الحديث .
١٣ ــ القضاة والشهود .
١٤ ــ كتاب (المغازى) .
١٥ ــ كتاب (مناسك الحج) .
١٦ ــ كتاب (النهى عن الكذب)
١٧ ــ كتاب (الهدايا والسنة فيها) .

ولقد ترجم للامام الحربى كثير من المؤرخين منهم :

١ ــ على بن الحسين المسعودى المتوفى سنة ٣٤٦ هـ ، ترجمه فى كتابه (مروج الذهب) .

٢ ــ محمد بن اسحق بن النديم من أهل القرن الرابع الهجرى ، ترجم الحربى فى (الفهرست) .

٣ ــ الخطيب البغدادى المتوفى سنة ٤٦٣ هـ فى كتابه (تاريخ بغداد) .

٤ ــ القاضى أبو الحسين محمد بن خلف الفراء الحنبلى المتوفى سنة ٥٢٦ هـ فى كتابه (طبقات الحنابلة)

٥ ــ ياقوت الحموى المتوفى سنة ٦٢٦ هـ ترجمه فى كتاب (معجم الادباء

٦ ــ ابن القفطى على بن يوسف المتوفى سنة ٦٤٦ هـ ترجمه فى (أنباء الرواة) .

٧ ــ الامام محمد بن أحمد الذهبى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ ترجمه فى كتبه : (سير أعلام النبلاء) و (تاريخ الاسلام) و (طبقات الحفاظ) .

ومما جاء فى كتاب (مروج الذهب) عن الحربى : « .. وكان مع ما وصفنا من زهده وعبادته ضاحك السن ، ظريف الطبع ، سلس القياد ، لم يكن معه تكبر ولا تجبر ، وربما مزح مع بعض أصدقائه بما يستحى منه ويستقبح من غيره ، وكان شيخ البغداديين فى وقته ، وظريفهم » .

وبالجملة فان المتتبع لما ذكره المؤرخون عن هذا الامام الجليل يجد ما يثير فى نفسه الاعجاب والتقدير لهذا العالم فى جميع جوانب حياته، مما لا يتسع المجال للاسترسال فيه .

ذلكم هو الامام أبو اسحق الحربى، صاحب الاثر الذى نحن بصدده . أما الاثر نفسه الذى تركه لنا منذ قرون، وكاد أن يندثر وتأتى عليه يد البلى لولا أن وقع عليه أستاذنا الجاسر فأنقذه من الضياع فهو كتاب (المناسك) وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة .

وهذا الكتاب الذى نقدمه للقراء يعد من أنفس الكتب التى تعنى بتحديد مواضع الجزيرة ، وهو من الآثار المفيدة التى تضيف الى ثقافتنا الجغرافية أشياء نافعة حقا . ولها فى تراثنا العلمى العربى قيمة علمية كبيرة جدا . اما الميزات التى يمتاز بها هذا الكتاب الضخم الفخم الذى يبلغ عدد صفحاته ٨٢٤ صفحة من الحجم الكبير ــ فهى كثيرة ، اهمها :

١ ــ أنه أثر ترجع نصوصه كلها

الى القرن الثالث الهجرى فما قبله عن علماء ورواة ذوى خبرة ومعرفة بما يتحدثون عنه . ومن هذا فانه يعتبر من أصول الدراسات القديمة فى تحديد المواضـــع وفى مختلف النواحى الثقافيةالتى طرقتها الكتاب .

٢ ــ وفى الكتاب تصـــحيح لمعلومات خاطئــة ، واكمال لاخرى ناقصة .

٣ ــ يوضح لنا هذا الكتابأصول اقوال وردت الينا فى بعض المؤلفات بدون ذكر أصحابها .

٤ ــ ويورد معـــلومات أخرى وصلت الينا من كتب نظنها سبقت الى ذكرها ، فيوردها بطريقة أخرى تؤيد تلك النصوص ، كما نرى ذلك فيما أورده متعلقا بتـــاريخ الآثار المقدسة بمكة .

٥ ــ وفى الكتاب نصـــوص مطولة ، من كتب مفقودة مثل كتاب (تاريخ المدينة) ليحيى بن الحسين العلوى الذى لم نعرفه الا بواسطة السمهودى مؤرخ المدينة المتأخر .

٦ ــ أما النصـــوص الادبية الشعرية ، فيوشك أن يكون هذا الكتاب هو الوحيد فى جمع ما قيل من الاراجيز . فهو يمدنا بذخيـرة طيبة من الاراجيز الطويلة الـكاملة فى تحديد طرق الحج من العراق الى المدينتين المقدستين ، وهى أراجيز ذات قيمة كبيرة اذ أنها تحدد المنازل، منزلة منزلة ، بحسب سير موكب الحج فى ذلك العهد ، وتصف كثيرا من الاماكن وصفا دقيقا مما يزيد من قيمتها اللغوية والادبية .

وليس المقـــام مقام دراســة لمحتويات الكتاب ، وانما المقصــود الاشارة الى أهميته اشارة نرجو أن يكون من ورائها ما يحفز الباحثين الى دراسته من مختلف نواحيــه . لاسيما وقد بذل أستاذنا العـلامة الشيخ الجاسر فى تحقيق هذا الأثر العظيم ــ الذى يتمثل فى مخطوطة فريدة مشحونة بالتصحيف والتحريف ــ جهودا يقصر دونها كل اطراء ولا يبلغ شكرها أى ثناء . فلقد سلك فى التحقيق طريقا قويما ، وبنى عمله فى الكتاب على أسس موضـوعية متوخيا عدة أمور منها :

١ ــ تقويم الاصـــل ما أمكن بالرجوع الى المصادر التى لها صلة بكل بحث من بحوثه ، مع الاشارة الى تلك المصادر .

٢ ــ اضافة تعليقات موجزة لبيان بعض الامكنة والمواضع ، وبعض الاعلام .

٣ ــ تقويم عبارة الـكتاب عند التحقيق من تحريفها مع الاشارة الى ذلك فى الهامش .

٤ ــ ترتيب الكتاب بحيث يفيد منه طلاب التاريخ والعـلم والادب أعظم فائدة .

وفى ختام هذا التحـليل الموجز لكتاب (المناسك) ، لا يسعنى الا أن أسدى الشـــكر وافرا وجزيلا لصديقى الاستاذ الجليل الشـيخ الجاسر على ما بذل من جهد صادق فى سبيل تحقيق هذا الاثر الفخم ، حتى جاء على هذه الصورة البالغة حد الكمال والجودة وحسن الترتيب وروعة الاخراج . وعلى ما تفضل به علينا من زاد أدبى وعلمى ، داعيا له بطول العمر مع الصحة والعافية وراحة البال .

---

(١) كتاب (تاريخ بغداد) الجزء السادس ص ٢٨ .

قصة من محاورات الشيطان

في بيت العنكبوت

للأستاذ : محمد لبيب البوهي

في نهاية أيام الصيف .. في يوم اشتد لهيبه — كنت جالسا بمقهى مواجه للبحر بالاسكندرية بسيدي [illegible] — وسرحت بنظراتي مع الماء رويدا رويدا حتى استقرت هناك بعيدا عند مشارف الأفق .. وقرص الشمس الدامي .. [illegible]

ثم ارتفع صوته كأنما ليشدني اليه وينبهني وهو يقول :

يجب ان ننتزع انفسنا من التوافه — هذا هو طريق ارتفاع النفس — ولو الى لحظات — فوق الخضم الزاخر من الأهواء . . وبعد ذلك تعود النفس نشطة كأنها قد اغتسلت في بحـــر النـــور .

وأعجبني كلامه — فهو يتقن دائما هذا النوع من نصب الفخاخ فنظـــرت تلقاءه . . وكان يخفي وجهه عني قليلا — متجنبا أن أنظر في عينيه — مـــرآة الحقيقة التي قد نقرأ فيهما اسرار الاعماق . وكان يدخن نوعا عجيبا نادرا من الطباق . فلما رآني أتابع حلقات الدخان — تبسم ضاحكا ، وانحنى في أدب وقـــدم علبتـــه .

قلت : شكرا — انني لا ادخن — . .

قال : وهو يطوى علبته : حسنا فعلت ، فان التدخين من اعجب وأرذل العادات . . ان الذى يمارس هذه العادة يود لو يبذل الكثير لينجو من مخالبها — والذى لم يمارسها بعد قد تبدو له ذات بريق جذاب .

ورآني اعود الى متابعة قرص الشمس الذى يوشك ان يتـــوارى في الاعماق فقال : ســـيدى انني معجب بك . انك تمنح هذه الصورة من الجمال بعض حقها .

قلت في شيء من المباهاة وبسرعة خجلت بعد ذلك من اندفاعي فيها : احب كل صور الجمال .

قال صدقت ان الامر كذلك تماما . . ان للجمال صورا شتى ولكن أعظم صورة فيما ارى قد تجسد في تكوين المرأة أن النظر الى جمالها المتجرد على الشاطيء عبادة .

فضحكت بدورى وقلت : عرفتك من اسلوبك يا لئيم ، انك تحسن تقديم العسل الذى تصنعه بيديك بعد أن تدس فيه ما تشاء . وما كان حـــديثك عن لحظات التنوير وغسيل النفس في بحر النور غير استدراج . . آه . . آه . . ويل للذين لا يعرفون أساليبك . .

فقال : سيدى انني لم اسـع اليك — انك انت الذى جئت الى الشـاطيء — حيث تمرح الجميلات . . انك اذن في دائرة نفوذى اعني بعض حقول تجاربي — انني ولي الامر هنـــا .

قلت : ولماذا تخصني بالذات في مثل هذه الساعة ؟ لماذا لم تذهب الى غيرى — انظـــر — هناك عشرات من الآخرين . .

قال : عفـــوا . . انني لم أخصك أنت بشيء — انك اذ تحسبني معك أنت وحدك . . اذا بي في ذات اللحظة مع كثير من هؤلاء ، انني كالمرآة الكبـــيرة تنعكس عليها عشرات أو مئات الصور في لحظة واحدة . انها تستوعب كل ما يمر في طريقها . . دون أن تخص أحدا — انها تتسع لتشمل صور الدواب . وهوام الارض . . والسيارات . . وسابحات الجو . . وباعـــــة البطيخ . . والمتماركين . . والشامخين بأنوفهم تيها ، والمعجبون بما أرسلوا في شعورهم من سوالف . . والفاتنات . . المرآة تعكس في لحظة واحدة كل هؤلاء ، انني معك ايها السيد المفضال ومعهم ايضا في التو واللحظة .

قلت : ليكن الامر كما تقول . . ولكن ألا تستطيع ان تدعني وشأني ايها . .

فضحك حتى كاد يستلقي ثم قال : كنت تريد أن تقـــول ايها السيد — ولكنك استدركت . . حسنا فعلت . . انني أعرف نفسي . . ومعرفة النفس نصـــف القضية على الاقل — هل تدرك أنني أعجب بالذين يحاولون أن يكشفوا بعض

أساليبى .. لقد قرأت ما كتبته عنى بما اسميته حوارا مع ابليس .. لقد كان فيه بعض ما يشد انتباهى .. اننى لا اخشى أن يكشف عن بعض وجـوهى النقاب، .. فان لى آلاف الآلاف من ملايين الوجوه ..

قلت شامتا : ولكننى أرى اننى استطعت أن أنفذ الى بعض اسرارك ..

فاعتدل فى جلسته وقال فى هدوء عجيب : يا سيدى .. واسمح لى ان أدعوك بسيدى على الرغم من انك نعتنى بأشد الصفات . اننى لا اخشى الكلام كثيرا .. ان العشرات من محطات الاذاعة تذيع آناء الليل وأطراف النهار على أمواج الاثير الوانا من المواعظ — وتشيد بالجهاد — وتذكر الناس بفضائله وتصب اللعنات على ابليس .. ومع هذا يزداد عدد العملاء الذين يطـرقون بابى بحثا عنى .. ان اكثر ما يقال يمر بجوار آذان صماء اننى لا اخشى الكلام كثـيرا ..

وارتفع صوته قويا مجلجلا .. حتى لكأنه ينبعث من مكبرات للصـوت تلقف صوته وتكبره اضعافا مضاعفة .. وهو يردد شامتا بقوله فيه مزيج من الاسى والحيرة : لقد ذهب أولئك الذين كنت اخشاهم : لم تكن هناك كتب .. ولا اذاعات .. ولا كلمات مطبوعة .. وكان الواحد منهم يسافر الى بعيـد ليبحث عن كلمة .. أو حكمة .. او تأويل .. ثم يتخذ من الحكمة التى يصل اليها دستورا عمليا لحياته ..

نعم كان هؤلاء أعدى أعدائى — ولكننى حين أمر بذرات التراب فى قبورهم المضيئة انحنى اجلالا وتقديرا ..

قلت : انك تريد ان تستدرجنى الى مودتك بمثل هذا الادعاء ، فما اكثر ما تذكر الحقائق التى تريد بها باطلا .. انه كما ان لك ملايين الملايين من الوجوه .. فانه يبدو انك تملك مثل هذا العدد من الاساليب .. اننى أحاول أن افهمك ولعل ذلك من أسرار صبرى على حوارى .. انك قد تجلس الى العالم كأنك تلميذ يتعلم .. وقد تصاحب التافه الثرثار وتبدو بين يديه متخشعا لتلبسه لباس الغرور المهلك ..

قال فى غير مداراة : نعم .. ان شباكى كثيرة الخيوط .. هنـاك من اشدهم بخيط مثل خيط العنكبوت .. وهناك من أعد لهم حبلا غليظا من صلب كذلك الذى تشد اليه ماخرات البحار .. وهناك من يشتد بهم الاسى والحزن حين لا أمد لهم يدا ..

وكان الى جوارنا اثنان يتحدثان .. وكان أحدهما يبالغ فى تزكية نفسه . انه وحده الذى فعل كذا .. انه وحده الذى يستطيع ان يأمر .. انه وحده ..

وكان الملعون ينصت اليه باسـما .. قلت : انه أحد زبائنك ولا ريب .. لقد زينت له ما يثرثر به .. ترى هل تظل صديقا له الى مدى طويل .. ؟ قال : لا .. ان الحقائق لاتتوارى دائما .. اننى اشجعه وأمد اليه يدى الى حـين ثم انتقم منه واكشفه .. وادعه بعد ذلك عريانا ..

قلت : وعندئذ سوف تشعر بسعادة الانتقام ..

فتجهم وجهه حتى أصبح فى مثل لون الفحم ثم اجاب : لا تتحدث معى عن السعادة .. ان السعادة شىء كان ثم ضاع .. لقد اثار حديثك هذا شجونا دفينة .. لو تغير وجه الامر .. لسعدت أنا وسعدتم أنتم .. اننى اوسوس .. ولكن كم يطيب لى أن تذهب وساوسى هباء .. اننى عند ذلك قـد اتخفف وقد أستطيع أن أمد عين الامل الى أبواب الرحمة .

قلت : اذن فهناك شىء تخشاه منا .. لقد قلت انك لا تخشى اكثر الكلام

الذى يقال .. فما الذى يخيفك اذن .. ؟ ما الذى يجعل كيدك يبدو ضعيفا ..؟ العقيــدة .. !!

وكنت أظن أننى قد وصلت الى لب اسراره حين رأيته يمعن مفكرا ثــم يقول : وا أسفاه .. حتى العقيدة وحدها لا تكفى للوقوف طويلا فى سبيلى .. ان اخشى ما أخشـــاه .. بل واحيانا يخيل لى أننى أتمناه لأنهى مهمتى هى الارادة ..

ما أشـــد خيبتى وضـــياعى أمام العقيدة المسلحة بالارادة .. ان الارادة الصادقة هى التى شرب منها أولو العزم اولئك الذين يخيل الى أحيانا أن معدنهم قـــد ندر .. انه لكى انجـــو أو أحاول التماس طريق النجاة .. لا بد أن يتحرك شىء ما فى أعماق نفوس البشر .. أن تتحرك تلك المضغة التى فى الصدور .. ان ذرة واحدة من عزيمة صادقة هى خير لكم من ألف كتاب .. ان مـــــلايين السكارى الذين تتخبطهم الخمر .. والوف الالوف من العصاة .. والزناة .. والشاردين عن حقول الجماعة .. وغير هؤلاء يريدون أن يتوبوا .. ولكن لا أحد يستمسك بالحبل المتين الممدود لكم ..

ان الذين تذوب ثرواتهم أمام مفاتن الغوانى يريدون ان يعودوا ولكنهم يستمرون فى نفس الطريق .. ان أحدا ممن ذكرت ليس فى حاجة الى المزيد من الكلمات ما لم تتفتح تلك المضغة التى فى الصدور .. ان شيئا ما يجب أن يتحرك من الداخل .. اعنى داخل النفس ..

هل سمعت عن الابرة الذهبية ؟ .. انهم فى الصين استطاعوا ان يدفعوا بسن الابرة الى اماكن ذى حساسية فى الجسد فتصح الابدان .. ان القلوب فى حاجة الى هذه الابرة .. ان مجرد المعرفة لا يكفى .. فأنت ترانى أعرف أكثر مما تعرفون ..

قلت : وانك تعنى ان سن الابرة التى تحرك الاعماق هى الارادة .. ؟

قال نعم : انها حين تمس القلب ينهض عملاقا قويا .. وتكفيه اقـــل المواعظ .. أن الكلمات تصبح فى هذا الوقت كأنها مصابيح على جنبـــات الطريق .. أن آية واحدة قد تكفيكم .. انظر مثلا الى قول الحق (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) . لو نفذتم هذه الآية وحدها لاستطعتم أن تهدموا نصف مملكتى .. لو اتخذتموها شعارا عمليا .. لو صارت دستورا لاهل الارض . لتحولت الوف الملايين التى تصرف فى الازياء التى لا تلبس فى البيوت .. وانما انسجها لكم لتكون معارض للطرقات .. هذه الكنوز تستطيع ان تنقذ وتعلم الملايين من أهل الارض .. ولاكتسبتم ما هو أعظم من ذلك .. العفة .. وهدوء النفس .. لو نفذتم هذه الآية وحدها لاستطعتم أيضا ان تغضوا على كثير من مفاسد الجنس والجريمة التى تشع من اكثر ما تصورون وتذيعون فى مسارحكم والملاهى .. لو غض الناس ابصارهم لاستيقظت الطاقات الكامنة الخلاقة اننى لا أخشى الكلام .. بل أخشى العمل المسلح بالعقيدة والارادة .. ولكن هيهات .. يبدو أننى مطمئن من هذه الناحية .. لذلك لا أجد حرجا فى التصريح .. وتمطى ضاحكا فى سخرية ..

لم أستطع ان أجيب فسكت عن الكلام هنيهة .. فانفجر ضاحكا ليقـــول : انك قـــد تعجب حين تتصورنى واعظا .. اننى لا آتى بجديد .. انه يطيب لى

ان أثير فى نفسك روح الاسى والحسرة لانك تعلم أن هذا حق ولكنكم لسبب لا ادريه تتجنبونه .. اننى لا أخشى هذا الكلام .. لانكم تعرفونه .. أن الذين يتخبطون فى الظلمات لن يفيدهم أن تشرح لهم أوصاف الاماكن التى لا يرونها ان كل ما هم فى حاجة اليه قـــد يكون عــود ثقاب .. ثم جرعـــــة من ارادة ..

وانه ليبدو جليا انكم لن تفعلوا .. ولذلك أتلذذ بأن أتجرع نشوى الشماتة .. ما اشـــد غبـــاء صاحب الكنز الذى يدعه مغلقا ثم يذهب ليستجدى فى الطرقات .. اننى المقعد الذى يركب الاعمى ويقوده . .ولن تستغنوا عنى .. ولذلك أحاول أن أرضيك ببعض الكلام .. اننى أريد ان اكون صديقا لك .. ومن أجل هذا اكشف لك عن بعض ما تحب أن تعلم ، عسى أن تطمئن الى مودتى وتسلمنى يدك .. ولن اخشى بعد ذلك أن تكون قد عرفت بعض اسرارى .. فان نبعى من بحار الفتن لا يفيض ..

. . .

وصمت اللعين .. وراح ينظر عن يمين وشمال .. لقـــد زاغت منه الابصار .. ثم تبسم حين رأى شـــابا يهبط من سيارته .. وتمهل ثم قـــال كالمتحدث الى نفسه مخافتا : نعم ستجدنى الى جوارك على الفـــور .. قلت : ابك شىء من خبـــال ..؟ هل تتحدث الى نفسك .. ؟ قال : انمـــا اتحدث الى هذا الذى جـــاء اننى لا اعرفه .. ولكنه سوف يكون من اعظـــم عملائى .. قلت : وما دمت لم تعرفه فكيف تنبأت له بهذا المصير .. ؟

قال : اننى اعرفهم بسيماهم .. الا ترى ان كل انسان يشغله ما يهمه .؟ انك حين تقرأ كتابا تعرف صاحبه من أسلوبه ولو لم تره .. والفنيون حـــين يرون رســـما يدركون على الفور من يكون راسمه .. اننى اعرف اصحابى .. أعرفهم وأميزهم من بين الملايين .. ان بينى وبينهم تجاوبا قلبيا أسود هناك اشعة سوداء تربطنى بهم . .

قلت : أرى انك تريد أن تذهب لترحب به .. ؟

فتبسم وقال : سوف أرحب به تماما .. ولكنه سوف يرى منى بعـــد ذلك الويل والثبور .. سوف يلعن هذه الساعة .. ولسوف يبكى دمـــا ، ولن ينفعه النـــوح والعويل ..

فتحت عينى وأنا أردد : لا حول ولا قوة الا بالله .. واذا بى أفيق من هذه السنة التى اخذتنى من النعاس ورحت أصيح فى نفسى .. وكأننى اقذفـــه بكلمات الغيظ المحمومة من خلفه .. وكأننى ما زلت أراه : أيها الملعون .. انك تدعونى الى وليمة من عالم الفكر الاسود .. انك تنصب لى فخاخا عقلية فأنت تدرك أننى أهوى التفكير .. فأنت تدعونى اليه بأسلوبك التجريبى الذى تعلمته فى عالم الظلمات .. وتصيح صيحات المنكبوت حين يدعو الى بيته ذبابة .. كى يفترسها ..

الفتاوى

فى الحج

هل يجوز لى أن اشد على وسطى وأنا محرم حزاما اضع فيه نقودى ؟
الاجابة :

قال ابن عباس : يجوز لك أن تشد على وسطك وأنت محرم ما يسميه الناس الآن بالكمر وفيه جيوب لوضع النقود وما تحتاج اليه فيها ؟

الحج عن الغير

مرضت مرضا شديدا منعنى من الحج بنفسى ، وطال المرض ، وقال الأطباء انه مزمن ولا يرجى برؤه ، فأنبت رجلا حج عنى ثم تفضل الله على بالشفاء واستطيع الحج الآن ، فهل سقط فرض الحج عنى أم تلزمنى الا عادة ؟
الاجابة :

اذا عوفى المريض بعد ان حج عنه نائبه فانه يسقط الفرض عنه ، ولا تلزمه الا عادة لئلا تفضى الى ايجاب حجتين ، وهذا مذهب الامام احمد ، وقال الجمهور : لا تجزئه حجة النيابة لأنه تبين انه لم يكن ميئوسا منه وان العبرة بالانتهاء .
واذا أردت أن تحج مرة ثانية تطوعا كان افضل .

ادعية الطواف

ما هى الأدعية المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الطواف وهل كل ما يدعو به المطوفون وارد عن الرسول الكريم ؟

الاجابة :

يستحب للطائف ان يكثر من الذكر والدعاء ، ويتخير منها ما ينشرح به صدره دون أن يتقيد بشىء مما يردده المطوفون ، ولم يحفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ادعية مروية منها :
١ ـ عند استقبال الحجر الأسود : « اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك . بسم الله والله اكبر » .

٢ — وعند الشروع في الطواف : سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله .

٣ — وعند الركن اليمانى « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنـــة وقنا عذاب النار » .

٤ — وفى الطواف عند كل شوط رب اغفر وارحم واعف عما تعـــلم وانت الأعز الأكرم .

ولا بأس بقراءة القرآن اثناء الطواف .

صلاة السنة اثناء الاقامـــة

دخلت المسجد والمؤذن يقيم لصلاة العشاء ، فكبرت وصليت ركعتين سنة العشاء القبلية ، ثم لما فرغت أحرمت بالعشـاء وراء الامام وبعد الفراغ من الفرض نبهنى احد المصلين الى أن التطوع بعد الاقامة للصلاة غير جائز فهل هذا صحيح ؟

الاجابـــة :

اذا اقيمت الصلاة كره الاشتغال بالتطوع ، فعن ابى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا اقيمت الصلاة فلا صلاة الا المكتوبة ، وفى رواية « الا التى اقيمت » رواه احمد ومسلم واصحا بالسنن ، وروى أن رجلا دخل المسجد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى صلاة الغداة — الصبح — فصلى ركعتين فى جانب المسجد ، ثم دخل مع رسول الله ، فلما صلى رسول الله قال « يا فلان بأى الصلاتين أعتددت بصلاتك وحدك أم بصلاتك معنا » رواه مسلم وابو داود والنسائى ، وفى انكار الرسول صلى الله عليه وسلم مع عـــدم أمـــره باعادة ما صلى دليل على صحة الصلاة وان كانت مكروهة .

ومن هذا يتبين ان صلاة السنة اثناء الاقامة او بعدها صحيحة وان كانت مكروهـــة .

موضع وضع اليدين

المصلى يضع يده اليمنى فوق اليسرى اثناء قيامه فى الصلاة ، ولكن فى أى مكان يضعهما . ؟

الاجابـــة :

قال الترمذى : ان اهل العلم من اصحاب النبى صلى الله عليـــه وسلم والتابعين ومن بعدهم يرون ان يضع الرجل يمينه على شماله فى الصلاة ، وراى بعضهم أن يضعهما فوق السرة ، وراى بعضهم ان يضعهما تحت السرة ، ووردت روايات تفيد انه صلى الله عليه وسلم كان يضع يديه على صدره فعن هلب الطائى قال : رايت النبى صلى الله عليه وسلم يضع اليمنى على اليسرى على صدره فوق المفصل — رواه احمد .

بريد الوعي الإسلامي

اعـــداد : عبد الحميد رياض

الرقيـــم ..

ما هـــو المراد بالرقيم الذى ورد فى قصـــة أصحاب الكهف فى قول الله تعـــالى : « أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا . اذ أوى الفتيـــة الى الكهف فقـــالوا ربنـــا آتنـــا من لدنك رحمـــة وهيىء لنا من أمـــرنا رشـــدا » .

احمد منصور ــ دبى

اختلف العلماء فى المقصود من هذه الكلمة . فمن المؤرخين من قـــال : إنها اسم جبـــل ، ومنهم من قال : اسم كلب ، ومنهم من قال اسم قرية على بعد فرسخ من عمـــان على تخـــوم البادية ، وذكر الثعلبى عن ابن عبـــاس أن الرقيم واد بين غطفان وإيلة دون فلسطين ، وعن سعيد بن جبير أنه نـــوع من الحجارة ، وقيل من الرصاص كتبوا فيـــه قصص أصحاب أهل الكهف ثم وضـــعوه على باب الكهف ، وقال على بن أبى طلحة : الرقيم الكتاب ، وأيا كان فان الرقيم فى اللغـــة تعنى النقش والكتابة .

قال الله تعالى فى ســـورة المطففين (كتاب مرقوم . يشهده المقربون) والمرقوم هـــو المكتوب والمنقوش ، ويروى أن الكهف الذى آوى اليه أصحاب الكهف كان منقوشـــا من الداخل بالكتابات القديمة وغيرهـــا .

.. .. ..

الكـــويت ..

لدولة الكويت مكانة مرموقة فى العالم الاسلامى والمجتمع الدولى على الســـواء .

ويسعدنا ونحن فى بلاد الســـنغال أن تكشفوا لنـــا بعض الجوانب عن هـــذه الدولة الفتيـــة .

الحاج احمد سيدو

الكـويت بلد اسـلامى عـربى وسكانه عـرب ينحدرون من أصول عربية عريقة بالعروبة ، وما زالت عاداتهم وتقاليدهم عربية صرفة لم تؤثر فيها أية عادات وافـدة .

وتقع الكويت فى الشمال الغربى من الخليج العربى بين خطى عرض ٢٨ و ٣٠ درجـة شـمالا وخطى طول ٤٦ و ٤٨ درجـة شرقا تقريبا جنوبى العـراق وشمالى الاحسـاء من المملكة العربية السـعودية .

وهى منفذ طبيعى لشمال شرق الجزيرة العربية ، وقد اكتسبت بموقعها هـذا مكانة تجارية قديمـا وحديثـا .

ومساحة الكـويت (١٧٨٢٠) كيلو مترا مربعـا .
ويبلغ عدد السكان ٧٣٣١٩٦ حسب آخـر احصاء أجرى عام ١٩٧٠ م .
واكثر السكان من الجزيرة العربية والبلدان المجاورة واما السـكان الاصـليون فهم نزح من الجزيرة العربية والخليج العربى .

وأمراؤهـا آل صـباح فـرع من قبيلة عنزة وهى القبيلة التى ينتمى اليها آل سـعود العائلة الحاكمـة بالسعودية ، وآل خليفة العائلة الحاكمة بالبحـرين ، ويقيم غالبية السكان فى مدينة الكـويت وضواحيها ، والباقون يقطنون أماكن متفرقة خـارج العاصـمة .

والكـويت اليـوم مدينة تجارية عظيمة يفـد اليها كل يـوم من جميع أطراف العالم البواخـر والطـائرات والسـيارات وهى كثيرة الشبه بباقى المـدن العربية المحيطة بهـا .

وقـد تضافرت العوامل الاجتماعية والطبيعية والسياسية والاقتصادية على نموهـا وازدهارهـا ، وقـد مرت فى كل المراحل التى تمر بهـا أية مدينـة جـديدة .

ولقد أتصل أهـل الكويت بالعالم ، واشتغلوا بالتجارة واستخراج اللؤلؤ فأثروا ثـراء واضحا ، وكان ذلك قبـل ظهور النفط ، وهم يميلون للتجـارة بطبعهم .

وتبدو ملامح شخصية جديدة لهذا البلد الفتى ، فقـد أصبح التقـدم التكنولوجى نتيجـة حتميـة لانتصار العلم فى هذا العصر ، فلم يعد هنـاك مجـال أن يكتفى بما قد يجود به أرضه ، كما أصبح لزاما أن يبحث عن وسـائل أخرى يضيفها الى عصـب حياته الاقتصادية حتى تترسخ دعائم نهضـة اقتصادية تكون ركيزة جديدة الى جـانب البترول ، وكان الاتجـاه الى التصنيع وقامت بعض الصناعات فعـلا .

وبذلك تكون الكويت قد خطت خطوات على الطريق الى عـالم الصناعة بجـانب التجـارة .

بأقلام القراء

شـــــبهة تقدمية

« وأشرقت الارض بنور ربها »

يقول الاستاذ محمد سعيد عدى :

حدثنى (....) فقال : ما حال الأقليـــــات فى بلادنا اذا قامت الدولة الاسلامية وكنا بصدد مناقشة عن القومية ونشأتها وآثارها بالنسبة لنا نحن العرب بصورة خاصة ، فاجبته :

يا اخى ، ان الدارس الاسلامى الحقيقى ، بشكل موضوعى لا التاريخ الذى وضعه الصليبيون والمستشرقون وبعض خريجى الجامعات التبشيرية ، يقف على الحقائق الدامغة التى ترد الحجر من حيث أتى ، هذا الحجر الذى رماه المستشرقون وبعض الخريجين والصليبيين وانداده‍م فى وجه الدولة الاسلامية ، ليبعثروا ما تجمع لها من كيان ، وليسلطوا سلطانهم الحــاقد ، واســتعمارهم اللئيم الغادر على أمة القرآن الكريم ، على امة ســيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته الخالدة ..

ان الواقف على كبريات حقائق التاريخ يعرف ان حقوق الأقليات وحمايتهم ورعايتهم كانت فى ظل رسالة الاسلام ، لا فى ظل النعرات الضيقة ، فى ظل العدالة السمحة التى نادى بها الاســــلام ، لا فى ظل راية الحقد والتباغض والعصبيات المحلية الاقليمية .

اسمع يا اخى الى ما قاله البطريرك عيشوياية عام ٦٥٦ هـ .

« ان العرب الذين مكنهم الرب من السيطرة على العالم يعاملوننا بالعدالة كما تعرفون ، انهم ليسوا أعداء للنصرانية بل يمتدحون ملتنا ، ويوقرون قديسنا، ويمدون يد العون الى كنائسنا واديارنا » .

واسمع الى قول رسول المحبة والعدالة ســــيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : « من ظلم معاهدا ، او انتقصه ، او كلفه فوق طاقته ، او اخذ شيئا بغير طيب نفس منه فانا حجيجه يوم القيامة » .

والى قوله : ((من آذى ذميا فقد آذانى ، ومن آذانى كنت خصمه يوم القيامة)) ..

والذى اعتقده يا اخى انك سمعت قصة أمير المؤمنين عمر وقد مر فى الاسواق فوجد يهوديا يتسول فقال له ما هذا فقال .. عن حاجة يا امير المؤمنين ، فاقتاده عمر من يده وقال له : ((ما انصفناك .. ناخذ منك الجزية وانت شاب ونتركك تتسول وانت شيخ .. فأوصله الى خازن بيت المال ، وقال له : أعط هذا وأضرابه من بيت المال شيئا معلوما)) ..

واعتقد انك سمعت قصة الأمير عبد القادر الجزائرى يوم الفتنة الكبرى عام ١٨٦٠ فى دمشق والتى افتعلتها اياد اثيمة مستعمرة غادرة — لغاية فى نفس يعقوب — وكيف انه احتضن وحمى ١٠ آلاف مواطن نصرانى فى بيته يؤويهم ويطعمهم و ..

ففى ظل رسالة الاسلام ذلك لا فى ظل غيره .. وعلى كل فباعتبار اننى أومن بالقرآن الكريم دستورا ، وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم زعيما وبالاسلام دينا ونظاما ومنهاجا الحياة كلها يمكن تطبيقه فى كل عصر ومصر ، وانت لا تؤمن بذلك حيث انك تؤمن — كما تقول — بالاسلام عقيدة ودينا فقط ، وانه نظام عاجز عنمسايرةمتطلبات العصر الحديث ، فلا بد من ان يكون بيننا حكم ثالث ، وانا اختار القرآن الكريم — ان رغبت — او اقول المستشرقين وشهاداتهم التى لها فى نفوس ناشئتنا المسلمة — رسما واسما — اجل قدر واعظم مكان — حكما ثالثا فما رأيك .. ؟

استمع الى قول الله عز وجل فى كتابه : ((ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون)) .

وقال : ((وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)) .

وقوله : ((ما فرطنا فى الكتاب من شىء)) .. هذا بالاضافة الى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أم ليلة اسرائه فى القدس الشريفة جميع الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وكان ذلك تأكيدا لامامة الرسول صلى الله عليه وسلم لهم ، واعترافهم بذلك ، ((مثل لى النبيون فصليت بهم)) .

هذا غيض من فيض بالنسبة للقرآن الكريم والسنة المطهرة ، واليك شهادة بعض المستشرقين علك تثوب الى الحق وتعود اليه ..

يقول غوستاف لوبون : ((يا له من دين لو كان له رجال)) .

ويقول ماركس(١) فى صدد كلامه عن الزكاة فى الاسلام : « فالزكاة نظام اجتماعى عام ومصدر تدخر به الدولة المحمدية ما تمد به الفقراء ، وتعينهم ، وذلك على طريقة نظامية قويمة لا استبدادية تحكمية ولا غريبة طارئة .. وقد وحدت الأمة (كلها) فى اطار من دائرة اجتماعية عادلة .. وبذلك برهن النظام الاسلامى على انه لا يقوم على اساس من الأثرة البغيضة »(٢) .

هذه شهادة أعدائه قبل انصـــــاره .. فاين نحن .. ؟ وما لنا تائهون حائرون .. ؟

وهذه شهادة التاريخ وهو ينطق .. فالأخطل كان يدخل على عبد الملك بن مروان وعليه جبة خز وفى عنقه سلسلة من ذهب علق فيها صليب .

وما يقال عن الأخطل ، ومكانته ، يقال عن آل بختيشوع سلالة جورجيس ابن بختيشوع السريانى النسطورى طبيب المنصور وعن آل حنين من نصارى الحيرة ، وحبيش الأعسم ، وقسطا بن لوقا ، ويوحنا بن ما سويه واسطفان بن باسيل ، وسرجيس الراس ، وابن البطريق وغيرهم من الذين ســـــاهموا فى الحضارة العربية الاسلامية ..

على كل ـــ فيا أخى ـــ ان كان فى الماضى القريب اساءة لهؤلاء فلا يعقل ان تظل السماء صاحية ضاحكة ، فلا يكون ذلك من الاسلام الخالد العادل وانما هو من المسلمين ، وهذا ليس بعجيب ، فانظر الى التاريخ وما حدث فيه بين الكاثوليك والبروتستانت بسبب تعصب كل فريق الى فريقه ..

واخيرا فالدولة تعترف لهؤلاء بالمواطنة يتمتعون فى ظلها بنعيم الحرية ، ويتفيأون بوارف أشجارها ـــ العدالة والمساواة والاخاء ـــ بكثير من الحقوق والواجبات ، قل أن تحظى بها اقليات وطنية فى جميع انحاء العـــــالم .. ونتحدى .. !

وختاما ، فلا بد لشمس الحق ان تسطع ، ولا بد لظلام الباطل من جلاء وسنسير ـــ باذن الله ـــ راسخى الجنان ، ثابتى القدم ، عن حقنا مدافعين ، وعن اسلامنا ذائدين ، مهما تقول المتقولون ، وسنردد ما قاله رســـول الله صلى الله عليه فى الماضى ..

والله ـــ يا ناس ـــ لو وضعتم الشمس فى يميننا ، والقمر فى يسارنا على ان نترك أو ـــ نتزعزع فى امر دعوتنا ، ما تركناها حتى يظهرها الله او نهلك من دونها فنفوز باحدى ـــ الحسنيين .

اما نصر من الله وفتح قريب ، أو بشهادة فى سبيل الله ، والله اكبر والعزة لله ورسوله وللمؤمنين .

---

(١) ماركس هذا غير ماركس اليهودى الشيوعى ..

(٢) الاسلام والحضارة لكرد على ج ١ ص ٢٧١ .

(١) تضمين لمعنى الحديث الشريف .



قالت صحف العالم

مراجعة الحساب

لا ينقصنا المال فعندنا منه سيول داخل الصحراء ، ولا ينقصنا الدم فعندنا شباب غض الاهاب يكاد يتفجر دما ، ولا ينقصنا السلاح ، فالاسواق مفتوحة ما دامت الأيدى طويلة والجيوب مليئة ، ولا ينقصنا الحضارة والمدنية والثقافة ما دامت أسبابها متوفرة بل فائضة عن حاجتنا ، ولا ينقصنا العروش والتيجان وأنواع الحكم وألوان الجاه والسلطان ولا ينقصنا الفنيون والمهندسون والمدرسون والمبعوثون والدعاة والمرشدون ، ففى مصر وحدها من تلك الانواع جنود مجندة تصدر كل عام الى البلاد العربية والافريقية المجاورة .

فما هذا الشىء الذى ينقصنا اذا .. ؟

انما ينقصنا فقط الشعور بفداحة الخسارة وعظم الكارثة والتألم الحقيقى على ضعف المسلمين فى هذا الحين وقلة حيلتهم وهوانهم على الناس .

فهو العامل الوحيد الذى لا يعوض بشىء لا بالمال ولا بالعلم ولا بالسلاح ولا بالذكاء والدهاء ان هذه المؤهلات العلمية والفنية قد تعوض بعضها البعض وقد تسد احداهما فراغ الاخرى لحين من الدهر أما اذا لم نشعر بالخسارة مطلقا ولم نتألم لها بتاتا ، أما اذا لم تتوجع قلوبنا على مصيبة العالم الاسلامى كتوجع المرء اذى أهين فى قارعة الطريق ، أما اذا لم تسنح ضمائرنا وأحاسيسنا على رغم شماتة الاعداء ونكاتهم اللاذعة وسخرية الاجانب فى الصحف العالمية وهوان ابنائنا وشبابنا فى العواصم الغربية فان هذا الذهب الفائض فى داخل الارض وان هذه الالوان الزاهية البراقة من الحضارة وان هذه الاسلحة الحديثة المستوردة من الغرب والشرق لا تنفعنا شيئا ولو جمعنا بين معونات الكتل السياسية كلها ؟ اذا قمت بجولة قصيرة بين العواصم العربية الاسلامية اليوم وتجولت فى أسواقها العامرة وشوارعها المزدحمة ورايت صورتها فى الليل وجدتها كاملة العدة والعتاد كاملة الزينات والمباهج والملذات فيها العلم فيها الشباب وفيها المال وفيها الفن وعندها المقدسات والمشاعر والشعائر بل عندها الحرم وعندها زمزم ولكن ينقصها مع كل هذا الذى ذكرناه — ولا مؤاخذة — ذلك الشعور المفقود المطلوب بجراحها وآلامها جراحات القلب والروح وآلام الوجدان والضمير .

فما هو الحل وأين الطريق .. ؟

الحل أن نكهرب هذه الطاقات الخامدة الجامدة التى لا روح فيها ولا حياة ان هذه القوى والطاقات والمواهب والمؤهلات والوسائل والادوات كاسلاك الكهرباء فكيف ترى اذا عنينا بالاسلاك ونسينا الكهرباء اننا بوسائلنا الحاضرة نستطيع أن نحقق ما لم يكن بالحسبان اننا بوسائلنا القصيرة التى نزدريها ونستزيدها نستطيع أن نصنع المعجزات ونأتى بما يدهش له العقول وتتحير فيه الالباب ولكن بالوسائل الحية الوسائل النابضة المتحركة الوسائل المكهربة .

أن مواردنا ووسائلنا كثيرة متوفرة يفيض بها العالم الاسلامى كله فهنا مال وهناك أيد عاملة وهنا قرائح وهناك علوم وهنا عدد وهناك ذكاء ولكنها مع ذلك لا تؤدى وظيفتها ولا تلعب دورها ولا ينفع بلادها واهلها وقد يبدو للرائى ان سببه التفرقة والانقسام والوحدة تستطيع اذا تحققت أن تحل هذه المشكلة .

عن مجلة البعث الهندية

وذلك خطـا كبير أضـلنا أعواما طوالا فى متاهة الحيرة والفوضى الفكرية لا نجد سـبيلا الى الخلاص فالوحدة هى ايضـا لا تتحقق ولا تخرج الى حيز الوجود من غير هذا الكهرباء من غير هـذا العامل الاساسى الوحيد الذى ذكرنا وهـو الشعور بفداحة الخطب ووخـز الضـمير وتالم القلب والوحدة التى تقـوم على أسس صناعية أو خيالية أو على أغـراض سياسية ولا يكون وراءهـا رصـيد من تلك الطاقة المكهربة أو الطاقة المولدة لن تـدوم طويلا وتذهب حيث ذهبت الوحدات السابقة لانهـا وحدات سـاقطة أو وحدات ميتـة أو وحدات عرجـاء أو وحدات ذات ارجـل خشـبية لا تستطيع ان تقـوم واذا قامت فلن تستطيع أن تـدوم .

* * *

الامة العربية بين خيارين ـ الاستسلام المشين أو المقاومة المشرفة ..

دخلت الحرب العربية ـ الاسرائيلية مرحلة جديدة فى شهر تشرين الاول من عام ١٩٧٢ فقـد تميز هـذا الشهر باتبـاع العـدو تكتيكا جديدا يستهدف تنفيذا ما هددت به غولدا مائير بملاحقة الفدائيين العرب الى كل مكان .

ومع ان النشـاط الفدائى مجمـد كليا فى الوقت الحاضر فان العدو لم يتردد فى مواصـلة اعتداءاته بل انه وسـع نطـاق اعتداءاته بحيث شملت أوروبا ايضـا وذلك حين اقـدم على اغتيـال الشهيد وائل عادل زعيتر فى رومـا .

واذا كانت لا تزال هنـاك ذرة من ريب لدى عربى واحد بان العدو لن يتركنا حتى ولو تركنـاه ولن يتوقف عن محاربتنا حتى لو سـالمناه وسلمنا له بكل ما اغتصـبه فى حرب عام ١٩٦٧ فان الغـارات التى شـنتها طائراته على صـيدا وضواحى صـور والبقـاع وبعض المناطق السورية فى منتصف الشـهر الحالى واقدامه على اغتيال الشهيد وائـل زعيتر كل ذلك جـاء ليثبت من جديد ان اسرائيل لن تفتقر الى حجة تبرر بها عدوانها وذريعة تتوسل بها لمواصلة غاراتها البربرية على اراضـينا .

ان ما تريده اسرائيل هو استسلام عربى كامل دون قيـد أو شرط .

استسلام لا ينتزع منـا فقط اعترافنا بشرعيـة ضمها للاراضى الفلسطينية والعربية التى احتلتها فى عـام ١٩٤٨ وفى عـام ١٩٦٧ بل كذلك يرغمنا على فتح حدودنا فى وجـه رعاياها وازاضـينا فى وجـه سلعها . استسلام يجبر حكوماتنا على تبادل التمثيل الدبلوماسى معهـا استسلام يمكن العدو من التغلغل فى جميع الاراضى العربية والسيطرة على اقتصادياتها وتخريبها من الداخـل .

استسلام يضـع الاراضى العربية كلها تحت رحمـة العدو بحيث يتمكن من تنفيذ مرحـلة اخرى من مراحل مخططه الهادف الى انشاء دولة اسرائيل الكبرى الممتدة من النيـل الى الفرات بجهد اقل وتكاليف اصـغر مما دفعه حتى الآن .

استسلام يمكن العـدو من السيطرة على النفط العربى ويحول العرب لا فى فلسطين وحدها بل فى سـائر انحـاء الوطن العربى الى اجراء فى ديارهم .

هـذا هـو ما يريده العـدو .. واذا نحن لم نوافق على ذلك فان اسرائيل لن تعدم وسيلة ولا حجـة لمهاجمتنا وضرب مدنتـا وقصف قرانا وذبح اطفالنـا واحراق مزروعاتنا وتدمير ابنيتنا .

تلك حقيقة يجب الا يختلف عليها عربيـان اثنـان .

حقيقة اخرى يجب الا تكون موضـع جـدل أو خلاف أو مناقشة وهى اننـا نواجه اليوم كما واجهنا منذ بدء الهجمة الصهيونية على بلادنا واحدا من خيارين :

اما الاستسلام غير المقيـد وغير المشروط وهذا معناه اندحار الامة العربية ربما الى الابـد ، واما المقاومة وليس هناك من يقول ان المقاومة سـهلة انها تتطلب أشياء كثيرة لكى تكون فعـالة ومجدية وتحقق اهدافهـا .

(عن مجلة فلسطين)

أخبار العالم الإسلامي

اعداد الدكتور / عبد المعطى بيومى

الكويت : وجه حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم كلمة شكر الى ابناء الوطن على الحفاوة العظيمة التى عبرت عن فرحة الشعب بمناسبة شفائه وعودة سموه مكتمل الصحة موفور العافية .

● عقد فى الكويت فى الشهر الماضى مؤتمر وزراء الدفاع والخارجية العرب ، وقد بحثوا فى امكان وضع خطة عربية لمجابهة الخطط الصهيونية ، وأعلن الأمين العام للجامعة أن توصيات اللجنة ستعرض فى اجتماعين قادمين .

● عقدت اتفاقية بين الكويت والمغرب تستهدف توثيق علاقات البلدين التجارية والاقتصادية والاعلامية .

● ناشدت الكويت على لسان سعادة الشيخ سعد العبد الله الصباح — البلاد العربية بأن تكون على مستوى المسئولية والخطر ، وأن تتحمل كل منها نصيبا من أعباء المعركة .

● وصف رئيس وفد منظمة التحرير الفلسطينية نتائج المؤتمر بأنها بداية هادئة جدا على طريق ملىء بالمصاعب .

مصر : بدأت الاستعدادات للاحتفال بمرور الف عام على الأزهر فى شهر يونيو القادم على مستوى ملوك ورؤساء الدول الاسلامية .

● تقرر أن يتلقى بنك ناصر وبنك القاهرة الزكاة من المواطنين وصرفها فى المجالات التى حددتها الشريعة الاسلامية .

● ستنشىء جامعة الأزهر بالاشتراك مع الامم المتحدة مركزا سكانيا تابعا للجامعة ، وقد بدأت الاجراءات اللازمة لانشاء هذا المركز .

السعودية : قام جلالة الملك فيصل فى الشهر الماضى برحلة الى بعض الدول الافريقية لتوثيق علاقة المملكة السعودية بمسلمى افريقيا .

● تلقت جماعة تحفيظ القرآن الكريم بمكة المكرمة مبلغ (٢٠) الف ريال قيمة التبرع السنوى للجماعة من جلالة الملك فيصل .

● قام الشيخ ضياء الدين باباخانوف مفتى المسلمين فى طشقند بزيارة الى المملكة العربية السعودية بعد حضوره الدورة الاخيرة لمؤتمر مجمع البحوث الاسلامية .

● دعت جماعة تحفيظ القرآن الكريم بمكة المكرمة (٤ آلاف طالب — ١٤٠ معلما) المسلمين الى بذل التبرعات حتى تستطيع مكافأة المتفوقين ومواصلة برنامجها الجليل .

أبو ظبى : تحتفل دولة اتحاد الامارات العربية بالعيد الاول لقيامها فى شهر ديسمبر ٧٢ ويشهد الاحتفال وفود من الدول العربية .

● أتم مجمع البحوث الاسلامية مشروع تقنين الشريعة الاسلامية فى بعض المذاهب الفقهية ، وسيعرض المجمع هذا المشروع على مفكرى وهيئات العالم الاسلامى لابـداء الرأى فيـه لوضعه فى الصيغة النهائية .

● أوصت لجنة شئون القرآن بمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر بمعاملة حـافظ القرآن معاملة المؤهل فى الجيش .

● تقرر انشـاء معهد عـال للسنة يلحق بكلية أصـول الدين سيمنح طلابه مكافأة شهرية .

الأردن : قرر وزراء خارجية الدول الاسلامية بالامم المتحدة تشكيل لجنة للبحث فى قيـام اسرائيل بتغيير المعالم المقدسـة فى مدينة القـدس ، وستعرض اللجنة تقريرها فى مؤتمر وزراء الخارجية الاسلامى القـادم .

● قامت اسرائيل أخـيرا ببنـاء ٤ معـابد يهودية فى القـدس العربية بعد أن ازالت المساكن العربية وبعض الكنائس من المكان الذى بنت فيه هذه المعـابد .

● انتهت المرحلة الاولى من بناء المستشفى الاسلامى الخيرى فى عمان ، ويجرى الآن جمع التبرعات لاكمال المشروع .

سـوريا : شكلت لجنة من علماء الآثار لدراسة آثار (قطنة) التى يرجـع تاريخها الى عهـد الأمويين ، وكانت عاصـمة من عواصمهم المهمة فى مطلع الألف الثانى قبل الميلاد .

اليمـن : عقدت فى القاهرة فى الشهر الماضى اتفـاقية للوحدة بين شـمال اليمن وجنوبه وقعهـا كل من رئيس الوزراء فى الشمال والجنوب .

ليبيـا : طالبت ليبيـا الامم المتحدة بضرورة جعل اللغـة العربية لغـة رسمية فى المنظمة الدولية .

المغـرب : نوقشت الاتفاقية التجارية بين المغرب والمملكة العربية السعودية فى سبيل توثيق العلاقات بين البلدين العربيين المسلمين .

تركيـا : شكلت لجـان اقتصادية عراقية وتركية لبحث الوسائل الكفيـلة بزيادة حجم التعاون التجارى والاقتصادى بين العراق وتركيـا بعض تقلص نشـاط تركيا مع اسرائيل .

الصـومال : انفقت الحكومة الصومالية (١٠ر٠٠٠) شلن صومالى لتجـديد بعض المسـاجد فى الصـومال .

باكسـتان : أبلغت باكستان الامم المتحدة أنها لا تستطيع الاعتراف بما يسمى « بنجلاديش » فى باكستان الشرقية لانها لا تنسى أنها جزء من باكستان انفصل عنها بقـوة التدخل الخارجى الهنـدى .

● ذكرت آخر الاحصاءات أن عـدد سـكان باكستان الغربية بلغ ٥٨ر١٠٠ر٠٠٠ .

افغانسـتان : سيعقد مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية فى كابـول فى شـهر مايـو القـادم .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	ذو القعدة ١٣٩٢ هـ	ديسمبر ١٩٧٢ م	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي: فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي: فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
الاربعاء	١	٦	٤ ٥٥	٦ ٢٨	١١ ٣٨	٢ ٢٩	٤ ٤٨	٦ ١١	١٢ ٧	١ ٤٠	٦ ٥٠	٩ ٤١	١ ٢٣
الخميس	٢	٧	٥٦	٢٩	٣٩	٣٠	٤٨	١١	٨	٤١	٥١	٤١	٢٣
الجمعة	٣	٨	٥٦	٢٩	٣٩	٣٠	٤٨	١١	٨	٤١	٥١	٤٢	٢٣
السبت	٤	٩	٥٧	٣٠	٣٩	٣٠	٤٨	١١	٩	٤٢	٥١	٤٢	٢٣
الاحد	٥	١٠	٥٨	٣١	٤٠	٣٠	٤٩	١٢	٩	٤٢	٥١	٤٢	٢٣
الاثنين	٦	١١	٥٩	٣٢	٤٠	٣١	٤٩	١٢	١٠	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣
الثلاثاء	٧	١٢	٥٩	٣٢	٤١	٣١	٤٩	١٢	١٠	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣
الاربعاء	٨	١٣	٥ ٠٠	٣٣	٤١	٣١	٤٩	١٣	١٠	٤٤	٥٢	٤٢	٢٣
الخميس	٩	١٤	٠٠	٣٤	٤٢	٣٢	٥٠	١٣	١١	٤٤	٥٢	٤٢	٢٤
الجمعة	١٠	١٥	١	٣٤	٤٣	٣٢	٥٠	١٤	١١	٤٥	٥٣	٤٢	٢٤
السبت	١١	١٦	٢	٣٥	٤٣	٣٢	٥٠	١٤	١١	٤٥	٥٣	٤٢	٢٤
الاحد	١٢	١٧	٢	٣٦	٤٤	٣٣	٥١	١٥	١١	٤٥	٥٣	٤٢	٢٤
الاثنين	١٣	١٨	٣	٣٧	٤٤	٣٣	٥١	١٥	١٢	٤٦	٥٣	٤٢	٢٤
الثلاثاء	١٤	١٩	٤	٣٧	٤٥	٣٤	٥٢	١٦	١٢	٤٦	٥٣	٤٢	٢٤
الاربعاء	١٥	٢٠	٤	٣٨	٤٥	٣٤	٥٢	١٦	١٢	٤٦	٥٣	٤٢	٢٤
الخميس	١٦	٢١	٥	٣٨	٤٦	٣٥	٥٣	١٧	١٢	٤٦	٥٣	٤٢	٢٤
الجمعة	١٧	٢٢	٥	٣٩	٤٦	٣٥	٥٣	١٧	١٢	٤٦	٥٣	٤٢	٢٤
السبت	١٨	٢٣	٦	٣٩	٤٧	٣٦	٥٤	١٨	١٢	٤٦	٥٣	٤٢	٢٤
الاحد	١٩	٢٤	٦	٤٠	٤٧	٣٦	٥٤	١٨	١٢	٤٦	٥٣	٤٢	٢٤
الاثنين	٢٠	٢٥	٧	٤٠	٤٨	٣٧	٥٥	١٩	١٢	٤٦	٥٣	٤٢	٢٤
الثلاثاء	٢١	٢٦	٧	٤١	٤٨	٣٧	٥٥	١٩	١٢	٤٦	٥٣	٤٢	٢٤
الاربعاء	٢٢	٢٧	٧	٤١	٤٩	٣٨	٥٦	٢٠	١١	٤٥	٥٣	٤٢	٢٤
الخميس	٢٣	٢٨	٨	٤١	٤٩	٣٨	٥٦	٢٠	١١	٤٥	٥٣	٤٢	٢٤
الجمعة	٢٤	٢٩	٨	٤١	٥٠	٣٩	٥٧	٢١	١١	٤٥	٥٣	٤٢	٢٤
السبت	٢٥	٣٠	٨	٤٢	٥٠	٤٠	٥٨	٢١	١١	٤٤	٥٢	٤٢	٢٣
الاحد	٢٦	٣١	٩	٤٢	٥٠	٤٠	٥٨	٢١	١٠	٤٤	٥٢	٤٢	٢٣
الاثنين	٢٧	يناير	٩	٤٢	٥١	٤١	٥٩	٢٢	١٠	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣
الثلاثاء	٢٨	٢	٩	٤٢	٥١	٤٢	٥ ٠٠	٢٣	١٠	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣
الاربعاء	٢٩	٣	٩	٤٢	٥٢	٤٢	٠٠	٢٣	٩	٤٢	٥١	٤٢	٢٣
الخميس	٣٠	٤	١٠	٤٣	٥٢	٤٣	١	٢٤	٩	٤٢	٥١	٤٢	٢٣

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار ـ ٧ شارع الصحافـــة .

جـــدة : الدار السعودية للنشر ـ ص.ب ٢٠٤٣ .

الرياض : مكتبة مكـــة ـ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ـ ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة ـ ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعـــة ضياء .

عـــدن : وكالة الأهرام التجارية ـ السيد محمد قائد محمد .

المكـــلا : مكتبـــة الشعب ـ ص.ب ٢٨ .

مســـقط : المكتبـــة الحديثة ـ السيد يوسف فاضل .

صنعـــاء : مكتبة المنار الاسلامية ـ السيد عاصم ثابت .

دمشـــق : الشركة العامة للمطبوعات ـ ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ـ ص.ب ٢٤٧٣

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية ـ ص.ب ٦٧ .

عمـــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات ـ ص.ب ٢١٥ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى ـ ص.ب ١٣٢ .

بنغـــازى : مكتبة الوحدة الوطنية ـ ص.ب ٢٨٠ .

تـــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بـــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـ كورنيش المزرعة .

دبـــى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـ السيد غازى بساط .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـ ص.ب ١٧١٩

الدوحـــة : سالم الانصارى ـ الدوحة / قطر .

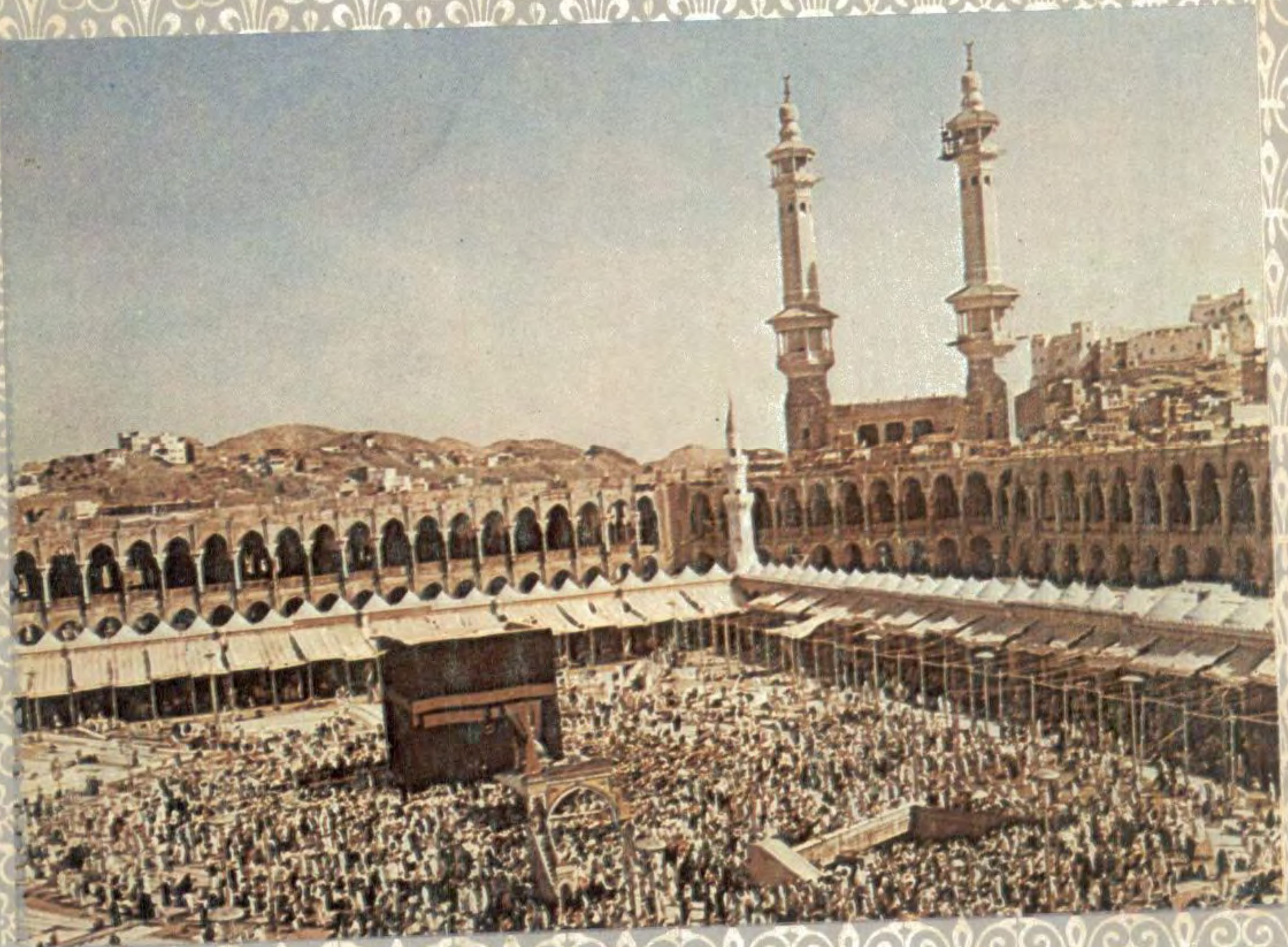
ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

العدد القادم : ممتاز

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

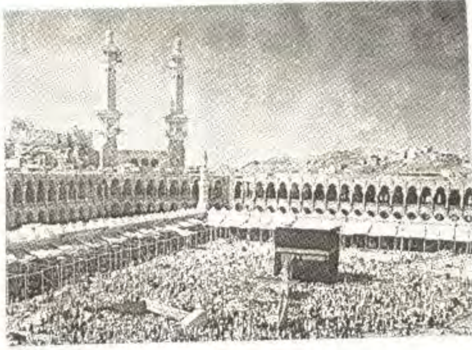


السنة الثامنة ـ العدد ٩٦ ـ غرة ذى الحجة ١٣٩٢ هـ

وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ

محمد مؤذنی

مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيْلًا



البيت الأول

« إن اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين »

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة الثامنة

العدد ٩٦

غرة ذى الحجة ١٣٩٢ هـ

٥ ينـاير ١٩٧٣ م

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربى	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

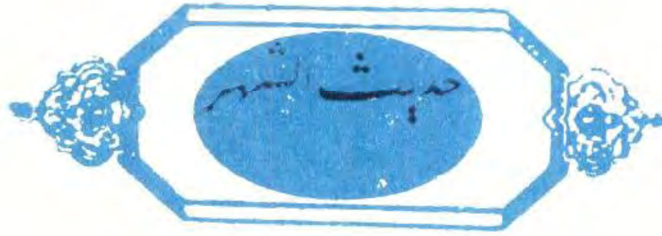
الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
اما الافراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مجلة الوعى الاسلامى
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص.ب : ١٣ كويت
هاتف : ٤٢٨٩٣٤ — ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم



آمنوا واعملوا

إلى الذين فتح عليهم باب القول ، وأغلق عليهم باب العمل .

إلى الذين يظنون أنهم مظلومون ، وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون .

إلى الذين يكاد لهم نهارا ، ويدبر لهم علانية ، ويتآمر على إذلالهم وسحقهم جهرة ، وهم في غفلة لاهون .

إلى الذين يطلبون العزة من غير سبب ، والنصر من غير جهد ، والغنى من غير سعى ، والنهوض من غير طاقة .

إلى الذين يقولون : أين العزة التى كتبها الله لنا على نفسه : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » والوعد الذى أنزله الله فى كتابه : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » والتمكين الذى سجله الله فى آياته : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » .

إلى الوارثين الذين ملك آباؤهم أقطار الأرض وملأوها علما وحضارة بإيمانهم وجهادهم وعقلهم وعلمهم ، ثم جاءوا من بعدهم فبددوا ما ورثوا ، وجهلوا ما علموا ، وكان أمرهم فرطا .

إلى الذين يأكلون ويلبسون ويركبون مما صنع غيرهم ، ولا يدرون كيف كان إعداد ما أكلوا ، ولا نسج ما لبسوا ، ولا تصميم ما ركبوا . يستهلكون ولا ينتجون .

إلى الذين يحلمون ولا يستيقظون، ويتمنون ولا يعتمـــون ، ويرددون : ((كنتم خير أمة أخرجت للناس)) ولا يذكرون : ((تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)) .

إلى الـــــذين يؤمنون ولكنهم لا يعرفون تكاليف الايمان ، أو يعرفونها ولكنهم لا يعملون .

إلى هـــــؤلاء وهـــــؤلاء .. إلى سبعمائة مليون مسلم ، من بينهم مائة مليون عربى حلت بهم فتنة لم تصب الذين ظلموا منهم خاصة .. إليهم جميعا هذا الحديث .

★ ★ ★

روى جماعة من اهل العلم بتفسير القرآن ان مجلسا ضم طائفة مـــن اليهود والنصارى والمسلمين ، فزعم كل فريق منهم انه اولى الناس بعون الله وتأييده فى الدنيا ونعيمه وثوابه فى الآخرة : اليهود قالوا : نحن أتباع موسى الذى اصطفاه الله برسالاتـــه وبكلامه ، والنصـــارى قالوا : نحن اتباع عيسى روح اللـــه وكلمتـــه ، والمسلمون قالوا : نحن أتباع محمد خاتم النبيين ، وخير أمـــة أخرجت للناس ... وشاء الحـــق تبـــارك وتعالى أن يفصل بينهم فى هذا النزاع وان يبين لهم ان قاعدة التأييد والجزاء ترتكز على الايمان والعمل . لا على مجـــرد التبعية والانتساب فأنـــزل سبحانه يخاطب المسلمين : ((ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب مـــن يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ، ومن يعمل من الصالحات من ذكر او أنثى وهو مؤمن فأولئـــك يدخلون الجنـــة ولا يظلمون نقيرا)) .

★ ★ ★

إن الايمان بغير عمل شجر بـــلا ثمر ، ودمية لا حياة فيها ولا حركـــة ... إبليس كان يعلم أن ربه الله وانه واحد لا شريك له ، وكان يعـــلم أن مصيره اليه يوم سيبعثون ، ولكن لما صدر اليه الأمـــر الالهى بالعمـــل ((اسجد)) استكبر وتمرد ، وقال : لا ، فلم تشفع له معرفته بوحدانية الله لأن المعرفة المجردة عن معنى الخضوع المطلق لرب العالمين لا وزن لها ، ولأن العلم الذى لا يصاحبـــه العمل لا قيمة له ، ولذا كان جزاؤه ((فاخرج منها فإنك رجيم)) .

وكما ان الايمان من غير عمل لا يغنى فكذلك العمل من غير ايمان كبناء على غير أساس . على شفا جرف هار . كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء . كهشيم تذروه الرياح : ((مثل الذين كفـــروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرون على شىء مما كسبوا . ذلك هو الضلال البعيد)) .

★ ★ ★

إن الايمان الحق بالله ، والايمان الصادق برسول الله وبكل ما جاء به عن الله قوة ايجابية محركة . طاقة بناءة هائلة . تمـــلأ قلب المؤمن ، وتسرى فى دمه ، وتنفذ الى عقلـــه وفكره ، وتســـيطر على شـــعوره ووجدانـــــه ، وتتحكم فى عزيمتـــه

وارادته ، وتوجه وتحرك جوارحه ، وتلازمه فى الليل والنهار ، وتصاحبه فى السر والعلانية ، فلا يعصى للـــه أمرا ولا يرى إلا حيث أحب الله ، ولا يفتقد إلا حيث يبغض الله .

إن الايمان بالله قوة منتجة مستكنة فى أعماق النفس المؤمنة تظهر آثارها وثمارها فى السلوك والتصرف فـــى العمل الجاد لله ، والطاعة المطلقة لحكم الله والتضحية بالهوى مرضاة لوجـــه الله .

وقد قرن الله الايمان بالعمل فى أكثر من سبعين آية من آيات القرآن الكريم ، فما من آية ذكرت الايمان مجـــردا ، بل عطفت عليـــه عمل الصالحات ، والصالحات جماع كل خير ومجد للفرد والجماعة ، وبهذا أصبحت صلة العمل والسلوك والخلق بالايمان صلة وثيقـــة لا يعروهـــا وهن ، قال تعالى : « إنما المؤمنون الـــذين آمنوا بالله ورسولـــه ثم لم يرتابوا وجاهـــدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون » وقال عز من قائل « والذين آمنـــوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل اللـــه والذين آووا ونصروا أولئـــــك هم المؤمنون حقا » .

ولقد حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد الحرص على لفت أنظار المؤمنين وتوجيه انتباههم إلى أن يكون سلوكهم مع الله ومع الناس، وتصرفهم فى كل شئون الحياة مصدقا لايمانهم ومظهرا لعقيدتهم ، فقال لمن سأله قولا فى الاسلام لا يسأل عنه أحدا غيـــره : « قل آمنت باللـــه ثم استقم » .

والظن بأن مجرد دعوى الايمـــان والانتســـاب للاســـــلام ، والنطق بالشـــــهادتين والتســـمى بأسماء المسلمين يكفل للمدعين نصر الله فى الدنيا ، ويفتح لهم أبواب الجنة فى الآخرة يدخلونها بسلام آمنين ، وإن كانوا غارقين فى المعاصى لأذقانهم . مفســـــدين فى الأرض . كســـالى خامدين : هـــذا الظن وهم وخطـــأ وضلال بعيد .. هذا ايمان صورى لا ينجى صاحبه من خزى الدنيا وعذاب الآخرة ، فالسعادة ليست للفارغين الهازلين ، والجنة ليست للعاصـــين المتمردين : « ليس الايمان بالتمنى ، ولكن ما وقـــر فى القلب وصـــدقه العمل ، وإن قوما خرجوا من الدنيا ولا عمل لهم ، وقالوا نحـــن نحسن الظن بالله وكذبوا . لو احسنوا الظن لأحسنوا العمل » .

إن الناظر فى ماضى المســـلمين وحاضرهم ليعجب أشـــد العجب مما كانوا فيه ، وما صـــاروا اليـــه : المســـــلمون فى أول أمرهم أتـــوا بالعجائب غزوا وفتحوا وسادوا .. والمسلمون فى آخر أمرهم أتـــــوا بالعجائب أيضـــا ذلـــوا واستكانوا وضعفوا ، والقـــرآن هو القرآن ، وتعاليم الاسلام هى تعاليم الاسلام .. فلماذا ساد الأولون وذل الآخرون .. لا سبب إلا أن الأولين عملوا والآخرين تركـــوا ، ولن يستقيم حالنا إلا بما استقام به ماضينا ايمان وعمل ، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .. اعتصام بالله ووقوف عنـــد أمره ونهيه ، واقتـــداء برسول الله وعمل بسنته : « لقد كان لكم فـــى رسول الله أسوة حسنة » .

رئيس التحـــرير

رضوان البيـــلى

عقدة القديم والجديد

عند خصوم الشريعة الإسلاميّة

للاستاذ محمد سعيد رمضان البوطى

يطيل بعض الباحثين القول فى بيان صلاح الشريعة الاســـــلامية لكل عصر ، يتعبون أنفسهم فى الكشف عن مزيد من الأدلة على مرونتها واستجابتها لمختلف المشاكل التى تبحث عن حل ، وعلى انسجامها مع مختلف الظروف التى يفرضها قانون التطور فى الحياة .. يأملون أن يتحول خصوم هذه الشريعة ، بذلك ، الى أصدقاء يعترفون بعظيم شأنها ويؤيدون الدعوة الى تطبيقها والاحتكام اليها ..

وواضح أن ما يقوله هؤلاء الباحثون صحيح .. فشريعة الاسلام منسجمة ومتسقة مع فطرة الانسان وحاجاته ، مهما تطور فى سلم الحضارة صاعداً أو هابطاً .. وانها لحقيقة تفرض نفسها ، سواء آمن بها الناس أم كفروا .

الا أن وضوح هذه الحقيقة لن يغير من موقف الخصوم شيئا .. وهى باســـتقلالها لن توجد فى نفوس هؤلاء الخصـــــوم أى حافز لتطبيق الشريعة الاسلامية ونسخ سائر النظم والقوانين الاخرى بها ، مهما قامت عليه من قواطع الأدلة والبراهين .

وفى اعتقادى أن الاطالة فى الحديث عن صلاحية الشريعة الاسـلامية ومرونتها مضيعة للوقت ومناقشة فى غير محل النزاع . فضلا عما تنطوى عليه من دوافع التغيير والتبديل لكثير من أحكامها بين الحين والآخر . فى سبيل تثبيت المزيد من مظاهر هذه الصلاحية والمرونة أمام الآخرين .. !

عقدة نفسية ضد (القديم)

ان السبب الذى يجعل من هؤلاء الناس خصوما للشريعة الاسلامية . عقدة تكمن فى غور بعيد من أعماق النفس وليست مشكلة قائمة فى الفكر أو العقل ..

انها عقدة (القديم) .. !

فالنفس الانسانية من شأنها أن تتبرم بالقديم وتعافه . اذ يخيل اليها أن الزمن استحلب خيراته واعتصر كل ما قد كان فيه من جدوى ونفع .. ! كما أن من شأنها أن تحفل بكل جديد وتتشوق اليه . اذ يخيل اليها انه قد يكون مليئا بما لم يكتشفه الزمن من النفع والخير . ولا يستثنى من التأثر بهذه الظاهرة النفسية والوقوع تحت سلطانها الا أولئك الذين بذلوا كل ما لديهم من جهد فى سبيل أن يعتقوا عقولهم من الأوهام وأن يحرروها من غوائل النفس .

خذ أحدث قانون اجتمعت على وضعه لجنة من خيرة علماء القانون . يلبى كل حاجات هذا العصر وينسجم مع سائر ظروفه وأحواله . ثم قدمه الى المجتمع على أنه قانون قديم يعود الى عهد جستنيان . ثم انظر كيف يعافه الناس من علماء وجهال . وتأمل كيف يختلقون فيه نقيصة اثر أخرى . ولئن لم يتمكنوا من أن يعلموا به ذلك فحسبه نقيصة على كل حال أنه يحمل على كاهله أثقالا من القرون والأجيال المتراكمة .

وانظر الى القانون الفرنسى القـــائم اليوم . وتأمل فى عدد الدول التى أعجبت به واعتمدته ــ والكثير منها دول عربية اسلامية ــ تجد أن قيام هذا القانون فى واقعه على كثير من الاحكام الفقهية المدونة فى مذهب الامام مالك لم يحل دون اقتباسه والاعجاب به . لأنه عندما قدم للعالم انما قدم اليه على أنه ابداع جديد فرض نفسه فى أعقاب الثورة الفرنسية . ولم يقدم اليه على أنه يحوى طائفة كبيرة من الاحكام الفقهية فى كثير من مسائل العقود والمعاملات !

وللدكتور أحمد عبد العزيز النجار دراسات جديدة هامة فى الاقتصـــاد تستهدف انشاء نظام مصرفى . بل اقتصادى . متكامل . لا ينهض على شىء من الفائدة الربوية .. ولعل كثيرا من القراء يعلم أن مشروعه هذا لم يلق قبولا حتى بعد ميلاده حيا سليما قادرا على أن يقف مستقيما على قدميه .. ! ولكن دراساته هذه استأثرت باهتمام طائفة من الاقتصـــاديين فى المانيا . وتحول الاهتمام لديهم الى دراسة جادة وبحث ونقد لهذه الاستراتيجية (الجديدة) فى محاولات التنمية والاقتصــــاد . وأغلب الظن أن مشروع الدكتور النجار هذا سيلقى الاعجاب والقبول التام من أولئك الذين رفضوه بالأمس . اذا كتب له أن يعود اليهم من المانيا بكسوة أوروبية حديثة وبميلاد جديد لا ينتمى الى القرون السالفة بأى علاقة أو نسب .. !

اعتراضات تقليدية لمجرد صرف الانظار

وهكذا ، فان أمر الجدة والقديم . هو الذى يلعب الدور الفعال فى ايجاد دوافع القبول والرفض . وان ظهرت هذه الدوافع بمظهر أى شىء آخر ..

قد تظهر هذه الدوافع بشكل استهجان لقسوة ما فيها من الحدود .. ! وقد تظهر بشكل ادعاء بأن أحكامها المالية لا تتفق والنظم الاقتصادية الحديثة ! .. وقد تظهر بشكل حيرة أمام ما تفور وتموج به — على حد تعبيرهم — من نوازع الخلاف والاجتهاد وكثرة القيل والقال ؟ .. الا أن شيئا من هذه الدوافع الشكلية لا يعتبر الحاجز الحقيقى الذى يصد خصوم الشريعة الاسلامية عن قبولها .. بل ان هذه الدوافع الشكلية مجتمعة ومتضافرة لا تشكل فى الحقيقة أى سبب ذاتى من أسباب الرفض .. !

وما عجبت من باحث تعجبى ممن يصطنع البحث العلمى اذ يقول : ان الحكم بقطع يد السارق أو رجم الزانى ينطوى على قسوة ترفضها انسانية القرن العشرين — يقول هذا دون أن يتذكر بأن قانون المقصلة والسحل والتذويب فى الاحماض من أخص مقومات حضارة القرن العشرين .

ولست أقصد بهذا أن أقابل استنكارا بمثله . فان استنكار العقوبة من حيث ذاتها ، لما قد يتراءى فيها من قسوة بالغة أو ليونة زائدة . خطأ فى أصل النظر والتقدير .

عقوبات القوانين انعكاس لنظرتها الى القيم

ان شرع عقوبة ما ، من حيث ذاتها . انما هو فرع عن النظرة المعينة الى الجريمة التى استوجبته . وما تشتد العقوبة أو تلين الا تبعا لتقويم الجريمة التى اقتضتها والايمان بمدى خطورتها . وبناء على هذه الحقيقة الواضحة فان توجيه النقد الى العقوبة بحد ذاتها . مفصولة عن النظر الى الفعل الذى استوجبها . يعتبر غباء عجيبا وذهولا عن أبسط النظم العامة التى يقوم عليها شرع العقوبات .

رب كلمة واحدة لا نرى لها من شأن عندنا ، يتفوه بها فرد من رعايا دولة مجاورة . تواجهه بسببها عقوبة الاعدام . ورب فاحشة عظمى نرى وجوب مكافحتها أكثر مما يكافح داء وبيل . تشيع بين رعايا تلك الدولة فلا يؤبه بها ولا يلتفت اليها بأى نقد أو استنكار . ولقد كان قدماء الرومان يغمسون أولادهم فى الأيام الاولى من ولادتهم فى مياه غامرة أو نبيذ ونحوه . حتى اذا عجز أحدهم عن المقاومة واختنق . مات غير مأسوف عليه .. ! ولم يكن القضاء ينظر الى هذا العمل بأى استهجان أو استنكار . ولو أن أحدا من الناس فعل اليوم ذلك لعوقب عليه عقابا يوصله الى الموت .. !

وواضح أن أحدا ممن يحترم عقله لا يشغل تفكيره بالتعجب من مفارقات هذه الاوضاع .. لأنه يعلم ما قد يعلمه كل عاقل . أن شرع العقوبات فى أى أمة انما يترتب على ما اعتمدته فيما بينها من فلسفة للقيم ونظرة الى الحياة . وانما الشرط القانونى لسلامة العقوبة أن تنسجم مع فلسفة الأمة التى اعتمدتها ، لا أن تنقاد لرأى من لم يكن له من شأن بها أو التفات اليها .

قاعدة تشمل الاسلام وغيره

واذا كان لكل أمة أن تقيم نظام الروادع فى حياتها على أساس ما انتهت اليه من نظرة الى الحياة وقيمها ، فان الشريعة الاسلامية ينبغى أن تملك — على فرض أدنى الاعتبارات — هذا الحق نفسه . واذا ما أراد أحد أن يوجه اليها أى نقد يتعلق بنظام ما فيها من روادع ، فان عليه أن يتجه بنقده الى تقويمها الاساسى للحياة ، لا الى ما تفرع عنه ، بسائق الضرورة ، من المقتضيات والاحكام .

ومع أن هذا الكلام ترديد لحقيقة واضحة لا يمكن أن تغيب عن بال احد من علماء القانون أو المفكرين عامة ، فان خصوم الشريعة الاسلامية يتصرفون فى نقدهم لها كما لو كانوا على جهل تام بها .. ! يعذرون دولة ما من دول العالم اليوم فى أن تزهق روحا انسانية كريمة من اجل كلمة واحدة ، بحجة أن لها ذاتيتها المعينة التى تكسبها نظرة خاصة الى المصالح والقيم ، ثم لا يعذرون شرعة الاسلام « ولنفرض انها من وضع دولة وليست حكم إله » فى أن تحكم بقتل الزانى بناء على مالها من ذاتية مستقلة اكسبتها هى الاخرى نظرة خاصة الى المصالح والقيم .. !

غير أن الحقيقة أن منبع استنكار هؤلاء الخصوم ليس استشعارا لقسوة فى الحكم ، ولا رحمة مزعومة فى القلب ، ولا هلعا صادقا على الانسانية .. وانما منبعه — كما قلت لك — معاناة هؤلاء الناس لعقدة الجديد والقديم .. !

ومعلوم أن العقد النفسية لا تبرز فى كلام أصحابها بهويتها الحقيقية ، وانما تبرز على السنتهم فى مظهر من النقاش الفكرى والنقد العلمى والدفاع الانسانى ..

لا تحل العقدة الا بالعقيدة

ولنتساءل بعد هذا : فما الوجه فى حل هذه العقدة .. ؟

والجواب أن أى انصراف الى (تزويق) الشريعة الاسلامية وتجميلها ، أو الى التفنن فى عرضها وتيسير السبيل الى معرفة احكامها — لا يمكن أن يبدل شيئا من نظرة الخصوم تجاهها ، أى لا يمكن أن يقوى على حل شىء من هذه العقدة التى فى نفوسهم عنها .. !

وانما الوجه فى ذلك أن نعود بهم الى اساس العقيدة الاسلامية التى اتجه بها القرآن الى الناس يغرسها فى نفوسهم وينبه اليها عقولهم خلال ثلاثة عشر عاما ، دون أن يخاطبهم طيلة تلك المدة بكلمة واحدة فى التشريع ..

الوجه فى حل هذه العقدة ، أن يقتنع هؤلاء الخصوم بأن هذا التشريع انما هو حكم الله .. ! لم ينبع من أرض عربية ، ولا اقتبس من أمة أعجمية ، ولا اخترعته « ادمغة قانونية »(1) خلال التاريخ ، وانما تنزل وحيا من الله الذى لا اله الا هو على قلب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، ليبلغه الى الناس كلهم فيحتكموا اليه فى كل زمان ومكان .

ولا يخدعنك ما قد يظهر به احدهم أمامك من منطق الاسلام وسيما الايمان ، فإما أنه يخدعك بما يتظاهر به أمامك ، وإما أنه يخدع نفسه بما يرضيها من كلمات الايمان والاسلام .

ان اطلاق كلمة « التشريع الالهى » على الشريعة الاسلامية استعمال شائع على السنة كثير من الناس اليوم ، ولكن استعمال هذه الكلمة شىء ويقين القلب بمضمونها شىء آخر .. ! الم تر كيف يفحط بعض الباحثين فى هجوم حاقد عجيب على الشريعة الاسلامية ، ثم يستدرك قائلا : ولكنى مسلم حججت والدتى وأختى على حسابى مرتين .. !!

مثل هؤلاء الناس يخدعون أنفسهم أو يخدعون من حولهم ، عندما يرددون شعار الاسلام وكلماته ، والمشكلة فى حياتهم ليست مشكلة التشريع الاسلامى وحده ، بل هى مشكلة كل ما يتفرع عن الاسلام من مبادىء وقيم وأحكام .

واذا كان الامر كذلك ، فان حديثنا مع هؤلاء الناس ينبغى أن يعود الى أول الطريق : هل يوجد أدنى احتمال بأن القرآن من تأليف محمد عليه الصلاة والسلام ، وانه كان يكذب — والعياذ بالله — فى نسبته الى الله .. ؟ وهل

---

(1) هكذا يقول المستشرق الالمانى شاخت .

تسمح سيرته عليه الصلاة والسلام وما قد عرف به من خلق وسلوك باسناد مثل هذا الكذب اليه .. ؟ وهل ثمت أدنى احتمال بأن يكون الإله مجرد وهم فى أذهان المؤمنين به .. ؟ واذا قيل لنا : أعوذ بالله ، بل الإله حقيقة ذاتية تفرض نفسها على الكون بأسره ، قلنا : أفيمكن أن يكون هذا الإله عابثا فى خلقه ، أبدع الانسان وركب فيه التفكير ومقومات النظر والتدبير ، وسخر لطاقته معظم ما يراه من حوله من المكونات والمخلوقات المختلفة ، ثم أطلقه بين سمع الدنيا وبصرها ليفعل ما يشاء وليعثو بالحياة وما فيها كما يريد ، يجعل لكل شىء من مخلوقاته المختلفة وظيفة دقيقة لا يتخلى أو ينحرف عنها ، ثم يترك الانسان الذى هو محور هذه المخلوقات كلها لينطلق مع رياح الوجود كما تنطلق ريشة فى الهواء .. ؟!!

افيمكن هذا .. ؟!

ولعمرى ، ليس العجب الذى يذهل العقل ، ألا يهتدى الانســــان الى الايمان بوجود الإله ، فربما قامت أمام هذا الانســـان حواجز — الى حين — صدت عقله عن رؤية هذه الحقيقة العظمى ، فيكون له من ذلك نوع من العذر .

وانما العجب الذى لا نهاية له ، أن يهتدى الانسان الى الايمان بالله ، وأن ينشر بين الناس كل يوم مزيدا من دلائل وجوده ومظاهر حكمته وعظيم تدبيره ، ثم يترك نفسه فى الحياة على سجيتها دون أن يتساءل عن أى مسؤولية قد يكون حمّلها من قبل هذا الإله .. !!

وما أشبه حال مثل هذا الرجل بحال من الجأه الليل الى كهف منقطع فى بطن جبل .. فأشعل نارا وراح يقلب العين فى جوانب الكهف وأرضه ، فرأى عظاما عليها بقايا لحم مأكول ، فهز رأسه مقررا بأن بعض السباع قد اتخذ من هذا الكهف مثابة له .. ثم استلقى على جهة من تلك الارض وأسلم عينيه لسبات عميق .. !!

إله عظيم أوجدك وجعل من حياتك محورا لمعظم مظاهر هذا الكون ، تؤمن بذلك وتقر به ، ألا ينبغى أن يؤرقك اذاً أمر هذا الإله ومدى ما قد يكون له من سلطان عليك .. ؟ ألا ينبغى أن تفكر طويلا ، قبل أن تلقى بنفسك فى أحضان رغباتك المختلفة ، فيما قد يكون محظورا عليك منها فى حكم هذا الإله .. ؟

المؤمن بالله لا يمكن أن يجلس معه على مائدة مستديرة

تلك هى السبيل التى لا بديل عنها ، لحل عقدة القديم والجديد ، لدى خصوم الشريعة الاسلامية .

فاذا ما أتيح لهم أن يتبينوا هذه الحقيقة ويجزموا بها ، ولم يجمدوا هكذا فى منتصف الطريق بين الكفر والايمان ، فان المشكلة كلها تزول . وسوف لن تسمع من أحدهم بعد ذلك شيئا من النقد المكرر المعاد على قانون العقوبات فى الاسلام ، أو على نظمه المالية المختلفة ، أو على غيرهما من بقية الاحكام .

ذلك أن الذى يتجه بالنقد الى شىء من أحكام الشريعة الاسلامية — بعد ثبوته بالأدلة الصحيحة — انما هو انسان يريد أن يجلس نفسه مع الله تعالى على مائدة مستديرة ليناقشه فى قراراته وأحكامه . وهيهات لمن آمن بألوهية الله عن صدق ويقين ، وايقن أن القرآن كلام الله حقا ، وأن محمدا نبيه دون أى ريب — أن يضع نفسه لحظة واحدة « وهو العبد الذليل لله عز وجل » موضع الشريك له فى شىء من مظاهر الوهيته وتدبيره .

وما من لغز من هذه الألغـــــاز التى تعيش فى أذهان كثير من الباحثين

والمفكرين ، عن الشريعة الاسلامية . فتجعلهم فى حيرة من أمرها ومصدرها وتحليل ذاتها . الا ويزول أثره ويتضح أمره عندما يؤمنون بالله هذا الايمان .

مرة يقولون : ان الشريعة الاسلامية مأخوذة من القانون الرومانى الذى كان سائدا فى بلاد الشام وما حولها أيام الفتح الاسلامى . حتى اذا رأوا أن شيئا من الأدلة لا يساعدهم على هذا الفرض عادوا يقولون : بل هى مقتبسة من التوراة والكتب السماوية السابقة . حتى اذا تنبهوا الى أن هذا الكلام لا معنى له ما دام أن الكتب السماوية كلها منزلة من عند الله عز وجل وأن الدين عند الله واحد منذ بعثة آدم وهو الاسلام . تحولوا الى القول بانها ثروة قانونية تجمعت من نتاج أدمغة قانونية على مر الزمن .

حيرة فى العقل لا مذهب فى الراى

وواضح أن هذا ليس الا مظهر حيرة عقلية فى السبيل الذى يمكن أن يحل به اللغز .. ! وليس بحثا علميا مركزا بحال من الاحوال ..

ولا ريب أن الشريعة الاسلامية لغز يتمرد على كل حل ، بالنسبة لمن أقام أمامه سدا يمنعه من اليقين بأنها حكم الله وقانونه الى الناس ..

اذ أن قوانين الدنيا كلها انما يوجدها المجتمع الراقى ، فى حين أن الشريعة الاسلامية هى التى أوجدت المجتمع الراقى .. ! أى انها وجدت وتكاملت فى بيئة بدائية لا تحتكم الى غير الاعراف والعادات ..

وقوانين الدنيا كلها موصولة النسب بأفكار قانونية ذات مراس وخبرة بهذا الشأن .. فى حين أن قانون الاسلام ليس له من نسب فى الظاهر الا الى رجل أمى لم يقرأ كتابا ولا سمع بقانون ..

وقوانين الدنيا كلها تنمو متدرجة فى أطوار متجهة الى الكمال والتخلص من الاخطاء والنقص ، فى حين أن شريعة الاسلام ولدت كاملة لا تشكو نقصا أو اضطرابا .

قانون هذا شأنه يعتبر لغزا فى حق من أغلق أمامه بصيرة الايمان بأنه قانون الله . ولا بد له من أن يلصقه بالرومان تارة ، واليهود أخرى ، والفقهاء الذين توالوا مع الزمن تارة ثالثة ، سواء وجد الدليل على ما يذهب اليه أو لم يجد .. لأن العقل الانسانى لا يمكن أن يتصور قانونا معلقا فى الفضاء ، ليس له نسب يشده الى السماء ولا جذور ترجعه الى أرض أمة من الناس . ولولا ايمانى اليقينى بالله وبأنه صاحب هذا القانون ومنزله ، لاحترت فى شأنه كما احتاروا ولاضطربت فى فهمه كما اضطربوا .



وجماع هذا الكلام كله يتلخص فى قوله عز وجل :

« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .

فالايمـــان بالله وتحكيم شريعته متلازمان . اذا فقد أحدهما فقد الثـانى لا محالة . هكذا يقول الله .

وصدق الله فيما قال .. وكذب من قال انه مؤمن ولكنه لا يرضى بشرعة الاسلام أو لا يقتنع بصلاحيتها للحياة .

المتكلمون في الدين

اللواء الركن محمود شيت خطاب

استطعت اقناع قسم من الضباط لصلاة يوم الجمعة ، وكنا في معسكر (المنصور) الواقع على نهر (ديالى) بين (بعقوبة) و (جلولاء) ، فقصدنا مسجد (المقدادية) القريبة من معسكر المنصور ، وكان ذلك عام ١٩٤٥ .

وحين اعتلى الخطيب المنبر ، أخرج من جيبه ورقة صفراء مطبوعة ، واخذ يتلو ما فيها متعثرا مترددا ..

وكان مما جاء في الخطاب : « ان الدنيا فسدت منذ عهد النبوة ، فكيف نرجو صلاحها ونحن في القرن الثامن .. ؟! » .

ومن الواضح أن الخطبة التي تلاها الخطيب في يوم الجمعة في القرن الرابع عشر الهجري ، قد كتبت في القرن الثامن الهجري ، أي قبل ستة قرون من قراءتها ..

ومع ذلك لم ينتبه خطيب الجمعة الى تصحيح تاريخ القرن على الأقل ، فيستبدل بالقرن الثامن القرن الرابع عشر .

فاذا كان ذلك مبلغ ذكاء خطيب الجمعة وعلمه ، فكيف نطمع أن يوجه الناس الى الخير والصلاح .. ؟!

وحين سمع الضباط من الخطيب جملة : « القرن الثامن » ، بالاضافة الى كل ما سمعوه من هراء يتلوه من ورقة صفراء مستلة من كتاب منبري مطبوع ، وبالاضافة الى مظهره الزري وجهله بالعربية وعدم تمكنه من القراءة الصحيحة والالقاء السليم ، ابتسموا أولا ثم تطور ابتسامهم في المسجد الى قهقهات بالغة في خارجه .

وكانوا بين اثنين : مؤدب اعتبر القضية منتهية بعد مغادرته المسجد ، ومهرج انتهزها فرصة سانحة للتهريج على خطباء المنابر وعلى عقلياتهم المتخلفة وعلى الدين أيضا .

والنتيجة أن هؤلاء الضباط تركوا الصلاة ، منهم من تركها مدة من

الزمن ثم عاد اليها بالتشجيع والحث ، ومنهم من تركها حتى اليوم .

ومن الصدف أننى رأيت أحد هؤلاء الضباط قبل أيام ، وقد علاه الشيب وأصابه الوهن ، ولكن (عقدة) خطيب المسجد (اياه) لا تزال عالقة فى ذهنه ، يحدث الناس عنها فى كل مناسبة ، ويرفض أن يعود الى أداء فريضة الصلاة .. !!

والسؤال الآن هو : هل وجود مثل هذا الخطيب فى مكانه خطيبا وإماما ، مفيد للاسلام والمسلمين ، أو هو مضر بهما .. ؟

وما هو واجب المسئولين فى الأوقاف وفى المراكز الدينية الاخرى المسئولة عن تعيين الأئمة والخطباء فى المساجد واعداد هؤلاء الأئمة والخطباء للنهوض بكفاية ومقدرة وفائدة بواجباتهم الدينية .. ؟

ان وجود خطيب جاهل ، يلحق أبلغ الضرر بالاسلام والمسلمين . ومن الافضل الا تلقى خطبة الجمعة من خطيب جاهل ويبقى الجامع بدون خطيب ، أفضل من أن يلقى خطبة الجمعة مثل هذا الخطيب الجاهل ، لأنه ينفر الناس من الصلاة ومن يوم الجمعة ، ويعطى فكرة سيئة عن الدين ..

ان التكلم فى الدين سلاح ذو حدين : اذا أحسن المتكلم أفاد السامعين ، وأعطى فكرة عالية عن الدين ، وشجع الناس على الاقبال بشوق ولهفة للانصات الى المتكلمين فيه . واذا أساء ، أضر بالسامعين ، ونفر من الدين ، وجعل الناس يشمئزون من سماع المتكلمين فيه .

وقد ضاعف اختراع المجهار(1) وانتشار استعماله وظهور الاذاعة المسموعة والاذاعة المرئية — من أهمية المتكلمين فى الدين ، لأن ما يقولونه أصبح مسموعا فى أوساط لا تعد ولا تحصى من الناس : فى الدار ، وفى الطريق ، وفى النوادى والمقاهى ، وفى كل مكان تصل اليها موجات الاذاعة فى العالم .

لذلك أصبح ضرر المسىء من المتكلمين فى الدين عظيما وواسعا ، وأصبحت فائدة المحسن عظيمة وواسعة أيضا .

ولست أنسى يوم كان المرحوم الشيخ محمد رفعت يرتل آيات الذكر الحكيم من اذاعة القاهرة فى الثلاثينيات من هذا القرن ، فقد كان الاقبال على سماعه مذهلا حقا ، ليس من المسلمين فحسب ، بل من غير المسلمين أيضا ..

وقد كنت أدرس اللغة الفرنسية عند أحد القسيسين الذين يتقنون هذه اللغة فى مدينة الموصل عام (١٩٣٦) ، وكانت هذه اللغة مقررة فى الصفين الرابع والخامس من المدرسة الاعدادية ، وكان مدرسها فى الاعدادية مخيفا صارما ، مما حرم التلاميذ من مناقشته وسؤاله ، ودفعهم الى التماس تعلمها من القسيسين الذين لم يكن أحد غيرهم فى الموصل يتقن الفرنسية ليتقوا صرامة معلمهم فى المدرسة وشره .

وكان الشيخ محمد رفعت يقرأ القرآن قبل أن ننتهى من دراستنا عند ذلك القسيس ، فكان يلتمس من طلابه أن يستريحوا مدة قراءة القرآن لينصت هو الى تلاوة الشيخ محمد رفعت .

---

(1) الميكرفون .

وكلان طلاب القسيس الذين يدرسون الفرنســـية معى ، يرقبون انسجامه العظيم مع المقرىء الشيخ محمد رفعت ، وكان لا ينفك يردد بين آونة وأخرى .. عظيم .. عظيم ..

وبعد انتهاء مدة القراءة ، يبقى القسيس فى شبه غيبوبة نحو خمس دقائق ، ثم يستأنف التدريس بعد أن يقدم أحر الشكر لطلابه على السماح له بالانصات الى تلاوة الذكر الحكيم .

وكثيرا ما كان ذلك القسيس يبدى اعجابه الشديد ببلاغة بعض الآيات التى سمعها وبمعانيها وسمو أهدافها ..

لقد كانت قراءة المرحوم الشيخ محمد رفعت فى الاذاعة المسموعة دعاية ضخمة للقرآن ليس بين المســلمين فحسب ، بل بين غيرهم من أصحاب الأديان الاخرى أيضا ..

وكنت أسمع صوته من أجهزة المذياع فى دور قسم من المسيحيين فى مدينة الموصل ، ولا بد أن غيرى سمع صوته وهو يرتل القرآن الكريم يخترق جدران غير المسلمين فى أصقاع كثيرة من البلاد العربية .

وما يقال عن أثر المرحوم الشيخ محمد رفعت ، يقال عن أثر كل قارىء مجيد ، وكل خطيب مجيد أيضا ، تنقل أصواتهم الاذاعة المسموعة أو الاذاعة المرئية . او ينقل أصواتهم المجهار .

واذا كان المجيدون قد أحسنوا الى الدين ، فما أكثر اساءة الذين أساءوا الى الدين ..

ولو كنت مسئولا عن الاذاعة فى بلد عربى أو اسلامى ، لحرمت غير المجيدين من الاقتراب من دار الاذاعة ..

ولو كنت مسئولا عن رجال الدين ،لحرمت غير المجيدين من الاقتراب من منابر الخطابة فى بيوت الله ..

ولو كنت مسئولا عن قضـــايا التدريس فى المدارس والمعـــاهد والجامعات ، لحرمت غير المجيدين من الاقتراب من تلك المعاهد العلمية .

ان حرمان غير المجيدين من المتكلمين فى الدين خطبـــاء ووعاظا ومدرسين وأساتذة ومقرئين ، أكبر خدمة نقدمها للدين الحنيف .

والمتكلمون فى الدين لا يمكن أن يقاسوا بالكمية ، أى بكثرة عددهم ، بل المهم فى هذه الناحية هى (الكيفية) لا (الكمية) ، فقد يفيد عدد قليل من المتكلمين فى الدين ، ما يقصر عنه الكثيرون ، وقد يفيد عشرة من المجيدين ، كما لا يفيده مائة من غير المجيدين .

فما هى المزايا التى يجب أنيتحلى بهـــا المجيد من المتكلمين فى الدين .. ؟

يروى أن أحد العبيد سأل إماما من أئمة المسلمين ، أن يتكلم فى موضوع « أجر عتق الرقيق عند الله » .

ووعد الإمام أن يتكلم فى هذا الموضوع بأقرب فرصة سانحة ، وكان العبد يحضر كل يوم مجلس وعظ الإمام . وكان سيده من المعجبين بهذا الإمام ، يحضر مجالس وعظه كل يوم بانتظام ، ويصغى الى أقواله اصغاء تاما ، وينفذ ارشاداته ويطبق مواعظه ..

ومضى عام دون أن ينطق الإمام بكلمة واحدة حول الموضوع ، والعبد

يحضر كل يوم ويكاد يتميز من الغيظ على الإمام الذى أهمل موضـوعه فنساه أو تناساه . .

وبعد مضى عام كامل من مراجعة العبد للإمام . ووعد الإمام بأنه سيتكلم قريبا فى موضوع : أجر عتق الرقيق عند الله . تكلم الإمام فجأة وأفاض فى ذلك الموضوع وأجاد . فلم يبق فى مجلسه رجل سمع كلامه الا وأسرع فى عتق رقبة أو رقاب . وكان سـيد ذلك العبد من بين المستمعين فأعتق عبده وأطلق سراحه من الرق . .

وأصبح ذلك العبد حرا يستنشق عبير الحرية بملء رئتيه . ولكن بقى فى نفسه شىء من ذلك الإمام الذى تأخر فى ازجاء موعظته . وكان بامكانه أن يفعل دون تأخير . .

وجاء العبد يسأل الإمام : لماذا جعلتنى أقضى عاما كاملا وأنا أنتظر موعظتك الحسنة وأقضى هذا العام فى العبودية والرق . وكان بامكانك أن تقول كلمتك بعد يوم أو يومين من وعدك بالكلام . فتنقذنى من الرق ومن عذاب الانتظار . . ؟

وقال الإمام : « يا بنى ! لم أكن أملك ثمن عبد . وكان على أن أقتصد من نفقاتى لأملك ما أشترى به عبدا . ومضى عام حتى استطعت توفير المال اللازم لشراء عبد . فقصدت سوق النخاسين أمس . واشتريت من هناك عبدا . ثم أعتقته لوجه الله . وحينذاك وعظت الناس بما سمعت وسمع سيدك . فأعتقك سيدك وأعتق غيره عبيدهم . ولو خاطبت الناس قبل أن أخاطب نفسى . فأطبق (عمليا) على نفسى ما أطالب به غيرى . لما كان لكلامى تأثير فى السامعين . ولما أعتق أحد عبده » .

ان الكلام لا يؤثر فى الناس . ما لم يمتلىء من نفس قائلة . فيصبح عملا ولا يبقى كلاما . .

والمتكلم فى الدين — فى أول مزاياه — أن يكون عالما متينا . عاملا بعلمه . يثق بأن تعاليم الاسلام أعظم التعـاليم وأنقاها وأقدرها على معالجة مشاكل الحياة .

فاذا لم يكن عالما متينا . فانه يهرف بما لا يعرف . ويفتى بما لا يعلم . ويقود الى الضلال لا الى الهدى .

واذا لم يكن عاملا بعلمه . فانه لا يؤثر فى الناس . ولا يكون قدوة حسنة لهم . يقتدون به ويقتفون آثاره .

واذا لم يكن مؤمنا غاية الايمان بعظمة هذا الدين وصلاحيته مرشدا فى الحياة الدنيا وهاديا الى الطريق المستقيم الذى يؤدى الى الجنة . فانه لا يكون متحمسا يصدر عن قناعة تامة وايمان عظيم .

ولو سئلت : أيهما تفضل : عالم متين لا يعمل بعلمه أو يعمل ببعضه . أو أقل من الأول علما وأكثر عملا . . ؟ لأجبت بدون تردد : أفضل الأقل علما الأكثر عملا . لأننا بحاجة الى علماء عاملين لا الى علماء قوالين .

ومن أعجب العجب فى أمر هذا الدين العظيم : أن كثيرا ممن نشروا الدعوة شرقا وغربا كانوا تجارا يجوبون الاقطار : علمهم قليل . ولكنهم كانوا مثالا رائعا لتطبيق تعاليم الاسلام ومبادئه . فكانوا بسيرتهم الحميدة مثالا شخصيا لغيرهم من المسلمين وغير المسلمين أيضا . وقد قال غير

المسلمين لأنفسهم : لو لم يكن دين هؤلاء عظيما ، لما كانت سـيرتهم عظيمة . وهكذا أقبلوا على الاسلام ، ودخلوا فى دين الله افواجا .

أعرف رجالا صالحين ، علمهم قليل ، ولكن عملهم صالح ، استطاعوا أن يستقطبوا كثيرا من الناس ، يلتفون حولهم ، ويقتبسون منهم العمل الصالح ، ويتوجهون الى الله بعقولهم وقلوبهم .

وأعرف علماء من الطراز الأول علما وتفقها ، ولكنهم منصرفون الى الدنيا بكل طاقاتهم ، لم يستطيعوا أن يؤثروا فى شخص واحد ، وليس معهم أحد غير كتبهم وسمعتهم التى لا يحسدون عليها .

وليس سرا أن هناك هوة عميقة بين الشباب من جهة ورجال الدين — أو أكثرهم على الأصح — من جهة ثانية .

والسبب الأول لوجود هذه الهوة ، هو ما يردده أولئك الشباب ، بأن أقوال أكثر رجال الدين تناقض أعمالهم ، فهم يقولون قولا حسنا ، ويرددون مبادىء سـامية ، ولكنهم لا يعملون بما يقولون ، ولا يلتزمون بما يرددون .

وبالطبع فان الأيدى الخفية التى تعادى الدين ، تبـالغ فى وصف بعض رجال الدين ، لتبعد الشباب عنهم وتصرفهم عن أماكنهم .

ومع ذلك ، فلا تزال حقيقة واقعية يلمسها الناس هى : أن الاعمال لا تتناسب مع الأقوال ، وأن الاعمال هى دون المستوى المطلوب الذى لا يمكن السكوت عن تيسره — على أسوأ الاحوال .. !!

ان هذه الهوة السـحيقة موجودة بدون ريب ، وهى خطرة على مستقبل هذه الأمة ، ووضع الرءوس فى الرمال — كالنعامة حين يداهمها عدو لا طاقة لها به — والتعلل بالأمانى والأوهام ، لا يجدى فتيلا ولا يصلح خللا ..

ان العمل الصالح وحده ، وتطبيق تعاليم الدين الحنيف عمليا ، هى الجسور السليمة القوية الصالحة التى تربط بين جانبى الهوة السحيقة التى تفصل بين الشباب وقسم من رجال الدين ، وبالتالى بين الشباب والدين نفسه ..

ان هذه الجسور وحدها حتى التى تربط بين جانبى الهوة ، وتجعل الشباب يعبرون عليها الى ساحل الأمان .. ساحل الدين .. سـاحل النور ، بأمن وسلام واطمئنان ..

وهذه الجسور هى (الاعمال) ، أما (الأقوال) وحدها ، فتزيد الهوة عمقا ، والشقة بعدا ، ولا تؤدى أبدا الى خير .

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم ، من أقل الناس (كلاما) ، ولكنه كان من أكثرهم (عملا) ، لذلك جمع الناس ووحد القلوب ورص الصفوف على كلمة الله .

وكان عليه افضل الصلاة والسلام اذا قال أوجز ، ولكن قوله فصل الخطاب ، ثم يبدأ بنفسه وبأهل بيته وبالأقربين فيطبق أقواله عليهم ، ويشتد هو على نفسه فتكون أقواله بالنسبة الى اعماله شيئا يسيرا ، اذ أن اعماله عليه الصلاة والسلام كانت تفوق أقواله ، وكثيرا ما كان يرأف بأمته فيخفف عنهم ما استطاع الى ذلك سبيلا ، ولكنه مع نفسه كان يعمل

ويعمل . حتى يصوم فلا يكاد يفطر ، وحتى يقوم الليل فتتورم قدماه من القيام . وحتى يعيش واهله لايستوقد بنار الشهر والشهرين ان هما الا الأسودان : التمر والماء ..

والعلماء ورثة الانبياء ، والعالم العامل يستطيع أن يقدم خدمات لأبناء عقيدته ولغيرهم أيضا لا تقدر بثمن . وتكون خدماته بمقدار عمله أو أعماله ..

وليس من شك أن المادية قد طغت على هذا العصر . ولكن هذه المادية وحدها لم تصرف الشباب عن الدين . بل هي احدى الاسباب ، وتقصير العلماء غير العاملين من الاسباب الحيوية ايضا .

كان في الموصل عالم عامل هو المرحوم الشيخ الحاج محمد الرضواني . وكان آية من آيات الله في العلم والورع .

وكان هذا العالم العامل موضع ثقة الناس على اختلاف طوائفهم ومذاهبهم وأديانهم . فقد كان يلجأ اليه الخصوم ومنهم النصارى ، ويرضون بحكمه ويخضعون لتوجيهاته . وكان مقصوداً من المسلمين للتبرك به أو طلب الرقية منه ، وهذا أمر طبيعي . ولكن الامر غير الطبيعي هو أن يكون مقصوداً من النصارى أيضا للتبرك به وطلب الرقية منه .

لماذا أصبح هذا الشيخ الورع موضع ثقة المسلمين وغير المسلمين ؟ لقد كان في الموصل شيوخ لا يقلون علماً عن الشيخ الرضواني . ولكن لم يقف أحد على بابهم ولم يلجأ اليهم أحد الا نادراً .

طبعا أصبح الرضواني عليه رحمة الله موضع ثقة الناس به ، لأنه لم يقتصر على العلم وحده . بل كان عاملا بعلمه الى أبعد الحدود .

ولست أنسى يوم مات المرحوم الرضواني . فقد خرجت الموصل عن بكرة أبيها لتشييعه . وأقفلت الاسواق وتعطلت المصالح . وشارك في تشييعه المسلمون وغير المسلمين بنفس اللوعة والحزن والأسى .

وقد ظهر الفقر بعد موته على أكثر من مائتي عائلة . كان يمدها بما يكفيها من مال سنويا ، دون أن يعرف أحد من الناس من أمرها وأمره شيئا ..

ولم أر في حياتي رجلا متواضعا ورجلا على جانب عظيم من الخلق الرفيع . كالرضواني عليه رحمة الله .. كان يفر من الشرف والشرف يتبعه ..

لقد كان عالما عاملا بكل معنى الكلمة . لذلك كان اذا قال سمع الناس . واذا أمر سارع الناس الى تنفيذ أوامره . وكانت اشارته العابرة تعتبر أمراً لا يخالف ..

وكان اذا حكم بين خصمين ، تقبلا حكمه برحابة صدر ، وكانت قوة حكمه أقوى من قوة حكم المحاكم العسكرية والمدنية في وقته ..

حكم تلك المحاكم خاضع للاستئناف والتمييز ، وحكمه غير خاضع لسلطات غيره .. فهو قطعي .. والغريب أن المحكوم عليه يتقبل حكمه بنفس الحماس والقناعة التي يتقبل بهما حكمه المحكوم له .

« للبحث صلة »

مفهومات قرآنية

للأستاذ : أحمد محمد جمال



التطميع فى العبادة :

عقائد الناس وعباداتهم — فى دنياهم — مختلفات ، ومتعددات . فمنهم من يعتقد « المجد فى المال » يبذل عرضه وكرامته فى سبيل جمعه للمال الكثير . ومنهم من يعتقد « المجد فى اتباع السادة » يستلذ التمسح بالاعتاب وتقبيل الايدى الجديرة بالقطع ! ويحمد الركوع والسجود بين أقدام الكبراء والرؤساء من أجل أن يعرف بالقرب من فلان الكبير وعلان الخطير ، فيرجى نفعه ، ويتقى أذاه .

ومن الناس من يعتقد « المجد فى الشرف » فليست الحياة بحذافيرها عنده شيئا اذا ضيم عرضه ، أو اقتحم حماه ، ومن تعتقد « المجد فى العفة » فليس الحب بلذائذه ومتعهعندهاشيئا اذا أريد لعرضها أن تلغ فيه الكلاب ، وتختلط فى مخاونتها الأنساب .. وعكس هذه المعتقدات موجود فى دنيا الناس فى قديم الدهر وحديثه ، على سواء .

★ ★ ★

وللمجتمعات — كما للأفراد — عقائد وعبادات .. هى ما نراه من عادات وأعراف اجتماعية وأخلاقية ومذاهب اقتصادية يتوارثها الأخلاف عن الأسلاف .. فى نظام المعيشة ، ومعاملة الأفراد بعضهم لبعض ، وفى سياسة الحكومة للأمة ، وفى التعامل التجارى ، وغير ذلك من أوضاع وتقاليد ، تميز المجتمعات الانسانية بعضها عن بعض .

ومظاهر هذه (العقائــد) هو ما نعنيه (بالعبادات) ، فأساس التصرف هو الاعتقاد ، والاعتقاد هو مصــدر السلوك ، بلا جدال .

أريد أن أقول ــ بهذه المقدمة الوجيزة ــ : إن العقيدة لازمة انسانية لحياة كل فرد وكل جماعــة ، برفع النظر عن ألوانهــا ومجالاتها وموضوعاتهــا المختلفات . وقد ينسى بعض الناس أو يغفل عن لزوم (العقيدة) ووجودها . ولكنها مع ذلك تظل حقيقة قائمة تحكم سلوك الأفراد والأمم وتوجه أنظمتهم الاجتماعية والاقتصادية ، والسياسية .

ونتحدث ــ بعد هذا التمهيد ــ عن عقيدة المسلم وعبادته التي تصــدر عنها ، كما يريدهما القرآن . وقد أسميت موضوع حديثي هنا (التطميع فــي العبادة) ، وأنا أقصده قصدا ، وأعمد الى لفظة (التطميع) عمــدا لأصور حقيقة سعة الكرم الالهي بل امتيازه واختلافه عن كل ما يعرفه الناس من كرم ..

ولأقرب هذا المعنى أذكر الحديث النبوي : (إن الله يحب أن يسأل .. ومن لم يسأل اللــه يغضب عليه) .

وقد صور الشاعر المســلم هذا التوجيه النبوي في قوله :

لا تسألن بني آدم حاجــــة ... وسل الذي أبوابه لا تحجب
فالله يغضب إن تركت سؤاله ... وبني آدم حين يسأل يغضب

★ ★ ★

إن مائــدة القرآن سخية بهذا (التطميع) في عبادة الله .. بخوفه حين يجب أن يخاف ، ورجائه حين ينبغي أن يرجى ، وبذكره تمجيدا وتحميدا حين يجب أن يذكر :

يقول الله تبارك وتعالى :

ــ « ادعوني أستجب لكم .. »
ــ « ادعوا ربكم تضرعا وخفية .. »
ــ « فادعوا الله مخلصين لــه الدين » .
ــ « وإذا سألك عبادي عني فإني قريب » .
ــ « واسألوا الله من فضله .. »
ــ « يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم » .
ــ « فاذكروني أذكركم ، واشكروا لي ولا تكفرون » .
ــ « فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا .. » .
ــ « ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا » .
ــ « قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين ؟ بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه إن شاء . » .

ماذا بعد (تطميع) الله عز وجل لعباده في عبادته على هذا النحو السخي الشهي ؟

أما يخجل بعد ذلك من يلتمس الخير والبركة والمنافع عند من لم يخلقوا شيئا وهم يخلقون ، ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون ؟ .

إن الله سبحانه هو الخالق ، وهو الرازق ، وهو المحيي ، وهو المميت . واعتقاد هذه (العقيدة) هو مفتــاح عبادة المسلم لربــه ، وإذعانه له ، ورجوعه إليه في البأساء والضراء وحين البأس ، وفي السراء كذلك .. هنالك يرجوه كشف الغمة ، وهنا يبثه شكر النعمة .

ولذلك حرص نبي الاسلام عليه الصلاة والسلام أن يوصي أمته وهو يفارق

دنياه ، بالحفاظ على هذا الزاد الذى لا ينفد ، والسلاح الذى لا يفل : « الصلاة الصلاة .. » .

وكان يقول عندما يحين وقتها : « أقم الصلاة يا بلال ــ أرحنا بها » وقال صلى الله عليه وسلم أيضا : « جعلت قرة عينى فى الصلاة » وتتابعت آثاره وأخباره تؤكد : أن الصلاة عماد الدين ــ وأنها مفتاح الفلاح ــ ومعراج المؤمن ــ وأنه كان عليه الصلاة والسلام إذا حزبه أمر فزع الى الصلاة ليفرغ فيها همه ، ويغذى عزمه ، ويطمئن قلبه بذكر الله : « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » .



إن العبادة سواء أكانت صلاة أم دعاء أم استغفارا ، وسواء أكانت صوما أم زكاة أم حجا ــ إنما هى أغنى زاد ، وأمضى سلاح ، وأغلى كنز .. يصحبها المسلم فى حياته ، ويكون بها فى (معية) الله قويا غنيا عزيزا ، تهون عنده متاعب الدنيا ، وترخص متارف الجاه والمال ، ويذل الأعداء والخصوم ، ويكون الله تبارك وتعالى بهدايته ورعايته ، ــ كما جاء فى الحديث القدسى ــ : سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ورجله التى يسعى بها ..

ومع أن الله عز وجل هو الغنى وعباده هم الفقراء إليه فإنه يدعوهم فى كتابه ، ويكرر الدعوة ، ويلح فى التذكير بها .. يدعوهم الى استغفاره من خطاياهم ، والى التوبة النصوح عن سيئاتهم ، والى سؤاله من فضله الواسع ، والى الا يقنطوا من رحمته فهو يغفر الذنوب جميعا ، والا ييأسوا من روحه ، فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون . ويدعوهم أن يذكروه فى سلمهم وحربهم ، فى سرائهم وضرائهم .. فنصره هو النصر ، وهو وحده كاشف الضر ، وهو الذى يطعم ويسقى ، ويمرض ويشفى ، وهو الذى يخذل وينصر ، وهو الذى يمنع ويمنح ، وهو تبارك وتعالى قبل ذلك كله « وسع كل شىء رحمة وعلما » .

إن (معية) الله : فى عبادته السالمة من كل شرك ، الدائمة فى كل وقت . وقد كرر القرآن الكريم أن معية الله قائمة للمحسنين ، والمتقين ، والصابرين . والاحسان والتقوى والصبر هى ثمرات (العبادة) الخالصة الدائمة . ولن يفوز انسان بصلة الله ومعيته حتى تكون صلاته وصومه وحجه وزكاته وكل عباداته من ذكر ودعاء وخوف ورجاء : (عقائد) ضمير قبل أن تكون أعمال جوارح .

ــ إن فى الصلاة : دعاء ورجاء ، وخوفا وطمعا ، وشكرانا ورضا .
ــ وفى الصوم : مصابرة والتماسا لعفو ورحمة وغفران .
ــ وفى الحج : رياضة بدنية وروحية ، وتعارفا مع الاخوة المسلمين .
ــ وفى الزكاة : تعاونا بين الأغنياء والفقراء ، وتزكية للنفس والمال معا .

إنها ــ هذه العبادات : معية الله قبل معية الناس . وما أكرم معية الله واجودها بأطايب الثمار ، وجلائل الآثار . وصدق الله العظيم ، وصدق رسوله الكريم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى : « ما تقرب الى عبدى بشىء أحب إلىّ مما افترضته عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التىيمشى بها ، وإن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنه .. » وفيما يقوله سبحانه حين ينزل كل ليلة الى سماء الدنيا فى

ثلث الليل الآخر : « مــن يدعونى فأستجيب لــه ؟ من يسألنى فأعطيه ؟ مــن يستغفرنى فأغفر له ؟) ويقول عز وجل : (هل من تائب ؟ هل من داع ؟ ومن يقرض غير عــدوم ولا ظلوم ؟) .

هكذا يطمعنا الله تبارك وتعالى فى عبادته ، ويغرينا بذكره ، وهو الغنى عنا ونحن الفقراء اليه ، ويعدنا مغفرة منه وفضلا ، ويبسط لنا معيته وظله .. وإنما يستجيب الذى يسمعون .

* * *

مكـــارم التقــوى :

وننتقل ــ على مائدة القرآن ــ الى موضوع قريب نسيب للأول ، الى مكارم (التقوى) وبركاتها وفتوحها فى عالم المادة وعالم الروح على سواء ، وهى ــ المكارم والبركات والفتوح ــ : عيش ميسر ، ونصر مؤزر ، وصلة بالله دائمة تمد المتقين بهداها ورضاها ،وبعزمها وعلمها ، وأنسها وحرسها ، وتدخر لهم فى معادهم الى الله خير مثوى ، وأكرم مصير ..

لقد رجحت كفــة الباطل والإثم ــ فى ميزان الحياة ــ اليــوم ، وزين للناس حب الشهوات من ثراء ونساء ، حتى لم يعد للعفة والحياء عندهم معنى يفهمونه ، ولا لفظ يحترمونه ،وأصبح معتمدهم فى معاشهم على المال والجــاه ، وأمسى مبتغاهم : اللــذة والنعيم ، وازداد تنافسهم على الزخرف الظاهر دون الجوهر ، وقامت فى سبيل حبهم للدنيا الحروب ، وخفقت بها القلوب ، وذهلوا من أجلها عن أنسابهم وأرحامهم ، لا يصلونها ، وعن أعراضهم لا يحمونها أو يغارون عليها ، وغدت جهودهم وأموالهم الجمة تنفق بسخاء لكى يتغلب القوى على الضعيف ، ويظلم الغنى الفقير ، ويحيف السيد على المسود .

ومرد ذلك كله ، وسببه الوحيد الفريد : أن الانسان نسى سره ، وفقد ذخره .. نسى مما خلق ولمخلق ؟ وبم زود ؟

لقد خلق الانسان مما وصف لنا فى القرآن ، ومما نعلمه .. من سلالة من طين .. ولم يخلق كماخلق الملائكــةمن نور ، ولا كما خلق الشياطين من نار ــ ليكون (خليفة) الله فى الأرض يعمرها بالخير والعدل والسلام . وزوده اللــه لتحمل هذه (الأمانة) الثقيلة الجليلة التى أشفقت السموات والأرض والجبال ، وأبين أن يحملنها ، زوده سبحانه بطاقة روحية تمكنه ــ ما ظل محتفظا بها ــ من استلهام ربه ، والاستعانةبه، والاعتماد عليه .. فى فتح المغاليق وكشف الغم ، واستنباط (بركات) المادة ، وإنجاز (فتوح) الروح .

هذه الطاقة الروحية هى ذخر الانسان فى حياته ، وليس ذخــره المال والمتاع من نساء وبنين وقصور ودثــور . وهى (الإحساس) النابض الخفاق فى وجدانه ، الهاتف دائما فى ضميره : إن الله معك يعلم ما توسوس بــه نفسك ، وما تخون بهعينك، وما تجترحه يداك ، فارقبه خوفا ، واطلبه طمعا ..

وهى ــ هذه الطاقة الروحية أو هذا الذخر الوجدانى ــ : (التقوى) : والله عز وجل إذا اتقى عبده محارمه أعطاه مكارمه : هدى وغنى ، وعزمة ونــورا .

وهلم إلى مائــدة القرآن التى تفيض بهــذه (المكارم) لمن يتقى المحــارم وينشد المعزائم :

هل تريد رزقا مباركا طيبا ؟ إذن فاقرأ :

ــ « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب » .

— « فقلت استغفروا ربكم إنــه كان غفارا يرسل الســماء عليكم مدرارا والأرض » .
— « فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل الســماء عليكم مدرارا ، ويمددكم بأموال وبنين » .
— « ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم ، ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم . . » .

أم تريد تيسيرا لما تعسر من أمرك ؟! إذن فاقرأ :

— « فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى » .

أم تطلب علما ورشدا ونورا تمشى به فى الدنيا ؟ إذن فاقرأ :

— « من يؤمن بالله يهــد قلبه » .
— « إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا » .
— « واتقوا الله ويعلمكم الله » .
— « إتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ، ويجعل لكم نـــورا تمشون بـــه » .

أم ترجو ذكرى بعد نسيان ، وتوبة بعد حوبة ، ومغفرة بعد زلة ، إذن فاقرأ :

— « ومن يتق الله يكفر عن سيئاته ، ويعظم لــه أجرا » .
— « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون » .
— « واذكر ربــك إذا نسيت ، وقل عسى أن يهدينى ربى لأقرب من هــذا رشدا » .

أم تريد حرسا إلهيا يرعاك ويتعهدك ؟ إذن فاقرأ :

— « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » .

أم تطلب نصرا وفوزا فى حـــرب مع عدوك ، فهذه الآيات تدلك عـــلى مفتاحهما :

— « بلى إن تصبروا وتتقوا — ويأتوكم من فورهم هذا — يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكــة مسومين » .
— « إن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا » .
— « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

ونصر الانسان لربــه هو طاعته وتقواه . .

أم تبتغى أن تكون من أولى العزم فى مكـــاره الدنيا ومحابها ؟ فسبيل ذلك ترسمه لك هذه الآيـــة :

— « وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور » .

وأخيرا هل تريد مصيرا كريما وعاقبة حسنىٰ ؟ إذن فاتل هذه الآية :

— « لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الأنهـــار خالدين فيها نزلا من عند الله ، وما عند الله خير للأبرار » .

وبعد : فهذه بعض مكارم التقوى وبركاتها وفتوحها فى عالم المادة وعالم الروح . وصدق الله العظيم : (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) .

قضية الفكر الاسلامي

للأستاذ : محمد احمد العزب

من طبائع الأشياء أن تكون الحركة الفكرية فى طور لاحق أثرى من الحركة الفكرية فى طور سابق ، وتتأكد هذه الفرضية إذا كان مسار « الحياة العامة » سياسيا واقتصاديا وحضاريا .. متجها الى الامام وليس الى الوراء ، فإن بين حركة الفكر — على كل مستويات هذا الفكر — وبين أطر الحياة العامة أواصر موشوجة تلهم وتستلهم فى جدل وجودى لا يكف فى لحظة من لحظاته عن امكانية المعاطاة .

فاذا انتكست الحركة الفكرية فى طور لاحق عنها فى طور سابق مع تدفق الأطر الحيوية الأخرى فى اتجاهها الصاعد فلا بد أن تكون هناك خلفية فاجعة تحتم هذه الرجعة أو قل هذا البوار !!

والمتأمل فى حركة « الفكر الإسلامى » يروعه ما يلاحظ من انحسار فاجع بلا تبرير ، مع توافر المتاحات الفكرية والعلمية والتقنية على مستوى لم يكن متاحا لكل المبدعين فى هذا الصدد قبل هذه السنوات الخصيبة العجاف فى آن !!

بمعنى أن جيل الرواد المعاصر لهذا الجيل من أمثال طه حسين ، وعباس محمود العقاد ، ومحمد حسين هيكل، واحمد أمين ، وغيرهم ، ما يزال هو الجيل القادر على التحرك فى اتجاه تشكيل ملامح المرحلة ، وإعطاء حركة الفكر الاسلامى أسلحة هائلة ما تزال هذه الحركة تقاتل بها اليوم هنا وهناك وعلى كل الجبهات !!

لا بد أن وراء هذه الظاهرة عوامل جذب ورائية تعيق من تقدم الفكر ، وتحد من انطلاقته الى أرحب الآماد .. وفى رأيى أن هذه العوامل ليست من النوع المادى الذى يمكن القبض عليه هكذا فى عفوية بادهة ، وإنما هى على النقيض من ذلك تماما تكاد تشكل قضية بذاتها تحتاج فى تأمل أبعادها الى دراسات واستقصاءات وتأملات .. أعنى أن تأمل هوية العوامل الورائية فى قضية الفكر الاسلامى ليس أقل خطورة وصميمية من تأمل قضية الفكر الاسلامى نفسها ، فإن جانبا هائلا من تعديل المسارات التاريخية يرجع بالضرورة الى فهم أسلحتنا المنتضاة فى هذا الصدد ،

بين المد والانحسار

وإلى فهم نوعية استعمالنا الصوابى لهذه الأسلحة المنتضاة ، والى تأمل فرضية الفشل الى جانب تأمل فرضية النجاح ، هكــذا بلا تفــريق .. إن الاندفاع المتحمس فى طريق التفاؤل لن يجدى على الاطلاق ، وخير منه بملايين الأحجام أن نتوقع نقيضه حتى ندرب كل طاقاتنا على السبح ضــد إرادة التيــار !!

ولست بقادر فى هذه السطور على رصد كل الظاهرة واستقصاء كــل عوامل جذبها الورائى ، فإن هــذا الأمل هو منشودى من تحريك جهودنا الفكرية على هــذه الطريق ، بمعنى اننى لا اطمع هنا إلا الى لــون مــن الاستنفار الحقيقى لهـــذه الغاية ، والدعوة الى تعبئة شاملة فى هــذا المجال ، تماما كما حاولت من قبل فى دراستى لهوية « الأدب الاسلامى » .. ودراستى « للفكر الملحد » الذى يتفيأ صفحات ما يقــرأ شبابنا مــن إبداعات مسرحية مترجمة (١) .

القضية الآن هى بالتحديد : لماذا استطاع جيل الرواد أن يبدع لنا هذه الشوامخ : « حياة محمد » — للدكتور محمــد حسين هيكل — و « الله » و « حقائق الاسلام وأباطيل خصومه » و « العبقريات » — للأستاذ عباس محمود العقاد — و « مرآة الإسلام » و « على هامش السيرة » و « الفتنة الكبرى » — للدكتور طه حسين — و « فجــر الاسلام » و « ضــحى الاسلام » وكثير مما أبدع الــدكتور احمد امين . وأحمد أمين بالذات ... وغيرها .. وغيرها .. ولم نستطع نحن — إلا على مستوى هامشى — أن نضيف الى ما بذلوا أو حتى أن نواصل مسيرتهم الجادة المثقفــة على هذا الطريق ؟؟

إن معاناة بلا حدود يحسها الباحث المعاصر حين يتصدى لدراسة اكاديمية فى هذا المجال . لأن كل الجهــود المعاصرة المبذولــة حتى الآن تعيش عالة على هذه الدراسات الرائدة ، وتكاد من فرط العجــز أو من فرط التثاؤب — لا ادرى — أن تمضــغ مفاهيمها فى اجترار مكروه ، وذابل ، وبليد !! فلماذا ؟؟ لماذا نحاصر أقلامنا فى محدودية الانفعال ولا نقفز بها الى قمة الفعل ؟ لــماذا لا نتصــدى فى جسارة وانفتاح لمقولات بحجم ثقافة عصرنا الــــلاغط ، ونكتفى دائمــا بملامسة السطوح فى هشاشة توحى بمأساوية اللامبالاة ؟؟ لا شىء يبرر

هذه الوضعية الهابطة سوى كوننا أصغر من كوننا الحقيقى ، أصغر من مقولاته وممكناته بلا حدود !!

لقد تصدى الدكتور محمد حسين هيكل فى « حياة محمد » لمقولات هابطة حاصرت تاريخنا الاسلامى من شرق الأرض وغربها جميعا . وبعقلية رائعة ومنهجية أروع استطاع الرجل أن يحيل مناطق الهجوم على الاسلام الى مناطق استسلام أو قل الى مناطق دفاع على أهون الفروض !!

ولقد تصدى الأستاذ العقاد مثلا فى « عبقرية محمد » لمقولات أبشع هبوطا حاولت أن تجعل من قائد الحركة الاسلامية عليه الصلاة والسلام مجرد فاتك بالسيف ، أو مجرد عاشق للجميلات ، واستطاع العقاد — من منظور عقلى معاصر مستوعب — أن يرسخ مسلمة أن هذا النبى القائد كان وما يزال وسيظل أعدل من قبض على حمائل سيف ، وأعف من نظر الى امرأة فى رحائب الوجود !!

ولقد تصدى الدكتور طه حسين فى كتابه « على هامش السيرة » لمقولات الجفاف فى النمط الاسلامى واستطاع الباحث الفنان فى طه حسين — من خلال تقنية فاهمة — أن يسكب الاخضرار فى أعراق هذا النمط ، وأن يحيل كل مسيرة الشخوص الى نبض وجودى زاخر بأنبل ما على الأرض من عواطف البشر ، وبأروع ما فى الوجود من هواتف الأرض الرانية الى مناطها فى السماء !!

ولن أتحدث عما كتب أمين ، وعما تصدى له ، فان ذلك وحده يحتاج الى دراسة شاملة معمقة تفى بحقه على الجيل !!

وتستطيع أن تقول ذلك فى إبداعات أخرى مما أبدع هذا الجيل الرائد — ولسنا هنا بصدد الاستقصاء بقدر ما نحن بصدد الايماء — الشىء الذى يرسخ فى الأذهان قضية أن الجيل الرائد كان يعرف من أى المنطلقات يبدأ زحفه الهائل ، والى أى الآماد ينتهى مساره الكبير !!

فلماذا إذن توقف الزحف ؟ ولماذا إذن انتهى بهذا الجيل هذا المسار ؟ لماذا لم يواصل الجيل الخالف اندفاعه المؤمن قابضا على حركة التصدى الفاعل فى حومة الحوار ؟

أكاد أزعم هنا أن الفارق الصميمى بين موقف كل من الجيلين : أن الجيل الرائد حين خرج الى القتال بالقلم فقد خرج شاهرا فى وجه كل التحديات إيمانه بنفسه ، وإيمانه بعقائديته ، وإيمانه بروعة مواريثه الثاوية — لا يهم — فى بطون الكتب الصفراء !! فى حين خرج الجيل الخالف الى القتال غير شاهر سوى إيمانه المرتعش وعقائديته المدخولة ، وغير قليل من الشك فى مواريثه التى خجل معها أن يقال : إنه قارىء كتب صفراء لا حمراء !! لقد انعكس هذا التسيب العقائدى والفكرى على موقف هذا الجيل الخالف فلم يستطع أن يصمد على جبهة المواجهة مقاتلا هاجما أو حتى مقاتلا على جبهة الدفاع !!

لا تقولوا إن الزحف « فى هذه المرحلة » يوشك أن يكون كاسحا بأفدح مما تعرض له الجيل الرائد تحت مظلة تفتح الفكر المهاجم على آفاق لم يكن يحلم بها فى قمة المرحلة الفائتة . . . فإن هذه المقولة مرفوضة من وجهين :

أولهما : أن عرامة أى هجوم تقتضى بالضرورة استجابة دفاع أذكى وأقدر !!

وثانيهما : أننا ما نزال نقاتل هذا الهجوم الكاسح بفكر جيلنا الرائد لا بفكرنا نحن ، وما يزال فكر هذا الجيل الرائد يقاتل لنا ومن أجلنا على كل الجبهات !!

إن المتبع لحركة الفكر الاسلامى يوشك من خلال أولئك الرواد أن يركز على أساسيات بارزة فى إبداعهم :
كان بعض هذا الابداع بمثابة (تفجير للينابيع) .
وكان بعضه بمثابة « تأصيل للمفاهيم » .
وكان بعضه بمثابة « طموح الى التنظير » .
وكان بعضه بمثابة « ارتفاق منهج نصى » .
وكان بعضه بمثابة « تجول فنى فى حدائق العقائديات » .

وحتى لا يتصور أن حسا من التطوح الشعرى يؤطر هذه الكلمات، فقد يكون من الأجدى أن نقول : إن « حياة محمد » لهيكل كانت خطوة على طريق تفجير الينابيع ، وكانت « حقائق الاسلام وأباطيل خصومه » للعقاد و « فجر الاسلام » و « ضحى الاسلام » لأحمد أمين ، خطوة على طريق تأصيل المفاهيم .. وكانت دراسة العقاد الفذة عن « الله » خطوة على طريق الطموح الى خلق نظرية إسلامية — من المنحى الفكرى — فى هذا المجال .. وكانت « مرآة الاسلام » لطه حسين خطوة على طريق احتواء المنهج النصى ... وكانت « على هامش السيرة » لطه حسين خطوة على طريق التجول بالفن فى حدائق العقائديات !!

وهنا أستطيع أن أزعم أن إبداع هؤلاء الرواد لم يكن حركة لوح تلقائى يستريح من معاناته الكاتب بنفثه كلمات على وجه الورق ، وإنما كان حركة فكر ريادى يتكىء فى اندفاعه الواثق على حس تكاملى كان يسيطر على حركة أولئك الرواد فى قضية إبداعهم الفكرى والفنى ... بمعنى أن كل واحد منهم كان يشكل صوتا فكريا وفنيا مفردا ، لا يريد لنفسه أن يكون صوتا مكرورا ولا صدى لصوت مفرد أو مكرور ، وبهذا الحس المغامر الطموح استطاع هذا الجيل أن يشكل — من خلال إبداعه — دائرة متكاملة يقضى أولها الى آخرها بلا نشاز — فحين نرى اتجاها الى تفجير الينابيع هنا ، نرى الى جواره اتجاها الى تأصيل المفاهيم هناك .. وحين نرى غير بعيد ملامح اتجاه الى محاولة التنظير نرى غير بعيد كذلك اتجاها الى ارتفاق المنهج النصى ، وحين نرى ميلا هادفا الى التجول الفنى فى رحائب العقائديات نحس بأن هذا المتجه يأتى لتمام دائرة لا تتم فى غيابه على الاطلاق ، وهكذا تنتهى الدائرة الى تفرد بارز من ناحية ، والى تكامل أروع بروزا من ناحية أخرى ، ولا تكون قضية المبدع هنا أن ينوع على لحن أساسى مكرور غامر بابتكاره سواه ، وإنما تكون قضيته أن يبحث فى المدار الفكرى والفنى عن مناطق البكارة والأمل الصميمى فى إضافة لبنة الى جدار الواقع العقائدى حتى ينهض الجدار ويتشامخ البناء .

ولعلنى لست فى حاجة الى شجب الجانب الآخر أو الدعوة الى شجبه ، أعنى أننى لست فى حاجة الى إدانة الجيل الخالف ، الذى يتحرك بالفكر والفن فى مناطق النفوذ التى أفرغت أمعاءها تماما ... لقد شهدت المرحلة الاخيرة موجاتمن « الدعاية » الفكرية للقضية العقائدية مكرورة بلا ملال ، ومقلدة بلا حياء ، وتافهة بلا قرار ، ولم نلمح من خلال كل هذا اللجب اللاجب قضية واحدة قادرة على البقاء . ولا دراسة واحدة يمكن أن تضيف الى ضمير العصر ابعادا جديدة تثرى حركة الفكر فيه ، أو حتى حركة الحوار !!

أن يكون الجيل الرائد مفجرا للينابيع ..
وأن يكون مؤصلا للمفاهيم ...
وأن يكون طموحا الى التنظير ...
وأن يكون مقترحا لمناهج متعددة..

وأن يكون متجولا — على مستوى فنى — فى حدائق العقائديات .

وأن يكون الجيل الرائد كل اولئك جميعا .. فإن هذا كله يعطى هـذا الجيل جدارة التمدد فى اخلاد الأبد .. وجدارة التخطى لملايين السدود !!

وأن يكون الجيل الخـالف عاجزا بقدرية فادحة عن مجرد العطاء فى أى من هذه المنطلقات فكريا وفنيا ، فإن هذا كله يعطى جدارة السقوط اللاهث تحت سنابك التاريخ !!!

أعلم أن جهودا بـذلت — عـلى مستوى الجيل الخالف — فى كل من هذه المجالات ، ولكننى لست عـن مجرد الجهد المبذول أبحث ، فقضيتى أبعد تجذيرا فى تربة الواقع الفكرى من مجرد الحركة أو مجرد الدوار ... وأوشك أن أجـزم بأن محـاولات مستحدثة قد بذلت بالفعل وهى ليست قريبة الغور فى هذا الصدد ، ولكنها فى النهاية تبقى محاولات مفردة تفتقر الى ما يعاونها على تكامل الـدورة ، وانسياب البعض فى حركة الكـل الكبير !! من هذه المحاولات — مثلا — بعض جهود مالك بن بنى (٢) فـى الجـزائر — وبعض جهـود نديم الجسر (٣) فى لبـنان . وبعض محاولات محمد البهى (٤) فى مصر .. وغيرهـا ... وغيرهـا .. وهى محاولات موفقة وطموحـة من غير شـك ، ولكنها كما قلت لا ترتكز فى تمامها على حس تكاملى يفضى فـى النهـاية الى ظاهرة بارزة التمام !!

ولقد كان من الممكن أن يشـكل الفكر الاسلامى بمتاحاته المعـاصرة حركة أروع من الحركـة الرائدة ، وثورة أشمل من كل ثورات الفكـر الاسلامى عبر كل العصور .. ولكنه — فيمـا يخيل الى — فكر قانـع ومستسلم وغير باحث عن حركـة الكدح أو حركة المعاناة .. أو قل : إنه فكر قابض على قناعاته النهائية بما هو عاجز عن ديمومة الحوار مع فكر المراحل غابرها ومعاصرها على السواء !!

وحتى لا انتهى الى مجرد التشنج او الى مجرد الصراخ فإننى اود أن أوجه من هنا دعوة الـى كل مفكرى الحركة الاسلامية على امتداد الرقعة التى يتقاسمون فوقهـا خبز العصر وهواءه :

أن يتلاقوا على كلمة سواء ..

وأن يتدارسوا إمكانية العطـاء المثقف المتكامل ..

وأن يتصدوا للقضايـا الصميمية وليس للقضايا القشرية ...

وأن يحركوا أقلامهم فى اتجـاه الحياة وليس فى اتجاه الموت ..

وأن يكون حاضر الجيل ومستقبله وهمومه المثقفة هى محور اهتماماتهم الحقيقية ..

وأن يهيلوا تلالا من الرمال علـى إحساسهم الفاجع بإقليمية الحركة ، وإقليمية الفكر . فإن جناح إسلامهم يغطى حتى الآفاق اللا منظورة فـى هذا الكون المائج اللا متناهى الأبعاد والآماد ..

وأن يقاتلوا — فى النهاية — أو يستسلموا ، فلسنا فى حاجة الـى نائحين مأجورين .. والحركة المسلمة بعد قادرة على انتخـاب عناصرها القادرة حتى من تحت أطباق الظلام ..

والأفق ممتد .. والسواعد هائلة .. والنـداءات بحجم ما بين الأرض والسماء !!!

---

(١) نشرت الـدراسات بمجلـة « الوعى الاسلامى » فى اعداد سابقة .

(٢) اشير هنا الى كتابـه « الظـاهرة القرآنية » .

(٣) اشير هنا الى كتابـه « قصة الايمان ».

(٤) اشير هنا الى كتابه « الفكر الاسلامى والاستعمار الحديث » .

النظرة الاسلامية إلى التاريخ

الأستاذ محمد عطاء الله

أولا ــ التاريخ والنظرة الى التاريخ

تنطوى الكلمة « تاريخ » من حيث استعمالها فى العصر الحديث على دلالتين ، تعبر فى الأولى منهما عن احداث الماضى بصورة عامة ، وفى الثانية تعبر عن تسجيل هذه الأحداث، او بكلمة اخرى تعنى العمل الذى يقوم به المؤرخ . ولئن حاولنا تتبع بدايات التدوين التاريخى لدى البشرية وجدناها تقترن باكتشاف الأنسان للكتابة ، حيث ادى هذا الاكتشاف الذى ظهر لأول مرة فى وادى الرافدين وفى حدود نهاية الألف الرابع ق.م على ارجح تقدير ، إلى انصراف الأنسان نحو تدوين ذكرياته عن نفسه وتسجيل افكاره عن الكون والحياة ، وقد تصاعد هذا التسجيل لدى البشرية قدما ، وادت دراسته والنظر فيه إلى محاولة تفسيره والبحث عن معنى لأحداثه ومن ثم إلى محاولة اكتشاف الروابط بين هذه الأحداث والقوانين التى تحدوها وتتحكم فيها وهكذا ظهرت (النظرة إلى التاريخ) ..

وقد رافقت هذه النظرة الديانات العظمى « فكانت نظرة الصينيين القدماء من التاريخ نظرة (سكونية) أو (تصوفيه) وكثيرا ما عد المفكرون الصينيون التاريخ عملية تعليم دروس أخلاقية تتلقى فيها الرذيلة عملية العقاب على الدوام

وتحظى الفضيلة بأحسن الجزاء .. فخبرتهم بالتاريخ تقترن بالإذعان والاستسلام لا بالمسرة والجذل » ، أما اتجاه المذهب البوذى فكان فرديا ، فمدار التاريخ هو الأفراد فى مجموعة الحيوات المقدرة لكل منهم ، حتى يصلوا إلى هدف إطلاق السراح من جولة الميلادات والميتات المتكررة المتعبة ، وقد كان التفكير الأغريقى يسير فى اتجاه محدود ، لا يلتئم مع نمو التفكير التاريخى ، وإنما كذلك يستند إلى ميتا فيزيقا تمقت التاريخ مقتا شديدا . إن التاريخ علم يعرض لجهود الأنسان أى أن المادة التى يعرض لها المؤرخ هى تلك الأعمال التى قام بها الرجال فى الماضى وتلك أعمال تتعلق بدنيا طبعت على التغير .. دنيا يحدث فيها اليوم ما يمتنع حدوثه فى الغد ، ومثل هذه الأحداث طبقا لوجهة النظر الميتافيزيقية للأغريق ، غير قابلة لأن تعرف ، ومن ثم يجب أن يكون التاريخ مجالا ، ولدى الرومان كان محور الاهتمام المسيطر على المؤرخ اللاتينى ، إنما هو تاريخ روما : أصلها وأحوالها الداخلية وحياة كبار زعمائها وامتداد رقعة سلطانها ، وجرت العادة فى الجملة الا تذكر الشعوب الأخرى إلا من حيث علاقتها بالتاريخ الرومانى وقد قدمت الزرادشتية أيضا نظرتها الى التاريخ ، فهناك اتجاه رئيسى للزرادشتيين من التاريخ ، وهو يتجلى فيما ورد فى الأسفار الجاثية من وصف لما فى خليقة الله من خير وطيبة ، فالله هو الذى يقيم الأرض والقبة الزرقاء ويقيهما شر السقوط .. وهو خالق البشر وبارىء أرواحهم وأجسامهم وواهبهم حرية الارادة .. والعالم الفيزيائى هو المسرح الذى يجلى عليه التاريخ البشرى .. على أن أسفار الجاثا ــ Gathas ــ لا تجعل تاريخ الفرد ينتهى عند حياته فى هذه الأرض ، فان زرادشت كان ممن يؤمنون بالخلود . وكان من ثم يصلى التماسا لما فى الحياة الأرضية من خيرات ، ولكى يتهيأ له فى النهاية الأخذ بنصيب فى الحالة النهائية من السعادة والنعيم يوم يستأصل الشر نهائيا من كل مكان .

كما قدمت لنا الأديان السماوية نظراتها الخاصة إلى التاريخ ، فكانت نظرة اليهودية إلى التاريخ تقوم أساسا وفى أوسع شمول على المذهب التأليهى .. فالطريق إلى فهم التاريخ هو فكرة السيطرة الالهية ، وانتقل الأسرائيليون إلى الأعتقاد بأنهم « شعب الله المختار » إذ سجلت الأسفار التاريخية ما فعله الله لهم وما أتاه من أجلهم . ثم جاءت المسيحية فكانت نظرتها إلى التاريخ تقوم على أساس « سقوط آدم » وما نتج عنه من « الخطيئة لأولى » ، ، ثم دخول الله فى التاريخ متجسدا فى صورة بشرية وتبشير العالم بالأنجيل ومن ثم عودة المسيح للمرة الثانية إلى العالم جالبا معه « يوم الحساب » وافتتاح مملكة السماء الموسومة بالكمال والمقرونة بأتم البركات ، وقد كتبت تواريخ كثيرة على هذا أساس (سقوط آدم) وما نتج عنه من (الخطيئة الاولى) ، ثم دخول الله فى يكون عاما ، قدريا ، مرتبطا بحدوث الوحى ، ثم منقسما إلى فترات » ، وقد قدم كثير من المفكرين تفاسير مختلفة للتاريخ خارج إطار النظرة الدينية .. فهناك التفسير الجغرافى والجنسى والاقتصادى والنفسانى .. الخ مما يضيق عن عرضه مجال هذا البحث .. والذى يعنينا هو ايضاح النظرة الأسلامية إلى التاريخ ..

ثانيا : النظرة الأسلامية إلى التاريخ :

قبل البحث فى « تحديد خصائص النظرة الأسلامية إلى التاريخ » ينبغى علينا الأجابة عن سؤال يطرح نفسه ، هو « هل هناك نظرة إسلامية خاصة ومتميزة إلى التاريخ ؟ ..

وتقتضى الأجابة عن هذا السؤال البحث فى كلمة « تاريخ » نفسها هل هى عربية أو دخيلة ؟

أ ــ يشير (السخاوى) فى كتابه « الأعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » إلى هذا الاختلاف فى أصل الكلمة ، فيذكر قول (الجوهرى) : « التاريخ تعريفه الوقت والتوريخ مثله يقال : أرخت وورخت » وقد فرق (الأصمعى) بين اللغتين فقال : بنو تميم يقولون ورخت الكتاب توريخا . وقيس تقول : أرخته تأريخا . وهذا يؤيد كونه عربيا ، وقيل أنه ليس بعربى محض ، بل هو مأخوذ من « ماه روز » بالفارسية (ماه) القمر . و (روز) اليوم .. قال أبو منصور الجواليقى فى كتابه «المعرب من الكلام الأعجمى » : يقال أن التاريخ الذى تؤرخه الناس ليس بعربى محض وإنما أخذه المسلمون عن أهل الكتاب » .

وقد حاول المستشرق (فرانز روزنثال) تتبع أصل الكلمة فى العربية فرجح أنها مستمدة من الكلمة السامية التى تعنى (القمر) أو (الشهر) وهى فى الأكدية « أرخو » وفى العبرية « يرخ » .. وفى اليونانية توجد الكلمة « أرخى » بمعنى بداية أو حكم و « أرخايوس » بمعنى قديم .. وفى الكلدانية تعنى الكلمة « أركونا » حاكم أو رئيس . ولعل هناك علاقة بين هذه الكلمات وكلمة « تاريخ » العربية .

ب ــ ومهما يكن فى أصل الكلمة « تاريخ » من اختلاف فانها لم ترد فى القرآن الكريم ، ولا فى الأحاديث النبوية الشريفة .. ويروى عن ابن عباس (رضى الله عنهما) أنه قال : « ذكر الله التأريخ فى كتابه لأن معاذ بن جبل (رضى الله عنه ــ قال : يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ، ثم يزيد حتى يعظم ويستوى ويستدير ، ثم لا يزال ينقص ويدق حتى يعود كما كان على حاله الأول ؟ .. فنزل : « يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس » . فذكرت الوقت وقد سبق عندنا تعريف (الجوهرى) الذى أورده السخاوى للتاريخ بأنه الوقت وتاريخ المسلمين أرخ من سنة الهجرة ، كتب فى خلافة عمر ــ رضى الله عنه ــ فصار تاريخا الى اليوم .

جـ ــ على أن القرآن الكريم جاء بنظرة جدية إلى الماضى ، واشار إلى أن ذكريات العرب الماضية محدودة ، وعاد إلى بدء الخليقة . وأكد على أمثلة التاريخ الغابر وعظاته ، وذكر حوادث الأمم والشعوب ، والواقع فان الأسلام دين يعتبر التاريخ أساسا فى عقيدته ، ويعرض فلسفة تضع نظما وقوانين لسير الأنسان وسعادته والمجتمعات وتطوراتها ، والبشرية ومصائرها ، هذا فضلا عن تأكيده على علاقة القرآن بما فى الصحف الأولى .. وأن الأسلام والرسول (صلى الله عليه وسلم) يتبعان ملة إبراهيم حنيفا مسلما .. ويؤكد على المسلمين أن ينظروا إلى مصائر الأمم السالفة التى ورد ذكر قسم منها فى القرآن الكريم .

د ــ وهكذا فان توفر المادة التاريخية والقصص التاريخى فى القرآن

الكريم ، نشط دراسة التاريخ لدى المسلمين نشاطا لا مزيد عليه « حيث دفع مفسرى القرآن إلى البحث عن معلومات لتفسير ما جاء فيه ، وقـــد أصبح الاهتمام بالمادة التأريخية على مر الزمن ، أحد فروع المعرفة التى تمت بالارتباط بالقرآن » ، فازداد عدد المؤرخين المسلمين بحيث أحصى لنا (حاجى خليفة) وحده فى كتابه « كشف الظنون » ألفا ومائتى مؤرخ !!

كل ذلك يؤكد وجود نظرة إسلامية خاصة ومتميزة إلى التاريخ ، وسنحاول فى السطور التالية تلمح خصائص هذه النظرة ، غير أننا نحب أن ننبه قبل ذلك إلى حقيقة أساسية هى أن القرآن الكريم ليس محض كتاب يبحث فى التاريخ ، بل هو نظام حياة شامل عام ، وهكذا فالمعلومات التاريخية التى جاءت فيه وظيفية لم تقصد لذاتها وإنما هى « تحذير من المهاوى الواقعة فى طريقنا » ، وكجزء من هدفه فى توجيه الأنسان إلى الله وتنظيم حياته الخاصة والعامة ، ولهذا نجده يؤكد على ضرورة النظر إلى التاريخ لفرض العبرة بمصائر الأمم السالفة : « قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين » « أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها » .

ثالثا : خصائص النظرة الأسلامية إلى التاريخ :

نستطيع أن نجمل خصائص النظرة الأسلامية إلى التاريخ بالأمور التالية :

١ ـ النظرة الكونية :

النظرة الأسلامية إلى التاريخ نظرة شمولية تستمد ذاتهـــا من العقيدة الأسلامية ممثلة فى التصور الأسلامى لله ، والكون ، والانسان ، والحيـــاة . والمنطلق الأساسى للعقيدة الأسلامية هو الايمان بألوهية يتفرد بها الله سبحانه . وعبودية يشترك فيها كل من عداه وكل ما عداه ـ وكما يتفرد الله ـ سبحانه ـ بالألوهية ، كذلك « يتفرد » ـ تبعا لهذا ـ بكل خصائص الألوهية . . وكما يشترك كل حى ـ فى العبودية ، كذلك يتجرد كل حى وكل شىء من خصائص الألوهية . . فهناك إذا وجودان متميزان : وجود الله . ووجود من عداه من عبيد الله . والعلاقة بين الوجودين هى علاقة الخالق بالمخلوق . وهكذا نجد زاوية الرؤية فى النظرة الاسلامية الى التاريخ تتسع لتستوعب الكـــون والوجود كله ، وذلك برد نشأة هذا الوجود وحركته وما يجرى فيه ونهايته الى إرادة الخالق سبحانه وتعالى وقدرته . . . ومن شأن هذه النظرة أن تنقذ الأنسان من العبث وذلـــك بإضفائها المعنى على الحياة الانسانية ومن ثم على الوجود كله، وذلك يتم بتحديدها لأصل التاريخ وهدفه « وهما حدان لا نستطيع أن نصلهما بأى أسلـــوب من أساليب معرفتنا الخاصة ، ونجدهما فى الدين وحده » . . وهذه النظرة الكونية من شأنها أن تجعل الانسان مشتركا فى مشكلات الوجود لا متطلعا وحسب ، فالتاريخ خارج هذه النظرة لا يقدم لنا سوى « حضارات تولد ، وتنضج ، وتموت

لكن هل نحن على هذه الارض ببساطة لبناء ، ثم هدم حضارات ؟ هذه المصانع المؤقتة مثل نسل من ديدان الخشب يبنى مأواه الذى سوف يهدمه ، ثم يعيد بناءه فى استمرار للنوع لا طائل من ورائه » ، وهكذا يبدو البشر لا يملكون أى هدف أو خطة أكثر من « تلك التى يمتلكها صنف من الفراشات أو زهور الاوركيد Orchids كما يذهب اشبنجلر .

التصور الاسلامى اذا يضع هدفا محددا للوجود يتمثل بعبادة الله سبحانه وتعالى : « ولله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون » ، « « ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات والأرض ، والطير صافات ، كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون » ، فالهدف الرئيسى للقرآن الكريم كما يقول (إقبال) : « هو أن يوقظ فى نفس الانسان شعورا أسمى بما بينه وبين الخالق وبينه وبين الكون من علاقات متعددة . ولقد كان هذا المنزع التعليمى للقرآن الكريم هو الذى جعل (جيته) ، وهو يستعرض الدين الاسلامى بوصفه قوة مهذبة مؤدبة يقول لأكرمان : « انت ترى أن هذا التعليم لا يخفق أبداً ونحن بكل مالنا من نظم لا نستطيع ، بل أقول بوجه عام ، إن أحداً من البشر لا يستطيع أن يذهب أبعد من هذا » .

ب ـ النظرة العالمية :

الاسلام دين عالمى الدعوة ، تتمثل العالمية فى دعوته على منحيين :

١ ـ تقريره وحدة الجنس البشرى « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، إن الله كان عليكم رقيباً » و « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

٢ ـ تقريره لوحدة الدين وأن دعوته هى دعوة النبيين جميعا تجددت كاملة على يد محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ خاتم النبيين ، ولهذا فرض الاسلام الايمان بالرسل جميعا : « قولوا آمنا بالله وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » . لذلك فان النظرة الاسلامية الى التاريخ ترتبط بالتفسير الاسلامى للوجود الإنسانى ومن ثم بتحديد مكانة هذا الوجود بين غيره من أنواع الوجود ، وبعد ذلك بتحديد مكانة الإنسان بين كل جماعة من هذا الوجود الإنسانى ، فالقرآن الكريم يرجع النشأة الإنسانية الأولى الى الطين « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار

مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ، ثم انكم بعد ذلك لميتون ، ثم انكم يوم القيامة تبعثون » . أما مكانة الإنسان فى هذا العالم فتتحدد بكونه خليفة الله فى أرضه يعمرهـا ويفيد منهـا وتكون بكل ما فيها من خلائق مسخرة لخدمته . « وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ، ونقدس لك ، قال إنى أعلم ما لا تعلمون » . « وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ، ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم » . ومعنى الخلافة هذا يتضمن معنى المسؤولية ، فالكائن الإنسانى كائن مسؤول فى هذا العالم عن نفسه ، وعن انشطته ، فهو الذى يصنع تاريخه وهو الذى يحاسب على كل ما يحققه خلال هذا التاريخ ، (ومن أهم أصول التعاليم التى جاء بها القرآن الكريم أن الأمم تحاسـب بمجموعها ، وأن العذاب يعجل لها فى الحياة الدنيا بما اكتسبت من سيئات ، ولكى يؤكد القرآن هذا المعنى فانه دائب الاشارة الى الأمم الخالية داعيا الى الاعتبار بتجارب البشر فى ماضيهم وحاضرهم) ، كذلك لا نجد فى الاسلام ما يفيد معنى اللعنة الأبدية كما فى التوراة ، فالأرض ليست منفى للبشرية ، بل هى بكل ما فيها مسخرة لخدمة الانسان ، ولعلهذه النظرة العالمية هى التى جعلت المؤرخين من المسلمين يبدءون تواريخهم ببدء الخليقـة .

جـ ـ النظرة المثالية الواقعية :

الإنسان فى القرآن الكريم روح وجسد ، وفيه استعداد لفعل الخير ، كما فيه استعداد لفعل الشر ، وهو مُخيَّر وحر فى سلوكه وأفعاله ، يدل على ذلك ما فى الشريعة الإسلامية من تكليف ، ولذلك كانت نظرة هذا الدين تتميز بكونها مثالية وواقعية فى آن واحد ... مثالية من حيث تفسيرها للأصل والهدف ، وواقعية من حيث تعاملها مع الحقائق الموضوعية ذات الوجود المستيقن ، والأثر الواقعى الايجابى ، فالتصميم الذى يضعه للحياة البشرية يحمل طابع الواقعية لأنه قابل للتحقق الواقعى فى الحياة الإنسانية يقول (إقبال) فى هذا الصدد : « إن المشكلة التى واجهها الاسلام كانت فى الواقع ما بين الدين والحضارة من صراع متبادل ، وما بينهما فى الوقت نفسه من تجـاذب متبادل . ولقد واجهت النصرانية فى أول عهدها المعضلة نفسها ، فكان أعظم ما عنيت به أن تبحث عن مستقر للحياة الروحية قائم بنفسه ، تلك الحياة التى رأى مُنشئها ببصيرته انه يمكن السمو بها لا عن طريق قوى عالم خارجى عن نفس الانسان وإنما بتجلى عالم جديد فى داخل النفس ذاتها ، والإسلام يقر هذه النظرة تماما ، ويكمّلها بنظرة أخرى هى أن النور الذى يضىء هذا العالم الجديد المتجلى على هذا النحو ليس غريبا عن عالم المادة ، بل هو متغلغل فى أعمـاقه » فالنظرة الاسلامية لا ترى فى التاريخ على انه نشاط من انشطة المادة فحسب ، كما أنها لا ترى فيه نشاطا من انشـطة الروح فقط ، وإنمـا هو نشاط يجمع فى مضامينه هـذين العنصرين معا ، كما أن هذه النظرة المثالية الواقعية من شأنها أن تجعل الانسان

لا يغير فكرته عن العالم والتاريخ من ثم فقط وإنما تجعله يساهم في تغيير هذا العالم وبالتالي يصنع التاريخ .

د ــ النظرة الحيــوية :

التاريخ في إطار النظرة الاسلامية يبدو مليئا بالحيوية والحركة ، وذلك منبعث من كونه اتجاهيا أو غائيا . أى أنه يبتدىء من بداية محددة تتمثل ببــدء الخليقة في التصوير الإسلامي ، ويتجه الى نهاية محددة أيضا هي يوم القيامة . وهذه النظرة من شأنها ان تكون مستقبلية لا تقتصر على الماضي وحده وإنمــا تمتد لتشمل المستقبل ، وهذا من شأنه أن يعمق الإحساس التاريخي لدى الانسان المؤمن بهذه النظــرة ، وليس كما يذهب المستشرق (روزنثال) من ان « هــذا الامتداد لفكرة التاريخ الى المستقبل كان في الحقيقة ــ كما يقول ــ مسلكا خاطئا لأنه ــ كمــا يذهب ــ قد أخرّ في قيمة التاريخ باعتبــاره تفكيرا في العوامل الواقعية والمؤثرات في الحياة ، لأنه يعوزه التنوع ، ولأنه يتركز بصورة جامــدة حول حقائق محدودة » ، والذى دعا (روزنثال) الى هذا الراى هو ما لاحظــه من الحديث عن يوم القيامة في القرآن الكريم « بحيث أصبحت أحداثه واضحة للناس وكأنها قد حدثت في الماضي القريب رغم أنها لم تحدث بعد » . غير أن (روزنثال) فاته أن يفهمَ أن هذه المسألة (استعمال فعل الماضي في الحديث عن يوم القيامة) تدخل ضمن الأسلوب البلاغي الفني الذى يتفرد به القرآن الكريم عن كل ما عداه من الأساليب ، كما ان القرآن لم يؤرخ للمستقبل بل تحدث عن المستقبل وعن نهاية العالم المتمثلة في يوم القيامة وأن حديثه عن المستقبل كان جزءا من قانونه الذى جاء به في تفسير رقي المجتمعات وتدهورها ، يضاف الى ذلك أن اتجاه الاسلام من التاريخ (كما لاحظ ويدجرى) ، اتجاه يقوم على المذهب التحسني ــ Meliorcim ، فمتى تزايد إقبال الأفراد والشــعوب على الطاعة لإرادة الله ، تحسنت الأمور .

ويلاحظ الأستاذ الباكستاني (عبد الحميد صديقى) أن فكرة النمو الخلقي المحتوم لا توجد بين المسلمين « فالإسلام لا يزعم أن أخلاق حقبة معينة تاريخية لا بدّ أن تكون أسمى من أخلاق الحقبة السابقة لها ، فالإسلام يمنح البشر الحرية في أن يختــاروا بين السير قدما في طريق الأخــلاق أو التراجع والنكوص . والاختيار النهائي يعتمد عليهم وحدهم . إن الله وملائكته لا يسحبون البشر الى الأمام . بل الأخلاق تتضمن تأديب النفس وتعويدها النظام والطاعة ، كما تتضمن السيطرة على الشهوات وتنظيم الإرادة في الســعي وراء مثل أعلى . وهذا يتطلب جهودا متجددة دائما يقوم بها الأفراد أو الجماعات داخل دائرة الأخلاق . إنه لا يوجد نجاح خالد الى الأبد وتقدم باق دائم ، وانه من الممكن الانحطــاط عن المستوى الخلقي الذى يبلغه الفرد أو الجماعة إذا قلّ الجهد المبذول » .

هـ ــ التفسير الإسلامي للرقي والتدهور :

ليس في الإسلام ما يشير الى مفهوم دورى محدود بزمن معين كما هــو معروف لدى فلاسفة التاريخ الدوريين ، فالقرآن الكريم لا يوجب عــلى المسلم

مقدارا محدودا من السنين لخلق الكون ، و لخلق الانسان ، ولا نعلم أن ديانة من الديانات الكبرى التي يؤمن بها أبناء الحضارة عرضت لتاريخ الخليقة غير الديانتين : البرهمية واليهودية . والديانة البرهمية لا تقدر عمر الكون أو عمر الحياة بمقدار محدود من السنين . لأنها تقول بالدورة الأبدية التي تتكرر فيها حياة الإنسان مع حياة الكون بغير أجل معروف في البداية أو النهاية . وعند البرهميين أن الكون فلك كبير ، يتم دورته المتكررة مرة كل ثلاثمائة وستين ألف سنة ، وقد يزاد هذا المقدار أو ينقص في تفسيراتهم الدينية على حسب المقادير المضاعفة عندهم للدورة الشمسية . وهي عندهم مثل صغير للدورة الكونية الكبرى . وكلما انتهت دورة بدأت دورة أخرى من دورات الوجود السرمدي عودا على بدء الى غير انتهاء . أما المصادر اليهودية ، فهي على حسب تحقيق الفقيه الكبير « جيمس يوشر » المتوفى سنة ١٩٥٦م ، تدل على ابتداء الخليقة في (شهر أكتوبر سنة ٤٠٠٤ ق . م) . كذلك فليس في الاسلام ما يشير الى تحديد زمن معين معروف ينتهي به الكون وتنتهي به البشرية « يسألونك عن الساعة أيان مرساها ؟ فيم أنت من ذكراها . الى ربك منتهاها . إنما أنت منذر من يخشاها . كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها » . وعلى هذا فبداية التاريخ الزمنية وكذلك منتهاه أمر مسكوت عنه في الإسلام ويقع علمهما ضمن علم الغيب الذي يختص به الله تعالى وحده ، غير أننا نلاحظ أن التاريخ الإنساني في إطار النظرة الإسلامية ينقسم الى وحدات يطلق عليها القرآن الكريم اسم (الأمم) أو (الأقوام) أو (الشعوب) ويقرر أن تقدمها وتدهورها إنما يستند أساسا على إيمانها بالله وطاعتها له ، حيث ترتبط مناشط هذه الأمم كلها بهذا الإيمان وما يترتب عليه من قيم ، وبحيث أن فساده يؤدي بالضرورة الى فساد هذه القيم ومن ثم الى تدهور الأمة . والقرآن يقرر أن الأمم مربوطة بأعمار معينة لم يبيِّن عددها ، ولذلك فان لها آجالا « ولكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » .

« ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون » . وهذا يقودنا الى القول بأن بقاء الأمم على مسرح التاريخ ليس أزليا بقدر ما هو محكوم بزمن معين ومشروط بنهاية . كذلك يقرر القرآن الكريم أن تقدم الأمة ورقيها وتغيير أوضاعها يعتمد بالدرجة الأولى على إرادة أفراد هذه الأمة « إن الله لا يغيِّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ، وهذا الربط بين مصير الأمة وإرادتها يفسِّر ما سبق من أن لكل أمة أجل ، حيث أن فساد الإرادة سيؤدى بالضرورة الى تدهور الأمة . وإن هذه الحقيقة تتمتع بالثبات من حيث سريانها على النشاط الإنساني الذي لا يمكن أن يخرج بحال من حيث هوفعل قيمي عن دائرة الخير أو دائرة الشر ، والحرية متروكة للأمة في وضع عملها ضمن أية واحدة من هاتين الدائرتين ، وإن إنقاذ البشرية من مصائرها السود يعتمد على تدخل العناية الالهية وتتمثل هذه العناية ببعث الرسل والأنبياء كل بلغة قومه . والاسلام يختم النبوة بنبوة سيدنا محمد — صلى الله عليه وسلم — ، حيث يعتبر نفسه آخر دين جاء الى البشرية وانه صالح لذلك لكل زمان ومكان ، فمن شأنه اصلاح البشرية جمعاء على أساس ما فيه من تعاليم سماوية .

٣

دراسات في
القصص القرآني

التكرار في قصص القرآن

عبد الكريم الخطيب

- ١ -

التكرار فى القصص القرآنى ظاهرة واضحة ، لافتة للنظر ، وداعية لكثير من التساؤل ، والبحث عن بواعث هذا التكرار ، وآثاره فى الحفاظ على وحدة الشخصية ، وترابط الحدث ..

وقد وجد أصحاب الأهواء ، ومرضى القلوب والعقول ، من الملحدين ، والشانئين للاسلام — وجدوا فى هذا التكرار مدخلا ملتويا يدخلون منه على هذا الدين ، للطعن فى القرآن الكريم ، والنيل من بلاغته واعجازه ، وليقولوا ان هذا التكرار قد أدخل الاضطراب فى مسار الاحداث ، وقطع أوصال الوحدة العضوية بين أجزائها ، فجاء بها أشلاء ممزقة ، لا يدرى أحد أين موضع الرأس أو القدم فيها .. ثم يخلصون من هذا الى القول بأن أسلوب القرآن ليس على هذا المستوى البلاغى الرفيع الذى يتسع للدعوى التى يدعيها المسلمون له ، وانه معجز ، وانه منزل من السماء .. ثم يتمادى هؤلاء الملحدون فى هذا الضلال ، فيقولون : ان هذا التكرار انما هو أثر من آثار تلك الاحوال النفسية التى كانت تنتاب محمدا ، فتخرج به عن وعيه ، وتفقده صوابه ، فيلقى بهذه الكلمات التى ينطق بها فى تلك الحال ، مرددة مقطعة ، كما يقع هذا للمحمومين والمصروعين .. « كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا » ..

ان الذين يقولون هذا الزور من القول ، أو يحكونه عن غيرهم ، هم أعاجم ، أو أشباه أعاجم ، لم يذوقوا البلاغة العربية ، ولم يتصلوا بأسرارها ، ولو أنهم رزقوا شيئا من هذا ، لما طاوعتهم ألسنتهم ان ينطقوا بهذا البهتان العظيم ، ولردهم شيء من الحيـاء أن يقولوا قولا لم تجرؤ قريش في موقفها العدائي العنادي من النبي أن تتلفظ به ، أو تجريه على لسانها ، حتى على سبيل المهاترة والمجازفة ، وهي تتربص بالنبي ، وتتصيد التهم والمفتريات ترمي بها في معركتها مع القرآن الكريم ، الامر الذي لو وجدت فيه الزور من القول مكانا لألقت به في المعركة ، غير متورعة لما ينالها من خزي ، وما تلحقها من فضيحة .. ولكن هذا الزور الذي يقول به الملحدون عن التكرار في القصص القرآني ، اعيا قريشا أن تمسك به ، وأن تواجه به هذا الحق المشرق المبين .. !

واذا لم يكن لقريش ، أن تقول مثل هذا القول . وأن تجعل منه سلاحا في معركتها مع القرآن ، وهي مرجع الفصاحة والبلاغة ، واليها الحكومة في فصيح القـول وبليغـه — فكيف يساغ هذا القول من أعاجم ، وأشباه أعاجم .. ؟

— ٢ —

وانه لداء قديم هذا التحكك بالقرآن الكريم ، والطعن في بلاغته ، واتخاذ التكرار في قصصه شاهدا على أن هذا القرآن ليس من عند الله ، اذ لو كان من عند الله لما لبست القصة الواحدة فيه هذه الاثواب الكثيرة المختلفة الالوان والاشكال ، ولجاءت لونا واحدا . وصورة واحدة ، لانها تحكي حقيقة واحدة .. أما وقد جاءت معظم قصص القرآن في أكثر من صورة متعددة الالوان والاشكال ، كما في قصة موسى الذي جاء ذكره في القرآن في أكثر من مائة وعشرين موضعا — فان ذلك يقطع — عند هؤلاء الملحدين — بأن هذا القصص ، والقرآن الذي حمله ، هو من صنع بشر ، يتصيد الاخبار ، وكلما وقع له خبر تحدث به !! هكذا كان يقول الملحدون قديما ، وهكذا يردد المستشرقون وتلاميذ المستشرقين هذه المطاعن اليوم ، ويخلعون عليها من معارف العصر وطرائق البحث ألوانا خادعة ، تترقرق كما يترقرق السراب ، يحسبه الظمآن مـاء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ، ووجد زيفـا ، وضلالا ، وحقـدا ، وموجدة .. !

— ٣ —

وقـد تولى السلف الكريم من علمائنا — رضوان الله عليهم — دفع هـذا الزور من القول ، ودفع اهله ، والباسهم ثوب الخزي والخسران .. وكانت أسلحتهم التي دخلوا بها في حربهم مع هؤلاء الملحدين ، قادرة على تحطيم كل ما رمى به الاعداء من سلاح في وجه المسلمين ، وفي افترائهم على كتاب الله .. اذ كان لكل عصر وسائله واسلحته في الصراع بين الحق والباطل ، وفي الحرب بين المحقين والمبطلين .. فاذا نظرنا في مقولات السلف الكريم من علمائنا ، تلك المقولات التي دفعوا بها هذه المفتريات التي تفتري على كتاب الله ، ثم رأينا في هذه المقولات شيئا من القصور — فان الحق يقتضينا أن نزن هذه المقولات بميزان

عصرها — لا عصرنا — وان نقابلها بمقولات متحدى زمنهم — لا زمننا — وعندئذ نرى أن علماءنا قد أبلوا فأحسنوا البـــــلاء ، وجاهدوا فصدقوا الجهاد ، حتى كان لهم الغلب ، وكان لهم النصر ! ! فرضى الله تعالــى عنهم ، وأجـــــزل المثوبة لهم ..

وانه لا بأس هنــا من أن نعرض بعضا من مقولات بعض أولئك الائمة ، فى مقــام الدفاع عن قضية التكرار فى القصص القرآنى ، كنموذج تتضح منه صورة من صور هذا الصراع المتصل بين القرآن الكريم ، وبين الملحــــــدين والشــــانئين ..

فهذا أبو بكر الباقلانى يقول فى كتابه : « اعجاز القرآن » ، ردا على من يطعنون على مافى القرآن الكريم من تكرار :

« ان اعادة القصـــة الواحدة ، بالفاظ مختلفة تؤدى معنى واحدا — من الامر الصعب الذى تظهر فيه الفصاحة ، وتبين البلاغة » .

يريد« الباقلانى » بهذا ان يقول : ان عرض المعنى الواحد بأســــــاليب مختلفة من القول ، دون ان يتغير جوهر حقيقته ، ودون ان يضعف أو يسف اسلوب عرضه ، هو من العسير الذى لا يقدر عليه الا من كان ذا ملكة بيانية عالية ، وذا اقتدار متمكن على امتلاك أعنة البلاغة ، وذلك فى حدود لونين ، أو ثلاثة من الوان العرض .. فاذا جاوز هذا الحد ، اضطرب الأسلوب ، وبهتت المعانى .. الا أن يكون ذلك من تدبير الحكيم العليم ، رب العالمين ، الذى لا تحد قدرته ، ولا يحصر علمه ، ولاتنفد كلماته ..

ثم يقول « الباقلانى » تعقيبا على ما سبق من قوله :

« وأعيد كثير من القصص — القرآنى — فى مواضع مختلفة ، على ترتيبات متفاوتة ، ونبهوا — أى العرب — بذلك على عجزهم عن الاتيان بمثله ، مبتدأ ومكـــــررا » ..

ويريد « الباقلانى » بهذا أن يقرر أن من صور التحدى الذى عجز عنــــــــه العرب ازاء القرآن — عرض القصة الواحدة عرضا متفاوتا بين الطول والقصر ، والاطناب والايجاز ، والبسط والقبض ، فوسع بهذا على العرب مجــــــال المعارضة والمحاكاة ، ويسر عليهم سبيل التحدى وأغراهم به ، فلم يكن منهم الا العجز ، والاستخزاء !

وهذا الامام « الزركشى » يقول فى كتابه « البرهان فى علوم القرآن » :

« ومنه — أى من التكرار — تكرار القصص فى القرآن ، كقصة « ابليس » فى السجود لآدم ، وقصـــة موسى وغيره من الانبياء .. قال بعض العلماء : « ذكر الله موسى فى القرآن فى مائة وعشرين موضعا » ..

ثم يكشف « الزركشى » عن وجوه لبعض أسرار هذا التكرار ، فيقول :

« وانما كررها — اى القصة — لفائدة خلت عنها فى الموضع الآخــر ، وهى أمــور :

أحدها أنه — أى القرآن — اذا كرر القصة زاد فيها شيئا .. الا تــرى أنه ذكر الحيـــة فى عصــــا موسى ، وذكرها فى موضع آخــر ثعبانا ؟ (ونقول : وذكرها فى موضع ثالث « كأنها جــان ») ..

ثانيها : ان ابراز الكلام الواحد فى فنون كثيرة ، وأساليب مختلفة — لا يخفى ما فيه من الفصاحة ..

ثالثها : ان الله سبحانه وتعـــــالى أنزل هذا القرآن ، وعجز القوم

عن الاتيان بمثل آيه ، لصحة نبوه (محمد) صلى الله عليه وسلم .. ثم بين وأوضح الامر فى عجزهم بان كرر القصة فى مواضع ، اعلاما بانهم عاجزون عن الاتيان بمثله ، باى نظم جاءوا ، وبأى عبارة عبروا » ..

وهـذا القول الاخير الذى يقوله الزركشى ، يتفق مع قول الباقلانـى ، من أن داعية التكرار ، هى امداد العرب فى أكثر من ميدان من ميادين التحدى بمبسوط القول ومقبوضه ، وحقيقته ومجازه .. وهذا مما يقطع بعجزهم ، ويدخل اليأس عليهم من أن يقولوا بعد هذا مثل قولهم الذى ذكره القرآن عنهم : « لو نشاء لقلنا مثل هذا ، ان هذا الا أساطير الاولين » ..

ونجـد أبا بكر الصولى ، فى كتابه : « أدب الكاتب » يعلل التكرار فى القصص القرآنى ، بعلة أخرى غير التحدى ، فيقول : « ولأن الانسان قد يقرأ بعض القرآن ، ويحفظ شيئا منه دون شىء ، فلم يخل الله عز وجل موضعا منه من ترغيب أو ترهيب ، وادكار واعتبار ، تفضلا منه على عباده ، واستدعاء لطاعتهم ، ونهيا عن عصيانهم ، فوقع التكرار لذلك ! » ..

— ٤ —

هـذه بعض لمحـات من نظر الاقدمين الى ظاهرة التكرار فى القصص القرآنى ، وهى فى جملتها كافية فى الرد على من يقفون موقف التساؤل والطلب لمعرفة وجـه الحق فى هذا التكرار ، وما يحمل من أسرار ، سواء أكان طالبو هذا الحق من أتباع القرآن او من غير اتباعه ..

أما حين يخرج الامر عن هذا المجال ، الى المماحكة والجدل ، والى اثـارة البلبلة والاضطراب ، بهذا الكيـد الخبيث الذى يكيد به علماء تخصصوا فى التغرير بالعامة ، واشباه العامة من شباب المسلمين ، وشيوخهم — فان مثل هذه المقولات لا تقوى على دفع هذه الحملات القوية المنظمة التى تثير مثـل هذا الغبـار الذى يحجب الرؤية الصحيحة عن الحق الذى يغمر الوجـود بضوئه ، فتعمى لذلك أبصـار وتزيغ قلوب ، وتضل عقول .. !

اتريد شاهدا لهـذا ؟

منذ أكثر من ربع قرن ثارت ضجة كبيرة فى الاوساط العلمية والدينية ، حـول رسالة جامعية ، تقدم بها صاحبها لنيل الدكتوراه فى الادب من كلية الآداب ، بجامعة فؤاد الاول (جامعة القاهره الآن) وكان عنوان الرسـالة وموضوعها : « القصص الفنى فى القرآن » .. وقد منح صاحبها درجـة الدكتـوراه !! ..

وليس غرضنا من اثارة هذا الموضوع الان الا الاستشهاد لما اشرنا اليه من قبل ، من هذا الكيـد العظيم ، الذين يكيد به اصحاب النـوايا السيئة من المستشرقين للاسلام واصابته فى صميمه بالتشكيك فى القرآن الكـريم ، الذى هو دستور هذا الدين عقيدة وشريعة ، والذى ان وقع شك فى كلمة او آية منه ، انهار بنيانه ، وتداعت أركانه ، وضاعت الثقة به ، والاطمئنان اليه ، وزايلته تلك القداسة التى تمسك به فى مواطن الايمان من القلوب .. فاذا كان هذا الكيد قد استطاع ان يغرر بعقول اصحاب الدرجات العلمية العالية ،ويقيمهم هذا المقام الزائغ المنحرف مع كتاب الله ، فكيف يبلغ الامر مع ناشئة المثقفين ؟ وكيف تنتهى الحال بالعامة واشباه العامة ؟

واستمع الى قول الاستاذ المشرف على الرسالة — رحمه الله ، وعفـا عنـه — استمع اليه وهو يقدم لهذه الرسالة بقوله : « وبهذا التفريق بـين العرضين — الفنى والتـاريخى — للحادثة والواقعة ، تبين فى وضـوح أن

عرض القرآن لاحداث الماضين ووقائع حياتهم ، والحديث عن تلك الاحداث والاشخاص ليس الا العرض الفنى الادبى ، لا العرض التاريخى التحقيقى !! »..

ثم يمضى الاستاذ المشرف لتبرير هذا الرأى وتأكيده ، فيقول : « وفى العرض الاول ــ أى العرض الفنى ــ قصد القرآن الى الاخلال الواضح بمقومات العرض الثانى ــ أى التاريخى ــ فأغفل قصـــدا تحديد الزمان ، وذكر المكان ، وتسمية الاشخاص ، والتعريف المعتاد بمن قد يذكر اسماءهم من هـــــؤلاء الاشـــــخاص !! » ..

وهذا قول صريح لا مواربة فيه ، بأن القرآن ، لكى يلبس قصصه الثوب الفنى ، ويبلغ به مستوى الفن ــ قد عبث عن قصــد بالحقائق ، فغير مـــن صورها ، وبدل من أشكالها ، تماما كما يفعل أى أديب فى تلوينه للحقائق ، وصبغها بأصباغ الخيال ، حتى يسوى منها عملا فنيا ، يثير الخيال ، ويحرك المشـــاعر !! ..

ونحن لا ننكر على القرآن ، ولا على قصص القرآن أن يلبس ثوب الفن .. فما الفن الا الجمال ، والبهــاء ، والجلال ، اذا صدر عن طبع أصيل ، وخرج من يـــد صـــناع .. والقرآن الكريم محمل كل جمال ، وجلال ، وبهاء ..

ولكن الذى ننكره هو ان يكون مصدر ما فى القرآن من جمال ، وبهــاء وجلال ، نابعا من غير منابع الحق المصفى ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. كما يقرر ذلك القرآن نفسه فى قوله تعالى : « وبالحق أنزلنـــاه وبالحق نزل » !

ولا ندرى كيف يقرأ مسلم هذه الآية الكريمة ، ثم يجد مساغا لصرف مثل هذا القول الذى يقوله الاستاذ المشرف على الرسالة ، عن صريح منطوقه ، اذ يقول : « وعلى هذا الاساس ، يستطيع المثقف الراقى حين يتدين ان يعتقد فى تسليم مطمئن بحديث القرآن الفنى فى قصصه ، ومع ذلك يدق ويحلل فى عمق ووضـــوح تاريخ هاتيـــك الاحداث وأشخاص أصحابها ، وينفى فى ذلك ويثبت مطمئنا الى أن هذا لا يصـــادم بحال ما ذلكم العرض الفنى الآخر ، وأن هذا العرض الفنى مهما يقل التاريخ فى أحداثه لن يمس سلامة القرآن وصدقه !! »..

وأعجب ما فى هذا القول تلك العبارة التى يجعل منها الاستاذ المشرف، التدين أمرا عارضا عند المثقف الراقى ، وأنه فى حل من أن يتدين ، أو لا يتدين ، كأن التدين ليس دينـــا ، وليس عقيدة ، وانما هو مزاج شخصى ، وهـــــوى ذاتى !! ..

هـــذا بعض ما يقوله الاستاذ المشرف على رسالة : « الفن القصصى فى القرآن » .. أما ما يقوله صاحب الرسالة ، فهو أعجب وأغرب ، وأجرا فـــى التهجم على القرآن ، وعلى صدق ما يقص من أخبار وأنباء ..

ولا يتسع المجال هنـــا لعرض مافى هذه الرسالة من اتهام صريح ، وشك مريب فى صحة القرآن ، وتنزهه عن اللغـــــو والباطل ، ويكفى ان نقف عند جزئية ، عرض لها صاحب الرسالة ، فى أول رسالته ، وهو يتساءل منكرا عن السر فى هذا التناقض فى قصص القرآن ، وفى تكراره للحدث القصصى فى صـــور مختلفة متباينة .. يقول الدكتور صاحب الرسالة :

« ســـؤال ســـاله العقل الاسلامى نفسه ، فيما يخص هذا التكرار ،

وهـــو انه على فرض قدرته على الوقوف على الاسرار التى من أجلها كان هذا التكرار ــ فلماذا هذا الاختلاف ؟ لماذا اختلف ايراد القصة الواحدة فى موطن عنه فى آخـــر ؟

ثم يعرض صاحب الرسالة أمثلة لهذا الاختلاف ، فيقول ، متســـائلا فى اســـتنكار :

((لماذا اختلف وصف القرآن لموقف موسى من ربه ، فى سورة طه عنه فى غيره من السور ، مع أن الموقف واحد ، والحادثة واحدة .. ؟ لماذا قال القرآن فى سورة طه : ((وهل أتاك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لأهله أمكثوا ، انى آنست نارا ، لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى ، فلما أتاها نودى يا موسى انى أنا ربك ، فاخلع نعليك انك بالوادى المقدس طوى ، وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى ، اننى أنا الله لا اله الا أنا ، فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى ، ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ، فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى ، وما تلك بيمينك يا موسى ، قال هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيهـــا مآرب أخرى ، قال ألقها يا موسى ، فألقاها فاذا هى حية تســـــعى ، قال خذها ولا تخف ســـنعيدها سيرتها الاولى ، واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير ســـوء آية أخرى ، لنريك من آياتنا الكبرى ، اذهب الى فرعون انه طغى)) ..

((ولماذا قال فى سورة النمل عن هذه الحادثة والموقف : ((اذ قال موسى لأهله انى آنست نارا سآتيكم منها بخبر ، أو آتيكم بشـــــهاب قبس لعلكم تصطلون ، فلما جاءها نودى ان بورك من فى النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين ، يا موسى انه أنا الله العزيز الحكيم ، والق عصاك فلما رآهـــا تهتز كأنها جـــان ولى مدبرا ولم يعقب ، يا موسى لا تخف ، انى لا يخاف لدى المرسلون ، الا من ظلم ، ثم بدل حسنا بعد ســـوء ، فانى غفور رحيم ، وادخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فى تسع آيات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين)) ..

((ولماذا قال فى سورة القصص غير هذين ؟

((ان الموقف واحد ، وان الحادثة واحدة ، ولكن الوصف مختلف ، والحوار غير الحوار ، وحديث الرب العلى مع موسى النبى فى موطن غيره فى آخر ؟؟))
(الفن القصصى فى القرآن : ص ٣٣) ..

ماذا يريد الدكتور ــ صاحب الرسالة الجامعية ــ ان يقول ؟ إتهام للرب العلى بأنه ينسى ما قال ، حتى اذا عاد لذكر ما قاله أولا اختلط عليـــه الامر ، فترك بعض ما كان قد ذكره ، وجاء بجديد لم يذكره ؟ سبحانك ربى هـــذا بهتـــان عظيم ! ..

ولا ندرى احساب من هذا الاجتراء ، والافتراء على الله وعلى كتـــابه الكريم ؟ الحساب الفن ينزل القرآن الكريم من سموات العلا ويوضع فى كفة ميزان ((الفن القصصى)) كما تصوره صاحب الرسالة ، وكما تمثل مثله الاعلى فى قصص (أرسين لوبين) ومن اليه ؟ أم لحساب الشـــهرة عن طريق لفت الانظـــار ولو كان بالخروج على الناس بلا ثوب يستر العوره ؟

— ٥ —

وندع هـــذا .. لنقف بين يدى هذه الآيات ، التى خاطب فيها ((الرب)) ((العلى)) موسى ، فى ثلاث سور من القرآن الكريم ، ولنشهد من آيات اعجازها

ما يملأ الدنيا جلالا ، وروعة ، وخشوعا ، تتخاضع له أعناق البلغاء ، وتعنو له جباه أرباب الفن فى كل مجال من مجالات الفنون ..

وننظر فنرى أن الحادثة التى ذكرها القرآن فى المواضع الثلاثة ، والتى قدمها صاحب الرسالة مستشهدا بها على ما يدعيه من أن القرآن الكريم ، لا يلتزم الصدق فى عرض قصصه ، ليحقق بذلك غرضا فنيا ، وليعطى الصورة الفنية حقها من الفن ، ولو على حساب الواقع ، وتجاوز الصدق فيه الى التخييل والايهام — ننظر فى هذه الحادثة ، فنرى أنها تتضمن خمسة عناصر :

(١) موسى فى طريق عودته من أرض مدين الى مصر ، وقد بلغ الطور ، ومعه أهله ، وقد رأى نارا موقدة ..

(٢) طلبه الى أهله أن يمكثوا حيث هم ، وأن يذهب هو الى حيث رأى تلك النار ..

(٣) غايته من الذهاب الى حيث رأى النار ..

(٤) نداء الله تعالى له عند دنوه من النار .. واخباره بأنه رسول الله المرسل الى فرعون ..

(٥) المعجزة أو المعجزات التى وضعها الله تعالى فى يد موسى ليحاج بها فرعون ..

وليس يتسع المقام هنا لعرض هذه العناصر جميعها ، وما تحدثت به السور الثلاث عن كل عنصر منها ، وما بينها من اختلاف لفظى ، وما وراء هذا الاختلاف من أسرار ..

ويكفى أن ننظر فى أى من هذه العناصر ، وما يقال فيه ينسحب عليها جميعا .. وليكن هذا العنصر هو ما تحدث به موسى الى أهله حين رأى النار ..

ففى سورة « طه » : « وهل أتاك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا ، انى آنست نارا ، لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى » ..

وفى سورة « النمل » : « وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم ، اذ قال موسى لأهله انى آنست نارا ، سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون » ..

وفى سورة « القصص » : « فلما قضى موسى الاجل ، وسار بأهله ، آنس من جانب الطور نارا ، قال لأهله امكثوا انى آنست نارا ، لعلى آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون » ..

والذى يلاحظ فى هذه المعارض الثلاثة :

أولا : أن المقطع الاول من مقول القول ، قد جاء على صورة واحدة فى السور الثلاث(١) : « امكثوا .. انى آنست نارا » .. وهو قول واحد التزم به موسى ، وكرره ثلاث مرات ، حتى لا يتحول أهله عن مكانهم الذى هم فيه ، وحتى لا تنزع بهم نازعة الى مرافقته نحو تلك الوجهة التى يقصدها ، والتى لا يدرى على وجه التحديد ماذا يطلع عليه منها ، فى ظلمة هذا الليل الجاثم على صدر الصحراء المخيف .. ففى تكرار هذا المقطع تحذير لأهله أن يبرحوا مكانهم حتى يعود اليهم ..

ثم ان فى ترديد هذا المقطع من مقول القول ثلاث مرات ، ما يشير الى تلك الوحشة التى كانت تلف موسى وأهله فى هذا المكان الذى لا أنيس فيه ، ولا حس لانسان هنا أو هناك .. فلما رأى النار أيقن أن عندها من أوقدها ، واذن فهناك من الناس من يذهب بتلك الوحشة ، ويخفف وطأة هذه العزلة الخانقة .. ففى ترداد هذا القول : « امكثوا .. انى آنست نارا » تعبير

---

(١) الوعى : لنظرة امكثوا لم يرد فى آية « النمل » وورد فى « طه » و « القصص » .

عن تلك الفرحـــــه التى غمرت قلبه ، وهزت مشاعره ، فأرسلها على لسانه كلمات مردده مهتاجة ، وكأنها حراب يطعن بها فى صدر الوحشة الهاجمـــــة عليه وعلى أهله !! . .

ومن اعجاز القرآن الكريم فى هذا انه وزع هذه الكلمات المرددة ثـــلاث مرات على ثلاثة مشاهد فى ثلاث سور ، متباعدة زمانا ومكانا . . فاذا قرأها قارئ ، او سمعها سامع فى ســـورة ، أجزأه ذلك ، ووقع له علم بالواقعة التى حدثت . . ثم اذا قرأها أو استمع اليها فى السورتين الاخريين ، تأكد له هذا العلم الذى علمه من قبل ، ثم اذا سأل نفسه لم هذا التكرار ؟ جاءه الجواب من عالم الحق ، بأن ذلك هـــو الواقع مفصلا ، بعد أن ذكر فى كل مـــرة مجمـــــلا !! . .

ثانيا : المقطع الثانى من مقول القول ، وهو قول موسى : « لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى » . .

هذا المقطع قد ذكر فى السور الثلاث هكذا :

فى سورة طه : « لعلى آتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى » . .

وفى سورة النمل : سآتيكم منا بخبر أو آتيكـم بشـــهاب قبس لعـــلكم تصطلون » . .

وفى سورة القصص : « لعلى آتيكم منها بخبر ، أو جذوة من النار لعلكم تصطلون » . .

وترتيب السور الثلاث فى المصحف الشريف ، هو على هـــذا النحو ، طـــه ، فالنمل ، فالقصص . . واذا كان هناك اختلاف بين العلماء ، فى ترتيب السور على ما هو عليه فى المصحف ، وهل هو توقيفى ، أم اجتهادى من عمل الصحابة — فان الذى نرجحه ، ونكاد نقطع به انه توقيفى ، وشاهد هذا هو ما بين السور من ترابط وتناسب ، وخاصة ما بين خاتمة كل سورة ، وبـــدء السورة التى بعدها ، حيث تتعانق السورتان ، بحيث يمكن وصلهما قراءة من غير أن يفصل بينهما بالبسملة ، كما تتصل الآية بالآية فى السورة الواحدة . .

وقد كان من منهجنا فى كتابنا : « التفسير القرآنى للقرآن » دراسة هذه الظاهرة ، ونصب الشواهد لها ، مما جعلنا نقطع بأن ترتيب السور فى المصحف الشريف هو توقيفى ، كترتيب الآيات فى سورها . .

نقول هـــذا لنقرر أن هـــذا المقطع الذى أشرنا اليه آنفا ، هـــو ثلاث مقولات لموسى ، جاءت واحدة بعد أخرى على هذا الترتيب . . مافى سورة طه اولا ، ثم مافى سورة النمل ثانيا ، ثم مافى سورة القصص اخيرا . .

وننظر فى وجـــه هـــذه المقولات ، فنرى أن موسى — عليه السلام — حين رأى النـــار ، جعل يردد هذا القول مخاطبا به اهله :

« امكثوا . . انى آنست نارا . . امكثوا انى آنست نارا . . امكثوا . . انى آنست نارا » . . ثم انطلق مسرعا نحو موقد النار ، وهو يلقى الى اهله بما يفتح لهم به باب الامل والرجاء ، فيما سيحمل اليهم من خير من انطلاقـــه نحو تلك النـــار ، وعودته اليهم منها . . وهنا تتزاحم الكلمات على لسانه ، وقـــد أطلقها من مشاعره المهتاجة المائجة بكثير من الخواطر والتصورات :

« لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى » . . ســـآتيكم منها بخبر ، أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون » . .

« لعلى آتيكم منها بخبر ، أو جذوة من النار لعلكم تصطلون » ..

فالمطلوب هنـــا من وراء هـــذه الانطلاقة نحو مصدر النار ، هو أمران : الاتيــان بجذوة من النار ، ليوقدوا منها نارا يستدفئون بها ، أو يهيئون بهـــا طعاما ، ثم الحصول على بعض الاخبار عند من أوقدوا تلك النار ، يعلم منهـــا موسى وأهله أين هم من الطريق الى مصر ؟ وكم مرحله بينهم وبينها ؟ واين مواقع الماء على هذا الطريق ؟ وأين ، وأين .. الى كثير من الامور التى يطالب العلم بها من يقطع طريقا كهذا الطريق منفردا مع أهله ! ..

ويبـــدأ موسى هذا المقطع من قوله مصدرا بحرف الرجاء « لعل » .. « لعلى آتيكم » .. ثم يضرب على هذا الرجاء الذى يطفىء جذوة الامل التى اشتعلت فى صدره ، فيلقى بالخبر على سبيل القطع : (سآتيكم) .. ثم يبدو له أن هذا القطع ليس له ما يبرره ، لانه لا يدرى من هناك على تلك النار .. ألا يجوز أن يكونوا قطاع طرق، ويكون سعيه هذا اليهم منبها لهم على وجوده، فيقع هو وأهله وما معه صــــيدا فى شباكهم ؟ وهنا يكون أكبر أمله أن يعود الى أهله بخبر ما : « لعلى آتيكم منها بخبر » ..

وهكذا نجد موسى فى هذا الموقف ، بين أمل ويأس ، ورجاء وخوف ، تتنازعه الخواطر ، وتتغاير بين عينيه صور هذا المجهول الذى يلقى بنفسه بين يديه .. ثم نراه مرة يقدم أحد المطلوبين على الآخر ، ثم يعود فيؤخر ما قدم ، ويقدم ما أخر .. ففى حديثه الاول يقدم القبس على ما يجد على النار من هـــدى لان النار كانت أظهر مطلوب له ، لانها الدليل الى من يجد عندهم هدى يعينه على الرحلة .. ثم اذا تمثل له المشهد كله ، وانه سيلتقى عند النـــار ببعض النـــاس داخله الشـــك والخوف من جهتهم ، لانه لا يدرى ما يـــكون من موقفهم منه حين يلقاهم ، وهو لهذا يجعل همه أولا متجها اليهم ، فيقـــول : « سآتيكم منها بخبر » .. ثم يرد هذا القطع بما سيأتى به ، ويجعله مجـــرد امل ورجـــاء : « لعلى آتيكم منها بخبر » وهذا الموقف الشاك المتردد ، الذى يقفـــه موسى ممن هم على النار ، هو نفسه الموقف الذى يقفه من النار ذاتها، وما يحصل عليه منها ؟ انه فى حال بين الرجاء واليأس ، واليقين والشك .. فهو على حين يرجو أن يأتى أهله منها بقبس ـــ وهو القليل منها ـــ « لعلى آتيكم منها بقبس » ـــ يطلع عليه خاطر يقوى هذا الرجاء عنده ، فاذا هـــذا القبس قد بدا له شهابا ، ساطعا ، يبدد ظلمة هذا الليل البهيم : « ســـآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون » ثم لا يلبث أن يرد عنه هذا الخاطر المسعد ، بما يطلع عليه من مخاوف يولدها هذا المجهول الذى هـــو مقدم عليه : « لعلى آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون » .. لقد تضاءل هذا الشهاب القبس ، فاصبح جذوة ، أى قطعة من الجمر ..

— ٦ —

فقل لى بربك ، الا تجد انك بين يدى هذا التكرار فى مواجهة معجزات قاهرة تطلع عليه من كل حرف ، وكل كلمة من هذا العقد النظيم ، من جوهر الحق المبين ، كلام الله رب العالمين ؟

وقل لى بربك ، أفى كـــلام البشر ـــ فى أعلى مستوياته من البلاغة والفصاحة ـــ ما يستطيع ان يرصد أحوال النفس ، ومسارب الخاطر ، على نحو مقارب من هذا النظم القرآنى ؟

وقل لى بربك لو انه كان مما يقع فى مقدور البشر من رصد أحـــوال النفس ، ومسارب الخاطر على هذا النحو ـــ أكان مما يقع فى تقدير أحد من

أرباب من القول أن يعمد الى تلك المشاعر ، وهذه الخواطر فيوزعها هـذا التوزيع فى ثلاثة مواقف متباعدة — زمانا ومكانا — فيلقاك منها فى كل مرة الوجود الكامل للانسان ، وما تلبس به من حال ، وان طلع عليك فى كل مرة بتعبير جديد يظهر على ملامح وجهه من انفعالات تلك الحال الملابسة به .. ؟ ان غاية ما يبلغه تدبير البلغــاء فى تلك الحال أن يجتزىء بملمح واحد من تلك الملامح ، حتى يتجنب التكرار الذى يجور على البلاغة ، او يجمع هــذه الملامح والانفعالات فى صور مكررة من النظم ، فتتراكب الوان الصورة ، وتتدافع ، ويلطم بعضها وجه بعض !!

هذا ، ولك أن ترتب هذه السور القرآنية الثلاث على جميع الوجوه ، فتقدم ، وتؤخر فيها كما تشاء ، غير ملتزم الاخذ بما ذهبنا اليه من قبل من أن هذا الترتيب توقيفى ، وانك لواجد فى اى ترتيب تقيم السور الثلاث عليه ، هذا الاعجاز المبين من آيات الله وكلماته !

وهكذا نجد التكرار الذى يحدث فى بعض مشاهد القصة القرآنية ،يؤدى وظيفة حيوية فى ابراز جوانب لا يمكن ابرازها بأدائها على وجه واحــد من وجوه التعبير ، بل لا بد أن تعاد ((اللقطة)) التعبيره ، مرة ، ومرة ، لكى تحمل فى كل مرة بعضا منمشخصاتالحدث ، وملمحا من ملامحه ، وان كان كل ((لقطة)) تعطى صورة مقاربة للحدث ..

ولنــا أن نشبه هذا التكرار — على بعد ما بين المشبــه والمشبه به — بالتصوير ((الفتوغرافى)) والتصوير ((السينمائى)) أو ((التليفزيونى)) .. ففى التصوير ((الفتوغرافى)) نرى الصورة الواحدة يمكن أن تصور الحدث كله ، وتتناوله من جميع أبعاده ، سواء فى صورة مصغرة ، دون مساحـــة الكف ، او مكبرة اكبر من مساحة الحدث نفسه ..

ومع هــذا ، فان الصورة ((الفتوغرافية)) وان أعطت جميع مــلامح المشهد ، الا انها تحتاج الى مهارة ، وحذق ، ومعاناة ، للكشف عن مضمونها أو بعض مضمونها .. أما الصورة (السينمائية) — فلأنها تتشكل من مئات ((اللقطات)) لاية جزئية من جزئيات الحدث — فهى من أجل هذا قادرة على تشخيص الحدث ، ونقله كما هو صامتا ، أو ناطقا ، ساكنا أو متحركا ..

ان تكرار الاحداث فى القصص القرآنى ، هو اعجاز من اعجاز القرآن، تتجلى فيه روعـــة الكلمة ، وجلالهـــا ، بحيث لا يرى لها وجه فى أية لغـــة ، وفى أية صورة من صور البيـــان ، يقارب هذا الوجه الذى تظهر به ، فى آيات الله ، جلالا ، وروعة ، وسطوة .. !

وهل شهدت الحياة الانسانية فى قديمها وحديثها أن الكلمة تؤدى مايؤديه العمل ((السينمائى)) اليوم من نقل المشاهد بأبعادها الثلاثة — طولهـــا ، وعرضها ، وعمقها ، وبحركاتها ، وسكناتها ، ونطقها وصمتها ؟

واذا كان للناظر فى القصص القرآنى ، وفى ظاهرة التكرار الظاهرة فيه — اذا كان له أن يتخذ من كل من التصوير ((الفتوغرافى)) والتصـــــــوير ((السينمائى)) شاهدا محسوسا يعينه على تصور مفهوم صحيح لهذا التكرار فى القصص القرآنى — فان له ان ينظر فى هذا التكرار بنظرتين معـــــا : نظرة فى مواجهة العمل ((الفتوغرافى)) ، ونظرة فى مقابلة العمـــــل الســـينمائى ..

فهو فى مواجهة العمل ((الفتوغرافى)) يرى الحدث الواحد وقد جــاء

فى عده معارض ، تختلف فى شكلها ، وفى حيزها ، ولا تختلف فى محتواها ومضمونها .. كمن يلتقط عدة صور لانسان ما بعضها صغير ، وبعضها كبير ، وبعضها يصور الوجه وحده ، وبعضها يصور النصف العلوى ، وبعضها يصور هذا الانسان كله ، ثم بعضها يقتصر على اللونين الابيض والاسود ، وبعضها بالالوان الطبيعية .. وهكذا .. وكل صورة من هذه الصور — مع اختلافها شكلا — تحمل كل ملامح هذا الانسان ، وكل مشخصاته ، بحيث اذا نظر ناظر فى اية صورة منها ، قال عنها انها لفلان هذا الذى أعرفه !!

فاذا نظرنا فيما تكرر من أحداث القصص القرآنى رأينا فى تكرار الصورة « الفتوغرافية » واختلاف اشكالها وألوانها لهذا الشخص الذى ضربناه مثلا — رأينا فى هذا التكرار للصورة « الفتوغرافية » أكثر من وجه شبه بينه وبين التكرار فى القصص القرآنى ..

ولنضرب لهذا مثلا بقصة موسى عليه السلام ، التى كانت أكثر قصص القرآن تكرارا ..

وننظر فى أقصر صورة جاء بها القرآن لقصة موسى من مبعثه الى نهاية فرعون على يده .. وفى هذا يقول الله تعالى :

« هل أتاك حديث موسى ، اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى ، اذهب الى فرعون انه طغى ، فقل هل لك الى أن تزكى ، وأهديك الى ربك فتخشى ، فأراه الآية الكبرى ، فكذب وعصى ، ثم أدبر يسعى ، فحشر فنادى ، فقال أنا ربكم الاعلى ، فأخذه الله نكال الآخرة والاولى ، ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى» (النازعات : ١٥ — ٢٦) ..

ان كل ملامح هذه القصة ، وكل مشخصاتها ظاهرة فى هذا الاطار المحدود من النظم القرآنى ، بحيث يقع لمن يقرأ هذه الآيات أو يسمعها ، علم كامل بأحداث القصة كلها ، وان غاب عنه بعض تفاصيلها التى لا تجور على المضمون ، ولا تنتقص شيئا من المحتوى ..

ثم انظر بعد هذا فيما جاء من تفصيل لهذا الاجمال فى سورة طه ، وفى الشعراء وفى الأعراف ، وفى القصص ، وفى يونس ، تجد أن أضواء كثيرة ألقيت على جوانب هذه الصورة المصغرة ، زادتها وضوحا ، وبيانا ، ولكنها لم تغير من وجهها شيئا .. مع أنها قد جاءت فى سورة طه فى خمس وستين آية (الآيات من ١١ الى ٧٦) وفى الاعراف فى اربع وثلاثين آية (الآيات : ١٠٢ — ١٣٦) وفى الشعراء فى ثمان وخمسين آية (الآيات : ١٠ — ٦٨) وفى القصص فى اثنتى عشرة آية (الآيات : ٣٠ — ٤٢) وفى يونس فى سبع عشرة آية (الآيات : ٧٥ — ٩٢) .. وهكذا تتعدد الصور طولا وقصرا ، دون أن تفقد واحدة منها شيئا من مضمون القصة ومحتواها .. وان كان فى كل صورة منها من الجزئيات ما ليس فى الاخرى ..

أما الذى ينظر الى هذا التكرار فى مواجهة العمل السينمائى ، فانه اذ يجمع هذه الصور بعضها الى بعض ، يرى الصورة وقد تجسدت ، وتحركت ، كما تتجسد شخوص الاشياء وتتحرك فى الصورة السينمائية ، فيشهد الحدث من جميع جوانبه ، وبكل أبعاده ..

ذلك هو قصص القرآن ، وتلك هى بعض أسرار تكراره ، وان وراء ذلك لاسرارا وأسرارا لا تنفد أبدا .. « قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا » ..

رحلة طهر وعبادة إلى..

المسلمون فى كل بقاع الأرض على موعد مع الحج الى البيت الحرام الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا ، على موعد مع الطواف بأول بيت وضع للناس مباركا وهدى للعالمين ، على موعد مع السعى بين الصفا والمروة وهما من شعائر الله ، على موعد مع مناجاة ربهم وهم واقفون بجبل عرفات يدعونه ويستغفروه ، وهو سبحانه قريب مجيب ، على موعد مع شد الرحال لزيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم والصلاة فى الروضة الشريفة والاستمتاع بريح هذا المكان الطاهر على موعد مع جهاد النفس ومقاومة ما فيها من رعونات فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج ، وإن جهاد النفس لأشد أنواع الجهاد .

نعم المسلمون من مختلف الاجناس والبقاع والطبقات والثقافات على موعد للقاء فى هذه البقاع المقدسة والأماكن الطهرة يأتون اليها رجالا

مهد الوحي ومقر الرسول

للدكتور : محمد سلام مدكور

وركبانا وعلى كل ضامر ليشهدوا منافع لهم ويذكرون اسم الله وقد خلصت نواياهم وصفت نفوسهم وتطهروا من كل رجس ودنس جمعت بينهم كلمة الله ، واستجابوا لقوله جل شأنه : « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » . فتسابقوا الى الحج فى رفق ، وتوافدوا عليه فى شوق ، وقد امتلأت نفوسهم بالايمان واجسامهم بالقوة والنشاط . او هكذا يشعر الشيخ المسن ومن به نوع مرض .

نعم يتحرك فيهم النشاط او يتجدد لان رحلة الحج فيها حركة كثيرة وتنقل متتال ، وطواف وسعي وهرولة . عمل كله نشاط يجدد القوة ، ويبعث الهمة ، ويعود الانسان على الامتثال والصبر والطاعة ، والخشونة وتقوية العزيمة ، وغرس روح الجندية ، وتعويد الاعتماد على النفس ، وحط الرحال وسرعة الترحال ، وضبط النفس ، والتخلص من زخارف الدنيا ومتاعها وزينتها الى حين .

وما من شك أن رحلة الحج المباركة لأفضل واطهر واعز ما عرف الانسان من رحلات لما فيها من متع روحية ، وذكريات عزيزة تقوى الايمان وتشحذ الهمم وتصل الحاضر بالماضى البعيد اذ يطأ الواحد منهم الأرض التى وطأها المسلمون الاوائل ، ويمر بالبقاع التى مروا بها ، ويقطع المسافات التى قطعوها متخيلا مقدار

تحملهم لمشقة الطريق وقد كان غير ممهد ولا ميسر . فيدرك عن يقين أنهم فتية آمنوا بربهم فصنع الايمان فى نفوسهم المعجزات وجعل منهم طاقة فعالة وقوة لا تقهر ، بعد أن كانوا أعداء فلما اعتصموا بحبل الله وحكموا كلمته فيهم أصبحوا اخوانا متحابين قد ألف الله بين قلوبهم .

وما من شك أن الحج من العبادات التى تتطلب من الانسان استعمال قلبه وبدنه وماله والعبادات التى يتقرب بها العبد الى ربه من شأنها كلها أن تطهر القلب وتزكى النفس ، وتبعث على الامتثال لأوامر الله واجتناب نواهيه ، وتقرب الناس بعضهم من بعض ، وقد غسلت من قلوبهم الضغينة والحقد ، وجعلتهم متعاونين متحابين كالبنيان يشد بعضه بعضا وكالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر .

والحج يكون بالنية والاحرام من مواقيته ، مع التجرد من لبس المخيط ومن كل صنوف الزينة والترف ، وبالطواف حول الكعبة والسعى بين الصفا والمروة والوقوف بعرفة والمشعر الحرام بالمزدلفة ، ورمى الجمرات ، وسوق الهدى . وهذه المناسك والأنفال تلقاها المسلمون جيلا بعد جيل عن الرسول صلوات الله عليه حيث أخذت عنه مناسك الحج ، ولكل نسك منها حكمته وغايته ، وكلها تحقق معنى العبودية لله . فقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : خذوا عنى مناسككم ... »

والكثير من مناسك الحج لم تنكشف لنا حكمته ، ولم نتبين علته ، شأنه فى ذلك شأن بعض أفعال تعبدية أخرى ، مع أن فهم الحكمة قد ينشط النفس عند الأداء ويحمى المكلف من الشبه التى يوجهها الأعداء إلا أن العبادة المؤداة فى هذا الجو تشوبها شائبة المنفعة التى لولاها ما توجهت النفس اليها ، ولا تحملت ما فيها من مشقة ، وهى فى درجة الاذعان لله أقل من العبادة التى يؤديها المؤمن لمجرد أنها أمر من الله من غير تطلع الى ما وراءها من نفع ، ولا تعرف على ما اقتضاها من دوافع وانما يؤديها استجابة لأمر ربه وتفانيا فى الخضوع والطاعة .

ومن هنا احتفظ الله جل شأنه بسر بعض التكاليف فلم يبينه ولم يشر اليه بأى اشارة تظهره أو تدل عليه ليمحص مدى الايمان والتصديق فى النفوس . وفى هذا يقول الامام الغزالى فى كتابه « إحياء علوم الدين » : واجبات الشرع ثلاثة أقسام : قسم هو تعبدى محض لا مدخل للحظوظ والأغراض فيه ، فمقصود الشرع فيه الابتلاء بالعمل ليظهر العبد رقه وعبوديته بفعل ما لا يعقل له معنى ... » ويقول فى موضع آخر من نفس الكتاب : ان ما لا يهتدى الى معانيه أبلغ أنواع التعبدات فى تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطباع والأخلاق الى مقتضى الاسترقاق ...

واذا كان الاسلام قد محا كل آثار الوثنية التى كانت تضمها هذه الأماكن ونهى معتنقيه من عبادتها ، ونهاهم عن التمسح بالأحجار وتقديسها فانه عاد سبحانه بعد خضوعهم لأمره فطوفهم حول أحجار الكعبة بأمر منه وسعى بهم سبحانه بين الصفا والمروة على أن الطواف والسعى من شعائر الله من غير أن يرون لها بذاتها

قداسة وتقديرا إلا بتوجيه الدين انظر قول عمر بن الخطاب لما طاف بالبيت واستلم الحجر : انى اعلم انك حجر لا تضرولا تنفع . ولولا انى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك » وهو ما يشير اليه قول النبى صلى الله عليه وسلم : « لبيك حقا حقا تعبدا ورقا . »

فهذه العبارة فى هذه المناسبة تدل على ما فهمه عمر من قول الرسول عليه السلام فى العبارة المذكورة .

وتحسن المبادرة بالحج عند الاستطاعة ، واذا كان الفقهاء يتفقون على أن التعجيل بالحج أفضل عند القدرة عليه وتحقق الاستطاعة ، فان منهم من يرى أن التعجيل به عندئذ واجب يأثم المرء بتأخيره حتى قال بعضهم : انه يفسق وترد شهادته اذ فى تأخيره بعد التمكن تعريض لفوات آداء الحج الذى لا يجب على المستطيع الا مرة واحدة فى العمر . وممن ذهب الى وجوب التعجيل والمبادرة الامام ابو حنيفة وصاحبه ابو يوسف ، وهو مذهب الحنابلة والظاهرية والشيعة الجعفرية ، وقول عن الامام مالك . لكن الذى استظهره متأخرو المالكية انه واجب على التراخى ، وهو ما اتجه اليه محمد ابن الحسن الشيبانى الفقيه الحنفى ، وهو مذهب الشافعى . لأنه مفروض فى العمر مرة واحدة ، فكان العمر فيه كالوقت فى الصلاة .

وقد عنى الاسلام بفريضة الحج عناية بالغة فأوردها فى آيات عديدة من الكتاب الكريم ينوه فيها بشأن البيت الحرام ، ويبين لنا فيها أن له اشهرا معلومات ، وأن له كرامة وحرمة ، وأن التزود له مطلوب وينبغى أن يكون أساس الزاد له التقوى ، وقد أنزل الله فى شأنه ، — برغم تأخر تشريعه إذ شرع فى السنة التاسعة للهجرة — سورة سميت بسورة الحج تضمنت كثيرا من احكامه جاء فيها « إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم . وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت الا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود . واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير . ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق . . » الآيات .

والواقع أن المنافع التى أشارت اليها الآية الكريمة « ليشهدوا منافع لهم » ليست هى التجارة وحدها كما توهم بعض الناس ، ولكنها كل ما يهم المجتمعات الاسلامية التى جعلت من الحج مؤتمر اجتماع وتعارف وتعاون والتى جعلت منه فريضة تتميز بأن تلتقى فيها الدنيا والآخرة ، كما تلتقى فيها ذكريات العقيدة النابعة من المنبع الكريم ، وانما كانت الناحية الاقتصادية جزءا بارزا من أعمال ذلك المؤتمر الاسلامى الكبير .

ولو احسنت الشعوب الاسلامية وحكوماتها لأقامت لها معارض صناعية وتجارية وزراعية وثقافية فى موسم الحج . كل دولة تعرض ما عندها وتقدم خدماتها فتفيد وتستفيد ويعم النفع برواج السلع ، ونشر سبل الحضارة النافعة فى هذا الجو الروحى ، فينتفع كل بما عند الآخرين من مواهب وخبرات ومعرفة .

ولو قدر المسلمون هذا المعنى في الحج واوفدت كل دولة مندوبين رسميين عنها للعمل على تحقيق تلك الاغراض في اجتماعات معدة منظمة فتعرض كل دولة ما فيها من شئون تسترعى النظر لتمخض ذلك المؤتمر الاسلامي الكبير عن تصفية الشئون على اختلاف الوانها وتزول العقبات بفضل التعاون والتآزر والتآخي في الدين .

* * *

وقد اشرنا قبل الى أن الحج واجب ومفروض مرة في العمر على المستطيع البالغ العاقل ، وتتحقق الاستطاعة بتملك الزاد والراحلة والقدرة على الوصول مع أمن الطريق بقول الله تعالى « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » وعن على رضى الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال « من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت ان شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا » وملك الزاد والراحلة الذى تتحقق بهما أو بالقدرة على نفقاتهما يشترط أن تكون فائضة عن حاجته الاصلية وحاجة من تلزمه نفقتهم من زوجة وأولاد واقارب واتباع حتى يعود اليهم من الحج ، غير أنه بالنسبة للمرأة يشترط أن لا تكون معتدة من وفاة أو طلاق كما يشترط فوق ذلك أن يصحبها زوجها أو قريب محرم كأبيها أو ابنها واخيها ممن تحرم عليهم ، ويكتفى بعض الفقهاء بأن تكون برفقة نسوة ثقات أو جماعة يؤمن عليها معهم من الفتنة .

على انه يستحب للزوجة استئذان زوجها عند خروجها للحج من غير رفقته ، على أنه اذا لم يأذن لها جاز لها اداء الفريضة مع محرم أو مع النسوة الثقات على ما قلنا ، ومع ذلك فان من الفقهاء من يسقط حقها قبل الزوج في النفقة فترة الحج لفوات الاحتباس بسبب من جهتها وممن اشترطوا المحرم وراوا أن الاستطاعة بالنسبة للمراة لا تتحقق الا بوجوده ، فقهاء الرأى ومنهم ابو حنيفة . وكذلك الامام أحمد بن حنبل روى يحيى بن عباد قال : كتبت أمرأة من أهل الرى الى ابراهيم النخعى وقالت : إنى لم أحج حجة الاسلام وأنا موسرة ليس لى محرم . فكتب اليها ، إنك ممن لم يجعل الله له سبيلا .

ويروى الحافظ أن المشهور عند الشافعية اشتراط الزوج أو المحرم أو النسوة الثقات ، بل وفى رفقة الحجيج عند أمن الطريق . ونستبدل هؤلاء بما رواه البخارى عن عدى بن حاتم قال : بينا أنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أتاه رجل فشكا اليه الفاقة ، ثم أتاه آخر فشكا اليه قطع السبيل ، فقال : يا عدى هل رأيت الحيرة — قرية بالكوفة — قال : قلت : لم أرها وقد انبئت عنها . قال : فان طالت بك حياة لترين الظعينة — الهودج فيه امرأة — ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله » كما استدلوا بأن نساء النبى صلى الله عليه وسلم حججن بعد ان اذن لهن عمر فى آخر حجة حجها وبعث معهن عثمان بن عفان وعبد الرحمن ابن عوف .

وقبل أن نترك موضوع الاستطاعة على الحج نرى انه من الواجب علينا أن نشير الى خطأ ما يحدثه بعض

الناس ممن ليست لهم قدرة على نفقات الحج . ويلزمون أنفسهم بذلك عن طريق بيع حاجياتهم الضرورية لمعيشتهم أو عن طريق الاستدانة . روى البيهقي عن عبد الله بن أبي أوفى قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل لم يحج . أو يستقرض للحج ؟ . قال : لا . »

وواضح أن مثل هذا لا تتحقق بالنسبة له الاستطاعة فلا يلزمه الحج ، ومن يفعل ذلك يكون آثما بهذا التصرف وإن كانت الفريضة تسقط عنه ويصح حجه . هذا ومن حج لنفسه بمال تبرع له به غيره فانه يقبل حجه وتسقط عنه الفريضة ويثاب الآخر بقدر ما قد تم له من مال لأداء الفريضة .

واذا مات المستطيع قبل أن يؤدى فريضة الحج وجب على وليه أن يجهز من يحج عنه من ماله روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنه أن امرأة من جهينة جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : إن أمى نذرت أن تحج ولم تحج حتى ماتت أفأحج عنها ؟ قال نعم حجي عنها أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته ؟ اقضوا الله . فالله أحق بالوفاء » والحديث صريح فى وجوب الحج عن الميت من ماله كما هو مذهب الشافعى سواء أوصى بذلك أو لم يوص ، بينما يرى المالكية ذلك اذا ما أوصى الميت أما اذا لم يوص فلا يحج عنه لأن الحج عبادة بدنية مالية والجانب البدنى هو الغالب فلا يقبل النيابة لذلك . وقد علق الشوكانى — على الحديث المذكور — فى كتابه نيل الأوطار وقال : إن فيه دليلا على أن من مات وعليه حج وجب على وليه أن يجهز من يحج عنه من رأس ماله كما أن عليه قضاء ديونه » ويقول الصنعانى فى كتابه سبل السلام : إن الحديث دل على وجوب التحجيج عن الميت سواء أوصى أو لم يوص ، وينقل ابن قدامة الحنبلى أنه يستحب أن يحج الانسان عن أبويه إذا كانا ميتين أو عاجزين ، وقال ابن حزم الظاهرى : إن ذلك واجب .

وهذا الكلام يستتبع القول فى حكم المستطيع الذى يرغب فى أن ينيب عنه غيره لأداء الحج عنه . هل يقبل منه ذلك وهل تبرأ ذمته بهذه الانابة ؟

الانابة فى الحج يختلف الفقهاء فى حكمها تبعا لتغليب بعضهم الناحية البدنية كما قلنا ، وتغليب الآخرين الناحية المالية فيه ، والذين يرون أن العبادة البدنية هى الغالبة فى الحج والمقصودة أصلا يمنعون الانابة ولا يسقطون الفريضة بها ، وهم المالكية يستوى فى ذلك عندهم ما إذا كان الشخص صحيحا أو مريضا يرجى برؤه . أما المريض الذى لا يرجى شفاؤه بمال ، والعاجز عن الحج بنفسه فى أى عام من حياته فقد سقط عنه الحج لأن التكليف بهذه الفريضة للمستطيع . وقالوا أيضا : إن من قصر فى أداء الفريضة وأوصى قبل موته بالحج عنه ، أو فعل ذلك ورثته بدون إيصاء فان ذلك لا يسقط عنه حجة الاسلام التى لم يؤدها فى حياته مع استطاعته فلا تبرأ ذمته بفعل الغير .

أما الحنفية والشافعية والحنابلة : فانهم يرون أن الحج من العبادات التى تقبل النيابة لأنها ليست عبادة بدنية محضة ، وإنما هى عبادة مركبة من أفعال البدن وإنفاق المال ،

والاستطاعة كما تتحقق بأداء الشخص نفسه ، فانها تتحقق بانابة الغير عنه وعلى هذا فان من عجز عن الحج بنفسه وجب عليه أن يستنيب غيره ليحج عنه . واشترط الحنفية لصحة ذلك أن يكون عجزه مستمرا عادة الى الموت . كالمريض الذى لا يرجى برؤه ولا يتمكن معه من أداء شعيرة الحج فان هذا تسقط عنه الفريضة بانابة غيره ليؤديها عنه حتى لو زال عذره بعد ذلك وتمكن من الأداء بنفسه . أما المريض الذى يرجى برؤه والمحبوس ومن فى حكمهما فان النيابة عنهما تصح ويتأدى بها الفرض إذا لم يتمكن بنفسه بحيث اذا ما برىء من مرضه أو خرج من حبسه وكان يستطيع الحج بنفسه فان الفريضة لا تسقط عنه بما حدث من أداء الغير عنه . كما اشترطوا أن تكون أكثر نفقات الحج من مال المحجوج عنه إلا بالنسبة لمن مات ولم يوص بالحج فتبرع أحد الورثة أو غيرهم بالحج عنه فانها تجزىء ، كما اشترطه التكفل بالانفاق على من أنابه نفقة المثل . فاذا اشترط له أجرا كأن يقول له استأجرتك للحج عنى أو عن فلان بكذا فانه حجه لا يجوز ولا يجزىء أحدا .

ويشترط الفقهاء الذين يجيزون الانابة أن ينوى الغائب الحج عن من أنابه فيقول : أحرمت عن فلان ولبيت عن فلان ، وتكفى نية القلب ، ويشترط الشافعية والحنابلة دون الحنفية أن يكون النائب قد أدى فريضة الحج عن نفسه لما رواه ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله سمع رجلا يقول : لبيك عن شبرمة ، فقال له : أحججت عن نفسك ؟ قال : لا ، قال : حج عن نفسك ثم حج عن شبرمه .

والذى نختاره للفتوى — إن حق لنا ذلك — هو جواز الانابة ما دام الشخص غير مستطيع بنفسه وفى وسعه أن ينيب عنه لأن الشارع أوجب الحج على من استطاع اليه سبيلا . وغير القادر بنفسه إن وجد من ينيبه عنه بالمال الكافى لانابته كان ذلك من سبيل الاستطاعة . فغير المستطيع بنفسه يكون الذى دفعه للانابة خشية الله وامتثال أمره . وأما المستطيع بنفسه فلا يسقط الفرض عنه بالانابة وأما من مات دون أداء الفريضة مع القدرة والاستطاعة وكان قد أوصى بأن يحج عنه غيره من ماله أو أناب الورثة واحدا عنه أو تبرع الغير بذلك فان قبول ذلك وعدمه علمه عند الله .

هذا بالنسبة للحج والانابة فيه ، وليس اللائق لمن يحج أن يهمل السعى لزيارة قبر الرسول صلوات الله وسلامه عليه الذى حمل الرسالة فصان الأمانة إما قبل أداء نسك الحج أو بعد ذلك حسب ما يتيسر له ، فقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : من حج فزار قبرى بعد موتى كان كمن زارنى فى حياتى .. ومن من المسلمين لا يسعى جاهدا لزيارة الرسول ، والصلاة فى مسجده الطاهر والتفكر فيه للتأسى به فى كل أمر وهو الذى أدبه ربه وتخلق بخلق القرآن .

نسأل الله أن يهىء نفوسنا للاستفادة بأحكام الدين ، وأن نقصد فى عباداتنا وجه الله وحده دون تظاهر أو تفاخر ، وأن يهىء لنا من أمرنا رشدا ، وأن يجمع كلمة المسلمين على ما فيه خيرهم يا رب العالمين .

ليلة العمر في عرفات

١



الأستاذ أحمد العناني

(١)

خير من ألف درس ومناظرة في الخير والسعادة .

وخير من حصاد كل العقول التي سهرت تفكر في الإصلاح والسلام ونجاة الانسانية من مهاوى الشرور .

وخير من نتاج الفلسفة ، وتهويمات السفسطة ، ومجاهيد الأدباء والفنانين .

خير منها وأجدى ، وأشرف منها وأبقى ، ليلة من العمر واحدة على متن عرفات ، ليلة الحج الأكبر . .

(٢)

النجود والسباسب القفراء ، حيث لا نأمة ولا حركة ولا حياة بين عشية وضحاها تصبح مسرحا موارا بالأحياء والأصوات جماهير من كل حدب وصوب ، وجوه من كل درب وفج ، أناسي من كل سنخ وجنس ، كلها على اختلاف ألوانها وتعدد مواطنها ، وتباين ألسنتها ، وتنوع أعمارها ، من شيب وشباب وأطفال ، من رجال ونساء ، كلها في ثياب

بيض ، وبقلوب عامرة ، وشفاه ذاكرة . وعيون الى ربها ناظرة . تمجد رب السموات والأرض . وتتحرق شوقا الى رضاه وغفرانه . وتفرّ فرارا من ذنوبها وخطاياها .

(٣)

صورة هناك مشرقة للانسانية عزّ مثالها في أي مكان في الأرض . .

صورة صنعتها السماء والأرض تهمي بالرحمة . وتفيض بالطهر والتضحية والصفاء . كما تهطل الثلوج البيض على صفحات التخوم الطاهرة في البراري الحسان .

وهناك يصبح للوجود الانساني معنى يبعث الأمل . بمجد السمو ، يرتفع عن حضيض الأهواء . يناجي رب السماء ، وينتظم الوجود من سائر الأحياء والأشياء في تسبيحة واحدة بمشاعر واحدة . بزى واحد . في مكان واحد . لرب واحد لا إله الا هو . لا مانع لما يعطيه . ولا معطي لما يمنعه . ولا راد لقضائه ولا مبدل لحكمه . ولا يغني كل شيء غناءه . لأن كل شيء من عطائه .

(٤)

كأنما لم يكن إلا أمس وقفة الرسول الأعظم في حجة الوداع .

كأنما لم يكن غير أمس صوت العباس الجهير ينادي بكلمات الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم . .

كأنما كشفت بأمر الله حجب الغيب لعيني الرجل الذي لولا فضل الله علينا به ما عمرنا شاما ولا عراقا . ولا انتشرنا في الغرب أعزة بالايمان وفي الشرق منتصرين بالفرقان .

كأنما كشف الغيب له أستاره فأراه لبّ البلاء الاكبر الذي يصيب هذه الأمة حين ترتكس في شقاوة العصبية . وتتخذ لها من غير الله قضية . وتتفرق شيعا ويضرب بعضها رقاب بعض . .

(٥)

الله اكبر هذا عرفات

هذا موطن انطلاقة الدين بعد ان اكمله الله

من هذا بدا اندفاق الينبوع الكريم الذي حسنت به الدنيا زمانا طويلا ، قبل أن تفسدها الأهواء . وترديها لماعات عيش فان . وتعصب ذميم لغير الله . .

نداء ينطلق من الاردية البيض بأفصح لسان وأجلى بيان .

هل غير الثياب البيض تصنع منها الاكفان يوم تطوى صفحات الاعمار تمهيدا ليوم العرض على الواحد القهار !

هل غير السرائر الطاهرات البيض . والحسان الباقيات الصالحات من الأعمال يبقى من كيان الإنسان !

هل للمساواة جوهر أو مظهر يداني ما تراه العين ويقرّ به الفؤاد على عرفات !

هل للأخوة والحق والسلام . أم هل للتعاطف والتراحم موسم كهذا الموسم الذي تناسق فيه الوجود وتناغمت أصداؤه في تسبيحة عذبة صاعدة الى ملكوت الله !

(٦)

لبيك ربي لبيك
وجودنا كله عطيتك
ملك السموات والأرض لـك

والحمد واجب لك وحدك

ولا مفر لنا منك إلا اليك

نحن كلنا عبادك ، لا كبرياء إلا لك

واها لنا كم اصبحنا أكبر مما عهدنا في أنفسنا ، حين عشناها أياما طاهرات ، بلا رفث ولا فسوق ولا جدال في هذا الحج .

عرّفنا الحج بحقائقنا فتصاغر فينا الغرور ، وخزي فينا صوت الشر ، وخفتت وساوس التكاثر والمباهاة ، وخشعنا قلوبا وعقولا وجوارح لرب السموات والأرض ..

(٧)

رباه هذا ليس حجا فحسب ولكنه يبدو وكأنما هو في الدنيا تجربة يوم الحشر ، وإنذارا لمن كان غافلا من قبل أن يوارى في غياهب القبر .

هذا مجمع للفضائل ، وإحياء لموات أشرف جوانب الانسان ، ومرحلة فصل بين الغرور والحقيقة ، ومطلع فجر الهداية في ظلمات كل انسان ظلم نفسه ..

(٨)

الله للمسلمين حين يكتمل صحوهم ، ويستعيدون في أنفسهم عميق احترامهم دينهم ، واعتزازهم بالحق الذي اختصهم به ربهم .

الله لهم حين في أجواء الحج يعرفون كيف يلمون شعثهم ، وينسقون جهودهم ، ويتعاونون حق التعاون فيما بينهم .

إن كل أعمال المسلمين في نطاق علاقاتهم العامة يمكن أن ترسخ قواعدها السليمة في الحج ..

وما أكثر حاجة المسلمين بعامة الى مشكلات تحل ، ومؤسسات تنشأ ، ومواثيق تعقد ، وأرحام توصل ، والى طرز فذة مستحدثة من الجامعات والمصارف والنظم الحياتية الأخرى .

(٩)

الا يا بلادا شرفها الله بالأمن والرزق المتاح وأنوار الرسالة .

ويا بلادا شرفتني ربوعها بأجمل وأروع أيام العمر وأغلاها .

ويا مناط الحنين في قلوب الملايين على مدى الشهور والسنين .

ويا أيها المسجد الحرام ، يا غنوة التنسدية ، وموطن المعجزات .

ويا أيها الغار على قمة حراء .

ويا ذلك المسجد ، مسجد بلال ناحية أجياد

ويا بلادا فيها كل ذكريات ايماننا وعزنا

يا ربوع الحج ، وأرض الهدى والنور

عليك سلام الله مع كل موكب حجيج

ولك الفخار الاسنى الى يوم الدين

مائدة القارئ

بسم الله الرحمن الرحيم
لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟
رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤

ثـأر الأب

قيل عن الشاعر المعروف امرىء القيس انه حين قتل ابوه ذهب ليسأل الأصنام : ايثأر لابيه أم لا ، جريا على العادة التي كانت متبعة يومئذ عند العرب ، وهي ان يحضر ثلاثة اسهم : يكتب على الاول كلمة نعم ، وعلى الثاني كلمة لا ، ويترك الثالث غفلا من الكتابة ، ثم يسحب احدها . فكان في كل مرة يخرج له السهم الثاني المعلم بكلمة لا ، ثلاث مرات متتالية ، فثارت ثائرته ،ورمى الصنم بالسهم وهو يصرخ فيه : لو ان القتيل كان اباك لما نهيتني عن الاخذ بثأره !

حي على الصلاة

حي على الفلاح

قال الشافعي :

وقول المؤذن : حي على الصلاه . حي على الفلاح .. دعاء منه الى الصلاة ، ثم دعاء منه يعلمه فيه أن دعاءه الى الصلاة دعاء الى الفلاح ، وينبغي لمن دعا الى الفلاح بالصلاة ، وعلم أنه لا يأتي الفلاح بطاعة الله في الصلاة ولا غيرها إلا بعون الله أن يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، لأنه لا حول له يصل الى طاعة الله إلا بالله عز وجل .

فتوى الشافعي

قال حرملة بن يحيي يقول :

سمعت الشافعي يقول في رجل قال لامرأته ، وفي فيهـا ثمرة : إن أكلتها فأنت طالق ، وإن طرحتها فأنت طالق — قال : تأكل نصفها وتطرح نصفها .

القـــدر

ما شـئت كان وإن لم أشـأ
وما شئت إن لم تشأ لم يكـن
خلقت العبـاد عـلى ما علمت
ففي العـلم يمضي الفتى والمسن
على ذا مننت ، وهـذا خذلت
وهـذا أعنـت وذا لم يعـن
فمنهم شـقي ، ومنهم سـعيد
ومنهم قبيـح ومنهم حسـن

دجـاج الناس

أرسل رجل قفصا من الدجاج الى صديقه ، فلما تسـلمه أرسل اليـه رسالة يقول فيها :

« جاءني الدجاج ، ولكن القفص لم يكن من نـوع جيد ، فقد تحطم وانطلق الدجاج منه ، فلم أستطع أن أجمع إلا إحدى عشرة دجاجة ! » .

فجاءه الرد من صديقه يقول :

إنك سعيد الحظ ، لأني لم أرسل لك إلا ست دجاجات !

رؤيـة اللـه

قال إبن هـرم القـرشي سمعت الشافعي يقول في قول الله عز وجل: « كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » قال : هذا دليل على أن أولياءه يرونه يوم القيامة .

شـــهادة

قال الشافعي : الناس عيال على هؤلاء : من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على (محمد بن اسحاق بن يسار » ومن أراد أن يتبحر في الشعر فهو عيال على « زهير بن أبي سلمى » ومن أراد أن يتبحر في تفسير القرآن فهو عيال على « مقاتل بن سفيان » .

حجة الوداع

آن للحق أن يشب عن الطوق ويحدو مسيرة الظافرينا
ويشع الهدى على مفرق الدهر نديا يفيض حزما رصينا
إن أمر السماء قد تم نصرا   لهداة السلام ، راس متينا
وغدا المسلمون فى الأرض ركنا   يتسامون عزة ، ويقينا
وأقام الرسول بعد جهاد   شق ، عهدا موثقا ، مأمونا
فأضاءت ربى الجزيرة آيات كرام شعاعها لن يبينا
تبهر النفس روعة ، ورواء   والحجى منطقا ، وتجلو العيونا
بعد أن كان ظلها من ظلام   قاتم اللون ، والهتاف انينا
وانطوت صفحة الضياع وكانت   وصمة تملأ النفوس شجونا
وهوى الشرك خاسئا يتوارى   وارتدى الكفر ثوب ذل مهينا
وإذا الليل قد تبدل فجرا   والسموات ترجم الماردينا
والورى يبصرون ، بعد عماء   كالحيارى ، محجة السالكينا
ونظام الاسلام ينشر عدلا   فى ربوع الحياة . دنيا ودينا

— — ٢ —

وأراد النبى أن تسمع الدنيا بهذا الدوى يطوى السنينا
فتنادى الرسوف ، لبيك يا رب ، حجيجا ، يبادرون الأمينا
عرفات ميعادهم وهو صرح   شامخ كفتاه ترعى المئينا
وفدت سفحه ، تردد صدقا   برجاء ، طوائف الوافدينا
وهناك ارتقى عليه السلام المنبر الفرد ، قائما مأذونا
وأحاطت جموعهم فى حماه   وهو يلقى الخطاب فصلا مبينا
أيها الناس : انكم فى حرام   آمن يستجد حينا فحينا
أيها الناس : انكم لأبيكم   آدم أجمعين ، منه بنينا
انما الظلم فى الحياة حرام   والربا ، والفساد ، هل تنتهونا

الأستاذ : احمد محمدمصطفى السفاريني

فاحملوا دعوة الهدى للبرايا — وانشروها كريمة ، ان تدينا
قاتلوا الباطل الزهوق بعزم — واستبينوا السلام : حربا ولينا
لا تكونوا اذلة تخدعون اللـه والحق ، بل اقيموا المتونا

....

وافاض الرسول بالناس ماض — عن هدى الوحى يرشد الناسكينا
وهو يبدو مع النفير رضيا — باسم الثغر ، يستبين حنينا
انها حجة الوداع رمز المعانى — وحى حق ، تذكر المتقينا
كمل اليوم دينكم مستقيما — ووفى اللـه نعمة الشاكرينا
واستوى الأمر بانفساح الأمانى — وسبيل الله المبين الشؤونا

....

هى ذكرى تمر فى كل عام — لا اراها تثير اشياء فينا
هل وعينا عن الرسول هداه — واهتدينا بشرعه ورضينا ؟
هل أقمنا الجهاد دعوة حق — نحمل الفكر ، يقرع المشركينا ؟
هل اعدنا الحقوق من سالبيها — فى فلسطين ، مقدس المسلمينا ؟

....

لتكن حجة الوداع نذيرا — تبعث العزم فى النفوس مكينا
لنردد مع الحجيج دعاء — ان نرى المسلمين حصنا حصينا

....

ذكريات في الحج

للاستاذ : احمد مظهر العظمة

جعل الله سبحانه منسك العرب البيت الحرام ، الذى رفع قواعده بمكة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، وكان ابراهيم يطهر البيت للطائفين والعاكفين والركع السجود ، واثنى الله فى كتابه العزيز على ابراهيم هذا فى دينه فقال : « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا (١) مسلما وما كان من المشركين » . « ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا ، والله ولى المؤمنين » ، فقد كان منقادا الى احكام الله مائلا عن العقائد الزائفة ، واولى الناس به ، — ما دامت هذه حاله — اتباعه مر امته ، وهذا النبى الكريم والذين آمنوا وذلك لموافقتهم معظم ما كان من شرعه وفى مقدمة ذلك التوحيد .

ودارت الأيام دوراتها ، وفشت فى جزيرة العرب الوثنية ، وعلت الأوثان بيت الله الحرام ، وكان لها سلطان على عقول العرب ، وسلوكهم وتصرفهم ، وآن على حين فترة من الرسل أوان دين التوحيد خالصا من الشرك الظاهر والباطن ، وبعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم فدعا الى الله وحده لا شريك له ، ولاقى مالاقى فى مكة وهو صابر ثابت ، حتى اذن الله تعالى بالهجرة الى المدينة ، وفيهانما الاسلام نموه واثمر الثمر اليانع .

وفى السنة السادسة من الهجرة فرض الله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، وأمرهم بأن يتموا الحج والعمرة لله ، وخرج الرسول صلى الله عليه وسلم للعمرة فصده المشركون عن البيت فى تلك السنة (٢) ، وكانت لهم بقايا آجال ، فقضى النبى فى السنة السابعة ما فاته ، وفى السنة التاسعة حج بالناس ابو بكر (رضى الله عنه) وفى السنة العاشرة حج الرسول حجة الوداع ، فى حرم آمن يجبى اليه ثمرات كل شىء ، فقر الرسول عينا بالمسلمين الوفا ، متجنبين الرجسمن الاوثان ، متجنبين قول الزور ، حنفاء لله غير مشركين به شيئا .

للحج عدا ثوابه العظيم منافع شتى ذكرها الباحثون ترد الى نوعين :

١ — منفعة اهل مهبط النور مكة وما حولها بخير يغدقه الله عليهم .

٢ — ومنفعة الوف مؤلفة من المسلمين ، اموا مكة من اقطار الارض ، اذ يتعارفون ويتآلفون ، ويتبادلون المنافع ، ويتعاونون على ما فيه صلاحهم ، ويعتادون الضرب فى الأرض ليبتغوا من فضل الله وينظروا فيما خلق . .

وللحج منفعة اخرى يدركها المؤمنون الواعون ، وهى مشاهدة بيئة الاسلام الأولى والتأمل فيها ، تلك البيئة التى ثبت فيها محمد صلى الله عليه وسلم ثم قامت على الوحى شريعة تلك المشاهدة التى تجعل صاحبها يزداد ايمانا بأن الاسلام ليس وليد بيئة . وانما هو دين إلهى ، تنزل كتابه من لدن عليم حكيم قدير — على محمد صلى الله عليه وسلم الذى ما كان ينطق عن الهوى إن هو الا وحى يوحى . فالصحراء اصبحت بالاسلام عقيدة وعبادة وخلقا ونظاما ، اصبحت خيرا من جنان الارض ، تلك المشاهدة التى تصل صاحبها بالعناية الالهية التى امد الله تعالى بها رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم حتى انتصر على الشرك والكفر والطغيان ، ودخل الناس فىدين الله افواجا .

ان الباحث الاجتماعى ليعتمد فى بحثه ثم فى دعوته على بيئة ، وعلى اسس تقوم عليها صلات ابنائها فى حياتهم الاجتماعية ، وعلى اتخاذ ما يتطلبه الاصلاح بعد الفهم الصحيح للمجتمع الذى هو موضوع البحث .

ان البيئة العربية قاسية شديدة فى جملتها ، وظواهرها الاجتماعية — التى اوجدت معظمها ارادة الجماعة — كالأسرة ، والأخلاق والتشريع والحكم — ظواهر بسيطة ، تسودها العصبية العمياء جامعة ملزمة روحيا وتشريعيا وخلقيا مهما كان شأنها .

فالأصنام يعزى اليها تصرفات ورغبات فيؤمن بها المجتمع .

والاعراف تهدف الى مقاصد فيستجاب لها وتتبع .

والتقاليد تستوجب سلطانا لها بل تطويقا لرقاب الناس ، دون أى نقد يستمع .

فالباحث فى المجتمع العربى قبل الاسلام يطل على ضوء ما تقدم ، فلا يجد اجتماعا صحيحا كاملا . سواء أكان ذلك فى الاجتماع الدينى أم الخلقى أم النظامى أم الثقافى أم العائلى أم الاقتصادى مع الاعتراف ببعض المآثر كالبيان والكرم . .

وبطول البحث اذا استرسلنا فى هذه الموضوعات ، فحسبنا أن ننتهى منها الى تأكيد ما تقدم من فائدة مشاهدة أماكن الحج بيئة الاسلام الاولى ، ونذكر ما كان فيها من أوضاع اجتماعية حل محلها الاسلام العظيم فى جميع نواحيه ، ثم الجزم دونما تردد بأن من صبر الشوك وردا إنما هو الاسلام ، وان دعوته وأحكامه يجب الاستجابة التامة لها ، فإن فيها ما يحيينا ويسعدنا روحيا وماديا .

. . . .

تداعت على الذكريات حين حججت فأجملها بما يلى :

ذكرت حينما دخلت مكة المكرمة ذلك الصراع المرير بين الحق والباطل ، لان قريشا أبت أن تفتح عيونها لترى الاسلام الدين الالهى الجديد ، واضطرت الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه أن يهاجروا . . وحينما جاءوا مكة للحج اضطرتهم أن يعودوا من الحديبية مهادنين .

وكان نضال . وكانت معارك . وآن للمسلمين أن يدخلوا مكة فاتحين فى السنة الثامنة من الهجرة . وآن للمشركين أن يعلموا ألا ملجأ من الله الا إليه ، وأن عاقبة العناد الخزى والخذلان . كما آن للمؤمنين الذين كانوا مستضعفين فى الارض حتى اضطروا أن يخرجوا من ديارهم . أن يعودوا الى وطنهم لاول مرة مرفوعى الرؤوس موفورى الكرامة ، بعد أن نقضت قريش الهدنة . وهذا عمرو بن سالم زعيم خزاعة يأتى النبى وهو فى المسجد فينشد :

يا رب انى ناشد محمدا	حلف أبينا وأبيه الأتلدا
فانصر هداك الله نصرا أعتدا	وادع عباد الله يأتوا مددا
فى فيلق كالبحر يجرى مزبدا	إن قريشا أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا	وجعلوا فى كداء رصدا
وزعموا أن لست أدعو أحدا	وهم أذل وأقل عددا
هم بيتونا بالوتير هجدا	وقتلونا ركعا وسجدا

وفى مكة قال الرسول كلمته الشهيرة لقريش (ما تظنون أنى فاعل بكم ؟)

قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم فقال (اذهبوا فأنتم الطلقاء) ودخل الناس فى دين الله أفواجـــا .

وصعد بلال ــ مؤذن رسول الله ــ فوق ظهـــر الكعبة وأذن للصلاة ، فامتلأت أسماع مكة من قدسية النغم .

وتذكرت حين طفت حول الكعبة الشريفة كيف كان الرسول يطعن بسية (٣) قوسه فى عيون الاصنام ووجوهها ويقول « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » ثم أمر بها فكفئت على وجوهها ، ثم أخرجت من المسجد فحرقت . فقال فى ذلك راشد بن عبد الله السلمى :

قالت : هلم الى الحديث ، فقلت لا   يأبى عليــك اللــــه والاســــــلام

أوما رأيت محمـــــدا وقبيلـــــه   بالفتـــح حين تكسر الاصـــــنام

لرأيت نـــور الله أضحى ساطعـــا   والشرك يغشى وجهه الاظلام (٤)

وتـــذكرت حين سعينابين الصفا والمروة سعى اسماعيل عليه الســــلام بينهما وكيف كنا نسرع حينا ونبطىء حينا ، استسلاما لأمر الاله ، وجندية تلهم القوة والاستجابة والالحاح طلبا للمغفرة . . .

وتذكرت فى بطاح عرفـــة المشرقة حينما وقف الحجيج موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطب خطبته الشهيرة فى حجة الـــوداع فسمعها أكثر من مئة ألف مسلم وكان منها : «أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم الى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا ، ألا هل بلغت اللهم فاشهد » .

دعا فى خطبته الى رعاية الحقوق مؤكدا مثبتا ، واستوصى بالمرأة التى كانت مهضومة الحق مهيضة الجناح . والتفت الى الاخاء الاسلامى فأيده وأكده ، والى الاخـــاء الانسانى الموحد . فجعل محور الفصل فيه تقوى الله ، لا المال ولا الكثرة ولا العصبية ولا السلطان .

ونهى أن نعود كفارا يضرب بعضنا رقاب بعض ، واستوصى بالرجوع الى كتاب الله مصدر الهداية والعلاء ومبعث الألفة والأخـــاء .

وتذكرت فى مزدلفة كيف جمعنا الجمرات ، وكيف قذفناها جادين مكررين فى مواطنها من منى محاربة الشيطان واضلاله . ثم نحرنا ضحايانا كمـــا نحر ابراهيم عليه السلام ضحيته بعد أن رأى فى منامه ــ وهو حق ــ انه يذبح ابنه اسماعيل صلوات الله وسلامه عليه وهم بذبحه فافتداه الله تعالى بكبش رحمة منه وتلك قصة واقعة يرددها خطباء المنابر ، تعلم الاستجابة لله والصبر على ابتلائه ، أوجزها القرآن الكريم فكانت درسا معلما موجها على مر الايـــام والعصور ، قال تعالى فى سورة الصافات ١٠٢ ــ ١١٠ « . . فلما بلـــغ معه

السعى قال يا بنى إنى أرى فى المنـــام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى ؟ قال يا أبت افعل ما تؤمر ، ستجدنى إن شاء الله من الصابرين . فلما أسلما وتله (٥) للجبين . وناديناه أن يا ابراهيم . قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين . إن هـــذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم . وتركنا عليه فى الآخرين . سلام على ابراهيم . كذلك نجزى المحسنين » .

ولعل أظهر ما كان يلفت النظر من أمر مواطن الحج الرجولة والزى البسيط المشعر بالمساواة العامة والشاملة . فلا كبير فى المؤتمر ولا صغير ، ولا تفـــاوت فى اللباس بين أمير وحقير ، وفى هذا رد للناس الى البساطة ليعزفـــوا عن السرف ، ويصدفوا عن التفاضل بالاموال والجاه المريض ويهجروا ما يودى اليه ذلك من ظلم وفتن : « وكم أهلكنـــا من قريـــــة بطرت معيشتها ، فتلـــــك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين » .

فالبطر الذى يمنى به الأفراد والأمم الغافلة داء وبيل يهدد أصحابه بالهلاك بعد أن يفقدهم رجولتهم سلاح دفاعهم ، حتى إذا أضاعوها وتداعوا كمـــا يتداعى البنيان بعد أن يضيع استواءه فيفقد رجاءه ولئن ذكرنا كيف نعيش فى مدنيـــة تائهـــة بين مظاهر الاغراء ووسائل الترفيه والترويح ، وكيف نضيع بذلك فـــى كثير من الاحيان من وسائل كفاحنا الذاتى وسعينا الشخصى ، بينا كان أسلافنا المجاهـــدون يعتدون بسيفهم البتار ، ويعتمدون على ربهم الجبار ، ويكرهون حطام الدنيا فلا يذهبون طيباتهم فى حياتهم ، ولا يستمتعون بها استمتاعنا ، اذا ذكرنا ذلك ، عرفنا مبلغ الحاجة الى البساطة والرجولة اللتين يرد اليهما الحج أهله ، اذ يريد الاسلام أن يكون أهله ذوى ايمان وبأس ، يعوذون بالله من الهـــم والحزن ، ومن العجز والكسل ،ويعوذون بالله من قهر الرجال ، وهم الأشداء الأبطال ، الثائرون على مظاهر الضعف لأنه ذبول الهمم ولان ذبول الهمم صوت الكفاح ، ولان صوت الكفاح صوت الانسانية المتعلقة بالمثل العليا الحقـــة وإن أنس لا أنس ذكريات شد الرحال لزيارة المسجد النبوى ، مركز التوجيه الرشيد ، والعمل السديد والانطلاق الى آفاق الارض لتبليغ رسالة الحق والخير والسلام . . ثم المثول تلقاء الحجرة النبوية ــ عند رأس الرسول صلى الله عليه وسلم بخشوع وتأمل فيما لا يحصى من مآثره وفضائله وآثار جهاده التى أنارت جزيرة العرب ، ثم عمت الدنيا وهو الرسول المرسل رحمة للعالمين ، الذى خلف ذخيرة نورانية لا نضل بعدها أبدا ، ووجه أبطالا هداة لا يعـــرف التاريخ نظراء لهم صلاحـــا وإصلاحا .

---

(١) حنيفا : مائــلا عما كان عليه قومه من شرك وما اليــه .

(٢) تبين للمسلمين فى المستقبل أن رجوع النبى صلى الله عليه وسلم ومن معه كان ينطوى علـــى حكم عظيمة .

(٣) طرفها المنحنى

(٤) بلوغ الارب للالوسى جـ٢ ص ٢٠٦ .

(٥) وتله للجبين : أى صرعه على وجهه .

يسألون عن



د. على عبد المنعم عبد الحميد

١ ــ كثر الحديث عن الروح منذ أن كان للانسان وجود على ظهر البسيطة ، ولم يصل باحث الى ادراك حقيقتها أو الوقوف على كنهها، فقال فقيه اسلامى مفوضا أمرها الى بارىء الكون وحده : إنها شىء استأثر الله بعلمه ، ولم يطلع عليه أحدا من خلقه ، فلا يجوز البحث عنها بأكثر من أنها شىء موجود ، وأوغل بعضهم فى التفويض فقال : ان الافاضة فى بحث الروح بدعة فى الدين اذ لم يبينه الله لرسوله بأكثر مما هو وارد بالآية الكريمة فالاشتغال بالتفتيش على ما بعد ذلك النص غلو فى شىء لم يرد به قرآن ولم يقم عليه برهان ، وهذا يسمى عنادا وخروجا عن حدود المقدرة الانسانية المحدودة، ولكن من غير هؤلاء من أجاب بأن الآية الكريمة لا تحمل فى طياتها منعا من الخوض فى البحث ، كما لا تشير الى أن الرسول كان غير عالم بها ، وغاية ما هنالك أنه صلى الله عليه وسلم أمر بالعدول عن الجواب تفصيلا ، وغالبا ما يرجع ذلك الى أحد سببين أو اليهما مجتمعين .. اما لأن سؤال اليهود كان تعنتا لأنها تطلق على معان كثيرة فاذا أجاب بواحد منها قالوا لا نريد هذا وانما غيره أردنا ، واما : لأن الامساك عن التفصيل كان عند السائلين من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : لو كان أمر الروح مما لا سبيل الى معرفته لكان الجواب : « قل انما علمها عند ربى » كما قيل فى الساعة ، وممن خاض فى البحث عنها الامام ابن حزم فى كتابه (الملل والنحل) فقد أورد مذاهب شتى فى الموضوع ثم عقب على ذلك بقوله : « وذهب سائر أهل الاسلام والملل المقرة بالمعاد ، الى أن النفس ــ وهى

بعض تفسيرات الروح ـ جسم طويل عريض عميق ذات مكان عاقلة متميزة متصرفة للجسد » .. ثم قال : والنفس والروح اسمان لمسمى واحد ومعناهما واحد . وأما من ذهب الى أن النفس ليست جسما فقوله باطل بالقرآن والسنة والاجماع .

ففى القرآن « هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت » .. « .. اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم » فصح أن النفس هى الفعالة المجزية الخاطئة .. وقال تعالى : « ان النفس لأمارة بالسوء » .. وقال سبحانه : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون » وفى آل فرعون يقول : « النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب » فصح أن الأنفس منها ما يعرض على النار قبل يوم القيامة ويعذب . ومنها ما يرزق النعيم . ولا شك أن آحاد أجساد آل فرعون . وأجساد المقتولين فى سبيل الله قد تقطعت أوصالها . ولا شك فى أن العرض (بفتح العين المهملة » لا يلقى العذاب ولا يحس فليست عرضا . فصح ضرورة أنها جسم ومن السنة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان أرواح الشهداء فى حواصل طيور خضر تسرح فى الجنة » وفى حديث الاسراء الذى أخرجه البخارى أنه صلى الله عليه وسلم : « رأى نسم بنى آدم عند سماء الدنيا عن يمين آدم ويساره » فصح أنها مرئية وهذه صفة الأجسام ضرورة . وأما الاجماع فهو منعقد على أن أنفس العباد منقولة بعد خروجها من الاجساد الى نعيم أو الى عذاب وهذه صفة الاجسام أيضا . ثم يتابع ابن حزم حديثه فيقول : ومعنى قوله تعالى : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى » انما هو لأن الجسد مخلوق من تراب ثم من نطفه ثم من علقه ثم من مضغه ثم عظما ثم لحما ثم أمشاجا وليس الروح كذلك . وانما قال الله تعالى امرا له بالكون (كن فكان) فصح أن النفس والروح والنسمة أسماء مترادفه لمعنى واحد . وقد يقع الروح أيضا على غير هذا » .

وقيل : ان الأرواح اجسام لطيفة متعلقه بالاجسام المحسوسة أجرى الله سبحانه العادة بحياة الأجساد ما دامت متعلقة بها . فاذا فارقها حل بها الموت . ويرى السلف : أن الروح عين قائمة بنفسها تفارق البدن وتنعم وتعذب لكنها ليست هى البدن ولا جزءا من اجزائه . وتوصف بأنها تعرج اذا نام الانسان وتسجد تحت العرش . والانسان فى نومه يحس بتصرفات روحه وتأثيرها فى بدنه . فصعودها لا يماثل صعود المشاهدات لأن المشاهدات اذا صعدت الى مكان فارقت المكان الذى كانت مستقرة فيه كلية . فحركتها الى العلو حركة انتقال . وأما حركة الروح بعروجها، وولوجها الى الملأ الاعلى فليست كذلك . وكل هذا مبنى على أن الروح الواردة فى الآية « ويسألونك عن الروح .. » روح الانسان . وفى هذا خلاف طويل بين العلماء فقد وردت الروح فى القرآن فى مواضيع كثيرة بمعان مختلفة نجملها فيما يأتى :

١ ـ وردت بمعنى الوحى كما فى قوله تعالى فى سورة الشورى الآية ٥٢ : « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم » وفى سورة غافرة الآية ١٥ : « رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق » أى ينزل

الوحى بقضائه على من يشـــاء من عباده الذين يصـــطفيهم للرســـالة ولتبليغ أحكامه الى من يريد من خلقه .. وفى سورة النحل الآية الثانية « ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا اله الا أنا فاتقون » أى ينزل جل وعلا ملائكته بالوحى الى من يريد من عباده المصطفين الأخيار أن أنذروا أن اله الخـــلق واحد لا اله الا هو وأنه لا تنبغى الالوهيـــة الا له ولا يصح أن يعبد سواه فاحذروه واخلصـــوا له العبادة فان فى ذلك النجاة من الهلاك فى الدنيا والآخرة .. وسمى الوحى روحا لما له من الأثر العظيم فى حياة القلوب والأرواح جميعا ..

٢ ـــ تطـــلق الروح على القوة والثبات والنصر الذى يمد الله به من يشـــاء من عبـــاده الذين آمنوا به وأخلصـــــوا له العمل فى السر والعلانية ، ففى الآية ٢٢ يقول الله تبارك وتعالى : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليـــوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الايمـــان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، رضى الله عنهم ورضوا عنه ، أولئك حزب الله الا أن حزب الله هم المفلحون » .

ومعناها هنا : أنه قواهم بطمأنينة القلب والثبات على الحق فلا يبالون بموادة أعدائهم ولا يأبهون لهم وانما يجعلون اعتمـــادهم على الله وحده والثقة به جل وعلا وحده وعلى هذا فلا يحيون الا فى الله ولا يبغضون الا من أجله وقد ورد فيمـــا أخرجه الطبرانى وأبو نعيم والبيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « جعل والد أبى عبيده يتصدى له يوم بدر وجعل أبو عبيده يحيد عنه فلما أكثر قصده فقتله » فنزلت الآية : « لا تجد قوما .. » فأى ثبات وايمان وترك لمن عدا الله من أجل دين الله أكثر من هذا .. ؟

٣ ـــ أحيـــانا يراد بالروح فى القرآن الكريم جبريل كمـــا ورد فى سورة الشعراء الآية ١٢٣ ، ١٣٤ « نزل به الروح الأمين .. على قلبك لتكون من المنذرين » .. أى أن هذا القرآن الذى تقـــدم ذكره فى نفس السورة فى قوله تعالى : « وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين » الآية (٥) أنزله الله اليك وجاء به جبريل عليه الســـلام فتلاه عليك حتى وعيته بقلبك لتنذر به قومك ليكون قاطعـــا للعذر مقيما للحجة هاديا الى المحجة المستقيمة مصلحا لأحوال البشر جميعا ..

وفى سورة النحل الآية ١٠٢ : « قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنـــوا وهدى وبشرى للمسلمين » . أى أخبرهم وقل لهم قد جاء به جبريل من عند الله كما أتلوه عليـــكم وكما اقتضت حكمته البالغة من تثبيت المؤمنين وتقـــوية ايمانهم بما فيه من أدلة قاطعة على وحدانية بارىء النسم وواسع قدرته وحث على النظر فى ملكوت السموات والارض وتشـــريع يرقى بالأمم التى تؤمن به الى مستوى لا تدانيها فيه أمة أخرى ، ومما يؤيد أن المراد فى الآية جبريل قول الله تبارك وتعالى فى سورة البقرة الآية ٩٧ : « من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين » قل لهم أيها النبى حاكيا لهم عن الله : من كان عدوا لجـــبريل ، فان من أحواله ـــ أى جبريل ـــ أن نزل القرآن على قلبك أى فهو عدو لوحى الله تعالى الذى يشمل نزول التوراة وغيرها ولهدى الله لخلقه ولبشراه للمؤمنين وقوله (باذن الله) ارشاد الى أن مناجاة

جبريل لروحك ومخاطبته لقلبك انما كان بامر الله لا افتياتا منه فعداوته لا تقف حائلا دون الايمان بك ، ولا تقوم عذرا لهم فالذكر الحكيم من عند الله سبحانه وليس من عند جبريل .

٤ — وردت كلمه (الروح) ايضا وأريد بها عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، ففى الايه ١٧١ من سورة النساء يقول الله تعالى : « يا أهل الكتاب لا تغلو فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما فى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا » . وآية الله فى خلق عيسى بكلمته وما نفخ فيه من روح كآيته فى خلق آدم بكلمته وما نفخ فيه من روح فايجادهما كان بغير السنة العامة فى ايجاد البشر من ذكر وانثى ، من سلالة من طين : « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » .

هذا ، وقد وردت آراء أخرى فى المراد من كلمة (روح) لا أرى ما يدعو الى ايرادها لبعدها عن المطلوب هنا ولأنها تقوم على الحدس لا على التحقيق .

ويرى ابن جرير الطبرى أن المراد بالروح فى الآية الكريمة « ويسألونك عن الروح » هو جبريل عليه السلام حاكيا ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما ، وقال ابن القيم : ان المسئول عنه : الروح الذى أخبر الله تعالى عنه فى كتابه أنه يقوم يوم القيامة مع الملائكة عليهم السلام : قال لأنهم انما يسألونه عليه الصلاة والسلام عن أمر لا يعرف الا بالوحى وذلك هو الروح الذى عند الله تعالى لا يعلمه الناس .. الخ . وقال بعض مفسرى تلك الآية الكريمة : « الذى أراه متعينا لسابقها ولاحقها ان المراد بالروح الوحى بالقرآن وهو قريب من رواية عن قتادة ، ووجه تعينه أن هذه الآية فى سياق القرآن وتنزيله والسنة بكونه شفاء ورحمة .. الخ » .

والخلاصة :

ان أمر الروح مما جرى القول فيه على غير وجه واحد ، وكان شغل الباحثين والفلاسفة منذ اقدم العصور الانسانية ، ولم يجمع القوم على شىء فى هذا وذلك لغموض الموضوع وبعده عن المحسات وعدم دخوله فى دائرة المرئى المشاهد ، ولهذا جاء الجواب فى الآية الكريمة مشيرا الى ترك الخوض فى مثل هذا فالروح من أمر الله تعالى وكثير مما يثبت فى هذا الوجود لا تصل اليه العقول المخلوقة التى لم تتعد اليه من الاشياء الى الآن فهى تجول وتصول فيما بين يديها من الموجودات وتوائم بينها بتوجيه من الله تعالى وهداية وتخرج ما يحير الباب القاصرين الكسالى ، ففى ترك الامر لصاحبه ، والاشتغال بما هو خير للانسانية فى عاجلها وآجلها أجدى وانفع وصدق الله العظيم حين يقول جل وعلا : « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » نسأله الهداية والتوفيق للبعد عما يريب والاشتغال بما هو خير وأعظم رشدا والله الموفق والمستعان(١) .

---

(١) بعون الله تعالى سنعود الى هذا الحديث لعرض ما يراه علماء الغرب فى هذا الموضوع ، موضوع الروح وما بنوا على ذلك من محاولة الاتصال كما يزعمون بالارواح حاملين معول هدم المبادىء الانسانية الفاضلة والله المستعان يهدينا ويهديهم سواء السبيل .

الدفاع الشرعي بين الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية

للدكتور أحمد على المجدوب

اسوأ ما يأتيه عالم أن يحكم على شيء دون دراية به ، أو دراسة له ، وأشد سوءا أن يتبنى عالم أحكام غيره على شيء دون أن يمحصها أو يتحقق من صدقها . والأول هو موقف الغالبية العظمى من علماء القانون فى الغرب من الشريعة الاسلامية . أما الثانى فهو موقف طائفة من علماء القانون المسلمين ، المصابين بالكسل الفكرى والخمول الذهنى ، الزاهدين فى البحث ، الكارهين للدراسة . والغريب فى الأمر حقا والادعى الى الدهشة أن دراسة الشريعة الاسلامية لا تحتاج الى جهد كبير من علمائنا ، بل إنه فى الواقع جهد يفوقه كثيرا جهد ترجمة كتب الغرب التى تهاجم هذه الشريعة محاولة أن تقلل من شأنها وتحط من قدرها . ولو أنهم طرحوا الكسل جانبا وشمروا عن ساعد الجد وشرعوا فى دراسة الشريعة والفقه الاسلاميين لوجدوا فيهما الكثير والثمين والمحكم من النظريات والمبادىء والافكار والآراء والمناهج التى تفوق بكثير ما وصل اليه الغرب . ولكشفوا زيف ما يدعيه علماؤه وبطلان ما يفترونه على الشريعة الغراء .

ومن النظريات الجنائية التى كان

للشريعة الاسلامية وللفقه الجنائى الاسلامى فضل السبق اليها ، نظرية الدفاع الشرعى التى سنتناولها فى هذه الدراسة المقارنة بقصد بيان ما تتميز به على مثيلتها فى الفقه الجنائى الغربى والقوانين الوضعية الغربية ، بغض النظر عن السبق الى تقرير حق الدفاع الشرعى . فهو قديم قدم المجتمع الانسانى ذاته ، عرفته الشعوب القديمة وأخذت به فى تشريعاتها سواء كانت وضعية أم الهية . فقد عرفه المصريون القدماء وعرفته الشريعة الموسوية وورد فى الشرائع القديمة كشريعة حامورابى وغيرها ولكن علماء الغرب الذين يتشدقون بالموضوعية دائما تأبى عليهم عنجهيتهم الا أن يؤرخوا لكل شيء فى العالم حتى القانون . إما بالحضارة الأغريقية أو بالحضارة الرومانية معتبرين ان ما كان قبل هاتين الحضارتين من قبيل العدم . وكأن الدنيا لم تبدأ الا بالغرب ولا تتحرك الا به .. !! ليكن .

وفيما يتعلق بالدفاع الشرعى فهو حالة أو موقف يقوم فيه شخص برد اعتداء على عرضه أو على ماله أو على نفس أو عرض أو مال غيره من شخص أو أشخاص آخرين ، ويشترط أن يكون الاعتداء الذى يقوم الشخص برده جريمة لأنه اذا كان عملا مشروعا كقيام رجل الشرطة بالقاء القبض على شخص ما مثلا ، فانه لا يجوز للمقبوض عليه أن يعتدى على رجل الشرطة بحجة انه يدافع عن نفسه ، كذلك يشترط أن يكون الاعتداء حالا ، أى وشيك الوقوع أو وقع فعلا بحيث يتعذر على المعتدى عليه أو المهدد بالاعتداء أن يلجأ الى السلطة العامة لحمايته ورد الاعتداء عنه .

هذا فيما يتعلق بالشروط الواجب توافرها لاباحة الدفاع ، كذلك هناك شروط أخرى يجب أن تتوفر فى الدفاع الشرعى نفسه . وهى أن يكون هذا بالفعل بالقدر وبالكيفية اللازمة لدفع الاعتداء ، وأن يكون تفادى الخطر بوسيلة أخرى غير ممكن . والواقع أن اباحة فعل الدفاع وعدم معاقبة المدافع عن نفسه أو عن ماله أو عن نفس غيره أو ماله ، وضع عرفته ، كما أسلفنا ، النظم القانونية من قديم الزمان ، بل وعرفته مقترنا بالكثير من الشروط التى ذكرناها الا أنها لم تصل الى وضع نظرية تفسره وتحدد طبيعته واحواله وظروفه وشروطه وأهم من هذا وذاك تبرره باعتباره بحسب الأصل اعتداء له نفس طبيعة الفعل الذى كان هو نفسه رد فعل . وهو ما تكفلت به الشريعة الاسلامية والفقه الجنائى الاسلامى . وما حاوله بعد ذلك ببضعة قرون الفقه الجنائى الغربى الذى سنستعرض فيما يلى جهوده فى هذا الشأن لنرى مدى صوابها ومستوى أحكامها ثم نقارنها بالنظرية التى وضعها الفقه الجنائى الاسلامى لنحدد أى النظريتين أصح من حيث تفسيرها لحالة الدفاع الشرعى وأرجح فيما يتعلق بتبريرها لفعل الدفاع .

النظريات الغربية فى الدفاع الشرعى :

توجد فى تفسير الدفاع الشرعى أو بالأحرى تبريره ثلاث نظريات أساسية احداها تعتبر الدفاع حقا للمعتدى عليه يبيح له أن يرتكب من الافعال ما يمكنه من دفع الاعتداء عن نفسه أو عرضه أو ماله أو نفس غيره أو عرضه أو ماله . ولكن أصحاب هذه

النظرية وان اتفقوا على طبيعة الدفاع من حيث أنه حق للمدافع الا أنهم اختلفوا حول الأساس الذى يستند اليه هذا الحق . فبعضهم يرى أن هذا الأساس هو القانون الطبيعى بينما الآخر يرده الى نظرية العقد الاجتماعى ، قائلين إن الانسان عندما دخل طرفا فى العقد الاجتماعى تنازل للمجتمع عن غالبية حقوقه واحتفظ لنفسه من بين ما احتفظ به من حقوق قليلة بحق الدفاع عن نفسه وعرضه وماله . وهناك فريق ثالث داخل هذه النظرية وان كان يستند أيضا الى نظرية العقد الاجتماعى الا أنه يختلف عن الفريق السابق من حيث صفة حق الدفاع الشرعى وهل هو أصلى أم استثنائى بمعنى أن الشخص يكون له بحسب الأصل أن يدافع عن نفسه أو عن ماله ويعاقب المعتدى فى كل الأحوال أم أن ذلك لا يكون الا استثناء من حق الدولة الأصيل فى توقيع العقاب على كل من يقع منه اعتداء ؟ فهذا الفريق يرى أن الانسان لم يحتفظ لنفسه بحق الدفاع عند دخوله طرفا فى العقد الاجتماعى ، بل بقى له هذا الحق بحسب الأصل فله أن يمارسه دائما فى حين لا تمارسه الدولة فى صورة عقوبة توقعها على المعتدى الا على سبيل الاستثناء ، وعلى هذا يكون لكل شخص ، وفى جميع الأحوال ، الحق فى الدفاع عن نفسه أو عن ماله ، أو بمعنى أصح أن يعاقب من يعتدى عليه . وفى هذه الأحوال يقتصر تدخل الدولة على حالتين فقط ، احداهما هى الحالة التى يكون فيها العقاب الذى وقعه المعتدى عليه على المعتدى ناقصا أو غير متكافىء مع الاعتداء فتتدخل الدولة لتكمله باعتبارها مكلفة باقامة العدل ، أما الحالة الثانية فهى التى يتجاوز فيها المعتدى عليه الحدود المقررة لرد العدوان ، فعندئذ تتدخل الدولة لتمنعه من ذلك أو لتعاقبه نظير مبالغته فى الرد على الاعتداء الواقع عليه عقابا يوازى القدر المتجاوز فيه.

وهناك فريق يطلق عليه المذهب الواقعى يبرر الدفاع الشرعى بالدوافع الكامنة وراءه وهى فى نظر هذا الفريق دوافع قانونية واخرى اجتماعية ، فبالرغم من أن الدفاع يباح لدفع الاعتداء الواقع على الشخص أو على ماله الا أنه يعتبر ذو فائدة عامة تعود على النظام الاجتماعى فى مجموعه ، لأن من شأن وقوع الاعتداء من الناس على بعضهم وعجز المعتدى عليهم عن الدفاع عن أنفسهم أو أموالهم أن يؤدى الى زعزعة النظام الاجتماعى وضياع هيبة القانون وافتقاده فاعليته. ومن هنا كان الدفاع الشرعى حقا لا بالنسبة للمعتدى عليه فقط بل وبالنسبة لكل شخص يرى عدوانا يقع على غيره أو على مال غيره ويدفعه .

أما النظرية الثانية فهى التى تعتبر الدفاع الشرعى مجرد مانع مسئولية وليس حقا كما يقول أصحاب النظرية السابقة ويستند هذا الفريق فى رأيه هذا الى فكرة المصلحة الأولى بالرعاية أو تعارض المصالح وضرورة ترجيح الأعلى قيمة من بينها ، فالعدوان من ناحية ودفعه أو رده من ناحية أخرى مصلحتان متعارضتان ، وترجيح احداهما على الأخرى واجب ، ولما كان الاعتداء يضعف حق المعتدى فان مصلحته تتضاءل أمام مصلحة المعتدى عليه فى رد الاعتداء . بل ان اعتداءه يهدر حقه قبل المعتدى عليه الذى يكون له أن يرد العدوان دون أن يكون مسئولا عن فعله ، وتذهب النظرية

الثالثة فى تبرير الدفاع الشرعى مذهبا مختلفا تماما فهى تستند الى فكرة الاكراه الأدبى ويرى أصحابها أن الخطر الذى يتعرض له المعتدى عليه يفقده حرية الارادة بحيث يعجز عن التحكم فى نفسه ازاء دوافعه الغريزية فى المحافظة على نفسه أو ماله ، مما يمكن اعتباره اكراها أدبيا يرفع عنه المسئولية عن فعله .

والملاحظ أن النظريات الثلاثة فى الدفاع الشرعى لا تعلو على النقد، بل ان ضعفها بيِّن وفسادها جلى وان كانت تتفاوت فيما بينهما فى ذلك وهو تفاوت انعكس على مجال تطبيقها فقد سادت النظريات الأولى والثانية فى القوانين الوضعية التى اعتبر بعضها الدفاع الشرعى حقا كالقانون الرومانى وغالبية القوانين الحديثة كالقانون الفرنسى الصادر سنة ١٨١٠ وقانون العقوبات المصرى الحالى ، بينما اعتبره البعض الآخر عذرا مانعا من العقاب ، كالقانون الكنسى والقانون الفرنسى القديم . أما النظرية الثالثة فلا تعدو كونها مجرد فكرة تفتقر الى الطبيعة العملية يقول بها عدد غير قليل من الفقهاء الفرنسيين ولكنها كما هو واضح ظاهرة الفساد لأنها تجعل الدفاع الشرعى قاصرا على الحالة التى يصل فيها الاعتداء الى درجة القضاء على حرية الارادة لدى المعتدى عليه ، أما ما عداها فانه يخرج عن حالة الدفاع الشرعى ويوجب عليه أن يلجأ الى السلطة العامة لتدفع عنه العدوان ، أى أنها تشترط فى الخطر الذى يراد دفعه أن يكون جسيما يتحقق به الاكراه الأدبى ، ومن ثم فان الدفاع عن نفس الغير أو عن ماله لا يجوز لأنه لا يحقق حالة الاكراه الأدبى .

وبهذا تنحصر المقارنة بين اتجاه الشريعة الاسلامية واتجاه الفقه الغربى فى نطاق النظريتين السائدتين فى القوانين الوضعية الغربية وهما اللتين تبرران الدفاع الشرعى بفكرة الحق وفكرة المصلحة الأولى بالرعاية أو تعارض المصالح التى تجعل من الدفاع الشرعى مجرد مانع مسئولية.

طبيعة الدفاع فى الشريعة الاسلامية :

الدفاع الشرعى فى الشريعة الاسلامية حق للمعتدى عليه ، تقرر بموجب النص القرآنى « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا بمثل ما اعتدى عليكم » كما قررته السنة النبوية فيما رواه يعلى بن أمية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كان لى أجير فقاتل انسانا فعض أحدهما يد الآخر فانتزع يده من فم العاض فانتزع احدى ثنيتيه فأتى النبى فأهدر ثنيتيه وقال : « أفيدع يده فى فيك تقضمها تقضم الفحل » وما رواه عبد الله بن عمرو من قول رسول الله : « من أريد ماله بغير حق فقاتل فهو شهيد » وما رواه أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله قال : « لو أن امرأ اطلع عليك بغير اذن فحذفته بحصاة ففقأت عينه لم يكن عليك جناح » .

كذلك أقرت الشريعة الاسلامية الدفاع عن نفس الغير أو عرضه أو ماله فيما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » . وقوله : **« ان المؤمنين يتعاونون على الفتان »** فكل من يقع عليه اعتداء سواء كان موجها الى

نفسه أو عرضه أو ماله أو رأى اعتداء يقع على نفس شخص آخر أو عرضه أو ماله له الحق فى أن يدفع هذا الاعتداء ، الا أن الفقه الاسلامى يفرق بين حالتين من الدفاع الشرعى ، احداهما الحالة التى يكون فيها الدفاع مقصودا به دفع اعتداء على النفس أو العرض ، فيرون أنه أى الدفاع — فى هذه الحالة لا يكون حقا للمعتدى عليه أو لغيره ممن يشاهد العدوان أثناء وقوعه فحسب ، بل هو واجب أيضا . وهذا أول أوجه الاختلاف بين الشريعة والقانون الوضعى — الذى يعتبره حقا فقط فى جميع الأحوال يرد عليه ما يرد على الحقوق عادة من جواز التخيير بين فعلها وتركها فيكون للمعتدى عليه أو لمن يشاهد عدوانا يقع على غيره أن يرضى بالعدوان ويرضخ للمعتدى أو أن يخذل أخاه المسلم الذى يقع عليه الاعتداء فلا يتقدم للدفاع عنه . أما الحالة الثانية فهى التى يكون العدوان فيها موجها الى مال الشخص أو مال غيره فان الفقهاء المسلمين يرون أن الدفاع الشرعى فيها يكون حقا وليس بواجب ومن ثم فان تاركه لا يؤثم ، بعكس تارك الدفاع عن النفس أو العرض ، وعلى هذا ، الرأى الراجح فى الفقه الاسلامى .

الا أن الاختلاف بين الشريعة الاسلامية والنظريات الغربية يبدو على أشده فيما يتعلق بتبرير الدفاع الشرعى ، فالنظريات والاتجاهات التى ذكرناها سلفا وان كانت قد بررت الدفاع الشرعى تارة بأنه حق للمعتدى عليه بموجب القانون الطبيعى أو العقد الاجتماعى ، وتارة أخرى بأنه ترجيح لمصلحة على مصلحة أخرى يمنع قيام مسئولية المدافع عن فعل الدفاع ، وتارة ثالثة بررته باللجوء الى فكرة الاكراه الأدبى الا أنها جميعا فشلت فى تبرير حالة الدفاع عن نفس الغير أو ماله ، فاذا كان القانون الطبيعى قد منح الانسان الحق فى أن يدافع عن نفسه أو عن ماله ، أو اذا كان الانسان قد احتفظ لنفسه بهذا الحق عند الدخول فى العقد الاجتماعى ، فان تفسير دفاعه عن نفس الغير أو ماله لم يرد فى هذه النظريات ، وبقى الموقف غامضا تماما ، وليس أقل منه غموضا موقف النظرية التى تقول بالاكراه الأدبى مبررا للدفاع الاجتماعى . ويرتبط بهذه المشكلة أخرى تتعلق باشتراط المماثلة بين فعل الاعتداء والفعل الذى يرد الاعتداء ، فهذه النظريات الغربية لم تفسر هذا الشرط وخاصة بالنسبة للدفاع عن نفس الغير أو ماله ، فلو أن المدافع عن نفسه استطاع ، بماله من امكانية تقدير القدر الحقيقى من الأذى الذى أصابه أو أصاب ماله ، أن يلحق بالمعتدى قدرا مماثلا من الأذى . فكيف يتسنى ذلك للغير ؟. ولماذا ألزم المشرع الغير أيضا بالمماثلة ؟ وما تفسير ذلك فى الفقه الجنائى الاسلامى ، بعد ان لم نجد له تفسيرا لا فى القوانين الوضعية ولا فى الفقه الجنائى الغربى .

موقف الفقه الجنائى الاسلامى من المشكلة :

أعتبر الفقه الجنائى الاسلامى فعل الاعتداء المتلف للنفس أو للطرف سببا لا فى رد العدوان فحسب بل وفيما هو أهم من ذلك الا وهو زوال العصمة لدى المعتدى عن المحل القابل

للمحل الذى قصـــده بعدوانه .
وهذا يعنى أن إقدام شخص ما على اتيان فعـل يعتـدى به على نفس شخص آخر . يؤدى فى الوقت نفسه الى زوال العصمة عن نفس المعتدى بالقدر الذى قصده . فاذا كان قد اراد ازهاق روحـه فانه باعتـدائه يزيل العصمة عن روحه هو بحيث يبـاح للمعتدى عليه أو الغير أن يزهقهـا دفاعا عن نفسه أو عن نفس غيره .
واذا قصد باعتدائه اتلاف عضو من اعضاء الشخص ، فانه باقدامه على تنفيـذ عدوانه يزيل العصـمة عن العضو المقابل لديه . فيكون للمعتدى عليه ولغيره أن يتلف هذا العضو . أى أنه بعدوانه يزيل العصمة عـن نفسه أو عن أعضائه فتصبح مباحـة للمعتدى عليه أو لمن يتدخل من الغير للدفاع عنه .

وهكذا وصـل الفقه الجنـائى الاسلامى الى تفسير واضح ومنطقى للدفاع الشرعى والى تبرير سـليم لتدخل الغير فى الدفاع الشرعى . وكلا الأمرين أى التفسـير والتبرير يسـتندان الى مبادىء الشريعـة الاسلامية التى تقرر أن على المسلم أن يعامل الناس بمثل مـا يجب أن يعاملوه به ، وأن على المسـلم ان يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

فمن قصد الاعتداء على شـخص واتلاف عضو من أعضائه يجب عليـه أن يدرك أن عمله هذا سينقلب عليه بحيث تقترن استباحته لعصمة عضو خصمه باباحة العضو المقابل لديه ومن ثم يجب عليه أن يتريث عند شروعه فى التعدى والتمهل عنـد البدء فى العـدوان حتى لا يصاب بمثـل ما سيصيب به خصمه ، فيتـدبر أمره ويسعى الى حل خلافه بطريقة هادئة وودية قد تجعـل خصمه يجنـح هو الآخر للسلم وينبذ أسباب الخلاف .

اما تبرير الفقه الاسلامى لتدخـل الغير وهـو التبرير الذى عجـزت النظريات الغربية كما رأينا ، عـن الوصول اليه . فهو التبرير المنطقى الوحيد الذى يجعل تدخل الغير مقبولا ومباحا . واذا كان الدفاع الشرعى عن الغير يستند الى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « انصر اخاك ظالما أو مظلوما » . وقوله : **« ان المؤمنين يتعاونون على الفتان »** فان ذلك هو المبدأ اما حـدوده فتضمها قاعدة زوال العصمة عن المحل المقابل للمحل الذى اعتدى عليه المعتـدى كان نفسه أو عضو من أعضـائه . فطالما انه قد زالت عنه العصمة اصبح لأى شخص الحق فى أن يعتدى عليه لصيرورة الاعتداء مباحا دفاعا عـن المعتدى عليه سواء ملك أو لم يملك القدرة على الدفاع عن نفسه ، وميزة هذا التفسير الفقهى الاسلامى أنـه يضمن المماثلة فى جميع الأحوال لأن زوال العصمة يقتصر على المحـل المقابل للمحـل الذى اعتدى عليـه المعتدى فلا يجوز أن يمتد فعل الدفاع الشرعى الى جزء آخر الا فى احوال استثنائية . ولا يجوز أن يتجاوز فى القدر ما الحقه المعتدى عليه اذا كان مجرد ضرب أو ايذاء لا يصل الى حد اتلاف عضو أو أعضاء لدى المعتدى عليه وهنا يتضح أن الفقه الجنـائى الاسلامى قد حل ببساطة شديدة جدا مشكلة اختلاف فعل الدفاع سواء كماً أو كيفاً عن فعـل الاعتـداء وهى المشكلة التى شغلت الفقه الغـربى طويلا وخاصة بالنسبة للاعتـداء بالقول الذى يرد عليه باعتداء بالفعل

كمن يسب أو يحذف شخصا فيرد هذا بالضرب أو بالجرح أو باتلاف عضو ، فالشريعة الاسلامية تقرر أنه « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » أى أنها تشترط المماثلة بين الاعتداء والرد عليه ، والفقه الاسلامى يقرر أن زوال العصمة لدى المعتدى يقتصر على المحل المقابل للمحل الذى يعتدى عليه عند المدافع، ومن ثم لا يجوز الرد بالضرب أو الجرح على السب أو القذف ، ويكون للسلطان أن يعاقب من يتجاوز حدود الدفاع على جريمة ضرب أو جرح ، وفي نفس الوقت يعاقب من صدر منه السب أو القذف بالعقوبة المقررة لذلك وهى حد القذف كذلك يشترط أن يكون الاعتداء حالا أو وشيك الوقوع، أما اذا كان غير حال فان الشخص المهدد بالاعتداء عليه أن يلجأ الى السلطان لحمايته دون أن يبادر الى الاعتداء على من يتوقع أو يتوهم صدور الاعتداء منهوهكذا يمكننا ، اذا أردنا ، أن نجد فى تراثنا القانونى الكثير من الحلول لمشكلاتنا القانونية ، دون حاجة الى اللجوء للفقه الجنائى الغربى ، والسير وراءه فيما يخرج به علينا كل يوم من نظريات أغلبها ضحل لا يصمد فى وجه النقد ، وهو ما رأيناه بالنسبة لكافة النظريات التى أوجزناها فى مقدمة هذه الدراسة .

أو الأمر الذى لا شك فيه أن نظريات الفقهاء المسلمين فضلا عن أنها ستثرى فقهنا وتشريعنا الجنائيينفانها قادرة على أن تحرز احترام الفقه الغربى وتحصل على تقديره لأنها ستفتح له الطرق للوصول الى حلول سليمة لكل مشاكله القانونية .

فهل نبدأ ؟



الأشهر الحرم في كتاب الله تعالى

دكتور على محمد حسن

كان مما حافظ عليه العرب من شريعة ابراهيم — عليه السلام — تعظيم أربعة أشهر فى السنة القمرية، وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ، ثلاثة سرد ، وواحد فرد .

فكانوا يمتنعون فيها عن الغارات والثارات ، والقتال بجميع أنواعه ، وكان احترامهم لها عظيما ، حتى كان الرجل منهم يلقى قاتل أبيه أو أخيه — ويتمكن منه — فلا يعرض له ، تعظيما لحرمة الشهر الحرام .

وإنما حافظوا على احترامها لحاجتهم الشديدة الى الأمن فى أشهر الحج ، حيث يقصدون مكة لأداء المناسك ، وللتجارة ، ثم ينصرفون الى مساكنهم فى وسط الجزيرة وأطرافها ، ثم عظم عليهم — بعد زمن طويل — أن يستمروا ثلاثة أشهر دون إغارة أو قتال ، فى حين كانت حياتهم تعتمد على الصيد وعلى الغارات ، فظهر فيهم رجال ذوو مكانة ورياسة استجابوا لرغبات بعضهم فى التحلل من هذه الشريعة على وجه من الوجوه .

رفعوا الحرمة عن بعض الشهور ، ولكنهم حرموا مكانه شهرا آخر ، فكان الرئيس منهم يقف فى الجموع ، وينادى بأنه أحل (المحرم) وحرم (صفرا) مكانه ؛ وبذلك تكون المخالفة فى خصوص الشهور ، لا فى أعدادها ، وهذا ما كانوا يسمونه (النسىء) . وكان موضع فخر من مفاخرهم ، يقول احد شعرائهم :

السنا الناسئين على معدٍّ
شهور الحل نجعلها حراما



فلما جاء الاسلام أبقى على هـذه الشعيرة من شريعة ابراهيم ، ودعا الى المحافظـة على هـذه الأشهر بأعيانها ، وأنكر عليهم النسء ، بـل شدد فى النكير حتى اعتبره زيادة فى الكفر .

. . . .

وقد ورد ذكر الأشهر الحرم فـى ثلاث سور من القرآن الكريم : البقرة ، والمائدة ، والتوبة . وجاء ذكرها فى موضعين فى كل سـورة من هـذه السور .

وسورة البقرة نزلت فى الطريق من مكة الى المدينة أيام الهجرة ، ثم نزلت سورة المائـدة ، ثم نزلت سـورة (براءة) فى السنة التاسعة مـن الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

وسنمضى مع الآيـات الكريمـة بحسب ترتيبها فى المصحف ، ونبين ما اقترن بكل آية ، حتى نقف على صورة واضحة تمثل لنا نظرة الاسلام مكتملة نحو هذه الأشهر الحرم .

وأول هذه الآيـات فـى الترتيب المصحفى قول الله تعالى : « الشهر الحـرام بالشهر الحـرام والحرمات قصاص فمن اعتـدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين » .

ذكر العلماء أنها نزلت فى عمـرة القضاء بعد عام (الحديبية) فى ذى القعدة سنة سبع من الهجرة . وذلك أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ ذهب الى (مكة) يريد العمـرة سنة ست فصده كفار قريش ، فرجع بعد أن وعده الله سبحانه أنـه سيدخل البيت سنة سبع ، فلما دخلها واعتمر كما وعده الله نزلت هذه الآية .

وقد كان المشركون ــ فى سنة ست ــ قاتلوا المسلمين رميا بالسهام والحجـارة فانتهكوا حرمـة (ذى القعدة) عـام (الحديبية) ، وكان الكفار يعظمونه منذ الجاهلية الأولى ،

وتف النبى — صلى الله عليه وسلم — عن مجاوبتهم بالمثل لئلا يحتدم القتال بين الفريقين . ثم خرج المسلمون فى العام القابل . وكرهوا قتال المشركين تعظيما للشهر الحرام . فأنزل الله — عز وجل — هذه الآية ترشدهم الى أنه لا جناح عليهم فى أن يقاتلوا فى هذا الشهر . إذ يكون جزاء أن قوتلوا فى مثله من العام الفائت . فمن انتهك حرمة الشهر كان معتديا وليس على من يرد الاعتداء بمثله أى جناح . ولذلك جاء قوله تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » تأكيدا لما تضمنه قوله سبحانه : « الشهر الحرام بالشهر الحرام » .

وأما قوله سبحانه : « والحرمات قصاص » فهو كالقاعدة العامة التى نهجها الاسلام للمسلمين . والقصاص المساواة . ووجه اتصالها بأول الآية أن الله سبحانه اقتص للمسلمين من المشركين إذ صدوهم سنة ست . فقضوا عمرتهم سنة سبع .

وفى عموم هذه القاعدة خلاف بين الفقهاء . إذ يرى بعضهم أن ما تضمنته كان معمولا به فى أول الاسلام : أن من انتهك حرمة شخص نال منه مثل ما انتهك من حرمته . ثم نسخت .

وقال الشافعى — وهو رواية فى مذهب مالك — أنه يجوز لمن تعدى عليه فى مال أو جرح أن يتعدى بمثل ما تعدى به عليه . إذ أخفى ذلك . وليس بينه وبين الله شىء .

وقالت طائفة من أصحاب مالك : ليس له ذلك . وأمور القصاص وقف على الحكام . والأموال يتناولها قوله صلى الله عليه وسلم : « أد الأمانة الى من ائتمنك . ولا تخن من خانك » . فمن ائتمنه شخص خانه لا يجوز له أن يخونه ، ويصل الى حقه مما ائتمنه عليه ، وهذا هو المشهور من مذهب مالك . وبه قال أبو حنيفة تمسكا بهذا الحديث .

أورد ذلك كله القرطبى فى تفسيره . ثم قال : قلت : والصحيح جواز ذلك كيفما توصل الى أخذ حقه . ما لم يعد سارقا . وأن ذلك ليس خيانة . وإنما هو وصول الى حق .

وقد يبدو فى توقيت نزول الآية بعض الإشكال . ذلك أن سورة « البقرة » نزلت — كما هو المشهور — فى الطريق بين مكة والمدينة . فهى أول السور المدنية نزولا . وهذه الآية — اذا صح ما قيل فى سبب نزولها — نزلت سنة سبع من الهجرة .

وجواب هذا الإشكال أن سورة البقرة لم تنزل مرة واحدة . وإنما نزلت فى مدد شتى . نزلت جمهرتها أيام الهجرة الاولى . ونزل باقيها بعد ذلك فى آماد مختلفة . ويؤيد هذا ما قيل من أن قوله تعالى : « واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله » آخر ما نزل من القرآن . وهو مروى عن ابن عباس — رضى الله عنهما — والآية من أواخر سورة البقرة . وقيل إنه كان بين نزولها ووفاة النبى — صلى الله عليه وسلم — تسع ليال .

. . . .

ويأتى بعد هذه الآية فى الترتيب المصحفى قوله تعالى : « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » .

والمشهور عند المفسرين أن سبب نزول هذه الآية قصة عبد الله بن جحش مع عمرو بن عبد الله ابن عباد الحضرمى . وذلك أن النبى — صلى الله عليه وسلم — بعث ثمانية رجال من المهاجرين . وأمّر عليهم عبد الله ابن جحش . وكتب له كتابا . وأمره ألا ينظر فيه إلا بعد يومين من مسيره . ونهاه أن يستكره أحدا من أصحابه على المسير معه بعد أن ينظر فى الكتاب . فلما فض الكتاب وجد فيه : (إذا نظرت فى كتابى هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشا ، وتعلّم لنا من أخبارهم) . فلما قراه قال : سمعا وطاعة ، ثم اخبر اصحابه بما فى الكتاب . وبأنه لا يستكره أحدا منهم . وأنه منفذ أمر رسول الله . ولو لم يسر معه أحد وقال لهم : من احب الشهادة فلينهض . ومن كره الموت فليرجع . فقالوا : كلنا نرغب فيما ترغب فيه . وما منا أحد إلا وهو سامع مطيع لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — . فلما ساروا معه مرّت بهم عير لقريش فيها عمرو بن الحضرمى ، فتشاور المسلمون ، وقالوا : نحن فى آخر يوم من رجب ، الشهر الحرام ، فإن نحن قاتلناهم هتكنا حرمة الشهر الحرام ، وإن تركناهم الليلة دخلوا الحرم ، ثم اتفقوا على لقائهم ، فرمى أحدهم ابن الحضرمى فقتله .

وقيل إن عبد الله وأصحابه لم يعرفوا أن اليوم الذى قاتلوا فيه كان من رجب ، إذ خرجوا فى أخريات جمادى الآخرة ، فظنوه من جمادى . وهذا هو المروى عن ابن عباس .

وأيا ما كان فقد اتهم المسلمون أصحاب محمد بأنهم يهتكون حرمة الشهر الحرام . والنبى — صلى الله عليه وسلم — نفسه انكر على أصحابه ما فعلوه ، فسقط فى أيديهم ، فأنزل الله سبحانه هذه الآية .

والمعنى : يسألك — يا محمد — المسلمون أو المشركون عن القتال فى الشهر الحرام فأجبهم بأن القتال فيه جرم عظيم ، وإثم كبير ، ولكن ما تفعلونه من الصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام ، وإخراج أهله منه ، ومن الكفر بالله أعظم عند الله إثما من القتال فى الشهر الحرام .

وقد اختلف العلماء — أيضا — فى نسخ هذه الآية . فقال بعضهم : إن قول الله تعالى : « قل قتال فيه كبير » منسوخ بقوله سبحانه : « وقاتلوا المشركين كافة » وبقوله : « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد » وكلتا الآيتين تسمى (آية السيف) . والنسخ هو مذهب جمهور العلماء ، فهم يرون أن قتال المشركين فى الأشهر الحرم مباح ، وإن اختلفوا فى الناسخ .

وقالت طائفة : إن القتال فى الشهر الحرام مستنكر ما لم يعتد الكفار على المسلمين ، فيكون قتال المسلمين — حينئذ — دفعا لا اعتداء . وقد روى أبو الزبير عن جابر ، قال : كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لا يقاتل فى الشهر الحرام إلا أن يغزى .

وإذا صح ما قيل فى سبب نزول هذه الآية ، والآية السابقة كان ذلك موضع تساؤل ، ذلك أن آية : « الشهر الحرام بالشهر الحرام » نزلت فى سنة سبع ، وهذه الآية : « يسألونك عن الشهر الحرام » نزلت بسبب قصة عبد الله بن جحش ، وقد بعثه الرسول الى مكة قبل بدر بشهرين ، وقد قيل فى ذلك : إن عبد الله بن جحش اول أمير فى الاسلام ، بل قيل له : (أمير المؤمنين) ، وابن الحضرمى اول قتيل فى الاسلام ، وما غنمه المسلمون — فى هذه الواقعة — أول غنيمة فى الاسلام .

ووجه التساؤل انه بحسب اسباب النزول تكون الآية المتأخرة فى النزول سابقة فى الترتيب المصحفى . ذلك واقع إذا صح سببا النزول فى كل من الآيتين . ومن المعـــروف أن بعض الآيات كان ينزل متفرقا ، ويؤمر النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ بأن يضع آية كذا فى موضع كذا ، وقد توضع الآية فى موضع تكون الآيات التى بعدها قد سبقتها فى النزول .

وقد جاءت فى سورة المائدة ــ كما أسلفت ــ آيتان فيهما ذكر الشـــهر الحرام ، ومن المشهور أن المائدة نزلت قبل براءة ، وقيل أن المائدة آخر سورة نزلت من القرآن ، والمعروف أيضا أن (براءة) نزلت سنة تسع ، وأن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ أرسل بها عليا ليقرأها على الناس فى موسم الحج ، وكان الذى يحج بالناس فى ذلك العام هو سيدنا أبو بكر . ولكن مما روى أيضا أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قرأ سورة المائدة فى خطبته فى حجة الـــوداع ، وقال : (يأيها الناس إن آخر القرآن نزولا سورة المائدة فأحلوا حلالها ، وحرموا حرامها) .

ومن عجيب ما يروى من ذلك أن سورة (براءة) نزلـــت بعد سورة (البقرة) بسنتين ، ذلك أن المشهور عند العلماء أن البقرة أول سورة نزلت بالمدينة ، وأن (براءة) نزلت سنة تسع ، إلا أن يكون المراد أن جمهرة سورة البقرة نزلت أولا ، ثم تم نزولها فى وقت متأخر ، ولعل ذلك كان فـــى السنة السابعة من الهجرة .

. . . .

جاء فى الآية الثانية من ســـورة المائدة قوله تعالى : « يأيها الــذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا » .

وجاء فى أواخرها قوله تعالى : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحـــرام والهـــدى والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض وأن الله بكل شىء عليم » .

وكأن الآية الثانيـــة تعليل لما فى الآية الأولى ، على بعد ما بينهما ، فالله سبحانه جعل البيت الحرام ، والشهر الحرام قياما للناس ، أى جعل مكانا وزمانا يأمن فيهما الناس على أنفسهم وعلى أموالهم ، وعلـــى أداء مناسكهم ، كما جعل الهـــدى والقلائد من أسباب الأمن لهم ، فبهذا تتحقق مصالح دنياهم ، ومصـــالح دينهم .

روى ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن زيد ، قال : كان الناس فيهم ملوك يدفع بعضهم عن بعض ، ولم يكن فى العرب ملوك يدفع بعضهم عن بعض ، فجعل الله لهم البيت الحرام قياما يدفع بعضهم عن بعض به ، والشهر الحرام كذلك يدفع اللـــه بعضهم عن بعض بالأشهر الحرم ، والقلائد ، ويلقى الرجل قاتل أبيه وابن عمه فلا يعرض لـــه .

وهكذا كانت عادتهم فى الجاهلية . لو جنى الرجل كل جناية ، ثم لجـــأ الى الحرم أمن على نفسه وماله ، وكان الرجل لو لقى الهدى مقلدا لم يعرض له ، ولم يقربه مهما بلغ منه الجـــوع ، وكان الرجل إذا أراد البيت تقلد قلادة من شعر فتمنعه من الناس ، وإذا عاد منه تقلد قلادة مـــن بعض نبات الحرم فتحميه من الناس حتى يأتى أهله .

وهذه صور كانت لهم فى الجاهلية مبنية على أصل ، وهو حرمة البيت

الحرام ، وحرمة الشــهر الحرام ، وحرمة الهدى والقــلائد ، ولا يزال الأصل فى الاسلام ثابتا .

والمراد بالشهر الحرام هنا . قيل : ذو الحجة ، وقيل : جنس الشــهر الحرام النسء الذى كان يفعله أهل

ولما كانت هذه الأشياء قياما للناس فى أمور دينهم ودنياهم نهى اللــه سبحانه وتعالى عن إحلالها وذلــك — كما يقول ابن عباس — أن تصيد وأنت محرم ، وأن تقاتل فى الشهر الحرام ، وقيل المراد بإحلال الشــهر الحرام النسىء الذى كان يفعله أهل الجاهلية .

والظاهر ما عليه جمهور العلماء من نسخ هذه الآية ، لإجماع العلمــاء على أن الله عز وجل قد أحلّ قتال أهل الشرك فــى الأشهر الحــرم وغيرها ، وكذلك أجمعــوا على أن المشرك لو قلد عنقــه وذراعيه جميع لحــاء الشجر لم يكن ذلك أمانا لــه من القتل ، إذا لم يكن تقدم له عقــد ذمة أو أمان ، وكذلك أجمعوا على منع من قصد البيت بحج أو عمرة مــن المشركين لقولـــه تعــالى : « إنما المشركون نجس فلا يقربوا المســجد الحرام بعد عامهم هذا » .

والثابت أننا نهينا أن نتعرض لمن يقصد بيت الله من المسلمين فــى الشهر الحرام أو فــى غيره ، وإنما خص الشهر الحرام لزيادة فضل لــه عن بقية الأشهر ، ولله سبحانه أن يفضل من الأمكنــة والأزمنــة على غيرها ما يشاء .

. . . .

وفى سورة التوبة ورد ذكر الأشهر الحرم فى موضعين :

الأول : فى قوله تعالى : « فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجــدتموهم وخــذوهم واحصروهم واقعدوا لهــم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم » .

لما أعلن القرآن الكريم براءة الله ورسوله من المشركين ، وحث المؤمنين على أن يتموا عهد ذوى العهد الــى مدتهم ، إذا لم ينقصوهم شيئا ، ولم يظاهروا عليهم أحدا ، وأمن من لم يكن له عهد أربعة أشهر لا يعــرض لهم المؤمنون أذن للمسلمين أن يقتلوا المشركين حيث وجدوهم ، إذا انسلخت الأشهر الحرم .

وقد اختلف العلماء فى المــــراد بالأشهر الحرم فى هذه الآية ، فقال بعضهم إنها الأربعة الأشهر الواردة فى الآية السابقة ، وهى قوله تعالى : « فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر » وسميت حرما لأن اللــه حرم فيهــا على المؤمنين دماء المشركين ، أى فإذا انقضت مدة الأمان فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد .

وقال آخرون : هى الأشهر الحرم المعروفة ، ومن قال منهم ان هذه الآية نزلت ليلة النحر قال ان المدة المشار اليها هى خمسون يوما ، فإذا انتهى المحــرم جاز للمســلمين أن يفعلوا بالمشركين ما ذكرته الآية الكريمة ، والمراد بالقعود لهم كل مرصد القعود لهم فى مواضع الغــرة لاغتيالهم أو لمعرفة أخبارهم وأحوالهم ، وغدوهم ورواحهم .

الثانى : فى قوله تعالى : « إن عــدة الشهور عند الله اثنــا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا

أن الله مع المتقين إنما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين » .

وفى هاتين الآيتين خلاصة كل ما قيل وما عرف عن الأشهر الحرم . وهما وإن كانتا من آخر القرآن نزولا كانتا معروفتى المعنى عند المسلمين من بدء الدعوة الاسلامية . فالعرب كانوا يعظمون هذه الأشهر . وكان كثير منهم ينكرون النسىء . وقد أقرهم الاسلام على كلا الأمرين .

أما بيان الأشهر بأعيانها فقد ورد فى الحديث الشريف الذى خوطب به المسلمون فى حجة الوداع : (أيها الناس ، إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض . السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم : ثلاث متواليات : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان) .

قال الألوسى فى كتابه (بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب) : زعم يوسف بن عبد الملك فى كتابه (تفضيل الأزمنة) أن هذه المقالة صدرت من النبى — صلى الله عليه وسلم — فى شهر مارس. وهو آذار. وهو برمهات بالقبطية ، وفيه يستوى الليل والنهار عند حلول الشمس برج الحمل ، والمراد بالزمان السنة .

ومعنى كهيئته اى استدار مثل حالته الأولى ، والمراد باستدارته وقوع تاسع ذى الحجة فى الوقت الذى حلت فيه الشمس برج الحمل حيث يستوى الليل والنهار .

واضاف (رجب) الى مضر لأنهم كانوا متمسكين بتعظيمه بخلاف غيرهم . فيقال : إن ربيعة كانوا يجعلون بدله رمضان .

وذكر القرطبى فى تفسيره ان (علماء التعديل قد اختبروا ذلك فوجدوا الشمس فى برج الحوت وقت قوله عليه السلام : (إن الزمان قد استدار كهيئته) بينها وبين الحمل عشرون درجة ومنهم من قال : عشر درجات . والله أعلم) .

والمشهور أن المراد باستدارة الزمان هو رجوع الحج الى تاسع ذى الحجة . وكان ذلك قد تغير بنسىء الشهور . وذو الحجة هو شهره الأصلى . ويقال إن سيدنا أبا بكر حج فى السنة التاسعة من الهجرة فى ذى القعدة . فلما حج النبى — صلى الله عليه وسلم — وافق يوم عرفة التاسع من ذى الحجة . وقد أصبح ذلك دينا وشرعا .

ومعنى فى (كتاب الله) اللوح المحفوظ . أو حكمه التشريعى . وقال الزمخشرى : فيما اثبته وأوجبه من حكمه . ورآه حكمة وصوابا .

« ذلك الدين القيم » يعنى أن تحريم الأشهر الحرم الأربعة هو الدين المستقيم ، دين ابراهيم واسماعيل . وقيل : أى الحساب الصحيح . والعدد المستوفى . وعن ابن عباس : أى ذلك القضاء . قال القرطبى : والأصوب عندى أن يكون الدين ها هنا على اشهر وجوهه . أى ذلك الشرع والطاعة .

والضمير فى (فيهن) راجع الى جميع الأشهر ، وقيل الى الأشهر الحرم ، وعلى الأول فالأمر ظاهر ، اما على الثانى فإن تحريم الظلم فى الأشهر الحرم مع انه محرم فى كل وقت من باب تعظيم الظلم فيها .

وقال بعض العلماء : إن الأنفس بطبعها مجبولة على الظلم والفساد ،

والامتناع عنه على الاطلاق شاق على النفس . لا جرم ان الله خص بعض الأوقات بمزيد التعظيم والاحترام ليمتنع الانسان فى تلك الأوقات من فعل الظلم والقبائح والمنكرات . فربما تركها فى باقى الأوقات فتصير هذه الأوقات الشريفة . والأشهر المحرمة المعظمة سببا لترك الظلم . وفعل المعاصى فى غيرها من الأشهر . فهذا وجه الحكمة فى تخصيص بعض الأشهر دون بعض بمزيد التشريف والتعظيم . وكذلك الأمكنة أيضا .

ومعنى ظلم النفس فيها القتال . وهو منسوخ بإباحة القتال فى جميع الشهور ، أو ارتكاب المعاصى فيها . ولذلك رأى بعض العلماء أن العقاب يضاعف على الذنب فى الشهر الحرام ، كما يضاعف الثواب على العمل الصالح فيه . ورأى الإمام الاوزاعى أن القتل فى الشهر الحرام تغلظ فيه الدية . كما تغلظ على القتل فى الحرم فتجعل دية وثلثا . وهو مذهب الشافعى ايضا أن تغلظ الدية فى البلد الحرام ، وفى الشهر الحرام ، وفى قتل ذوى الرحم . وخالف فى ذلك أبو حنيفة ومالك وأصحابهما فاعتبروا القتل فى الحرم وفى الحل سواء ، وفى الشهر الحرام وفى غيره سواء :

. . . .

وفى الآية الثانية من هاتين الآيتين وصف للنسىء بأنه زيادة فى الكفر ، وبأنه يضل به الذين كفروا ، وأن الذين فعلوه من العرب انتهكوا شعائر الله ، فهم يحلون ما حرم الله ، وقد كانوا يفعلونه على وجه يخيلون به أنهم باقون على شريعة الله ، فإذا أحلوا شهرا حرموا مكانه شهرا آخر ، وبذلك تبقى الأشهر الحرم اربعة . فهى موافقة لما حرم الله فى العدد لا فى الذوات . وهذا معنى قوله سبحانه : (ليواطئوا عدة ما حرم الله) .

وقد كانوا يؤخرون تحريم المحرم الى صفر . فيستحلون المحرم . ويحرمون صفرا . فإذا احتاجوا الى تأخير تحريم صفر أخروه الى ربيع الاول . وهكذا يؤخرون شهرا بعد شهر حتى يستدير التحريم على السنة كلها .

/

وقد اختلفوا فى اول من نسأ الشهور . فروى أنه رجل من بنى كنانة يقال له : (نعيم بن ثعلبة) . وروى أنه رجل من بنى كنانة يقال له : (القلمس) ، قال الشاعر : « ومنا ناسىء الشهر القلمس » ، وروى أن أول من سن النسىء عمرو ابن لحى . .

وكان الناسىء يقوم خطيبا إذا هم الناس بالانصراف من الحج . ويقول : لا مرد لما قضيت ، أنا الذى لا أعاب ولا أحاب (أى لا انسب الى حوب وهو الذنب) ، ثم يقول : إن صفر العام حرام . أو يقول : إن آلهتكم قد احلت لكم المحرم فأحلوه . ثم يقوم فى العام القابل فيقول : إن آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه .

وقد شدد القرآن الكريم النكير على النسأة فوصف فعلهم بأنه (زيادة فى الكفر) ، وختمت الآية الكريمة بوعيد شديد أيضا : (والله لا يهدى القوم الكافرين) فهم كافرون ، والله لا يهدى الى شريعته وحكمه الا المؤمنين ، فهم المستحقون للهداية التى توصلهم الى سعادة الدنيا والآخرة .

محمد بن أمية

صاحب الأندلس

للاستاذ فاضل خلف

أشرقت صفحات التاريخ بذكر أبطالنا الخالدين ، الذين أرسوا قواعد دولة العرب والاسلام فى الاندلس ، أولئك الأبطال الذين اقترنت أسماؤهم بالنصر الباهر والفتح المبين كطارق بن زياد ، وعبد الرحمن الداخل ، وعبد الرحمن الناصر ، ومحمد بن أبى عامر ، ويوسف بن تاشفين ، أولئك الأبطال الذين جاءوا فى شباب دولة الأندلس ، فسرهم الزمان . وهناك أبطال برزوا على مسرح الحوادث ، وكانت الدولة فى هرمها ، فسرهم الزمان مرة وساءهم مرات ، كملوك الطوائف والموحدين ، وأمراء بنى الأحمر . وغيرهم ، ولكن هناك أبطال مجهولون أنجبتهم الأندلس ، بعد أن صوح روض العرب فى تلك الديار ، وغابت عنها شمس الاسلام .

أجل لقد ظهر فى الأندلس ، أبطال

لم يقدر لهم النجاح ، برغـــم كفاحهم المرير ، وجهادهم المتواصل . لقـــد كانت مرابعهم ضاحكة مستبشرة فى عهد الاجداد ، وقد زانتها مآثر العرب ومحامد الاسلام . ولكنها غدت فى عهدهم موحشة كئيبة ، صبغتها الدماء وردتها الدموع ، وألهبت جنباتها نيران الظلم وسعير الاضطهاد . والآن من هم أولئك الأبطـــال المجهولون ؟

وقبل أن نأتى بحديثهم الشجىء ، لا بد لنا من رجعة الى الوراء — أى قبل ظهورهم على مسرح الحيـــــاة ، بستة وسبعين عاما — لنرى أبا عبد الله الصغير ، الأمير محمد بن على ابن نصر ، وهو يسلم مفاتيح غرناطة الى الاســـبان . حسب شروط بلغت سبعة وستين ، منها — كما يحدثنـــا المقرى — فى كتابه نفح الطيب — تأمين المسلمين فى النفس والاهـــل والمال ، وإبقاؤهم فى أماكنهم ودورهم وربوعهم وعقارهم ، ومنها أقامـــــة شريعتهم على ما كانت ، ولا يحـــكم على أحد منهم الا بشريعتهم ، ومنها كذلك — أن تبقى المساجد كما كانت . وقد وقع على وثيقة الشروط الملكان فردينان وايزابيلا ، ووضعا أسميهما تحت هذا القسم :

« نؤكد ونقسم ، وبايماننا وكلامنا الملوكى ، أننا نحافظ ونأمر بالمحافظة على مضمون جميع ما هنا ، من كل شىء وكل جزء ، الآن وفيما بعد الآن وفى كل آن » .

وكان تسليم غرناطة ، فى ٨٩٧ هـ و ١٤٩٢ م ، آخر يوم من أيام الدولة العربية فى الأندلس ، وقد هاجـــر الملك المخلوع ، وهاجر معه كثير من الأندلسيين . وعز على الســــــواد الأعظم ، ترك الوطن الحبيب ، الذى عاش فيه الآباء والاجـــداد ، لا سيما وقد ضمنت لهم وثيقـــــة التسليم ، أهم ما يحتاجون اليه فى حياتهم . تحت ظل الدولة الجديدة ، وهو الامان وحرية المعتقد . وحرية التنقل . ولكن هل يفى الغالب بالشروط ؟ ومن هو الغالب اليوم ؟ انه سليل المغلـــــوب بالامس ، وقد كان فى صراع — هو وآباؤه واجداده — دام ثمانية قرون ، لاجلاء الغالب عن أرضه . وقد تم له ما أراد ، وأصبح العرب فى تلـــك الربوع ، بدون حكومة أو محـــام . وثارت فى نفس الغـــــالب الجديد ذكريات قديمة ، ألهب نيرانها صراع طويل .

واخذ المتغلب الجديد ، يغير نياته بسرعة ، ولم يتمتع بقايا العرب فى الاندلس بالشروط المتفق عليها سوى وقت قصير . ثم بدأ الاسبان ينقضون شروطهم ، حتى لم يبق منهـــا شرط واحد يحتمى به المغلوب . واخـــذت الغارات تتوالى على المسلمين ، بكل قسوة ووحشية ، للتخلى عن دينهم ولغتهـــم . واغـــلقت مدارسهـــــم ومساجدهم ، ومنعوا من اقامــــة شعائرهم الدينيـــــة ، ومناسباتهم الوطنية . وبعد سبع سنوات فقط ، من تسليم غرناطة ، أجبر الأندلسيون على التنصر ، ففر من استطاع منهم الفرار ، وتنصر الباقون خوفـــا من الموت . وفى غمرة هذه الأحـــــداث أحرق الاسبان فى ساحات غرناطـــة أعظم مكتبة عربية فى الأنـــدلس ، وكانت خلاصة الفكر فى ذلك الوطن المفقود .

فاجبر العـــرب المتنصرون علـــى السكن فى أحياء خاصة وحرم عليهم حمل السلاح ، وفرضت عليهم الاقامة الجبرية . وكان جزاء المعارضين منهم التشريد والقتل ، بل لقد كانت المحارق

وزحفت الحامية الاسبانية الموجودة فى غرناطة ، على البشارات لتحطيم الثورة فتصدى لها محمد ابن امية ، برجاله الذين تعاهدوا معه على الموت او الحياة الحرة الكريمة .
وحاول الاسبان أن يجنحوا للسلم ، خوفا من تفاقم الأمر وثورة بقية المدن الاسبانية التى ينتشر فيها بقايا العرب وكان محمد بن أمية يميل الى الصلح — كذلك — تجنبا للعواقب الوخيمة التى ستحل بقومه ، ولكن جنوده الذين ذاقوا الأمرين من السياسة الاسبانية رفضوا الصلح بكل شدة ، فتلاقى الجمعان .
ودارت معركة حامية الوطيس بين الجيشين ، رجحت فيها كفة الجيش الاسبانى المنظم ، وتشتت بقايا الاندلسيين فى جبال البشارات، ومن بينهم أهل بيت القائد محمد بن أمية ، الذى اعتصم بالجبال مع فلول جيشه . هذا ما كان من أمر المعركة فى البشارات فما هو أمر غرناطة التى تضم الوفا من المورسيكيين ؟ لقد خشى الاسبان من حى البيازين العربى الذى كان مركزا للتجمع المورسيكى ، لذلك فقد اتخذت تدابير صارمة ضدهم ، لكى لا يفلت منهم أحد لنجدة الثوار . ونفذ حكم الاعدام فى كثير من أعيانهم ، مما جعل الثوار فى البشارات ينحدرون من مخابئهم فى كهوف الجبال لمواصلة القتال ، والتف الاندلسيون مرة اخرى حول قائدهم الجرىء محمد بن أمية ، الذى أرسل الى القسطنطينية ، والمغرب العربى فى طلب النجدة ، فلباه أهل المغرب ، وجالية تركية كانت موجودة فى المغرب العربى .
وصدم محمد بن أمية الاسبان صدمة عنيفة ، مزقت جموعهم المحتشدة فى سهول البشارات . وقد كان فى عزمه الزحف على غرناطة . ولكنه خر صريعا فى ظروف غامضة . وطويت صفحة « مشرقة » من صفحات البطولة والايثار . فقد كانت سبل العيش ميسرة له ولاولاده من بعده فى اسبانيا ، ولكنه نبذ المركز فى سبيل دينه الاسلامى القديم ، ولغته العربية الضائعة ، وقومه المنكوبين . فخسر مستقبله المعيشى، وقضى على اهل بيته ، بالتشرد والحرمان والمصير المجهول ، ولكنه سجل فى قلب التاريخ، أروع صفحات البطولة والفداء ، ومن المؤسف ان هذا البطل العظيم ليس له أى ذكر فى تاريخ العرب ، ولولا ما كتبه عنه بعض المؤرخين الاوربيين ، وفى مقدمتهم الكاتب الانجليزى ، الدكتور « لى » لاسدل عليه التاريخ ستارا قاتما من النسيان . ❋
وقد بايع الأندلسيون بعد مصرع محمد بن أمية ، مجاهدا آخر ، لا يقل عن سلفه الراحل شجاعة وايمانا بدينه ولغته وقومه . وكان يدعى ابن عبو ، وعندما تقلد زمام الأمور ، تسمى بمولاى عبد الله بن محمد .
وعندما رأى الأسبان صلابة الاندلسيين وعزمهم على مواصلة القتال ، خافوا من ثورة أهل البيازين بغرناطة ، فشتتوهم فى انحاء عديدة من اسبانيا ، فما كان من القائد الجديد ، مولاى عبد الله بن محمد الا ان زحف نحو غرناطة ، ليوقف عمليات التشريد عند حدها ، واستطاع فى الجولات الاولى أن ينتصر على طلائع الاسبان مما جعل الاندلسيين يتدفقون على معسكره من جميع أنحاء البشارات ، ويلتفون حوله ويبايعونه ، على الجهاد المقدس . وأخذ يغير على ضواحى غرناطة . أما الاسبان ، فأخذوا ينظمون صفوفهم ، ويعززون حامياتهم فى المناطق المهددة . ثم

❋ للمزيد من المعلومات يراجع كتاب(نهاية الاندلس) للاستاذ محمد عبد الله عنان.

زحفوا على الاندلسيين ووقعت بين الفريقين مواقع عديدة أبلى فيهـــا الاندلسيون بلاء حسنا . وحـــاول الاسبان وقف القتال بالطرق السلمية. ولكن الثوار . فقدوا كل أمل في وعود وشروط الاسبـــان فصمموا على مواصلة القتال حتى الموت . وتقـــدم الاسبان بجيوشهم نحو الانـــدلسيين ففر من استطاع منهم الفرار الـــى الجبال وعبر من استطاع منهم البحر الى المغرب العربى . وأما الـــذين وقعوا فى قبضة العدو . فقد نالهم البلاء العظيم ، ولم يجد الاسبـــان طريقة للخـــلاص من المورسيكيين سوى نفيهم الى خارج أسبانيا ، وقد صدر هذا القرار فى سنة ١٥٧٠ أى بعد مضى عامين على ثورتهم بقيادة محمد بن أمية . ولكن القرار لم ينفذ ، الا بعد أربعين عاما .

أما مولاى عبد الله بن محمد ، فقد اعتصم بالجبال ليجمع فلوله المبعثرة ، وينظم صفوفه الممزقة ، ولكن الاسبان اهتدوا الى مخبئه ، ووقعت بينـــه وبينهم معركة صغيرة فاصلة ، قاوم فيها حتى خر صريعا فى ميـــدان الشرف ، بعد أن أدى واجبه نحو دينه ولغته وقومه فى الاندلس خير أداء وبعد أن كتب اسمـــه فى سجـــل الخالدين .



مكة والمدينة

في رحلة ابن بطوطة

يعد ابو عبد الله محمد بن بطوطة من أكبر مستكشفى العرب ورحالاتهم وقد بدأ رحلته المعروفة وهو فى الحادية والعشرين من عمره فى أوائل القرن الثامن الهجرى حيث جاب الارض ، وجاس خلال الديار ما يقرب من ثلاثين عاما ، زار فى أولها المدينة المنورة وأدى فريضة الحج .

وقد دون ابن بطوطة وقائع رحلته كلها بما صادفه فيها من غرائب ، وما سمعه من قصص وطرائف وحكايات فى كتابه « تحفة النظار فى غرائب الأسفار » الذى قال فى بدايته :

« كان خروجى من طنجة مسقط رأسى فى يوم الخميس الثانى من شهر رجب الفرد عام خمسة وعشرين وسبعمائة ، معتمدا حج بيت الله الحرام ، وزيارة مدينة الرسول عليه أفضل السلام ، منفردا عن رفيق آنس بصحبته ، وراكب أكون فى جملته ، لباعث على النفس شديد العزائم ، وشوق الى تلك المعاهد الشريفة كامن فى الحيازم » .

وقد خرج ابن بطوطة الى رحلة الحج من دمشق مع حجيجها فى ركب عليه أميره سيف الدين الجوبان ،

للأستاذ عزت محمد ابراهيم

وقاضيه شرف الدين الازدى الحورانى واقام مع الركب فى قرية بصرى التى كان من عادة حجاج دمشق أن يقيموا بها اربع ليال ليلحق بهم من تخلف عنهم ، وهى القرية التى وصل اليها النبى عليه السلام قبل البعثة فى تجارته لخديجة رضى الله عنها ، وفيها مبرك ناقته ، وكان قد بنى عليها مسجد عظيم زمن الرحلة .

ومن قرية « بصرى » اتجه الركب الى « معان » ثم الى « تبوك » الموضع الذى غزاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيها عين ماء كانت تبض بشىء منه ، فلما نزلها الرسول وتوضا منها جاءت بالماء المعين غزيرا يتدفق تدفقا وينثال انثيالا .

وذكر ابن بطوطة أنها كانت على هذه الحال فى عهده .

وعندما وصل الحجيج المدينة المنورة ، وقفوا بباب السلام مسلمين وصلوا بالروضة الكريمة بين القبر والمنبر « حامدين لله تعالى على البلوغ الى معاهد رسول الله الشريفة ومشاهده العظيمة المنيفة ، كما يقول صاحب الرحلة .

ووصف ابن بطوطة المسجد النبوى الشريف على زمانه فقال : إنه مستطيل ، تحف من جهاته الاربع بلاطات دائرية ، ووسطه صحن مفروش بالحصى والرمل ، ويدور بالمسجد الشريف شارع مبلط بالحجر المنحوت ، والروضة المقدسة فى الجهة القبلية مما يلى الشرق فى المسجد الشريف .

وتحدث عن بناء الرسول لمسجده فقال : إنه نزل على بنى النجار بدار أبى أيوب الأنصارى بعد قدومه عليه السلام الى المدينة فى الثالث عشر

من ربيع الأول ، فأقام عنده سبعة أشهر ريثما بنى مساكنه ومسجده ، وكان موضع المسجد مربدا لسهل وسهيل ابنى رافع بن أبى عمر ، وكانا يتيمين فى حجر أسعد بن زرارة، فابتاع الرسول ذلك المربد منهما ، وقيل : إنهما وهباه له .

وتحدث عن محراب المسجد فقال: إن أول من بناه هو مروان بن الحكم ، أو عمر بن عبد العزيز فى خلافة الوليد ، على خلاف فى ذلك .

أما منبر المسجد فقد صنع زمن الرسول عليه السلام ، بعد أن كان يخطب الى جذع نخلة ، واختلفت الروايات فيمن صنعه ، فقيل : إنه تميم الدارى ، وقيل : إنه غلام للعباس رضى الله عنه ، أو غلام لامرأة من الأنصار .

وذكر ابن بطوطة أن معاوية بن أبى سفيان حين ولى الخلافة اراد نقل المنبر الى الشام فضج المسلمون وأظهروا استياء عظيما ، وأنه هبت ريح صرصر عاتية ، وخفت الشمس، وظهرت النجوم نهارا ، وأظلمت الأرض حتى كان الناس لا يرون بعضهم بعضا ، فلما رأى معاوية ذلك رجع عما كان قد انتوى ، وترك المنبر مكانه .

وكان إمام المسجد فى عهد دخول ابن بطوطة المدينة هو بهاء الدين بن سلامة من أهل مصر ، وكان يخطب به قبل عهده سراج الدين عمر المصرى الذى أقام على قضائها أربعين سنة ، وقد ذكر ابن بطوطة عنه حكاية قال فيها : إنه رأى فى المنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهاه عن السفر ومغادرة المدينة الشريفة ، وانباه باقتراب أجله ، فلم ينته ، وخرج منها قاصدا مصر ، فمات فى الطريق ((فى موضع يقال له سويس على مسيرة ثلاث من مصر)) كما يقول :

ومن المشاهد الكريمة فى المدينة المنورة التى تحدث عنها ابن بطوطة ((البقيع)) بشرقى المدينة ، ومسجد قباء ، على نحو ميلين منها ، وقال عنه : إنه مسجد مربع فيه صومعة بيضاء طويلة تظهر على البعد ، وفى وسطه مبرك ناقة النبى عليه السلام وفى الجهة القبلية من صحنه محراب على مصطبة هو أول موضع ركع فيه النبى صلى الله عليه وسلم .

وكانت بعثة حجاج دمشق ومعها ابن بطوطة تبيت كل يوم فى المسجد النبوى الشريف ، حيث يرى الناس وقد تحلقوا فى صحن المسجد يتلون القرآن الكريم أو يذكرون اسم الله عزوجل ، وظل على تلك الحال حتى قصد مكة المكرمة اداء لفريضة الحج .

وقد قصد ابن بطوطة البلد الأمين مبتدئا بمسجد ذى الحليفة لابسا ثياب الإحرام ، ثم مارا بعد ذلك ببدر ، ورابغ ، وخليص ، حتى وصل الى البلد الحرام الذى شرفه الله بزيارته مدونا فى رحلته قوله :

((الحمد لله الذى شرفنا بالوفادة على هذا البيت الكريم ، وجعلنا ممن بلغنا دعوة الخليل عليه الصلاة والتسليم ، ومتع أعيننا بمشاهدة الكعبة الشريفة ، والمسجد العظيم ، والحجر الكريم ، وزمزم والحطيم)).

وتحدث ابن بطوطة عن فرحة حجاج بيت الله الحرام باداء هذه الفريضة مع ما يلاقونه فى سبيلها من مشاق ، وما يتجشمونه من متاعب قد لا يستطيع الناس اليوم أن يقدروا مداها ، بعد أن يسر الله من أمر الحج ما كان صعبا عسير الاحتمال ، فلم يعد حجيج اليوم يكابدون من المشاق ما كان يكابده غيرهم فى ازمان سابقة من جهد وتعب ، بل تعريض الأنفس والأرواح

لخطر الموت أو عاديات الطريق .
وبالرغم من كل ما كان يعترض الحجاج من مصاعب ، فإنهم لا تكاد أعينهم تكتحل برؤية الكعبة المشرفة حتى ينسون آلامهم ، ويرفعون الى الله أيدى الضراعة والرجاء أن يكون لهم حظ فى زيارة أخرى ، أو أن يكتب الله لهم ميتة حميدة فى أرضه المباركة .
ويذكر ابن بطوطة شعور الحجاج عند الكعبة المشرفة بقوله :
((كم من ضعيف يرى الموت عيانا دونها ، ويشاهد التلف فى طريقها ، فاذا جمع الله بها شمله ، تلقاها مستبشرا كأنه لم يذق لها مرارة ، ولا كابد محنة ولا نصبا)) .
وكانت مكة المكرمة على عهده مدينة كبيرة مستطيلة فى بطن واد تحف به الجبال المطلة عليها ، وهى كذلك منذ أراد الله أن يتخذ منها مثابة للناس وأمنا ، وأكثر أحيائها المعروفة اليوم كانت موجودة زمن رحلته ، فقد تحدث عن شعبى أجياد الأكبر ، وأجياد الأصغر من جهة جبل أبى قبيس ، كما ذكر أبواب مكة الثلاثة : باب المعلى بأعلاها ، وباب الشبيكة فى أسفلها ، وباب المسفل (وهو اليوم المسفلة) من جهة الجنوب ، وهو الباب الذى دخل منه خالد بن الوليد يوم الفتح ، والزاهر من الأحياء التى تحدث عنها ابن بطوطة فقال
((إنه على نحو ميلين من مكة على طريق التنعيم ، وهو موضع على جانبى الطريق ، فيه أثر دور وبساتين وأسواق)) .
كما ذكر مقبرة المعلى ، ويعرف موضعها بالحجون ، وهو الذى قال فيه الحارث بن مضاض الجرهمى بيتيه المشهورين :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فابادنا
صروف الليالى والجدود العواثر

واذا كان ابن بطوطة قد عد مكة المكرمة ((مدينة كبيرة)) فانما كان ذلك بمقياس زمانه ، وهى لم تكن تزيد مساحة عما بين ((الحجون الى الصفا)) ، وهى اليوم مدينة كبيرة حقا ، قد اتصلت أحياؤها بعضها ببعض ، فلم يعد الزاهر موضعا على نحو ميلين منها ، وانما اتصل بها اتصالا وثيقا ، واصبح فى مواضع آثار الدور والبساتين والاسواق عمارات شاهقة ، وحدائق غناء ، وشوارع رحبة فسيحة ، وشأن الزاهر من أحياء مكة شأن غيره من الاحياء ، حتى كادت حدود مكة المكرمة أن تصل الى مشارف منى .
ويقول ابن بطوطة : إن الفواكه والثمرات والخيرات كانت تجلب الى مكة المكرمة ((لطفا من الله بسكان حرمه الأمين ، ومجاورى بيته العتيق)) .
ذكر : أنه قد أكل بها من الفواكه والعنب والتين والخوخ والرطب مالا نظير له فى الدنيا .
ومن عجائب الكعبة المشرفة التى تحدث عنها صاحب الرحلة والتى لاتزال تشاهد حتى اليوم — وستبقى إن شاء الله ما بقيت الحياة الدنيا — ما يكون من الطواف حولها ليلا ونهارا لاينقطع فى ساعة من ساعات اليوم ، وهذا الحمام الآمن الذى يملأ كل أركان الحرم وجنباته ، ولا ينزل على الكعبة ولا يمر من فوقها فى طيرانه .
ومثل هذا الذى ذكره ابن بطوطة ذكره الثعالبى فى كتابه ((لطائف المعارف)) فقال : إن من خصائص الحرم ((أن الطير اذا حازت الكعبة انفرقت فرقتين ولم تعلها ، وأن لا يسقط عليها حمام الا وهو عليل)) .
ولا نستطيع ان نجد لذلك تعليلا الا

ان يكون ذلك تشريفا من الله عز وجل لبيته الكريم أول بيت وضع للناس ، ودليلا ملموسا على ما لهذا البيت الطاهر من منزلة كريمة عند الله جل شأنه ، لايستطيع ان ينكرها منكر ، ولا ينفع في إنكارها إنكار منكر .

ويصف ابن بطوطة الكثير من عادات أهل مكة وأخلاقهم ، ومنها عطفهم على الفقراء والمحتاجين ، وحسن جوارهم للغرباء ، وأنهم اذا أقام أحدهم وليمة بدأ فيها بالطعام الفقراء المجاورين لبيت الله الحرام .

ويتحدث عن اعتمارهم في شهر رجب فاذا هل هلاله ضربت الطبول إشعارا بمقدمه ، وقد كانوا يحتفلون بهذه العمرة احتفالا كبيرا ، فكانت الشوارع تغص بالهوادج الضافية الأستار التى تكاد أن تمس الارض ، فهى كالقباب المضروبة ، وعليها اكسية الحرير والكتان الرفيع ، والجمال مزينة بقلائد الحرير .

ويخرج الناس بهذه الهوادج الى ((التنعيم)) فتسيل بها أباطح مكة ، والنيران مشتعلة على جانبى الطريق وهم يهللون ويكبرون ، حتى اذا قضوا العمرة ، وطافوا بالبيت ، خرجوا الى السعي بين الصفا والمروة .

وكانت هذه العمرة تسمى عندهم بالاكمية نسبة الى أكمة عائشة رضى الله عنها التى كانوا يحرمون عندها ، وأصلها أن عبد الله بن الزبير رضى الله عنه بعد أن فرغ من إعادة بناء الكعبة خرج ماشيا حافيا معتمرا ومعه اهل مكة فى السابع والعشرين من رجب ، وانتهى الى الاكمة فاحرم منها ، وتبعه الناس على ذلك .

ومما ذكره ابن بطوطة وله قيمة تاريخية ما كان مكتوبا فى أعلى البلاط الغربى من المسجد الحرام من أن ((عبد الله محمد المهدى أمير المؤمنين قد أمر بتوسعة المسجد الحرام لحاج بيت الله وعمارته فى سنة سبع وستين ومائة)) ، وأنه كان فى خزانة المسجد نسخة من المصحف الشريف بخط زيد بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه ، مكتوبة سنة ثمانى عشرة من وفاة النبى عليه السلام .

وكان من المجاورين لبيت الله الحرام فى ذلك الزمان أبو العباس ابن محمد مرزوق الذى استرعى انتباه ابن بطوطة بكثرة طوافه فى شدة الحر ، والمطاف مفروش بالحجارة السوداء التى تحيلها حرارة الشمس الى مثل الحديد المحمى ، ومنهم أبو بكر الشيرازى الذى عرف بالصامت لإقامته أعواما بمكة لا يكلم الناس إلا رمزا ، ومكث ابن بطوطة فى مكة حتى انتهى موسم الحج فغادرها فى عشرين من ذى الحجة فى صحبة أمير حج العراق ، البهلوان بن محمد الحويح فى طريقه الى بغداد مكملا رحلته الطويلة التى جاب فيها الآفاق وشاهد البلاد والأمصار .



نظافة الحج

يجب أن تكون من جميع الوجوه

محمود فؤاد

للدكتور : محمد محمد ابو شوك

تعودنا فى نهاية موسم الحج من كل عام أن نسمع تلك العبارة التى تطمئن لها نفوس الحجاج ، وتفرح بها قلوب المسلمين فى أنحاء العـالم الاسلامى بأن الحج هذا العام كان نظيفا من الامراض الوبائية ، وأن جميع الحجاج يتمتعون بصحة جيدة .. وتطوى الصحيفة ، ويبدأ الحجاج فى رحيلهم الى أوطانهم ، ويعودون ، فاذا كل منهم يحكى الى جانب فرحته بأداء الفريضة ، وما عاينه فى الاراضى المقدسة من متعة روحية تفوق لذائذ الدنيا ومتاعها ، والمواقف التى وقفها مستمتعا برضوان الله ومغفرته .. الى جانب رؤيته لاخوانه الحجاج من كل فج عميق بسماتهم المختلفة ولغاتهم الكثيرة وقد آخى بينهم الايمان ووثق عرى وحدتهم الاسلام ، وجمعهم فى مهابط الوحى الشوق الى مغفرة الله والوفاء لرسوله الكريم .. يحكى الى جانب هذا قصة مرضه ، وما عاناه أثناء الحج ، وكل ما كان يكتنفه من صعاب ، ويسـمع الحاج القول المـأثور من أهله وذويه : « حمد الله على سلامتك » وعلى قدر المتاعب يكون الأجر ، وعود حميد إن شاء الله ، ويحاول أن ينسى الحاج ويتناسى ، ويسدل الستار دون ما نقد صريح يوجه جريا وراء اصلاح أو تقدم سريع يهيىء لكل حاج الجو الصحى اللائق لأداء هذه الشعيرة المقدسة .

ورغم ما يلاحظ الحاج من تقدم فى مشاريع عمرانية ضخمة تقام وطرق جديدة تشق ، ووسائل للمواصلات مريحة ، وتوافر الحاجيات التى يحتاجها كل حاج ، وما يشعر به كل حاج من أمن وطمأنينة ، كل هذا يسير سيرا حسنا ، ولكن هذا شىء وما نصبوا اليه من وسائل عدة تجعل

الحج بحق حجا نظيفا — وتهيىء الجو الصحى الذى لا يساعد على نشر الامراض غير الوبائية مثال — النزلات الشعبية ، الالتهاب الرئوى ، الاسهال ، ضربات الحر فى الصيف ، التهاب سحايا المخ ، النزلات المعدية وغيرها . .

ترى كيف تقوم على تهيئة هذا الجو الصالح الذى يفيد جميع الحجاج من شتي أنحاء العالم الاسلامى . . ؟ ولكى نصل الى ما نتمنى لا بد لنا من سعة صدر — وأخذ الأمور أخذا سليما — وتخطيط شامل دقيق على المدى القريب والمدى البعيد — فالحج وان كان فى هذه الأيام يقتصر على ما يقرب من المليون نسمة ، فماذا يا ترى سيكون بعد سنين عدة . . ؟ لا بد وانه سيكون عدة ملايين ، ولا يمكن أن نستوعب هذا العدد الضخم بالوسائل المرجوة الصحيحة السليمة الا اذا قمنا بتخطيط دقيق .

وفى عرض هذا لا أريد أن أشوه هيبة الحج أو أنحو بلائمة على هذا أو ذاك . . ولكن ذلك غيرة من مسلم على دينه حتى لا يقال كما يقال « أهكذا هو الدين الاسلامى ، لا نظام ولا صحة ولا تقدم » والاسلام من كل هذا براء ، فالعيب فينا نحن وليس فى الاسلام ، فالاسلام كما يعلم الجميع دين صحة ، دين نظافة ، وهذه آيات القرآن واحاديث الرسول ماثلة أمام أعيننا لا تخفى على كل ذى بصيرة « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد » « ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » .

وفى الحديث : ان الله تعالى طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود ، فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود . .

ولكى نجعل الحج فى المستوى اللائق به لا بد أن يكون ذلك على أكتاف الفرد الحاج ، وعلى أكتاف الهيئات القائمة على هذا الحج .

فهناك واجبات مقدسة يجب على كل حاج أن يتقيد بها بما فى ذلك التطعيم ضد الامراض المعدية وعليه أن يكون واعيا وداعيا من الناحية الصحية ، فلا يلبس الا نظيفا ، ولا يأكل الا نظيفا ، ولا يشرب الا نظيفا ويبتعد كل البعد عما يضر بصحته وصحة الآخرين متوخيا فى ذلك قول الرسول الكريم « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

وبعض ما نراه اليوم إن دل على شىء فإنما يدل على تدهور الوعى الصحى لدى الحجاج — فترى منهم من يتعمد ويلبس ملابس قذرة بالية ، معتقدا أن هذا هو الزهد فى الحياة — ولكن ليس هذا زهدا — بل هى الأدران والأوساخ التى تساعد على انتشار الامراض — وهذا الذى يلبس الملابس البالية الممزقة ويدعى أنه لا يرغب فى المتاع الزائل ليس من الاسلام فى شىء ، فالاسلام يحث على أن يكون المسلم نظيفا فى ملبسه ومأكله ، حسن الهندام ، عف اللسان ، جميلا فى كل شىء فالله جميل يحب الجمال . .

بهذه الروح الطيبة ، وبالحرص على نظافة الفرد تكون نظافة الحج . . ثم رمى القاذورات فى الشوارع والطرقات دون وضعها فى سلال المهملات ، أشياء نهانا الدين عنها ، وأمرنا باماطة (الوسخ) عن الطريق ، وفى الحديث : حملك عن الضعيف صلاة ، وانحاؤك الأذى عن

الطريق صلاة . ثم الذبح فى الطرقات وترك الذبائح بها تنشر الروائح الكريهة ، وتجلب الذباب الذى يساعد على انتشار الامراض ، كلها منافية للدين الحنيف وتعرض المسلمين الى أمراض هم فى غنى عنها اذا تحروا النظافة . وقضاء الحاجة فى الأماكن غير المخصصة لذلك اهانة لانسانية الحاج الذى حتى لا يتمثل بالحيوان الذى يحفر ليقضى حاجته ثم يزيح التراب ليغطيها ، والبصق فى الطرقات والمساجد وعند بئر زمزم عادات سيئة يجب أن يبتعد عنها الحاج . وتعاليم الدين ووصاياه فى هذه الناحية معروفة ومشهورة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من آذى المسلمين فى طرقهم وجبت عليهم لعنتهم » وقال : اتقوا الملاعن الثلاث : البراز فى الموارد وقارعة الطريق والظل . .

ويا حبذا لو زودت كل دولة اسلامية حجاجها بالمعلومات الصحية حتى يكونوا على وعى صحى متكامل . وليكونوا قدوة لغيرهم ، فيعم النفع ويفخر كل مسلم بنظافة الحج . .

وهؤلاء الذين يندسون وسط الحجيج بما على أجسادهم من ملابس قذرة ، كاشفين عاهاتهم للحجاج ليستدروا عطفهم ، ويجمعوا ما شاءوا من صدقات ــ لا يتورعون عن أى شىء ، هم فى الحقيقة وصمة فى جبين الحج ــ وكأن المسلمين ضاقوا ذرعا فلا ملاجىء تأوى ذوى العاهات حقا ، ولا ضربا على أيدى الذين يأخذون التسول مهنة لهم ، ورحم الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حين كان يضرب هؤلاء بدرته المشهورة حاثا على العمل قائلا : « لا تمت علينا ديننا » فالاسلام من التسول براء .

ثم واجب على كل مسلم يكون بــه أذى أن يعــرض نفسه علــى الطبيب للعلاج لا أن يترك نفسه ويعدى الآخرين وما تلك النزلات الشعبية والصدرية التى تصيب الحجاج بأعداد هائلة الا نتيجة عدم علاج أشخاص قلائل أهملوا أنفسهم وبقوا وسط اقرانهم فتسببوا فى تفشى المرض بينهم ، فاذا أهمل الحاج نفسه وجب على من معه أن يأخذوه للعلاج حتى يتقوا شر مرضه .

وحتى لا نكون متجنين على الحــاج يجب أن تهيىء له الظروف الملائمة التى تسهل له مهمته وتضمن له الجو الصحى المناسب فاذا طالبناه بألا يقضى حاجته فى الشوارع والطرق ، يجب أن نهيىء له الاماكن الصحية الملائمة لقضاء الحاجة عددا ونظافة وصــيانة . واذا قلنا له لا تقذف بالاوساخ فى الشوارع والطرقات وجب أن نعد له سلال المهملات مثلا .

وأن نعنى باعداد الحمامات والمنافع العامة فى (أبيار على) حيث يقوم الحجاج بالقيام بالاحرام ــ فتراهم ينتشرون فى الخلاء ، ويقضون حوائجهم هنا وهناك ، ويغتسلون فى أى مكان يحلو لهم . أو فى دورات مياه قليلة غير صحية . فماذا لو أقمنا فى هذا المكان الفسيح مائة أو مائة وخمسين حماما ودورة مياه مزودة بما يحتاجه الحاج من ماء نظيف ، ولنقم عليها من يصونونها من العبث والاستهتار ، وانسداد مجاريها ، والتعهد

بالصنابير ، وحمامات المياه والاعتناء الجيد بنظافتها ، واستبدال ما فسد منها ، بذلك نضمن دورات مياه بحمـــــاماتها للحجاج فى هذه المنطقة الهامة . .

ثم الاعتناء والاكثار من دورات المياه بجوار الحرمين الشريفين ، بذلك نكون قد هيأنا للحاج ما يلزمه فى هذا المجال ، وان قام بعمــــل يتنافى والقوانين الصحية كان العقاب له لانه حطم القوانين وعرض صحة الحجاج القوانين وعرض صحة الحجاج للضرر والخطر . وبهذه المناسبة يجب أن يكون عدد سلات المهملات أكثر عددا فى الحرمين وما حولهما وفى الشوارع حتى يجد الحاج المكان الذى يلقى به بالمهملات ، وأن يحافظ على هذه الاماكن المقدسة وعلى قدسيتها لا أن نتركها للناس يعبثون بها كيفمـــا يشاءون وتحضرنى فى هذه المناسبة كيف تبدو مدينة الفاتيكان ، مدينة البابا من الأبهة والنظافة والعناية بها ، فما بالنا ونحن فى بيت الله وفى بيت رسول الله أشرف خلق الله .

ثم طريقة شرب الماء من (القلل) حبذا لو قضينا عليها وقمنا بوضع حنفيات خاصة تعمل أوتوماتيكيا وتعطينا ماء باردا فى الصيف وتستعمل معها أكواب من البلاستيك التى لا تستعمل الا مرة واحدة وترمى ، بذلك نكون قد قضينا على نقل العدوى بواسطة الماء والاستعمال للاناء الواحد بواسطة أفراد عدة قد يكون من بينهم من هو مصاب بمرض معد فيصيب الآخرين ، ولقد شاهدت مثل هذه الحنفيات فى الحرم المكى ولكن عددهـــا قليل جدا ويربط كوب واحد فيها للاستعمال ، فلا بد أن نكثر من عـــددها كما قلت ونعممها فى الحرمين الشريفين .

ولا أظن أن هناك عقبة كأداء مثل التى تواجه الحاج فى سكنه أيام الحج فترى المطوف يكدس الحجاج فى حجرات ضيقة وفى خيام ضيقة ، واماكن غير صحية ، وماذا ننتظر والحالة هذه ، اذا مرض حـــاج وسط عشرين حاجا بمرض معد فتكون النتيجة أن يصاب معظم من حوله .

ولا بد أن هذه المشكلة تواجه المسئولين وتزداد حدتها عاما بعد عـــام وسيأتى الوقت الذى يستعصى حلها ، عندما لا يجد الحجاج أماكن لهم لايوائهم فيضطرون أن ينتشروا فى الشوارع ويبيتوا فى الطرقات ــ والامل معقود على أن يخطط لهذه المشكلة تخطيطا دقيقا . ولست أدعى أنى ملم باطراف هذه المشكلة ولكن كمسلم غيور لماذا لا تنشأ عمارات سكنية صحية حـــــول مكـــــة والمدينــــــة وفـــــى منــــــى وعرفـــــات تقـــــام فيهـــا المبانى والخيـــام عـــلى النظـــام الصحـــى الحـــديث يـــأوى اليها الحجاج كل سنة ولا بد أن تساهم الدولة والمؤسسات فى هـــذا المشروع لراحة الحجاج ولعل قائلا يقول بذلك نقضى على أرزاق المطوفين والفنادق ــ والرد على ذلك ان اصحاب الفنادق لا يريدون أن يزيدوا فى عددها لاحساسهم انها تعمل فقط لعدة شهور على مدار السنة فلا جدوى

من زيادتها ـــ علما بانهم لو حسبوا لذلك حسابا ما كان يجب أن يكـــون ذلك عقبة فى بناء الفنادق ، فهذه الفنادق فى لبنان مثلا فى الجبل تعمــــل مدة الصيف فقط ونجد أن عددها يزيد عاما بعد عام لان أصحابها يعملون حسابهم ويربحون فى مدة الصيف ما يكفيهم طوال العام ـــ فما بال الفنادق القليلة بالمدينة انى أراها لتعمل اكثر من نصف العام اذ أن الاعـــداد تزداد لقضاء العمرة فى الشهور الاخرى من السنة عدا أشهر الحج ، ثم لتبقى أرزاق المطوفين من تعهدهم بالطواف بالحجاج ولارشادهم الى الاماكن التى يحســـون أن يشاهدوها ـــ ويأخذون على ذلك الاجر الذى يكفيهم ونحمــــل عنهم عبء ايواء الحجاج .

واقامة هذه البنايات الكبيرة يسهل الامور كثيرا فى الحج ، فيكون الاشراف الصحى دقيقا ـــ وتكون المحافظة على سلامة الحجاج ومعرفتهم بسهولة ومعاونة بعضهم البعض أسهل ومعالجتهم فى متناول البعثات الصحية المرافقة لهم أسهل وايسر . ونقلهم بالمواصلات المنظمة وشـــق الطرقات الحديثة تخلق جوا صحيا وحضاريا بديعا يليق بعظمة الامـــــة الاسلامية ـــ والاشراف الصحى الدقيق على كل المرافق من أهم الاسباب التى تقلل من نسبة انتشار الامراض . فالاشراف على المطاعم والمحـــلات التى تبيع المأكولات ـــ والمأكولات التى تباع للحجاج . والاشراف عــــلى الحجاج وكل ما يتعلق بهم ـــ والتأكد من نظافتهم فى حلهم وترحالهم ـــ ومعالجة مرضاهم والاشراف الصحى على المطوفين ومن يتبعهم ومعاقبة كل من يسىء الى الصحة العامة والنظافة ، كل ذلك لا بد وان يقلل مـــن الاسباب التى تسىء الى هيبة وقدسية الحج .

ولكى يساهم الحجاج جميعا فى مثل هذه المشروعات وغيرها ولرفع المستوى الصحى وتجميل المدن المقدسة فانه لا مانع من فرض ضريبة أكثر على الحاج بحيث تصرف فى هذه المشاريع ويستفاد ممن له دراية فى السياحة وتنظيم المدن والطرقات من الدول الاسلامية ـــ لكى يساهموا بل ويشرفوا على انجاح هذه المشاريع الهامة ، فالدين دينهم والمدن المقدسة مدنهم جميعا لا فرق بين عربى وغير عربى بل كلهم مسلمون وهم أمام الله سواء ولا يقولن احد ان الحاج فقير ـــ فالحج لمن استطاع اليه سبيلا ولا نريد حجاجا يذهبون الى الاراضى المقدسة ليتسولوا بل ليساهموا فى كل عمل للخير والرخاء مصداقا لقوله تعالى على لسان نبيه ابراهيم «واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام » ـــ

هذه بعض الافكار سقتها لعلى بذلك أكون قد أسهمت فى أن أضع أمام أخوانى الحجاج وأمام المسئولين ما يجيش بصدرى كمسلم غيور على دينه يتمنى للامة الاسلامية الرفعة والرقى وحتى يقال بحق أن الاسلام دين نظافة ودين علم ودين الله فى الارض لخير البشر والبشرية جمعاء .

فنية لشبونة المغررون

للدكتـــور :
عبد الرحمن على الحجى

الحضـــارة الاســـلامية مليئـــة بالصفحات الناصعة ، وما أكثر مـــا فيها من مجهـــول يقتضى الجهـــود الضخمة لاخراجـــه للنور ، وهـــذا الموضوع ما يزال جديدا على البحث والدراســـة . وقد شـــملت هـــذه الحضارة كافة الجوانب الحياتية التى تدل على تقدم الانسان ماديا وروحيا، وأوضح ما يكون ذلك فى الحضـــارة الأندلسية ذلك المعين الفياض الذى ارتوى الغـــرب منه لقرون ، وأفاد أكبر فائدة فى بناء حضارته الحالية ومهد للكثير مما حققه .

وللنشاط الجغرافى حظ وافر فى هذه الحضارة ، واسهام المســـلمين الكبير فى هذا العلم معروف بما فى ذلك الكشوف الجغرافية التى سبق بها المســـلمون غيرهم ، أو تحطيمهم لبعض الآراء الجغرافيـــة التى غدت منذ قرون — فى صمتها — كالعقائد . فجهودهم الجغرافية البرية والنهرية منها والبحرية عظيمة صـــادقة أدت الى كثير من الكشـــوف الحـــديثة ، والأمثلة على ذلك كثيرة غاية الكثرة .

فسليل الأسود شهاب الدين أحمد ابن مجاد (المتوفى بعد سنة ٩٠٤ هـ — ١٤٩٨ م) يعتبر من كبار البحـــارة المسلمين ، ومن العلماء الأوائل فى الملاحة البحرية . فله مايقارب الاربعين مؤلفا فى هـــذا الفن ، تقـــوم على البحرية والخبرة اضافة الى الدراسة والملاحظة ، لذلك لقب بـ (أسد البحر)

ولقد كان البحارة في البحر الأحمر والمحيط الهندى حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى قبل أن يبحروا ، يقرأون الفاتحة لروح الشيخ ابن ماجد اعترافا بفضله (١) وهو مخترع الابرة المغناطيسية وهو الذى أطلع فاسكودى غاما الرحالة البرتغالى (الذى ينسب اليه اكتشاف طريق جديد للهند عن رأس الرجاء الصالح) على بعض الخرائط والمعلومات ، وهو الذى كان دليل دى غاما (الذى نعرف عنه أكثر مما نعرف عن ابن ماجد) وقاد سفينته فى سنة ٩٠٤هـ — ١٤٩٨ م من مالندى فى كينيا على ساحل أفريقيا الشرقية الى كاليكوت فى الهند .

وكثير من الذين يتحدثون عن اكتشاف هذا الطريق الجديد الى الهند يذكرون دى غاما وينسبونه اليه لكنهم ينسون أو يجهلون « المعلم » أحمد بن ماجد الذى هو أحرى بلقب مكتشف طريق الهند (٢) لافاسكودى غاما . ومن يدرى فلولا الشيخ ابن ماجد لتأخر هذا الكشف السنوات الطوال ولما كان لدى غاما مثل هذا الشأن .

ولا يستبعد أن الجغرافيين المسلمين قد تخيلوا وجود أماكن أو قارات كأميركا قبل اكتشافها بقرن ونصف قرن . فقد ذكر ابن فضل الله العمرى (المتوفى سنة ٧٤٩ هـ — ١٣٤٩م) نقلا عن أبى الثناء الاصفهانى قوله : « لا أمنع أن يكون ما انكشف عنه الماء من الأرض من جهتنا منكشفا من الجهة الأخرى . واذا لم امنع ان يكون منكشفا من تلك الجهة لا امنع أن يكون به من الحيوان والنبات والمعادن مثلما عندنا أو من أنواع وأجناس أخرى (٣) »، وربما كانت لهم محاولات فى هذا الشأن ، وهذا ما دفع بعض الباحثين الى القول بأن المسلمين هم مكتشفو أمريكا قبل كريستوف كولومبس بزمن طويل خاصة بعد ثبات انتقال نباتات الى العالم الجديد لم تكن معروفة فيه من قبل (٤) . وعلى كل حال فان كولومبس الايطالى لم يتخيل وجود أمريكا بل تخيل فقط وجود طريق جديد يوصل الى الهند عن طريق الغرب فاكتشف العالم الجديد عن غير قصد منه سنة (٨٩٨هـ —١٤٩٢م) ولا بد أنه اطلع على مناشط المسلمين وتجاربهم وأفاد من دراسات الجغرافيين الأندلسيين كأبى عبيد البكرى (المتوفى ٤٨٧هـ — ١٠٩٤م) والادريسى (المتوفى ٥٦٠هـ — ١١٦٥م) ومن خرائطهم ووسائلهم الملاحية الأخرى . كما لا بد أنه كان على علم بقصة استكشافية بحرية قام بها بعض مسلمى الأندلس . وتعتبر هذه القصة طريفة غاية الطرافة . ومن عجب أننا لا نجد لهذه القصة ذكرا فى الكتب التى وصلتنا الا عند الشريف

الادريسى فى كتابه « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » (٥) .

وخلاصة هذه القصة الطريفة أنه فى القرن الثالث الهجرى قامت جماعة اندلسية بمخاطرة جريئة للكشف عن سر المحيط الأطلسى الغامض وتبديد المخاوف التى بالغ القدماء فى تجسيمها .

ففى مدينة لشبونة (عاصمة البرتغال حاليا) اجتمع ثمانية رجال مغررين — أو هكذا أطلق عليهم — واتفقوا على خوض بحر الظلمات . (المحيط الاطلسى) ليعرفوا ما فيه والى أين انتهاؤه . فأنشأوا مركبا وملؤوه من الزاد والماء مؤونة تكفيهم لأشهر . فركبوا البحر فى أول هبوب الريح الشرقية وبعد احد عشر يوما من ابحارهم وصلوا مكانا عنيف الموج كدر الروائح كثير الصعوبات قليل الضوء حتى ايقنوا بالموت ، فغيروا خط سيرهم الى الجنوب . وبعد اثنى عشر يوما وصلوا جزيرة الغنم فنزلوها ووجدوا فيها من الغنم ما لا يحصى ، وهى سارحة .. لا راعى لها ولا ناظر اليها ، كما وجدوا عين ماء جارية وعليها شجرة تين برى ، فأخذوا من تلك الغنم وذبحوها ولكنهم وجدوا لحمها مرا فحملوا معهم من جلودها وعادوا الى مراكبهم . ثم ساروا فى اتجاه الجنوب اثنى عشر يوما حتى لاحت لهم جزيرة ذات عمران . فقصدوا اليها ليروا ما فيها . فما كان غير بعيد حتى احيط بهم فى زوارق هناك ، فأخذوا وحملوا فى مراكبهم الى مدينة على ساحل الجزيرة ، فشاهدوا رجالا شقرا سبطة شعورهم ، طوال القامة ، ولنسائهم جمال عجيب فاعتقلوا ثلاثة أيام ..

وفى اليوم الرابع جاء ترجمان الملك وكان يعرف العربية فسألهم عن حالهم ولم جاءوا وما بلدهم .؟ فأخبروه خبرهم فوعدهم خيرا .. وفى اليوم التالى احضروا بين يدى الملك . فأعادوا عليه قصتهم فضحك . وقال للترجمان : خبرهم ان ابى امر قوما من عبيده بركوب هذا البحر وانهم جروا فى عرضه شهرا الى ان انقطع عنهم الضوء فانصرفوا من غير جدوى .. ثم عاد الفتية من عند الملك بعد أن وعدهم بما يطيب خواطرهم ويحملهم على حسن الظن .. فصرفوا الى موضع حبسهم ، حتى بدأ جرى الريح الغربية فعمربهم زورق وعصبت اعينهم وجرى بهم فى البحر مدة : قال القوم قدرناها ثلاثة ايام بلياليها ، حتى جيء بنا الى البر فأخرجنا وكتفنا الى خلف ، وتركنا بالساحل الى ان تضاحى النهار وطلعت الشمس . ونحن فى ضنك وسوء حال من شدة الكتاف ، حتى سمعنا ضوضاء وأصواتا فصحنا بأجمعنا فاقبل القوم الينا وحلوا وثاقنا واخبرناهم خبرنا. فقال لنا أحدهم : أتعلمون كم بينكم وبين بلدكم .. ؟ فقلنا : لا .. قال : مسيرة شهرين ..

فقال زعيمنا : وا أسفى ، فسمى المكان الى اليوم (أسفى) وهو المرسى الذى فى أقصى الغرب .

ويؤخذ من كلام الادريسى ان هؤلاء الثمانية عادوا الى لشبونة وسردوا قصتهم على أهلها الذين لم يروا فيهم الا رجالا مغرورين وسموا الدرب الذى فيه دورهم بـ (درب المغررين) .

لم يذكر لنا الادريسى اتجاههم الأول ولذا جعله البعض الى الشمال

حتى اصبحوا بمحاذاة أيرلندة وجعله المرحوم شكيب أرسكلان(٦)— الذى له فضل اخراج هذه القصة الى النور قبل عشرات السنين — خطا مستقيما الى الغرب فوصلوا بعد سفر يرجح أنه استمر أكثر مما ذكر الادريسى ، قريبا لاحدى جزائر المحيط بين أمريكا الشمالية والجنوبية التى بين ١٠ و ٢٧ درجة من العرض الشمالى وبين ٦٢ ، ٨٧ درجة من الطول . .

وهذا أمر يمكن قبوله — رغم عدم استطاعة ترجيحه لحاجته الى أدلة اخرى — حيث أن استعدادهم كان يقصد به الاستمرار فى الرحلة فى الاتجاه الغربى للاندلس لأشهر عدة ، مع التصميم على المضى فى تحقيق الهدف رغم ادراكهم صعوبة المهمة . ولو ثبت أنهم ساروا طيلة مدة ابحارهم فى اتجاههم الأول أو استمروا فيه ربما لأطلوا على أمريكا أو وصلوا قريبا منها ، والظاهر أنهم يئسوا من الوصول الى البر فى ذلك الاتجاه فتحولوا جنوبا حتى جزيرة الغنم ثم عادوا جنوبا الى الشرق ، فوصلوا احدى جزر الخالدات التى تعرف باسم جزر كنارى ثم وصلوا الى الغرب .

ولعله من الممكن التحقق من وصولهم موضع مدينة « أسفى » اذا حسبنا المسافة التى كان يسيرها مركبهم ومسافة ما بينها وبين لشبونة ومن أسف أن الادريسى لم يذكر لنا كيف عادوا من أفريقيا الى لشبونة .

وعلى كل حال فقد كان لهذه القصة التى لا أشك فى واقعيتها أثر كبير فى تشجيع البحارة البرتغاليين وغيرهم على القيام برحلات استكشافية . ونظرا لأهميتها قام بعض الأوربيين بوضع مثل هذه القصة فى القرن الحادى عشر الميلادى ونسبتها الى القسيس براندان الراهب الايرلندى الذى عاش فى القرن السادس الميلادى فقط (٧) .

والقصة بعد ذلك دليل على روح المغامرة المتأصلة فى نفوس الرحالة المسلمين وعدم مبالاتهم بالخطر حبا فى الكشف عن المجهول . ومن يدرى ؟ فلعل فى تراثنا الزاهر مثيلات لهذه البطولة فقدت الى الأبد فيما فقد من المخطوطات ، أو أنها ما تزال فى انتظار من يكشف عنها ويخرجها الى النور ، وكل رجائنا الا يطول بنا الانتظار . .

---

(١) الزركلى الاعلام ، ١٩١/١ .

(٢) المعروف أن دى غاما التقى بابن ماجد فى ساحل شرق أفريقيا بعد أن مر برأس الرجاء الصالح ونزل الى المحيط الهندى « الوعى »

(٣) مسالك الابصار لابن فضل الله العمرى تحقيق احمد زكى (القاهرة ، ١٩٢٤) ، ٣١/١ .

(٤) سعيد عبد الفتاح عاشور ، المدينة الاسلامية (القاهرة ١٩٦٣) ص ١٢٢ .

(٥) طبعة روما (١٥٩٢) ص ١٨٢ — ٤ .

(٦) الحلل السندسية (طبعة المغرب) ، ٩٢/١ — ٦ .

(٧) عبد الحميد العابدى ، صور وبحوث من التاريخ الاسلامى ص ١٤٩ وما بعدها .

الفتاوى

العـدول عن الخطبـة

خطبت فتاة من ابيها ، ثم ظهرت لى اسباب لا داعى لذكرها تحتم عـلى فسخ هذه الخطبة ، فهل يجوز ذلك شرعا ، وما هى الواجبات التى تلزمنى اذا فعلت ذلك ؟

الاجابـة :

الخطبة وعد بالزواج وليس عقدا ملزما ، واخلاف الوعد خلق ذميم وخاصة فى مثل هذه الحالة لما يلحق المخطوبة من اساءة السمعة ، واذا كانت هنـاك اسباب دينية او خلقية تقتضى فسخ الخطوبة ، جاز ذلك ، وما قدمه الخاطب من المهر له الحق فى استرداده لأنه دفع فى مقابل الزواج وعوضا عنه ، وما دام الزواج لم يوجد فان المهر لا يستحق منه شىء ويجب رده الى صاحبه ، واما الهدايا فحكمها حكم الهبة والصحيح ان الهبة لا يجوز الرجوع فيها اذا كانت تبرعـا محضا ..

سؤر الهـرة

أعيش فى البادية فى بيت من بيوت الشعر ، وعندما أردت الوضوء من ماء فى الاناء شاهدت الهرة تشرب من هذا الماء ، فهل يجوز الوضوء من هذا الماء . ؟

الاجابـة :

سؤر الهرة طاهر فيصح الوضوء من هذا الماء لما ورد فى حديث كبشة بنت كعب ، وكانت زوجا لأبى قتادة ، فقد روى أن زوجها دخل عليها فسكبت له ، فجاءت هرة تشرب منه فاصغى لها الاناء ــ اماله ــ حتى شربت منه . قالت كبشة فرآنى انظر ، فقال : اتعجبين يا ابنة اخى ؟ فقالت : نعم فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « انها ليست بنجس ، انها من الطوافين عليكم والطوافات » رواه الخمسة .

فى الغسـل

اغتسلت من الجنابة ، ولم اتوضأ قبل الاغتسال ولا بعده فهل يجوز لى الصلاة بهذا الغسل من غير وضوء ؟

الاجابــة :

يجوز لك أن تصلى بهذا الغسل من غير وضوء ، لأن هذا الاغتسال يرفع الحدث الأكبر والأصغر معا . قالت عائشة : «« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتوضأ بعد الغسل »» وقال أبو بكر بن العربى لم يختلف العلماء أن الوضوء داخل الغسل ، وان نية طهارة الجنابة تأتى على طهارة الحدث وتقضى عليها لأن مواضع الجنابة أكثر مواضع الحدث فدخل الأقل فى نية الأكثر ، واجزأت نيــة الأكبر عنه ..

ضرر ..

السؤال :

هل ينجم عن العادة السرية أضرار صحية وما حكم الدين فيها .. ؟

الاجابة :

يقول الأطباء : ان العادة السرية تنجم عنها اضرار صحية وعقلية ، فهى تفقد الانسان حساسيته الجنسية ، وهذا يؤثر على الحياة الزوجية ، كما أن الافراط فيها يسبب التبلد الذهنى والنسيان ، فضلا عن أنها تسبب التهابا فى المسالك البولية ، وتؤدى الى ارتعاش أطراف معتادها .

ويقول الامام أحمد : انها حرام ، واستدل على ذلك بقوله تعــــالى : « والذين هم لفروجهم حافظون . الا على ازواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون » .

أوراق المصــحف ..

السؤال :

عندى مصحف قديم تمزقت أوراقه وأصبح غير صالح للقراءة .. فماذا أفعل فيه .. ؟

الاجابة :

قال العلماء : اذا بليت أوراق المصحف وصارت غير صالحة للانتفاع بها فى القراءة ، فلا يجوز وضعها فى شق فى جدار حائط لأن هذا يعرضـــــها للامتهان ولا يجوز تمزيقها لما يشـــعر به من الامتهـــان ، بل يجب حرقها حتى لا يبقى لها أثر ، وقد أحرق عثمان بن عفان المصاحف التى كان فيهـــا آيات وقراءات منسوخة ، ولم ينكر عليه أحد ..

فى الميراث ..

السؤال :

توفى رجل لم يتزوج عن أب وأم وأخوين شقيقين .. فما نصيب كل واحد منهم من تركة المتوفى .. ؟

الاجابة :

السدس لأمه فرضا ، والباقى للأب تعصبيا ، والأخوان لا شىء لهما لأنهما محجوبان بالأب ..

بريد الوعي الإسلامي

اعداد : عبد الحميد رياض

الأرحام الصناعية

يحاول كبار الأطباء فى العالم عمل أرحام صناعية يربون فيها الأجنة فاذا نجحوا فى هذه المحاولة ، فكيف يمكن تأويل ما ورد فى القرآن الكريم ، وما نعتقده ونؤمن به من أن اللهوحده هو الخالق .. ؟

محمد إمام عبد الرحمن
السودان

ليست تربية النطفة فى الأرحام خلقا حتى يشتبه عليك الأمر ، ونجاح هذه التجربة لا يزعزع العقيدة فى أن الله وحده هو الخالق ، فالخلق هو أثر القدرة الإلهية فى وضع سر الحياة فى ماء الرجل ، فبذرة الحياة هذه هى خصوصية الله الخالق التى لا يمكن لبشر أن يوجدها ويخلقها .

أما تربيتها فى رحم صناعية وفق مواصفات طبية معينة فهذا لا يعد خلقا قال الله تعالى « **أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون** » .

القرآن والبعد الزمنى

قرأت مقال (القرآن والبعد الزمنى) فى مجلة (الوعى الاسلامى) العدد(٩١) غرة رجب ١٣٩٢ للدكتور عماد الدين خليل وقد أقنعنى عقليا وأراحنى نفسيا .. فكثيرا ما قرأت مثل هذه الآيات ، التى تدل على أن الزمن فى آمداء الكون ليسا سواء .

ومما أثلج صدرى أن لدينا علماء مسلمين يبحثون ويمحصون ويعملون الفكر فى محاولة فهم آيات قرآننا العظيم فى ضوء العلوم الحديثة .. فجزاه الله خير الجزاء وأكثر الله من أمثاله .

واود أن أستفسر عن عبــارة وردت بالمقال ولم أستطع تفسيرها وهى : أن الذى عنده علم من الكتاب اســتطاع اختزال عملين : نقل العرش من ست ســاعات (الوقت الذى كان سينقله فيه عفريت من الجن) الى سدس لحظة . فكيف حدد الدكتور عماد الدين خليل عبارة : انا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك بســت ســاعات ؟

نرجو أن يوضح لنــا الدكتور ذلك وله منــا الف شكر .

على رضوان محمد ــ الاسكندرية

وقد احلنا هذه الرسالة للدكتور عماد الدين خليل فاجاب بما يأتى :

ان عبارة (انا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) الواردة على لســـان عفريت من الجن بصدد نقــل عرش بلقيس الى حاضرة سيدنا سليمان عليــه السلام .. فهم منــه أكثر من مفسر أن الوقت الذى طرحه العفريت يقــارب الساعات الست ، أو يزيد ، استنادا الى لفظة (مقــام) التى تعنى الجلوس الادارى اليــومى المعروف لحل مشكلات الدولة والتخطيط لمتطلباتها .. وهو فى اغلب الظن لا يعــدو أن يتراوح بين ست ساعات وثمان اســوة بالدوام الرسمى للمسؤولين فى أى عصر من العصور . وقد ورد فى احــد التفاسير المحدثة ان ســليمان كان يجلس للحكم والقضــاء من الصبح إلى الظهر ، فيما يروى ، وأن العفريت عرض عليه أن يأتيه بالعــرش قبل انقضاء جلسته هذه ، فاستطول ســليمان هذه الفترة واستبطأها .

٤٧

وفى تفسير (ابن كثير عن ابن عباس رضى الله عنهما) : « أنا آتيك به قبل أن تقــوم من مقامك) : يعنى قبل أن تقوم من مجلسك . وقال مجاهد (مقعــدك) . وقال السدى وغيره : كان يجلس للناس ، للقضاء وللحكومات من أول النهار الى أن تزول الشمس . ونحن لو أخذنا بالرواية الاخيرة لوجب القول بأن عرض العفريت يزيد كثيرا عن الساعات الست المعهودة فى المجالس الادارية .

هــذا وقد أجمع عدد من المفسرين منهم (محمد بن أسحق وقتادة وابو صالح والضحاك ومجاهد وزهير ابن محمد) عن ان الذى (عنده علم من الكتاب) كان مؤمنا من الانس يدعى (آصف) يقوم بمهمة الكتابة لسيدنا سليمان عليه الســـلام .

فى ختــام رسالتى هذه أتقدم بشكرى العميق على اهتمامكم ، راجيا أن يوفقنــا الله جميعــا لمــا فيه الخير .

باقلام القراء

لصالح من ؟

ظهر فى بعض الدول المسلمة اتجاه سلوكى سلكته بعض الفتيات اللائى سئمن من السلوك الغربى ، ولجأن الى حظيرة الاسلام وحمى القرآن وذلك بالتزام الزى الاسلامى الساتر الجميل .

وقد اغتبطنا كأفراد مسلمين وكأمة مسلمة بهذا المظهر الاسلامى الجميل ، ولكن مما يؤسف له أن احدى الصحف طلعت علينا بمقال يحمل على أصحاب هذا الزى الاسلامى .

لقد جاء فى المقال ان هذا الزى كأكفان الموتى ، وأن العبرة بالجوهر وليس بالمظهر .. أليست أناشيد الصباح وتحية العلم الا مظهرا للولاء .. أليست الراية التى يحملها الجيش وتقدمه الا مظهرا ضروريا لكل جيش .. أليس العلم الذى تتخذه كل دولة رمزا لها وهو قطعة من القماش من اللون الا تمييزا لهذه الدولة عن غيرها من الدول .. بل أليست القبلة التى أمرنا بالتوجه اليها فى الصلاة الا شرطا لصحتها ، ولا تصح الصلاة بدونها .. ان لكل حقيقة مظهرا يعبر عنها ويرمز اليها والزى الذى وضعه الاسلام للنساء وهو الزى السابغ الذى لا يصف ولا يشف هو مظهر مميز للمرأة المسلمة ، « وليضربن بخمرهن على جيوبهن » .

يا فتياتنا المسلمات ، لا تكترثن بهذه المعارضة والمخاصمة ، فالمخاصمة للحقيقة كالمصادقة لها فى ضرورة بقائها واعلانها ، بل ربما كانت المخاصمة أحيانا أشد نفعا من المصادقة ، وهذه سنة الله فى اظهر الأشياء الى الوجود فحذار أن تزل قدمكن بعد ثبوتها ، وأن تميل بكن المعارضة والمخاصمة الى العدول عن ما ارتضاه الله لكن وأمركن به ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون . .

يحيى اسماعيل حبلوش
كلية أصول الدين ــ الأزهر

ابن العربى

جاء فى مقال أضواء على التصوف الاسلامى فى ماليزيا المنشور فى عدد شعبان سنة ١٣٩٢ من مجلة (الوعى الاسلامى) ان حمزة فنصورى أحد شيوخ الطرق الصوفية فى ماليزيا قديما كان متأثرا بابن العربى ، والصحيح هو ابن عربى ، والأول غير الثانى فابن العربى لقب لعالم جليل غير ما يقصده الكاتب وحتى لا يشتبه الأمر على القارىء أحببت أن أنبه الى هذا الأمر لازالة اللبس .

ابن عربى هو الشيخ محيى الدين محمد بن على بن محمد بن أحمد بن عبد الله ولد سنة ٥٦٠ هـ بمرسيه أما ابن العربى فهو العلامة محمد بن عبد الله ابن محمد بن عبد الله بن أحمد الملقب بالقاضى أبو بكر ابن العربى صاحب

التصانيف الكثيرة كأحكام القرآن والعواصم من القواصم وغيرها ولعل في هذه اللمحة العاجلة ما يزيل الاشتباه بين الرجلين .

محمد بن جاسم المشهداني
جامعة بغداد

مشكلة الزواج في ديار الغرب

لا شك في أن تلك المشكلة كبيرة جدا ولها اثر كبير في مجتمعنا العربي والاسلامي على حد سواء وأنها تكلفنا طاقات كبيرة ، وذلك أن الشباب العربي ما أن يذهب الى ديار الغرب من أجل الدراسة الا ويفاجأ بوضع اجتماعي وأخلاقي اقل ما يقال عنه انه يختلف اختلافا جذريا عن أوضاع بلاده ، فالشاب العربي ما زال محافظا على بعض التقاليد والعادات بطبيعة البيئة والتربية والدين ، وبذلك يقع في حيرة واضطراب ، ولا يدري ماذا يفعل ، فأمامه ثلاثة مسالك لا بد أن يسير في أحدها :

أولا : أن ينحرف وينزلق في متاهات الجاهلية فيضل الطريق وينفصل عن أمته انفصالا شعوريا ولا يعود يتصل بها في أي رباط وبذلك ينخلع من ربقة الأمة ولا يعود يفكر في الرجوع الى بلاده ، وهنا تفقد بلادنا في هذه الحالة شبابا في مستوى ثقافي جيد .

ثانيا : أن يتزوج من فتاة تعترض له في طريقه فتأخذ لبه ، وتسلب قلبه لما تقدم له من اغراء وجسد فيتزوج بها حين يقع في حبالها وتحت الأمر .

ثالثا : يفكر أن يتزوج فتاة من بلده .

فان تزوج أجنبية كان لزاما عليه أن يعود بزوجته وبالتالي ينشيء الأولاد على نشأة الأم فهي المحضن وهي التي تربي الأطفال ، وبهذا ينشأ الاولاد وقد تاهوا ولم يعودوا يرتبطون ببلادهم وشعوبهم نتيجة تربية الأم التي لا ترتبط بالأمة بأي رباط بل انها كثيرا ما تنظر للأمة العربية على أنها أمة متخلفة ، وأما الصنف الثالث وهو القلة القليلة فهو الذي يحافظ على عقيدته وقيمه وعاداته وبالتالي ينجو من تلوثات الجاهلية ، هذا الشاب يحاول أن يخفف من ضغط الجاهلية بمحاولته الزواج بفتاة من بلده ودينه فيقف أمامه عوائق كبيرة ، من أهمها ارتفاع المهر فهذا يطلب (٥٠) الفا وذلك (٣٠) الفا وهو ما يزال طالبا يدرس ووالده يقدم له النفقات فكيف به يكلف أباه ما لا يطيق . ثم يقع كذلك أمام نفقات البيت في ديار الغرب التي هي عقبة لا يمكن حلها ثم عدم وجود فتاة تضحي وتذهب معه . وبهذا فان أمتنا تفقد خيرة شبابنا ، فالى رواد الفكر والى آباء الفتيات والى الفتاة نفسها اتوجه بالدعوة ، فالى كل فتاة يتقدم لزواجها طالب مغترب أن لا ترفض لكونه مغتربا وأن تضحي .

والى كل أب أتوجه اليه أن ينقذ بلاده من تلك المشكلة بأن يقدم كل التسهيلات لمن يود أن يتزوج ولتكن هذه الحياة حياة تكافل وتراحم وليكن شعارهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أتاكم من ترضون دينه فزوجوه » . ولتكن أسوتكم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابعيهم فهذا سعيد بن المسيب زوج ابنته من تلميذه بدراهم معدودة . والى رواد الفكر الاسلامي أن يعالجوا هذه المشكلة معالجة وافية ولتكن هذه الكلمات شرارة ثورة على تلك التقاليد البالية والله من وراء القصد وهو يتولى الصالحين .

محمد زاهد ــ اسبانيا



قالت صحف العالم

وقفة فى وجه الاستشراق

من الحق أن يقال : إن المستشرق إنما هو واحد من ثلاثة : متصل بالكنيسة ، أوبالاستعمار ، وفى كليهما لن يكون منصفا ، فإن كان غير ذلك فان هناك من عجزه عن فهم البلاغة العربية ما يعوقه كثيرا عن تقصى الحقائق والوصول اليها .

ونحن نعرف كيف أن بعض المستشرقين فسر الآية القرآنية : (وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه) بقوله : (إن كل إنسان يأتى يوم القيامة وفى رقبته حمامة) . وهناك عشرات من مثل هذه الأخطاء ، أوردها العقاد فى كتابه : (ما يقال عن الإسلام) .

والعقلية الغربية التى ينبثق عنها الاستشراق لا تقبل بأى حال ظاهرة الإنصاف للعرب والمسلمين والقرآن ومحمد والاسلام وصدق احدهم حين قال : (إن كراهية العرب والإسلام إنما يرتضعها الأوربى مع لبان أمه) .

إن هناك محاولة لتقسيم الاستشراق إلى مرحلتين : مرحلة عقدية ، ومرحلة أخرى جديدة يطلق عليها اسم مرحلة علمية . أما العقدية فهى تلك المرحلة التى هاجم فيها المستشرقون الإسلام بعنف وضراوة . وأما المرحلة الجديدة فتوصف بأنها تتسم بالعملية ، وهو وصف غير صحيح ، ولو أنها وصفت بأنها (سياسية) لكان ذلك أصح وأصدق ، والمفكرون المسلمون يعرفون جميعا أنه فى العقدين الأخيرين قد تراجع الاستشراق عن أسلوبه القديم المباشر ، واستعمل أسلوبا أشد مكرا وأسوأ سبيلا ، وهو محاولة الدخول فى الموضوعات من باب التقدير والمدح حتى يخدع القارىء ويكسب ثقته ، ثم لا يلبث بعد ذلك أن يثير شبهات خفيفة ، متتالية فى إطار هذا التقدير العام الكاذب .

ولقد تنبه لهذا كثير من الباحثين المسلمين اليقظين ، واشاروا إلى خطورته وحذروا من الانخداع له .

وغالبا ما يكون هذا الأسلوب بعد دخول الاستشراق اليهودى الى ساحة الاستشراق .

ولا ريب أن الاستشراق فى المجال العقدى يعمل على هدم الإسلام والرسول والقرآن ، وفى المجال السياسى يعمل على هدم الأمة العربية واللغة العربية والحضارة والتاريخ .

عن مجلة رابطة العالم الاسلامى

هل إلى خروج من سبيل ؟

إن الإسلام اقوى عقيدة نقض مضاجع الاستعمار وتنغص عيشه . وتطير النوم عن معاقد اجفانه . وتقوض دعائمه وتاتى بنيانه من القواعد . وتحقق للمسلمين اشواقهم فى سماحه ويسر . وتلبى تطلعاتهم فى إطار إسلامى صحيح فى حدود العدالة والحق والإحسان .

وحدود الاسلام ليست قيودا مما يشل الحركة . ويعوق النشاط ، ولا هى اغلال واصفاد مما يمنع النهوض ولا هى عصائب مما يحجب عن العيون النور ، ولا هى احجار مما يثقل على الحس . ولا هى جهالات مما يمتنع على العقل والاقتناع به وتدبره .. وإنما هى حدود الطبيعة التى لا يمكن خرقها ، والتى لا يخرقها إلا من سفه نفسه .. وهى ايضا ليست شيئا الا تحرير الإنسانيه من كل عبودية تفرض عليها إلا عباده الله ، من كل تقليد أو نظام يراد به العبث بكرامة العقل أو كرامة الروح .

وإن شباب الإسلام الواعين الصادقين ، الملهمين الملتزمين الذين يحفل بهم اليوم عالمنا الاسلامى . المسترخصين أرواحهم وأبدانهم فى سبيل نصرة الله . وإعلاء كلمة الحق ، هم أصدق الناس وأقواهم واثبتهم وأشدهم تضحية وأكثرهم فداء فى محاربة الاستعمار الكافر ، ومقارعة الصهيونية الحاقدة ، ومقاومة المذاهب الوافدة من وراء البحار وخلف السهوب ، والتى تهون عليها فى سبيل محاربة الإسلام الأموال الطائلة التى تبذلها فى إخراج الافلام السينمائية الخليعة . والمسرحيات المريضة المشوهة لسمعة المسلمين ، الحاقدة على أخلاقهم ، وفضائلهم ، الداعية الى الانحلال بين جماهيرهم لتقتل فيهم روح الرجولة والنضال التى عرفها المسلمون الصادقون الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا .. فوضع الاسلام عنهم إصرهم .. والأغلال التى كانت عليهم .

والأمة الاسلامية تملك من حوافز التقدم والنهوض وبواعث الانطلاق والنشور ان هى تمسكت بكتاب الله وسنة رسوله وترسمت سنن من كان قبلها من رجال السلف الصالح ما يكفل لها حياة راضية ، ويؤهلها لأن تحتل مكان الريادة بين شعوب الأرض بما تحمله من عقيدة التوحيد ، وشريعة الكرامة ، وسلوك الطهر والنقاء .

فهل الى خروج من سبيل .؟

ان سبيل الخروج مما نحن فيه من تخلف وتأخر ، وتباعد وتناحر وتنابز وتدابر ، هو التوجه الى طريق الله ، والاعتماد على شريعته ، والاعراض عن كل المستوردات المذهبية الواغلة الوافدة .. حتى لا يبقى إلا سبيل الإسلام الذى يرفض شوائب النفعية والتسخير والاستغلال .. فمن رغب به خرج منتصرا على تخلفه وتبعيته وفاز فوزا عظيما ، ومن نأى بجانبه وأعرض عنه بقى كقدح الراكب الى الوراء ، مذبذبا بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا الى هؤلاء ، متلونا فى حالاته وسلوكه وتصرفاته كما تتلون الحرباء !!

عن مجلة ((دعوة الحق)) المغربية

● قامت اسرائيل بتحويل الحرم الابراهيمى الى معبد لليهود رغم استنكار الاهـالى والزعمـاء فى الضفة الغربيـة .

البحرين : احتفلت دولة البحـرين بذكرى عيدها الوطنى وافتتـاح أول مجلس تأسيسى فيهـا وشاركت الكويت فى هذه الاحتفالات رسميا وشعبيا .

قطـر : أشادت قطر بحكمة تشاد لقطعها علاقاتها مع دولة العدوان الاسرائيلى .

العراق : قرر مجلس قيادة الثورة انشاء جامعة اسلامية فى بغداد تكون مهمتها العنـاية بالفكر الاسلامى وتنشئة أجيال جديدة على الاسلام ، والقيام باعباء الدعوة الاسلامية فى المستقبل .

سـوريا نشرت الصحف السورية صور المساجد التى قصفها العدو الاسرائيلى فى عـدوانـه على سوريا فى الشهر الماضى بما يكشف تركيزه على دور العبادة ومحاولة تدميرها .

● جاء فى نشرة المؤتمر التى يصـدرها مكتب جبهة التحرير الارترية بدمشق أن أوضـاع اللاجئين الارتيريين على حـدود السـودان الشرقية أثارت قلق الشعب السودانى الذى يتعـاطف مع نضال الشعب الارتيرى العادل .

ليبيـا : اكد السيد منصور الكخيا وزير الخارجية فى حديث صحفى أن المعركة هى السـبيل الوحيد لبقاء هذا المجتمع العربى ، مهما كانت التضحيات .

● قدمت ليبيا منحة قدرها ٢١ مليون شلن لمسلمى أوغندا .

● بعث الرئيس القذافى برسالة الى الرئيس الامريكى يقول فيها ان الشعب الليبى لا يطلب أية مساعدة ، وكل ما يريده أن تتوقفوا عن الحاق الاساءة بالامة العربية .

● صرح مدير الادارة السياسية فى وزارة الخارجية الليبيـة بان اربعـة ملايين مسلم معرضون للابادة فى الفلبين ، ودعا الى التضامن الاسلامى كى يحول بين هؤلاء والمذابح الجماعية وسيواصل جولة فى الكويت والعراق وماليزيا واندونيسيا وباكستان ودول افريقيا الاسلامية .

اليمـن : صرح رئيس الجمهورية العربية اليمنية بأن الاتفاق على الوحـدة مع اليمن الشـعبية قد تم على أساس أن تكون الشريعة الاسلامية هى مصدر التشريع .

اتحاد الامارات : صادقت دولة الامارات العربيـة المتحدة على ميثاق المؤتمـر الاسـلامى ، وأعلنت عن استعدادها ورغبتها فى الالتزام بكافة بنوده .

أوغنـدا : افتتح الرئيس الأوغندى عيدى أمين فى الشهر الماضى البنك العربى الليبى — الأوغندى ضمن خطة تعاون بين ليبيا وأوغندا بعد طرد الاسرائيليين والآسيويين .

● قالت اذاعة كمبالا أن اكثر من ٤٥٠ شخصـا أعلنوا اسلامهم فى الاحتفـال الذى أقامه الجيش قرب الحـدود مع تنزانيـا .

السنغال : عقد فى داكار فى الشهر الماضى مؤتمر اسلامى بحث موقف الاسلام من التحديات المعاصرة ، وقد حضر هذا المؤتمر ممثلون من أغلب الدول الاسلامية .

ماليزيا : جددت ماليزيا فى الشهر الماضى دعوتها لفضيلة شيخ الأزهر للاطلاع على أحـوال المسلمين فى ماليزيا ، والعمل على تدعيم الروابط الاسلامية والثقافية بين مصر وماليزيا .

● صرح سفير السنغال فى مصر بأن ٩٠٪ من سكان السنغال مسلمون ، وأن السنغال تبـذل جهدها فى جميع المؤتمرات الاسلامية لتحقيق التضامن الاسلامى الفعال .

الفلبين : تواصل قوات البوليس اضطهادها للمسلمين فى الجنـوب فى محاولات اخراج المسلمين من المناطق الجنوبيـة الخصـبة .

أندونيسيا : أرسل المؤتمر الاسلامى العام فى عمان برقيـة الى الرئيس الأندونيسى تتضمن قلق المؤتمر من ازدياد النشاط التبشيرى فى أندونيسيا .

أخبار العالم الاسلامي

اعداد : الدكتور عبد المعطى بيومى

الكويت : وافق مجلس الوزراء على عقد مؤتمر وزراء الأوقاف فى الدول العربية فى شهر فبراير القادم وقد بدىء فى الاستعداد لهذا المؤتمر .

● عاد الى البلاد سعادة الأستاذ راشد الفرحان وزير الأوقاف والشئون الاسلامية بعد حضوره ندوة الاتجاهات الاسلامية العصرية التى عقدت فى السنغال وزيارته لموريتانيا .

● أشاد وزير التعليم السودانى بالتعليم والبحث العلمى فى الكويت ، كما أشاد بالتعاون الثقافى والعلمى بين الكويت والسودان .

● زار البلاد فى الشهر الماضى السيد وزير الأوقاف والحج الباكستانى ، وقد بحث مع المسئولين وسائل تدعيم التعاون الاسلامى بين الكويت وباكستان .

● بعثت جمعية الهلال الأحمر الكويتى كميات من الأغذية والمواد الطبية الى جمهورية اليمن الديمقراطية للمساعدة فى تخفيف نكبة المتضررين نتيجة للسيول التى حصلت هناك .

مصر : تجرى دراسة انشاء بنك اسلامى ، وستقدم الدراسة لمؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية المقرر عقده فى كابل فى مايو القادم .

● افتتح هذا العام معهدا لدراسات السنة النبوية ملحق بكلية أصول الدين وسيمنح الطالب ٣ جنيهات مكافاة شهرية .

● بلغ عدد الحجاج المصريين هذا العام عشرين الف حاج .

● صرح السيد حسن التهامى مستشار الرئيس أن جمهورية مصر العربية ستساهم فى كل مؤتمرات الأمانة العامة الاسلامية القادمة .

● كشف تقرير أعدته لجنة من مجلس الشعب اسرار الأزمة الطائفية فى مصر ، واتضح منه أن أيد خبيثة من الخارج هى التى تحرك الفتنة بين المسلمين والنصارى مستغلة بعض ضعاف النفوس .

● قام وفد من جامعة الأزهر برئاسة الدكتور بدوى عبد اللطيف مدير الجامعة بزيارة الى ايران بهدف تدعيم التبادل الثقافى بين جامعة الأزهر وجامعات ايران .

السعودية : عاد جلالة الملك فيصل من جولة فى الدول الافريقية بعد أن بحث مع المسئولين فيها خطط التنسيق بين المملكة وهذه الدول .

● اتفق على خطتين للدعوة الاسلامية بين مصر والسعودية أولاها آجلة تتضمن تأليف هيئة شعبية للدعوة الاسلامية ، وتتضمن التالية انشاء مؤسسة علمية اسلامية ذات فروع فى البلدان الاسلامية — وتدعيم المراكز الاسلامية والتعاون مع وكالة الأنباء الاسلامية فى السعودية لتحرير الخبر الاسلامى من مؤامرات الوكالات الاجنبية .

● اختتمت فى مكة فى الشهر الماضى ندوة الجامعات الاسلامية حيث بحثت علاقة الاسلام بالمذاهب والتيارات المعاصرة .

الأردن : أبدت السلطات الاردنية قلقها البالغ من مواصلة سلطات الاحتلال الاسرائيلى انتهاكات الأماكن الاسلامية المقدسة فى الضفة الغربية لنهر الأردن .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	ذو الحجة ١٣٩٢ هـ	يناير ١٩٧٣ م	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي						المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
الجمعة	١	٥	١٠ ٥	٤٣ ٦	٥٣ ١١	٤٤ ٢	٣ ٥	٢٤ ٦	٨ ١٢	٤١ ١	٥١ ٦	٤٢ ٩	٢٣ ١
السبت	٢	٦	١٠	٤٣	٥٣	٤٤	٢	٢٥	٨	٤١	٥١	٤٢	٢٣
الاحد	٣	٧	١٠	٤٣	٥٣	٤٥	٣	٢٦	٧	٤٠	٥٠	٤١	٢٣
الاثنين	٤	٨	١٠	٤٣	٥٤	٤٥	٤	٢٧	٦	٣٩	٥٠	٤١	٢٣
الثلاثاء	٥	٩	١١	٤٣	٥٤	٤٦	٥	٢٨	٦	٣٨	٤٩	٤١	٢٣
الاربعاء	٦	١٠	١١	٤٣	٥٥	٤٧	٦	٢٨	٥	٣٧	٤٩	٤١	٢٣
الخميس	٧	١١	١١	٤٣	٥٥	٤٧	٦	٢٩	٤	٣٧	٤٩	٤١	٢٣
الجمعة	٨	١٢	١١	٤٣	٥٥	٤٨	٧	٢٩	٣	٣٦	٤٨	٤١	٢٢
السبت	٩	١٣	١١	٤٣	٥٦	٤٩	٨	٣٠	٣	٣٥	٤٨	٤١	٢٢
الاحد	١٠	١٤	١١	٤٣	٥٦	٥٠	٩	٣١	٢	٣٤	٤٧	٤١	٢٢
الاثنين	١١	١٥	١١	٤٣	٥٧	٥١	١٠	٣٢	١	٣٣	٤٧	٤١	٢٢
الثلاثاء	١٢	١٦	١١	٤٣	٥٧	٥٢	١١	٣٣	..	٣٢	٤٦	٤١	٢٢
الاربعاء	١٣	١٧	١١	٤٣	٥٧	٥٣	١٢	٣٤	٥٩ ١١	٣١	٤٦	٤١	٢٢
الخميس	١٤	١٨	١٠	٤٢	٥٨	٥٣	١٢	٣٤	٥٨	٣٠	٤٥	٤١	٢٢
الجمعة	١٥	١٩	١٠	٤٢	٥٨	٥٤	١٣	٣٥	٥٧	٢٩	٤٥	٤١	٢٢
السبت	١٦	٢٠	١٠	٤٢	٥٨	٥٤	١٤	٣٦	٥٦	٢٨	٤٤	٤٠	٢٢
الاحد	١٧	٢١	١٠	٤٢	٥٩	٥٥	١٥	٣٧	٥٥	٢٧	٤٤	٤٠	٢٢
الاثنين	١٨	٢٢	١٠	٤٢	٥٩	٥٦	١٦	٣٧	٥٤	٢٦	٤٣	٤٠	٢١
الثلاثاء	١٩	٢٣	١٠	٤١	٥٩	٥٧	١٧	٣٨	٥٣	٢٤	٤٢	٤٠	٢١
الاربعاء	٢٠	٢٤	٩	٤١	.. ١٢	٥٨	١٨	٣٩	٥٢	٢٣	٤٢	٤٠	٢١
الخميس	٢١	٢٥	٩	٤١	..	٥٨	١٨	٣٩	٥١	٢٢	٤١	٤٠	٢١
الجمعة	٢٢	٢٦	٩	٤٠	..	٥٩	١٩	٤٠	٥٠	٢١	٤١	٤٠	٢١
السبت	٢٣	٢٧	٩	٤٠	..	.. ٣	٢٠	٤١	٤٨	١٩	٤٠	٤٠	٢١
الاحد	٢٤	٢٨	٨	٣٩	..	..	٢١	٤٢	٤٧	١٨	٣٩	٣٩	٢١
الاثنين	٢٥	٢٩	٨	٣٩	١	١	٢٢	٤٣	٤٦	١٧	٣٩	٣٩	٢١
الثلاثاء	٢٦	٣٠	٨	٣٨	١	٢	٢٣	٤٣	٤٥	١٥	٣٨	٣٩	٢٠
الاربعاء	٢٧	٣١	٧	٣٨	١	٣	٢٤	٤٤	٤٤	١٤	٣٧	٣٩	٢٠
الخميس	٢٨	فبراير	٧	٣٧	١	٣	٢٤	٤٤	٤٣	١٣	٣٧	٣٩	٢٠
الجمعة	٢٩	٢	٧	٣٧	١	٤	٢٥	٤٥	٤٢	١٢	٣٦	٣٩	٢٠
السبت	٣٠	٣	٦	٣٦	١	٥	٢٦	٤٦	٤٠	١٠	٣٥	٣٩	٢٠



فهرس عام المجلة

محمد مؤذني

في عامها الثامن

١٣٩٢ هـ — ٧٢/١٩٧٣ م

يشتمل على الموضوعات والأعلام

كلمات وأحاديث

الموضـــوع	الكـــاتب	العدد/الصفحة
الأوضاع العربية ومسئولية الحكام	حديث مع سمو ولى العهد	٤/٦٥
الدعوة الى العمل القيادى	سمو نائب الأمير المعظم	٤/٩٤
ذكرى المولد النبوى الشريف	معالى وزير الأوقاف والشئون الاسلامية	٤/٨٨
فى الخطاب الاميرى	التحريـــــر	٦/٩٤
المسلمون فى العالم	معالى وزير الأوقاف والشئون الاسلامية	٨/٩٤
من وحى الاسراء والمعراج	» » »	٤/٩١
الهجرة بداية التطبيق لنظام الاسلام	» » »	٤/٨٦

حديث الشهر

للشيخ رضوان رجب البيلى

الموضـــوع	العدد/الصفحة
احاديث يجب تصحيح فهمهـــا	٤/٨٧
آمنوا واعملوا	٤/٩٦
إن الله معنـــا	٤/٨٥
الحسم والحسام	٤/٩٢
ما أشبه الليلة بالبارحـــة	٤/٩٠
مشكلة الفـــــراغ	٤/٨٩

من هدى السنة

للدكتور / على عبد المنعم عبد الحميد

الموضوع	العدد/الصفحة
الايمان والعمل	٨/٩٥
بين الخطأ والافتراء	١٧/٩٠
التكامل الاسلامى	١٠/٩٢
حق الله وحق العباد	٢٤/٨٨
سيدى رسول الله	١٩/٨٧
العمل والجزاء	١١/٨٥
المسئولية	١١/٨٦
من اخطائنا	٨/٨٩
الهدى النبوى فى القيادة	١٢/٩٤

أدب

الموضوع	الكاتب	العدد/الصفحة
اساليب مسمومة فى كتب الأدب	الدكتور محمد كامل الفقى	٧٣/٩٠
اغراض الشعر العربى	الأستاذ يوسف المطم	٤٨/٨٦
العربية لغة العلوم	الدكتور تيسير امارة الدعبول	٤٢/٨٦
قراءات	التحرير	٢٩/٨٨
اللغة العربية والدين الاسلامى	الأستاذ لطفى ملحس	٥٢/٩٤
مظهر التقوى فى أدب العربية	الأستاذ منذ شعار	٦١/٩٠
من أدب الجيل الماضى	التحرير	٢٥/٨٦

دراسات قرآنية

الموضوع	الكاتب	العدد/الصفحة
اعجاز القرآن الكريم	الشيخ محمد حسين الذهبى	١٦/٩٤
التكرار القصصى فى القرآن	الاستاذ عبد الكريم الخطيب	٢٧/٩٦
تفسير القرآن بالقرآن	الدكتور عبد العال سالم مكرم	٨/٩٠
الخطر الذى يهدد المصحف	اعداد : الاستاذ محمد مهدى	٣٦/٨٦
سورة الاسراء ونهاية اسرائيل	الشيخ عبد المعز عبد الستار	٥٨/٩١
فى رحاب القرآن (٢)	الاستاذ عبد العزيز العلى المطوع	٨/٨٥
فى رحاب القرآن الكريم (٣)	» » »	٨/٨٦
القرآن والبعد الزمنى	الدكتور عماد الدين خليل	٢٧/٩١
القرآن والعلم (١)	الشيخ محمد حسين الذهبى	٨/٨٨
القرآن والعلم (٢)	» » »	١٢/٨٩
القرآن والعلم (٣)	» » »	٢٢/٩٠
القصة ومفهومها فى القرآن	الاستاذ عبد الكريم الخطيب	٥١/٨٩
لغة القرآن الكريم	اللواء محمود شيت خطاب	١٤/٨٨
مصادر القصص القرآنى	الاستاذ عبد الكريم الخطيب	٢٨/٨٦
مفهومات قرآنية	الاستاذ أحمد محمد جمال	١٩/٩٦
وذكرهم بأيام الله	الاستاذ محمد صبيح	٦٧/٩٠

طب وعلوم

الموضوع	الكاتب	العدد/الصفحة
أمراض الحويصلة المرارية	الدكتور محمد محمد أبو شوك	٩١/٨٦
بنك الدم	التحرير	٩٢/٨٩
التربية الجنسية للطفل	الدكتور وجيه زين العابدين	٦٢/٩٥
دور جامعة الازهر فى الطب	التحرير	٤٣/٩٢
طبيبات مسلمات	الاستاذ مصطفى الشهابى	٨٣/٩٠
القرآن وعلم الفلك	الدكتور محمد جمال الدين الفندى	٢٥/٩٢
القرآن وعلم الفلك	» » »	١٤/٩٥
القلب	الدكتور محمد محمد أبو شوك	٨٩/٨٧
المؤتمر العالمى لزرع الأعضاء	الدكتور محمد حسن محمود تسعيد	٦٧/٨٩
نظافة الحج	الدكتور محمد محمد أبو شوك	٩٥/٩٦

عقيدة

الموضوع	الكاتب	العدد/الصفحة
أصول منهج الفكر الاسلامي (١)	الدكتور محمد عبد الستار نصار	٨٣/٩٤
أنت أنت الله	التحرير	٦٣/٨٧
الايمان عقيدة وعمل (٣)	الدكتور محمد سلام مدكور	٣٦/٨٥
الايمان عقيدة وعمل (٤)	» » »	١٥/٨٦
بين الفلاسفة والغزالي	الدكتور محمد عاطف العراقي	٨٠/٩٢
التصوف في ماليزيا	الدكتور جمال الدين محمد حماد	٦٤/٩٢
رضينا بالاسلام دينا	الدكتور أحمد الشرباصي	٣٦/٨٩
طريق الايمان	الأستاذ أمين شسنار	١٦/٩٢
العقيدة الناشطة	الأستاذ رمضان لاوند	٤٤/٨٥
فكرة الخير والشر (١)	الدكتور محمود محمد قاسم	٨/٩٢
فكرة الخير والشر (٢)	» » »	٦٧/٩٥
قضية الفكر الاسلامي	الأستاذ محمد أحمد العزب	٢٤/٦٩
نصيحة ذهبية	الأستاذ محمود مهدى استانبولي	٧٦/٩٤
يسألون عن الروح	الدكتور علي عبد المنعم عبد الحميد	٦٧/٦٦

كتاب الشهر

الكتاب	المؤلف	الناقد	العدد/الصفحة
جمع الجوامع	الامام السيوطي	الأستاذ حسن عيسى عبد الظاهر	٨٧/٩٠
المعجزة الكبرى القرآن	الشيخ محمد أبو زهرة	الأستاذ محمد عبد الله السمان	٩٠/٨٨
المناسك وطرق الحج	للامام أبي اسحق الحربي	الأستاذ عبد العزيز جادو	٩٤/٩٥
والموعد الله	الأستاذ خالد محمد خالد	الأستاذ محمد عبد الله السمان	٧١/٩٤

فقه وتشريع واقتصاد

الموضـــــوع	الكـــــاتب	العدد/الصفحة
الاسلام والمشكلة الاقتصادية	الدكتور محمد شوقى الفنجرى	٢٣/٩٥
الأشهر الحرم فى كتاب الله	الدكتور على محمد حسن	٧٨/٩٦
اصول العلاقات الدولية (١)	الدكتور محمد الدسوقى	٥٦/٩٢
أصول العلاقات الدولية (٢)	« « «	٥٦/٩٣
التزام الدولة الاسلامية بأرزاق الناس	الدكتور محمد البلتاجى	٦٠/٨٩
جريمة القذف فى الشريعة الاسلامية	الاستاذ توفيق على وهبه	٣٩/٨٨
حق الطـــلاق	الشيخ على الخفيف	٥٧/٨٥
حق المساواة بين الناس	الدكتور وهبه الزحيلى	٥١/٩٠
حكم المسكرات (١)	الدكتور محمد سلام مدكور	٣٠/٨٨
حكم المسكرات (٢)	« « «	٢٧/٩٠
حول نكاح نساء أهل الكتاب	الاستاذ أبو الأعلى المودودى	١٩/٨٦
الدفاع بين الشريعة والقوانين	الدكتور أحمد على المجدوب	٧١/٩٦
الدفاع عن حق المسلمين فى القدس	الدكتور محمد عبد الرءوف	٨٤/٩١
زعموا أن الشريعة غير صالحة للتطبيق	الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى	٦٠/٨٦
السنة ومنزلتها من القرآن	الدكتور عبد الله محمود شحاته	٤٤/٩٢
شركات التأمين	الدكتور عبد الرحمن تاج	٢٦/٩٤
الطلاق	الشيخ محمد أبو زهرة	٢٣/٨٧
عسكرية الاسلام جهاد وذياد	الاستاذ أحمد محمد جمال	٣٢/٩١
عقدة القديم والجديد	الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى	٧/٩٦
فضل الجهاد والمجاهدين	الشيخ عبد العزيز عبد الله باز	٧٨/٩٣
معاملة المسجونين فى الاسلام	الاستاذ ابراهيم محمد الفحام	٥٦/٩٤
نشر السنة واجب دينى	الدكتور عبد الحليم محمود	١٩/٨٨
نظرية الاعدام	الاستاذ محمود مهدى استانبولى	٣٢/٩٢
هذا هو حكم الاسلام	الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى	٥٦/٨٨

تاريخ وحضارة

مناسبات اسلامية

تربية واجتماع

الفتاوى

تابع الفتـــاوى

تحقيقات وموضوعات عامة

مكتبة المجلة

اعداد : الاستاذ عبد الستار محمد فيض

اسم الكتاب	المؤلف	العدد/الصفحة
استراتيجية العالم الاسلامى	محاضرات لمجموعة من الكتاب	١٠٤/٩٢
دراسات فى مذهب فلاسفة الشرق	الدكتور محمد عاطف العراقى	٩٨/٩٤
الدين الحق فى الرد على بيان الحق	الاستاذ توفيق على وهبه	٩٦/٩٤
الرسول والرسالة	« « «	٤١/٨٧
سالونى	الشيخ عبد الله النورى	١٠٢/٩٢
سلاسل المناظرة الاسلامية المسيحية	الاستاذ عبد الله العلمى	١٠٢/٩٢
شعر الدعوة فى عهد النبوة والخلفاء	الاستاذ عبد الله حامد الحامد	١٠٤/٩٣
شفاء السقام فى زيارة خير الانام	للامام على عبد الكافى تقى الدين	١٠٤/٩٣
العوامل التى تنخر فى الكيان الاسلامى	آراء لمجموعة من الكتاب	١٠٣/٩٤
الفهرس الهجائى لكتاب المغنى	الشيخ محمد سليمان الاشقر	٢٥/٨٦
قبسات من السنة	الشيخ أحمد البسيونى	١٠٣/٩٢
المجموعة العلمية السعودية	الشيخ عبد الله محمد حميد	٢٥/٨٦
محاضرات فى الثقافة الاسلامية	الاستاذ أحمد محمد جمال	٢٥/٨٦
مذهب ابن عباس فى الربا	الشيخ زيدان ابو المكارم	٩٦/٩٤
مع الايام (ديوان شعر)	الاستاذ محمد عبد الرحمن عبدالحافظ	٩٦/٩٤
من حياة الرسول	الاستاذ سعيد صادق محمد	٤١/٨٧
موسوعة التاريخ الاسلامى	الدكتور احمد شلبى	٩٨/٩٤
مؤتمر تفسير سورة يوسف	الاستاذ عبد الله العلمى	١٠٢/٩٢
نظرية الاسلام الاقتصادية	الاستاذ عبد السميع المصرى	٩٦/٩٤

مائدة القارئ

العدد/الصفحة	العدد/الصفحة	العدد/الصفحة
١٠٠/٨٥	٥٨/٨٩	٨٦/٩٣
٨٤/٨٦	٧٦/٩٠	١٠٠/٩٤
٧٦/٨٧	٥٦/٩١	٤٢/٩٥
٥٤/٨٨	٨٨/٩٢	٥٨/٩٦

قصائد

عنوان القصيدة	الشاعــــر	العدد/الصفحة
ابتهـــالات	الاستاذ العوضى الوكيل	٢٦/٩٣
تزوجـــــوا	الأستاذ محمد مصطفى حمام	٢٦/٨٦
حجـة الوداع	الأستاذ أحمد محمد مصطفى السفارينى	٦٠/٩٦
عظمة الخالــــق	للشاعر النابغة الجعدى	٢٥/٨٩
علمتنى الحيــاة	الأستاذ أنور العطار	٤٤/٩٠
لبيــــك	للشاعر أبو نــواس	٢٤/٩٥
ليلـة القدر	الأستاذ أمجد عبد الحميد البكرى	١١٠/٩٢
النــور الأعظـم	الأستاذ محمود حسن اسماعيل	١٦/٨٥

قصص

عنوان القصة	الكــــاتب	العدد/الصفحة
ابنــــة الفقيـــــه	الأستاذ أحمد العنانى	٩٦/٨٨
جريمة فى المدينة	الأستاذ محمد المجذوب	٩٦/٩٠
حوار مع ابليس	الأستاذ محمد لبيب البوهى	٩٦/٩٢
رأيت فى بـدر	الأستاذ محمد الخضرى عبد الحميد	٩٨/٩٢
زهرة فى باقــة	» » »	٩٨/٩١
عرس ومهر وحفل عرس	التحريـــر	١١٥/٨٥
فى بيت العنكبوت	الأستاذ محمد لبيب البوهى	٩٨/٩٥
المجلس الكبيــر	الأستاذ حسين الطوخى	٩٤/٨٩
وفوجىء الناس بالمشانق	الأستاذ محمد المجذوب	٩٦/٨٦

بريد الوعي

اعداد : الأستاذ عبد الحميد رياض

الموضـــوع	الاعـــداد	العدد/الصفحة
اتحاد الطلاب المسلمين فى ليبيا	الأستاذ عصام عناية	١٠٥/٨٩
اتقوا اللـــه	الأستاذ أنور محمود وصفى	١٠٨/٨٧
الارحام الصناعية	التحريــر	١٠٦/٩٦
الاستشارة والاستخارة	»	١٠٦/٨٨
الأفلام الفاضحة	الأستاذ توفيق علي وهبه	١٠٤/٨٩
تاريخ الطبرى	التحريــر	١٢٤/٨٥
تحويل القبلة	»	١٠٦/٩٢
التراث المفقود والموجود	الأستاذ محمد زاهر أبو اليمن	١٠٨/٨٧
ترتيب المصحــف	التحريــر	١٠٥/٩٤
تعقيـــب	الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي	١٠٥/٩٠
حضارات الكويت القديمة	التحريــر	١٠٦/٩٢
حول مقال الخطر الذى يهدد المصحف	الأستاذ وليد الأعظمى	١٠٦/٩٠
خطأ شائـــع	التحريــر	١٠٦/٩٤
الخمـــر	»	١٠٨/٩٣
دار القرآن الكريم	»	١٠٧/٩٣
الرقيـــم	»	١٠٥/٩٥
السنـــة	»	١٠٦/٩١
شهر رجب الحرام	»	١٠٧/٩١
قبلة بيت المقدس	»	١٢٣/٨٥
القراءات المتواترة	الشيخ عبد الرؤوف محمد سالم	١٠٣/٨٩
القرآن والبعد الزمنى	الدكتور عماد الدين خليل	١٠٧/٩٦
القضاء والقدر	الشيخ محمد الغزالى	١١٢/٨٦
الكويـــت	التحريــر	١٠٥/٩٥
مخيمات اسلامية	الأستاذ محمد جمال الدين خليل	١٠٧/٨٧
مسـلم حائر	التحريــر	١٢٣/٨٥
معجزات النبى عليه السلام	»	١٠٤/٨٩
المنجم والفلكى	»	١٠٥/٨٨
الميثاق الالهى	»	١١١/٨٦
الوســاطة	»	١٠٧/٨٨
الوعى الاسلامى	الأستاذ محمد بن عبد الله	١٠٨/٨٧
الوعى الاسلامى	الأستاذ محمد بارقبه	١٠٧/٨٨

قالت صحف العالم

الموضـــــوع	المجلة/الصحيفة	العدد/الصفحة
الاجتهـــــاد	مجلة الثقافة الجزائرية	١١٠/٩٠
ارادة القتال لا ارادة التعايش	مجلـــة فلسطين	١١٠/٨٩
الاسرة والشريعة الاسلامية	مجلة الاصالة الجزائرية	١٢٧/٨٥
الاصلاح بالحسنى	مجلة دعوة الحق المغربية	١١٢/٩٢
الامة العربية بين خيارين	مجلة فلسطين	١١٠/٩٥
ان الدين عند الله الاسلام	مجلة الجامعة الاسلامية	١١٠/٩٤
البهائيـــة	مجلة جوهر الاسلام التونسية	١١١/٩٢
تنظيم الاسرة الاسلامية	مجلة دعوة الحق المغربية	١٢٧/٨٥
الدعوة الى الاسلام	" " "	١١٠/٩٢
الدولة الاسلامية	صحيفة الاهرام القاهرية	١١٠/٨٨
شعب في فراغ	مجلة البعث الهندية	١١١/٩٠
صمت المسلمين	مجلة المسلم المصرية	١١١/٨٧
ظواهر مرض عضال	مجلة المجتمع الكويتية	١١١/٨٧
العظمة المحمديـــة	مجلة جوهر الاسلام التونسية	١١٠/٩١
قوانين اسلامية جديدة	مجلة العربي الكويتية	١١١/٨٨
ماذا في امريكا	مجلة مسيحية	١١٢/٨٧
مراجعة الحساب	مجلة البعث الهندية	١١٠/٩٥
المؤتمر الاسلامي	صحيفة الرأى العام الكويتية	١٠٩/٨٦
موقفنا من صراع العصر	مجلة الهدى الاسلامية الليبية	١١١/٩٢
النفس اللوامـــة	مجلة دعوة الحق المغربية	١١٠/٩١
وقفة من وجه الاستشراق	مجلة رابطة العالم الاسلامى	١٠٨/٩٦
الوحدويـــة	مجلة التربية الاسلامية	١١١/٩٤
هل الى خروج من سبيل	مجلة دعوة الحق المغربية	١٠٩/٩٦

الاعـلام

بأقلام القراء

الكتاب

تابع الكتـــاب

الاســـم	الموضـــوع	العدد/الصفحة
راشد عبد الله الفرحان	من وحى الاسراء والمعراج	٤/٩١
» » »	المسلمون فى العالم	٨/٩٤
رضوان رجب البيـلى	حديث الشهر	جميع الاعداد
رمضان لاونـد	العقيدة الناشطة	٤٤/٨٥
جمال الدين محمد حماد	التصوف فى ماليزيا	٨٠/٩٢
حسن عيسى عبد الظاهر	جمع الجوامع للسيوطى (كتاب الشهر)	٨٧/٩٠
حسين الطوخى	المجلس الكبير (قصـة)	٩٤/٨٩
خير الله التركستانى	ذكرى الهجرة الخالدة	١٢٥/٨٥
سعد الدين الجيزاوى	سلامة العقيدة	١٠٨/٩١
ســعد زايـد	المدينة الفاضلة	٧٨/٩٠
سعد المرصـفى	الاسرة الانسانية	٨٣/٩٥
صــلاح عــزام	مؤتمر علماء المسلمين السابع	٩١/٩٤
طــه الولــى	محمد عليه السلام عند المستشرقين	٧١/٨٧
عبد الحميد السائح	مولد نبى الرحمـة	٩٤/٨٧
» »	لماذا اختصت القدس بالاسراء	٥٢/٩١
» »	الشخصية الاسلامية	١٨/٩٣
عبد الحـى مختار	مسجد فهد السالم	٦٧/٨٦
عبد الرحمن احمد شادى	نصيحـة	١٠٩/٨٧
» »	ذخيـرة	١٠٨/٨٩
عبد الرحمن احمد شادى	فى التربيـة	١٠٩/٩٣
عبد الرحمن تـاج	شركات التأمين	٢٦/٩٤
عبد الرحمن على الحجى	فتية لشبونة المغررون	١٠٠/٩٦
عبد الرؤوف محمد سالم	القراءات المتواترة	١٠٣/٨٩
عبد العال سالم مكرم	تفسير القرآن بالقرآن	٨/٩٠
عبد العزيز عبد الله بن باز	العقـر	١٠٣/٨٨
» » »	تقبيل القادم من السفر	١٠٣/٨٨
» » »	القبـلة	١٠٣/٨٨
» » »	أفضل الجهاد والمجاهدين	٧٨/٩٣
عبد العزيز جادو	المناسك وطرق الحج (كتاب الشهر)	٩٤/٩٥
عبد العزيز العلى المطوع	فى رحاب القرآن (٢)	٨/٨٥
» » »	فـى رحاب القرآن (٣)	٨/٨٦
عبد الكريم الخطيب	مصادر القصص القرآنى	٢٨/٨٦
» »	مولد محمد انسان الانسانية	٧٨/٨٧
» »	القصة ومفهومها فى القرآن	٥١/٨٩
» »	خطوات النبى فى الجو المطر	٢٠/٩١
» »	رمضان والقرآن وليلة القدر	٨٨/٩٢
» »	رد على تعليق	٣٧/٩٥

تابع الكتّـــاب

الاســـم	الموضـــوع	العدد/الصفحة
عبد الكريم الخطيب	التكرار القصصي في القرآن	٢٧/٩٦
عبد الله عبد الرحمن السند	العلم والتعلم	١٠٧/٨٦
عبد الله عبد القادر	الاسلام بين أنصاره وأعدائه	١٠٨/٩٠
عبد الله كنـــون	المعراج رحلة الى السماء	٥/٩١
عبد الله محمود شحاته	السنة ومنزلتها من القرآن	٤٤/٩٢
عبد المجيد دافى	التوريق	٦٠/٩٤
عبد المحسن الحمد العباد	الحج فضله وفوائده	٩٠/٩٥
عبد المعز عبد الستار	الأسرة قاعدة الحياة الانسانية	٧٢/٨٦
» »	سورة الاسراء (ونهاية اسرائيل)	٥٨/٩١
عزت محمد ابراهيم	مكة والمدينة في رحلة ابن بطوطة	٩٠/٩٦
عثمان خليل عثمان	الاسرة	٧٠/٨٥
عصام عناية	اتحاد الطلاب المسلمين في لبيج	١٠٥/٨٩
على عبد المنعم عبد الحميد	من هدى السنة	جميع الاعـــداد
» »	يسألون عن الروح	٦٧/٩٦
على الخفيـــف	حق الطلاق	٥٧/٨٥
على سعيد على	رسالة الدين	١٠٩/٩١
على محمد حسن	الأشهر الحرم في كتاب الله	٧٨/٩٦
عماد الدين خليل	أضر من تاريخنا	١٠٤/٨٥
» »	ملاحظات في الميلاد	٤٣/٨٨
» »	القرآن والبعد الزمني	٣٧/٩١
» »	ملاحظة في التقليد الحضاري	٧٧/٩٥
» »	تعقيب	١٠٦/٩٦
العوضي الوكيل	ابتهالات (قصيدة)	٢٦/٩٣
فاروق محمود مساهل	الزى الاسلامي للمرأة ومزاياه	٩٠/٩٣
فاضل خلف	الشدائد تكون الأمم وتصنع الرجال	٨٦/٩٦
كلمان ابراهيم الجميلي	محمد بن أمية	١٠٩/٩٤
لطفي ملحس	اللغة العربية والدين الاسلامي	٥٢/٩٤
محمد ابراهيم الجيوشي	رسالة من لندن	٤٥/٨٩
محمد أبو زهرة	الطـــلاق	٢٣/٨٧
محمد أحمد العزب	بل هذا الزحف من يتصدى له	٢٤/٨٩
» »	قضية الفكر الاسلامي	٢٤/٩٦
محمد البلتاجى	التزام الدولة الاسلامية بأرزاق الناس	٦٠/٨٩
محمد البهي	الهجرة وتاريخها	٢٢/٨٥
»	النبي الأمي	١٤/٨٧
»	ثلاث مساجد وثلاث دلالات	٨/٩١
محمد جاسم المشهداني	ابن العربي	١١٠/٩٦
محمد جمال الدين خليل	مخيمات اسلامية	١٠٧/٨٧

الاســـــم	الموضـــــوع	العدد/الصفحة
محمد جمال الدين الفندى	القرآن وعلم الفلك (١١)	٢٥/٩٢
» » »	القرآن وعلم الفلك (١٢)	١٤/٩٥
محمد حسن محمود سعيد	المؤتمر العالمى لزرع الاعضاء	٦٧/٨٩
محمد حسين الذهبى	القرآن والعلم (١)	٨/٨٨
» »	القرآن والعلم (٢)	١٢/٨٩
» »	القرآن والعلم (٣)	٢٢/٩٠
» »	اعجاز القرآن الكريم	١٦/٩٤
محمد الحسينى عبد العزيز	الدينار العربى	١١٦/٨٥
محمد حميد الله	فقهاء ايران قبل الطوسى	٣٦/٩٠
محمد الخضرى عبد الحميد	زهرة فى باقة (قصة)	٩٨/٩١
» » »	رايت فى بدر (قصة)	٩٨/٩٣
محمد الدسوقى	الاسلام دين الوحدة	٧٤/٨٨
» »	أصول العلاقات الدولية (١)	٥٦/٩٢
» »	أصول العلاقات الدولية (٢)	٥٦/٩٣
محمد رجاء حنفى عبد المتجلى	موقعة المنصورة	٥٢/٩٥
محمد زاهد	مشكلة الزواج فى الغرب	١١١/٩٦
محمد زاهر ابو اليمن	التراث المفقود والموجود	١٠٨/٨٧
محمد سعيد رمضان البوطى	تماسك الأسرة وصلاحها	٦٢/٨٥
» » »	زعموا أن الشريعة لا تصلح للتطبيق	٦٠/٨٦
» » »	الطريقة الحديثة للهجوم على الاسلام	٦٤/٨٧
» » »	هذا هو حكم الاسلام	٥٦/٨٨
» » »	تعقيب	١٠٥/٩٠
» » »	الوحـــدة أولا	٤٥/٩١
» » »	نعم مشكلتنا أخلاقية وليست فكرية	٤/٩٣
» » »	عقدة القديم والجديد	١١٠/٩٦
محمد سعيـــد عدى	شبهة تقدميـــة	١٠٧/٩٥
محمد سلام مدكور	الايمان عقيدة وعمل (٢)	٢٩/٨٥
» »	الايمان عقيدة وعمل (٣)	١٥/٨٦
» »	مولد آخر رسول ورسالة	٣٢/٨٧
» »	حكم المسكرات (١)	٣٠/٨٨
» »	حكم المسكرات (٢)	٢٧/٩٠
» »	شهر رمضان وفتح مكة	٤٤/٩٣
» »	رحلة طهر وعبادة	٤٨/٩٦
محمد سليمان الأشقر	تعقيب على فتوى الوصية الواجبة	١٠٦/٨٧
» »	الشباب	١٢٦/٨٥
محمد سيد أحمد المسير	بـــلاغ	١٠٨/٨٨
» »	جوارى القرن العشرين	١٠٩/٨٩

تابع الكتّــاب

الاســـم	الموضـــوع	العدد/الصفحة
محمد سيد أحمد المسير	وقفة مع العلم والايمان	١٠٩/٩٢
» »	الكفـــاءة	١٠٧/٩٤
محمد شوقي الفجري	الاسلام والمشكلة الاقتصادية	٢٣/٩٥
محمد الصادق عرجون	ابن تيميــة (١)	٦٤/٨٨
» »	ابن تيميــة (٢)	٨٣/٨٩
» »	الحسن البصري	٧٣/٩٢
محمد صبيــح	وذكرهم بأيام الله	٦٧/٩٠
محمد عاطف العراقي	بين الفلاسفة والغزالي	٦٤/٩٢
محمد عبد الرؤوف	الدفاع عن حق المسلمين في القدس	٨٤/٩١
» »	الحركة الاسلامية في أمريكا الشمالية	٣٤/٩٣
محمد عبد الستار نصار	أصول منهج الفكر الاسلامي (١)	٨٣/٩٤
محمد عبد الله السمان	المعجزة الكبرى القرآن (كتاب الشهر)	٩٠/٨٨
» »	والموعد الله (كتاب الشهر)	٧١/٩٤
محمد عطاء الله	النظرة الاسلامية الى التاريخ	٢٩/٩٦
محمد على عبد الهادي	الاسلام والمسلمون في أوروبا	٤٦/٩٠
محمد الغزالي	القضاء والقدر	١١٢/٨٦
» »	يا لرجال مغير دين	٤٨/٨٧
» »	على هامش الاسراء	١٤/٩١
» »	رمضان بين الماضي والحاضر	١٤/٩٣
محمد كامل الفقي	أساليب مسمومة في كتب الادب	٧٣/٩٠
محمد لبيب البوهي	حوار مع ابليس (قصة)	٩٦/٩٢
» »	في بيت العنكبوت (قصة)	٩٨/٩٥
محمد المجذوب	كيف نستعيد بناء الاسرة	٧٦/٨٥
» »	وفوجىء الناس بالمشانق (قصة)	٩٦/٨٦
» »	الاســوة الحسنة	٥٥/٨٧
» »	جريمة في المدينة (قصة)	٩٦/٩٠
محمد محمد أبو شــوك	أمراض الحويصلة المرارية	٩١/٨٦
» »	القلــب ؟	٨٩/٨٧
» »	نظافة الحج	٩٥/٩٦
محمد محمد خليفــة	تربية النفوس في الاسلام	٧٩/٨٩
محمد محمد الشرقاوي	نساء ومواقــف	٥٢/٨٦
محمد مصطفى حمام	تزوجوا (قصيدة)	٢٦/٨٦
محمد مهــدى	الخطر الذي يهدد المصحف	٢٦/٨٩
محمد همام الهاشمي	الأسرة والمشكلات الاجتماعية	٩٣/٨٥
محمود حسن اسماعيل	النور الاعظم (قصيدة)	١٦/٨٥
محمود شيت خطاب	لغة القرآن الكريم	١٤/٨٨
» »	الكاتبون في الدين (١)	٢٢/٩٤

تابع الكتـــاب

الاســـم	الموضـــوع	العدد/الصفحة
محمود شيت خطاب	المتكلمون فى الدين (٢)	١٢/٩٦
محمود محمد قاسم	فكرة الخير والشر (١)	٨/٩٢
» »	فكرة الخير والشر (٢)	٦٧/٩٥
محمود مهدى استانبولى	نظرية الاعــدام	٢٢/٩٢
» »	من غرائب المحاكمات فى التاريخ	٦٨/٩٣
» »	نصيحة ذهبية	٧٦/٩٤
مصطفى الشهابى	طبيبات مسلمات	٨٢/٩٠
مصطفى عبد الواحـد	أهداف مجتمع الاسلام	٢٥/٩٤
مصطفى عبـــد	مسجد عبد الله العثمان	٨٧/٨٨
منــاع قطان	دروس من الهجرة	٢١/٨٥
منذر شعار	مظهر التقوى فى أدب العرب	٦١/٩٠
نديم الجسر	ما وجدت لتبقى	١٩/٨٩
وجيه زين العابدين	التربية الجنسية للطفل	٦٢/٩٥
وليد الأعظمى	حول مقال الخطر الذى يهدد المصحف	١٠٦/٩٠
وهبــه الزحيلى	الله أعلم حيث يجعل رسالته	٤٢/٨٧
» »	حق المساواة بين الناس	٥١/٩٠
» »	الارتباط الروحى بالقدس	٦٩/٩١
» »	رمضان منطلق لكل معانى القرآن	٢٢/٩٣
يحيى اسماعيل حبلوش	لصالح من !	١١٠/٩٦
يحيى هاشم حسن فرغـل	مجمع البحوث الاسلامية	٤٤/٩٥
يوسف نوفـــل	هؤلاء المتصدون من يدعمهم	٨٦/٨٦
يوسف العظم	أغراض الشعر العربى	٤٨/٨٦

الاغلفة

صورة الغلاف	العدد
المسجد الأزرق بتركيا	٨٥
مسجد أحمد عبد الله الصقر ـ الكويت	٨٦
المسجد النبوى الشريف	٨٧
مسجد الفولا ـ سيراليون	٨٨
مسجد الجابرى ـ الكويت	٨٩
مسجد القائد ابراهيم ـ الاسكندرية	٩٠
آية (سبحان الذى أسرى بعبده)	٩١
آية (قد نرى تقلب وجهك فى السماء)	٩٢
مسجد عبد الله العثمان ـ الكويت	٩٣
مسجد غازى خسرو ـ يوغسلافيا	٩٤
باب الحرم المكى	٩٥
الكعبة المشرفة	٩٦

« الى راغبى الاشــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصــــر	:	القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.
السودان	:	الخرطوم : دار التوزيع ــ ص.ب : (٣٥٨) .
ليبيــا	:	طرابلس الغرب : دار الفرجانى ــ ص.ب : (١٣٢) . بنغــازى : مكتبة الخــراز ــ ص.ب : (٢٨٠) .
تونــس	:	مؤسسات ع بن عبد العزيز ــ ١٧ شــارع فرنســا .
لبنــان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .
عــدن	:	مؤسسة ١٤ اكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).
الأردن	:	عمــان : وكالة التوزيع الأردنيــة : ص.ب : (٣٧٥) .
السعودية	:	جــدة : مكتبة مكــة ــ ص.ب : (٤٧٧) . الرياض : مكتبة مكــة ــ ص.ب : (٤٧٢) . الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦) . الطائف : مكتبة الثقافة ــ ص.ب : (٢٢) . مكة المكرمة : مكتبــة الثقافة . المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .
العــراق	:	بغداد : وزارة الاعلام ــ مكتب التوزيع والنشر .
البحــرين	:	المكتبة الوطنية : شارع بــاب البحرين .
قطــر	:	الدوحــة : مؤسسة العروبة ــ ص.ب : (٥٢) .
ابو ظبى	:	شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .
دبــى	:	مؤسسة دار العروبــة .
الكــويت	:	مكتبة الكــويت المتحــدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد